٢١٢
ح

(حاشية على كتاب فى التفسير) ، لم يعلم المحشى . بخط عبد الرحمن بن احمد عبد الكريم ، كتب فى القرن الثانى عشر الهجرى تقديرا .

١٨٧٥

٤١٠ ق ٤٣ س ٥ر٣١ × ٢٠سم

نسخه حسنه ، خطها نسخ معتاد ، ناقصه الاول

١- التفسير ، القرآن الكريم وعلومه .
أ- الناسخ تاريخ النسخ



الجزء الخامس
وهو الاخير

ازيد في الدار ام عمرو واذا كانت منقطعة لا تستدعي ذلك فيقال
ان هذا لزيد ام عمرو كما يقال بل عمرو • والمفسرون على انها منقطعة • ويحتمل
ان يقال انها استفهامية والسابق مفهوم من قوله تعالى والله يعلم
اسرارهم فكانه تعالى قال ام حسب الذين كفروا ان لن يعلم الله
اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها والكل فاسد فانه
يعلمها ويظهرها ويؤيد ذلك ان المنقطعة لا تكاد تقع في صدر
الكلام فلا يقال ابتداء بل جاء زيد ولا ام جاء زيد **قوله** ان لن
يخرج الله اضغانهم الاخراج بمعنى الاظهار اي لن يظهر احقادهم
وان هذه مخففة ولن وما بعدها خبرها واسمها ضمير الشان
والاضغان جمع ضغن وهي الاحقاد والضغينة كذلك قال

ٌ وذي ضغن كففت الود عنه ❊ وكنت على اساءته مقيتا ❊

وقال عمرو بن كلثوم •

❊ فان الضغن بعد الضغن يفشو ❊ عليك ويخرج الداء الدفينا ❊

وقيل الضغن العداوة وانشد ❊

❊ قل لابن هند ما اردت بمنطق ❊ ساء الصديق وشيد الاضغانا ❊

يقال ضغن بالكسر يضغن بالفتح • وقد ضغن عليه واضغن
القوم وتضاغنوا واصل المادة من الالتواء في قوائم الدابة والقناة قال

❊ ان قناتي من صليبات القنا ❊ ما زادها التثقيف الا ضغنا ❊

وقال اخر •

❊ كذات الضغن تمشي في الرفاق ❊ والاضطغان الاحتواء على الشيء ايضا
ومنه قولهم اضطغنت الصبي اذا احتضنته وانشد •

❊ كانه مضطغن صبيا ❊ وقال ❊ وما اضطغنت سلاحي عند مغركها ❊
ولا فرس ضاغن لا تجري الا بالضرب **فصل** قال المفسرون
اضغانهم احقادهم على المؤمنين فتبدو بها حتى تعرفوا نفاقهم • وقال
ابن عباس اضغانهم حسدهم **قوله** ولو نشاء لاريناكهم من رؤية البصر
وجاء على الافصح من اتصال الضميرين • ولو جاء على اريناك اياهم جاز
وقال ابن الخطيب الاراءة هنا بمعنى التعريف **قوله** فلعرفتهم عطف
على جواب لو • وقوله ولتعرفنهم جواب قسم محذوف • قال المفسرون
معنى الكلام لاريناكهم اي لاعلمناكهم وعرفناكهم ولعرفتهم بسيماهم بعلامتهم
قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال
انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شيء
من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم **قوله** ولتعرفنهم في لحن القول اي
في معناه ومقصده • واللحن يقال باعتبارين احدهما الكناية بالكلام
حتى لا يفهمه غير مخاطبك ومنه قول القتال الكلابي في حكاية له ❊ •

❊ ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ❊ ولحنت لحنا ليس بالمرتاب ❊ وقال اخر

❊ منطق صائب وتلحن احيانا ❊ وخير الحديث ما كان لحنا ❊ •

واللحن صرف الكلام من الاعراب الى الخطا • وقيل جعله هو والاول صرف
الكلام عن وجهه يقال من الاول لحنت بفتح الحاء الحن له فانا لاحن
والحنته الكلام افهمته اياه فلحنه بالكسر فهمه فهو لاحن ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ويقال
من الثاني لحن بالكسر اذا لم يعرف فهو لحن **فصل** معنى الاية انك
تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين امرك وامر المسلمين والاستهزاء بهم
فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله

وتستدل بنحوى كلامه على فساد دخلته • قال ابن الخطيب معنى الاية
ان لن يخرج الله اضغانهم اي يظهر ضمايرهم ويبرز سرايرهم وكان قايلا
قال فلم يظهر فقال اخرناه لمحض المشية لا لخوف منهم ولو نشا لاريناكهم
اي لا مانع لنا • والاراءة بمعنى التعريف • وقوله فلعرفتهم بسيماهم يعني عرفناهم
تعريفا تعرفهم به اشارة الى قوة التعريف • واللام في قوله فلعرفتهم
هي التي تقع في جواب لو كما في قوله لاريناكهم ادخلت على المعرفة اشارة الى المعرفة
المرتبة على المشية كانه قال ولو نشا لعرفتهم ليفهم ان المعرفة غير
متاخرة عن التعريف فتفيد تاكيد التعريف اي لو نشا لعرفناك تعريفا
معه المعرفة لا بعده • وقوله في لحن القول اي في معنى القول حيث يقولون
ما منعنا النفاق كقولهم حين مجي النصر انا كنا معكم • وقولهم لئن رجعنا
الى المدينة • وقولهم ان بيوتنا عورة يحتمل ان يكون المراد قولهم ما لم
يعتقدوا فاما لوا الكلام كما قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم
انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون • ويحتمل ان يكون
المراد من لحن القول هو الوجه الخفي من القول الذي يفهمه النبي صلى الله
عليه وسلم ولا يفهمه المنافق ولم يكن يظهر امره الى ان اذن الله له
في اظهار امرهم ومنع من الصلوة على جنايزهم والقيام على قبورهم • وقوله
بسيماهم الظاهر ان المراد انه تعالى لو شا لجعل على وجوههم علامة
او يمسخهم كما قال ولو نشا لمسخناهم • ويروى ان جماعة منهم اصبحوا
وعلى وجوههم مكتوب هذا منافق • ثم قال تعالى والله يعلم اعمالكم
وهذا وعد للمومنين وبيان لكون حالهم بخلاف حال المنافقين قوله
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم •
قرا ابو بكر الثلاثة بالياء من اسفل يعني الله تعالى • والاعمش كذلك وتسكين
الواو والظاهر قطعه عن الاول في قراة تسكين الواو • ويجوز ان يكون سكون الواو
تخفيفا كقراة الحسن او يعقوب الذي بسكون الواو فصل المعنى لنعاملنكم
معاملة المختبر بان نامركم بالجهاد والقتال حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
اي علم الوجود والمشاهدة فانه تعالى قد علمه علم الغيب يريد تبيين
المجاهد والصابر على دينه من غيره • وقوله ونبلوا اخباركم اي نظهرها ونكشفها
بابايكم يابي القتال ولا يصبر على الجهاد قوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى • قيل هم اهل
الكتاب • قريظة والنضير لان اهل الكتاب تبين لهم صدق محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل هم كفار قريش لن يضروا الله شيا انما يضرون انفسهم
وهذا تهديد وسيحبط اعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الاخرة • قال ابن عباس
هم المطعمون يوم بدر • نظيرها قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
ليصدوا عن سبيل الله الاية • ويحتمل المراد الاعمال [illegible] مكايدهم في القتال
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا
اعمالكم قال عطا بالشك والنفاق • وقال الكلبي بالريا والسمعة • وقال
الحسن بالمعاصي والكباير • وقال ابو العالية كان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك
عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكباير ان تحبط الاعمال • وقال مقاتل لا تمنوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا اعمالكم نزلت في بني اسد
قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى [illegible] يقول هو فعلته لاجل
قلبك ولولا رضاك به لما فعلته هذا مناف للاخلاص والله لا يقبل الا
العمل الخالص قوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم
كفار

كفار فلن يغفر الله لهم • قيل هم اصحاب القليب • وقيل اللفظ عام قوله
فلا تهنوا وتدعوا الى السلم يجوز جزم تدعوا عطفا على فعل النهي ونصبه
باضمار ان في جواب النهي • وقرا ابو عبد الرحمن بتشديد الدال فقال
الزمخشري من ادعى القوم وتداعوا مثل ارتموا الصيد وتراموا وقال
عنتره بمعنى تعتزوا وتنتسبوا وتقدم الخلاف في السلم فصل لما بين
ان عمل الكافر الذي له صورة الحسنات محبط وذنبه الذي هو اقبح السيات
غير مغفور وامر بطاعة الله وطاعة الرسول امر بالقتال فقال فلا
تهنوا اي لا تضعفوا بعد ما وجد السبب وهو الامر بالجد والاجتهاد
في القتال فقال ولا تهنوا وتدعوا الى السلم اي الى الصلح ابتدا منع الله
المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا قوله
وانتم الاعلون جملة حالية وكذلك والله معكم • واصل الاعلون الاعليون
فاعل • قال ابن الخطيب اصله في الجمع الموافق اعليون ومصطفيون
فسكنت اليا لكونها حرف علة تحرك ما قبلها والواو كانت ساكنة
فالتقى ساكنان فلم يكن بد من حذف احدهما وتحريك الاخر والتحريك
كان وضع والمحذوف اذ ما جيب عنه فوجب الحذف والواو فيه كانت
لمعنى لا يستفاد الا منها وهو الجمع فاسقطت اليا وبقي اعلون وبهذا
الدليل صار الجر اعلين ومصطفين ومعنى الاعلون الغالبون
وقال الكلبي اخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات والله معكم
بالعون [illegible] النصر قوله ولن يتركم اعمالكم اي ينقصكم او يفردكم عنها
فهو من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا او نهبت ماله او من الوتر
وهو الانفراد • وقيل كلا المعنيين يرجع الى الافراد لان من قتل له قتيل
او نهب له مال فقد افرد عنه فمعنى لن يتركم اعمالكم اي ينقصكم شيا
من ثواب اعمالكم • يقال وتره يتره وترا وتره اذا نقص حقه • قال
ابن عباس وقتادة والضحاك لن يظلمكم اعمالكم الصالحة اي يؤتيكم
اجورها • ثم حض على طلب الاخرة فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو
باطل وغرور وان تومنوا وتتقوا الفواحش يوتكم اجوركم جزا اعمالكم
في الاخرة ولا يسالكم ربكم اموالكم لايتاء الاجر بل يامركم بالايمان
والطاعة ليثيبكم عليها الجنة • نظيره ما اريد منهم من رزق • وقيل
لا يسالكم محمد اموالكم • نظيره قوله قل لا اسالكم عليه اجرا • وقيل
معنى الاية لا يسالكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقات
انما يسالكم غيضا من فيض ربع العشر فطيبوا بها نفسا قاله ابن
عيينة يدل عليه سياق الاية قوله فيحفكم عطف على الشرط وتبخلوا
جواب للشرط • قال ابن الخطيب الفا في قوله فيحفكم للاشارة الى ان
الاحفا يتبع السوال بيانا لشح الانفس وذلك لان العطف بالواو
قد يكون للمتباينين وبالفا لا يكون الا للمتعاقبين او متعلقين
احدهما بالاخر فكانه تعالى بين ان الاحفا يتبع عقيب السوال لان
الانسان بمجرد السوال لا يعطي شيئا • قال المفسرون فيحفكم يجهدكم
ويلحف عليكم بمسالة جميعها • يقال احفى فلان فلانا اذا اجهده
والحف عليه في المسالة قوله تبخلوا ويخرج اضغانكم • العامة
على انه [illegible] يخرج [illegible] مسند الى الله تعالى [illegible] او السوال
لانه سبب [illegible] وجزم عطفا على جواب الشرط وروي عن ابي عمرو
رفعه على الاستيناف • وقرا [illegible] بفتح اليا وضم الراء ورفع اضغانكم
فاعلا • وابن عباس [illegible] وتخرج بالتاء من فوق وضم الراء اضغانكم

فاعلم به • ويعقوب ويخرج بنون العظمة وكسر الرا اضغانكم نصبا
وقرئ ويخرج بالياء على البناء للمفعول اضغانكم رفعا به وعيسى كذلك
الا انه نصبه باضمار ان عطفا على مصدر يسئلكم اي بلين عليكم واخراج
اضغانكم بغضكم وعداوتكم **فصل** قال قتادة علم الله ان في
مسئلة الاموال خروج الاضغان يعني ما طلبها ولو طلبها والح عليكم في
الطلب لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير
فيخرج اضغانكم بسببه فان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا
طلبوا منكم وانتم لمحبة الاموال وشح الانفس تمتنعون فيفضي الى
القتال وتظهر به الضغاين ثم بين ذلك بقوله ها انتم هولا موصول
صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هولا المومنون
ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون • وقال
ابن الخطيب هولا يحتمل وجهين • احدهما ان تكون موصولة كانه قال
انتم الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله • وثانيهما هولا وحدها
خبر انتم كما يقال انت انت وانت هذا للشهرة والظهور اي ظهر امركم
بحيث لا حاجة الى الاخبار عنكم باسر مغاير وقد تقدم الكلام على قوله ها انتم
هولا مشبعا في سورة ال عمران • وقوله تدعون اي الى الانفاق اما
في سبيل الله بالجهاد • واما صرفه الى المستحقين من اخوانكم **قوله**
فمنكم من يبخل بما فرض عليه من الزكاة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
اي ان ضرر ذلك البخل عايد اليه فلا تظنوا انهم ينفقونه على غيرهم
بل لا ينفقونه الا على انفسهم فان من يبخل باجرة ثمن الدوا
وهو مريض فلا يبخل الا على نفسه ثم حقق ذلك بقوله والله الغني
اي غير محتاج الى مالكم واتمه بقوله وانتم الفقرا اليه والى ما عنده
من الخير حتى لا يقولوا بانا اغنيا عن القتال ودفع حاجة الفقرا
قوله يبخل عن نفسه بخل وصن يتعديان بعلى تارة وبعن اخرى
والاجود ان يكون حال تعديهما بعن مضمنين معنى الامساك.
قوله وان تتولوا هذه الشرطية قبلها • وثم لا يكونوا عطف على
يستبدل **فصل** ذكر بيان الاستغنا كما قال تعالى ان يشا
يذهبكم ويات بخلق جديد • قال المفسرون ان تتولوا يستبدل قوما
غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا امثل منكم واطوع لله منكم • قال
الكلبي هم كندة والنخع • وقال الحسن هم العجم • وقال عكرمة هم
فارس والروم لما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلا قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا
يا رسول الله من هولا الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا
امثالنا وضرب على فخذ سلمان الفارسي هذا وقومه ولو كان الدين
عند الثريا لتناوله رجال من الفرس • وقيل هم قوم من الانصار
فصل قال ابن الخطيب ههنا مسئلة وهي ان النحاة قالوا
يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفا وثم الجزم والرفع بدليل
ان تاتني اتك فاخبرك بالجزم والرفع ... قال الله تعالى ههنا
ان تتولوا يستبدل قوما غيركم وقال ثم لا يكونوا امثالكم بالجزم
وقال في موضع اخر وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون بالرفع
لاثبات النون ... ان قوله لا يكونوا امثالكم ...
لانهم ان لم يكونوا امثالهم ... بهم الله على الطاعة وان يكونوا
لا يكونون مثلهم لكونهم عاصين وكون من ياتي بهم مطيعين واما هنا

سوا قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون فلم يكن للنفي هنالك
تعلق بما وقع بالابتدا وههنا جزم للتعلق وقوله لا يكونوا امثالكم في الوصف
لا في الجنس • روى ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله عز وجل ان يسقيه من
انهار الجنة •

سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون اية وخمس مائة وستون كلمة والفان واربع مائة
وثمانية وثلاثون حرفا • روى زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب
كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
فسال له عمر عن شي فلم يجبه • ثم ساله فلم يجبه • ثم ساله فلم يجبه
قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان يكون
نزل في قران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فجيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزل علي الليلة سورة
لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر • وروى انس قال
نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك الى اخر الاية مرجعه
من الحديبية واصحابه مخالطوا الحزن والكابة فقال نزلت علي
اية هي احب الي من الدنيا جميعها فلما تلاها نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال رجل من القوم هنيا مريا قد بين الله لك ما يفعل بك
ماذا يفعل بنا فانزل الله ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري
من تحتها الانهار حتى ختم الاية • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
انا فتحنا لك فتحا مبينا • اختلفوا في هذا الفتح • فروي عن انس
انه فتح مكة • وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على انه فتح الحديبية
وقيل فتح الروم • وقيل فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف
والسنان • وقيل الفتح الحكم لقوله فافتح بيننا وبين قومنا بالحق
وقوله ثم يفتح الله بيننا بالحق • فمن قال هو فتح مكة قال لانه
مناسب لاخر السورة التي قبلها من وجوه • احدها انه تعالى لما قال
ها انتم هولا تدعون لتنفقوا في سبيل الله الى ان قال ومن يبخل
فانما يبخل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم
وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون
بخلهم الا على انفسهم • وثانيها لما قال والله معكم وقال انتم الاعلون
بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون • وثالثها لما قال تعالى
فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسالوا الصلح بل اصبروا
فانكم تسالون الصلح كما كان يوم الحديبية فكان المراد فتح مكة حيث
اتوا صاغرين مستامنين ومومنين وداخلين ومستسلمين
فان قيل ان كان المراد فتح مكة فمكة لم تكن فتحت فكيف قال
فتحنا بلفظ الماضي • فالجواب من وجهين • احدهما فتحنا في حكمنا
وتقديرنا • والثاني ما قدره الله تعالى فهو كاين فاخبر بصيغة
الماضي بشارة لانه امر واقع لا دافع له • وامما الحجة قول الاكثرين
على انه صلح الحديبية لما روى البرا قال تعدون انتم الفتح
فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان
يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة
والحديبية بير فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله

عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها فدعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض
ودعا وصبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن
وركابنا قال الشعبي في قوله إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا وبلغ الهدي محله وظهرت الروم
على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس قال الزهري
ولم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين
فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير
وكثر سواد الإسلام قال المفسرون إنا فتحنا لك فتحا مبينا أي
قضينا لك قضاء بينا **قوله** ليغفر لك الله تتعلق بفتحنا وهي لام
العلة وقال الزمخشري فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة
قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لما عدد من الأمور الأربعة وهي المغفرة
وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قال
يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك بين عز الدارين
وأغراض الآجل والعاجل ويجوز أن فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو
سببا للغفران والثواب وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الآية فإن
اللام داخلة على المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معلل بها
فكان ينبغي أن يقول كيف جعل فتح مكة معللا بالمغفرة ثم يقول لم يجعل
معللا وقال ابن الخطيب وجواب هذا السؤال من وجوه أخرين فقال
بعد أن حكى الأول وقال إن اجتماع الأربعة لم يثبت إلا بالفتح فإن
النعمة تمت والنصرة بعده عمت الثاني أن فتح مكة كان سببا لتطهير
بيت الله من رجس الأوثان وتطهير بيته صار سببا لتطهير عبده الثالث
أن الفتح سبب للحج وبالحج تحصل المغفرة كما قال عليه الصلوة والسلام في الحج
اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا الرابع المراد
منه التعريف تقديره إنا فتحنا لك لتعرف أنك مغفور لك وقال
ابن عطية المراد هنا أن الله فتح لك لكي يجعل الفتح علامة لغفرانه لك
فكأنها لام صيرورة وهذا كلام ماش على الظاهر وقال بعضهم إن هذه
اللام لام القسم والأصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كي وحذفت
النون ورد هذا بأن اللام لا تكسر وبأنها لا تنصب المضارع وقد يقال
إن هذا ليس بنصب وإنما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد
بقي ليدل عليها ولكنه قول مردود **فصل** لم يكن للنبي عليه الصلوة
والسلام ذنب فماذا يغفر له فقيل المراد ذنب المؤمنين وقيل المراد
ترك الأفضل وقيل الصغائر فإنها جائزة على الأنبياء بالسهو والعمد
قاله ابن الخطيب وهي تصونهم عن العجب وقيل المراد بالمغفرة
العصمة ومعنى قوله وما تأخر وقيل إنه وعد للنبي صلى الله عليه وسلم
بأنه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما تأخر عن الفتح
وقيل هو للعموم يقال أضرب من لقيت ومن لا تلقاه مع أن من لا تلقاه
لا يمكن ضربه إشارة إلى العموم وقيل من قبل النبوة وبعدها ومعناه
ما قبل النبوة بالعفو وما بعدها بالعصمة [illegible] وجوه أخر
قال ابن الخطيب منها قول بعضهم ما تقدم من أمر [illegible] وما تأخر
من أمر زينب وهو أبعد الوجوه والمعقول [illegible] **قوله**
ويتم نعمته عليك قيل إن النعمة [illegible] تمت حين وجب الحج
وهو آخر التكاليف [illegible] وقيل [illegible] بإخلاء
الأرض لك عن معاندك [illegible] يوم الفتح لم [illegible] الصلوة
والسلام

والسلام عدو وقال بعضهم قتل يوم بدر وكان الكافرون آمنوا واستأمنوا
يوم الفتح وقيل ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة أما في الدنيا
باستجابة دعائك في طلب الفتح وفي الآخرة بقبول شفاعتك **فصل**
قال الضحاك إنا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال وكان الصلح من الفتح
فإن قلت اللام في قوله ليغفر لام كي فمعناه إنا فتحنا لك فتحا مبينا
لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح فإن قلت اللام في قوله ليغفر
لام كي وقال الحسين بن الفضل هو مردود إلى قوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار وقال محمد بن جرير
هو راجع إلى قوله إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله
أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك في الجاهلية قبل الرسالة وما تأخر إلى وقت نزول هذه السورة
وقيل ما تأخر مما يكون وهذا على طريقة من يجوز الصغائر على الأنبياء
وقال سفيان الثوري ما تقدم مما عملته في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم
تعمله كما تقدم وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب
أبويك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك ويتم نعمته عليك بالنبوة
والحكمة **قوله** ويهديك صراطا مستقيما قيل يهدي بك وقيل
يديمك على الصراط المستقيم وقيل جعل الفتح سبب الهداية
إلى الصراط المستقيم لأنه سهل على المؤمنين الجهاد لعلمهم بفوائده
العاجلة والآجلة وقيل المراد التعريف أي لتعرف أنك على صراط
مستقيم ثم قال وينصرك الله نصرا عزيزا غالبا وقيل معزا لأن
بالفتح حصل النصر فإن قيل إن الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا
والعزيز من له النصر فالجواب من وجهين أحدهما قال الزمخشري
إنه يحتمل وجوها ثلاثة الأول معناه نصرا ذا عزة كقوله في عيشة
راضية أي ذات رضى الثاني وصف النصر بما يوصف به المنصور
إسنادا مجازيا يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق الثالث
المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثاني أن يقال إنما يلزم ما ذكره
الزمخشري إذا قلنا العزة هي الغلبة والعزيز الغالب فأما إذا قلنا
العزيز هو النفيس القليل النظير أو المحتاج إليه القليل الوجود يقال
عز الشيء يعز كذا أي قل وجوده مع أنه محتاج إليه فالنصر كان
محتاجا إليه وهو مثله لم يوجد وهو أخذ بيت الله من الكفار المتمكنين
فيه من غير عدد ولا عدد **فصل** في البحث المعنوي وهو أنه تعالى
لما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك أبرز الفاعل وهو الله ثم
عطف عليه بقوله ويتم ويتوله ويهديك ولم يذكر لفظ الله على الوجه
الحسن في الكلام وهو أن الأفعال الكثيرة إذا صدرت من فاعل يظهر اسمه
في الفعل ولا يظهر فيما بعده تقول جاء زيد وقعد وتكلم وقام وراح
ولا تقول جاء زيد وقعد زيد بل جاء زيد وقعد اختصارا للكلام بالاقتصار
على الأول وههنا لم يقل وينصرك نصرا بل أعاد لفظ الله وجوابه
هذا إرشاد إلى طريق النصر ولهذا لما ذكر الله النصر من غير إضافة قال
تعالى [illegible] ينصرون [illegible] ولم يقل ما النصر إلا بالنصر وقال هو الذي
أيدك بنصره ولم يقل [illegible] إذا جاء نصر الله والفتح
[illegible] فتح قريب وقال وما النصر إلا من عند الله وهذا
[illegible] وتحقيقه هو أن النصر بالصبر والصبر بالله

قال الله تعالى وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون القلب
واطمانانه وذلك بذكر الله كما قال تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب
فلما قال ههنا وينصرك الله اظهر لفظ الله ليعلم ان بذكر الله يحصل
اطمانان القلب وبه يحصل الصبر وبه يتحقق النصر **فصل**
قال انا فتحنا لك ثم قال ليغفر لك الله ولم يقل انا فتحنا ليغفر
لك تعظيما لامر الفتح وذلك لان المغفرة وان كانت عظيمة لكنها عامة
لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا • وان قلنا المراد من المغفرة في حق النبي صلى الله عليه وسلم العصمة
فذلك لم يختص به نبينا بل غيره من الرسل كان معصوما واتمام النعمة
كذلك قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقال يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وكذلك الهداية قال تعالى
يهدي الله وكذلك النصر قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون • واما الفتح فلم يبق لاحد غير النبي
صلى الله عليه وسلم فعظمه بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا وفيه
التعظيم من وجهين • احدهما قوله انا • والثاني قوله لك اي
لاجلك على وجه المنة **قوله** هو الذي انزل السكينة في قلوب
المومنين لما قال تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصر
وذلك ان الله تعالى قد ينصر رسله بصيحة يهلك بها اعداهم
او رجفة يحكم فيها عليهم بالفنا او بشي يرسله من السما او بصبر
وقوة وثبات قلب يرزق المومنين ليكون لهم بذلك الثواب
الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة اي تحقيقا للنصر والمراد
بالسكينة قيل السكون • وقيل الوقار لله • وقيل اليقين • قال
اكثر المفسرين هذه السكينة غير السكينة المذكورة في قوله ان
يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم • ويحتمل ان يكون هي تلك
لان المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب
فصل قال الله تعالى في حق الكفار وقذف في قلوبهم الرعب
بلفظ القذف المزعج • وقال في حق المومنين انزل السكينة بلفظ الانزال
المثبت وفيه معنى حكمي وهو ان من علم شيا من قبل ويذكره استدام
بذكره فاذا وقع لا يتغير ومن كان غافلا عن شي فيقع دفعة فانه
يرجف فواده • الا ترى ان من اخبر بوقوع صيحة وقيل لا يتزعج منها
فوقعت الصيحة لا يرجف ومن لم يخبر بها واخبر وغفل عنه يرجف
اذا وقعت فكذلك الكافر اتاه الله من حيث لم يحتسب وقذف
في قلبه الرعب فارتجف • والمومن اتى من حيث كان يذكره فسكن ولا يتزعج
نفوسهم لما يرد عليهم • قال ابن عباس كل سكينة في القران فهي طمانينة
الا التي في سورة البقرة **قوله** ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم • قال
ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله
فلما صدقوا زادهم الصلوة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد
حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشي فصدقوه ازدادوا تصديقا الى
وقال الضحاك يقينا مع يقينهم • وقيل انزل السكينة عليهم فصبروا
وراءوا عين اليقين بما علموا من النصر علم اليقين ايمانا بالغيب ازدادوا
ايمانا مستفادا من الغيب مع ايمانهم المستفاد من الشهادة • وقيل
ازدادوا ايمانا بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم امنوا بان محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله واحد والحشر كاين وامنوا بان

كلما يقول

كلما يقول النبي صلى الله عليه وسلم فهو صدق وكلما يامر الله تعالى به
واجب • وقيل ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري • فان قيل
ما الحكمة في قوله في حق الكفار انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع كفرهم
وقال في حق المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم • فالجواب ان كفر الكافر
عنادي وليس في الوجود كفر فطري ولا في الوجود كفر عنادي لينضم الى الكفر
الفطري بل الكفر ليس الا عناديا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر
بالاصول لان من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة
الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة والانقياد ولهذا قال
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم **قوله** ولله جنود السموات فهو قادر على
اهلاك عدوه بجنوده بل بصيحة ولم يفعل بل انزل السكينة على المومنين
ليكون اهلاك اعدائه بايديهم فيكون لهم الثواب والمراد بجنود
السموات والارض الملايكة • وقيل جنود السموات الملايكة وجنود
الارض الجن والحيوانات • وقيل الاسباب السماوية والارضية
وكان الله عليما • لما قال ولله جنود السموات والارض وعددهم
غير محصور قال عليما اشارة الى انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض وقيل لما ذكر القلوب بقوله انزل السكينة
في قلوب المومنين والايمان الذي من عمل القلوب ذكر العلم اشارة الى انه
يعلم السر واخفى • وقوله حكيما بعد قوله عليما اشارة الى انه يفعل على
وفق العلم فان الحكيم من يفعل شيا متقنا ويعلمه **قوله** ليدخل
المومنين في متعلق هذه اللام اربعة اوجه • احدها محذوف تقديره
يبتلي بتلك الجنود من يشا فيقبل الخير من اهله والشر من فعله ليدخل
ويعذب • الثاني انها متعلقة بقوله انا فتحنا لك • الثالث انها
متعلقة بينصرك • الرابع انها متعلقة بيزدادوا • واستشكل هذا بان
قوله ويعذب عطف عليه وازديادهم الايمان ليس مسببا عن تعذيب
الكفار • واجيب بان اعتقادهم ان الله يعذب الكفار يزيد في
ايمانهم لا محالة • وقال ابو حيان والازدياد لا يكون سببا لتعذيب
الكفار واجيب بانه ذكر لكونه مقصودا للمومن كانه قيل بسبب
ازديادكم في الايمان يدخلكم الجنة ويعذب الكفار بايديكم في الدنيا
وفيه نظر لانه كان ينبغي ان يقول لا يكون مسببا عن تعذيب الكفار
وهذا يشبه ما تقدم في قوله ليغفر لك الله • واجاب ابن الخطيب بوجهين
اخرين • احدهما ويعذب بغيظ ما لكم من الازدياد يقال فعلت لاخبر
به العدو والصديق اي لاعرف بوجوده الصديق وبعدمه العدو
فكذا ههنا ليزداد المومن ايمانا فيدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا
فيعذبه • وثانيهما ان بسبب زيادة ايمان المومن يكثر صبرهم
وثباتهم ويتعب المنافق والكافر معه ويتعذب ثم ذكر وجوها
اخر تتعلق اللام منها ان الجار متعلق بقوله حكيما كانه قال فعل
بحكمته ذلك ليستجيب دعاك في الدنيا ويقبل شفاعتك في
العقبى ليدخل المومنين جنات • ومنها ان يتعلق بامر مفهوم من
قرينة الحال وهو الامر بالقتال لانه لما ذكر الفتح والنصر علم ان
تعالى امر بالقتال فكانه قال ان الله تعالى امر بالقتال ليدخل
او عرف من قرينة الحال ان الله امر المومنين ليدخلهم جنات
فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ذكر في بعض المواضع المومنين والمومنات
وفي بعضها اكتفى بذكر المومنين ودخلت المومنات فيهم كقوله تعالى

قد افلح المومنين • وقوله وبشر المومنين بان لهم • فالجواب انه في المواضع التي ذكر فيها ما يوهم اختصاص المومنين بالخير الموعود به مع مشاركة المومنات لهم ذكرهن الله صريحا وفي المواضع التي فيها ما يوهم ذلك اكتفى بدخولهن في المومنين كقوله وبشر المومنين مع انه علم من قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا العموم فلا موهم خروج المومنات عن البشارة • واما ههنا فلما كان قوله تعالى ليدخل المومنين يتعلق بفعل سابق وهو اما الامر بالقتال او الصبر فيه او النصرة او الفتح بايديهم على ما تقدم في حال المومنين كان للقتال والمراة لا تقاتل فلا تدخل الجنة الموعود بها فصرح الله بذكرهن وكذا في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات لان الموضع موضع ذكر النسا واحوالهن واذكرن ما يتلى في بيوتكن فكان ذكر النسا هناك اصلا لكن الرجال لما كان لهم ما للنسا من الامر العظيم ذكرهم وذكرهن بلفظ مفرد من غير تبعية لما بينا قوله ويكفر عنهم سيئاتهم فيه سوال وهو ان تكفير السيات قبل الادخال فكيف ذكره بعد ذكر الادخال • والجواب من وجهين • احدهما ان الواو لا تقتضي الترتيب • والثاني ان تكفير السيات والمغفرة من توابع كونه المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال في الذكر بمعنى انه من اهل الجنة قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما عند الله متعلق بمحذوف على انه حال من فوزا لانه صفته في الاصل • وجوز ابو البقا ان يكون ظرفا لكان وفيه خلاف • وان يكون ظرفا لمحذوف دل عليه الفوز اي يفوزون عند الله ولا يتعلق بفوزا لانه مصدر فلا يتقدم معموله عليه ومن اغتفر ذلك في الظرف جوزه • قال ابن الخطيب معناه ان ذلك الادخال والتكفير في علم الله فوز عظيم يقال عندي هذا الامر على هذا الوجه اي في اعتقادي قوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الاية • اعلم انه قدم المنافقين على المشركين في كثير من المواضع لامور احدها انهم كانوا اشد على المومنين من الكافر المجاهر لان المومن كان يتوقى المشرك المجاهر ويخالط المنافق لظنه بايمانه وكان يفشي اسراره والى هذا اشار النبي عليه الصلوة والسلام اعدى عدوك الذي بين جنبيك ولهذا قال الشاعر

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك الف مره

فلربما انقلب الصديق ... عدوا فكان اعلم بالمضره

وثانيها كان المنافق كان يظن ان يتخلص بالمخادعة والكافر لا يقطع بان المومن ان غلب ان يعذبه في التورية وقرا الحسن السوء بالضم فيهما قوله عليهم دايرة السوء اي دايرة الفساد يعني حاق بهم العذاب بحيث لا يخرجون منه • وغضب الله عليهم زيادة على التعذيب ولعنهم اي بالغضب يكون شديدا • واعد لهم جهنم في العقبى • وساءت مصيرا • اي جهنم قوله ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره • وفايدة الاعادة ان لله جنود الرحمة وجنود العذاب او جنود الله انزالهم قد يكون انزالهم للرحمة وقد يكون للعذاب فذكرهم اولا لبيان الرحمة بالمومنين كما قال وكان بالمومنين رحيما • وثانيها لبيان انزال العذاب بالمنافقين والمشركين • وفي الاول ذكر الجنود قبل ادخال الجنة وذكرهم ههنا بعد تعذيب الكفار واعداد جهنم لان الله ينزل جنود الرحمة ليدخل المومنين معظما مكرما الجنة ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله ويكفر عنهم سيئاتهم ثم يقربهم زلفى بقوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما • واما في حق الكفار

فيغضب

فيغضب عليهم اولا فيبعدهم ويطردهم الى البلاد النائية عن الرحمة وهي جهنم ثم يسلط عليهم ملايكة العذاب وهم جنود الله كما قال تعالى عليها ملايكة غلاظ شداد لا يعصون الله فلذلك ذكر جنود الرحمة اولا هناك وقال ههنا وغضب الله عليهم ولعنهم وهو الابعاد الى جهنم • ثم ذكر وهم ملايكة العذاب قوله انا ارسلناك شاهدا على امتك بما يفعلون كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا انه لا اله الا الله والملايكة واولوا العلم وهم الانبيا ومبشرا من قبل شهادته ويعمل بها ونذيرا لمن رد شهادته ثم بين فايدة الارسال فقال لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه اي تعينوه وتنصروه وتوقروه اي تعظموه وتفخموه وهذه الكنايات راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وههنا وقف ثم قال وتسبحوه اي تسبحوا الله يريد تصلوا لله بكرة واصيلا بالغداة والعشي • وقيل الكنايات راجعة الى الله لتومنوا بالله ورسوله وتعزروا الله بتقوية دينه وتوقروا الله اي تعظموه قوله لتومنوا قرا ابن كثير وابو عمرو ليومنوا وما بعده باليا من تحت رجوعا الى قوله المومنين والمومنات والباقون بالخطاب قوله ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله تعالى بالجنة • روى يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شي بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال الموت قوله انما يبايعون الله خبر ان الذين ويد الله فوق ايديهم جملة حالية وخبر ثان ترشيح المجاز في مبايعة الله وقرا تمام بن العباس يبايعون لله والمفعول محذوف اي انما يبايعونك لاجل الله قوله يد الله فوق ايديهم لما بين انه مرسل ذكر ان من بايعه فقد بايع الحق وقوله يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك ان اليد في الموضعين اما ان يكون بمعنى واحد واما ان يكون بمعنيين فان كان بمعنى واحد ففيه وجهان • احدهما قال الكلبي نعمة الله في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان • وثانيها قال ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفا بما وعدهم من النصر والخير اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة • وان كان بمعنيين ففي حق الله بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة • قال السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق ايديهم في المبايعة وذلك ان المتبايعين اذا مد احدهما يده الى الاخر في البيع وبينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ ايديهما الى ان يتم العقد ولا يترك احدهما يترك يد الاخر لكن يلزم العقد ولا يتفاسخان فصار وضع اليد فوق الايدي سببا لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط اي المتبايعين قوله فمن نكث اي نقض البيعة • فانما ينكث على نفسه اي عليه وباله ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي ثبت على البيعة فسيوتيه اجرا عظيما قرا اهل العراق فسيوتيه بالياء [illegible] وقرا الاخرون بالنون • والمراد بالاجر العظيم الجنة وتقدم الكلام على الاجر العظيم قوله سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب والبوادي

لئن خرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل لظنهم ان الله يهزمه فانزل الله هذه الاية **قوله** شغلتنا حكى الكسائي عن ابن مدخ انه قرا شغلتنا حكى الكسائي عن ابن مدخ بالتشديد اموالنا واهلونا يعني النساء والذراري اي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فاستغفر لنا تخلفنا عنك فكذبهم الله في اعتذارهم فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم من الامور بالاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم النبي ام لا قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا • قرا الاخوان ضرا بضم الضاد • والباقون بفتحها فقيل هما لغتان بمعنى كالفقر والفقر والضعف والضعف • وقيل بالفتح ضد النفع وبالضم سوء الحال • ومن فتح قال لانه قابله بالنفع والنفع ضد الضر وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فاخبرهم انه ان اراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا اي بما تعملون من اظهار امر واضمار غيره بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون اي ظننتم ان العدو يستاصلهم ولا يرجعون • قرا عبد الله الى اهلهم دون يا بل اضاف الاهل مفردا **قوله** وزين ذلك في قلوبكم قرا وزين مبنيا للفاعل اي الشيطان او فعلكم زين ذلك الظن في قلوبكم وظننتم ظن السوء وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس فلا يرجعون فاين تذهبون معه انتظروا ما يكون من امرهم **قوله** وكنتم قوما بورا • اي صرتم هلكى لا تصلحون لخير • وقيل كنتم على بابها من الاخبار بكونهم في الماضي كذا والبور الهلاك وهو يحتمل ان يكون هنا مصدرا اخبر به عن الجمع كقول الشاعر

يا رسول الاله ان لساني ⁂ راتق ما فتقت اذ انا بور

ولذلك يستوي فيه المفرد والمذكر وضدهما • ويجوز ان يكون جمع بائر كحائل وحول في المعتل وبازل وبزل في الصحيح **قوله** ومن لم يؤمن من يجوز ان تكون شرطية او موصولة والظاهر قايم مقام العائد على كلا التقديرين اي فانا اعتدنا لهم وفيه فايدة وهي التعميم كانه قال ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو من الكافرين واعتدنا للكافرين سعيرا **قوله تعالى** ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشا ويعذب من يشا وكان الله غفورا رحيما • ذكر هذا بعد ذكره من له اجر عظيم من المتابعين ومن له في السعير عذاب اليم من الظانين الضالين وذلك يفيد عظمة الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهيبته في غاية العظمة وعذابه وعقوبته في غاية الالم **قوله** سيقول المخلفون اذا انطلقتم • يعني هؤلا الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم سرتم وذهبتم [illegible] الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر ذرونا نتبعكم الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وذلك انهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا من غنائم مكة [illegible] من الحديبية ولم يصيبوا شيئا **قوله** يريدون ان يبدلوا [illegible] وان يكون حالا من المخلفين [illegible] ذرونا **قوله** كلام الله • قرا الاخوان كلم [illegible] والباقون كلام [illegible] [illegible] خيبر ومواعد الله تعالى لاهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة [illegible]

يعني

امر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ان لا يسير معه منهم احد • وقال ابن زيد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم اطلعه الله على ظنهم واظهر له نفاقهم وقال للنبي عليه الصلوة والسلام فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا والاول اصوب وعليه اكثر المفسرين **قوله** قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل اي من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب **قوله** بل تحسدوننا قرا ابو حيوة تحسدوننا بكسر السين وبل للاضراب والمضروب عنه محذوف في الموضعين اما هاهنا فتقديره ما قال الله كذلك من قبل بل تحسدوننا اي يمنعكم الحسد من ان نصيب معكم الغنائم بل كانوا لا يفقهون لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من صدق الله ورسوله **قوله** قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبايل مختلفة دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من حسن حاله فجعل لقبول توبته علامة وهو انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد ويطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من اداء الزكاة ثم اتى بها فلم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه احد من الصحابة كذلك كان يستمر حال هؤلا لولا ان الله تعالى بين انهم يدعون فان اطاعوا اعطوا الاجر الحسن والفرق بين حال هؤلا وبين حال ثعلبة من وجهين • احدهما ان ثعلبة يجوز ان يقال حاله لم يكن يتغير وعلم الله فلم يبين لتوبته علامة • وحال الاعراب تغيرت فان بعد النبي عليه الصلوة والسلام لم يبق من المنافقين على النفاق احد • الثاني ان الحاجة الى البيان كان الجم الكثير والجم الغفير امس لانه لولا البيان لافضى الامر الى قيام الفتنة بين فرق المسلمين **قوله** او يسلمون العامة على رفعه بثبات النون عطفا على يقاتلونهم او على الاستيناف اي او هم يسلمون • وقرا ابي وزيد ابن علي بحذف النون والنصب باضمار ان عند جمهور البصريين وباو نفسها عند الجرمي والكسائي ويكون حينئذ عطف مصدر مؤول على مصدر متوهم كانه قيل تكون مقاتلة او اسلام • ومثله في النصب قول امرئ القيس

فقلت له لا تبك عينك انما ⁂ نحاول ملكا او نموت فنعذرا

وقال ابو البقا واو بمعنى الا ان او حتى **قوله** فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا • يعني الجنة وان تتولوا تعرضوا كما توليتم عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما وهو النار فلما نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فانزل الله هذه الاية ليس على الاعمى حرج اي في التخلف عن الجهاد ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وذلك لان الجهاد عبارة عن المقاتلة والكر والفر وهؤلا الثلاثة لا يمكنهم الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنهم الاحتراز والهرب وفي معنى الاعرج الاقطع والمقعد بل اولى ان يعذر ومن به عرج لا يمنعه من الكر والفر لا يعذر وكذلك المرض الذي لا يمنع من الكر والفر كالطحال والسعال وبعض اوجاع المفاصل اذا لم يقعد عن الكر والفر [illegible] فهذه اعذار خارجة كالعمى الذي لا يمكن صاحبه استصحاب ما يحتاج له وكذا الاشتغال بمن لولاه لضاع كطفل او مريض [illegible] اعذار المبيحة مذكورة في كتب الفقه **قوله تعالى** ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما • قرا اهل [illegible] الاخرون بالياء لقوله [illegible]

قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الاية • لما بين
الله حال المخلفين بعد قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ومن يطع الله
عاد الى بيان حال المبايعين قوله اذ يبايعونك منصوب
برضي • وتحت الشجرة يجوز ان يكون متعلقا بيبايعونك • وان يتعلق
بمحذوف على انه حال من المفعول قوله فعلم ما في قلوبهم من الصدق
والوفا فانزل السكينة الطمانينة والرضى عليهم • فان قيل الفا للتعقيب
وعلم الله قبل الرضى لانه علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف
يفهم التعقيب في العلم • فالجواب قال ابن الخطيب ان قوله تعالى
فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك كما تقول فرحت امس اذ
كلمت زيدا فقام لي واذ دخلت عليه فاكرمني فيكون الفرح بعد الاكرام
مرتبا كذلك ههنا قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضى لا يكون عند المبايعة
التي كان معها علم الله بصدقهم • والفا في قوله فانزل السكينة للتعقيب
المذكور فانه تعالى رضي عنهم فانزل السكينة عليهم • وفي قوله فعلم لبيان
وصف المبايعة يكون تعقيبه بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم قوله
واثابهم فتحا قريبا يعني فتح خيبر • وقوله ومغانم كثيرة اي واتاكم مغانم
او واتاكم مغانم او اتاكم مغانم او اثابهم مغانم او اتاهم وانما قدر الخطاب
والغيبة لانه قرئ ياخذونها بالغيبة وهي قراءة العامة وتاخذونها
وهي قراءة الاعمش وطلحة ونافع في رواية سقلاب قوله ومغانم
كثيرة تاخذونها وهي الفتوح التي تفتح لهم الى يوم القيامة وليس للغانم
كل الثواب بل الجنة قدامهم وانما هي كعاجلة عجل بها لهم ولهذا قال
فعجل لكم هذه يعني خيبر وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من اسد وغطفان
ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله ايديهم
بالقاء الرعب في قلوبهم • وقيل كف ايدي الناس عنكم يعني اهل مكة بالصلح
ولتكون كفهم وسلامتكم اية للمؤمنين على صدقك ويعلموا ان الله هو
المتولي لحياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم قوله ولتكون
يجوز فيه ثلاثة اوجه • احدها ان يتعلق بفعل مقدر بعده تقديره
ولتكون فعلك فعل ذلك • الثاني انه معطوف على علة محذوفة
تقديره وعد فعجل وكف لينتفعوا ولتكون او لتشكروا ولتكون • الثالث
ان الواو مزيدة والتعليل لما قبله اي وكف لتكون قوله ويهديكم
صراطا يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح
خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام
بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في سنة سبع الى خيبر • روى
ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزى بنا قوما لم يكن يغير
بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار
عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم فلما اصبح لم يسمع اذانا ركب وركبت خلف
ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا
بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس
اي محمد والجيش قال فلما راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر خربت
خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين • وروى اياس بن سلمة
قال حدثني ابي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] قال
فجعل عمي يرتجز بالقوم

قال

قال تالله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك ما استغنينا
فثبت الاقدام ان لاقينا
وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال
غفر لك ربك وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا
استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على جمل له يا نبي
الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر
بسيفه يقول

قد علمت خيبر اني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب

فقال رضي الله عنه

انا الذي سمتني امي حيدره
كليث غابات كريه المنظره
اكيلكم بالصاع كيل السندره

قال فضرب راس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه • وروى فتح
خيبر من طرق اخر في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض قوله
واخرى يجوز فيها اوجه • احدها ان تكون مرفوعة بالابتدا ولم تقدروا
عليها صفتها وقد احاط الله بها خبرها • والثاني ان الخبر محذوف قبلها
اي وثم اخرى لم تقدروا عليها • الثالث ان تكون منصوبة بفعل مضمر
على شريطة التفسير فيقدر الفعل من معنى المتاخر وهو قد احاط الله بها يجوز
ان تكون خبر الاخرى كما تقدم او صفة ثانية اذا قيل بان اخرى مبتدا وخبر
مضمر او حالا ايضا فصل قال المفسرون معناه اي وعدكم فتح
بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها حتى يفتحها لكم كانه حفظها
لكم ومنعها من غيركم حتى تاخذوها • قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم
قال ابن الخطيب تقديره وعدكم مغانم تاخذونها ومغانم لا تاخذونها
انتم ولا تقدروا عليها وانما ياخذها من يجي بعدكم من المؤمنين وهذا
تفسير الغزالي قال معنى قوله قد احاط الله بها اي حفظها للمؤمنين لا يجري
عليها هلاك وقتال الى ان ياخذوها المسلمون كاحاطة الحراس بالخزاين
واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل هي فارس والروم وما
كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا
عليها بالاسلام • وقال الضحاك هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه
وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها • وقال قتادة هي مكة • وقال
عكرمة حنين • وقال مجاهد ما فتحوا حتى اليوم وكان الله على كل شي قديرا
قوله ولو قاتلكم الذين كفروا يعني اسد وغطفان واهل خيبر لولوا الادبار
قال ابن الخطيب وهذا يصلح جوابا لمن يقول كف الايدي عنهم وكان امرا
اتفاقيا ولو اجتمع عليهم العرب كما زعموا المنهزمون من فتح خيبر واغتنام
غنائمهم [illegible] ولم يبقوا تولوا الا ينصرون لان الغلبة
واقعة للمسلمين فليس امرهم امرا اتفاقيا بل هو امر الهي محكوم به محتوم
ثم قال لا يجدون وليا ولا نصيرا قوله سنة الله مصدر مؤكد لمضمون
الجملة المتقدمة اي سنة الله ذلك سنة [illegible] قال ابن الخطيب وهذا جواب

عن سؤال اخر يقوله قوم من الجهال وهو ان الطوالع والاتصالات لها
تاثيرات وتغيرات فقال ليس كذلك بل سنة الله نصرة رسله واهلاك
عدوه• والمعنى هذه سنة الله في نصر اوليايه وقهر اعدايه ولن تجد
لسنة الله تبديلا قوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وهذا تبيين لما تقدم من قوله
ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار بتقدير الله كما انه كف ايديهم عنكم
بالفرار وايديكم بالرجوع عنهم وتركهم• روى ثابت عن انس بن مالك
ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله هذه الاية وهو الذي كف ايديهم
عنكم القول عليهم• قال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القران وعلى ظهره غصن
من اغصان الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي ابن ابي طالب بين يديه
يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا
في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم
فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جيتم
في عهد او هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلوا سبيلهم فانزل الله
هذه الاية قوله وكان الله بما تعملون بصيرا• قرا ابو عمرو يعملون
بالياء• وقرا الاخرون بالتاء من فوق• والمعنى ان الله يرى فيه من المصلحة
وان كنتم لا ترون ذلك• ثم بين ذلك بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام وهذا اشارة الى ان الكفر لم يكن الامن لانهم
كفروا وصدوكم واحصروا وكل ذلك يقتضي قتالهم فلا يقع لاحد ان الفريقين
اتفقوا واصطلحوا ولم يبق بينهما خلاف ولا نزاع بل الاختلاف والنزاع
باق مستمر لانهم هم الذين كفروا وصدوكم ومنعوكم فازدادوا كفرا وعداوة
فانما ذلك للرجال المومنين والنسا المومنات قوله والهدي العامة
على نصبه• والمشهور انه نسق على الضمير المنصوب في صدوكم• وقيل نصب على
المعية وفيه ضعف لامكان العطف• وقرا ابو عمرو في رواية بجره عطفا على
المسجد الحرام ولا بد من حذف اي وعن نحر الهدي قوله معكوفا حال
من الهدي اي محبوسا يقال عكفت الرجل عن حاجته وانكر الفارسي تعدية
عكف بنفسه واثبتها ابن سيده والازهري وغيرهما وهو ظاهر القران
لبنا اسم المفعول منه قوله ان يبلغ فيه اوجه• احدها انه على اسقاط
الخافض اي عن ان او من ان وحينيذ يجوز في هذا الجار المقدر ان يتعلق
بصدوكم وان يتعلق بمعكوفا اي محبوسا عن بلوغ محله• الثاني انه
مفعول من اجله وحينيذ يجوز ان يكون علة للصد والتقدير صدوا
الهدي كراهية ان يبلغ محله وان يكون علة لمعكوفا اي لاجل ان يبلغ محله
ويكون الحبس من المسلمين• الثالث انه بدل من الهدي بدل اشتمال اي
صدوا بلوغ الهدي محله قوله لم تعلموهم صفة للصنفين وغلب الذكور
وقوله ان تطوهم يجوز ان يكون بدلا من رجال ونسا غير معلومين [illegible]
الثاني لم تعلموا وطاهم والخبر محذوف تقديره [illegible]
او بالحضرة قوله فتصيبكم منهم [illegible] على ان تطوهم [illegible]
انه يتعلق بمحذوف [illegible]
وقال ابو البقا من الضمير [illegible]
يتعلق بتطوهم والوطي [illegible] عن القتال [illegible]

اللهم اشدد

اللهم اشدد وطاتك على مضر• وانشد
ووطاتنا وطا على حنق • وطا المقيد ثابت الهرم
قوله ليدخل الله متعلق بمقدر اي كان انتفا التسليط على اهل مكة وانتفا
العذاب ليدخل الله• وقال البغوي اللام في ليدخل تتعلق بمحذوف
دل عليه معنى الكلام يعني ليدخل الله في رحمته اي في دين الاسلام من يشا
من اهل مكة بعد الصلح قبل ان يدخلوها قوله لو تزيلوا قرا ابن ابي
عبلة وابو حيوة وابن عون لو تزايلوا على تفاعلوا• والضمير في تزيلوا
يجوز ان يعود على المومنين فقط• او على الكافرين• او على الفريقين والمعنى
لو تميز هولا وهولا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالسبي والقتل
بايديكم قوله اذ جعل الذين كفروا العامل في اذ اما لعذبنا او صدوا
او اذكر فيكون مفعولا به• قال ابن الخطيب في اذ يحتمل ان تكون ظرفا
فلا بد من فعل تقع فيه ويكون عاملا له• ويحتمل ان يكون مفعولا به فان
قلنا انه ظرف فالفعل الواقع فيه يحتمل ان يكون مذكورا ففيه وجهان
احدهما قوله تعالى وصدوكم اي وصدوكم حين جعلوا في قلوبهم الحمية فلا
يرجعون الى الاسلام• وثانيهما المومنون لما انزل الله عليهم السكينة
لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله مع المومنين• وان قلنا انه غير مذكور
ففيه وجهان• احدهما حفظ الله المومنين عن ان يبطشهم اذ جعل الذين كفروا
في قلوبهم الحمية• وثانيهما احسن الله اليكم اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية وعلى هذا فقوله تعالى فانزل الله سكينته تفسير لذلك الاحسان
وان قلنا انه مفعول به فتقديره اذكر ذلك الوقت كقولك اذكر اذ قام
زيد اي اذكر وقت قيامه وعلى هذا يكون اذ ظرفا للفعل المضاف اليه
قوله في قلوبهم يجوز ان يتعلق بجعل على انها بمعنى التي تتعدى لواحد
اي اذ القى الكافرون في قلوبهم الحمية• وان يتعلق بمحذوف على انه مفعول
ثان قدم على انه بمعنى صير قوله حمية الجاهلية بدل من الحمية قبلها
والحمية الانفة الانفة من الشي• وانشد للمتلمس
الا انني منهم وعرضي عرضهم • كذي الانف يحمي انفه ان يهشما
وهو المنع ووزنها فعيلة وهي مصدر يقال حميت عن كذا حمية قوله
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين حتى لم يدخلهم
ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم• قال ابن الخطيب والفا
في قوله فانزل الله يدل على تعلق الانزال او ترتيبه على ما ذكرنا
من ان اذ ظرف لفعل مقدر كانه قال احسن الله اذ جعل الذين كفروا
فانزل تفسيرا لذلك الاحسان كما قال اكرمني فاعطاني لتفسير الاكرام
ويحتمل ان تكون الفا للدلالة على تعلق انزال السكينة بجعلهم الحمية
في قلوبهم على معنى المقابلة تقول اكرمني فاثنيت عليه قوله
وكانوا احق بها الضمير في كانوا يجوز ان يعود على المومنين وهو الظاهر
اي احق بكلمة التقوى من الكفار وقيل يعود على الكفار اي كانت قريش
احق بها لولا حرمانهم قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق
صدق يتعدى لاثنين ثانيهما بحرف الجر يقال صدقتك في كذا وقد
يحذف كهذه الاية• وقوله بالحق فيه اوجه• احدها ان يتعلق بصدق
الثاني ان يكون صفة لمصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق• الثالث
ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الرويا اي ملتبسة بالحق• الرابع
انه قسم [illegible] فعلى هذا [illegible] على الرويا ويبتدا بما بعدها
قوله لتدخلن جواب قسم مضمر او القسم بالحق على ذلك القول

قال ابو البقا ولتدخلن تفسير للرويا او مستانف اي والله لتدخلن
فعلى كونه جواب قسم تفسير للرويا غير جواب القسم الا ان يريد انه
جواب قسم لكنه يجوز ان يكون هو مع القسم تفسيرا وان يكون مستانفا
غير تفسير وهو بعيد من عبارته **قوله** ان شا الله امنين فيه وجوه •
احدها انه ذكره تعليما للعباد الادب كقوله تعالى ولا تقولن لشاي
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله • الثاني ان الدخول لما وقع عام الحديبية
وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن
ولكن لا بجلادتكم ولا بارادتكم وانما تدخلن بمشية الله تعالى فلا
يلزمه احد **قوله** امنين حال من فاعل لتدخلن وكذا محلقين ومقصرين
ويجوز ان يكون محلقين حالا من امنين فيكون متداخلة فعلى قوله
محلقين روسكم ومقصرين اشارة الى انكم تستتمون الحج من اوله الى
اخره فقوله لتدخلن اشارة الى الاول • وقوله محلقين اشارة الى الاخر
فان قيل محلقين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا
يكون محلقا **قوله** لا تخافون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا
ثالثة وان يكون حالا من فاعل لتدخلن او من ضمير امنين او محلقين
او مقصرين فان كانت حالا من امنين او حالا من فاعل لتدخلن فهي حال
للتوكيد وامنين حال مقارنة وما بعدها حال مقدرة الا قوله لا تخافون
معناه غير خايفين وذلك يحصل بقوله تعالى امنين فما الفايدة في
اعادته فالجواب ان فيه كمال الامن لان بعد الحلق يخرج الانسان
عن الاحرام فلا يحرم عليه القتال وكان عند اهل مكة يحرم قتال
من احرم ومن دخل الحرم فقال تدخلن امنين وتحلقون ويبقى امنكم
بعد خروجكم عن الاحرام **قوله** فعلم ما لم تعلموا اي ما لم تعلموا من
المصلحة وان الصلاح كان في الصلح وان دخولكم في سنتكم بسبب وطي
المومنين والمومنات وهو قوله تعالى ولولا رجال مومنون الاية **قوله**
هو الذي ارسل رسوله بالهدى وهذا تاكيد لبيان صدق الله في الرويا
لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريه ما لا يكون فيحدث الناس
فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال • ويحتمل ان تكون الرويا
الموافقة للواقع تقع لغير المرسل لكن ذلك قليل لا يقع لكل احد
فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى وحكى له ما سيكون في
اليقظة فلا يبعد ان يريه في المنام ما سيقع والاستبعاد في صدق
روياه • وفيها بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره
على الدين كله اي من تقوية على الاديان لا يستبعد منه فتح مكة
له والهدى يحتمل ان يكون هو القران كقوله انزل فيه القران هدى للناس
وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل ان الهدى
هو المعجزة اي ارسله بالمعجزة فيكون قوله ودين الحق اشارة الى ما شرع
ويحتمل ان يكون الهدى هو الاصول ودين الحق هو الاحكام والالف
واللام في الهدى يحتمل ان تكون للعهد وهو قوله هدى الله يهدي
به من يشا وان تكون للتعريف اي كل ما هو هدى **قوله** ودين الحق
يحتمل ان يكون المراد دين الله لان الحق من اسما الله تعالى ويحتمل
ان يكون الحق نقيض الباطل كما قال ودين الامر الحق • ويحتمل ان
يكون المراد الانقياد للحق اي ارسله بالهدى وهو المعجزة على احد [illegible]
ليظهره على الدين كله [illegible] وكفى بالله شهيدا [illegible]
[illegible] رسول الله وهذا فيه تسلية لقلب المومنين [illegible]

من رد

من رد الكفار عليهم العهد المكتوب وقالوا لا نعلم انه رسول الله فلا
نكتب محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله فقال تعالى كفى بالله شهيدا
اي في انه رسول الله **قوله** محمد رسول الله يجوز ان يكون خبر مبتدا
مضمر لانه لما تقدم هو الذي ارسل رسوله بالهدى محمد ورسول الله
بدل او بيان او نعت وان يكون مبتدا وخبرا وان يكون مبتدا ورسول
الله عطفا على ما تقدم من البدل والبيان والنعت والذين معه عطف
على محمد والخبر عنهم **قوله** اشدا على الكفار • وقرا ابن عامر في رواية
رسول الله بالنصب على الاختصاص وهي لتوكيد كونه تابعا لا خبرا حالة
الرفع • ويجوز ان يكون والذين على هذا الوجه مجرورا عطفا على الجلالة
اي ورسول الذين امنوا معه لانه لما ارسل اليهم اضيف اليهم فهو
رسول الله بمعنى ان الله ارسله ورسول امته بمعنى انه مرسل اليهم
ويكون اشدا حينيذ خبر مبتدا مضمر اي هم اشدا • ويجوز ان يكون
تم الكلام على رسول الله والذين معه مبتدا واشدا خبره • وقرا الحسن
اشدا رحما بالنصب اما على المدح واما على الحال من الضمير المستكن في
معه لوقوعه صلة والخبر حينيذ عين المبتدا **قوله** تراهم ركعا سجدا
ركعا سجدا حالان لان الروية بصرية وكذلك يبتغون • ويجوز ان يكون
مستانفا واذا كانت حالا فيجوز ان يكون حالا ثالثة من مفعول تراهم
وان يكون من الضمير المستتر في ركعا سجدا • وجوز ابو البقا ان يكون
سجدا حالا من الضمير في ركعا حالا مقدرة • فعلى هذا يكون يبتغون حالا
من الضمير في سجدا فتكون حالا من حال الاولى حال من حال اخرى • وقرا
ابن يعمر اشدا بالقصر والقصر من ضراير الاشعار كقوله

شعر

لا بد من صنعا وان طال السفر • فلذلك كانت شاذة • قال ابو حيان
وقرا ابو عمرو بن عبيد ورضوانا بضم الرا • قال شهاب الدين
وهذه قراة متواترة قراها عاصم في رواية ابي بكر عنه وتقدمت
في سورة ال عمران واستثنيت له حرفا واحدا وهو ثاني المايدة
فصل معنى الاية اشدا على الكفار اي غلاظ عليهم كالاسد على فريسته
لا ياخذهم فيهم رافة رحما بينهم متعاطفون متوادون بعضهم لبعض
كالوالد مع الولد كقوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين تراهم
ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون فضلا من الله
ان يدخلهم الجنة ورضوانا اي يرضى عنهم وهذا تمييز لركوعهم وسجودهم
عن ركوع الكافر وسجوده وركوع المرايي وسجوده فانه لا يبتغي به ذلك
قوله سيماهم • وقري سيماهم بيا بعد الميم والمد وهي لغة فصيحة
وانشد •

شعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا • له سيميا لا تشق على البصر •

وتقدم الكلام عليها وعلى اشتقاقها في اخر البقرة • وفي وجوههم خبر سيماهم
ومن اثر السجود حال من الضمير المستتر في الجار وهو في وجوههم • وقرا
العامة من اثر بفتحتين وابن هرمز بكسر وسكون • وقتادة من اثار جمعا
فصل المعنى علامتهم في وجوههم من اثر السجود • وقيل المراد سيماهم
نور بياض في وجوههم يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه رواه عطية العوفي عن ابن عباس • وقال عطا بن ابي رباح والربيع
بن انس استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم • وقال شهر بن حوشب
تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر • وروى الوالبي
عن ابن عباس هو السمت الحسن والخشوع والتواضع وهو قول مجاهد

والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى • وقال الضحاك صفرة الوجه • وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو اثر التراب على الجباه • وقيل المراد ما يظهر في الجبهة بكثرة السجود قوله ذلك مثلهم ذلك اشارة الى ما تقدم من وصفهم بكونهم اشداء رحماء بينهم سيماهم في وجوههم وهو مبتدا خبره مثلهم وفي التورية حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة قوله ومثلهم في الانجيل يجوز فيه وجهان • احدهما انه مبتدا وخبره كزرع فيوقف على قوله في التورية فهما مثلان واليه ذهب ابن عباس • والثاني انه معطوف على مثلهم الاول فيكون مثلا واحدا في الكتابين • ويوقف حينئذ على في الانجيل واليه نحا مجاهد والفراء • وعلى هذا قوله كزرع فيه اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اي مثلهم كزرع فسر بها المثل المذكور • الثاني انه حال من الضمير في مثلهم اي مماثلين زرعا هذه صفته الثالث انها نعت مصدر محذوف اي تمثيلا كزرع ذكره ابو البقا • وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر قوله اخرج شطاه صفة لزرع • وقرا ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطا والباقون باسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر • وقرا ابو حيوة شطاه بالمد • وزيد بن علي بالف صريحة بعد الطا فيحتمل ان يكون بدلا من الهمزة بعد نقل حركتها الى الساكن قبلها على لغة من يقول المراة والكماة بعد النقل وهو مقيس عند الكوفيين • ويحتمل ان يكون مقصورا من الممدود وابو جعفر ونافع في رواية شطه بالنقل والحذف وهو القياس والجحدري شطوه ابدل الهمزة واوا او تكون لغة مستقلة وهذه كلها لغات في فراخ الزرع يقال شطا الزرع واشطا اي اخرج فراخه وهل يختص ذلك بالحنطة فقط او بها وبالشعير فقط او لا يختص خلاف مشهور قال الشاعر •

اخرج الشطا على وجه الثرى • ومن الاشجار افنان الثمر •

قوله فازره العامة على المد وهو على افعل غلطوا من قال انه فاعل كمجاهد وغيره بانه لم يسمع في مضارعه يؤازر بل يؤزر • وقرا ابن ذكوان فازره بالتشديد والمعنى في الكل قواه وقيل ساواه وانشد

بمحنية قد ازر الضال نبتها • بجر جيوش غانمين وخيب •

قوله على سوقه متعلق باستوى ويجوز ان يكون حالا اي كائنا على سوقه اي قائما عليها وقد تقدم في النمل ان قنبلا يقرا سوقه بالهمزة الساكنة كقوله احب الموقدين الي موسى وبهمزة مضمومة بعدها واو كفروج وتوجيه ذلك والسوق جمع ساق قوله يعجب الزراع حال اي معجبا وهنا تم المثل قوله ليغيظ فيه اوجه • احدها انه متعلق بوعد لان الكفار اذا سمعوا بعز المومنين في الدنيا وما اعد لهم في الاخرة غاظهم ذلك • الثاني انه متعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع في نمائهم وتقويتهم قاله الزمخشري شبههم الله بذلك ليغيظ • الثالث انه متعلق بما دل عليه قوله اشداء على الكفار الى اخره اي جعلهم بهذه الصفة ليغيظ • قال مالك من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية • وقال عليه الصلوة والسلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله

فيوشك ان



فيوشك ان يأخذه • وقال عليه الصلوة والسلام لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم من هذه للبيان لا للتبعيض لان كلهم كذلك فهي كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال الطبري منهم يعني من الشطء الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيمة فاعاد الضمير على معنى الشطء لا على لفظه فقال منهم ولم يقل منه وهو معنى حسن فصل قد تقدم الكلام على الاجر العظيم والمغفرة مطولا • وقال هنا في حق الراكعين الساجدين انهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا • وقال لهم اجر ولم يقل لهم ما يطلبونه من الفضل لان المومن عند العمل لم يلتفت الى عمله ولم يجعل له اجرا يعتد به فقال لا ابتغي الا افضالك فان عملي نزر لا يكون له اجر والله تعالى اتاه ما طلب من الفضل وسماه اجرا اشارة الى قبول عمله ووقوعه الموقع روي ان من قرا في اول ليلة من رمضان انا فتحنا لك فتحا مبينا في التطوع حفظ ذلك العام

سورة الحجرات مدنية

وهي ثماني عشرة اية وثلاثماية واربعون كلمة والف واربعماية وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قرا العامة بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة وفيها وجهان • احدهما انه متعد وحذف مفعوله اما اقتصارا كقوله يحيي ويميت كقولهم هو يعطي ويمنع وكلوا واشربوا واما اختصارا للدلالة عليه اي لا تقدموا ما لا يصلح • والثاني انه لازم نحو وجه وتوجه ويعضده قراة ابن عباس والضحاك لا تقدموا بالفتح في الثلاثة والاصل لا تتقدموا فحذف احدى التاءين وبعض المكيين لا تقدموا كذلك الا انه بتشديد التاء كقراة البزي والمتوصل اليه بحرف الجر في هاتين القراتين ايضا محذوف اي لا تتقدموا الى امر من الامور • وقرئ لا تقدموا بضم وكسر الدال من اقدم اي لا تقدموا على شي فصل في بيان حسن الترتيب وجوه • احدها ان في السورة المتقدمة لما جرى منهم ميل الى الامتناع مما اجاز النبي عليه الصلوة والسلام من الصلح والزمهم الله كلمة التقوى قال لهم على سبيل العموم لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تتجاوزوا ما اتى من الله ورسوله الثاني انه تعالى لما بين علو درجة النبي صلى الله عليه وسلم بكونه رسوله الذي يظهره دينه وانه بالمومنين رحيما قال لا تتركوا من احترامه شيا لا بالفعل ولا بالقول وانظروا الى رفعة درجته الثالث انه تعالى وصف المومنين بانهم اشداء ورحماء بينهم وبكونهم راكعين وساجدين وذكر ان لهم من الحرمة عند الله ما اورثهم حسن الثنا في الكتب المتقدمة بقوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل فان الملك العظيم لا يذكر احدا في غيبته الا اذا كان عنده محترما ووعدهم بالاجر العظيم فقال في هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجاتكم واحباط حسناتكم اي بحضرتهما لان ما بحضرة الانسان فهو بين يديه ناظر اليه • وفي قوله بين يدي الله ورسوله فوائد • احدها ان قول الانسان فلان بين يدي فلان اشارة الى ان كلا منهما حاضر عند الاخر مع ان لاحدهما علو الشان وللاخر درجة العبيد والغلمان لان من جلس بجنب الانسان يكلفه تقلب الحدقة اليه وتحريك الراس اليه عند الكلام ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك ولان اليدين تنبئ عن القدرة لان قول الانسان فلان بين يدي فلان



اي يقلبه كيف شاء في اشغاله كما يفعل الانسان بما يكون موضوعا بين يديه وذلك يفيد وجوب الاجتناب من التقدم. وثانيها ذكر الله اشارة الى وجوب احترام الرسول والانقياد لاوامره لان احترام الرسول احترام المرسل لكن احترام الرسول قد يترك لاجل بعد المرسل وعدم اطلاعه على ما يفعل برسوله فقوله بين يدي الله اي انتم بحضرة من الله وهو ناظر اليكم وفي مثل هذا الحال يجب احترام رسوله. وثالثها ان العادة كما تقرر النهي المتقدم بتقرر الامر ال

فصل في سبب النزول روى الشعبي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى قبل الصلوة وهو قول الحسن اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلوة فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء. وروى مسروق عن عايشة انه في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم. وروى ابن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي. قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله. قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله حتى يستفهمه. وقيل نزلت في جماعة اكثروا من السوال وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه. وقال الضحاك يعني في القتال وشرايع الدين اي لا تقضوا امرا دون الله ورسوله. قال ابن الخطيب والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة

فصل ومعنى بين يدي الله ورسوله اي بحضرتهما لان ما بحضرة الانسان فهو بين يديه ناظر اليه. وفي قوله بين يدي الله ورسوله فوايد احدها ان قول الانسان فلان بين يدي فلان اشارة الى ان كل واحد منهما حاضر عند الاخر مع ان لاحدهما علو الشان وللاخر درجة العبيد والغلمان لان من يجلس بجنب انسان يكلفه تقليب الحدقة اليه وتحريك الراس اليه عند الكلام ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك ولان اليدين تنبي عن القدرة لان قول الانسان فلان بين يدي فلان اي يقلبه كيف يشاء في اشغاله كما يفعل الانسان بما يكون موضوعا بين يديه وذلك يفيد وجوب الاجتناب من التقدم. وثانيها ذكر الله اشارة الى وجوب احترام الرسل والانقياد لاوامره لان احترام الرسول احترام للمرسل لكن احترام الرسول قد يترك لاجل بعد المرسل وعدم اطلاعه على ما يفعل برسوله. فقوله بين يدي الله اي انتم بحضرة من الله وهو ناظر اليكم وفي مثل هذه الحالة يجب احترام رسوله. وثالثها ان العادة كما تقرر النهي المتقدم تقرر الامر المتاخر وهو قوله واتقوا الله لان من يكون بين يدي الغير كالمتاع الموضوع بين يديه يقلبه كيف يشاء يكون جديرا بان يتقيه. وفي قوله واتقوا الله لان من يكون بين يدي الغير كالمتاع الموضوع بين يديه يقلبه كيف يشاء يكون جديرا. وقوله واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفة امره ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي في اعادة النداء فوايد منها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل يا بني اقم الصلوة لان النداء

للمنادي

للمنادي ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه ما عادته تفيد تجدد. ومنها ان لا يتوهم متوهم ان المخاطب ثانيا غير المخاطب اولا فان من الجايز ان يقول يا زيد افعل كذا وكذا يا عمرو فاذا اعاد مرة اخرى وقال يا زيد قل كذا وقل كذا يعلم ان المخاطب اولا هو المخاطب ثانيا. ومنها ان يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود وليس الثاني تاكيدا للاول كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلم الا بالحق فانه لا يحسن ان يقول يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين

فصل قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي يحتمل ان يكون المراد حقيقة رفع الصوت لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وهوان رفع الصوت يدل على عدم الخشية لان من خشي قلبه ارتجف وضعفت حركته الدافعة فلا يخرج منه الصوت بقوة ومن لم يخف ثبت قلبه وقوي حركته الدافعة وذلك دليل على عدم الخشية ويحتمل ان يكون المراد المنع من كثرة الكلام لان من كثر كلامه يكون متكلما عند سكوت الغير فيبقى لصوته ارتفاع وان كان خايفا فلا ينبغي ان يكون لاحد عند النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير بالنسبة الى كلام النبي عليه الصلوة والسلام لان النبي عليه الصلوة والسلام لما وجب عليه البيان فهو لا يسكت عما سيل وان لم يسال فربما يكون في الجواب تكليف لا يسهل على المكلف الاتيان به فيبقى في ورطة العقاب كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم. ويحتمل ان يكون المراد رفع بالتعظيم اي لا تجعلوا الكلام لكم ارتفاعا على كلام النبي عليه الصلوة والسلام في الخطاب والاول اوضح والكل يدخل في المراد. قال المفسرون معناه بجلوه وفخموه ولا ترفعوا اصواتكم عنده ولا تنادوه كما ينادي بعضكم. روى انس ومالك انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن [illegible] معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول النبي فقال ثابت انزلت هذه الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله بل هو من اهل الجنة. وروى لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال وما يبكيك يا ثابت قال هذه الاية ان يكون نزلت في وانا رفيع الصوت اخاف ان يحبط عملي واكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكا فاتى امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار فضربت عليه بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجا عاصم الى المكان الذي راه فلم يجده فجا الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال له اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واخاف ان يكون هذه الاية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي ابدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم

عند رسول الله الاية • قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين
ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض
الانكسار فانهزمت طايفة فقال اف لهولا • ثم قال ثابت لسالم مولى
ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعدا الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل
من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع
درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طوله وقد وضع
على درعي برمة فات خالد بن الوليد واخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضى وفلان
من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد
الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرويا واجاز ابو بكر وصيته • قال مالك
ابن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه **قوله**
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال ابن الخطيب ان قلنا المراد
من قوله لا ترفعوا اصواتكم لما كان من جنس لا تجهروا لم يستانف النداء ولما
كان مخالفا للمتقدم لكون احدهما فعلا والاخر قولا استانف كقول لقمان
لابنه يا بني لا تشرك بالله وقوله يا بني اقم الصلوة لكن الاول من عمل القلب
والثاني من عمل الجوارح فان قيل ما الفايدة في قوله ولا تجهروا له بالقول
مع ان الجهر مستفاد من قوله لا ترفعوا اصواتكم فالجواب ان المنع من رفع
الصوت هو ان لا يجعل كلامه او صوته اعلا من كلام النبي عليه الصلوة والسلام
وصوته • والنهي عن الجهر منع من المساواة اي لا تجهروا له بالقول كما يجهر النظير
بل اجعلوا كلمته عليا **قوله** ان تحبط مفعول من اجله والمسالة من التنازع
وان كلا من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا له يطلبه من حيث المعنى فيكون معمولا
للثاني عند البصريين في اختيارهم وللاول عند الكوفيين والاول اصح لحذف
من الاول اي لان تحبط • وقال ابو البقا انها لام الصيرورة وانتم لا تشعرون
حال **فصل** معنى الكلام انكم ان رفعتم اصواتكم وتقدمتم فذلك
يودي الى الاستحقار والارتداد محبط • وقوله وانتم لا تشعرون اشارة الى ان
الردة تتمكن من الانسان بحيث لا يشعر الانسان فان من ارتكب ذنبا
لم يرتكبه في عمره تراه نادما غاية الندامة خايفا عليه الخوف فاذا ارتكبه
مرارا قل خوفه وندامته ويصير عادة من حيث لا يعلم متى تمكن هذا
اكان في المرة الاولى او الثانية او الثالثة وغيرها وهذا كما اذا بلغه خبر
فانه لا يقطع بالمخبر فاذا تكرر ذلك وبلغ الى حد التواتر حصل له اليقين
وتمكن الاعتقاد ولا يدري متى كان ذلك وفي اي لمحة حصل هذا اليقين
بقوله وانتم لا تشعرون تاكيد للمنع اي لا تقولوا بان المرة الواحدة
تعفى ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم بل احسموا الباب **قوله**
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي اجلالا له • اوليك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب
بالنار فيخرج خالصه **فصل** اوليك يجوز ان يكون اوليك مبتدا
والذين خبره ويكون لهم مغفرة جملة اخرى اما مستانفة وهو الظاهر
واما حالية • ويجوز ان يكون الذين امتحن صفة لاوليك او بدلا او عطف
بيان • ولهم مغفرة جملة خبرية • ويجوز ان يكون لهم هو الخبر وحده ومغفرة
فاعل به واللام في قوله للتقوى يجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره عرف الله
قلوبهم صالحة اي كاينة للتقوى كقولك انت لكذا اي صالح او كاين • ويجوز
او يكون للتعليل وهو يحتمل وجهين • احدهما ان يكون تعليلا لامر يجري مجرى بيان

السبب

السبب المتقدم كقولك جيتك لاكرامك اياي امس اي صار ذلك السبب
السابق سبب المجي • والثاني ان يكون ذلك تعليلا يجري مجرى بيان علة
المقصود المتوقع الذي يكون لاحقا لا سابقا كقولك جيتك لادا الواجب
اي ليصير مجيي سببا لادا الواجب فعلى الاول فمعناه ان الله علم ما في قلوبهم
بقوله فامتحن قلوبهم للتقوى التي كانت فيها ولولا ان قلوبهم كانت مملوة من
التقوى • لما امرهم بتعظيم رسوله وتقديم نبيه على انفسهم وعلى الثاني
فمعناه ان الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفته ومعرفة رسوله بالتقوى اي ليرزقهم
الله التقوى • ثم قال لهم مغفرة واجر عظيم وقد تقدم الكلام على ذلك
قوله تعالى ان الذين ينادونك من ورا الحجرات هذا بيان لحال من كان
من كان في احدهما النداء فان نداء الرجل الكبير قبيح بل الادب الحضور بين
يديه وعرض الحاجة عليه • الثاني النداء من ورا الحجرات فان من ينادي غيره
ولا حايل بينهما لا يكلفه المشي والمجي بل يجيبه من مكانه ويكلمه ومن ينادي
غيره مع الحايل يريد منه حضوره • الثالث قوله الحجرات يدل على كون
النبي عليه الصلوة والسلام في خلوته التي لا يحسن اتيان المحتاج اليه في حاجته
ذلك الوقت بل الاحسن التاخير وان كان في ورطة الحاجة **قوله**
من ورا من لابتدا الغاية وفي كلام الزمخشري ما يمنع ان يكون من لابتدا
الغاية ما يمنع من ان يكون لابتدا الغاية وانما قال لان الشي الواحد
لا يكون مبدا للفعل ومنتهى له وهذا اثبته بعض الناس وزعم انها تدل
على ابتدا الفعل وانتهايه في جهة واحدة نحو اخذت الدرهم من الكيس
والعامة على الحجرات بضمتين • وابو جعفر وشيبة بفتحها وابن ابي عبلة
باسكانها وهي ثلاث لغات تقدم تحقيقها في البقرة في قوله في ظلمات
والحجرة فعلة بمعنى مفعولة كغرفة بمعنى مغروفة • وقال البغوي والحجرات
جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع **فصل** ذكروا في سبب النزول
وجوها • احدها قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصين الفزاري فلما علموا هربوا
وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه
بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قايلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابايهم
يبكون وكان لكل امراة من نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة
فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون
يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا
عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم
سبرة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد
وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم
فانزل الله ان الذين ينادونك من ورا الحجرات اكثرهم لا يعقلون • وصفهم
بالجهل وقلة العقل **قوله** ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا
لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فدا والله غفور رحيم
وقال قتادة نزلت في ناس من اعراب بني تميم جاوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين
وذمنا شين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله
الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا نحن ناس من بني تميم جينا بشاعرنا
وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله
وفضل قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن
شماس وكان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فاجابه • وقام اخر
فذكر ابياتا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اجبه
فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا فكان
خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا • ثم
دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان من قبل هذا ثم
اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم
عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما
اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الايات الاربع الى قوله غفور رحيم • وقال
زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم
لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به
وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاوا فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات
يا محمد يا محمد فانزل الله ان الذين ينادونك الاية فصل في قوله
اكثرهم وجوه • احدها ان العرب تذكر الاكثر وتريد الكل احترازا عن
الكذب واحتياطا في الكلام لان الكل مما يحيط به علم الانسان في بعض
الاشياء فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى مع احاطة علمه
بالامور اتى بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهي ان الله تعالى
يقول انا مع احاطة علمي بكل شيء جريت على عادتكم استحسانا لتلك العادة
وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياركم ذلك في كلامكم دليلا
قاطعا على رضاي بذلك منكم • الثاني ان يكون المراد انهم في اكثر احوالهم
لا يعقلون وذلك ان الانسان اذا اعتبر مع وصف ثم اعتبر مع وصف
اخر يكون المجموع الاول غير المجموع الثاني • مثاله اذا كان الانسان جاهلا
او فقيرا فيصير عالما او غنيا فيقال في العرف زيد ليس هو الذي رايت
من قبل بل الان على احسن حال فتجعله كانه ليس ذلك اشارة الى ما ذكرنا
اذا علم هذا فهم في بعض الاحوال اذا اعتبرتهم مع تلك الحالة مغايرون
لانفسهم اذا اعتبرتهم مع غيرها فقوله تعالى اكثرهم لا يعقلون اشارة الى
ما ذكرنا • الثالث لعل فيهم من رجع عن ذلك • ومنهم من استمر على تلك
العادة الرديئة فقال اكثرهم اخراجا لمن تقدم منهم عنهم قوله
ولو انهم صبروا فقدم مثله وجعله الزمخشري فاعلا بفعل مقدر اي
ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان ضميرا عايدا على الفاعل وقد تقدم ان
مذهب سيبويه انها في محل رفع بالابتدا وحينئذ يكون اسم كان ضميرا
عايدا على صبرهم المفهوم من الفعل قوله والله غفور رحيم يحتمل
امرين احدهما غفور لسوء صنيعهم في التعجيل • وثانيهما لحسن الصبر
يعني بسبب اتيانهم بما هو خير يغفر الله لهم سيئاتهم • ويحتمل ان يكون
ذلك حثا للنبي عليه الصلوة والسلام على الصفح وقوله اكثرهم لا يعقلون
كالعذر لهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
الاية • قال المفسرون نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط وهو اخو عثمان
لامه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة
واليا ومصدقا وكان بينهم وبينه عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم

تلقوه

١٤

تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم
يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال انهم منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم ان يغزوهم وبلغ القوم رجوعه فاتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي
اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب
جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله
فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية
في عسكره وقال انظر فان رايت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة
اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد
ووافاهم فسمع منهم اذان صلاتي المغرب والعشا فاخذ منهم صدقاتهم ولم
ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره
الخبر فنزل يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا يعني الوليد بن عقبة بنبا
بخبر فتبينوا ان تصيبوا قوما كيلا تصيبوا بالقتل والقتال قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم من اصابتكم بالخطا نادمين • قال ابن الخطيب وهذا
ضعيف لان الله تعالى لم يقل اني انزلتها لكذا والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل
عنه انه قال وردت الاية لبيان ذلك حسب غاية ما في الباب انها نزلت
في ذلك الوقت وهو مثل تاريخ نزول الاية • ومما يصدق ذلك ويؤكده
ان لفظ الفاسق على الوليد بعيد لانه توهم وظن فاخطا والمخطي لا يسمى
فاسقا فكيف والفاسق في اكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الايمان
كقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن امر
ربه • وقوله واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها الى غير ذلك فصل دلت الاية على ان خبر الواحد حجة
وشهادة الفاسق لا تقبل اما في المسئلة الاولى فلانه علل الامر بالتوقف
بكونه فاسقا ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان للترتيب على
الفسق فايده • واما في المسئلة الثانية فلوجهين احدهما انه امر
بالتبين وقبل قوله كان الحاكم مامورا بالتبين فلم يقبل قول الفاسق
شيئا • ثم ان الله تعالى امر بالتبين في الخبر والنبا وباب الشهادة اضيق
من باب الخبر • الثاني انه تعالى قال ان تصيبوا قوما بجهالة والجهل فوق
الخطا لان المجتهد اذا اخطا لا يسمى جاهلا فلا يجوز البنا على قوله قوله
ان تصيبوا مفعول له كقوله ان تحبط • قال ابن الخطيب معناه على
مذهب الكوفيين لئلا تصيبوا • وعلى مذهب البصريين كراهة ان
تصيبوا قال ويحتمل ان يكون المراد فتبينوا واتقوا ان تصيبوا قوما
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فقوله بجهالة في تقدير حال اي
تصيبوهم جاهلين • ثم حقق ذلك بقوله فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
وهذا بيان لان الجاهل لا بد وان يندم على فعله • وقوله فتصبحوا معناه
تصيروا • قال النحاة اصبح يستعمل على ثلاثة اوجه • احدها بمعنى دخول
الانسان في الصباح • والثاني بمعنى كان الامر وقت الصباح كما يقال اصبح
المريض اليوم خيرا مما كان يريد كونه في وقت الصبح على حالة خير • الثالث
بمعنى صار كقولك اصبح زيد غنيا اي صار من غير اعتبار وقت دون وقت
وهذا هو المراد من هذه الاية وكذلك امسى واضحى • قال ابن الخطيب الصيرورة
قد تكون من ابتدا الامر بعد دوام • وقد تكون في اخر الامر بمعنى ال الامر اليه
وقد تكون متوسطة مثال الاول قولك صار الطفل فاهما اي اخذ فيه
وشرع في الزيادة • ومثال الثاني قولك صار الحق بينا واجبا اي انتهى حده

ومثال الثالث قولك صار زيد عالما اذا لم تزد اخذه فيه ولا بلوغه
نهايته بل كونه متلبسا به • واذا علم هذا فنقول اصل استعمال اصبح
فيما يصير الشيء اخذا في وصف ومبتديا فيه • واصل امسى فيما يصير الشيء
بالغا في الوصف نهايته • واصل اضحى للتوسط لا يقال اهل الاستعمال
لا يفرقون بين الامور ويستعملون الالفاظ الثلاثة بمعنى لانا نقول اذا
تقاربت المعاني جاز الاستعمال لا انا في الاصل وكثير من الالفاظ اصله
معنى واستعمل استعمالا شايعا فيما يشاركه • واذا علم هذا فنقول قوله تعالى فتصبحوا
اي تصيروا اخذين في الندم ثم تستديمونه وكذلك في قوله فاصبحتم بنعمته
اخوانا اي اخذتم في الاخوة وانتم فيها زايدون مستمرون قوله
نادمين الندم هم دايم • والنون والدال والميم في تقلبها لا ينفك عن معنى
الدوام كقول القايل ادمن في الشرب ومدمن اي اقام • ومنه المدينة
قوله واعلموا ان فيكم رسول الله فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان
الله يخبره ويعرفه احوالكم فتفتضحوا قوله لو يطيعكم يجوز ان يكون حالا
اما من الضمير المجرور في قوله فيكم واما من المرفوع المستتر في فيكم لوقوعه خبرا
ويجوز ان يكون هنا مستانفا الا ان الزمخشري منع هذا لادايه الى تنافر النظم ولا
يظهر ما قاله بل الاستيناف واضح ايضا • واتى بالمضارع بعد لو دلالة على انه
كان في ارادتهم استمرار عمله على ما تستعنون فصل نقل ابن الخطيب
ان الزمخشري قال وجه التعليق هو ان قوله لو يطيعكم في تقدير حال الضمير
المرفوع في قوله فيكم والتقدير كاين فيكم او موجود فيكم على حال تريدون ان يطيعكم
او يفعل باستصوابكم فلا ينبغي ان يكون على تلك الحال لو فعل ذلك لعنتم اي وقعتم
في شدة او اثمتم وهلكتم والعنت الاثم والهلاك • ثم قال ولكن الله حبب اليكم
الايمان وزينه وهذا خطاب مع بعض المومنين غير المخاطبين بقوله لو يطيعكم • قال
الزمخشري اكتفى بالتغاير في الصفة واختصر ولم يقل حبب الى بعضكم الايمان • وقال
ايضا بان قوله تعالى لو يطيعكم بدل اطاعكم اشارة الى انهم كانوا يريدون استمرار
تلك الحالة ودوام النبي عليه الصلوة والسلام على العمل باستصوابهم لكن يكون ما
بعدها على خلاف ما قبلها وههنا كذلك وان لم تحصل المخالفة بصريح اللفظ لان
اختلاف المخاطبين في الوصف يدلنا على ذلك لان المخاطبين اولا بقوله لو يطيعكم
هم الذين ارادوا ان يكون عملهم لمراد النبي عليه الصلوة والسلام هذا ما قاله
الزمخشري واختاره وهو حسن قال والذي يجوز ان يقال وكانه هو الاقوى ان
الله تعالى قال ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا واكشفوا ثم قال بعده واعلموا
ان فيكم رسول الله اي الكشف سهل عليكم بالرجوع الى النبي عليه الصلوة والسلام
فانه فيكم مبين مرشد وهذا كما يقول القايل عند اختلاف تلاميذ الشيخ في
مسئلة هذا الشيخ قاعد لا يريد به بيان قعوده وانما يريد امرهم بمراجعته
لان المراد انه لا يطيعكم في كثير من الامر وذلك لان الشيخ اذا كان يعتمد على قول
التلاميذ لا يطمئن قلوبهم بالرجوع اليه واذا كان لا يذكر الا النقل الصحيح ونقره
بالدليل القوي يراجعه كل احد فكذلك ههنا فاسترشدوه فانه يعلم ولا يطيع
احدا فلا يوجد فيه حيف ولا يروج عليه زيف • والذي يدل عليه ان المراد من قوله
لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لبيان امتناع الشرط لامتناع الجزاء كما في قوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا • وقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا وذلك يدل على انه ليس فيهما الهة وانه ليس من عند غير الله
قوله ولكن الله حبب اليكم الايمان هذا استدراك من حيث المعنى لا من حيث
اللفظ لان من حبب اليه الايمان غايرت صفته صفة من تقدم ذكره فصل
حبب اليكم الايمان فجعله احب الاديان اليكم وزينه وحسنه في قلوبكم حتى اخترتموه
وتطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق قال ابن

عباس

عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله ثم رجع من الخطاب الى الخبر
فقال اولئك هم الراشدون فصل قال ابن الخطيب بعد ذكره
الكلام المتقدم وهذا معنى الاية جملة فلنذكره تفصيلا في مسايل المسئلة
الاولى لو قال قايل اذا كان المراد بقوله واعلموا ان فيكم رسول الله الرجوع
اليه فلم لم يصرح بقوله فتبينوا وراجعوا النبي عليه الصلوة والسلام وما
الفايدة في العدول الى هذا المجاز • نقول فايدته زيادة التاكيد لان قول القايل
في المثال المتقدم هذا الشيخ قاعد اكد في وجوب المراجعة من قوله راجعوا الشيخ
لان القايل يجعل وجوب مراجعته متفقا عليه ويجعل سبب عدم الرجوع
عدم علمهم بقعوده فكانه يقول انتم لا تشكون في ان الكاشف هو
الشيخ وان الواجب مراجعته لكنكم لا تعلمون قعوده فهو قاعد فيجعل المراد
اظهر من القعود لانه يقول حتى علمتم قعوده فتركتم مراجعته ولا يخفى عليكم
حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة اظهر من الامر الخفي بخلاف ما لو قال
راجعوه لانه حينئذ يكون قايلا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق
وبين الكلامين بون بعيد فكذلك قوله تعالى واعلموا ان فيكم فجعل حسن
مراجعته اظهر من كونه فيهم حيث ترك بيانه واخذ في بيان كونه فيهم
وهذا من المعاني العزيزة التي توجد في المجازات ولا توجد في الصرايح • فان
قيل اذا كان المراد من قوله لو يطيعكم بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع
للوحي فلم لم يصرح به • نقول بيان نفي الشيء مع بيان دليله اتم من بيانه
من غير دليل والجملة الشرطية بيان للنفي مع بيان دليله فان قوله ليس فيهما
الهة لو قاله قايل لم قلت انه ليس فيهما الهة يجب ان يذكر الدليل فيقال
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فكذلك ههنا لو قال لا يطيعكم لقال
قايل لم لا يطيع فوجب ان يقال لو اطاعكم لاطاعكم لاجل قلبكم ومصلحة ابصا ركم
لكن لا مصلحة لكم فيه لانكم تعنتون وتاثمون وهو يشق عليه عنتكم كما قال
عزيز عليه ما عنتم فاذا اطاعكم لا يفيده شيا فلا يطيعكم فهذا نفي الطاعة بالدليل
وبين نفي الشيء بدليل ونفيه من غير دليل فرق عظيم • واعلم ان في قوله
في كثير من الامر ليعلم انه قد يوافقهم ويعمل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لفايدة
قوله وشاورهم في الامر • فان قيل اذا كان المراد بقوله تعالى ولكن الله حبب
اليكم الايمان فلا تتوقفوا فلم لم يصرح به • قلنا لما بينا من الاشارة الى ظهور
الامر يعني انتم تعلمون ان اليقين لا توقف فيه اذ ليس بعده مرتبة حتى
يتوقف الى بلوغ الامر الى تلك المرتبة بخلاف الشك فانه يتوقف الى بلوغ الامر
الى درجة الظن ثم الظن يتوقف الى بلوغ درجة اليقين فلما كان عدم التوقف
في النفس معلوما متفقا عليه لم يقل فلا تتوقفوا بل قال حبب اليكم الايمان
اي بينه وزينه بالبرهان اليقيني فصل قال ابن الخطيب معنى حبب
اليكم اي قربه اليكم وادخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج
من قلوبكم وذلك لان من يحب شيا فقد يسام منه لطول ملازمته والايمان
كل يوم يزداد حسنا فكل من كانت عبادته اكثر وتحمله مشاق التكليف اتم
تكون العبادة والتكاليف عنده الذ واكمل ولهذا قال اولا حبب اليكم الايمان
وقال ثانيا وزينه في قلوبكم كانه قربه اليهم ثم اقامه في قلوبهم
فصل وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان • قال ابن الخطيب
هذه الامور الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل لان الايمان الكامل المزين
هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقوله كره
اليكم الكفر وهو في مقابلة التكذيب ثم هو في مقابلة التصديق بالجنان
واما الفسوق فقيل هو الكذب كما تقدم عن ابن عباس • وقال تعالى ان جاءكم

فاسق بنباء فسمى الكاذب فاسقا • وقال تعالى بيس الاسم الفسوق
بعد الايمان يدل على ان الاسم امر قولي لاقترانه بالاسم وقيل الفسوق
الخروج عن الطاعات لقولهم فسقت الرطبة اذا خرجت • واما العصيان
فهو ترك المامور به وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان
هو الصغيرة قوله تعالى فضلا يجوز ان تنتصب على المفعول من اجله وفيما
ينصبه وجهان • احدهما قوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وعلى هذا
فما بينهما اعتراض من قوله اوليك هم الراشدون • فان قيل فكيف
جاز ان يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة الى الرشد
الذي هو فعل العبد فاختلف الفاعل لان فاعل الرشد غير فاعل الفضل
واجاب الزمخشري بان الرشد لما كان توفيقا من الله تعالى كان فعل الله
فكانه تعالى ارشدهم فضلا اي يكون متفضلا عليهم منعما في حقهم لان الرشد
عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه • ويجوز ايضا ان تنتصب بفعل
مقدر اي جرى ذلك وكان ذلك فضلا من الله • قال ابو حيان وليس من
مواضع اضمار كان فجعل كلام الاول اعتراضا وليس كذلك لانه اراد الفعل
المسند الى فاعله لفظا والا فانتحقق ان الافعال كلها مخلوقة لله تعالى
وان كان الزمخشري غير موافق عليه • ويجوز ان تنتصب على المصدر المؤكد
لمضمون الجملة السابقة لانها فضل ايضا الا ان ابن عطية جعله من المصدر المؤكد
لنفسه • وجوز الحوفي ان تنتصب على الحال وليس بظاهر ويكون التقدير
متفضلا منعما او ذا فضل ونعمة • قال ابن الخطيب ويجوز ان يكون فضلا
مفعولا به والفعل مضمر ادل عليه قوله تعالى اوليك هم الراشدون اي يبتغون
فضلا من الله ونعمة قال لان قوله فضلا من الله اشارة الى ما هو من جانب الله
الغني والنعمة اشارة الى ما هو من جانب العبد من اندفاع الحاجة وهذا يؤكد
قولنا ان تنتصب فضلا بفعل مضمر وهو الابتغا والطلب • ثم قال والله
عليم حكيم • وفيه مناسبات • منها انه تعالى لما ذكر نبا الفاسق قال فلا تعتمدوا
على ترويجه عليكم الزور فان الله عليم ولا تقل كقول المنافق لولا يعذبنا الله بما
نقول فان الله حكيم لا يفعل الا على وفق حكمته • وثانيها لما قال تعالى واعلموا ان
فيكم رسول الله لو يطيعكم بمعنى لا يطيعكم بل يتبع الوحي فان الله عليم يعلم
من يكذبه حكيم يامره بما تقتضيه الحكمة قوله تعالى وان طايفتان من
المومنين اقتتلوا الاية • لما حذر المومنين من النبا الصادر من الفاسق
اشار الى ما يلزم منه استدراكا لما يفوت فقال فان اتفق انكم تبنون على قول
من يوقع بينكم وبين الامر المفضي الى اقتتال طايفتين من المومنين فاصلحوا
بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي اي الظالم يجب عليكم
دفعه • ثم ان الظالم ان كان هو الرعية فالواجب على الامير دفعهم
وان كان هو الامير فالواجب على المسلمين دفعه بالنصيحة فما فوقها وشرط
وشرطه ان لا يثير فتنة مثل التي في اقتتال الطايفتين او اشد منها • ••
فصل الضمير في قوله اقتتلوا عايد على افراد الطايفتين كقوله
هذان خصمان اختصموا • والضمير في قوله بينهما عايد على اللفظ • وقرا
ابن ابي عبلة اقتتلتا مراعيا للفظ • وقرا زيد بن علي وعبيد بن عمير اقتتلا
ايضا الا انه ذكر الفعل باعتبار الفريقين او لانه تانيث مجازي • ••
فصل روي انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت
عبد الله بن ابي فانطلق اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب
حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهو بارض سبخة فلما اتاه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اليك عني فوالله لقد اذاني نتن حمارك فقال .

رجل

رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب
ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهم
اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزلت وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا الاية فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا
وكف بعضهم عن بعض • وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما
مداراة في حق فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته
وان الاخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم
يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال
وان لم يكن قتال بالسيوف • وقال سفيان عن السدي كانت امراة
من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شي
فرقى بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاوا وجا قومه فاقتتلوا بالايدي
والنعال فانزل الله عز وجل وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما
اي بالدعا الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما فصل قوله وان
طايفتان اشارة الى ندرة وقوع الاقتتال بين طوايف المسلمين • فان قيل فنحن
نرى اكثر القتال في طوايفهم • فالجواب ان قوله تعالى ان اشارة الى انه ينبغي ان لا
يقع الا نادرا فغاية ما في الباب ان الامر على خلاف ما ينبغي وكذلك ان جاكم فاسق
اشارة الى ان مجي الفاسق بالنبا ينبغي ان لا يقع الا قليلا مع ان مجي الفاسق بالنبا
كثير وذلك لان قول الفاسق صار عند اولي الامر اشد قبولا من قول الصادق الصالح
وقال وان طايفتان ولم يقل فرقتان تحقيقا للمعنى الذي ذكرناه وهو التقليل لان
الطايفة دون الفرقة • قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة فصل
قال من المومنين ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المومنين سبق في قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا تنبيها على قبح ذلك وتبعيدا لهم عنهم كقول السيد لعبده
ان رايت احدا من غلماني يفعل كذا فامنعه فيصير بذلك مانعا للمخاطب عن ذلك
الفعل بالطريق الحسن كانه يقول انت حاشاك ان تفعل فان فعل غيرك فامنعه كذلك
هنا فصل قال وان طايفتان من المومنين اقتتلوا ولم يقل وان اقتتل
طايفتان من المومنين مع ان كلمة ان اتصالها بالفعل اولى وذلك لكون الابتدا بما يمنع
من القبح فيتاكد معنى النكرة والمدلول عليها بكلمة ان وذلك لان كونهما طايفتين
يقتضي ان لا يقع القتال بينهما • فان قيل فلم لم يقل يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق
او ان احد من الفساق جاكم ليكون الابتدا بما يمنعهم من الاصغا الى كلامه وهو كونه فاسقا او
نزداد بسببه نسبته بالمجي به بسبب الفسق • فالجواب ان الاقتتال لا يقع سببا
للايمان ولا للزيادة فقال ان جاكم فاسق اي سوا كان فاسقا او لا او جاكم بالنبا فصار
فاسقا به ولو قال ان احد من الفساق جاكم لم يتناول الا المشهور بالفسق قبل المجي اذا
جاهم بالنبا فصل قال تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا لان صيغة الاستقبال
ينبي عن الدوام والاستمرار منهم حتى ان طايفتين من المومنين ان تمادى الاقتتال
بينهما فاصلحوا وهذا لان صيغة المستقبل ينبي عن ذلك يقال فلان يتهجد ويصوم
فصل قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا وقال فاصلحوا بينهما ولم يقل بينهم لان
الفتنة قايمة عند القتال وكل احد برايه يكون فاعلا فعلا فقال اقتتلوا وعند الصلح
تتفق كلمة كل طايفة والا لم يتحقق قتال بينهما لكون الطايفتين حينيذ كنفسين
قوله فان بغت احداهما على الاخرى وابت الاجابة الى حكم كتاب الله • وقيل الى طاعة
الرسول واولي الامر • وقيل الى الصلح لقوله تعالى واصلحوا ذات بينكم • وقيل الى التقوى
لان من خاف الله لا يبقى له عدو الا الشيطان كقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا • فان قيل كيف يصح هذا الموضع كلمة ان مع انها تستعمل في الشرط الذي لا يتوقع
وقوعه وبغي احديهما عند الاقتتال متحقق الوقوع فيكون مثل قول القايل ان طلعت الشمس

فالجواب ان فيه معنى لطيف وهو ان الله تعالى يقول الاقتتال بين طايفتين لا يكون الا نادرا لو وقع لان كل طايفة تظن ان الاخرى فيه الكفر والفساد كما يتفق في الليالي المظلمة او يقع لكل طايفة ان القتال جائز باجتهاد خطا فقال تعالى الاقتتال لا يقع الا كذا فان بان لهما او لاحدهما الخطا واستمر عليه فهو نادر وعند ذلك يكون قد بغى فقال فان بغت يعني بعد انكشاف الامر وهذا يفيد الندرة وقلة الوقوع فان قيل لم قال فان بغت ولم يقل فان تبغ • فالجواب ما تقدمت في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا **قوله** حتى تفيء العامة على همزة من فاء يفيء اذا رجع كجا يجي • والزهري بيا مفتوحة كضارع وفا وهذا على لغة من يخفف فيقول جا يجي دون همز وحينئذ فتح اليا لانها صارت حرف الاعراب **فصل** المعنى حتى ترجع الى امر الله في كتابه وهذا اشارة الى ان القتال جزا الباغي كحد الشرب الذي يقام وان ترك الشرب بل القتال لاجل الفية فان فاءت الفية الباغية حرم قتالهم وهذا يدل على جواز قتال الصايل لان القتال لما كان الفية فاذا حصلت لم توجد المعنى الذي لاجله حل القتال وفيه دليل ايضا على ان المومن لا يخرج عن الايمان بفعل الكبيرة لان الباغي من احدى الطايفتين وقد سماهما مومنين **قوله** فان فاءت اي رجعت الى الحق فان قيل قد تقدم ان النزول على كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بان البغي من المومن نادر فاذن تكون الفية متوقعة فكيف قال فان فاءت فالجواب هذا كقول القايل لعبده ان مت فانت حر مع ان الموت لا بد من وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا للعتق بان يكون باقيا في ملكه حيا يعيش بعد وفاته غير معلوم فكذلك ههنا لما كان المتوقع فيهم من تلقا انفسهم لما لم يقع دل على تاكيد الامر بينهم فقال تعالى فان فاءت بعد اشتداد الامر والتحام القتال فاصلحوا وفيه اشارة الى ان المومن لم يخف الله وبغى يكون رجوعه بعيدا **قوله** فاصلحوا بينهما يحملهما على الانصاف والرضى بحكم الله • واقسطوا اعدلوا ان الله يحب المقسطين • فان قيل لم قال ههنا فاصلحوا بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما • فالجواب ان الاصلاح هناك بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة وبالتهديد والزجر والتعذيب والاصلاح ههنا بازالة اثار الاقتتال بعد ارتفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال بالعدل فكانه قال فاحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا بالعدل فيما يكون بينهما لئلا يودي الى ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى • فان قيل لما قال فاصلحوا بينهما بالعدل فاي فايدة في قوله واقسطوا فالجواب ان قوله فاصلحوا بينهما كان فيه تخصيصا بحال الاقتتال فعم الامر بالعدل وقال واقسطوا اي في كل امر فانه مفض الى اشرف درجة وارفع منزلة وهي محبة الله والاقساط ازالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجاير **قوله** انما المومنون اخوة اي في الدين والولاية • قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة والله تعالى قال انما المومنون اخوة تاكيدا للامر واشارة الى ان ما بين الاخوة من الاسلام والنسب لهم كالاب قال قايلهم

ابي الاسلام لا اب لي سواه • اذا افتخروا بقيس او تميم

قوله بين اخويكم العامة على التثنية وزيد بن ثابت وعبد الله والحسن وحماد بن سلمة وابن سيرين اخوانكم جمعا على فعلان • وقد تقدم ان الاخوان تغلب في الصداقة والاخوة في النسب وقد تعكس كهذه الاية • وروي عن ابي عمرو وجماعة اخوتكم بالتا من فوق • وقد روي عن ابي عمرو ايضا القراات الثلاث **فصل** المعنى واتقوا الله ولا تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون قال عليه الصلوة والسلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيمة

فان قيل

فان قيل عند اصلاح الفريقين والطايفتين لم يقل اتقوا وقال ههنا اتقوا مع ان ذلك اهم • فالجواب ان الاقتتال بين طايفتين يفضي الى ان تعم المفسدة ويلحق كل مومن منها شي وكل يسعى في الاصلاح لامر بيته فلم يوكد بالامر بالتقوى • واما عند تخاصم رجلين لا يخاف الناس ذلك وربما يريد بعضهم تاكيد الخصام بين الخصوم لغرض فاسد فقال فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله وقال تعالى قوله واصلحوا اشارة الى الاصلاح وقوله واتقوا الله اشارة الى ما يصونهم عن المشاجرة واذا اتقى الاخ لان من اتقى الله يشغله تقواه عن الاشتغال بغيره قال عليه الصلوة والسلام المسلم من سلم الناس من لسانه ويده • فالمسلم يكون مقبلا على عبادة الله مشتغلا بعيبه عن عيوب الناس **فصل** في هاتين الايتين دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مومنين مع كونهم باغين • ويدل عليه ما روى الحرث الاعور ان علي بن ابي طالب سئل وهو القدوة في قتال اهل البغي عن اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا من الشرك فروا • فقيل امنافقون فقال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على امام العدل فاذا اجتمعت طايفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة امام العدل بتاويل يحتمل ونصبوا اماما فالحكم فيهم ان يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى الطاعة فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى الطاعة وحكم قتالهم مذكور في كتب الفقه **فصل** انما للحصر اي الاخوة الا بين المومنين فلا اخوة بين المومن والكافر ولهذا اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين ولا يكون لاخيه الكافر وكذلك الكافر لان في النسب المعتبر الاب الشرعي حتى ان ولدي الزنا من رجل واحد لا يتوارثان فكذلك الكفر لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة ولهذا من مات من الكفار وله اخ مسلم ولا وارث له من النسب لا يجعل ماله للكفار ولو كان الدين يجمعهم لم يرثه الكفار ومال المسلم للمسلمين عند عدم الوارث • فان قيل اذا ثبت ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بدليل ان المسلم يرثه المسلمون اذا لم يكن اخوة نسبية ولا يرث الاخ الكافر من النسب فلم تقدمون الاخوة الاسلامية على الاخوة النسبية مطلقا حتى يكون مال المسلم للمسلمين لا لاخوته من النسب فالجواب ان الاخ المسلم اذا كان اخا من النسب فقد اجتمع فيه اخوتان فصار اقوى والعصوبة لمن له القوة • الا ترى ان الاخ من الابوين يقدم على الاخ من الاب لانه اجتمع فيه اخوتان فصار اقوى **فصل** قال النحاة ههنا ما كافة تكف ان عن العمل ولولا ذلك لقيل انما المومنين اخوة وفي قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم • وقوله عما قليل ليست كافة • قال ابن الخطيب والسوال الاقوى ان رب من حروف الجر والبا وعن كذلك وما في رب كافة • وفي قوله عما وبما ليست كافة والتحقيق فيه هو ان الكلام بعد ربما وانما يكون تاما يمكن جعله مستقلا ولو حذفت ربما وانما لم يضر فتقول ربما قام الامير وربما زيد في الدار ولو حذفت ربما وقلت زيد في الدار وقام الامير لصح • وكذلك في انما ولكنما واما عما وربما فليس كذلك لان قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم لو حذفت ما وقلت رحمة من الله لنت لهم لما كان كلاما فالبا بعد متعلقة بما يحتاج اليها فهي باقية حقيقة وكذلك عما واما ربما فما استغني عنها فكانما لم توجد ولا عمل للمعدوم • فان قيل ان اذا لم تكف بما فما بعده كلام تام فوجب ان لا يكون له عمل تقول ان زيدا قايم ولو قلت زيد قايم لكفى وتم • فنقول ليس كذلك لان ما بعد ان يجوز ان تكون نكرة تقول ان رجلا جاءني واخبرني بكذا • وتقول جاءني رجل واخبرني ولا يحسن انما رجل جاءني كما لو لم يكن هناك انما وكذلك القول في ليتما لو حذفتها واقتصرت على ما بعدها لا يكون تاما فلم يكف وتقدم الكلام في لعل مرارا **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم

من قوم الاية تقدم الخلاف في قوم وجعله الزمخشري هنا جمعا لقايم قال
كصوم وزور جمع صايم وزاير فعل ليس من ابنية التكسير الا عند الاخفش نحو
ركب وصحب والسخرية هنا هي ان لا ينظر الانسان الى اخيه بعين الاجلال
ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعايب •
ومعنى الاية لا تحقروا اخوانكم ولا تستصغروهم **فصل** قال ابن عباس
نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع
ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلوة الفجر فلما انصرف النبي صلى
الله عليه وسلم من الصلوة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا
يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جا فلم يجد مجلسا قام قايما فلما فرغ ثابت
من الصلوة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا
تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه
رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه
مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا فقال انا فلان فقال
له ثابت ابن فلانة ذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل راسه كالحيا
فانزل الله هذه الاية • وقال الضحاك نزلت في وفد تميم كانوا يستهزون
بفقرا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب
وسلمان وسالم مولى حذيفة لما راوا من رثاثة حالهم **قوله** عسى ان يكونوا
خيرا منهم قرا ابي وعبد الله عسوا وعسين وهي لغة تميم وقراة العامة لغة
الحجاز **قوله** ولا نسا من نسا عسى ان يكن خيرا منهن روي انها نزلت في نسا
النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر • وروى عكرمة عن ابن عباس
انها نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال لها النسا يهودية بنت
يهوديين **قوله** ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم على بعض قيل الهمز
والاعرج ولا تلمزوا بالضم واللمز بالقول وغيره والهمز باللسان فقط **قوله**
ولا تنابزوا بالالقاب التنابز تفاعل من النبز وهو التداعي بالنبز والنزب
وهو مقلوب منه لقلة هذا وكثرة ذاك ويقال تنابزوا وتنازبوا اذا
دعا بعضهم بعضا بلقب سوء واصله من الرفع كان النبز يرفع صاحبه
فيشاهدوا اللقب ما اشعر بضعة المسمى كقفة وبطه او رفعته كالصديق
وعتيق والفاروق واسد الله واسد رسوله وله مع الكنية والاسم اذا
اجتمعا احكام مذكورة في كتب النحو واصل تنابزوا تتنابزوا واسقطت
احدى التائين كما سقط في الاستفهام احدى الهمزتين وقال سوا عليهم
انذرتهم والحذف هنا اولى لان تا الخطاب وتا التفاعل حرفان من جنس
واحد في كلمة وهمزة الاستفهام كلمة براسها والنون ثم اخرى واحتمال
حرفين في كلمتين اسهل من احتماله في كلمة واحدة **فصل** ذكر في
الاية امور ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز
فالسخرية الاحتقار والاستصغار واللمز ذكر الرجل في غيبته بعيب
وهذا دون الاول لان من لم يلتفت اليه وانما جعله مثل المسخرة الذي لا يغضب
له ولا عليه وهذا جعل فيه شيا ما فعابه به والنبز دون الثاني لانه يصف
بوصف ثابت فيه ينقصه به ويحط منزلته والنبز محو والتسمية وان لم
يكن فيه لان اللقب الحسن والاسم المستحسن اذا وضع لواحد وعلا عليه لا يكون
معناه موجودا فان من سمي سعدا او سعيدا قد لا يكون كذلك وكذلك من لقب
امام الدين وحسام الدين لا يفهم منه انه كذلك وانما هو علامة وكذلك اللقب
فان من سمي مروان الحمار لم يكن كذلك وانما ذلك سمة وعلامة ولا يكون اللفظ

مرادا

مرادا اذا لم يرد وصفه به كما ان الاعلام كذلك فكانه تعالى قال لا تتكبروا
فتحتقروا اخوانكم بحيث لا تلتفتوا اليهم اصلا واذا نزلتم عن هذا فلا
تعيبوهم ولم تصفوهم بما يسوؤهم فلا تسموهم بما يكرهونه **فصل**
قال ابن الخطيب القوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النسا ولا على
الاطفال لانه جمع قايم والقايم بالامور هو الرجال وعلى هذا في افراد الرجال والنسا
فايدة وهي ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر في اكثر الامر من الرجال بالنسبة
الى الرجال لان المراة في نفسها ضعيفة • قال عليه الصلوة والسلام النسا لحم على وضم
فالمراة لا يوجد منها استحقار الرجل لانها مضطرة اليه في دفع حوايجها • واما الرجال
بالنسبة الى الرجال والنسا بالنسبة الى النسا فانه يوجد فيهم ذلك **فصل**
في قوله عسى ان يكونوا خيرا منهم حكمة وهي انهم اذا وجد منهم التكبر المفضي الى احباط
الاعمال وجعل نفسه خيرا منهم كما فعل ابليس حيث لم يلتفت الى ادم وقال انا خير
منه فصار هو خيرا منه ويحتمل ان يكون المراد بقوله يكونوا اي يصيروا فان من يحتقر
انسانا لفقره او ضعفه لا يامن ان يفتقر هو ويستغني الفقير ويضعف هو
ويقوى الضعيف **فصل** في قوله ولا تلمزوا انفسكم وجهان • احدهما ان
عيب الاخ عايد الى الاخ فانه اذا عابه فكانه عاب نفسه • والثاني انه اذا عابه وهو
لا يخلو عن عيب فيعيبه به المعاب فيكون هو بعيبه حاملا للغير على عيبه فكانه هو
العايب نفسه • ونظيره قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم • ويحتمل ان يقال لا تعيبوا انفسكم
اي كل واحد منكم لعيب فانكم اذا فعلتم فقد عبتم انفسكم اي كل واحد عاب كل واحد
فصرتم عايبين من وجه معيبين من وجه وهذا الوجه هنا ظاهر ولا كذلك في قوله
ولا تقتلوا انفسكم **فصل** قال ولا تنابزوا ولم يقل ولا تنبزوا لان اللامز
اذا لمز الملموز قد لا يجد فيه في الحال عيبا يلمزه به وانما يبحث ويتبع ليطلع منه
على عيب فيوجد اللمز من جانب • واما النبز فلا يعجز كل واحد عن الاتيان بنبز فالظاهر
ان النبز يفضي في الحال الى التنابز ولا كذلك اللمز **فصل** قال المفسرون
اللقب هو ان يدعى الانسان بغير ما سمي به • وقال عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق
يا منافق يا كافر • وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه
يا يهودي فنهوا عن ذلك • وقال عطا هو ان يقول الرجل لاخيه يا حمار يا خنزير
وعن ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيات ثم تاب عنها فنهى
ان يعير بما سلف من عمله **قوله** بيس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بيس الاسم
ان يقول له يا يهودي يا فاسق بعد ما امن • وقيل معناه من فعل ما نهي عنه
من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبيس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا
تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ثم قال ومن لم يتب اي من ذلك فاولئك
هم الظالمون **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الاية قيل
نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل
فيهيي لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم
سلمان الفارسي الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيي لهما شيا فلما قدما قالا له ما صنعت
شيا قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب
لنا منه طعاما فجا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله طعاما فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل
طعام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه
فقال ما عندي شي فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل
فبعثا سلمان الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى
بير سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى



خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما
قال ظللتم تاكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله عز وجل هذه الاية
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن **فصل** قال سفيان
الثوري الظن ظنان • احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به • والاخر ليس
باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به • قال عليه الصلوة والسلام اياكم والظن
فان الظن اكذب الحديث **قوله** اثم جعل الزمخشري همزة بدلا من
واو وقال لانه يثم الاعمال اي يكسرها وهذا غير مسلم بل تلك مادة
اخرى **قوله** ولا تجسسوا التجسس التتبع • ومنه الجاسوس والجساسة
وجواس الانسان وحواسه ومشاعره وقد قرا هنا بالحا الحسن وابو رجا
وابن سيرين **فصل** التجسس هو البحث عن عيوب الناس فنهى الله
عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم قال عليه الصلوة
والسلام لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله اخوانا • وقال عليه الصلوة والسلام يا معشر من امن
بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم
فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته
يفضحه ولو في جوف رحله • ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك
واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة منك عند الله • وقيل لابن مسعود
هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس
فان يظهر لنا شيء ناخذه به **فصل** واعلم ان الظن ينبني عليه القبايح
فالعاقل اذا وقف اموره على اليقين قل ما يتحقق في احد عيبا يلمزه به
لان الفعل في الصورة يكون قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لان الفاعل
قد يكون فاعله ساهيا او يكون الرائي مخطيا • وقوله تعالى كثيرا اخراج الظنون
التي ينبني عليها الخيرات قال عليه الصلوة والسلام ظنوا بالمؤمن خيرا • وقوله
ان بعض الظن اثم اشارة الى الاخذ بالاحوط • وقوله ولا تجسسوا اتماما لذلك
لانه تعالى لما قال اجتنبوا كثيرا من الظن فهم منه ان المعتبر اليقين • وقوله
ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يتناول بعضكم بعضا في غيبته بما يسوءه
مما هو فيه • قال عليه الصلوة والسلام اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله
اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان
كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته • وفي هذا
اشارة الى وجوب حفظ [عرضه] المؤمن **قوله** ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
نصب ميتا على الحال من لحم او اخيه وتقدم الخلاف في ميتا فان قيل اللحم
لا يكون ميتا • فالجواب بلى قال عليه الصلوة والسلام ما ابين من حي فهو
ميت فسمى القطعة ميتا • فان قيل اذا جعلناه حالا من الاخ لا يكون هيئة للفاعل
ولا المفعول فلا يجوز جعله حالا فهو كقول القائل مررت باخي زيد ويريد كون
زيد قايما وذلك لا يجوز • قلنا من اكل لحمه فقد اكل فصار الاخ ماكولا مفعولا
بخلاف المرور باخي زيد **فصل** وفي هذا التشبيه اشارة الى ان عرضه
كدمه ولحمه لان الانسان يتالم قلبه من قرض العرض كما يتالم جسمه من قطع
اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض المرء اشرف من لحمه ودمه فاذا لم
يحسن من العاقل اكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان
ذلك الم • وقوله لحم اخيه اكد في المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو
وفي قوله ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم في الوجه يولم فيحرم واما
الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يولم فقال اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا
لا يولمه ومع هذا هو في غاية القبح لما انه لو اطلع عليه لتالم كما ان الميت لو احس اكل
لحمه

لحمه لالمه وفيه معنى لطيف وهو ان الاغتياب باكل لحم الادمي ميتا
ولا يحل اكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم الشاة الميتة
ولحم الادمي فلا ياكل لحم الادمي فكذلك المغتاب ان وجد لحاجته مدفعا
غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب **قوله** فكرهتموه • قال الفرا تقديره
فقد كرهتموه فلا تفعلوه • قال ابن الخطيب الفا في تقدير جواب كلام كانه
تعالى لما قال ايحب للانكار فكانه قال لا يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه فكرهتموه
والمعنى تعرض عليكم فكرهتموه • وقيل ان صح ذلك عندكم فانتم لا تكرهونه
قال ابن الخطيب هو كتعلق المسبب بالسبب وترتبه عليه كقولك
جا فلان ماشيا فتعب • فقيل هو خبر بمعنى الامر كقولهم اتقى الله امرؤ فعل
خيرا اثيب عليه • وقرا ابو حياة والجحدري فكرهتموه بضم الكاف وتشديد
الرا عدي بالتضعيف الى ثان بخلاف قوله او لا كره اليكم الكفر فانه وان كان
مضعفا لم يتعد الى الواحد لتضمنه معنى بغض **فصل** قال ابن الخطيب
الضمير في قوله فكرهتموه فيه وجوه • اظهرها ان يعود الى الاكل لان قوله تعالى
ايحب احدكم معناه ايحب احدكم اكل لان ان مع الفعل للمصدر اي كرهتموه اكل
وثانيها ان يعود الى اللحم اي فكرهتم اللحم • وثالثها ان يعود على الميت في قوله
ميتا تقديره ايحب احدكم ان ياكل اخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكانه صفة لقوله
ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة ان اكلت في الندرة
وتستطاب نادرا ولكن اذا انتن واروح وتغير لا يوكل اصلا فكذلك لا ينبغي
ان تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة الى حد لا يشتهي الانسان
ان يجلس في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث ياكل منه اذن كراهية
شديدة فكذلك حال الغيبة **فصل** قال مجاهد لما قيل لهم ايحب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا
ذكره بالسوء غايبا • قال الزجاج تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة
اكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك • قال عليه الصلوة والسلام لما عرج بي مررت
بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هولاء يا جبريل
قال هولاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم **قوله** واتقوا الله
عطفا على ما تقدم من الاوامر والنواهي اي اجتنبوا واتقوا الله ان الله تواب
رحيم • واعلم انه تعالى ختم الايتين بذكر التوبة • فقال في الاولى ومن لم يتب
فاولئك هم الظالمون • وقال هنا ان الله تواب رحيم لكن لما كان الابتدا
في الاية الاولى بالنهي في قوله لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي هو قريب من النهي
وفي الثانية كان الابتدا بالامر في قوله اجتنبوا كثيرا فذكر الاثبات الذي هو
قريب من الامر **قوله تعالى** يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية
هذه الاية مبينة ومقررة لما تقدم لان السخرية من الغير وعيبه ان كان
بسبب الدين والايمان فهو جايز وكذلك لمزه وغيبته وان لم يكن
بسبب الدين والايمان فلا يجوز لان الناس بعمومهم كافرهم ومؤمنهم يشتركون
فيما يفتخر به المفتخر لان التكبر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر
قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا او بالعكس وان كان بسبب النسب فالكافر
قد يكون نسيبا والمؤمن مولى وعبدا اسود وبالعكس فالناس فيما ليس من
الدين والتقوى متساوون او متقاربون ولا يوثر شيء من ذلك مع عدم
التقوى قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقوله تعالى يا ايها الناس انا
خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم وحوا اي انكم متساوون في النسب فلا تفاخر
لبعض على بعض لكونكم ابنا رجل واحد وامراة واحدة **فصل**
قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن

فلانه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا في الدين والتقوى فنزلت هذه الاية ونزل في الذي لم يتفسح يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا وقال مقاتل لما كان فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبر به رب السموات فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله عز وجل هذه الاية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازرا بالفقرا فان قيل هذه الاية تدل على عدم اعتبار النسب وليس كذلك فان للنسب اعتبارا عرفا وشرعا حتى لا يجوز تزوج الشريفة بالنبطي فالجواب اذا جا الامر العظيم لا يبقى الامر الحقير معتبرا وذلك في الحس والشرع والعرف اما الحس فان الكواكب لا ترى عند طلوع الشمس وجناح الذباب دوي ولا يسمع عندما يكون رعد قوي واما العرف فلان من جاء غلام ملك اقبل عليه واكرمه فاذا جاء الملك لا يبقى له اعتبار ولا يلتفت اليه واذا علم هذا ففي الشرع كذلك اذا جا الشرف الديني الالهي لا يبقى لامر هناك اعتبار لا للنسب ولا للسبب الا ترى ان الكافر وان كان من اعلا الناس نسبا والمومن وان كان من ادونهم نسبا لا يقاس احدهما بالاخر وكذلك ما هو الدين مع غيره ولهذا تصلح المناصب الدينية كالقضا والشهادة لكل شريف ووضيع اذا كان دينا عالما ولا يصلح لشي منها فاسق وان كان قرشي النسب وقاروني النسب ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين المتين واحدهما نسيب يرجح بالنسب عند الناس لا عند الله لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل بسعي

فصل الحكمة في اختيار النسب من جملة اسباب التفاخر ولم يذكر المال لان الامور التي يتفتخر بها في الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به عليه والسن والحسن وغير ذلك لا يدوم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختاره الله للذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بطريق الاولى فان قال اذا كان ورود الاية لبيان عدم الافتخار بغير التقوى فما فايدة قوله تعالى انا خلقناكم فالجواب فايدته ان كل شي يترجح على غيره فاما ان يترجح بامر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما ان يترجح عليه بامر قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشي واما الذي قبله فاما راجع الى اصله الذي وجد منه او الى الفاعل الذي اوجده فالاول كقولك هذا من نحاس وهذا من فضة والثاني كقولك هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح بما خلقتكم منه لانكم كلكم من ذكر وانثى ولا ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله فان كان عندكم تفاوت فهو بامور تحصل لكم بعد وجودكم واشرفها التقوى قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اعلا طبقات الانسان مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج وذلك ان طبقات النسب التي عليها العرب ست الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة ثم زاد بعض الناس بعد الفخذ العشيرة فجعلها داخلة فيها فتكون الفصايل داخلة في العشيرة وتدخل العشيرة في الافخاذ وتدخل الافخاذ في البطون والبطون في العماير والعماير في القبيلة

والقبيلة

والقبيلة في الشعب وذكر الاعم لانه اذهب بالافتخار وسمي الشعب شعبا لتشعب القبايل منه واجتماعهم فيه كتشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعب اي جمع ومنه تشعب القدح وشعب اي فرق والقبايل وهي دون الشعوب واحدتها قبيلة وهي كبكر بن ربيعة وتميم بن مضر سميت بذلك لتقابلها شبهت بقبايل الراس وهي قطع متقابلة وقيل الشعوب في العجم والقبايل في العرب والاسباط في بني اسرايل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب وانشد

قبايل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب

والمنسوب الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون العرب ودون القبايل العماير واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان بن بكر ودارم بن تميم ودون العماير البطون واحدتها بطن وهم كبني هاشم وامية من بني لوي ثم الفصايل والعشاير واحدتها فصيلة وعشيرة وقيل الشعوب الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى ابايهم قوله لتعارفوا العامة على تخفيف التا والاصل لتتعارفوا فحذف احدى التاين والبزي بتشديدها وقد تقدم ذلك في البقرة واللام متعلقة بجعلناكم وقرا الاعمش بتاين وهو الاصل الذي ادغمه البزي وحذفه الجمهور وابن عباس لتعرفوا مضارع عرف

فصل المعنى ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا لتفاخروا وقال في اول الاية خلقناكم وقال هنا وجعلناكم شعوبا لان الخلق اصل يفرع عليه الجعل شعوبا لان الخلق والايجاد لاجل العبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والجعل شعوبا للتعارف والاصل متقدم على الفرع فتعتبر العبادة قبل اعتبار النسب لان اعتبار الجعل شعوبا انما تحقق بعد تحقق الخلق وفي هذا اشارة الى انه ان كان فيكم عبادة تعتبر والا فلا اعتبار لانسابكم فان قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انا هديناه السبيل يهدي من يشا ويضل من يشا فالجواب ان الله تعالى اثبت لنا فيه كسبا مبنيا على فعل لقوله تعالى فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا ثم قال وما تشاءون الا ان يشا الله واما في النسب فلا قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم اخبر تعالى ان ارفعكم منزلة عند الله اتقاكم قال قتادة في هذه الاية اكرم الكرم التقوى والام اللوم الفجور وقال عليه الصلوة والسلام الحسب المال والكرم التقوى قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى وعن ابي هريرة سل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا وقال عليه الصلوة والسلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم

فصل قرا العامة ان اكرمكم بكسر ان وابن عباس بفتحها فان جعلت اللام لام الامر وفيه بعد اتضح ان يكون قوله ان اكرمكم بالفتح معمول العرفان امرهم ان يعرفوا ذلك وان جعلتها للعلة لم يظهر ان يكون معمولا لانه لم يجعلهم شعوبا وقبايل ليعرفوا ذلك فينبغي ان يجعل المفعول محذوفا واللام للعلة اي لتعرفوا الحق لان اكرمكم

فصل قال ابن الخطيب في المراد بالاية وجهان الاول ان التقوى تفيد الاكرام والثاني ان الاكرام يورث التقوى كما يقال المخلصون على خطر والاول اشهر والثاني اظهر فان قيل التقوى من الاعمال والعلم اشرف لقوله عليه الصلوة والسلام لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد فالجواب ان التقوى ثمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده

العلما فلا تقوى الا للعالم فالمتقى العالم اى انه عالم والعالم الذى لا يتقى كشجرة لا ثمر لها لكن الشجرة المثمرة اشرف من الشجرة التى لا تثمر بل هى حطب وكذلك العالم حصب جهنم واما العابد الذى يفضل عليه الفقيه فهو الذى لا علم له وحينئذ لا يكون عنده من خشية الله نصاب كامل ولعله يعبد الله مخافة الالتقا فى النار فهو كالمكره او لدخول الجنة فهو يعمل كالفاعل للاجرة ويرجع الى بيته والمتقى هو العالم بالله المواظب لبابه • فان قيل خطاب الناس بقوله اكرمكم يقتضى اشتراك الكل فى الاكرام ولا كرامة للكافر فانه اضل من الانعام فالجواب ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله تعالى ولقد كرمنا بنى ادم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استمر عليه وزاد زيد فى كرامته ومن رجع عنه ازيل عنه اثر الكرامة ثم قال ان الله عليم خبير اى عليم بظواهركم يعلم انسابكم خبير ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم •

قوله تعالى قالت الاعراب امنا الاية • لما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاتقا لا يكون الا بعد حصول التقوى واصله الايمان والاتقا من الشرك قالت الاعراب لنا النسب الشريف ٢ يكون لنا الشرف قال الله تعالى ليس الايمان بالقول انما هو بالقلب فما امنتم فان الله خبير يعلم ما فى الصدور ولكن قولوا اسلمنا اى انقدنا واسلمنا قيل نزلت فى نفر من بنى اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مومنين فى السر طالبين الصدقة فافسدوا طرق المدينة بالعذرات وكانوا يعتذرون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجيناك بلا ثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقال السدى نزلت فى الاعراب الذين ذكرهم الله فى سورة الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبيه تخلفوا فانزل الله قالت الاعراب امنا صدقنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبى • قال ابن الخطيب وقد بينا ان ذلك كالتاريخ للنزول لا للاختصاص بهم فكل من اظهر فعل التقوى واراد ان يصير له ما للمتقى بالاكرام لا يحصل له ذلك لان التقوى من عمل القلب

قوله ولما يدخل هذه الجملة مستانفة اخبر تعالى بذلك وجعلها الزمخشرى حالا من الضمير فى قولوا وقد تقدم الكلام فى لما وما تدل عليه والفرق بينها وبين لم فى البقرة عند قوله تعالى ولما ياتكم • وقال الزمخشرى فان قلت هو بعد قوله لم تومنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجدده قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تومنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل توقيت لما امروا به ان يقولوه ثم قال وما فى لما من معنى التوقع دليل على ان هولا قد امنوا فيما بعد قال ابو حيان ولا ادرى من اى وجه يكون النفى بلما يقع بعد قال شهاب الدين لانها لنفى قد فعل وقد للتوقع

فصل قال ابن الخطيب لم ولما حرفا نفى وما وان ولا كذلك من حروف النفى ولم ولما يجزمان وغيرهما من حروف النفى لا يجزم فما الفرق بينهما فالجواب ان لم ولما يفعلان بالفعل ما لا يفعل به غيرهما فانهما يصرفان معناه من الاستقبال الى المضى تقول لم يؤمن امس وامن اليوم ولا تقول لا تؤمن امس فلما فعلا بالفعل ما لم يفعل به غيرهما جزم بهما فان قيل مع هذا لم جزم بهما غايته ما فى الباب ان الفرق حصل ولكن ما الدليل على وجوب الجزم بهما بقول لان الجزم والقطع يحصل بالافعال

الماضية



الماضية لان من قام فقد حصل القطع بقيامه ولا يجوز ان يكون ما قام والافعال المستقبلة اما متوقعة الحصول واما ممكنة من غير توقع فلا يمكن الجزم والقطع فيه فاذا كان لم ولما يقلبان اللفظ من الاستقبال الى الماضى فاما الجزم والقطع فى المعنى فجعل له ما ناسب معناه وهو الجزم لفظا وعلى هذا نقول اذا كان السبب فى الجزم ما ذكرنا فلهذا قيل الامر يجزم لان الامر كله جزم على المامور ان يفعله ولا يتركه فاتى بلفظ مجزوم تنبيها على ان الفعل لا بد من ايقاعه وان فى الشرط كلم لان ان تغير معنى الفعل من الماضى الى الاستقبال كما ان لم تغير من الاستقبال الى الماضى تقول ان اكرمتنى اكرمك فلما كان ان عمل لم فى كونه حرفا وفى لزوم الدخول على الافعال وتغييرها صار جازما للسبب اللفظى واما الجزا فيجزم لما ذكرنا من المعنى فان الجزا يجزم لوقوعه عند وجود الشرط فجزمه اذن اما للمعنى او للتشبيه اللفظى

فصل اخبر الله تعالى ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرايعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص فالاسلام هو الدخول فى السلم وهو الانقياد والطاعة • يقال اسلم الرجل اذا دخل فى السلم كما يقال اشتا اذا دخل فى الشتا واصاف اذا دخل فى الصيف واربع اذا دخل فى الربيع فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله عز وجل لابراهيم عليه الصلوة والسلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين • ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم • قال ابن الخطيب المومن والمسلم واحد عند اهل السنة فنقول الفرق بين العام والخاص ان الايمان لا يحصل الا بالقلب وقد يحصل باللسان والاسلام اعم لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا اخر غيره • مثاله الحيوان اعم من الانسان لكن الحيوان فى صورة الانسان امرا ينفك عن الانسان ولا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان فى العموم متحدان فى الوجود وكذلك المومن والمسلم وسياق بقية الكلام على ذلك فى الذاريات من قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ان شا الله تعالى • قال ابن الخطيب وفى الاية اشارة الى بيان حال المولفة اذا اسلموا ويكون ايمانهم ضعيفا يقال لهم لم تومنوا لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل فى قلوبكم وسيدخل باطلاعكم على محاسن الاسلام

قوله وان تطيعوا الله ورسوله اى ظاهرا وباطنا سرا وعلانية • قال ابن عباس تخلصوا الايمان

قوله لا يلتكم • قرا ابو عمرو لا يالتكم بالهمز من الته يالته بالفتح فى الماضى • والكسر والضم فى المضارع لقوله وما التناهم والسوسى يبدل الهمز الفا على اصله والباقون يلتكم من لات يليته كباعه يبيعه وهما لغتان معناها لا ينتقصكم فالاولى لغة غطفان واسد • والثانية لغة الحجاز • يقال لت يليت التا ولات يليت ليتا • وقيل من ولته يلته كوعده يعده فالمحذوف على القول الاول عين الكلمة ووزنها يفلكم • وعلى الثاني فاوها ووزنها يعلكم ويقال ايضا الاية يليته كباعه يبيعه • والته يولته كامن يومن وكلها لغات فى معنى نقصه حقه قال الحطيب

ابلغ سراة بنى سعد مغلغلة ... جهد الرسالة لا التا ولا كذبا

وقال رؤبة

وليلة ذات ندى سريت ... ولم يلتنى عن سراها ليت

اى لم يمنعنى ويحبسنى

فصل قال ابن الخطيب معنى قوله لا

لا ننفعكم المراد منه انكم اذا اتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة فهو
يوتيكم بما يليق به من الجزا لان من حمل الى الملك فاكهة طيبة يكون ثمنها في
السوق درهم فاعطاه الملك درهما تنتسب الملك الى البخل وانما معناه
ان يعطي مثل ذلك من غير نقص اي يعطيكم ما يتوقعون باعمالكم من غير نقص
ثم قال ان الله غفور رحيم اي يغفر لكم ما قد سلف ويرحمكم بما اتيتم
قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله هذا ارشاد للذين قالوا
امنا بين لهم حقيقة الايمان فقال ان كنتم تريدون الايمان فالمومن من
يومن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وايقنوا بان الايمان
ايقان وثم للتراخي في الحكاية كانه يقول امنوا ثم اقول شيا اخر لم يرتابوا
ويحتمل ان يكون للتراخي في الفعل اي امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما
قال النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اي ايقنوا بان بعد هذه الدار دارا اخرى فجاهدوا طالبين
العقبى اولئك هم الصادقون في ايمانهم • فان قيل كيف يجوز ان يكذبوا
في الاسلام والاسلام هو الانقياد وقد وجد منهم قولا وفعلا وان لم يوجد
اعتقادا وعلما وذلك القدر كاف في صدقهم في قولهم انا اسلمنا • فالجواب
ان التكذيب يقع على وجهين • احدهما ان لا يوجد نفس المخبر عنه • والثاني
ان لا يوجد كما اخبر في نفسه فقد يقول له ما جيتنا بل جيت للحاجة فالله
تعالى كذبهم في قولهم امنا على الوجه الاول اي ما امنتم اصلا ولم يصدقهم في
الاسلام على الوجه الثاني فانهم انقادوا للحاجة واخذ الصدقة **فصل**
لما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحلفون بالله انهم مومنون صادقون وعرف الله غير ذلك منهم فانزل
الله عز وجل قل اتعلمون الله بدينكم والتعليم ههنا بمعنى الاعلام فلذلك
قال بدينكم ادخل الباء فيه لانه منقول بالتضعيف من علمت بمعنى
شعرت به فلذلك تعدت لواحد بنفسها والاخر بالباء • والمعنى لا تعرفوا
الله بدينكم فانه عالم به لا يخفى عليه شيء لانه يعلم ما في السموات وما
في الارض والله بكل شيء عليم لا يحتاج الى اخباركم **قوله** يمنون عليك
ان اسلموا يجوز في قوله ان اسلموا وجهان • احدهما انه مفعول به لانه ضمن
يمنون معنى يعيدون كانه قيل يعيدون عليك اسلامهم فما تمن به عليك
ولهذا صرح بالمفعول به قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعيدوا علي اسلامكم
كذا استدل ابو حيان وفيه نظر اذ لقايل ان يقول لا نسلم انتصاب
اسلامكم على المفعول به بل يجوز فيه المفعول من اجله كما يجوز في محل ان اسلموا
وهو الوجه الثاني اي يمنون عليك لاجل ان اسلموا فكذلك في قوله لا تمنوا
علي اسلامكم وشروط النصب موجودة والمفعول له متى كان مضافا استوى
جره بالحرف ونصبه **قوله** بل الله يمن عليكم يعني لا منة لكم علينا
اصلا بل المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم **قوله**
ان هداكم للايمان اعرابه كقوله ان اسلموا • وقرا زيد بن علي اذ هداكم
باذ مكان ان وهي في مصحف عبد الله كذلك وهي تفيد التعليل وجواب
الشرط مقدر اي فهو المان عليكم لا انتم عليه وعلي • فان قيل كيف من عليهم
بالهداية الى الايمان مع انه تبين انهم لم يومنوا • فالجواب من ثلاثة اوجه
احدها انه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم ان رزقكم الايمان بل قال ان هداكم
للايمان • وثانيها ان ارسال الرسول بالايات البينات هداية • وثالثها انه
تعالى يمن عليهم بما زعموا فكانه قال انتم قلتم امنا فذلك نعمة في حقكم حيث
تخلصتم من النار فقال هداكم في زعمكم ولهذا قال تعالى ان كنتم صادقين

ثم قال

ثم قال ان الله يعلم الاية وهذا تقرير لاول السورة حيث قال ان الله
سميع عليم فاخبر ههنا عن علمه وبصره **قوله تعالى** ان الله يعلم غيب السموات
والارض والله بصير بما يعملون • قرا ابن كثير بالغيبة نظرا لقوله يمنون
عليك وما بعده والباقون بالخطاب نظرا الى قوله لا تمنوا علي اسلامكم
الى اخره وفي هذه الاية اشارة الى انه يبصر اعمال جوارحكم الظاهرة والباطنة
لا يخفى عليه شيء قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الحجرات اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من اطاع الله وعصاه •

سورة ق مكية

وهي خمس واربعون اية وثلثماية وسبع وخمسون كلمة والف واربعماية
واربعة وتسعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ق
قال ابن عباس هو قسم • وقيل اسم السورة • وقيل اسم من اسما القران
وقال القرطبي هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقابض
وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا ومنه خضرة
السما والسما منقبة عليه وعليه كنفاها • وقيل هو وراء الحجاب الذي تغيب
الشمس من ورايه بمسيرة سنة • وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كاين كما
قالوا في حم وفي ص صدق الله وقيل هو اسم فاعل من قفا يقفو **فصل**
قال ابن الخطيب لما حكى القول بان ق اسم جبل محيط بالارض عليه اطراف
السما قال وهذا ضعيف لوجوه • احدها ان اكثر القرا اتفق على الوقف ولو كان
اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك قال بان الله تعالى اقسم
وثانيها لو كان كذلك لذكر بحرف القسم كقوله تعالى والطور ونحوه لان حرف
القسم يحذف حيث يكون المقسم به مستحقا لان يقسم به كقولنا الله لافعلن
كذا فاستحقاقه له يغني عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن ان يقال زيد
لافعلن كذا ثالثها انه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والفا
كما يكتب عين جارية ويكتب اليس الله بكاف وفي جميع المصاحف يكتب حرف
ق • رابعها ان الظاهر كون الامر فيه كالامر في ص ون وحم وهي حروف
لا كلمات فكذلك في ق • فان قيل هو منقول عن ابن عباس يقول المنقول عنه
ان ق اسم جبل واما ان المراد ههنا ذلك فلا **فصل** قال ابن الخطيب
هذه السورة وسورة ص يشتركان في افتتاح اولهما بالحرف المعجم والقسم
بالقران بعده • وقوله بعد القسم بل والتعجب ويشتركان ايضا في ان
اول السورتين واخرهما متناسبان لانه تعالى قال في اول السورة ص والقران
ذي الذكر • وقال في اخرها ان هو الا ذكر للعالمين • وقال في اول ق والقران المجيد
وقال في اخرها فذكر بالقران من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به وايضا
في اول ص صرف العناية الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد لقوله تعالى
اجعل الالهة الها واحدا • وفي هذه السورة صرف العناية الى تقرير الاصل الاخر
وهو الحشر فقال تعالى اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ذلك رجع بعيد • ولما كان
افتتاح سورة ص في تقرير المبدا قال في اخرها اذ قال ربك للملائكة اني خالق
بشرا من طين وختمه بحكاية بدء ادم لانه دليل الوحدانية • ولما كان افتتاح
ق لبيان الحشر قال في اخرها ذلك حشر علينا يسير **فصل** قال
ابن الخطيب قد ذكرنا ان الحروف تنبيهات قدمت على القران ليكون السامع
بسببها يقبل على استماع ما يرد على الاسماع فلا يفوته شيء من الكلام الرايق
والمعنى الفايق • وذكرنا ايضا ان العبادة منها قلبية • ومنها لسانية
ومنها خارجية ظاهرة ووجد في الخارجية ما عقل معناه ووجد فيها ما لم يعقل

معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرها ووجد في التلبية ما عقل بالدليل
وعلم كالتوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها
ما لم يعقل ولا يمكن التصديق به لولا السمع كالصراط الممدود الاحد من
السيف الارق من الشعر والميزان الذي توازن به الاعمال فكذلك ينبغي
ان يكون الاذكار التي هي العبادة اللسانية فيها ما يعقل معناه كجميع القران
الا قليلا منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم كحروف التهجي ليكون التلفظ به
لمحض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الحكاية والقصد الى
غرض كقولنا ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون النطق به تعبدا محضا
ويؤيد هذا وجه اخر وهو ان هذه الحروف يقسم بها لان الله تعالى
لما اقسم بالتين والزيتون تشريفا لها فاذا اقسم بالحروف التي هي
اصل الكلام الشريف الذي هو دليل المعرفة واله التعريف كان اولى
واذا عرف هذا فنقول القسم من الله تعالى وقع بامر واحد كما في قوله تعالى
والضحى والليل اذا سجى وفي قوله والسما والطارق وبحرفين كما في قوله طه
وطس ووقع بثلاثة امور كما في قوله تعالى والصافات فالزاجرات
فالتاليات وقوله والسما ذات البروج واليوم الموعود وشاهد
ومشهود وبثلاثة احرف كما في قوله الم وطسم والر ووقع باربعة
امور كما في قوله والذاريات فالحاملات فالجاريات فالمقسمات
وفي قوله والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين وباربعة
احرف كما في المص والمر ووقع بخمسة امور كما في قوله تعالى والطور وكتاب
مسطور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور وفي قوله
والمرسلات فالعاصفات والناشرات فالفارقات فالملقيات وفي
النازعات وفي الفجر وبخمسة احرف كما في كهيعص وحمعسق ولم يقسم
باكثر من خمسة اشيا الا في سورة واحدة وهي والشمس وضحاها ولما
اقسم بالاشيا المعهودة ذكر حرف القسم وهو الواو في قوله والطور
والنجم والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل
وق وحم لان القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما فلم يورد
في موضع كونه اله القسم تسوية بين الحروف ولم يدخل القسم بالحروف
في اثنا السورة لانه يخل بالنظم **فصل** اقسم الله بالاشيا
المركبة من العناصر كالتين والطور ولم يقسم باصولها وهي الجواهر
المفردة كالما والتراب واقسم بالحروف من غير تركيب لان الاشيا
عند تركيبها تكون على احسن حالها واما الحروف ان ركبت بمعنى يقع
الحلف بمعناه لا باللفظ كقولنا والسما والارض وان ركبت لا لمعنى فيها
فكان المفرد اشرف فاقسم بمفردات الحروف **فصل** هذه السورة
تقرا في صلاة العيد لقوله تعالى فيها ذلك يوم الخروج وقوله كذلك الخروج
وقوله ذلك حشر علينا يسير فان العيد يوم الزينة فينبغي ان لا ينسى
الانسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون في ذلك اليوم فرحا
فخورا ولا يرتكب فسقا ولا فجورا **فصل** والعامة على سكون
الفا من قاف وقد تقدم وفتحها عيسى وكسرها الحسن وابن ابي اسحق
وضمها هارون وابن السميقع وقد تقدم توجيه ذلك وهو ان الفتح
يحتمل البنا على الفتح للتخفيف او يكون منصوبا بفعل مقدر ومنع
الصرف او مجرورا بحرف قسم مقدر وانما منع الصرف ايضا والضم على
انه مبتدا او خبر ومنع الصرف ايضا قال ابن الخطيب واما القراة فيها
فان قلنا هي تنبيه على ما بينا فحقها الوقف اذ لا عامل فيها ويجوز الكسر

حذرا

حذرا من التقا الساكنين ويجوز الفتح اختيارا للاخف فان قيل كيف
جاز اختيار الفتح ههنا ولم يجز عند التقا الساكنين اذا كان احدهما اخر كلمة
والاخر اول كلمة اخرى كقوله لم يكن الذين كفروا ولا تطرد الذين تقول
لان هنالك انما وجب التحريك لان الكسرة في الفعل تشبه حركة الاعراب
لان الفعل لما كان محلا للرفع والنصب ولا يوجد فيه الجر اختير الكسرة التي
لا تخفى على احد انها ليست بجر لان الفعل لا يجوز فيه الجر ولو فتح لاشتبه بالنصب
واما في اواخر الاسما فالاشتباه لازم لان الاسم محل يرد عليه الحركات
الثلاث فلم يمكن الاحتراز فاختاروا الاخف وان قلنا انها حرف مقسم
به فحقها الجر ويجوز النصب على انه مفعول باقسم على وجه الاتصال وتقدير
البا كان لم يوجد وان قلنا انها اسم للسورة فان قلنا مقسم بها مع ذلك فحقها
الفتح لانها لا تنصرف حينئذ فتفتح في موضع الجر كما تقول وابراهيم واحمد
اذا اقسمت بهما وان قلنا ليس مقسما بها فان قلنا هي اسم للسورة فحقها
الرفع اذا جعلناها خبرا تقديره هذه ق وان قلنا هو من حرفا يتغير الحقه
التنوين كقولنا هذا داع وراع وان قلنا اسم جبل فالجر والتنوين ان كان
قسما **قوله** والقران المجيد يقسم في جوابه وجوه احدها انه قوله
قد علمنا ما تنقص الارض الثاني ما يبدل القول الثالث ما يلفظ من
قول الرابع ان في ذلك لذكرى الخامس بل عجبوا وهو قول كوفي قالوا
لانه بمعنى قد عجبوا السادس انه محذوف فقدره الزجاج والاخفش
والمبرد لتبعثن وغيرهم لتعجبنهم منذرا واعلم ان جوابات القسم
سبعة ان المشددة كقوله والعصر ان الانسان وما النافية كقوله
والضحى ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله فوربك لنسألنهم وان
المخففة كقوله تالله ان كنا لفي ضلال مبين ولا النافية كقوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله وقد كقوله والشمس وضحاها قد افلح
وبل كقوله والقران المجيد بل عجبوا والمجيد العظيم وقيل المجيد الكثير
الكرم فان قلنا المجيد العظيم فلان القران عظيم الفايده ولانه ذكر
الله العظيم وذكر العظيم عظيم ولانه لم يقدر عليه احد من الخلق وقال
تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ولا يبدل ولا يغير
ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان قلنا المجيد هو الكثير الكرم
فالقران كريم كل من طلب منه مقصودا وجده ويغني كل من لاذ به واغنا
المحتاج غاية الكرم فان قيل القران مقسم به فما المقسم عليه فالجواب
ان المقسم عليه اما ان يفهم بقرينة حالية او قرينة مقالية متقدمة
فلا يتقدم هنا لفظا الا ق فيكون التقدير هذا ق والقران اي انزلها
الله تعالى والقران كقولك هذا حاتم والله اي هو المشهور بالسخا
وتقول الهلال والله اي رايته والله وان فهم من قرينة مقالية
متاخرة ففي ذلك امران احدهما ان التقدير والقران المجيد انك لمنذر
او والقران المجيد ان الرجع لكاين لان كلا الامرين ورد ظاهرا اما
الاول فقوله تعالى يس والقران الحكيم الى ان قال لتنذر قوما واما
الثاني فقوله تعالى والطور وكتاب مسطور الى ان قال ان عذاب
ربك لواقع قال ابن الخطيب وهذا الوجه يظهر غاية الظهور
على قول من قال ق اسم جبل فان القسم يكون بالجبل والقران
وهناك اقسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقران
والثاني قرينة حالية وهي كون محمد عليه الصلاة والسلام على الحق
فان الكفار كانوا ينكرون ذلك **قوله** بل عجبوا فيقتضي ان يكون

هنالك امر مضروب عنه فما ذلك • واجاب الواحدي ووافقه الزمخشري
انه تقرير كانه قال ما الامر كما تقولون • قال ابن الخطيب والتقدير
والقران المجيد انك لمنذر فكانه قال بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه
وقال بل عجبوا اي فلم يكتفوا بالشك ولا بالرد حتى عجبوا بل جزموا بالخلاف
حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة • فان قيل ما الحكمة في هذا الاختصار العظيم
في موضع واحد حذف المقسم عليه والمضروب عنه واتى بامر لا يفهم الا بعد
الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر الا بالتوفيق العزيز • قال ابن الخطيب
اما حذف المقسم عليه فلان الترك في بعض المواضع يفهم منه ظهوره لانهم
من الذكر لان من ذكر الملك العظيم في مجلس واثنى عليه يكون قد عظمه
فاذا قال له غيره هو لا يذكر في هذا المجلس يكون بالارشاد الى ترك الذكر
دال على عظمة فوق ما استفيد بذكره فالله ترك المقسم عليه لبيان
انه اظهر من ان يذكر واما حذف المضرب عنه فلان المضرب عنه اذا ذكر
واضرب عنه بامر اخر وكان بين المذكورين تفاوت ما فاذا عظم التفاوت
لا يحسن ذكرهما مع الاضراب • مثاله يحسن ان يقال الوزير يعظم
فلانا بل الملك يعظمه • ولا يحسن ان يقال البواب يعظم فلانا بل
الملك يعظمه لكون البون بينهما بعيدا اذ الاضراب للتدريج فاذا
ترك المتكلم المضروب عنه صريحا واتى بحرف الاضراب استفيد
منه امران • احدهما الاشارة الى امر اخر قبله مضربا عنه • والثاني
عظم التفاوت بينهما وههنا كذلك لان الشك بعد قيام البرهان
بعيد لكن القطع بخلافه في غاية ما يكون من البعد فالعجب منه ابعد
قوله ان جاءهم فيه سؤال وهو ان مع الفعل بتقدير المصدر
يقول امرت بان اقوم وامرت بالقيام واذا كان كذلك فلم ترك
الاتيان بما هو في معنى المصدر ما يجب ذكره عند الاتيان بما هو في
معنى المصدر ما يجب ذكره عند الاتيان بالمصدر حيث جاز امرت
ان اقوم من غير باء ولا يجوز ان يقول امرت القيام بل لا بد من الباء
ولذلك تقول عجبوا ان جاءهم ولا يجوز ان يقول عجبوا مجيئه بل لا بد من قولك
عجبوا من مجيئه والجواب ان قوله • والجواب ان قوله ان جاءكم وان كان
في المعنى قائما مقام المصدر لكنه في الصورة تقدير وحروف التقدير كلها حروف
خارجة والجار لا يدخل على الفعل فكان الواجب ان لا يدخل فلا اقل من ان يجوز
الدخول فجاز ان يقال عجبوا ان جاءهم ولا يجوز عجبوا مجيئهم لعدم جواز
ادخال الحرف عليه قوله منهم اي يعرفون نسبه وصدقه واما نفسه
وهذا يصلح ان يكون مذكورا لتقرير تعجبهم ويصلح ان يكون مذكورا لابطال
تعجبهم • اما وجه تقرير تعجبهم فلانهم كانوا يقولون ابشرا منا واحدا نتبعه
وقالوا ما انتم الا بشر مثلنا واذلك الاشارة الى انه كيف يجوز اختصاصكم
بهذه المنزلة الرفيعة مع اشتراكنا في الحقيقة واللوازم • واما تقرير
الابطال فلانه اذا كان واحدا منهم ويرى بين اظهرهم وظهر منه ما
عجزوا عنه كلهم ومن بعدهم فكان يجب عليهم ان يقولوا هذا ليس من عنده
ولا من عند احد من جنسنا فهو من عند الله بخلاف ما لو جاءهم واحد من
خلاف جنسهم واتى بما يعجزون عنه فانهم كانوا يقولون نحن لا نقدر على
ذلك لان لكل نوع خاصية كما ان النعامة تبلع النار والطير وابن ادم لا
على ذلك قوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب قال الزمخشري هذا تعجب
اعجب من امر اخر وهو الحشر الذي اشار اليه بقوله ايذا متنا وكنا ترابا ذلك
رجع بعيد فتعجبوا من كونه منذرا ومن وقوع الحشر ويدل عليه قوله

ذا ول

ذا ول ص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم • وقال اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب فذكر تعجبهم من امرين • قال ابن الخطيب والظاهر
ان قولهم هذا اشارة الى مجيء المنذر لا الى الحشر لان هناك ذكر ان هذا
لشيء عجاب بعد الاستفهام الانكاري فقال اجعل الالهة الها واحدا ان هذا
لشيء عجاب • وقال ههنا هذا شيء عجيب ولم يكن هناك ما تقع الاشارة
اليه الا مجيء المنذر ثم قالوا ايذا متنا • وايضا ان ههنا وجد بعد الاستفهام
بالاستفهام امر يؤدي معنى التعجب وهو قولهم ذلك رجع بعيد فانه
استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب ايضا عائدا اليه لكان كالتكرار
فان قيل التكرار الصريح يلزم من قولك هذا شيء عجيب لانه يعود الى مجيء المنذر
فان تعجبهم منه علم من قوله وعجبوا ان جاءهم فقوله هذا شيء عجيب يكون
تكرارا • نقول ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير لانه لما قال بل عجبوا بصيغة
الفعل وجاز ان يتعجب الانسان مما لا يكون عجبا كقوله اتعجبين من امر
الله ويقال في العرف لا وجه لتعجبك مما ليس بعجب فكانهم لما عجبوا
قيل لهم لا معنى لتعجبكم فقالوا هذا شيء عجيب فكيف لا نعجب منه ويدل
على ذلك قوله تعالى ههنا فقال الكافرون هذا شيء عجيب بحرف الفاء وقال في ص
وقال الكافرون هذا ساحر بحرف الواو فكان تعجبا غير مرتب على ما
تقدم وهذا شيء عجيب امر مرتب على ما تقدم اي لما عجبوا وانكروا عليهم
ذلك فقالوا هذا شيء عجيب كيف لا يتعجب منه • ويدل عليه ايضا قوله تعالى
ذلك رجع بعيد بلفظ الاشارة الى البعيد • وقوله هذا ساحر اشارة الى
الحاضر القريب فينبغي ان يكون المشار اليه بذلك غير المشار اليه بهذا
وذلك لا يصح الا على قولنا قوله ايذا متنا قرا العامة بالاستفهام
وابن عامر في رواية وابو جعفر والاعمش والاعرج بهمزة واحدة فيحتمل
الاستفهام كالجمهور وانما حذف الاداة للدلالة • ويحتمل الاخبار بذلك
والناصب للظرف في قراءة الجمهور مقدرا اي انبعث او نرجع اذا متنا وجواب
اذا على قراءة الخبر محذوف اي رجعنا • وقيل قوله ذلك رجع على حذف الفا
وهذا راي بعضهم والجمهور لا يجوز ذلك الا في شعر • وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى
استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف على ما قبله على
هذا التفسير حسن • فان قيل فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى
المرجوع • فالجواب ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث
فصل قال ابن الخطيب ذلك اشارة الى ما قاله وهو الانذار
وقوله هذا شيء عجيب اشارة الى المجيء على ما بينا فلما اختلف الصفتان
بقول المجيء والجائي كل واحد حاضرا • واما الانذار وان كان حاضرا لكن
المنذر به كان جاريا على الحاضر فقالوا فيه ذلك • والرجع مصدر
رجع يرجع اذا كان متعديا • والرجوع مصدره اذا كان لازما وكذلك
الرجعى مصدره عند لزومه • والرجوع ايضا يصح مصدرا للازم
فيحتمل ان يكون المراد بقوله ذلك رجع بعيد اي رجوع بعيد • ويحتمل
ان يكون المراد الرجع المتعدي • ويدل على الاول قوله تعالى الى ربك الرجعى
وعلى الثاني قوله تعالى ائنا لمردودون في الحافرة اي مرجوعون فانه من
الرجوع المتعدي فان قلنا هو من المتعدي فقد انكروا كونه مقدورا
في نفسه فصل قال المفسرون تقديره ايذا متنا وكنا ترابا
نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع اي رد الى الحياة
بعيد غير كائن اي يبعد ان يبعث بعد الموت قوله قد علمنا ما تنقص

الارض منهم اي تاكل من لحومهم ودمايهم وعظامهم لا يعزب عن علمه
شي • وقال السدي هو الموت تقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى
وهذه الاية تدل على جواز البعث وقدرته تعالى عليه لان الله تعالى
عالم باجزا كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزء واحد بجزء الاخر وقادر
على الجمع والتاليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله تعالى وهو
الخلاق العليم حيث جعل للعلم مدخلا في الاعادة وهذا جواب لما كانوا
يقولون اينا ضللنا في الارض اي انه تعالى كما يعلم اجزاهم يعلم اعمالهم
فيرجعهم ويبعثهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون قوله
وعندنا كتاب حفيظ اي محفوظ من الشياطين ومن ان يدرس ويتغير
وهو اللوح المحفوظ • وقيل معناه حافظ لعدتهم واسمايهم واعمالهم
قال ابن الخطيب وهذا هو الاصح لان الحفيظ بمعنى الحافظ وارد في
القران قال تعالى وما انت عليهم بحفيظ وقال الله حفيظ عليهم ولان
الكتاب للتمثيل ومعناه العلم عندي كما يكون في الكتاب فهو يحفظ
الاشيا وهو مستغن عن ان يحفظ قوله بل كذبوا • قال الزمخشري
هذا اضراب ثان اتبع للاضراب الاول للدلالة على انهم جاوا بما هو افظع
من تعجبهم وهو التكذيب بالحق • قال ابو حيان وكان هذا الاضراب
الثاني بدلا بدا من الاول • قال شهاب الدين واطلاق مثل هذا
في كتاب الله لا يجوز البتة • وقيل قبل هذه الاية جملة مضرب عنها تقديره
ما جادوا النظر بل كذبوا وما قاله الزمخشري احسن فصل في المضرب
عنه وجهان • احدها انه الشك تقديره والقران المجيد انك لمنذر وانهم شكوا
فيه بل عجبوا بل كذبوا • الثاني تقديره لم يكذب المنذر بل كذبوهم
وفي المراد بالحق وجوه • الاول البرهان القايم على صدق الرسول • الثاني
الفرقان المنزل وهو قريب من الاول لانه برهان • الثالث النبوة
الثابتة بالمعجزة القاهرة فانها حق • الرابع الحشر الذي لا بد من وقوعه
فهو حق • فان قيل ما معنى البا في قوله بالحق واي حاجة اليها يعني ان التكذيب
متعد بنفسه فهل هي للتعدية الى مفعول بان او هي زايده كما في قوله تعالى
فستبصر ويبصرون بايكم المفتون • فالجواب انها في هذا الموضع لاظهار
التعدية لان التكذيب لكن النسبة توجد تارة في القايل واخرى في القول
تقول كذبني فلان وكنت صادقا وتقول كذب فلان وكنت صادقا
وتقول كذب فلان قولي • ويقال كذبه اي جعله كاذبا • تقول قلت لفلان
زيد يجي غدا فمضى غد اخر كذبني او كذب قولي والتكذيب في القايل يستعمل
بالبا وبدونها قال تعالى كذبت ثمود المرسلين • وقال كذبت ثمود
بالنذر وفي القول كذلك غير ان الاستعمال في القايل بدون البا اكثر
قال تعالى فكذبوه • وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل وفي القول
الاستعمال بالبا اكثر قال تعالى كذبوا باياتنا كلها • وقال كذبوا بالحق
وقال وكذب بالصدق • والتحقيق فيه ان الفعل المطلق هو المصدر لانه
هو الذي يصدر من الفاعل فان من ضرب لم يصدر منه غير الضرب
غير ان له محلا يقع فيه يسمى مضروبا ثم اذا كان ظاهرا لكونه محلا للفعل
يستغنى بظهوره عن الحرف فيتعدى من غير حرف فيقال ضربت عمرا وشربت
ما للعلم بان الضرب لا بد له من محل يقوم به وكذلك الشرب لا يستغني
عن مشروب يتحقق فيه فاذا قلت مررت يحتاج الى الحرف ليظهر معنى
التعدية لعدم ظهوره في نفسه لان قولك مر السحاب معناه فيه مرور
ولا يفهم منه مر به • ثم ان الفعل قد يكون في الظهور دون الضرب والشرب
وفي الخفا

وفي الخفا فوق المرور فيجوز الاتيان فيه بدون الحرف للظهور الذي فوق
ظهور المرور ومع الحرف لكونه الظهور دون ظهور الضرب ولهذا لا يجوز
ان يقول ضربت بعمرو الا اذا جعلته الة الضرب اما اذا ضربته بسوط
او غيره لا يجوز فيه زيادة البا ولا يجوز مررته الا مع الاشتراك وتقول
مسحته ومسحت به وشكرته وشكرت له لان المسح امرار اليد بالشي
فصار كالمرور والشكر فعل جميل غير انه يقع لمحسن • فالاصل في الشكر الفعل
الجميل وكونه واقعا للغير كالتبع بخلاف الضرب فانه امساس جسم بجسم
بعنف فالمضروب داخل في مفهوم الضرب اولا والمشكور داخل في مفهوم
الشكر ثانيا • واذا عرفت هذا فالتكذيب في القايل ظاهر لانه هو الذي
يصدق او يكذب • وفي القول غير ظاهر لانه هو المدعى فكان الاستعمال
فيه بالبا اكثر والبا فيه لظهور معنى التعدية وقوله لما جاهم هو التكذيب
تقديره كذبوا بالحق لما جاهم الحق اي لم يوخروه الى التفكر والتدبر قوله
لما جاهم العامة على تشديدها وهي اما حرف وجوب لوجوب او ظرف
بمعنى حين كما تقدم • وقرا الجحدري بكسر اللام وتخفيف الميم على انها
لام الجر دخلت على ما المصدرية وهي نظير قولهم كتبته لخمس خلون اي عندها
قوله فهم في امر مريج اي مختلط قال ابو واقد •

ومرج الدين فاعددت له • مشرف الاقطار محبول الكبد
فجالت والتمست به حشاها • فخر كانه خوط مريج

واصله من الحركة والاضطراب ومنه مرج الخاتم في اصبعه • وقال سعيد
ابن جبير ومجاهد ملتبس فصل قال قتادة معناه من ترك الحق
مرج عليه امره والتبس عليه دينه • وقال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج
امرهم • وقال الزجاج يعني اختلاط امرهم هو انهم يقولون للنبي صلى
الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ومرة كاهن ومرة
مفتر ومرة ينسبونه الى الجنون فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم
ثم ذكر الدليل الذي يرفع قولهم ذلك رجع بعيد فقال افلم ينظروا الى
السما فوقهم كيف بنيناها بغير عمد وزيناها بالكواكب وهو نظير
قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
وقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
بقادر على ان يحيي الموتى قوله افلم الهمزة للاستفهام • واعلم ان همزة
الاستفهام تارة تدخل على الكلام بغير واو • وتارة تدخل وبينهما واو
والفرق بينهما ان قولك ازيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس تذكره
للانكار فاذا قلت اوزيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس تشير بالواو
الى ان قبح فعله صار بمنزلة فعلين قبيحين فان الواو تنبي عن سبق امر
مغاير لما بعدها وان لم يكن هناك سابق لكنك تاتي بالواو زيادة في الانكار
فان قيل كيف اتى هنا بالفا فقال افلم وفي موضع اخر بالواو • فالجواب
هنا سبق منهم انكار الرجع فقال بحرف التعقيب لمخالفته ما قبله • فان
قيل فهل ليس سبق ذلك بقوله قال من يحيي العظام • فالجواب ان هناك
الاستدلال بالسموات لم يعقب الانكار بل استدل بدليل اخر وهو قوله
قل يحييها الذي انشاها اول مرة ثم ذكر الدليل الاخر • وهنا الدليل
كان عقيب انكارهم فذكر بالفا • فان قيل كيف قال هنا بلفظ النظر وفي
الاحقاف بلفظ الروية • فالجواب ان هنا لما استبعدوا امر
الرجع بقولهم ذلك رجع بعيد استبعادهم فقال افلم ينظروا
لان النظر دون الروية فقال النظر كاف في حصول العلم بامكان

الرجع ولا حاجة الى الروية لدفع الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد
وهناك لم يوجد منهم انكار فارشدهم اليه بالروية التي هي اتم من النظر
قوله الى السما فوقهم فقوله فوقهم لما لا من السما ولم يقل في السما
فالجواب لان النظر في الشي ينبي عن التامل والمبالغة والنظر الى الشي
لا ينبي عنه لان الى للغاية منتهى النظر عنده في الدخول في معنى الظرف
فاذا انتهى النظر اليه ينبغي ان ينفذ فيه حتى يصح معنى النظر فيه قوله
وما لها من فروج اي شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج والارض
مددناها بسطناها على وجه الما والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج حسن كريم تبهج به اي تسر قوله
تبصرة العامة على نصبهما على المفعول من اجله اي تبصير امثالهم
وتذكيرا امثالهم وقيل منصوبان بفعل من لفظهما مقدرا اي بصرهم
تبصرة وذكرهم تذكرة وقيل حالان اي مبصرين مذكرين وقيل حال
من المفعول اي ذات تبصير وتذكير لمن يراها وزيد بن علي بالرفع
وذكرى اي هي تبصرة وذكرى ولكل اما صفة واما متعلق بنفس المصدر
وقال البغوي تبصيرا وتذكيرا فصل قال ابن الخطيب يحتمل ان
يكون الامران عايدين الى السما والارض اي خلق السما تبصرة وخلق
الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السما وزينتها مستمرة غير مستجدة
في كل عام فهي كالشي المري على مرور الزمان واما الارض فهي في كل سنة
تاخذ زخرفها فتذكر فالسما تبصرة والارض تذكرة ويحتمل ان يكون كل
واحد من الامرين موجودا في كل واحد من الامرين فالسما تبصرة وتذكرة
والارض كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو ان فيها ايات مستمرة
منصوبة في مقابلة البصاير وايات متجددة مذكرة عند النسيان قوله
لكل عبد منيب اي لتبصر وتذكر كل عبد منيب اي راجع التفكر والتذكر
والنظر في الدلايل قوله ونزلنا من السما ما مباركا كثير الخير وفيه
حياة كل شي وهو المطر فانبتنا به جنات وحب الحصيد يعني البر
والشعير وساير الحبوب التي تحصد فقوله وحب الحصيد يجوز ان
تكون من باب حذف الموصوف للعلم به تقديره وحب الزرع الحصيد
نحو مسجد الجامع وبابه وهذا مذهب البصريين ليلا يلزم اضافة الشي
الى نفسه ويجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف الى صفته لان الاصل
والحب الحصيد اي المحصود فصل هذا دليل اخر وهو ما بين
السما والارض فيكون الاستدلال بالسما والارض وما بينهما وهو
انزال الما من فوق واخراج النبات من تحت فان قيل هذا الاستدلال
قد تقدم في قوله تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فما الفايدة في
اعادة قوله فانبتنا به جنات وحب الحصيد فالجواب ان قوله
وانبتنا اشارة الى جعلها محلا للنبات الذي هو النجم والشجر وغيرها وقوله
فانبتنا استدلال بنفس النبات اي الاشجار تنمو وتزيد فكذلك
بدن الانسان بعد الموت ينمو ويزيد اي يرجع الله قوتهم التي هي البشر والنما
كما يعيدها الى الاشجار بواسطة ما السما قوله والنخل باسقات
والنخل منصوب عطفا على مفعول انبتنا اي وانبتنا النخل وباسقات
حال وهي حال مقدرة لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق
الطول يقال بسق فلان على اصحابه اي طال عليهم في الفضل ومنه
قول ابن نوفل في ابن هبيرة: يا ابن الذين بجدهم بسقت قيس فزارة
وهو استعارة والاصل استعماله في بسقت النخلة تبسق بسوقا

اي طالت

اي طالت قال الشاعر

لنا خمر وليست خمر كرم ... ولكن من نتاج الباسقات
كرام في السما ذهبن طولا ... وفات ثمارها ايدي الجناة

وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبا قبل
النتاج ونوق مباسيق من ذلك قال مجاهد وقتادة وعكرمة يعني
باسقات طوالا وقال سعيد بن جبير مستويات والعامة على السين
في باسقات وقرا قطبة بن مالك ويرويها عن النبي صلى الله عليه وسلم
باصقات بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون السين صادا قبل القاف
والعين والخا والطا اذا وليتها او فصلت منها بحرف او حرفين قوله
لها طلع نضيد يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل او من الضمير في باسقات
ويجوز ان تكون الحال وحده لها وطلع فاعل به ونضيد بمعنى منضود
بعضها فوق بعض في اكمامها كما في سنبلة الزرع وهو عجيب فان الاشجار
الطوال ثمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحدة منها اصل يخرج منه
كالجوز واللوز وغيرها والطلع كالسنبلة الواحدة تكون على اصل واحد قوله
رزقا يجوز ان يكون حالا اي مرزوقا للعباد اي ذا رزق وان يكون
مصدرا من معنى انبتنا لان انبات هذه رزق فكانه قال انبتناها
انباتا للعباد ويجوز ان يكون مفعولا له وللعباد اما صفة واما متعلق
بالمصدر واما مفعول للمصدر واللام زايدة اي رزقا العباد
فصل قال ابن الخطيب ما الحكمة في قوله عند ذكر السما والارض
تبصرة وذكرى وفي الثمار قال رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفي
السما والارض ايضا منفعة غير التبصرة والتذكرة فنقول فيه وجوه
احدها ان الاستدلال وقع لوجود امرين احدهما الاعادة والثاني
البقا بعد الاعادة فان النبي عليه الصلوة والسلام كان يخبرهم
بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدايم والعقاب الدايم وانكروا
ذلك فتكلم اما الاول فالله القادر على خلق السموات والارض قادر
على خلق الخلق بعد الفنا واما الثاني فلان البقا في الدنيا بالرزق والقادر
على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على ان يرزق بعد الحشر
فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني تذكرة بالبقا بالرزق
ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك
بين الايتين ثم بدا بذكر الما وانزاله وانبات النبات ثانيها منفعة
الثمار الظاهرة هي الرزق فذكرها ومنفعة السما الظاهرة ليست امرا
عايدا الى انتفاع العباد لبعدها عن ذهنهم حتى انهم لو توهموا عدم الزرع
والثمر لظنوا ان يهلكوا ولو توهموا عدم السما فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك
مع ان الامر بالعكس اولى لان السما سبب الارزاق بقدرة الله تعالى وفيها
منافع غير ذلك والثمار وان لم تكن كان العيش كما انزل الله على قوم المن
والسلوى وعلى قوم المايدة من السما فذكر الاظهر للناس في هذا الموضع ثالثها
قوله رزقا اشارة الى كونه منعما لكون تكذيبهم في غاية القبح فانه يكون
اشارة بالمنعم وهو اقبح ما يكون فصل قال تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب تقييد العبد بكونه منيبا لان العبودية حصلت لكل احد
غير ان المنيب ياكل ذاكرا شاكرا للانعام وغيره ياكل كما تاكل الانعام فلم يخصص
بقيد قوله فاحيينا به اي بالما بلدة ميتا صفة لبلدة ولم يؤنث حملا على
معنى المكان والعامة على التخفيف وابو جعفر وخالد بالتثقيل فان قيل
بالفرق بين هذا الموضع وبين قوله واية لهم الارض الميتة حيث اثبت

هناك فالجواب ان الاصل في الارض الوصف فقال الميتة لان معنى الفاعلية
ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت
اهله واقام بها القوم وعمروها فصارت بلدة فاسقط الهاء لان معنى الفاعلية
ظاهر يثبت فيه الهاء واذا كان بمعنى الفاعل لم يظهر لا تثبت فيه الهاء وتحقيق
هذا قوله بلدة طيبة حيث اثبتت الهاء حيث ظهر معنى الفاعل ولم يثبت
حيث لم يظهر قوله كذلك الخروج اي من القبور اي كالاحيا الخروج • فان
قيل الاحيا يشبه به الاخراج • فالجواب تقديره احيينا به بلدة ميتا
فتشققت وخرج منها النبات كذلك يتشقق ويخرج منها الاموات
قال ابن الخطيب وهذا يؤكد قولنا ان الرجع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجع
بعيد لانه تعالى بين لهم ما استبعدوه فلو استعمل الرجع الذي هو من
المتعدي لناسبه ان يقول كذلك الاخراج فلما قال كذلك الخروج فهم منه
انهم انكروا الرجوع فكذلك الرجوع والخروج قوله تعالى كذبت قبلهم قوم
نوح الاية • ذكر المكذبين تذكيرا لهم بحالهم وانذارهم باهلاكهم وفيه
تسلية للرسول وتنبيه بان حاله كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا
فاهلك الله مكذبيهم ونصرهم • والمراد باصحاب الرس قيل هم قوم شعيب
وقيل هم الذين جاءهم من اقصى المدينة رجل يسعى وهم من قوم عيسى عليه
الصلوة والسلام • وقيل هم اصحاب الاخدود والرس اما موضع نسبوا اليه
او فعل وهو حفر البير • يقال رس اذا حفر بيرا وقد تقدم في الفرقان • وقال هنا
قوم نوح • وقال اخوان لوط لان لوطا كان مرسلا الى خلق عظيم • وقال فرعون
ولم يقل قوم فرعون • وقال قوم تبع لان فرعون كان هو المعتبر المستبد بامره
وتبع كان معتضدا بقومه فجعل الاعتبار وخصه بالذكر وتبع هو تبع الحميري
واسمه سعد ابو كرب • قال قتادة ذم الله قوم تبع ولم يذمه وتقدم ذكره
في سورة الدخان قوله الايكة تقدم الكلام عليها في الشعرا • وقرا هنا ليكة
بزنة ليلة ابو جعفر وشيبة وطلحة ونافع الايكة بلام التعريف والجمهور ليكة
وهذا الذي نقله غفلة منه بل الخلاف المشهور انما هو في سورة الشعرا وص كما تقدم
تحقيقه واما هنا فالجمهور على لام التعريف قوله كل التنوين عوض من
المضاف اليه وكان بعض النحاة يجيز حذف تنوينها وبناها على الضم كالغاية
نحو قبل وبعد واللام في الرسل قيل للتعريف العهدي اي كل واحد كذب رسله فهم
كذبوا الرسل والصحيح انها للتعريف الجنسي وهو ان كل واحد كذب جميع الرسل
وذلك على الوجهين • احدهما ان المكذب للرسول مكذب لكل الرسل • وثانيهما ان
المذكورين كانوا منكرين للرسالة والحشر بالكلية قوله فحق وعيد اي وجب
لهم عذابي اي ما اوعد الله من نصر الرسل عليهم واهلاكهم قوله افعيينا
العامة على يا مكسورة بعدها يا ساكنة • وقرا ابن ابي عبلة افعينا بتشديد
اليا من غير اشباع وهذه القراة على اشكالها قرا بها الوليد بن مسلم وابو جعفر
وشيبة ونافع في رواية • وروى ابن خالويه عن ابي عبلة افعيينا بتشديد
اليا كذلك لكنه ان بعد اليا المشددة باخرى ساكنة وخرجها ابو حيان على لغة
من يقول في عيي عي وفي حيي حي بالادغام • ثم لما اسند هذا الفعل وهو مدغم اعتبر
لغة بكر بن وايل وهو انهم لا يفكون الادغام في مثل هذا اذا اسندوا ذلك الفعل فيقولون
في رددت وردنا قال وعلى هذه اللغة تكون التا مفتوحة ولم يذكر توجيه
القراة الاخرى وتوجيهها ظاهر [illegible] فصل ومعنى افعيينا
بالخلق الاول اي اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة وهذا تقريع لهم لانهم
اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث • ويقال لكل من عجز عن شي عيي به بل هم
في لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث والمراد بالخلق الاول قيل خلقهم ابتدا
لقوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله • وقيل هو خلق السموات لانه هو الخلق
الاول

الاول فكانه تعالى قال افلم ينظروا الى السما ثم قال افعيينا بهذا • ويؤيده
قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
وقال بعد هذه الاية ولقد خلقنا الانسان وعطف بحرف الواو على ما تقدم
من الخلق وهو بنا السموات ومد الارض وتنزيل الما وانبات الحب فصل
عطف دلايل الافاق بعضها على بعض بحرف الواو فقال والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا وانزلنا من السما ما ثم في الدليل النفسي ذكر حرف
الاستفهام والفا بعده اشارة الى ان تلك الدلايل من جنس وهذا فلم يجعل هذا
تبعا لذلك ومثل هذا مراعى في سورة يس حيث قال اولم ير الانسان انا
خلقناه • فان قيل لم لم يعطف الدليل الافقي هنا كما عطف في سورة يس
فالجواب والله اعلم ان هنا وجد منهم استبعاد بقولهم ذلك رجع بعيد
فاستدل بالاكبر وهو خلق السموات ثم لم يذكر استبعادهم من قبل فقصد
بذلك ارشادهم لا لدفع استبعادهم فبدا بالادنى وارتقى الى الاعلى •
فصل في تعريف الخلق الاول وتنكير خلق جديد وجهان الاول
ان الاول عرفه كل احد • والخلق الجديد لم يعرفه كل احد ولم يعلم كيفيته
ولان الكلام عنهم وهم لم يكونوا عالمين بالخلق الجديد • الثاني ان ذلك
لبيان انكارهم للخلق الثاني من كل وجه كانهم قالوا ايكون لنا خلق على
وجه انكار الاله بالكلية قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه قوله ونعلم خبر مبتدا مضمر تقديره ونحن نعلم
والجملة الاسمية حينئذ حال ولا يجوز ان يكون هو حالا بنفسه لانه مضارع مثبت
باشرته الواو وكذلك قوله ونحن اقرب فصل اذا قلنا بان الخلق الاول
هو خلق السموات فهذا ابتدا استدلال بخلق الانسان وان قلنا بان الخلق الاول
هو خلق الانسان فهذا تتميم للاستدلال ببيان خلق الانسان اول مرة
وقوله ونعلم ما توسوس به نفسه اي يحدث به قلبه ولا يخفى عليه سرايره
وضمايره ونحن اقرب اليه اي اعلم به من حبل الوريد لان ابعاضه يحجب بعضها
بعضا ولا يحجب علم الله شي وهذا بيان لكمال علمه قوله من حبل
الوريد كقولهم مسجد الجامع اي حبل العرق الوريد او لان الحبل اعم فاضيف للبيان
نحو بعير سانية او يراد حبل العاتق فاضيف الى الوريد كما يضاف الى العاتق
لانهما في عضو واحد • قال البغوي حبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم
والعلباوين يتفرق في البدن والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف
اللفظين • والوريد اما بمعنى الوارد واما بمعنى المورود والوريد عرق كبير
في العنق يقال انهما وريدان • قال الزمخشري عرقان مكتنفان بصفحتي العنق
في مقدمها يتصلان بالوتين يردان من الراس اليه يسمى وريدا لان الروح ترد
اليه وانشد • كان وريديه رشا خلب • وقال الاثرم هو نهر الجسد هو
في القلب الوتين • وفي الظهر الابهر • وفي الذراع والفخذ الاكحل والنسا وفي الخنصر
الاسلم قوله اذ يتلقى ظرف لاقرب ويجوز ان يكون منصوبا باذكر
والمعنى اذ يتلقى وياخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه يحفظانه
ويكتبانه قوله عن اليمين وعن الشمال اي احدهما عن يمينه والاخر عن
شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيات
وقوله قعيد اي قاعد فيجوز ان يكون مفردا على بابه فيكون بمعنى مفاعل كخليط
بمعنى مخالط وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
المخالط لاجزايه الداخل في اعضايه والملك متنح عنه فيكون علمنا به اكمل من علم
الكاتب • او يكون عدل من فاعل الى فعيل مبالغة كعليم • وجوز الكوفيون ان يكون
فعيل واقع موقع الاثنين اراد قعودا كالرسول يجعل للاثنين والجمع كما قال

تعالى في الاثنين فقولا انا رسول رب العالمين • وقال المبرد الاصل عن اليمين
قعيد وعن الشمال فاخر عن موضعه وهذا لا يخفى من وقوع المفرد موقع المثنى
والاجود ان يدعى حذف اما من الاول اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد
واما من الثاني فيكون قعيد الملفوظ به للاول • ومثله قوله ؎
رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ؎ ومن اجل الطوي رماني ؎
قال المفسرون اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد
القايم • وقال مجاهد القعيد الرصد قوله ما يلفظ من قول الا ما يتكلم
من كلام فيلفظه اي يرميه من فيه الا لديه رقيب حافظ عتيد حاضر • وقرا
العامة يلفظ بكسر الفا • ومحمد بن ابي معدان بفتحها ورقيب عتيد قيل
هو بمعنى رقيبان عتيدان انهما ملكان • قال الحسن ان الملايكة يجتنبون
الانسان على حالتين عند غايطه وعند جماعه • قال مجاهد يكتبان عليه
حتى انينه في مرضه • وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يوجر عليه ويوزر فيه
وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن
يعجبه ان ينظف عنفقته • روى ابو امامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيات على يسار
الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب
اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع
ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله بالحق يجوز ان تكون الباء للحال
اي ملتبسة بالحق والمعنى بحقيقة الموت • ويجوز ان تكون للتعدية والمراد
بالحق الموت فانه حق كان شدة الموت تحضر الموت يقال جا فلان بكذا اي احضره
وقيل بالحق من امر الاخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان • وقيل بما
يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة • وقرا عبد الله سكرات
ويقال لمن جاته سكرة الموت ذلك ما كنت منه تحيد اي تميل من حاد عن الشي
يحيد حيودا وحيودة وحيدا • وقال الحسن تهرب • وقال ابن عباس تكره
واصل الحيد الميل يقال حدت عن الشي احيد حيدا ومحيدا اذا ملت عنه وذلك
يحتمل ان يكون اشارة الى الموت وان يكون اشارة الى الحق والخطاب قيل مع النبي
عليه الصلوة والسلام • قال ابن الخطيب وهو منكر • وقيل مع الكافر وهو اقرب
والاقوى ان يقال هو خطاب عام مع السامع قوله ونفخ في الصور عطف
على قوله وجات سكرة الموت يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد الذي وعده
الكفار ان يعذبهم فيه قال الزمخشري ذلك اشارة الى المصدر الذي هو قوله
ونفخ اي وقت ذلك النفخ يوم الوعيد • قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان
يوم لو كان منصوبا لكان ما ذكره ظاهرا • واما رفع يوم فيفيد ان ذلك نفس اليوم
والمصدر لا يكون نفس الزمان وانما يكون في الزمان فالاولى ان يقال ذلك
اشارة الى الزمان المفهوم من قوله نفخ لان الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان
فكانه تعالى قال ذلك الزمان يوم الوعيد والوعيد الذي اوعد به من الحشر
والمجازاة • وقال مقاتل الوعيد هو العذاب اي وقوع الوعيد قوله وجات
كل نفس معها سايق وشهيد قيل السايق هو الذي يسوقه الى الموقف ومنه
الى مقعده والشهيد هو الكاتب والسايق لازم للبر والفاجر اما البر فيساق
الى الجنة واما الفاجر فالى النار • قال تعالى وسيق الذين كفروا • وقال وسيق
الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها بما عملت قال الضحاك السايق من الملايكة
والشاهد من انفسهم الايدي والارجل وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقيل
هما جميعا من الملايكة قوله معها سايق جملة في موضع جر صفة لنفس او في موضع
رفع صفة لكل او في موضع نصب حالا من كل والعامة على عدم الادغام في معها

وطلحة

وطلحة على الادغام محّا بحا مشددة وذلك انه ادغم العين في الها ولا يمكن ذلك
فقلب الحا حا لا ثم ادغم فيها العين فقلبها حا ومنه ذهب محّم اي معهم • وقال
الزمخشري ومحل معها سايق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو
في حكم المعرفة • واعترض عليه ابو حيان وقال لا يقول هذا مبتدي في النحو لانه لو نعت
كل نفس ما نعت الا بالنكرة • قال شهاب الدين وهذا منه غير مرضي اذ يعلم انه
لم يرد حقيقة ما قاله قوله لقد كنت اي يقال له لقد كنت والقول اما
صفة او حال • والعامة على فتح التا في كنت والكاف في غطاك وبصرك حملا على
لفظ كل من التذكير والجحدري كنت بالكسر مخاطبة للنفس وهو وطلحة بن مصرف
في الكاف من غطاك فبصرك بالكسر مراعاة للنفس ايضا ولم ينقل صاحب اللوامح الكسر
في الكاف عن الجحدري وعلى الجملة فيكون قد راعى اللفظ مرة والمعنى اخرى ؎ ؎
فصل والمعنى لقد كنت في غفلة من هذا اليوم فكشفنا عنك غطاك الذي
كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر ما كنت
تنكر في الدنيا • وقال مجاهد يعني نظرك الى لسان ميزانك حين يوزن حسناتك
وسياتك • والمعنى ازلنا غفلتك عنك فبصرك اليوم حديد وكان من قبل كليلا
قوله وقال قرينه هذا ما لدي عتيد • قيل المراد بالقرين الملك الموكل به وهو
القعيد والشهيد الذي سبق ذكره هذا ما لدي عتيد يريد كتاب اعماله معد
محضر • وقيل المراد بالقرين الشيطان الذي زين له الكفر والعصيان بدليل قوله تعالى
وقيضنا لهم قرنا وقال نقيض له شيطانا فهو له قرين • وقال تعالى فبيس القرين
فالاشارة بهذا الى المسوق المرتكب للفجور والفسوق والعتيد معناه المعتد
للناس ومعناه ان الشيطان يقول هذا العاصي شي هو عندي معتد لجهنم
اعتدته لها بالاغوا والاضلال قوله ما لدي عتيد يجوز ان تكون ما نكرة
موصوفة وعتيد صفتها ولدي متعلق بعتيد اي هذا شي عتيد لدي اي حاضر
عندي • ويجوز على هذا ان يكون لدي وصفا لما وعتيد صفة ثانية او خبر
مبتدا محذوف اي هو عتيد • ويجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي ولدي
صلتها وعتيد خبر الموصول والموصول وصلته خبر الاشارة • ويجوز ان تكون
ما بدلا من هذا موصولة كانت او موصوفة بلدي وعتيد خبر هذا • وجوز الزمخشري
في عتيد ان تكون بدلا او خبرا بعد خبر او خبر مبتدا محذوف • والعامة على رفعه
وعبد الله نصبه حالا • والاجود حينيذ ان تكون ما موصولة لانها معرفة والمعرفة
تكثر مجي الحال منها • قال ابو البقا ولو جاء ذلك في غير القران لجاز نصبه على الحال
كانه لم يطلع عليها قراة قوله القيا في جهنم اختلفوا اهل المامور واحدا او اثنان
فقيل واحد وانما ولي بضمير الاثنين دلالة على تكرير الفعل كانه قيل الق الق
وقيل اراد القين بالنون الخفيفة فابدلها الفا اجرا للوصل مجرى الوقف • ويؤيده
قراة الحسن القين بالنون • وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تاكيدا
كقوله ؎ فان تزجراني يا ابن عفان انزجر ؎ وان تدعاني احم عرضا ممنعا ؎
وتقول العرب ويحك ارحلاها وازجراها وحداها للواحد • قال الفرا واصل ذلك
ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه وسفره اثنان فجرى كلام الواحد على صاحبه
ومنه قولهم في الشعر ؎
؎ فقلت لصاحبي لا تحبسانا ؎ بنزع اصوله واجتز شيحا ؎
وقيل المامور مثنى وهذا هو الحق لان المراد ملكان يفعلان ذلك • قال الزجاج
هذا امر للسايق والشهيد • وقيل للمتلقيين قوله كل كفار عنيد الكفار
يحتمل ان يكون من الكفر فيكون بمعنى شديد الكفر لان التشديد في اللفظ يدل
على شدة في المعنى • ويحتمل ان يكون من الكفران فهو المنكر نعم الله مع كثرتها
والعنيد فعيل بمعنى فاعل من عند عنودا ومنه العناد والمعنى هاهنا معرض عن الحق

قال عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله **قوله** مناع للخير اي كثير المنع
للمال والواجب من الزكاة وكل حق واجب في ماله هذا اذا قلنا ان الكفار هو
المنكر نعم الله وان قلنا من الكفر فهو الذي انكر دلايل وحدانية الله تعالى
مع قوتها وظهورها فكان شديد الكفر عنيدا حيث انكر الحق الواضح فهو مناع
شديد المنع من الايمان فهو مناع للخير وهو الايمان الذي هو خير محض كانه
يقول كفر بالله ولم يقنع بكفره حتى منع الخير من الغير **قوله** معتد فان فسرنا
المناع بمانع الزكاة فمعناه لم يود الواجب وتعدى ذلك حتى اخذ الحرام
ايضا بالربا كما كان عادة المشركين وان كان المناع بمعنى منع الايمان فكانه
يقول منع الايمان ولم يقنع به حتى تعداه واهان من امن واذاه واعان من
كفر واواه قال المفسرون هو الظالم الذي لا يقر بتوحيد الله وقوله مريب
اي شاك في التوحيد ومعناه داخل في الريب وقيل موقع للغير في الريب بالقاء
الشبه وان قيل بان المناع مناع الزكاة فمعناه لا يعطي الزكاة لانه في ريب من
الاخرة والثواب قال ابن الخطيب وفيه ترتيب اخر وهو ان يقال هذا بيان
احوال الكافر بالنسبة الى الله والى الرسول والى اليوم الاخر فقوله كفار عنيد
اشارة الى حاله مع الله يكفر به ويعاند اياته وقوله مناع للخير معتد اشارة
الى حاله مع الرسول يمنع الناس من اتباعه ومن الانفاق على من عنده ويتعدى
بالايذا وقوله مريب اشارة الى حاله بالنسبة الى اليوم الاخر اي يرتاب فيه ولا
يظن ان الساعة قايمة فان قيل قوله تعالى القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع
للخير الى اخر ذلك يوجب ان يكون الالقا خاصا بمن اجتمع فيه هذه الصفات
باسرها والكفر وحده كاف في اثبات الالقا في جهنم فالجواب ان قوله كل
كفار عنيد ليس المراد منه الوصف المميز كما يقال اعط العالم الزاهد بل المراد
الوصف المبين لكون الموصوف موصوفا به اما على سبيل المدح او على سبيل الذم
كقولك هذا حاتم السخي فقوله كل كفار عنيد معناه ان الكفر عنيد ومناع للخير
لان ايات الوحدانية ظاهرة ونعم الله على عباده وافرة وهو مع ذلك عنيد
ومناع للخير لانه يمدح دينه ويذم دين الحق فهو ممنع ومريب لانه يرتاب
في الحشر وكل كافر فهو موصوف بهذه الصفات **قوله** الذي جعل يجوز ان يكون
منصوبا على الذم او على البدل من كل وان يكون مجرورا بدلا من كفار او مرفوعا
بالابتدا والخبر فالقياه قيل ودخلت الفا لشبهه بالشرط ويجوز ان يكون
خبر مبتدا مضمر اي هو الذي جعل ويكون فالقياه تاكيدا وجوز ابن عطية ان
يكون صفة لكفار قال من حيث يختص كفار بالاوصاف المذكوره فجاز وصفه بهذه
المعرفة وهذا مردود وقرئ بفتح التنوين في مريب فرارا من توالي اربع متحركات
قوله قال قرينه جاءت هذه بلا واو لانها قصد بها الاستيناف
كان الكافر قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف التي قبلها
فانها عطفت على ما قبلها للدلالة على الجمع بين معناها وبين ما قبلها في الحصول
اعني مجي كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال قال ابن الخطيب جاءت هذه بلا
واو وفي الاولى بالواو العاطفة لان في الاولى اشارة الى معنيين مجتمعين
فان كل نفس في ذلك الوقت تجي ومعها سايق وشهيد فنقول الشهيد ذلك
القول وفي الثاني لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى يذكر بالواو فان القا
قوله فالقياه في العذاب لا يناسب قول قرينه ربنا ما اطغيته فليس هناك
مناسبة مقتضية للعطف بالواو **فصل** هذا جواب لكلام مقدر
فان الكافر حين ما يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان
ربنا ما اطغيته بدليل قوله تعالى لا تختصموا لدي لان المخاصمة تستدعي كلاما
من الجانبين ونظيره قوله تعالى في سورة ص قالوا بل انتم لا مرحبا بكم الاية ولانه

لحق

لحق تخاصم اهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على ان المراد بالقرين في الاية
المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد وعلى هذا فيكون
قوله ربنا ما اطغيته مناقضا لقوله اعتدته قال ابن الخطيب وللزمخشري
ان يجيب بوجهين احدهما ان يقول ان قول الشيطان اعتدته بمعنى زينته
له الثاني ان تكون الاشارة الى حالتين ففي الحالة الاولى انا فعلت به ذلك
اظهارا للانتقام من بني ادم تصحيحا لقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين
ثم اذا راي العذاب وهو معه مشترك يقول ربنا ما اطغيته فيرجع
عن مقاله عند ظهور العذاب وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل
المراد بالقرين هنا الملك اي يقول الكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة
فيقول الملك ربنا ما اطغيته يعني ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال
وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق فان قيل
القايل هنا واحد وقال ربنا ولم يقل رب وفي كثير من المواضع القايل
واحد وقال رب كقوله رب ارني وقال نوح رب اغفر لي رب لا تذر
على الارض رب السجن احب الي رب ابن لي عندك بيتا رب انظرني
فالجواب ان في جميع تلك المواضع القايل طالب ولا يحسن ان يقول الطالب
يا رب اعطني وانما يحسن ان يقول اعطنا لان كونه رب لا يناسب تخصيص
الطالب واما هاهنا فالموضع موضع هيبة وعظمة وعرض حال فقال
ربنا ما اطغيته فان قيل ما الوجه انضاف الضلال بالبعد فالجواب
ان الضلال يكون اكثره ضلالا عن الطريق فاذا تمادى في الضلال وبقي
فيه مدة يبعد عن المقصد كثيرا فاذا عدم الضلال قصرت الطريق عن
قريب فلا يبعد عن المقصد كثيرا فقوله ضلال وصف للمصدر بما يوصف
به الفاعل كما يقال كلام صادق وعيشة راضية اي وضلال ذو بعد
والضلال اذا بعد مداه وامتد الضلال فيه فيصير بينا ويظهر الضلال
لان من حاد عن الطريق وبعد عنه يبعد عليه الصواب ولا يرى للمقصد
اثرا فيتبين له انه ضل عن الطريق وربما يقع في اودية ومفاوز يظهر
له امارات الضلال بخلاف من حاد قليلا فالضلال وصفه الله بالوصفين
في كثير من المواضع فتارة قال في ضلال مبين واخرى في ضلال بعيد
فان قيل كيف قال ما اطغيته مع انه قال لاغوينهم اجمعين فالجواب
من ثلاثة اوجه تقدم منها وجهان في الاعتذار عما قاله الزمخشري
والثالث ان المراد من قوله لاغوينهم اي لادعونهم على الغواية كما ان
الضال اذا قال له شخص انت على الجادة فلا يتركها يقال انه يضله كذا
هنا فقوله ما اطغيته اي ما كان ابتدا الاطغا مني **قوله** لا تختصموا
لدي استيناف ايضا كان قايلا قال فماذا قال الله له فاجيب بقال لا تختصموا وقوله
لدي يفيد مفهومه ان الاختصام كان ينبغي ان يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي
قوله وقد قدمت جملة حالية ولا بد من تاويلها وذلك ان النهي في الاخرة وتقدم
الوعيد في الدنيا فاختلف الزمانان فكيف يصح جعلها حالية وتاويلها هو ان المعنى
وقد صح ان قدمت وزمان الصحة وزمان النهي واحد وقدمت يجوز ان يكون
بمعنى تقدمت فيكون الباء للحال ولا بد من حذف مضاف اي وقد تقدم قولي لكم
ملتبسا بالوعيد ويجوز ان يكون قدمت على حاله متعديا والباء مزيدة في المفعول
اي قدمت اليكم الوعيد كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من قال انها زايدة هناك
وقيل الباء هنا للمصاحبة كقولك اشتريت الفرس بلجامه وسرجه اي معه فكانه
تعالى قال قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه والانذار **قوله** ما يبدل
القول لدي اي لا يبدل بل الفعل وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين

وقيل المعنى ما يبدل القول لدي اي ما يكون عندي ولا يغير القول من
وجهه لاني اعلم الغيب وهذا قول الكلبي ومقاتل واختيار الفراء لانه
قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي • وقيل معناه لا يبدل
القول السابق ان هذا شقي وهذا سعيد حين خلقت العباد فذلك القول
عندي لا تبديل له بسعي ساع وهذا رد على المرجئة حيث قالوا ما ورد في القرآن
من الوعيد فهو تخويف لا تحقيق الله منه شيئا وقالوا الكريم اذا اوعد بخير
وفا واذا اوعد اخلف وعفى • وقيل المعنى ما يبدل الكفر بالايمان لدي
فان الايمان عند القيام بين يدي الله في القيامة غير مقبول فقوله ما
يبدل القول لدي اشارة الى نفي الحال كانه قال ما يبدل اليوم لدي
القول لان ما اذا دخلت على الفعل المضارع بنفي بها الحال تقول ما ذا يفعل
زيد في بيته فيقال ما يفعل شيئا اذا اريد زيادة بيان النفي قوله وما
انا بظلام للعبيد اي فاعاقبكم بغير جرم • واعلم ان الظلام مبالغة في الظالم
ويلزم من اثباته اثبات اصل الظلم فاذا قال القايل هو كذاب يلزم ان يكون
كثير الكذب ولا يلزم من نفيه نفي اصل الكذب لجواز ان يقال ليس بكذاب
كثير الكذب لكنه يكذب احيانا فقوله ما انا بظلام يفهم منه نفي اصل الظلم
وان الله ليس بظالم فالوجه في ذلك من وجوه • الاول ان الظلام بمعنى
الظالم كالتمار بمعنى التامر فيكون اللام في قوله للعبيد لتحقيق النسبة
لان الفعال حينئذ بمعنى ذي ظلم • الثاني قال الزمخشري في ذلك امر
تقديري كانه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة
لكان ذلك غاية الظلم وما انا بذلك فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه
ظالما وتحقيق هذا الوجه اظهار لفظ العبيد حيث قال وما انا بظلام
للعبيد ان في ذلك اليوم الذي املا فيه جهنم مع سعتها حتى تصيح
وتقول لم يبق لي طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام
استكثار • الثالث انه لمقابلة الجمع بالجمع والمعنى ان ذلك اليوم مع اني
في جهنم عددا لا احصر له لا اكون بسبب كثرة التعذيب كثير الظلم
لانه قال وما انا بظلام للعبيد يوم نقول ولم يقل ما انا بظلام في جميع
الازمان وخصص بالعبيد حيث قال ما انا بظلام للعبيد ولم يطلق
كذلك خصص النفي بنوع من انواع الظلم ولم يطلق ولم يلزم منه ان
يكون ذلك ظالما في غير ذلك الوقت وبقية الاجوبة مذكورة في آل عمران
عند قوله بظلام للعبيد كداب آل فرعون فصل هذه الاية
تدل على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفى كونه ظلاما
ولم يلزم منه كونه ظالما ونفى كونه ظالما للعبيد ولم يلزم منه كونه ظالما
لغيرهم فصل يحتمل ان يكون المراد بالعبيد الكفار كقوله تعالى يا حسرة
على العباد ما ياتيهم من رسول الاية • والمعنى اعذبهم وما انا بظلام لهم
ويحتمل ان يكون المراد منه المؤمنين • والمعنى ان الله تعالى يقول لو بدلت قولي
ورحمت الكافر لكنت في تكليف العباد ظالما لعبادي المؤمنين لاني منعتهم
من الشهوات لاجل هذا اليوم فلو كان ينال من لم يات بما اتى به المؤمن
ما يناله المؤمن لكان اتيان المؤمن بما اتى به من الايمان والعبادة غير نافع
وهذا معنى قوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقوله هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون • ويحتمل ان يكون المراد التعميم قوله
يوم نقول يوم منصوب اما بظلام ولا مفهوم لهذا لانه اذا لم يظلم في
هذا اليوم فنفي الظلم عنه في غيره احرى او بقوله ونفخ في الصور والاشارة
بذلك الى يوم نقول قاله الزمخشري واستبعده ابو حيان لكثرة الفواصل

او باذكر

او باذكر مقدرا او بانذر وهو على هذين الاخيرين مفعول به لا ظرف
وقرا نافع وابو بكر نقول لجهنم بيا الغيبة الفاعل الله لتقدم ذكره في قوله
مع الله وقوله لا تختصموا والباقون بنون المتكلم المعظم نفسه لتقدم
ذكره في قوله لدي وقد قدمت والاعمش يقال مبنيا للمفعول • وقوله هل
امتلات وذلك لما سبق من وعده اياها انه يملاها من الجنة والناس
وهذا السوال من الله عز وجل لتصديق خبره وتحقيق وعده قوله
هل من مزيد سوال تعبير وتوقيف • وقيل معناه النفي • وقيل السوال
لخزنتها والجواب منهم فلا بد من حذف مضاف اي نقول لخزنة جهنم ويقولون
ثم حذف والمزيد يجوز ان يكون مصدرا اي هل من زيادة وان يكون اسم
مفعول اي من شيء تزيدونيه احرقه فصل قال المفسرون معنى قوله
هل من مزيد اي قد امتلات ولم يبق في موضع لم يمتلي فهو استفهام انكار
بمعنى الاستزاده رواه ابو صالح عن ابن عباس وعلى هذا يكون السوال
وهو قوله قد امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها • وروي عن ابن عباس
ان الله سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق
اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملاها فيقول الست
قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها ثم يقول قد امتلات فتقول
قط قط قد امتلات قبل دخول جميع اهلها فيها • وروي عن ابن عباس ان
الله سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق
اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملاها فيقول الست
قد اقسمت لتملاني فيضع قدمه عليها ثم تقول هل امتلات فتقول قط قط
قد امتلات وليس في من مزيد قوله وازلفت الجنة قربت وادنيت وقوله
غير بعيد يجوز ان يكون حالا من الجنة ولم يؤنث لانها بمعنى البستان او
لان فعيلا لا يؤنث لانه بزنة المصادر قاله الزمخشري وتبعه ابو حيان
وقد تقدم في قوله ان رحمة الله قريب • ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف
المكاني اي مكانا غير بعيد • ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي ازلافا غير
بعيد وهو ظاهر عبارة الزمخشري فانه قال او شيئا غير بعيد • فان قيل
ما وجه التقريب مع ان الجنة مكان والامكنة تقرب منها وهي لا تقرب
فالجواب من وجوه الاول ان الجنة لا تزال ولا يومر المومن في ذلك اليوم
بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوي المسافة التي بين المومن
والجنة فهو التقريب • فان قيل فعلى هذا ليس ازلاف الجنة من المومن اولى
من ازلاف المومن من الجنة فما فائدة قوله وازلفت الجنة للمتقين • فالجواب
ان ذلك اكرام للمومن وبيان لشرفه وانه ممن يمشى اليه • الثاني قربت
من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني • الثالث ان الله تعالى قادر
على نقل الجنة من السما الى الارض فيقربها للمومن ويحتمل ايضا ازلفت بمعنى
جمعت محاسنها لانها مخلوقة واما بمعنى قرب الحصول لها لانها تنال
بكلمة وحسنة وخص المتقين بذلك لانهم احق بها قوله هذا ما توعدون
هذه الجملة يجوز فيها وجهان • احدهما ان يكون معترضة بين البدل والمبدل
منه وذلك ان لكل اواب بدل من للمتقين باعادة العامل • والثاني ان يكون
منصوبة بقول مضمر ذلك القول منصوب على الحال اي مقولا لهم وقد تقدم
في قراءة توعدون بالياء والتاء ونسب ابو حيان قراءة الياء من تحت
هنا لابن كثير وابي عمرو وانما هو عن ابن كثير وحده فصل والاواب
الرجاع قيل هو الذي يرجع عن الذنوب الى الاستغفار والطاعة • قال
سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب • وقال

الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها • وقال
ابن عباس وعطا هو المسبح من قوله يا جبال اوبي معه • وقال قتادة
هو المطيع والحفيظ هو الذي يحفظ توبته من النقض • وقال ابن عباس
هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها • وعن ابن عباس
ايضا الحفيظ لامر الله • وقال قتادة الحفيظ لما استودعه الله
من حقه • والاواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة ان يكون
كثير الاوب شديد الحفظ **قوله** من خشي يجوز ان يكون مجرور المحل
بدلا او بيانا لكل انتهى يعني انه بدل من كل لا بعد ان ابدلت لكل من
المتقين ولم يجعله بدلا اخر من نفس المتقين لانه لا يتكرر البدل
والمبدل منه واحد • ويجوز ان يكون بدلا من موصوف اواب وحفيظ
قاله الزمخشري يعني ان الاصل لكل شخص اواب فيكون من خشي بدلا
من شخص المقدر قال ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان
من لا يوصف بها لا يقال الرجل من جاني جالس كما يقال الرجل الذي
جاني جالس والفرق بينهما يأتي في الفصل بعده ولا يوصف من بين
الموصولات الا بالذي يعني بقوله في حكم اواب ان يجعل من صفة
وهذا كما قال ما يجوز الا ان ابا حيان استدرك عليه الحصر وقال
بل يوصف بغير الذي من الموصولات كوصفهم بما فيه ال الموصولة
نحو الضارب والمضروب وكوصفهم بذو وذات الطائيين نحو قولهم
بالفضل ذو فضلكم به والكرامة ذات اكرمكم الله به • وقد جوز ابن
عطية في من خشي ان يكون نعتا لما تقدم وهو مردود بما تقدم • ويجوز
ان يرتفع من خشي على خبر ابتدا مضمر او ينصب بفعل مضمر وكلاهما على
القطع المشعر بالمدح وان يكون مبتدا خبره قول مضمر ناصب لقوله
ادخلوها اي من خشي الرحمن يقال لهم ادخلوها وجمع اولا ثم وحد في
الثاني على المعنى • وقيل من خشي منادى حذفت منه حرف النداء اي
يا من خشي ادخلوها باعتبار الجملتين المتقدمتين وحذف حرف
النداء سايغ وان تكون شرطية وجوابها محذوف وهو ذلك القول
ولكن زد معه فا اي فيقال لهم • وبالغيب حال اي غايبا عنه
فيحتمل ان يكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما • وقيل الباء للسببية
اي خشية بسبب الغيب الذي اوعده من عذابه • ويجوز ان يكون
لصدر خشي اي خشية خشية ملتبسة بالغيب **فصل** قال
ابن الخطيب اذا كان من والذي يشتركان في كونهما من الموصولات
فلماذا لا يشتركان في جواز الوصف بهما فنقول ما اسم مبهم يقع على
كل شي فمفهومه هو شي لكن الشي هو اعم الاشيا فان الجوهر هو شي والعرض
شي والواجب شي والممكن شي والاعم قبل الاخص في الفهم لانك اذا
رايت شيا من البعد تقول اولا انه شي ثم اذا ظهر لك منه ما يختص
بالناس تقول انسان فاذا بان لك انه ذكر قلت انه رجل فاذا وجدته
ذا قوة تقول شجاع الى غير ذلك فالاعم اعرف وهو قبل الاخص في الفهم
فيجوز ان يكون صفة لان الصفة بعد الموصوف هذا من حيث المعقول
واما من حيث النحو فلان الحقايق لا يوصف بها فلا يقال جسم رجل
جاني كما يقال جسم ناطق جاني لان الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة
تقوم بنفسها لا بغيرها فقولنا عالم الذي يجي له علم **فصل** والخشية
والخوف معناهما واحد عند اهل اللغة لكن بينهما فرق وهو ان الخشية
خوف من عظمة المخشي لان تركيب حروف ش ي خ في تقاليبها يلزمه معنى
الهيبة



الهيبة يقال شيخ للسيد وللرجل الكبير السن وهما جميعا مهيبان
والخوف خشية من ضعف الخاشي لان تركيب خ و ف في تقاليبها يدل على
الضعف ويدل على ذلك انه حيث كان الخوف من عظمة المخشي قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلما • وقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله • وقال هم من خشية ربهم مشفقون
مع ان الملايكة والجبل اقويا • وحيث كان الخوف من ضعف الخاشي سماه خوفا
قال تعالى لا تخافوا ولا تحزنوا بسبب مكروه يلحقكم في الاخرة • وقال تعالى
خايفا يترقب • وقال اني اخاف ان يقتلون لوحده وضعفه هذا في
اكثر الاستعمال وربما يتخلف **فصل** معنى الاية من خاف الرحمن
فاطاعه بالغيب ولم يره • وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث
لا يراه احد قال الحسن اذا ارخي الستر واغلق الباب • وقلب منيب
هذه صفة مدح لان شان الخايف ان يهرب فاما المتقي فجاء ربه لعلمه
انه لا ينجي الفرار منه • وقوله منيب اي مخلص مقبل على طاعة الله تعالى
والبا في بقلب اما للتعدية واما للمصاحبة واما للسببية والقلب المنيب
كالقلب السليم في قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي سليم من الشرك **قوله**
ادخلوها بسلام الجار والمجرور حال من فاعل ادخلوها اي سالمين من الافات
في حال مقارنة او مسلما عليكم فهي حال مقدرة كقوله فادخلوها خالدين
كذا قيل وفيه نظر اذ لا مانع من مقارنة تسليم الملايكة عليهم حال الدخول
بخلاف فادخلوها فانه لا يعقل الخلود الا بعد الدخول والضمير في ادخلوها
عايد الى الجنة اي ادخلوا الجنة بسلامة من العذاب والهموم • وقيل بسلام من
الله وملايكته عليهم **قوله** ذلك يوم الخلود • قال ابو البقا اي زمن ذلك
يوم الخلود كانه جعل ذلك اشارة الى ما تقدم من انعام الله عليهم بما ذكر
وقيل ذلك مشار به لما بعده من الزمان كقولك هذا زيد • قال الزمخشري
في قوله يوم الخلود اضمار تقديره ذلك يوم تقدير الخلود • ويحتمل ان يقال
اليوم يذكر ويراد به الزمان المطلق سوا كان يوما او ليلا يقول يوم يولد
له ولد يكون السرور العظيم ولو ولد له بالليل لكان السرور حاصلا فالمراد
به الزمان فكانه تعالى قال ذلك زمان الاقامة الدايمة • فان قيل المومن
قد علم انه اذا دخل الجنة خلد فيها فما فايدة القول • فالجواب من وجهين
الاول ان قوله ذلك يوم الخلود قول قاله الله في الدنيا اعلاما واخبارا وليس
ذلك قولا يقوله عند قوله ادخلوها فكانه تعالى اخبر في يومنا ان ذلك اليوم
يوم الخلود • الثاني ان اطمينان القلب بالقول اكثر **قوله** لهم ما يشاوون
فيها • يجوز ان يتعلق فيها بيشاوون • ويجوز ان يكون حالا من الموصول
او من عايده والاول اولى **فصل** ما الحكمة في انه تعالى قال ادخلوها
بسلام على المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم • فالجواب من وجوه • الاول
ان قوله تعالى ادخلوها بسلام فيه مقدر اي فيقال لهم ادخلوها فلا يكون
التفاتا • الثاني انه التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كانه تعالى يقول
غير محالهم في غيبتهم وحضورهم ففي حضورهم الحبور وفي غيبتهم الحور
والقصور • الثالث انه يجوز ان يكون قوله تعالى لهم كلاما مع الملايكة يقول
للملايكة توكلوا بخدمتهم واعلموا ان لهم ما يشاوون فاحضروا بين ايديهم
ما يشاوون • واما انا فعندي ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون انتم عليه
والمزيد يحتمل ان يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى
وزيادة • ويحتمل ان يكون بمعنى المفعول اي عندنا ما نزيده على ما يرجون
ويؤملون قال انس وجابر هو النظر الى وجه الله الكريم **قوله تعالى**

وكم اهلكنا نصب بما بعده وقدم اما لانه استفهام واما لان كم الخبرية تجري
مجرى الاستفهامية في التصدير ومن قرن تمييز وهم اشد صفة اما لكم واما
لقرن قوله فنقبوا الفا عاطفة على المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا والضمير
في نقبوا اما للقرون المتقدمة وهو الظاهر واما لقريش ويؤيده قراءة ابن عباس
وابن يعمر وابي العالية ونصر بن يسار وابي حياة والاصمعي عن ابي عمرو فنقبوا
بكسر القاف امر للمصير بذلك والتنقيب التنقير والتفتيش ومعناه التطواف
في البلاد قال الحرث بن حلزة

نقبوا في البلاد من حذر الموت ❊ وجالوا في الارض كل مجال ❊

وقال امرؤ القيس

وقد نقبت في الافاق حتى ❊ رضيت من الغنيمة بالاياب ❊

وقرا ابن عباس وابو عمرو ايضا في رواية نقبوا بفتح القاف خفيفة ومعناها ما تقدم
وقرئ نقبوا بكسرها خفيفة اي نقبت اقدامهم واقدام ابلهم ودميت فحذف المضاف
وذلك لكثرة تطوافهم قوله هل من محيص مبتدا وخبره مضمر تقديره هل لمن
سلك طريقتهم او هل لهم من محيص وهذه الجملة تحتمل ان تكون على اضمار قول وان لا
يكون فصل المعنى فنقبوا اي ضربوا وسافروا وتقلبوا وطافوا واصله
من النقب وهو الطريق كانهم سلكوا كل طريق فلم يجدوا محيصا من امر الله وعلى
هذا فالمراد بهم اهل مكة اي ساروا في الاسفار وراوا ما بها من الاثار فلم يجدوا
ملجا ولا مهربا ❊ وقيل المعنى ساروا نقبا في الارض اي ما افادهم بطشهم وقوتهم
لان الفا تدل على ترتيب الامر على مقتضاه تقول كان زيد اقوى من عمرو فغلبه
والمعنى كانوا اشد منهم بطشا فصاروا نقبا في الارض وهم قوم ثمود الذين جابوا
الصخر بالواد اي من قوتهم خرقوا الطرق ونقبوها وقطعوا الصخور ❊ وقيل هل
من محيص مفر من الموت فلم يجدوا وهذا جمع بين الانذار بالعذاب العاجل والعقاب
الاجل لانه انذرهم بما يعجل لهم من العذاب المهلك والاهلاك المدرك وهذا
انذار لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم ❊ فان قيل اذا كان للجمع بين الانذار بالعذاب
العاجل والعقاب الاجل لانه انذرهم بما يعجل لهم من العذاب المهلك فلم توسطها
قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين ❊ فالجواب ليكون ذلك ردعا بالخوف
والطمع فذكر حال الكفور وحال الشكور ترهيبا وترغيبا ❊ فان قيل فلم لم
يجمع بين الترهيب والترغيب في العاجلة كما جمع بينهما في الاجلة ولم يذكر
حال من اسلم من قبل وانعم عليه كما ذكر حال من اشرك به فاهلكه ❊ فالجواب
ان النعمة كانت قد وصلت اليهم وكانوا متقلبين في النعم فلم يذكرهم به وانما
كانوا غافلين عن الهلاك فانذرهم به ❊ واما في الاخرة فكانوا غافلين عن الامرين
جميعا فاخبرهم بهما ❊ وقوله هل من محيص استفهام معنى الانكار اي لم يكن
لهم محيص ❊ وقيل هو كلام مستانف كانه تعالى يقول لقوم محمد عليه الصلوة
والسلام هم اهلكوا مع قوة بطشهم فهل من محيص لكم تعتمدون عليه ومن قرا
بالتشديد فهو معمول اي بحثوا عن المحيص هل من محيص والمحيص كالمحيد غير
ان المحيص معدل ومهرب عن الشدة بدليل قولهم وقعوا في حيص بيص اي
شدة وضيق والمحيد معدل وان كان بالاختيار يقال حاد عن الطريق
نظرا ولا يقال حاص عن الامر بطرا قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب اي تذكرة وعظة ذلك اشارة الى الاهلاك او الى ازلاف الجنة والذكرى مصدر
قال ابن عباس اي عقل قال الزجاج هذا جائز في العربية تقول ما لك قلب
ولا قلبك معك اي ما عقلك معك ❊ وقيل له قلب حاضر مع الله ❊ وقيل قلب
واعي وذلك ان من لا يتذكر كانه لا قلب له ❊ ومنه قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل اي هم كالجماد ❊ وقوله تعالى كانهم خشب مسندة اي لهم صور بلا

قلب

قلب ولا لسان للشكر قوله او القى السمع العامة على القى مبنيا للفاعل
والسلمي وطلحة والسدي وابو البرهسم القى مبنيا للمفعول السمع رفع
به وذكرت هذه القراءة لعاصم عن السدي فمقته وقال اليس يقول يلقون
السمع والقى السمع كناية عن الاستماع لان الذي لا يسمع كانه حفظ سمعه
فامسكه والمعنى استمع القران واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره
تقول العرب الق الي سمعك اي استمع او يكون معناه لمن كان له قلب فقصد
الاستماع او القى السمع بان ارسله وان لم يقصد السماع وهو شهيد حاضر
الذهن ويحتمل ان يقال الاشارة بذلك الى القران في اول السورة اي في القران
الذي سبق ذكره ذكرى لمن له قلب ولمن استمع ويكون معنى وهو شهيد
اي الجبار الذي نعته منه هو شهيد عليكم كقوله انا ارسلناك شاهدا
قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اعاد
الدليل مرة اخرى وقدم تفسيره في الم السجدة قيل ان هذا رد على اليهود
في قولهم ان الله سبحانه وتعالى استراح يوم السبت والظاهر انه رد على
المشركين اي لم يعي عن الخلق الاول فكيف يعجز عن الاعادة ❊ قال ابن
الخطيب واشار بقوله في ستة ايام الى ستة اطوار لان المراد من الايام
لا يمكن ان يكون هو المفهوم من وضع اللغة لان اليوم في اللغة عبارة عن
زمان مكث الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب ❊ وقبل خلق السموات
لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت يقال يوم يولد للملك
ابن يكون سرور عظيم ❊ ويوم يموت فلان يكون حزن شديد وان اتفقت
الولادة او الموت ليلا لا يتغير ذلك ويدخل في مراد القائل لانه اراد
باليوم مجرد الوقت قوله وما مسنا من لغوب يجوز ان يكون حالا
وان يكون مستانفا والعامة على ضم لام اللغوب وعلي وطلحة والسلمي
ويعقوب بفتحها وهما مصدران وينبغي ان يضم هذا الى ما حكاه سيبويه
من المصادر الجائية على هذا الوزن وهي خمسة والى ما زاده الكسائي وهو
الوزوع فيصير سبعة وقد تقدم هذا في البقرة عند قوله وقودها
واللغوب العنا والتعب قوله فاصبر على ما يقولون من كذبهم وقولهم
بالاستراحة او على قولهم ان هذا لشيء عجيب وهذا قبل الامر بقتالهم
وسبح بحمد ربك قيل هذا امر للنبي عليه الصلوة والسلام بالصلوة
كقوله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ❊ وقوله قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب اشارة الى طرفي النهار ❊ وقوله ومن الليل فسبحه
اشارة الى زلفا من الليل وتقريره انه عليه الصلوة والسلام كان
مشتغلا بامرين ❊ احدهما عبادة الله ❊ والثاني هداية الخلق فاذا
لم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الاخر وهو العبادة ❊ وقيل معنى سبح
بحمد ربك اي نزه عما يقولون ولا تسام من تذكيرهم بعظمة الله بل
نزه عن الشرك والعجز عن الممكن وهو الحشر قبل الطلوع وقبل الغروب
فانهما وقت اجتماعهم ويكون المراد بقوله ومن الليل اوله لانه ايضا
وقت اجتماعهم ❊ وقيل المعنى قل سبحان الله لان الفاظا جاءت بمعنى
التلفظ بكلامهم كقولهم كبر لمن قال الله اكبر ❊ وسلم لمن قال السلام عليكم
وحمد لمن قال الحمد لله ❊ وهلل لمن قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان
الله وذلك ان هذه امور تتكرر من الانسان في الكلام والحاجة تدعو
الى الاختصار ههنا فلو قال القائل فلان قال لا اله الا الله لطال الكلام
فدعت الحاجة الى استعمال لفظة واحدة مفيدة للكلام فقالوا هلل
بخلاف قولهم زيد في السوق فان من قال زيد في السوق واراد ان يخبر

عنه بذلك لا يجد لفظا واحدا مفيدا لذلك لعدم تكرره ومناسبة
هذا الوجه هي ان تكذيبهم وانكارهم يقتضي معاملتهم باللعن فقيل له
اصبر عليهم واجعل بدل الدعا عليهم التسبيح لله والحمد له ولا تكن لصاحب
الحوت او كنوح عليهما الصلوة والسلام حيث قال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا **فصل** وقد استعمل التسبيح مع البا ومع اللام
وبدونهما • فان قلنا المراد بالتسبيح الصلوة فيحتمل ان يكون المراد بحمد
ربك الامر بقراة الفاتحة كقولك صلى فلان بسورة كذا او كذا بعيد
وان قلنا المراد قل سبحان الله فالبا للمصاحبة وكذلك ان قلنا معناه
التنزيه اي نزهه واحمده حيث وفقك لتسبيحه فيكون المفعول
محذوفا للعلم به اي نزه الله بحمد ربك اي ملتبسا او مقترنا بحمد ربك
واما اللام فاما ان تكون من باب شكره ونصح واما ان يكون معناها
خالصا لله واما تعديته بنفسه فهو الاصل واعاد الامر بالتسبيح
اما تاكيدا واما ان يكون الاول بمعنى الصلوة • والثاني بمعنى التنزيه
والمذكور دخلت الفا لان المعنى واما من الليل فسبحه • ولما ذكر اوقات
الصلوة ذكر ادبار السجود لعموم الاوقات فيكون كقوله فاذا فرغت
فانصب • ومن اما لابتدا الغاية اي من اول الليل واما للتبعيض
فصل قال المفسرون قبل طلوع الشمس يعني صلاة الصبح
وقبل الغروب يعني العصر • وروي عن ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر
ومن الليل فسبحه يعني صلاة المغرب والعشا • وقال مجاهد ومن الليل
يعني صلوة الليل اي وقت صلى **قوله** وادبار السجود • قرا نافع وابن
كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر قام مقام ظرف الزمان
كقولهم اتيتك خفوق النجم وخلافة الحجاج ومعنى وقت ادبار الصلوة
اي انقضائها وتمامها • والباقون بالفتح جمع دبر وهو اخر الصلوة وعقبها
ومنه قول اوس •

على دبر الشهر الحرام فارضنا • وما حولها جدب سنون تلمع •

ولم يختلفوا في وادبار النجوم • وقوله وادبار معطوف اما على قبل الغروب
واما على ومن الليل **فصل** قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب
والحسن والشعبي والنخعي والاوزاعي ادبار السجود الركعتان قبل صلوة الفجر
وهي رواية العوفي عن ابن عباس • وروي عنه مرفوعا وهذا قول اكثر المفسرين
وقال مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان في ادبار الصلوات
المكتوبات • قال عليه الصلوة والسلام من سبح في دبر كل صلوة ثلاثا وثلاثين
وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال
تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي
قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر **قوله تعالى** واستمع
يوم هو استماع على بابه • وقيل بمعنى الانتظار وهو بعيد • فعلى الاول
يجوز ان يكون المفعول محذوفا اي استمع ندا المنادي وندا الكافر بالويل
والثبور • فعلى هذا يكون يوم ينادي ظرفا لاستمع اي استمع ذلك في يوم
وقيل استمع ما اقول لك فعلى هذا يكون يوم ينادي منصوب بيخرجون
مقدرا مدلولا عليه بقوله ذلك يوم الخروج • وعلى الثاني يكون يوم ينادي
مفعولا به اي انتظر ذلك اليوم • ووقف ابن كثير على ينادي بالياء والباقون
دون يا • ووجه اثباتها انه لا مقتضي لحذفها ووجه حذفها وقفا اتباع
الرسم وكان الوقف محل تخفيف • واما المنادي فاثبت ابن كثير ياءه
وصلا ووقفا • ونافع وابو عمرو باثباتها وصلا وحذفها وقفا والباقون
بحذفها

بحذفها وصلا ووقفا فمن اثبت فلانه الاصل ومن حذف فلاتباع الرسم
ومن خص الوقف بالحذف فلانه محل واحد ومحل تغيير **فصل**
في ما يستمع وجوه • الاول ان يكون مفعوله محذوفا وقد [illegible] والمقصود
كن مستمعا ولا تكن مثل هولا المعرضين الغافلين يقال هو رجل سميع
مطيع ولا يراد سموع بعينه • والثاني استمع ما يوحى اليك • والثالث
استمع ندا المنادي • فان قيل استمع عطف على فاصبر وسبح وهو في الدنيا
والاستماع يكون في الدنيا وما يوحى يوم المنادى لا يسمع في الدنيا والجواب
انه لا يلزم ذلك لجواز ان يقال صل وادخل الجنة اي صل في الدنيا
وادخل الجنة في العقبى فكذا ههنا • ويحتمل ان يكون استمع بمعنى انتظر
ويحتمل ان يكون المراد تاهب لهذه الصيحة لئلا يفجاك فيزعجك والمراد
بالمنادي اما الله تعالى بقوله احشروا الذين ظلموا او بقوله القيا في
جهنم • او بقوله اين شركائي • ويحتمل ان يكون المراد بالمنادي اسرافيل
كما قال مقاتل ينادي اسرافيل بالحشر يا ايتها العظام البالية والاوصال
المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركم ان
تجتمعوا لفصل القضا او يكون الندا للنفس يقال يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك او ينادي المنادي هولا للجنة وهولا للنار • ويحتمل ان
يكون المنادي هو المكلف لقوله ونادوا يا مالك والظاهر الاول
لان الكلام للعهد والتعريف والمعهود السابق القيا في جهنم وقوله
من مكان قريب اي لا يخفى على احد • وقيل من صخرة بيت المقدس وهي
وسط الارض • قال الكلبي هي اقرب الى السما بثمانية عشر ميلا **قوله**
يوم يسمعون بدل من يوم ينادي وبالحق حال من الصيحة اي ملتبسة
بالحق او من الفاعل اي يسمعون ملتبسين بسماع حق **قوله** ذلك
يوم الخروج • ويجوز ان يكون التقدير ذلك الوقت اي وقت الندا والسماع
يوم الخروج ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى الندا ويكون قد اتسع في
الظرف فاخبر به عن المصدر او يقدر مضاف اي ذلك الندا والاستماع
ندا يوم الخروج واستماعه واللام في الصيحة للتعريف لقوله ان كانت الا
صيحة واحدة • والمراد بالحق الحشر او اليقين يقال صاح فلان بيقين لا بظن
وتخمين اي وجد منه الصياح يقينا لا كالصدا وغيره • او يكون المراد المقترنة
بالحق يقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة اي مقرونا مصحوبا
وقيل بالحق قسم اي يسمعون الصيحة بالله والحق وهو ضعيف • وقوله
ذلك يوم الخروج اي من القبور **قوله** انا نحن نحيي ونميت تقدم
الكلام على قوله انا نحن في سورة يس واما قوله نحيي ونميت فالمراد من
الاحيا الاحيا اولا وقوله ونميت اشارة الى الموتة الاولى والينا المصير
بيان الحشر وهذا اشارة الى قدرته على الحشر **قوله** يوم تشقق
يوم يجوز ان يكون بدلا من يوم قبله • وقال ابو البقا انه بدل من يوم
الاول وفيه نظر من حيث تعدد البدل والمبدل منه واحد وقد تقدم
ان الزمخشري منعه • ويجوز ان يكون اليوم ظرفا للمصير اي يصيرون
الينا يوم تشقق الارض • وقيل ظرف للخروج • وقيل منصوب بيخرجون
مقدرا وتقدم الخلاف في تشقق في الفرقان • وقرا زيد بن علي تتشقق
بفك الادغام **قوله** سراعا حال من الضمير في عنهم والعامل فيها
تشقق وقيل عاملها هو العامل في يوم تشقق المقدر اي يخرجون
سراعا يوم تشقق لان قوله تعالى عنهم يفيد كونهم مفعولين بالتشقق
وكان المتشقق عدي بحرف الجر كما يقال كشفت عنه فهو مكشوف عنه

فيصير سواعا هنه المفعول كانه قال مسرعين والسراع جمع سريع كالكرام
جمع كريم • وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى التشقق عنهم او اشارة
الى الاخراج المدلول عليه بقوله • ويحتمل ان يكون معناه ذلك الحشر حشر
يسير والحشر الجمع قوله علينا متعلق بيسير ففصل بمعمول الصفة
بينهما وبين موصوفها ولا يضر ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه
حال منه لانه في الاصل يجوز ان يكون نعتا • وقال الزمخشري التقديم
للاختصاص اي لا يتيسر ذلك الا على الله وحده اي هو علينا هين لا على
غيرنا وهو اعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد قوله نحن اعلم
بما يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك وهذا تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم • ويحتمل ان يكون تهديدا وتخويفا لان قوله والينا المصير
ظاهر في التهديد وبالعلم بكل • ونظيره قوله تعالى ثم الينا مرجعهم
فننبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور ويحتمل ان يكون
تقريرا لامر الحشر بالعلم لانه لما بين ان الحشر عليه يسير لكمال قدرته
ونفوذ ارادته ولكن تمام ذلك بالعلم الشامل حتى يميز جزء زيد
وجزء بدن عمرو فقال ذلك حشر علينا يسير لكمال قدرتنا ولا يخفى
علينا الاجزاء لكمال علمنا • وقوله اعلم ما ليست للمشاركة في اصل الفعل
كقوله وهو اهون عليه او معناه نحن اعلم به من كل عالم بما يعمله
قوله وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبر على الاسلام وهذه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم اي انك لست حفيظا عليهم ومكلف بان يؤمنوا
انما انت منذر وقد فعلت ما امرت به • قال المفسرون انها منسوخة
باية القتال قوله فذكر بالقران من يخاف وعيد تقدم الخلاف
في ياء وعيد اثباتا وحذفا • والمعنى دم على الانذار ولا تترك الهداية
بالكلية بل ذكر المؤمنين فان الذكرى تنفع المؤمنين • وقوله بالقران
اي اتل عليهم القران يحصل لهم المنفعة بسبب ما فيه او فذكر بالقران
بين به انك رسول الله لكونه معجزا او يكون المراد فذكر بمقتضى ما في القران
من الاوامر الوارده بالتبليغ والتذكير • وفي قوله فذكر اشارة الى انه مرسل
مامور بالتذكير بالقران المنزل عليه • وقوله وعيد اشارة الى اليوم الاخر وفي
قوله وعيد اشارة الى الوحدانية اذ لو قال وعيد الله لذهب الوهم
الى كل صوب وضمير المتكلم اعرف المعارف وابعد عن الاشتراك • وقد تقدم
ان اول السورة واخرها مشترك في المعنى حيث قال في الاول ق والقران
المجيد • وقال في اخرها فذكر بالقران • روى ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه سكرات الموت

سورة والذاريات مكية

وهي ستون اية وثلاث مائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة
وثمانون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والذاريات
ذروا الايات • اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها لانه تعالى لما
بين الحشر بدلايله وقال ذلك حشر علينا يسير • وقال وما انت عليهم
بجبار تجبرهم على الايمان اشار الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان
وتلاوة القران عليهم لم يبق الا اليمين فقال والذاريات انما توعدون
لصادق • وقال في اخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون
فصل وفي الحكمة في القسم هنا وجوه احدها ان الكفار كانوا
ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم للجدال ومعرفة طرقه وانه عالم

بفساد

بفساد قولهم وانه يغلبهم لمعرفته بالجدال وحينئذ لا يمكن ان يقابلهم بالادلة
كما ان من اقام خصمه عليه الدليل ولم يبق له حجة يقول انه غلبني لعلمه بالجدال
وعجزي عن ذلك وهو يعلم في نفسه ان الحق معي فلا يبقى للمتكلم المبرهن غير
اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادلك بالباطل لانه لو استدل
بطريق اخر يقول خصمه فيه كقوله الاول فلا يبقى الا السكوت او التمسك
بالايمان وترك اقامة البرهان الثاني ان العرب كانت تحترز عن الايمان
الكاذبة وتعتقد انها تخرب المنازل فكان النبي عليه الصلوة والسلام
يكثر الاقسام دلالة على انه صادق ولذلك كان امره يتزايد ويعلم انه لا
يحلف بها كاذبا • الثالث ان الايمان التي اقسم بها كلها دلايل اخرجت في
صورة الايمان لينبه بها على كمال القدرة كقول القايل للمنعم وحق
نعمك الكثيرة اني لا ازال اشكرك فذكر النعم التي هي سبب مفيد لدوام الشكر
وانما اخرجها مخرج الايمان لذاتا بانه يريد ان يتكلم بكلام عظيم فيصغي اليه
السامع اكثر مما يصغي اليه حيث يعلم ان الكلام ليس بمعتبر فبدا بالحلف
فصل اورد القسم على امور منها الوحدانية ولظهور امرها واعترافهم
بها حيث يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى • وقولهم ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لم يقسم عليها الا في صورة والصافات
ومنها الرسالة وهي في سورتين والنجم والضحى وبالحروف في يس • ومنها
الحشر والجزاء وما يتعلق به ولكثرة انكارهم له كرر القسم عليه
فصل اقسم الله بجمع السلامة المونث في سور خمس ولم يقسم بجمع السلامة المذكر
في سورة اصلا ولم يقل والصالحين من عباده ولا المقربين الى غير ذلك
مع ان المذكر اشرف لان جموع السلامة بالواو والنون في الغالب لمن يعقل
فصل روي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى والذاريات قال
هي الرياح التي تذروا التراب ذروا يقال ذرت الريح التراب واذرت
فالحاملات وقرا هي السحاب تحمل ثقلا من الماء فالجاريات يسرا هي السفن
تجري في الماء جريا سهلا • فالمقسمات امرا هي الملايكة يقسمون الامور بين
الخلق على ما امروا به اقسم بهذه الاشيا لما فيها من الدلالة على صنعته
وقدرته • قال ابن الخطيب والاقرب ان هذه صفات للرياح فالذاريات
هي التي تنشي السحاب اولا • والحاملات هي التي تحمل السحب التي هي بحار
المياه التي اذا سحت جرت السيول العظيمة وهي اوقار اثقل من جبال
والجاريات هي التي تجري السحب بعد حملها والمقسمات هي الرياح التي
تقسم الامطار وتفرقها على الاقطار • ويحتمل ان يقال هذه امور اربعة
ذكرت لامور اربعة بها تتم الاعادة لان الاجزاء المتفرقة بعضها في تخوم
الارض وبعضها في قعور البحار وبعضها في جو الهوا وهي الاجزاء البخارية
اللطيفة المنفصلة عن الابدان فالذاريات التي هي تجمع الذرات من
الارض وتذروا التراب من وجه الارض والحاملات هي التي تجمع الاجزاء
من الجو وتحمله حملا فان التراب لا ترفعه الرياح حملا مستقلا بل تنقله
من موضع الى موضع بخلاف السحاب فانه يحمله في الجو حملا لا يقع منه شي
والجاريات هي الجامعة من الماء فان من يجري السفن المثقلة وتيار البحار
قادر على نقل الاجزاء من البحر الى البر فاذن تبين ان الجمع من الارض وجو الهوا
ووسط البحار ممكن واذا اجتمع ذلك كله بقي نفخ الروح وهي من امر الله
فقال والمقسمات امرا يعني الملايكة التي تنفخ الروح في الجسد بامر الله
قوله ذروا منصوب على المصدر المؤكد والعامل فيه فرعه وهو اسم
الفاعل والمفعول محذوف اقتصارا اذ لا نظير لما يذروه هنا وادغم ابو عمرو

وحمزة في الذاريات ذروا فاد ذروا ما وقرا فهو مفعول به بالحاملات كما تقول حمل فلان عدلا ثقيلا • قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون اسما اقيم مقام المصدر كقوله ضربه سوطا • ويؤيده قراءة من قرأ بفتح الواو والوقر بالكسر اسم ما يوقر اي يحمل وقرئ بالفتح وذلك على تسمية المفعول بالمصدر ويجوز ان يكون مصدرا على حاله والعامل فيه معنى الفعل قبله لان الحمل والوقر بمعنى واحد وان كان بينهما عموم وخصوص قوله يسرا يجوز ان يكون مصدرا من معنى ما قبله اي جريا يسرا وان يكون حالا اي ذات يسر او ميسرة او جعلت نفس اليسر مبالغة قوله امرا يجوز ان يكون مفعولا به وهو الظاهر كقولك فلان قسم الرزق او المال وان يكون حالا اي مامورة وعلى هذا فيحتاج الى حذف مفعول المقسمات • وقد يقال لا حاجة لتقديره كما في الذاريات وهل هذه اشيا مختلفة فتكون الفا على بابها من عطف المتغايرات والفا للترتيب في القسم لا في المقسم به • قال الزمخشري ويجوز ان يراد الريح وحدها لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وعلى هذا يكون من عطف الصفات والمراد واحد كقوله •

يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

فيكون الفا على هذا لترتيب الامور في الوجود • فان قيل ان كان وقرا مفعولا فلم لم يجمع وما قبله وقارا • فالجواب لان جماعة من الرياح قد تحمل وقرا واحدا • وكذا القول في المقسمات امرا اذا قيل انه مفعول به لانه قد يجمع من الملائكة على امر واحد قوله انما توعدون هذا جواب القسم وما يجوز ان تكون اسمية وعايدها محذوف اي توعدونه وان تكون مصدرية فلا عايد على المشهور • وحينئذ يحتمل ان يكون توعدون مبنيا من الوعد وان يكون مبنيا من الوعيد لانه يصلح ان يقال وعدته فهو يوعد ووعدته فهو موعد لا يختلف في التقدير ان وعدكم او ان وعيدكم ولا حاجة الى قول من قال ان قوله لصادق وقع فيه اسم الفاعل موقع المصدر اي لصدق لان لفظ اسم الفاعل ابلغ اذ جعل الوعد او الوعيد صادقا مبالغة وان كان الوصف انما يقوم بمن يعد او يوعد • قال ابن الخطيب وبناؤه من الوعد هو الحق لان اليمين مع المنكر بوعد لا بوعيد والصادق معناه ذو صدق كعيشة راضية ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل كوصف الفاعل بالمصدر في افادة المبالغة قوله وان الدين لواقع اي الحشر والجزاء الكائن ثم ابتدا قسما اخر وهو قوله والسماء ذات الحبك العامة على الحبك بضمتين • قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوي يقال للنساج اذا نسج الثوب فاجاد ما احسن حبكه • وقال سعيد بن جبير ذات الزينة اي المزينة بزينة الكواكب • قال الحسن حبكت بالنجوم وقال مجاهد هي المتقنة البنيان • وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد وهو آثار تثنيه وتكسره • قال زهير •

مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك

والحبك جمع يحتمل ان يكون مفرده حبيكة كطريقة وطرق او حباك كخمار وخمر قال •

كانما جللها الحواك طنفسة في وشيها حباك

واصل الحبك احكام الشي واتقانه • ومنه يقال للدرع محبوكة • وقيل الحبك الشد والتوثق قال امرؤ القيس •

قد غدا

قد غدا يحملني في انفه لاحق الاطلين محبوك ممر

وفي هذه اللفظة قراآت كثيرة • فعن الحسن ست قراآت الحبك بالضم كالعامة وبضم الحا وسكون البا • وتروى عن ابن عباس وابي عمرو وبكسر الحا والبا وبكسر الحا وسكون البا وهو تخفيف المكسور وكسر الحا وفتح البا وكسر الحا وضم البا وهذه اقلها لان هذه الزنة مهملة في ابنية العرب قال ابن عطية وغيره هو من التداخل يعني ان فيها لغتين الكسر في الحا والبا والضم فيهما فاخذ هذا القارئ الكسر من لغة والضم من اخرى واستبعدها الناس لان التداخل انما يكون في كلمتين وخرجها ابو حيان على ان الحا اتبعت لحركة التا في ذات قال ولم يعتد باللام فاصلة لانها ساكنة فهي حاجز غير حصين • وقد وافق الحسن على هذه القراءة ابو مالك الغفاري • وقرا عكرمة بالضم والفتح جمع حبكة نحو غرفة وغرف • وابن عباس وابو مالك الحبك بفتحتين جمع حبكة كعقبة وعقب • وقوله انكم لفي قول مختلف جواب القسم فصل المعنى انكم يا اهل مكة لفي قول مختلف في حق محمد عليه السلام تارة يقولون انه امين واخرى انه كاذب وتارة ينسبونه الى الجنون • وتارة كاهن وشاعر وساحر وهذا القول القول ضعيف فلا حاجة الى اليمين على هذا لانهم كانوا يقولون ذلك من غير انكار حتى يؤكد باليمين • وقيل يقولون انه مجنون ثم يقولون غلبنا بقوة جداله • وقيل لفي قول مختلف في القرآن يقولون فيه انه سحر وكهانة واساطير الاولين • وقيل قول مختلف اي مصدق ومكذب • وقيل غير ثابتين على امر • وقيل متناقض تارة يقولون لا حشر ولا حياة بعد الموت ثم يقولون انا وجدنا اباءنا على امة قوله يؤفك عنه صفة لقول والضمير في عنه للقرآن او للرسول او للدين او لما توعدون اي يصرف عنه وقيل عن السببية والمافوك عنه محذوف والضمير في عنه على هذا للقول مختلف اي يؤفك بسبب القول من اراد الاسلام بان يقول هو سحر هو كهانة • والعامة على بناء الفعلين للمفعول • وقتادة وابن جبير يؤفك عنه من افك الاول للمفعول والثاني للفاعل اي يصرف عنه من صرف الناس عنه • وزيد بن علي يافك مبنيا للفاعل من افك مبنيا للمفعول عكس ما قبله اي يصرف الناس عنه من هو مافوك في نفسه وعنه ايضا يافك عنه من افك بالتشديد اي من هو افاك في نفسه • وقرئ يؤفن عنه من افن بالنون فيهما اي يحرمه من حرمه من افن الضرع اذا انهكه حلبا فصل وقيل في تفسير قوله يؤفك عنه من افك وجوه • احدها انه مدح للمومنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ويرشد الى القول المستوي وقيل انه ذم ومعناه يؤفك عن الايمان به من صرف حتى يكذب به يعني من حرمه الله الايمان بمحمد وبالقرآن • وقيل عن بمعنى من اجل اي يصرف من اجل هذا القول المختلف او بسببه عن الايمان من صرف وذلك انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان قاله مجاهد قوله قتل الخراصون لعن الكذابون • وقرئ قتل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى الخراصين مفعوله والمعنى لعن الخراصون وهم الذين لا يجزمون بامر ولا يحققونه بل هم شاكون متحيرون • وهذا دعا عليهم ثم وصفهم بالغمر في غمرة ساهون فقوله ساهون يحتمل ان يكون خبرا بعد خبر والمبتدأ قوله هم • والتقدير هم كائنون في غمرة ساهون كقولك زيد جاهل جائر ولا يقصد به وصف الجاهل بالجائر • ويحتمل ان يقال ساهون خبر وفي غمرة ظرف له • كقولك زيد في بيته قاعد فالخبر هو قاعد لا غيره وفي بيته

بيان لظرف القعود فكذا قوله في غمرة ظرف له كقولك زيد في بيته قاعد
فالخبر هو قاعد لا غيره لا ساهون. واعلم ان وصف الخراص بالسهو دليل على
ان الخراص صفة ذم يقال تخرص على فلان الباطل. قال المفسرون هم الذين
اقتسموا عقاب مكة فاقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا
الناس عن دين الاسلام. وقال مجاهد هم الكهنة الذين هم في غمرة اي غفلة
وعمى وجهالة ساهون غافلون عن امر الاخرة. والسهو الغفلة عن الشيء وهو
ذهاب القلب عنه قوله يسألون ايان يوم الدين فمنزلة ايان
يوم الدين مبتدا وخبر. قيل وهما ظرفان فكيف يقع احد الظرفين في الاخر
واجيب بانه على حذف حدث اي ايان وقوع يوم فايان ظرف للوقوع كما
يقول متى يكون يوم الجمعة وتقدم قراءة ايان بالكسر في الاعراف قيل
وايان من المركبات ركب من اي التي للاستفهام وان التي بمعنى متى او من اي
وآن فكانه قال اي اوان فلما ركب بني وهذا جواب قوله وان الدين
لواقع فكانه قال ايان تقع استهزاء وترك المسئول دلالة على ان الغرض ليس
الجواب وانما يسألون استهزاء. والمعنى يسألون ايان يوم الدين يقولون
يا محمد متى يكون يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله عز
وجل يوم هم اي يكون هذا الجزاء في يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون
ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار وعلى هذا فالاولى ان يكون معنى يفتنون
يعرضون عرض المجرب للذهب على النار لان كلمة على تناسب ذلك ولو
كان المراد محرقون لقيل بالنار او في النار قوله يوم يجوز ان يكون
منصوبا بمضمر اي الجزاء كائن يوم هم ويجوز ان يكون بدلا من يوم الدين
والفتحة للبناء على راي من يجيز بناء الظرف وان اضيف الى جملة اسمية
وعلى هذا فيكون حكاية لمعنى كلامهم قالوه على الاستهزاء ولو جاء على حكاية
لفظهم المتقدم لقيل يوم نحن على النار نفتن. ويوم منصوب بالدين
وقيل بمضمر اي يجازون وقيل هو المفعول باعني مقدرا ويعدى يفتنون
بعلى لانه بمعنى يختبرون. وقيل على بمعنى في. وقيل على بمعنى الباء وقيل
يوم هم خبر مبتدا مضمر اي هو يوم هم والفتح لما تقدم. ويؤيد ذلك قراءة
ابن ابي عبلة والزعفراني يومُهم بالرفع ولالة تؤيد القول بالبدل
وتقدم الكلام في مثل هذا في غافر فصل قوله يوم هم على النار
يفتنون قال ابن الخطيب يحتمل وجهين احدهما ان يكون جوابا عن
قولهم ايان يقع فكانه لم يسالوا سوال مستفهم طالب للعلم كذلك
لم يجبهم جواب معلم مبين بل قال يوم هم على النار يفتنون فجهلهم بالثاني
اقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون الجواب بالاخفى فلو قال
قايل متى يقدم زيد فلو اجيب بقوله يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم
قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب الا اذا كان الكلام في صورة جواب
ولا يكون جوابا كقول القايل لمن يعد غدا اتاه ويخلفها الى متى هذا الاخلاف
فيغضب ويقول الى ان يا شأم يوم عليك فالكلام اذن في صورة سوال
وجواب ولا يريد بالاول السوال ولا بالثاني يريد به الجواب فكذلك ههنا
قال يوم هم على النار يفتنون مقابلة لاستهزائهم بالايعاد لا على وجه
الاتيان بالبيان. الثاني ان يكون ذلك ابتدا كلام تمامه في قوله ذوقوا
فتنتكم فان قيل هذا يقتضي الاضمار فالجواب ان الاضمار لا بد منه لان ذوقوا
فتنتكم غير متصل بما قبله الا باضمار يقال قوله ذوقوا
اي يقال لهم ذوقوا وهذا الذي كنتم مبتدا وخبر هذا هو الظاهر وجوز
الزمخشري ان يكون هذا بدلا من فتنتكم لانها بمعنى العذاب ومعنى تستعجلون

عذابكم

عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا تكذيبا به وهو قولهم ربنا
عجل لنا قطنا وقولهم فاتنا بما تعدنا ونظائره. وقوله يسألون ايان يوم
الدين فانه نوع استعجال بالقول. ويحتمل ان يكون المراد الاستعجال
بالفعل وهو اصرارهم على العناد واظهار الفساد فانه يعجل العقوبة
قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون لما بين حال المجرمين
بين بعده حال المتقين والمتقي له مقامات ادناها ان يتقي الشرك
واعلاها ان يتقي ما سوى الله وادنى درجات المتقي الجنة فما من مكلف
اجتنب الكفر الا ويدخل الجنة قوله آخذين حال من الضمير في قوله جنات
وما اتاهم يعني ما في الجنة فيكون حالا حقيقة وقيل ما اتاهم من اوامره
ونواهيه فيكون في الدنيا حالا محكية لاختلاف الزمانين وجعل الجار
هنا خبرا والصفة فضلة وعكس هذا في قوله ان المجرمين في عذاب جهنم
خالدون قيل لان الخبر مقصود الجملة والغرض هنا الاخبار عن تخليدهم
لان المؤمن قد يدخل النار ولكن لا بد من خروجه واما اية المتقين فجعل
الظرف فيها خبرا لامنهم الخروج منها فجعل ذلك محط الفائدة ليحصل لهم
الطمانينة فانتصبت الصفة حالا فصل اعلم انه تعالى وحد
الجنة تارة قال تعالى مثل الجنة واخرى جمعها كقوله ههنا ان المتقين في
جنات وتارة ثناها قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة في
ان الجنة في توحيدها الاتصال المنازل والاشجار والانهار كجنة واحدة
واما جمعها فلانها بالنسبة الى الدنيا وبالاضافة اليها جنات لا يحصرها
عدد واما تثنيتها فسيأتي في سورة الرحمن قال ابن الخطيب غير انا
نقول ههنا ان الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشرى فقال
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند العطا
جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد بوجوده بخلاف ما لو وعد بجنات
ثم يقول ادخل جنة لانه دون الموعود وقوله وعيون يقتضي ان يكون
المتقي فيها ولا لذة في كون الانسان في ماء فالمعنى في خلال العيون اي بين
الانهار كقوله في جنات معناه بين الجنات وفي خلالها لان الجنة هي الاشجار
ونكرها مع كونها معرفة للتعظيم كقولك فلان رجل اي عظيم في الرجولة ومعنى
آخذين اي قابضين ما اتاهم شيئا فشيئا ولا يستوفونه بكماله لامتناع
استيفاء ما لا نهاية له وقيل معنى آخذين اي قابلين بقبول راض كقوله تعالى
ويأخذ الصدقات اي يقبلها قاله الزمخشري وقال ابن الخطيب وفيه
وجه ثالث وهو ان قوله في جنات يدل على السكنى حسب فاذا قال آخذين
بلاد كذا او قلعة كذا اي دخلها متملكا لها وكذا يقال لمن اشترى دارا او بستانا
اخذه بثمن قليل اي تملكه وان لم يكن هناك قبض حسا ولا قبول برضى
وحينئذ فائدته بيان ان دخولهم فيها ليس دخول مستعير او من يسترد
منه ذلك بل هو ملكه الذي اشتراه بماله ونفسه من الله وقوله اتاهم لبيان
ان اخذهم ذلك لم يكن عنوة وانما ذلك باعطاء الله وعلى هذا الوجه ما راجعة
الى الجنات والعيون وقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين اشارة الى انهم
اخذوها بثمنها وملكوها بالاحسان في الدنيا والاشارة بذلك اما
لدخول الجنة واما الايمان بالله واما ليوم الدين والاحسان هو قول لا اله
الا الله ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى انها لا اله الا الله وفي قوله تعالى ومن
احسن قولا ممن دعا الى الله وقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان هو الاتيان
بكلمة لا اله الا الله قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وهذا
كالتفسير لكونهم محسنين وفيه اوجه احدها ان الكلام تم على قليلا

ولهذا وقف بعضهم على قليلا ليواخي بها قوله وقليل ما هم وقليل من عبادي
الشكور ويبتدي من الليل ما يهجعون اي ما يهجعون من الليل والمعنى كانوا
من الناس قليلا ثم ابتدى تعالى ما يهجعون وجعله جحدا اي لا ينامون
بالليل البتة بل يقومون للصلوة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل وهذا
لم ينظر من حيث المعنى ولا ترتيب الصناعة • اما الاول فلا بد ان يهجعوا ولا
يتصور نفي هجوعهم • واما الصناعة فلان ما في حيز النفي لا يتقدم عليه عند
البصريين هذا ان جعلتها نافية وان جعلتها مصدرية صار التقدير من الليل
هجوعهم ولا فايدة فيه لان غيرهم من ساير الناس بهذه المثابة • الثاني ان
يجعل ما مصدرية في محل رفع بقليلا والتقدير كانوا قليلا هجوعهم • الثالث
اي يجعل ما مصدرية بدلا من اسم كان بدل اشتمال اي كان هجوعهم قليلا
ومن الليل على هذين لا يتعلق بيهجعون لان ما في حيز المصدر لا يتقدم عليه
على المشهور وبعض المانعين اغتفره في الظرفية فيجوز هذا عنده والمانع
يقدر فعلا يدل عليه يهجعون اي يهجعون من الليل • الرابع ان ما مزيده
ويهجعون خبر كان • والتقدير كانوا يهجعون من الليل هجوعا قليلا او زمنا
قليلا فقليلا نعت لمصدر او ظرف • الخامس انها بمعنى الذي وعايدها
محذوف تقديره كانوا قليلا من الليل الوقت الذي يهجعونه وهذا فيه
تكلف **فصل** قال ابن الخطيب قليلا منصوب على الظرف
تقديره يهجعون قليلا يقال قام بعض الليل فتنصب بعض على الظرف
وخبر كانوا هو قوله يهجعون وما زايده هذا هو المشهور وفيه وجه
اخر وهو ان يقال كانوا قليلا معناه كانوا من الناس قليلا فيكون قليلا
خبر كان وما يهجعون معناه نفي النوم عنهم وهذا منقول عن الضحاك
ومقاتل وانكر الزمخشري كون ما نافية وقال لا يجوز ان تكون نافية لان
ما بعدها لا يعمل فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت • ويجوز ان يعمل ما
بعد لم فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب وذلك لان الفعل المتعدي
انما يعمل في النفي حملا له على الاثبات فاذا ثبت هذا فالنفي بالنسبة الى
الاثبات كاسم الفاعل بالنسبة الى الفعل فانه يعمل عمل الفعل لكن اسم
الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل فلا تقول زيد ضارب عمرا امس
وتقول زيد ضارب عمرا غدا واليوم والان لان الماضي لم يبق موجودا
ولا متعلق الوجود فلا يتعلق بالمفعول حقيقة لكن الفعل لقوته يعمل
واسم الفاعل لضعفه لم يعمل اذا عرف هذا فقوله ما ضربت للنفي في الماضي
فاجتمع فيه النفي والمضي فضعف واما لم اضرب فان كان يقلب المستقبل
فوجد فيه ما وجد في قول القايل زيد ضارب عمرا غدا فاعمل قال ابن
الخطيب غير ان القايل بذلك القول يقول قليلا ليس منصوبا بقوله
ما يهجعون وانما ذكره خبر كانوا قليلين **فصل** تقديم قليلا
في الذكر ليس لمجرد السجع حتى يقع يهجعون ويستغفرون في اواخر الايات
بل لان الهجوع راحة لهم والمقصود بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله
تعالى فلا يناسبه تقديم وقد يغفل السامع عما بعد الكلام فيعتقد
كونهم محسنين بسبب هجوعهم فقدم قوله قليلا ليسبق الى الفهم
اولا قلة الهجوع • وقوله من الليل اشارة الى انه الزمن الذي يهجع الناس
فيه ولا يسهره في الطاعة الا متعبد مصل • فان قيل الهجوع لا يكون الا بالليل
والنوم نهارا لا يقال له هجوع • فالجواب انه ذكر العام واراد فيه التخصيص
حسن تقول رايت حيوانا ناطقا فصيحا واما ذكر الخاص واراد به
بالعام فلا يحسن الا في بعض المواضع فلا تقول رايت ناطقا فصيحا حيوانا

واذا عرف هذا فقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ذكر امرا هو العام يحتمل
ان يكون بعده كانوا من الليل يسبحون او يستغفرون او يسهرون او غير
ذلك فلما قال يهجعون فكانه خصص ذلك الامر العام المحتمل له ولغيره
فازال الاحتمال **قوله** وبالاسحار متعلق بيستغفرون والبا
بمعنى في وقدم متعلق الخبر على المبتدا لجواز تقديم العامل **فصل**
معنى قوله قليلا من الليل ما يهجعون اي يصلون اكثر الليل وروى سعيد
ابن جبير عن ابن عباس يعني كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيا
اما من اولها واما من اوسطها • وقال انس بن مالك كانوا يصلون
ما بين المغرب والعشا • وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا
العتمة • وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير كل ليلة اتت عليهم هجعوا
كلها • وقال مجاهد كانوا لا ينامون كل الليل وبالاسحارهم يستغفرون
قال الحسن لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا فمدوا الى السحر
ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار • وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل وبالاسحار
يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة • روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السما كل ليلة حين
يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك من الذي يدعوني فاستجيب له
من الذي يسالني فاعطيه من الذي يستغفرني فاغفر له **فصل**
قوله وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم كانوا يتهجدون
ويجتهدون ثم يريدون ان يكون عملهم اكثر من ذلك واخلص منه فهم
يستغفرون من التقصير وهذه سيرة الكريم ياتي بابلغ وجوه الكرم
ويستقله ويعتذر من التقصير • واللئيم ياتي بالقليل ويستكثره ويمن
به • وفي الاية لطايف • الاولى انه تعالى لما ذكر قلة هجوعهم والهجوع مقتضى
الطبع قال يستغفرون اي من ذلك القدر من النوم القليل • الثاني
انه تعالى مدحهم بقلة الهجوع ولم يمدحهم بكثرة السهر فلم يقل كانوا
كثيرا من الليل ما يسهرون مع ان السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوع
وهذا اشارة الى ان نومهم عبادة حيث مدحهم الله بكونهم هاجعين
قليلا وذلك الهجوع اورثهم الاشتغال بعبادة اخرى وهو الاستغفار
بالاسحار ومنعهم من الاعجاب بانفسهم **فصل** البا في قوله بالاسحار
استعملت للظرف هنا وهي ليست للظرف قال بعض النحاة ان حروف
الجر ينوب بعضها عن بعض يقال في ظرف الزمان خرجت لعشر بقين
وبالليل وفي شهر رمضان فتستعمل اللام والبا وفي وكذلك في ظرف المكان
تقول اقمت بمدينة كذا وفيها ورابطت ببلدة كذا وفيها قال ابن الخطيب
والتحقيق فيه ان نقول الحروف لها معان مختلفة كما ان الاسما والافعال
كذلك غير ان الحروف غير مستقلة بافادة المعنى والاسم والفعل مستقلان
لكن بين بعض الحروف وبعضها تنافر وتباعد كما في الاسما والافعال
فان البيت والمسكن متخالفان متقاربان وكذلك مكث وسكن
وكذلك كل اسمين او كل فعلين يوجد فان بينهما تقارب وتباعد لان
البا للالصاق واللام للاختصاص وفي للظرف والظرف مع المظروف
ملتصق ومختص به اذا عرف هذا فنقول بين البا وفي مشاركة اما البا
فلانها للالصاق والمتمكن في مكان ملتصق به متصل وكذلك الفعل بالنسبة
الى الزمان فاذا كان سار بالنهار معناه ذهب ذهابا متصلا بالنهار
فقوله وبالاسحار هم يستغفرون اي متصلا بالاسحار اخبر عن الاقتران
يدل لا بد على وجود الفعل مع اول جزء من اجزا الوقت من قوله في الليل لانه

يستدعي احتوا الزمان بالفعل وكذلك قول القايل اقمت ببلدة كذا
لا يفيد انه كان مخالطا وقوله اقمت فيها يدل على احاطت به فاذن قول
القايل اقمت بالبلد ودعوت بالاسحار اعم من قوله اقمت فيه لان القايم
فيه قايم به والقايم به ليس قايم فيه واذا علم هذا فقوله وبالاسحار هم يستغفرون
اشارة الى انهم لا يخلون وقتا عن العبادة وانهم بالليل لا يهجعون ومع اول
جزء من السحر يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين من غير ان يسبق
منهم ذنب لانهم وقت الانتباه لم يخلوا الوقت للذنب ولا يطرد استعمال
البا بمعنى في فلا تقول خرجت بيوم الجمعة لان يوم الجمعة مع انه زمان فيه خصوصيات
وتقييدات زايدة على الزمان لانك اذا قلت خرجت بنهارنا وبليلة الجمعة
لم يحسن ولو قلت خرجت بيوم سعد وخرج بيوم نحس حسن فالنهار والليل
لما لم يكن فيهما خصوص وتقييد جاز استعمال البا فيهما فاذا قيد نهارا وخصصتهما
زال الجواز ويوم الجمعة لما كان فيه خصوص لم يجز استعمال البا فيه والفعل
حدث مقترن بزمان لا بشي من الزمان فاذا زال الخصوص وقلت خرجت
بيوم سعد جاز واما في فيصح مطلقا لان ما حصل في العام حصل في الخاص
لان العام جزء داخل في الخاص فتقول في يوم الجمعة وفي هذه الساعة • واما اللام
تقدم الكلام عليها عند قوله والشمس تجري لمستقر لها **فصل** وفايدة
قوله هم قال الزمخشري فايدتها انحصار المستغفرين اي هم الكاملون في
الاستغفار لا غيرهم كقولك زيد هو العالم لكماله في العلم كانه تفرد به
وايضا فلو عطف بدون هم لاوهم انهم يستغفرون قليلا • والاستغفار
اما طلب المغفرة كقولهم ربنا اغفر لنا واما اتيانهم بعبادات يتقربون بها
طلبا للمغفرة • واما ان يكون من باب قولهم استحصد الزرع اي ذلك اوان المغفرة
قوله وفي اموالهم حق للسايل والمحروم • لما تقدم التعظيم لامر الله ثنى
بالشفقة على خلق الله واضاف الاموال اليهم لانه مدح لهم وقال في موضع
اخر وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه لان ذلك تحريض وحث على النفقة
وذلك يناسبه • فان قيل كون الحق في المال لا يوجب مدحا لان كون المسلم
في ماله حق وهو الزكاة ليس صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا
انه مخاطب بفروع الاسلام في ماله حق معلوم غير انه اذا اسلم سقط عنه
وان مات عوقب على تركه الادا وان ادى من غير اسلام لا ينفع الموقع فكيف
يفهم كونه مدحا • فالجواب انا نفسر السايل بمن يطلب جزا من المال وهو
الزكاة • والمحروم بمن لا يطلب جزا معينا وهو طالب صدقة التطوع فكانه قال
في ماله زكاة وصدقة • او يقال بان في الظرفية والمعنى انهم لا يجمعون المال
ولا يجعلونه ظرفا للحقوق والمطلوب من الظرف والمظروف انما هو المظروف
وهذا مدح عظيم • فان قيل لو قيل مالهم للسايل كان ابلغ • فالجواب
لا نسلم فان صرف جميع المال حتى يبقى فقيرا محتاجا منهيا عنه وكذلك
الصلوة والصوم والاقتصاد فيهما ابلغ لقوله عليه الصلوة والسلام ان هذا
الدين متين فادخلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى •
فصل في السايل والمحروم وجوه • احدها ان السايل هو الادمي والمحروم
كل ذي روح غيره من الحيوانات المحترمة • قال عليه الصلوة والسلام في كل كبد
حرا اجر وهذا ترتيب حسن لان الادمي مقدم على البهايم • الثاني ان السايل
هو الذي يسال والمحروم هو المتعفف يظن انه غني فيحرم وقدم السايل
لان حاله يعرف بسواله او يكون اشارة الى كثرة العطا فيعطي السوال
فاذا لم يجدهم يسال عن المحتاجين فيكون سايلا ومسيولا • الثالث قدم
السايل للتجانس وسر الاي **فصل** قال ابن عباس وسعيد بن المسيب

السايل

السايل الذي يسال الناس والمحروم الذي ليس له في الغنايم سهم ولا يجري
عليه من الفي شي • وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسال
وقال زيد بن اسلم المحروم هو المصاب ثمره او زرعه او نسل ماشيته
وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب الجايحة ثم قرا انا
لمغرمون بل نحن محرومون **قوله** وفي الارض ايات للموقنين اذا
ساروا فيها من الجبال والبحار والثمار وانواع النبات تدلهم على ان الحشر
كاين كقوله تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الى ان قال ان الذي
احياها لمحيي الموتى • ويحتمل ان يكون المعنى وفي الارض ايات تدل على مدبر
قاهر رقاه يجب ان يعبد ويحذر • فان قيل كيف خصص الايات بالموقنين ولم
يخصص في قوله واية لهم الارض احييناها • فالجواب ان القسم انما
يكون مع المعاند في البرهان فهو لا ينتفع بالايات وانما ينتفع بها الموقنون
فلذلك اقسم هنا فقال فورب السما والارض انه لحق • وفي سورة يس
لم يوكد ذلك بالقسم الدال على المعاندة وتعالى الخلق هناك باعتبار
حصولها وخصصت هنا باعتبار المنتفع بها وجمعت الايات هنا لان
الموقن ينتبه لامور كثيرة وكذلك قوله وفي انفسكم ايات دالة على الملك
اذ كانت نطفة • ثم علقة • ثم مضغة • ثم عظاما الى ان ينفخ فيها الروح • وقال
عطا عن ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبايع
وقال ابن الزبير يريد سبيل الغايط والبول ياكل ويشرب من مدخل
واحد ويخرج من سبيلين • وقوله افلا تبصرون • قال مقاتل افلا تبصرون
كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث **قوله** وفي انفسكم نسق على في الارض
فهو خبر عن ايات ايضا • والتقدير وفي الارض وفي انفسكم ايات • وقال ابو البقا
ومن رفع بالظرف جعل ضمير الايات في الظرف يعني من يرفع الفاعل بالظرف
مطلقا اي وان لم يعتمد يرفع بهذا الجار فاعلا هو ضمير ايات ويجوز بعضهم ان
يتعلق بتبصرون وهو فاسد لان الاستفهام والفا يمنعان جوازه • ووحد
اية بالافراد وقوله في انفسكم يحتمل ان يكون المراد وفيكم يقال الحجارة في نفسه
صلبه ولا يراد بها النفس التي هي منبع للحياة والحس والحركات • ويحتمل ان
يكون المراد في نفوسكم التي بها حياتكم ايات • وقوله افلا تبصرون بالاستفهام
اشارة الى ظهورها **قوله** وفي السما رزقكم اي سبب رزقكم وقرا حميد
وابن محيصن رازقكم اسم فاعل والله تعالى متعال عن الجهة • قال ابن عباس
ومجاهد ومقاتل يعني بالرزق المطر لانه سبب الارزاق وقيل في السماء
رزقكم مكتوب • وقيل تقدير الارزاق كلها من السما ولولاه لما حصل في الارض حبة
قوت **قوله** وما توعدون قال عطا من الثواب والعقاب • وقال مجاهد
من الخير والشر وقال الضحاك وما توعدون من الجنة والنار فيكون المعنى
على هذا وما توعدون لحق كقوله وما توعدون لصادق • فان قلنا المراد بقوله
وما توعدون الجنة فهو من الوعد وان قيل المراد العذاب فيكون الخطاب
مع الكفار **قوله** فورب السما والارض انه لحق الضمير اما للقران واما
للدين واما لليوم في قوله وان الدين لواقع ويوم هم ويوم الدين واما
للنبي صلى الله عليه وسلم ودخلت الفا بمعنى انما توعدون لحق بالبرهان
المبين ثم بالقسم واليمين او للعطف على قوله والذاريات مع اعادة القسم
عليه لوقوع الفصل واقسم اولا بالمخلوقات وهنا بربها ترقيا من الادنى الى
الاعلى **قوله** مثل ما • قرا الاخوان وابو بكر مثل بالرفع وفيه ثلاثة
اوجه • احدها انه خبر ثان مستقل كالاول • والثاني انه مع ما قبله خبر واحد
كقولك هذا حلو حامض نقلها ابو البقا • والثالث انه نعت لحق وما مزيدة على

الاوجه الثلاثه وانكم مضاف اليه اي لحق مثل نطقكم ولا يضر تعدد يوًا
اضافتها المعرفه لانها لا تتعرف بذلك لابهامها والباقون بالنصب وفيه
اوجه • اشهرها انه نعت لحق ايضا كما في القراءة الاولى وانما بني الاسم لاضافته
الى غير متمكن كما بناه الاخر في قوله

فتداعى منخراه بدم • مثل ما اثمر حماض الجبل — بفتح مثل

مع انها نعت لدم وكما بنيت غير في قوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • حمامة في غصون ذات اوقال

غيرفا على يمنع فبناها على الفتح لاضافتها الى ان نطقت وقد تقدم
في قراءة لقد تقطع بينكم بالفتح ما يغني عن تقرير مثل هذا • الثاني انه
ركب مع ما حتى صار شيئا واحدا • قال المازني ومثله ويحما وايما
وانشد لحميد بن ثور •

الا هيما مما لقيت وهيما • وويحا لمن لم يدر ما هن وويحما

قال فلولا البنا لكان منونا • وانشد ايضا

فاكرم بنا اما واكرم بنا ابنما

وهذا الذي ذكره ذهب اليه بعض النحويين وانشد •

اثور ما اصيدكم ام ثورين • ام هذه الجماء ذات القرنين

واما ما انشده من قوله واكرم بنا ابنما فليس من هذا الباب لان
هذا ابن زيدت عليه الميم واذا زيدت عليه الميم جعلت النون تابعة
للميم في الحركات على الفصيح فتقول هذا ابنم ورايت ابنما ومررت
بابنم فتجري حركات الاعراب على الميم ويتبعها النون واما في البيت
منصوب على التمييز فالفتح لاجل النصب لا للبنا وليس هذه ما المزيده
بل الميم وحدها زايده والالف بدل من التنوين • الثالث انه منصوب
على الظرف وهو قول الكوفيين • ويجيزون زيد مثلك بالفتح ونقله ابو
البقا عن ابي الحسن ولكن بعبارة مشكلة فقال وقرئ بالفتح وفيه وجهان
احدهما هو معرب ثم في نصبه اوجه • ثم قال او على انه مرفوع الموضع ولكنه
فتح كما فتح الظرف في قوله لقد تقطع بينكم على قول الاخفش ثم قال والوجه
الثاني هو مبني • وقال ابو عبيد بعض العرب يجعل مثل نصبا ابدا فيقولون
هذا رجل مثلك • الرابع انه منصوب على اسقاط الجار وهو كاف التشبيه
وقال الفرا العرب تنصبها اذا رفع بها الاسم يعني المبتدا فيقولون
مثل من عبد الله وعبد الله مثلك وانت مثله لان الكاف قد تكون
داخلة عليها فتنصب اذا القيت الكاف • قال شهاب الدين وفي
هذا نظر اي حاجة الى تقدير دخول الكاف ومثل تفيد فايدتها وكانه
لما راى ان الكاف قد دخلت عليها في قوله ليس كمثله شي قال ذلك
الخامس انه نعت لمصدر محذوف اي لحق حقا مثل نطقكم • السادس
انه حال من الضمير في لحق لانه قد تكرر الوصف بهذا المصدر حتى جرى
مجرى الاوصاف المشتقة والعامل فيها حق • السابع انه حال من نفس حق
وان كان نكره وقد نص سيبويه في مواضع من كتابه على جوازه وتابعه
ابو عمرو على ذلك • وما هذه في مثل هذا التركيب نحو قولهم هذا حق كما انكم
هنا لا يجوز حذفها فلا يقال هذا حق كانك هنا نص على ذلك الخليل
رحمه الله فاذا جعلت مثل معربة كانت ما مزيده وانكم في محل خفض بالاضافة
كما تقدم واذا جعلتها مبنية اما للتركيب واما لاضافتها الى غير متمكن جاز في
هذه وجهان الزيادة وان تكون نكره موصوفه كذا قال ابو البقا وفيه نظر
لعدم الوصف هنا فان قال هو محذوف فالاصل عدمه • وايضا فنصوا الى ان

هذه

هذه الصفة لا تحذف لابهام موصوفها واما انكم تنطقون فيجوز ان تكون
مجرورا بالاضافة ان كانت مزيده وان كانت نكرة كان في موضع نصب باضمار
اعني او رفع باضمار مبتدا **فصل** المعنى فورب السما والارض انه
لحق اي ما ذكرت من امر الرزق الحق كمثل ما انكم تنطقون فتقولون
لا اله الا الله • وقيل شبه تحقيق ما اخبر عنه بتحقيق نطق الادمي كقولك
انه لحق كما انت هنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه ووجوده
كالذي تعرفه ضرورة • قال بعض الحكما كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه
لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره • وقيل معناه ان القران لحق يتكلم به الملك
النازل من السما مثل ما تتكلمون **قوله تعالى** هل اتاك حديث ضيف
ابراهيم المكرمين هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم
ضيفا لانه حسبهم كذلك ويقع على الواحد والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين
اي عند الله او لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اكرمهم بان عجل قراهم واجلسهم
في اكرم المواضع واختار ابراهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبي عليه الصلوة
والسلام مامورا بان يتبع ملته كما قال تعالى واوحينا اليك ان اتبع ملة
ابراهيم • وقيل سماهم مكرمين لانهم كانوا اضياف ابراهيم عليه الصلوة والسلام
وكان ابراهيم اكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون • وقال ابن ابي نجيح عن
مجاهد لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام خدمهم بنفسه • وعن ابن عباس سماهم
مكرمون لانهم جاءوا غير مدعوين قال عليه الصلوة والسلام من كان يومن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه • فان قيل اذا كان المراد من الاية التسلية والانذار
فاي فايدة في حكاية الضيافة • فالجواب ليكون ذلك اشارة الى ان الفرج في حق
الانبيا والبلا على الجهلة ياتي من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاتاهم من حيث
لا يشعرون ولم يكن عند ابراهيم خبر من انزال العذاب مع ارتفاع منزلته وقد
تقدم عددهم في سورة هود **قوله** اذ دخلوا في العامل في اذ اربعة اوجه
احدها انه حديث اي هل اتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه • الثاني
انه منصوب بما في ضيف من معنى الفعل لانه في الاصل مصدر ولذلك استوى
فيه الواحد المذكر وغيره كانه قيل الذين اضافهم في وقت دخولهم عليه • الثالث
انه منصوب بالمكرمين ان اريد باكرامهم ان ابراهيم اكرمهم بخدمته لهم كانه
تعالى يقول اكرموا اذ دخلوا • الرابع انه منصوب باضمار اذكر ولا يجوز نصبه
باتاك لاختلاف الزمانين • وقرا العامة المكرمين بتخفيف الرا من اكرم
وعكرمة بالتشديد • فان قيل هم دخلوا للعذاب بدليل قولهم انا ارسلنا
الى قوم مجرمين وهم لم يكونوا من قوم ابراهيم عليه الصلوة والسلام بل كانوا من
قوم لوط فما الحكمة في مجيئهم الى ابراهيم عليه الصلوة والسلام • فالجواب من وجهين
الاول ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام شيخ المرسلين ولوط من قومه ومن
عادة الملك اذا ارسل رسولا لملك وفي طريقه من هو اكبر منه يقول له اعبر على
فلان الملك واخبره برسالتك وخذ فيها رايه • الثاني ان ابراهيم عليه الصلوة
كان شديد الشفقة مبينة على العباد حليما فكان يشق عليه اهلاك امة
عظيمة وكان ذلك مما يحزن ابراهيم عليه الصلوة والسلام شفقة منه على
العباد فقال بشروه بغلام يخرج من صلبه اضعاف من هلك ويكون من
صلبه خروج الانبيا عليهم الصلوة والسلام **قوله** فقالوا سلاما قال
سلام • العامة على نصب سلاما الاول ورفع الثاني • فاما نصب الاول
فالمشهور انه السلام التحية ان نسلم سلاما • ويحتمل ان سلاما معناه حسنا
اي قالوا كلاما حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من ان لغو ويأثم فكانهم قالوا
قولا حسنا سلموا به من الاثم فيكون مفعولا به في معنى القول كما قيل في قوله

واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما او هو مفعول بفعل محذوف اي نبلغك
سلاما ولم يقولوا امن الله شفقة على قلب ابراهيم فاتوا به عجلا نزفروه
بعد ذلك ٥ واما رفع الثاني فالمشهور انه التحية فهو مبتدا وخبره محذوف
اي عليكم ويحتمل انه السلامة اي امري سلام لاني لا اعرفكم او قولكم سلام اي
يبني عن السلامة وانتم قوم منكرون فما خطبكم ٥ واما الفرق بين النصب
والفتح فان حملنا السلام على التحية فانه مبتدا مع انه نكرة تنبيها على
اصله لانه النصب لان المعنى اسلم سلاما عليكم كبيان المسلم عليه لاحظ
له في الاعراب ٥ واصل الكلام اسلم سلاما فالنصب اصل فقدم على الرفع
الذي هو فرع وايضا فرفعه ابلغ لانه اتى بالجملة الاسمية الدالة على
الثبات بخلاف الفعلية فانها تدل على التجدد والحدوث ولهذا يستقيم
قولنا الله موجود الان ولا يستقيم قولنا الله وجد الان ٥ واما ان قلنا
معناه حسنا او ذا سلامة فمعناه قلتم حسنا وانتم منكرون فالنصب الامر على
واما ان قلنا معناه المشاركة فمعناه سلمتم علي وانا امري متاركة لاني
لا اعلم حالكم ٥ ومنه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ٥ وقال فاصفح عنهم
وقل سلام لان سلامهم على الجاهلين لا يمنع التعرض لهم بخلاف النبي صلى الله
عليه وسلم فمعناه سلام امري متاركة الا ان ياتي امر الله ٥ وتقدم تحرير
نظير هذه الاية في سورة هود ٥ وتقدم ايضا خلاف القرا في سلام بالنسبة
الى فتح سينه وكسرها ٥ والى سكون لامه وفتحها ٥ وقريا مرفوعين وقرئ
سلاما قالوا سلاما بكسر سين الثاني ونصبه ولا يخفى توجيه ذلك مما
تقدم في هود ودخلت الفا ههنا اشارة الى انهم لم يخلوا باداب الدخول
بل جعلوا السلام عقيب الدخول قوله قوم منكرون خبر مبتدا مضمر
فقدروه انتم قوم منكرون ولم يستحسنه بعضهم لان فيه عدم انس
فمثله لا يقع من ابراهيم عليه الصلوة والسلام فالاولى ان يقدر هؤلاء
قوم او هم قوم وتكون مقالته هذه مع اهل بيته وخاصته لا لنفس
الضيف لان ذلك يوحشهم ٥ وقال المفسرون قوم منكرون اي غربا لا نعرفكم
قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم ٥ وقيل انما انكر امرهم
لانهم دخلوا عليه من غير استيذان ٥ وقال ابو العالية انكر سلامهم في ذلك
الزمان وفي تلك الارض ٥ فان قيل قال في سورة هود فلما راى ايديهم
لا تصل اليه نكرهم فدل على ان انكاره حصل بعد تقريب العجل اليهم
وههنا قال فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله بفاء
التعقيب وذلك يدل على ان تقريب الطعام منهم بعد حصول انكاره
فما وجهه ٥ فالجواب ان يقال لعلهم كانوا مخالفين لصفة الناس في الشكل
والهيئة ولذلك قال قوم منكرون عند كل احد واشترك ابراهيم عليه
الصلوة والسلام وغيره فيه ولهذا لم يقل انكرتكم بل قال انتم منكرون
في انفسكم عند كل احد منا ثم لما امتنعوا عن الطعام تاكد الانكار لان ابراهيم
عليه الصلوة والسلام تفرد بمشاهدة امساكهم فنكرهم فوق الانكار وحكاية
الحال في سورة هود ابسط مما ذكره ههنا فانه ههنا لم يبين المبشر به
وهنا ذكره باسمه وهو اسحاق وههنا لم يقل ان القوم قوم من وهناك
قال قوم لوط **فصل** ذكر ههنا من اداب الضيافة تسليم المضيف
على الضيف ولقاه بالوجه الحسن والمبالغة في الاكرام بقوله سلام وهو
اكد وسلامهم بالمصدر وفي قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام
عليكم لان الامتناع من الطعام يدل على العداوة والغدر لا يليق بالانبيا فقال
سلام اي امري مسالمة ٥ ثم فيها من اداب المضيف تعجيل الضيافة فان الفا في
قوله فراغ يدل على التعقيب واخفاؤها لان الروغان يقتضي الاخفا وغيبة
المضيف

المضيف عن الضيف ليستريح ويأتي بما يمنعه الحيا منه ويخدم الضيف
بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف في مكانه
لا ينقل الضيف للطعام لقوله فقربه اليهم ويعرض الاكل عليه لا يامر لقوله
الا تاكلون ولم يقل كلوا وسروره باكله لا كما يوجد في بعض البخلا الذين
يحضرون طعاما كثيرا ويجعل نظره ونظر اهل بيته الى الطعام حتى يمسك
الضيف يده عنه لقوله فاوجس منهم خيفة بعدم اكلهم ومن اداب
الضيف اذا احضر الطعام ولم يكن يصلح له لكونه مضرا به او يكون ضعيف
القوة عن هضم ذلك الطعام فلا يقول هذا طعام غليظ لا يصلح لي بل يأتي
بعبارة حسنة ويقول بي مانع من اكل الطعام لانهم اجابوه بقولهم
لا تخف ولم يذكروا في الطعام شيا ولا انه يضرهم بل بشروه بالولد
اشعارا بانهم ملايكة وبشروه بالاشرف وهو الذكر حيث فهموه انهم
ليسوا ممن ياكلون ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم اشرف
الصفات ٥ ثم ادب اخر في البشارة وهو ان لا يخبر الانسان بما يسره
دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم جلسوا واستانس بهم ابراهيم
ثم قالوا نبشرك بغلام وتقدم الكلام على فايدة تقديم البشارة
قوله فراغ اي عدل ومال الى اهله ٥ وقوله فجاء عطف على فراغ
والتنبيه عنه واضح ٥ بعجل سمين اي مشوي لقوله في مكان اخر بعجل حنيذ
فقربه اليهم ليأكلوا فلم ياكلوا قال الا تاكلون والهمزة في الا
تاكلون للانكار عليهم في عدم اكلهم او للعرض او للتحضيض فاوجس منهم
خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم **قوله** فاقبلت امراته
في صرة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان وانما هو كقول القايل
اقبل يشتمني بمعنى اخذ في شتمي اي اخذت تولول لقوله قالت يا ويلتى وذلك انها
كانت مع زوجها في خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحيت واعرضت
عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الاهل ولم يقل بلفظ الادبار
من الملايكة **قوله** في صرة يجوز ان يكون حالا من الفاعل اي كاينة في صرة
والصرة قيل الصيحة ٥ قال امرؤ القيس

ش فالحقنا بالهاديات ودونه ٥ جواحرها في صرة لم تزيل ٥

قال الزمخشري من صر الجندب والباب والقلم اي فصاحت كما جرت
عادة النسا اذا سمعن شيا من احوالهن يصحن صيحة معتادة عندهن
عند الاستحيا او التعجب ٥ ويحتمل ان يكون تلك الصيحة كانت بقولها
يا ويلتا ومحلها النصب على الحال اي فجاءت صارة ٥ ويجوز ان يتعلق
باقبلت اي اقبلت في جماعة نسوة كن معها ٥ والصرة الجماعة من النسا
قوله فصكت وجهها ٥ قال ابن عباس لطمت وجهها ٥ واختلف
في صفته فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل بل هو ضرب الوجه
باطراف الاصابع فعل المتعجب وهي عادة النسا اذا انكرن شيا واصل
الصك ضرب الشي بالشي العريض **قوله** عجوز خبر مبتدا مضمر اي انا عجوز
عقيم فكيف الد وبين في الاية الاخرى واستبعدت ذلك لكبر سنها
ولعقمها فانها كانت لا تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم عجزت وايست
فاستبعدت ذلك ظنا منها ان ذلك منهم على سبيل الدعا فكانها قالت
يا ليتكم دعوتكم دعا قريبا من الاجابة فاجابوها بان ذلك من الله
تعالى وان هذا ليس بدعا وانما هو قول الله كذلك قال ربك ثم ذكروا
استبعادها بقولهم انه هو الحكيم العليم **قوله** كذلك منصوب
على المصدر بقال الثانية اي مثل ذلك القول الذي اخبرنا به قال

ربك اي انه من جهة الله تعالى فلا تتعجبي منه • قال ابن الخطيب وقال
هٰهنا الحكيم العليم وفي سورة هود انه حميد مجيد لان الحكاية في هود ابسط
فذكروا ما يدفع استبعاده بقولهم انعجبين من امر الله ثم ارشدوها الى
القيام بشكر نعم الله بقولهم حميد فان الحميد هو الذي يفعل الافعال الحسنة
والمجيد اشارة الى انه الذي لا يحمد لفعله وانما يحمد لذاته وهٰهنا لما لم يقولوا
اتعجبين اشاروا الى ما يدفع تعجبها بقولهم حكيم عليم • فالحميد يتعلق بالفعل
والمجيد يتعلق بالذات وكذلك الحميد هو الذي يفعل قاصدا اليه فان
من يتقلب في نومه على حية فتقتلها لا يعد حكيما واما اذا قصد قتلها بحيث
يسلم من نهشها يقال له حكيم والعليم صفة راجعة الى الذات فقدم وصف
الفعل وابتدء رجعة الى وصف الذات اشارة الى انه يستحق الحمد وان لم يفعل
فعلا قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون هذا ايضا من ادب الضيف
اذا بادر الضيف للخروج قال له ما هذه العجلة وما شانك لان في سكوته
ما يوهم باستثقالهم ولانهم اتوا بما هو من ادب الصديق الذي لا يسر
عن الصديق شيا وكان ذلك باذن الله لهم في اطلاع ابراهيم عليه الصلوة
والسلام على اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بابي الانبيا اسحاق
عليه الصلوة والسلام فان قيل فما الذي اقتضى ذكره بالفا ولم لا قال ما هذا
الاستعجال وما خطبكم المعجل لكم • فالجواب انه لما اوجس منهم خيفة لو خرجوا
من غير بشارة وايناس ما كان يقول شيا فلما آنسوه قال ما خطبكم اي
بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم فصل والخطب يستعمل
في الامر العظيم ولذلك قال فما خطبكم اي لعظمتكم لا ترسلون الا في امر عظيم
ولو قال بلفظ مركب بان يقول ما شغلكم الخطير وامركم العظيم لزم التطويل
فالخطب افاد التعظيم مع الايجاز وعرف انهم مرسلون بقولهم انا ارسلنا
او بقولهم لامراته كذلك قال ربك فحكايتهم قول الله تعالى وقالوا في سورة
هود انا ارسلنا الى قوم لوط وقال هٰهنا الى قوم مجرمين لان الحكاية عن معنى
قولهم • ويحتمل انهم قالوا الامرين ولما حكى لفظهم في السلام اتى في الموضعين
بصفة واحدة والمجرم قال ابن عباس هو المشرك لان الشرك اشرف الذنوب
واعظمها • وقال ابن الخطيب المجرم هو الاتي بالذنب العظيم لان الجرم فيه
دلالة على العظم ومنه جرم الشي لعظمه ومقداره قوله لنرسل عليهم
حجارة من طين فيه دليل على رجم اللايط والفايدة في ارسال جماعة من الملايكة
لهذا الامر وان كان يكفي فيه الواحد منهم ان الملك العظيم قد يهلك بالامر
الحقير كما اهلك النمرود بالبعوض وكما اهلك بالنمل والجراد بل بالريح التي بها
الحياة اظهارا للقدرة وقد يكثر الاسباب كما في يوم بدر امر خمسة الاف من الملايكة
باهلاك اهل بدر مع قلتهم اظهارا لعظيم قدرته • وقوله من طين اي ليست
من البرد والفاعل لذلك هو الله تعالى لا كما تقول الحكما فانهم يقولون ان
البرد يسمى حجارة فقوله من طين يدفع ذلك المتوهم • قال ابن الخطيب
ان بعض من يدعي العقل يقول لا ينزل من السما الا حجارة من طين مدورات
على هيئة البرد وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك
ان الاعصار تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح
تسوقها الى بعض البلاد ويتفق وصول ذلك الى الهوا الندي فيصير طينا رطبا والرطب
اذا نزل ويتفرق استدار بدليل انك اذا رميت الما الى فوق ثم نظرت اليه
رايته ينزل كرات مدورات كاللالي الكبار ثم في النزول اذا اتفق ان تضربه
النيران التي في الجو جعلته حجارة كالاجر المطبوخ فينزل فيصيب من قدر الله
هلاكه وقد ينزل كثيرا في المواضع التي لا عمارة فيها فلا يرى ولا يدرى به

فلهذا



فلهذا قال من طين لاما لا يكون من طين كالحجر الذي في الصواعق لا يكون كثيرا
بحيث تمطر وهذا تعسف لان ذلك الاعصار كما وقع قاد ووقع لحادث اخر
لزم التسلسل ولا بد من الانتها الى محدث ليس بحادث فذلك المحدث لا بد وان
يكون فاعلا مختارا والمختار له ان يفعل ذلك وله ان يخلق الحجارة من طين على وجه
اخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجزم بطريق احداثه وما لا يصل
العقل اليه فلا يوخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم ان نزول حجارة الطين من
السما اغرب واعجب من غيرها قوله مسومة فيه ثلاثة اوجه احدها انه
منصوب على النعت لحجارة • والثاني انه حال من الضمير المستكن في الجار قبله
الثالث انه حال من حجاره وجنس ذلك كونها نكره وصفت بالجار بعدها ومعنى
مسومة قيل على كل حجر منها اسم صاحبه • وقيل خلقت واعدت لتعذيبهم • وقيل
مرسلة للمجرمين لان الارسال يقال في التسويم يقال ارسلها للرعي كما قيل في
الخيل للسومة اي مستغن عنها قوله عند ربك ظرف لمسومة اي معلمة
عنده للمسرف المتمادي ولو في الصغاير فهم مجرمون مسرفون • وهنا لطيفة
وهي ان الحجارة سومت للمسرف المصر الذي لا يترك الذنب في المستقبل وذلك
انما يعلمه الله تعالى فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين واللام في المسرفين لتعريف العهد اي لهولاء
المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة واسرافهم بانهم اتوا بما لم يسبقهم
به احد من العالمين قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين هذه الاية
تدل على بيان القدرة والاختيار لانه تعالى لما ميز المجرم عن المحسن دل على
الاختيار • وايضا فيها بيان ان ببركة المحسن ينجو المسي فان القرية ما دام
فيها المومنون لم تهلك • والضمير في فيها عايد الى القرية وهي معلومة وان
لم تكن مذكورة • والمعنى فاخرجنا من كان في قرى قوم لوط من المومنين وذلك
قوله فاسر باهلك بقطع من الليل وقوله فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين يعني لوطا وابنتيه ووصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا
لانه ما من مومن الا وهو مسلم وفيه اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق
اذا فشا لا ينفع معه عبادة المومنين بخلاف ما لو كان اكثر الخلق على الطريقة
المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون • ومثاله ان العالم
كالبدن ووجود الصالحين كالاغذية الباردة والحارة والسموم الواردة عليه
الضارة • ثم ان البدن ان خلا عن النافع وفيه الضار هلك وان خلا عن الضار
وفيه النافع طاب ونما وان وجدا فيه فالحكم للغالب • واعلم ان اطلاق العام
على الخاص لا مانع منه لان المسلم اعم من المومن فاذا سمي المومن مسلما لا يدل
على اتحاد مفهوميهما فكانه تعالى قال اخرجنا المومنين فما وجدنا الاعم منهم
الا بيتا من المسلمين ويلزم من هٰهنا انه لا يكون هناك غيرهم من المومنين
قوله وتركنا فيها اية يجوز ان يعود الضمير على القرية اي تركنا في القرية
علامة اي عبرة كالحجارة او الما المنتن • ويجوز ان يعود الضمير على الاهلاك
المفهوم من السياق • وقوله للذين يخافون اي ما ينتفع بها الا الخايف كقوله
تعالى في سورة العنكبوت لقوم يعقلون • ومعنى الاية ان الاية تدلهم على
ان الله اهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله تعالى وفي موسى فيه اوجه
اظهرها انه عطف على قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير
مجرور فيتعلق بتركنا من حيث المعنى ويكون التقدير وتركنا في قصة موسى
اية وهذا واضح • والثاني انه معطوف على قوله وفي الارض ايات اي وفي الارض
وفي موسى ايات للموقنين قاله الزمخشري وابن عطية • قال ابو حيان وهذا
بعيد جدا ينزه القران عن مثله • قال شهاب الدين وجه استبعاده له بعد



ما بينهما وقد نقل اهل العلم هذا في اكثر من ذلك • والثالث انه متعلق
بجعلنا متعدية لدلالة وتركنا • قال الزمخشري او على قوله يعني او بعطف
على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله •
• فعلفتها تبنا وماء باردا • قال ابو حيان ولا حاجة الى اضمار وجعلنا
لانه قد امكن ان يكون العامل في المجرور وتركنا قال شهاب الدين
والزمخشري انما اراد الوجه الاول بدليل قوله وفي موسى معطوف على وفي
الارض او على قوله وتركنا فيها وانما قال على معنى من جهة تفسير المعنى
لا الاعراب وانما اظهر الفعل تنبيها على مغايرة الفعلين يعني ان هذا
الترك غير ذاك الترك ولذلك ابرزه بمادة الجعل دون مادة الترك لتظهر
المخالفة • الرابع ان يعطف على هل اتاك حديث ضيف ابراهيم • تقديره
وفي حديث موسى اذ ارسلناه وهو مناسب لان الله جمع كثيرا بين ذكر
ابراهيم وموسى عليهما الصلوة والسلام كقوله تعالى ام لم ينبأ بما في صحف
موسى وابراهيم الذي وفى • وقال في صحف ابراهيم وموسى قاله ابن الخطيب
فصل والمعنى لك في ابراهيم تسلية ولك في موسى وللمؤمنين في
لوط وقومه عبرة وفي موسى وفرعون او تفكروا في ابراهيم ولوط وقومهما
وفي موسى وفرعون هذا ان عطفناه على مذكور فقد تقدم الثنا والسلطان
المبين الحجة الواضحة قوله اذ ارسلناه يجوز في هذا الظرف ثلاثة
اوجه احدها ان يكون منصوبا باية على الوجه الاول اي تركنا في قصة موسى
علامة في وقت ارسالنا اياه • الثاني انه يتعلق بمحذوف لانه نعت لاية
اي اية كائنة في وقت ارسالنا الثالث انه منصوب بتركنا قوله
بسلطان يجوز ان يتعلق بنفس الارسال وان يتعلق بمحذوف على
انه حال اما من موسى واما من ضميره اي ملتبسا بسلطان وهو الحجة
والمبين الفارق بين سحر الساحرين وامر المرسلين ويحتمل ان يكون
المراد بالمبين اي البراهين القاطعة التي حاج بها فرعون قوله
فتولى بركنه الجار والمجرور حال من فاعل تولى ومعنى تولى ادبر عن الايمان
والبا للمصاحبة والمراد بالركن اي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم
كالركن الذي يتقوى به البنيان كقوله تعالى او اوي الى ركن شديد
وقيل البا للتعدية فيكون بمعنى تقوى بجنده • ويحتمل ان يكون المراد
تولى امر موسى تقوية كانه قال اقتل موسى لئلا يبدل دينكم فتولى امره
بنفسه فيكون المفعول غير مذكور وركنه هو نفسه التقوية • ويحتمل
ان يكون المراد بركنه هامان فانه كان وزيره قوله ساحر او مجنون
او ههنا على ما بها من الابهام على السامع او للشك نزل نفسه مع انه يعرفه
نبيا حقا منزلة الشاك في امره تمويها على قومه • قال ابو عبيدة او بمعنى
الواو قال لانه قد قالهما • قال تعالى ان هذا لساحر عليم • وقال في موضع
اخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وتجي او بمعنى الواو كقوله
• اثعلبة الفوارس او رياحا • عدلت بهم طهية والخشابا •
ورد الناس عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعو الى ذلك واما الايتان
فلا يدلان على انه قالهما معا وانما يفيدان انه قالهما اعم من ان يكونا
معا او هذه في وقت وهذه في وقت قوله وجنوده يجوز ان
يكون معطوفا على مفعول اخذناه وهو الظاهر وان يكون مفعولا معه
فنبذناهم في اليم اغرقناهم في البحر قوله وهو مليم جملة حالية
فان كانت حالا من مفعول نبذناه فالواو ليست لازمة
اذ في الجملة ذكر يعود عليه وقد يقال ان الضمير في نبذناهم يعود على

فرعون

فرعون وعلى جنوده فصار في الحال ذكر يعود على بعض ما شمله الضمير
الاول وفيه نظر اذ يصير نظير قولك جا السلطان وجنوده فاكرمتهم
راكبا فرسه فيجعل راكبا حالا من بعض ما اشتمل عليه ضمير اكرمتهم
فصل ومعنى مليم اي اتى بما يلام عليه من دعوى الربوبية
وتكذيب الرسول قوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا الكلام عليه
كما تقدم على نظيره واعلم ان المراد بهذه الحكايات تسلية قلب النبي
عليه الصلوة والسلام وتذكيره بحال الانبيا • فان قيل لم لم يذكر
في عاد وثمود انبياهم كما ذكر ابراهيم وموسى ولوطا عليهم الصلوة
والسلام • فالجواب انه ذكر ست حكايات حكاية ابراهيم وبشارته
وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى ففي
هذه الحكايات ذكر الرسل والمؤمنين لان الناجين فيهم كانوا كثيرين
فاما في حق ابراهيم وموسى فظاهر واما في حق لوط فلان الناجين
وان كانوا اهل بيت واحد لكن المهلكين كانوا ايضا اهل بقعة
واحدة واما عاد وثمود وقوم نوح فكان عدد المهلكين بالنسبة
الى الناجين اضعاف المهلكين من قوم لوط عليه الصلوة والسلام فذكر
الحكايات الثلاث الاول للتسلية باهلاك العدو والكل مذكور
للتسلية بدليل قوله تعالى في اخر هذه الايات كذلك ما اتى الذين
من قبلهم الا قالوا ساحر او مجنون الى ان قال فتول عنهم فما انت بملوم
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين • وقال في سورة هود بعد الحكايات
ذلك من انبا القرى نقصه عليك الى ان قال وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد قوله اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا لانها
كانت تكسر وتقلع فكيف تلقح • واعلم ان الفعيل لا يلحق به تا التانيث
اذا كان بمعنى فاعل في بعض الصور وقد تقدم ذكر سببه وههنا فعيل
لما جا للمفعول والفاعل جميعا ولم يتميز المفعول من الفاعل فاولى ان لا
يتميز المونث عن المذكر فيه لانه لم يتميز الفاعل عن المفعول قبل تمييز
المذكر والمونث لان الفاعل جزء من كلام يحتاج اليه والمفعول فيه فايدة
اكيدة وان لم يكن جزءا من الكلام محتاجا اليه فاول ما يحصل في الفعل
الفاعل ثم التذكير والتانيث يصير كالصفة للفاعل تقول فاعل
وفاعله ومفعول ومفعوله • ويدل على ذلك ايضا ان التمييز بين
الفاعل والمفعول جعل بحرف ممازج للكلمة فقيل فاعل بالف بين
الفا والعين التي هي من اصل الكلمة • وقيل مفعول بواو فاصلة بين
العين واللام والتانيث كان بحرف في اخر الكلمة فالمميز فيهما غير
نظم الكلمة لشدة الحاجة لم يوثر ولان التمييز في الفاعل والمفعول
كان بامرين يختص كل واحد منهما باحدهما • فالالف بعد الفا تختص
بالفاعل والميم والواو تختص بالمفعول والتمييز في التذكير والتانيث
بحرف واحد وجوده يميز المونث وعدمه يبقي اللفظ على اصل
التذكير فاذا لم يكن فعيل يمتاز فيه الفاعل عن المفعول الا بامر منفصل
كذلك المونث والمذكر لا يمتاز احدهما عن الاخر بحرف متصل به
قوله ما تذر من شيء فيه وجهان • احدهما انه نصب على انه صفة
للريح بعد صفة العقيم قاله الواحدي • فان قيل كيف يكون وصفا
والمعرف لا يوصف بالجمل وما تذر جملة فلا يوصف بها الا النكرات
فالجواب من وجهين الاول ان يكون باعادة الريح تقديرا كانه يقول

وارسلنا عليهم الريح العقيم ريحا ما تذر • الثاني انها لما لم تكن معهوده
صارت منكرة كانه يقول لم تكن من الرياح التي تنتج ولا وتحملها فهي
لشدتها منكرة ولهذا اكثر ما ذكرت في القران منكرة ووصفت بالجملة
كقوله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم • وقوله بريح صرصر
عاتية سخرها عليهم الى غير ذلك • الوجه الثاني انه نصب على الحال تقول
تقول جاني ما بينهم شيا فعلته دفعته اي حالة كذا فان قيل لم يكن
حال الارسال ما تذر والحال ينبغي ان يكون موجودا مع ذي الحال وقت
الفعل فلا يجوز ان يقال جاني زيد امس راكبا غدا والريح بعد ما ارسلت
بزمان صارت ما تذر شيا • فالجواب ان المراد به بيان الصلاحية
اي التي ارسلناها على قوة وصلاحية ان لا تذر يقول لمن جاء واقام
عندك اياما ثم سالك ستجيئني سايلا اي وقت السوال بالصلاحية
والا فكان هذا ان قيل بانه نصب على المشهور • ويحتمل انه رفع على خبر
مبتدا محذوف تقديره هي ما تذر فان قيل ما تذر للنفي حال التكلم
يقال ما خرج زيد الى الان واذا اردت المستقبل تقول لا يخرج او لن
يخرج وتقول للماضي ما خرج ولم يخرج والريح حالة التكلم مع النبي عليه
الصلوة والسلام كانت ما تركت من شي الا جعلته كالرميم فكيف قال
بلفظ الحال ما تذر • فالجواب ان الحكايات مقدرة على انها محكية
حال الوقوع كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد مع ان اسم
الفاعل بمعنى الماضي لا يعمل وانما يعمل ما كان منه بمعنى الحال والاستقبال
فان قيل هل في قوله تعالى ما تذر من شي اتت عليه تخصيص كما في قوله تعالى
تدمر كل شي بامر ربها • فالجواب ان المراد به المبالغة لان قوله اتت عليه
وصف لقوله شي كانه قال كل شي اتت عليه او كل شي يات عليه ولا
تدخل فيها السموات لانها ما اتت عليه وانما يدخل فيه الاجسام التي
هبت عليها الريح • فان قيل فالجبال والصخور اتت عليه وما جعلته
كالرميم • فالجواب ان المراد اتت عليه قاصدة له وهو عاد وابنيتهم
وعروشهم لانها كانت مامورة بامر من عند الله فكانها كانت قاصدة
لهم فما تركت شيا من تلك الاشيا الا جعلته كالرميم قوله الا
جعلته كالرميم هذه الجملة في موضع المفعول الثاني لتذر كانه قيل
ما تترك من شي مجعولا نحو ما تركت زيدا الا عالما واعربها ابو حيان
حالا وليس بظاهر فصل معنى ما تذر ما تترك شيا اتت عليه
من انفسهم واموالهم وانعامهم الا جعلته كالرميم اي كالشي الهالك
البالي وهو نبات الارض اذا يبس وديس قال مجاهد كالتبن البالي
وقال ابو العالية كالتراب المدقوق • وقيل اصله من العظم البالي
قوله تعالى وفي ثمود الكلام عليه كما تقدم في قوله وفي موسى وقوله
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين • قال بعض المفسرين المراد منه هو ما امهلهم
الله بعد عقرهم الناقة وهو ثلاثة ايام في قوله تمتعوا في داركم ثلاثة
ايام وكان في تلك الايام تتغير الوانهم فتصفر وتحمر وتسود قاله
ابن الخطيب وهذا ضعيف لان قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم بعد
الفا دليل على ان العتو كان بعد قوله تمتعوا فاذن الظاهر ان المراد
هو ما قدره الله للناس من الاجال فما من احد الا وهو ممهل مدة الاجل
قوله فعتوا عن امر ربهم عتي يتعدى تارة بعلى كقوله تعالى ايهم
اشد على الرحمن عتيا وهنا استعمل بعن لان فيه معنى الاستكبار
كقوله لا يستكبرون عن عبادته وحيث استعمل بعلى فهو كقولك ذا

يتكبر علينا قوله فاخذتهم الصاعقة هذه قراة العامة • وقرا
الكسائي الصعقة والحسن الصاقعة وتقدم ذلك في البقرة • وقوله وهم
ينظرون جملة حالية من المفعول وينظرون قيل من النظر وقيل
من الانتظار اي ينتظرون ما وعدوا من العذاب قوله فما
استطاعوا من قيام اي فما قاموا بعد نزول العذاب ولا قدروا على
نهوض • قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة • وقوله من قيام بدل
قوله من هرب لان العاجز عن القيام اولى ان يعجز عن الهرب ويحتمل
ان يحتمل ان يكون المراد منه من القيام بالامر اي ما استطاعوا من قيام
به وما كانوا منتصرين اي ممتنعين منا • قال قتادة ما كانت عندهم
قوة بها من الله قوله تعالى وقوم نوح قرا الاخوان وابو عمرو بجر الميم
والباقون بنصبها وابو السمال وابن مقسم وابو عمرو في رواية
الاصمعي وقوم بالرفع • فاما الخفض ففيه اربعة اوجه • احدها
معطوف على وفي الارض • الثاني انه معطوف على وفي موسى • الثالث انه
معطوف على وفي عاد • الرابع انه معطوف على وفي ثمود وهو الظاهر
لقربه وبعد غيره ولم يذكر الزمخشري غيره فانه قال وقرى بالجر على معنى
وفي قوم نوح ويقويه قراة عبد الله وفي قوم نوح اي لكم عبرة ولم يذكر
ابو البقا غير الوجه الاخير لظهوره • واما النصب ففيه ستة اوجه
احدها انه منصوب بفعل مضمر اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله
يدل عليه • الثاني انه منصوب باذكر مقدرا ولم يذكر الزمخشري غيرهما
الثالث انه منصوب عطفا على مفعول فاخذناه • الرابع انه معطوف
على مفعول فنبذناهم في اليم اي اغرقناهم وناسب ذلك ان قوم نوح
مغرقون من قبل لكن يشكل انهم لم يغرقوا في اليم واصل العطف ان يقتضي
التشريك في المتعلقات • الخامس انه معطوف على مفعول فاخذتهم
الصاعقة وفيه اشكال لانهم لم تاخذهم الصاعقة وانما اهلكوا بالغرق
الا ان يراد بالصاعقة الداهية والنازلة العظيمة من اي نوع كانت
فيقرب ذلك • السادس انه معطوف على محل وفي موسى نقله ابو البقا وهو
ضعيف • واما الرفع فعلى الابتدا والخبر مقدر اي اهلكناهم • وقال ابو
والخبر ما بعده يعني من قوله انهم كانوا قوما فاسقين ولا يجوز ان يكون
مراده قوله من قبل اذ الظرف ناقص فلا يخبر به قوله والسما بنيناها
العامة على النصب على الاشتغال وكذلك قوله والارض فرشناها
والتقدير وبنينا السما بنيناها وقال ابو البقا اي ورفعنا
السما تقدير الناصب من غير لفظ الظاهر وهذا انما يصار اليه عند
تعذر التقدير الموافق لفظا نحو زيدا مررت به وزيدا ضربت غلامه
واما في نحو زيدا ضربته فلا يقدر الا ضربت زيدا • وقرا ابو السمال وابن
مقسم برفعهما على الابتدا والخبر ما بعدها والنصب ارجح لعطف جملة
الاشتغال على جملة فعلية قبلها قوله بايد يجوز ان يتعلق بمحذوف
على انه حال وفيها وجهان • احدها انه حال من فاعل بنيناها اي ملتبسين
بايد اي بقوة قال تعالى عبدنا داود ذا الايد • الثاني انها حال من
مفعوله اي ملتبسة بقوة • ويجوز ان تكون البا للتعدية مجازا على ان
تجعل الايد كالالة المبني بها كقولك بنيت بيتك بالاجر قوله
وانا لموسعون يجوز ان تكون الجملة حالا من فاعل بنيناها ويجوز ان
تكون حالا من مفعوله ومفعول موسعون محذوف اي موسعون بناها
ويجوز ان لا يقدر له مفعول لان معناه لقادرون كقولك ما في وسعي

كذا اي ما في طاقتي وقوتي كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
قاله ابن عباس• وعنه ايضا لموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذو سعة
قاله الضحاك اغنيا دليله قوله تعالى على الموسع قدره• قال ابن الخطيب
ويجوز ان يكون من السعة اي اوسعناها بحيث صارت الارض وما
يحيط بها من الما والهوا بالنسبة الى سعتها داخلها والبنا الواسع
الفضا عجيب فان القبة الواسعة لا يقدر عليها البناوون لانهم
يحتاجون الى اقامة آلة يصح بها استدارتها ويثبت بها تماسك
اجزايها الى ان يتصل بعضها ببعض فقوله وانا لموسعون بيان
للاعجاز **فصل** والحكمة في كثرة ذكر البنا في السموات كقوله تعالى
والسما وما بناها• وقوله ام السما بناها وقوله والسما بنا• ان السما باقية
الى قيام الساعة لم يسقط منها شي ولم يعدم منها جزء• واما الارض
فهي في التبدل والتغير كالفرش الذي يبسط ويطوى وينقل والسما
كالبنا المبني الثابت كما اشار اليه بقوله سبعا شدادا• واما الارض
فكم صارت بحرا وعادت ارضا من وقت حدوثها• وايضا فالسما
كالقبة المبنية فوق الرووس والارض مبسوطة مدحوة وذكر البنا
بالمرفوع اليق كقوله تعالى رفع سمكها• وقال بعض الحكما مسكن الارواح
والارض موضع الاعمال والمسكن اليق لكونه بنا والله اعلم• فان
قيل ما الحكمة في تقديم المفعول على الفعل ولو قال وبنينا السما
بايد كان اوجز• فالجواب قال ابن الخطيب لان الصنع قبل الصانع
عند الناظر في المعرفة فلما كان المقصود اثبات العلم بالصانع قدم
الدليل قال والسما المبنية التي لا تشكون في بنيانها فاعرفوا بانيها
ان كنتم لا تعرفونه• فان قيل اذا كان اثبات التوحيد فكيف
قال بنيناها ولم يقل بنيتها او بناها الله• فالجواب ان قوله
بنيناها ادل على عدم الشريك لان الشركة ضعيفة فان الشريك يمنع
شريكه عن التصرف والاستبداد• وقوله بنيناها يدل على العظمة
وبين العظمة والضعف تنافر بين قوله بنينا وبين ان يكون شريك
منافاة• وتقريره ان قوله تعالى بنينا لا يورث ايهاما لان الالهة
التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع اليها الضمير لان تلك اما اصنام
منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام على صورها وطبايعها فاما
الاصنام المنحوتة فلا يشكون انها ما بنت من السما شيا واما
الكواكب فهي في السما محتاجة اليها فلا تكون هي بانيها وانما يقال
بنيت لها وجعلت اماكنها فلما توهموا ما قالوا قال بنينا نحن ونحن
غير ما يقولون وتدعونه فلا يصلحون لنا شركا ثم لما بين ان قوله
لا يوهم شريكا اصلا لان كل ما هو غير السما فهو محتاج الى السما ودون
السما في المرتبة فلا يكون خالقا للسما ولا بانيها فعلم ان المراد
جمع التعظيم فافاد النص عظمة والعظمة انفى للشريك فعلم ان قوله
بنيناها ادل على نفي الشريك من بنيتها وبناها الله• فان قيل لم
لم يقل بنيناها بايدينا كما عملت ايدينا• فالجواب ان ذلك
لفايدة جليلة وهو ان السما لا يخطر ببال احد انها مخلوقة لغير الله
والانعام ليست كذلك فقال هناك عملت ايدينا تصريحا بان
الحيوان مخلوق لله تعالى من غير واسطة ولذلك خلقت بيدي وفي
السما قال بايد من غير اضافة للاستغنا عنها وفيه لطيفة اخرى
وهو ان هناك لما ثبت الاضافة لم يعد الضمير العايد على المفعول
فلم

فلم يقل خلقته بيدي ولا قال عملته ايدينا وقال ههنا بنيناها
لان هناك لم يخطر ببال احد ان الانسان غير مخلوق وان الحيوان
غير معمول له فلم يقل خلقته ولا عملته• واما السما فبعض الجهال يزعم انها
غير مجعولة فقال بنيناها بعود الضمير تصريحا بانها مخلوقة **قوله**
والارض فرشناها اي بسطناها ومددناها وفيه دليل على ان خلق
الارض بعد خلق السما لان بنا البيت يكون في العادة قبل الفرش **قوله**
فنعم الماهدون المخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى اي نحن كقوله نعم
العبد• قال ابن عباس معناه الباسطون اي نعم ما وطات لعبادي **قوله**
ومن كل شي يجوز ان يتعلق بخلقنا اي خلقنا من كل شي زوجين
وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين لانه في الاصل صفة له اذ
التقدير خلقنا زوجين ونوعين صنفين مختلفين كالسما والارض والشمس
والقمر الكاينين من كل شي والاول اقوى في المعنى **فصل** المعنى
خلقنا زوجين صنفين ونوعين مختلفين كالسما والارض والشمس والقمر
والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتا والصيف والجن
والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والشقاوة
والسعادة والحق والباطل والحلو والمر لعلكم تذكرون فتعلمون
ان خالق الازواج واحد لا شريك له لا يعجز عن حشر الاجساد وجمع الارواح
قوله ففروا الى الله اي فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة
قال ابن عباس فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد
الله فروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه نذير مبين وهذا اشارة الى
الرسالة **قوله** ولا تجعلوا مع الله الها اخر تتميما للتوحيد لان التوحيد
بين التعطيل والتشريك لان المعطل يقول لا اله اصلا والمشرك يقول
بوجود اله اخر والموحد يقول قول الاثنين باطل لان نفي الواحد باطل والقول
بالاثنين باطل فلما قال ولا تجعلوا مع الله الها اخر نفى الاكثر من واحد فصح
القول بالتوحيد بالايتين ولهذا قال مرتين اني لكم منه نذير مبين اي في
المقامين والموضعين **قوله** كذلك فيه وجهان اظهرهما انه خبر مبتدا
محذوف اي الامر مثل ذلك• قال الزمخشري والاشارة بذلك الى تكذيبهم
الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا• ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى
والثاني ان الكاف في محل نصب نعت المصدر محذوف قاله مكي ولم
يبين تقديره ولا يصح ان ينتصب بما بعده لاجل ما النافية• واما
المعنى فلا يمنع ولذلك قال الزمخشري ولا يصح ان يكون الكاف منصوبا
باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات
لكان صحيحا بمعنى لو اتى في موضع ما لم يجز ان ينتصب الكاف باتى
لان المعنى يسوغ عليه• والتقدير كذبت قريش تكذيبا مثل تكذيب الامم
السالفة رسلهم• ويدل عليه قوله ما اتى الذين من قبلهم الاية **قوله**
الا ان قالوا الجملة القولية في محل نصب على الحال من الذين من قبلهم ومن
رسول فاعل اتى كانه قيل ما اتى الاولين رسول الا في حال قولهم هو
ساحر• فان قيل ان من الانبيا من قرر دين النبي الذي كان قبله وبقي
القوم على ما كانوا عليه كانبيا بني اسرايل وكيف وادم لما ارسل لم يكذب
فالجواب انا لا نسلم ان المقرر رسول بل هو نبي على دين رسول ومن
كذب رسوله فهو يكذبه ايضا ضرورة• فان قيل قوله ما اتى الذين من
قبلهم من رسول الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ساحر والامر ليس كذلك
لان ما من رسول الا وامن به قوم وهم ما قالوا ذلك• فالجواب ان ذلك

ليس بعام فانه لم يقل الا قالوا كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم
قالوا ذلك قال الله تعالى الا قالوا • فان قيل فلم لم يذكر المصدقين كما
ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت • فالجواب
لان المقصود التسلية وهي على التكذيب نكاية تعالى قال لا تأس على
تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا رسلا كذبوا قوله اتواصوا به
الاستفهام للتعجب والتوبيخ والضمير في به يعود على القول المدلول عليه
بقالوا اي تواصى الاولون والاخرون بهذا القول المتضمن لساحر او مجنون
والمعنى كيف اتفقوا على قول واحد كانهم تواطئوا عليه وقال بعضهم
لبعض لا تقولوا الا هذا واوصى اولهم اخرهم بالتكذيب ثم قال لم يكن ذلك
التواطي قول وانما كان لمعنى جامع وهو ان الكل اترفوا فاستغنوا فنسوا الله
فطغوا فكذبوا رسله • قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت
عليهم على تكذيبك قوله فتول عنهم فاعرض عنهم فما انت بملوم لا لوم
عليك فقد اديت الرسالة وما قصرت فيما امرت به وهذه تسلية اخرى
قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتد ذلك على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد
حضر اذ امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله تعالى وذكر
فان الذكرى تنفع المومنين فطابت انفسهم والمعنى ليس التولي مطلقا
بل تول واقبل واعرض وادع فلا التولي يضرك اذا كان عليهم ولا التذكير
يضيع اذا كان مع المومنين • قال مقاتل معناه عظ بالقران كفار مكة فان
الذكرى تنفع من علم الله انه يومن منهم • وقال الكلبي عظ بالقران
من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون هذا الجار متعلق بخلقت • واختلف في الجن والانس
قيل المراد بهم العموم • والمعنى الا لامرهم بالعبادة وليقروا بها وهذا
منقول عن علي بن ابي طالب ويؤيده وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
او يكون المعنى ليطيعون وينقادوا للقضاء فالمومن يفعل ذلك طوعا
والكافر كرها فكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضا الله متذلل لمشيته
لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق عليه • او يكون المعنى الا معدين للعبادة
ثم منهم من يأتي منه ذلك ومنهم من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة
ثم قد يكتب به وقد لا يكتب وقيل المراد به الخصوص اي ما خلقت السعداء
من الجن والانس الا للعبادة والاشقيا منهم الا للمعصية قاله زيد بن
اسلم قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ويؤيده قوله
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس • وقال مجاهد معناه الا ليعرفون
قال البغوي وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده
بدليل قوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله • وقيل الا ليعبدون
اي الا ليوحدون فاما المومن فيوحده في الشدة والرخا واما الكافر
فيوحده في الشدة والبلا دون النعمة والرخا قال تعالى فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين • وقيل المراد وما خلقت الجن والانس
المومنين • وقيل الطائعين • قال شهاب الدين والاول احسن •
فصل في تعلق الاية بما قبلها ان بعثة الانبيا منحصرة في امرين
عبادة الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فتول عنهم فما انت بملوم بين ان
الهداية قد سقطت عند اليأس واما العبادة فهي لازمة للخلق المطلق
وليس الخلق المطلق للهداية • وقيل انه لما بين حال من قبله في التكذيب
ذكر هذه الاية لتبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله الذي خلقهم
العبادة

للعبادة فان قيل ما الحكمة في انه لم يذكر الملائكة مع انهم من اصناف
المكلفين وعبادتهم اكثر من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل
عباد مكرمون لا يستكبرون عن عبادته فالجواب من وجوه • احدها
انه تقدم ان الاية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا
له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر موجود في الجن والانس بخلاف الملائكة
الثاني ان النبي عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا الى الجن والانس • الثالث
ان عباد الاصنام كانوا يقولون بان الله تعالى عظيم الشان خلق الملائكة
وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا
لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملائكة وهم يعبدون كما قالوا انما نعبدهم
ليقربونا الى الله فقال تعالى ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولم
يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المتنازع فيه •
الرابع فعل الجن يتناول الملائكة لان اصل الجن من الاستتار وهم مستترون
عن الخلق فذكر الجن لدخول الملائكة فيهم قوله ما اريد منهم من رزق
اي ان يرزقوا انفسهم وما اريد ان يطعمون اي يطعموا احدا من خلقي وانما
اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد
اطعمه قال عليه الصلوة والسلام يقول الله استطعمتك فلم تطعمني اي لم
تطعم عبدي • فصل استدل المعتزلة بقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون على ان افعال الله معللة بالاغراض واجيبوا
بوجوه تقدمت ومنها ان اللام قد تثبت لغير الغرض كقوله تعالى اقم
الصلاة لدلوك الشمس • وقوله فطلقوهن لعدتهن ومعناه المقارنة
فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة
ومنها قوله تعالى الله خالق كل شيء ومنها ما يدل على ان الاضلال بفعل
الله كقوله تعالى يضل من يشا وامثاله • ومنها قوله تعالى لا يسأل عما يفعل
وقوله يفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد وقوله تعالى ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون • معناه ان النفع يعود اليهم لا الي • فان قيل ما الفائدة
في تكرير الارادتين مع ان من لا يريد من احد رزقا لا يريد منه ان يطعمه
فالجواب ان السيد قد يطلب من العبد المكتسب له فيطلب منه الرزق
وقد يكون للسيد مال وافر ويستغني به عن التكسب لكنه يطلب من
العبد قضا حوائجه احضار الطعام بين يديه فقال لا اريد ذلك ولا
هذا وقدم طلب الرزق على طلب الاطعام من باب الارتقا من الادنى
الى الاعلى • فان قيل ما فائدة الاطعام بالذكر مع ان المراد عدم طلب
فعل منهم غير التعظيم • فالجواب انه لما عمم النفي في الطلب الاول
بقوله من رزق وذلك اشارة الى التعميم بذكر الاطعام ونفي الادنى
يستتبعه نفي الاعلى بطريق الاولى فكانه قال ما اريد منهم من عين ولا عمل
فان قيل المطالب لا تنحصر فيما ذكره فان السيد قد يشتري العبد لا لطلب
عمل منه ولا لطلب رزق ولا للتعظيم بل ليربحه للتجارة • فالجواب ان
عموم قوله ما اريد منهم من رزق يتناول ذلك قوله ان يطعمون قيل
فيه حذف مضاف اي يطعموا خلقي كما تقدم في التفسير وقيل المعنى ان
ينتفعون فعبر ببعض وجوه الانتفاعات لان عادة السادة ان ينتفعوا
بعبيدهم والله مستغن عن ذلك قوله ان الله هو الرزاق يعني لجميع
خلقه وهذا التقرير لعدم طلب الرزق • وقوله ذو القوة تقرير لعدم
طلب العمل لان من طلب رزقا يكون فقيرا محتاجا ومن طلب عملا يكون عاجزا
لا قوة له فكانه يقول ما اريد منهم من رزق فاني انا الرزاق ولا العمل فاني

قوي • وروي ان النبي عليه الصلوة والسلام قرا اني انا الرزاق وقرا ابن محيصن الرازق كما تقدم في قراءته وفي السماء رازقكم • قوله المتين العامة على رفعه وفيه اوجه اما النعت للرزاق واما النعت لذو • واما النعت لاسم ان على الموضع وهو مذهب الجرمي والفرا وغيرهما واما خبر بعد خبر واما خبر مبتدا مضمر وعلى كل تقدير فهو تاكيد لان ذو القوة يفيد فايدته • وقرا يحيى بن وثاب والاعمش المتين بالجر فقيل صفة للقوة وانما ذكر وصفها لكون تانيثها غير حقيقي • وقيل لانها في معنى الايد وقال ابن جني هو خفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب يعني صفة للمرفوع وانما جر لما جاور مجرورا وهذا مرجوح لامكان غيره والجوار لا يصار اليه الا عند الحاجة •

فصل قال تعالى ما اريد ولم يقل اني رزاق بل قال على الحكاية عن الغايب ان الله هو الرزاق فما الحكمة فيه • قال ابن الخطيب بقول قد روي ان النبي عليه الصلوة والسلام قرا اني انا الرزاق واما على القراة المشهورة فالمعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق او يكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة او يكون قل مضمرا عند قوله ما اريد منهم اي قل يا محمد ما اريد منهم من رزق فيكون بمعنى قوله قل ما اسئلكم عليه من اجر ويكون على هذا قوله تعالى ان الله هو الرزاق ولم يقل القوي بل قال ذو القوة لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعا بالغير لكن في عدم طلب الرزق لا يكفي كون المستغني بحيث يرزق واحدا فان كثيرا من الناس يرزق ولده وعبده ويسترزق منه • والملك يرزق الجند ويسترزق فاذا كثر منه الرزق قل منه الطلب لان المسترزق منه يكثر والرازق لا يسترزق مرزوقه فلم يكن ذلك المقصود يحصل الا بالمبالغة في وصف الرازق فقال الرزاق واما ما يغني عن الاستعانة بالغير فهو دون ذلك لان القوي اذا كان في غاية القوة يعين الغير فاذا كان دون ذلك لا يعين غيره ولا يستعين به استعانة قوية بل استعا فا ويتفاوت بعد ذلك • ولما قال وما اريد ان يطعمون كفاه بيان نفس القوة فقال ذو القوة لان قولنا ذو القوة في افادة معنى القوي دون افادة القوي لان ذلك لا يقال في الوصف اللازم يقال في الادمي ذو مال ومتمول وذو جمال وجميل وذو خلق حسن الى غير ذلك مما يلزم لزوما بينا ولا يقال في الثلاثة ذات فردية ولا في الاربعة ذات زوجية ولهذا لم يرد في الاوصاف الحقيقية فلم يسمع ذو الوجود ولا ذو الحياة ولا ذو العلم ويقال في الانسان ذو علم وذو حياة لانها غير عارض لازم بين وفي صفات الفعل قال الله تعالى ذو الفضل كثيرا لان ذا كذا بمعنى صاحب والصحبة لا يفهم منها اللزوم فضلا عن اللزوم البين ويؤيد هذا قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم فجعل ذا العلم ووصف نفسه بالفعل فبين ذا العلم والعليم فرق كذلك بين ذي القوة والقوي ويؤيده ايضا قوله تعالى فاخذهم الله انه قوي • وقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشا وهو القوي وقال لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لان هذه الصور كان المراد بها بيان القيام بالافعال العظيمة وهاهنا المراد عدم الاحتياج ومن لا يحتاج الى الغير يكفيه من القوة ادنى قدر ومن يستبد بالفعل لا بد له من قوة عظيمة لان عدم الحاجة قد يكون بترك الفعل والاستغناء عنه •

فصل وقوله المتين لان ذا القوة كما تقدم لا يدل الا على ان له قوة ما فزاد في الوصف المتانة

وهو

وهو الذي له ثبات لا يتزلزل وهو مع المتين من باب واحد لفظا ومعنى فان معنى متن الشي هو اصله الذي عليه ثباته والمتن هو الظهر الذي عليه اساس البدن • والمتانة مع القوة كالعزة مع القوي حيث قرن العزة مع القوة في قوله قوي عزيز • وقوله القوي العزيز والله اعلم •

قوله فان للذين ظلموا ذنوبا قد تقدم الكلام على الفا في وجه التعلق والمراد بالذين ظلموا كفار مكة • ومعنى ذنوبا اي نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب في الاصل الدلو العظيمة المملوءة ماء • وفي الحديث فاتي بذنوب فيه من ماء فان لم تكن ملاى فهو دلو • ثم عبر به عن النصيب قال علقمة : وفي كل حي قد خبطت بنعمة : فحق لشاس من نداك ذنوب : ويجمع في القلة على اذنبة وفي الكثرة على ذنائب • وقال الملك لما انشد هذا البيت نعم واذنبة • وقال الزمخشري الذنوب الدلو ولهذا ذنوب قال الشاعر : لنا ذنوب ولكم ذنوب : فان ابيتم فلنا القليب : وقال الراغب الذنوب الدلو الذي له ذنب انتهى فراعى الاشتقاق والذنوب ايضا الفرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم اسفل المتن ويقال يوم ذنوب اي طويل الشر استعارة من ذلك •

قوله فلا يستعجلون اي بالعذاب ووجه مناسبة الذنوب ان العذاب منصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم وقال صبوا فوق راسه من عذاب الحميم والذنوب كذلك فكانه قال يصب فوق رؤوسهم ذنوبا من العذاب كذنوب صب فوق رؤوس اوليك • ووجه اخر وهو ان العرب يستقون من الابار على النوبة ذنوبا فذنوبا وذلك وقت عطشهم الطبيعي فكانه تعالى قال ان للذين ظلموا من الدنيا وطيباتها ذنوبا اذا ملاوه لا يكون لهم في الاخرة من نصيب كما كان عليه حال اصحابهم استقوا ذنوبا وتركوها وعلى هذا فالذنوب ليس بعذاب ولا اهلاك بل انما رغد العيش • قال وهو اليق بالعربية •

قوله فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون قيل يوم بدر • وحذف العايد لاستكمال شروطه اي يوعدونه • روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والذاريات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا •

سورة والطور مكية

وهي تسع واربعون اية وثلثماية واثنتا عشرة كلمة والف وخمسماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والطور وما بعده اقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواوات التي بعد الاولى عواطف لا حروف قسم كما تقدم في اول هذا الكتاب عن الخليل ونكر الكتاب تفخيما وتعظيما

فصل مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما واول هذه السورة فويل يومئذ للمكذبين وفي اخر تلك السورة فويل للذين ظلموا ذنوبا وذلك اشارة الى العذاب وقال هاهنا ان عذاب ربك لواقع •

فصل قيل المراد بالطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه الصلوة والسلام بالارض المقدسة اقسم الله به • وقيل هو الجبل الذي قال الله تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جنس • والمراد بالكتاب المسطور كتاب موسى عليه الصلوة والسلام

وهو التورية وقيل الكتاب الذي في السما وقيل كتايب اعمال الخلق
قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل القران والمراد
بالمسطور المكتوب **قوله** في رق يجوز ان يتعلق بمسطور اي مكتوب
في رق وجوز ابو البقا ان يكون نعتا اخر لكتاب وفيه نظر لانه
يشبه تهيية العامل للعامل وقطعه عنه والرق بالفتح الجلد الرقيق
يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب فيه شبه كاغد انتهى فهو
اعم من كونه جلدا وغيره ويقال فيه رق بالكسر فاما ملك العبيد
فلا يقال فيه الا رق بالكسر وقال الزمخشري والرق الصحيفة وقيل
الجلد الذي يكتب فيه انتهى وقد غلط بعضهم من يقول كتبت في
الرق بالكسر وليس بغلط لثبوته به لغة وقرا ابو السمال في رق
بالكسر فان قيل ما الفايدة في قوله تعالى في رق منشور وعظمة الكتاب
بلفظه ومعناه لا بخطه ورقه فالجواب ان هذا اشارة الى الوضع لان
الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه فقال في رق منشور اي ليس كالكتب المطوية
اي منشور لكم لا يمنعكم احد من مطالعته **قوله** والسقف
المرفوع يعني السما ونظيره وجعلنا السما سقفا محفوظا **قوله**
والبحر المسجور قيل هو من الاضداد يقال بحر مسجور مملوء وبحر
مسجور اي فارغ وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس قال خرجت امة
لتستقي فقالت ان الحوض مسجور اي فارغ ويويد هذا ان البحار
تذهب ماوها يوم القيمة وقيل المسجور الممسوك ومنه ساجور
الكلب لانه يمسكه ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظي والضحاك
يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس لما روي
ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا فيزاد بها في نار جهنم
كما قال تعالى واذا البحار سجرت وروى عبد الله بن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركب رجل بحرا الا غازيا او معتمرا
او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع بن انس
المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي
انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش كما بين سبع سموات الى سبع
ارضين فيه ما غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة
الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وهذا قول مقاتل
فصل قيل الحكمة في القسم بهذه الثلاثة اشيا ان هذه
الاماكن الثلاثة هي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور كانت
لثلاثة انبيا للخلاة بربهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله
اما الطور فانتقل اليه موسى عليه الصلوة والسلام وخاطب الله تعالى
هناك واما البيت المعمور فانتقل اليه محمد عليه الصلوة والسلام
وقال لربه سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا احصي ثنا عليك انت
كما اثنيت على نفسك واما البحر المسجور فانتقل اليه يونس عليه
الصلوة والسلام ونادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين فصارت هذه الاماكن شريفة بهذه الاسباب
فاقسم الله تعالى بها واما ذكر الكتاب فلان الانبيا كان لهم في هذه
الاماكن مع الله كلام والكلام في الكتاب **فصل** اقسم في بعض
السور بجموع قوله والذاريات والمرسلات والنازعات وفي بعضها
بافراد قوله والطور ولم يقل والاطوار والبحار قال ابن الخطيب
والحكمة فيه ان في اكثر الجموع اقسم عليها بالمتحركات والريح الواحدة
ليست

ليست نافعة بل هي مبدا بافرادها مستمرة بانواعها والمقصود
منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة الى
النوع المستمر لا الى الفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت غير
متغير عادة فالواحد من الجبال دايم زمانا ودهرا فاقسم في ذلك
بالواحد وكذلك في قوله والنجم ولو قال والريح لما علم به المقسم به
وفي الطور علم **قوله** ان عذاب ربك لواقع اي كاين وقوله
ما له من دافع يجوز ان يكون الجملة خبرا ثانيا وان يكون صفة لواقع اي
واقع غير مدفوع قال ابو البقا ومن دافع يجوز ان يكون فاعلا وان
يكون مبتدا ومن مزيدة على الوجهين **فصل** قال جبير بن مطعم
قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر
فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد
فسمعته يقرا والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع
فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم اكن اسلمت يومئذ قال فاسلمت
خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع بي
العذاب **قوله** يوم تمور يجوز ان يكون العامل فيه واقع اي يقع
في ذلك اليوم وعلى هذا فيكون الجملة المنفية معترضة بين العامل
ومعموله ويجوز ان يكون العامل فيه دافع قاله الحوفي ومنعه مكي
قال ابو حيان ولم يذكر دليل المنع قال شهاب الدين وقد ذكر
دليل المنع في الكشف الا انه ربما يكون غلطا عليه فانه وهم وعبارته
قال العامل فيه واقع اي ان عذاب ربك لواقع في يوم تمور السما
مورا ولا يعمل فيه دافع لان المنفي لا يعمل فيما قبل النفي في لا تقول طعامك
ما زيد اكلا رفعت الكلام او نصبته او ادخلت عليه الباء فان رفعت الطعام
بالابتدا واوقعت الكلا عليها جاز وما بعد الطعام خبرا انتهى وهذا كلام
صحيح في نفسه الا انه ليس في الاية شي من ذلك لان العامل وهو دافع وله
وهو يوم كلاهما بعد النافي وفي حيزه وقوله واوقعت الكلا عليها اي على
ضمير يعود على الطعام فيقول طعامك ما زيد اكله وقد يقال ان وجه
المنع من ذلك خوف الوهم انه يفهم ان احدا يدفع العذاب في غير ذلك
اليوم والغرض ان عذاب الله لا يدفع في كل وقت وهذا امر مناسب
فقد ذكر مثله كثير ولذلك منع بعضهم ان ينتصب يوم تجد كل نفس بقوله
والله على كل شي قدير ليلا يفهم منه ما لا يليق وهو ابعد من هذا في الوهم
بكثير وقال ابو البقا وقيل يجوز ان يكون ظرفا لما دل عليه فويل
انتهى وقال ابن الخطيب والذي اظنه ان العامل هو الفعل المدلول
عليه بقوله ما له من دافع لان العذاب الواقع على هذا ينبغي ان يقع
ذلك اليوم لان العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الحشر ومور
السما لانه في معنى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
فصل والمور الاضطراب والحركة يقال مار الشي اي ذهب
وجا وقال الاخفش وابو عبيدة تكفا وانشد الاعشى
كان مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل
وقال الزمخشري هو تحرك في تموج وهو الشي يتردد في عرض كالداعصة
وهي الجلدة التي فوق قفل الركبة وقال الراغب المور الجريان
السريع ومار الدم على وجهه والمور اي بالضم التراب المتردد
به الريح واكد بالمصدرين رفعا للمجاز ان هذان الجرمان العظيمان
مع كثرتهما يقع ذلك منهما حقيقة وقال ابن الخطيب فيه فايدة

جليلة وهي ان قوله تعالى وتسير الجبال يحتمل ان يكون بيانا لكيفية
مور السما لان الجبال اذا سارت وسيرت معها سكانها تظهر السما
كالسايرة الى خلاف تلك الجهة كما يشاهده راكب السفينة فانه
يرى الجبل الساكن متحركا فكان لقايل السما تمور في راي العين بسبب
سير الجبال كما يرى القمر سايرا راكب السفينة والسما اذا صارت
كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفزع لا في الارض ولا في السما **فصل**
لما ذكر ان العذاب واقع بين انه متى يقع العذاب فقال يوم
تمور السما مورا قال المفسرون اي تدور كما يدور الرحا وتكفا
باهلها تكفو السفينة قال عطا الخراساني تختلف اجزاوها
بعضها في بعض وقيل تضطرب وتسير سيرا فتزول عن اماكنها
وتصيرها منثورا وهذا ايذان واعلام بان لا عود الى الدنيا
لان الارض والجبال والسما والنجوم كلها لعمارة الدنيا والانتفاع
لبني ادم فاذا لم يبق لهم عودة ولم يبق فيها نفع فلذلك اعدمها
الله تعالى **قوله** فويل يوميذ للمكذبين يوميذ منصوب بويل
والخبر للمكذبين والفا في فويل والمكرر جواب الجملة المتقدمة
وحسن ذلك لان في الكلام معنى الشرط لان المعنى اذا كان ما ذكر
فويل قال ابن الخطيب اي اذا علم ان عذاب الله واقع وانه
ليس له دافع فويل اذن للمكذبين فالفا للاتصال المعنى وللمعنى
اخر وهو الايذان بامان اهل الايمان لانه لما قال ان عذاب
ربك لواقع وانه ليس له دافع لم يبين موقعه بمن فلما قال فويل
يوميذ للمكذبين علم المخصوص وهو المكذب فان قيل اذا قلت
بان قوله ويل يوميذ للمكذبين بيان لمن يقع به العذاب فمن لا يكذب
لا يعذب فاهل الكباير لا يعذبون لانهم لا يكذبون فالجواب ان
ذلك العذاب لا يقع على اهل الكباير وانما هذا كقوله كلما القي فيها
فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا
فالمومن لا يلقى فيها القي هوان وانما يدخل فيها للتطهير ادخالا
مع نوع اكرام والويل انما هو للمكذبين والويل ينبي عن الشدة
لان تركيب حروف الواو والبا واللام لا ينفك عن نوع شدة ومنه
لوى اذا دفع ولوى يلوي به اذا فتل ثوبا والولي فيه القوة على المولى عليه
وقد تقدم وجه جواز التنكير في قوله ويل مع كونه مبتدا لانه في تقدير
المنصوب لانه دعا في تقسيم قوله تعالى قال سلام **قوله** الذين
في خوض يلعبون الخوض هو الاندفاع في الاباطيل قال تعالى وخضتم
كالذي خاضوا وقال تعالى وكنا نخوض مع الخايضين وتنكير الخوض
يحتمل وجهين الاول ان يكون للتكثير اي في خوض عظيم الثاني ان يكون
التنوين عوضا عن المضاف اليه كقوله تعالى وان كلا والاصل في خوضهم
المعروف منهم وقوله يلعبون اي غافلون لاهون واعلم ان قوله الذين
في خوض ليس وصفا للمكذبين بما يميزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان
الرجيم لا تريد فصله عن الشيطان ليس برجيم بخلاف قولك اكرم الرجل
العالم فالوصف بالرجيم للذم له لا للتعريف وتقول في المدح الله الذي
خلق والله العظيم للمدح لا للتمييز ولا للتعريف عن اله لم يخلق او اله
ليس بعظيم فان الله واحد لا غير **قوله** يوم يدعون يجوز ان يكون
ظرفا لتعالى المقدر مع قوله هذه النار اي تقال لهم هذه النار يوم
يدعون ويجوز ان يكون بدلا من قوله يوم تمور او من يوميذ قبله تقديره
فويل

فويل يوميذ يوم يدعون للمكذبين لان معناه يوم يقع العذاب ذلك
اليوم فهو يوم يدعون في النار والعامة على فتح الدال وتشديد العين
من دعه يدعه اي دفعه في صدره بعنف وشدة قال الراغب واصله
ان يقال للعاثر دع كما يقال له لعا وهذا بعيد من معنى هذه اللفظة وقرا
علي رضي الله عنه والسلمي وابو رجا وزيد بن علي بسكون الدال وتخفيف
العين مفتوحة من الدعا اي يدعون اليها فيقال لهم هلموا فادخلوها
قوله دعا مصدر معناه تدفعهم الملايكة دفعا على وجوههم بعنف
اي يدفعون الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم
بها تكذبون في الدنيا فان قيل قوله تعالى يدعون الى نار جهنم يدل على
ان خزنتها يقذفونهم في النار وهم بعيدا عنها وقوله تعالى يسحبون
في النار على وجوههم يدل على انهم فيها فالجواب من وجوه الاول ان
الملايكة يسحبونهم في النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة وهي نار جهنم
يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب في نار والدفع في نار اشد واقوى
بدليل قوله يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون اي يسحبون
في حرة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال الثاني يجوز ان يكون زبانيتها
يتولون امرهم ملايكة والى النار يدفعهم ملك وفي النار يسحبهم اخر
الثالث يجوز ان يكون السحب بسلاسل اي يسحبون في النار
والساحب خارج النار الرابع يحتمل ان تكون الملايكة تدفعهم الى
النار اهانة لهم واستخفافا بهم ويدخلونهم معهم النار ويسحبونهم
فيها **قوله** افسحر خبر مقدم وهذا مبتدا موخر ودخلت الفا
قال الزمخشري بمعنى كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد
هذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفا لهذا المعنى وهذا تعنيف الامر
لان من يرى شيا ولا يكون الامر على ما يراه فذلك الخطا يكون لاحد
امرين اما لامر عايد الى المرئي واما لامر عايد الى الرائي فقوله افسحر
هذا اي ام المرئي يمكنكم انكارها وتحققوا انه ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم
فاصلوها اي هل في المرئي شك ام هل في بصركم خلل فهو استفهام انكار
اي لا واحد منهما ثابت فالذي ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق
وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي
الابصار بالسحر وان انشقاق القمر ما له سحر توبخوا به وقيل لهم
افسحر هذا ام انتم لا تبصرون **قوله** اصلوها اي اذا لم يمكنكم
انكارها وتحققوا انه ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم فاصلوها اي
قاسوا شدتها فاصبروا او لا تصبروا اي الصبر وعدمه سوا قاله ابو البقا
والثاني انه مبتدا والخبر محذوف اي سوا الصبر والجزع قاله ابو حيان
قال شهاب الدين والاول احسن لان جعل النكرة خبرا اولى من جعلها
مبتدا وجعل المعرفة خبرا ونحا الزمخشري منحى الوجه الثاني فقال سوا خبره
محذوف اي سوا عليكم الامران الصبر وعدمه **قوله** انما تجزون ما كنتم
تعملون فيه لطيفة وهي ان المومن بايمانه استفاد ان الخير الذي يفوته
ولا يحققه لا يعاقب عليه والكافر بكفره صار على الضد فالخير الذي يفوته
ولا يعمله لا يثاب عليه والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه
ولا ظلم فان الله تعالى اخبره به وهو اختار ذلك ودخل باختياره فان
الله تعالى بان من كفر ومات كافرا اعذبه ابدا فاحذروا ومن امن اثيبه
دايما فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعد ما سمع ذلك فاذا عوقب دايما
فهو محقق لما اوعد به فلا يكون ظلما **قوله تعالى** ان المتقين في جنات

منا نعا اخبر الله تعالى بذلك بشارة ويجوز ان يكون
ونعيم يجوز ان يكون من منا نعا اخبر الله تعالى بذلك بشارة ويجوز ان يكون
من جملة المقول للكفار زيادة في غمهم وتحسرهم والجنة هي موضع السرور لكن
الناطور يكون في البستان الذي هو في غاية الطيب فلما قال ونعيم افاد
انهم فيها متنعمون كما يكون المتفرج لا كما يكون الناطور والعمال وقوله
فاكهين يريد في ذلك لان المتنعم قد يكون اثار النعيم عليه ظاهر وقلبه
مشغول فلما قال فاكهين دل على غاية الطيب **قوله** فاكهين هذه
قراة العامة نصب على الحال والخبر الظرف وصاحب الحال الضمير
المستتر في الظرف • وقرا خالد فاكهون بالرفع فيجوز ان يكون الظرف
لغوا متعلقا بالخبر ويجوز ان يكون خبرا اخر عند من يجيز تعدد الخبر وقرى
فكهين مقصورا وسياتي انه قرى به في المطففين في المتواتر حفص عن عاصم
قوله بما اتاهم يجوز ان تكون الباء بمعنى في اي فيما اتاهم من الثمار وغير
ذلك ويجوز ان يكون ما مصدرية ايضا **قوله** ووقاهم يجوز فيه اوجه
اظهرها انه معطوف على الصلة اي فكهين باتيانهم ربهم ووقايته
لهم عذاب الجحيم • والثاني ان الجملة حالية فيكون قد مقدرة عند من يشترط
اقترانها بالماضي الواقع حالا الثالث ان يكون معطوفا على في جنات قاله
الزمخشري يعني فيكون مخبرا به عن المتقين ايضا فيكون المراد انهم فاكهون
بامرين احدهما اتاهم والثاني بانه وقاهم والعامة على تخفيف القاف
من الوقاية وابو حيوة بتشديدها **قوله** كلوا واشربوا اي يقال
لهم كلوا واشربوا هنيا وقد تقدم الكلام في هنيا في النسا وقال الزمخشري
يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيا او طعاما وشرابا هنيا وهو
الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله :.
:. هنيا مريا غير داء مخامر :. لعزة من اعراضنا ما استحلت :.
اعني صفة استعملت استعمال المصدر القايم مقام الفعل مرتفعا به
ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنا عزة المستحل من اعراضنا وكذلك
معنى هنيا هنا هناكم الاكل والشرب او هناكم ما كنتم تعملون اي جزا ما كنتم
تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت
الفاعل الاكل والشرب وهذا من محاسن كلامه قال ابو حيان اما تجويزه
زيادة الباء فليست بمقيسة في الفاعل الا في فاعل كفى على خلاف فيها فيجوز هنا
لا يسوغ واما قوله انها تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح الا على الاعمال فهي تتعلق
باحدهما انتهى وهذا قريب **قوله** متكين فيه اوجه احدها انه حال من
فاعل كلوا الثاني انه حال من مفعول اتاهم الثالث انه حال من مفعول
وقاهم الرابع انه حال من الضمير المستكن في الظرف الخامس انه حال من
الضمير في فاكهين واحسنها ان يكون حالا من ضمير الظرف لكونه عمدة وقوله
على سرر متعلق بمتكين وقراة العامة بضم الرا الاولى وابو السمال بفتحها
وقد تقدم انها لغة لكلب في المضعف يفرون من توالي ضمتين في المضعف
قوله وزوجناهم بحور عين قرا عكرمة بحور عين باضافة الموصوف
الى صفته على التاويل المشهور **فصل** اعلم انه تعالى بين اسباب
التنعيم على الترتيب فاول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الاكل والشرب
ثم الفرش والبسط ثم الازواج فهذه امور اربعة ذكرها الله على الترتيب
وذكر في كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات اشارة الى المسكن
وقال فاكهين اشارة الى عدم التنغص في علو المرتبة بكونهما فيما اتاهم الله
وقال كلوا واشربوا هنيا اي مامون العاقبة من التخم والسقم وترك ذكر
الماكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما وقوله بما كنتم تعملون اشارة
الى انه

اشارة الى انه تعالى يقول انى مع كوني ربكم وخالقكم وادخلتكم الجنة بفضلي
فلا منة لي عليكم وانما منتي عليكم كانت في الدنيا هديتكم ووفقتكم للاعمال الصالحة
كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان واما اليوم فلا منة عليكم لان هذا
انجاز الوعد فان قيل قال في حق الكفار انما تجزون ما كنتم تعملون وقال
في حق المومن بما كنتم تعملون فما الفرق بينهما فالجواب من وجوه الاول ان كلمة
انما للحصر اي لا تجزون الا ذلك ولم يذكر هذا في حق المومن لانه يجزيه اضعاف
ما عمل ويزيده من فضله الثاني قال هنا بما كنتم وقال هناك ما كنتم اي تجزون
عين اعمالكم وهذا اشارة الى المبالغة في المماثلة كانه يقول هذا عين ما عملت
وقوله في حق المومن بما كنتم كان ذلك امر ثابت مستمر يعيدكم هذا الثالث
انه ذكر الجزا هناك وقال هنا بما كنتم تعملون لان الجزا ينبي على الانقطاع
فان من احسن الى احد فاتى بجزايه لا يتوقع المحسن منه شيا اخر فان قيل
فالله تعالى قال في موضع اخر بما كنتم تعملون في الثواب فالجواب انه
في تلك المواضع لما لم يخاطب المجزي ولم يقل بما كنت تعمل اتى بما يفيد
العلم بالدوام وعدم الانقطاع واما في السرر فذكر امورا احدها الاتكا
فانه هيئة تختص بالمنعم والفارغ الذي لا كلفة عليه وجمع السرر لامرين
احدهما ان يكون لكل واحد سرر لان قوله مصفوفة يدل على انها لواحد
لان سرر الكل لا يكون في موضع واحد مصطفة ولفظ السرير فيه حروف
السرور بخلاف التخت وغيره وقوله مصفوفة اي منتظمة بعضها الى جنب
بعض فانها لو كانت متفرقة لقيل في كل موضع واحد يتكي عليه صاحبه اذا
حضر هذا الموضع وقوله تعالى وزوجناهم اشارة الى النعمة الرابعة وفيها ما
يدل على كمال الحال من وجوه الاول انه هو المزوج وهو الولي الذي يلي الطرفين
يزوج عباده باماية ومن يكون كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العباد والاما
الثاني قال وزوجناهم بحور ولم يقل وزوجناهم حورا مع ان لفظ التزويج
يتعدى فعله الى مفعولين بغير حرف يقال زوجتكها قال تعالى فلما قضى زيد
منها وطرا زوجناكها وذلك اشارة الى ان المنفعة في التزويج لهم وانما زوجوا
للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم • الثالث عدم الاقتصار على الزوجات
بل وصفهن بالحسن واختار الاحسن من الاحسن فان احسن ما في صورة الادمي
وجهه واحسن ما في الوجه العين **قوله** والذين امنوا فيه ثلاثة
اوجه احدها انه مبتدا والخبر الجملة من قوله الحقنا بهم ذرياتهم والذرية
هنا تصدق على الاباء وعلى الابناء اي ان المومن اذا كان عمله اكثر الحق به من دونه
في العمل ابنا كان او ابا وهو منقول عن ابن عباس وغيره الثاني انه منصوب
بفعل مقدر قال ابو البقا على تقدير واكرمنا الذين امنوا قال شهاب
الدين فيجوز انه يريد انه من باب الاشتغال وان قوله الحقنا بهم
ذرياتهم مفسر لذلك الفعل من حيث المعنى وان يريد انه مضمر لدلالة
السياق عليه فلا تكون المسالة من الاشتغال في شي الثالث قال ابن
الخطيب انه معطوف على قوله ان المتقين ثم قال فاذا كان كذلك فلم اعاد
لفظ الذين امنوا وكان المقصود يحصل بقوله تعالى والحقنا بهم ذرياتهم
بعد قوله وزوجناهم وكان يصير التقدير وزوجناهم والحقنا بهم فنقول
فيه فايدة وهي ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين
امنوا وعملوا الصالحات فقال هنا الذين امنوا بمجرد الايمان يصير وا
لذة من اهل الجنة ثم ان ارتكب الاب كبيرة او صغيرة على صغيرة لا يعاقب
به ولده بل الوالد وربما يدخل الابن الجنة قبل الاب • وقد ورد في الخبر
ان الولد الصغير يشفع لابيه وذلك اشارة الى الجزا وذكر الزمخشري انه

مجرور عطفا على حور عين قال الزمخشري والذين امنوا معطوف على
حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقا والجلسا منهم
كقوله اخوانا على سرر متقابلين يستمتعون تارة بملاعبة الحور
وتارة بموانسة الاخوان ثم قال الزمخشري ثم قال بايمان الحقنا
بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو الايمان
الاباء الحقنا بدرجتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم
قال ابو حيان ولا يتخيل احداث والذين امنوا معطوف على بحور
عين غير هذا الرجل وهو تخيل اعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن عباس
وغيره قال شهاب الدين اما ما ذكره ابو القاسم من المعنى فلا
شك في حسنه ونضارته وليس في كلام العربي القح ما يدفعه بل لو عرض
على ابن عباس وغيره لاعجبهم واي مانع معنوي او صناعي يمنعه قوله
واتبعناهم يجوز ان يكون عطفا على الصلة ويكون الذين مبتدا ويتعلق
بايمان بالاتباع بمعنى ان الله تعالى يلحق الاولاد الصغار وان لم يبلغوا
الايمان باحكام الاباء المومنين وهذا المعنى منقول عن ابن عباس والضحاك
ويجوز ان يكون معترضا بين المبتدا والخبر قاله الزمخشري ويجوز ان
يتعلق بايمان بالحقنا كما تقدم فان قيل قوله اتبعناهم ذرياتهم
يفيد فائدة قوله الحقنا بهم ذرياتهم فالجواب ان قوله الحقنا
بهم اي في الدرجات والاتباع انما هو في حكم الايمان وان لم يبلغوه كما
تقدم وقرا ابو عمرو واتبعناهم باسناد الفعل الى المتكلم المعظم
نفسه واتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية والحاق تاء التانيث وقد
تقدم الخلاف في افراد ذرياتهم وجمعه في سورة الاعراف فصل
اختلفوا في معنى الاية فقيل والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان معناها
يعني اولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار
بايمان ابائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الابوين
وقوله الحقنا بهم ذرياتهم اي المومنين في الجنة بدرجاتهم وان لم يبلغوا
باعمالهم درجات ابائهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك اعينهم وهي رواية
سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل معناه والذين امنوا واتبعتهم
ذريتهم البالغون بايمان الحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا
الايمان بايمان ابائهم وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن
عباس اخبر الله عز وجل انه يجمع لعبده ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا
ان يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيهم
من غير ان ينتقص الاباء من اعمالهم شيئا فذلك قوله وما التناهم من عملهم
من شيء روي عن علي رضي الله عنه قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه
وسلم عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هما في النار فلما راى الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما
لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومنين واولادهم في الجنة وان المشركين
واولادهم في النار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين امنوا
واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قوله وما التناهم
قرا ابن كثير التناهم بكسر اللام والباقون بفتحها فاما الاولى فمن
الت يالت بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كعلم يعلم واما
الثانية فيحتمل ان يكون من الت يالت كضرب يضرب وان يكون
من لات يليت كباع يبيع فالتناهم كامتناهم وقرا ابن هرمز
التناهم

التناهم بالف بعد الهمزة على وزن افعلناهم يقال آلت يولت
كآمن يومن وعبد الله وابي والاعمش وطلحة ويروى عن ابن كثير لتناهم
بكسر اللام كبعناهم يقال لاته يليته كباعه يبيعه وقرا طلحة
والاعمش ايضا لتناهم بفتح اللام قال سهل لا يجوز فتح اللام
من غير الف بحال ولذلك انكر التناهم بالمد وقال لا يدل عليها لغة
ولا تفسير وليس كما زعم بل نقل اهل اللغة آلت يولت
بالواو كوعدناهم نقلها هارون قال ابن خالويه وقرئ ولتناهم
من لات يليت وولت يليت والت يالت والت يولت فيكون هذا الحرف
وكلها بمعنى نقص ويقال الت بمعنى غلظ وقام رجل الى عمر يعظه فقال
له رجل لا تالت امير المومنين اي لا تغلظ عليه قال شهاب الدين ويجوز
ان يكون هذا الاثر على حاله والمعنى لا تنقص امير المومنين حقه لانه اذا اغلظ
القول نقصه حقه وفي الضمير في التناهم وجهان اظهرهما انه عايد على
المومنين الثاني انه عايد على ابنايهم قيل ويقويه قوله كل امرئ بما كسب
رهين قوله من عملهم من شيء مفعول ثان لالتناهم ومن مزيدة فيه
والاولى في محل نصب على الحال من شيء لانها في الاصل صفة له فلما قدمت
نصبت حالا وجوز ابو البقا ان تتعلق بالتناهم فصل في قوله
وما التناهم بتطييب لقلبهم وازالة وهم المتوهم ان ثواب عمل الاب
يوزع على الولد والولد بل للوالد اجر عمله ولاولاده مثل ذلك فضلا
من الله ورحمة وقال من عملهم ولم يقل من اجرهم لان قوله وما التناهم
من عملهم دليل على بقاء عملهم كما كان والاجر على العمل مع الزيادة فيكون
فيه اشارة الى بقاء العمل الذي له الاجر الكثير الزايد عليه العظيم العايد
اليه ولو قال وما التناهم من اجرهم لكان ذلك حاصلا بادنى شيء لان كل
ما يعطي الله عنده على عمله فهو اجر كامل ولانه لو قال ما التناهم من اجرهم
كان مع ذلك يحتمل ان يقال ان الله تعالى يتفضل بالاجر عليه الكامل
على العمل الناقص واعطاه الاجر الجزيل مع ان عمله كان له ولولده جميعا
فان قيل ما الفايدة في تنكير الايمان في قوله واتبعناهم ذرياتهم بايمان
الحقنا فالجواب هو اما للتحقير او للتنكير كانه يقول اتبعناهم ذرياتهم
بايمان مخلص كامل او يقول اتبعناهم بايمان ما اي بشيء منه فان الايمان
كاملا لا يوجد في الولد بدليل ان من امن له ولد صغير حكم بايمانه فاذا
بلغ وصرح بالكفر وانكر البعثة قيل بانه لا يكون مرتدا وتبين بقوله
انه لم يتبع وقيل بانه يكون مرتدا لانه كفر بعدما حكم بايمانه كولد المسلم
الاصلي فاذن تبين بهذا الخلاف ان ايمانه ليس بقوي ذكر هذين الوجهين
الزمخشري ويحتمل ان يكون المراد ان يكون التنوين للتعويض عن المضاف
اليه كقوله تعالى بعضهم لبعض وقوله وكلا وعد الله الحسنى لان التقدير
اتبعناهم ذرياتهم بايمان اي بسبب ايمانهم لان الاتباع ليس بايمان
كيف كان وممن كان وانما هو بايمان الاباء لكن الاضافة تنبئ عن تقييد
وعدم كون الايمان ايمانا على الاطلاق فان قول القايل ما الشجر وما الزمان
يصح واطلاق الماء من غير اضافة لا يصح فقوله بايمانهم يوهم ان ايمانهم
مضاف اليهم كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا حيث
اثبت الايمان المضاف ولم يكن ايمانا فقطع الاضافة مع ارادتها ليعلم
انه ايمان صحيح وعوض التنوين فيعلم انه مضاف لا يوجب الايمان في الدنيا
الايمان الاباء قال ابن الخطيب وهذا وجه حسن قوله كل امرئ

بما كسب رهين قال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتهن في
النار والمومن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا
اصحاب اليمين قال الواحدي هذا يعود الى ذكر اهل النار وهو قول
مجاهد ايضا وقال الزمخشري هذا عام في كل احد انه يكون مرهونا
عند الله بالكسب فان كسب خيرا فك رقبته والا اعلق الرهن قال
ابن الخطيب وفيه وجه اخر وهو ان يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل
فيكون المعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دايم ان احسن ففي الجنة مؤبدا
وان اساء ففي النار مخلدا لان في الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان
العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الاخرة دوام الاعيان بدوام
الاعمال فان الله يبقي اعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات
الصالحات وما عند الله باق والباقي يبقى مع عمله قوله وامددناهم
بفاكهة زيادة على ما كان لهم ولحم مما يشتهون من انواع النعمات
والمعنى زدناهم ماكولا ومشروبا فالماكول الفاكهة واللحم والمشروب
الكاس وفي هذه اللطيفة وهو انه لما قال ما التناهم ونفى النقصان
يصدق بحصول المساوي فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على
المساوي بل بالزيادة والامداد قوله يتنازعون في موضع نصب
على الحال من مفعول امددناهم ويجوز ان يكون مستانفا وتقدم
الخلاف في قوله لا لغو فيها في البقرة والجملة في موضع نصب صفة لكاس
وقوله فيها اي في شربها وقيل في الجنة ومعنى يتنازعون اي يتعاطون
ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب والكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة
لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة قال الشاعر

نازعته طيب الراح الشمول وقد ۞ صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

وقوله لا لغو فيها ولا تاثيم قال قتادة اللغو الباطل وقال مقاتل بن
حيان لا فضول فيها وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها وقال
ابن زيد لا سباب ولا تخاصم فيها وقال القتيبي لا تذهب عقولهم
فيلغوا او يرفثوا ولا تاثيم اي لا يكون منهم ما يؤثمهم قال ابن الخطيب
ويحتمل ان يكون المراد من التاثيم السكر وقال الزجاج لا يجري منهم
ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر وقيل لا ياثمون
في شربها قوله ويطوف عليهم غلمان اي يطوف عليهم بالخدمة غلمان
لهم كانهم في الحسن والبياض والصفا كانهم لؤلؤ مكنون صفة ثانية
لغلمان والمعنى يطوف عليهم بالكؤوس غلمان لهم وهم الولدان المخلدون
كانهم لؤلؤ مكنون اي محزون مصون لم تمسه الايدي قال سعيد بن
ابن جبير يعني في الصدف قال عبد الله بن عمر ما من احد من اهل الجنة
الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه روي عن الحسن
انه لما تلا هذه الاية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون
فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على
ساير الكواكب قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال
بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب
والخوف في الدنيا فقوله يتساءلون جملة حالية من بعضهم قوله قالوا
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين اي خايفين من العذاب والمعنى انهم يسالون
عن سبب ما وصلوا اليه فيقولون خشية الله اي كنا نخاف الله فمن الله
علينا ووقانا عذاب السموم اي فمن الله علينا بالمغفرة ووقانا عذاب
السموم قال الكلبي عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من اسماء جهنم

والسموم



والسموم في الاصل الريح الحارة التي تتخلل المسام والجمع سمايم وسم يومنا اي
اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر او شدة البرد في النهار وقال
ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون
بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشمس اكثر وقد
تقدم شي من ذلك في سورة فاطر وقرا العامة ووقانا بالتخفيف وابو
حيوة بالتشديد وقد تقدم قوله انا كنا من قبل اي في الدنيا
نخلص له العبادة وقوله انه هو البر قرا نافع والكسائي بفتح الهمزة
على التعليل اي لانه والباقون بالكسر على الاستيناف الذي فيه معنى
العلة فيتحد معنى القراءتين وقوله هو البر قال ابن عباس اللطيف
وقال الضحاك الصادق فيما وعد الرحيم بعباده قوله تعالى فذكر
فما انت بنعمة ربك لما بين تعالى ان في الوجود قوما يخافون الله ويشفقون
في اهليهم والنبي عليه الصلوة والسلام مامور بتذكير من يخاف الله تعالى
لقوله فذكر بالقران من يخاف وعيد فوجب التذكير فلذلك ذكره بالفا
قوله بنعمة ربك فيه ثلاثة اوجه احدها انه مقسم به متوسط
بين اسم ما وخبرها ويكون الجواب حينئذ محذوفا لدلالة هذا المذكور
عليه والتقدير ونعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون والتقدير
ما انت كاهنا ولا مجنونا الثاني ان البا في موضع نصب على الحال
والعامل فيها بكاهن او مجنون والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا ملتبسا
بنعمة ربك قاله ابو البقا وعلى هذا فهي حال لازمة لانه عليه الصلوة
والسلام لم يفارق هذه الحالة الثالث ان البا متعلقة بما دل عليه الكلام
وهو اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير ما انت في حال اذكارك بنعمة
ربك بكاهن ولا مجنون قاله الحوفي قال شهاب الدين ويظهر وجه
رابع وهو ان تكون البا سببية وتتعلق حينئذ بمضمون الجملة المنفية
وهذا هو مقصود الاية الكريمة والمعنى انتفى عنك الكهانة والجنون
بسبب نعمة الله عليك كما تقول ما انا بمعسر بحمد الله وعنايته
فصل المعنى فذكر يا محمد اهل مكة بالقران فما انت بنعمة ربك
اي برحمته وعصمته بكاهن يبتدع القول ويخبر بما في غد من غير وحي ولا
مجنون نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون والشعر قوله ام يقولون قال
الثعلبي قال الخليل كل ما في سورة الطور من ام فاستفهام وليس بعطف
وقال ابو البقا ام في هذه الايات منقطعة وتقدم الخلاف في المنقطعة
هل تقدر ببل وحدها او ببل والهمزة او بالهمزة وحدها والصحيح الثاني
وقال مجاهد في قوله ام تامرهم تقديره بل تامرهم وقرا بل هم قوم
طاغون بدل ام هم قوم قوله نتربص في موضع رفع صفة لشاعر
والعامة على نتربص باسناد الفعل لجماعة المتكلمين ريب بالنصب
وزيد بن علي يتربص بالياء من تحت على البناء للمفعول ريب بالرفع
وريب المنون حوادث الدهر وتقلبات الزمان لانها لا تدوم على حال
كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها ۞ تطلق يوما او يموت حليلها

وقال ابو ذويب

امن المنون وريبه تتوجع ۞ والدهر ليس بمعتب من يجزع

والمنون في الاصل الدهر وقال الراغب المنون المنية لانها تنقص
العدد وتقطع المدد وجعل من ذلك قوله اجر غير ممنون اي غير مقطوع

وقال الزمخشري وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع
ولذلك سميت شعوب وريب مفعول به اي ننتظر به حوادث او المنية
فصل المعنى بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر
نتربص به ريب المنون حوادث الدهر وصروفه وذلك ان العرب كانت
تحترز عن ابذاء الشعراء فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدون فقالوا لولا اعراضه
في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص موته ويهلك كما
هلك من قبله من الشعراء ويتفرق اصحابه وان اباه مات شابا ونحن نرجو
ان يكون موته كموت ابيه والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت
سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل او يقال انه عليه الصلوة والسلام
كان يقول ان الحق دين الله وان الشرع الذي اتيت به يبقى ابد الدهر
وكتابي يتلى الى قيام الساعة فقالوا ليس كذلك انما هو شاعر والذي
يذكره شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض الهتنا الهلاك فنتربص
به ذلك وريب المنون هو اسم للموت فعول من المن وهو القطع ويحتمل
وجها اخر وهو ان يكون المراد انه اذا كان شاعرا فصروف الزمان ربما
تضعف ذهنه وتورث وهنه فيتبين لكل احد فساد الامر وكساد
شعره **قوله** قل تربصوا اي انتظروا بي الموت فان قيل هذا امر
للنبي عليه الصلوة والسلام ولفظ الامر يوجب المامور به او يبيحه او يجوزه
وتربصهم كان حراما فالجواب ليس ذلك بامر وانما هو تهديد اي
تربصوا ذلك فاني متربص الهلاك بكم كقول الغضبان لعبده افعل
ما شئت فاني لست عنك بغافل فان قيل لو كان كذلك لقال تربصوا
او لا تتربصوا كما قال فاصبروا او لا تصبروا فالجواب ليس كذلك
لان ذلك معتقد عدم الخوف اكثر **قوله** فاني معكم من المتربصين
اتربص هلاككم وقد اهلكوا يوم بدر وغيره من الايام قال ابن
الخطيب ويحتمل ان يكون معناه اذا قلتم ريب المنون صروف الدهر
فمعناه انكار كون صروف الدهر موثرة فكانه يقول انا من المتربصين
حتى اصبر ماذا ياتي به دهركم الذي تجعلونه مهلكا وماذا يصيبني منه
قوله ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا ام هم قوم طاغون والاشارة
بهذا الى ما ظهر منهم عقلا ونقلا وهو عبادة الاوثان وقولهم الهذيان
وقيل اشارة الى قولهم كاهن ومجنون وشاعر وقيل اشارة الى التربص
وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله
بعقولهم حين لم يثمر لهم معرفة الحق من الباطل وذلك ان الاشياء اما ان
تثبت بعقل او نقل فقال هل ورد امر سمعي او عقلي ام تامرهم بها
كانوا يقولون ام هم قوم طاغون مغترون ويقولون ما لا دليل عليه
سمعا ولا مقتضى له عقلا والطغيان مجاوزة الحد في العصيان وكذلك
كل شيء مكروه ظاهر قال تعالى لما طغى الماء واعلم ان قوله ام تامرهم متصل
تقديره انزل عليهم ذكر ام تامرهم احلامهم بهذا او في هذه الاية اشارة
الى ان كل ما يكون على وفق العقل لا ينبغي ان يقال ما يجب قوله عقلا ولا
جمع حلم وهو العقل فهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط
المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك عن مكانه والحلم من الاحلام وهو
ايضا سبب وقار المرء وثباته لان الحلم في اصل اللغة هو ما يراه النائم
فينزل ويلزمه الغسل الذي هو سبب البلوغ وعنده يصير الانسان
مكلفا فان الله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة
يكمل العقل ويكلف صاحبه فاشار تعالى الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه
وهو

وهو الحلم ليعلم انه يريد به كمال العقل **قوله** ام يقولون تقوله اي
اختلق القران من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب
وهذا ايضا متصل بقوله تعالى ام يقولون شاعر تقديره كاهن ام يقولون
تقوله والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يؤمنون بالقران استكبارا ثم الزمهم
الحجة وابطل جميع الاقسام فقال فلياتوا بحديث مثله اي مثل القران ونظمه
ان كانوا صادقين ان محمدا تقوله من قبل نفسه ولما امتنع ذلك كذبوا في
الكل **قوله** فلياتوا الفاء للتعقيب اي اذا كان ذلك فيجب عليهم ان ياتوا
بمثل ما اتى به ليصح كلامهم ويبطل كلامه قال بعض العلماء وهذا امر
تعجيز قال ابن الخطيب والظاهر ان الامر ههنا على حقيقته لانه
لم يقل ايتوا مطلقا بل قال ايتوا ان كنتم صادقين فهو امر معلق على
شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وامر التعجيز كقوله تعالى فان
الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وليس
هذا بحثا يورث خللا في كلامهم **قوله** بحديث مثله العامة على تنوين
حديث ووصفه بمثله والجحدري وابو السمال بحديث مثله باضافة
حديث الى مثله على حذف موصوف اي بحديث رجل مثله من جنسه
فصل قالت المعتزلة الحديث محدث والقران سماه حديثا
فيكون محدثا واجيبوا بان الحديث اسم مشترك يقال للمحدث والمنقول
ويصح ان يقال هذا حديث قديم اي متقادم العهد لا بمعنى سلب
الازلية وذلك لا نزاع فيه فان قيل الصفة تتبع الموصوف في التعريف
والتنكير والموصوف هنا حديث وهو منكر ومثله مضاف الى القران
والمضاف الى القران معرف فكيف هذا فالجواب ان مثل وغير لا يتعرفان
بالاضافة وكذلك كل ما هو مثله كشبه وذلك ان غير ومثل وامثالهما في
غاية التنكير لانك اذا قلت مثل زيد يتناول كل شيء فان كل شيء مثل زيد في شيء
فالجماد مثله في الجسم والحجم والامكان والنبات مثله في النشو والنماء والذبول
والفناء والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير
فهو عند الاضافة ينكر وعند قطع الاضافة ربما يتعرف فانك اذا
قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول امورا لا حصر لها واما
اذا قطعت غير عن الاضافة فربما يكون الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك
التغير فيجعل الغير كاسماء الاجناس ويجعله مبتدأ وتريد به معنى معينا
قوله ام خلقوا الاخلاف ان ام ههنا ليست بمعنى بل لكن اكثر المفسرين
على ان المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام بالهمزة كانه يقول
اخلقوا من غير شيء ام هم الخالقون **قوله** من غير شيء يجوز ان يكون من
لابتداء الغاية على معنى ام خلقوا من غير شيء حي كالجماد فهم لا يؤمرون
ولا ينهون كالجمادات وقيل هي للسببية على معنى من غير علة ولا لغاية
ثواب ولا عقاب **فصل** وجه تعلق الاية بما قبلها انهم لما
كذبوا النبي عليه الصلوة والسلام ونسبوه الى الكهانة والشعر والجنون
وبراه الله من ذلك ذكر الدليل على صدقه ابطالا لتكذيبهم وبدا
بانفسهم فكانه يقول كيف يكذبونه وفي انفسهم دليل على صدقه لان
قوله كان في ثلاثة اشياء في التوحيد والحشر والرسالة ففي انفسهم ما يعلم
به صدقه وهو انهم خلقوا وذلك دليل التوحيد لما تقدم
شعر ان في كل شيء له اية ۞ تدل على انه واحد
واما الحشر فلان الخلق الاول يدل على جواز الخلق الثاني
فصل قال المفسرون معنى الاية ام خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك

مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخالق بالخالق من ضرورة الاسم فان
انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون لانفسهم وذلك
في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة
عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به قال هذا المعنى ابو سليمان الخطابي
وقال الزجاج معناه اخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمنون وقال ابن
كيسان اخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون كقول القائل
فعلت كذا وكذا من غير شيء اي لغير شيء ام هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم
لله امر وقيل معناه اخلقوا من غير اب وام قال ابن الخطيب ويحتمل ان
يقال ام خلقوا من غير شيء اي الم يخلقوا من تراب او من ماء لقوله الم نخلقكم
من ماء مهين ويحتمل ان يقال الاستفهام الثاني ليس بنفي بل هو بمعنى
الاثبات كقوله تعالى اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون اانتم تزرعونه
ام نحن الزارعون اانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون كل ذلك
في الاول منفي وفي الثاني مثبت كذلك هنا قال تعالى ام خلقوا من غير
شيء اي ان الصادق هو الثاني وهذا حينئذ كقوله تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فان قيل كيف يكون ذلك الاثبات
والآدمي مخلوق من تراب يقول والتراب خلق من غير شيء فالانسان
اذا نظرت الى خلقه ونظرت الى ابتدائه تجده مخلوقا من غير شيء او نقول
المراد ام خلقوا من غير شيء مذكورا ومتغيرا او هو لا المهين قوله
ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون قال الزمخشري لا يوقنون
بانه خلق الله وليس خلقا لانفسهم وقيل بل لا يوقنون بان الله خالق
واحد اي ليس الامر كذلك وانما خلقنا وانما لا يوقنون بوحدة الله
وقيل المعنى لا يوقنون اصلا من غير ذكر مفعول كقولك فلان ليس بمؤمن
وفلان كافر لبيان مذهبه وان لم ينو مفعولا والمعنى انهم ما خلقوا السموات
والارض ولا يوقنون بهذه الدلائل بل لا يوقنون اصلا وان جئتهم بكل آية
بدليل قوله بعد ذلك وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب
مركوم وهذه الآية دليل الآفاق وقوله من قبل دليل الانفس قوله
ام عندهم خزائن ربك قال عكرمة يعني النبوة وقال مقاتل ابايديهم
مفاتيح ربك الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وقال الكلبي خزائن المطر
والرزق وقيل خزائن الرحمة قوله ام هم المسيطرون وهذا تتمة الرد
عليهم لانه لما قال ام عندهم خزائن ربك اشار الى انهم ليسوا بخزنة الله
فعلموا خزائن الله لكن بمجرد انتفاء كونهم خزنة لا ينتفي العلم لجواز ان يكون
مشرفا على الخزنة فان العلم بالخزائن عند الخازن والكاتب بالخزانة
فقال لستم بخزنة ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها قال ابن الخطيب
ولا يبعد تفسير المسيطرين بكتبة الخزائن لان التركيب يدل على السطر
وهو يستعمل في الكتابة قال اهل اللغة المسيطر القاهر الغالب من سيطر
عليه اذا راقبه وحفظه او قهره قال المفسرون المسيطرون المسلطون
الجبارون وقال عطا ارباب قاهرون فلا يكونوا تحت امر ونهي يفعلون
ما شاؤوا ويجوز بالسين والصاد جميعا وقرا العامة المصيطرون بصاد
خالصة من غير اشمامها زايا لاجل الطا كما تقدم في صراط وقرا هشام وقنبل
من غير خلاف عنهما بالسين الخالصة التي هي الاصل وحفص بخلاف عنه وقرا
خلاد بصاد مشمة زايا من غير خلاف عنه وقرا خلاد بالوجهين اعني خلف
والعامة وتوجيه هذه القراءات واضح مما تقدم في اول الفاتحة ولم يات
على مفيعل الا خمسة الفاظ اربعة صفة اسم فاعل نحو مهيمن ومسيقر

ومسيطر

ومسيطر ومستطر واحدا اسم جبل وقيل اسم ارض لبني فزارة وهو المجيمر
قال امرؤ القيس

كان ذرى راس المجيمر غدوة ۞ من السيل والغثاء فلكة مغزل ۞

قوله ام لهم سلم اي مرقى ومصعد الى السماء يستمعون فيه وهذا
ايضا تتميم للدليل فان من لا يكون خازنا ولا كاتبا قد يطلع على الامر بالسماع
من الخازن او الكاتب فقال انتم لستم بخزنة ولا كتبة ولا اجتمعتم
بهم لانهم ملائكة ولا صعود لكم قوله يستمعون صفة لسلم وفيه
على بابها من الظرفية وقيل هي بمعنى على قاله الواحدي كقوله تعالى ولاصلبنكم
في جذوع النخل ولا حاجة اليه وقدره الزمخشري متعلقا بحال محذوفة تقديره
صاعدين فيه ومفعول يستمعون ما يوحى الى الملائكة من علم الغيب ولا
يقال هذا فاسد لان الكيد والاساءة لا تطلق على فعل الله الا بطريق المقابلة
وكذا المكر فلا يقال اساء الله الى الكافر ولا اعتدى الله الا اذا ذكر اولا منهم
شيء من ذلك ثم يقال بعده مثل لفظه في حق الله تعالى كقوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ومكروا ومكر الله يكيدون كيدا واكيد
كيدا لانا نقول الكيد ما يسوء من نزل به وان حسن ممن وجد منه لقول
ابراهيم عليه الصلوة والسلام لاكيدن اصنامكم من غير مقابلة وذكر الكيد
اشارة الى وقوع العذاب من حيث لا يشعرون فكانه قال ياتيهم بغتة
ولا يكون لهم علم بعظمه قوله فالذين كفروا هم من وقوع الظاهر
موقع المضمر تنبيها على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة والاصل ام يريدون
كيدا فهم المكيدون او هم على جنسهم نوع منه فيندرجون اندراجا اوليا
لتوغلهم في هذه الصفة قوله ام لهم اله غير الله يرزقهم وينصرهم
سبحان الله عما يشركون قال الخليل ما في هذه السورة من ذكر ام كلمة استفهام
وليس بعطف فصل قال اهل اللغة سبحان الله اسم علم للتسبيح
وما في قوله عما يشركون يحتمل ان يكون مصدرية اي عن اشراكهم ويحتمل ان يكون
خبرية اي عن الذين يشركون وعلى هذا يحتمل ان يكون عن الاول لانهم كانوا
يقولون له البنات فقال سبحان الله عن البنات والبنين ويحتمل ان
يكون عن مثل الالهة اي سبحان الله عن مثل ما يعبدونه قوله وان يروا
كسفا من السماء ساقطا ان هذه شرطية على بابها وقيل ان بمعنى لو وليس
بشيء وقوله سحاب خبر مبتدا مضمر اي هذا سحاب والجملة نصب بالقول
فصل لما بين فساد اقوالهم وسقوطها اشار الى انه لم يبق لهم
عذر فان الايات والحجج قد ظهرت ولم يؤمنوا فبعد ذلك ان يروا كسفا
اي قطعة من السماء ساقطة يقولوا سحاب اي ينكرون كونه اية
ومعنى الاية لو عذبناهم بسقوط بعض السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم
ويقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم اي بعضه على بعض يسقينا
قوله ساقطا يحتمل ان يكون مفعولا ثانيا كقولك رايت زيدا عالما
وان يكون حالا كقولك ضربته قائما والثاني اولى لان الرؤية عند التعدي
الى مفعولين في اكثر الامر يكون بمعنى العلم تقول رايت هذا المذهب
صحيحا وهذا الوجه ظاهر وعند التعدي الى واحد يكون بمعنى راي العين
في الاكثر تقول رايت زيدا قال تعالى فلما راوا باسنا وقال فاما ترين
من البشر احدا والمراد من الاية رؤية العين قوله قولهم سحاب مركوم
اشارة الى انهم حين يعجزون عن التكذيب ولا يمكنهم ان ينفعلوا دفع
شيء على الارض يرجعون الى التاويل والتخييل وقالوا سحاب ولم يقولوا
هذا سحاب اشارة الى وضوح الامر العناد فاتوا بما لا شك فيه وقالوا

سحاب مركوم وحذفوا المبتدأ ليبقى للعامل فيه مجال فيقولون عند
تكذيب الخلق اياهم كلما سحاب مركوم شبهه او مثله وان مشى الامر
مع عوامهم استمروا وهذا طريق من يخاف من الامر ولا يعلم هل يقبل منه او لا
فيجعل كلامه ذو وجهين فان رأى القبول صرح بمراده وان انكر عليه
أخذها فسره بالآخر قوله تذرهم حتى يلاقوا يومهم يومهم مفعول
به لا ظرف وقرأ ابو حياة تلقوا مضارع لقي ويضعف ان يكون المفعول
محذوفا ويومهم ظرف اي يلاقوا او يلقوا جزاء اعمالهم في يومهم
فصل قوله فذرهم كقوله فاعرض عنهم وتول عنهم لغير ذلك فقيل
كلها منسوخة باية القتال وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول
السيد لعبده الجاني لمن يصحبه دعه فانه سينال جنايته قوله
الذي فيه يصعقون قرأ ابن عامر وعاصم بضم يا يصعقون مبنيا
للمفعول وباقي السبعة بفتحها مبنيا للفاعل وقرأ ابو عبد الرحمن
بضم اليا وكسر العين فاما الاولى فيحتمل ان يكون من صعق فهو مصعوق
مبنيا للمفعول وهو ثلاثي حكاه الاخفش فيكون مثل سعد وان
يكون من اصعق رباعيا يقال اصعق فهو مصعق قال الفارسي والمعنى
ان غيرهم اصعقهم وقراءة السلمي تؤذن ان افعل بمعنى فعل ومعنى يصعقون
اي يموتون اي حتى يعاينوا الموت وقوله يوم لا يغني عنهم كيدهم يوم
بدل من يومهم وقيل ظرف يلاقوا فان قيل يلزم منه ان يكون اليوم
في يوم فيكون اليوم ظرف في اليوم كالجواب هو على حد قولك تاتي
يوم قتل فلان يوم تبين جزاءه قاله ابن الخطيب وقوله وهم لا ينصرون
اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع قوله
وان للذين ظلموا يجوز ان يكون من ايقاع الظاهر موقع المضمر وان لا يكون
كما تقدم والمعنى وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك اي عذابا
في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقال
الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البراء بن عازب عذاب القبر
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب نازل بهم والمراد بالظلم هنا هو كيدهم
نبيهم عليه الصلوة والسلام وهم اهل مكة وقيل ظلموا بعبادة غير الله فيكون
عاما في كل ظالم والاشارة بقوله ذلك اليوم الذي فيه يصعقون وقوله
يعلمون يجوز ان يكون ما تقدم ويجوز ان لا يكون لا مفعول له اي اكثرهم غافلون
جاهلون قوله فاصبر لحكم ربك اي الى ان يقع بهم العذاب الذي حكمت
عليهم فانك باعيننا قراءة العامة بالنون وابو السمال بادغام النون
فيما بعدها وناسب جمع الضمير هنا جمع العين الا تراه افرد حيث افرد
في قوله ولتصنع على عيني قال الزمخشري والمعنى فانك بمرأى منا قال
ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج انك بحيث نراك ونحفظك
فلا يصلون اليك بمكروه هلك قال ابن الخطيب اللام في لحكم ربك يحتمل وجوها
احدها هي بمعنى الى اي اصبر الى ان يحكم الله الثاني ان الصبر فيه معنى
الثبات اي تثبت لحكم ربك واحتماله الثالث هي اللام التي للسبب يقال
لم خرجت فيقول لحكم فلان علي بالخروج فقال فاصبر واجعل سبب
الصبر امتثال الامر اي فاصبر لهذا الحكم عليك لا لشيء آخر قوله وسبح
بحمد ربك تقدير الكلام على نظيره وقوله حين تقوم قال سعيد بن
جبير وعطا اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان
المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى ابو
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه

فقال

فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وقال ابن عباس
معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت
الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك لما روت عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا افتتح الصلوة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين
تقوم من الفراش الى ان تدخل في الصلوة لما روى عاصم بن حميد قال
سألت عائشة باي شيء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد عشرا وهلل عشرا واستغفر
عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق
المقام يوم القيمة وقيل حين تقوم لامر ما ولا سيما اذا كنت تنتصب
لمجاهدة قومك ومعاداتهم والدعاء عليهم فسبح بحمد ربك وبدل قيامك
بالمعاداة وانتصابك للانتقام بقيامك بذكر الله وتسبيحه قوله
ومن الليل فسبحه اي صل له قال مقاتل يعني صلوة المغرب والعشاء وادبار
النجوم يعني الركعتين قبل صلوة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي
تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين وقال الضحاك هي
فريضة صلوة الصبح قوله وادبار النجوم العامة على كسر الهمزة مصدرا
بخلاف التي في آخر ق كما تقدم فان الفتح هناك لايق لانه يراد به
الجمع لدبر السجود اي اعقابه وقرأ سالم الجعدي ويعقوب
والمنهال بن عمرو بفتحها هنا اي اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت
فصل هذه الآية نظير قوله فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وقد تقدم الكلام عليها قال ابن الخطيب قال
ههنا وادبار النجوم وقال في ق وادبار السجود فيحتمل ان يكون
المعنى واحد والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود قال
تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السماء
وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال تعالى ولله يسجد من في السموات
ومن في الارض الآية او المراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم في اللغة
اذا فرغت من وظايف الصلوة فقل سبحان الله كما تقدم روى
ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والطور كان حقا على الله عز وجل ان يؤمنه من عذابه وان
ينعمه في جنته والله اعلم

سورة والنجم مكية

في قول الحسن وعطا وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقتادة الا آية
وهو قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الآية وهي احدى
وستون آية وقيل ان السورة مدنية والصحيح انها مكية لقول ابن مسعود
هي اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقيل اثنتان
وستون آية وثلاثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والنجم اذا هوى قال ابن عباس في
رواية الوالبي والعوفي يعني الثريا اذا سقطت وغابت وهويه مغيبه
والعرب تسمي الثريا نجما قال قائلهم اذا طلع النجم عشيا ابتغى الراعي كساء
وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء

الارفع واراد بالنجم الثريا قال شهاب الدين وهذا هو الصحيح لان هذا
صار علما بالغلبة ومنه قول العرب طلع النجم غديه فابتغ الراعي كسيه وقال
عمرو بن ابي ربيعة احسن النجم في السما الثريا والثريا في الارض زين النسا
يقال انها سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد منها خفي تمتحن الناس بعد
ابصارهم وروى القاضي عياض في الشفا ان النبي عليه الصلوة والسلام كان
يرى الثريا احد عشر نجما وقال مجاهد هي نجوم السما كلها حين تغرب لفظه
واحد ومعناه الجمع سمي الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن
والقرن والنبت اذا طلع وروى عكرمة عن ابن عباس انها ما يرمى به
الشياطين عند استراقهم السمع وقال ابو حمزة الثمالي هي النجوم اذا
انتثرت يوم القيمة وقيل المراد بالنجم هنا الجنس قال الشاعر
فباتت تعد النجم في مستحيرة ❊ سريع بايدي الآكلين جمودها
اي تعد النجوم وهذا هو معنى قول مجاهد الاول وقيل المراد بالنجم الشعرى
لقوله تعالى وانه هو رب الشعرى وقيل الزهرة لانها كانت تعبد وقيل
اراد بالنجم القران لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة ويسمى التفريق
تنجيما والمفرق منجما قاله الكلبي ورواه عطا عن ابن عباس والهوي النزول
من اعلى الى اسفل وقال الاخفش النجم هو النبت الذي لا ساق له ومنه
قوله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض وقال
جعفر الصادق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذ نزل من السما ليلة المعراج
والهوي النزول يقال هوى يهوي هويا والكلام في قوله والنجم كالكلام
في قوله والطور حيث لم يقل والنجوم والاطوار وقال والذاريات والمرسلات
كما تقدم
فصل السور التي تقدمت وافتتاحها بالقسم بالاشيا
دون الحروف هي الصافات والذاريات والطور وهذه السورة بعدها
فالاولى اقسم بها لاثبات الوحدانية كما قال ان الهكم لواحد وفي الثانية
اقسم لوقوع الحشر والجزا كما قال تعالى انما توعدون لصادق وان الدين
لواقع وفي الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى ان عذاب
ربك لواقع ما له من دافع وفي هذه اقسم لاثبات النبوة لتكمل الاصول
الثلاثة الوحدانية والحشر والنبوة واعلم انه تعالى لم يقسم على الوحدانية
ولا على النبوة كثيرا لانه اقسم على الوحدانية في سورة واحدة وهو
والصافات واما النبوة فاقسم عليها بامر واحد في هذه السورة
وبامرين في سورة والضحى واكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به فقال
والليل اذا يغشى والشمس وضحاها والسما ذات البروج الى غير ذلك
وكلها في الحشر وما يتعلق به وذلك لان دلايل الوحدانية كثيرة كلها عقلية
كما قيل ❊ وفي كل شي له اية ❊ تدل على انه واحد ❊ ودلايل النبوة ايضا
كثيرة وهي المعجزات المشهورة واما الحشر ووقوعه فلا يمكن اثباته الا بالسمع
فاكثر فيه القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقادا جازما
فصل قال ابن الخطيب والفايدة في تقييد القسم به بوقت هويه انه
اذا كان في وسط السما بعيدا عن الارض لا يهتدي به السارى لانه لا يعلم
به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال من وسط السما
تبين بزواله جانب الغرب عن الشرق والجنوب عن الشمال وخص الهوي
دون الطلوع لعموم الاهتدا به في الدين والدنيا كما قال الخليل عليه الصلاة
والسلام لا احب الافلين وفيه لطيفة وهي ان القسم بالنجم يقتضي تعظيمه
وقد كان منهم من يعبده فنبه بهويه على عدم صلاحيته للالهية باقواله
فصل وله هذه السورة مناسبة لاخر ما قبلها لفظا ومعنى
اما النظا

اما النظا فقوله وادبار النجوم بعد قوله
عما لا يجوز له وبعده
فقال ما ضل صاحبكم وما غوى
قوله اذا هوى في العامل في هذا الظرف اوجه وعلى كل منها اشكال احدها انه
منصوب بفعل القسم المحذوف تقديره اقسم بالنجم وقت هويه قاله
ابو البقا وغيره وهو مشكل فان فعل القسم انشا والانشا حال واذا
لما يستقبل من الزمان فكيف يتلاقيان الثاني ان العامل فيه مقدر
على انه حال من النجم اي اقسم به حال كونه مستقرا في زمان هويه وهو
مشكل من وجهين احدها ان النجم جثة والزمان لا يكون حالا عنها
كما لا يكون خبرا والثاني ان اذا للمستقبل فكيف يكون حالا وقد
اجيب عن الاول بان المراد بالنجم القطعة من القران والقران قد
نزل منجما في عشرين سنة وهذا تفسير ابن عباس وغيره وعن الثاني
بانها حال مقدرة الثالث ان العامل فيه نفس النجم اذا اريد به
القران قاله ابو البقا وفيه نظر لان القران لا يعمل في الظرف اذا اريد
به اسم لهذا الكتاب المخصوص وقد يقال ان النجم بمعنى المنجم كانه
قيل والقران المنجم في هذا الوقت وهذا البحث وارد في مواضع منها
والشمس وضحاها وما بعده وقوله والليل اذا يغشى والضحى والليل
اذا سجى وسياتي في الشمس بحث اخص من هذا ان شا الله تعالى والهوي
قال الراغب الهوي سقوط من علو ثم قال والهوي ذهاب في
انحدار والهوي ذهاب في ارتفاع وانشد ❊ يهوي مخارمها هوي الاجدل ❊
وقيل هوى في اللغة خرق الهوا ومقصده السفل ومصيره اليه
وان لم يقصده قال هوى الدلو اسلمه الرشا وقال اهل اللغة
يهوي هويا اي سقط من علو وهوى يهوى هوى اي صبا وقد تقدم
الكلام في هذا مشبعا
قوله ما ضل هذا جواب القسم والمعنى ما ضل
صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما
غوى ذهب اكثر المفسرين الى ان الضلال والغي بمعنى واحد وفرق
بعضهم بينهما فقال الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد
قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وقال تعالى
قد تبين الرشد من الغي قال ابن الخطيب وتحقيق القول فيه ان
الضلال اعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوى
فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا
والغواية ان لا يكون له طريق الى المقصد مستقيم ويدل على هذا قولك
للمؤمن الذي ليس على طريق السداد انه سفيه غير رشيد ولا تقول
انه ضال والضال كالكافر والغاوي كالفاسق فكانه تعالى قال ما ضل
اي ما كفر ولا اقل من ذلك ما فسق او يقال الضلال كالعدم والغواية
كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة قال ويحتمل ان يكون المراد
معنى قوله ما ضل اي ما جن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله تعالى
ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون ومعنى صاحبكم
اما سيدكم او مصاحبكم ما غوى ما تكلم بالباطل وقيل ما خاب
والغي الخيبة
قوله وما ينطق عن الهوى اي ما يصدر عن الهوى نطقه
فعن على بابها وقيل هي بمعنى الباء اي ما ينطق بالهوى يريد لا يتكلم
بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القران من تلقا نفسه وفي فاعل
ينطق وجهان احدها هو ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر
والثاني انه ضمير القران كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق

واعلم ان في قوله تعالى ما ضل وما غوى بصيغة الماضي وفي قوله
وما ينطق بصيغة المستقبل ترتيب في غاية الحسن اي ما ضل
حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره وما غوى حين اختلى بنفسه
ورأى في منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى حين ارسل اليكم وجعل
رسولا شاهدا عليكم فلم يكن اولا ضالا ولا غاويا وصار الان
منقذا من الضلالة مرشدا وهاديا **قوله** ان هو الا وحي يوحي
ان هو اي الذي ينطق به وقيل ان القران الا وحي من الله وقيل
يوحي صفة لوحي وفائدة المجي بهذا الوصف انه ينفي المجاز اي هو
وحي حقيقة لا بمجرد تسمية كقولك هذا قول يقال وقيل تقديره
يوحي اليه ففيه مزيد فائدة. نقل القرطبي عن السجستاني انه
ان شئت ابدلت ان هو الا وحي يوحى من ما ضل صاحبكم. قال ابن
الانباري وهذا غلط لان الحقيقة لا تكون مبدلة من ما بدليل انك
لا تقول والله ما قمت ان انا القاعد **فصل** والوحي قد يكون
اسما ومعناه الكتاب وقد يكون مصدرا وله معان منها الارسال
والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام وهذه الاية
تدل على انه عليه الصلوة والسلام لم يجتهد وهو خلاف الظاهر
فانه اجتهد في الحروب. وايضا حرم في قوله تعالى لم تحرم واذن قال تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم **قوله** يجوز ان تكون هذه الهاء للرسول
وهو الظاهر فيكون المفعول الثاني محذوفا اي علم الرسول الوحي اي
الموحى ويجوز ان يكون للقران والوحي فيكون المفعول الاول محذوفا اي
علمه الرسول والوحي ان كان هو الكتاب فظاهر وان كان الالهام فهو كقوله تعالى
نزل به الروح الامين على قلبك. وقوله شديد القوى قيل هو جبريل وهو
الظاهر. وقيل الباري تعالى كقوله الرحمن علم القران. وشديد القوى
من اضافة الصفة المشبهة لمرفوعها اي غير حقيقية والقوى جمع القوة
قوله ذو مرة المرة القوة والشدة ومنه امررت الحبل اذا احكمت
فتله والمرير الحبل وكذلك المر كانه مر فتله مرة بعد اخرى. وقال
قطرب العرب تقول لكل جزل الراي حصيف العقل ذو مرة والنشد
شعر واني لذو مرة مرة ⁂ اذا ركبت حالة حالها ⁂
وقال قد كنت قبل لقائكم ذا مرة ⁂ عندي لكل مخاصم ميزانه ⁂ وقال
الجوهري والمرة احد الطبائع الاربع والمرة القوة وشدة العقل ايضا
ورجل مرير اي قوي ذو مرة قال ⁂
شعر ترى الرجل النحيف فتزدريه ⁂ وحشو ثيابه اسد مرير
وقال لقيط حتى استمرت على شزر مريرته ⁂ مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا
فصل ذو مرة قوة وشدة في خلقه يعني جبريل. قال ابن
عباس ذو مرة اي ذو منظر حسن وقال مقاتل ذو خلق طويل حسن
وقيل ذو كمال في العقل والدين جميعا وقيل ذو منظر وهيبة عظيمة
فان قيل قد تبين كونه ذا قوة بقوله شديد القوى فكيف قال بعده
ذو مرة اذا فسرنا المرة بالقوة. وقال ابن الخطيب قوله هنا ذو قوة
بدل من شديد القوى وليس وصفا له وتقديره ذو قوة عظيمة ووجه اخر
وهو ان افراد قوة بالذكر ربما يكون لبيان ان قواه المشهورة شديدة
وله قوة اخرى خصه الله بها يقال فلان كثير المال وله مال لا يعرفه احد
اي امواله الظاهرة كثيرة وله مال باطن على انا نقول المراد ذو شدة وهي
غير القوة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته ايضا شدة فان الانسان

ربما يكون قواه شديدة وفي جسمه حقارة ويحتمل ان يكون المراد
بقوله شديد القوى قوته في العلم وبقوله ذو مرة اي شدة في جسمه
فقدم العلمية على الجسمية كقوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم
وقوله فاستوى يعني جبريل اي فاستوى جبريل في خلقه. قال مكي
استوى يقع للواحد واكثر ما يقع من اثنين ولذلك جعل الفرا الضمير
لاثنين **قوله** وهو بالافق الاعلى في الضمير وجهان اظهرهما انه
مبتدا وبالافق خبره والضمير لجبريل او للنبي صلى الله عليه وسلم ثم
في هذه الجملة وجهان احدهما ان هذه الجملة حال من فاعل استوى قاله مكي
والثاني انها مستانفة اخبر الله تعالى بذلك والثالث ان وهو معطوف
على الضمير المستتر في استوى وهو اما ان يكون لله تعالى وهو قول
الحسن وقيل ضمير استوى لجبريل وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم قال
البغوي في توجيه هذا بان اكثر كلام العرب اذا ارادوا العطف في
مثل هذا ان يظهروا كناية المعطوف فيه فيقولون استوى هو وفلان
وقلما يقولون استوى وفلان ونظير هذا قوله عز وجل ائذا كنا ترابا
واباؤنا عطف الاباء على المكني في كنا من غير اظهار نحن ومعنى الاية
استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالافق الاعلى وهو اقصى الدنيا
عند مطلع الشمس وقيل ضمير استوى لمحمد وهو لجبريل وهذا الوجه
الثاني مما يتمشى على قول الكوفيين لان فيه العطف على الضمير
المرفوع المتصل من غير تاكيد ولا فاصل وهذا الوجه منقول عن الفرا
والطبري واقيل بان الضميرين اعني استوى وهو لجبريل فمعناه قام
في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل كان
ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان
ياتي النبيين فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه
في صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء
فاما في الارض ففي الافق الاعلى وهو جانب المشرق وذلك ان محمدا صلى
الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض من
المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل
في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو
قوله ثم دنا فتدلى واما في السما فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من
الانبيا على تلك الصورة الا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معنى
فاستوى اي استوى القران في صدره وعلى هذا فيه وجهان احدهما
في صدر جبريل عليه السلام حين نزل به الثاني في صدر محمد صلى الله عليه
وسلم وفيه على هذا وجهان احدهما فاستوى اي فاعتدل في قوته
الثاني في رسالته نقله القرطبي عن الماوردي قال وعلى هذا يكون
تمام الكلام ذو مرة وعلى الثاني شديد القوى وقيل استوى اي ارتفع
وفيه على هذا وجهان احدهما انه جبريل عليه الصلوة والسلام ارتفع
بالمعراج وقيل معنى استوى ان الله عز وجل استوى على العرش قاله
الحسن **قوله** ثم دنا فتدلى التدلي الامتداد من علو الى اسفل
فيستعمل في القرب من العلو قاله الفرا وابن الاعرابي. وقال الهذلي
تدلى علينا وهو ذو رق حمامه ⁂ له طلب في منتهى الغيظ هامد ⁂
وقال الشاعر تدلى عليها بين سب وخيطة ⁂ وتقول هو كالمتدلي
اي خبر تدلى وان لم يره تولى **فصل** في قوله دنا فتدلى
وجوه اشهرها ان جبريل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم اي بعدما مد

جناحه وهو بالافق الاعلى عاد الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها
وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ففي تدلى وجوه الاول
فيه تقديم وتاخير اي تدلى من الافق الاعلى فدنا من النبي عليه الصلوة
والسلام • الثاني ان الدنو والتدلي بمعنى واحد فكانه قال دنا فقرب
ذهب الفراء الى ان الفا في تدلى بمعنى الواو والتقدير ثم تدلى جبريل
عليه السلام ودنا ولكنه جايز اذا كان معنى الفعلين واحد قدمت
ايهما شيت فقلت فدنا فقرب وقرب فدنا وشتمني فاساء واساء
فشتمني لان الاساءة والشتم بمعنى واحد وكذلك قوله اقتربت
الساعة وانشق القمر اي انشق القمر واقتربت الساعة • الثالث دنا
اي قصد القرب من محمد صلى الله عليه وسلم وتحول عن المكان الذي كان
فيه فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني ان محمدا دنا
من الخلق والامة ولان لهم وصار كواحد منهم فتدلى اي تدلى اليهم بالقول
اللين والدعا بالرفق فقال انا بشر مثلكم يوحى الي • الثالث دنا منه
ربه تعالى فقرب منزلته لقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه
تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت
اليه باعا ومن مشى الي اتيته هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازي
قوله فكان قاب هاهنا مضافان محذوفان يضطر لتقديرها
اي فكان مقدار مسافة قربه مثل مقدار مسافة قاب وقد فعل
ابو علي هذا في قول الشاعر
شعر
وقد جعلتني من خزيمة اصبعا • اي ذا مقدار مسافة اصبع
والقاب القدر تقول هذا قاب هذا اي قدره ومثله القيب والقاد
والقيد والقيس قال الزمخشري وقد جا التقدير بالقوس والرمح
والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه
لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس
احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط
والقاب عن واو نص عليه ابو البقا واما قيب فلا دلالة فيه
على كونها يا لان الواو اذا انكسر ما قبلها قلبت ياء كديمه
وقيمه وذكره الراغب ايضا في مادة قرب الا انه قال في تفسيره
هو ما بين المقبض والسية من القوس فعلى هذا يكون مقدار نصف
القوس لان المقبض في نصفه والسية هي الفرضة التي يحط فيها
الوتر وفيما قاله نظر لا يخفى ويروى عن مجاهد انه من الوتر الى المقبض
القوس في وسطه وقيل ان القوس ذراع يقاس به نقل ذلك عن ابن
عباس وانه لغة الحجازيين والقوس معروفة وهي مونثة وشذوا
في تصغيرها فقالوا قويس من غير تانيث كعرب وعريب وتجمع على
قسي وهو مقلوب من قووس والقوس برج في السما فاما القوس بالضم
فصومعة الراهب قال الشاعر لا تستفتيني ذا المسحين في القوس
قوله او ادنى كقوله او يزيدون لان المعنى فكان باحد هذين المقدارين
في راي الرائي اي لتقارب ما بينهما يشك الرائي في ذلك وادنى افعل
تفضيل والمفضل عليه محذوف اي او ادنى من قاب قوسين او ادنى
قال اخبرنا عبد الله فصل روى الشيباني قال سالت
زرا عن قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال اخبرنا عبد الله يعني
ابن مسعود ان محمدا راى جبريل له ستماية جناح فمعنى الاية ثم دنا جبريل
بعد استوايه بالافق الاعلى من الارض فتدلى فنزل الى محمد صلى الله عليه
وسلم

وسلم فكان قاب قوسين او ادنى بل ادنى وبهذا قال ابن عباس والحسن
وقتادة وقال اخرون دنا الرب من محمد صلى الله عليه وسلم فتقرب منه
حتى كان كقاب قوسين او ادنى قال البغوي وروينا في قصة المعراج عن شريك
ابن عبد الله عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب
قوسين او ادنى وهذا رواية ابن سلمة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل
من ربه وقال الضحاك دنا محمد من ربه فتدلى فاهوى للسجود فكان منه
قاب قوسين او ادنى وتقدم الكلام على القاب والقوس ما يرمى به
في قول مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس فاخبر انه كان بين جبريل وبين
محمد عليه الصلوة والسلام مقدار قوسين وقال مجاهد معناه حيث الوتر
من القوس وهذا اشارة الى تاكيد القرب والاصل فيه ان الحليفين من
العرب كانا اذا ارادا الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان
بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه • وقال عبد الله
ابن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير وشقيق
ابن سلمة والقوس الذراع يقاس بها كل شي او ادنى بل اقرب وانما ضرب
المثل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب وان لم يجر له ذكر لعدم اللبس
قوله فاوحى الله الى عبده محمد وقوله ما اوحى ابهم تعظيما له ورفعا من شانه
وبهذه الاية استدل ابن مالك على انه لا يشترط في الصلة ان تكون معهودة
عند المخاطب ومثله فغشيهم من اليم ما غشيهم الا ان هذا الشرط هو
المشهور عند النحويين والوحي القا الشي بسرعة ومنه الوحا الوحا •
فصل في فاعل اوحى الاول وجهان احدهما ان الله تعالى اوحى وعلى
هذا ففي عبده وجهان احدهما انه جبريل اي اوحى الله الى جبريل وعلى هذا
ففي فاعل اوحى الاخير وجهان احدهما ان الله تعالى ايضا والمعنى حينئذ
فاوحى الله تعالى الى جبريل الذي اوحاه ابهمه تفخيما وتعظيما ثانيهما فاعل اوحى
الثاني جبريل اي اوحى الى جبريل ما اوحى جبريل وعلى هذا فالمراد من الذي
اوحى جبريل عليه السلام يحتمل وجهين احدهما ان يكون مبهما وهو الذي
اوحى جبريل الى محمد وثانيهما ان يكون عاما اي اوحى الله الى جبريل ما اوحى
الى كل رسول الوجه الثاني في عبده على قولنا الموحي هو الله انه محمد عليه
الصلوة والسلام اي اوحى الله الى محمد ما اوحى اليه للتفخيم والتعظيم الوجه
الثاني في فاعل اوحى الاول هو انه جبريل اوحى الى عبده اي الى عبد الله
يعني محمدا ما اوحى اليه ربه عز وجل قاله ابن عباس في رواية عطا والكلبي
والحسن والربيع وابن زيد وعلى هذا ففي فاعل اوحى الثاني وجهان احدهما
انه جبريل اي اوحى جبريل الى عبد الله ما اوحى جبريل للتفخيم وثانيهما ان
يكون هو الله تعالى اي اوحى جبريل الى محمد ما اوحى الله اليه
فصل وفي الذي اوحى وجوه الاول قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما
فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك الثاني اوحى اليه الصلوة الثالث
ان احدا من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك وان امة من الامم لا تدخلها قبل
امتك الرابع انه مبهم لا يطلع عليه احد ونتعبد به على الجملة الخامس
ان ما للعموم والمراد به كلما جاء به جبريل قوله ما كذب قرا هشام
وابو جعفر بتشديد الذال والباقون بتخفيفها فاما الاولى فان
معناها ما راه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره اي لم يقل لم اعرفك
وما مفعول به موصولة والعايد محذوف فاعل او اي ضمير يعود على النبي
صلى الله عليه وسلم واما قراءة التخفيف فقيل عنهما كذلك وكذب
يتعدى بنفسه وقيل هو على اسقاط الخافض اي فيما راه قاله مكي وغيره فلفظ

فاستطرف الصفة قال حسان
لو كنت صادقة الذي حدثتني ✱ لنجوت منجى الحارث بن هشام ✱
اي في الذي حدثتني فجوزتيها وجهين احدهما ان تكون بمعنى الذي والثاني
ان تكون مصدرية وجوزان تكون فاعلا واي ضميرا يعود على الفواد اي لم
يشك قلبه فيما راه بعينه **فصل** قال الزمخشري معناه
ان قلبه لم يكذب وما قال انه من يراه ببصرك ليس بصحيح ولو قال فواده
ذلك لكان كاذبا لانه عرفه ما كذب الفواد هذا على قراءة التخفيف
يقال كذبه اذا قال له الكذب واما على قراءة التشديد فمعناه ما قال
ان المرئي خيال لا حقيقة واما الرائي فقيل هو الفواد كانه تعالى قال
ما كذب الفواد ما راه الفواد اي لم يقل انه جن شيطان بل تيقن
ان ما راه لفواده صدق صحيح وقيل الرائي اي هو البصر اي ما كذب الفواد
ما راى محمد عليه الصلاة والسلام وعلى هذا فالمراد بالفواد الجنس اي القلوب
شهدت بصحة ما راه محمد صلى الله عليه وسلم واما المرئي فقيل هو الرب
تعالى وقيل جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل الايات العجيبة الالهية
فالقايل بان المرئي جبريل عليه السلام هو ابن مسعود وعايشة رضي الله
عنهما ومن قال بان المرئي هو الله اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم
جعل بصره في فواده فراه في فواده وهو قول ابن عباس قال راه بفواده
مرتين ما كذب الفواد ما راى ولقد راه نزلة اخرى وقال انس والحسن
وعكرمة راى محمد ربه بعينه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله
تعالى اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا
بالروية صلى الله عليه وسلم وكانت عايشة رضي الله عنها تقول لم ير
رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الروية على جبريل بل قال مسروق
قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري
مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ثم قرات لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه كتم شيا مما
انزله الله فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك الاية ولكنه راى جبريل في صورته مرتين وروى ابو ذر قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور
انى اراه **قوله** افتمارونه قرا الاخوان افتمرونه بفتح التاء
وسكون الميم كما الاولى معنها وجهان احدهما انها مرته حقه اذا
علمته وجحدته اياه وعدي بعلى لتضمنه معنى الغلبة وانشد
✱ لين هجرت اخا صدق ومكرمة ✱ لقد مريت اخا ما كان مريكا ✱
لانه اذا جحده حقه فقد غلبه عليه قال المبرد يقال مراه عن حقه
وعلى حقه اذا منعه منه ودفعه قال ومثل على بمعنى عن قول بني كعب
ابن ربيعة رضي الله عليك اي عنك والثاني انها مراه على كذا اي
غلبه عليه فهو من المراء وهو الجدال واما الثاني فهو من ماراه يماريه
مراء اي جادله واشتقاقه من مري الناقة لان كل واحد من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه وكان من حقه ان يتعدى بفي كقولك جادلته في كذا
وانما ضمن معنى الغلبة فعدي تعديتها وانا قراءة عبد الله فمن اماراه
رباعيا **فصل** المعنى افتجادلونه اي كيف تجادلونه على ما يرى
وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا
عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا
ترومون

ترومون به دفعه بما راه وعلمه وتيقنه ✱ فان قيل هلا قيل افتماروه
على ما راى بصيغة الماضي لانهم انما جادلوه حين اسري به كما تقدم وما
الحكم في ابرازه بصيغة المضارع ✱ فالجواب ان التقدير افتمارونه
على ما يرى وهو قد راه في السما فماذا تقولون فيه **قوله** ولقد راه نزلة
اخرى في نصب نزلة ثلاثة اوجه احدها انها منصوبة على الظرف قال
الزمخشري نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل
فكانت في حكمها قال شهاب الدين وليس هذا مذهب البصريين وانما هو
مذهب الفرا نقله عنه مكي الثاني انها منصوبة نصب المصدر الواقع
موقع الحال قال مكي راه نازلا نزلة اخرى واليه ذهب الحوفي وابن عطية
الثالث انه منصوب على المصدر المؤكد فقدره ابو البقاء مرة اخرى او
روية اخرى قال شهاب الدين وفي تاويل نزلة بروية نظر واخرى
تدل على سبق روية قبلها وعند سدرة ظرف لراه وعندها جنة جملة
ابتدائية في موضع الحال والاحسن ان يكون الحال الظرف وجنة الماوى
فاعل به والعامة على جنة الماوى اسم مرفوع وقرا امير المومنين وابو الدردا
وابو هريرة وابن الزبير وزر بن حبيش ومحمد بن كعب جنه فعلا
ماضيا والهاء ضمير المفعول يعود للنبي صلى الله عليه وسلم والماوى
فاعل بمعنى ستره ايواء الله تعالى وقيل المعنى ضمه المبيت والليل وقيل
جنه بظلاله ودخل فيه قال ابن الخطيب والضمير في قول عندها على
هذه القراءة عايد الى النزلة اي عند النزلة جن محمدا الماوى والصحيح انه
عايد الى السدرة وقد ردت عايشة هذه القراءة وتبعها جماعة وقالوا
اجن الله من قراها واذا ثبتت قراءة عن مثل هولا فلا سبيل الى ردها ولكن
المستعمل انما هو اجنه رباعيا فان استعمل ثلاثيا تعدى بعلى كقوله تعالى
فلما جن عليه الليل وقال ابو البقا وهو شاذ والمستعمل اجنه وقد تقدم
الكلام على هذه المادة في الانعام **فصل** والواو في ولقد يحتمل
ان يكون عاطفة ويحتمل ان يكون للحال اي كيف تجادلونه فيما راه وهو
قد راه على وجه لا شك فيه واعلم ان قوله نزلة هي فعلة من النزول
كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه
الاول ان الضمير في راه عايد الى الله تعالى اي راى الله نزلة اخرى وهذا
قول من قال ما كذب الفواد ما راى هو الله وقد قيل بان النبي عليه الصلوة والسلام
راى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا ففي النزول وجهان احدهما قول من يجوز على الله
الحركة وثانيهما ان النزول بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثاني ان محمدا راى
الله نزلة اخرى والمراد من النزلة ضدها وهي العرجة كانه قال راه عرجة اخرى
قال ابن عباس نزلة اخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم عرجات
في تلك الليلة لمسالة التخفيف عن الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة
فراى ربه في بعضها وروي عن ابن عباس ان النبي عليه الصلوة والسلام
راى ربه بفواده مرتين وعنه انه راى ربه بعينه الثالث ان
الضمير في راه عايد الى جبريل اي راى جبريل نزلة اخرى اي راى جبريل
في صورته التي خلق عليها نازلا من السما مرة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين
مرة في الارض ومرة في السما عند سدرة المنتهى قال ابن الخطيب ويحتمل
ان تكون النزلة لمحمد عليه السلام كما تقدم في العرجات **فصل** وقوله
عند سدرة المنتهى المشهور ان السدرة شجرة في السما السابعة وقيل
في السما السادسة كما ورد عنه عليه الصلوة والسلام انه قال نبقها كالقلال
هجر وورقها كاذان الفيلة وقيل سدرة المنتهى هي الحيرة القصوى من السدرة

والسدرة كالركبة من الراكب يعني عند ما يحار العقل حيره لا حيرة فوقها ما جاز النبي صلى الله عليه وسلم وما غاب وراى ما راى وهل قوله عند سدرة المنتهى ظرف مكان او ظرف زمان في هذا الموضع قال ابن الخطيب المشهور انه ظرف مكان اي راى جبريل او غيره بقرب سدرة المنتهى وقيل ظرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر والتقدير راه عند الحيرة القصوى اي في الزمان الذي يحار عقل العقلاء فهو عليه الصلوة والسلام ما حار وثبت من شاهده اي يحار العاقل فيه فان قيل هذا التاويل يبطل بقوله يغشى السدرة ما يغشى فالجواب ان المراد من الغشيان غشيان حالة على حالة اي ورد على حالة الحيرة حال الروية واليقين وان محمدا عند ما يحار العقلا راه وقت ما طرا من فضل الله ورحمته والصحيح الاول

فصل اذا قيل بان محمدا عليه الصلوة والسلام راى الله فمعناه انه راه عند سدرة المنتهى والظرف قد يكون ظرفا للرائي كما اذا قال القائل رايت الهلال فيقال اين رايته فيقول على السطح وقد يقول عند الشجرة الفلانية واما قول من قال بان الله في مكان فذلك باطل وان قيل بان المرئي جبريل عليه السلام فظاهر ☙

فصل اضافة السدرة الى المنتهى يحتمل وجوها احدها اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك قال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش على روس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب ينتهي اليها الانبيا والملايكة وقال الربيع ينتهي اليها ارواح الشهدا وقال قتادة ينتهي اليها ارواح المومنين وثانيها اضافة المحل الى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم وثالثها اضافة الملك الى مالكه كقولك دار زيد وشجرة زيد وحينئذ المنتهى المنتهى فيه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله واضافة السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت للتشريف والتعظيم كما يقال في التسبيح يا غاية رغبتاه ويا منتهى املاه ☙

فصل وجنة الماوى قيل هي الجنة التي وعد بها كقوله دار المقامة وقيل هي جنة اخرى عندها يكون ارواح الشهدا وقيل هي جنة الملايكة **قوله** اذ يغشى منصوب براه وقوله ما يغشى كقوله ما اوحى وقال ابن الخطيب العامل في اذ ما قبلها او ما بعدها فيه وجهان فان قلنا ما قبلها ففيه احتمالان اظهرها اي راه وقت ما يغشى السدرة الذي يغشى والثاني ان العامل فيه الفعل الذي في النزلة اي راه نزلة اخرى تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يغشى اي نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت العجايب عند السدرة وغشيها ما غشي وان قلنا العامل فيها ما بعدها فالعامل فيه ما زاغ البصر اي ما زاغ بصره وقت غشيان السدرة ما غشيها

فصل اختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك قال القرطبي ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال القرطبي وعن

النبي



وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قايما يسبح وذلك قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له وقيل ملايكة يغشونها كانهم طيور يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زايرين كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها انوار الله لان النبي عليه الصلوة والسلام لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد وقيل ابهمه تعظيما له والغشيان يكون بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي ويكون بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل وقت اي ياتيني

فصل قال الماوردي في معاني القران قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر قيل لان السدرة تختص بثلاثة اوصاف ظل ظليل وطعم لذيذ ورايحة ذكية فشابهت الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه وريحها بمنزلة القول لظهوره وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله راسه في النار وسيل ابو داود عن معنى هذا الحديث فقال هو مختصر يعني قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله راسه في النار

قوله ما زاغ البصر وما طغى اللام في البصر يحتمل وجهين احدهما المعروف اي ما زاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فعدم الزيغ لوجوه ان قيل بان الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلا وامتحانا لمحمد عليه الصلوة والسلام وان قيل ان الغاشي انوار الله تعالى ففيه وجهان احدهما معناه لم يلتفت يمنة ويسرة بل اشتغل بمطالعتها والثاني ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه الصلوة والسلام فانه قطع النظر وغشي عليه ففي الاول بيان ادب محمد عليه الصلوة والسلام وفي الثاني بيان قوته الوجه الثاني ان اللام لتعريف الجنس اي ما زاغ بصر اصلا في ذلك الموضع لعظم هيبته فان قيل لو كان كذلك لقال ما زاغ بصر فانه ادل على العموم لان النكرة في موضع النفي تعم فالجواب هو كقوله لا تدركه الابصار ولم يقل لم تدركه بصر **قوله** وما طغى فيه وجهان الاول انه عطف جملة مستقلة على جملة اخرى والثاني انه عطف جملة مقدرة على جملة فمثال المستقل خرج زيد خرج زيد ودخل عمرو ومثال المقدرة خرج زيد ودخل والوجهان جايزان هنا اما الاول فكانه تعالى عند ظهور النور ما زاغ بصر محمد عليه الصلوة والسلام وما طغى محمد بسبب الالتفات ولو التفت لكان طاغيا واما الثاني فظاهر فان قيل بان الغاشي للسدرة جراد فالمعنى لم يلتفت اليه وما طغى اي ما التفت الى غير الله ولم يلتفت الى الجراد بل الى الله وان قيل غشيها نور فقوله ما زاغ اي ما مال عن الانوار وما طغى اي ما طلب شيا وراه وفيه لطيفة وهي ان يكون ذلك بيانا لوصول محمد عليه الصلوة والسلام ما زاغ اي ما مال عن الطريق فلم ير الشي على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى شي ابيض فانه يراه اصفر واخضر يزيغ بصره عن جادة الابصار

وقوله وما طغى اي ما تخيل الموجود معدوما وقيل ما طغى ما جاوز
ما امر به **قوله** لقد راى من ايات ربه الكبرى في الكبرى وجهان
اظهرها انها مفعول راى ومن ايات ربه حال مقدمة والتقدير لقد
راى الايات الكبرى من ايات ربه والثاني ان من ايات ربه هو مفعول
الرؤية والكبرى صفة لايات ربه والثاني ان من ايات ربه وهذا الجمع
يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة
وقد تقدم مثله في طه عند قوله لنريك من اياتنا الكبرى قال ابن
الخطيب في الكبرى وجهان احدهما انها صفة لمحذوف تقديره لقد راى
من ايات ربه الاية الكبرى ثانيهما صفة لايات ربه فيكون مفعول راى
محذوفا تقديره راى من ايات ربه الكبرى اية او شيا **فصل** قال
بعض المفسرين من ايات ربه الكبرى حال انه راى جبريل عليه الصلوة والسلام
في صورته قال ابن الخطيب والظاهر ان هذه الايات غير تلك لان
جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان لله ملكا
اعظم منه والكبرى تانيث الاكبر فكانه تعالى قال راى من ايات ربه
ايات هي اكبر الايات **فصل** قال المفسرون راى رفرفا اخضر
سد افق السما قال البيهقي الرفرف جبريل عليه السلام في صورته على رفرف
والرفرف البساط وقيل ثوب كان يلبسه قال القرطبي وروى ابن عباس
في قوله تعالى دنا فتدلى على التقديم والتاخير اي تدلى الرفرف لمحمد عليه
الصلوة والسلام ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال
فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي فعلى هذا
الرفرف ما يجلس عليه كالبساط ونحوه **فصل** قال ابن الخطيب
هذه الاية تدل على ان محمدا عليه الصلوة والسلام لم ير الله ليلة المعراج
وانما راى ايات ربه وفيه خلاف ووجه الدلالة انه ختم قصة المعراج
هنا برؤية الايات وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال
لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير ولو كان راى ربه لكان ذلك اعظم
ما يمكن فكانت الكبرى هو الرؤية فكان الامر للرؤية **قوله** افرايتم
اللات والعزى لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدي به الرسول
وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقوله افرايتم اشارة الى ابطال
قولهم ونفس القول كما اذا ادعى ضعيف الملك ثم راه العقلا في غاية البعد
عما يدعيه فيقولوا انظروا الى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه
غير مستدلين بدليل لظهور امره فكذلك قال افرايتم اللات والعزى
اي كما هما فكيف تشركونهما بالله **فصل** والالف واللام في اللات
زايدة لازمة فاما قوله الا لانها حذفت للاضافة وهل هي والعزى
علمان بالوضع او صفتان غالبتان خلاف ويترتب على ذلك جواز
حذف ال وعدمه فان قلنا انهما ليسا وصفين في الاصل فلا يحذف منهما
ال وان قلنا انهما صفتان وان ال للمح الصفة جاز وبالتقديرين
قال زايدة وقال ابو البقا وقيل هما صفتان غالبتان مثل الحارث
والعباس فلا تكون زايدة انتهى قال شهاب الدين وهو غلط لان التي
للمح الصفة منصوص على زيادتها بمعنى انها لم تؤثر تعريفا واختلف في تا
اللات فقيل اصل واصله من لات يليت فالفها عن يا فان مادة ليت
موجوده وقيل زايده وهي من لوى يلوي لانهم كانوا يلوون اعناقهم اليها
او يلتوون اي يعتكفون عليها واصلها لوية فحذفت لامها فالفها على هذا
من واو قال الزمخشري هي فعلة من لوى يلوي وعلى هذا فاصلها لوية فسكنت
اليا

اليا وحذفت لالتقا الساكنين بقيت لوت فقلبت الواو لتحرك ما
قبلها فصارت لات واختلف القرا في الوقف على تايها فوقف الكساي
عليها بالها والباقون بالتا وهو مبني على القولين المتقدمين فمن اعتقد
تاءها اصلية اقرها في الوقف كابيت ومن اعتقد زيادتها وقف عليها
ها قال ابن الخطيب والتا في اللات تا تانيث كان المناة لكنها تكتب
ممطوطة لئلا يوقف عليها فتصيرها فتشبه بسم الله فان الهاء في الله اصلية
ليست تا تانيث ووقف عليها فانقلبت ها واللات اسم صنم قيل
كانت لثقيف بالطايف قاله قتادة وقيل بعكاظ وقال زيد بيت بنخلة
وقيل صنم ورجح ابن عطية الاول بقول الشاعر
وفرت ثقيف الى لاتها ۞ بمنقلب الخايب الخاسر ۞
والعامة على تخفيف تايها وقرا ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر
وابو الجوزا وابو صالح وابن كثير في رواية بتشديد التا فقيل هو رجل
كان يلت السويق ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره ويعبدونه
فهو اسم فاعل في الاصل غلب على هذا الرجل وكان يجلس عند حجر فلما مات
سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقال مجاهد كان في راس جبل له غنيمة
يسلا منها السمن وياخذ منه الاقط ويجمع رسلها ويتخذ منه حيسا فيطعم
الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقال الكلبي كان
رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلا السمن فيضعه على
صخرة ثم تاتيه العرب فتلت اسوقتهم فلما مات الرجل حولتها
ثقيف الى منازلها فعبدوها قال القرطبي كانت صخرة مربعة وكان
سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء فكانت قريش وجميع
العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وهي اللات وكانت
في موضع مسجد الطايف اليسرى فلم تزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فهدمها وحرقها بالنار ثم
اتخذوا العزى وهي احدث من اللات اتخذها ظالم بن سعد والعزى
فعلى من العز وهي تانيث الاعز كالفضلى والافضل وهي اسم صنم وقيل شجرة
كانت تعبد قال مجاهد هي شجرة كانت بغطفان كانوا يعبدونها فبعث
النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها
بالفاس ويقول ۞ يا عز كفرانك لا سبحانك ۞ اني رايت الله قد اهانك ۞
فخرجت منها شيطانة مكشوفة الراس ناشرة شعرها تضرب راسها
وتدعو بالويل والثبور فقتلها خالد وروي ان خالدا لما قطع الشجرة
رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رايت قال
ما رايت شيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بلغت فعاود ومعه
المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة عريانة فقتلها
ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى
ولن تعبد ابدا وقال الضحاك هو صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن
ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة
يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة
وراى اهل مكة يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة
الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا
قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة
فوضع الذي اخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذ من المروة
فقال هذا المروة ثم اخذ ثلاثة احجار فاسندها الى الشجرة وقال هذا

ربكم فعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن
الوليد الى العزى فقطعها وقال قتادة وابن زيد هو بيت بالطائف
كانت تعبده ثقيف وقال ابن جبير العزى حجر ابيض كانوا يعبدونه
قوله ومناة قرا ابن كثير مناءة بهمزة مفتوحة بعد الالف
والباقون بالف وحدها وهي صخرة كانت تعبد من دون الله
فاما قراءة ابن كثير فاشتقاقها من النوء وهو المطر لانهم كانوا
يستمطرون عندها الانواء ووزنها حينئذ مفعلة فالالف عن
واو وهمزتها اصلية وميمها زائدة وانشدوا على ذلك قول الشاعر
الا هل اتى تيم بن عبد مناءة ﴿ على النأي فيما بيننا ابن تميم
وقد انكر ابو عبيد قراءة ابن كثير وقال لم اسمع الهمز قال شهاب
الدين وقد سمعه غيره والبيت حجة عليه واما قراءة العامة فاشتقاقها
من منى يمني اي صب لان دماء النسائك كان يصب عندها وانشد لجرير
ازيد مناة توعد يا ابن تيم ﴿ تامل اين تاه بك الوعيد
وقال ابو البقاء والفه عن ياء لقولك منى يمني اذا قدر ويجوز ان يكون
من الواو ومنه منوان فوزنها على قراءة العامة فعلة فصل
قال قتادة ومناة صخرة كانت لخزاعة بقديد وقالت عائشة في
الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقال ابن زيد بيت
كان بالمشلل تعبده بنو كعب قال الضحاك مناة صنم لهذيل
وخزاعة يعبده اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من
حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها قوله الاخرى صفة لمناة
قال ابو البقاء والاخرى توكيد لان الثالثة لا تكون الا اخرى وقال
الزمخشري والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت
اخراهم اي وضعاؤهم لاشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم
للات والعزى انتهى وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس
فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شيء فلقرينة خارجية وقيل الاخرى صفة
للعزى لان الثالثة اخرى بالنسبة الى الاولى وقال الحسين بن الفضل
فيه تقديم وتاخير اي العزى الاخرى ومناة الثالثة ولا حاجة الى ذلك
لان الاصل عدمه فصل قال ابن الخطيب فان قيل انما يقال
اخر واخرى اذا ... اول مشارك للثاني فلا يقال جاءني رجل وامراة
اخرى فيلزم ان يكون العزى ثالثة فالجواب قد يستعمل الاخر والاخرى
للذم فالمراد بالاخرى المتاخرة الذليلة واللات على صورة ادمي والعزى
شجرة وهي نبات ومناة صخرة جماد هي متاخرة عنهما وفي الكلام حذف
اي اللات والعزى المعبودين بالباطل ومناة الثالثة الاخرى على
التقديم والتاخير ومعنى الاية هل رايتم هذه الاصنام حق الرؤية
فان رايتم علمتم انها لا تصلح للالهية والمقصود ابطال الشركاء واثبات
التوحيد فصل ارايت بمعنى اخبرني فيتعدى لاثنين اولهما
اللات وما عطف عليها والثاني الجملة الاستفهامية من قوله الكم الذكر
فان قيل لم لم يعد من هذه الجملة ضمير على المفعول الاول فالجواب
ان قوله وله الانثى في قوة وله هذه الاصنام وان كان اصل التركيب
الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام وانما اوثر هذا الاسم الظاهر
لوقوعه راس فاصلة وقد جعل الزجاج المفعول الثاني محذوفا فانه
قال وجه تلفيق هذه الاية مع ما قبلها فيقول اخبروني عن الصنم هل
لها

هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الاية السالفة
انتهى فعلى هذا يكون قوله الكم الذكر متعلقا بما قبله من حيث المعنى لا من حيث
الاعراب وجعل ابن عطية الرؤية هنا بصرية فقال هي من رؤية العين
لانه احال على اجرام مرئية ولو كانت ارايت التي هي استفهام لم يتعد وقد تقدم
الكلام على ذلك في الانعام وغيرها فان قيل ما فائدة الفاء في قوله افرايتم
وقد وردت في مواضع بغير فاء كقوله تعالى ارايتم ما تعبدون من دون الله
ارايتم شركاءكم فالجواب لما تقدم عظمة الله في ملكوته وان رسوله الى
الرسل يسد الافاق ببعض اجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته ولا
يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته قال افرايتم
هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله مع ما تقدم فقال بالفاء اي عقيب
ما سمعتم من عظمة ايات الله الكبرى ونفاذ امره في الملا الاعلى وما تحت الثرى
انظروا الى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه قوله الكم الذكر
وله الانثى قال الكلبي كان المشركون يقولون للاصنام والملائكة بنات الله
قال وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره فقال الله منكرا عليهم الكم الذكر وله
الانثى قال ابن الخطيب معناه كيف جعلتم لله البنات وقد اعترفتم في
انفسكم ان البنات ناقصات والبنون كاملون والله كامل العظمة فكيف
نسبتم اليه الناقص وانتم في غاية الذلة والحقارة حيث عبدتم الجماد من الحجارة
والشجر ثم نسبتم الكامل الى انفسكم فهذه قسمة جائرة على زعمكم وعادتكم لانه
كان ينبغي ان تجعلوا الاعظم للعظيم والانقص للحقير فخالفتم النقل والعقل
والعادة قوله تلك اذا قسمة ضيزى تلك اشارة لجعلهم وفي تقديره
تلك القسمة قسمة غير عادلة ويحتمل ان يقال تلك النسبة التي نسبوها
الى الله بان له البنات وقوله اذا جواب نسبتكم البنات الى الله وقوله ضيزى
قرا ابن كثير ضئزى بهمزة ساكنة والباقون بياء ساكنة مكانها وزيد بن علي
ضيزى بفتح الضاد والياء الساكنة فاما قراءة العامة فيحتمل ان يكون من ضازه
يضيزه اذا ضامه وجار عليه بمعنى ضيزى اي جائرة وقال مجاهد ومقاتل قسمة
عوجاء وقال الحسن غير معتدلة قال الشاعر
ضازت بنو اسد بحكمهم ﴿ اذ يجعلون الراس كالذنب
وعلى هذا فيحتمل وجهين احدهما ان يكون صفة على فعلى بضم الفاء وانما
كسرت الفاء لتصح الياء كبيض فان قيل واي ضرورة الى ان تقدر اصلها
ضم الفاء ولم لا قيل انها فعلى بالكسر فالجواب ان سيبويه حكى انه لم
يرد في الصفات فعلى بكسر الفاء انما ورد بضمها نحو حبلى وانثى وربا وما
اشبهها الا انه قد حكى غيره في الصفات ذلك حكى ثعلب مشية حيكى ورجل
كيصى وحكى غيره امراة عزهى وامراة سعلى وهذا لا ينقض لان سيبويه يقول
في حيكى وكيصى كقوله في ضيزى لتصح الياء واما عزهى وسعلى وهذا لا ينقض لان
سيبويه يقول فالمشهور فيهما سعلاة وعزهاة وقال البغوي ليس في
كلام العرب فعلى بكسر الفاء في النعوت انما يكون في الاسماء مثل ذكرى وشعرى
والوجه الثاني ان يكون مصدرا كذكرى قال الكسائي يقال ضاز يضيز
ضيزى كذكر يذكر ذكرى ويحتمل ان يكون من ضازه بالهمز كقراءة ابن كثير الا
انه خفف همزها وان لم يكن من اصول القراء كلهم ابدال مثل هذه الهمزة
ياء لكنها لغة التزمت فقرؤوا بها ومعنى ضازه يضأزه بالهمز نقصه ظلما
وجورا وهو قريب من الاول وممن جوز ان يكون الياء بدلا من همزة ابو عبيد وان
يكون اصلها ضوزى بالواو لانه سمع ضازه يضوزه ضوزى وضازه يضيزه
ضيزى وضازه يضازه ضازا حكى ذلك كله الكسائي وحكى ابو عبيد ضئزته وضأزته

بكسر الضا وضمها فكسرت الضاد من ضوزي لان الضمة تستثقل مع الواو
وفعلوا ذلك ليتوصلوا به الى قلب الواو ياء وانشد الاخفش على اللغة الرابعة
فان تنأ عنا ننتقصك وان تغب فسهمك مضؤوز وانفك راغم
وضيزى في قراءة ابن كثير مصدر وصف به ولا يكون وصفا اصليا لما
تقدم عن سيبويه فان قيل لم لا قيل في ضيزى بالكسر والهمز ان اصله
ضيزى بالضم فكسرت الضاد كما قيل فيها مع اليا فالجواب انه لا موجب
هنا للتغيير اذ الضم مع الهمز لا يستثقل استثقاله مع اليا الساكنة وسمع
منهم ضيزى بضم الضاد مع الواو والهمز واما قراءة زيد فيحتمل ان تكون
مصدرا وصف به كدعوى وان تكون صفة كسكرى وعطشى وغضبى **قوله**
ان هي فيه وجهان احدهما انها ضمير الاصنام اي وما هي الا اسما
ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شي منها
واشد منافاة لها وهذا على سبيل المبالغة والتجوز كما يقال للحقير
انسان ما زيد الا اسم اذا لم يكن مشتملا على صفة معتبرة كقوله
ما تعبدون من دونه الا اسما سميتموها الثاني ان يكون ضمير الاسماء وهي
اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسما الالهة يعني وما
هذه الاسما الا اسما سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة التسمية
برهان تتعلقون به قاله الزمخشري وقال ابو البقا اسما يجب ان
يكون المعنى ذوات اسما موضوعة تيكنا فالجواب انه كلام من نطق
بهذه الالفاظ فهو كالمبتدي الواضع لان الواضع الاول لهذه الاسما
لما لم يكن واضعا بدليل نقلي ولا عقلي لم يجب اتباعه ولا يجوز فصار
هو كالمبتدي اذ لا مقتدي له فان قيل الاسما لا تسمى وانما يسمى بها
فكيف قال اسما سميتموها فالجواب من وجهين الاول ان التسمية
وضع الاسم فكانه قال اسما وضعتموها فاستعمل سميتموها استعمال
وضعتموها الثاني انه لو قال اسما سميتم لكان هناك غير الاسم شي
تتعلق به البا في قولك لان قول القايل سميت به يستدعي مفعولا اخر
يقول سميت بزيد ابني او عبدي وغير ذلك فيكون قد جعل للاصنام
اعتبارا فان قيل هذا باطل بقوله تعالى واني سميتها مريم حيث لم يقل
واني سميتها بمريم ولم يكن ما ذكرت مقصودا والا لكانت مريم غير
ملتفت اليها كما قلت في الاصنام فالجواب بينهما بون عظيم لان هناك
قال سميتها مريم فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله سميتها
واسمها بقوله مريم واما ههنا فقال ان هي الا اسما اي ما هناك
الا اسما موضوعة فلم يعتبر الحقيقة ههنا واعتبرها في مريم **قوله**
ما انزل الله بها من سلطان اي حجة بما يقولون انه هي الالهة واستعمال
البا في قوله بها كقولك ارتحل فلان باهله ومتاعه اي ارتحل ومعه الاهل
والمتاع كذلك ههنا **قوله** ان يتبعون الا الظن هذا رجوع الى
الخبر بعد المخاطبة فقال ان يتبعون الا الظن في قولهم انها الهة واما
العامة على الغيبة التفاتا من خطابهم الى الغيبة تحقيرا لهم كانه قطع الكلام
معهم وقال لنبيه انهم لا يتبعون الا الظن فلا تلتفت الى قولهم ويحتمل
ان يكون المراد غيرهم وفيه وجهان الاول ان يكون المراد اباهم كانه تعالى
لما قال سميتموها انتم واباؤكم فكانهم قالوا هذه الاسماء نحن نضعها عن
وانما تلقيناها من ابائنا فقال وسماها اباؤكم وما يتبعون الا الظن
فان قيل كان ينبغي ان تكون بصيغة الماضي فالجواب وبصيغة المستقبل
ايضا كانه يعرض الزمان دون زمان الكلام كقوله وكلبهم باسط ذراعيه الثاني
انه يكون

الثاني ان يكون المراد عامة الكفار وقرا عبد الله وابن عباس وطلحة
وعيسى بن عمر وابن وثاب بالخطاب وهو حسن موافق فان قيل كيف ذمهم
على اتباع الظن ونحن مامورون باتباعه في الفقه وقال عليه الصلوة
والسلام عن الله تعالى انه قال انا عند ظن عبدي بي فالجواب ان الظن
خلاف العلم وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه واصل العلم
الظهور ومنه العالم وحروف العلم في تقاليبها فيها معنى الظهور ومنها
لمع البرق اذا ظهر ولمع الغزال اذا عدا وكذلك علمت والظن اذا كان في مقابلة
العلم ففيه الخفا ومنه بير ظنون لا يدرى افيه ما ام لا لخفا الامر فيه
ودين ظنون يخفى الامر فيه فنقول يجوز بنا الامر على الظن عند العجز عن
درك اليقين واما الاعتقاد فليس كذلك لان اليقين لم يتعذر علينا والى
هذا اشار بقوله ولقد جاهم من ربهم الهدى اي اتبعوا الظن وقد امكنهم
الاخذ باليقين وفي العمل يمنع ذلك ايضا والله اعلم **قوله** وما
تهوى الانفس تشق على الظن وما مصدرية او بمعنى الذي والمراد بما
تهوى الانفس هو ما زين لهم الشيطان **قوله** ولقد جاهم من ربهم
الهدى يجوز ان يكون حالا من فاعل يتبعون اي يتبعون الظن وهوى
الانفس في حال تنافي ذلك وهي مجي الهدى من عند ربهم ويجوز ان يكون
اعتراضا فان قوله ام للانسان متصل بقوله وما تهوى الانفس وهي
ام المنقطعة فتقدر ببل والهمزة على الصحيح قال الزمخشري ومعنى
الهمزة فيها للانكار اي ليس للانسان ما تمنى **فصل** المعنى ولقد
جاهم من ربهم البيان بالكتاب والرسول انها ليست بالهة وان
العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار ام للانسان ما تمنى ايظن
الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الاصنام ويحتمل ان يكون
معناه هل للانسان ان يعبد بالتمني والاشتهار ما تهوى نفسه **قوله** انه يعيد
فلله الاخرة والاولى اي ليس كما ظن ويتمنى بل لله الاخرة والاولى لا يملك
فيهما احد شيا الا باذنه **قوله** فلله الاخرة والاولى اي ليس كما ظن
ويتمنى بل لله الاخرة والاولى لا يملك فيهما احد شيا الا باذنه **قوله**
وكم من ملك كم هنا خبرية تفيد التكثير ومحلها الرفع على الابتدا ولا
تغني شفاعتهم هو الخبر والعامة على افراد الشفاعة وجمع الضمير اعتبارا
بمعنى ملك وبمعنى كم وزيد بن علي شفاعته بافرادها اعتبر لفظ كم
وملك وابن مقسم شفاعاتهم بجمعها وشيا مصدر اي شيا من الاغنا
فصل المعنى وكم من ملك في السموات ممن يعبدهم هولا الكفار
ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان
ياذن الله في الشفاعة لمن يشا ويرضى اي من اهل التوحيد قال
ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه وجمع الكناية
في قوله شفاعتهم والملك واحد لان المراد من قوله وكم من ملك الكثرة
فهو كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين **قوله تعالى** ان الذين لا يؤمنون
بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى اعلم ان المراد بالذين لا يؤمنون
بالاخرة هم الذين لا يؤمنون بالرسل لان كل من امن بالرسل اعترف بالحشر وذلك
انهم كانوا يقولون الملائكة وجدوا من الله فهم اولاده بمعنى الايجاد
ثم انهم راوا في الملائكة تا التانيث وصح عندهم ان يقال سجدت
الملائكة فقالوا بنات الله فسموهم تسمية الاناث فان قيل كيف يصح
ان يقال انهم لا يؤمنون بالاخرة مع انهم كانوا يقولون لاصنامهم هولا شفعاونا
عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوبا على قبر من يموت ويعتقدون



انه يجري عليه فالجواب من وجهين احدهما انهم ما كانوا يجزمون
به بل كانوا يقولون لا حشر فان كان قلنا شفعا بدليل ما حكى الله
عنهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
الثاني انهم ما كانوا يعترفون بالاخرة على الوجه الذي ورد به الرسل
فصل واما مناسبة هذه الاية لما قبلها فهي انهم لما قيل لهم
ان الصنم جماد لا يشفع وبين لهم ان اعظم اجناس الخلق لا شفاعة
لهم الا باذن قالوا لا نعبد الاصنام لانها جمادات وانما نعبد الملائكة
بعبادتها فانها على صورتها ونضعها بين ايدينا لنذكر بالشاهد
الغائب فنعظم الملك المقرب فرد الله عليهم بهذه الاية اي كيف تعظمونهم
وانتم تسمونهم تسمية الاناث فالجواب ان المراد بيان الجنس وهذا
اللفظ اليق بهذا الموضع لمواخاة رؤس الاي او يقال انه لو قال
الاناث لاوهم اعلام الاناث كعايشة وفاطمة والمراد انما هو البنات
وقد تقدمت تسميتهم **قوله** وما لهم به من علم قال الزمخشري
الضمير في به يعود على ما كانوا يقولون وقيل يعود الى الله اي ما لهم
بالله من علم فيشركون وقال مكي انما هو يعود على الاسم لان التسمية
والاسم بمعنى وقرا ابي بها اي بالاخرة اي ما لهم بالاخرة من علم وقيل
بالملائكة وقيل بالتسمية وهذا يقوي قول مكي فان قلنا ما لهم بالاخرة
فهو جواب كما قلنا انهم وان كانوا يقولون ان الاصنام شفعاونا
عند الله وكانوا يربطون الابل على قبور الموتى ليركبوها لكن ما كانوا
يقولون به عن علم وان قلنا بالتسمية ففيه اشكال وهو ان العلم
بالتسمية حاصل لهم فانهم يعلمون انهم يسمون والجواب ان التسمية
قد يكون واضعها الاول عالما بانه وضع وقد يكون اسما لا معنى له
يتطرق اليه الصدق والكذب والعلم فمثال الصدق من وضع اولا
اسم السما لموضوعها وقال هذا سما ومثال الكذب اذا قلنا بعد ذلك
للما والحجر هذا سما فانه كذب ومن اعتقده فهو جاهل وكذلك قولهم
في الملائكة انهم بنات الله لم يكن تسمية وضعية وانما ارادوا بانهم
موصوفون باسم يجب به استعمال لفظ البنات فيهم وذلك كذب
ومعتقده جاهل فالمراد التسمية التي هي عن وصف حقيقي لا التسمية
الوضعية لانهم عالمون بها فهذا هو المراد قاله ابن الخطيب **قوله**
ان يتبعون الا الظن تقدم الكلام عليه وقوله ان الظن لا يغني من الحق
شيا قيل الحق بمعنى العلم اي لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب
ان ظنهم لا ينقذهم من العذاب قال ابن الخطيب المراد منه ان الظن لا يغني
في الاعتقادات شيا واما في الافعال العرفية او الشرعية فانه يتبع عند
عدم الوصول الى اليقين ويحتمل ان يقال المراد من الحق هو الله والمعنى
ان الظن لا يفيد شيا من الله اي ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون
بدليل قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق فان قيل المسلم قد يصيب بالظن
فكيف يحكم عليه بانه لا يغني اصلا فالجواب ان المكلف محتاج الى تمييز
يميز الحق من الباطل ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير لكن
في الحق ينبغي ان يكون جازما لاعتقاد مطابقته والكاذب لا يكون
جازما وفي الخير ربما يعتبر الظن في مواضع **فصل** اعلم ان الله
تعالى منع من الظن في ثلاثة مواضع احدها قوله تعالى ان هي الا اسما
سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون
الا الظن وثانيها هذه الاية وثالثها في الحجرات وهي قوله تعالى ولا

تنابزوا

تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب
فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن فالاول
المنع كان عقيب التسمية والثاني عقيب الدعا بالالقاب وكل ذلك
دليل على ان حفظ اللسان اولى من حفظ غيره من الاركان وان الكذب
اقبح من السيات الظاهرة من الايدي والارجل فهذه المواضع الثلاثة
دلت على ان الظن فيها مذموم احدها مدح من لا يستحق المدح كاللات
والعزى من العز وثانيها ذم من لا يستحق الذم وهم الملائكة الذين هم
عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانثى وثالثها ذم من لم يعلم حاله واما
مدح من يعلم حاله فلم تقل فيه لا يتبعون الظن بل الظن معتبر فيه
والاخذ بظاهر حال العاقل واجب **قوله** فاعرض عن من تولى عن
ذكرنا يعني القران وقيل الايمان اي اترك مجادلتهم فقد بلغت
واتيت بما عليك قال ابن الخطيب واكثر المفسرين يقولون بان كل ما
في القران من قوله تعالى فاعرض منسوخ باية القتال وهو باطل لان الامر
بالاعراض موافق لاية القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي عليه
الصلوة والسلام في الاول كان مامورا بالدعا بالحكمة والموعظة الحسنة
فلما عارضوه باباطيلهم امر بازالة شبههم والجواب عن اباطيلهم
وقيل له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه اعرض عنهم
ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق
وقاتلهم فالاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون
منسوخا بها **قوله** ولم يرد الا الحياة الدنيا اشارة الى انكارهم
الحشر كقوله تعالى عنهم ان هي الا حياتنا الدنيا وقوله ارضيتم بالحياة
الدنيا وذلك انه اذا ترك النظر في الا الله لا يعرفه ولا يتبع رسوله
فلا ينفعه كلامه واذا لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف ولا يرجع عما هو
عليه فلا يبقى في الدعا فايده واعلم ان النبي عليه الصلوة والسلام كان
كالطبيب للقلوب فاتى على ترتيب الاطبا في المرض اذا امكن اصلاحه
بالغذا لا يعملون الدوا وما امكن اصلاحه بالدوا الضعيف لا يستعملون
الدوا القوي ثم اذا عجز عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد
والكي كما قيل اخر الدوا الكي فالنبي عليه الصلوة والسلام اولا امر القلوب
بذكر الله فان بذكر الله تطمئن القلوب كما ان بالغذا تطمئن النفوس
فالذكر غذا القلب ولهذا قال عليه الصلوة والسلام اولا قولوا لا اله
الا الله امر بالذكر فانتفع ابو بكر رضي الله عنه وغيره ومن لم ينتفع ذكر
لهم الدليل وقال اولم يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون الى غير ذلك فلما
لم ينتفعوا اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة
واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح **قوله** ذلك مبلغهم قال الزمخشري
هو اعتراض بين فاعرض وبين ان ربك ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض
قال شهاب الدين كيف يقول كانه يقول هو اعتراض وما معنى التشكيك
وهو قد نص عليه وصرح به فقال اي فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك
وقوله ولا يظهر ما ادري عدم الظهور مع ظهور ان هذا اي قوله ان ربك
علة لذلك اي قوله ان ربك علة لقوله فاعرض والاعتراض بين العلة
والمعلول ظاهر واذا كانوا يقولون هذا معترض فيما يجري اثنا قصة
فكيف بما بين علة ومعلول **فصل** ذلك اشارة الى نهاية علمهم
وقدر عقولهم انهم اثروا الدنيا على الاخرة وقيل اشارة الى الظن اي لم
يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم واعتمدوا

على ذلك واعرضوا عن القرآن وقيل اشارة الى الظن اي لم يبلغوا من
العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم واعتمدوا على
ذلك واعرضوا عن القرآن وقيل اشارة الى الاعراض اي فاعرض عمن
تولى وذلك الاعراض غاية ما طلبوه من العلم وعلى هذا يكون المراد من العلم
المعلوم ويكون الالف واللام للتعريف والعلم المعلوم هو ما في القرآن فان قيل
ان الله تعالى بين ان غايتهم ذلك في العلم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والمجنون
الذي لا علم له او الصبي لا يؤمر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله فالجواب انه ذكر
قبل ذلك انهم تولوا عن ذكر الله فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله
توليهم ليضاف الجهل الى ذلك فيتحقق العقاب **قوله** ان ربك هو اعلم
بمن ضل الآية يمكن ان يكون اعلم باقية من التفضيل اي هو اعلم من كل احد بهذين
الوصفين وبغيرهما وان يكون بمعنى عالم وتقدم ذلك مرارا **فصل**
المعنى ان الله عالم بالفريقين فيجازيهم ووجه المناسبة ان الله تعالى لما قال
للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض وكان النبي عليه الصلاة والسلام شديد الميل
الى ايمان قومه كأنه همس في خاطره ان ذكراهم منقطعة وانما يؤمن من الكفار قوم
آخرون من غير قتال فقال تعالى ان ربك اعلم بمن ضل عن سبيله انه لا يؤمن بمجرد
الدعاء احد من المتخلفين وانما ينفع فيهم وقع السيف والقتال فاعرض
عن الجدال واقبل على القتال وعلى هذا فقوله بمن اهتدى اي علم في الازل
من ضل ومن اهتدى فلا يشتبه عليه الامر ولا بأس في الاعراض فان قيل
قال في الضلال عن سبيله ولم يقل في الاهتداء الى سبيله فالجواب ان الضلال
عن السبيل هو الضلال وهو كاف في الضلال لان الضلال لا يكون الا في
السبيل واما بعد الوصول فلا ضلال او لان من ضل عن سبيل لا يصل الى المقصود
سواء اسلك سبيلا او لم يسلكه واما من اهتدى الى سبيل فلا وصول له ان لم
يسلكه فقال من اهتدى الى السبيل وسلوكه **قوله** ولله ما في السموات
وما في الارض وهذا معترض بين الآية الاولى وبين قوله ليجزي الذين اساؤوا
بما عملوا واللام في قوله ليجزي فيها اوجه احدها ان تتعلق بقوله لا تغني شفاعتهم
ذكره مكي وهو بعيد من حيث اللفظ ومن حيث المعنى الثاني ان يتعلق بما دل
عليه قوله ولله ما في السموات وما في الارض اي له ملكهما يضل من يشاء ويهدي
من يشاء ليجزي المحسن والمسيء الثالث ان يتعلق بقوله بمن ضل وبمن اهتدى
واللام للصيرورة اي عاقبة امرهم جميعا للجزاء بما عملوا قال معناه الزمخشري
الرابع ان يتعلق بما دل عليه قوله اعلم بمن ضل اي حفظ ذلك ليجزي قاله
ابو البقاء وقرأ زيد بن علي لنجزي بنون العظمة والباقون بياء الغيبة
وقوله الذين اساؤوا اي اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين احسنوا
وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان
مالكا فلذلك قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض **قوله** الذين
يجتنبون كبائر يجوز ان يكون منصوبا بدلا او بيانا او نعتا للذين
احسنوا فلم خالف ما بعده بالمعنى في الاستقبال حيث قال الذين
احسنوا وقال الذين يجتنبون ولم يقل اجتنبوا فالجواب هو كقول
القائل الذين سألوني اعطيتهم الذين يترددون الي سائلين اي
الذين عادتهم ودأبهم الاجتناب لا الذين اجتنبوا مرة واحدة ويجوز
ان يكون الموصول منصوبا باضمار اعني وان يكون خبر مبتدأ مضمر اي
هم الذين وهذا النعت للمحسنين وقد تقدم الخلاف في كبائر وكبير الاثم
قوله الا اللمم فيه اوجه احدها انه استثناء منقطع لان اللمم الصغائر
فلم يندرج فيما قبلها وهذا هو المشهور الثاني انه صفة والا بمنزلة

غير كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله اي كبائر الاثم والفواحش غير اللمم
الثالث انه متصل وهذا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر وقالوا ان اللمم
من الكبائر والفواحش قالوا معنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم
يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن ورواية
عطاء عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك
قال السدي قال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت
هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال
لقد اعانك عليها ملك كريم وروي عن ابن عباس في قوله الا اللمم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك
لا الما واصل اللمم ما صغر وقل ومنه اللمم وهو المس من الجنون واللمم بالمكان
قل لبثه فيه والم بالطعام اي قل اكله منه وقال ابو العباس اصل اللمم ان يلم
بالشيء من غير ان يركبه يقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه وقال الازهري
العرب تستعمل الالمام في معنى الدنو والقرب وقال جرير

بنفسي من تجنبه عزيز ... علي ومن زيارته لمام

وقال آخر

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقال آخر لقاء اخلاء الصفاء لمام ومنه يقال ألمّ الشعر لما دون الوفرة
فصل قال ابن الخطيب الكبائر اشارة لما فيها من مقدار السيئة
والفواحش في اللغة مختصة بالقبح الخارج قبحه عن حد الخفاء وتركيب
الحروف في التأليف يدل عليه فانك اذا قلبتها وقلت حشف كان فيه
معنى الزيادة الخارجة عن الحد فان الحشف ارذل التمر وكذا الافتشاح
يدل على حالة ردية يقال تفشحت الناقة اذا وقفت على هيئة مخصوصة
للبول فالفحش يلازمه القبح ولهذا لم يقل الفواحش من الاثم وقال الكبائر
من الاثم لان الكبائر ان لم يميزها بالاضافة في قوله كبائر الاثم لما حصل
المقصود بخلاف الفواحش واختلفوا في الكبائر والفواحش فقيل الكبائر
ما وعد الله عليه النار صريحا وظاهرا والفواحش ما اوجب عليه حدا في
الدنيا وقيل الكبائر ما يكفر مستحله وقيل الكبائر ما لا يغفر الله لفاعله
الا بعد التوبة وهو مذهب المعتزلة قال ابن الخطيب وكل هذه
التعريفات تعريف الشيء بما هو مثله في الخفاء او فوقه وقد ذكرنا ان
الكبائر هي التي مقدارها عظيم والفواحش هي التي قبحها واضح فالكبيرة
صفة عائدة الى المقدار والفاحشة صفة عائدة الى الكيفية
فصل اختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم ما سلف في
الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا
بالامس يعملون معنا فانزل الله هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد
ابن اسلم وقيل هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان
دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي
ورواية طاوس عن ابن عباس قال ما رأيت اشبه باللمم مما قال ابو
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا
ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى
وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه وفي رواية والاذنان زناهما الاستماع
واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب
لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس
ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم

المرة بعد المرة فيتوب منه وقال سعيد بن المسيب هو ما الم بالقلب اي خطر وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد وهو مغفور فان اعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب **قوله** ان ربك واسع المغفرة لمن فعل ذلك وتاب وههنا تم الكلام **قوله تعالى** هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض في تعلق الاية وجوه احدها هو تقدير لما قال من قبل فانه لو قال هو اعلم بمن ضل فان القائل من الكفار تقول نحن نعمل امورا في جوف الليل المظلم وفي البيت الخالي فكيف يعلمه الله تعالى قال ليس علمكم اخفى من احوالكم وانتم اجنة في بطون امهاتكم والله عالم بتلك الاحوال الثاني انه اشارة الى ان الضال والمهتدي حصلا على ما هما عليه بتقدير الله فانه علم الحق وانتم في بطون الامهات فكتب على البعض انه ضال وعلى البعض انه مهتدي الثالث انه تاكيد لبيان الجزاء لانه لما قال ليجزي الذين اساؤا بما عملوا قال الكافرون هذا الجزاء لا يتحقق الا بالحشر وجمع الاجزاء بعد تفرقها واعادة ما كان لزيد من الاجزاء في بدنه من غير اختلاط وذلك غير ممكن فقال تعالى هو عالم بما اذا انشاكم فيجمعها بقدرته على وفق علمه كما انشاكم

فصل العامل في اذ يحتمل ان يكون اذكروا ويكون هذا تقديرا لكونه عالما ويكون تقديره هو اعلم بكم وقد تم الكلام ثم يقول ان كنتم في شك من علمه فاذكروا حال انشائكم من التراب وقد تقدم الكلام على قوله خلقكم من تراب بان كل احد اصله من التراب فانه يصير غذا ثم يصير دما ثم يصير نطفة فان قيل لا بد من صرف قوله اذ انشاكم من الارض الى آدم لان قوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم عائد الى غيره فانه لم يكن جنينا فان قلت بان قوله تعالى اذ انشاكم عائد الى جميع الناس فينبغي ان يكون جميع الناس اجنة في بطون الامهات وهو قول الفلاسفة فالجواب ليس كذلك لانا نقول الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب فقوله هو اعلم بكم خطاب مع من حضر الانزال وهم كانوا اجنة وخلقوا من الارض على ما قررناه **قوله** اجنة جمع جنين وهو الحمل في البطن لاستتاره وجنين واجنة كسرير واسرة فان قيل الاجنة هم الذين في بطون الامهات وبعد الخروج لا يسمى الا ولدا او سقطا فما فائدة قوله تعالى في بطون امهاتكم فالجواب ان ذلك تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطون الامهات في غاية الظلمة ومن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه ما يظهر من حال العباد

قوله فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا انفسكم تبرؤها عن الاثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها وقال الكلبي ومقاتل كان الناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله هذه الاية ثم قال هو اعلم بمن اتقى اي بر واطاع واخلص العمل **فصل** يحتمل ان يكون هذا الخطاب مع الكفار فانهم قالوا كيف يعلمنا الله فرد عليهم قولهم ويحتمل ان يكون خطابا مع كل من كان في زمن الخطاب وبعده من المومنين والكفار ويحتمل ان يكون خطابا مع المومنين وتقديره ان الله تعالى لما قال فاعرض عن من تولى عن ذكرنا قال لنبيه عليه الصلوة والسلام قد علم كونك ومن معك على الحق وكون الكفار على الباطل فاعرض عنهم ولا يقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال

لانهم

لانهم يقابلونكم بمثل ذلك وفوضوا الامر الى الله فهو اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا فقول من قال فاعرض منسوخ اظهر وهو قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين يعني الله اعلم بحالة الامر **قوله** افرايت الذي تولى قال بعض المفسرين لما بين جهل المشركين في عبادتهم الاصنام ذكر واحدا منهم معينا بسوء فعله قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه ان هو اعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك واعطى الذي عيره بعض ذلك الذي ضمن ومنعه تمامه فنزلت افرايت الذي تولى اي ادبر عن الايمان واعطى صاحبه عليه الصلوة والسلام واكدى بخل بالباقي وقال السدي نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اي لم يومن به ومعنى اكدى اي قطع **قوله** واكدى اصله من اكدى الحافر اذا حفر شيئا فصادف كدية منعته من الحفر ومثله اجبل اي صادف جبلا منعه من الحفر وكديت اصابعه كلت ثم استعمل في كل من طلب شيئا فلم يصل اليه او لم يتممه ولمن طلب شيئا ولم يبلغ اخره قال الحطيئة

فاعطى قليلا ثم اكدى بعطائه ❊ ومن يبذل المعروف في الناس يحمد ❊

ويقال كدا النبت اذا قل ريعه وكدت الارض تكدو واكدى وانهى كلاديه اذا ابطأ نباتها عن ابي زيد واكديت الرجل عن الشيء رددته واكدى الرجل اذا قل خيره فقوله واعطى قليلا واكدى اي قطع القليل ورايته بمعنى اخبرني وقوله الذي يعود الى الوليد قاله ابن الخطيب والظاهر انه يعود الى المتولي في قوله فاعرض عن من تولى فان قيل كان ينبغي ان يقول الذين تولوا لان من للعموم فالجواب ان العود الى اللفظ كثير كقوله من جاء بالحسنة فله ولم يقل فلهم **قوله** اعنده علم الغيب هو المفعول الثاني لارايت والمفعول الثاني محذوف اقتصارا لا اعطى **قوله** فهو يرى هذه الجملة مترتبة على ما قبلها ترتبا ظاهرا وقال ابو البقا فهو يرى جملة اسمية واقعة موقع الفعلية والاصل اعنده الغيب فيرى ولو جاء على ذلك لكان نصبا على جواب الاستفهام انتهى وهذا لا حاجة اليه مع ظهور الترتب بالجملة الاسمية وقد تقدم له نظير هذا الكلام والرد عليه ومعنى الاية اعند هذا المكدي علم الغيب اي علم ما غاب عنه من العذاب فهو يرى اي يعلم ما غاب عنه من امر الاخرة وما يكون من امره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره وكفى بهذا جهلا وحمقا بانه يرى ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه **قوله** ام لم ينبا اي لم يخبر بما في صحف موسى يعني اسفار التوراة وام منقطعة بل لم ينبأ وما في قوله بما يحتمل ان يكون المراد جنس ما فيها اي لم ينبا بالتوحيد والحشر وغيره ويحتمل ان يكون عين ما في التوراة لا جنسه وعلى هذا فالكلام مع اهل الكتاب **قوله** وابراهيم عطف على موسى اي وصحف ابراهيم لقوله في سورة الاعلى صحف ابراهيم وموسى وانما خص هذين النبيين بالذكر لانه كان بين ابراهيم وموسى يوخذ الرجل بجريرة غيره فاول من خالفهم ابراهيم قاله الهذيل بن شرحبيل والعامة على وفى بالتشديد وقرا ابو امامة الباهلي وسعيد بن جبير

وابن السميقع وفي مخففا وقد تقدم ان فيه ثلاث لغات واطلق التوفية
والوفا ليتناول لاكثرها وفي به والمعنى تمم واكمل ما امر به قال الحسن وسعيد
ابن جبير وقتادة عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه الى الخلق وقال مجاهد
وفى بما فرض عليه وقال الربيع في رؤياه وقام بذبح ابنه وقال عطا
الحراسانى استعمل الطاعة وقال ابو العالية هو الاتمام في قوله تعالى واذ
ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقال الضحاك
وفى المناسك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابراهيم
الذي وفى اربع ركعات من اول النهار **قوله** ان لا تزر وازرة وزر اخرى
اي مخففة من الثقيلة واسمها محذوف هو ضمير الشان ولا تزر هو الخبر
وجئ بالنفي لكون الخبر جملة فعلية متصرفة غير معروفة بقد كما تقدم تحريره
في المائده وان وما في حيزها فيها قولان اظهرهما الجر لا بدلا مما في قوله بما في
صحف والثاني الرفع خبر المبتدا مضمر اي ذلك ان لا تزر او هو ان لا تزر
وهو جواب لسوال مقدر كان قايلا قال وما في صحفهما فاجيب بذلك
قال شهاب الدين ويجوز ان تكون نصبا باضمار اعني جوابا لذلك
السايل وكل موضع اضمر فيه هذا المبتدا لهذا المعنى اضمر فيه هذا الفعل
فصل معنى الاية انه لا تحمل نفس حمل اخرى اي لا تؤخذ نفس
باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن الوليد بن المغيرة انه يحمل عنه
الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل ابراهيم عليه الصلوة
والسلام ياخذون الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه
واخيه وامراته حتى جاءهم ابراهيم عليه الصلوة والسلام فنهاهم عن
ذلك وبلغهم عن الله عز وجل ان لا تزر وازرة وزر اخرى فان قيل الاية
مذكورة لبيان ان وزر الرجل لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا تحصل هذه
الفايده لان الوازرة تكون مثقلة بوزرها فكل احد يعلم انها لا تحمل
شيا فلو قال لا تحمل فارغة وزر اخرى كان ابلغ فالجواب ان المراد
من الوازرة هي التي يتوقع منها الوزر لا الحمل لا التي وردت وحملت
نقل القرطبي عن ابي مالك الغفاري قال قوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر
اخرى الى قوله تعالى فباي الاء ربك تتمارى في صحف ابراهيم وموسى **قوله**
وان ليس للانسان الا ما سعى ان هي المخففة ايضا ولم يفصل بينها هنا وبين
الفعل لانه لا يتصرف ومحلها الجر او الرفع او النصب لعطفها على ان قبلها
وكذلك محل وان سعيه سوف يرى مبني للمفعول فيجوز ان يكون من الروية
اي يبصر وان يكون من العلمية فيكون الثاني محذوفا اي يرى حاضرا
والاول اوضح وقال مكي واجاز الزجاج يرى بفتح اليا على اضمار الها اي
سوف يراه ولم يجزه الكوفيون لان سعيه يصير قد عمل فيه ان
ويرى وهو جايز عند المبرد وغيره لان دخول ان على سعيه وعملها
فيه يدل على الها المحذوفة من يرى وعلى هذا جوز البصريون ان
زيدا ضربت بغير ها قال شهاب الدين وهو خلاف ضعيف توهموا ان
الاسم توجه عليه عاملان مختلفان في الجنسية وانما قلت في الجنسية
لان راي بعضهم انه يعمل فعلين في معمول واحد ومنه باب التنازع في بعض
صوره نحو قام وقعد زيد وضربت واكرمت عمرا وان يعمل عامل واحد
في اسم وفي ضميره معا نحو زيد ضربته في باب الاشتغال وهذا توهم
باطل لانا نقول سعيه منصوب بان ويرى متسلط على ضميره المقدر
فظاهر هذا انه لم يتزاحم وقد حكى ابو البقا انه قرئ به شاذا ولكنه
ضعفه من جهة اخرى فقال وقرئ بفتح اليا وهو ضعيف لانه ليس
فيه

فيه ضمير يعود على اسم ان وهو السعي والضمير الذي فيه للها فيبقى الاسم
بغير خبر وهو كقولك ان غلام زيد قام وانت تعني قام زيد فلا خبر لغلام
وقد وجه على ان التقدير سوف يراه فتعود الها على السعي وفيه بعد انتهى
قال شهاب الدين وليت شعري كيف توهم المانع المذكور وكيف نظره
بما ذكر ثم اي بعد في تقدير سوف يرى سعيه نفسه وكانه اطلع على مذهب
الكوفيين في المنع الا ان المدرك غير المدرك **فصل** قوله وان ليس
للانسان الا ما سعى اي عمل كقوله ان سعيكم لشتى وهذا ايضا في صحف ابراهيم
وموسى قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله الحقنا بهم
ذرياتهم فادخل الابنا الجنة بصلاح الابا وقال عكرمة كان ذلك
لقوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم
لما روي ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم
ولك اجر وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها فهل
لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقي الدين ابو العباس احمد
ابن تيمية من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك
باطل من وجوه كثيرة احدها ان الانسان ينتفع بدعا غيره وهو انتفاع
بعمل الغير الثاني ان النبي عليه الصلوة والسلام يشفع لاهل الموقف في الحساب
ثم لاهل الجنة في دخولها ثم لاهل الكباير في الاخراج من النار وهذا انتفاع
بسعي الغير الثالث ان كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير الرابع
ان الملايكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير
الخامس ان الله يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع
بغير عملهم السادس ان اولاد المومنين يدخلون الجنة بعمل ابايهم وذلك
انتفاع بمحض عمل الغير السابع قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين
وكان ابوهما صالحا فانتفعا بصلاح ابيهما وليس هو من سعيهما الثامن
ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من
عمل غيره التاسع ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة
وهو انتفاع بعمل الغير العاشر المدين الذي امتنع عليه الصلوة والسلام
من الصلاة عليه حتى قضى دينه ابو قتادة وقضى دين الاخر علي بن ابي طالب
قد انتفع بصلاة النبي عليه الصلوة والسلام وبردت جلدته بقضاء دينه
وهو من عمل الغير الحادي عشر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده
الا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل الجماعة بفعل
الغير الثاني عشر ان الانسان تبرا ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض
عنه وذلك انتفاع بعمل غيره الرابع عشر ان الجار الصالح ينفع في المحيا
والممات كما جاء في الاثر وهذا انتفاع بعمل الغير الخامس عشر ان جليس اهل الذكر
يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال
بالنيات فقد انتفع بعمل غيره السادس عشر الصلاة على الميت والدعا له
في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي وهو عمل غيره السابع عشر ان الجمعة
تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض
بالبعض الثامن عشر ان الله تعالى قال لنبيه عليه الصلوة وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وقال لولا رجال مومنون ونسا مومنات وقال
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله العذاب عن بعض
الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير التاسع عشر ان صدقة الفطر
تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له
العشرون ان الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي

له ومن تامل العلم وجد من انتفاع الناس بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى
فكيف يجوز ان يتناول الاية على خلاف صريح الكتاب والسنة واجماع
الامة والمراد بالانسان العموم وقال الربيع بن انس ليس للانسان
يعني الكافر واما المومن فله ما سعى وما سعي له وقيل ليس للكافر
من الخير الا ما عمله يثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الاخرة خير وروي
ان عبد الله بن ابي كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات
ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له حسنة
في الاخرة يثاب عليها وقوله وان سعيه سوف يرى اي يرى يعني ميزانه
يوم القيامة من اريته الشي اي يعرض عليه ويكشف له فان قيل العمل
كيف يرى بعد وجوده ومضيه فالجواب من وجهين احدهما
يرى على صورة جميلة ان كان العمل صالحا الثاني قال ابن الخطيب
وذلك على مذهبنا غير بعيد فان كل موجود يرى والله قادر على اعادة
كل ما عدم فيعيد الفعل فيرى وجه اخر وهو ان ذلك مجاز عن الثواب
كقوله سترى احسانك اي جزاءه وفيه نظر لقوله بعده ثم يجزاه
الجزاء الاوفى **قوله** ثم يجزاه يجوز في الضمير وجهان اظهرهما ان
الضمير المرفوع يعود على الانسان والمنصوب يعود على سعيه والجزاء
مصدر مبين للنوع الثاني قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير للجزاء
ثم فسره بقوله الجزاء او ابدله منه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا
قال ابو حيان واذا كان تفسيرا للضمير المنصوب في يجزاه فعلى ماذا
ينتصب واما اذا كان بدلا فهو من بدل الظاهر من المضمر وهي مسئلة
خلاف والصحيح المنع قال شهاب الدين العجب كيف يقول فعلى ماذا
ينتصب وانتصابه من وجهين اظهرهما ان يكون عطف بيان وعطف
البيان يصدق عليه انه مفسر وهي عبارة شائعة والثاني ان ينتصب
باضمار اعني وهي عبارة شائعة ايضا يسمون مثل ذلك تفسيرا
وقد منع ابو البقاء ان ينتصب الجزاء الاوفى على المصدر فقال الجزاء
الاوفى هو مفعول يجزاه وليس بمصدر لانه وصفه بالاوفى وذلك من
صفة المجزي به لا من صفة الفعل قال شهاب الدين وهذا لا يبعد
عن الغلط لانه يلزم ان يتعدى يجزي الى ثلاثة مفاعيل لان الاول
قائم مقام الفاعل والثاني الهاء التي هي ضمير السعي والثالث الجزاء
الاوفى وايضا فكيف ينتظم المعنى وقد يجاب عنه بانه اراد انه
بدل من الهاء كما تقدم عن الزمخشري ويصح ان يقال هو مفعول يجزاه
فلا يتعدى لثلاثة حينئذ الا انه بعيد من غرضه ومثل هذا الغاز
واما قوله والاوفى ليس من صفات الفعل ممنوع بل هو من صفاته
مجازا كما يوصف به المجزي به مجازا فان الحقيقة في كليهما منتفية وانما
المتصف به حقيقة المجازى وقال ابن الخطيب والجزاء يتعدى الى
مفعولين قال تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ويقال جزاك الله
خيرا ويتعدى الى الثالث بحرف الجر فيقال جزاه الخير على عمله الجنة
وقد يحذف الجار ويوصل الفعل فيقال جزاه الخير عمله الجنة
والمراد بالجزاء الاوفى الاكمل والاتم اي يجزي الانسان سعيه يقال جزيت
فلانا سعيه وبسعيه قال الشاعر

ان اجز علقمة بن سعد سعيه ۞ لم اجزه ببلاء يوم واحد

قال ابن الخطيب والجزاء الاوفى يليق بالمومنين الصالحين لان جزاء الصالح
وافر قال تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وذلك ان جهنم ضررها اكثر من

نفع الاثام

نفع الاثام فهو في نفسها اوفى فان قيل ثم لتراخي الجزاء او لتراخي الكلام
اي ثم نقول يجزاه فان كان لتراخي الجزاء فكيف يوخر الجزاء عن الصالح
وقد قلت ان الظاهر ان المراد منه الصالحون نقول الوجهان محتملان
وجواب السوال ان الوصف بالاوفى يدفع ما ذكرت لان الله تعالى
من اول زمان يموت الصالح يجزيه خيرا ويوخر له الجزاء الاوفى وهي الجنة
او نقول الاوفى اشارة الى الزيادة فصار كقوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي الرؤية فكانه تعالى قال وان سعيه
سوف يرى ثم يرزق الرؤية وهذا الوجه يليق بتفسير اللفظ فان
الاوفى مطلق غير مبين فلم يقل اوفى من كذا فينبغي ان يكون اوفى من كل واف
ولا يتصف به غير رؤية الله تعالى **فصل** قال في حق المسي الا تزر
وازرة وهو لا يدل الا على عدم الحمل على الموازرة ولا يلزم من ذلك
بقاء الوزر عليها من ضرورة اللفظ لجواز ان يسقط عنها ويمحو الله ذلك
الوزر فلا يبقى عليها ولا يحمل عنها غيرها ولو قال لا تزر الا وزر نفسها لكان
من ضرورة الاستثناء انها تزر وقال في حق المحسن ليس للانسان الا ما سعى ولم
يقل ليس له ما لم يسع لان العبارة الثانية ليس فيها الا له ما سعى وفي العبارة
الاولى ان له ما سعى نظرا الى الاستثناء فقال في حق المسي بعبارة لا ينقطع رجاؤه
وفي حق المحسن بعبارة ينقطع خوفه وكل ذلك اشارة الى سبق الرحمة الغضب
قوله وان الى ربك المنتهى العامة على فتح همزة ان وما عطف عليها بمعنى
ان الجميع في صحف موسى وابراهيم وقرا ابو السمال بالكسر في الجميع على الابتدا
ومعنى الاية ان منتهى الخلق ومصيرهم اليه فيجازيهم باعمالهم وقيل منه
ابتدا المنة واليه انتها الامال وروى ابو هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق
ولا تفكروا في الخالق فان الله لا يحيط به الفكر قال القرطبي ومن هذا المعنى
قوله عليه الصلوة والسلام ياتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق
كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته ولقد
احسن من قال

ولا تفكرن في ذا العلي عز وجهه ۞ فانك تردى ان فعلت وتخذل
ودونك مصنوعاته فاعتبر بها ۞ وقل مثل ما قال الخليل المبجل

وقيل المراد من الاية التوحيد وفي المخاطب وجهان احدهما انه عام تقديره الى ربك
ايها السامع والعاقل والثاني انه خطاب مع النبي عليه الصلوة والسلام فعلى
الاول يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم
فعلى الاول تكون اللام في المنتهى للعهد الموعود في القران وعلى الثاني تكون للعموم
اي الى ربك كل منتهى فان قيل فعلى هذا الوجه تكون منتهى وعلى الاول تكون مبتدا
فالجواب منتهى الادراكات والمدركات فان الانسان اولا يدرك الاشيا الظاهرة
ثم يمعن النظر فينتهي الى الله فيقف عنده **قوله** وانه هو اضحك وابكى
وما بعده هذا يسميه البيانيون الطباق والتضاد وهو نوع من البديع
وهو ان يذكر ضدان او نقيضان او متنافيان بوجه من الوجوه واضحك
وابكى لا مفعول لهما في هذا الموضع لانهما مسوقة لقدرة الله تعالى لا لبيان
المقدور فلا حاجة الى المفعول كقولك فلان بيده الاخذ والعطا يعطي
ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى **فصل** اختار هذين الوصفين
المذكورين لانهما امران لا يعللان فلا يقدر احد من الطبايعيين ان يبين اختصاص
الانسان بالضحك والبكا وجها وسببا واذا لم يعلل بامر فلا بد له من موجد
فهو الله يخلق في الصحة والسقم كانهم يقولون سببهما اعتدال المزاج
وخروجه من الاعتدال ومما يدل على ما ذكرنا انهم اذا عللوا الضحك قالوا

لقوة التعجب وهو باطل لان الانسان ربما يبهت عند روية الامور العجيبة
ولا يضحك وقيل لقوة الفرح وليس كذلك لان الانسان قد يبكي لقوة الفرح
كما قال بعضهم
هجم السرور علي حتى انني ❊ من عظم ما قد سرني ابكاني
وايضا فالذي يحزن غاية الحزن قد يضحك وقد يخرج الدمع من العين
عند امور مخصوصة لا يقدرون على تعليلها بتعليل صحيح وايضا
عند الخواص كالتي في المغناطيس وغيره ينقطع الطبيعي كما ينقطع هو
والمهندس الذي لا يفوض امره الى قدرة الله واراد به عند اوضاع
الكواكب **فصل** اذا قيل بان المراد بقوله تعالى ان الى ربك
المنتهى اثبات الوحدانية فهذه الايات مبينات لمسايل يتوقف
عليها الاسلام من جملتها قدرة الله تعالى فان من الفلاسفة من يقول
بان الله المنتهى وانه واحد لكن يقول بانه موجب لا قادر فقال تعالى
هو اوجد ضدين الضحك والبكا في محل واحد على التعاقب والتراخي
والموت والحياة والذكورة والانوثة في مادة واحدة وذلك لا يكون
الا من قادر يعترف به كل عاقل وان قيل بان المراد بالمنتهى بيان المعاد
فهو اشارة الى ان الانسان كما كان في الدنيا في بعض الامور ضاحكا وفي
بعضها باكيا محزونا كذلك في الاخرة **فصل** هذه الاية نزلت
على ان كل ما يعمل الانسان فبقضا الله وخلقه حتى الضحك والبكا
قال مجاهد والكلبي اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار
وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر وقال
عطا بن ابي مسلم يعني افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن
يجلب البكا **فصل** روى مسلم عن عايشة قالت لا والله
ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ان الميت يعذب
ببكا احد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكا اهله عذابا وان الله
لهو اضحك وابكى وما تزر وازرة وزر اخرى وعنها قالت مر النبي عليه
الصلوة والسلام على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد
ان الله يقول لك وانه هو اضحك وابكى فرجع اليهم فقال ما خطوت
اربعين خطوة حتى اتاني جبريل فقال ايت هولا فقل لهم ان الله يقول
هو اضحك وابكى اي قضا اسباب الضحك والبكا وقال بسام بن عبد الله
اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم وانشد
❊ السن تضحك والاحشا تحترق ❊ وانما ضحكها زور ومختلق
❊ يا رب باك بعين لا دموع لها ❊ ورب ضاحك بسن ما به رمق
قيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكا من بين ساير الحيوان
وقيل ان القرد وحده يضحك ولا يبكي وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك
وقال يوسف بن الحسين سيل طاهر المقدسي اتضحك الملايكة فقال ما ضحكوا
ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم **قوله** وانه هو امات واحيا
اي امات في الدنيا واحيا للبعث وقال القرطبي قضى اسباب الموت والحياة
وقيل الموت والحياة قال ابن بحر وقيل امات النطفة واحيا النسمة
وقيل امات الابا واحيا الابنا وقيل امات الكافر بالكفر واحيا المومن بالايمان
قال ابو الخطيب فان قيل متى امات واحيا حتى يعلم ذلك بل المشاهد الاحيا
والامانة متى اغلى الحياة والموت يقول فيه وجوه احدها انه على التقديم
والتاخير كانه قال احيا وامات ثانيها هو بمعنى المستقبل فان الامر قريب
المستقبل

المستقبل يقال كان فلانا وصل والليل دخل اذا قرب مكانه وزمانه فكذلك
الاحيا والامانة ثالثها انه خلق الموت والجمود في العناصر ثم ركبها واحيا
اي خلق الحس والحركة فيها **قوله** وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
من كل حيوان ولم يرد ادم وحوا لانهما ما خلقا من نطفة وهذا ايضا من جملة
المتضادات الواردة على النطفة فبعضها يخلق ذكرا وبعضها يخلق انثى ولا يصل اليه
فهم الطبيعي والذي يقولون من البرد والرطوبة في الانثى فرب امراة احر
وايبس مزاجا من الرجل فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى وانه خلق ولم يقل
وانه هو خلق كما قال وانه هو اضحك وابكى فالجواب ان الضحك والبكا ربما
يتوهم انه بفعل الانسان والامانة والاحيا وان كان ذلك التوهم ابعد
لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابراهيم عليه الصلوة والسلام فقال
انا احيي واميت فاكد ذلك بالفصل واما خلق الذكر والانثى من النطفة فلا
يتوهم احد انه يفعل احد من الناس فلم يوكد بالفصل الا ترى الى قوله وانه
هو اغنى واقنى حيث كان الاغنا عندهم غير مسند الى الله وكان في معتقدهم
ان ذلك بفعلهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندي وكذلك قال
هو رب الشعرى فاكد في مواضع استبعادهم الى الاسناد ولم يوكد في غيره
واختلفوا في الذكر والانثى هل هما اسمان هما صفة او اسمان ليسا بصفة
قال ابن الخطيب والظاهر انهما من الاسما التي هي صفات فالذكر كالحسن
والانثى كالحبلى والكبرى **قوله** من نطفة اذا تمنى اي تصب في الرحم
يقال مني الرجل وامنى قاله الضحاك وعطا بن ابي رباح وقيل يقدر يقال
منيت الشي اذا قدرته وهذا ايضا تنبيه على كمال القدرة لان النطفة
جسم متناسب الاجزا ويخلق الله منها اعضا مختلفة وطباعا متباينة
وخلق الذكر والانثى منها اعجب ما يكون ولهذا لم يقدر احد على ان يدعيه
كما لم يقدر على ان يدعي خلق السموات والارض ولهذا قال ولين سالتهم من
خلقهم ليقولن الله كما قال تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله **قوله تعالى** وان عليه النشاة الاخرى اي الخلق الثاني للبعث
يوم القيمة قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون المراد من قوله وان عليه
النشاة الاخرى هو نفخ الروح الانسانية فيه كما قال تعالى ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر اي غير خلق
النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما وبهذا الخلق الاخر وهو
نفخ الروح يميز الانسان عن انواع الحيوان فكما قال هناك انشاناه خلقا
اخر بعد خلق النطفة قال هنا وان عليه النشاة الاخرى فجعل خلق الروح
نشاة اخرى كما جعله هناك انشا اخر وان قيل الاعادة لا تجب على الله فما
معنى قوله تعالى وان عليه فالجواب على مذهب المعتزلة عليه عقلا فان الجزا
واجب وذلك لا يتم الا بالحشر فتجب الاعادة عليه عقلا واما على مذهب اهل
السنة ففيه وجهان الاول عليه بحكم الوعد فانه قال انا نحي الموتى فعليه
بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع الثاني عليه بحكم التعيين فان من حضر بين
جمع وحاولوا امرا وعجزوا عنه يقال له وجب عليك اذن ان تفعله اي تعين لك
فصل وقرى النشاة على انه مصدر كالضربة على وزن فعلة وهي
للمرة يقال ضربة وضربتان يعني النشاة مرة اخرى عليه وقرى النشاة بالمد
على انه مصدر على وزن فعالة لا كفعالة وكيف ما قري فهو من نشاة وهو لازم
قوله وانه هو اغنى واقنى قال ابو صالح اغنى الناس بالاموال واقنى اعطى القنية
واصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك اغنى بالذهب

والقنية وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم وقال الحسن وقتادة
اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى فارضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى
ارضى بما اعطى وقنع قال الراغب وتحقيقه انه جعل له قنية من الرضى
وقال سليمان التيمي اغنى نفسه وافقر خلقه اليه وقال ابن زيد اغنى
اكثر واقنى اقل وقرأ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الاخفش اقنى
افقر وقال ابن كيسان اولد قال الزمخشري اقنى اعطى القنية وهي
المال الذي تاثلته وعزمت ان لا يخرج من يدك قال الجوهري قني الرجل
يقنى قنى مثل غنى يغنى غنى ثم يتعدى بتغيير الحركة فيقال قنيت مالا
اي كسبته وهو نظير شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح فاذا
دخلت عليه الهمزة او التضعيف اكتسب مفعولا ثانيا فيقال اقناه
الله مالا وقناه اياه اي اكسبه اياه قال الشاعر

كم من غني اصاب الدهر ثروته ❊ ومن فقير تقنى بعد اقلال

اي تقنى مالا فحذف الثاني وحذف مفعولا اغنى واقنى لان المراد نسبة
هذين الفعلين اليه وحده وكذلك في باقيها والف اقنى عن ياء لانه
من القنية قال الان بعد العدم للمرء قنية ويقال قنيت كذا
واقتنيته قال قنيت حياي عفة وتكرما ❊ قوله وانه هو
رب الشعرى والشعرى في لسان العرب كوكبان يسمى احدهما الشعرى
العبور وهو المراد في الاية الكريمة فان خزاعة كانت تعبدها وسن
عبادتها ابو كبشة رجل من ساداتهم فعبدوها وقال لان النجوم تقطع
السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدتها خزاعة وحمير
وابو كبشة احد اجداد النبي عليه الصلوة والسلام من قبل امهاته وذلك
كان مشركوا قريش يسمون النبي عليه الصلوة والسلام ابن ابي كبشة حين
دعا الى الله وخالف اديانهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ابن ابي كبشة تشبيها بذلك الرجل في انه احدث دينا غير
دينهم والشعرى العبور تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر ويقال لها مرزم الجوزاء
وتسمى كلب الجبار وتسمى الشعرى اليمانية والثاني الشعرى الغميصاء
وهي التي في الذراع والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها
بالغميصاء على ما زعمت العرب في بعض خرافاتها انهما كانا اختين
او زوجين لسهيل فانحدر سهيل الى اليمن فاتبعته الشعرى العبور
فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصاء تبكي لفقده حتى غمصت
عينها ولذلك كانت اخفى من العبور وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب
يعظمها ويعتقد تاثيرها في العالم قال الشاعر

مضى ايلول وارتفع الحرور ❊ واخبت نارها الشعرى العبور

قوله وهذه الاية اشارة الى فساد قول قوم اخرين لان
بعض الناس يذهب الى ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده
فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وبعضهم يذهب الى ان ذلك
الطالع وذلك بالنجوم فقال هو اغنى واقنى وان قال قائل ان الغنى
بالنجوم فقال هو رب النجوم ومحركها لقوله تعالى هو رب الشعرى
لانكارهم ذلك لكن بالعقل ❊ قوله وانه اهلك عادا الاولى اعلم
ان هذه الاية الكريمة من اشكل الايات نقلا وتوجيها قال شهاب الدين
وقد يسر الله تعالى تحريره بحوله وقوته فاقول ان القراء اختلفوا في ذلك
على اربع رتب احدها قرا ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى بالتنوين
مكسورا وسكون اللام وتحقيق الهمزة بعدها هذا كله في الوصل فاذا وقفوا
على عاد

٦٩ ٨



على عاد وابتدأوا بالاولى فقياسهم ان يقولوا بهمزة الوصل وسكون اللام
وتحقيق الهمزة الثانية ❊ قرأ قالون عادا الولى بادغام التنوين في اللام
ونقل حركة الهمزة الى لام التعريف وهمز الواو وهذا في الوصل واما بالابتدا
في الاولى فله ثلاثة اوجه الاول الولى بهمزة وصل من لام مضمومة
ثم همزة ساكنة ❊ الثاني الولى بلام مضمومة بهمزة الثالث كابتدا ابن كثير
ومن معه ❊ الثالثة قرا ورش عادا الولى بادغام التنوين في اللام ونقل حركة
الهمزة اليها كقالون الا انه ابقى الواو على حالها غير مبدله همزة هذا في الوصل
واما في الابتدا بها فله وجهان الولى بالهمزة والنقل ولولى بالنقل دون
همزة وصل والواو ساكنة على هذين الوجهين ❊ الرابعة قرا ابو عمرو كورش
وصلا وابتدا سوا بسوا الا انه يزيد عليه في الابتدا بوجه ثالث وهو وجه
ابن كثير ومن معه فقد تحصل لكل من قالون وابي عمرو في الابتدا ثلاثة اوجه
وان لورش وجهين فتامل ذلك فان تحريره صعب الماخذ من كتب القراءات
واما توجيهها فيتوقف على معرفة ثلاثة اصول الاول حكم التنوين اذا
وقع بعده ساكن الثاني حكم حركة النقل الثالث اصل اولى ما هو اما الاول
فحكم التنوين الملاقي ان يكسر لالتقا الساكنين نحو قل هو الله احد الله الصمد
او يحذف تشبيها بحرف العلة كقراءة احد الله الصمد وكقوله ولا ذاكر الله
الا قليلا وهو قليل جدا وقد مضى تحقيقه واما الثاني فان للعرب في الحركة
المنقولة مذهبين الاعتداد بالحركة المنقولة مذهبين الاعتداد بالحركة
وعدم الاعتداد بها وهي اللغة الغالبة واما الثالث فاولى تانيث اول
وقد تقدم الكلام عليه مشبعا في اول الكتاب فليلتفت اليه اذا تقررت
هذه الاصول الثلاثة ❊ فاقول اما قراءة ابن كثير ومن معه فانهم
صرفوا عادا اما لانه اسم للحي والاب فليس فيه ما يمنعه واما لانه
وان كان مؤنثا اسما للقبيلة او الام الا انه مثل هند ودعد فيجوز فيه
الصرف وعدمه فيكون كقوله

لم تتلفع بفضل مئزرها دعد ولم تسق دعد في العلب

فصرفها اولا ومنعها ثانيا ولم ينقلوا حركة الهمزة الى لام التعريف فالتقى ساكنان
فكسروا التنوين لالتقائهما على ما هو المعروف من اللغتين وحذفوا همزة
الوصل من الاولى للاستغنا عنها بحركة التنوين وصلا فاذا ابتدأوا بها
احتاجوا الى همزة الوصل فاتوا بها فقالوا الاولى كنظيرها من همزات الوصل
وهذه قراءة واضحة لا اشكال فيها ومن ثم اختارها الجم الغفير واما قراءة
من ادغم التنوين في لام التعريف وهما نافع وابو عمرو مع اختلاف بينهما
في اشيا لم تقدم فوجهها الاعتداد بحركة النقل وذلك ان من العرب من
اذا نقل حركة الهمزة الى ساكن قبلها كلام التعريف عاملها معاملتها ساكنة
ولا يعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين
ويأتي قبلها بهمزة الوصل فيقول لم يذهب لحمر ورايت زيدا لعجم
من غير ادغام التنوين والحمر والعجم بهمزة الوصل لان اللام في حكم السكون
وهذه هي اللغة المشهورة ومنهم من يعتد بها فلا يكسر الساكن الاول
ولا ياتي بهمزة الوصل ويدغم التنوين في لام التعريف فيقول لم يذهب
لحمر بسكون الباء ولحمر ولعجم من غير همز زيادة لعجم يعتد بدا الكلام وعلى هذه
اللغة جاءت هذه القراءة هذا من حيث الاجمال واما من حيث التفصيل
فاما قراءة قالون فانه نقل حركة الهمزة الى لام التعريف وان لم يكن من اصله
النقل لاجل قصده التخفيف بالادغام ولما نقل الحركة اعتد بها اذ لا يمكن
الادغام في ساكن ولا هو في حكمه واما همزة الواو ففيه وجهان منقولان

أحدهما أن يكون أولى أصلها عنده وُولى من وأل أي نجا كما هو قول
الكوفيين ثم أبدل الواو الأولى همزة لانضمامها وهو مضموم وقد تقدم أنها
لغة مطردة فاجتمع همزتان ثانيتهما ساكنة فوجب قلبها واوا نحو
أومن فلما حذفت الهمزة الأولى بسبب نقل حركتها رجعت الثانية
إلى أصلها من الهمز لأنها إنما قلبت واوا من أجل الأولى وقد زالت
وهذا تكلف لا دليل عليه والثاني أنه لما نقل الحركة إلى اللام صارت
الضمة قبل الواو كأنها عليها لأن حركة الحرف بين يديه فأبدل الواو
همزة كقوله أحب المؤقدين إلى مؤسى وكقراءة تؤتنون وهو لغة
وسوقه كما تقدم تحريره وهذا بناء منه على الاعتداد بالحركة أيضا
وليس في هذا الوجه دليل على أصل ولى عنده ما هو فيحتمل الخلاف
المذكور جميعه وأما ابتداؤه الكلمة من غير نقل فإنه الأصل ولأنه
إنما نقل في الوصل لقصده التخفيف بالإدغام وفي الابتداء فلا حاجة
إلى النقل وأما الابتداء له بالنقل فلأنه محمول له على الوصل ليجري
المنطق فيهما على سنن واحد وعلة إثبات ألف الوصل مع النقل في أحد
الوجهين ترك الاعتداد بحركة اللام على ما عليه القراء في نظائره مما وجد
فيه النقل إذ الغرض إنما هو جري المنطق في الابتداء والوصل على سنن واحد
وذلك يحصل بمجرد النقل وإن اختلفا في تقدير الاعتداد بالحركة وتركه
وعلة ترك الإتيان بالألف في الوجه الثاني حمل الابتداء على الوصل في النقل
والاعتداد بالحركة جميعا ويقوي هذا الوجه رسم الأولى في هذا الموضع
بغير ألف والكلام في همز الواو مع النقل في الابتداء كالكلام عليه في الوصل
كما تقدم وأما ورش فإن أصله أن ينقل حركة الهمزة على اللام في الوصل
ينقل على أصله إلا أنه اعتد بالحركة ليصح ما قصده من التخفيف بالإدغام
وليس من أصله الاعتداد بالحركة في نحو ذلك ألا ترى أنه يحذف الألف في
سيرتها الأولى ونحوها الآن ولو اعتد بالحركة لم يحذفها ولما جاء
عنه في بعض الروايات في الآن حيث فإنه وجه نادر معلل باتباع
الأثر والجمع بين اللغتين والابتداء له بالنقل على أصله في ذلك أيضا
والابتداء له بألف الوصل على ترك الاعتداد بالحركة إذ لا حاجة إلى قصد
ذلك في الابتداء وترك الإتيان له بالألف على الاعتداد له بالحركة
حملا للابتداء على الوصل وموافقة الرسم أيضا ولا ابتداء له بالأصل إذ
ليس من أصله ذلك والأولى في قراءته تحمل الخلاف المذكور في أصلها
وأما أبو عمرو فالعلة له في قراءته في الوصل والابتداء كالعلة المتقدمة
لقالون إلا أنه يخالفه في همز الواو لأنه لم يعطها حكم ما جاورها وليست
عنده من وأل بل من ولى يلي عند هذا الوجه كما تقدم الخلاف في أول هذا
الكتاب ويجوز أن يكون أصلها عنده من وأل أيضا إلا أنه أبدل في حال
النقل مبالغة في التخفيف وموافقة لحال ترك النقل وقد عاب هذه
القراءة أعني قراءة الإدغام أبو عثمان وأبو العباس ذهابا منهما إلى أن اللغة
الفصيحة عدم الاعتداد بالعارض لكن لا التفات إلى ردها لثبوت ذلك
لغة وقراءة وإن كان غيرها أفصح منها وقد ثبت عن العرب أنهم يقولون
الحمر والحمر بهمزة الوصل وعدمها مع النقل والله أعلم وقرأ أبي وهو في حرف
عادا الأولى غير مصروف ذهابا به إلى القبيلة أو الأمة كما تقدم ففيه العلتان
قوله والثانية وقيل على التأنيث قوله الأولى فوصفها بوصف المؤنث
عادا الأولى قوم هود أهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى
قال القرطبي سماها الأولى لأنهم كانوا قبل ثمود وقيل إن ثمود من قبل عاد
وقال

وقال ابن زيد قيل لها عاد الأولى لأنها أول أمة أهلكت بعد نوح عليه
الصلاة والسلام وقال ابن إسحاق هما عادان فالأولى أهلكت بالريح الصرصر
ثم كانت الأخرى فأهلكت بالصيحة وقيل عاد الأولى عاد بن إرم بن عوص
ابن سام بن نوح وعاد الثانية من ولد عاد الأولى والمعنى متقارب وقيل
إن عاد الأخرة هم الجبارون وهم قوم هود قوله وثمودا فما أبقى وقد
تقدم الخلاف في ثمود بالنسبة للصرف وعدمه في سورة هود وفي انتصابه
هنا وجهان أحدهما أنه معطوف على عادا والثاني أنه منصوب بالفعل
المقدر أي وأهلك قاله أبو البقا وبه بدأ ولا يجوز أن ينتصب بأبقى
لأن ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها والظاهر أن متعلق أبقى عائد
على من تقدم من عاد وثمود أي فما أبقى عليهم أي على عاد وثمود أو يكون
التقدير فما أبقى منهم أحدا ولا عينا تطرف ويؤيد هذا قوله تعالى فهل ترى
لهم من باقية قوله وقوم نوح كالذي قبله ومن قبل أي قبل عاد
وثمود وقوله إنهم يحتمل أن يكون الضمير لقوم نوح خاصة وأن يكون لجميع
من تقدم من الأمم الثلاثة وقوله كانوا هم يجوز في هم أن يكون تأكيدا
وأن يكون فصلا ويضعف أن يكون بدلا والمفضل عليه محذوف تقديره
من عاد وثمود على قولنا إن الضمير لقوم نوح خاصة وعلى القول بأن الضمير
للكل يكون التقدير من غيرهم من مشركي العرب إذا قلنا إن الضمير لقوم نوح
خاصة فالمعنى أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود لأنهم كانوا هم أظلم
وأطغى لطول دعوة نوح إياهم وغيرهم بالمعصية والتكذيب وهم
البادئون بالظلم المتقدمون فيه ومن سن سنة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها والبادي أظلم وأما أطغى فإنهم سمعوا المواعظ وطال
عليهم الأمد ولم يرتدعوا حتى دعا عليهم نبيهم ولا يدعو نبي على قومه
إلا بعد الإصرار العظيم والظالم واضع الشيء في غير مرتبته والطاغي المجاوز
للحد فإن قيل المراد من الآية تخويف الظالم بالهلاك فإذا قيل إنهم كانوا
في غاية الظلم والطغيان فأهلكوا لمبالغتهم في الظلم ونحن ما بالغنا فلا
نهلك فلولا ذلك أهلكوا لظلمهم نخاف كل ظالم فما الفائدة في قوله أظلم
فالجواب أن المقصود بيان شدتهم وقوة أجسامهم فإنهم لم يقدروا
على الظلم والطغيان الشديد لامتدادهم وطول أعمارهم ومع ذلك ما نجا
أحدهم فما حال من هو دونهم في العمر روي أن الرجل منهم كان يأخذ
بيد ابنه فينطلق به إلى نوح عليه الصلاة والسلام فيقول احذر هذا فإنه
كذاب وإن أبي قد مشى بي إلى هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير
على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه قوله والمؤتفكة منصوب
بأهوى وقدم لأجل الفواصل والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوط أهوى
أسقط أي أهواها جبريل بعد ما رفعها إلى السماء قوله فغشاها
أي ألبسها الله ما غشى كقوله ما أوحى في الإبهام وهو المفعول الثاني
إن قلنا إن التضعيف للتعدية وإن قلنا إنه للمبالغة والتكثير
فيكون ما فاعله كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم والمؤتفكة
المنقلبة وقرئ والمؤتفكات فإن قيل إذا كان معنى المؤتفكة المنقلبة
ومعنى أهوى قلبها فيكون المعنى والمنقلبة قلبها وقلب المنقلبة
تحصيل الحاصل فالجواب أن معناه المنقلبة ما انقلبت بنفسها
بل الله قلبها فانقلبت قوله فبأي متعلق بتتمارى وأيها
ظرفية بمعنى في والآلاء النعم واحدها إلى وألى وإلى والمعنى فبأي
نعم ربك تشك وقرأ ابن محيصن ويعقوب تمارى بالحذف كقوله

تذكرون **فصل** قيل هذا ايضا مما في الصحف وقيل هو ابتدا
كلام والخطاب عام والمعنى فبأي آلاء اي نعم ربك ايها الانسان تتمارى
تشك او تجادل وقال ابن عباس تكذب وهذا خطاب مع الكافر قاله
ابن الخطيب ويحتمل ان يقال خطاب مع النبي عليه الصلوة والسلام
ولا يقال كيف يجوز ان يقول للنبي عليه الصلوة والسلام لانا نقول
هو من باب قوله لئن اشركت ليحبطن عملك يعني لم يبق فيه
امكان الشك حتى ان فارضا لو فرض عن النبي صلى الله عليه وسلم من
يشك او يجادل في بعض الامور الخفية لما كان يمكنه المرا في نعم الله
والصحيح العموم كقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله
وكان الانسان اكثر شيء جدلا **قوله** هذا نذير اشارة الى ما تقدم
من الاخبار عن اهلاك المهلكين وقيل الى القران قال ابن الخطيب وهذا
بعيد لفظا ومعنى اما معنى فلان القران ليس من جنس الصحف
الاولى لانه معجزة وتلك لم تكن معجزة واما لفظا فلان النذير ان كان
كاملا فيما ذكره من حكاية المهلكين اولى لانه اقرب ويكون هذا بمعنى
على حقيقة التبعيض اي هذا الذي ذكرناه بعض ما جرى ويكون
لابتدا الغاية اي هذا انذار من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب
وهذا الكلام من فلان وقيل اشارة الى الرسول عليه الصلوة والسلام
اي هذا النذير من جنس النذر الاولى اي رسول من الرسل اليكم كما ارسلوا
الى اقوامهم وقوله نذير يجوز ان يكون مصدرا وان يكون اسم فاعل
وكلاهما لا ينقاس بل القياس في مصدره انذار وفي اسم فاعله منذر
والنذر يجوز ان يكون جمعا لنذير بمعنييه المذكورين والاولى صفة
حملا على معنى الجماعة كقوله مآرب اخرى **قوله** ازفت الازفة
دنت القيمة واقتربت والتقدير الساعة الازفة كقوله تعالى وقعت
الواقعة ويقال كانت الكاينة وهذا الاستعمال يقع على وجهين
الاول اذا كان الفاعل صار فاعلا لمثل ذلك الفعل من قبل ثم فعله
مرة اخرى يقال فعل الفاعل كقولك حاك الحايك اي من شغله ذلك
من قبل فعله الثاني ان يصير الفاعل فاعلا بذلك الفعل يقال
اذا مات الميت انقطع عمله واذا غصب العين غاصب ضمنها فقوله
ازفت الازفة يحتمل ان يكون من الاول اي قربت الساعة التي كل
يوم تزداد قربا فهي كاينة قريبة وزادت في القرب ويحتمل ان
يكون من الثاني كقوله وقعت الواقعة اي قرب وقوعها فازفت
ازفة في الحقيقة القيمة او الساعة فكانه قال ازفت القيامة
الازفة او الساعة الازفة قال ابو زيد قلت لاعرابي ما المحبنطي
قال المتكاكي قلت ما المتكاكي قال المتآزف قلت ما المتآزف قال
انت احمق وتركني ومر **قوله** ليس لها من دون الله كاشفة
يجوز ان تكون كاشفة وصفا وان تكون مصدرا فان كانت وصفا
احتمل ان يكون التانيث لاجل انه صفة لمونث محذوف فقيل تقديره
نفس كاشفة او حال كاشفة فان قيل اذا قدرتها نفس كاشفة
وقوله من دون الله استثنا على المشهور فيكون الله تعالى نفسا كاشفة
فالجواب لا فساد في ذلك لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلوة
والسلام ولا اعلم ما في نفسك الثاني ليس صريحا في الاستثنا فيجوز
ان لا تكون نفسا الثالث الاستثنا الكاشف المبالغ ويحتمل ان
تكون التا للمبالغة كراوية وعلامة وكناية اي ليس لها انسان كاشفة
اي

اي كثير الكشف وان كانت مصدرا فهو كالخاينة والعافية والعاقبة
والمعنى ليس لها من دون الله كشف اي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره
فيكون من كشف الشيء عرفه حقيقته كقوله لا يجليها لوقتها الا هو
واما من كشف الضر اي ازاله والمعنى ليس لها من يزيلها ويردها
اذا غشيت الخلق اهوالها وشدايدها لم يكشفها احد عنهم غيره
وهذا قول عطا وقتادة والضحاك وتقدم الكلام على مادة ازف في
غافر ومن زايدة تقديره ليس لها غير الله كاشفة وهي تدخل على النفي
فتوكد معناه تقول جاني احد وما جاني من احد وعلى هذا يحتمل ان يكون
فيه تقديم وتاخير اي ليس لها من كاشفة دون الله فيكون نفيا
عاما بالنسبة الى الكواشف ويحتمل ان تكون غير زايدة والمعنى ليس
لها في الوجود نفس تكشفها اي تخبر عنها كما هي من غير الله يعني من
يكشفها فانما يكشفها من الله لا من غير الله كقولك كشف الامر
من زيد ودون يكون بمعنى غير كقوله تعالى ايفكا الهة دون الله تريدون
اي غير الله **قوله** افمن هذا الحديث متعلق بتعجبون ولا
يجي فيه الاعمال لان من شرط الاعمال تاخر المعمول عن العوامل وهنا
هو متقدم وفيه خلاف بعيد وعليه تتخرج الاية الكريمة فان كلا من
قوله تعجبون وتضحكون والحسن بضم التا وكسر الجيم والحا من غير واو
عاطفة بين الفعلين وهي ابلغ من حيث انهم اذا اضحكوا غيرهم
كان تجرؤهم اكثر وقرا ابي وعبد الله كالجماعة الا انهما بلا واو عاطفة
كالحسن فيحتمل ان يكون تضحكون حالا وان يكون استينافا كالذي قبلها
فصل قال المفسرون المراد بالحديث القران قال ابن
الخطيب ويحتمل ان يكون اشارة الى حديث ازفت الازفة فانهم كانوا
يتعجبون من حشر الاجساد والعظام البالية وقوله وتضحكون
اي استهزاء من هذا الحديث كقوله تعالى في حق موسى عليه الصلوة
والسلام فلما جاءهم بالبينات اذا هم منها يضحكون ويحتمل ان يكون
انكارا على مطلق الضحك مع سماع حديث القيمة اي اتضحكون وقد
سمعتم ان القيمة قربت فكان حقا ان لا تضحكوا حينئذ ولا تبكون
مما تسمعون من الوعيد روي ان النبي عليه الصلوة والسلام ما رؤي
بعد هذه الاية ضاحكا الا متبسما وقال ابو هريرة لما نزل قوله
افمن هذا الحديث تعجبون الاية قال اهل الصفة انا لله وانا اليه راجعون
ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بكاهم بكى معهم فبكينا لبكايه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر
على معصية الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولاتى بقوم يذنبون
فيغفر لهم ويرحمهم انه هو الغفور الرحيم وقوله وانتم سامدون
اي غافلون لاهون وهذه الجملة يحتمل ان تكون مستانفة اخبر
الله عنهم بذلك ويحتمل ان تكون حالا اي انتفى عنكم البكا في حال
كونكم سامدون والسمود قيل الاعراض وقيل الغفلة عن الشيء وقيل
اللهو يقال دع عنا سمودك اي لهوك رواه الوالبي والعوفي عن ابن
عباس وقال الشاعر

الا ايها الانسان انك سامد ... كانك لا تفنى ولا انت هالك

فهذا بمعنى لاه لاعب وقيل الجمود وقيل الاستكبار قال

رمى الحدثان نسوة آل سعد ... بمقدار سمدن له سمودا

وزد شعورهن السود بيضا ۞ ورد وجوههن البيض سودا ۞
فهذا بمعنى الجمود والخشوع ۞ وقال عكرمة وابو عبيدة والسمود الغنا
بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اي غني فكانوا اذا سمعوا القران
تغنوا ولعبوا وقال الضحاك اشرون وقال مجاهد غضاب يتبرطمون
وقال الراغب السامد اللاهي الرافع راسه من قولهم سامد في سيره
وقيل سمد راسه وسبده اي استاصل شعره وذكر باسم الفاعل لان الغفلة
دايمة واما الضحك والتعجب فهما امران يتجددان ويعدمان وقال
الحسن سامدون اي واقفون للصلوة قبل وقوف الامام لما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه خرج والناس ينتظرونه قياما فقال ما لي اراكم
سامدون حكاه الماوردي وروى المهدوي عن علي رضي الله عنه انه خرج
للصلوة فراى الناس قياما فقال ما لكم سامدون وروي عن علي ان معنى
سامدون ان يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين الصلوة والتسميد الارض
ان يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد واسماد الرجل بالمراسمدادا
اي ورم غضبا **فصل** فاسجدوا لله واعبدوا هذا الامر يحتمل
ان يكون عاما ويحتمل ان يكون التفاتا اي اشتغلوا بالعبادة ولم يقل
واعبدوا الله اما لكونه معلوما من قوله فاسجدوا لله واما لان العبادة
في الحقيقة لا تكون الا لله روى عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم سجد
بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وروى عبد الله
اول سورة انزلت فيها السجدة النجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسجد من خلفه الا رجلا رايته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرايته بعد ذلك
قتل كافرا وهو امية بن خلف وروى زيد بن ثابت قال قرات على النبي صلى الله
عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على ان سجود التلاوة غير واجب
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه لم يكتبها علينا الا ان نشا وهو قول
الشافعي واحمد وذهب قوم الى انه واجب على القاري والمستمع جميعا وهو
قول سفيان الثوري واصحاب الراي وروى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن
كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النجم اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذبه والله اعلم ۞

۞ سورة القمر مكية ۞

في قول الجمهور وقال مقاتل مكية الا ثلاث ايات ام يقولون نحن جميع
منتصر الى قوله والساعة ادهى وامر والصحيح الاول وهي خمس وخمسون
اية وثلثماية واثنتان واربعون كلمة والف واربعماية وثلاثة
وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اقتربت الساعة
وانشق القمر اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها وهو قوله
تعالى ازفت الازفة فكانه اعاد ذلك مستدلا عليه بقوله ازفت
الازفة وهو جاز اذا القمر انشق فقوله وانشق القمر ماض على
حقيقته وهو قول عامة المسلمين الا من لا يلتفت الى قوله وقد
صح في الاخبار ان القمر انشق على عهده عليه الصلوة والسلام مرتين
روى انس بن مالك ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حرا بينهما وقال سنان
عن قتادة فاراهم انشقاق القمر مرتين وعن ابن مسعود قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة
فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا

اشهدوا وقال ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله لم ينشق بمكة وقال
مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وروى ابو الضحى عن مسروق
عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسلوا السفار فسالوهم قالوا
نعم قد رايناه فانزل الله عز وجل اقتربت الساعة وانشق القمر
وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيمة فاوقع الماضي موقع المستقبل
لتحققه وهو خلاف الاجماع وقيل انشق بمعنى انفلق عنه الظلام
عند طلوعه كما يسمى الصبح فرقا وانشد النابغة ۞
۞ فلما ادبروا ولهم دوي ۞ دعانا عند شق الصبح داعي ۞
وانما ذكرنا ذلك تنبيها على ضعفه **قوله** وان يروا اية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر اي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشي
واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قاله مجاهد وقتادة منوا
انفسهم بذلك وقيل مستمر اي دايم فان محمدا عليه الصلوة والسلام كان
ياتي كل زمان بمعجزة فقالوا هذا سحر مستمر دايم لا يختلف بالنسبة
الى شي بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلاثة ويعجز
عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول الشاعر ۞
۞ الا انما الدنيا ليال واعصر ۞ وليس على شي قويم بمستمر ۞
اي بدايم باق وقيل معناه شديد المرارة قال الزمخشري اي مستبشع عندنا
مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يسيغ المر انتهى يقال مر الشي يمر
ومره غيره فيكون متعديا ولازما ويقال امره ايضا وقال ابو العالية
والضحاك مستمر اي قوي شديد من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد
وامررته اذا احكمت فتله واستمر الشي اذا قوي واحكم قال لقيط ۞
۞ حتى اذا استمرت على شزر مريرته ۞ صدق العزيمة لا رتا ولا ضرعا ۞
والمراد بقوله اية هي اقتراب الساعة فان انشقاق القمر من اياته وقد
راوه وكذبوا فان يروا غيرها ايضا يعرضون او اية النبوة فانه معجزة
اما كونه معجزة فبغاية الظهور واما كونه اية فلان منكر خراب العالم
ينكر انشقاق السما وانفطارها وكل كوكب فاذا انشق بعضها كان
ذلك مخالفا لقوله بجواز خراب العالم والمراد بهولاء القايلين المعرضين
هم الكفار والتنكير في قوله اية للتعظيم اي اية قوية وعظيمة يعرضوا ۞
قال ابو حيان ومعنى مستمر اي يشبه بعضه بعضا اي استمرت افعاله
على هذا الحال وهذا راجع الى الدوام المتقدم واتى بهذه الجملة الشرطية
تنبيها على ان حالهم في المستقبل كحالهم في الماضي وقد يروا مبنيا للمفعول
من ادرى **قوله** وكذبوا واتبعوا اهواءهم اي كذبوا النبي صلى الله
عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله عز وجل واتبعوا ما زين لهم الشيطان
من الباطل وكذبوا بالاية وهي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم في انه سحر
القمر وانه خسوف في القمر وظهور شي في جانب اخر من الجو يشبه نصف
القمر وانه سحر اعيننا والقمر لم يصبه شي فهذه اهواءهم **قوله**
وكل امر مستقر العامة على كسر القاف ورفع الرا اسم فاعل ورفعه
خبرا لكل الواقع مبتدا وقرا شيبة بفتح القاف ونروى عن نافع
قال ابو حاتم لا وجه لها وقد وجهها غيره على حذف مضاف اي وكل
امر ذو استقرار او زمان استقرار او مكان استقرار فجاز ان يكون
مصدرا وان يكون ظرفا زمانيا او مكانيا قال معناه الزمخشري وقرا
ابو جعفر وزيد بن علي بكسر القاف وجر الرا وفيها اوجه احدها

ولم يذكر الزمخشري غيره ان تكون صفة لامر ويرتفع كل حينئذ بالعطف
على الساعة فيكون فاعلا اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر قال ابو حيان
وهذا بعيد لوجود الفصل بجمل ثلاث وبعيد ان يوجد مثل هذا التركيب
في كلام العرب نحو اكلت خبزا وضربت خالدا وان يجي زيد اكرمه ورحل الى بني
فلان ولحما فيكون ولحما معطوفا على خبزا بل لا يوجد مثله في كلام العرب انتهى
قال شهاب الدين واذا دل دليل على المعنى فلا يبالي بالفواصل واين فصاحة
القران من هذا التركيب الذي صوره هو حتى تقيسه عليه في المنع الثاني ان يكون
مستقر خبرا لكل امر وهو مرفوع الا انه خفض على الجوار قاله ابو الفضل الرازي
وهذا لا يجوز لان الجوار انما جا في النعت او العطف على خلاف في اثباته كما تقدم
في سورة المائده فكيف يقال به في خبر المبتدا هذا لا يجوز ● الثالث ان خبر
المبتدا قوله حكمة بالغة اخبر عن كل امر مستقر بانه حكمة بالغة ويكون
قوله ولقد جاهم من الانبا ما فيه مزدجر جملة اعتراض بين المبتدا
وخبره الرابع ان الخبر مقدم فقدره ابو البقا معمول به او اتى وقدره
غيره بالغوة لان قبله وكذبوا واتبعوا اهواهم اي وكل امر مستقر
لهم في القدر من خير او شر بالغوة **فصل** قال الكلبي وكل امر
مستقر اي لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان
منه في الاخرة فسيعرف ● وقال قتادة وكل امر مستقر فالخير مستقر
باهل الخير والشر باهل الشر وقيل كل امر من خير او شر مستقر
قراره فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار
وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب
والعذاب وقال مقاتل لكل حديث منتهى وقيل ما قدر كاين لا محالة
وقيل كل امر مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهق فيكون
ذلك تهديدا لهم وتسلية للنبي عليه الصلوة والسلام وهو قوله
تعالى ثم الى ربكم مرجعكم فينبيكم وقيل كل امر مستقر في امر الله تعالى
لا يخفى عليه شي فهم كذبوا واتبعوا اهواهم والانبيا صدقوا وبلغوا
كقوله لا يخفى على الله منهم شي وكقوله وكل شي فعلوه في الزبر وكل صغير
وكبير مستطر وقيل هو جواب لقولهم سحر مستمر اي بل كل امر مستقر
قوله ولقد جاهم من الانبا يعني اهل مكة من اخبار الامم المكذبة
والقران ما فيه مزدجر اي متناهي **قوله** مزدجر يجوز ان يكون فاعلا
بفيه لانه وقع صلة وان يكون مبتدا وفيه الخبر والدال بدل واصله
مزتجر قلبت التا دالا وقد تقدم ان تا الافتعال تقلب دالا بعد الزاي
والدال والذال لان الزاي حرف مجهور والتا حرف مهموس فابدلوها
الى حرف مجهور قريب من التا وهو الدال ومزدجر هنا اسم مصدر
اي ازدجار او اسم مكان اي موضع ازدجار او اسم مكان اي موضع
ازدجار ومعناه فيه نهي وعظة يقال زجرته وازدجرته اذا نهيته
عن السوء وقري مزجر اي صار ذا زجر كما عشب اي صار ذا عشب
والانبا هي الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدهد وجيتك
من سبا بنبا يقين لانه كان خبرا عظيما له وقع وخطر وقال تعالى
ان جاكم فاسق بنبا اي بامر غريب وانما يجب التثبت فيما يتعلق به
حكم ويترتب عليه امر ذو بال وقال تعالى تلك من انبا الغيب نوحيها
اليك والمراد بالانبا هنا اخبار المهلكين المكذبين وقيل المراد
القران قال ابن الخطيب وفيها وجهان احدهما انها موصولة اي
جاكم الذي فيه مزدجر الثاني ان تكون نكرة موصوفة اي جاكم من الانبا
شي

شي موصوف بان فيه مزدجر **قوله** حكمة فيه وجهان احدهما
انه بدل من ما فيه مزدجر كانه قيل ولقد جاهم حكمة بالغة من الانبيا
وحينئذ يكون بدل الكل من كل او بدل الاشتمال الثاني ان يكون خبر مبتدا
مضمر اي هو حكمة اي ذلك الذي جاكم من ارسال الرسل وايضاح الدليل
والانذار لمن مضى او اشارة لما فيه الانبا انه حكمة او اشارة الى الساعة
المقتربة وقد تقدم انه يجوز على قراة ابي جعفر وزيد ان يكون خبرا
لكل امر مستقر وقرى حكمة بالنصب حالا من ما قال الزمخشري فان قلت
ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل اذا كانت
موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها بالصفة فيحسن نصب الحال
عنها انتهى وهو سوال واضح لانه يصير التقدير جاهم من الانبا شي فيه
ازدجار فيكون منكرا وتنكير ذي الحال قبيح **قوله** فما تغن النذر
يجوز في ما ان تكون استفهامية وتكون في محل نصب مفعولا مقدما اي
اي شي تغني النذر وان تكون نافية اي لم تغن النذر شيا والنذر
جمع نذير والمراد به المصدر او اسم الفاعل كما تقدم في اخر النجم وكتب
تغن اتباعا للفظ الوصل فانها ساقطة لالتقا الساكنين قال بعض
النحويين وانما حذفت اليا من تغني حملا لما على لم فجزمت كما تجزم لم
قال مكي وهذا خطا لان لم تنفي الماضي وترد المستقبل ماضيا وما تنفي
الحال فلا يجوز ان تقع احدهما موقع الاخرى لاختلاف معنييهما ●
فصل المعنى ان القران حكمة بالغة تامة قد بلغت الغاية
وقوله فما تغن النذر ان كانت ما نافية فالمعنى ان النذر لم يبعثوا
ليغنوا ويلجيوا قومهم الى الايمان وانما ارسلوا مبلغين كقوله تعالى
فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا وما على الرسول الا البلاغ
ويويد هذا قوله فتول عنهم وان كانت استفهامية فالمعنى واي
شي تغني النذر اذا خالفوهم وكذبوهم كقوله وما تغني الايات والنذر
عن قوم لا يومنون اي انك اتيت بما عليك من الدعوى فكذبوا بها
وانذرتهم بما جرى على المكذبين فلم يفدهم فهذه حكمة بالغة وما الذي
تغني النذر غير هذا فلم يبق عليك شي اخر **قوله** فتول
عنهم اي اعرض عنهم قال اكثر المفسرين نسختها اية السيف قال
ابن الخطيب ان قول المفسرين في قوله فتول منسوخ ليس كذلك بل
المراد منه لا تناظرهم بالكلام **قوله** يوم يدع الداع يوم منصوب
اما باذكر مضمرة وهو اقربها واليه ذهب الرماني والزمخشري
واما بيخرجون بعده واليه ذهب الزمخشري ايضا واما بقوله فما
تغن ويكون قوله فتول عنهم اعتراضا واما منصوب بقوله يقول
الكافرون وفيه بعد لبعده منه وقيل تم الكلام عند قوله فما
تغن النذر ويبتدا بقوله فتول عنهم يوم يدع الداع فيكون منصوبا
بقوله فتول وهو ضعيف جدا لان المعنى ليس امره بالتولية عنهم
في يوم النفخ في الصور واما منصوب بحذف الخافض اي فتول عنهم
الى يوم قاله الحسن وضعف من حيث اللفظ ومن حيث المعنى اما
اللفظ فلان اسقاط الخافض غير منقاس واما المعنى فليس توليه
عنهم مغيا بذلك الزمان واما بانتظر مضمرا فهذه سبعة اوجه
في ناصب يوم قال القرطبي او منصوب بخشعا او على حذف حرف الفا
وما عملت فيه من جواب الامر تقديره فتول عنهم فان لهم يوم يدع
الداع وقيل اعرض عنهم يوم القيامة ولا تسال عنهم وعن احوالهم فانهم

يدعون الى شي نكر ويقال هم عذاب شديد كقولك لا اتصال عما جرى على
فلان اذا اخبرته بامر عظيم وقيل اي وكل امر مستنكر يوم يدع الداع
وحذفت الواو من يدع خطا اتباعا للفظ كما تقدم في تغن ويمح الله
الباطل وشبهه والياء من الداع مبالغة في التخفيف اجرا الال مجرى
ما عاقبها وهو التنوين فكما تحذف اليا مع التنوين كذلك مع ما عاقبها
فصل والداعي يعرف كالمنادي في قوله يوم ينادي المنادي لانه
معلوم قد اخبر عنه فقيل انه مناد ينادي وداعيا يدعو فقيل الداعي
اسرافيل ينفخ قايما على صخرة بيت المقدس قاله مقاتل وقيل جبريل
وقيل ملك موكل بذلك والتعريف لا يقطع حد العلمية ويكون قولنا
جاء رجل فقال الرجل كذا له ابن الخطيب قوله الى شي نكر العامة على ضم
الكاف وهو صفة على فعل وفعل في الصفات عزيز منه امر نكر ورجل شلل
وناقة اجد وروضة انف وشيء سجح وقرا ابن كثير بسكون الكاف
فيحتمل ان يكون اصلا وان يكون مخففا من قراة الجماعة وقد تقدم هذا
محررا في اليسر والعسر في سورة المايده وسمي الشيء الشديد نكرا لان
النفوس تنكره قال مالك بن عوف قدم نجاح انه يوم نكر مثلي على مثلك
يحمي وينكر • وقرا زيد بن علي والجحدري وابو قلابة نكر فعلا ماضيا مبنيا
للمفعول لان نكر يتعدى قال تعالى نكرهم واوجس فصل المعنى
الى شي منكر فظيع كبير مثله فينكرونه استعظاما قال ابن الخطيب
وهو يحتمل وجهين احدهما ان المعنى الى شي نكر في يومنا هذا لانهم انكروه
اي يوم يدع الداعي الى الشي الذي انكروه يخرجون الثاني ان المعنى منكر
اي يقول القايل كان ينبغي ان لا يقع ولا يكون لان المنكر من شانه ان لا يوجد
يقال فلان ينهى عن المنكر وعلى هذا فهو عندهم كان ينبغي ان لا يقع لانه
يردهم في الهاوية • فان قيل ما ذلك الشي النكر وعلى هذا فهو عندهم كان
ينبغي ان لا يقع لانه • فاجيب بانه الحساب او الجمع له او النشر للجمع فان
قيل النشر لا يكون منكرا فانه احيا لان الكافر من اين يعرف وقت النشر
ما يجري عليه لينكره فالجواب انه يعلم ذلك لقوله تعالى يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا قوله خاشعا ابصارهم قرا ابو عمرو والاخوان
خاشعا وباقي السبعة خشعا فالقراة الاولى جارية على اللغة الفصحى
من حيث ان الفعل وما جرى مجراه اذا قدم على الفاعل وحد يقول
يخشع ابصارهم ولا يقول يخشعن ابصارهم وانشد

وشباب حسن اوجههم • من اياد بن نزار بن معد

وقال اخر

برق الحجاج بها الركبان معترضا • اعناق بزلها مرخى لها الجدل

واما الثانية فجاءت على لغة طي يقولون اكلوني البراغيث وقد تقدم القول
على هذا في المايده والانبيا ومثله قول الشاعر

بمطرد لدن صحاح كعوبه • وذي رونق عضب يقد القوانسا

قيل وجمع التكسير في اللغة في مثل هذا اكثر من الافراد وقرا ابي وعبد الله
خاشعة على تخشع هي وقال الزمخشري وخشعا على يخشعن ابصارهم
وهو لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طي قال ابو حيان ولا يجري جمع
التكسير مجرى جمع السلامة فيكون على تلك اللغة النادرة القليلة وقد
نص سيبويه على ان جمع التكسير اكثر من كلام العرب فكيف يكون اكثر
ويكون على تلك اللغة النادرة القليلة ولذا قال الفراء حين ذكر الافراد
يذكر ويونث وجمع التكسير قال لان الصفة متى تقدمت على الجماعة جاز

فيها

فيها جميع ذلك والجمع موافق للفظها فكان اشبه قال ابو حيان وانما
يخرج على اللغة اذا كان الجمع جمع سلامة نحو مررت بقوم كريمين اباوهم
والزمخشري قاس جمع التكسير على جمع السلامة وهو قياس فاسد يرده
النقل عن العرب ان جمع التكسير اجود من الافراد كما ذكره سيبويه ودل
عليه كلام الفرا قال شهاب الدين وقد خرج الناس قول امري القيس

وقوفا بها صحبي على مطيهم • يقولون لا تهلك اسى وتجمل

على ان صحبي فاعل بوقوفا وهو جمع واقف في احد القولين في وقوفا
وفي انتصاب خاشعا وخشعا وخاشعة اوجه احدها انه مفعول
به وناصبه يدع الداع وهو في الحقيقة لموصوف محذوف تقديره فريقا
خاشعا او فوجا خاشعا والثاني انه حال من فاعل يخرجون المتاخر عنه
ولما كان العامل متصرفا جاز تقدم الحال عليه وهو رد على الجرمي حيث زعم
انه لا يجوز ورد عليه ايضا بقول العرب • شتى يووب الحلبة • فشتى
حال من الحلبة وقال الشاعر

سريعا يهون الصعب عندي واللين • اذا ابرحا صادق قاتلوا الساد

الثالث انه حال من الضمير في عنهم ولم يذكر مكي غيره الرابع انه حال
من مفعول يدعو المحذوف تقديره يوم يدعوهم الداعي خشعا فالعامل
فيها يدعو قاله ابو البقا وارتفع ابصارهم على وجهين اظهرهما الفاعلية
بالصفة قبلها الثاني على البدل من الضمير المستتر في خشعا لان التقدير
خشعا هم وهذا انما ياتي على قراة خشعا فقط وقرئ خشع ابصارهم
على ان خشع خبر مقدم وابصارهم مبتدا والجملة في محل نصب على الحال
وفيه الخلاف المذكور من قبل كقوله • وجدته حاضراه الجود والكرم •
فصل قال ابن الخطيب لما حكى نصب خشعا قال انه
منصوب على انه مفعول بقوله يدعو اي يوم يدع الداعي خشعا
فان قيل هذا فاسد من وجوه احدها ان الشخص لا فايدة فيه
لان الداعي يدعو كل احد ثانيها قوله يخرجون من الاجداث بعد الدعا
فيكونون خشعا قبل الخروج وهو باطل ثالثها قراة خاشعة تبطل
هذا نقول اما الجواب عن الاول فان قوله الى شي نكر يدفع ذلك
لان كل احد لا يدعى الى شي نكر وعن الثاني المراد من الشي المنكر الحساب
العسير يعني يوم يدع الداعي الى الحساب العسير خشعا ولا يكون
العامل في يوم يدعو يخرجون بل اذكروا فما تغني النذر كقوله فما تنفعهم
شفاعة الشافعين ويكون يخرجون ابتدا كلام وعن الثالث انه لا منافاة
بين القراتين وخاشعا نصب على الحال او على انه مفعول يدعو كانه
يقول يدعو الداعي قوما خاشعا ابصارهم والخشوع السكون كما
قال تعالى وخشعت الاصوات وخشوع الابصار سكونها على حال
لا ينقلب عنه وبيسره كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقيل خاشعة
اي ذليلة خاضعة عند روية العذاب قوله يخرجون يجوز ان يكون
حالا من الضمير في ابصارهم وان يكون مستانفا والاجداث القبور وقد تقدم
في يس وقوله كانهم جراد هذه الجملة يجوز ان تكون حالا من فاعل يخرجون او
مستانفة ومثلهم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموج وقيل معنى منتشر اي
منبث حيارى ونظيره قوله تعالى كالفراش المبثوث والمعنى انهم يخرجون فزعين
لا جهة لاحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض وذكر
المنتشر على لفظ الجراد قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال المنتشر مطاوع نشره اذا
احياه قال تعالى اذا انتم بشر تنتشرون فكانهم جراد متحرك من الارض يدب

اشارة الى كيفية خروجهم من الاجداث وضعفهم وقال القرطبي قوله
كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداع وقال في موضع اخر يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث فهما صفتان في وقتين مختلفين احدهما عند الخروج من القبور
يخرجون فزعين لا يهتدون الى اين يتوجهون فيدخل بعضهم في بعض فهم حينئذ
كالفراش المبثوث بعضهم في بعض لا جهة له يقصدها فاذا سمعوا المنادي
قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر لان الجراد لها جهة تقصدها قوله
مهطعين حال ايضا من اسم كان او من فاعل يخرجون عند من يرى تعدد الحال
قال ابو البقا ومهطعين حال من الضمير في منتشر عند قوم وهو بعيد لان
الضمير في منتشر للجراد وانما هو حال من فاعل يخرجون او من الضمير المحذوف
انتهى وهو اعتراض حسن على هذا القول والاهطاع الاسراع وانشد
❁ بدجلة دارهم ولقد اراهم ❁ بدجلة مهطعين الى السماع ❁
وقيل الاسراع مع مد العنق وقيل النظر قال ابن عباس وانشد
❁ تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ❁ ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع ❁
وقد تقدم الكلام على هذه المادة في سورة ابراهيم قال الضحاك مقبلين
وقال قتادة عامدين وقال عكرمة فاتحين اذانهم الى الصوت قوله
يقول الكافرون قال ابو البقا حال من الضمير في مهطعين وفيه نظر
من حيث خلو الجملة من رابط يربطها بذي الحال وقد يجاب بان الكافرين
هم الضمير في المعنى فيكون من باب الربط بالاسم الظاهر عند من يرى
ذلك كانه قيل يقولون هذا وانما ابرزهم تشنيعا عليهم بهذه الصفة
القبيحة وقولهم هذا يوم عسر اي صعب شديد قوله كذبت قبلهم
مفعوله محذوف اي كذبت الرسل لانهم لما كذبوا نوحا فقد كذبوا جميع الرسل
ولا يجوز ان تكون المسالة من باب التنازع اذ لو كان منه لكان التقدير كذبت
قبلهم قوم نوح عبدنا فكذبوه ولو لفظ بهذا لكان تاكيدا اذ لم يتغاير الاول
وشرط التنازع ان لا يكون الثاني تاكيدا ولذلك منعوا ان يكون قوله
اتاك اتاك اللاحقون احبس احبس من ذلك وفي كلام الزمخشري ما يجوزه
فانه اخرجه عن التاكيد فقال فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله
كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا عقب تكذيب
كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب فهذا معنى حسن ليسوغ معه
التنازع فصل لما فرغ من حكاية كلام الكافر ومن ذكر علامات
الساعة اعاد ذكر بعض الانبا فقال كذبت قوم نوح اي قبل اهل مكة
واعلم ان الحاق الضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل جائز وحسن
بالاتفاق والحاق ضمير الجمع بالفعل قبيح عند الاكثرين فلا يجوزون كذبوا
قوم نوح ويجوزون كذبت فما الفرق قال ابن الخطيب لان التانيث قبل
الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل امر لا يتبدل ولم تحصل الانوثة للفاعل
بسبب فعل بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم فان قيل ما الفائدة
في قوله تعالى فكذبوا عبدنا بعد قوله كذبت قال ابن الخطيب الجواب عنه
من وجوه الاول ان قوله كذبت قوم نوح اي باياتنا فكذبوا هولاء عبدنا
بانه الانشقاق تكذيبوك الثاني كذبت قوم نوح المرسلين وقالوا لن
يبعث الله رسولا وكذبوهم في التوحيد فكذبوا عبدنا كما كذبوا غيره
وذلك لان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الاصنام
يكذب كل رسول وينكر الرسالة لانه يقول لا تعلق لله بالعالم السفلي
وانما امره الى الكواكب فكان مذهبهم التكذيب فكذبوك الثالث
ان قوله تعالى فكذبوا عبدنا اي لم يكن تكذيبا بحق فان قيل لو قال

فكذبوا

فكذبوا رسلنا كان ادل على قبح فعلهم فما الفائدة في اختيار لفظ
العبد فالجواب ان قوله عبدنا ادل على صدقه وقبح تكذيبهم من قوله
رسولنا لان العبد اخوف واقل تحريفا لكلام السيد من الرسول فيكون
كقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين قوله وقالوا مجنون مجنون خبر ابتدا مضمر اي
هو مجنون وهذا اشارة الى انه اتى بالايات الدالة على صدقه
حيث راوا ما عجزوا عنه وقالوا اصابه الجن وزيادة بيان لقبح صنيعهم
حيث لم يقتنعوا بتكذيبهم بل قالوا مجنون اي يقول ما لا يقبله عاقل
والكاذب العاقل يقول ما يظن به صدقه فيكون قولهم مجنون
مبالغة في التكذيب قوله وازدجر الدال في ازدجر بدل من تا
تقدم وهل هو من قولهم اي قالوا انه ازدجر اي ازدجرته الجن وذهبت
بلبه قاله مجاهد او هو من كلام الله تعالى اخبر عنه بانه انتهر وزجر
بالسب وانواع الاذى وقالوا لئن لم تنته لتكونن من المرجومين
قال ابن الخطيب وهذا اصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى
الله عليه وسلم بذكر من تقدمه وايضا ترتب عليه قوله تعالى فدعا
ربه وهذا الترتيب في غاية الحسن لانهم لما زجروه وانزجر هو
عن دعائهم دعا ربه اني مغلوب قوله اني مغلوب العامة على
فتح الهمزة اي دعاه باني مغلوب وجا هذا على حكاية المعنى ولو جاء
على حكاية اللفظ لقال انه مغلوب وهما جائزان وقرا ابن ابي اسحاق والاعمش
ورويت عن عاصم بالكسر اما على اضمار القول اي فقال فسر به الدعا وهو
مذهب البصريين واما اجرا الدعا مجرى القول وهو مذهب الكوفيين
فصل في معنى مغلوب وجوه غلبني الكفار فانتصر لي منهم ثانيها
غلبتني نفسي وحملتني على الدعا عليهم فانتصر لي من نفسي قاله ابن عطية
وهو ضعيف ثالثها ان يقال ان النبي لا يدعو على قومه ما دام في نفسه
احتمال وحلم واحتمال نفسه عند ما دام الايمان منهم محتملا ثم ان بايس
يحصل والاحتمال والحلم يفنى الناس مدة بدليل قوله لمحمد عليه الصلوة والسلام
لعلك باخع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لنوح عليه
الصلوة والسلام ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فقال نوح
يا الهي نفسي غلبتني وقد امرتني بالدعا عليهم فاهلكهم فيكون معناه
مغلوب بحكم البشرية اي غلبت وعيل صبري فانتصر لي منهم لا من نفسي
قال ابن الخطيب وهذا الوجه مركب من الوجهين وهو احسنها وقوله
فانتصر اي انتصر لي ولنفسك فانهم كفروا بك او انتصر للحق قوله
ففتحنا تقدم الخلاف في فتحنا في الانعام والمراد من الفتح والابواب
حقيقتها وان للسما ابوابا تفتح وتغلق قال علي رضي الله عنه هي المجرة
وهي شرج السما ومنها فتحت بما منهمر وقيل هذا على سبيل الاستعارة
فان الظاهر ان الما كان من السحاب فهو كقول القائل في المطر الوابل جرت
ميازيب السما وفي قوله ففتحنا بيان بان الله انتصر منهم وانتقم بما لا يجد
انزله ومن العجب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله بمطلوبهم
قوله بما منهمر في البا وجهان اظهرهما انها للتعدية ويكون ذلك
على المبالغة في انه جعل الما كالالة المفتتح بها كما تقول فتحت بالمفتاح
والثاني انها للحال اي فتحناها ملتبسة بهذا الما والمنهمر الغزير النازل
بقوة وانشد امرؤ القيس
❁ راح تمريه الصبا ثم انتحى ❁ فيه شؤبوب جنوب منهمر ❁



واستعمل ذلك في قولهم همر الرجل في كلامه اذا اكثر الكلام واسرع وفلان
يهامر الشي اي يجرفه وهمر له من ماله اعطاه بكثرة والمنهمر الكثير قاله
السدي قال الشاعر
اعيني جودا بالدموع الهوامر ۞ على خير باد من معد وحاضر ۞
قال المفسرون معنى منهمر اي منصب انصبابا شديدا قال ابن عباس
بما منهمر من غير سحاب لم ينقطع اربعين يوما وقيل ثمانين قوله
وفجرنا الارض قرا عبد الله وابو حيوة وعاصم في رواية مخففا
والباقون مثقلا وقوله عيونا فيه اوجه اشهرها انه تمييز اي فجرنا
عيون الارض فنقله من المفعولية الى التمييز كما انتقل من الفاعلية
ومنعه بعضهم وتاول هذه الاية على ما سياتي وقوله وفجرنا الارض
عيونا ابلغ من فجرنا عيون الارض لما ذكر في نظيره مرارا الثاني انه
منصوب على البدل من الارض ويضعف هذا خلوه من الضمير فانه
بدل بعض من كل ويجاب عنه بانه محذوف اي عيونا منها كقوله الاخدود
النار فالنار بدل اشتمال ولا ضمير فهو مقدر الثالث انه مفعول
ثان لانه ضمن فجرنا معنى صيرناها بالتفجير عيونا الرابع انه حال وفيه يجوز
ان حذف مضاف اي ذات عيون وكونها حالا مقدرة لا مقارنة قال
ابن الخطيب قوله وفجرنا الارض عيونا فيه من البلاغة ما ليس في قول
القايل وفجرنا من الارض عيونا وقوله وفجرنا الارض عيونا ولم يقل
ففتحنا السما ابوابا لان السما اعظم من الارض وهي للمبالغة ولذا قال
ابواب السما ولم يقل انابيب ولا منافذ ولا مجاري اما قوله تعالى فجرنا الارض
عيونا فلا غنى عنه لان قول القايل فجرنا من الارض عيونا يكون حقيقة لا
مبالغة فيه ويكفي في صحة ذلك القول ان يحصل في الارض عيون ثلاث
ولا يصلح مع هذا في السما وما هنا فصل قال ابن الخطيب العيون
جمع عين وهي حقيقة في العين التي هي الة الابصار ومجاز في غيرها ۞
الثاني عيون الما فلانها تشبه العين الناظرة التي يخرج منها الدمع
لان الما الذي في العيون كالدمع الذي في العين وهو مجاز مشهور
صار غالبا حتى لا يحتاج الى القرينة عند الاستعمال فكما لا يحمل اللفظ على
العين الناظرة الا بقرينة كذلك لا يحمل على الفوارة الا بقرينة مثل
شربت من العين واغتسلت منها ونحوه فان قيل من اين علمت ان العين
حقيقة في الناظر قلنا لان الانسان ابعد منه ولم يوجد من الينبوع
ينقال عانه بعينه اذا اصابه بالعين وعانه يعاينه وعيانا قال
عبيد بن عمير اوحى الله الى الارض ان تخرج ماها فتفجرت بالعيون واي عين
تاخرت غضب عليها وجعل ماها مرا الى يوم القيمة قوله فالتقى الما
لما كان المراد بالما الجنس صح ان يقال فالتقى الما كانه قال فالتقى ما السما
وما الارض وهذه قراة العامة وقرا الحسن والجحدري ومحمد بن كعب
ويروى عن امير المومنين ايضا الماان تثنية والهمزة ساكنة اي النوعان
منه ما السما وما الارض لان الالتقا انما يكون بين اثنين وقرا الحسن ايضا
الماوان بقلبها واوا وهي لغة طي قال الزمخشري كقولهم علباوان يعني انه
شبه الهمزة المنقلبة عن ها بهمزة الالحاق وروي عنه ايضا الماان بقلبها
يا وهي اشد منها قبلها قوله قد قدر العامة على التخفيف وقرا ابن مقسم
وابو حيوة بالتشديد وهما لغتان قرى بهما في قوله قدر فهدى فقدر عليه
رزقه كما سياتي فصل قيل معنى امر قد قدر اي حالة قدرها الله
كما شا قضي عليهم في ام الكتاب وقال مقاتل قدر الله ان يكون الماان

سوا

سوا فكانا على ما قدر وقيل على مقدار لم يزد ذلك لان الناس اختلفوا فمنهم
من قال كان ما السما اكثر ومنهم من قال ما الارض ومنهم من قال كانا
متساويين فقال على مقدار كان وقال قتادة قدر لهم اذا كفروا
ان يغرقوا قال ابن الخطيب ويحتمل ان يقال التقى الما اي اجتمع على
امر هلاكهم وهو كان مقدور مقدره وفيه رد على المنجمين الذين
يقولون ان الطوفان كان بسبب اجتماع الكواكب السبعة في برج
ماي والغرق لم يكن مقصودا بالذات وانما ذلك امر لزم من الطوفان
الواجب وقوعه فرد الله عليهم بانه لم يكن ذلك الا لامر قدره الله
ويدل عليه ان الله تعالى اوحى الى نوح بانهم مغرقون قوله وحملناه
على ذات الواح ودسر اي سفينة ذات قال الزمخشري وهي
من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتودي
مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة
من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون البازيات
باكرع اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة
وبين هذه الصفة او بين الجراد والدرع وهاتين الصفتين لم يصح
وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر قيل المسامير جمع دسار نحو
كتب في جمع كتاب وقال الزمخشري جمع دسار وهو المسمار فعال
من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه وقال الراغب الواحد
دسر يعني فيكون مثل سقف وسقف وقال البغوي واحدها دسار ودسير
واصل الدسر الدفع الشديد بقهر دسره بالرمح ورجل مدسر مثل مطعن ۞
وروي ليس في العنبر زكاة انما هو شي دسره البحر اي دفعه وقيل انها
الخيوط التي تشد بها السفن وقيل هي عوارض السفينة وقيل اضلاعها
وقال الحسن الدسر صدر السفينة سميت بذلك لانها تدسر الما
بجوجوها اي تدفع وقال الضحاك الدسر الواح جانبيها قوله
تجري باعيننا اي بمراينا وقال مقاتل باعيننا اي بحفظنا كقولك
اجعل هذا نصب عينك وقيل بالاعين النابعة من الارض وقيل
ما اعين اوليائنا من الملايكة فقوله باعيننا اي بحفظنا وهو في المعنى
كقوله ولتصنع على عيني وقرا زيد بن علي وابو السمال باعينا بالاد غام
وقال سفيان معناه بامرنا قوله جزا منصوب على المفعول له
ناصبه ففتحنا وما بعده وقيل منصوب على المصدر اما بفعل
مقدر اي جازيناهم بها جزا واما على التجوز بان معنى الافعال المتقدمة
جازيناهم بها جزا قوله لمن كان كفر العامة على كفر مبنيا للمفعول
والمراد بمن كفر نوح عليه الصلوة والسلام او الباري تعالى وقرا
مسلمة بن محارب كفر باسكان الفا كقوله ۞
لو عصر منه البان والمسك انعصر ۞ وقرا يزيد بن رومان
وعيسى وقتادة كفر مبنيا للفاعل والمراد بمن حينيذ قوم نوح
وكفر خبر كان وفيه دليل على وقوع خبر كان ماضيا من غير قد وبعضهم
يقول لا بد من قد ظاهرة او مضمرة ويجوز ان يكون كان مزيدة واما
كفر ففيه وجهان احدهما ان يكون كفر مثل شكر تعدى بحرف وبغير
حرف يقال شكرته وشكرت له قال تعالى واشكروا لي ولا تكفرون
وقال فمن يكفر بالطاغوت الثاني ان يكون من الكفر لا من الكفران اي
جزا لمن ستر امره وانكر شانه اي جزا لمن كفر به فصل المعنى فعلنا
به وبهم من انجا نوح واغراق قومه ثوابا لمن كفر به وجحد امره وهو

نوح عليه الصلوة والسلام وقيل من بمعنى ما اي جزا لما كان كفر
من ايادي الله ونعمه عند الذين غرقهم وجزا لما صنع بنوح عليه الصلوة
والسلام وقيل من بمعنى ما اي جزا لما كان كفر واصحابه والكلام في لمن لام
المفعول له والجزا هنا بمعنى العقاب اي عقابا لكفرهم **قوله** ولقد
تركناها اية ضمير تركناها اما للقصة او الفعلة التي فعلناها
اية يعتبر بها او السفينة وهو الظاهر والمعنى تركناها اي ابقاها
الله سنا ترى من ارض الجزيرة اية اي عبرة حتى نظرت اليها اوايل
هذه الامة وكانت على الجودي وقيل بارض الهند ومعنى تركناها
اي جعلناها لانها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجعولة
قوله فهل من مدكر اصله مذتكر فابدلت التاء دالا مهملة ثم
ابدلت المعجمة مهملة لمقاربتهما وقد تقدم هذا في قوله وادكر بعد امة
وقد قرى مذتكر بهذا الاصل وقرا قتادة فيما نقل عنه وابو الفضل
مدكر بفتح الدال المخففة وتشديد الكاف من ذكر بالتشديد اي ذكر نفسه
او غيره بما مضى من قصص الاولين ونقل عنه ابن عطية كالجماعة الا انه
بالذال المعجمة وهو شاذ لان الاول يقلب للثاني لا الثاني للاول
روى زهير عن ابي اسحاق انه سمع رجلا يسال الاسود فهل من مدكر او من
مذكر قال سمعت عبد الله يقراوها فهل من مدكر قال وسمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقراوها فهل من مدكر دالا **فصل** وهذه الاية
اشارة الى ان الامر من جانب الرسل قد تقدم ولم يبق الا جانب المرسل
اليهم بان يتفكروا ويهتدوا وهذا الكلام يصلح ان يكون حثا وان يكون
تخويفا وزجرا قال ابن الخطيب مدكر مفتعل من ذكر يذكر واصل مدتكر
وقرا بعضهم بهذا الاصل ومنهم من يقلب التاء دالا وفي قوله مدكر اشارة اما
في قوله الست بربكم قالوا بلى اي هل من يتذكر تلك الحالة واما الى وضوح
الامر كانه حصل للكل ايات الله فنسوها فهل من متذكر يتذكر شيا منها
قوله فكيف كان عذابي ونذر كان الظاهر فيها انها ناقصة فكيف
خبر مقدم وقيل يجوز ان تكون تامة فيكون كيف في محل نصب اما على الظرف
واما على الحال كما تقدم تحقيقه في البقرة **فصل** وحذفت يا الاضافة
من نذر كما حذفت يا يسري في قوله والليل اذا يسر وذلك عند الوقف ومثله
كثير كقوله فاياي فاعبدون ولا تستعجلون يا عباد فاتقون ولا تكفرون
وقرى باثبات اليا في عذابي ونذري **قوله** ولقد يسرنا القران هيانا
للذكر من قولهم يسر فرسه اي هياه للركوب بالجامه قال
فقمت اليه باللجام ميسرا ... هنالك يجزيني الذي كنت اصنع
وقيل سهلنا القران ليتذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير يسرناه
للحفظ والقراة وليس شي من كتب الله يقرا كله ظاهرا الا القران فهل من
مدكر متعظ بمواعظه **قوله** كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ذكر
هنا فكيف كان عذابي ونذر مرتين فالاول سوال كقول المعلم للمتعلم
كيف المسالة الفلانية ليجيبه فيقال انا ارسلنا والثاني بمعنى التعظيم
والتهويل فان قيل قال في قوم نوح كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد كذبت
قوم هود لان التعريف كلما امكن ان يوتى به على وجه ابلغ فالاولى ان يوتى
به والتعريف بالاسم العلم اقوى من التعريف بالاضافة لانك اذا قلت
بيت الله لا تعيد ما يفيد قولك الكعبة وكذلك اذا قلت رسول الله
وقلت محمد فعاد اسم علم للقوم ولا يقال قوم هود اعرف لوجهين احدهما
ان الله تعالى وصف عادا بقوم هود في قوله بعدا لعاد قوم هود ولا يوصف

الاظهر بالاخفى والاخص بالاعم ثانيهما ان قوم هود ان اللفظ
يقع على اقوام ولهذا قال تعالى عادا الاولى لانا نقول اما قوله تعالى لعاد قوم
هود فليس ذلك صفة وانما هو بدل ويجوز في البدل ان يكون دون المبدل
في المعرفة ويجوز ان يبدل عن المعرفة بالنكرة واما عادا الاولى فقوله لبيان تقدمهم
اي عادا الذين تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي
شفيعي والله الكريم ربي ورب الكعبة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها
وتعريفها بالشرف كقولك دخلت الدار المعمورة من الدارين وجدت
الرجل الزاهد من الرجلين فتبين المفعول بالوصف فان قيل لم يقل
كذبوا هودا كما قال كذبوا عبدنا فالجواب اما لان تكذيب قوم نوح
ابلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم واما لان قصة عاد ذكرت مختصرة
قوله انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر الشديدة الصوت
من صرصر الباب اذا صوت وقيل الشديدة البرد من الصر وهو البرد
وهو كله اصول عند الجمهور وقال مكي اصله صرر من صر الشي اذا صوت
لكن ابدلوا من الرا المشددة صادا وهذا قول الكوفيين ومثله
كبكب وكفكف وتقدم هذا في فصلت وغيرها وقال ابن الخطيب
الصرصر الدايمة الهبوب من اصر على الشي اذا دام وثبت **فصل**
يوم نحس مستمر شديد دايم الشوم استمر عليهم بنحوسه ولم يبق منهم
احدا الا اهلكه قيل كان ذلك يوم الاربعا في اخر الشهر فان قيل اذا
كان يوم الاربعا يوم نحس مستمر ولم يرد انه نحس على المصلحين بل
على المفسدين كما كانت الايام النحسات على الكفار لا على نبيهم
والمومنين واعلم انه تعالى قال هاهنا انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
وقال في الذاريات اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم فعرف الريح هناك
ونكرها هاهنا لان العقيم في الريح من البرد الذي يضرب النبات او
الشدة التي تعصف الاشجار لان الريح العقيم هي التي لا تنشى سحابا
ولا تلقح شجرا وهي كثيرة الوقوع واما الريح المهلكة النادرة فعرفها توجد
فقال الريح العقيم اي هذا الجنس المعروف ثم زاده بيانا بقوله ما تذر
من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم فتميزت عن الريح العقيم واما
الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون مشهورة فنكرها **قوله** في يوم
نحس العامة على اضافة يوم الى نحس لسكون الحا وفيه وجهان احدهما
انه من اضافة الموصوف الى صفته والثاني وهو قول البصريين
انه صفة لموصوف محذوف اي عذاب نحس وقرا الحسن بتنوينه
ووصفه بنحس ولم يقيده الزمخشري بكسر الحا وقيده ابو حيان وقرى في
قوله تعالى في ايام نحسات بسكون الحا وكسرها وتنوين ايام عند الجميع
كما تقدم تقريره ومستمر صفة ليوم او نحس ومعناه كما تقدم اي عليهم
حتى اهلكهم او من المرارة قال الضحاك كان مرا عليهم وكذا حكى الكسائي
ان قوما قالوا هو من المرارة يقال مر الشي وامر اي كان كالشي المر تكرهه
النفوس وقد قال فذوقوا والذي هو من المرارة يقال مر الشي وامر اي
كان كالشي المر تكرهه النفوس وقد قال فذوقوا والذي يذاق قد
يكون مرا **فصل** تنزع الناس في موضع نصب اما نعتا لريحا واما
حالا منها لتخصصها بالصفة ويجوز ان تكون مستانفة وقال الناس
ليعم ذكرهم وانثاهم فاوقع الظاهر موقع المضمر لان الاصل تنزعهم
فصل قال تعالى هاهنا في يوم نحس مستمر وقال في السجدة في ايام
نحسات وقال في الحاقة سبع ليال وثمانية ايام حسوما والمراد من

اليوم هنا الوقت والزمان كما في قوله يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا وقوله مستمر يفيد ما يفيده الايام لان الاستمرار
ينبئ عن امتداد الزمان كما تنبئ عنه الايام والحكاية هنا مذكورة
على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره على سبيل
الايجاز **قوله** كانهم اعجاز حال من الناس مقدرة ومنقعر صفة
لنخل باعتبار الجنس ولو انث لاعتبر معنى الجماعة لقوله نخل خاوية
وقد تقدم تحقيق القضية فيه وانما ذكر هنا وانث في الحاقة مراعاة
للفواصل في الموضعين وقرا ابو نهيك اعجز على وزن افعل نحو ضبع
واضبع وقيل الكاف في موضع نصب بفعل مقدر تقديره تتركهم
كانهم اعجاز قاله مكي ولو جعل مفعولا ثانيا على التضمين اي يصيرهم
بالنزع كانهم لكان اقرب والاعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشيء ومنه
العجز لانه يؤدي الى تاخر الامور والمنقعر المنقلع من اصله قعرت
النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت وقعرت البير وصلت الى قعرها
وتقعرت الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره واقعرت البير
اي جعلت لها قعرا **فصل** تنزع الناس تقلعهم ترمي بهم على
رؤوسهم فتدق رقابهم وروي انها كانت تنزع الناس من قبورهم
كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصولها وقال الضحاك اوراك
نخل منقعر منقلع من مكانه ساقط على الارض وقال اعجاز نخل وهي
اصولها التي قطعت عروقها لان الريح كانت تبين رؤوسهم من
اجسادهم فتبقى اجسادهم بلا رؤوس قال ابن الخطيب تنزعهم
نزعا بعنف كانهم اعجاز نخل تقعرهم فينقعروا وهذا اشارة الى
قوتهم وثباتهم على الارض ويكون ذلك اشارة الى عظم اجسادهم
او الى ثباتهم في الارض فكانهم كانوا يجعلون ارجلهم في الارض ويقصدون به
المنع به عن الريح قال ابن اسحاق لما هاجت الريح قام سبعة نفر
من عاد من اقواهم واجسمهم منهم عمرو بن الحلي والحارث بن شداد
والهلقام وابنا تقن وخلجان بن سعد فالجوا العيال في شعب
بين جبلين ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عمن
في الشعب من العيال فجعلت الريح تجعفهم رجلا بعد رجل فقالت
امراة من عاد

ذهب الدهر بعمرو بن حلي والهنيات ... ثم بالحارث والهلقام طلاع الثنيات
والذي سد الريح ايام البليات

ويكون اشارة الى يبسهم وجفافهم بالريح فهي كانت تقتلهم وتحرقهم ببردها
المفرط فيقعون كانهم اخشاب يابسة **فصل** قال المفسرون ذكر
النخل هنا وقال منقعر وانثه في الحاقة قال اعجاز نخل خاوية لاجل الفواصل
لقوله مستمر ومنهمر ومنتشر وقيل ان النخل لفظه لفظ الواحد ومعناه
الجمع فيقال نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات ونخل خاو وخاوية وخاويات
ونخل باسق وباسقة وباسقات فاذا قيل منقعر او خاو او باسق
فبالنظر الى اللفظ واذا قيل منقعرات او خاويات او باسقات فلاجل المعنى
قال ابو بكر بن الانباري سئل المبرد بحضرة القاضي اسمعيل عن الف مسئلة
هذه من جملتها فقيل ما الفرق بين قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة وقال
جاءتها ريح عاصف وقوله كانهم اعجاز نخل خاوية واعجاز نخل منقعر فقال
كلما ورد عليك من هذا الباب فان شئت رددته الى اللفظ تذكيرا او الى
المعنى تانيثا قال ابن الخطيب ذكر الله لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها

على الاوجه

على الاوجه الثلاثة فقال والنخل باسقات وذلك حال عنها وهي كالوصف
وقال نخل خاوية ونخل منقعر فحيث قال منقعر كان المختار ذلك لان
المنقعر في حقيقة الامر كالمفعول لانه ورد عليه القعر فهو مقعور والخاوي
والباسق فاعل واخلاء المفعول عن علامة التانيث اولى تقول امراة قتيل
واما الباسقات فهي فاعلات حقيقة لان البسوق امر قام بها واما
الخاوية فهي من باب حسن الوجه لان الخاوي موضعها فكانه قال نخل
خاوية المواضع وهذا غاية الاعجاز حيث اتى بلفظ مناسب للالفاظ
السابقة واللاحقة من حيث اللفظ **قوله** فكيف كان عذابي
ونذر وقال اكثر المفسرين ان النذر هنا جمع نذير الذي هو مصدر
بمعنى الانذار فالحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف كان انواع
عذابي وقال انذاري قال ابن الخطيب هذا اشارة الى غلبة الرحمة
لان الانذار اشفاق ورحمة فقال الانذارات التي هي نعم ورحمة
تواترت فلما لم ينفع وقع العذاب دفعة واحدة فكانت النعم كثيرة
والنقم واحدة **قوله** كذبت ثمود بالنذر اعلم انه تعالى لم يقل
في قوم نوح كذبت قوم نوح بالنذر وكذلك في قصة عاد لان المراد بقوله
كذبت قبلهم قوم نوح ان عادتهم انكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحا
بنفسه على مذهبهم وعادتهم وانما صرح هاهنا لان كل قوم ياتون بعد قوم
فالمكذب المتاخر يكذب بالمرسلين جميعا حقيقة والاولون يكذبون
رسولا واحدا حقيقة ويلزم منه تكذيب من بعده تبعا ولهذا المعنى
قال في قوم نوح كذبت قوم نوح المرسلين وقال في عاد جحدوا بايات (وتلك عاد)
ربهم وعصوا رسله فذكر بلفظ الجمع المستغرق ثم انه تعالى قال نوح
رب ان قومي كذبون ولم يقل كذبوا رسلك اشارة الى ما صدر منهم
حقيقة لا الى ما لزم منه وقوله تعالى كذبت ثمود بالنذر ان قلنا ان
النذر هم الرسل فهو كما تقدم وان قلنا ان النذر هم الانذارات
فنقول ان قوم نوح وعاد لم تستمر المعجزات التي ظهرت في زمانهم واما
ثمود فانذروا واخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم وكذبوا
فكان تكذيبهم بالانذارات وايات ظاهرة **قوله** ابشرا منصوب
على الاشتغال وهو الراجح لتقدم اداة هي بالفعل اولى ومنا نعت له وواحدا
فيه وجهان اظهرهما انه نعت لبشر الا انه يشكل عليه تقديم الصفة المؤولة
على الصريحة ويجاب بان منا حينئذ ليس وصفا بل حال من واحدا قدم عليه
والثاني انه نصب على الحال من هاء نتبعه وهو يخلص من الاعتراض المتقدم
الا ان المرجح لكونه صفة قراءتهما مرفوعين ابشر منا واحد نتبعه على ما
سياتي فهذا يرجح كون واحدا نعتا لبشر لا حالا وقرا ابو السمال فيما نقل
الهذلي والداني برفعهما على الابتداء وواحد صفته ونتبعه خبره وقرا
ابو السمال ايضا فيما نقل ابن خالويه وابو الفضل وابن عطية برفع بشر
ونصب واحدا وفيه اوجه احدها ان يكون ابشر مبتدا وخبره مضمر
تقديره ابشر منا يبعث الينا او يرسل واما انتصاب واحد ففيه وجهان
احدهما انه حال من الضمير المستتر في منا لانه وقع نعتا والثاني انه حال
من هاء نتبعه وهذا كله تخريج ابي الفضل الرازي الثاني انه مرفوع بالابتدا
ايضا والخبر نتبعه وواحدا حال على الوجهين المذكورين انفا الثالث
انه مرفوع بفعل مضمر مبني للمفعول تقديره اينبا بشر ومنا نعت وواحدا
حال ايضا على الوجهين المذكورين انفا واليه ذهب ابن عطية **فصل**
قال ابن الخطيب والحكمة في تاخير الفعل في الظاهر ان البليغ يقدم في الكلام

ما يكون معلق مزره به اكثر والقوم كانوا يريدون بيان كونهم محقين
في ترك الاتباع فلو قالوا انتبع بشرا امكن ان يقال نعم اتبعوه وما ذا
يمنعكم من اتباعه فاذا قدموا حاله وقالوا هو من نوعنا بشر من صنفنا
رجل ليس غريبا يعتقد فيه انه يعلم ما لا نعلم او يقدر على ما لا نقدر
وهو واحد وليس له حد ولا جسم ولا خدم ولا خيل وهو وحيد ونحن
جماعة فكيف نتبعه فيكونون قد قدموا الموجب لجواز الامتناع
عن الاتباع وفي الاية اشارات الى ذلك منها تنكيره حيث قالوا
ابشرا ولم يقولوا رجلا ومنها قولهم منا وهو يحتمل امرين • احدهما
من صنفنا ليس غريبا والثاني منا اي بعضنا لان من للتبعيض والبعض
يتبع الكل لا الكل يتبع البعض ومنها قولهم واحدا وهو يحتمل امرين ايضا
احدهما وحيدا اشارة الى الضعف وثانيهما واحدا اي هو من احاد الناس
اي هو من هو ليس بمشهور بحسب ولا نسب اذا حدث لا نعرف ولا يمكن
ان يقال عنه قال فلان بل يقال قال واحد وذلك غاية الخمول او لان
الارذل لا ينضم اليه احد قوله انا اذا لفي ضلال خطا وذهاب عن
الصواب وسعر يجوز ان يكون مفردا اي جنون يقال ناقة مسعورة
اي كالمجنونة في سيرها قال

كان بها سعرا اذا العيس هزها • ذميل وارخام من السير متعب

وان يكون جمع سعير وهو النار قاله سفيان بن عيينة والاحتمالان
منقولان قال ابن عباس معنى سعر عذاب وقال الحسن شدة عذاب
وقال قتادة عنا والمعنى انا اذن لفي عنا وعذاب ما يلزمنا من طاعته
وقال وهب معناه بعد عن الحق قوله االقي الذكر عليه من بيننا
معناه ءانزل عليه الذكر وهو الوحي من بيننا خالصا من بيننا عليه اي القي
عليه منفردا من بيننا اي خصص بالرسالة من بين آل ثمود وفيهم من
هو اكثر مالا واحسن حالا وهو استفهام بمعنى الانكار قوله بل هو
كذاب اشر الاشر البطر يقال اشر يأشر اشرا فهو اشر كفرح وآشر
كضارب واشران كسكران واسارى كسكارى وقرا ابو قلابة بل
هو الكذاب الاشر من الكذاب الاشر بفتح الشين وتشديد الراء جعلها
افعل تفضيل وهو شاذ لانه يحذف الهمزة من لفظ الخير والشر في افعل
التفضيل يقول زيد خير من عمرو وشر من بكر ولا يقول اخير ولا اشر
الا في نذور كهذه القراءة وكقول روبة • بلال خير الناس وابن الاخير
ويثبت فيهما في التعجب نحو ما اخيره وما اشره ولا يحذف الا في نذور
عكس افعل التفضيل قالوا ما خير اللبن للصحيح وما شره للمبطون
وهذا من محاسن الصناعة وقرا ابو قيس الاودي ومجاهد الحرف الثاني
الاشر بثلاث ضمات وتخريجها على ان فيه لغة اشر بضم الشين كحذر
وحذر ثم ضمت الهمزة اتباعا لضم الشين ونقل الكسائي عن مجاهد
ضم الشين وفتح الهمزة على اصل تلك اللغة كحذر فصل الاشر
التحير او النشاط يقال فرس اشر اذا كان مرحا نشيطا قال امرؤ القيس
يصف كلبا • فادركنا فغم داجن • سميع بصير طلوب نكر
الص الضروس حني الضلوع • تبوع اريب نشيط اشر
وقيل انه المتعدي الى منزلة لا يستحقها وقال ابن زيد وعبد الرحمن بن
حماد الاشر الذي لا يبالي ما قال وعلى قراءة ابي قلابة بفتح الشين وتشديد
الراء فالمعنى اشرنا واخبثنا • فان قيل قولهم هو كذاب يستدعي امرا
مضروبا عنه فما هو • فالجواب قولهم االقي للانكار فكانهم قالوا ما القي

ثم ان قولهم



ثم ان قولهم االقي عليه الذكر لا يقتضي الا انه ليس بنبي وقول القائل
ليس بنبي لا يلزم منه انه كاذب فكانهم قالوا ليس بنبي ثم قالوا هو ليس
بصادق قوله سيعلمون قرا ابن عامر وحمزة بالخطاب وفيه
وجهان • احدهما انه حكاية قول صالح لقومه • والثاني انه خطاب الله
على جهة الالتفات • والباقون بالغيبة جريا على الغيب قبله في قوله
فقالوا ابشرا واختارها مكي قال لان عليها الاكثر وغدا المراد به الذي
يلي يومك بل الزمان المستقبل كقول الطرماح •

الا عللاني قبل نوح النوائح • وقبل اضطراب النفس بين الجوانح
وقبل غد يا لهف نفسي على غد • اذا راح اصحابي ولست برائح

والمعنى سيعلمون غدا حين ينزل بهم العذاب • قال الكلبي يعني يوم القيمة
وذكر الغد للتقريب على عادة الناس يقولون ان مع اليوم غدا
فصل الكذاب فعال صيغة مبالغة لان المنسوب الى
الشي لا بد له ان يكثر من مزاولة الشي فان من خاط يوما لا يقال له خياط
فالمبالغة ههنا اما في الكثرة بان يكون كثير الكذب واما في الشدة اي
شديد الكذب يقول ما لا يقبله العقل ويحتمل ان يكونوا وصفوه
بذلك لاعتقادهم الامرين جميعا وقولهم اشر اشارة الى انه كذب
لا لضرورة وحاجة انما هو استغنى فبطر وطلب الرياسة قوله
انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها من الهضبة التي سالوا واتى باسم الفاعل
والاضافة مبالغة في تحقيقه كانه وقع قوله فتنة مفعول له
او مصدر من معنى الاول او في موضع الحال روي انهم تعنتوا على صالح
فسالوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمرا عشرا فقال الله انا مرسلوا
الناقة فتنة لهم محنة واختبارا فقوله فتنة مفعول له لان المعجزة فتنة
لان بها يتميز المثاب من المعذب فالمعجزة تصديق وحينئذ يفترق
المصدق من المكذب ويقال اخراج الناقة من الصخرة معجزة وورودها
بينهم وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال انا مرسلوا الناقة ولم يقل
مخرجوا قوله فارتقبهم اي انتظر ما يصنعون واصطبر اي اصبر على
اذاهم واصل الطاء في اصطبر تا فتحولت طاء لتكون تتبعه للصاد في الاطباق
قوله ونبئهم اي اخبرهم ان الماء قسمة بينهم اي بين آل ثمود وبين
الناقة لها يوم ولهم يوم كقوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم
فالضمير في نبئهم لقوم صالح والناقة فغلب العاقل وقرا العامة قسمة
بكسر القاف وروي عن ابي عمرو فتحها وهي قياس المرة والمعنى ان الماء مقسوم
بينهم فوصف بالمصدر مبالغة كقولك فلان عين الكرم قوله
كل شرب محتضر اي يحضره من هو له فالناقة تحضر الماء يوم وردها وتغيب
عنهم يوم ورودهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم
غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون والشرب
بالكسر الحظ من الماء وفي المثل اخرها اقلها شربا واصله من سقي الابل لان اخرها
يرد وقد نزف الحوض • واعلم ان قسمة الماء لان الناقة عظيمة الخلق ينفر
منها حيواناتهم فكان يوم للناقة ويوم لهم واما لقلة الماء فلا يحملهم واما
لان الماء كان مقسوما بينهم لان في يوم فيوم ورود الناقة على هولاء
يرجعون على الاخرين وكذلك الاخرون فيكون النقصان على الكل ولا تختص
الناقة بجميع الماء وروي انهم كانوا يكتفون في يوم ورودها بلبنها وليس في الاية
الا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله كل شرب محتضر يعضد الوجه الثالث
وحضر واحتضر بمعنى واحد قوله فنادوا صاحبهم قبله محذوف اي

فتمادوا على ذلك ثم هلوه فعزموا على عقرها فنادوا صاحبهم فتعاطى
مطاوع عاطى كانهم كانوا ابتدوا فعوق ذلك حتى تولاه اشقاها • والمعنى
فنادوا صاحبهم نداء المستغيث وهو قدار بن سالف وكان اشجعهم
وقيل كان رئيسهم فتعاطى آلة العقر او الناقة او هو عبارة عن الاقدام
على الفعل العظيم وتحقيقه ان الفعل العظيم يتبرا منه كل احد ويعطيه
صاحبه او جعلوا له جعلا فتعاطاه • قال محمد بن اسحاق كمن لها في اصل
شجرة على طريقها فرماها فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها
بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها
قال ابن عباس كان الذي عقرها احمر ازرق اشقر اكشف اقفى يقال له
قدار بن سالف والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف
مشوم آل ثمود قال مهلهل

☙ انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ☙ ضرب القدار نقيعة الندم ☙

قوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يريد صيحة جبريل كما تقدم
فكانوا كهشيم المحتظر العامة على كسر الظا اسم الفاعل وهو الذي
يتخذ حظيرة من حطب وغيره وقرا ابو السمال وابو حيوة وابو رجا
وعمرو بن عبيد بفتحها فقيل هو مصدر اي كهشيم الاحتظار • وقيل هو
اسم مكان وقيل هو اسم مفعول وهو الهشيم نفسه ويكون من باب
اضافة الموصوف لصفته كمسجد الجامع والحظر المنع وقد تقدم
تحريره في سبحان فصل كان في قوله فكانوا قيل بمعنى صاروا
كقوله ☙ فكان فراخا بيوضها ☙ اي صارت والهشيم المهشوم
المكسور ومنه سمي هاشما كانوا كالحشيش المنكسر الذي يخرج من الحظار
بدليل قوله هشيما تذروه الرياح وهو من باب اقامة الصفة مقام
الموصوف وتشبيههم بالهشيم اما لكونهم يابسين كالموتى الذين ماتوا
من زمان او لانضمام بعضهم الى بعض كما ينضم الرفقا عند الخوف يدخل
بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كما يجمع الحاطب الحطب
يصفه شيا فوق شي منتظرا حضور من يشتريه ويحتمل ان يكون
ذلك لبيان كونهم في الجحيم اي كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد
كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله فكانوا
لجهنم حطبا فصل بقي في الاية مباحث منها قوله تعالى فكيف كان
عذابي ونذر • اعلم ان هذه الاية ذكرت في ثلاثة مواضع ذكر في حكاية
نوح بعد بيان العذاب وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها
في حكاية عاد قبل بيانه وبعده فحيث ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول
العارف بحكاية لغير العارف هل تعلم كيف كان امر فلان وغرضه ان
يقول اخبرني عنه وحيث ذكرها بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم
كقول القائل ضرب فلان اي ضرب وايما ضرب ويقول ضربته وكيف
ضربته اي قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام ومنها
ان في حكاية نوح ذكر الذي للتعظيم وفي حكاية ثمود ذكر الذي للبيان لان
عذاب قوم نوح كان بامر عظيم وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك
عذاب قوم هود فانه كان مختصا بهم فصل اعلم انه تعالى
ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة مذكورة على اتم
وجه لان حال صالح كان اكثر مشابهة بحال محمد عليهما الصلوة والسلام لانه
اتى بامر عجيب ارضي وكان اعجب مما جاء به الانبيا لان عيسى عليه الصلوة
والسلام احيا الميت لكن الميت كان محلا للحياة فقامت الحياة باذن الله

[illegible]

في محل

في محل كان قابلا لها وموسى عليه الصلوة والسلام انقلب عصاه ثعبانا
فاثبت الله في الخشب الحياة باذن الله لكن الخشب نبات كان له قوة
في النمو فاشبه الحيوان في النمو وصالح عليه الصلوة والسلام كان الظاهر
زيده خروج الناقة من الحجر والحجر جماد ليس محلا للحياة ولا محلا للنمو
والنبي عليه الصلوة والسلام اتى باعجب من الكل وهو التصرف في الجرم السماوي
الذي يقول المشرك لا وصول لاحد الى السماء واما الارضيات فقالوا انها
اجسام مشتركة المواد يقبل كل واحد منها صورة الاخرى والسماويات
لا تقبل ذلك فلما اتى بما اعترفوا بانه لا يقدر على مثله ادمي كان اتم
وابلغ من معجزة صالح عليه الصلوة والسلام التي هي اتم من معجزة ساير
الانبيا غير محمد عليه الصلوة والسلام فصل من قرا المحتظر
بفتح الظا اراد الحظيرة ومن قراها بالكسر اراد صاحب الحظيرة ونقل
القرطبي عن صاحب الصحاح قال من كسر جعله الفاعل ومن فتح جعله
المفعول ويقال للرجل القليل الخير انه لنكد الحظيرة قال ابو عبيدة
اراه سمي امواله حظيرة لانه حظرها عنده ومنعها وهي فعيلة بمعنى
مفعولة وقال المهدوي من فتح الظا من المحتظر فهو مصدر والمعنى
كهشيم الاحتظار ويجوز ان يكون المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة قال
ابن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك فما سقط
من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم قال ابن عباس

☙ اثرن عجاجة كدخان نار ☙ تشب بغرقد بال هشيم ☙

وعنه الحشيش تاكله الغنم • وعنه ايضا كالعظام النخرة المحترقة
وهو قول قتادة • وقال سعيد بن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان
في يوم ريح • وقال سفيان الثوري هو ما يتناثر من الحظيرة اذا ضربتها
بالعصا وهو فعيل بمعنى مفعول وقال ابن زيد العرب تسمي كل شي كان
رطبا فيبس هشيما والحظر المنع والمحتظر المفتعل يقال منه احتظر على ابله
وحظر اي جمع الشجر بعضه على بعض ليمنع برد الريح والسباع عن ابله
قال الشاعر

☙ ترى جيف المطي بجانبيه ☙ كان عظامها خشب الهشيم ☙

وعن ابن عباس ايضا انهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم فالهشيم فتات
السنبلة والتبن روى ابو الزبير عن جابر قال لما نزلنا الحجر في
مغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك قال ايها الناس لا
تسالوا في الايات هؤلاء قوم صالح سالوا نبيهم ان يبعث لهم ناقة
فبعث الله عز وجل اليهم الناقة وكانت ترد من ذلك الفج فتشرب
ماءهم يوم ورودها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون منها يوم
غبها قوله كذبت قوم لوط بالنذر اخبر عن قوم لوط ايضا
لما كذبوا لوطا ثم قال انا ارسلنا عليهم حاصبا والحاصب فاعل من حصب
اذا رمي بالحصا وهي الحجارة • قال النضر الحاصب الحصبا في الريح وقال
ابو عبيدة الحاصب الحجارة • وفي الصحاح الحاصب الريح الشديدة
التي تثير الحصبا وكذلك الحصبة قال لبيد

☙ جرت عليها ان خوت من اهلها ☙ اذيالها كل عصوف حصبه ☙

عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف وقال الفرزدق

☙ مستقبلين شمال الشام تضربنا ☙ بحاصب كنديف القطن منثور ☙

قوله الا آل لوط فيه وجهان احدهما انه متصل ويكون المعنى انه
ارسل الحاصب على الجميع الا اهله فانه لم يرسل عليهم والثاني انه

منقطع قال شهاب الدين ولا ادري ما وجهه فان الانقطاع وعدمه
عبارة عن عدم دخول المستثنى في المستثنى منه وهذا داخل ليس الا
وقال ابو البقا هو استثنا منقطع وقيل متصل لان الجمع ارسل عليهم
الحاصب فهلكوا الا ال لوط وعلى الوجه الاول يكون الحاصب
لم يرسل لم يرسل على ال لوط انتهى وهو كلام مشكل **فصل**
قال ابن الخطيب الحاصب رامي الحصبا وهي الحجارة كقوله وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل وقول الملايكة لنرسل عليهم حجارة من طين مع
ان المرسل عليهم ليس بحاصب فيحتمل ان يكون المعنى لنرسل عليهم
ريحا حاصبا بالحجارة ويجوز تذكير الريح لان تانيثها غير حقيقي ويحتمل
ان يكون المراد عذاب حاصب اولا انا ارسلنا يدل على مرسل وهو المرسل
الحجارة وحاصبها وافرد للجنس • وقوله انا ارسلنا كانه جواب من قال
كيف كان امرهم والاستثنا في قوله الا ال لوط من الضمير في عليهم وهو
يعود على قوم لوط فيقتضي ان اله كذبوا لكن قد يكون اهله قليلا فهم
ظاهر اللفظ فبين بالاستثنا خروجهم لان المقصود بيان من هلك
وبيان من نجا او يكون الاستثنا من كلام مدلول عليه اي فما انجينا
من الحاصب الا ال لوط ويكون الارسال عليهم والاهلاك عاما فكان
الحاصب اهلك من كان الارسال عليه مقصودا وغيرهم كالاطفال
والدواب والمراد بال لوط من تبعه على دينه ولم يكن الانتباه •
قوله نجيناهم بسحر تفسير وجواب لقايل يقول فما كان من شان
ال لوط كقوله تعالى ابى بعد قوله الا ابليس وقد تقدم في البقرة **قوله**
بسحر الباحالية او ظرفيه وانصرف سحرا لانه نكرة ولو قصد به
وقت بعينه لمنع من الصرف للتعريف والعدل عن ال هذا هو المشهور
وزعم صدر الافاضل انه مبني على الفتح كامس مبنيا على الكسر ونعمة
اما مفعول له واما مصدر بفعل من لفظها او من معنى نجيناهم لان تنجيتهم
انعام فالتاويل اما في العامل واما في المصدر ومن عندنا اما متعلق
بنعمة واما بمحذوف صفة لها والكاف في كذلك نعت مصدر
محذوف اي مثل ذلك الجزا نجزي **فصل** قال الاخفش
انما جر سحر لانه نكرة ولو اراد سحر يوم بعينه لم يجره وكذا قال
الزجاج سحرا اذا كان نكرة يراد به سحر من الاسحار يصرف تقول اتيته
سحرا هذا واتيته بسحر والسحر هو ما بين اخر الليل وطلوع الفجر
وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض النهار لان في هذا الوقت
يكون مخايل الليل ومخاييل النهار نعمة من عندنا انعاما منا على لوط
وابنتيه كذلك نجزي من شكر اي كما جزينا لوطا واهله بالانجا فكذلك
نجزي من شكر اي امن بالله واطاعه • قال المفسرون هو وعد لامة محمد
عليه الصلوة والسلام بانه يصونهم عن الهلاك العام • قال ابن الخطيب
ويمكن ان يقال هو وعد لهولا بالثواب يوم القيمة كما انجاهم في الدنيا
من العذاب لقوله تعالى ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي
الشاكرين **قوله** ولقد انذرهم بطشتنا البطشة العذاب
الذي اصابهم او هي عذاب الاخرة لقوله يوم نبطش البطشة الكبرى
وقوله فتماروا بالنذر اي فشكوا فيما انذرهم به الرسول ولم يصدقوه
وهو تفاعلوا من المرية وهذه الاية تدل على ان المراد بالنذر الانذارات
قوله ولقد راودوه عن ضيفه المراودة من الرود يقال راودته
على كذا مراودة ورودا اي اردته وراد الكلام يروده رودا اورياد ا

وارتاده

٨١

وارتاده ارتيادا اي طلبه وفي الحديث اذا بال احدكم فليرتد لبوله
اي يطلب مكانا لينا او منحدرا قال ابن الخطيب ومنه الارادة وهي
المطالبة غير ان المطالبة تستعمل في العين يقال طالب زيد عمروا بالدين   راهم
والمراودة لا تستعمل الا في العمل فيقال راوده عن المساعدة ولهذا تعدى
المراودة الى مفعول ثان والمطالبة بالبا وذلك لان الشغل منوط
باختيار الفاعل والعين قد توجد من غير اختيار منه ولهذا يفترق
الحال بين قولك اخبرني عن امر زيد واخبرني بامر زيد وكذا قوله اخبرني
زيد عن مجي فلان وقوله اخبرني بمجيه فان من قال عن مجيه ربما يكون
الاخبار عن كيفية المجي لا عن نفسه • واخبرني بمجيه لا يكون الا عن نفس
المجي والضيف يقع على الواحد وعلى الجماعة والمعنى ارادوا منه تمكينهم
ممن اتاه من الملايكة **قوله** فطمسنا اعينهم قرا العامة فطمسنا
مخففا وابن مقسم مشددا على التكثير لاجل المتعلق او لشدة الفعل
في نفسه والضمير في راودوه عايد على قول لوط واسند اليهم لان جميعهم
راض بذلك والمراد الذين دخلوا عليه • روي ان جبريل عليه الصلوة
والسلام ضربهم بجناحه فعموا وقيل صارت اعينهم كساير الوجه
لا يرى لها شق كما تطمس الريح الاثر والاعلام بما تسفي عليها من التراب
وقال الضحاك بل اعماهم الله تعالى فلم يروا الرسل وقالوا قد راينا هم
حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم وهذا قول ابن
عباس • فان قيل قال ههنا فطمسنا اعينهم وقال في يس ولو نشا
لطمسنا على اعينهم فما الفرق • فالجواب هذا يويد قول ابن عباس بان
المراد من الطمس الحجب عن الادراك ولم يجعل على بصرهم شي وفي يس
اراد انه لو شا لجعل على بصرهم غشاوة او ازال احد الجفنين بالاخر
فيكون العين جلدة • وروي انهم صارت اعينهم مع وجوههم كالصفحة
الواحدة **قوله** فذوقوا عذابي ونذر الخطاب لهم اي فقلنا على
لسان الملايكة فذوقوا وهو خطاب مع كل مكذب اي ان كنتم تكذبون
فذوقوا قال القرطبي والمراد من هذا الامر الخبر اي فاذقتهم عذابي
الذي انذرهم به لوط • فان قيل الذوق كيف يذاق • فالجواب معناه
مجازاة فعلك وموجبه • فان قيل اذا كان المراد بقوله عذابي هو
العذاب العاجل وبقوله ونذر هو العذاب الاجل فهما لم يكونا في زمان
واحد فكيف قال ذوقوا • فالجواب ان العذاب الاجل اوله متصل
باخر العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد وهو قوله تعالى اغرقوا
فادخلوا نارا **قوله** ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر انصرف بكرة
لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه امتنع الصرف للتانيث والتعريف
وهذا كما تقدم في غدوة ومنعها زيد بن علي من الصرف ذهب بها الوقت
بعينه قال صاحب المختصر انتصب بكرة على الظرف اي بكرة من البكر
كقوله اسرى بعبده ليلا قال الزمخشري والتنكير يدل على انه كان
في بعض الليل وتمسك بقراة من قرا من الليل • قال ابن الخطيب وهو
غير ظاهر والاظهر ان يقال اربا لوقت المبهم يذكر لبيان ان تعيين الوقت
ليس بمقصود للمتكلم كقوله خرجنا في بعض الاوقات مع ان الخروج لا بد
وان يكون في بعض الاوقات وكذلك قوله صبحهم بكرة اي بكرة من البكر
واسرى بعبده ليلا اي ليلا من الليالي ولا تنسه • ومعنى صبحهم قال لهم
عواصا خا كقوله فبشرهم بعذاب اليم والمراد بقوله بكرة اول النهار الصبح
او انتصب بكرة على المصدر كقولك ضربته سوطا لان الضرب يكون بالسوط

وغيره وكذلك الصبح يكون بكرة وبعدها ومعنى مستقرا اي ثابت
عليهم لا يدفعه احد عنهم او دايم لانهم انتقلوا منه الى العذاب الجحيم وهو
دايم او بمعنى قدره الله عليهم وقضاه ولم يصبهم بطريق الاتفاق
وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها • وقوله فذوقوا
عذابي ونذر اي العذاب الذي نزل بهم من طمس الاعين غير العذاب الذي
اهلكوا به فلذلك حسن التكرير قوله ولقد جاء ال فرعون النذر
المراد بالآل خواصه والنذر موسى وهارون وقد يطلق لفظ الجمع على
الاثنين • وقيل المراد بآل فرعون القبط • فان قيل ما الفايدة من قوله
آل فرعون بدل قوم فرعون • فالجواب ان القوم اعم من الآل فالقوم
كل من يقوم الرئيس بامرهم او يقومون بامره وقوم فرعون كانوا كثيرة
بحيث لا يحيا لعونه في قليل ولا كثير فارسل اليهم الرسول وحده غير انه
كان عنده جماعة من المقربين مثل قارون حتى تقدم عنده لماله العظيم
وهامان لدهايه فاعتبرهم الله في الارسال حيث قال في مواضع
ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه وقال الى فرعون وهامان
وقارون وقال في العنكبوت وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم
موسى لانهم ان امنوا امن الكل بخلاف الاقوام الذين كانوا قبلهم فعلامهم
فقال ولقد جاء ال فرعون النذر وقال ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
فان قيل كيف قال ولقد جاء ال فرعون النذر وقال ادخلوا ال فرعون
اشد العذاب فان قيل كيف قال ولقد جاء ولم يقل في غيره جاء فالجواب
لان موسى عليه الصلوة والسلام لما جاءهم كان غايبا عن القوم فقدم عليهم
كما قال فلما جاء ال لوط المرسلون وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
حقيقة ايضا لانه جاءهم من الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه
من الطور حقيقة والنذر الرسل وقد جاءهم يوسف وبنوه الا ان جاءهم
موسى وقيل النذر الانذارات قوله كذبوا باياتنا فيه وجهان
احدهما ان الكلام تم عند قوله ولقد جاء ال فرعون النذر وقوله كذبوا
كلام مستانف والضمير عايد الى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح الى ال فرعون
الثاني ان الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم فكانه قال فكيف كانت
فقال فكذبوا باياتنا كلها فاخذناهم فعلى الوجه الاول باياتنا كلها
ظاهر وعلى الثاني المراد بالايات التي كانت مع موسى عليه الصلوة والسلام
كالعصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم قوله فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر هو مصدر مضاف لفاعله
والمعنى اخذناهم بالعذاب اخذ عزيز غالب في انتقامه مقتدر قادر
على اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف اهل مكة فقال اكفاركم خير من اوليكم
اي اشد واقوى من الذين احللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط
وهذا استفهام بمعنى الانكار اي ليسوا باقوى منهم ومعناه يعني اي ليس كفاركم
خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم وقوله خير مع انه لا خير
فيهم اما ان يكون كقول حسان ... فشركما لخيركما الفداء ... او هو بحسب
زعمهم واعتقادهم او المراد بالخير شدة القوة او لان كل ممكن فلا بد وان
يكون فيه صفات محموده فالمراد تلك الصفات ام لكم براءة في الزبر اي الكتب
المنزلة على الانبيا عليهم الصلوة والسلام بالسلامة من العقوبة وقال
ابن عباس ام لكم في اللوح المحفوظ براءة من العذاب قوله ام يقولون
العامة على الغيبة التفاتا وابو حيوة وابو البرهسم وموسى الاسواري
بالخطاب جريا على ما تقدم من قوله اكفاركم الى اخره والمعنى نحن جماعة لا نطاق

لكثرة

لكثرة عددهم وقوتهم ولم يقل منتصرين اتباعا لرؤوس الاي • قال
ابن الخطيب قولهم جميع يحتمل الكثرة والاتفاق • ويحتمل ان يكون معناه
نحن جميع الناس اشارة الى ان من امن لا عبرة به عندهم كقول قوم نوح
انومن لك واتبعك الارذلون فيكون التنوين فيه عوضا من الاضافة
وافرد منتصر مراعاة للفظ جمع او يكون مرادهم كل واحد منا منتصر كقوله
كلهم ءاتيه اي كل واحد فيكون المعنى ان كل واحد منا غالب فرد الله عليهم
بانهم يهزمون جميعهم قوله سيهزم الجمع العامة على سيهزم مبنيا
للمفعول والجمع مرفوع به وقرئ ستهزم بفتح التاء خطابا للرسول
عليه الصلوة والسلام الجمع منصوب به وابو حيوة في رواية يعقوب
سنهزم بنون العظمة والجمع منصوب ايضا وروي عن ابي حيوة
ايضا وابن ابي عبلة سيهزم بيا الغيبة مبنيا للفاعل الجمع منصوب
اي سيهزم الله ويولون العامة على الغيبة وابو حيوة وابو عمرو في رواية
وتولون بتا الخطاب وهي واضحة والدبر هنا اسم جنس وحسن هنا
لوقوعه فاصلة بخلاف ليولن الادبار وقال الزمخشري اي الادبار كما
قال ... كلوا في بعض بطنكم تعفوا ... وقرئ الادبار قال ابو حيان وليس
مثل بعض بطنكم لان الافراد هنا له محسن ولا محسن لافراد بطنكم
قال ابن الخطيب وافرد الدبر هنا وجمع في غيره لان الجمع هو الاصل
لان الضمير ينوب مناب تكرار العاطف فكانه قيل يولي هذا وهذا
وافرد لمناسبة المقاطع وهو اشارة الى ان جميعهم يكونون في الانهزام
كشخص واحد واما قوله فلا تولوهم الادبار فجمع لان كل واحد براسه
منهي عن ذلك واما قوله ولين نصروهم ليولن الادبار فجمع لافتراق
قلوبهم كقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى واما قوله ولقد عاهدوا الله
من قبل لا يولون الادبار اي كل واحد قال انا اثبت ولا اولي دبري
فصل قال مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف
وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فانزل الله ام يقولون نحن
جميع منتصر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول
لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم جميعا والساعة
ادهى وامر اعظم نايبة واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر وفي
رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يثب في درعه ويقول اللهم ان قريشا
جادتك وتحاد رسولك بفخرها بخيلها فاحنهم للغداة ثم قال سيهزم الجمع
ويولون الدبر قال عمر عرفت تاويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال ابن عباس كان بين
نزول هذه الاية وبين بدر سبع سنين فالاية على هذا مكية وفي البخاري
عن عايشة ام المومنين قالت لقد انزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة
واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وعن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر انشدك
عهدك ووعدك اللهم ان شيت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر
بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك وهو في الدرع فخرج
وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم يريد يوم القيمة
والساعة ادهى وامر مما لحقهم يوم بدر فصل ادهى من الداهية وهي
الامر العظيم يقال دهاه امر كذا اذا اصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت
دهته داهية دهوا ودهيا وهي توكيد لها قوله ان المجرمين في ضلال



وسعر قوله في ضلال بعد عن الحق قال الضحاك وسعر اي نار تسعر عليهم وقيل ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة وسعر جمع سعير نار مسعرة وقال الحسين بن الفضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة وقال قتادة في عنا وعذاب ثم بين عذابهم تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر **فصل** اكثر المفسرين على ان هذه الآية في القدرية وفي الحديث انها نزلت في القدرية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله ان المجرمين في ضلال وسعر واعلم ان الجبري يقول القدري من يقول الطاعة والمعصية بفعل فيهم منكرون التقدير والمعتزلي يقول الجبري قدري لانه يقول الخير والشر بقدرة الله فكل فهو يثبت القدر والفريقان متفقان على ان السني القايل بان الافعال بخلق الله وبسبب من العبد ليس بقدري وقال ابن الخطيب والحق ان القدري هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب لما روي ان قريشا خاصموا في القدر ومذهبهم ان الله مكن العبد من الطاعة والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على ان يطعم الفقير ولهذا قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه منكرين لقدرته تعالى على الاطعام واما قوله عليه الصلوة والسلام القدرية مجوس هذه الامة فان اريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدرية في زمانه هم المشركون المنكرون قدرته على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد بالامة من آمن به عليه الصلوة والسلام فمعناه ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة لكن المجوس اضعف الكفرة المتقدمين شبهة واشد مخالفة للعقل وكذا القدرية في هذه الامة وكونهم كذلك لا يقتضي الجزم بكونهم في النار فالحق ان القدري هو الذي ينكر قدرة الله تعالى **فصل** روى مسلم عن ابي هريرة قال جا مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله انا كل شي خلقناه بقدر • روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق كلها من قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الما وعن طاوس اليماني قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شي بقدر الله وسمعت من عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شي بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن بالله عبد حتى يومن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويومن بالبعث بعد الموت ويومن بالقدر وزاد عبيد الله خيره وشره وهذه الآية تبطل مذاهب القدرية **قوله** ذوقوا فيه اضمار القول وقرا ابو عمرو في رواية محبوب عنه مس سقر وخطا ابن مجاهد وهو معذور لان السين الاخيرة من مس مدغم فيها فلا تدغم في غيرها لانه متى ادغم فيها لزم تحريكها ومتى ادغمت هي لزم سكونها فتنافي الجمع بينهما قال ابو حيان والظن بابي عمرو انه لم يدغم حتى حذف احد المثلين لاجتماع الامثال ثم ادغم قال شهاب الدين كلام ابن مجاهد انما هو فيما قالوه انه ادغم اما اذا حذف وادغم فلا اشكال وسقر علم لجهنم اعاذنا الله منها مشتقة من سقرته الشمس والنار اي لوحته ويقال صقر

بالصاد

بالصاد وهي مبدلة من السين لاجل القاف قال ذو الرمة شعر

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها • بافنان مربوع الصريمة معبل

وسقر ممنوع الصرف لان حركة الوسط تنزلت منزلة الحرف الرابع كعقرب وزينب قال القرطبي وسقر اسم من اسماء جهنم مونث لا ينصرف لانه اسم مونث معرفة وكذلك لظى وجهنم وقال عطا سقر الطبق السادس من النار قال قطرب ويوم مستقر ومصمقر شديد الحر ومسها ما يوجد من الالم عند الوقوع فيها **فصل** العامل في يوم يسحبون يحتمل ان يكون منصوبا بعامل مفهوم غير مذكور وهذا العامل يحتمل ان يكون سابقا وهو قوله ان المجرمين في ضلال والعامل في الحقيقة على هذا الوجه ايضا مفهوم من في كانه قيل بمعنى كاين غير ان ذلك صار نسيا منسيا ويحتمل ان يكون متاخرا وهو قوله ذوقوا تقديره ذوقوا مس سقر يوم يسحب المجرمون والخطاب يوميذ مع من خوطب بقوله اكفاركم ام لكم ويحتمل ان يكون منصوبا بالقول المقدر اي يقال لهم يوم يسحبون ذوقوا والمس المشهور والذوق استعارة للمبالغة لقوة الادراك في الذوق فان الانسان يشارك غيره في اللمس ويختص بادراك الطعوم فيحصل الالم العظيم والمعنى ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر يوم يسحب المجرمون المتقدمون في النار **قوله** انا كل شي خلقناه العامة على نصب كل على الاشتغال وابو السمال بالرفع وقد رجح الناس بل بعضهم اوجب النصب قال لان الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد اهل السنة وذلك انه اذا رفع كل شي كان مبتدا وخلقناه صفة لكل او لشي وبقدر خبره وحينيذ يكون له مفهوم لا يخفى على متامله فيلزم ان يكون الشي الذي ليس مخلوقا لله تعالى لا بقدر كذا قرره بعضهم وقال ابو البقا وانما كان النصب اولى لانه يدل على عموم الخلق والرفع لا يدل على عمومه بل يفيد ان كل شي مخلوق فهو بقدر وقال مكي بن ابي طالب كان الاختيار على اصول البصريين رفع كل كما ان الاختيار عندهم في قولك زيد ضربته الرفع والاختيار عند الكوفيين النصب فيه بخلاف قولنا زيدا كرمته لانه قد تقدم في الآية شي عمل فيما بعده وهو ان والاختيار عندهم النصب فيه وقد اجمع القرا على النصب في كل على الاختيار فيه عند الكوفيين ليدل ذلك على عموم الاشيا المخلوقات انها لله تعالى بخلاف ما قاله اهل الزيغ من ان ثم مخلوقات لغير الله تعالى وانما دل النصب في كل على العموم لان التقدير انا خلقنا كل شي خلقناه بقدر فخلقناه تاكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل واذا حذفته واظهرت الاول صار التقدير انا خلقنا كل شي بقدر فخلقناه تاكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شي فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات ولا يجوز ان يكون خلقناه صفة لشي لان الصفة والصلة لا يعملان فيما قبل الموصوف ولا الموصول ولا يكونان تفسيرا لما يعمل فيما قبلهما فاذا لم يبق خلقناه صفة لم يبق الا انه تاكيد وتفسير للمضمر الناصب وذلك يدل على العموم وايضا فان النصب هو الاختيار فاذا انضاف اليه معنى العموم والخروج عن الشبه كان النصب اولى من الرفع وقال ابن عطية وقوم من اهل السنة بالرفع قال ابو الفتح هو الوجه في العربية وقراتنا بالنصب مع الجماعة وقال الزمخشري كل شي منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقري كل شي بالرفع والقدر والقدر والتقدير وقرى بهما اي خلقنا كل شي مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح المحفوظ معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه انتهى وهو هنا لم يتعصب للمعتزلة لضعف وجه الرفع وقال قوم اذا كان

الفعل يتوهم فيه الوصف اي ما بعده يصلح للخبر وكان المعنى على ان يكون
الفعل هو الخبر اختير النصب في الاسم الاول حتى يتضح ان الفعل ليس بصفة
ومنه هذا الموضع لان قراءة الرفع تخيل ان الفعل وصف وان الخبر يقدر
بعده وقد تنازع اهل السنة والقدرية في الاستدلال بهذه الاية فاهل
السنة يقولون كل شي فهو مخلوق لله تعالى بقدر ودليلهم قراءة النصب
لانه لا يفسر في هذا التركيب الا ما يصح ان يكون خبرا لو رفع الاول على الابتدا
وقال القدرية القراءة برفع كل وخلقناه في موضع الصفة لكل اي امرنا
او شاننا كل شي خلقناه فهو بقدر او بمقدار وعلى حد ما هيته وزمنه
وقال بعض العلما في القدر هنا وجوه احدها ان المقدار في ذاته وفي
صفاته ❁ الثاني التقدير لقوله فقدرنا فنعم القادرون وقال الشاعر ❁
وقد قدر الرحمن ما هو قادر ❁ اي ما هو مقدر الثالث القدر الذي
يقال مع القضا كقولك كان بقضا الله وقدره فقوله بقدر على قراءة النصب
متعلق بالفعل الناصب وفي قراءة الرفع في محل رفع لانه خبر لكل وخبرها في محل
رفع خبر لان وسياق قريبا انه عكس هذه اعني في اختيار الرفع وهي قوله تعالى
وكل شي فعلوه في الزبر فانه لم يختلف في رفعه قالوا لان نصبه يودي الى فساد
المعنى لان الواقع خلافه وذلك انه لو نصبه لكان التقدير فعلوا كل شي
في الزبر وهو خلاف الواقع اذ في الزبر اشيا كثيرة جدا لم يفعلوها واما قراءة
الرفع فتودي الى ان كل شي فعلوه هو ثابت في الزبر وهو المقصود فلذلك
اتفق على رفعه وهذان الموضعان من نكت المسايل العربية التي اتفق
مجيهما في سورة واحدة في مكانين متقاربين ومما يدل على جلالة علم الاعراب
وافهامه المعاني الغامضة فصل قال اهل السنة ان الله تعالى
قدر الاشيا اي علم مقاديرها واحوالها وازمانها قبل ايجادها ثم اوجدها
ما سبق في علمه فلا يحدث في العالم العلوي والسفلي الا وهو صادر عن علمه
تعالى وقدرته وارادته دون خلقه وان الخلق ليس لهم فيها الا نوع اكتساب
ومحاولة ونسبة واضافة وان ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله وقدرة الله
والهامه سبحانه لا اله الا هو ولا خالق غيره كما نص عليه القران والسنة
لا كما قال القدرية وغيرهم من ان الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا قال
ابو ذر قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الاعمال
الينا والاحوال بيد غيرنا فنزلت هذه الايات الى قوله انا كل شي خلقناه
بقدر فقالوا يا محمد تكتب علينا الذنب وتعذبنا فقال انتم خصما الله
يوم القيامة فصل روى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس هذه الامة المكذبين
بقدر الله ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وان لقيتموهم
فلا تسلموا عليهم خرجه ابن ماجة في سننه وخرج ايضا ابن عباس وجابر
قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهم في الاسلام
نصيب اهل الارجا والقدر قوله وما امرنا الا واحدة اي الا كلمة
واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر اي قضاي في خلقي اسرع من لمح البصر واللمح
النظر بالعجلة يقال لمح البرق ببصره وفي الصحاح لمحه وألمحه اذا ابصره بنظر
خفيف والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم لمحا اي لمع قال البغوي في قوله
واحدة يرجع الى المعنى دون اللفظ اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل معناه
وما امرنا للشي اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كما تقدم وهي رواية عطا
عن ابن عباس وروى الكلبي عنه وما امرنا بمجي الساعة في السرعة الا كطرف
البصر فصل قال ابن الخطيب ان الله تعالى اذا اراد شيا قال

لكن

لكن فهناك شيان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضا
وقوله واحدة يحتمل امرين احدهما بيان انه لا حاجة الى تكرير القول
اشارة الى نفاذ الامر الثاني بيان عدم اختلاف الحال فامره عند خلق
العرش العظيم كامره عند خلق النملة الصغيرة فامره عند الكل واحد
وقوله كلمح بالبصر تشبيه للكون لا تشبيه للامر فكانه قال امرنا واحدة فاذا
المامور كاين كلمح بالبصر لانه لو كان راجعا الى الامر لا يكون ذلك صفة مدح
يليق به فان كلمة كن ايضا توجد كلمح بالبصر ومعنى كلمح بالبصر كنظر
العين والبا للاستعانة مثل كتبت بالقلم دخلت على الالة ونظيرها
لانها اسرع حركة في الانسان لان العين وجد فيها قرب المحرك فان
المحرك العصب ومنبتها الدماغ وهو في غاية القرب من العين وصغر
حجمها فانه لا يثقل على المحرك ولا يثقل عليه بخلاف العظام واستدارة
شكلها فان دحرجة الكرة اسرع من دحرجة المثلث والمربع ولانها في رطوبة
مخلوقة في العضو الذي هو موضعها وهو الحكمة في كثرة المرئيات بخلاف
الماكولات والمسموعات والمفاصل التي تنفصل بالارجل والمذوقات
فلولا سرعة حركة الالة التي بها ادراك المبصرات لما وصل الى الكل الا بعد
طول زمان وقيل معنى كلمح بالبصر البرق يمر به سريعا فالبا تكون
للاضافة نحو مررت به وفي قوله كلمح بالبصر ولم يقل كلمح البرق فايدة
وهي ان لمح البرق له مبدا ونهاية فالكبير بالبصر نهاية يكون اقل من خلقة
ما يحدث في القلة ونهاية السرعة قوله ولقد اهلكنا اشياعكم اي
اشباهكم ونظراكم في الكفر من الامم السالفة وقيل اتباعكم واخوانكم
فهل من مدكر اي مذكر ويعلم ان ذلك حق فيخاف ويعتبر وكل شي فعلوه
في الزبر اي جميع ما فعلته الامم قبلكم من خير او شر فانه مكتوب عليهم
اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في ام الكتاب قال
القرطبي وهذا بيان انا كل شي خلقناه بقدر اي في الزبر اي في اللوح
المحفوظ قوله وكل صغير وكبير مستطر اي كل ذنب صغير وكبير
مكتوب على عامله قبل ان يفعله وقرا العامة مستطر بتخفيف
الرا من السطر وهو الكتب اي مكتتب يقال سطرت واستطرت
وكتبته واكتتبته ❁ وقرا الاعمش وعمران بن حدير وروي عن عاصم
بتشديدها وفيه وجهان ❁ احدهما انه مشتق من طر الشارب والنبات
اي ظهر ونبت بمعنى ان كل شي قل او كثر ظاهر في اللوح غير خفي فوزنه
مستفعل كمستخرج ❁ والثاني انه من الاستطار كقراءة العامة وانما شددت
الرا من اجل الوقف لغة لهم هذا جعفر ونحو ثم اجري الوصل مجرى الوقف
فوزنه مفتعل كقراءة الجمهور قوله ان المتقين في جنات ونهر العامة
بالافراد وهو اسم جنس بدليل مقارنته للجمع وهاؤها مفتوحة كما هو الفصيح
وسكنها مجاهد والاعرج وابو السمال والفياض وهي لغة تقدم الكلام
عليها اول البقرة قال ابن جريج يعني انهار الماء والخمر والعسل ووحده لانه
راس اية ثم الواحد قد ينبى عن الجمع وقال الضحاك ليس المراد هنا نهر
الما وانما المراد به سعة الارزاق لان المادة تدل على ذلك كقول قيس
ابن الحطيم ❁
❁ ملكت بها كفي فانهرت فتقها ❁ يرى قايم من دونها ما وراءها ❁
اي وسعت ومنه انهرت الجرح ومنه النهار لضيايه وقرا ابو نهيك
وابو مجلز والاعمش وزهير الفرقبي ونقله القرطبي عن طلحة بن مصرف
والاعرج وقتادة ونهر بضم النون والها وهي تحتمل وجهين ❁ احدهما

ان يكون جمع نهر بالتحريك وهو الاولى نحو اسد في اسد والثاني ان
يكون جمع الساكن نحو سقف في سقف ورهن في رهن والجمع مناسب
الجمع قبله في جنات وقرا العامة بافراده ابلغ وقد تقدم كلام ابن عباس
في قوله تعالى في اخر البقرة وملائكته وكتابه بالافراد انه اكثر من الكتب
وتقدم ايضا تقرير الزمخشري لذلك قال القرطبي كان جمع نهار لا ليل
كسحاب وسحب قال الفرا انشدني بعض العرب

ان تك ليليا فاني نهر ... متى ارى الصبح فلا انتظر

اي صاحب النهار وقال اخر

لولا الثريدان هلكنا بالضمر ... ثريد ليل وثريد بالنهر

فصل لما وصف الكفار وصف المومنين ايضا فقال
ان المتقين في جنات الجنات اسم للاشجار اي هم في خلالها وكذلك
الانهار اذ المعنى جنات وعند عيون كقوله علفتها تبنا وماء باردا
وجمعت الجنات اشارة الى سعتها وتنوعها وافرد الضمير لان المعنى
في خلاله فاستغني عن جمعه وجمع في قوله تجري من تحتها الانهار ليلا يتوهم
انه ليس في الجنة الا نهر واحد والتنكير فيه للتعظيم قوله في مقعد
يجوز ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان يكون حالا من الضمير في
الجار لوقوعه خبرا وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا من قوله في جنات
وحينئذ يجوز ان يكون بدل بعض لان المقعد بعضها وان يكون اشتمالا
لانها مشتملة والاول اظهر والعامة على افراد مقعد مرادا به الجنس كما
تقدم في نهر وقرا عثمان البتي مقاعد وهو مناسب للجمع قبله ومقعد
صدق من باب رجل صدق وانه يجوز ان يكون من اضافة الموصوف
لصفته والصدق يجوز ان يراد به ضد الكذب اي صدقوا في الاخبار
وان يراد به الجودة والخيرية ومليك مثال مبالغة وهو مناسب هنا
ولا يتوهم ان اصله ملك لانه هو الوارد في غير موضع وان الكسرة اشبعت
فتولد منها يا لان الاشباع لم يرد الا ضرورة او قليلا وان كان وقع
في قراءة هشام افيدة في اخر ابراهيم فليلتفت اليه
فصل قال في مقعد صدق ولم يقل في مجلس صدق لان القعود جلوس
فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النساء لانها جوالس
فاشار الى دوامه وثباته ولان حروف قعد كيف دارت تدل على
ذلك والاستعمال في القعود يدل على ذلك ومنه لا يستوي القاعدون
من المومنين وقوله مقاعد للقتال اشارة الى الثبات وكذا قوله عن
اليمين وعن الشمال قعيد فذكر المقعد لدوامه ولطوله وقال
في المجلس تفسحوا في المجالس اشارة الى الحركة وقال انشزوا اشارة
الى ترك الجلوس اي هو مجلس فلا يجب ملازمته بخلاف المقعد
فصل قال المفسرون في مقعد صدق اي حق لا لغو فيه ولا
تاثيم عند مليك مقتدر اي مالك قادر ولا يعجزه شي وعند هنا عندية
الزلفة والرتبة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة قال الصادق
مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق روى الثعلبي
في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة اقتربت الساعة في كل غب بعث يوم القيمة ووجهه
على صورة القمر ليلة البدر ومن قراها كل ليلة كان افضل وجا يوم
القيمة ووجهه مسفر على وجوه الخلايق والله اعلم بالصواب
واليه المرجع والماب

سورة

سورة الرحمن مكية

كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطا وجابر وقال
ابن عباس الا اية منها وهي قوله تعالى يسئله من في السموات والارض
الاية وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها والاول اصح لما روى
عروة بن الزبير قال اول من جهر بالقران بمكة بعد النبي صلى الله عليه
وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا
القران يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود انا فقالوا
نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فابى ثم قام عند المقام
فقال بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران ثم تمادى بها رافعا
صوته وقريش في انديتها فتاملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا
بل هو يقول الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه حتى اثروا في
وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرا
سورة الرحمن ومر النفر من الجن فامنوا به وهي ثمان وسبعون اية
وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الرحمن فيه ثلاثة اوجه
احدها انه خبر مبتدا مضمر اي الله الرحمن الثاني انه مبتدا وخبره مضمر
اي الرحمن ربنا وهذان الوجهان عند من يرى ان الرحمن اية فعلى هذا
المضمر معه فانظر بعد والرحمن اية ولا يتصور ذلك الا بانضمام جزء مخبر
عنه اليه اذ الاية لا بد وان تكون مفيدة وسياتي ذلك في قوله مدهامتان
الثالث انه ليس باية وانه مع ما بعده كلام واحد وهو مبتدا خبره علم القران
فصل افتتح السورة التي قبلها بذكر معجزة تدل على القهر والجبروت
وهو انشقاق القمر فمن قدر عليه قدر على قطع الجبال واهلاك الامم وافتتح
هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة وهي القران وايضا فاولها مناسب
لاخر ما قبلها لان اخر تلك انه مليك مقتدر واول هذه انه رحمن قال
بعضهم الرحمن اسم علم واحتج بقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى واجاز ان يقال يا الرحمن باللام كما يقال يا الله وهذا
ضعيف وهو مختص بالله تعالى فلا يقال لغيره قال سعيد بن جبير وعامر
والشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسما الله تعالى
الر وحم ونون فيكون مجموع هذه الرحمن ولله تعالى رحمتان رحمة
سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها اعطاهم الرزق والمنافع فهو
رحمن باعتبار السابقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالايجاد لم
يقل لغيره رحمن ولما يخلق بعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب
الطاقة البشرية فاطم ونحو جاز ان يقال له رحيم قوله علم القران
فيه وجهان اظهرهما انه علم المتعدي الى اثنين اي عرف من التعليم
فعلى هذا المفعول الاول محذوف فقيل تقديره علم جبريل القران
وقيل علم محمدا وقيل علم الانسان وهذا اولى لعمومه ولان قوله خلق
الانسان دال عليه والثاني انها من العلامة والمعنى جعله علامة واية
يعتبر بها اي هو علامة النبوة ومعجزة وهذا مناسب لقوله تعالى
وانشق القمر على ما تقدم انه ذكر في اول تلك السورة معجزة من باب
الرحمة وهو انه يسر من العلوم ما لا يسره غيره وهو ما في القران او يكون
بمعنى انه جعله بحيث يعلم كقوله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فالتعليم

على هذا الوجه مجاز كما يقال لمن انفق على متعلم واعطى اجرة معلم علمته فان قيل لم ترك المفعول الثاني فالجواب اراد بذلك الاشارة الى ان النعمة في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص فان قيل كيف تجمع بين هذه الاية وبين قوله وما يعلم تاويله الا الله فالجواب ان قلنا بعطف الراسخين على الله فظاهر وان قلنا بالوقف على الجلالة ويبتدا بقوله والراسخون فلان من علم كتابا عظيما فيه مواضع مشكلة قليلة وتاملها بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب بيقين في تلك المواضع القليلة وكذا المنزل في تعليم القران او يقال المراد لا يعلم من تلقا نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكا **فصل** قال المفسرون نزلت هذه الاية حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فانزل الله الرحمن علم القران اي سهله لان يذكر ويقرى كما قال ولقد يسرنا القران للذكر **قوله** خلق الانسان قال ابن عباس وقتادة والحسن يعني آدم عليه الصلوة والسلام **قوله** علمه البيان علمه اسما كل شي وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان المراد بالانسان ههنا محمد عليه الصلوة والسلام والمراد بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه ينبي عن الاولين والاخرين ويوم الدين قال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن انس هو ما ينفعه مما يضره وقيل المراد بالانسان جميع الناس فهو اسم للجنس والبيان على هذا الكلام والفهم وهو مما فضل به الانسان على ساير الحيوان وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقال يمان الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم **فصل** في كيفية النظم انه علم الملائكة اولا ثم خلق الانسان وعلمه البيان فيكون ابتدا بالعلوي وقابله بالسفلي وقدم العلويات على السفليات فقال والنجم والشجر يسجدان ثم قال والسما رفعها ووضع الميزان ثم قال والارض وضعها **فصل** هذه الجمل من قوله علم القران خلق الانسان علمه البيان جي بها من غير عاطف لانها سيقت لتعديد نعمه كقولك فلان احسن الى فلان اكرمه اشاد ذكره رفع من قدره فلشدة الوصل ترك العاطف والظاهر انها اخبار وقال ابو البقا وخلق الانسان مستانف وكذلك علمه ويجوز ان يكون حالا من الانسان مقدرة وقد معها مرادة انتهى وهذا ليس بظاهر بل الظاهر ما تقدم ولم يذكر الزمخشري غيره فان قيل لم قدم تعليم القران للانسان على خلقه وهو متاخر عنه في الوجود فالجواب لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه فان قيل كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح بهما في علم القران فالجواب من قوله علمه البيان تعديد النعم على الانسان واستدعا للشكر منه ولم يذكر الملائكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان واستدل بعضهم بهذه الاية على ان الالفاظ توقيفية **قوله** الشمس والقمر بحسبان فيه ثلاثة اوجه احدها الشمس مبتدا وبحسبان خبرها على حذف مضاف تقديره جري الشمس والقمر بحسبان اي كاين او مستقر او استقر بحسبان الثاني ان الخبر محذوف يتعلق به هذا الجار تقديره يجريان بحسبان وعلى هذين القولين فيجوز في الحسبان وجهان احدهما انه مصدر مفرد بمعنى الحسبان فيكون كالشكران والكفران والثاني انه جمع حساب

كشهاب

كشهاب وشهبان والثالث ان بحسبان خبره والباء فيه بمعنى في اي كاينان في حسبان وحسبان على هذا اسم مفرد اسم للفلك المستدير تشبيها بحسبان الرحا الذي باستدارته تدور الرحا **فصل** لما ذكر خلق الانسان وانعامه عليه بتعليم البيان ذكر نعمتين عظيمتين وهما الشمس والقمر وانهما على قانون واحد وحساب لا يتغيران وبذلك تتم منفعتهما للزراعات وغيرها ولولا الشمس لما زالت الظلمة ولولا القمر لفات كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب فان نفعهما لا يظهر لكل احد مثل ظهور نفعهما وانهما بحساب لا يتغير ابدا ولو كان مسيرهما غير معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها ومعرفة فصول السنة ثم لما ذكر النعم السماوية ذكر ايضا في مقابلتهما نعمتين ظاهرتين من الارض وهما النبات الذي لا ساق له وما له ساق لان النبات اصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش للحيوان وقيل انما ذكر هاتين النعمتين بعد تعليم القران اشارة الى ان من الناس من لا تكون نفسه زكية فيكتفي بادلة القران فذكر نهايات الافاق وخص الشمس والقمر لان حركتهما بحسبان تدل على الفاعل المختار ولو اجتمع العالم ليبينوا سبب حركتهما على هذا التقدير المعين لعجزوا وقالوا ان الله حركهما بالارادة كما اراد وقيل لما ذكر معجزة القران بانزاله انكروا نزول الجرم من السما وصعوده اليها فاشار تعالى بحركتهما الى انها ليست بالطبيعة وهم يقولون بان الحركة الدورية من انواع الحركات لا يكون الا اختياريا فقال تعالى من حركهما على الاستدارة انزل الملايكة على الاستقامة والتمثيل على مذهبكم لا يبعد وصعود النجم والشجر انما هو بقدرة الله تعالى فحركة الملك كحركة الفلك جايزة **فصل** قال المفسرون المعنى يجريان بحساب في منازل لا تعدوها ولا تحيدان عنها وقال ابن زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب شيا اذا كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان تقدير آجالهما اي يجريان باجال كآجال الناس فاذا جا اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى وقال الضحاك بقدر وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحا يعني قطبها يدوران في مثل القطب والحسبان قد يكون مصدر حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان وحسابة ايضا اي عددته وقال الاخفش ويكون جماعة الحساب مثل شهاب وشهبان والحسبان بالضم ايضا العذاب والسهام القصار الواحدة حسبانة والحسبانة ايضا الوسادة الصغيرة يقول منه حسبته اذا وسدته قال لثويت غير محسب اي غير موسد يعني غير مكرم ولا مكفن **قوله** والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس النجم ما لا ساق له والشجر ما له ساق وانشد ابن عباس قول صفوان التيمي

لقد انجم القاع الكبير عضاهه ۞ وتم به حيا تميم ووايل

وقال زهير بن ابي سلمى

مكلل باصول النجم تنسجه ۞ ريح الجنوب لضاحي مايه حبك

واشتقاق النجم من نجم الشي ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع ومنه نجم ناب البعير اي طلع وسجودهما سجود ظلالهما قاله الضحاك وقال الفرا سجودهما انهما يستقبلان اذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفي وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال تتفيا ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السما وسجوده في قول مجاهد دوران ظله وهو اختيار الطبري حكاه

المهدوي • وقيل سجود النجم افوله وسجود الشجر امكان الاجتنا لثمارها
حكاه الماوردي والاول اظهر وقيل ان جميع ذلك مسخر لله تعالى فلا تعبدوا
النجم كما عبد قوم من الصابيين النجوم وعبد كثير من العجم الشجر والسجود
الخضوع والمعنى به اثار الحدوث حكاه القشيري وقال النحاس اصل السجود
في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات كلها استسلامها
لامر الله وانقيادها له ومن الحيوان كذا ويكون من سجود الصلوة وانشد
محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم ∴
∴ فباتت تعد النجم في مستحيره ∴ سريع بايدي الآكلين جمودها ∴
قوله والسماء رفعها العامة على النصب على الاشتغال مراعاة
لعجز الجملة التي تليها الجملة ذات وجهين وفيها دليل لسيبويه حيث
يجوز النصب وان لم يكن في جملة الاشتغال ضمير عايد على المبتدا الذي
تضمنته الجملة ذات الوجهين والاخفش يقول لابد من ضمير مثاله هند
قامت وعمرا اكرمته لاجلها قال لانك راعيت الخبر وعطفت عليه
والمعطوف على الخبر خبر فتشترط فيه ما يشترط فيه ولم يشترط الجمهور
ذلك وهذا دليلهم فان القراء كلهم نصبوا على عدم الرابط الآن وقد بينته
وقد تقدم تحرير هذا في سورة يس عند قوله تعالى والقمر قدرناه منازل
قوله ووضع الميزان العامة على وضع فعلا ماضيا والمراد نصب
على المفعول به وقرا ابراهيم ووضع الميزان بسكون الضاد وخفض
الميزان وتخريجها على انه معطوف على مفعول رفعها اي ورفع ووضع
الميزان اي جعل له مكانة ورفعة لاخذ الحقوق به وهو من بديع اللفظ
حيث يصير التقدير ورفع ووضع الميزان وقال الزمخشري فان قيل
كيف اخل بالعاطف في الجمل الاول وجيء به بعده قلت بكت بالجمل الاول
واورده على سنن التعديد للذين انكروا الرحمن والاه كما يبكت منكر
ايادي المنعم من الناس بتعدادها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد
الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب
بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط
بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان
فبينهما تناسب من حيث التقابل وان السما والارض لا يزالان يذكران
قرينين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله
وهو مناسب لسجود النجم والشجر **فصل** قال مجاهد وقتادة
ووضع الميزان عبارة عن العدل قال السدي وضع في الارض العدل
الذي امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا اي القاه وقيل
على هذا الميزان القران لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين
ابن الفضل وقال الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان الذي يوزن
به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل
عليه قوله واقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل
المراد وضع الميزان في الاخرة لوزن الاعمال واصل ميزان موزان وقد مضى
القول فيه في الاعراف **قوله** ان لا تطغوا في ان هذه وجهان احدهما
انها الناصبة ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب بان وان قبلها لام
العلة مقدرة تتعلق بقوله ووضع الميزان التقدير لئلا تطغوا كقوله
تعالى يبين الله لكم ان تضلوا واجاز الزمخشري وابن عطية ان تكون
المفسرة وعلى هذا تكون لا ناهية والفعل مجزوم بها قال القرطبي فلا يكون
لان موضع من الاعراب فيكون بمعنى اي وتطغوا مجزوم بها كقوله وانطلق

الملا

الملا منهم ان امشوا اي امشوا الا ان اباحيان رد هذا القول بان
شرط التفسيرية تقدم جملة متضمنة لمعنى القول وليست موجودة
قال شهاب الدين والى كونها مفسرة ذهب مكي وابو البقا الا ان ابا
البقا كانه تنبه للاعتراض فقال وان بمعنى اي والقول مقدر فجعل الشي
المفسر بان مقدرا لا ملفوظا به الا انه قد يقال قوله والقول مقدر لا يفيد
عنه شيا لانها لا تفسر القول بالصريح فكيف تفسر ما لا يصح تفسيره فاصلاحه
ان يقول وما هو بمعنى القول مقدر **فصل** والطغيان مجاوزة الحد
فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي
يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس لا تخونوا من وزنتم له
وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان
ومن قال انه الحكم قال الطغيان التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان
وامركم ان لا تطغوا فيه • فان قيل العلم لا شك في كونه نعمة واما الميزان
فاي نعمة عظيمة فيه حتى يعد تسببها في الالا • فالجواب ان النفوس
تابى الغبن ولا يرضى احد بان يغلبه غيره ولو في الشي اليسير ويرى
ان ذلك استهانة به فلا يترك خصمه يغلبه ثم ان عند عدم المعيار الذي
به توخذ الحقوق كل احد يذهب الى ان خصمه يغلبه فوضع الله معيارا
بين به التساوي ولا يقع به التغاضب بين الناس وهو الميزان فهو نعمة
كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور نعمته وكثرته وسهولة الوصول اليه
كالهوا والما الذي لا يتبين فضلهما الا عند فقدهما **قوله** واقيموا
الوزن بالقسط اي افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدردا اقيموا
لسان الميزان بالقسط والعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد
والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية وقيل هو
كقولك اقام الصلوة اي اتى بها في وقتها واقام الناس اسواقهم اي اتوا
بها لوقتها اي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل **قوله** ولا تخسروا
العامة على ضم التا وكسر السين من اخسر اي نقص كقوله واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون وقرا زيد بن علي وبلال بن ابي بردة بفتح التا
وكسر السين فيكون فعل وافعل بمعنى يقال خسر الميزان واخسره
بمعنى واحد نحو جبر واجبر ونقل ابو الفتح وابو الفضل عن بلال فتح
التا والسين وفيها وجهان احدهما انه على حذف حرف الجر تقديره
ولا تخسروا في الميزان ذكره الزمخشري وابو البقا الا ان ابا حيان قال
لا حاجة الى ذلك لان خسر جا متعديا قال تعالى خسروا انفسهم وخسروا
الدنيا والاخرة قال شهاب الدين وهذا ليس من ذلك الا ترى
ان خسروا انفسهم وخسروا الدنيا والاخرة معناه ان الخسران واقع بهما
وانهما معدومان وهذا المعنى ليس مرادا في الاية قطعا وانما المراد لا تخسروا
الموزون في الميزان وقرى تخسروا بفتح التا وضم السين قال الزمخشري
وقرى ولا تخسروا بفتح التا وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر
الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل في الميزان فحذف
الجار واوصل الفعل اليه وكرر لفظ الميزان ولم يضمر في الجملتين بعده
تقوية لشانه وهذا قول الاخر ∴
∴ لا ارى الموت يسبق الموت شي ∴ نغص الموت ذا الغنا والفقيرا ∴
فصل المعنى ولا تنقصوا ولا تبخسوا الوزن والكيل كقوله ولا
تنقصوا المكيال والميزان وقيل لا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة
فيكون ذلك حسرة عليكم وكرر الميزان لحال رؤوس الآي وقيل التكرير للامر

بإتمام الوزن ورعاية العدل فيه وقال ابن الخطيب ولا تخسروا الميزان
أي لا تنقصوا الموزون وذكر الميزان ثلاث مرات فالأول بمعنى الآلة
وهو قوله ووضع الميزان والثاني بمعنى المصدر أي لا تطغوا في الوزن
والثالث للمفعول أي لا تخسروا الموزون وبين القرآن هاهنا والميزان مناسبة
فإن القرآن فيه العلم الذي لا يوجد في غيره من الكتب والميزان به يقام
العدل الذي لا يقام بغيره من الآلات قوله والأرض وضعها للأنام
كقوله والسماء رفعها وقرأ أبو السمال بالرفع مبتدأ والأنام عليه للوضع
والأنام قيل الحيوان وقيل بنو آدم خاصة وهو مروي عن ابن عباس ونقل
النووي في التهذيب عن الزبيدي الأنام الخلق قال ويجوز الأنيم وقال
الواحدي قال الليث الأنام ما على ظهر الأرض من جميع الخلق وقيل الإنس
والجن قاله الحسن والأول قاله الضحاك ووزنه فعال كقذال فيجمع
في القلة على أأنمة بزنة أعمة وفي الكثرة على أنم كقذال وأقذلة
وقذل قوله فيها فاكهة يجوز أن تكون هذه الجملة حالا من الأرض
إلا أنها حال مقدرة والأحسن أن يكون الجار والمجرور هو الحال وفاكهة
رفع بالفاعلية ونكرت لأن الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها
وهو من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى قال ابن الخطيب الأرض
موضوعة لكل ما عليها وإنما خص الإنسان بالذكر لأن الانتفاع بها
أكثر فإنه ينتفع بها وبما فيها وعليها فقال للأنام لكثرة انتفاع
الأنام بها وقوله فيها فاكهة أي ما يتفكه به الإنسان من ألوان
الثمار قوله والنخل ذات الأكمام إشارة إلى الأشجار والأكمام
جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع
وغطاء النور والجمع كمام وأكمة وأكمام والأكاميم أيضا وكم السبل إذا أشفق
عليه فستر حتى يقوى قال العجاج
∴ بل لو شهدت الناس إذ تكموا ∴ بغمة لو لم تفرج غموا ∴
وتكموا أي أغمي عليهم وغطوا وأكممت وكممت أي أخرجت أكمامها والكمام
بالكسر والكمامة أيضا ما يكم به فم البعير لئلا يعض يقول منه بعير مكموم
أي محجوم وكممت الشيء غطيته ومنه كم القميص بالضم والجمع أكمام وكممة
مثل حب وحببة والكمة القلنسوة المدورة لأنها تغطي الرأس قال
∴ فقلت لهم كيلوا الكمة بعضكم ∴ دراهمكم إني كذلك أكيل ∴
قال الحسن ذات الأكمام أي ذات الليف فإن النخلة قد تكمم بالليف
وأكمامها ليفها الذي في أعناقها وقال ابن زيد ذات الطلع قبل أن
يتفتق وقال عكرمة ذات الأحمال وقال الضحاك ذات الأكمام
ذات الغلف والأكمام الأوعية التي يكون فيها الثمر لأن ثمر النخل يكون
في غلاف ما لم ينشق والمراد بالفاكهة الفواكه قال ابن كيسان ما يتفكهون
به من النعم التي لا تحصى وذكر الفاكهة للتكثير والتعظيم قوله والحب
ذو العصف والريحان قرأ ابن عامر بنصب الثلاثة وفيه ثلاثة أوجه
النصب على الاختصاص أي وأخص الحب قاله الزمخشري وفيه نظر لأنه
لم يدخل في مسمى الفاكهة والنخل حتى يخصه من بينهما وإنما أراد إضمار فعل
وهو أخص فليس هو الاختصاص الصناعي الثاني أنه معطوف على الأرض
قال مكي لأن قوله والأرض وضعها أي خلقها فعطف الحب على ذلك الثاني
أنه معطوف على الأرض قال مكي لأن قوله والأرض وضعها أي خلقها فعطف
الحب على ذلك الثالث أنه منصوب بخلق مضمرا أي وخلق الحب قاله مكي أو
وخلق الحب وقراءته موافقة لرسم مصاحف بلده فإن مصاحف الشام ذا

بالالف

بالألف ويجوز في الريحان أن يكون على حذف مضاف أي وذا الريحان
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كواسأل القرية وقرأ الأخوان
برفع الأولين وجر الريحان عطفا على العصف وهي تؤيد قول من حذف
المضاف في قراءة ابن عامر والباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة أي
وفيها أيضا هذه الأشياء ذكر أولا ما يتلذذون به من الفواكه وثانيها
الشيء الجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وثالثها ما يتغذى به
فقط وهو أعظمها لأنه قوت غالب الناس ويجوز في الريحان على هذه القراءة
أن يكون معطوفا على ما قبله أي وفيها الريحان أيضا وأن يكون مجرورا
بالإضافة في الأصل أي وذو الريحان ففعل به ما تقدم والعصف قال
مجاهد ورق الشجر والزرع وقال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي
تعصفه الرياح قال الراغب أصله من العصف والعصيف وهو ما يعصف
أي يقطع من الزرع وقال سعيد بن جبير بقل الزرع الذي أول ما ينبت
منه وهو قول الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه
قبل أن يدرك وكذا في الصحاح نقله القرطبي وعصفت الزرع أي جززته
قبل أن يدرك وعن ابن عباس أيضا العصف ورق الزرع الأخضر إذا قطع
رؤوسه ويبس نظيره كعصف مأكول قال الجوهري وقد أعصف الزرع ومكان
معصف أي كثير الزرع قال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري
∴ إذا جمادى منعت قطرها ∴ جناني عطن معصف ∴
وقيل العصف حطام النبات والعصف أيضا الكسب قال الراجز
بغير ما عصف ولا اكتساب ∴ وكذلك الاعتصاف والعصيفة الورق
المجتمع الذي يكون فيه السنبل وحكى الثعلبي وقال ابن السكيت
تقول العرب لورق الزرع العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم قال
علقمة بن عبدة
∴ تسقي مذانب قد مالت عصيفتها ∴ حدورها من أتي الماء مطموم ∴
وفي الصحاح والجل بالكسر قصب الزرع إذا حصد والريحان في الأصل مصدر
ثم أطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق
بلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانه أي استرزاقه وعن ابن عباس
أيضا والضحاك وقتادة أنه الريحان الذي يشم وهو قول ابن زيد أيضا
وعن ابن عباس أيضا أنه خضرة الزرع وقال سعيد بن جبير هو ما قام
على ساق وقال الفراء العصف المأكول من الزرع والريحان ما لا يؤكل
وقال الكلبي العصف الورق الذي يؤكل والريحان هو الحب المأكول
وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لأن الإنسان يرتاح لها رائحة
طيبة أي يشم وفي الريحان قولان أحدهما أنه على فعلان من ذوات
الواو والأصل روحان من الرائحة قال أبو علي فأبدلت الواو ياء كما أبدلت
الياء واوا في أشاوى وإنما قلبت الواو ياء للفرق بينه وبين الروحان
وهو كل شيء له روح قاله القرطبي والثاني أن يكون أصله ريوحان على وزن
فيعلان فأبدلت الواو ياء وأدغمت فيها الياء ثم خفف بحذف عين الكلمة
كما قالوا كينونة وبينونة والأصل تشديد الياء فخفف كما خفف هين
وميت قال مكي ولزم تخفيفه لطوله بلحوق الزيادتين وهما الألف
والنون ثم رد قول الفارسي بأنه لا موجب لقلبها ياء ثم قال وقال
بعض الناس وذكر ما تقدم عن أبي علي قال القرطبي والأصل فيما يتركب
من الراء والواو والحاء الاهتزاز والحركة وفي الصحاح والريحان نبت
معروف والريحان الرزق تقول خرجت أبتغي ريحان الله وفي الحديث

الولد من ريحان الله وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيهاله واسترزاقا بقوله والحب ذو العصف والريحان فالعصف ساق الزرع والريحان ورقه قاله الفرا **قوله** فباي الا ربكما تكذبان فباي متعلق بتكذبان والعامة على اضافة اي الى الالا وقرئ في جميع السورة بتنوين اي وتخريجها على انه قطعها عن الاضافة الى معمول يفسره ما بعده الا ربكما بدل معرفة من نكره وتقدم الكلام في الالا ومامفردها في الاعراف والخطاب في ربكما قيل للثقلين من الانس والجن لان الانام متضمنهما وهو قول الجمهور ويدل عليه حديث جابر وفيه للجن احسن منكم ردا وقيل لما خلق الله الانسان وخلق الجان دل ذلك على ما تقدم وما تاخر لهما وكذا قوله سنفرغ لكم ايها الثقلان خطاب للانس والجن وقال ايضا يا معشر الجن والانس وقال الجرجاني خطاب الجن مع الانس وان لم يتقدم للجن ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب فقد سبق ذكر الجن فيما سبق نزوله من القران والقران كالسورة الواحدة فاذا ثبت انهم مكلفون كالانس خوطب الجنسان بهذه الايات وقيل الخطاب للذكر والانثى وقيل هو مثنى مراد به الواحد كقوله تعالى القيا في جهنم وكقول الحجاج بن يوسف ۞ ياحرسي اضربا عنقه ۞ وكقول امرء القيس ۞ قفا نبك ۞ وخليلي مرا بي ۞ وقيل التثنية للتاكيد وقيل التكذيب يكون بالقلب او باللسان او بهما فالمراد بهما **وقيل** قال ابن زيد المراد بالالا القدرة والمعنى فباي قدرة ربكما تكذبان وهو قول الكلبي واختاره محمد بن علي الترمذي وقال هذه السورة من بين السور علم القران والعلم امام الجند والجند تتبعه واختصاصه علما لانها سورة صفة الملك والقدرة فقال الرحمن علم القران فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الاسما ليعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من افعاله ومن ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة وقال الرحمن علم القران ثم ذكر الانسان فقال خلق الانسان ثم ذكر ما صنع به وما من عليه به ثم ذكر حسبان الشمس والقمر وسجود الاشيا من نجم وشجر وذكر رفع السما ووضع الميزان وهو العدل ووضع الارض للانام فخاطب هذين الثقلين الانس والجن حين راوا ما خرج من القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة الى ذلك فاشركوا به الاوثان وكل معبود اتخذوه من دونه وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الاشيا اليهم فقال سايلا لهم فباي الا ربكما تكذبان فباي قدرة ربكما تكذبان وانما كان تكذيبهم انهم جعلوا له في هذه الاشيا التي خرجت من قدرته وملكه شريكا يملك معه فذلك تكذيبهم ثم ذكر خلق الانسان من صلصال وذكر خلق الجان من مارج من نار ثم سالهم فقال فباي الا ربكما تكذبان اي باي قدرة ربكما تكذبان كان له في كل خلق بعد خلق قدرة بعد قدرة فالتكرير في هذه الايات للتاكيد والمبالغة في التقرير واتخاذ الحجة عليهم بما وقفهم على خلق بعد خلق وقال القتيبي ان الله تعالى عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلقه والاه ثم اتبع كل خلة وصفها ونعمة وضعها في هذه الاية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها كما يقول لمن يبالغ في احسانه وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا قال ۞ كم نعمة كانت لكم كم كم وكم ۞ وقال اخر

لا تقتلي مسلما ان كنت مسلمة ۞ اياك من دمه اياك اياك ۞
لا تقطعن الصديق ما طرفت ۞ عيناك من قول كاشح اشر ۞
ولا تملن من زيارته ۞ زره وزره وزر وزر وزر ۞

وقال الحسن



وقال الحسن بن الفضل التكرير طرد للغفلة وتاكيد للحجة ۞ قال شهاب الدين والتكرير هنا كما تقدم في قوله ولقد يسرنا القران للذكر وكقوله فبأي الا ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى ان التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة قال ابن الخطيب وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقريع والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة نيفا وثلاثين مرة اما للتاكيد ولا يعقل الخصوص العدد معنى وقيل الخطاب مع الانس والجن والنعمة منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود واعظم المكروهات عذاب جهنم ولها سبعة ابواب واعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية ابواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة الى الجن والانس ثلاثون والزايد لبيان التاكيد ۞ روى جابر بن عبد الله قال قرا علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرات عليهم هذه الاية مرة فباي الا ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشي من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد **قوله** خلق الانسان من صلصال كالفخار لما ذكر الله تعالى خلق العالم الكبير من السما والارض وما فيها من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال خلق الانسان قال المفسرون يعني ادم من صلصال وهو الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة وشبه بالفخار الذي طبخ ۞ وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم واصل اذا انتن وقال هنا من صلصال كالفخار وقال في الحجر من صلصال من حما مسنون وقال انا خلقناكم من طين لازب وقال كمثل ادم خلقه من تراب وكله متفق المعنى وذلك انه اخذ من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل فصار كالحما المسنون ثم يبس فصار صلصالا كالفخار وقوله كالفخار نعت لصلصال وتقدم تفسيره **قوله** والجان قيل هو اسم جنس كالانسان وقيل هو ابو الجن ابليس وقيل هو ابوهم وليس بابليس **قوله** من مارج من نار من الاولى لابتدا الغاية وفي الثانية وجهان احدهما انها للبيان والثاني للتبعيض والمارج قيل ما اختلط من احمر واصفر واخضر وهذا مشاهد في النار ترى الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض وقيل الخالص وقيل الاحمر وقيل الحمرة في طرف النار وقيل المختلط بسواد وقيل اللهب المضطرب وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض احمر واصفر واخضر ونحوه عن مجاهد وقيل المارج المرسل غير ممنوع قال المبرد المارج النار المرسلة التي لا تمنع وقال ابو عبيدة والحسن المارج المختلط النار واصله من مرج اذا اضطرب واختلط قال القرطبي يروى ان الله تعالى خلق نارين فمرج احدهما بالاخرى فاكلت احداهما الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس قال القشيري والمارج في اللغة المرسل او المختلط وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ذو مرج من نار بنت طارج وتقدم الكلام على قوله فباي الا الى اخرها **قوله** رب المشرقين العامة على رفعه وفيه اوجه احدها انه مبتدا خبره مرج البحرين وما بينهما اعتراض الثاني انه خبر مبتدا مضمر اي هو رب او ذلك الذي فعل هذه الاشيا الثالث انه بدل من الضمير في خلق وقرا ابن ابي عبلة رب بالجر بدلا او بيانا لربكما قال مكي ويجوز في الكلام الخفض على البدل من ربكما كانه لم يطلع على انها قراءة

منزلة والمشرقان قيل مشرقا الشتا والصيف ومغرباهما وقيل مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما وذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناولان ما بينهما كقولك في وصف ملك عظيم له المشرق والمغرب فيفهم منه ان له ما بينهما ويؤيده قوله رب المشارق والمغارب **قوله** مرج البحرين اي خلى وارسل واهمل يقال مرج الناس السلطان اي اهملهم واصل المرج الاهمال كما تمرج الدابة في المرعى ويقال مرج خلط • وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج فيكون فعل وافعل بمعنى والبحرين قال ابن عباس بحر السما وبحر الارض قال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام • وقيل يلتقي طرفاهما • وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم • وقال ابن جريج البحر المالح والانهار العذبه • وقيل بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما وقيل بحر اللولو والمرجان بينهما برزخ حاجز **قوله** يلتقيان حال من البحرين وهي قريبة من الحال المقدرة ويجوز بتجوز ان تكون مقارنة وبينهما برزخ يجوز ان تكون جملة مستانفة وان تكون حالا وان يكون الظرف وحده هو الحال والبرزخ فاعل به وهو احسن لقربه من المفرد وذو صاحب الحال وجهان احدهما هو البحرين والثاني هو فاعل يلتقيان ولا يبغيان حال اخرى كالتي قبلها اي مرجهما غير باغيين او يلتقيان غير باغيين او بينهما برزخ في حال عدم بغيهما وهذه الحال في قوة التعليل الى المعنى لئلا يبغيان وقد يجعل بعضهم وقال اصل ذلك لئلا يبغيا ثم حذف حرف العلة مع ان وان ثم حذفت ان ايضا وهو حذف مطرد كقوله ومن اياته يريكم فلما حذفت ان ارتفع الفعل وهذا غير ممنوع الا انه يكثر فيه الحذف وله ان يقول قد جا الحذف الكثير ذلك فيما هو احق من هذا كما تقدم في قاب قوسين كما سياتي في قوله وتجعلون رزقكم

فصل في تعلق الاية بما قبلها لما ذكر الشمس والقمر وهما يجريان في الفلك كما يجري الفلك في البحر كقوله كل في فلك يسبحون فذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين او لان المشرقين والمغربين يكونان في البر والبحر فذكر البحر بعد ذكر البر لانحصار البر والبحر بين المشرق والمغرب **قوله** بينهما برزخ اي حاجز لا يبغيان فعلى القول الاول بانهما بحر السما وبحر الارض فالحاجز الذي بينهما هو ما بين السما والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال الباقية الحاجز هو الارض التي بينهما قاله الحسن وقتادة وقال بعضهم الحاجز هو القدرة الالهية فقوله لا يبغيان قال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم جعل بينهم وبين الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة ايضا لا يبغي احدهما على صاحبه فيغلبه وقال ابن زيد لا يبغيان اي يلتقيان تقديره مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما لا يبتغيا ان يلتقيا وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة قدرها الله تعالى وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله بانقضا الدنيا صار البحران شيا واحدا وهو قوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة

فصل قال ابن الخطيب ان الله تعالى خلق في الارض بحارا اغطها الارض وخلق بحرا محيطا بالارض احاط به الهوا كما قاله اهل الهيئة وهذه البحار التي في الارض لها اتصال بالبحر المحيط ثم انهما لا يبغيان على الارض ولا يغطيانه بفضل الله تكون الارض بارزة يتخذها الانسان مكانا ويعتقد البعض ان الماء في الارض يجار الطبعي ويتلجلج في الكلام فان عندهم ان طبع الارض تكون في المركز مغمورا بالما وتكون الما محيطا بجميع جوانبه فاذا سيلوا عن ظهور الارض ان يكون في المركز مغمورا بالما وتكون محيطا بجميع جوانبه

فاذا

فاذا فاذا سيلوا عن ظهور الارض من الما قالوا ان ذلك جذب في الارض فاذا قيل لهم لما تجذب وما سبب الجذب فالذي عنده قليل من الحق اسند ذلك الى ارادة الله تعالى ومشيئته والاخر يقول ذلك بحسب اتصالات الكواكب واوضاعها فان قيل له لماذا اختلفت اوضاع الكواكب على الوجه الذي اوجب البروز في بعض الارض دون بعض بحث كما بحث الذي كفر ويرجع الى الحق ان هداه الله تعالى قال ابن الخطيب ومعنى الاية ان الله تعالى ارسل بعض البحرين الى بعض ومن شانهما الاختلاط فحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان اي لا يجاوز كل منهما ما حد له والبغي مجاوزة الحد ومن الابتغا وهو الطلب اي لا يطلبان غير ما قدر لهما **قوله** يخرج منهما اللولو والمرجان قرا ابن نافع وابو عمرو يخرج مبنيا للمفعول والباقون مبنيا للفاعل على المجاز قال ثم مضاف محذوف اي من احدهما لان ذلك لم يوخذ من البحر العذب حتى عابوا قول الشاعر

فجاء بها ما شئت من لطمية • على وجهها ما الفرات يموج •

قال مكي كما قال على رجل من القريتين فحذف المضاف كثير سائغ وقيل هو كقوله نسيا حوتهما وانما الناسي فتاه ويعزى هذا لابي عبيدة قال البغوي وهذا جائز في كلام العرب ان يذكر شيين ثم يخص احدهما بفعل كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم ثم كانت وقيل يخرج من احدهما اللولو ومن الاخر المرجان وقيل بل يخرجان منهما جميعا ثم ذكروا توجيهات اما انهما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب وهذا مشاهد عند الغواصين وهو قول الجمهور فناسب ذلك اسناده اليهما ومنها قول ابن عباس تكون هذه الاشيا في البحرين نزول المطر والصدف تفتح افواهها للمطر وقد شاهده الناس فيكون تولده من بحر السما وبحر الارض وهذا قول الطبري ومنها ان العذب في الملح كاللقاح كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى ومنها قيل انهما من حيث هما نوع واحد فخروج هذه الاشيا انما هي منهما كما قال تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منهن وقال الزمخشري فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصار كالشي الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه ويقول خرجت من البلد وانما خرجت من محالة من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب انتهى وقال بعضهم كلام الله اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز ان يسوقهما من البحر العذب الى الملح واتفق انهم لم يخرجوها الا من الملح واذا كان في البر اشيا تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما هو في قعر البحر فالجواب ان هذا ان الله لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما يالفون ويشاهدون واللولو قيل كبار الجوهر والمرجان صغاره قاله علي وابن عباس والضحاك • وقيل بالعكس وانشدوا قول الاعشى

من كل مرجانة في البحر احرزها • تيارها ووقاها طينها الصدف

اراد اللولوة الكبيرة قاله علي وابن عباس ايضا • وقيل المرجان حجر احمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان اعجمي قال ابن دريد لم اسمع فيه كلاما منصرفا واللولو بنا غريب لم يرد على هذه الصيغة الا خمسة الفاظ اللولو والجوجو وهو الصدر والدردو واليويو لطائر والبوبو بالموحدتين وهو الاصل واللولو بضمتين والهمز هو المشهور وابدال الهمزة واوا شائع فصيح وقد تقدم ذلك وقرا طلحة اللولو بكسر اللام الثانية وهي لغة محفوظة •

ونقل عنه ابو الفضل اللولي بقلب الهمزة الاخيرة ياء ساكنة كانه لما كسر
ما قبل الهمزة قلبها ياء استثقالا وقرا ابو عمرو في رواية يخرج اي الله تعالى
وروي عنه ايضا وعن ابن مقسم نخرج بنون العظمة واللولو والمرجان
في هاتين القراتين منصوبان **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل
اي نعمة عظيمة في اللولو والمرجان حتى ذكرهما مع نعمة تعليم القران وخلق
الانسان واجاب بان النعم منها خلق الضروريات كالارض التي هي مكاننا
وكذا الرزق الذي به بقاؤه ومنها ما يحتاج اليه وان لم يكن ضروريا
كالحيوان واجرا الشمس والقمر ومنها المنافع وان لم يكن محتاجا اليها
كالفاكهة وخلق البحار كقوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
ومنها الزينة وان لم يكن نافعا كاللولو والمرجان كقوله وتستخرجون منه
حلية تلبسونها فالله ذكر انواع النعم الاربعة وصدرها بالنعمة العظيمة
التي هي الروح وهو العلم بقوله علم القران او يقال بان المقصود منه
عجايب الله لا بيان النعم لان النعم سبق ذكرها فذكر خلق الانسان
من صلصال وخلق الجان من مارج وهذا من العجايب الدالة على القدرة
لا من النعم واعلم ان الاركان اربعة التراب والما والهوا والنار
فالله تعالى بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل
مخلوق عجيب وبين بقوله وخلق الجان من مارج من نار ان النار
ايضا اصل لمخلوق عجيب وبين بقوله يخرج منهما اللولو والمرجان ان
الما اصل لمخلوق اخر كالحيوان عجيب بقي الهوا لكنه غير محسوس فلم يذكر
انه اصل مخلوق لكن بين كونه منشئا للجواري التي في البحر كالاعلام فقال
وله الجواري العامة على كسر الرا لانه منقوص على منها على اليا المحذوفة
لفظا لالتقا الساكنين وقرا عبد الله والحسن ويروى عن ابي عمرو والجوار
برفع الرا تناسيا للمحذوف ومنه

لها ثنايا اربع حسان ۞ واربع فثغرها ثمان ۞ وهذا كما قالوا

هذا شاك وقد تقدم تقرير هذا في الاعراف عند قوله ومن فوقهم غواش
قوله المنشات قرا حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر الشين بمعنى انها
تنشي الموج بجريها او تنشي السير اقبالا وادبارا او التي رفعت شراعها
والشراع القلع وعن مجاهد كلما رفعت قلعها فهي من المنشات وان لا
فليست منها ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال انشات السحابة المطر
والباقون بالفتح وهو اسم مفعول اي انشاها الله او الناس ورفعوا
شراعها وقرا ابن ابي عبلة المنشات بتشديد الشين مبالغة والحسن
المنشات بالافراد وابدال الهمزة الفا وتا مجرورة خطا فافرد الصفة ثقة
بافهام الموصوف الجمعية كقوله ازواج مطهرة واما ابدال الهمزة الفا وان كان
قياسها بين بين فمبالغة في التخفيف كقوله ۞ ان السباع لتهدا في مرابضها
اي لتهدا واما كتبها بالتا المجرورة فاتباعا للفظها في الوصل وفي الرسم وقيل
بالمنشات او المنشات ورسمه بالياء بعد الشين في مصاحف العراق
يقوي قراءة الكسر ورسمه بدونها يقوي قراءة الفتح وحذفوا الالف كما
تحذف في سائر جمع المونث السالم وكالاعلام حال اما من الضمير المستكن
في المنشات واما من الجوار وكلاهما بمعنى واحد **فصل** الجوار جمع جارية
وهو اسم او صفة للسفينة وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع لهم
فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولنا الملك واذا خافوا
الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك
وان كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع اخر بالجارية فقال انا لما طغى
الما

الما حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل ان لم يكن كذلك فقال لنوح عليه
الصلوة والسلام واصنع الفلك باعيننا ثم بعدما عملها سماها سفينة
فقال فانجيناه واصحاب السفينة واعلم ان المراة المملوكة تسمى ايضا جارية
لان شانها الجري والسعي في حوايج سيدها بخلاف الزوجة فهو من الصفات الغالبة
والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة عند ابن دريد اي تسفن الما وفعيلة بمعنى مفعولة
عند غيره بمعنى منحوتة قال ابن الخطيب فالفلك اولا ثم السفينة ثم
الجارية والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل قال

اذا قطعنا علما بدا علم ۞ وقالت الخنسا في اخيها
وان صخرا لتاتم الهداة به ۞ كانه علم في راسه نار

اي جبل فالسفن في البحر كالجبال في البر وجمع الجوار ووحد البحر وجمع الاعلام
اشارة الى عظمة البحر **قوله** كل من عليها فان غلب من يعقل على غيره وجميعهم
مراد والضمير في عليها للارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله حتى توارت
بالحجاب ورد هذا بانه قد تقدم ذكرها في قوله والارض وضعها وقيل
الضمير عايد الى الجارية قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملايكة
هلك اهل الارض فنزلت كل شي هالك الا وجهه فايقنت بالهلاك وهو مقاتل
ووجه النعمة في فنا الخلق التسوية بينهم في الموت وقيل وجه النعمة ان الموت
سبب النقل الى دار الجزا والثواب **قوله** ويبقى وجه ربك اي ويبقى الله
فالوجه عبارة عن وجود ذاته سبحانه وتعالى قال ابن عباس الوجه عبارة عنه
كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اي هو اهل لان يكرم وهذا خطاب
مع كل سامع وقيل خطاب للنبي عليه الصلوة والسلام فان قيل كان خاطب الاثنين
بقوله فباي الا ربكما وخاطب ههنا الواحد فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه
ربكما فالجواب ان الاشارة ههنا وقعت الى كل احد فقال ويبقى وجه ربك ايها
السامع ليعلم كل احد ان غيره فان فلو قال وجه ربكما لكان كل احد يخرج نفسه
ورفيقه المخاطب عن الفنا فان قيل فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب
كان ادل على فنا الكل فالجواب ان كاف الخطاب في الرب اشارة الى اللطف
والابقا اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا
قال بلفظ الرب وكاف الخطاب **قوله** ذو الجلال والاكرام العامة على
ذو بالواو صفة للوجه وابي وعبد الله ذي بالياء صفة لربك وسيا في خلاف
القرا في اخر السورة ان شا الله تعالى والجلال العظمة والكبريا والاكرام يكرم انبياه
واولياه بلطفه مع جلاله وعظمته **قوله** يساله من في السموات والارض
فيه وجهان احدهما انه مستانف والثاني انه حال من وجه والعامل فيه
يبقى اي يبقى مسولا لاهل السموات والارض وفيه اشكال لانه لما قال
ويبقى وجه ربك كان اشارة الى بقايه بعد فنا من على الارض فكيف يكون
في ذلك الوقت مسولا لمن في الارض قال ابن الخطيب والجواب من وجوه
الاول انهم يفنون بالنظر اليه لكنهم يبقون ببقايه فيصح ان يكون الله
مسولا الثاني ان يكون مسولا معنى لا حقيقة لانهم اذا فنوا انهم يسالونه
بلسان الحال الثالث ان قوله ويبقى للاستمرار فهو يبقى ويعيد من كان في
الارض ويكون مسولا الرابع ان السايلين هم الملايكة الذين هم
في الارض فانهم فيها وليسوا عليها ولا يفنيهم زلزلتها فعندما يفنى
من عليها يبقى الله تعالى ولا يفنى في تلك الحال الملايكة فيسالونه
ماذا تفعل فيامرهم بما يريد **فصل** وهذا السوال اما
استعطاف واما استعطا فيساله كل احد ما يحتاج اليه قال
ابن عباس وابو صالح اهل السموات يسالونه المغفرة ولا يسالونه

المرزق واهل الارض يسالونه جميعا وقال ابن جريج تسال
الملائكة الرزق لاهل الارض فكانت المسئلتان جميعا من اهل
السما واهل الارض لاهل الارض قال القرطبي وفي الحديث ان من
الملائكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان يسال الله
الرزق لبني ادم ووجه كوجه الاسد وهو يسال الله الرزق
للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسال الله الرزق للبهايم
ووجه كوجه النسر وهو يسال الله الرزق للطير وقال ابن
عطا انهم يسالونه القوة على العبادة **قوله** كل يوم منصوب
بالاستقرار الذي تضمنه الخبر وهو قوله في شان والشان الامر
روى ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو
في شان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربة ويرفع
اقواما ويضع اخرين وقرا ابو عمرو وعن النبي صلى الله عليه
وسلم في قول الله عز وجل كل يوم هو في شان قال يغفر ذنبا
ويكشف كربا ويجيب داعيا وقيل من شانه ان يحيي ويميت
ويعز ويذل ويرزق ويمنع وقال ابن بحر الدهر كله يومان
احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة فشانه سبحانه وتعالى
في ايام الدنيا الابتلا والاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا
والمنع وشانه يوم القيامة الجزا والحساب والثواب والعقاب
والظاهر ان المراد بذلك الاخبار عن شانه في كل يوم من ايام الدنيا
وقال عمرو بن ميمون في قوله تعالى كل يوم هو في شان من شانه ان يميت
حيا ويحيي ميتا ويقر في الارحام ويعز ذليلا ويذل عزيزا وقيل
شانه ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى
ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا
وقال الكلبي هو سوق المقادير الى المواقيت وعن عبد الله بن طاهر
انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك
لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة
وقوله كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة
وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين
يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون في هذه الامة لان الله
خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن
على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه
ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا واما قوله كل يوم هو
في شان فانها شؤون يبديها لا يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ
خراجه **قوله تعالى** سنفرغ قرا سيفرغ بالياء الاخوان اي سيفرغ
الله تعالى والباقون من السبعة بنون العظمة والرا مضمومة في القراتين
وهي اللغة الفصحى لغة الحجاز وقراها مفتوحة الراء مع النون الاعرج
ويحتمل وجهين احدهما ان يكون من فرغ بفتح الرا في الماضي وفتحت في
المضارع لاجل حرف الحلق والثاني انه سمع فيه فرغ بكسر العين فيكون هذا
مضارعه وهذه لغة تميم وقرا عيسى بن عمرو وابو السمال سنفرغ بكسر
حرف المضارعة وفتح الرا وتوجيهها واضح مما تقدم في الفاتحة قال ابو حاتم
هي لغة سفلى مضر والاعمش وابو حيوة وابراهيم سيفرغ بضم اليا وفتح
مبنيا للمفعول وعيسى ايضا بفتح نون العظمة وكسر الرا والاعرج ايضا
بفتح

بفتح اليا ويروى عن ابي عمرو **فصل** قال القرطبي يقال فرغت
من الشغل افرغ فروغا وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا
اي بذلته وليس بالله تعالى شغل يفرغ منه وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم
ومحاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك كما يقول القائل
لمن يريد تهديده اذن اتفرغ لك اي اقصد قصدك وانشد ابن الانباري
لجرير ⁂ الان وقد فرغت الى نمير ⁂ فهذا حين كنت لهم عذابا ⁂
يريد وقد قصدت ⁂ وانشد الزجاج والنحاس ⁂
⁂ فرغت الى العبد المقيد في الحجل ⁂ ويدل عليه قراة ابي سنفرغ لكم
اي سنقصد اليكم وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع
الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب هذا مذمم
يبايع بني قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ازب
العقبة اما والله يا عدو الله لاتفرغن لك اي اقصد الى ابطال امرك
وهذا اختيار القتيبي والكسائي وغيرهما قال ابن الاثير الازب في
اللغة الكثير الشعر وهو هنا شيطان اسمه ازب العقبة وهو الحية
وقيل ان الله وعد على التقوى واوعد على الفجور ثم قال سنفرغ لكم
اي مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك واتفرغ منه
قاله الحسن ومقاتل وابن زيد **قوله** ايها الثقلان تقدم الكلام في
قراة ايها في النور وهو منادى والحكمة في نداء المبهم ان ينتبه كل سامع
ثم يخصص المقصود بعد ذلك فيكون فيه اهتمام بالمنادى وايضا
يجعل المبهم وصلة لندا المعرف باللام وزيد بعدها الها للتنبيه عوضا
عن الاضافة لان المبهم يضاف والثقلان الجن والانس سميا بذلك لعظم
شانهما بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما بسبب التكليف وقيل سموا
بذلك لانهما ثقلا الارض احيا وامواتا قال الله تعالى واخرجت الارض
اثقالها ومنه قولهم اعطيه ثقله اي وزنه وقال بعض اهل المعاني كل شي
له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان
واجده وصائده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سميا ثقلين
لانهما مثقلان بالذنوب وقيل الثقل الانس لثقلهم وسمي الجن بذلك
مجاز للمجاورة والتغليب كالعمرين والقمرين والثقل العظيم الشريف
قال عليه الصلوة والسلام اني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي ⁂
فصل جمع في قوله سنفرغ لكم ثم قال ايها الثقلان لانهما فريقان
وكل فريق جمع وهذا كقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ولم يقل
ان استطعتما لانهما فريقان في حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون
وهذان خصمان اختصموا في ربهم ولو قال سنفرغ لكما وقال ان استطعتما
لجاز وقرا اهل الشام ايه الثقلان بضم الها والباقون بفتحها **فصل**
هذه الايات والتي في الاحقاف وقل اوحي دليل على ان الجن مخاطبون مكلفون
مامورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سوا مومنهم وكافرهم
ككافرهم **قوله تعالى** يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا كمومنهم صح
الاية لما بين ان الله تعالى لا يشغله شان عن شان كان قايلا قال فلم اخر
عذابهم فاجيب بان الجميع في قبضته وان الذي يستعجل انما يخاف الفوت
والجميع في قبضة الله تعالى فلا يفوتونه والمعشر الجماعة العظيمة لان المعشر
هو العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده الا بابتدائه فيها من الاحاد نحو
احد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون اي ثلاث عشرات فالمعشر كانه في
محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة فان قيل ما الحكمة في تقديم الجن على الانس

ههنا وتقديم الانس على الجن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران فالجواب ان النفوذ من اقطار السموات
والارض بالجن اليق ان امكن والاتيان بمثل هذا القران بالانس اليق
ان امكن الاتيان فقدم في كل موضع ما يليق به فصل معنى الاية
ان استطعتم ان تنفذوا تجوزوا وتخرجوا بسرعة والنفوذ الخروج
وقد تقدم في اول البقرة انها فاء ونون وعينه فا يدل على الخروج
كنفق ونفر ثم قال من اقطار السموات والارض فانفذوا فاهربوا
واخرجوا منها وهذا امر تعجيز والمعنى حيث ما كنتم ادرككم الموت كما قال
تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت وهو قول الضحاك وروى جويبر عن الضحاك
ايضا انه يقال لهم هذا يوم القيمة يعني ان استطعتم ان تجوزوا اقطار السموات
والارض فجوزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم يعني لا مهرب لكم ولا خروج لكم
عن ملك الله وايما تولوا فثم ملك الله قوله الا بسلطان حال او متعلق
بالفعل قبله والسلطان القوة التي يتسلط بها على الامر والملك والقدرة
والحجة كلها سلطان يريد حيث ما توجهتم كنتم في ملكي قوله يرسل
عليكما شواظ قرا ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان
بمعنى واحد مثل صوار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر والشواظ
قيل اللهب معه دخان وقال ابن عباس وغيره هو اللهب الخالص الذي
لا دخان له وقيل اللهب الاحمر وقيل هو الدخان الخارج من اللهب
وقال رؤبة ۞ ونار حرب تسعر الشواظا ۞ وقال حسان
۞ هجوتك فاختضعت لها بذل ۞ بقافية تاجج كالشواظ ۞
وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك
هو الدخان الذي يخرج من دخان اللهب ليس بدخان الحطب وقاله
سعيد بن جبير وقيل الشواظ النار والدخان جميعا قاله ابن عمرو وحكاه
الاخفش عن بعض العرب قوله ونحاس قرا ابن كثير وابو عمرو بجره عطفا
على نار والباقون برفعه عطفا على شواظ والنحاس قيل هو الصفر المعروف
يذيبه الله تعالى ويعذبهم به وقيل الدخان الذي لا لهب معه قاله
الخليل وهو معروف في كلام العرب وانشد للاعشى
۞ يضي كضوء سراج السليط ۞ لم يجعل الله فيه نحاسا ۞
قال المهدوي من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر في نحاس
على هذا بين فاما الجر على قول من قال ان الشواظ اللهب الذي لا دخان
فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف كانه قال يرسل عليكما
شواظ من نار وشيء من نحاس فشيء معطوف على شواظ ومن نحاس جملة هي صفة
لشيء وحذف شيء وحذفت من لتقدم ذكرها في من نار كما حذفت على من
قولهم على من تنزل انزل عليه فيكون نحاس على هذا مجرورا بمن المحذوفة
وتضم نونه وتكسر وبالكسر قرا مجاهد وطلحة والكلبي ونقله القرطبي
عن حميد ايضا وعكرمة وابي العالية وقرا ابن جندب ونحس كقوله
في يوم نحس وابي بكرة وابن ابي اسحاق ونحس بضم الحا والسين مشددة
من قوله اذ تحسونهم اي ونقتل بالعذاب وقرا ابن ابي اسحاق ايضا
ونحس بضم الحاء وفتحها وكسرها وجر السين والحسن والقاضي ونحس
بضمتين وجر السين وتقدمت قراة زيد ونحاسا بالنصب لعطفه
على شواظ في قراته والنحاس ايضا بالكسر الطبيعة والاصل يقال فلان
كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النجار قال ابن مسعود النحاس
المهل وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار
التي

التي لها ريح شديد وقوله فلا تنتصران اي لا ينصر بعضكم بعضا يعني
الجن والانس وثنى الضمير في عليكما لان المراد النوعان وجمع في قوله ان استطعتم
لانه خطاب للمعشر وكذا قوله فلا تنتصران خطاب الحاضرين وهم نوعان
قوله فاذا انشقت السما جوابه مقدر اي ثابت هولا عظيما او كان ما كان
وقوله كانت وردة اي مثل وردة فقيل هي الزهرة المعروفة التي تشم شبهها
بها في الحمرة وانشد قول الشاعر
۞ فلو كنت وردا لونه لعشقتني ۞ ولكن ربي شانني بسواديا ۞
وقيل هي من لون الفرس الورد يكون في الربيع الى الصفرة وفي الشتا الى الحمرة
وفي اشتداد البرد الى الغبرة فشبه بلون السما بتلون الورد من الخيل
وقرا عمرو بن عبيد وردة بالرفع قال الزمخشري بمعنى فحصلت سما وردة
وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله
۞ فلئن بقيت فلارحلن بغزوة ۞ تحوي الغنائم او يموت كريم ۞
قوله كالدهان يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون نعتا لوردة وان
يكون حالا من اسم كانت وفي الدهان قولان انه جمع دهن نحو قرط وقراط
ورمح ورماح وهو في معنى قوله تعالى تكون السما كالمهل وهو دردي
الزيت والثاني انه اسم مفرد فقال الزمخشري اسم ما يدهن به
كالحزام والادام وانشد
۞ كانهما مزادتا متعجل ۞ فريان لما يدهنا بدهان ۞
وقال غيره ۞ هو الاديم الاحمر ۞ وانشد للاعشى
۞ واجرد من كرام النخل طرف ۞ كان على شواكله دهانا ۞
اي اديما احمر وهذا يحتمل ان يكون جمعا ويؤيده ما انشده منذر
ابن سعيد
۞ تبغي الدهان الحمر كل عشية ۞ بموسم بدر او بسوق عكاظ ۞
فقوله الحمر يؤيد كونه جمعا وقد يقال هو كقولهم اهلك الناس
الدينار الحمر والدرهم البيض الا انه خلاف الاصل وقيل شبهت
بالدهان وهو الزيت لذوبها ودورانها وقيل لبريقها فصل
قال المفسرون انشقت السما انصدعت يوم القيمة فكانت وردة
كالدهان قال مجاهد والضحاك وغيرهما الدهان الدهن والمعنى
صارت في صفا الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير
وقتادة المعنى تصير في حمرة الورد وجريان الدهن اي تذوب مع جريان
الدهن حتى تصير حمرا من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها
وقيل الدهان الجلد الاحمر الصرف ذكره ابو عبيدة والفرا اي تصير السما كالاديم
لشدة حر نار جهنم وعن ابن عباس المعنى فكانت كالفرس الورد في الربيع
كميت اصفر وفي اول الشتا كميت احمر فاذا اشتد الشتا كان كميتا اغبر
وقال الفرا اراد الفرس الوردة تكون في الربيع وردة الى الصفرة فاذا اشتد
البرد كانت وردة حمرا فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة فشبه تلون
السما بتلون الورد من الخيل وقال الحسن كالدهان اي كصب الدهن فانك
اذا صببته ترى فيه الوانا وقال زيد بن اسلم المعنى تصير كعكر الزيت وقيل
المعنى انها تمر وتجي قال الزجاج اصل الواو والرا والدال للمجي والاتيان
وهذا قريب مما تقدم من الفرس الورده تتغير الوانها والورد ايضا يطلق على
الاسد وقال قتادة انها اليوم خضرا وسيكون لها لون احمر حكاه الثعلبي
وقال الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل لون السما الحمرة وانها لكثرة الحوايل
وبعد المسافة يرى لونها ازرق وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمر لحمرة الدم

وتري بالخابل زرقا فان كان هذا صحيحا فان السما لقربها من النوظر
عوضوعن الجملة اي فيوم اذا انشقت السما والفا في فيومئذ جواب
الشرط وقيل هو محذوف اي فاذا انشقت السما ورايت امرا مهولا
ونحو ذلك والها في ذنبه تعود على احد المذكورين وضمير الاخر مقدر اي
ولا يسال عن ذنبه جان ايضا وناصب الظرف لا يسال ولا يمنع
وقد تقدم الخلاف فيها في الفاتحة وتقدمت قراءة جان بالهمز فيها
ايضا **فصل** قال المفسرون هذه الاية مثل قوله تعالى ولا يسال
عن ذنوبهم المجرمون وان القيمة مواطن لطول ذلك اليوم فيسال في
بعض ولا يسال في بعض وهذا قول عكرمة وقيل المعنى لا يسالون
اذا استقروا في النار وقال الحسن وقتادة لا يسالون عن ذنوبهم لان
الله حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس وعن الحسن
ومجاهد ايضا لا تسال الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله
قوله يعرف المجرمون بسيماهم ورواه مجاهد عنه ايضا وفي قوله تعالى
فوربك لنسالنهم اجمعين وهو قوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان قال لا يسالهم ليعرف ذلك منهم ولكن يسالهم لم عملتموها
سوال توبيخ وقال ابو العالية لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم وقال
قتادة يسالون قبل الختم على افواههم ثم يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم
شاهدة عليهم **قوله** يعرف المجرمون بسيماهم قرا حماد بن سليمان
بسيماهم بالمد وتقدم الكلام على ذلك في اخر البقرة **قوله** فيوخذ
بالنواصي الاية يوخذ متعد ومع ذلك تعدى بالبا لانه ضمن معنى
يسحب قاله ابو حيان وسحب انما تعدى بعلى قال تعالى يسحبون في النار
على وجوههم فكان ينبغي ان يقول ضمن معنى يتعدى بدعون اي يدفعون
وقال مكي انما يقال اخذت الناصية واخذت بالناصية ولو قلت
اخذت الدابة بالناصية لم يجز وحكي عن العرب اخذت الخطام واخذت
بالخطام بمعنى وقد قيل ان تقديره فيوخذ كل واحد بالنواصي وليس
بصواب لانه لا يتعدى الى مفعولين احدهما بحرف جر غير البا نحو اخذت
ثوبا من زيد فهذا المعنى غير الاول فلا يحسن مع البا مفعول اخر الا ان
يجعلها بمعنى من اجل فيجوز ان تقول اخذت زيدا بعمرو اي من اجله وبذنبه
انتهى وفيها قال نظر لانك تقول اخذت الثوب بدرهم فقد تعدى بغير
من ايضا بغير المعنى الذي ذكره وال في النواصي والاقدام ليست عوضا
من ضمير عند البصريين فالتقدير بالنواصي منهم وهي عند الكوفيين عوض
والناصية مقدم الراس وقد تقدم هذا مستوفى في هود وفي حديث عايشة
ما لكم لا تنصون ميتكم اي لا تمدون ناصيته والنصي مرعى طيب فقولهم
فلان ناصية القوم يحتمل ان يكون من هذا بمعنى انه طيب منتفع به
او مثل قولهم هو راس القوم **فصل** قال الحسن يعرف المجرمون
بسيماهم اي بسواد الوجه وزرقة الاعين قال تعالى ونحشر المجرمين يوميذ
زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيوخذ بالنواصي والاقدام اي
تاخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعور مقدم روسهم واقدامهم فيقذفونهم
في النار والنواصي جمع ناصية وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه
في سلسلة من وراء ظهره وعنه فيوخذ برجل الرجل فيجمع بينهما وبين
ناصيته حتى يندق راسه ثم يلقى في النار وقيل يفعل ذلك به ليكون اشد
لعذابه واكثر لتشويهه وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تاخذه بناصيته
وتجره على وجهه وتارة تاخذه بقدميه وتسحبه على وجهه فان قيل ما وجه

ازاد

ازاد يوخذ مع ان المجرمين جمع وهم الماخوذون فالجواب من وجهين
احدهما ان قوله يوخذ متعلق بالنواصي كقولك ذهب بزيد والثاني ان
يتعلق بما يدل عليه فكانه قال يوخذ الماخوذون بالنواصي **قوله**
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي يقال لهم هذه جهنم قال
ابن الخطيب ويحتمل ان يقال معناه هذه صفة جهنم فاقيم المضاف
اليه مقام المضاف وقد يكون المشار اليه هو ما تقدم قال والاولى
ان يقال الكلام تم عند قوله النواصي والاقدام وقوله هذه جهنم
تقربها كما يقال هذا زيد وقد وصل اذا قرب فكانه قال جهنم التي
يكذب بها المجرمون هذه قريبة غير بعيدة عنهم ويويده قوله يكذب
لان الكلام لو كان باضمار لقال تعالى لهم هذه جهنم التي كذبتم بها
المجرمون لان ذلك لا يبقى تكذيب **قوله** يطوفون قرا العامة
يطوفون من طاف وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وابو عبد الرحمن
يطافون مبنيا للمفعول من اطافهم غيرهم والاعمش وطلحة وابن
مقسم يطوفون بضم اليا وفتح الطا وكسر الوا ومشددة اي يطوفون
انفسهم وقرات فرقة يطوفون بتشديد الطا والواو والاصل
يتطوفون **قوله** حميم ان اي حار متناه في الحرارة وهو منقوص
كقاض يقال اني ياني فهو ان كقضى يقضي فهو قاض وقد تقدم في
الاحزاب قال قتادة يطوفون مرة بين الجحيم ومرة بين الحميم والجحيم
النار والحميم الشراب وفي قوله تعالى ان ثلاثة اوجه احدها انه الذي قد
انتهى حره وحميه قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ومنه
قول النابغة الذبياني

وتخضب لحية غدرت وخانت … باحمر من نجيع الجوف آن

قال قتادة انه طبخ عند خلق الله السموات والارض يقول اذا استغاثوا
من النار جعل غياثهم ذلك وعن كعب انه الحاضر وعنه ايضا انه اسم واد
من اودية جهنم وقال مجاهد انه الذي انتهى وبلغ غايته ثم قال فباي الا
ربكما تكذبان فان قيل هذه الامور ليست نعمة فكيف قال فباي الا فالجواب
من وجهين احدهما ان ما وصف من هول القيمة وعقاب المجرمين فيه
زجر عن المعاصي وترغيب في الطاعات اذ هذا من اعظم النعم روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى على شاب في الليل يقرا فاذا انشقت السما
فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول
ويحي من يوم تنشق فيه السما ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك
يا فتى مثلها فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملايكة السما من بكايك الثاني
ان المعنى ان كذبتم بالنعم المتقدمة هذه العقوبات وهي دالة على
الايمان بالغيب وهو من اعظم النعم **قوله** ولمن خاف مقام ربه جنتان
يجوز ان يكون مقام مصدرا وان يكون مكانا فان كان مصدرا فيحتمل
ان يكون مضافا لفاعله اي قيام ربه عليه وحفظه لاعماله من قوله
افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت ويروي عن مجاهد قال مجاهد
وابراهيم النخعي هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه
وان يكون مضافا للمفعول والمعنى القيام بحقوق الله فلا يضيعها
وان كان مكانا فالاضافة بادنى ملابسة لما كان الناس يقومون
بين يدي الله تعالى للحساب في عرصات القيمة قيل فيه مقام الله
والمعنى خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية فمقام
مصدر بمعنى القيام **فصل** قال القرطبي هذه الاية دليل

على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث
ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه وقال سفيان
الثوري وافتى به فصل الظاهر ان الجنتين لخائف واحد قال محمد بن
علي الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته قال ابن عباس
من خاف مقام ربه بعد اداء الفرائض قال القرطبي ويجوز ان يكون
المقام للعبد ثم يضاف الى الله وهو كالاجل في قوله فاذا جاء اجلهم وقوله
في موضع اخر ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وقوله ولمن خاف اي لكل خائف
له جنتان على حدة وقيل جنتان لجميع الخائفين والاول اظهر وقيل
جنة لخائف الانس واخرى لخائف الجن فيكون من باب التوزيع •
وقيل مقام ههنا مقحم والتقدير ولمن خاف ربه وانشد •
ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين اي نفيت الذئب وليس
بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل المراد بالجنتين جنة
للجزاء واخرى زيادة على الجزاء وقيل ان الجنتين جنة التي خلقت له وجنة
ورثها وقيل احدى الجنتين منزلة والاخرى منزل ازواجه كما يفعل روساء
الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل احد الجنتين
اسافل القصور والاخرى اعاليها وقال مقاتل هما جنة عدن وجنة النعيم
وقال الفراء انما جنة واحدة وانما ثنى مراعاة لرؤوس الاي وقيل جنة واحدة
وانما ثنى تاكيدا كقوله تعالى القيا في جهنم وانكر القتبي هذا وقال لا يجوز
ان يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر مراعاة لرؤوس
الاي وقيل جنة واحدة وانما ثنى تاكيدا كقوله تعالى وايضا فقال ذواتا
وقال عطاء وابن شوذب نزلت هذه الاية في ابي بكر رضي الله عنه حين
ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين ابرزت وقال الضحاك
بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه فسال عنه فاخبر انه من غير
حل فاستقاءه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال
رحمك الله لقد انزلت فيك اية وتلا عليه الاية قوله ذواتا صفة
لجنتان او خبر مبتدا محذوف اي هما ذواتا وفي تثنية ذات لغتان
الرد الى الاصل فان اصلها ذوية والعين واو واللام ياء لانها مؤنثة
ذو والثانية التثنية على اللفظ فيقال ذاتا • والافنان فيه
وجهان احدهما انه جمع فنن كطلل وهو الغصن قال النابغة الذبياني

بكاء حمامة تدعو هديلا • مفجعة على فنن تغني • وقال اخر
رب ورقاء هتوف بالضحى • ذات شجو صدحت في فنن • وقال اخر
على كل افنان العضاه تروق • والفنن جمعه افنان ثم الافانين قال

الشاعر يصف رحى • لها زمام من افانين الشجر • وشجرة فناء اي ذات افنان
وفنواء ايضا على غير قياس وفي الحديث اهل الجنة مرد مكحلون اولو افانين يريد
جمع افنان وافنان جمع فنن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقيل
ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل على سواهما قاله قتادة وعن
مجاهد ايضا وعكرمة ان الافنان ظل الاغصان على الحيطان وقال مجاهد ايضا
هو الغصن المستقيم طولا • الوجه الثاني انه جمع فن كدن واليه اشار ابن
عباس والمعنى ذواتا انواع واشكال وانشدوا

ومن كل الملاذة والصبا • لهوت به والعيش اخضر ناضر

قال سعيد بن جبير والضحاك الوان من الفاكهة واحدها فن من قولهم
افنن فلان في حديثه اذا اخذ في فنون منه وضروب الا ان الكثير في فن
ان يجمع على فنون ويجمع عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة

قوله

قوله فيهما عينان تجريان اي في كل واحدة منهما عين جارية
كما قال تعالى فيها عين جارية تجريان ثم بالزيادة والكرامة من الله تعالى
على اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى
العينين التسنيم والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان
من جبل من مسك • قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن
كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله قوله فيهما من كل
فاكهة زوجان اي صنفان ونوعان قيل معناه ان فيهما من كل
ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة
حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فان قيل قوله
ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان
اوصاف للجنتين المذكورة فهو كالكلام الواحد تقديره جنتان
ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان
فما الفائدة في فصل بعضها على بعض بقوله فباي الاء ربكما تكذبان مع انه
لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات بل قال يرسل عليكما شواظ من
نار ونحاس فلا تنتصران مع ان ارسال النحاس غير ارسال الشواظ
وقوله يطوفون كلام اخر • فالجواب انه جمع العذاب جملة وفصل ايات
الثواب ترجيحا لجانب الرحمة على جانب العذاب وتطييبا للقلب
وتهييجا للسامع فان اعادة ذكر المحبوب محبوب وتطويل الكلام في
اللذات مستحسن • فان قيل ما وجه توسط اية العينين بين ذكر
الافنان واية الفاكهة والفاكهة انما تكون على الاغصان فالمناسبة
ان لا يفصل بين اية الاغصان والفاكهة • فالجواب انه على عادة
المتنعمين اذا خرجوا اذا خرجوا يتفرجون في البستان فاول قصدهم
الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعا قوله متكئين يجوز ان تكون
حالا من من في قوله ولمن خاف وانما جمع حملا على معنى من بعد الافراد
حملا على لفظها وقيل حال عاملها محذوف اي يتنعمون متكئين وقيل
منصوب على الاختصاص والعامة على فرش بضمتين وابو حيوة
بضمة وسكون وهي تخفيف منها قوله بطائنها من استبرق هذه
الجملة يجوز ان تكون مستانفة والظاهر انها صفة لفرش وتقدم الكلام
في الاستبرق في سورة الكهف وقال ابو البقاء هنا اصل الكلمة فعل على
استفعل فلما سمي به قطعت همزته وقيل هو اعجمي وقرئ بحذف الهمزة
وسكون النون وهو سهو لان ذلك لا يكون في الاسماء بل في المصادر والافعال
انتهى اما قوله وهو سهو لان ذلك لا يكون الى اخره يعني ان حذف الهمزة
في الدرج لا يكون الا في الافعال والمصادر واما الاسماء فلا تحذف همزاتها
لانها همزات قطع قال شهاب الدين وهذا الكلام احق بان يكون سهوا
لانا اولا لا نسلم ان هذه القراءة من حذف همزة القطع اجراها مجرى همزة
الوصل وانما ذلك من باب نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وحركة
الهمزة كانت كسرة فحركة النون حركة نقل لا حركة التقاء الساكنين ثم
قوله الا في الافعال والمصادر ليس هذا الحصر بصحيح اتفاقا لحذفها في
اسماء عشرة ليست بمصادر تقدم ذكرها في اول الكتاب قال ابن الخطيب
قوله على فرش متعلق بما في متكئين كانه يقول يتكئون على فرش كما يقال فلان
اتكا على عصاه او على مخدته وهذا بعيد لان الذي لا تتكا عليه وان كان
متعلقا بغيره فهو كقول لتقديره يتنعم الكل يتكئون على فرش متكئين
من غير بيان ما يتكئون عليه فصل الاستبرق ما غلظ من الديباج

قال ابن مسعود وابو هريرة اذا كانت البطاين التي تلي الارض هكذا فما ظنك بالظهارة • وقيل لسعيد بن جبير البطاين من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطاينها لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله قال القرطبي وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور يتلالا • وعن الحسن البطاين هي الظواهر وهو قول الفرا وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهر فيقولون هذا بطن السما وظهر الارض وقال الفرا قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السما وهذا بطن السما لظاهرها الذي تراه • وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوم كالحايط بينك وبين قوم وعلى ذلك امر السما • وقال ابن عباس وصف البطاين وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر **فصل**

قال ابن الخطيب لا استبرق معرب وهو الديباج الثخين وكما ان الديباج معرب بسبب ان العرب لم يكن عندهم ذلك الا من العجم تصرفوا فيه وهو ان اصله بالفارسية ستبرك بمعنى ثخين فزادوا في اوله همزة وبدلوا القاف كافا اما الهمزة فلان حركات اوايل الكلم في لسان العجم غير مبنية في كثير من المواضع فصارت كالسكون فاثبتوا فيه همزة كما يجلبون همزة الوصل عند سكون اول الكلمة ثم ان البعض جعلوها همزة وصل وقالوا من استبرق والاكثرون جعلوها همزة قطع لان اول الكلمة في الاصل متحرك لكن بحركة فاسدة فاتوا بهمزة تسقط عنهم الحركة الفاسدة وتمكنهم من تسكين الاول لان عندنا فساد الحركة او العود الى السكون اقرب واواخر الكلمات عند الوقف يسكن ولا يبدل حركة بحركة واما القاف فانهم ارادوا الاظهار كونها فارسية او عجمية فاسقطوا منها الكاف التي هي حرف تشبيه وعلى لسان العرب في اواخر الكلم الخطاب لو تركت الكاف لاشبه تشبرك اذا الحقت كاف الخطاب بها فلو تركت الكاف كافا ولا اشتبه الحقت الهمزة بها وهذا ومثله لا يخرج القران عن كونه عربي لان العربي ما نطقت به العرب واضعا واستعمالا من لغة غيرها وذلك كله سهل عليهم وبه يحصل الاعجاز بخلاف ما لم يستعملوه من كلام العجم لصعوبته عليهم وذكر الاتكا لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم بخلاف المريض والمهموم **قوله** وجنى الجنتين دان مبتدا وخبر ودان اصله دانو مثل غاز فاعل كاعلال وقرا عيسى بن عمر وجنى بكسر النون وتوجيهها ان يكون امالة الفتحة لاجل الالف ثم حذف الالف لالتقا الساكنين وابقا امالة النون وقطت كسرة وقري وجنى بكسر الجيم وهي لغة والجنى ما يقطف من الثمار وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض **فصل** قال القرطبي الجنى ما يجتنى من الشجر يقال اتانا بجنا طيب لكل ما يجتنى وثمرة جنى على فعيل حين يجنى وقوله دان اي قريب • قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شا قايما وان شا قاعدا وان شا مضطجعا • وقال قتادة لا يرد يده بعد ولا شوك • قال ابن الخطيب جنة الاخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة اوجه • احدها ان الثمرة على روس الشجر في الدنيا بعيدة على الانسان المتكي وفي الجنة هو متكي والثمرة تتدلى اليه • وثانيها الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الاخرة هي تدنو اليهم وتدور عليهم • وثالثها ان الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمر شجرة بعد عن غيرها

وثمار الجنة كلها تدنو اليهم في وقت واحد ومكان واحد **قوله** فيهن قاصرات الطرف • اختلف في هذا الضمير فقيل يعود على الجنان فان قيل كيف تقدم تثنيته في قوله فيهما عينان • وفيهما من كل فاكهة ثم اتى بضمير جمع • فالجواب ان اقل الجمع اثنان على قول وله شواهد تقدم اكثرها او تقول عاد على الجنان المدلول عليها بالجنتين او نقول كل فرد فرد له جنتان فصح انها جنات كثيرة • واما ان الجنة تشتمل على مجالس وقصور ومنازل فاطلق على كل واحد منها جنة • وقيل يعود على الفرش • قال الزمخشري فيهن اي في هذه الالا المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى • قال ابو حيان وفيه بعد وكان قد استحسن الرد الاول وفيه نظر لان الاستعمال ان يقال على الفراش كذا ولا يقال في الفراش كذا الا بتكلف فلذلك جمع الزمخشري مع الفرش غيره حتى صح له ان يقول فيهن بحرف الظرفية ولان الحقيقة ان يكون الانسان على الفرش لانه مستعل عليها • واما كونه فيها فلا يقال الا مجازا • وقال الفرا كل موضع في الجنة جنة فلذلك صح ان يقال فيهن • والقاصرات الحابسات اي ناعسات الطرف اي يحبسن اعينهن عن غير ازواجهن ومعناه قصرن الحاظهن على ازواجهن قال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول ۝ من الذر فوق الاتب منها لاثرا

وقاصرات الطرف من اضافة اسم الفاعل المنصوب تخفيفا اذ يقال قصر طرفه على كذا وحذف متعلق القصر للعلم به اي على ازواجهن كما تقدم تقريره وقيل معناه قاصرات طرف غيرهن عليهن اذا راهن احد لم يتجاوز طرفه الى غيرهن • ووحد الطرف مع الاضافة الى الجمع لانه في معنى المصدر من طرفت عينه يطرف طرفا ثم كما فيها عين تطرف ثم سميت العين بذلك فادى عن الواحد والجمع كقولهم قوم عدل وصوم قاله القرطبي واعلم ان هذا الترتيب غاية الحسن لانه بين اولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما تتنزه به وهو البستان والاعين الجارية ثم ذكر الماكول فقال فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفرش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه • قال ابن الخطيب وقوله قاصرات الطرف اي نسا او ازواج فحذف الموصوف لنكتة وهي انه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس وهو النسا بل بالصفات فقال حور عين كواعب اترابا قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل نسا عربا ولا نسا قاصرات لوجهين اما على عادة العظما كبنات الملوك انما يذكرون باوصافهن واما لانهن لما تجانسن كانهن خرجن من جنسهن • وقوله تعالى قاصرات الطرف يدل على عفتهن وعلى حسن المومنين في اعينهن فيحببن ازواجهن حبا يشغلهن عن النظر الى غيرهم ويدل ايضا على الحيا لان الطرف حركة الجفن والجنينة لا يتحرك جفنها ولا ترفع راسها **قوله** لم يطمثهن هذه الجملة يجوز ان تكون نعتا لقاصرات لان اضافتها لفظية كقوله هذا عارض ممطرنا • ويارب غابطنا لو كان يطلبكم • وان تكون حالا لتخصيص النكرة بالاضافة • واختلف في هذا الحرف والذي بعده عن الكسائي فنقل عنه انه كان يجيز في ضم ايهما شا القاري • ونقل عنه الدوري ضم الاول فقط • ونقل عنه ابو الحارث ضم الثاني فقط وهما لغتان يقال طمثها يطمثها ويطمثها اذا جامعها لما روي ابو اسحاق السبيعي قال كنت اصلي خلف اصحاب علي فاسمعهم يقولون لم يطمثهن بالرفع وكنت اصلي خلف اصحاب عبد الله فاسمعهم يقولون بكسر الميم وكان الكسائي يضم احداهما ويكسر الاخرى لئلا يخرج من هذين الاثرين • واصل الطمث

الجماع المودي الى خروج دم البكر ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن
معه دم • وقيل الطمث دم الحيض او دم الجماع ثم اطلق على كل جماع فيكون
اصله من الدم • ومنه قيل للحائض طامث كانه قيل لم يدمهن بالجماع
انس قبلهم ولا جان • وقيل الطمث المس لقالص وقرا الجحدري وطلحة
ابن مصرف يطمثهن بفتح الميم في الحرفين وهو شاذ اذ ليست عينه
ولا لامه حرف حلق والضمير في قبلهم عائد على الازواج الدال عليهم
قوله قاصرات الطرف او الدال عليه متكئين **فصل**
قال القرطبي لم يطمثهن اي لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن احد
قال الفرا الطمث الافتضاض والنكاح بالتدمية منه طمثها يطمثها
ويطمثها طمثا اذا افتضها ومنه قيل امراة طامث اي حائض وغير
الفرا يخالفه في هذا ويقول طمثها اي بمعنى وطيها على اي الوجوه
كان الا ان الفرا اعرف واشهر • قال الفرزدق •
• دفعنا الي لم يطمثهن قبلي • وهن اصح من بيض النعام •
وقال ابو عمرو الطمث المس وذلك في كل شي يمس ويقال للمرتع
ما طمث ذي المرتع قبله احد وما طمث هذه الناقة جمل اي
ما مسها عقال وقال المبرد لم يذللهن انس ولا جان والطمث
التذليل وقرا الحسن جان بالهمز **فصل** دلت هذه
الاية على ان الجن تغشى كالانس وتدخل الجنة ويكون لهم فيها
جنيات قال ضمرة للمومنين منهم ازواج من الحور فالانسيات
للانس والجنيات للجن وقيل معناه لم يطمث ما وهب الله
للمومنين من الجن في الجنة من الحور العين من الانسيات انس وذلك
لان الجن لا تطا بنات ادم في الدنيا ذكره القشيري قال القرطبي
قد مضى القول في هذا في سورة النمل وفي سبحان ايضا وانه جائز
ان تطا بنات ادم وقد قال مجاهد انه اذا جامع الرجل ولم يسم
انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان لان نسا خلقن في الجنة فعلى قوله يكونون من حور
الجنة وقال الشعبي من نسا الدنيا لم يمسسهن هذا شي فيه
انس ولا جان **قوله** كانهن الياقوت والمرجان هذه الجملة يجوز
ان تكون نعتا لقاصرات وان تكون حالا منها ولم يذكر مكي غيره
وتقدم الكلام في المرجان والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار
لم تؤثر فيه ولذلك قال الحريري •
• وطالما اصطلى الياقوت جمر غضى • ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت •
اي حاله لم يوثر بها وجه التشبيه كما قال الحسن في صفاء الياقوت
وبياض المرجان وهذا على القول ان الياقوت ابيض كما تقدم وقيل
الوجه في الصفة بها لنفاستهما لا للونهما ولذلك سموا المرجانة
درة وشبه ذلك **قوله** هل جزا الاحسان الا الاحسان
قرا ابن ابي اسحاق الا الحسان اي الا الحور الحسان قال القرطبي
هل في الكلام على اربعة اوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى
وهل اتاك وبمعنى الاستفهام كقوله تعالى فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله تعالى فهل انتم منتهون وبمعنى
ما في الجحد كقوله تعالى فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهل جزا الاحسان
الا الاحسان قال ابن الخطيب في هذه الاية وجوه كثيرة حتى قيل
ان في القران ثلاث ايات وفي كل واحدة منها مائة قول احدها
فاذكروني

فاذكروني اذكركم وثانيها وان عدتم عدنا وثالثها هل جزا الاحسان
الا الاحسان وللمشهور منها اقوال احدها قال عكرمة اي هل
جزا من قال لا اله الا الله وعمل بما جا به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة
وقيل هل جزا من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة قال ابن زيد
وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال يقول الله
هل جزا من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحضيرة
قدسي برحمتي وقال الصادق هل جزا من احسنت اليه في الازل الا حفظ
الاحسان اليه في الابد قال ابن الخطيب والاقرب انه عام فجزا كل من
احسن الى غيره ان يحسن هو ايضا **قوله** ومن دونهما جنتان اي من
دون تلك الجنتين المتقدمتين جنتان في المنزلة وحسن المنظر وهذا
على الظاهر من ان الاوليين افضل من الاخريين وقيل بالعكس ورجحه
الزمخشري وقال قوله فيهما مدهامتان مع قوله في الاوليين ذواتا
افنان يدل على ان مرتبة هاتين دونهما وكذلك قوله في الاوليين فيهما
عينان تجريان مع قوله في هاتين فيهما عينان نضاختان لان النضخ
دون الجري وقوله في الاوليين فيهما من كل فاكهة مع قوله في هاتين فيهما فاكهة
وقوله في الاوليين فرش بطائنها من استبرق حيث ترك ذكر الظواهر
لعلوها ورفعتها وعدم ادراك العقول اياها مع قوله في هاتين رفرف
خضر دليل عليه وقال القرطبي لما وصف الجنتين اشار الى الفرق بينهما
فقال في الاوليين فيهما من كل فاكهة وقال في الاوليين متكئين على فرش
بطائنها من استبرق وهو الديباج وفي الاخريين متكئين على رفرف
خضر وعبقري حسان والعبقري الوشي والديباج اعلى من الوشي والرفرف
كسر الخبا والفرش المعدة للاتكا عليها افضل من كسر الخبا وقال في الاوليين
في صفة الحور كانهن الياقوت والمرجان وقال فيهن خيرات حسان وليس
كل حسن كحسن الياقوت والمرجان وقال في الاوليين ذواتا افنان
وفي الاخريين مدهامتان اي خضراوان كانهما من شدة خضرتهما سود
اوان وهذا كله بيان لتفاوت ما بينهما قال ابن
الخطيب ويمكن ان يجاب بان عطا الله في الاخرة متتابع اما ان يكون
مثل الاول او خيرا منه ويمكن ان يجيب الزمخشري بان الجنتين اللتين
من دونهما للذرية التي الحقهم الله بهم ولاتباعهم لا لهم وانما جعلها لهم
انعاما عليهم اي هاتان لكم اسكنوا فيهما من تريدون وقيل ان المراد بقوله
ومن دونهما اي دونهما في المكان كانهم في جنتين ويطلعون من فوق على
جنتين اخريين بدليل قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من
تحتها الانهار قال ابن عباس ومن دونهما في الدرج وقال ابن زيد ومن
دونهما في الفضل وقال ابن عباس والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون
في الاوليين النخل والشجر وفي الاخريين الزرع والنبات وقيل المراد
من قوله ومن دونهما جنتان لاتباعهم لقصور منزلتهم عن منزلة احدهما
للحور العين والاخرى للولدان المخلدون ليتميز بها الذكور من الاناث
وقال ابن جريج هن اربع جنتان منهما للسابقين وجنتان من فضة
للتابعين وقال عليه الصلوة والسلام جنتان من فضة انيتهما
وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين
ان ينظروا الى ربهم الا ردا الكبريا على وجهه في جنة عدن وقال
الكسائي ومن دونهما اي امامهما وقبلهما قال البغوي يدل عليه
قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان
من ياقوت وزمرد وهما افضل من الاوليين والى هذا القول ذهب
ابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال ومعنى ومن

دونهما اي دون هذا العرش اي اقرب وادنى الى العرش وقال مقاتل
الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس
وجنة المأوى **قوله** مدهامتان اي خضراوان قال ابن عباس وغيره
وقال مجاهد مسودتان والادهام في اللغة للسواد وشدة الخضرة
جعلا مدهامتان لشدة ريهما وهذا مشاهد بالنظر ولذلك
قالوا سواد العراق لكثرة شجره وزرعه ويقال فرس ادهم وادهام الشي
ادهيماما اي اسودادا والارض اذا اخضرت غاية الخضرة تضرب الى السواد
ويقال للارض المعمورة سواد ويقال اسود البلد وقال عليه الصلوة والسلام
عليكم بالسواد الاعظم ومن كثر سواد قوم فهو منهم قال ابن الخطيب
والتحقيق اذا ابتدا الالوان هو البياض وانتهاوها هو السواد فان
الابيض يقبل كل لون والاسود لا يقبل شيا من الالوان **قوله** فيهما
عينان نضاختان قال ابن عباس فوارتان بالماء والنضخ بالخاء المعجمة
اكثر من النضح بالحاء المهملة لان النضح بالمهملة الرش والرشح وبالمعجمة
فوران الماء وقال ابن عباس والحسن ومجاهد المعنى نضاختان بالخير
والبركة وعن ابن مسعود وابن عباس ايضا وانس تنضخ على اولياء الله
بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضح رش المطر وقال سعيد
ابن جبير بانواع الفواكه والماء **قوله** فيهما فاكهة ونخل ورمان قال
بعض العلماء ليس الرمان والنخل من الفاكهة لان الشي لا يعطف على نفسه
انما يعطف على غيره لان العطف يقتضي المغايرة وهذا ظاهر الكلام
فلو حلف لا ياكل فاكهة لم يحنث باكلهما وقال الجمهور هما من الفاكهة وانما
اعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفاكهة فهو من باب ذكر الخاص بعد
العام تفضيلا له كقوله تعالى وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقوله
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى قال شهاب الدين وهذا يجوز لان
فاكهة ليس عاما لانه نكرة في سياق الاثبات وانما هو مطلق ولكن لما كان
صادقا على النخل والرمان قيل فيه ذلك وقال القرطبي انما كررهما لان النخل
والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة
قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسهما
عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار الذي يعجبون بها
فانما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة
الى مكة الى ما والاها من ارض اليمن فاخرجهما من الذكر من الفواكه وافردهما
على حدتهما وقيل افرد بالذكر لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة
ودوا فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا ياكل فاكهة
فاكل رمانا او رطبا لا يحنث **فصل** قال ابن الخطيب قوله فيهما فاكهة
ونخل ورمان كقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان لان الفاكهة ارضية وشجرية
والارضية كالبطيخ وغيره من الارضيات المزروعة والشجرية كالنخل والرمان
وغيرهما من الشجريات تعالى مدهامتان بانواع الخضر التي منها الفواكه
الارضية والفواكه الشجرية وذكر منها نوعين وهما الرمان والرطب لانهما
متقابلان لان احدهما حلو والاخر حامض واحدهما حار والاخر بارد واحدهما
فاكهة وغذا والاخر فاكهة ودوا واحدهما من فواكه البلاد الحارة والاخر
من فواكه البلاد الباردة واحدهما اشجاره في غاية الطول والكبر والاخر
اشجاره بالضد واحدهما ما يوكل منه بارز وما لا يوكل كامن والاخر ما يوكل
بارز وما لا يوكل كامن فهما كالضدين والاشارة الى الطرفين يتناول الاشارة الى
ما بينهما كقوله تعالى رب المشرق والمغرب **فصل** قال ابن عباس
الرمانة في الجنة ملء جلد البعير المقتب وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس
نخل

نخل جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة
منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلاء اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل والين من الزبد ليس لها عجم وفي رواية كلما نزعت ثمرة
عادت مكانها اخرى وان ماءها ليجري من غير اخدود والعنقود اثنا عشر
ذراعا **قوله** فيهن خيرات حسان في خيرات وجهان احدهما انه
انه جمع خيرة من خيره ويدل على ذلك قراءة بن زيد فعلة بسكون العين
يقال امراة خيرة وامراة شرة والثاني انه جمع خيرة المخففة من خيرة
ويدل على ذلك قراءة ابن مقسم والنهدي وبكر بن حبيب خيرات بتشديد
اليا قال القرطبي وهي قراءة قتادة وابن السميفع وابو رجاء العطاردي
وقرا عمرو خيرات بفتح اليا جمع خيرة وهي شاذة لان العين معتلة الا ان
بني هذيل تعامله معاملة الصحيح فيقولون جورات وبيضات وانشد

اخو بيضات رايح متاوب   رفيق بمسح المنكبين سبوح

قال المفسرون الخيرات الحسان يعني النساء الواحدة خيرة على معنى ذوات
خير وقيل خيرات بمعنى خيرات فخفف كهين ولين روى الحسن عن امه عن
ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قوله خيرات
حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال ابو صالح لانهن عذارى
ابكار قال الحكيم الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله فابدع خلقهن باختياره
واختيار الله لا يشبه اختيار الادميين ثم قال حسان فوصفهن بالحسن
فاذا وصف الله خالق الحسن شيا بالحسن فانظر ما هناك قال ابن
الخطيب في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن **قوله** حور مقصورات في
الخيام معنى مقصورات في الخيام اي محبوسات ومنه القصر لانه يحبس من
فيه ومنه قول النحاة المقصور لانه حبس عن المد وحبس عن الاعراب او حبس
الاعراب فيه والنساء تمدح بملازمتهن البيوت كما قال قيس بن الاسلت

وتكسل عن جاراتها فيزرنها   وتغفل عن ابياتهن فتعذر

وقصيرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة فيه

وانت التي حببت كل قصيرة   الي ولم تعلم بذاك القصاير

وقال

عنيت قصارات الحجال ولم ارد   قصار الخطا شر النساء البحاتر

والخيام جمع خيمة وهي تكون من عام وساير الحشيش فان كانت من شعر فلا يقال
لها خيمة بل بيت قال جرير

متى كان الخيام بذي طلوح   سقيت الغيث ايتها الخيام

فصل اختلفوا ايما اكثر حسنا واتم جمالا الحور لما ذكر من وصفهن
في القران والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعايه في صلوة الجنايز
وابدله دارا خيرا من داره وابدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الادميات
افضل من الحور العين بتسعين الف ضعف رواه ذلك مرفوعا وقيل
ان الحور العين المذكورات في القران هن المومنات من ازواج النبيين
والمومنين يخلقن في الاخرة على احسن صورة قاله الحسن البصري والمشهور
ان الحور العين لسن من نساء اهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالى
قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نساء اهل الدنيا مطموثات
فصل الحور العين جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين مع سوادها
والمقصورات المحبوسات المستورات في الخيام وهي الحجال لسن بالطوافات
في الطرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس الخيمة درة مجوفة وقال ابن
عباس وهي فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب قال ابو عبيد

الحكيم الترمذي في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام بلغنا في الرواية
ان سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل
واحدة خيمة على شاطئ الانهار سعتها اربعون ميلا وليس لها باب
حتى اذا دخل ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة ليعلم ولي الله ان ابصار
المخلوقين من الملائكة والخدم لم ياخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن
اعين المخلوقين وقال مجاهد قصرن اطرافهن وانفسهن على ازواجهن
فلا يبغين بدلا وقال عليه الصلوة والسلام لو ان امراة من نسا اهل الجنة
اطلعت على اهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا وتقدم
الكلام على قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قوله متكئين
على رفرف خضر الرفرف جمع رفرفة فهو اسم جنس وقيل بل هو اسم جمع
نقلهما مكي وهو ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقال الجوهري ثياب
خضر يتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف الطائر
اذا ارتفع في الهواء ورفرف بجناحه اذا نشرهما للطيران ورفرف السحاب هبوبه
ويدل على كونه جمعا وصفه بالجمع وقال الراغب رفيف الشجر انتشار اغصانه
ورفيف الطائر نشر جناحيه يرف بالكسر ورف فرخه يرفه بالضم تفقده
ثم استعير للتفقد ومنه ما له حاف ولا راف اي ما له من يحفه ولا يتفقده والرفرف
المنتشر من الاوراق وقوله على رفرف خضر ضرب من الثياب مشبه بالرياض
وقيل الرفرف طرف الفسطاط والخبا الواقع على الارض دون الاطناب والاوتاد
وذكر الحسن انه المخاد وقال ابن جبير وابن عباس ايضا رياض الجنة من رف
النبت اذا نعم وحسن وقال ابن عيينة هو الزرابي وقال ابن كيسان هو المرافق
وقال ابو عبيدة هو حاشية الثوب وقيل الفرش المرتفعة وقيل كل ثوب
عريض عند العرب فهو رفرف قال القرطبي وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم فرفع الرفرف فراينا وجهه كانه ورقة اي رفع طرف الفسطاط وقيل
اصل الرفرف من رف النبت يرف اذا صار غضا نضرا قال القتيبي يقال
للشي اذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة حتى يكاد يهتز رف يرف رفيفا
حكاه الهروي وقد قيل ان الرفرف شي اذا استوى عليه صاحبه رفرف به
واهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ مع انيسه قاله
الحكيم الترمذي في نوادر الاصول قال فالرفرف اعظم خطرا من الفرش
فذكر في الاولتين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين
على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي على شي اذا استوى عليه الولي رفرف
به اي طار به حيث ما يريد كالمرجاح ويروى في حديث المعراج ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سند
العرش فذكر انه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما كان الانصراف
تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف
خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور في محل الدنو والقربة كما ان
البراق دابة تركبها الانبيا مخصوصة بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخر
لاهل الجنتين الدانيتين هو متكاهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك
الانهار حيث يشا الى خيام ازواجه قوله خضر نعت هنا بخضر لان اسم
الجنس ينعت بالجمع كقوله والنخل باسقات وافرد وحسن جمعه هنا
حسان وقرا العامة رفرف وقرا عثمان بن عفان ونصر بن عاصم والجحدري
والعرفي وغيرهم رفارف خضر بالجمع وسكون الضاد وعنهم ايضا خضر بضم
الضاد وهي اتباع للخا وقيل هي لغة في جمع افعل الصفة قال القرطبي
وروى ابو بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا متكئين على

رفارف



رفارف خضر وعباقري حسان ذكره الثعلبي وضم الضاد من خضر وانشد لطرفه

ايها الفتيان في مجلسنا ✤ جردوا منها ورادا وشقر

وقال آخر

ولا نمت المحجور ولا كشف ✤ ولا الناس عداة الروع اوزاع

وقرا وعباقري بكسر القاف وتشديد اليا مفتوحة على منع الصرف
وهي مشكلة اذ لا مانع من تنوين يا النسب وكان هذا القاري
توهم كونها في مفاعل تمتنع من الصرف وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم وجماعة عباقري منونا ابن خالويه وروي عن عاصم
رفارف بالصرف وقد يقال في من منع عباقري انه لما جاور رفارف
الممتنع امتنع مشاكلة وفي من صرف رفارف انه لما جاور عباقري المنصرف
صرفه للتناسب سلاسلا واغلالا كما سياتي بيانه ان شاء
الله تعالى وقرا ابو محمد المروزي وكان نحويا حضار كضراب بالتشديد
وافعل وفعال لا يعرف قوله وعبقري حسان الجمهور قراوا
وعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انها بلد الجن قال ابن الانباري
الاصل فيه ان عبقر قرية تسكنها الجن ينسب اليها كل فائق جليل وقال
الخليل كل نفيس فاضل فاخر من الرجال والنسا وغيرهم عند العرب عبقري
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا من
الناس يفري فريه فقال رئيس قوم وجليلهم وقال زهير

بخيل عليها جنة عبقرية ✤ جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا

وقال الجوهري العبقري موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد

كهول وشبان كجنة عبقر ✤ ثم نسبوا اليه كل شي تعجبوا من حذقه

وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد وجمع وفي الحديث انه
كان يسجد على عبقري وهو البسط التي فيها الاصباغ والنقوش والمراد به
في الاية قيل البسط التي فيها الصور والتماثيل وقيل هي الزرابي وقيل
الطنافس وقيل الديباج الثخين وعبقري جمع عبقرية فيكون اسم جنس
كما تقدم في رفرف وقيل هو واحد دال على الجمع ولذلك وصف بحسان
قال القرطبي وقرا بعضهم عباقري حسان وهو خطا لان المنسوب
لا يجمع على نسبته وقال قطرب ليس بمنسوب وهو مثل كرسي وكراسي
وبختي وبخاتي قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام قرا عامر
ذو الجلال بالواو وجعله تابعا للاسم وكذا هي في مرسومة في مصاحف
الشاميين قال القرطبي وذلك يقوي كون الاسم هو المسمى والباقون باليا
صفة للرب فانه هو الموصوف بذلك واجمعوا على الواو في الاولى الا من
استثني فيما تقدم فان قيل تبارك تفاعل من البركة قال ابن الخطيب
واصل التبارك من التبرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة
الماء فان الماء يكون فيها دائما والمعنى دام اسمه وثبت او دام الخير
عنده لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير ويكون
معناه علا وارتفع شانه فصل قال القرطبي انه يريد به
الاسم الذي افتتح به السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف
خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصنعه وانه كل يوم
هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيمة واهوالها وصفة
النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في اخر السورة تبارك اسم ربك ذي
الجلال والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم
ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السما والارض والخليقة

والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه فقال تبارك اسم
ربك ثم قال ذي الجلال والاكرام • اي جليل في ذاته كريم في افعاله • روى
الثعلبي عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لكل شي عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره وعن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن رحم الله
ضعفه وادى شكر ما انعم الله عز وجل عليه والله سبحانه وتعالى الموفق
الهادي الى الخيرات

سورة الواقعة مكية

وقول الحسن وعكرمة وجابر وعطا • قال ابن عباس وقتادة الا اية
منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
وقال الكلبي مكية الا اربع ايات منها اثنتان افبهذا الحديث انتم مدهنون
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفره وقوله تعالى ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين نزلتا في سفره الى المدينة وهي ستة وتسعون اية
وثلاث مائة وثمان وتسعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا وقعت الواقعة • في اذا اوجه احدها
انها ظرف محض ليس فيه معنى الشرط والعامل فيها ليس • الثاني ان العامل
فيها اذكر مقدرا • قال الزمخشري فان قلت بما انتصب اذا قلت بليس كقولك
يوم الجمعة ليس لي شغل ثم قال او باضمار اذكر • قال ابو حيان ولا يقول هذا
نحوي قال لان ليس مثل ما النافية فلا حدث فيها فكيف تعمل في الظرف من غير
حدث وتسميتها فعلا مجاز فان حد الفعل غير منطبق عليها ثم قال واما
المثال الذي نظره فالظرف ليس معمولا لليس بل للخبر وتقدم معمول خبرها عليها
وهي مسئلة خلاف انتهى • قال شهاب الدين الظروف يعمل فيها روائح الافعال
ومعنى كلام الزمخشري ان النفي المفهوم من ليس هو العامل في اذا كانه قيل ينتفي
كذب وقوعها اذا وقعت ويدل على هذا قول ابي البقا • والثاني ظرف لما
دل عليه ليس لوقعتها كاذبة اي اذا وقعت لم يكذب • فان قيل فلم لا يجوز ذلك
في ما النافية ايضا • فالجواب ان الفعل اقرب الى الدلالة على الحدث من الحرف
الثالث انها شرطية وجوابها مقدر اي اذا وقعت كان كيت وكيت وهو العامل
فيها • الرابع انها شرطية والعامل فيها الفعل الذي بعدها ويليها وهو اختيار
ابي حيان وتبع في ذلك مكيا • قال مكي والعامل فيها لانها قد يجازى بها فيعمل فيها
الفعل الذي بعدها كما يعمل فيما ومن اللتين للشرط في قولك ما تفعل افعل
ومن تكرم اكرم ثم ذكر كلاما كثيرا • الخامس انها مبتدا واذا رجت خبرها
وهذا على قولنا انها تتصرف وقد مضى تحريره الا ان هذا الوجه انما جوزه
ابن مالك وابن جني وابو الفضل الرازي على قراءة من نصب خافضة رافعة
على الحال وحكاه بعضهم عن الاخفش • قال شهاب الدين ولا ادري
ذلك بوجه النصب • السادس انه ظرف لخافضة او رافعة قاله ابو
البقا اي اذا وقعت خفضت ورفعت • السابع ان يكون ظرفا لرجت
واذا الثانية على هذا اما بدل من الاولى او تكرير لها • الثامن ان العامل
ما دل عليه قوله فاصحاب الميمنة اي اذا وقعت بانت احوال الناس فيها
التاسع ان جواب الشرط قوله فاصحاب الميمنة الى اخره ولوقعتها خبر
مقدم وكاذبة اسم مؤخر وكاذبة يجوز ان يكون اسم فاعل وهو الظاهر
وهو صفة لمحذوف فقدره الزمخشري نفس كاذبة اي ان ذلك اليوم لا يكذب
على الله ولا يكذب بيوم القيامة احد ثم قال واللام مثلها في قوله قدمت
لحياتي اذ ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها نفوس كثيرة

تكذب

تكذبها اليوم يقول لها لم تكوني او هو من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب
العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض
له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ
تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظايم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها
لان النفوس يومئذ اضعف من ذلك واذل • الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث
والفراش مثل في الضعف • وقدره ابن عطية حال كاذبة ويحتمل الكلام
على هذا معنيين احدهما كاذبة اي مكذوبة فيما اخبر به فيها فسماها
كاذبة لهذا كما تقول هذه قصة كاذبة اي مكذوب فيها والثاني حال لا
يمضي وقوعها كقولك فلان اذا حمل لم يكذب • والثاني كاذبة مصدر
بمعنى التكذيب نحو خائنة الاعين • قال الزمخشري من قولك حمل فلان
على قرنه فما كذب اي فما جبن ولا تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما
حدثته به من اطاقته واقدامه عليه • وانشد لزهير

اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد انتهى وهو كلام حسن جدا • ثم لتلك
وهذه الجملة وجهان • احدهما انها لا محل لها من الاعراب اما لانها ابتدائية
ولاسيما على راي الزمخشري حيث جعل الظرف متعلقا بها واما لانها اعتراضية
بين الشرط وجوابه المحذوف • والثاني ان محلها النصب على الحال قاله
ابن عطية ولم يبين صاحب الحال ماذا وهو واضح اذ لم يكن هنا الا الواقعة
وقد صرح ابو الفضل بذلك • وقرا العامة برفع خافضة رافعة على خبر ابتدا
مضمر اي هي خافضة قوما الى النار ورافعة اخرين الى الجنة فالمفعول محذوف
لفهم المعنى او يكون المعنى انها ذات خفض ورفع كقوله يحيي ويميت وكلوا
واشربوا • وقرا زيد بن علي وعيسى بن عمر والحسن وابو حيوة وابن مقسم واليزيدي
بنصبهما على الحال • ويروى عن الكسائي انه قال لولا ان اليزيدي سبقني اليه
لقرات به انتهى • قال شهاب الدين ولا اظن مثل هذا يصح عن مثل هذا • واختلف
في ذي الحال فقال ابو البقا من الضمير في كاذبة او في وقعت واصلاحه
ان يقول او فاعل وقعت اذ لا ضمير في وقعت • وقال ابن عطية وابو الفضل
من الواقعة ثم قرر مجي الحال متعددة وقد تقدم بيانه • قال ابو الفضل
واذا جعلت هذه كلها احوالا كان العامل في اذا وقعت محذوفا يدل عليه الفحوى
اي اذا وقعت يحاسبون • **فصل** قال المفسرون اذا وقعت الواقعة
اي قامت القيمة والمراد النفخة الاخيرة وسميت الواقعة لانها تقع عن قرب
وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد • قال الجرجاني اذا صلة اي وقعت الواقعة
كقوله اقتربت الساعة • واتى امر الله وهو كما يقال جا الصوم اي دنا واقترب
وقال القرطبي فيه اضمار اي اذكر اذا وقعت وعلى هذا اذا للتوقيت والجواب
قوله فاصحاب الميمنة • وقال ابن الخطيب ويكون التقدير اذا وقعت الزلزلة
الواقعة يعترف بها كل احد ولا يتمكن احد من انكارها ليس لوقعتها كاذبة
الكاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع
المصدر كقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لغو والمعنى ليس لها كذب قاله
الكسائي • ومنه قول العامة عايذا بالله اي معاذا لله وقم قايما اي قم قياما
وقيل الكاذبة صفة والموصوف محذوف اي ليس لوقعتها حال كاذبة
او نفس كاذبة اي كل من يخبر عن وقعتها صادق • وقال الزجاج ليس لوقعتها
كاذبة اي لا يردها شي ونحوه قول الحسن وقتادة • وقال الثوري ليس
لوقعتها احد يكذب بها او يقبل شي • وقيل ان قيامها جد لا هزل • وقوله
خافضة رافعة قال عكرمة ومقاتل والسدي خفضت الصوت

فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت من نأى يعني اسمعت
القريب والبعيد • وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت
المستضعفين وقال قتادة خفضت اقواما في عذاب الله ورفعت
اقواما الى طاعة الله • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفضت اعداء
الله في النار ورفعت اولياء الله الى الجنة وقال ابن عطا خفضت
اقواما بالعدل ورفعت آخرين بالفضل والرفع والخفض يستعملان
عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب سبحانه الرفع
والخفض الى القيامة توسعا ومجازا على عادة العرب في اضافتها الفعل الى المحل
والزمان وغيرهما مما لم يمكن فيه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفي
التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى
واللام في قوله لوقعتها اما للتعليل اي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة
وقعتها واما للتعدية كقولك ليس لزيد ضارب فيكون التقدير اذا
وقعت الواقعة ليس لوقعتها امر يوجد لها كاذب يكذب اذا اخبر عنه
قال ابن الخطيب وعلى هذا لا يكون ليس عاملا في اذا او هو بمعنى ليس لها
كاذب قوله اذا رجت يجوز ان تكون بدلا من اذا الاولى او تاكيدا لها او
خبرا لها على انها مبتداه كما تقدم تحريره وان تكون شرطا والعامل فيه اما
مقدر واما فعلها الذي يليها كما تقدم في نظيرتها • وقال الزمخشري ويجوز
ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس
الجبال لانه عند ذلك تخفض ما هو مرتفع وترفع ما هو منخفض قال ابو حيان
ولا يجوز ان ينتصب بهما معا بل باحدهما لانه لا يجتمع اثران على اثر واحد
قال شهاب الدين معنى كلامه ان كلا منهما متسلط عليه من جهة المعنى
وتكون المسألة من التنازع وحينئذ تكون العبارة صحيحة اذ يصدق
ان كلا منهما عامل فيه وان كان على التعاقب والرج التحريك الشديد
بمعنى زلزلت قال مجاهد وغيره يقال رجه يرجه رجا اي حركه وزلزله
وناقة رجاء اي عظيمة السنام والرجرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره
اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت
امواجه قال الكلبي وذلك ان الله تعالى اذا اوحى اليها تضطرب فرقا
من الله تعالى قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم ما
عليها وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها • وعن ابن عباس الرجة الحركة
الشديدة يسمع لها صوت قوله وبست الجبال اي سيرت من قولهم
بس الغنم اي ساقها وابست لغة فيها بسا وبست وابست
لغتان اذا زجرتها وقلت بس بس قاله ابو زيد او بمعنى فتت
كقوله ينسفها ربي نسفا ويدل عليه فكانت هباء منبثا قال ابن
عباس ومجاهد كما يبث الدقيق اي تلت والبسيسة السويق او
الدقيق يلت بالسمن او بالزيت ثم يوكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال
الراجز لا تخبزا خبزا وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ حبسا • وقال الحسن
بست قلعت من اصلها فذهبت ونظيرها ينسفها ربي نسفا وقال
عطية بسطت كالرمل والتراب وقال مجاهد سالت سيلا وقال
عكرمة هدت وقرا زيد بن علي رجت وبست مبنيين للفاعل
على ان رج وبس يكونان لازمين ومتعديين اي ارتجت وذهبت
قوله فكانت هباء منبثا قرا النخعي ومسروق وابو حيوة منبتا
بنقطتين من فوق اي منقطعا من البت ومعنى الآية ينبو عنه كما

علي رضي الله عنه الهباء المنبث الرهج الذي يسطع من حوافر الخيل ثم يذهب
فجعل الله اعمالهم كذلك • وقال مجاهد الهباء الشعاع الذي يكون في الكوة
كهيئة الغبار وروي نحوه عن ابن عباس • وعنه ايضا انه ما تطاير من
النار اذا اضطربت يطير منه شرر فاذا وقع لم يكن شيئا • وقال عطية
المنبث المتفرق قال تعالى وبث فيهما من كل دابة اي فرق ونشر قوله
وكنتم ازواجا ثلاثة اي اصنافا ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل
الزوج الزوجة ثم بين من هم فقال اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
والسابقون قوله واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اصحاب الاول
مبتدا وما استفهام فيه تعظيم مبتدا ثان واصحاب الثاني خبره والجملة
خبر الاول وتكرار المبتدا هنا بلفظه مغن عن الضمير • ومثله الحاقة ما الحاقة
القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا في مواضع التعظيم • فان قيل ان ما نكرة
وما بعده معرفة فكان ينبغي ان يقال ما خبر مقدم • واصحاب الثاني وشبهه
مبتدا لان المعرفة احق بالابتداء من النكرة وهذا السوال وارد على سيبويه
في مثل هذا وفي قولك كم مالك ومررت برجل خير منه ابوه فانه يعرب ما الاستفهامية
وكم وافعل مبتدا وما بعدها خبرها • والجواب انه كثر وقوع النكرة خبرا عن
هذه الاشياء كثرة متزايدة فاطرد الباب ليجري على سنن واحد هكذا اجابوا
وهذا لا ينهض مانعا من جواز ان يكون ما وكم وافعل خبرا مقدما ولو قيل به لم يكن
خطا بل اقرب الى الصواب • والميمنة مفعلة من لفظ اليمين وكذلك المشأمة
من اليد الشومى وهي الشمال لتشاؤم العرب بها او من الشوم فصل
قال السدي اصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب
المشأمة هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار والمشأمة الميسرة وكذلك
الشامة يقال قعد فلان شامة ويقال شائم باصحابك اي خذ بهم شامة
اي ذات الشمال • والعرب تقول لليد الشمال الشومى وللجانب الشمال الاشام
وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال الشوم قال البغوي
ومنه سمي الشام واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها • قال
ابن عباس والسدي اصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين ادم حين اخرجت
الذرية من صلبه فقال الله هولاء في الجنة ولا ابالي • وقال زيد بن اسلم
هم الذين اخذوا من شق ادم الايمن يوميذ • واصحاب المشامة الذين اخذوا
من شق ادم الايسر وقال عطا ومحمد بن كعب اصحاب الميمنة من اوتي كتابه
بيمينه • واصحاب المشامة من اوتي كتابه بشماله • وقال ابن جريج اصحاب
الميمنة هم اصحاب الحسنات واصحاب المشامة هم اهل السيات • وقال
الحسن والربيع اصحاب الميمنة الميامين على انفسهم بالاعمال الصالحة •
واصحاب المشامة المشائيم على انفسهم بالاعمال السيئة • وفي صحيح مسلم
من حديث الاسرا عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا
السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر
قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح
والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم عليه الصلوة والسلام
وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة
التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث • وقال المبرد اصحاب الميمنة اصحاب
التقدم واصحاب المشامة اصحاب التاخر • والعرب تقول اجعلني في يمينك
ولا تجعلني من المتاخرين ثم عجب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ما اصحاب
الميمنة وهذا كما يقال زيد ما زيد يريد زيد شديد فالتكرير في اصحاب
الميمنة واصحاب المشامة للتفخيم والتعجب كقوله الحاقة ما الحاقة والقارعة

ما القارعة كما يقال زيد ما زيد وفي حديث ام زرع ومالك وما مالك
والمقصود تكثير ما لاصحاب الميمنة من الثواب واصحاب المشامة من
العذاب والثاني قوله فاصحاب تدل على التقسيم كانه قال ازواجا ثلاثة
اصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون وبين حال كل قسم فقال
فاما اصحاب الميمنة وترك التقسيم اولا واكتفى بما يدل عليه بان ذكر الاقسام
الثلاثة مع احوالها • فان قيل ما الحكمة في اختيار لفظ المشامة في مقابلة الميمنة
مع انه قال في بيان احوالهم واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال فالجواب
ان اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا منه الفاظا فقالوا هذا ميمون
اشارة الى ضعفه واستعملوا
تيمنا به ووصفوا مقابله
منه الفاظا تشاءما به فذكر المشامة في مقابلة الميمنة وذكر الشمال في مقابلة
اليمين فاستعمل كل لفظ في مقابله **قوله** والسابقون السابقون فيه
اوجه • احدها انهما مبتدا وخبر وفي ذلك تاويلان احدهما انه بمعنى السابقون
هم الذين اشتهرت حالهم بذلك كقولهم انت انت • والناس الناس وقوله
انا ابو النجم وشعري شعري • وهذا يقال في تعظيم الامر وتفخيمه وهو مذهب
سيبويه • الثاني ان متعلق السبقين مختلف اذ التقدير
والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة • او السابقون الى طاعة الله
السابقون الى رحمته او السابقون الى الخير السابقون الى الجنة • الوجه
الثاني ان يكون السابقون الثاني تاكيدا للاول تاكيدا لفظيا واولئك
المقربون جملة ابتدائية في موضع خبر الاول والرابط اسم الاشارة كقوله
تعالى ولباس التقوى ذلك خير في قراءة من رفع لباس في احد الاوجه الثالث
ان يكون السابقون الثاني نعتا للاول والخبر الجملة المذكورة وهذا
ينبغي ان لا يجوز عليه كيف يوصف الشي بلفظه واي فائدة في ذلك • قال
شهاب الدين والاقرب عندي ان وردت هذه العبارة ممن يعتبر ان يكون
من التاكيد صفة وقد فعل سيبويه قريبا من هذا الرابع ان يكون الوقف
على قوله والسابقون ويكون قوله السابقون اولئك المقربون ابتدا وخبر
وهذا يقتضي ان يعطف والسابقون على ما قبله لكن لا يليق عطفه على ما
قبله ويليه وانما يليق عطفه على اصحاب الميمنة كانه قيل واصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة والسابقون اي وما السابقون تعظيما لهم فيكونون شركا
اصحاب الميمنة في التعظيم ويكون قوله على هذا واصحاب المشامة ما اصحاب
المشامة اعتراضا بين المتعاطفين وفي هذا الوجه تكلف كثير جدا **فصل**
قال عليه الصلوة والسلام السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا
سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم ذكره المهدوي • وقال محمد بن
كعب القرظي هم الانبيا • وقال الحسن وقتادة هم السابقون الى الايمان
من كل امة • وقال محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار • وقال مجاهد والضحاك
هم السابقون الى الجهاد واول الناس رواحا الى الصلوة • وقال علي رضي الله عنه
هم السابقون الى الصلوات الخمس • وقال سعيد بن جبير الى التوبة واعمال
البر قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال اولئك
يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقيل انهم اربعة • منهم سابق امة
موسى وهو حزقيل مؤمن ال فرعون • وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار
صاحب انطاكية • وسابقان امة محمد وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قاله
ابن عباس حكاه الماوردي • وقال شميط بن عجلان الناس ثلاثة فرجل
ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق
المقرب

المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته
حتى ختم له بها فهذا من اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب
ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال • وروي
عن كعب قال هم اهل القران المتوجون يوم القيمة • وقيل هم اول
رواحا الى المسجد واولهم خروجا في سبيل الله اولئك المقربون
من الله في جنات النعيم **قوله** في جنات النعيم يجوز ان يكون
خبرا ثانيا وان يكون حالا من الضمير في المقربون وان يكون متعلقا
به اي قربوا الى رحمة الله في جنات وسعد ان تكون في بمعنى الى • وقرا
طلحة في جنة بالافراد واضافة الجنة الى النعيم من اضافة المكان
الى ما يكون فيه كما يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل
وذكر النعيم هنا معرفا وفي اخر السورة منكرا لان السابقين معلومون
فعرفهم باللام المعرفة بجنسهم واما هناك فانهم غير معروفين لقوله ان
كان من المقربين فجعل موضعه غير معروف • او يقال ان المذكور هنا جميع
السابقين ومنزلتهم اعلا المنازل فهي معروفة لانها لا احد فوقها واما
باقي المقربين فلكل واحد مرتبة ودرجة فمنازلهم متفاوتة فهي في جنات
متباينة في المنزلة لا تجمعها صفة فلم يعرفها **قوله** ثلة من الاولين
خبر مبتدا مضمر اي هم ويجوز ان يكون مبتدا خبره مضمر اي منهم ثلة اي
من السابقين يعني ان التقسيم وقع في السابقين وان يكون مبتدا خبره
في جنات النعيم او قوله على سرر فهذه اربعة اوجه والثلة الجماعة
من الناس وقيدها الزمخشري بالكثيرة وانشد •
وجاءت لهم ثلة خندفية • بجيش كتيار من البحر مزبد •
ولم يقيدها غيره بل صرح بانها الجماعة قلت او كثرت وقال الراغب الثلة
قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة يعني بفتح الثاء ومنه قوله
امرعت الارض لو ان مالا • لو ان نوقا لك او جمالا •
او ثلة من غنم اما لا • انتهى ثم قال ولاعتبار
الاجتماع قيل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين اي جماعة وثللت كذا
تناولت ثلة منه وثل عرشه اسقط ثلة منه والثلل قصر الاسنان
لسقوط ثلة منها واثل فيه سقطت اسنانه وتثللت الركية تهدمت
انتهى فقد اطلق انها الجماعة من غير تقييد بقلة ولا كثرة والكثرة التي فهمها
الزمخشري قد تكون من السياق • وقال الزجاج الثلة الفرقة ومن الاولين
صفة لثلة وكذلك من الاخرين صفة لقليل **قوله تعالى** ثلة من الاولين
اي جماعة من الامم الماضية وقليل من الاخرين اي ممن امن بمحمد صلى الله
عليه وسلم قال الحسن ثلة ممن قد مضى قبل هذه الامة وقليل من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم بكرمك وسموا قليلا بالاضافة
الى من كان قبلهم لان الانبيا المتقدمين كثروا فكثر السابقون الى الايمان
منهم فزادوا على عدد من سبق الى التصديق من امتنا قيل لما نزلت هذه
الاية شق على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة
من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل
الجنة بل نصف اهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة
ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن
مسعود وكانه اراد انها منسوخة • قال ابن الخطيب وهذا في غاية الضعف
من وجوه • احدها ان عدد امة محمد كان في ذلك الزمان بل الى اخر الزمان بالنسبة
الى ما مضى في غاية القلة فالمراد بالاولين الانبيا وكبار اصحابهم وهم اذا جمعوا

اكثر من السابقين من هذه الامة • الثاني ان هذا خبر والخبر لا ينسخ • الثالث
ان هذه الاية في السابقين والتي بعدها في اصحاب اليمين • الرابع انه اذا
جعل قليل منهم مع الانبيا والرسل المتقدمين كانوا في درجة واحدة وذلك
يوجب الفرح لانه انعام عظيم ولعل الاشارة اليه بقوله عليه الصلوة
والسلام علما امتي كانبيا بني اسرايل • قال القرطبي والاشبه انها محكمة
لانها خبر والخبر لا ينسخ ولان ذلك في جماعتين مختلفتين • قال الحسن سابقوا
من مضى اكثر من سابقينا فلذلك قال وقليل من الاخرين • وقال في اصحاب
اليمين وهم سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين • وقال
ابو بكر رضي الله عنه كلا الثلتين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من
هو في اول امته ومنهم من هو في اخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات • وقيل المراد بثلة من
الاولين هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار فان اكثرهم
لهم الدرجة العليا كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل اولئك اعظم درجة وقليل من الاخرين لخفوتهم ولهذا قال
عليه الصلوة والسلام خيركم قرني ثم سوى في اصحاب اليمين بين الاولين
والاخرين قال ابن الخطيب وعلى هذا فقوله وكنتم ازواجا ثلاثة يكون
خطابا مع الموجودين وقت التنزيل ولا يكون فيه بيان الاولين الذين
كانوا قبل نبينا عليه الصلوة والسلام وهذا ظاهر لان الخطاب لا يتعلق
الا بالموجودين من حيث اللفظ ويدخل فيه غيره بالدليل • ووجه اخر
ان المراد بالاولين الذين امنوا وعملوا الصالحات وبالاخرين اي ذرياتهم
الملحقون بهم في قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
وقال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين من لدن ادم وصدقوهم اكثر ممن
عاين النبي صلى الله عليه وسلم قوله على سرر موضونة اي السابقون
في الجنة على سرر اي مجالسهم على سرر جمع سرير • وقرا زيد بن علي وابو السمال
سرر بفتح الرا الاولى وتقدم انها لغة لبعض كلب وتميم • والموضونة
قال ابن عباس منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت
وعن ابن عباس ايضا موضونة اي مصفوفة لقوله تعالى في موضع اخر
سرر مصفوفة • وعنه وعن مجاهد ايضا مرمولة بالذهب • وقيل
موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت
والموضونة المنسوجة واصله من وضنت الشي اي ركبت بعضه
على بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتراكب حلقها قال الاعشى

ومن نسج داود موضونة • تسير مع الحي عيرا فعيرا

ومنه ايضا وضين الناقة وهو حزامها لتراكب طاقاته • قال

اليك تعدو قلقا وضينها • معترضا في بطنها جنينها
مخالفا لدين النصارى دينها • وقال الراغب

الوضن نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم فجعله اصلا في نسج الدروع
وقال الاخر

اقول وقد دارت لها وضيني • اهذا دينه ابدا وديني

اي حزامي الوضين هو الحبل العريض الذي يكون منه الحزام لقوة سداه ولحمته
والسرير الموضون الذي سطحه بمنزلة المنسوج • قال القرطبي ومنه
الوضين بطان من سيور ينسج فيدخل بعضه في بعض قوله متكئين
متقابلين حالان من الضمير في على سرر ويجوز ان يكون حالا متداخلة
فيكون حالا متقابلين حالا من ضمير متكئين • فصل متكئين على السرر

متقابلين

متقابلين اي لا يرى بعضهم قفا بعض بل ندور بهم الاسرة • والمعنى انهم
كائنون على سرر متكئين على غيرها كحال من يكون على كرسي فيوضع تحته
شي اخر للاتكا عليه • قال مجاهد وغيره هذا في المؤمن وزوجته واهله
اي يتكئون متقابلين • قال الكلبي طول كل سرير ثلاث مائة ذراع فاذا
اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت قوله
يطوف يجوز ان يكون حالا وان يكون استئنافا • ولدان مخلدون اي غلمان لا يموتون
قاله مجاهد والمعنى لا موت لهم ولا فنا او بمعنى لا يتغير حالهم ويبقون صغارا دايما
وقال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امرئ القيس

وهل ينعمن الا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت باوجال

وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد ولجماعة الحلي الخلدة
وقيل مسورون ونحوه عن الفرا قال الشاعر

ومخلدات باللجين كانما • اعجازهن اقاوز الكثبان

وقيل مقرطون يعني منطقون من المناطق • وقال عكرمة مخلدون منعمون
وقيل على سن واحد انشاهم الله لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير
ولادة لان الجنة لا ولادة فيها • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن
البصري الولدان ههنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم
ولا سيئة • وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن
لم يكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع
والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة قوله باكواب متعلق بيطوف
والاكواب جمع كوب وهي الانية التي لا عرى لها ولا خراطيم وقد مضى في الزخرف والاباريق
جمع ابريق وهي التي لها عرى وخراطيم واحدها ابريق وهو من انية الخمر سمي بذلك
لبريق لونه من صفائه قال الشاعر

افنى تلادي وما جمعت من نشب • قرع القواقيز افواه الاباريق

وقال عدي بن زيد وتداعوا الى الصبوح فقامت • قينة في يمينها ابريق

وقال اخر كان ابريقهم ظبي على شرف • مفدم بسبا الكتان ملثوم

وورد افعيل لاشتقاقه من البريق قوله وكاس من معين تقدم في
الصافات والمعين الجاري من ما او خمر غير ان المراد هنا الخمر الجارية من
العيون وقيل الظاهرة فيكون معين مفعولا من المعاينة • وقيل هو فعيل
من المعن وهو الكثرة قال ابن الخطيب هو ماخوذ من عين الما اذا جرى
وقيل بمعنى مفعول فيكون من عانه اذا شخصه بعينه وميزه قال والاول
اظهر لان المعيون يوهم بانه معيوب يقال ضربني بعينه ولان الوصف
بالمرئي لا فايدة فيه والما الجريان في المشروب فان كان في الما فهو صفة مدح وان
كان في غيره فهو امر عجيب لا يوجد في الدنيا فيكون كقوله تعالى وانهار من خمر
فبين انها وبين انها ليست كخمر الدنيا يستخرج بتكلف ومعالجة • فان قيل
كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكاس فالجواب ان ذلك على عادة اهل
الشرب فانهم يعدون الخمر في اوان كثيرة ويشربون بكاس واحدة وفيها
مباينتهم لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون بالاكواب والاباريق ولا
يثقل عليهم بخلاف الدنيا او يقال انما افردت الكاس لانها انما تسمى كاسا
اذا كانت مملوءة فالمراد اتحاد المشروب الذي فيها واخر الكاس مناسبة
[illegible] بالمشرب قوله لا يصدعون يجوز ان تكون مستانفة اخبر عنهم
بذلك وان تكون حالا من الضمير في عليهم ومعنى لا يصدعون اي بسببها
قال الزمخشري وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها والصداع هو الداء المعروف
الذي يلحق الانسان في راسه والخمر يورث فيه قال علقمة بن عبدة في وصف
الخمر

تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبها • ولا يخالطها في الراس تدويم

قال ابو حيان هذه صفة اهل الجنة كذا قال الشيخ ابو جعفر
ابن الزبير لما قرأت هذا الديوان عليه والمعنى لا تصدع رؤوسهم من شربه
اي الفائدة بلا اذى بخلاف شراب الدنيا وقيل لا يصدعون لا يتفرقون
كما يتفرق الشرب من الشراب للعوارض الدنيوية ومن مجي يصدع
بمعنى تفرق قوله فتصدع السحاب عن المدينة اي تفرق ويرجحه قراءة
مجاهد لا يصدعون بفتح اليا وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اي يتفرقون
كقوله تعالى يومئذ يصدعون وحكى الزمخشري قراءة وهي لا يصدعون بضم اليا
وتخفيف الصاد وكسر الصاد مشددة قال اي لا يصدع بعضهم بعضا
لا يفرقونهم قوله ولا ينزفون تقدم الخلاف بين السبعة في ينزفون
وتفسيره في الصافات وقرا ابن ابي اسحاق بفتح اليا وكسر الزاي من نزف البير
اذا استوفا ما فيها والمعنى لا ينفد خمرهم ومنه قول الشاعر
لعمري لئن انزفتموا او صحوتم ۞ لبئس الندامى كنتم آل ابجرا
وقال ابو حيان وابن ابي اسحاق ايضا وعبد الله والجحدري والاعمش وطلحة
وعيسى بضم اليا وكسر الزاي اي لا يفنى لهم شراب قال شهاب الدين
وهذا عجب منه كانه قد تقدم في الصافات ان الكوفيين يقرؤون في الواقعة
بكسر الزاي وقد نقل هو هذه القراءة في قصيدته وروى الضحاك عن ابن
عباس قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول وقد نزه الله
تعالى عن هذه الخصال قوله وفاكهة العامة على جر فاكهة ولحم نسقا
على اكواب اي يطوفون عليهم بهذه الاشيا الماكول والمشروب والمتفكه به
وهذا كقوله العيشة الراضية فان قيل الفاكهة لا يطوف بها الولدان والعطف
يقتضي ذلك فالجواب ان الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان في حال الشرب مجازا
ان يطوف بهما الولدان هنا فينا ولونهم الفاكهة العزيزة لا للاكل بل
للاكرام كما يصنع المكرم للضيف انواع الفواكه بيده او يكون معطوفا
على المعنى في قوله في جنات النعيم اي مقربون في جنات وفاكهة ولحم وحياة
اي في هذه النعم يتقلبون عليهم بهذه الاشيا الماكول والمشروب والتفكه
وقرا زيد بن علي وابو عبد الرحمن فيهما على الابتدا والخبر مقدر اي ولهم كذا
والمعنى يتخيرون ما شاؤوا من الفواكه لكثرتها وقيل المعنى وفاكهة متخيرة
مرضية والتخير الاختيار وقوله ولحم طير مما يشتهون قال ابن عباس
يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ثم يطير فيذهب
قوله وحور عين قرا الاخوان بجر حور عين والباقون برفعهما والنخعي
وحير عين بقلب الواو ياء وجرهما وابي وعبد الله وحورا عينا بنصبهما
فاما [illegible] وعلم بالعقل ان التنعيم من الله لا يوجد لعلمنا ان الله تعالى يعطي هذه
الاشيا الا انها اجزية وايصال الجزا واجب وايضا فكان لا يصح التمدح به
قوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما قال ابن عباس باطلا وكذبا
واللغو ما يلغى من الكلام والتاثيم مصدر اثمته اي قلت له اثمت قال
محمد بن كعب ولا تاثيما اي لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون
فيها لغوا ولا تاثيما شتما ولا ماثما قوله الا قيلا فيه قولان احدهما
انه استثنا منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحته اللغو والتاثيم
والثاني انه متصل وفيه بعد وكان هذا رأى ان الاصل لا يسمعون
فيها كلاما فاندرج عنده فيه وقال مكي وقيل منصوب بيسمعون وكانه
اراد هذا القول قوله سلاما سلاما فيه اوجه احدها انه بدل
من قيلا اي لا يسمعون فيها الا سلاما سلاما الثاني انه نعت لقيلا
الثالث انه منصوب بنفس قيلا اي الا ان يقولوا سلاما سلاما واد

قوله

قول الزجاج الرابع ان يكون منصوبا بفعل مقدر ذلك الفعل محكي بقيلا
تقديره الا قيلا اسلموا سلاما وقرئ سلام بالرفع قال الزمخشري على
الحكاية قال مكي ويجوز في الكلام الرفع على معنى سلام عليكم ابتدا وخبر وكانه
لم يعرفها قراءة فصل معنى قيلا سلاما اي قولا سلاما وقال
عطا يحيي بعضهم بعضا بالسلام قال القرطبي والسلام الثاني بدل من
الاول والمعنى الا قيلا يسلم فيه من اللغو وقيل تحييهم الملايكة
او يحييهم ربهم عز وجل وكرر السلام اشارة الى كثرة السلام عليهم
ولهذا لم يتكرر في قوله سلام قولا من رب رحيم والقيل مصدر كالقول
قال ابن الخطيب فيكون فعلا مصدرا لكن لا نظير له في باب فعل يفعل
من الاجوف وقيل انه اسم والقول مصدر قوله واصحاب اليمين ما
اصحاب اليمين رجع الى ذكر اصحاب الميمنة والتكرير لتعظيم شان النعيم
فان قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ اصحاب الميمنة عند تقسيم الازواج الثلاثة
وبلفظ اصحاب اليمين عند ذكر الانعام فالجواب ان الميمنة مفعلة اما
بمعنى موضع اليمين كالمناره موضع النار والمجمره موضع الجمر وكيف ما
كان فالميمنة فيها دلالة على الموضع لكن الازواج الثلاثة في اول الامر
يتميزون بعضهم عن بعض ويتفرقون لقوله تعالى يومئذ يتفرقون وقال
يومئذ يصدعون فيتفرقون بالمكان فاشار اليهم في الاول بلفظ يدل
على المكان ثم عند الثواب وقع تفرقهم بامر منهم لا بامر هم فيه وهو المكان
فقال واصحاب اليمين اي الذين ياخذون كتبهم بايمانهم وقيل اصحاب
القوة وقيل اصحاب النور قوله في سدر مخضود قال ابن عباس وغيره
في سدر مخضود اي في شوك قد خضد شوكه وذكر ابن المبارك قال اخبرنا
صفوان عن سليم بن عامر قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يقولون انه لينفعنا الاعراب ومسائلهم قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول
الله لقد ذكر الله شجرة في القران موذية وما كنت ارى في الجنة شجرة تؤذي
صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له
شوكا موذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس يقول سدر مخضود
خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا يتفتق الثمر
منها على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الاخر وقال
ابو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطايف مخصب
فاعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذه فنزلت قال امية بن ابي الصلت
يصف الجنة شعر
ان الحدايق في الجنان ظليلة ۞ فيها الكواعب سدرها مخضود
وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان في سدر مخضود هو الموقر حملا وقال
سعيد بن جبير ثمرها اعظم من القلال قوله وطلح منضود والطلح جمع
الطلحة قال علي وابن عباس واكثر المفسرين الطلح شجر الموز واحده طلحة
وقال الحسن ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء وابو عبيدة
شجر عظام [illegible] لها شوك قال الجعدي
بشرها دليلها وقالا ۞ غدا ترين الطلح والاجبالا
فالطلح كل شجر عظيم كثير الشوك وقال الزجاج هو شجر ام غيلان قال مجاهد
ولكن ثمرها احلى من العسل وقال الزجاج لها نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا
بما يحبون مثله الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا
وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر احلى من العسل وقوله منضود
اي متراكب قال المفسرون موقر من الحمل حتى لا يبين ساقه من كثرة ثمره وتثني

اغصانه وقرا علي رضي الله عنه وعبد الله وجعفر بن محمد وطلع بالعين لقوله
تعالى طلعها هضيم ولما قراها علي رضي الله عنه وعبد الله وجعفر بن محمد
قال وما شان الطلح واستدل بقوله لها طلع نضيد فقيل انحولها فقال
لا ينبغي ان يهاج القران اليوم ولا يحول فقد اختار هذه القراءة ويروى عن
ابن عباس مثله قال القرطبي فلم يرا ثباتها في المصحف لمخالفته ما رسمه
مجمع عليه قال القشيري واسنده ابو بكر بن الانباري بسنده الى علي
رضي الله عنه **فصل** قال ابن الخطيب المنضود المأخوذ الشوك
وقيل المنعطف الى اسفل فان رؤس الاغصان السدر في الدنيا تميل الى فوق
لعدم ما يثقله بخلاف اشجار الجنة فان رؤسها تتدلى والظاهر ان الطلح
شجر الموز وذكر طرفين ليندرج ما بينهما فان ورق السدر صغير وورق
الطلح وهو الموز كبير وبينهما انواع من الاوراق متوسطة كما ذكر في النخل
والرمان كقولهم فلان يرضى الصغير والكبير فيدخل ما بينهما والمقصود
المنزاكيا لذي قد نضد اوله واخره بالحمل ليست له سوق بارزة بل هو
مرصوص والنضيد هو المرصوص والمنضد المرصوص قال مسروق اشجار
الجنة من عروقها الى افنانها نضيد ثمر كله كلما اكلت ثمرة عاد مكانها
احسن منها **قوله** وظل ممدود اي دائم باق لا يزول ولا تنسخه
الشمس كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل وذلك بالغداة وهي
ما بين الاسفار الى طلوع الشمس والجنة كلها ظل لا شمس معه قال
ابن الخطيب ان الشمس اذا كانت تحت الارض يقع ظلها في الجو فيتراكم
الظل فيسود وجه الارض واذا كانت الشمس في احد جانبي الارض من
الافق فينبسط الظل على وجه الارض فيضيء الجو ولا يسود وجه الارض
فيكون في غاية الطيبة فقوله وظل ممدود اي كالظل
وعلى هذا فالظل ليس ظل الاشجار بل ظل يخلقه الله تعالى قال الربيع
ابن انس يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف
سنة وقال ابو عبيدة تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل
والشيء الذي لا ينقطع ممدود قال الشاعر
غلب العزاء وكان غير مغلب ... وهو طويل دايم ممدود
وفي صحيح الترمذي وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا
ان شئتم وظل ممدود وهذا الحديث يرد قول ابن الخطيب
من انه ليس ظل الاشجار **قوله** وماء مسكوب اي مصبوب بكثرة
وقيل جار لا ينقطع واصل الصب السكب يقال سكبه سكبا والسكوب
انصبابه يقال سكب سكوبا ومعنى الاية وماء مصبوب يجري
في غير اخدود لا ينقطع عنهم قال ابن الخطيب معناه مسكوب من فوق
لان اكثر ماء العرب من الابار والبرك فلا ينسكب وقيل جار في غير
اخدود بامر الهواء وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت
الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشا فوعدوا
في الجنة خلاف ذلك **قوله** وفاكهة كثيرة قرئ برفع فاكهة
اي وهناك او وفيها او وثم فاكهة وقال ابن الخطيب لما ذكر الاشجار التي
تطلب منها وزهرها ذكر بعدها الاشجار التي يقصد ثمرها وذكر الفاكهة
بعد ذكر الاشجار انتقالا من نعمة الى نعمة ووصفت بالكثرة دون الطيب
واللذة لان الفاكهة تدل عليها **قوله** لا مقطوعة فيه وجهان اظهرهما
انه نعت لفاكهة ولا للنفي كقولك مررت برجل لا طويل ولا قصير ولذلك لزم
تكرارها

تكرارها والثاني هو معطوف على فاكهة ولا لا عاطفة قاله ابو البقاء
وحينئذ لا بد من حذف موصوف اي لا فاكهة مقطوعة لئلا يعطف
الصفة على موصوفها والمعنى ليست كفواكه الدنيا تنقطع في اوقات
وتكثر في الاماكن ولا ممنوعة اي لا تمتنع من الناس لطلب الاثمان
وقيل لا يحظر عليها كثمار الدنيا وقيل لا يمنع من ارادها بشوك
ولا بعد ولا حائط بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى ياخذها
قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا **قوله** وفرش مرفوعة العامة
على ضم الراء في فرش وابو حيوة بسكونها وهي مخففة من المشهورة والفرش
قيل من الفراش المعهود مرفوعة على الاسرة وقيل هي كناية عن النساء
كما كني عنهن باللباس اي ونساء مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن
والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا وازارا قاله ابو عبيدة وغيره قالوا
قالوا ولذلك اعاد الضمير عليهن في قوله انا انشأناهن انشاء واجاب غيره
بانه عائد على النساء الدال عليهن الفراش وقيل يعود على حور المتقدم
وعن الاخفش هن ضمير لمن لم يجر له ذكر بل يدل عليه السياق وقيل
مرفوعة القدر يقال ثوب رفيع اي عزيز مرتفع القدر والثمن بدليل
قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق فكيف ظهايرها وقيل
مرفوعة بعضها فوق بعض وروى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء
والارض مسيرة خمسمائة عام وقال حديث غريب **قوله** انا انشأناهن
قيل الضمير يعود على الحور العين اي خلقناهن من غير ولادة وقيل
المراد نساء بني ادم خلقناهن خلقا جديدا وهو الاعادة اي اعدناهن على
حال الشباب وكمال الجمال ويرجحه قوله فجعلناهن ابكارا لان المخلوقة
ابتداء معلوم انها بكر والمعنى انشأنا العجوز والصبية انشاء واحدا
واضمرن ولم يتقدم ذكرهن لانهن قد دخلن في اصحاب اليمين اولان
الفرش كناية عن النساء كما تقدم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى انا انشأناهن انشاء قال منهن البكر والثيب وروى
النحاس باسناده عن ام سلمة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله
تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين
فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجايز شمطا عمشا
رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء وروى
انس بن مالك يرفعه في قوله انا انشأناهن انشاء قال هن العجايز العمش
الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وعن المسيب بن شريك قال النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا
عربا اترابا قال هن عجائز الدنيا انشأهن خلقا جديدا كلما اتاهن
ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة ذلك قالت واوجعاه
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن قال
اتت عجوز للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان
يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي
فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشأناهن
انشاء فجعلناهن ابكارا **قوله** عربا جمع عروب كصبور وصبر والعروب
المتحببة الى بعلها واشتقاقه من اعرب اذا بين فالعروب تبين محبتها لزوجها
بشكل وغنج وحسن كلام قاله عكرمة وقتادة وقيل الحسناء وقيل المحسنة للكلام
وقرأ حمزة وابو بكر بسكون الراء وهذا كرسل ورسل وفرش وفرش فا

ابن عباس هن العواشق وانشد للبيد
وفي الخدور عروب غير فاحشة * ريا الروادف يعشى دونها البصر
ويروى
وفي الحجال عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشي ضوءها البصر
وعن ابن عباس ومجاهد وغيرهما العرب العواشق لازواجهن وعن
عكرمة العروب الغنجة قال ابن زيد بلغة اهل المدينة وانشد
لبيد بيت وهي الشكلة بلغة اهل مكة وروى جعفر بن محمد عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عربا
قال كلامهن عربي وعن ابن عباس العروب الملقة قوله اترابا
جمع ترب وهو المساوي لك في سنك لانه يمس جلدهما التراب في وقت
واحد وهو اكد في الائتلاف وهو من الاسماء التي لا تتعرف بالاضافة لانه
في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه في معنى صاحبك
قال القرطبي سن واحد وهو ثلاث وثلاثون سنة يقال في النساء اتراب
وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الصبى من النساء
وانحطت عن الكبر وقال مجاهد الاتراب الامثال والاشكال وقال
السدي اتراب في الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد وروى ابو
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا
مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاثين على خلق ادم طوله ستون ذراعا
في سبعة اذرع وعنه عليه الصلوة والسلام قال من مات من اهل الجنة
من صغير وكبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها ابدا
وكذلك اهل النار قوله لاصحاب اليمين في هذه اللام وجهان
احدهما انها متعلقة بانشاناهن اي لاجل اصحاب والثاني انها متعلقة
باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساوله وقيل الحور العين للسابقين
والاتراب العرب لاصحاب اليمين قوله ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين رجع الكلام الى قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
اي هم ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقد مضى الكلام في معناه
وقال ابو العالية ومجاهد وعطا بن ابي رباح والضحاك ثلة من
الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة
من اخرها بدليل ما روي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم جميعا من امتي وقال
الواحدي اصحاب الجنة صنفان نصف من الامم الماضية ونصف من
هذه الامة ويرد هذا ما روى ابن ماجه في سننه والترمذي في جامعه عن
بريدة بن الحصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة
مائة وعشرون صفا ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر
الامم قال الترمذي هذا حديث حسن وثلة رفع على الابتداء وعلى
حذف خبر حرف الصفة ومجازة لاصحاب اليمين ثلتان ثلة من هولا
وثلة من هولا فالاولون الامم الماضية والاخرون هذه الامة على قول
الواحدي قوله واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال لما ذكر منازل
اهل الجنة وسماهم ذكر منازل اهل النار وسماهم اصحاب الشمال لانهم
ياخذون كتبهم بشمالهم ثم عظم ذكرهم في البلا والعذاب فقال ما اصحاب
الشمال في سموم وهي الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن والمراد بها
حر النار ولهبها وقيل ريح حارة تهب فتمرض وتقتل واصله من السم
كسم الحية والعقرب وغيرهما وقال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون هو السم

والسموم

والسموم يقال في خرق الابرة قال تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط لان سم الافعى
ينفذ في مسام البدن وقيل السموم يختص بما يهب ليلا وعلى هذا فقوله
سموم اشارة الى ظلمة ما هم فيه والحميم هو الماء الحار الذي قد انتهى حره
وهو فعيل بمعنى فاعل من حمي الماء او بمعنى مفعول من حم الماء اذا سخنه
وقوله وظل من يحموم وزنه يفعول قال ابو البقاء من الحمم
وهو الحميم قال القرطبي هو مفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق
النار وقيل ماخوذ من الحم وهو الفحم واليحموم قيل هو الدخان الاسود البهيم
وقيل هو واد في جهنم وقيل اسم من اسمائها والاول اظهر وقيل انه
الظلمة واصله من الحمم وهو الفحم فكانه اسود فخم فسمي باسم مشتق منه
وزيادة الحرف فيه لزيادة ذلك المعنى فيه وربما تكون الزيادة فيه
جامعة بين الزيادة في سواده والزيادة في حرارته قال ابن الخطيب
وفي الامور الثلاثة اشارة الى كونهم في العذاب دائما لانهم ان تعرضوا
لمهب الهوى اصابهم السموم وان استكنوا كما يفعله الذي يدفع عن
نفسه السموم بالاستكنان بالكن يكون في ظل من يحموم وان اراد التبرد
بالماء من حر السموم يكون الماء من حميم فلا انفكاك له من العذاب ويقال
ان السموم يضربه فيعطش وتلتهب نار السموم في احشائه فيشرب
الماء فيقطع امعاءه فيريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل اليحموم
وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى على الاعلى كانه
قال ابرد الاشياء في الدنيا حار عندهم فكيف احرها قال الضحاك
النار سوداء واهلها سود وكل ما فيها اسود قوله لا بارد ولا
كريم صفتان للظل كقوله من يحموم وفيه انه تقدم غير الصريحة على
الصريحة فالاولى ان يجعله صفة ليحموم وان كان السياق يرشد الى الاول
وقرا ابن ابي عبلة لا بارد ولا كريم برفعهما اي هو لا بارد كقوله
فانت لا حرج ولا محروم قال الضحاك لا بارد بل حار لانه من دخان سعير
جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره وكل
ما لا خير فيه فليس بكريم وقيل ظل من يحموم اي من النار يعذبون بها
لقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل قال الزمخشري
كرم الظل نفعه الملهوف ودفع اذى الحر عنه قال ابن الخطيب ولو كان
كذلك لكان البارد والكريم بمعنى واحد والاقوى ان يقال فايدة الظل
امران احدهما دفع الحر والاخر كون الانسان فيه مكرما لان الانسان
في البرد يقصد الشمس ليدفا بحرها اذا كان تلبس الثياب وفي الحر يطلب
الظل لبرده فاذا كان من المكرمين يكون ابدا في مكان يدفع الحر والبرد عن
نفسه فيحتمل ان يكون المراد هنا ويحتمل ان يقال الظل يطلب لامرين
وهو برده ولامر عقلي وهو التكرمة وهذا معنى ما نقله الواحدي عن الفرا
ان العرب تتبع كل شي مستحسن فيقولون الدار لا واسعة ولا كريمة
قوله انهم كانوا قبل ذلك مترفين اي انهم انما استحقوا هذه
العقوبة لانهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام والمترف المتنعم قاله
ابن عباس وغيره وقال السدي مترفين اي مشركين قوله وكانوا
يصرون على الحنث العظيم الحنث في اصل كلامهم العدل الثقل وسمي به
الذنب والاثم لثقلهما قاله الخطابي وفلان حنث في يمينه اي لم
يف بها لانه ياثم غالبا وعبر بالحنث عن البلوغ ومنه قوله لم
يبلغوا الحنث وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اياه يواخذ
بالحنث اي بالذنب وتحنث فلان اي جانب الحنث وفي الحديث

كان يتحنث بغار حراء اي يتعبد لمجانبته الاثم نحو تحرج فتفعل في هذه
كلها للسلب **فصل** قال الحسن والضحاك وابن زيد يصرون
على الحنث العظيم اي يقيمون على الشرك وقال قتادة ومجاهد الذنب
العظيم الذي لا يتوبون منه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وهو من
الكبائر يقال حنث في يمينه اي لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون
ان لا بعث وان الاصنام انداد الله فذلك حنثهم **فصل** قال
ابن الخطيب والحكمة في ذكره سبب عذابهم ولم يذكر في اصحاب اليمين
سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك
تنبيه على ان ذلك الثواب منه فضل والعقاب منه عدل فان الفضل
سواء ذكر سببه او لم يذكره لا يتوهم بالمتفضل نقص وظلم واما
العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلم ويدل على ذلك
انه تعالى لم يقل في حق اصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قال في
السابقين لان اصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من
كثرت حسناته يحسن اطلاق الجزاء في حقه واعلم ان المترف هو المنعم
وذلك لا يوجب ذما وانما حصل لهم الذم بقوله وكانوا يصرون
على الحنث العظيم فان صدور المعاصي ممن كثرت النعم عليه اقبح القبائح
فقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين ولم يشكروا نعم الله بل اصروا على
الذنب العظيم وفي الاية مبالغات لان قوله كانوا يصرون يقتضي ان
ذلك عادتهم والاصرار مداومة المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب
لان الذنب يطلق على الصغيرة ويدل على ذلك قولهم بلغ الحنث
اي بلغ مبلغا يلحقه فيه الكبيرة واما الصغيرة فتلحق الصغير فان
وليه يعاقبه على اساءة الادب وترك الصلوة ولان وصفه بالعظيم
مبالغة قاله ابن الخطيب **قوله تعالى** وكانوا يقولون أئذا متنا
الاية هذا استبعاد منهم للبعث وتكذيب له وقد تقدم الكلام على
ذلك في الصافات وتقدم الكلام على الاستفهامين في سورة الرعد فان
قيل كيف اتى باللام المؤكدة في قوله تعالى لمبعوثون مع ان المراد هو النفي
وفي النفي لا تدخل اللام في خبر ان يقول ان زيدا ليجيء وان زيدا لا يجيء فلا يذكر
اللام ومرادهم بالاستفهام الانكار بمعنى انا لا نبعث فالجواب
من وجهين احدهما عند التصريح بالنفي وصيغته والثاني انهم ارادوا
تكذيب من يخبر عن البعث فذكروا ان المخبر عنه يبالغ في الاخبار ونحن ننكر
مبالغته وتاكيده فحكوا الكلام المخبر على طريقة الاستفهام والانكار ثم انهم
اشاروا في الانكار الى امور اعتقدوها مقررة لصحة انكارهم فقالوا ايذا
متنا ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا بعده وكنا ترابا وعظاما اي وطال العهد بنا
بعد كوننا حيوانا حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا ثم زادوا وقالوا
مع هذا يقال لنا انكم لمبعوثون من طريق التاكيد من ثلاثة اوجه احدها
استعمال ان وثانيها اثبات اللام في خبره وثالثها ترك صيغة الاستقبال
والاتيان بالمفعول كانه كائن فزادوا وقالوا او اباونا الاولون فقال
الله تعالى لمحمد قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى
ميقات يوم معلوم يعني يوم القيمة ومعنى الكلام القسم ودخول اللام
في قوله تعالى لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اي انكم لمجموعون قسما حقا
خلاف قسمكم الباطل **قوله** ثم انكم ايها الضالون المكذبون
بالبعث لآكلون من شجر من زقوم وهو شجر كريه المنظر كريه الطعم
المذكور في سورة والصافات وهذا الخطاب عام وقيل لاهل مكة وهو
من

من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقدم هنا الضالين على المكذبين
وفي اخر السورة قال واما ان كان من المكذبين الضالين فقدم المكذبين على
الضالين لانهم هنا اصروا على الحنث العظيم فضلوا عن السبيل ثم كذبوا
الرسول وقالوا ايذا متنا وفي اخر السورة قدم المكذبين بالحشر على الضالين
عن طريق الخلاص وقيل لان الكلام هنا مع الكفار وهم ضلوا اولا وكذبوا
ثانيا وفي اخر السورة الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم فقدم التكذيب
به اظهارا للعناية به صلى الله عليه وسلم **قوله** من شجر من زقوم فيه
اوجه احدها ان يكون من الاولى لابتداء الغاية والثانية للبيان اي مبتدئون
الاكل من شجر هو زقوم الثاني ان تكون من الثانية صفة لشجر فيتعلق
بمحذوف اي مستقر الثالث ان تكون الاولى مزيدة اي لآكلون شجرا ومن
الثانية على ما تقدم فيها من الوجهين الرابع عكس هذا وهو ان تكون الثانية
مزيدة اي لآكلون زقوما ومن الاولى للابتداء او في محل نصب على الحال من زقوم
اي كائنا من شجر ولو تاخر لكان صفة الخامس ان من شجر صفة لمفعول محذوف
اي لآكلون شيئا من شجر ومن زقوم على هذا نعت لشجر او لشيء المحذوف السادس
ان الاولى للتبعيض والثانية بدل منها **قوله** فمالئون منها البطون
الضمير في منها عائد على الشجر وفي عليه للشجر ايضا وقد تقدم انه يجوز تذكير
اسم الجنس وتانيثه وانهما لغتان وقيل الضمير في عليه عائد على الزقوم وقال
ابو البقاء للماكول وقال ابن عطيه للماكول او الاكل انتهى وفي قوله الاكل بعد
وقال الزمخشري وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في منها وعليه
ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل
الزقوم لانه تفسيرها **فصل** قال ابن الخطيب اختلفت اقوال الناس
في الزقوم وحاصل الاقوال يرجع الى كون ذلك في الطعم مرا وفي اللمس حارا وفي الرائحة
منتنا وفي المنظر اسود لا يكاد اكله يسيغه والتحقيق اللغوي فيه ان الزقوم
لغة عربية ودلنا تركيبه على قبحه لان زقم لم يجتمع الا في مهمل او في مكروه يقال
سنه مزق يمزق ومنه زمق شعره اذا نتفه ومنه القزم لللوم واللوم او قريب
منه هذا ان القاف مع كل حرف من الحرفين الباقيين يدل في اكثر الامر على مكروه فالقاف
مع الميم كالقمامة والتقمقم والقمقمة وبالعكس المقامق لتغليظ الصوت
والقمقمة هو الشق واما القاف مع الزاي فالزق رزق الطير والزقزقة للخفة
وبالعكس القز للوثوب والتقزز للتنفز الطبع ثم ان الكلمة من حروف اجتماعها
دليل الكراهة والقبح ثم قرن بالاكل فدل على انه طعام ذو غصة واما ما يقال
بان العرب تقول زقمتني بمعنى اطعمتني الزبد والعسل واللبن فذلك للمناسبة كما
يقال اوشعفني بشرب حسن وارحني بكيس من ذهب وقد تقدم الكلام على
الزقوم في الصافات وقوله فمالئون منها البطون بيان لزيادة العذاب
اي لا ينبغي منكم بنفس الاكل كما يكتفى من ياكل الشيء لتحلة القسم بل يلزمون منها
بان يملأوا منها البطون وقوله البطون اما مقابلة للجمع بالجمع اي يملأ كل
واحد منكم بطنه واما ان يكون لكل واحد بطون ويكون المراد منه ما في باطن
الانسان وهي سبعة امعاء فيملأوا بطون الامعاء والاول اظهر والثاني ادخل
في التعذيب **قوله** فشاربون عليه اي على الاكل او على الزقوم لاجل مرارته
وحرارته يحتاجون الى شرب الماء فيشربون من الماء الحار **قوله** فشاربون
شرب الهيم وهذا ايضا بيان لزيادة العذاب اي لا يكون شربكم كمن شرب
ماء حارا منتنا فيمسك عنه بل يلزمون ان يشربوا منه مثل ما يشرب الاهيم
وهو الجمل العطشان فيشرب ولا يروى وقرا عاصم ونافع وحمزة بضم الشين
من شرب وباقي السبعة بفتحها ومجاهد وابو عثمان النهدي بكسرها فقيل

الثلاث لغات في مصدر شرب والمقيس منها انما هو المفتوح والمضموم
والمكسور اسمان لما يشرب كالرعي والطحن. قال القرطبي تقول العرب
شربت شربا وشربا وشربا بضمتين قال ابو زيد سمعت العرب تقول
بضم الشين وفتحها وكسرها والفتح هو المصدر الصحيح لان كل مصدر من
ذوات الثلاثة فاصله فعل الا ترى انك ترده الى المرة الواحدة فتقول
فعلة نحو شربة. وقال الكسائي شربت شربا وشربا ويروى قول جعفر ايام
منى ايام اكل وشرب ويقال بفتح الشين والشرب في غير هذا اسم للجماعة
الشاربين قال

كانه خارج من جنب صفحته ۞ سفود شرب نسوه عند مفتاد ۞

والمعنى مثل شرب الهيم والهيم فيه اوجه احدها انه جمع اهيم او هيما وهو
الجمل والناقة التي اصابها الهيام وهو داء معطش تشرب الابل منه الى ان تموت
او تسقم سقما شديدا والاصل هيم بضم الهاء كاحمر وحمر وحمرا وحمر فقلبت
الضمة كسرة لتصح اليا وذلك نحو بيض في ابيض وانشد لذي الرمة

فاصبحت كالهيما لا الما مبرد ۞ صداها ولا يقضي عليها هيامها ۞

الثاني انه جمع هائم وهايمة من الهيام ايضا الا انه جمع فاعل وفاعلة
على فعل قليل نحو نازل ونزل وعايد وعوذ. ومنه العود المطافيل وقيل
هو من الهيام وهو الذهاب لان الجمل اذا اصابه ذلك هام على وجهه الثالث
انه جمع هيام بفتح الها وهو الرمل غير المتماسك الذي لا يروى من الما اصلا
فيكون مثل سحاب وسحب بضمتين ثم خفف باسكان عينه ثم كسرت فاوه
لتصح اليا كما فعل بالذي قبله الرابع انه جمع هيام بضم الها وهو الرمل غير
المتماسك ايضا مبالغة في الهيام بالفتح حكاها ثعلب الا ان المشهور الفتح ثم
جمع على فعل نحو قراد وقرد ثم خفف وكسرت فاوه لتصح اليا. وفي الصحاح
والهيام بالضم اشد العطش والهيام كالجنون من العشق والهيام ايضا
المفازة لا ما بها والهيام بالكسر العطاش والمعنى انه يصيبهم من الجوع
ما يلجيهم الى اكل الزقوم ومن العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم مثل شرب
الهيم. وقال الزمخشري فان قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين
وهما لذوات واحدة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشي على نفسه
قلت ليستا متفقتين من حيث ان كونهم شاربين على ما هو عليه من تناهي
الحرارة وقطع الامعا امر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الما
امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى يعني قوله فشاربون عليه
من الحميم فشاربون وهو سوال حسن وجوابه مثله. واجاب بعضهم
عنه بجواب اخر وهو ان قوله فشاربون شرب الهيم تفسير للشرب
قبله الا ترى ان ما قبله يصلح ان يكون مثل شرب الهيم ومثل شرب غيرها
ففسره بانه مثل شرب هولا البهايم والرمال وفي ذلك فايدتان احداهما
التنبيه على كثرة شربهم منه والثانية عدم جدوى الشرب اذ المشروب
لا ينجع فيهم كما لا ينجع في الهيم على التفسيرين. وقال ابو حيان والفا تقتضي
التعقيب في الشربين وانهم اولا لما عطشوا شربوا من الحميم ظنا انه
يسكن عطشهم فازداد العطش بحرارة الحميم فشربوا بعده شربا
لا يقع بعده ريا ابدا وهو مثل شرب الهيم فهما شربان من الحميم لا شرب
واحد اختلفت صفتاه فعطف والمشروب منه في فشاربون شرب الهيم
محذوف لفهم المعنى تقديره فشاربون منه انتهى. قال شهاب الدين
والظاهر انه شرب واحد بل الذي يعتقد هذا فقط وكيف يناسب ان
يكون زيادتهم العطش لشربه تقتضيه لشربهم منه ثانيا قوله

نزلهم

١٠٨

نزلهم يوم الدين قرا العامة نزلهم بضمتين وروي عن ابي عمرو من طرق
وعن نافع وابن محيصن بضمة وسكون وهو تخفيف وقد تقدم ان النزل
ما يعد للضيف. وقيل هو اول ما ياكله فسمي به هذا تهكما بمن اعد له
وهو في المعنى كقول ابي الشعر الضبي

۞ وكنا اذا الجبار انزل جيشه ۞ جعلنا القنا والمرهفات نزلا ۞

ومعنى الاية هذا اول ما يلقونه من العذاب يوم القيامة كالنزل الذي
يعد للاضياف تكرمة لهم وفيه تهكم كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
قوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون تحضيض اي فهلا تصدقون بالبعث
لان الاعادة اسهل من الابتدا. وقيل المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا
تصدقون بان هذا طعامكم ان لم تؤمنوا ومتعلق التصديق محذوف تقديره
فلولا تصدقون بخلقنا قوله افرايتم ما تمنون بمعنى اخبروني ومفعولها
الاول ما تمنون والثاني الجملة الاستفهامية وقد تقدم تحريره والمعنى ما
تصبونه من المني في ارحام النسا وقرا العامة تمنون بضم التاء من امنى
يمني وابن عباس وابو السمال بفتحها من منى يمني قال الزمخشري يقال امنى
النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى نقل هذا انه استشهاد
للثلاثي وليس فيه دليل له اذ يقال من الرباعي ايضا تمنى كقولك انت تكرم
وهو من اكرم قال القرطبي ويحتمل ان يختلف معناها عندي فيكون امنى
اذا انزل عن جماع ومنى اذا انزل عن احتلام وفي تسمية المني منيا وجهان
احدهما لامنائه وهو اراقته الثاني لتقديره وهو المنى الذي يوزن به
لانه مقدار لذلك فكذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلقة قوله
اانتم تخلقونه يجوز فيه وجهان. احدهما انه فاعل فعل مقدر اي اتخلقونه
فلما حذف الفعل لدلالة ما بعده انفصل الضمير وهذا من باب
الاشتغال. والثاني ان انتم مبتدا والجملة بعده خبره والاول ارجح
لاجل اداة الاستفهام وقوله ام يجوز فيها وجهان. احدهما انها
منقطعة لان بعدها جملة وهي انما تعطف المفردات. والثاني
انها متصلة واجابوا عن وقوع الجملة بعدها بان مجي الخبر بعد نحن اتي
به على سبيل التوكيد اذ لو قال ام نحن لاكتفي به دون الخبر ونظير
ذلك جواب من قال في الدار زيد في الدار او زيد فيها ولو اقتصر
على زيد لكان كافيا ويؤيد كونها متصلة ان الكلام يقتضي تاويله
اي الامرين واقع واذا صح ذلك كانت متصلة اذ الجملة بتاويل المفرد
ومفعول الخالقون محذوف لفهم المعنى اي الخالقوه فصل
والمعنى ام تصورون منه الانسان ام نحن الخالقون المقدرون
المصورون وهذا احتجاج عليهم وبيان للاية الاولى اي اذا اقررتم
بانا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا بالبعث قال مقاتل نحن خلقناكم ولم
تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك فهلا تصدقون بالبعث قوله نحن
قدرنا قرا ابن كثير قدرنا بتخفيف الدال والباقون بتشديدها
وهما لغتان بمعنى واحد في التقدير الذي هو القضا وهذا ايضا
احتجاج اي الذي يقدر على الاماتة يقدر على الخلق واذا قدر على
الخلق قدر على البعث قال الضحاك معناه اي سوينا بين اهل
السما واهل الارض وقيل قضينا وقيل كتبنا قال مقاتل فمنكم
من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وما نحن بمسبوقين
اي مغلوبين عاجزين قوله على ان نبدل يجوز ان يتعلق
بمسبوقين وهو الظاهر اي لم يسبقنا احد على تبديلنا امثالكم

اي يعجزنا • يقال سبقه على كذا اي اعجزه عنه وغلبه عليه • الثاني انه متعلق
بقوله نحن قدرنا بينكم على ان نبدل اي تموت طايفة وتخلفها طايفة اخرى
قال معناه الطبري فعلى هذا يكون قوله وما نحن بمسبوقين معترضا
وهو اعتراض حسن • ويجوز في امثالكم وجهان احدهما انه جمع مثل بكسر
الميم وسكون الثاء اي نحن قادرون على ان نعدمكم ونخلق قوما اخرين
امثالكم • ويؤيده ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين • والثاني
انه جمع مثل بفتحتين وهو الصفة اي نغير صفاتكم التي انتم عليها خلقا
وخلقا وننشيكم في صفات غيرها وتقدم قراءة النشاة في العنكبوت
فصل قال الطبري معنى الاية نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل
امثالكم بعد موتكم باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في اجالكم اي لا
يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم وننشيكم فيما لا تعلمون من الصور
والهيئات • قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام
قبلكم • وقيل المعنى ننشيكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فيجمل المؤمن
ببياض وجهه ويقبح الكافر بسواد وجهه • وقال سعيد بن المسيب
قوله فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها
الخطاطيف وبرهوت واد في اليمن • وقال مجاهد فيما لا تعلمون في اي خلق
شينا وقيل ننشيكم في عالم فيما لا تعلمون وفي مكان لا تعلمون قال ههنا
قدرنا بينكم الموت وقال في سورة الملك خلق الموت والحياة بلفظ الخلق
لان المراد هناك بيان كون الموت والحياة مخلوقين وههنا ذكر حياتهم
ومماتهم قوله ولقد علمتم النشاة الاولى اي اذ خلقتكم من نطفة
من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيا قاله مجاهد وغيره وهذا
تقرير للنشاة الثانية • وقال قتادة والضحاك يعني خلق ادم عليه
الصلوة والسلام فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون • وقرا طلحة تذكرون
بسكون الذال وضم الكاف • وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشاة
الاخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة الاخرة
وهو يسعى لدار الغرور قوله افرايتم وما بعده و تقدم نظيره وهذه
حجة اخرى اي اخبروني عما تحرثون من ارضكم فتطرحون فيها البذر
انتم تنبتونه وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن نفعل
ذلك وانما منكم البذر وشق الارض فاذا اقررتم بان اخراج السنبل من
الحبة ليس اليكم فكيف تنكرون اخراج الاموات من الارض واعادتهم واضاف
الحرث اليهم والزرع اليه تعالى لان الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم والزرع
من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم وكذلك ما روى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم زرعت
وليقل حرثت فان الزارع هو الله قال ابو هريرة الم تسمعوا قوله تعالى
انتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبي والمستحب لكل من زرع ان
يقرا بعد الاستعاذة افرايتم ما تحرثون الاية ثم تقول بل الله الزارع
والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا
لانعمك شاكرين • ويقال ان ذلك القول امان لذلك الزرع من جميع
الافات الدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجربناه فوجدناه كذلك
فان قيل اذا كان الزارع هو الله فكيف قال تعالى يعجب الزراع • وقال
عليه الصلوة والسلام الزرع للزارع • فالجواب ان الحرث اوايل الزرع
والزرع اواخر الحرث فيجوز اطلاق احدهما على الاخر لاتصاله به • ومعنى انتم
تزرعونه تجعلونه وقد يقال فلان زارع كما يقال حراث اي يفعل ما يؤول الى

ان يصير



ان يصير زرعا • وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الارض وتكريبها تجوزا
قال القرطبي وهذا نهي ارشاد وادب لا نهي حظر وايجاب • ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام لا يقولن احدكم عبدي وامتي وليقل
غلامي وفتاي وفتاتي قوله لو نشا لجعلناه حطاما اتى هنا
بجواب لو مقرونا باللام وهو الاكثر لانه مثبت وحذف في قوله جعلناه
اجاجا لان المنة بالماكول اعظم منها بالمشروب قاله الزمخشري وهذا
منقوض بقوله ولو نشا لطمسنا ولو نشا لمسخناهم وذلك ان
امر الطمس اهون من امر المسخ وادخل فيهما اللام • واجاب الزمخشري
بجواب اخر فقال قوله ولو نشا لجعلناه حطاما كان قريب الذكر فاستغني
باللام فيه عن ذكرها ثانيا قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لان
قوله تعالى لو نشا لطمسنا على اعينهم مع قوله لو نشا لمسخناهم اقرب
من قوله لجعلناه حطاما وجعلناه اجاجا اللهم الا ان يقول هنا ان
احدهما قريب من الاخر ذكرا لا معنى لان الطمس لا يلزمه المسخ ولا بالعكس
واما الماكول فيكون معه المشروب في الذهن فالامران متقاربان لفظا
ومعنى فصل قال الماوردي هذه الاية تتضمن امرين • احدهما
الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على نعمته عليهم
والثاني البرهان الموجب للاعتبار لانه لما انبت زرعهم بعد تلاشي بذره
وانتقاله الى استوحاله من العفن والتتريب حتى صار زرعا اخضر
ثم قوي مشتدا اضعاف ما كان عليه فهو باعادة من امات اخف عليه
واقدر وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة ثم قال لو نشا لجعلناه
حطاما اي متكسرا يعني الزرع والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به
في مطعم ولا غذا فنبه بذلك على امرين • احدهما ما اولاهم به من النعم
في زرعهم اذ لم يجعله حطاما ليشكروا • الثاني ليعتبروا بذلك في انفسهم
كما انه يجعل الزرع حطاما اذا شا كذلك يهلككم اذا شا لتتعظوا فتنزجروا
قوله فظلتم تفكهون قرا العامة بفتح الظاء بلام واحدة وقد
تقدم الكلام عليها مستوفى في طه وابو حيوة وابو بكر في رواية
بكسر الظا وعبد الله والجحدري فظللتم على الاصل بلامين اولاهما
مكسورة • وروي عن الجحدري فتحها وهي لغة ايضا والعامة تفكهون
بالها ومعناه تندمون وحقيقته تلقون الفكاهة عن انفسكم ولا
تلقى الفكاهة الا من الحزن فهو من باب تحرج وتاثم وتحوب • وقيل
تفكهون تتعجبون بذهابها ما نزل بكم في زرعكم قاله عطا والكلبي
ومقاتل • وقيل تندمون مما حل بكم قاله الحسن وقتادة وغيرهما
وقيل تلاومون وقيل تتعجبون وهذا تفسير باللازم • وقرا ابو حرام
العكلي تفكنون بالنون اي تندمون قال ابن خالويه تفكه تعجب
وتفكن تندم • وفي الحديث مثل العالم مثل الحمة تاتيها البعداء وتتركها
القربا فبينما هم اذ غار ماوها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون
اي يتندمون قال الفرا والنون لغة عكل • وفي الصحاح التفكن التندم
على ما فات • وقيل التفكه التكلم فيما لا يعنيك • ومنه قيل للمزاح فكاهة
بالضم فاما الفكاهة بالفتح فمصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان
طيب النفس مزاحا قوله انا لمغرمون قرا ابو بكر ايا انا بالاستفهام
وهو على اصله في تحقيق الهمزتين وعدم ادخال الف بينهما والباقون
بهمزة واحدة على الخبر وقيل هذه الجملة قول مقدر على كلا القراءتين وذلك
في محل نصب على الحال تقديره فظلتم تفكهون قايلين او تقولون انا لمغرمون

اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام
وهو الهلاك قاله الزمخشري ومن مجي الغرام بمعنى الهلاك قوله
ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي
قال ابن عباس وقتادة الغرام العذاب ومنه قول ابن المحلم
وثقت بان الحلم منك سجية وان فؤادي مبتلا بك مغرم
وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا يقال اغرم فلان اي اولع بها ومنه الغرام
وهو الشر اللازم وقال مجاهد ايضا لملقون شرا وقال النحاس لمغرمون
ماخوذ من الغرام وهو الهلاك وقال الضحاك وابن كيسان هو من
الغرم والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض اي غرمنا الحب الذي بذرناه
وقال مرة الهمداني محاسبون قوله بل نحن محرومون اي حرمنا
ما طلبنا من الريع والمحروم المحدود الممنوع من الرزق والمحروم ضد
المرزوق قاله قتادة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بارض
الانصار فقال ما يمنعكم الحرث قالوا الجدب فقال لا تفعلوا فان
الله يقول انا الزارع ان شئت زرعت بالما وان شئت زرعت بالريح
وان شئت زرعت بالبذر ثم تلا افرايتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه
ام نحن الزارعون قال القرطبي وفي هذا الحديث والذي قبله ما يصحح
قول من ادخل الزارع في اسما الله تعالى وابا جمهور العلما قوله
افرايتم الما الذي تشربون لتحيوا به انفسكم وتسكنوا به عطشكم أأنتم
انزلتموه من المزن السحاب وهو اسم جنس واحده مزنة قال
فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها
وعن ابن عباس ايضا والثوري المزن السما والسحاب وقال ابو زيد
المزنة السحابة البيضا والجمع مزن والمزنة المطرة قال
الم تر ان الله انزل مزنة وعفر الظبا في الكناس تقمع
وقوله ام نحن المنزلون اي اذا عرفتم باني انزلته فلم لا تشكرون باخلاص
العبادة لي ولم تنكرون اقتداري على الاعادة قوله لو نشا جعلناه اجاجا
وقد تقدم عدم دخول اللام في جواب لو هذه وقال الزمخشري فان
قلت لم دخلت اللام في جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا
قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزا
بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها
معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضمون جملتيها ان الثاني امتنع
لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق
فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعدما صارت
علما مشهورا مكانه فلان الشي اذا علم وشهر موقعه وصار مالوفا ومانوسا
به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما
يحكى عن رؤبة انه كان يقول خير لمن يقول له كيف اصبحت فيحذف الجار
لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي اثباته وحذفه لشهرة امره وناهيك
بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا بحذف
لم ار فاذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان
لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانيا
ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت
في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم
على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب
انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد
ما تطعمه

ما تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلا
اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا
وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية
المطعوم على اية المشروب انتهى وقد تقدم جواب ابن الخطيب له عن
ذلك فصل قال ابن عباس الاجاج المالح الشديد الملوحة
وقال الحسن مرا قعاعا لا ينتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما
فلولا اي فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم قوله افرايتم النار
التي تورون اي تخرجون من النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب
وتورون من اوريت الزند اي قدحته فاستخرجت ناره ووري
الزند يري اي خرجت ناره واصل تورون توريون والشجرة التي
تكون منها الزنود هي المرخ والعفار ومنه قولهم في كل شجر نار واستمجد
المرخ والعفار اي استكثروا منها كانهما اخذا من النار ما هو حسبهما
وقيل بهما يسرفان الورى ام نحن المنشئون اي المخترعون الخالقون
اي فاذا عرفتم قدرتي فاشكروني ولا تنكروا قدرتي على البعث قوله
نحن جعلناها تذكرة اي نار الدنيا موعظة للنار الكبرى قاله قتادة
وقال مجاهد تبصرة للناس من الظلام قال عليه الصلوة والسلام ان
ناركم هذه التي توقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا
يا رسول الله ان كانت لكافية قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين
جزءا كلهن مثل حرها قوله ومتاعا للمقوين يقال اقوى الرجل اذا
حل في الارض القوا وهي القفر كاصحر دخل في الصحرا واقوت الدار خلت
من ذلك لانها تصير قفرا قال النابغة
يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد
قال الضحاك ومتاعا للمقوين اي منفعة للمسافرين سمي بذلك لنزوله
القوي وهي القفر التي لا شي فيها وكذلك القوي والقوا بالمد والقصر
ومنزل قوا لا انيس به يقال اقوت الدار وقويت ايضا اي خلت
من سكانها قال
حييت من طلل تقادم عهده اقوى واقفر بعد ام الهيثم
وقال مجاهد للمقوين اي المستمتعين بها من الناس اجمعين في
الطبخ والخبز والاصطلا والاستضاءة ويتذكر بها جهنم فيستجار
بالله منها وقال ابن زيد للجائعين في اصلاح طعامهم يقال اقويت
منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيا وبات فلان القوا وبات القفر اذا بات
جائعا على غير طعم قال الشاعر
واني لاختار القوى طاوي الحشا محافظة من ان يقال لئيم
وقال قطرب المقوي من الاضداد يكون بمعنى الفقير ويكون بمعنى
الغني يقال اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد ويقال للغني مقو
اذا لم يكن معه مال وتقول العرب اقويت منذ كذا اي ما اكلت
شيا واقوى اذا قويت دوابه وكثر ماله لتقويه على ما يريد قاله
المهدوي والاية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم
والغني والفقير وقال القشيري وخص المسافر بالانتفاع بها لان
انتفاعه بها اكثر من انتفاع المقيم لان اهل البادية لا بد لهم من النار
يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع وفي كثير من حوائجهم قوله
فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه الله عما اضافه اليه المشركون
من الانداد والعجز عن البعث قال ابن الخطيب والمشهور ان الاسم مقحم

والاحسن انه من باب الاولى وان تعظيم المسمى اكد وقد تقدم
ان تعلق الفعل ان كان ظاهرا استغنى عن الحرف كضرب وان كان
خفيا قوي بالحرف كذهب وان كان بينهما جاز الوجهان كشكر ونصح
وسبح متعد بنفسه الا انه لما دخل على الاسم والمراد الذات حسن
التعلق من هذا الوجه فاتى بالحرف • واما قوله سبح اسم ربك
فيحتمل ان ذلك لانهم كانوا يعترفون بالله ويقولون نحن لا نشرك
في المعنى وانما نسمي الاصنام الهة باللفظ فقيل لهم نزهوا الاسم كما
نزهتم الحقيقة وعلى هذا فالخطاب ليس للنبي صلى الله عليه وسلم
بل هو كقول الواعظ يا مسكين افنيت عمرك وما اصلحت امرك
ويريد السامع او المعنى مع الباء فسبح مبتديا باسم ربك فلا
تكون الباء زائدة ومعنى العظيم الكبير من الخلق فان الصغير
اذا قرب من شي بعد عن غيره قوله فلا اقسم قرأ العامة
فلا لام الف وفيها اوجه • احدها انها حرف نفي وان المنفي بها
محذوف وهو كلام الكافر الجاحد تقديره فلا حجة لما يقول الكفار ثم
ذكر ابتدا اقسم بما ذكروا اليه ذهب كثير من المفسرين والنحويين قال
الفراء هي نفي والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف القسم كما يقول لا
والله ما كان كذا ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام تقدم اي
ليس الامر كما ذكر بل هو كذا وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها
قال ابو حيان ولا يجوز ولا ينبغي فان القايل بذلك مثل سعيد بن
ابن جبير تلميذ حبر القران وبحره عبد الله بن عباس ويبعد ان يقوله
سعيد الا بتوقيف • الثاني انها زايدة للتوكيد والمعنى فاقسم بدليل
قوله وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم والتقدير ليعلم وقوله
فلا وابي اعدائها لا اخونها • الثالث انها لام الابتدا والاصل
فلا اقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها الف كقوله •
اعوذ بالله من العقراب • قاله ابو حيان واستشهد بقراءة هشام
افئيدة قال شهاب الدين وهذا ضعيف جدا واستدلوا ايضا بقراءة
الحسن وعيسى فلاقسم بلام واحدة وفي هذه القراءة تخريجان • احدهما
ان اللام لام ابتدا وبعدها مبتدا محذوف والفعل خبره فلما حذف
المبتدا اتصلت اللام بخبره وتقديره فلانا اقسم نحو لزيد منطلق
قاله الزمخشري وابن جني • والثاني انها لام القسم دخلت على الفعل الحال
ويجوز ان يكون القسم جوابا للمقسم كقوله وليحلفن ان اردنا
ليحلفن قسم جوابه ان اردنا وهو جواب لقسم مقدر وكذلك هنا
قول الكوفيين يجيزون ان يقسم على فعل الحال والبصريون يابونه
ويخرجون ما يوهم ذلك على اضمار مبتدا فيعود القسم على جملة اسمية
ومنع الزمخشري ان يكون لام القسم قال لامرين • احدهما ان حقها ان تقرن بالنون
المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح • والثاني ان لافعل في جواب
القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال وهذا كما تقدم انه
يري لمذهب البصريين ومعنى قوله وفعل القسم يجب ان يكون للحال
يعني ان فعل القسم انشا والانشا حال • واما قوله ان حقها ان تقرن
بها النون هذا مذهب البصريين ايضا واما الكوفيون فيجيزون التعاقب
بين اللام والنون نحو والله لاضربن زيدا كقوله •
لئن بك تحفظ قت عليكم بيوتكم • ليعلم ربي ان بيتي واسع •
ووالله اضرب زيدا كقوله • وقيل مرة لدار زين • وقد تقدم
من

من هذه الاية في قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ولكن
هناك ما لا يمكن القول به هنا كما ان هنا ما لا يمكن القول به هناك
وسياتي ان شاء الله تعالى قريب منه في القيمة في قراءة ابن كثير لاقسم
بيوم القيمة قال القرطبي وقيل لا بمعنى الا للتنبيه كقوله •
الا عم صباحا ايها الطلل البالي • ونبه بهذا على فضيلة القران
ليتدبره فانه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا قوله بمواقع
النجوم قرأ العامة بمواقع جمعا والاخوان بموقع مفردا بمعنى الجمع لانه
مصدر فوحد ومواقعها مساقطها ومغاربها قاله قتادة وغيره وقال
الحسن انكدارها وانتشارها يوم القيمة وقيل المراد نجوم القران قاله
ابن عباس والسدي ويؤيده وانه لقسم وانه لقران كريم • وقال عطا
ابن ابي رباح منازلها • وقال الضحاك هي الانوا التي كانت الجاهلية
تقول اذا مطروا مطرنا بنوء كذا • قال الماوردي ويكون قوله تعالى
فلا اقسم مستعملا على الحقيقة من نفي القسم وقال القشيري هو قسم
ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة
قال القرطبي يدل على هذا قراءة الحسن فلاقسم قوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم • الضمير عايد على القسم الذي تضمنه قوله فلا اقسم لان اقسم
يتضمن ذكر المصدر وهذا نوصف المصادر التي لم تظهر بعد الفعل فيقال
ضربته قويا فان قيل جواب لو تعلمون ماذا قال ابن الخطيب بعضهم
لا يعلم بان جوابه ما تقدم وهو فاسد في جميع المواضع لان جواب الشرط
لا يتقدم لان عمل الحروف في معمولاتها لا يكون قبل وجودها فلا يقال زيدا
ان قام فالجواب يحتمل وجهين • احدهما ان يقال الجواب محذوف بالكلية
بحيث لا يقصد لذلك جواب وانما يراد نفي ما دخلت عليه لو فكانه قال
وانه لقسم عظيم لو تعلمون • وتحقيقه ان لو تذكر لامتناع الشي لامتناع
غيره فلا بد فيه من انتفا الاول فادخال لو على تعلمون افاد ان علمهم
منتف سوا علمنا الجزا ام لم نعلم وهو كقولهم في الفعل المتعدي فلان
يعطي ويمنع حيث لا يقصد منه مفعولا وانما يراد اثبات القدرة • الثاني
ان جوابه مقدر تقديره لو تعلمون لعظمتموه لكنكم ما عظمتموه فعلم انكم
لا تعلمون • او لو تعلمون لعظمته في اعينكم ولم تعظم فلا تعلمون قوله
انه لقران كريم هذا هو المقسم عليه وعلى هذا فيكون في هذا الكلام
اعتراضان • احدهما الاعتراض بقوله وانه لقسم بين القسم والمقسم
عليه • والثاني الاعتراض بقوله لو تعلمون بين الصفة والموصوف وجعل
ابن عطية ان يجعل قوله وانه لقسم اعتراضا فقال وانه لقسم تاكيد
للامر وتنبيه من المقسم به وليس هذا باعتراض بين الكلامين بل
هذا معنى قصد التهمم به وانما الاعتراض قوله لو تعلمون قال شهاب
الدين وكونه تاكيدا ومنبها على تعظيم المقسم به لا ينافي الاعتراض
بل هذا معنى الاعتراض وفايدته والها في انه للقران تعود على القران
اي ان القران لقسم عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل اي ما اقسم الله
به عظيم انه لقران كريم ذكر المقسم عليه اي اقسم بمواقع النجوم ان
هذا القران قران ليس بسحر ولا كهانة ولا بمفترى بل هو قران كريم
محمود جعله الله معجزة نبيه وهو كريم على المؤمنين لانه كلام ربهم وشفا
صدورهم كريم على اهل السما والارض لانه تنزيل ربهم ووحيه وقيل
كريم اي غير مخلوق وقيل كريم لما فيه من كرم الاخلاق ومعالي الامور
وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم قارئه فصل قال ابن الخطيب

كريم اي لا يبلون بكثرة التلاوة لان الكلام متى اعيد وكرر استهجن
به والقران تكرره الى اخر الدهر ولا يزداد الا عزا والقران اما مصدر كالغفران
والمراد به المفعول وهو المقرو كقوله هذا خلق الله واما اسم لما يقرا
كالقربان لما يتقرب به والحلوان لما يحل به ثم الكاهن وعلى هذا يظهر
فساد قول من رد على الفقها قولهم في باب الزكاة يعطي سنا اعلى مما وجب
ويأخذ الجبران او يعطي سنا دونه ويعطي الجبران لان الجبران مصدر لا
يوخذ ولا يعطى فيقال له هو كالقران بمعنى المقرو قوله في كتاب
مكنون مصون عند الله وقيل مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب هنا
كتاب في السما قاله ابن عباس وقال جابر بن زيد وابن عباس ايضا هو
اللوح المحفوظ وقال عكرمة التورية والانجيل فيهما ذكر القران وقال
السدي الزبور وقال قتادة ومجاهد هو المصحف الذي في ايدينا ٥
فصل قال ابن الخطيب قوله تعالى في كتاب يستدعي شيا مظروفا
للكتاب وفيه وجهان احدهما انه القران اي هو قران في كتاب كقولك
فلان رجل كريم في نفسه لا يشك السامع بان المراد منه انه في الدار قاعد
وانه لا يريد به الا رجل اذا كان في الدار غير رجل اذا كان خارجا ولا يشك
ايضا انه لا يريد انه كريم وهو في البيت فكذلك ههنا معناه انه كريم
في كتاب فاذا قيل فلان رجل كريم في نفسه يعلم كل احد انه لم يجعل رجلا
مظروفا وان القايل لم يرد انه رجل في نفسه قاعد ونايم وانما اراد انه
كريم في نفسه وكذا قوله قران كريم في لوح اي انه لم يكن كريما عند الكفار
الثاني ان المظروف هو مجموع قوله تعالى قران كريم اي هو هكذا في كتاب
كقوله تعالى وما ادراك ما عليون كتاب اي في كتاب الله والمعنى انه في
اللوح المحفوظ مكتوب انه قران كريم فصل قال ابن الخطيب
فان قيل كيف سمي الكتاب كتابا والكتاب فعال وهو اما مصدر كالحساب
والقيام ونحوهما او لما يكتب كاللباس ونحوه وكيف ما كان فالكتاب
لا يكون في القرطاس لانه بمعنى المصدر ولا يكون في مكتوب وانما يكون
مكتوبا في لوح او ورق فالمكتوب لا يكون في الكتاب انما يكون في قرطاس
واجاب بان اللوح لما لم يكن الا ان يكتب فيه صح تسميته كتابا وقوله
في كتاب اما خبر بعد خبر واما صفة لكريم واما معمول لكريم والاصح
ان الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح
محفوظ قوله لا يمسه في لا هذه وجهان احدهما انها نافية فالفعل
في لا يمسه صفة اعراب وعلى هذا القول في الجملة وجهان احدهما ان محلها
الجر صفة لكتاب والمراد به اللوح المحفوظ والمطهرون حينيذ الملايكة
والمراد به المصاحف والمراد بالمطهرين المكلفون كلهم والثاني ان محلها
الرفع صفة لقران والمراد بالمطهرين الملايكة فقط اي لا يطلع عليه او لا يمس
لوحه لا يبرم احد هذين القولين لان نسبة المس الى المعاني حقيقة
متعذر ويؤيد كون هذه نفيا قراة عبد الله ما يمسه بما النافية الوجه
الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر
ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضم
لاجل هاء ضمير المذكر الغايب ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث
انا لم نرده عليك الا انا حرم وان القياس يقتضي جواز فتحه تخفيفا وبهذا
يظهر فساد رد من رد بان هذا لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه
خفي عليه جواز ضم ما قبل الها في هذا النحو لا سيما على راي سيبويه فانه لا
يجيز غيره وقد ضعف ابن عطية كونه نهيا بانه اذا كان خبرا فهو في موضع
الصفة

الصفة وقوله بعد ذلك تنزيل صفة فاذا جعلناه نهيا كان اجنبيا
معترضا بين الصفات وذلك لا يحسن في وصف الكلام فتدبره وفي حرف
ابن مسعود ما يمسه انتهى وليس فيما ذكره ما يقتضي تضعيف هذا
القول لانا لا نسلم ان تنزيل صفة بل هو خبر مبتدا محذوف اي هو
تنزيل فلا يلزم ما ذكر من الاعتراض ولين سلمنا انه صفة فلا يمسه
صفة ايضا فان اعترض علينا فانه طلب فيجاب بانه على اضمار القول
اي مقول فيه لا يمسه كما قالوا ذلك في قوله فتنة لا تصيبن وفي
كقوله جاووا بمذق هل رايت الذيب قط وقد تقدم تحقيقه في
الانفال وهذه الاية تتعلق بها خلاف العلما في مس المحدث المصحف وهو
مبني على هذا وقرا العامة المطهرون بتخفيف الطا وتشديد الها
مفتوحة اسم مفعول وعن سلمان الفارسي كذلك الا انه بكسر الها اسم
فاعل اي المطهرون انفسهم فحذف مفعوله ونافع وابو عمرو في رواية
عنهما وعيسى بسكون الطا وفتح الها خفيفة اسم مفعول من اطهر
زيد والحسن وعبد الله بن عوف وسلمان ايضا المطهرون بتشديد
الطا والها المكسورة واصله المتطهرون فادغم وقد قرئ بهذا
الاصل ايضا فصل اختلفوا في المس المذكور في الاية هل هو حقيقة
في المس بالجارحة او معنى وكذلك اختلفوا في المطهرون منهم فقال انس
وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملايكة
وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل
من الملايكة والرسل من بني ادم وقال الكلبي هم السفرة الكرام البررة
وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك قال الحسن هم الملايكة الموصوفون
في سورة عبس في قوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة
كرام بررة وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون يعني الرسل من الملايكة
على الرسل من الانبيا ولا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا
الملايكة المطهرون ولو كان المراد طهر الحدث لقال المتطهرون والمطهرون
بتشديد الطا والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بايدينا لما روى
مالك وغيره ان في كتاب عمرو بن حزم لا يمس القران الا طاهر وقال ابن عمر
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القران الا وانت طاهر وقالت اخت عمر
لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون فقام
واغتسل واسلم وعلى هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون
من الاحداث والانجاس وقال الكلبي من الشرك وقال الربيع بن انس من
الذنوب والخطايا وقال محمد بن الفضل وغيره معناه لا يقراه الا المطهرون
اي الموحدون قال عكرمة وكان ابن عباس ينهى ان يمكن اليهود والنصارى
من قراته وقال الفرا لا يجد نفعه وطعمه وبركته الا المطهرون اي المومنون
بالقران وقال الحسين بن الفضل معناه لا يعرف تفسيره وتاويله الا من طهره
الله من الشرك والنفاق وقال ابو بكر الوراق لا يوفق العمل به الا السعدا
وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المعنى لا يمس ثوابه الا المومنون
فصل اختلف العلما في مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على المنع من
مسه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد
ابن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطا والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة
من الفقها منهم مالك والشافعي واختلفت الرواية عن ابي حنيفة فروي
عنه انه يمسه المحدث وهذا مروي عن ابن عباس والشعبي وغيرهما وروي
عنه انه يمس ظاهره وحواشيه وما ليس بمكتوب واما الكتاب فلا يمسه

الا طاهر• قال ابن العربي وهذا يقوي الحجة عليه لان حرم الممنوع ممنوع
وكتابه عمرو بن حزم اقوى دليل عليه• وقال مالك لا يحمله غير طاهر بعلاقة
ولا على وسادة• وقال ابو حنيفة لا باس بذلك• وروي عن الحكم وحماد
وداود بن علي انه لا باس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا ومحدثا الا ان
داود قال لا يجوز للمشرك حمله واحتجوا في اباحة ذلك بكتاب النبي صلى الله
عليه وسلم الى قيصر ولا حجة فيه لانه موضع ضرورة والمراد
بالقران المصحف سمي قرانا لقرب الجوار على الاتساع ولان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو
اراد به المصحف **قوله** تنزيل قرا العامة بالرفع وقرا
بعضهم تنزيلا بالنصب على انه حال من النكرة وجاز ذلك
لتخصصها بالصفة وان يكون مصدرا لعامل مقدر اي نزل
تنزيلا وغلب التنزيل على القران وقوله من رب يجوز ان
يتعلق به على الاول لا الثاني لان المؤكد لا يعمل فيتعلق بمحذوف
لانه صفة له واما على قراءة تنزيل بالرفع فيجوز الوجهان• قال
القرطبي تنزيل اي منزل كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن وقيل
تنزيل صفة لقوله تعالى انه لقران كريم وقيل خبر مبتدا محذوف
اي هو تنزيل قال ابن الخطيب قوله تنزيل مصدر والقران الذي
في كتاب ليس بتنزيل انما هو منزل لقوله تعالى نزل به الروح الامين فنقول
ذكر المصدر وارادة المفعول كثير كقوله تعالى هذا خلق الله فان المصدر
لا ان تعلق المصدر بالفاعل اكثر **قوله** افبهذا الحديث متعلق بالخبر وجاز
تقدمه على المبتدا لان عامله يجوز تقدمه ذلك والاصل انتم مدهنون
بهذا الحديث وهو القران ومعنى مدهنون اي متهاونون كمن يدهن
في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به يقال ادهن فلان
اي لاين وهاود فيما لا يحمل عنه المدهن قال ابو قيس بن الاسلت
• الحزم والقوة خير من الادهان والفهه والهاع •وقال الراغب
والادهان في الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة
وترك الجد كما جعل التقريد وهو نزع القراد عبارة عن ذلك• قال القرطبي
وادهن وداهن واحد• وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى
غششت قال ابن عباس مدهنون اي مكذبون وهو قول عطاء وغيره
والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه شبه بالدهن في سهولة ظاهره
وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون نظيره ودوا لو
تدهن فيدهنون• وقال المؤرج المدهن المنافق الذي يلين جانبه
ليخفي كفره والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق• وقال
الضحاك مدهنون معرضون وقال مجاهد ممالئون الكفار على الكفر
وقال ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل
وقال بعض اللغويين مدهنون تاركون للجزم في قبول القران **قوله**
وتجعلون رزقكم فيه اوجه احدها انه على التهكم بهم لانهم وضعوا الشي
غير موضعه كقولك شتمني حيث احسنت اليه اي عكس قضية الاحسان
ومنه ۞ وكان شكر القوم عند المنن كي الصحيحات وفقء الاعين ۞
اي تشكر رزقكم تكذيبكم• الثاني ان ثم مضافا محذوفا اي بدل شكر
رزقكم ليصح المعنى قاله ابن مالك وقد تقدم في قوله تعالى فكان قاب
قوسين اكثر من هذا• الثالث ان الرزق هو الشكر في لغة ازد شنوءة يقولون

ما رزق

ما رزق فلان فلانا اي ما شكره فعلى هذا لا حذف البتة• ويؤيده قراءة علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وتلميذه عبد الله بن عباس وتجعلون شكركم
مكان رزقكم• قال القرطبي انما صلح ان يوضع اسم الرزق مكان الشكر
لان الشكر للرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقا لهذا المعنى
قوله انكم تكذبون قرا العامة تكذبون من التكذيب وعلي رضي
الله عنه وعاصم في رواية المفضل عنه تكذبون مخففا من الكذب ومعنى
الاية انكم تكذبون بالرزق اي تضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اي لم يكونوا يصلون
ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلوة• قال القرطبي وفيه
بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسائط
التي جرت العادة بان تكون اسبابا بل ينبغي ان يروه من قبل الله تعالى
ثم يقابلوه بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان مكروها تعبدا له وتذللا
وروى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا
وتجعلون شكركم انكم تكذبون حقيقة• وعن ابن عباس ايضا ان
المراد به الاستسقاء بالانواء وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا ورواه
علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم• وفي صحيح مسلم
عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقال
بعضهم هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال
فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون• وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر
فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان دعوت الله لكم
فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول الله
ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة
فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف
بقدح وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم لله على رزقه اياكم انكم تكذبون
انكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا كقولك جعلت احساني
اليك اساءة منك الي وجعلت انعامي لديك ان اتخذتني عدوا وقال
الشافعي لا احب لاحد ان يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت
المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر والذي احب
ان يقول مطرنا وقت كذا كما تقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا
بنوء كذا وهو يريد ان النوء انزل الماء كما يقول بعض اهل الشرك فهو كافر
حلال دمه ان لم يتب• وقيل معنى قوله وتجعلون رزقكم اي معاشكم
وكسبكم تكذيب محمد كما يقال فلان جعل قطع الطريق معاشه فعلى هذا
التكذيب عام وعلى الاول التكذيب خاص والرزق في الاصل مصدر
سمي به ما يرزق كما يقال للماكول رزق وللمقدور قدرة وللمخلوق
خلق **قوله** فلولا اذا بلغت الحلقوم ترتيب الاية الكريمة فلولا ترجعونها
اي النفس اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية
مكررة للتوكيد قاله الزمخشري قال شهاب الدين فيكون التقدير فلولا
فلولا ترجعونها من باب التوكيد اللفظي وتكون اذا بلغت ظرفا لترجعونها
مقدما عليه اذ لا مانع منه اي فلولا ترجعون النفس وقت بلوغها الحلقوم

وقوله وانتم حينئذ تنظرون جملة حالية من فاعل بلغت والتنوين في
حينئذ عوض من الجملة المضاف اليها اذ اي اذ بلغت الحلقوم خلافا للاخفش
حيث زعم ان التنوين للظرف والكسر للاعراب وقد مضى تحقيقه وقرا
العامة بفتح نون حينئذ لانه منصوب على الظرف ناصبه تنظرون وعيسى
بكسرها وهي مشكلة لا تبعد عن الغلط عليه وخرجت عن الاتباع لحركة الهمزة
ولا عز ولذلك فليس ما بعد من قرا الحمد لله بكسر الدال لتلازم المتضايفين
ولكثرة دورهما على الخصوص **فصل** قال المفسرون معنى الاية
فهلا اذا بلغت النفس او الروح الحلقوم ولم يتقدم لها ذكر لان ذلك
معروف قال حاتم

اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وفي الحديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا
فشيئا حتى ينتهي بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت والحلقوم مجرى الطعام
وانتم حينئذ تنظرون امري وسلطاني وقيل تنظرون الى الميت لا تقدرون
له على شيء قال ابن عباس تريدون من حضر من اهل الميت ينتظرون متى
تخرج نفسه ثم قيل هو رد عليهم في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا فهلا ردوا الروح الى احد منهم اذا بلغت الحلقوم وقيل المعنى فهلا
اذا بلغت نفس احدكم الحلقوم عند النزع وانتم حضور امسكتم روحه في جسده
مع حرصكم على امتداد عمره وحبكم لبقائه وهذا رد لقولهم نموت ونحيى وما
يهلكنا الا الدهر **قوله** ونحن اقرب يجوز ان يكون حالا اي تنظرون في
هذا الحال التي تخفى عنكم وان تكون مستانفة فيكون اعتراضا والاستدراك
ظاهر والمصير يجوز ان يكون من البصيرة والمعنى ونحن اقرب اليه منكم بالقدرة
والعلم والرؤية كما قال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شيء الا رايت الله تعالى
اقرب اليه منه وان يكون من البصر اي ينظرون اعوان ملك الموت والمعنى
ان رسلنا الذين يتولون قبض روحه اقرب اليه منكم لكن لا ترونهم **قوله**
فلولا ان كنتم غير مدينين ان كنتم شرط جوابه محذوف عند البصريين
لدلالة فلولا عليه او متقدم عند من يرى ذلك كما تقدم تقريره والمعنى
فهلا كنتم غير محاسبين ولا مجزيين باعمالكم ومنه قوله تعالى انا لمدينون
اي مجزيون او محاسبون وقد تقدم وقيل غير مملوكين ولا مقهورين
قاله الفراء وغيره ودنته ملكته قال الحطيئة

لقد دينت امر بنيك حتى ... تركتهم ادق من الطحين

يعني ملكت ودانه اي اذله واستعبده يقال دنته فدان ومنه
دانت له البلاد والعباد وقد تقدم في الفاتحة عند قوله يوم الدين
قوله ترجعونها قرا ابو البقا ترجعونها جواب لولا الاولى واغنى ذلك
عن جواب الثانية وقيل عكس ذلك وقال الزمخشري اولولا الثانية
تكرير انتهى قال شهاب الدين وتسمية مثل هذا جوابا ليس بصحيح
البتة لان هذه تحضيضية لا جواب لها انما الجواب للامتناعية
لوجود فاذا في قوله نحو ولولا فضل الله وقال ابن عطية وقوله
ترجعونها سد مسد الاجوبة والبيانات التي تقتضيها التحضيضات
فاذا في قوله فلولا اذا وان المكررة وحمل بعض هذا القول بعضا ايجازا
واختصارا انتهى يعني باذا الشرطية وقوله الاجوبة يعني لاذا ولولا ولولا وان
في قوله ان كنتم غير مدينين ان كنتم صادقين والبيانات يعني الافعال
التي تحضض عليها وهي عبارة علقة قال ابو حيان واذا ليست شرطا

بل

بل ظرفا يعمل فيها ترجعونها المحذوف بعد لولا لدلالة ترجعونها في
التحضيض الثاني عليه فجاء التحضيض الاول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم
وجاء التحضيض الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على
رجعها اذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهورون لا قدرة لهم انتهى فجعل
ترجعونها المذكور للولا الثانية وهو دال على محذوف بعد الاولى وهو
احد الاقوال التي نقلها ابو البقا فيما تقدم وقوله ان كنتم صادقين
شرط اخر ليس من اعتراض الشرط على الشرط نحو ان ركبت ان لبست
فانت طالق حتى يجيء فيه ما تقدم في هذه المسئلة لان المراد هنا ان
وجد الشرطان كيف كانا فهلا رجعتم بنفس الميت وقال القرطبي
ترجعونها ان كنتم صادقين ترجع الروح الى الجسد ان كنتم صادقين اي
وان ترجعونها فبطل زعمكم انكم غير مملوكين ولا محاسبين وترجعونها جواب
لقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم غير مدينين فاجيبا
بجواب واحد قاله الفراء وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه
قوله فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اجيبا بجواب واحد وهما شرطان والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا
بعث ولا حساب ولا اله يجازي فلم تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت
الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله عز وجل
فامنوا به قاله البغوي وقيل حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وقيل
فيها تقديم وتاخير مجازها فلولا وهلا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
تردون نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت الحلقوم ثم ذكر طبقات
الخلق عند الموت فقال فاما ان كان قد تقدم الكلام في اما اول الكتاب
وهنا امر زايد وهو وقوع شرط اخر بعدها واختلف النحاة في الجواب
المذكور بعدهما هل هو لاما او لان وجواب الاخرى محذوف لدلالة
المنطوق عليه او الجواب لهما معا ثلاثة اقوال الاول لسيبويه
والثاني للفارسي في احد قوليه وله قول اخر كسيبويه والثالث للاخفش
وهذا كما تقدم في الجواب بعد الشرطين المتواردين وقال مكي ومعنى
اما عند ابي اسحاق الخروج من شيء الى شيء اي دع ما كنا فيه وخذ في غيره
وعلى هذا فيكون الجواب لان فقط لان اما ليست شرطا ورجح بعضهم
ان الجواب لاما لان ان كثر حذف جوابها منفردة فادعاء ذلك مع
شرط اخر اولى **قوله** فاما ان كان الضمير في كان للمتوفى
لدلالة قوله فلولا ترجعونها والمراد بالمقربين السابقين لقوله تعالى
والسابقون السابقون اولئك المقربون **قوله تعالى** فروح وريحان
قرا العامة فروح بفتح الراء وقرا ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة
ونصر بن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب وجماعة بضم الراء
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا بالضمة فمعناه فله روح
وهو الرحمة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير فرح وقال
الضحاك المغفرة والرحمة وريحان استراحة وقال مجاهد وسعيد بن جبير
رزق قال مقاتل هو بلسان حمير يقال خرجنا نطلب ريحان الله
اي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قاله ابو العالية لا يفارق احد
من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه وقال
ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار وقد
تقدم الكلام على ريحان وكيفية تصريفه في السورة قبلها وقوله فروح

مبتدا وخبره مقدر وقيله اي فله روح وجوزان يقدر بعده لاعتماده
على فا الجزا **قوله** واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب
اليمين فسلام لك مبتدا وخبره من اصحاب قال الزمخشري فسلام
لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك وقال
ابن جرير فسلام لك انت من اصحاب وهذا يحتمل ان يكون كقول الزمخشري
ويكون انت تاكيدا للكاف في لك ويحتمل ان يكون اراد ان انت مبتدا
ومن اصحاب خبره ويؤيد هذا ما حكاه قوم من ان المعنى فيقال لهم
سلام لك انك من اصحاب اليمين واول هذه الاقوال هو الواضح البين
ولذلك لم يعرج ابو القسم على غيره **فصل** قال القرطبي فسلام لك
من اصحاب اليمين اي لست منهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم فانهم
يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من
الاهتمام لهم والمعنى واحد وقيل ان اهل اليمين يدعون لك يا محمد
بان يصلي الله عليك ويسلم وقيل انهم يسلمون عليك يا محمد وقيل
معناه سلمت ايها العبد مما تكره فانك من اصحاب اليمين فحذفت
انك وقيل انه يحيا بالسلام اكراما فعلى هذا في محل السلام ثلاثة اقوال
احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت قال الضحاك
وقال ابن مسعود اذا جا ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك
يقريك السلام الثاني عند مسائلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير
الثالث عند بعثه في القيمة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله اليها قاله
القرطبي ويحتمل ان يسلم عليه في المواطن الثلاث ويكون ذلك اكراما بعد
اكرام **قوله** واما ان كان من المكذبين بالبعث الضالين عن الهدى
وطريق الحق فنزل من حميم كما قال ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون
الى ان قال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم **قوله** وتصلية قرا ابو عمرو
في رواية اللؤلؤي عنه واحمد بن موسى والمنقري بجر التا عطفا على من حميم
اي ونزل من تصلية جحيم والمعنى ادخال في النار وقيل اقامة في الجحيم ومقاساة
لانواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه اي جعله يصلاها والمصدر ههنا
مضاف الى المفعول كما يقال لفلان اعطا مال اي يعطي المال **قوله** ان
هذا لهو حق اليقين اي هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه وجاز
اضافة الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما وذلك من باب
اضافة المترادف فهي على سبيل المبالغة قال المبرد هو كقولك عين اليقين
ومحض اليقين فهو من باب اضافة الشي الى نفسه عند الكوفيين وان
كانوا تعلوا ذلك في اللفظ الواحد فقالوا صواب الصواب ونفس الشي
مبالغة فلان يفعلوا عند اختلاف اللفظ اولى وعند البصريين حق الامر
اليقين والخبر اليقين وقيل هو توكيد كقولك هذا حق الحق وصواب الصواب
قال ابن عطية وقيل اصل اليقين ان يكون نعتا للحق فاضيف المنعوت
الى النعت على الاتساع والمجاز كقوله تعالى ولدار الاخرة خير قال ابن الخطيب
هذه الاضافة كقولك ثوب كتان وباب ساج اي فهو الحق من اليقين
وهل يحتمل ان يكون المعنى انه الحق الذي يستحقه اليقين كقوله عليه
الصلوة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا
قالوها عصموا مني دماهم واموالهم الا بحقها فالضمير يرجع الى الكلمة اي
الا بحق الكلمة ومن حق الكلمة ادا الزكاة والصلوة فكذلك حق اليقين
الاعتراف اي بحق اليقين والمعنى انه يعرف بما قال الله تعالى في سورة
الواقعة في حق الازواج الثلاثة وعلى هذا المعنى ان اليقين لا يحق الا

اذا صدق بما قاله فانه يصدق بحق اليقين ويستحقه **قوله**
فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله تعالى عن السو وجوزان تكون
للحال اي فسبح ملتبسا باسم ربك على سبيل التبرك كقوله ونحن
نسبح بحمدك وان تكون للتعدية على ان سبح يتعدى بنفسه تارة
كقوله سبح اسم ربك وبحرف الجر تارة كهذه الاية وقال القرطبي
والبا زايدة اي سبح ربك وادعا خلاف الاصل والعظيم
يجوز ان تكون صفة للاسم وان تكون لربك لان كلا منهما مجرور
وقد وصف كلا منهما في قوله تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام ذي الجلال
ولبقا المتضايفين وعلى هذا ظهر الفرق في الوصف **فصل**
قيل معنى فسبح اي فصل بذكر ربك وبامره وقيل فاذكر اسم ربك
العظيم وسبحه وعن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال النبي عليه الصلوة والسلام اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت
سبح اسم ربك الاعلى قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم
خرجه ابو داود وروى ابو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة
كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وعن مسروق قال من اراد ان يعلم نبا
الاولين والاخرين ونبا اهل الجنة ونبا الدنيا ونبا الاخرة فليقرا
سورة الواقعة والله اعلم

سورة الحديد مكية

وهي تسع وعشرون اية عن العرباض بن سارية ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرا بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن
قبل ان يرقد بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في السموات
والارض اي من السو وقال ابن عباس صلى لله ما في السموات
ممن خلق من الملائكة والارض من شي فيه وقيل هو تسبيح الدلالة
وانكر الزجاج هذا وقال لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور
كانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما التسبيح مقال واستدل
بقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ولو كان هذا التسبيح تسبيح دلالة
فاي تخصيص لداود وقال القرطبي هو الصحيح هذا الفعل
عدي باللام تارة كهذه السورة واخرى بنفسه لقوله تعالى وسبحوه واصله
التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السو فاللام اما ان تكون
مزيدة كهي في نصحت لزيد ونصحته وشكرت له وشكرته لماذا تعالى
سبحت الله تعالى كما يسبحون لقوله يسجدون واما ان تكون للتعليل
اي احدث التسبيح لاجل الله تعالى وجا في بعض الفواتح سبح بلفظ الماضي وفي
بعضها بلفظ المضارع وذلك الى ان هذه الاشيا مسبحة في كل الاوقات
لا يختص بوقت دون وقت بل هي ايضا مسبحة في الماضي وستكون مسبحة
ابدا في المستقبل **قوله** وهو العزيز الحكيم العزيز القادر الذي لا ينازعه
شي وذلك اشارة الى كمال القدرة والحكيم الذي يفعل افعاله على وفق الحكمة
والصواب **قوله** له ملك السموات جملة مستانفة لا محل لها من
الاعراب والملك عبارة عن نفوذ الامر فهو سبحانه وتعالى المالك القادر
القاهر وقيل اراد خزاين المطر والنبات والرزق **قوله** يحيي ويميت
يجوز في هذه الجملة ثلاثة اوجه احدها انها لا محل لها كالتي قبلها والثاني
انها خبر مبتدا مضمر اي هو له ملك والثالث انها حال من الضمير في له
فالعامل فيها الاستقرار ولم يذكر مفعول الاحيا والاماتة لان الغرض

الاحيا في الدنيا ويحيي الاموات للبعث قيل
ذكر الفعلين فقط والمعنى قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه
يحيي النطف وهي اموات ويميت الاحيا
ثالث وهو انه ليس المراد تخصيص الاحيا والاماته بزمان معين
معنيين بل معناه انه القادر على خلق الحياة والموت كقوله تعالى الذي خلق الموت
والحياة والمقصود منه كونه تعالى هو المنفرد بايجادها بين الماهيتين
على الاطلاق وهو على كل شي قدير لا يعجزه شي قوله هو الاول
والاخر قال الزمخشري فان قلت ما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة
على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخروية والثالثة انه الجامع بين الظهور
والخفا واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين وبين الصفتين
الاخريين فصل قال القرطبي اختلف في معاني هذه الاسما وقد شرحها
رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن قول كل قايل روى مسلم في صحيحه
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الاول فليس
قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت
الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب
وبالباطن العالم والله اعلم قوله وهو بكل شي عليم مما كان او يكون لا يخفى
عليه شي وهذا معنى قول ابن عباس قال ابن الخطيب والقول بان الباطن هو
العالم ضعيف لانه يلزم منه التكرار في قوله والله بكل شي عليم قوله تعالى هو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم في الفرقان
المقصود منه دلايل القدرة يعلم ما يلج في الارض اي يدخل فيها من مطر وغيره وما
يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السما من رزق ومطر وملك وما يعرج
فيها يصعد فيها من الملايكة واعمال العباد وهو معكم يعني بقدرته وسلطانه
وعلمه اينما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر اعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شي منها
فصل قال القرطبي وقد جمع في هذه الاية بين استوى على العرش وبين وهو
معكم والاخذ بالظاهرين مناقض فدل على انه لا بد من التاويل والاعراض عن
التاويل اعتراف بالتناقض وقد قال ابو المعالي ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة
الاسرا لم يكن باقرب الى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت
وقد تقدم فصل ذكر ابن الخطيب عن المتكلمين انهم قالوا هذه المعية
اما بالعلم واما بالحفظ والحراسة وعلى التقديرين فالاجماع منعقد على انه سبحانه
وتعالى ليس معنا بالمكان والحيز والجهة فاذن قوله وهو معكم لا بد فيه من التاويل
في موضع وجب تجويزه في ساير المواضع قوله له ملك السموات والارض هذا
التكرار للتاكيد اي هو المعبود على الحقيقة والى الله ترجع الامور اي امور الخلايق
في الاخرة وقد تقدم في البقرة ان الاخوين وابن عامر يقرون ترجع بفتح التا
وكسر الجيم مبنيا للفاعل والباقون مبنيا للمفعول في جميع القران وقال
ابو حيان هنا وقرا الجمهور ترجع مبنيا للمفعول والحسن وابن ابي اسحق والاعرج
مبنيا للفاعل وهذا عجيب منه وقد وقع له مثل ذلك فيما تقدم وقوله يعلم
ما يلج تقدم مثله في سبا قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
تقدم في آل عمران وهو عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه الضماير ومن كان
بهذه الصفة فلا يجوز ان يعبد سواه قوله امنوا بالله ورسوله
اي صدقوا ان الله واحد وان محمدا رسوله وانفقوا تصدقوا وقيل انفقوا
في سبيل الله وقيل المراد الزكاة المفروضة وقيل غيرها من وجوه الطاعات
وما يتقرب به وقوله مما جعلكم مستخلفين فيه دليل على ان الملك سبحانه
وان العبد ليس له فيه الا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك
فمن انفق منها في حقوق الله وهان عليه الانفاق منها كما يهون على الرجل
من مال

من مال غيره اذا اذن له فيه كان له الثواب الجزيل وقال الحسن
مستخلفين فيه بوراثتكم اياه عمن كان قبلكم وهذا يدل على انها ليست
باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة النواب والوكلا فاغتنموا
الفرصة فيها باقامة الحق قبل ان تزال عنكم الى من بعدكم فالذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات وانفقوا في سبيل الله لهم اجر كبير وهو الجنة فصل
قال القاضي هذه الاية تدل على ان هذا الاجر لا يحصل بالمال وحده حتى
يضاف اليه هذا الانفاق فمن اخل بالواجب من زكاة وغيرها فلا اجر
له قال ابن الخطيب وهذا استدلال ضعيف لانه لا يلزم من نفي الاجر
الكبير نفي اصل الاجر فلم قلتم انها تدل على انه لا اجر له اصلا فان
قيل قوله امنوا بالله خطاب مع من عرف الله او مع من لم يعرف الله
فان كان الاول كان ذلك امرا بان يعرف من عرفه وذلك امر بتحصيل
الحاصل وهو محال وان كان الثاني كان الخطاب متوجها على من لم يحصل
ان يعرف كونه مامورا بذلك الامر وهو تكليف ما لا يطاق قال
ابن الخطيب والجواب من الناس من قال معرفة وجود الصانع حاصلة
للكل وانما المقصود من هذا الامر معرفة الصفات قوله وما لكم
لا تومنون مبتدا وخبر وحال اي اي شي استقر لكم غير مومنين قال
القرطبي هذا استفهام يراد به التوبيخ اي اي عذر لكم في ان لا تومنوا
وقد ازيحت العلل والرسول يدعوكم فقوله والرسول يدعوكم جملة
حالية من تومنون قال الزمخشري فهما حالان متداخلان ولتومنوا
متعلق بيدعوا اي يدعوكم للايمان كقولك دعوته لكذا ويجوز
ان تكون اللام للعلة اي يدعوكم الى الجنة وغفران الله لاجل الايمان
وفيه بعد وهذه الاية تدل على انه لا حكم قبل ورود الشرع قوله
وقد اخذ حال ايضا وقرا العامة اخذ مبنيا للفاعل وهو الله تعالى
لتقدم ذكره وقرا ابو عمرو واخذ مبنيا للمفعول حذف الفاعل للعلم به
وميثاقكم منصوب في قراءة العامة ومرفوع في قراءة ابي عمرو وان
كنتم جوابه محذوف تقديره فما يمنعكم من الايمان وقيل تقديره
ان كنتم مومنين لموجب ما فهذا هو موجب وقدره ابن عطية ان كنتم
مومنين فانتم في رتبة شريفة فصل قال ابن مجاهد المراد
بالميثاق هو الماخوذ عليهم حين اخرجهم من ظهر آدم وقال الست بربكم
قالوا بلى قال ابن الخطيب وهذا ضعيف لانه تعالى انما ذكر اخذ الميثاق
ليكون ذلك سببا في انه لم يبق لهم عذر في ترك الايمان بعد ذلك واخذ
الميثاق وقت اخراجهم من ظهر آدم غير معلوم للقوم الا بقول الرسول
فقبل معرفة صدق الرسول لا يكون ذلك سببا في وجوب تصديق الرسول
بل المراد باخذ الميثاق نصب الدلايل البينات بان ركب فيهم العقول
واقام عليهم الحجج والدلايل التي تدعوا الى متابعة الرسول وهذا معلوم لكل
احد فيكون سببا لوجوب الايمان بالرسول فصل قال القاضي
قوله وما لكم لا تومنون يدل على قدرتهم على الايمان اذ لا يجوز ان يقال
ذلك لمن لا يتمكن من الفعل كما لا يقال ما لك لا تطول ولا تبيض فيدل هذا
على الاستطاعة قبل الفعل وعلى ان القدرة صالحة للتصديق وعلى ان
الايمان حصل بالعبد لا بخلق الله قوله ان كنتم مومنين اي ان كنتم
مومنين بحق يوما من الايام فالان فقد صحت براهينه وقيل ان كنتم
مومنين بان الله خلقكم وكانوا يعترفون بهذا وقيل هذا خطاب لقوم
امنوا واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ميثاقهم فارتدوا وقوله ان كنتم

اي ان كنتم تعرفون لشرايط الايمان **قوله** هو الذي ينزل على
عبده تقدمت كذا ان ينزل تخفيفا وتشديدا في البقرة وزيد بن
علي انزل ماضيا وقوله ايات بينات يعني القران وقيل المعجزات
اي لمزمكم الايمان بمجموعها معه من المعجزات والقران اكبرها واعظمها ليخرجكم اي
بالقران وقيل بالرسول وقيل بالدعوة من الظلمات وهو الشرك الى
النور وهو الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم فان قيل اليس الظاهر
على الله يخرج من الظلمات الى النور فيجب ان يكون الايمان من فعله قلنا اذا
كان الايمان يخلقه لا يبقى لقوله انزل على عبده ليخرجكم معنى لان ما يخلقه
لا يتغير بل المراد انه يلطف بهم قال ابن الخطيب وهذا على حسنه معارض
بالعلم ان ايمانهم لا يوجد فقد كلفهم بما لا يوجد فكيف يعقل مع هذا انه اراد
منهم الخير والاحسان وحمل بعضهم قوله وان الله بكم لرؤوف رحيم على بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم ولا وجه لهذا التخصيص **قوله** وما لكم الا تنفقوا
الكلام فيه كالكلام في قوله وما لنا الا نقاتل فالاصل ان لا تنفقوا فلما حذف
حرف الجر جرى الخلاف المشهور وابو الحسن يرى زيادتها كما تقدم تقريره في البقرة
قوله ولله ميراث جملة حالية من فاعل الاستقرار ومفعوله اي واي شي
يمنعكم من الانفاق في سبيل الله والحال ان ميراث السموات والارض فهذه
حالة تنافي بخلكم بالانفاق في سبيل الله **فصل** لما امر اولا بالايمان
وبالانفاق ثم اكده في الاية المتقدمة بايجاب الايمان اتبعه في هذه الاية بتاكيد
ايجاب الانفاق والمعنى انكم ستموتون فتورثون فهلا قدمتموه في الانفاق في طاعة
الله وتحقيقه ان المال لابد ان يخرج من اليد اما بالموت واما بالانفاق في
سبيل الله فان خرج بالموت كان اثره اللعن والمقت والعقاب وان خرج بالانفاق
في سبيل الله كان اثره المدح والثواب واذا كان لا بد من خروجه من اليد فكل عاقل
يعلم ان خروجه عن اليد بما يستعقب المدح والثواب اولى منه بما يستعقب
اللعن والعقاب ثم لما بين تعالى ان الانفاق في سبيل الله فضيلة بين ان المسابقة
في الانفاق تمام الفضيلة فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
قوله لا يستوي منكم من انفق في فاعل يستوي وجهان • احدهما انه من انفق
وعلى هذا فلا بد من حذف معطوف يتم به الكلام فقدره الزمخشري لا يستوي
منكم من انفق قبل فتح مكة وقوة الاسلام ومن انفق من بعد الفتح فحذف
لوضوح الدلالة وقدره ابو البقا ولم ينفق مال ودل على المحذوف قوله من
من قبل الفتح والاول احسن لان السياق انما جي بالاية ليفرق بين المنفقين
في زمانين • والثاني ان فاعله ضمير يعود على الانفاق اي لا يستوي جنس الانفاق
اذ منه ما وقع قبل الفتح ومنه ما وقع بعده فهذان النوعان متفاوتان
وعلى هذا فيكون من مبتدا واوليك مبتدا ثان واعظم خبره والجملة خبر من وهذا
ينبغي ان لا يجوز البته وكان هذا المعرب شغل عن قوله منكم فلولا اعرب هذا
القايل منكم خبرا مقدما ومن مبتدا موخرا والتقدير منكم من انفق من قبل الفتح
ومنكم من لم ينفق قبله ولم يقاتل وحذف هذا لدلالة الكلام عليه لكان سديدا
ولكنه سها عن لفظة منكم **فصل** اكثر المفسرين على ان المراد بالفتح فتح
مكة • وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية قال قتادة كان قتالان احدهما
افضل من الاخر ونفقتان احدهما افضل من الاخرى لان القتال والنفقة قبل
فتح مكة افضل من القتال والنفقة بعد ذلك وانما كانت النفقة قبل الفتح اعظم
لان حاجة الناس كانت اكثر لضعف الاسلام وفعل ذلك كان على المنفقين
حينئذ اشق والاجر على قدر النصب • قال مالك ينبغي ان يقدم اهل الفضل
والعزم لقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل • قال الكلبي

نزلت

نزلت في ابي بكر وفيها دليل واضح على تفضيل ابي بكر وتقديمه لانه اول من
اسلم واول من انفق في سبيل الله • وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر
الاسلام بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر • وعن ابن عمر قال
كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها
في صدره بخلال فنزل جبريل فقال يا نبي الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة
قد خللها في صدره بخلال قال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى
يقول لك اقرا على ابي بكر السلام وقل له اانت راض في فقرك ام ساخط فقال
ابو بكر اني على ربي لراض قال فان الله يقول لك قد رضيت عنك كما انت
راض فبكى ابو بكر فقال جبريل والذي بعثك يا محمد بالحق لقد تخللت حملة
العرش بالعبي منذ تخلل صاحبك هذا بالعباءة ولهذا قدمه الصحابة
على انفسهم واقروا له بالتقديم والسبق • وقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه سبق النبي صلى الله عليه وسلم وثنى ابو بكر وثلث عمر فلا اوتى برجل
فضلني على ابي بكر الا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة ∴
فصل التقدم والتاخر قد يكون في احكام الدنيا فاما في احكام الدين
فقالت عايشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل
الناس منازلهم واعظم المنازل مرتبة الصلوة وقد قال صلى الله عليه وسلم
في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس وقال يوم القوم اقرؤهم لكتاب
الله • وقال وليؤمكما اكبركما وفهم منه العلماء انه اراد كبر المنزلة كما قال
عليه الصلوة والسلام الولا للكبير ولم يعن كبر السن • قال مالك وغيره
ان للسن حقا وراعاه الشافعي وابو حنيفة وهو احق بالمراعاة واما
احكام الدنيا فهي مرتبة على احكام الدين فمن قدم في الدين قدم في الدنيا
وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه
وفي الحديث ايضا ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند كبر سنه
من يكرمه **قوله** وكلا وعد الله الحسنى قراءة العامة بالنصب على
انه مفعول مقدم وهي مرسومة في مصاحفهم وكلا بالالف وابن عامر برفعه
وفيه وجهان • اظهرهما انه ارتفع على الابتدا والجملة بعده خبره والعايد
محذوف اي وعده الله ومثله ∴

قد اصبحت ام الخيار تدعي ∴ علي ذنبا كله لم اصنع

برفع كله اي لم اصنعه والبصريون لا يجيزون هذا الا في شعر كقوله

وخالد يحمد ساداتنا ∴ بالحق لا يحمد بالباطل

ونقل ابن مالك الاجماع من البصريين والكوفيين على جوازه ان كان
المبتدا كلا وما اشبهها في الافتقار والعموم • قال شهاب الدين وهذا
لم اره لغيره وقد تقدم نحو من ذلك في سورة المايدة عند قوله تعالى
افحكم الجاهلية يبغون ولم يره • وقوله كله لم اصنع بالرفع مع امكان
ان ينصبه فيقول كله لم اصنع مفعولا مقدما • قال اهل البيان لانه
قصد عموم السلب لا سلب العموم فان الاول ابلغ وجعلوا من ذلك قوله
عليه الصلوة والسلام كل ذلك لم يكن ولو قال لم يكن كل ذلك لكان سلبا
للعموم والمقصود عموم السلب • قال الشيخ عبد القاهر المعنى يتفاوت
بالرفع والنصب فمع الرفع يفيد انه لم يفعل شيئا من الاشياء ومع النصب
يفيد انه لم يفعل المجموع ولا يلزم انه لم يفعل البعض بل اذ قلنا بدليل الخطاب
دل على انه فعل البعض والثاني يكون كل خبر مبتدا محذوف ووعد الله الحسنى
صفة لما قبله والعايد محذوف اي واوليك كل وعد الله الحسنى • فان

قيل الحذف موجود ايضا فيقدر ثم لما فرر ثم منه • فالجواب ان
حذف العايد من الصفة كثير بخلاف حذفه من الخبر ومن حذفه من الصفة
قوله • وما ادري لغيرهم تناءت • وطول العهد ام مال اصابوا •
اي اصابوه ومثله كثير وهي في مصاحف الشام مرسومة وكذا دون الف
فقدروا في كل مصحفه والحسنى مفعول ثان والاول محذوف على قراة الرفع
واما النصب فالاول مقدم على عامله ومعنى الاية ان المتقدمين السابقين
والمتاخرين واللاحقين وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات
والله بما تعملون خبير اي انه لما وعد السابقين والمحسنين بالثواب
فلا بد وان يكون عالما بالجزئيات وبجميع المعلومات حتى يمكنه ايصال الثواب
الى المستحقين اذ لو لم يكن عالما بهم وبافعالهم على سبيل التفصيل لما امكن الخروج
من عهدة الوعد بالتمام فلهذا السبب اتبع هذا الوعد بقوله والله
بما تعملون خبير قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا تقدم الكلام
عليه في سورة البقرة • وقال ابن عطية هنا الرفع على العطف والقطع
والاستيناف • وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب بالفاء على جواب الاستفهام
وفي ذلك قلق قال ابو علي لان السؤال لم يقع على القرض وانما وقع
عن فاعل القرض وانما تنصب الفا فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه
لكن هذه الفرقة حملت ذلك على المعنى كان قوله من ذا الذي يقرض بمنزلة
قوله ايقرض الله احد انتهى وهذا الذي قاله ابو علي ممنوع • الا ترى انه
ينصب بعد الفا في جواب الاستفهام بالاسما وان لم يتقدم فعل نحو
اين بيتك فازورك ومثل ذلك من يدعوني فاستجيب له ومتى تسير
فارافقك وكيف تكون فاصحبك فالاستفهام انما وقع عن ذات الداعي
وعن ظرف الزمان وعن الحال لا عن الفعل وقد حكى ابن كيسان عن العرب
اين ذهب زيد فنتبعه ومن ابوك فنكرمه فصل ندب الله
تعالى الى الانفاق في سبيل الله وقد مضى الكلام فيه في البقرة والعرب
تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد اقرض كما قال الشاعر
واذا جوزيت قرضا فاجزه • انما يجزي الفتى ليس الجمل
وسماه قرضا لان المقرض يرجو استرداد البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل
الله حتى يبدله الله بالاضعاف الكثيرة • قال الكلبي قرضا اي صدقة حسنا
اي محتسبا من قلبه بلا من ولا اذى فيضاعفه له ما بين سبع الى سبعماية
الى ما شا الله من الاضعاف وقيل القرض الحسن هو ان يقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال زيد بن اسلم هو النفقة
على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات وقيل عمل الخير وقال
القشيري لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة الاول ان يكون من الحلال
لقوله عليه الصلوة والسلام لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من
غلول الثاني ان تكون من اكرم ما يملكه ولا يخرج الردي لقوله تعالى ولا
تيمموا الخبيث منه تنفقون الثالث ان تتصدق به
وهو يحبه ويحتاج اليه لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وقوله واتى المال على حبه • وقال عليه الصلوة والسلام افضل الصدقة
ان تعطيه وانت صحيح شحيح تامل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقي
قلت لفلان كذا ولفلان كذا • الرابع ان تصرف صدقتك الى الاحوج الاولى
ولذلك خص تعالى اقواما باخذها وهم اهل السهمان الخامس ان تخفي
الصدقة لقوله تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم السادس
ان لا يتبعها منا ولا اذى لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى

السابع

السابع ان يقصد بها وجه الله ولا يرائي لقوله تعالى الا ابتغا وجه ربه
الاعلى الثامن ان يستحقر ما يعطي وان كثر لان الدنيا كلها قليلة
قال تعالى ولا تمنن تستكثر في احد التاويلات • التاسع ان تكون
من احب الاموال اليه وان تكون كثيرا لقوله عليه الصلوة والسلام
افضل الرقاب اعلاها ثمنا وانفسها عند اهلها • العاشر ان لا يرى
عن نفسه وذل الفقير بل يكون الامر بالعكس فيضاعفه له تقدم في
البقرة وله اجر كريم يعني الجنة قوله يوم ترى المومنين فيه
اوجه • احدها انه معمول للاستقرار العامل في لهم اجر وذلك اليوم
الثاني انه مضمر اي اذكر فيكون مفعولا • الثالث انه يوخرون يوم ترى
فهو ظرف على اصله • الرابع ان العامل فيه يسعى اي يسعى نور المومنين
والمومنات يوم تراهم هذا اصله • الخامس ان العامل فيه فيضاعفه
قالهما ابو البقا قوله يسعى حال لان الرويه بصرية وهذا اذا لم يجعله
عاملا في يوم وبين ايديهم ظرف للسعي ويجوز ان يكون حالا من نورهم قوله
وبايمانهم اي وفي جهة ايمانهم وهذه قراة العامة اعني بفتح الهمزة جمع يمين
وقيل الباء بمعنى عن اي عن جميع جهاتهم وانما خص الايمان لانها اشرف
الجهات • وقرا ابو حيوة وسهل بن شعيب بكسرها وهذا المصدر معطوف
على الظرف قبله والبا سببية اي يسعى كاينا وثابتا بسبب ايمانهم وقال
ابو البقا تقديره وبايمانهم استحقوه او وبايمانهم يقال لهم بشراكم ••
فصل المراد من هذا اليوم يوم المحاسبة واختلفوا في هذا النور
فقال الحسن هو الضيا الذي يمرون فيه بين ايديهم الى اقدامهم وبايمانهم
قال الفرا الباء بمعنى في اي في ايمانهم او بمعنى عن ايمانهم وقال الضحاك النور
هداهم وبايمانهم كتبهم واختاره الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم
وفي ايمانهم كتب اعمالهم فالبا على هذا بمعنى في ويجوز على هذا ان يقف على بين ايديهم
ولا يوقف اذا كانت بمعنى عن • وعلى قراة سهل بن شعيب وابي حيوة وبايمانهم
بكسر الالف واراد الايمان الذي هو ضد الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف
لان معنى الظرف الحال وهو متعلق بمحذوف والمعنى يسعى كاينا بين ايديهم
وكاينا بايمانهم وقيل اراد بالنور القران وعن ابن مسعود يوتون نورهم
على قدر اعمالهم فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى نوره كالرجل القايم
وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله فيطفى مرة ويوقد اخرى قال الحسن
يستضيئوا به على الصراط • وقال مقاتل ليكون لهم دليلا الى الجنة قوله
بشراكم اليوم جنات بشراكم مبتدا واليوم ظرف وجنات خبره على حذف مضاف
اي دخول جنات وهذه الجملة في محل نصب بقول مقدر وهو العامل في الظرف
اي يقال لهم بشراكم اليوم دخول الجنة قال القرطبي فلا بد من تقدير حذف
المضاف لان البشرى حدث والجنة عين فلا يكون هي هي • وقال مكي واجاز
الفرا نصب جنات على الحال ويكون اليوم خبر بشراكم قال وكون
جنات حالا لا معنى له اذ ليس فيها معنى فعل واجاز ان يكون بشراكم في موضع
نصب على يبشرونهم بالبشرى وينصب جنات بالبشرى وكله بعيد لانه
يفصل بين الصلة والموصول باليوم انتهى وعجب من الفرا كيف يصدر
عنه ما لا يتعقل ولا يجوز صناعة كيف يكون جنات حالا وماذا صاحب الحال
وقوله خالدين فيها حال من الدخول المحذوف التقدير بشراكم اليوم دخول
جنات تجري من تحتها الانهار مقدرين الخلود فيها • قال القرطبي ولا يكون
الحال من بشراكم لان فيه فصلا بين الصلة والموصول • ويجوز ان يكون مما دل
عليه البشرى كانه قال يبشرون خالدين فيها ويجوز ان يكون الظرف الذي

هو اليوم خبر عن بشراكم وجنات بدل من البشرى على تقدير حذف
المضاف كما تقدم وخالدين حال حسب ما تقدم فصل قال
شهاب الدين خالدين نصب على الحال والعامل فيها المضاف المحذوف
اذ التقدير بشراكم دخولكم جنات ثم حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه في الاعراب ولا يجوز ان يكون بشراكم هو العامل فيها لانه
مصدر وقد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل باجنبي وظاهر
كلام مكي انه عامل في الحال فانه قال خالدين نصب على الحال من الكاف
والميم والعامل في الحال هو العامل في صاحبها فلزم ان يكون بشراكم هو العامل
وفيه ما تقدم من الفصل بين المصدر ومعموله فصل تقدم
الكلام في البشارة عند قوله وبشر الذين امنوا قال ابن الخطيب وهذه الاية
تدل على ان المومنين لا ينالهم اهوال يوم القيمة لانه تعالى بين ان هذه صفتهم
يوم القيمة من غير تخصيص • قال الكعبي هذه الاية تدل على ان الفاسق
ليس بمومن لانه لو كان مومنا لدخل تحت هذه البشارة ولو كان كذلك
لقطعنا انه من اهل الجنة ولما لم يكن كذلك ثبت انه ليس بمومن واجاب
ابن الخطيب بانا نقطع ان الفاسق من اهل الجنة لانه اما ان يدخل النار
وان دخلها لكنه سيخرج منها وسيدخل الجنة ويبقى فيها ابد الاباد
فاذن نقطع انه من اهل الجنة فسقط الاستدلال قوله ذلك
الفوز هذه الاشارة عائدة الى جميع ما تقدم من النور والبشرى بالجنات
المخلدة قوله يوم يقول المنافقون والمنافقات العامل
في يوم ذلك الفوز العظيم وقيل هو بدل من اليوم الاول وقال
ابن الخطيب منصوب باذكر مقدرا واعلم انه لما شرح حال المومنين
في موقف القيمة اتبع ذلك بشرح حال المنافقين فقال يوم يقول
المنافقون قوله للذين امنوا اللام للتبليغ وانظرونا قراءة العامة
انظرونا امر من النظر وحمزة بقطع الهمزة وكسر الظاء من الانظار
بمعنى الانتظار وبها قرا الاعمش ويحيى بن وثاب اي انظرونا نلحق
بكم فنستضي بنوركم والقراءة الاولى يجوز ان تكون بمعنى هذه ايضا
نظره بمعنى انتظره وذلك انه يسرع بالخواص على نجب الى الجنة فيقول
المنافقون انظرونا لانا مشاة لا نستطيع لحوقكم ويجوز ان
يكون من النظر وهو الابصار لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيضي لهم المكان وهذا اليق بقوله نقتبس من نوركم
قال معناه الزمخشري الا ان اداهيات قال النظر بمعنى الابصار
لا يتعدى بنفسه الا في الشعر انما يتعدى بالى فصل قوله
نقتبس من نوركم اي نستضي من نوركم والقبس الشعلة من
النار والسراج قال ابن عباس وابو امامة يغشى الناس يوم
القيمة ظلمة • قال الماوردي اظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون
نورا يمشون فيه • قال المفسرون يعطي الله كل احد يوم القيمة
نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقون ايضا
نورا خدعة لهم بدليل قوله تعالى وهو خادعهم • وقيل انما يعطون النور
لان جميعهم اهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره • وقال
الكلبي بل يستضي المنافق بنور المومنين ولا يعطون النور فبينما هم
يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفا بذلك نور المنافقين فذلك
قول المومنين ربنا اتمم لنا نورنا خشية ان لا يسلبوه كما سلب
المنافقون وذلك لقول المومنين فاذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون

بمواضع



مواضع اقدامهم قالوا للمومنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم
اي الى المواضع الذي اخذنا منها النور فاطلبوا هنالك نورا لانكم لا
تقتبسون من نورنا فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور ضرب بينهم بسور
وقيل معناه هلا طلبتم النور من الدنيا بان تومنوا قوله وراءكم فيه
وجهان اظهرهما انه منصوب بارجعوا على معنى ارجعوا الى الموقف الى حيث
اعطينا هذا النور فالتمسوا هنالك ممن تقتبسوا او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا
نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او يكون معناه ارجعوا خائبين وتنحوا
عنا فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الى هذا النور • والثاني ان وراءكم اسم
للفعل فيه ضمير فاعل اي ارجعوا ارجعوا قاله ابو البقا ومنع ان يكون ظرفا
لارجعوا قال لقلة فائدته لان الرجوع لا يكون الا الى وراء • قال شهاب
الدين وهذا فاسد لان الفائدة جليلة كما تقدم شرحها قوله فضرب
بينهم بسور العامة على بنائه للمفعول والقايم مقام الفاعل يجوز ان يكون
بسور وهو الظاهر وان يكون الظرف وقال مكي الباء مزيدة اي ضرب سور
ثم قال والباء متعلقة بمصدر اي ضربا بسور وهذا متناقض الا ان يكون
غلط عليه من النساخ والاصل والباء متعلقة بالمصدر والقايم مقام
الفاعل الظرف وعلى الجملة هو ضعيف والسور البناء المحيط وتقدم اول
البقرة قوله له باب مبتدا وخبر في موضع جر صفة لسور وقوله
باطنه فيه الرحمة هذه الجملة يجوز ان تكون في موضع جر صفة ثانية
لسور ويجوز ان تكون في موضع رفع صفة لباب وهو اولى لقربه والضمير
انما يعود الى الاقرب الا بقرينة • وقرا زيد بن علي وعمرو بن عبيد فضرب
مبنيا للفاعل وهو الله او الملك فصل السور حاجز بين الجنة
والنار قال القرطبي روي ان ذلك السور بيت المقدس عند موضع يعرف
بوادي جهنم فيه الرحمة يعني ما يلي منه المومنين وظاهره من قبله العذاب
يعني ما يلي المنافقين قال كعب الاحبار هو الباب الذي ببيت المقدس
المعروف بباب الرحمة وقال عبد الله بن عمرو انه سور ببيت المقدس
الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم ونحوه
عن ابن عباس وقال زياد بن ابي سواده قام عبادة بن الصامت على سور
بيت المقدس الشرقي فبكى وقال من هنا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه راى جهنم • وقال قتادة هو حائط بين الجنة والنار باطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم • وقال مجاهد انه حجاب
كما في الاعراف وقد مضى القول فيه وقد قيل ان الرحمة التي في باطنه نور المومنين
والظاهر الذي في ظاهره ظلمة المنافقين وقيل السور عبارة عن منع المنافقين
عن طلب المومنين قوله ينادونهم يجوز ان يكون حالا من الضمير في بينهم
قاله ابو البقا وهو ضعيف لمجي الحال من المضاف اليه في غير المواضع المستثناة
وان تكون مستانفة وهو الظاهر وقوله الم نكن معكم يجوز ان يكون تفسيرا
للندا وان يكون منصوبا بقول مقدر فصل والمعنى ينادي
المنافقون المومنين الم نكن معكم في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون
ونغزو مثل ما تغزون ونفعل مثل ما تفعلون قالوا بلى اي تقول المومنون
بلى قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اي استعملتموها
في الفتنة وقال مجاهد اهلكتموها بالنفاق • وقيل بالمعاصي قاله
ابو سنان وقال ابو نمير الهمداني بالشهوات واللذات وقوله وتربصتم
اي بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت وبالمومنين الدوائر وقيل تربصتم بالتوبة

وارتبتم اي شككتم في التوحيد او النبوة او البعث وغرتكم الاماني
اي الاباطيل • وقيل طول الامل وهو ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين
ونزول الدوائر بهم • وقال قتادة الاماني هنا خدع الشيطان • وقيل
الدنيا قاله عبد الله بن عباس • وقال ابو سنان هو قولهم سيغفر
لنا • وقال بلال بن سعد ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة • حتى جاء امر
الله يعني الموت • وقيل نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم • وقال قتادة
القاؤهم في النار **قوله** وغركم بالله الغرور قرا العامة الغرور بفتح
الغين وهو صفة على فعول والمراد به الشيطان اي خدعكم بالله الشيطان
وقرا ابو حيوة ومحمد بن السميفع وسماك بن حرب الغرور بالضم وهو مصدر
تقدم نظيره والمراد به الاباطيل عن ابن عباس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
خط لنا خطوطا وخط منها خطا ناحية ثم قال اتدرون ما هذا هذا مثل
ابن آدم ومثل التمني وتلك الخطوط الآمال بينما يتمنى اذ جاءه الموت وعن
ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا
وخط في وسطه خطا وجعله خارجا منه وخط عن يمينه ويساره خطوطا
صغارا فقال هذا ابن آدم وهذا اجله محيط به وهذا امله قد جاوز اجله
وهذه الخطوط الصغار الاعراض فان اخطاه هذا نهشه هذا **قوله**
فاليوم منصوب بيؤخذ ولا يبالي بلا النافية وهو قول الجمهور وقد
تقدم آخر الفاتحة ان فيها ثلاثة اقوال وقرا ابن عامر تؤخذ بالتانيث
للفظ الفدية والباقون بالياء من تحت لان التانيث مجازي **فصل**
قوله فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ايها المنافقون ولا من الذين كفروا
ايأسهم من النجاة والمراد بالفدية قيل لا يقبل منكم ايمان ولا توبة
لان التكليف قد زال وحصل الالجاء • وقيل لا يقبل منكم فدية تدفعون
بها العذاب عن انفسكم كقوله تعالى لا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة والفدية ما يفتدى به فهو يتناول الايمان والتوبة والمال
قال ابن الخطيب وهذا يدل على ان قبول التوبة غير واجب عقلا
على ما يقوله المعتزلة لانه تعالى بين ان لا يقبل الفدية اصلا والتوبة
فدية فتكون الآية دالة على ان التوبة غير مقبولة اصلا واذا كان كذلك
لم تكن التوبة واجبة القبول عقلا **قوله** ولا من الذين كفروا عطف
الكافر على المنافق والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف
عليه فيقتضي ان لا يكون المنافق كافرا **قوله** مأواكم النار اي
مصيركم وقوله هي مولاكم يجوز ان يكون مصدرا اي ولايتكم اي ذات
ولايتكم قال القرطبي يملك امرهم بمعنى ان الله تعالى يركب فيها الحياة
والعقل فهي تتميز غيظا على الكفار ولهذا خوطبت في قوله تعالى يوم
نقول لجهنم هل امتلأت ويجوز ان يكون مكانا اي مكان ولايتكم وان
يكون بمعنى اولى بكم كقولك هو مولاه قاله الكلبي وهو قول الزجاج
والفراء وابي عبيدة • قال ابن الخطيب وهذا الذي قالوه معنى
وليس تفسيرا للفظ لانه لو كان مولى واولى بمعنى واحد في اللغة
لصح استعمال كل واحد منهما مكان الآخر وكان يجب ان يصح ان يقال هذا
اولى فلان كما يقال مولى فلان ولما بطل ذلك علمنا ان الذي قالوه معنى
وليس بتفسير وانما نبهنا على هذه الدقيقة لان الشريف المرتضى لما
تمسك في امامة علي رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه
فعلي مولاه قال احد معاني مولى انه اولى واحتج في ذلك باقوال الائمة
في تفسير هذه الآية بان مولى معناه اولى واذا ثبت ان اللفظ محتمل
وجب

وجب حمله عليه لان ما عداه اما بين الثبوت ككونه بمعنى الناصر وابن العم
او بين الانتفاء كالمعتق والمعتق فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى
الثاني كذبا • قال ابن الخطيب واما نحن فقد بينا بالدليل ان قول
هؤلاء في هذا الموضع معنى لا تفسير وحينئذ يسقط الاستدلال
به وفي الآية وجه آخر وهو ان معنى قوله هي مولاكم اي لا مولى لكم
لان من كانت النار مولاه فلا مولى له كما يقال ناصره الخذلان
ومعينه البكاء اي لا ناصر له ولا معين وهذا متاكد بقوله تعالى وان
الكافرين لا مولى لهم ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل • وقوله وبئس
المصير اي هي ومعناه ساءت مرجعا ومصيرا **قوله** الم يان
قرا العامة الم وقرا الحسن وابو السمال لما وقد تقدم الفرق بين
الحرفين واصلها لم زيدت عليها ما فهي نفي لقول القائل قد كان كذا
ولم نفي لقوله قد كان كذا وقوله ان تخشع فاعل بان اي الم يقرب
خشوع قلوبهم ويحين قال الشاعر •
• الم يان لي يا قلب ان اترك الجهلا ∴ وان يحدث الشيب المنير لنا عقلا •
وماضيه اني بالقصر ياني ويقال آن لك بالمد ان تفعل كذا يئين اينا
اي حان مثل انى لك وهو مقلوب منه وانشد ابن السكيت •
• الم يان لي ان تجلى عمايتي ∴ واقصر عن ليلى بلى قد انى ليا •
فجمع بين اللغتين وقرا العامة يان مضارع انى اي حان وقرب
مثل رمى يرمي والحسن يئن مضارع آن بمعنى حان ايضا مثل باع يبيع
واللام للتبيين قاله ابو البقاء فعلى هذا تتعلق بمحذوف اي اعني
للذين **فصل** في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان بين
اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الم يان للذين آمنوا ان
تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق الا اربع سنين • قال الخليل
العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة تقول عاتبته معاتبة ان تخشع
اي تذل وتلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق • وروي ان المزاح
والضحك كثر في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا بالمدينة
فنزلت الآية ولما نزلت هذه الآية قال عليه الصلوة والسلام
ان الله يستبطئكم بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وقال ابن عباس
ان الله استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول
القران وقيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة وذلك لما سالوا سلمان
ان يحدثهم بعجائب التورية فنزلت الر تلك آيات الكتاب المبين
الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان هذا القصص
احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سلمان ثم سالوه مثل الاول
فنزلت الم يان للذين آمنوا الآية فعلى هذا التاويل يكون الذين
آمنوا في العلانية باللسان • وقال السدي وغيره الم يان للذين آمنوا
بالظاهر واسروا الكفر ان تخشع قلوبهم لذكر الله • وقيل نزلت في
المؤمنين قال سعد قيل يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل نحن
نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فنزل قوله الله نزل
احسن الحديث فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا فانزل الله تعالى الم يان
للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الآية • وقيل هذا خطاب لمن
آمن بموسى وعيسى دون محمد عليهم الصلوة والسلام لانه قال عقيبه
والذين آمنوا بالله ورسله اي الم يان للذين آمنوا بالتورية والانجيل
ان تلين قلوبهم للقران وان لا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وقوم عيسى

اذ طال عليهم الامد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم **قوله** وما نزل قرا نافع وحفص نزل مخففا مبنيا للفاعل وباقي السبعة كذلك الا انه مشدد والجحدري وابو جعفر والاعمش وابو عمرو في رواية نزل مشددا مبنيا للمفعول وعبد الله انزل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وما في قراءة ما نزل على قراءة نزل مخففا يتعين ان تكون اسمية ولا يجوز ان تكون مصدرية لئلا يخلو الفعل من الفاعل وما عداها تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي فان قلت فقراءة الجحدري ومن معه ينبغي ان تكون فيها اسمية لئلا يخلو الفعل من مرفوع فالجواب ان الجار وهو قوله من الحق يقوم مقام الفاعل **فصل** قال ابن الخطيب يحتمل ان يكون المراد بذكر الله وما نزل من الحق هو القران لانه جامع للوصفين للذكر والموعظة وانه حق ما نزل من السماء ويحتمل ان يكون المراد بذكر الله مطلقا وما نزل من الحق هو القران وانما قدم الخشوع بالذكر على الخشوع بما نزل من القران لان الخشوع والخوف والخشية لا تحصل الا عند ذكر الله تعالى فاما حصولها عند سماع القران فذلك لاجل اشتمال القران على ذكر الله **قوله** ولا يكونوا قرا العامة بالغيبة جريا على ما تقدم وابو حيوة وابن ابي عبلة بالتاء من فوق على سبيل الالتفات قال القرطبي وهي رواية رويس عن يعقوب وهي قراءة عيسى وابن اسحاق ثم هذا يحتمل ان يكون منصوبا عطفا على تخشع كما في قراءة الغيبة وان تكون نهيا فتكون لا ناهية والفعل مجزوم بها ويجوز ان تكون نهيا في قراءة الغيبة ايضا ويكون ذلك انتقالا الى نهي اولئك المومنين عن كونهم متشبهين بمن تقدمهم نحو لا يقم زيد **قوله** فطال عليهم الامد قرا العامة بتخفيف الدال بمعنى الغاية كقولك امد فلان اي غايته وقرا ابن كثير في رواية بتشديدها وهو الزمن الطويل **فصل** معنى الاية لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى اعطوا التوراة والانجيل فطالت الازمان بهم قال ابن مسعود ان بني اسرائيل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند انفسهم استحلته انفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ثم قالوا اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرائيل فان تابعوكم فاتركوهم والا فاقتلوهم ثم اصطلحوا على ان يرسلوه الى عالم من علمائهم وان قالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد فارسلوا اليه فكتب كتاب الله في ورقة وجعلها في عنقه ثم لبس عليه ثيابه واتاهم فعرضوا عليه كتابهم وقالوا اتومن بهذا فضرب بيده على صدره وقال امنت بهذا يعني المعلق على صدره فافترقت بنو اسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذي القرن قال عبد الله ومن يعش منكم فسيرى منكرا وبحسب احدكم اذا راى المنكر لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وقال مقاتل يعني مومني اهل الكتاب طال عليهم الامد واستبطئوا بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون يعني الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يتدين به من الفقه ويخالف من يعلم وقيل هم من لا يومن بعلم الله تعالى وقال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ الله وقيل طالت اعمارهم في الغفلة فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك السبب وقيل غير ذلك وقوله وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن دينهم رافضون

لما

لما في الكتابين وكانه اشار الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى الفسق في اخر الامر **قوله** اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها اي يحييها بالمطر وقال صالح المري يلين القلوب بعد قسوتها وقال جعفر بن محمد يحييها بالعدل بعد الجور وقيل المعنى كذلك يحيي الكافر بالهدى الى الايمان بعد الكفر والضلالة وقيل كذلك يحيي الموتى من الامم ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسي قلبه قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي احياء الله الارض بعد موتها دليل على قدرة الله وانه يحيي الموتى **قوله** ان المصدقين والمصدقات خفف الصاد منهما ابن كثير وابو بكر وباقي السبعة ثقلها فقراءة ابن كثير من التصديق اي صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وقراءة الباقين من الصدقة وهو مناسب لقوله واقرضوا والاصل المتصدقين والمتصدقات فادغم وبها قرا ابي وقد رجح الاول بان الاقراض مغن عن ذكر الصدقة **قوله** واقرضوا فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على اسم الفاعل في المصدقين لانه لما وقع صلة لال حل محل الفعل فكانه قيل ان الذين صدقوا واقرضوا وعليه جمهور المعربين واليه ذهب الفارسي والزمخشري وابو البقاء وهو فاسد لانه يلزم الفصل بين ابعاض الصلة باجنبي الا ترى ان المصدقات عطف على المصدقين قبل تمام الصلة ولا يجوز ان تكون عطفا على المصدقات لتغاير الضمائر تذكيرا وتانيثا الثاني انه معترض بين اسم ان وخبرها وهو يضاعف قاله ابو البقاء وانما قيل ذلك لئلا يعطف الماضي على اسم الفاعل قال شهاب الدين ولا ادري ما هذا المانع لان اسم الفاعل متى وقع صلة لال صلح للازمنة الثلاثة ولو منع بما ذكرته من الفصل باجنبي لاصاب ولكنه خفي عليه كما خفي على الفارسي والزمخشري الثالث انه صلة لموصول محذوف لدلالة الاول عليه كانه قيل والذين اقرضوا كقوله

امن يهجو رسول الله منكم وينصره ويمدحه سواء

اي ومن ينصره واختاره ابو حيان وفيه ما تقدم اول الكتاب قال ابن الخطيب وفي الاية اشكال وهو ان عطف الفعل على الاسم قبيح فما فائدة التزامه هنا واجاب بان الزمخشري قال واقرضوا معطوف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى صدقوا واقرضوا قال وهذا لا يزيل الاشكال فانه ليس فيه بيان انه لم عدل عن ذلك اللفظ الى هذا اللفظ والذي عندي فيه ان الالف واللام في المصدقين والمصدقات للمعهود فكانه ذكر جماعة معينين بهذا الوصف ثم قبل ذكر الخبر اخبر عنهم بانهم اتوا باحسن انواع الصدقة وهو القرض ثم ذكر الخبر بعد ذلك تعالى يضاعف لهم فقوله واقرضوا كقوله ان الثمانين وبلغتها **قوله** يضاعف لهم في القائم مقام الفاعل وجهان اظهرهما انه الجار بعده والثاني انه ضمير التصديق ولا بد من حذف مضاف اي ثواب التصديق وقرا الاعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة هاء وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم يعني الجنة **قوله** والذين امنوا مبتدا واولئك مبتدا ثان وهم يجوز ان يكون مبتدا ثالثا والصديقون خبره وهو مع خبره خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول ويجوز ان يكون هو فصلا واولئك وخبره خبر الاول والصديق هو الكثير الصدق وقال مجاهد من امن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الاية وقال

الضحاك هم ثمانية نفر من هذه سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام
ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعيد وحمزة وتاسعهم
عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته **قوله** والشهدا
يجوز فيه وجهان احدهما انه معطوف على ما قبله ويكون الوقف على الشهدا
تاما اخبر عن الذين امنوا انهم صديقون شهدا فان قيل الشهدا مخصوصون
باوصاف اخر زايدة على ذلك كالسبعة المذكورين اجيب بان تخصيصهم
بالذكر لشرفهم على غيرهم لا للحصر والثاني انه قوله لهم اجرهم اما الجملة
واما الجار بعده والمرفوع فاعل به والوقف لا يخفى على ما ذكرنا من الاعراب
والصديق مثال مبالغة ولا يجي الا من ثلاثي غالبا قال بعضهم وقد جا
مثيد من امسك وهو غلط لانه يقال مسك ثلاثيا فيسيك منه **.**
فصل قال مجاهد وزيد بن اسلم ان الشهدا والصديقين هم
المومنون وانه متصل وروى معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
قول ابن مسعود في تاويل الاية قال القشيري اوليك الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين فالصديقون
هم الذين يتلون الانبيا والشهدا هم الذين يتلون الصديقون
والصالحون يتلون الشهدا فيجوز ان تكون هذه الاية في جملة من صدق
الرسل والمعنى ان الذين امنوا بالله ورسله اوليك هم الصديقون
والشهدا ويكون المعنى بالشهدا من شهد لله بالوحدانية او انهم شهدا
عند ربهم على العباد في اعمالهم والمراد انهم عدول في الاخرة الذين تقبل
شهادتهم وقال الحسن كل مومن فهو شهيد كرامة وقال الفرا والزجاج
هم الانبيا لقوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك
على هولا شهيدا وقال ابن جرير الشهدا هم الذين استشهدوا في سبيل
الله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تعدون الشهدا فيكم قالوا
المقتول فقال ان شهدا امتي اذن لقليل وعلى هذا يكون منقطعا عما قبله
ويكون الواو في والشهدا واو الاستيناف وهذا مروي عن ابن عباس ومسروق
وقوله لهم اجرهم بما عملوا من العمل الصالح ونورهم على الصراط **.** ثم لما ذكر حال
المومنين اتبعه بذكر حال الكافرين فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اوليك اصحاب الجحيم ولما ذكر احوال المومنين والكافرين ذكر بعده ما
يدل على حقارة الدنيا وكمال حال الاخرة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا
لعب ولهو ما صلة اي حياة هذه الدار لعب باطل لا حاصل له ولهو فرح
ثم ينقضي وزينة منظر يتزينون به **قوله** وتفاخر بينكم العامة
على تنوين تفاخر موصوف بالظرف او عامل فيه والسلمي اضافه اليه
اي تفخر به بعضكم على بعض قال المفسرون اللعب الباطل واللهو الفرح
وقال قتادة لعب ولهو اكل وشرب وقال مجاهد كل لعب لهو وقيل
اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة **قوله** وتكاثر في
الاموال والاولاد قال ابن عباس يجمع المال في سخط الله ويباهي
به على اوليا الله ويصرفه في مساخط الله فهو ظلمات بعضها فوق بعض
وكان من عادة الجاهلية ان يتكاثروا في الاموال والاولاد قال بعض
المتاخرين لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان
وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقال علي رضي الله عنه لعمار
لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشيا ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب
ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الماء يستوي
فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل

المشموم

المشموم المسك وهو دم فارة وافضل مركوبها الفرس
وعليها تقتل الرجال واما المنكوح فهو النسا وهو مبال في
مبال والله ان المراة لتزين احسنها يراد به اقبحها ثم ذكر تعالى
لهذه الحياة مثلا فقال كمثل غيث اي مطر اعجب الكفار نباته قال
ابن مسعود المراد بالكفار هنا الزراع وقال الازهري والعرب
تقول للزارع كافر لانه يكفر البذر بتراب الارض اي يغطيه والمعنى
ان الحياة الدنيا كالزرع تعجب الناظرين اليه لخضرته بكثرة الامطار
ثم يلبث ان يصير هشيما كان لم يكن **.** وقيل المراد بالكفار هنا
هم الكفار بالله وهم اشد اعجابا بزينة الدنيا من المومنين وقوله
نباته اي ما ينبت من ذلك الغيث **قوله** كمثل غيث يجوز ان
يكون في موضع نصب حالا من الضمير في لعب لانه بمعنى الوصف
وان يكون خبرا لمبتدا محذوف اي ذلك كمثل وجوز ابن عطية ان يكون
في موضع رفع صفة لما تقدم ولم يبينه وقد بينه مكي فقال
نعت لتفاخر وفيه نظر لتخصيصه له من بين ما تقدم وجوز ان
يكون خبرا بعد خبر للحياة الدنيا وقوله ثم يهيج اي يجف بعد خضرته
فتراه مصفرا اي متغيرا عما كان عليه من النضارة وقرى مصفارا
من اصفار وهو ابلغ من اصفر **قوله** وفي الاخرة خبر مقدم وما
بعده مبتدا اخبر ان في الاخرة عذاب شديد ومغفرة منه ورضوانا
وهذا معنى حسن وهو انه قابل العذاب بشيين بالمغفرة والرضوان
فهو من باب لن يغلب عسر يسرين **.** قال القرطبي في الاخرة عذاب
شديد اي للكافرين والوقف عليه حسن ويبتدا ومغفرة من الله
ورضوان اي للمومنين وقال الفرا في الاخرة عذاب شديد ومغفرة
تقديره اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد **قوله**
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وهذا تاكيد لما سبق اي تغر الكفار
فاما المومن فان الدنيا له متاع بلاغ الى الجنة **.** وقيل العمل للحياة
الدنيا وترغيبا للعمل في الاخرة **.** وقال سعيد بن جبير الدنيا
متاع الغرور اذا الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى
طلب رضوان الله وطلب الاخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة
قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم اي سارعوا بالاعمال
الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقيل سارعوا بالتوبة
لانها تودي الى المغفرة قاله الكلبي وقال مكحول هي التكبيرة الاولى
مع الامام وقيل الصف الاول **فصل** احتج القايلون
بان الامر على الفور بهذه الاية لانها دلت على وجوب المسارعة
فوجب ان يكون التراخي محظورا **قوله** وجنة عرضها كعرض السما
والارض عرضها كعرض مبتدا وخبر والجملة صفة لجنة وكذلك اعدت
ويجوز ان يكون اعدت مستانفة **فصل** قال ابن عباس
ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفايح والزق
بعضها الى بعض لكانت عرض جنة واحدة من الجنان والعرض
اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن الشي بعرضه دون
طوله قال **.** كان بلاد الله وهي عريضة على الخايف المطلوب كفة حابل
وقال عطا عن ابن عباس يريد ان لكل واحد جنة بهذه الصفة وقال
السدي انه تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات السبع والارضين
السبع ولا شك ان طوله ازيد من عرضه وقيل هذا تمثيل للعباد

بما يعقلونه واكبر ما في نفوسهم مقدار السموات والارض قاله الزجاج
وهو اختيار ابن عباس وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل
الحيرة لعمر رضي الله عنه ارايت قول الله عز وجل عرضها كعرض السما
فاين النار فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى وجا النهار فاين يكون
الليل فقالوا لقد نزعت بما في التورية مثله **قوله** اعدت للذين
امنوا بالله ورسله شرط الايمان لا غير والمعتزلة وان زعموا ان لفظ
الايمان يفيد جملة الطاعات لكنهم اعترفوا بان لفظ الايمان بتغير
جملة الطاعات لكنهم اعترفوا اذا عدي بالبا فانه باق على مفهومه الاصلي
وهو التصديق فالاية حجة عليهم وقرا ابو كرز ذلك قوله تعالى بعده ذلك
فضل الله يوتيه من يشا سوا اطاع ام عصى فان قيل فيلزمكم ان تقطعوا
بحصول الجنة لجميع العصاة وان تقطعوا بانه لا عقاب لهم فالجواب
انا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا
مدة ثم نقلوا الى الجنة ويبقوا فيها ابد الاباد فقد كانت الجنة معدة
لهم فان قيل انا لم نر قرآنا بانه فوجب ان لا يدخل تحت هذه الاية
قلنا خص من العموم فيبقى العموم حجة فيما عداه **فصل** احتجوا
بهذه الاية على ان الجنة مخلوقة قالت المعتزلة هذه الاية لا يمكن
اجراوها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دايم وظلها يدل
على ان من صفتها بعد وجودها ان لا تفنى لكنها لو كانت الان موجودة
لفنيت بدليل قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه الثاني ان المخلوقة
الان في السما السابعة ولا يجوز اذا كانت في واحدة منها ان يكون عرضها
كعرض كل السموات والارض فثبت بهذين الوجهين انه لا بد من التاويل
وذلك من وجهين احدهما انه تعالى لما كان قادرا لا يصح المنع عليه واذا
كان حكيما لا يصح الخلف في وعده ثم انه تعالى وعد على الطاعة بالجنة
فكانت الجنة كالمعدة المهياة لهم تشبيها لما سيقع قطعا بالواقع
كما يقول المرء لصاحبه اعددت لك المكافاة اذا عزم عليها وان لم يوجدها
والثاني ان المراد اذا كانت الاخرة اعدها الله لهم كقوله ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة اي اذا كان يوم القيمة نادى والجواب ان قوله كل
شي هالك عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها دايم خاص والخاص
مقدم على العام واما قولهم ان الجنة مخلوقة في السما السابعة كما قال
عليه الصلوة والسلام في صفة الجنة سقفها عرش الرحمن فاي استبعاد
في ان يكون المخلوق فوق الشي اعظم منه اليس ان العرش اعظم المخلوقات
مع انه مخلوق فوق السما السابعة **قوله** ذلك فضل الله يوتيه من
يشا ايذان ان الجنة لا تنال الا بفضل الله ورحمته والله ذو الفضل العظيم
قوله من مصيبة فاعل اصاب ومن مزيدة لوجود الشرطين وذكر فعلها
لان التانيث مجازي **قوله** في الارض يجوز ان يتعلق باصاب وان
يتعلق بنفس مصيبة وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لمصيبة وعلى
هذا فيصلح ان يحكم على موضعه بالجر نظرا الى لفظ موصوفه وبالرفع نظرا
الى محله اذ هو فاعل والمصيبة غلبت في الشر وقيل المراد بها جميع الحوادث
من خير وشر وعلى الاول يقال لم ذكرت دون الخير واجيب بانه انما
خصها بالذكر لانها اهم على البشر **قوله** الا في كتاب حال من مصيبة
وجاز ذلك وان كانت نكرة لتخصيصها اما بالعمل او بالصفة اي الا
مكتوبة **قوله** من قبل نعت لكتاب ويجوز ان يتعلق به قاله ابو البقا
لانه هنا اسم للمكتوب وليس بمصدر والضمير في نبراها الظاهر عوده
على

على المصيبة وقيل على الانفس وقيل على الارض اي على جميع ذلك قاله
المهدوي وهو حسن **فصل** قال الزجاج انه تعالى لما قال
سابقوا الى مغفرة وبين ان المودي الى الجنة والنار لا يكون الا بقضا وقدر
فقال ما اصاب من مصيبة والمعنى لا توجد مصيبة من هذه المصايب
الا وهي مكتوبة عند الله والمصيبة في الارض قحط المطر وقلة النبات
ونقص الثمار وغلا الاسعار وتتابع الجوايح واما المصيبة في الانفس
فقيل هي الامراض والفقر وذهاب الاولاد واقامة الحد وعلى هذا
وقيل ضيق المعاش وقيل الخير والشر اجمع لقوله بعد ذلك لكيلا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وقوله الا في كتاب يعني مكتوب عند
الله في اللوح المحفوظ وقوله من قبل ان نبراها قال ابن عباس من قبل
ان يخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير من قبل ان يخلق الارض
والنفس ان ذلك على الله يسير اي خلق ذلك وحفظه على الله يسير اي
هين قال الربيع بن صالح لما اخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت
قلت ابكي لما ارى بك ولما تذهب اليه قال فلا تبك فانه كان في علم الله
تعالى ان يكون الم تسمع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الاية قال ابن عباس لما خلق الله القلم قال له اكتب فكتب
ما هو كاين الى يوم القيمة وقد ترك جماعة من السلف الدوا في امراضهم
فلم يستعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه وقالوا قد علم الله ايام المرض
وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما قدروا
قال الله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية ويروى
هذا قوله عليه الصلاة والسلام من عرف سر الله في القدر هانت عليه
المصايب **فصل** قيل ان هذه الاية متصلة بما قبلها وهو
ان الله تعالى يهون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح وبين ان ما
يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الاموال وما يقع فيها من خسران
فالكل مكتوب مقدر لا مدفع له وانما على المرء امتثال الامر ثم ادبهم
فقال لكيلا تاسوا على ما فاتكم اي لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق وذلك
انهم اذا علموا ان الرزق قد فرغ منه لم ياسوا على ما فاتهم منه وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجد
احدكم طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه
لم يكن ليصيبه ثم قرا لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
من الدنيا قاله ابن عباس **فصل** قال ابن الخطيب هذه
الاية تدل على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة
في اللوح المحفوظ قال المتكلمون وانما كتب ذلك لوجوه احدها تستدل
الملايكة على كونه تعالى عالما بجميع الاشيا قبل وقوعها وثانيها ليعرفوا
حلمه فانه تعالى مع علمه بانهم يقدمون على المعاصي خلقهم ورزقهم
ورابعها ليشكروا الله تعالى على توفيقه اياهم للطاعات وعصمته
اياهم عن المعاصي **فصل** قال ابن الخطيب الحكما قالوا ان
الملايكة الذين وصفهم الله بانهم هم المدبرات امرا والمقسمات امرا
انما هي المبادي لحدوث الحوادث في العالم السفلي بواسطة الحركات
الفلكية والاتصالات الكوكبية وتغيرها هي الاسباب لتلك
المسببات وهذا هو المراد من قوله الا في كتاب مبين **فصل**
قوله تعالى ولا في انفسكم يتناول جميع مصايب الانفس فيدخل فيها
كفرهم ومعاصيهم فالاية دالة على ان جميع اعمالهم بتفاصيلها مكتوبة

في اللوح المحفوظ مثبتة في علم الله تعالى فكان الامتناع من تلك
الاعمال محال لان علم الله بوجودها ينافي عدمها والجمع بين المتنافيين
محال وخصص مصائب الارض والانفس لتعلقهما بنا ولم يتعلق جميع الحوادث
لشمولها حركات اهل الجنة والنار لانها غير متناهية فاثباتها في الكتاب محال
قال ابن الخطيب وفي الآية دليل على ان الله تعالى يعلم الاشيا قبل وقوعها
خلافا لهشام بن الحكم قوله لكيلا هذه اللام متعلقة بقوله ما اصاب
اي اخبرناكم بذلك لكيلا يحصل لكم الحزن المفرط او الفرح المطغي فاما مادون
ذلك فالانسان غير مواخذ به وكي هنا ناصبة بنفسها فهي مصدرية
فقط لدخول لام الجر عليها وقرا ابو عمرو بما اتاكم مقصورا من الاتيان
اي بما جاكم قال ابو علي الفارسي لان اتاكم معادل لقوله فاتكم فكما اسند
الفعل للغايب في قوله فاتكم فكذلك الفعل الاتي في قوله بما اتاكم وقرا
باقي السبعة اتاكم ممدودا من الايتا اي بما اعطاكم الله اياه والعايد
الى الموصول في الكلمتين في الذكر المرفوع بانه فاعل والها محذوفة من
الصلة اي بما اتاكموه وقرا عبد الله بما اوتيتم فصل قال
ابن عباس ليس من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المومن يجعل مصيبته
صبرا وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما
الى ما لا يجوز قال جعفر بن محمد يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود لا يرده
عليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت وقيل لبزرجمهر
ايها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفايت
لا يتلافى بالعبرة والآتي لا يستدام بالحبرة وقوله والله لا يحب كل مختال اي
متكبر بما اوتي من الدنيا فخور به على الناس قيل الفخور الذي ينظر الناس
بعين الاحتقار فصل قال ابن الخطيب المعتزلة وان نازعوا
في القدرة والارادة فهم مسلمون في العلم والجبر فيلزمهم الجبر باعتبارهما
والفلاسفة مذهبهم الجبر لان سبب الحوادث عندهم الاتصالات الفلكية
والقدرية قالوا بان الحوادث اتفاقية فجميع فرق العقلا يلزمهم الجبر
سوا اقروا به او انكروه فصل قالت المعتزلة قوله المعتزلة قوله
لكيلا تاسوا يدل على انه انما اخبرهم بكونها ليحترزوا عن الحزن والفرح
ولولا قدرتهم عليه لم يكن لذلك فايده وتدل على انه لا يريد ان يقع
منهم الفرح والحزن وهو خلاف قول المجبرة لانه قال والله لا يحب كل
مختال فخور والمحبة هي الارادة واجيبوا بان المحبة الخالصة وهي ارادة النوال
ولا يلزم من قوله الذين يبخلون تقدم نظيره
في سورة النسا قال القرطبي الذين في موضع خفض نعتا للمختال وقال
ابن الخطيب بدلا من قوله كل مختال وقيل رفع بالابتدا فهو كلام
مستانف لا تعلق له بما قبله والمعنى الذين يبخلون فالله غني عنهم وقيل
اراد روسا اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم
في كتبهم لئلا يومن به الناس فتذهب ماكلتهم قاله السدي والكلبي
فيكون الذين مبتدا وخبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول
فان الله هو الغني الحميد وقال سعيد بن جبير الذين يبخلون يعني
بالعلم ويامرون الناس بالبخل بان لا يعلمون الناس وقال ابن زيد
ابن اسلم ان البخل بادا حق الله تعالى وقال عبد الله بن عامر الانزي
هو البخل بالصدقة والحقوق وقال طاوس هو البخل بما في يديه
فصل قرا العامة بالبخل بضم البا وسكون الخا وقرا انس
وعبيد الله بن عمير بفتحتين وهي لغة الانصار وقرا ابو العالية
وابن

وابن السميفع بالبخل بفتح البا واسكان الخا وعن نصر بن عاصم البخل
بضمتين وكلها لغات مشهورة وقال قوم الفرق بين البخل والسخا
من وجهين احدهما ان البخيل الذي يلتذ بالامساك والسخي الذي
يلتذ بالعطا الثاني ان البخيل الذي يعطي عند السوال والسخي
الذي يعطي بغير سوال وتقدم الفرق بين البخل والشح في اخر ال عمران
قوله ومن يتول اي عن الايمان فان الله هو الغني الحميد قرا نافع
وابن عامر فان الله الغني الحميد باسقاط هو وهو ساقط في
مصاحف المدينة والشام والباقون باثباته وهو ثابت في مصاحفهم
فقد وافق كل مصحفه قال ابو علي الفارسي من اثبت هو يحسن
ان يكون فصلا ولا يحسن ان يكون ابتدا لان الابتدا لا يسوغ
حذفه يعني انه يرجح فصليته بحذفه في القراة الاخرى اذ لو كان مبتدا
لضعف حذفه لا سيما اذا صلح ما بعده ان يكون خبرا لما قبله الا
ترى انك لو قلت ان زيدا هو القايم لم يحسن حذف هو لصلاحية القايم
خبرا وهذا كما قالوا في الصلة انه يحذف العايد المرفوع بالابتدا
بشروط منها ان لا يكون ما بعده صالحا للصلة نحو جا الذي هو في الدار
وهو قايم ابوه لعدم الدلالة الا ان للمنازع ان ينازع اما على ويقول
لا نلتزم تركيب احدى القراتين على الاخرى وكم من قراتين تغاير معناهما
كقراتي والله اعلم بما وضعت الا ان توافق القراتين في معنى واحد
اولى وهذا مما لا نزاع فيه ومن اثبت هو فعلى ان يكون فصلا ويجوز ان يكون
مبتدا والغني خبره والجملة خبر ان قال ابن الخطيب وقوله الحميد كانه
جواب من يقول اذا كان الله عالما بانه يبخل فلم اعطاه المال فاجاب
بانه محمود حيث فتح ابواب الدين مع تقصير العبد في الطاعة قوله
تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات هي المعجزات البينة والشرايع
الظاهرة وقيل الاخلاص لله تعالى في العبادة وانزلنا معهم الكتاب
اي الكتب التي اوحينا اليهم فيها خبر من كان قبلهم والميزان قال ابن
زيد هو ما يوزن به ويتعامل روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان
فدفعه الى نوح عليه الصلوة والسلام وقال مر قومك يزنوا به ليقوم
الناس بالقسط اي بالعدل في معاملاتهم وقيل اراد به العدل قال
القشيري واذا حملناه على الميزان المعروف فالمعنى انزلنا الكتاب
والميزان وهو من باب علفتها تبنا وماء باردا ويدل على هذا قوله تعالى
والسما رفعها ووضع الميزان قوله معهم حال مقدرة اي صايرا معهم
وانما احتجنا الى ذلك لان الرسل لم ينزلوا ومقتضى الكلام ان يصحبوا
الكتاب في النزول واما الزمخشري فانه فسر الرسل بالملايكة الذين
يجيئون بالوحي الى الانبيا فالمعية متحققة قوله وانزلنا الحديد
وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى انزل
اربع بركات من السما الى الارض الحديد والنار والما والملح وروى
عكرمة عن ابن عباس قال انزل ثلاثة اشيا مع ادم عليه الصلوة والسلام
الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصى موسى وكانت من اس الجنة
طولها عشرة اذرع مع طول موسى والحديد انزل معه ثلاثة اشيا
السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة ذكره الماوردي وروى
الثعلبي عن ابن عباس قال نزل ادم من الجنة ومعه من الحديد خمسة اشيا
من آلة الحدادين السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة
وحكاه القشيري ما يحدد به يقال وقعت الحديدة اوقعها اي حددتها

وفي الصحاح المبتعة الموضع الذي يالغه البارئ فيقع عليه وخشبة
القصار التي يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروي ان الحديد
انزل يوم الثلاثا فيه باس شديد اي يهراق الدما ولذلك نهي عن
الفصد والحجامة يوم الثلاثا لانه يوم يجري فيه الدم. وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان في يوم الثلاثا ساعة لا يراق فيها الدم
وقيل انزلنا الحديد اي انشاناه وخلقناه كقوله تعالى وانزل لكم
من الانعام وهذا قول الحسن فيكون من الارض غير منزل من السما وقال
اهل المعاني اي اخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وقوله
فيه باس شديد جملة حالية من الحديد والمراد بالحديد يعني السلاح والجنة
وقيل ان فيه من خشية القتال خوف شديد ومنافع للناس قال مجاهد
يعني جنة وقيل انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفاس
ونحوه قوله وليعلم الله عطف على قوله ليقوم الناس اي لقد ارسلنا
رسلنا وجعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله عطف على قوله
ليقوم الناس. وقال ابو حيان علته لانزال الكتاب والميزان والحديد
والاول اظهر لان نصرة الله ورسله مناسبة للارسال قوله ورسله
عطف على مفعول ينصره اي وينصر رسله قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون
معطوفا على من لئلا يفصل به بين الجار وهو بالغيب وبين ما يتعلق به
وهو ينصر. قال شهاب الدين وجعله العلة ما ذكره من الفصل بين الجار
وبين ما يتعلق به يوهم ان معناه صحيح لولا هذا المانع وليس كذلك
اذ يصير التقدير وليعلم الله من ينصره بالغيب وليعلم رسله وهذا معنى
لا يصح البتة فلا حاجة الى ذكر ذلك وبالغيب حال وقد تقدم مثله اول
البقرة فصل المعنى وليعلم الله من ينصره اي انزل الحديد ليعلم من ينصره
وليقوم الناس بالقسط اي ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم الكتاب وهذه الالة
ليتعامل الناس بالحق وليرى الله من ينصر دينه وينصر رسله بالغيب اي وهم لا
يرونهم ان الله قوي عزيز قوي في اخذه عزيز اي منيع غالب وقيل بالغيب اي
بالاخلاص فصل احتج من قال بحدوث علم الله بقوله وليعلم الله واجيب
بانه تعالى اراد بالعلم المعلوم فكانه تعالى وليقع نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم
من ينصره فصل قال الجبائي قوله ليقوم الناس بالقسط يدل على انه
تعالى انزل الميزان والحديد ومراده من العباد ان يقوموا بالقسط وان ينصروا
الرسول واذا اراد هذا من الكل بطل قول المجبرة انه اراد من بعضهم خلاف ذلك
واجيب بانه كيف يمكن ان يريد من الكافر الذي علمه بان ضده موجود والجمع
بين الضدين محال والمحال غير مراد قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم
الاية. لما اجمل الرسل في قوله لقد ارسلنا رسلنا فصل ههنا ما اجمل من ارسال
الرسل بالكتب واخبر انه ارسل نوحا وابراهيم وجعل النبوة في نسلهما لقوله
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي جعلنا بعض ذريتهما الانبيا وبعضهم
امما يتلون الكتب المنزلة من السما التورية والانجيل والزبور والفرقان. وقال
ابن عباس الكتاب الخط بالقلم قوله فمنهم مهتد الضمير يجوز عوده على
الذرية وهو اولى لتقدم ذكره لفظا وقيل يعود على المرسل اليهم لدلالة ارسلنا
والمرسلين اليهم. والمعنى ان منهم مهتد ومنهم فاسق والمراد بالفاسق ههنا
قيل الذي ارتكب الكبيرة سوا كان كافرا او لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل
الكافر وغيره وقيل المراد بالفاسق ههنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين
قوله ثم قفينا على اثارهم اي اتبعنا على اثارهم اي على اثار الذرية وقيل على اثار نوح
وابراهيم برسلنا موسى والياس وداود ويونس وغيرهم وقفينا بعيسى ابن مريم
فهو

فهو من ذرية ابراهيم من جهة امه واتيناه الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه
وقد تقدم اشتقاقه في اول ال عمران وقراة الحسن بفتح الهمزة. قال
الزمخشري امره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواها بفتح الفاء لان
الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب. وقال ابن جني قراة الحسن
بفتح الهمزة مثال لم ياتي له نظير لانه افعيل وهو عندهم من نجلت الشي اذا
استخرجته لانه يستخرج الاحكام. قال ابن الخطيب غالب الظن انه ما
قراه الا عن سماع وله وجهان احدهما انه شاذ كما حكي عنهم في البرطيل والثاني
انه ظن الانجيل اعجميا فحرف مثاله تنبيها على كونه اعجميا قوله وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه على دينه يعني الحواريين واتباعهم رافة ورحمة
قرا الحسن رآفة بزنة فعالة قال مقاتل المراد من الرافة والرحمة المودة
فكان يواد بعضهم بعضا كما وصف الله تعالى اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم بقوله رحما بينهم وقيل هذا اشارة الى انهم امروا في الانجيل بالصلح
وترك ايذا الناس والان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين قست
قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه والرافة اللين والرحمة الشفقة وقيل
الرافة تخفيف الكل والرحمة تحمل الثقل وقيل الرافة اشد من الرحمة وتم الكلام
فصل دلت هذه الاية على ان فعل العبد خلق الله تعالى لانه حكم بان
هذه مجعوله وحكم بانهم ابتدعوا تلك الرهبانية قال القاضي المراد بذلك
انه تعالى لطف بهم حتى قويت دواعيهم في الرهبانية التي هي تحمل الكلفة الزايدة
على ما يجب والجواب ان هذا ترك للظاهر من غير دليل وان سلمنا ذلك فهو
يحصل مقصودنا لان حال الاستوا يمتنع حصول الرجحان لان حصول الرجحان
عند الاستوا ممتنع فعند المرجوحية اولى بان يصير ممتنعا واذا امتنع
المرجوح وجب الراجح ضرورة انه لا خروج عن طرفي النقيض قوله
ورهبانية ابتدعوها في انتصابها وجهان احدهما انها معطوفة على رافة
ورحمة وجعل اما بمعنى خلق واما بمعنى صير وابتدعوها على هذا صفة
لرهبانية وانما خصت بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة في القلب امر
غريزة لا تكسب للانسان فيها بخلاف الرهبانية فانها افعال البدن
وللانسان فيها تكسب الا ان ابا البقا منع هذا الوجه بان ما جعله الله
لا يبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة صح ذلك فيها
وقال ايضا وقيل هو معطوف عليها وابتدعوها نعت له والمعنى فرض
عليهم لزوم رهبانية ابتدعوها ولهذا قال ما كتبناها عليهم الا ابتغا
رضوان الله والوجه الثاني انها منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر
وقاله ابو علي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها وتكون المسالة من الاشتغال
واليه نحا الفارسي والزمخشري وابو البقا وجماعة الا ان هذا يقال انه
اعراب المعتزلة وذلك انهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق
له فالرافة والرحمة لما كانت من فعل الله نسب خلقها اليه والرهبانية
لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها
اليه ورد عليهم ابو حيان هذا الاعراب من حيث الصناعة وذلك ان من
حق الاسم المشتغل عنه ان يصلح للرفع بالابتدا ورهبانية نكرة لا مسوغ
للابتدا بها فلا يصلح نصبها على الاشتغال قال شهاب الدين وفيه نظر
لانا لا نسلم اولا اشتراط ذلك ويدل عليه قراة من قرا سورة انزلناها
بالنصب على الاشتغال كما تقدم تحقيقه ولين سلمنا ذلك فثم مسوغ وهو
العطف ومن ذلك قول الشاعر

عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي ⁂ فهل باعجب من هذا امرو سمعا

وقول الاخر

نعشي ونجم قد اضا مذ بدا * مجال لاخي ضوءه كل شارق *
ذكر ذلك ابن مالك والرهبانية منسوبة الى الرهبان وهو فعلان
من رهب كخوف لحيد الخشيان من خشي وقد تقدم نحو هذه المادة
في سورة المايدة وقري بضم الرا قال الزمخشري كانها نسبة الى
الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان * قال ابو حيان والاولى
ان يكون منسوبا الى رهبان بمعنى بالفتح وغير لان النسب باب
تغيير ولو كان منسوبا بالرهبان الجمع لرد الى مفرده الا ان كان قد صار
كالعلم فانه ينسب اليه كالانصار **فصل** والمراد من الرهبانية
ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين متحملين كلفا زايدة على
العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال
عن النسا والتعبد في الغيران والكهوف * روى ابن عباس ان في ايام
الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام غير الملوك التورية والانجيل
فساح قوم وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا
بعد عيسى عليه الصلوة والسلام ارتكبوا المحارم بثلثماية سنة فانكرها
عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم
نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا الناس
واتخذوا الصوامع * وفي خبر مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال **قوله**
ما كتبناها صفة لرهبانية ويجوز ان يكون استينافا اخبار بذلك
قال ابن زيد معناه ما فرضناها عليهم ولا امرناهم بها * وقوله
الا ابتغا رضوان الله فيه اوجه * احدها انه استثنا متصل مما هو
مفعول من اجله والمعنى ما كتبناها عليهم بشي من الاشيا الا ابتغا رضا
الله ويكون كتب بمعنى قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغا مرضات
الله وهذا قول مجاهد * والثاني انه منقطع قال الزمخشري ولم يذكر
غيره اي ولكنهم ابتدعوها * الثالث انه بدل من الضمير المنصوب
في كتبناها قاله مكي وهو مشكل كيف يكون بدلا وليس هو الاول ولا بعضه
ولا مشتملا عليه وقد يقال انه بدل اشتمال لان الرهبانية الخالصة
المرعية حق الرعاية قد يكون فيها ابتغاء رضوان الله * ويصير نظير قولك
الجارية ما احببتها الا ادبها فالا ادبها بدل من الضمير في احببتها
بدل اشتمال وهذا نهاية التمحل لصحة هذا القول والضمير المرفوع
في رعوها عايد على من تقدم * والمعنى انهم لم يديموا كلهم على رعايته
وان كان قد وجد هذا في بعضهم * وقيل يعود على الملوك الذين حاربوهم
وقيل على اخلافهم وحق نصب على المصدر * قال القرطبي وقيل الا ابتغاء
استثناء منقطع والتقدير ما كتبناها عليهم ولكن ابتدعوها ابتغاء
رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها حق القيام بل ضموا
اليها التثليث والاتحاد واقام اناس منهم على دين عيسى عليه الصلوة
والسلام حتى ادركوا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فامنوا به نحو قوله
تعالى فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون * وقيل معناه
انا كتبناها عليهم تلك الرهبانية الا ليبتغوا بها المرضات الله
تعالى ثم انهم اتوا تلك الافعال لغير هذا الوجه وهو طلب الدنيا والريا
والسمعة * وقيل معناه انا كتبناها عليهم فتركوها فيكون ذلك ذما
لهم لتركهم الواجب * وقيل ان الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين ادركوا
محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يومنوا به **فصل** دلت هذه الاية
على ان كل محدث بدعة فينبغي لمن ابتدع خيرا ان يدوم عليه ولا يعدل عنه
الي

الى ضده فيدخل في الاية * وعن ابي امامة الباهلي واسمه صدي بن عجلان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احدثتم قيام رمضان ولم يكتب
عليكم انما كتب عليكم الصيام فدوموا على القيام اذ فعلتموه ولا تتركوه فان
ناسا من بني اسرايل ابتدعوا بدعا ولم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله
فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها
الاية **فصل** ودلت الاية على العزلة عن الناس وذلك مندوب
اليه عند فساد الزمان وتغير الاحوال والاخوان **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله اي امنوا بموسى وعيسى اتقوا
الله وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يوتكم كفلين من رحمته اي مثلين
من الاجر على ايمانهم بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا نظير قوله تعالى
اوليك يوتون اجرهم مرتين والكفل الحظ والنصيب وقد تقدم وهو
في الاصل كسا يكتفل به الراكب يحفظه من السقوط قاله ابن جرير وقال
الازهري اشتقاقه من الكسا الذي يحويه راكب البعير على سنامه لئلا
يسقط * والمعنى يوتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي كما يحفظ
الكفل الراكب وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة
وقال ابن زيد كفلين اجر الدنيا والاخرة * وقيل لما نزلت اوليك يوتون
اجرهم مرتين بما صبروا افتخر مومنوا اهل الكتاب على اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فان قيل انه تعالى لما اعطاهم كفلين
واعطى المومن كفلا واحدا كان حالهم اعظم فالجواب انه لا يبعد ان يكون
النصيب الواحد ازيد قدرا من النصيبين * روى ابو موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل كانت له جارية
فادبها واحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل من اهل الكتاب
امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم * وعبد احسن عبادة الله
ونصح سيده **قوله** ويجعل لكم نورا قال مجاهد اي بيانا وهدى
وقال ابن عباس هو القران وقيل ضيا يمشون به في الاخرة على الصراط
اي الغنيمة الى الجنة وهو النور المذكور في قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم وقيل يمشون به في الناس يدعونهم الى الاسلام فيكونوا روسا
في دين الاسلام لا يزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك انهم خافوا ان تزول
رياستهم لو امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كانوا يعطونهم احد رشوة يسيرة
من الضعفة بتحريف احكام الله تعالى لا الرياسة الحقيقية في الدين ثم قال
ويغفر لكم ذنوبكم اي ما سلفتم من المعاصي والله غفور رحيم **قوله تعالى**
لئلا يعلم هذه اللام متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط
اذ التقدير ان تتقوا الله وامنتم برسوله يوتكم كذا وكذا لئلا يعلم وفي
هذه وجهان * اشهرهما عند النحاة والمفسرين انها مزيدة كهي في ما منعك
ان لا تسجد وانهم اليهم لا يرجعون على خلاف في هاتين الايتين والتقدير
اعلمكم الله بذلك ليعلم اهل الكتاب عدم قدرتهم على شي من فضل الله
وثبوت ان الفضل بيد الله وهذا واضح بين وليس فيه الا زيادة ما تحتت
زيادته شايعا ذايعا * والثاني انها غير مزيدة والمعنى لئلا يعلم اهل
الكتاب عجز المومنين نقل ذلك ابو البقا وهو العظم وكان قايل ذلك
لا زايدة والمعنى ليعلم اهل الكتاب عجزهم وهذا غير مستقيم لان المومنين
عاجزون ايضا عن شي من فضل الله وكيف يعمل هذا القايل بقوله وان
الفضل بيد الله فانه معطوف على مفعول العلم المنفي فيصير التقدير
ولئلا يعلم اهل الكتاب ان الفضل بيد الله وهذا لا يستقيم نفي العلم به

البتة فلا جرم كانت قولا مطرحا • وقرا العامة لئلا بكسر لام كي ولئلا
همزة مفتوحة مخففة وورش يبدلها يا محضة وهو تخفيف قياسي
لحركتها وكسرة ما قبلها وفيه دليل على زيادتها قراة عبد الله وابن
عباس وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة ليعلم باسقاطها وقراه
حطان بن عبد الله لين تعلم باظهار ان والجحدري ايضا والحسن لينعلم
واصلها كالتي قبلها لين يعلم فابدل الهمزة يا لانفتاحها بعد كسرة
وقد تقدم انه قياس كقراة ورش ليلا ثم ادغم النون في اليا قال
ابو حيان بغير غنة كقراة خلف ان يضرب بغير غنة انتهى فصار
اللفظ لنعلم • وقوله بغير غنة ليس عدم الغنة شرطا في صحة
هذه المسئلة بل جا على سبيل الاتفاق ولو ادغم بغنة لجاز ذلك
فسقوطها في هذه القراات يويد زيادتها في المشهوره وقرا الحسن
ايضا فيما روى عنه ابو بكر بن مجاهد ليلا يعلم بلام مفتوحة ويا
ساكنة كاسم المراة ورفع الفعل بعدها وتخريجها على ان اصلها لان
لا على لغة الامر الجر ولكن فتحت على لغة مشهورة معروفة وانشدوا ه
ه اريد لانسى ذكرها ه بفتح اللام وحذفت الهمزة اعتباطا وادغمت
النون في اللام فاجتمع ثلاثة امثال فثقل النطق به فابدل الوسط يا
تخفيفا فصار اللفظ ليلا كما ترى ورفع الفعل لان ان هي المخففة لا الناصبة
واسمها على ما تقرر ضمير الشان وفصل بينها وبين الفعل الذي هو خبرها
بحرف النفي • وقرا الحسن ايضا فيما روى قطرب ليلا بلام مكسورة ويا ساكنة
ورفع الفعل وهي كالتي قبلها في التخريج غاية ما في الباب انه جا بلام الجر
مكسورة كما هي اللغة الشهيرة • وروى عن ابن عباس لكي يعلم وعن عبد
الله لكيلا وهذه كلها مخالفة للسواد الاعظم ولسواد المصحف وقراة
العامة ان لا يقدرون بثبوت النون على ان هي المخففة وعبد الله
بحذفها على ان هي الناصبة وهذا شاذ جدا لان العلم لا يقع بعده
الناصبة وقوله يوتيه من يشا الظاهر انه مستانف وقيل هو
خبر ثان عن الفضل وقيل هو الخبر وحده والجار قبله حال وهي حال
لازمة لان كونه بيد الله لا ينتقل البتة **فصل** نقل ابن الخطيب
عن الواحدي انه قال هذه الاية مشكلة وليس للمفسرين فيها قول
واضح في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها • واعلم ان اكثر المفسرين
على ان لا ههنا صلة زايدة والتقدير ليعلم اهل الكتاب • وقال
ابو مسلم وجماعة ان لا ليست زايدة ونحن نفسر الاية على القولين
بعون الله وتوفيقه اما على القول بزيادتها فاعلم انه لا بد ههنا
من تقديم مقدمة وهي ان اهل الكتاب كانوا يقولون ان الوحي والرسالة فينا
والكتاب والشرع ليس الا لنا وان الله خصنا بهذه الفضيلة
العظيمة من بين جميع العالمين اذا عرف هذا فنقول انه تعالى لما امر
اهل الكتاب بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ووعدهم الاجر العظيم
في ذلك الايمان اتبعه بهذه الاية والغرض منها ان يزيل عن قلبهم اعتقادهم
بان النبوة مختصة بهم فقال انما بالغنا في هذا البيان ليعلم اهل
الكتاب انهم لا يقدرون على شي من فضل الله لقوم معينين ولا يمكنهم
حصر الرسالة والنبوة في قوم مخصوصين وان الفضل بيد الله يوتيه
من يشا ولا اعتراض عليه في ذلك اصلا • واما القول بان لا غير زايدة
فاعلم ان الضمير في قوله لا يقدرون عايد الى الرسول صلى الله عليه وسلم
والى اصحابه رضي الله عنهم • والتقدير لئلا يعلم اهل الكتاب ان النبي والمومنين

لا يقدرون

لا يقدرون على شي من فضل الله فانهم اذا لم يعلموا انهم لا يقدرون
عليه فقد علموا انهم يقدرون عليه ثم قال وان الفضل بيد الله
فيصير التقدير انا جعلنا كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب انهم
يقدرون على حصر فضل الله فانهم اذا لم يعلموا في قوم معينين
وليعتقدوا ان الفضل بيد الله • واعلم ان هذا القول ليس فيه
الا انا اضمرنا فيه زيادة فقلنا وفي قوله وان الفضل بيد الله تقديره
وليعتقدوا ان الفضل بيد الله • واعلم ان هذا القول ليس فيه
زيادة تقتلنا • واما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى حذف شي موجود
ومن المعلوم ان الاضمار اولى من الحذف لان الكلام اذا افتقر الى الاضمار
لم يوهم ظاهره باطلا اصلا واما اذا افتقرنا الى الحذف كان ظاهره
موهما للباطل فعلمنا ان هذا القول اولى **فصل** قال قتادة حسد
اهل الكتاب المسلمين فنزلت لئلا يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون
على شي من فضل الله وان الفضل بيد الله • وقال مجاهد قالت اليهود
يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب
كفروا فنزلت لئلا يعلم اي ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون يعني
انهم لا يقدرون كقوله لا يرجع اليهم قولا والمراد من فضل الله قيل
الاسلام وقيل الثواب • وقال الكلبي من رزق الله وقيل نعم الله التي
لا تحصى وان الفضل بيد الله اي هو له يوتيه من يشا روى البخاري عن
ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على
المنبر يقول انما بقاوكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر
الى غروب الشمس اعطي اهل التورية التوراة فعملوا بها حتى انتصف
النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطي اهل الانجيل الانجيل
فعملوا به حتى صلوة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا • ثم
اعطيتم القران فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين
قيراطين قال اهل التورية ربنا هولا اقل عملا واكثر اجرا قال هل
ظلمتكم من اجركم شيا قالوا لا قال فذلك فضل الله يوتيه من يشا
وفي رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث

• سورة المجادلة مدنية •

في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني وما فيها مكي
وقال الكلبي نزلت جميعا بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثنتان وعشرون اية واربع ماية
وثلاث وسبعون كلمة والف وسبع ماية واثنان وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها قد ههنا للتوقع قال الزمخشري لانه عليه الصلوة والسلام والمجادلة
كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج
عنها واظهار الدال عند السين قراة الجماعة الا ابا عمرو والاخوين
ونقل عن الكسائي انه قال من بين الدال عند السين فلسانه اعجمي ونقل عن الكسائي
انه قال فلسانه اعجمي وليس بعربي وهذا غير مصرح عليه وفي زوجها
في شانه من ظهاره اياها التي اشتكت هي خولة
بنت ثعلبة • وقيل بنت حكيم • وقيل بنت خويلد • قال داود
وليس هذا بمختلف لان احدهما ابوها والاخر جدها فنسبت الى كل

منهما قيل كانت وقيل هي ابنة دمامة وقيل امة
لعبد الله بن ابي وهي التي انزل الله فيها ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء ان اردن تحصنا لانه كان يكرهها على الزنا وقيل
هي قال النحاس وهذا ليس ويجوز ان ينسب
مرة الى ابيها ومرة الى امها ومرة الى جدها ويجوز امة
كانت لعبد الله بن ابي لها انصارية بالولا لانه كان
في عداد الانصار وانه كان من المنافقين نقله القرطبي وقيل اسمها
اسمها جميلة وخولة اصح وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن
الصامت وروي ان عمر بن الخطاب مر بها في خلافته وهو على حمار
والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى
عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من
ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف
يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف
فقال والله لو حبستني من اول النهار الى اخره لا زلت الا للصلوة المكتوبة
اتدرون من هذه العجوز هذه خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من
فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وقالت
عائشة تبارك الذي وسع سمعه كل شيء اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة
ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي
تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع
ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه
الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الاية
روي انها كانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها
فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها فابت فغضب عليها قال عروة
وكان امرا به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي وكان
الايلا والظهار من الطلاق في الجاهلية فسالت النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي
واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه
فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي فقد طالت صحبتي ونفضت
له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت
عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو
الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان
ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السما وتقول اللهم اني اشكو اليك
فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فانزل الله تعالى
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان
فهل من رخصة فقال نعم وقرا الاربع ايات فقال هل تستطيع الصوم
فقال لا والله فقال هل تستطيع العتق فقال لا والله اني ان اخطاني
ان اكل في اليوم مرة او مرتين لكل بصري وظننت اني اموت قال فاطعم
ستين مسكينا فقال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه
صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق
به على ستين مسكينا فصل قال ابو سليمان الخطابي ليس المراد من
قوله في هذا الخبر كان به لمم الخبل والجنون اذ لو كان به ثم ظاهر في تلك

الحال

الحال لم يكن يلزمه شيء بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة
الحرص والتوقان اليهن فصل اعلم ان الظهار كان من اشد
طلاق الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم
مقررا في الشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما
يدخل في الشرائع في عادة الجاهلية لكن الذي روي انه عليه الصلوة
قال لها حرمت عليه او ما اراك الا قد حرمت كالدلالة على انه كان شرعا
فاما ما روي انه توقف في الحكم فلا يدل على ذلك وفي الاية دليل
على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى
الخالق كفاه الله ذلك المهم فصل اعلم انه تعالى حكى عن هذه
المراة امرين احدهما المجادلة وهو قوله تعالى تجادلك في زوجها
اي في شان زوجها وتلك المجادلة هي انه عليه الصلوة والسلام
كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا والثاني
شكواها الى الله فاقتها ووحدتها وقولها ان لي صبية صغارا
فصل قال القرطبي الاصل في السماع ادراك المسموعات
وهو اختيار ابي الحسن وقال ابن فورك الصحيح انه ادراك
المسموع وقال الحاكم ابو عبد الله السميع هو المدرك للاصوات
التي يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك
راجع الى ان الاصوات لا تخفى عليه وان كان غير موصوف بالحس
المركب في الاذن كالاصم من الناس لما لم يكن له هذه الحاسة
لم يكن اهلا لادراك الصوت والسمع والبصر صفتان كالعلم
والقدرة والحياة والارادة فهما من صفات الذات لم يزل
الخالق متصفا بهما وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام قوله
وتشتكي الى الله يجوز فيه وجهان اظهرهما انها عطف على
تجادلك فهي صلة ايضا والثاني انها في موضع نصب على الحال
اي تجادلك شاكية حالها الى الله وكذا الجملة من قوله والله يسمع
تحاوركما والحالية فيها ابعد والتحاور بمعنى واحد والمحاورة
المراجعة في الكلام حار الشيء يحور حورا اي رجع يرجع رجوعا
ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور وكلمته فما حار بكلمة اي فما
اجاب والله سميع بصير اي يسمع كلام من يناديه ويبصر من
يتضرع اليه قوله الذين يظهرون تقدم الخلاف في تظهرون
في سورة الاحزاب وكذا في اللائي وقرا ابي هنا يتظاهرون
وعنه ايضا يتظهرون وفي الذين وجهان احدهما انه مبتدا
وخبره قوله ما هن امهاتهم الثاني انه منصوب ببصير على
مذهب سيبويه في جواز اعمال فعيل قاله مكي يعني ان سيبويه
يعمل فعيلا من امثلة المبالغة وهو مذهب مطعون فيه على
سيبويه لانه استدل على اعماله بقول الشاعر
حتى شاها كليل موهنا عمل ... باتت طرابا وبات الليل لم ينم
ورد عليه بان موهنا ظرف زمان والظروف يعمل فيها روائح الافعال
والمعنى الثاني ما قاله مكي وقرا العامة امهاتهم بالنصب على اللغة
الحجازية الفصحى كقوله ما هذا بشرا وعاصم في رواية بالرفع على
اللغة التميمية وان كانت هي القياس لعدم اختصاص الحرف وقرا عبد
الله بامهاتهم بزيادة البا وهي تحتمل اللغتين وقال الزمخشري

وزيادة الباء لغة من ينصب • قال شهاب الدين هذا مذهب ابي علي بركان الباء لا تزاد الا اذا كانت عاملة فلا تزاد في التميمية ولا في الحجازية اذا امتنع من عملها مانع نحو ما ان زيد بقايم وهذا مردود بقول الفرزدق وهو تميمي

لعمرك ما معن بتارك حقه • ولا منسي معن ولا متيسر •

وبقول الاخر •

لعمرك ما ان ابو مالك بواه • ولا ضعيف قواه •

نزادها مع ما الواقع بعدها ان **فصل** ذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والادميه انما تركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من غير الادميات فانما يركب ظهره فكنى بالظهر عن الركوب ويقال نزل عن امراته اي طلقها كانه نزل عن مركوبه ومعنى انت علي كظهر امي اي انت علي محرمة لا يحل لي ركوبك نقله القرطبي • ونقل ابن الخطيب عن صاحب النظم انه ليس ماخوذا من الظهر الذي هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر باولى بالذكر في هذا الموضع من ساير الاعضا التي هي مواضع المباضعه والتلذذ بل الظهر هاهنا ماخوذ من العلو ومنه قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه وكذلك امراة الرجل ظهره لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن من ناحية الظهر فكان امراة الرجل مركبا للرجل وظهرا له • ويدل على صحة هذا المعنى ما نقل عن العرب انهم يقولون في الطلاق نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما علوي على امي وملكها علي

فصل حقيقة الظهار تشبيه ظهر بظهر والموجب للحكم منه تشبيه ظهر محلل بظهر محرم • ولهذا اجمع الفقها ان من قال لزوجته انت علي كظهر امي انه مظاهر • وقال اكثرهم اذا قال لها انت علي كظهر ابنتي او اختي او من تحرم عليه على التابيد من ذوات المحارم انه مظاهر

فصل والفاظ الظهار صريح وكناية فالصريح انت علي كظهر امي وانت عندي وانت مني وانت معي كظهر امي • وكذلك وانت علي كبطن امي او كراسها او فرجها ونحوه وكذلك فرجك او راسك او ظهرك او بطنك او رجلك علي كظهر امي فهو مظاهر مثل قوله يدك او رجلك او راسك او فرجك طالق تطلق عليه ومتى شبهها بامه او باحدى جداته من قبل ابيه او امه فهو ظهار بلا خلاف وان شبهها بغيرهن من ذوات المحارم التي لا تحل له بحال كالبنت والاخت والعمه والخالة كان مظاهرا عند اكثر الفقها • والكناية ان يقول انت علي كامي او مثل امي فانه يعتبر فيه النية فان اراد الظهار كان ظهارا وان لم ينو الظهار لم يكن مظاهرا على خلاف في ذلك • فانه شبه امراته باجنبية فان ذكر الظهر كان ظهارا وان لم يذكر الظهر فقيل يكون ظهارا وقيل طلاقا • وقال ابو حنيفة والشافعي لا يكون شيا • وقيل وهذا فاسد لانه شبه محللا من المراة بمحرم فاشبه الظهر نقله القرطبي فان قال انت علي حرام كظهر امي كان ظهارا ولم يكن طلاقا لان قوله انت علي حرام يحتمل التحريم بالطلاق فيكون طلقة ويحتمل التحريم بالظهار فلما صرح به كان تفسيرا لاحد الاحتمالين فيقضى به فيه

فصل والظهار لازم في كل زوجة مدخول بها او غير مدخول بها من كل زوج يجوز طلاقه • وقال مالك يجوز الظهار من كل من يجوز وطيها من امائه اذا ظاهر منهن لزمه الظهار فيهن وقال غيره لا يلزم قال ابن العربي

وهي



وهي مسيلة عسرة جدا لان مالكا يقول اذا قال لامته انت علي حرام لا يلزم فكيف يبطل فيها صريح التحريم وتصح كنايته

فصل ويلزم الظهار قبل النكاح اذا نكح التي ظاهر منها عند مالك ولا يلزم عند غيره لقوله تعالى من نسايهم اذا الظاهر الذي صح ظهاره كما يصح طلاقه وقال مالك لا يلزم ظهاره لانه لا يصح تكفيره بالصيام وهذا منقوض بظهار العبد وهو لا يكفر بالعتق والاطعام

فصل لا يصح المراة من زوجها وعليها كفارة يمين انما الظهار على الرجال لان الحل والعقد في النكاح بيد الرجال ليس بيد المراة شي وقال الحسن بن زياد هي مظاهرة • وقال الزهري ارى ان تكفر كفارة الظهار • وقال محمد ابن الحسن لا شي عليها

فصل واذا ظاهر حال غضبه لزمه حكم الظهار للحديث ويصح ظهار السكران وطلاقه واذا ظاهر من نسايه بكلمة واحدة فكفارة واحدة وان ظاهر منهن بكلمات فعليه لكل واحدة كفارة ظهار • واذا قال لاربع نسوه ان تزوجتكن لا يطا البواقي منهن حتى يكفر فان قال لامراته انت علي كظهر امي وانت طالق البتة لزمه الطلاق والظهار معا ولم يكفر حتى ينكحها بعد زوج ولا يطاها اذا نكحها حتى يكفر فان قال لها انت طالق البتة وانت علي كظهر امي لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار لان المبتوتة لا يلحقها طلاق ولا ظهار ويصح الظهار الموقت كما لو قال انت علي اليوم كظهر امي فانه يصح ويبطل بمضي اليوم • وقال مالك يتابد

قوله منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان الجاهلية خاصة دون ساير الامم وقوله ما هن امهاتهم اي ما نساوهم بامهاتهم ان امهاتهم الا اللاي ولدنهم اي الا الوالدات

قوله منكرا من القول وزورا نعتان لمصدر محذوف اي قولا منكرا وزورا اي كذبا وبهتانا قاله مكي وفيه نظر اذ يصير التقدير ليقولون قولا منكرا من القول فيصير قوله من القول لا فايدة فيه والاولى ان يقال نعتان لمفعول محذوف لفهم المعنى اي ليقولون شيا منكرا من القول لتفيد الصفة غير ما افاده الموصوف • والمنكر من القول ما لا يعرف في الشرع والزور الكذب وان الله لعفو غفور اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا القول المنكر • وقيل لعفو غفور من قبل التوبة لمن يشا كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا او بعد التوبة • فان قيل المظاهر انما قال انت علي كظهر امي فشبهه بامه ولم يقل انها امه فما معنى انه جعله منكرا من القول وزورا والزور الكذب وهذا ليس بكذب • فالجواب ان قوله ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشا فكذلك لانه جعله سببا للتحريم والزوج لم يجعله سببا لذلك • وايضا فانما وصف بذلك لان الام مويدة التحريم والزوجة لا يتابد تحريمها بالظهار وهذا ضعيف لان التشبيه لا يلزم ان يساوي المشبه به من كل وجه فان قيل قوله الا اللاي ولدنهم يقتضي ان لا ام الا الوالده وهذا مشكل لقوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وقوله تعالى وازواجه امهاتهم والحمل على حرمة النكاح لا يفيد اذ لا يلزم من عدم كون الزوجة اما عدم الحرمة وظاهر الاية الاستدلال بعدم الامومة على عدم الحرمة • فالجواب انا نقول هذه الزوجة ليست بام حتى تحصل الحرمة بسبب الامومة ولم يرد الشرع بجعل هذا اللفظ سببا للحرمة فاذن لا تحصل الحرمة هناك البتة فكان وصفهم لها بالحرمة كذبا وزورا

قوله والذين يظهرون مبتدا

وقوله فتحرير رقبة مبتدا وخبره مقدر اي فعليهم او فاعل بفعل مقدر
اي فيلزمهم تحرير او خبر مبتدا مضمر اي فالواجب عليهم تحرير وعلى
التقادير الثلاثة فالجملة خبر المبتدا ودخلت الفا لما تضمنه المبتدا
من معنى الشرط **قوله** ثم يعودون لما قالوا في هذه اللام اوجه
احدها انها متعلقة بيعودون وفيه معان احدها والذين من
عادتهم انهم يقولون هذا القول في الجاهلية ثم يعودون لمثله
في الاسلام • الثاني يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عايد
اليه ومنه عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى
ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالهما كما كانت
قبل الظهار • الثالث ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ
الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكر في قوله تعالى ونرثه
ما يقول والمعنى ثم يريدون العود للتماس قال الزمخشري وهذا
الثالث هو معنى ما روي عن مالك والحسن والزهري ثم يعودون
للوطي اي يعودون لما قالوا انهم لا يعودون اليه فاذا ظاهر ثم وطي
لزمت الكفارة عند هولا • الرابع لما قالوا اي يقولونه ثانيا فلو قال
انت علي كظهر امي مرة واحدة لم يلزمه كفارة لانه لم يعد لما قال وهذا
منقول عن بكير بن عبد الله الاشج وابي حنيفة وابي العالية والفرا
في اخرين وهو مذهب اهل الظاهر • قال ابن العربي وهذا القول باطل
قطعا لان قصص المتظاهرين قد رويت وليس في ذكر الكفارة عليهم ذكر
بعود القول منهم والمعنى ايضا ينقضه لان الله تعالى وصفه بانه منكر
من القول وزور فكيف يقال اذا اعدت القول المحرم والسبب المحظور
وجبت عليه الكفارة وهذا لا يعقل الا ترى ان كل سبب يوجب الكفارة
لا يشترط فيه الاعادة من قتل ووطي في صوم • الخامس ان المعنى ان
يعزم على امساكها فلا يطلقها بعد الظهار حتى يمضي زمن يمكن ان يطلقها
فيه فهذا هو العود لما قال وهو مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة
ايضا • وقال العود هنا ليس بتكرير القول بل بمعنى العزم على الوطي
قال القرطبي وهذا ينتقض بثلاثة امور • احدها انه قال ثم وهي
للتراخي • الثاني قوله ثم يعودون يقتضي وجود فعل من جهته ومرور
الزمان ليس بفعل منه • الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي البقا على
الملك فلم يسقط حكم الظهار وهذا الازواج فما والفعل مصدر اي
لمقولهم والمصدر في موضع المفعول به نحو هذا درهم ضرب الامير اي
مضروبه فيصير المعنى لمقولهم المقول فيه الظهار اي لوطيه وهذا معنى
قول الزمخشري في الوجه الثالث الذي تقدم تقريره عن الحسن والزهري
ومالك الا ان هكذا قيد ذلك بكون ما مصدرية حتى يقع المصدر المؤول
موضع اسم المفعول فيه نظر اذ يجوز ذلك وان كانت ما غير مصدرية
لكونها بمعنى الذي ونكرة موصوفة بل جعلها غير مصدرية اولى لان المصدر
المؤول فرع المصدر الصريح اذ الصريح اصل للمؤول به ووضع المصدر الموقع
اسم المفعول خلاف الاصل فيلزم الخروج عن الاصل بشيئين بالمصدر
المؤول ثم وقوعه موقع اسم المفعول والمحفوظ من لسانهم انما
موضع المصدر الصريح موضع المفعول لا المصدر المؤول فاعرفه لا يقال ان
جعلها غير مصدرية يحوج الى تقدير حذف مضاف ليصح المعنى به اي يعودون
لوطي الذي ظاهر منها او امراة ظاهر منها اذ يعودون
لامساكها والاصل عدم الحذف لان هذا مشترك الالزام لانكم فانكم تقولون

ايضا

ايضا لا بد من تقدير مضاف اي يعودون لوطي او لامساك المقول فيه
الظهار ويدل على كون ما في هذا الوجه غير مصدرية ما اشار اليه ابو
البقا فانه قال يتعلق بيعودون بمعنى يعودون للمقول فيه هذا
ان جعلت ما مصدرية ويجوز ان تجعلها بمعنى الذي ونكرة موصوفة
الثاني ان اللام تتعلق بتحرير وفي الكلام تقديم وتاخير والتقدير
والذين يظاهرون من نسايهم فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من الظهار
ثم يعودون للوطي بعد ذلك وهذا ما نقله مكي وغيره عن الاخفش قال
ابو حيان وليس بشي لانه يفسد نظم الاية وفيه نظر لانا لا نسلم
فساد النظم مع دلالة المعنى على التقديم والتاخير ولكن نسلم ان ادعا
التقديم والتاخير لا حاجة اليه لانه خلاف الاصل • الثالث ان اللام
بمعنى الى واللام والى يتعاقبان قال تعالى هدانا لهذا وقال واهدوهم
الى صراط الجحيم وقال بان ربك اوحى لها وقال واوحي الى نوح قاله الاخفش
الرابع انها بمعنى في نقله ابو البقا ومع ذلك فهي متعلقة بيعودون
الخامس انها متعلقة بيقولون • قال شهاب الدين ولا ادري ما
هذا الذي قاله مكي وكيف فهم تعلقها بيقولون على تفسير قتادة بعض
في تعلقها بيعودون وليس لتعلقها بيقولون وجه • ونقل القرطبي
عن الفرا قال اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون
الوطي وقال ابو مسلم العود هو ان يحلف ولا يعلى ما قال من لفظ الظهار
فلو لم يحلف لم يلزمه كفارة كما لو قال في الماكول هو علي حرام كلحم الادمي
فلا كفارة عليه فاذا حلف عليه لزمته كفارة يمين وهذا ضعيف لان
الكفارة قد تجب بالجماع في الحج وفي رمضان وفي قتل الخطا ولا يمين هناك
قوله فتحرير رقبة اي فعليه اعتاق رقبة يقال حررته اي جعلته
حرا ثم هذه الرقبة يجب ان تكون سالمة من كل عيب ومن كمالها اسلامها
كالرقبة في كفارة القتل فاذا اعتق نصفي عبدين لم يجزه وقال الشافعي
يجزه لان النصفين في معنى العبد الواحد ولان الكفارة في العتق طريقها المال
فجاز ان يدخلها التبعيض كالاطعام ودليل الاول قوله فتحرير رقبة وهذا
الاسم عبارة عن شخص واحد وبعض الرقبة ليس برقبة ولانه لو امر رجلين
ان يحجا عنه حجة لم يجز ان يحج واحد منهما نصفها وكذا لو وصى ان يشتري رقبة
فيعتق عنه لم يجز ان يعتق نصف عبدين كذا ههنا وروي عن احمد رضي
الله عنه ان كان باقيهما حرا صح واجزا والا فلا لان المقصود تكميل الحرية
وقد كملت وكقوله عليه الصلاة والسلام ليس لله شريك فان اعتق مكاتبا
عن الكفارة لم يجزه • وقال ابو حنيفة ان اعتقه قبل ان يودي شيا
اجزاه وان اعتق بعد ان ادى شيا لم يجزه فان اعتق ذا رحم المحرم عن
كفارته عتق ولم يجزه عن الظهار **قوله** من قبل ان يتماسا اي من
قبل ان يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطي قبل التكفير فان جامعها قبل التكفير
عصى ولا يسقط عنه التكفير • وحكي عن مجاهد انه اذا وطي قبل ان يشرع
في التكفير لزمه كفارة اخرى وعن غيره ان الكفارة الواجبة بالظهار تسقط
عنه ولا يلزمه شي اصلا لان الله تعالى اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس
فاذا اخرها حتى مس فقد فات وقتها والصحيح ثبوت الكفارة لانه بوطيه
ارتكب اثما وذلك ليس بمسقط للكفارة وياتي بها قضا كما لو اخر الصلوة
عن وقتها وسوا كانت الكفارة بالعتق او الصوم او الاطعام • وقال
ابو حنيفة رضي الله عنه ان كانت بالاطعام جاز ان يطا ثم يطعم فاما غير
الوطي من القبلة والمباشرة والتلذذ فلا يحرم في قول اكثر العلما

فصل

اذا ظاهر مرارا من امراته ولم يكفر فكفارة واحدة الا ان يكون
قد كفر عن الاول فعليه للثاني كفارة قال وينبغي للمراة ان لا تدعه
يقربها حتى يكفر فان تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها ويجبره
على التكفير وان كان بالضرب حتى يوفيها حقها من الجماع قال الفقهاء
ولا شي من الكفارة يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لان
ترك التكفير اضرار بالمراة وامتناع من ايفاء حقها **قوله** ذلكم توعظون
به اي تؤمرون به والله بما تعملون خبير من التكفير وغيره **قوله**
فمن لم يجد فصيام • وقوله فاطعام فكفارته تحرير في الاوجه الثلاثة
المتقدمة من قبل متعلق بالفعل او الاستقرار المتقدم اي فيلزم تحرير
او صيام او فعليه كذا من قبل تماسهما والضمير في يتماسا للمظاهر والمظاهر
منها لدلالة ما تقدم عليها **فصل** من لم يجد الرقبة ولا ثمنها
وكان مالكا لها الا انه شديد الحاجة اليها لخدمته او كان مالكا لثمنها
الا انه يحتاج اليه لنفقته او كان له مسكن ليس له غيره ولا يجد شيئا
سواه فله ان يصوم • وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يصوم وعليه
العتق ولو كان محتاجا الى ذلك والصيام الواجب في هذه الكفارة
ان يصوم شهرين متتابعين فان افطر في اثنائهما بغير عذر استانفهما
وان افطر بعذر من سفر او مرض فقال ابن المسيب والحسن وعطا
ابن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي يبني على ما مضى وهو الصحيح
من مذهب الشافعي فان ابتدا الصيام ثم وجد الرقبة لم يلزمه
الانتقال عنه لانه امر به حين دخل فيه • وقال ابو حنيفة رضي الله
عنه يعتق قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور اذا رات الدم قبل انقضا
عدتها فانها تستانف الحيض اجماعا فان وطي المظاهر في خلال الشهرين
نهارا بطل التتابع وان وطي ليلا لم يبطل لانه ليس محلا للصوم وقال
ابو حنيفة رضي الله عنه ومالك يبطل بكل حال ويجب عليه ابتدا
الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا وهذا شرط عائد الى جملة الشهرين
ومن طال مرضه طولا لا يرجى برؤه كان بمنزلة العاجز من كبر فيجوز
له العدول عن الصيام الى الاطعام فان كان يرجى برؤه واشتدت
حاجته الى وطي امراته فالاختيار له ان ينتظر البرء حتى يقدر على
الصيام ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزاه فان
ظاهر وهو موسر ثم اعسر قبل ان يكفر صام وانما ينتظر الوجدان
يوم يكفر ولو جامعها في عدمه وعسره فلم يكفر حتى ايسر لزمه العتق
ولو ابتدا بالصوم ثم ايسر • قال القرطبي رحمه الله فان كان مضى
من صومه صدر صالح كالجمعة وشبهها تمادى وان كان يوما او يومين
ترك الصوم وعاد الى العتق وليس ذلك بواجب عليه • ولو ظاهر من
امراتين له فاعتق رقبة عن احدهما لا بعينها لم يجز له وطي واحدة
منهما حتى يكفر الكفارة الاخرى ولو عين الكفارة عن احدهما جاز له ان
يطاها قبل ان يكفر الكفارة عن الاخرى • قال القرطبي ولو ظاهر
من اربع نسوة فاعتق عنهن ثلاث رقبات وصام شهرين لم يجزه
العتق ولا الصيام لان صيام الشهرين لا يفرق والاطعام يفرق
قوله تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا كقوله تعالى فتحرير
رقبة في الاوجه الثلاثة المتقدمة ومن قبل متعلق بالفعل او الاستقرار
المتقدم اي فيلزمه تحرير او صيام او فعليه كذا من قبل ان يتماسا
والضمير في يتماسا للمظاهر والمظاهر منها لدلالة ما تقدم **فصل**

اعلم

اعلم ان الله تعالى امر بكفارة الظهار مرتبة فلا سبيل الى الصيام
الا عند العجز عن الاعتاق وكذلك لا سبيل الى الاطعام الا عند عدم
الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق الصيام وجب عليه اطعام ستين
مسكينا لكل مسكين مد من طعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن عبد البر والافضل مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم ولا
يجزي عند مالك والشافعي رضي الله عنهما ان يطعم اقل من ستين
مسكينا • وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لو اطعم مسكينا واحدا كل يوم
نصف صاع حتى يكمل العدد اجزاه • وعن احمد رضي الله عنه اذا
لم يجد الا مسكينا واحدا ردد عليه بعدد الايام **فصل**
حكم الظهار هنا ناسخ لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقا وروي ذلك
عن ابن عباس وابي قلابة وغيرهما **قوله** ذلك لتؤمنوا قال
الزجاج ذلك فيه وجهان • الاول انه في محل رفع اي الفرض ذلك الذي
وصفنا من التغليظ في الكفارة لتؤمنوا اي لتصدقوا ان الله
امر به • الثاني فعلنا ذلك للبيان والتعليم للاحكام لتصدقوا بالله
ورسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بشرائعه ولا تستمروا على احكام
الجاهلية من جعل الظهار اقوى انواع الطلاق **فصل** استدل
بعض العلماء على ان هذه الكفارة ايمان بالله تعالى لانه لما ذكرها واوجبها
قال جل ذكره لتؤمنوا بالله ورسوله اي ذلك لتكونوا مطيعين لله
تعالى واقفين عند حدوده لا تتعدوها فسمى التكفير ايمانا لانه طاعة
ومراعاة للحد فثبت ان كل ما اشبهه فهو ايمان **فصل**
معنى قوله تعالى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي لئلا تعودوا للظهار
الذي هو منكر من القول وزور قيل له قد يجوز ان يكون كلاهما مقصودا
فيكون المعنى ذلك لئلا تعودوا فتقولوا المنكر والزور بل تدعونها طاعة
لله سبحانه وتعالى اذ كان قد حرمها ولتجتنبوا المظاهر منها الى ان
يكفر واذ كان الله منع من مسيسها ويكفر واذ كان الله عز وجل امر
بالكفارة والزم اخراجها منكم فتكونوا بهذا كله مؤمنين بالله ورسوله
صلى الله عليه وسلم لانها حدود تحفظونها وطاعات تؤدونها
والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ايمان بالله ورسوله
فصل قال ابن الخطيب استدل من ادخل العمل في مسمى الايمان
بهذه الاية فقال ان الله تعالى امرهم بهذه الاعمال وبين انه انما
امرهم بها ليصيروا بعملها مؤمنين فدل على ان العمل من الايمان ومن
انكر ذلك قال ان الله تعالى لم يقل ذلك لتؤمنوا بالله بعمل هذه الاشيا
ونحن نقول المعنى ذلك لتؤمنوا بالله والاقرار بهذه الاحكام
فصل استدلت المعتزلة باللام في قوله تعالى لتؤمنوا على ان
فعل الله معلل بالغرض وعلى ان غرضه ان تؤمنوا ولا تستمروا على
ما كانوا عليه من الكفر وهذا يدل على انه تعالى اراد منهم الايمان وعدم
الكفر **قوله** وتلك حدود الله اي بين معصيته وطاعته فمعصيته
الظهار وطاعته الكفارة وللكافرين عذاب اليم اي لمن جحد هذا وكذب
به ولم يصدق باحكام الله تعالى عذاب جهنم **قوله تعالى**
ان الذين يحادون الله ورسوله قال المبرد اصل المحادة الممانعة
ومنه قيل للبواب حداد وللممنوع الرزق محدود • وقال ابو مسلم
الاصفهاني المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقاتلة بالحديد
سواء كان ذلك في الحقيقة او كان ذلك منازعة شديدة شبيهة

للخصومة بالحديد **فصل** لما ذكر المومنين الوافقين عند
حدوده ذكر المحادين المخالفين لها • قال المفسرون المحادة
المعاداة المخالفة في الحدود وهو كقوله تعالى ان الذين يشاقون
الله ورسوله وقيل يحادون اي اوليا الله كما في الخبر من اهان لي
وليا فقد بارزني بالمحاربة • قال الزجاج المحادة ان يكون في حد
يخالف حد صاحبك والضمير في قوله يحادون يمكن ان يرجع الى
المنافقين فانهم كانوا يوادون الكافرين ويظاهرونهم على الرسول
صلى الله عليه وسلم فاذلهم الله سبحانه ويحتمل ان يرجع لجميع الكفار
فاعلم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم كبتوا اي خذلوا
قال المبرد رحمه الله تعالى كبت الله فلانا اي اذله والمردود بالذل
يقال له مكبوت • وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا • وقال
قتادة اخزيوا كما اخزي الذين من قبلهم وقال ابن زيد عذبوا وقال الفرا
وقال السدي لعنوا • غيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر وقيل
معنى كبتوا اي سيكبتون وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين
بالنصر واخرج الكلام بلفظ الماضي تقريبا للمخبر عنه وقيل
هي لغة مذحج ويحتمل ان يكون لتحقق وقوعه والمراد بالذين من
قبلهم اعدا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وقد انزلنا ايات
بينات فيمن حاد الله ورسوله من الذين من قبلهم فيما فعلنا
بهم وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم
وكبرهم فبين تعالى ان عذاب المحادين في الدنيا الذل والهوان
وفي الاخرة العذاب الشديد **قوله تعالى** يوم يبعثهم الله
فيه اوجه احدها انه منصوب بعذاب مهين • الثاني انه منصوب
بفعل مقدر فقدره ابو البقا يهانون او يعذبون او استقر ذلك
يوم يبعثهم • وقدره الزمخشري باذكر قال تعظيما لليوم • الثالث
انه منصوب بلهم قاله الزمخشري اي بالاستقرار الذي تضمنه لوقوعه
خبرا • الرابع انه منصوب باحصاه قاله ابو البقا وفيه قلق لان
الضمير في احصاه يعود على عملوا **قوله** جميعا اي الرجال والنسا
اي كلهم لا يترك منهم احدا وقيل مجتمعين في حال واحدة فينبيهم
اي يخبرهم بما عملوا في الدنيا تخجيلا لهم وتوبيخا احصاه الله عليهم في
صحايف اعمالهم ونسوه حتى ذكرهم به في صحايفهم ليكون ابلغ في الحجة عليهم
والله على كل شي شهيد اي شاهد مطلع وناظر لا يخفى عليه شي ثم انه تعالى
اكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال جل ذكره الم تر ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سر ولا علانية **قوله** ما يكون
يكون تامة ومن نجوى فاعلها ومن مزيدة فيه ونجوى في الاصل مصدر
فيجوز ان يكون باقيا على اصله ويكون مضافا لفاعله اي ما يوجد من
تناجي ثلاثة ويجوز ان يكون على حذف اي من ذوي نجوى ويجوز ان يكون
اطلق على الاشخاص المتناجين مبالغة فعلى هذين الوجهين ينخفض ثلاثة
على احد وجهين اما البدل من ذوي المحذوفة واما الوصف لها على
التقدير الثاني واما البدل او الصفة لنجوى على التقدير الثالث
وقرا ابن عبلة ثلاثة وخمسة نصبا على الحال وفي صاحبها وجهان احدهما
انه محذوف مع رافعه تقديره يتناجون ثلاثة وحذف لدلالة نجوى
والثاني انه الضمير المستكن في نجوى اذا جعلناها بمعنى المتناجين
قاله الزمخشري قال مكي ويجوز في الكلام رفع ثلاثة على البدل من موضع
نجوى

نجوى لان موضعها رفع ومن زايدة ولو نصبت ثلاثة على الحال
من الضمير المرفوع اذا جعلت نجوى بمعنى المتناجين جاز في الكلام
قال شهاب الدين ولا يجوز به فيما علمت وهو جايز في غير القران
كما قال واما النصب فقد قري به وكانه لم يطلع عليه **قوله**
الا هو رابعهم الا هو خامسهم الا هو معهم كل هذه الجمل بعد
الا في موضع نصب على الحال اي ما يوجد شي من هذه الاشيا
الا في حال من هذه الاحوال فالاستثنا مفرغ من الاحوال العامة
وقرا ابو جعفر ما تكون بتا التانيث لتانيث النجوى قال
ابو الفضل الا ان الاكثر في هذا الباب التذكير على ما في العامة لانه
مسند الى من نجوى وهو اسم جنس مذكر قال ابن جني التذكير الذي
عليه العامة هو الوجه لوقوع الفاصل بين الفعل والفاعل وهو
كلمة من ولان تانيث النجوى غير حقيقي **قوله** ولا اكثر العامة
على الجر عطفا على لفظ نجوى • وقرا الحسن والاعمش وابن
ابي اسحق وابو حيوة ويعقوب ولا اكثر بالرفع وفيه وجهان احدهما
انه معطوف على موضع نجوى لانه مرفوع ومن مزيدة فيه فان
كان مصدرا كان على حذف مضاف كما تقدم اي من ذوي نجوى وان
كان بمعنى المتناجين فلا حاجة الى ذلك • الثاني انه مبتدا والا هو
معهم خبره فيكون ولا اكثر عطف على المبتدا وحينئذ ولا يكون ولا
ادنى من عطف الجمل لا المفردات وقرا الحسن ويعقوب ايضا
ومجاهد والخليل ولا اكبر بالبا الموحدة والرفع على ما تقدم وزيد
ابن علي ينبيهم بسكون النون من انبا الا انه حذف الهمزة وكسر
الها وقرئ كذلك الا انه باثبات الهمزة وضم الها والعامة بالتشديد يد
من نبا **فصل** النجوى التناجي وهو السرار وهو مصدر يوصف
به يقال قوم نجوى وذوو نجوى قال واذ هم نجوى • قال الزجاج
النجوى مشتقة من النجوة وهي ما ارتفع وتنحى بالكلام المذكور سرا
عن استماع الغير كالارض المرتفعة فانها لارتفاعها جلت عن اتصال الغير
والسواد ما كان بين اثنين **قوله** الا هو رابعهم اي يعلم ويسمع
نجواهم بدليل افتتاح الاية بالعلم فان قيل ما الحكمة في ذكره
سبحانه وتعالى الثلاثة والخمسة واهمل الاربعة • فالجواب
من وجوه الاول ان ذلك اشارة الى كمال الرحمة لان الثلاثة
اذا اجتمعوا فاذا تناجى اثنان منهم بقي الواحد ضايعا وحيدا
فيضيق عليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة
فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه فكانه
تعالى يقول انا جليسك وانيسك وكذا الخمسة اذا اجتمعوا بقي
الخامس وحيدا فريدا الثاني ان العدد الفرد اشرف من الزوج
لان الله تبارك وتعالى وتر يحب الوتر فخص اعداد الفرد بالذكر
تنبيها على انه لا بد من رعاية الامور الالهية في جميع الامور الثالث
ان اقل ما لا بد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة
حتى يكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث
كالحاكم بينهما فحينئذ تكمل المشورة ويتم ذلك الغرض فلهذا السبب
لا بد ان يكون لكل مشورة عدد منهم فرد فذكر الله تعالى الفرد
من الاول لينبه واكتفى بذكر ما يليهما على الباقي • الرابع ان الاية
نزلت في قوم منافقين اجتمعوا على التناجي وكانوا على هذين

العدوين. وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في ربيعة وحبيب بن ابي عمرو وصفوان بن امية كانوا يتحدثون فقال احدهم هل يعلم الله ما نقول وقال الثاني يعلم البعض. الخامس انه في مصحف عبد الله بن عمر ما يكون من نجوى ثلاثة الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اذا اخذوا في التناجي قوله تعالى ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة اي يحاسب على ذلك ويجازي عليه ان الله بكل شيء عليم وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى الاية قيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل فريق من الكفار وقيل فريق من المسلمين لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى فقلنا تبنا الى الله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي. وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون باعينهم فيقول المؤمنون لعلهم بلغهم عن اخواننا وقرابتنا من المهاجرين والانصار قتل او مصيبة او هزيمة ويسوهم ذلك وكثرت شكواهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت الاية وقال مقاتل كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله سبحانه فلم ينتهوا فنزلت. وقال عبد الرحمن ابن زيد بن اسلم كان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله الحاجة ويناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب او بلية او امر فيفزعون لذلك فنزلت. قال ابن الخطيب رحمه الله والاولى ان تكون نزلت في اليهود لانه عز وجل حكى عنهم فقال واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله وهذا انما وقع من اليهود كانوا اذا سلموا على الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك يعنون الموت قوله ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها قوله ويتناجون قرا حمزة وينتجون بغير الف من الانتجاء النجوى على وزن يفتعلون والباقون ويتناجون من التناجي من النجوى ايضا. قال ابو علي والافتعال والتفاعل يجريان مجرى واحدا ومن ثم صححوا ازدوجوا واعتوروا لما كانا في معنى تجاوزوا وتعاودوا وجاء في اذ ادركوا واداركوا قال شهاب الدين ويؤيد قراءة العامة الاجماع على تناجيتم وفلا تتناجوا وتناجوا فهذا من التفاعل لا غير الا ما روي عن عبد الله واصل ينتجون ينتجيون ويتناجيون فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت لالتقائهما او نقول تحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلبت الفا فالتقى ساكنان فحذف اولهما وبقيت الفتحة دالة على الالف قوله بالاثم والعدوان. قرا ابو حيوة بالعدوان

بكسر

بكسر العين والمراد بالاثم والعدوان الكذب والظلم ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم مخالفته. وقرا الضحاك ومعصيات الرسول صلى الله عليه وسلم قوله واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله. قال القرطبي لا خلاف بين اهل النقل ان المراد به اليهود وكانوا اذا سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا السام عليك يعنون الموت كما روت عائشة رضي الله عنها ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم فقالت عائشة رضي الله عنها السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك بالعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في. وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت فانزل الله تعالى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله. وروى انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو فقال بعض العلماء رضي الله عنهم ان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه ان يدخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت او من سآمة ديننا وهو الملال يقال سئم يسأم سآمة وساما. وقال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر

فلما اجزنا ساحة وانتحى

اي لما اجزنا انتحى فزاد الواو. وقال اخرون هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم في عائشة رضي الله عنها فصل في رد السلام على اهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك. وقال مالك رضي الله عنه ليس بواجب فان رددت فقل عليك. وقال بعضهم تقول في الرد علاك السلام اي ارتفع عنك. وقال بعض المالكية تقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة قوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله هذه الجملة التحضيضية في موضع نصب بالقول. ومعنى الاية ان اليهود لعنهم الله لما كانوا يقولون السام عليك ويوهمون انهم يسلمون وكان صلى الله عليه وسلم يرد عليهم بقوله عليكم فاذا خرجوا قالوا لولا يعذبنا الله اي هلا يعذبنا الله بما نقول اي لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول. وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قد يغضبون فلا يعاجلون بغضبهم بالعذاب قوله حسبهم جهنم اي كافيهم جهنم عقابا غدا يصلونها فبئس المصير قوله يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان اي كفعل المنافقين واليهود. قال مقاتل اراد بقوله امنوا المنافقين امنوا بلسانهم وقال عطا يريد الذين امنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل يا ايها الذين امنوا بموسى صلوات الله وسلامه عليه قوله وتناجوا

بالبر والتقوى والمراد بالبر الطاعة وبالتقوى العفاف فيما نهى الله
عنه واتقوا الله الذي اليه تحشرون اي تجمعون بالاخرة **قوله تعالى**
انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا تقدم قراءتا ليحزن بالضم
والفتح في آل عمران وقرئ بفتح اليا والزاي على انه مسند الى الموصول
بعده فيكون فاعلا **فصل** قال ابن الخطيب الالف واللام
في لفظ النجوى لا يمكن ان يكون للاستغراق لان في النجوى ما يكون
من الله ولله بل المراد منه المعهود السابق وهو النجوى بالاثم ليحزن
المؤمنين اذا راوهم متناجين قال المفسرون معنى قوله تعالى انما
النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا اذ توهموا ان المسلمين
اصيبوا في السرايا او اذا راوا اجتماعهم على مكايد المسلمين وربما
كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم فيظن المسلمون انهم ينتقصونهم
عند النبي صلى الله عليه وسلم وليس بضارهم اي التناجي شيئا
الا باذن الله اي بمشيئته وقيل بعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنه
بامره وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يكلون امرهم اليه ويفوضون
جميع شؤونهم الى عونه **فصل** روى ابو عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون
الواحد وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الاخر حتى يختلطوا
بالناس من اجل ان يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهو
ان يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان
يتحدث مع رجل فجاء اخر يريد ان يناجيه فلم يناجيه حتى دعا رابعا
فقال له وللاول تاخرا وناجا الرجل الطالب للمناجاه خرجه في
الموطا ونبه فيه على العلة بقوله من اجل ان يحزنه اي يقع في نفسه
ما يحزن لاجله وذلك بان يقدر في نفسه ان الحديث عنه بما يكره
او انه لم يروه اهلا بان يشركوه في حديثهم الى غير ذلك من القيات
الشيطان واحاديث النفس وحصل ذلك كله من بقائه وحده فاذا
كان معه غيره امن من ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد
فلا يتناجى اربعة دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك
المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير امكن واوقع فيكون بالمنع
اولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه اول عدد يتاتى ذلك فيه
قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وذهب
اليه ابن عمر ومالك والجمهور وسواء كان التناجي في مندوب
او مباح او واجب فان الحزن به وقد ذهب بعض الناس الى ان
ذلك في اول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجون
دون المؤمنين فلما فشى الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم
خاص بالسفر في المواضع التي لا يامن الرجل فيها صاحبه فاما
وبين العمارة فلا لانه يجد من يعينه بخلاف السفر فانه
وعدم الغوث والله اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين
اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الاية وجه التعلق انه تعالى لما نهى
عما يكون سببا للتباغض والتنافر امرهم الان بما يصير
لزيادة المحبة والمودة وقال القرطبي لما بين ان اليهود يحيون
بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب
مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيقوا عليه

فامر

فامر المسلمين بالتعاطف والتالف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا
من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر اليه **فصل**
قال قتادة ومجاهد والضحاك رضي الله عنهم كانوا يتنافسون
في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يفسح بعضهم
لبعض وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا
للحرب قال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قاتل المشركين تشاح اصحابه رضي الله عنهم على الصف الاول
فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون
كقوله تعالى مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم
في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار
فجاء ناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا قبالة النبي صلى
الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام وشق ذلك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم
يا فلان وعرف النبي صلى الله عليه وسلم قم يا فلان بعدد القائمين
من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة
في وجوههم فقال المنافقون والله ما عدل على هؤلاء ان قوما اخذوا
مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطا فنزلت الاية
يوم الجمعة وروي عن ابن عباس قال نزلت الاية في ثابت بن قيس بن
شماس وذلك انه دخل المسجد وقد اخذ القوم مجالسهم وكان يريد
القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر الذي كان في اذنيه
فوسعوا له حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم
وجرى بينهم وبينه كلام ووصف للرسول صلى الله عليه وسلم
محبته للقرب منه ليسمع كلامه وان فلانا لم يفسح له فنزلت هذه
الاية **قوله** تفسحوا في المجالس قرا الحسن وداود بن ابي هند وعيسى
وقتادة تفاسحوا والباقون تفسحوا اي توسعوا والفسحة السعة
وفسح له اي وسع له ومنه قولهم بلد فسيح ولك في كذا فسحة وفسح
يفسح مثل منع يمنع اي وسع في المجلس وفسح يفسح فساحة مثل كرم
يكرم اي صار واسعا ومنه مكان فسيح وقرا عاصم في المجالس
جمعا اعتبارا بان لكل واحد منهم مجلسا والباقون بالافراد اذ
المراد مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وهو احسن من كونه
واحدا اريد به الجمع وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو المصدر اي
تفسحوا في جلوسكم ولا تتضايقوا **فصل** قال القرطبي
الصحيح في الاية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير
والاجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم جمعة وان كل
احد احق بمكانه الذي سبق اليه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سبق الى ما سبق اليه فهو احق به ولكن
يوسع لاخيه ما لم يتاذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه
روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ويجلس فيه اخر ولكن تفسحوا
وتوسعوا وكان ابن عمر يكره ان يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه
وروى ابو هريرة عن جابر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد

فيه ولكن يقول تفسحوا **فصل** اذا قام من مكانه فقعد
فيه غيره نظرنا فان كان الموضع الذي قام اليه مثل الاول
في سماع كلام الامام لم يكره له ذلك وان كان ابعد من الامام
كره له ذلك لان فيه تفويت حظه **فصل** اذا امر رجل
انسانا ان يبكر الى الجامع فياخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فاذا
جا الآمر يقوم من الموضع لان ابن سيرين كان يرسل غلامه الى مجلس
له في يوم الجمعة فيجلس فيه فاذا جا قام له منه وعلى هذا من ارسل
بساطا او سجادة فتبسط له في موضع من المسجد وروى مسلم عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم
وفي حديث ابي هو انه من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو احق به
ذكره القرطبي في تفسيره **قوله** يفسح الله لكم قال ابن الخطيب
هذا مطلق فيما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق
والصدر والقبر والجنة قال ولا ينبغي للعاقل ان يقيد الاية
بالتفسح في المجلس بل المراد منه ايصال الخير الى المسلم وادخال السرور
في قلبه **قوله** واذا قيل انشزوا فانشزوا قرا نافع وابن عامر
وحفص وابو بكر بخلاف عنه بضم شين انشزوا في الحرفين والباقون
بكسرها وهما لغتان بمعنى واحد يقال نشز اي ارتفع ينشز وينشز
كعرش يعرش ويعرش وعكف يعكف ويعكف وقد تقدم الكلام على هذه
في المائدة وفي البقرة **فصل** قال ابن عباس معناه اذا قيل لكم
ارتفعوا فارتفعوا قال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلوة
فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلوة فنزلت وقال
الحسن ومجاهد ايضا اي انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد
والزجاج هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم
يحب ان يكون اخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى
واذا قيل انشزوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فانشزوا فان له حوائج
فلا تمكثوا وقال قتادة معناه اجيبوا اذا دعيتم الى الامر بالمعروف
قال القرطبي هذا هو الصحيح لانه يعم والنشز الارتفاع ماخوذ
من نشز الارض وهو ارتفاعها **قوله** يرفع الله الذين امنوا منكم
بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامهم في مجالسهم
وتوسعهم لاخوانهم وقوله تعالى والذين اوتوا العلم يجوز ان
يكون معطوفا على الذين امنوا فهو من عطف الخاص على العام لان
الذين اوتوا العلم بعض المؤمنين منهم ويجوز ان يكون الذين اوتوا
من عطف الصفات اي يكون الصفتان لذات واحدة كانه قيل
يرفع الله المؤمنين العلما ودرجات مفعول ثان وقد تقدم الكلام
على نحو ذلك في الانعام وقال ابن عباس رضي الله عنه تم الكلام
عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين اوتوا بفعل مضمر اي ويخص الذين
اوتوا العلم بدرجات او ويرفع درجات **فصل** قال المفسرون
في هذه الاية ان الله تعالى رفع المومن على من ليس بمومن والعالم على
من ليس بعالم قال ابن مسعود رضي الله عنه مدح الله العلما في هذه
الاية والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين اوتوا العلم على الذين امنوا
ولم يوتوا العلم درجات في دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقيل كان
اهل الغنى يكرهون ان يزاحمهم من تلبس الصوف فيستبقون
الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب لهم ورأى رسول الله

صلى

١٣٥

صلى الله عليه وسلم رجلا من الاغنيا يقبض ثوبه نفورا من بعض الفقرا
اراد ان يجلس اليه فقال يا فلان اخشيت ان يتعدى غناك اليه او فقره
اليك وبين في هذه الاية ان الرفعة عند الله تعالى بالعلم والايمان
لا بالسبق الى صدور المجالس وقيل اراد بالذين اوتوا العلم قرا
القران وروى يحيى بن يحيى عن مالك رضي الله عنه يرفع الله الذين
امنوا منكم الصحابة والذين اوتوا العلم درجات يرفع الله تعالى بها
العالم والطالب قال القرطبي ثبت في الصحيح ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة فكلموه
في ذلك فدعاهم ودعاه فسالهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح
فسكتوا فقال ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلمه الله اياه فقال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين
حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلاثة
الانبيا ثم العلما ثم الشهدا فاعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة
والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
خير سليمان صلوات الله وسلامه عليه بين العلم والمال والملك
فاختار العلم فاعطي المال والملك معه ومر النبي صلى الله عليه وسلم
بمجلسين في مسجده احد المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه
والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلا
فيدعون الله عز وجل ويرغبون اليه واما هؤلا فيتعلمون الفقه
ويعلمون الجاهل فهؤلا افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة الاية قال ابن عباس رضي الله عنه في سبب
النزول ان المسلمين كانوا يكثرون المسايل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى شقوا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكف كثير من
الناس وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون بالنبي
صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم
في النجوى فشق عليهم ذلك فامرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى
ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم ان المنافقين واليهود
كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع
كلما قيل له وكان لا يمنع احدا مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين
لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم يناجونه بان جموعا اجتمعت لقتاله فانزل
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول الاية فانتهى اهل الباطل عن النجوى لانهم لم يقدموا
بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا من
النجوى لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله تعالى عنهم
بما بعد الاية قال ابن العربي وهذا الخبر يدل على ان الاحكام لا تترتب
بحسب المصالح فان الله تعالى قال ذلكم خير لكم واطهر ثم نسخه مع
كونه خيرا واطهر وهذا رد على المعتزلة في التزام المصالح **فصل**
ظاهر الاية يدل على ان تقديم الصدقة كان واجبا لان الامر للوجوب

ويؤكد ذلك بعده قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
وذلك لا يقال الا فيما يعذر به يريد وجوبه • وقيل كان مندوبا
لقوله تعالى ذلكم خير لكم واطهر وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الواجب
ولانه لو كان واجبا لما ازيل وجوبه بكلام متصل به وهو قوله تعالى
اأشفقتم ان تقدموا الى اخر الاية • واجيب عن الاول المندوب
كما يوصف بانه خير واطهر فكذلك ايضا يوصف به الواجب • وعن
الثاني انه لا يلزم من اتصال الايتين في التلاوة كونهما متصلتين
في النزول كما قيل في الاية الدالة على وجوب الاعتداد اربعة اشهر وعشرا
انها ناسخة للاعتداد بحول ان كان الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ
فصل اختلفوا في مقدار تاخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الاية
فقال الكلبي رحمه الله ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من النهار ثم
نسخ • وقال مقاتل وابن حبان بقي ذلك التكليف عشرة ايام ثم
نسخ لما روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان في كتاب الله لاية ما
عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فاشتريت به عشرة
دراهم وكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي
درهما ثم نسخت فلم يعمل بها احد • وروي عن ابن جريج والكلبي وعطا
عن ابن عباس رضي الله عنهم انهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا
فلم يناجه احد الا علي تصدق بدينار ثم نزلت الرخصة • وقال
ابن عمر لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن
كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها واعطاؤه
الراية يوم خيبر واية النجوى ذلكم خير لكم من امساكها واطهر
لقلوبكم من المعاصي فان لم تجدوا يعني الفقراء فان الله غفور رحيم
روى الترمذي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت
يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة سالني النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت
لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد فنزلت
اأشفقتم ان تقدموا الاية • ومعنى قوله شعيرة من ذهب يعني
قوله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد اي لقليل المال فقدرت على
حسب حالك • قال ابن العربي وهذا يدل على نسخ العبادة قبل
فعلها وعلى النظر في المقدرات بالقياس • قال القرطبي والظاهر
ان النسخ انما وقع بعد فعل الصدقة كما تقدم فصل انكر ابو
مسلم وقوع النسخ وقال ان المنافقين كانوا يمتنعون عن بذل
الصدقات وان قوما من المنافقين تركوا النفاق وامنوا ظاهرا
وباطنا ايمانا حقيقيا فاراد الله ان يميزهم عن المنافقين فامر
بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هؤلاء الذين امنوا عمن بقي على
نفاقه الاصلي فلما كان هذا التكليف لاجل هذه المصلحة المقدرة
بذلك الوقت لا جرم يقدر هذا التكليف بذلك الوقت • قال
ابن الخطيب فحاصل قول ابي مسلم ان ذلك التكليف كان مقدرا
بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء الى تلك الغاية
المخصوصة ولا يكون هذا نسخا وهذا الكلام حسن • والمشهور
عند الجمهور انه منسوخ بقوله اأشفقتم • وقيل منسوخ بوجوب
الزكاة قوله اأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات

هذا استفهام معناه التقرير • قال ابن عباس رضي الله عنه
اأشفقتم اي ابخلتم بالصدقة وقيل خفتم والاشفاق الخوف
من المكروه اي خفتم ابخلتم بالصدقة وشق عليكم ان تقدموا بين
يدي نجواكم صدقات قوله فاذ لم تفعلوا في اذ هذه ثلاثة
اقوال • احدها انها على بابها من المضي والمعنى انكم تركتم ذلك
فيما مضى فتداركوه باقامة الصلوة قاله ابو البقاء • الثاني انها بمعنى
اذا كقوله تعالى اذ الاغلال وتقدم الكلام فيه • الثالث بمعنى ان
الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان الفرق بين اذ واذا معروف
فصل المعنى فان لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم
اي ونسخ الله ذلك الحكم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا
في الصلوة والزكاة وسائر الطاعات وهذا خطاب لمن وجد ما
يتصدق به وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل • قال القرطبي
وما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف لان الله تعالى قال فان لم
تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشيء • فان قيل ظاهر الاية
يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف وبيانه من وجوه الاول
قوله تعالى اأشفقتم ان تقدموا يدل على تقصيرهم • الثاني قوله
تعالى فاذ لم تفعلوا • الثالث قوله عز وجل وتاب الله • فالجواب
قال ابن الخطيب ليس الامر كما قلتم لان القوم لم يكلفوا بان
يقدموا على الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل امروا انهم لو ارادوا
المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة فمن لم يفعل هذا ايضا غير جائز لان
المناجاة لا يمكن الا اذا امكن الرسول صلى الله عليه وسلم من
المناجاة فاذا لم يمكن من ذلك لم يقدروا على المناجاة فعلمنا
ان الاية لا تدل على صدور التقصير منهم فاما قوله تعالى
اأشفقتم فلا يمنع ان الله تعالى علم ضيق صدر كثير منهم عن اعطاء
الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب فقال هذا القول
واما قوله عز وجل وتاب الله عليكم فليس في الاية انه تاب
عليهم من هذا التقصير بل يحتمل انكم ان كنتم تائبين راجعين
الى الله تعالى واقمتم الصلوة واتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا
التكليف قوله والله خبير بما تعملون • روي عن ابي عمرو
وخبير بما يعملون بالياء من تحت والمشهور عنه كالجماعة بتاء
الخطاب والمعنى يحيط باعمالكم ونياتكم قوله تعالى الم تر
الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم • قال قتادة هم المنافقون
تولوا اليهود • وقال السدي ومقاتل هم اليهود ما هم منكم ولا منهم
يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاء ولا من اليهود
والكافرين كما قال تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء ويحلفون على الكذب وهم يعلمون • قال السدي ومقاتل
رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول وعبد الله بن
نبتل المنافقين كان احدهما يجالس رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار
وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق
اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

علام تستمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجا باصحابه
فحلفوا بالله ما شتموه فانزل الله تعالى هذه الاية فقال عز وجل
ويحلفون على الكذب وهم يعلمون انهم كذبة • قال ابن الخطيب
والمراد من هذا الكذب اما ادعاؤهم كونهم مسلمين واما انهم
كانوا يسبون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدون
المسلمين فاذا قيل انكم فعلتم ذلك خافوا على انفسهم من القتل
فيحلفون انهم ما فعلوا ذلك وما فعلوه فهذا هو الكذب الذي
يحلفون عليه وهذه الاية تدل على فساد قول الجاحظ ان الكذب
هو الخبر المخالف لاعتقاد المخبر **قوله** ما هم منكم ولا منهم يجوز
في هذه ثلاثة اوجه • احدها انها مستانفة لا موضع لها من الاعراب
اخبر عنهم بانهم ليسوا من المؤمنين الخلص بل كقوله تعالى مذبذبين
بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فالضمير في ما هم عايد على الذين
تولوا وهم المنافقون وفي منهم عايد على اليهود اي الكافرين الخلص
والثاني انها حال من فاعل تولوا والمعنى على ما تقدم ايضا والثالث
انها صفة ثانية لقوما فعلى هذا يكون الضمير في ما هم عايدا على قوما
وهم اليهود والضمير في منهم عايد على الذين تولوا يعني اليهود ليسوا
منكم ايها المؤمنون ولا من المنافقين ومع ذلك تولاهم المنافقون
قاله ابن عطية الا ان فيه تنافرا لقوله يرجع الضمير في ويحلفون
عايد على الذين تولوا • فعلى الوجهين الاولين تتحد الضماير لعودها
على الذين تولوا وعلى الثالث تختلف كما عرفت • وقوله وهم يعلمون
جملة حالية اي يعلمون انه كذب فيمينهم يمين غموس لا عذر لهم
فيها **قوله** اعد الله لهم عذابا شديدا اي للمنافقين
عذابا شديدا في جهنم وهو الدرك الاسفل من النار وقيل العذاب
الاسفل من النار وقيل عذاب القبر قال ابن الخطيب اذا حملنا هذا على
عذاب القبر وحملنا قوله جل ذكره فلهم عذاب مهين على عذاب الاخرة
لا يلزم منه تكرار انهم ساء ما كانوا يعملون اي لبيست الاعمال اعمالهم
قوله اتخذوا ايمانهم جنة قرا العامة بفتح الهمزة جمع يمين والحسن
وابو العالية بكسرها مصدرا هنا وفي المنافقين اي اقرارهم اتخذوه
جنة يستجنون بها من القتل قال ابن جني هذا على حذف مضاف
اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة من ظهور نفاقهم • وقوله تعالى ايمانهم
جنة مفعولان لاتخذوا **قوله** فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل
وفي الاخرة بالنار وقيل المراد من الكل عذاب الاخرة كقوله عز وجل
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
فصدهم عن سبيل الله المنع عن الاسلام وقيل القاء الاراجيف وتثبيط
المسلمين عن الجهاد **قوله** لن تغني عنهم تقدم الكلام عليه في ال
عمران قال مقاتل ان المنافقين قالوا ان محمدا يزعم انه ينصر يوم القيمة لقد
شقينا اذن فوالله لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا
ان كانت قيامة فنزلت الاية **قوله تعالى** يوم يبعثهم الله جميعا
اي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون لكم
اليوم قال ابن عباس يحلفون لله تعالى يوم القيمة كذبا كما حلفوا لكم
في الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون انهم على شيء بايمانهم
وحلفهم قال ابن زيد ظنوا انهم ينفعهم في الاخرة وقيل يحسبون
في الدنيا انهم على شيء لانهم في الاخرة يعلمون الحق باضطرار والاول

والمعنى

• والمعنى انهم لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيمة انهم يمكنهم ترويج
كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب • والية الاشارة بقوله تعالى ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه • قال القاضي والجبائي ان اهل الاخرة لا يكذبون
فالمراد من الاية انهم يحلفون في الاخرة انا ما كنا كافرين عند انفسنا وعلى
هذا الوجه لا يكون الحلف كذبا • وقوله تعالى الا انهم هم الكاذبون يعني
في الدنيا • قال ابن الخطيب وتفسير هذه الاية على هذا الوجه يقتضي ال
ركاكة عظيمة في النظم وقد استقصينا هذه المسئلة في سورة الانعام
عند قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين • روى ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيمة
اين خصماء الله تعالى فيقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة اعينهم
مائل شقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا
ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك الها • قال ابن عباس صدقوا
والله اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون انهم على شيء
الا انهم هم الكاذبون والله القدرية ثلاثا **قوله** استحوذ جاء به
على الاصل وهو فصيح استعمالا وكذا شذ قياسا وقد اخرجه عمر رضي الله
عنه على القياس فقرا استحاذ كاستقام وتقدمت هذه المادة في النساء
في قوله الم نستحوذ • قال الزجاج استحوذ في اللغة استولى يقال
حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها • وقال المبرد استحوذ على
الشيء حواه واحاط به قيل المعنى غلب عليهم الشيطان بوسوسته
في الدنيا وقيل قوي عليهم فانساهم ذكر الله اي اوامره في
العمل بطاعته • وقيل زواجره في النهي عن معصيته والنسيان
قد يكون بمعنى الغفلة ويكون بمعنى الترك والوجهان محتملان ههنا
اولئك حزب الشيطان طايفته ورهطه الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون في بيعهم لانهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى بالضلالة
فصل احتج القاضي بهذه الاية في خلق الاعمال من وجهين • الاول
ان ذلك النسيان لو حصل بخلق الله تعالى لكانت اضافتها الى الشيطان
كذبا • الثاني لو حصل ذلك بخلق الله لكانوا كالمؤمنين في كونهم حزب
الله لا حزب الشيطان **قوله** ان الذين يحادون الله ورسوله
تقدم اول السورة اولئك في الاذلين اي من جملة الاذلاء لا اذل
منهم لانه اذا كان احد الخصمين يدل على عز الخصم الثاني فلما كانت عزة الله
تعالى غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية ايضا **قوله**
كتب الله لاغلبن يجوز ان يكون كتب جرى مجرى القسم فاجيب بما
يجاب به • وقال ابو البقاء وقيل هي جواب كتب لانه بمعنى قال
وهذا ليس بشيء لان قال لا يقتضي جوابا فصوابه ما تقدم • ويجوز
ان يكون لاغلبن جواب قسم مقدر وليس بظاهر **فصل** قال
المفسرون كتب الله اي قضى الله ذلك • وقيل كتب في اللوح المحفوظ
قاله قتادة • وقال الفراء كتب بمعنى قال • وقوله انا توكيد ورسلي
من بعث منهم بالحرب فان الرسول بالحرب غالب ومن بعث منهم بالحجة
ايضا فاذا انضم الى الحجة الغلبة بالحرب كان اغلب
واقوى • قال مقاتل قال المؤمنون لين فتح الله لنا مكة والطايف
وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال
عبد الله بن ابي سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها

والله انها لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن
انا ورسلي تكثيره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون قوله ورسلي قرا نافع وابن عامر بفتح اليا
والباقون لا يحركون قال ابو علي التحريك والاسكان جميعا حسنان
وقوله تعالى ان الله قوي عزيز قوي على نصرة انبيايه عزيز غالب لا
يدافعه احد عن مراده قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله يجوز ان يكون التعدية
لواحد بمعنى صادف ووجد فيكون يوادون حالا او صفة لقوما
ومعنى يوادون اي يحبون ويوالون من حاد الله ورسوله وقد
تقدم الكلام على المحادة والمعنى انه لا يجتمع الايمان مع ودادة
اعدا الله فان قيل اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم
ومعاشرتهم فما هذه المعادة المحرمة فالجواب ان المودة المحرمة
هي ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا فاما سوى ذلك فلا
حظر فيه قوله ولو كانوا اباهم هذه واو الحال وقدم اولا الابا
لانهم تجب طاعتهم على ابنايهم ثم ثنى بالابنا لانهم اعلق بالقلوب
وهم حباتها قال الحماسي

وانما اولادنا بيننا ۞ اكبادنا تمشي على الارض

ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع قال

اخاك اخاك ان من لا اخا له ۞ كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه ۞ وهل ينهض البازي بغير جناح

ثم ربع بالعشيرة لان بها يستعان وعليها يعتمد قال

لا يسالون اخاهم حين يندبهم ۞ في النائبات برهانا

وقرا ابو رجا عشيراتهم بالجمع كما قراها ابو بكر في التوبة كذلك
فصل لما بالغ في المنع من هذه المودة في الاية الاولى من حيث
ان المودة مع الايمان لا يجتمعان بالغ ههنا ايضا من وجوه وهي
قوله تعالى ولو كانوا اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم والمعنى
ان الميل الى هولا اعظم انواع المحبة ومع هذا فيجب ان يكون هذا
الميل مطرحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
هذه الاية في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح
يوم احد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام
ابن المغيرة يوم بدر وابي بكر رضي الله عنه قال ابن جريج حدثت
ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه ابو بكر رضي الله
عنه صكة سقط منها على وجهه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فقال او فعلته لا تعد اليه فقال والذي بعثك
بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته ومصعب بن عمير
قتل اخاه عبيد بن عمير وعلي بن ابي طالب وحمزة وعبيدة
رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر
اخبر ان هولا لم يوادوا اقاربهم وعشايرهم غضبا لله تعالى ودينه
فصل قال القرطبي استدل مالك رحمه الله بهذه الاية
على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال اشهب عن مالك
لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقول الله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله قال القرطبي وفي
معنى اهل القدر جميع اهل الظلم والعدوان وعن الثوري رحمه الله

انه قال

انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز
ابن ابي داود انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلا هذه
الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لكافر
عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر الاية قوله اولئك كتب قرا العامة كتب مبنيا للفاعل وهو
الله سبحانه وتعالى الايمان نصبا وابو حيوة وعاصم في رواية المفضل
كتب مبنيا للمفعول الايمان رفع به والضمير في منه لله تعالى وقيل
يعود على الايمان لانه روح تحيى به المؤمنين في الدارين قاله السدي
اي ايدهم بروح من الايمان يدل عليه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا فصل معنى كتب الايمان اي خلق في قلوبهم
التصديق يعني من لم يوال من حاد الله وقيل اثبت قاله الربيع
ابن انس وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا
وقوله تعالى فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة وقيل كتب
ومنه الكتيبة اي لم يكونوا ممن يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض
وقيل كتب في قلوبهم اي على قلوبهم كقوله تعالى في جذوع النخل وخص
القلوب بالذكر لانها موضع الايمان قوله وايدهم اي
قواهم ونصرهم بروح منه قال الحسن بنصر منه قال ابن عباس نصرهم
على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لانه به يحيى امرهم وقال
الربيع بن انس رضي الله عنه بالقران وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان
وهدى وقيل برحمة الله وقيل ايدهم بجبريل صلوات الله وسلامه
عليه قوله ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
رضي الله عنهم اي قبل اعمالهم ورضوا عنه فرحوا بما اعطاهم اولئك
حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وهذه في مقابلة قوله
تعالى اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
وهذه الاية زجر عن التودد الى الكفار والفساق والله سبحانه
وتعالى اعلم بالصواب روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيمة

سورة الحشر مدنية

في قول الجميع وهي اربع وعشرون اية واربع ماية وخمس واربعون
كلمة والف وتسع ماية وثلاثة حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم تقدم نظيره قوله هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة
الحشر قال قل سورة النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون
صلوات الله وسلامه عليه نزلوا بالمدينة في فتن بني اسرايل انتظارا
لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان من امرهم ما نص الله عليه قوله
من اهل الكتاب يجوز ان يكون من للبيان فيتعلق بمحذوف
اي اعني من اهل الكتاب والثاني انها حال من الذين كفروا وقوله
تعالى من ديارهم يتعلق باخرج ومعناها ابتدا الغاية وصحت اضافة
الديار اليهم لانهم انشوها قوله لاول الحشر هذه اللام متعلقة
باخرج وهي لام التوقيت كقوله تعالى لدلوك الشمس اي عند اول الحشر

قال الزمخشري وهي كاللام في قوله يا ليتني قدمت لحياتي • وقوله
جئت لوقت كذا ونسيا في الكلام على هذه اللام في سورة الفجر ان شاء
الله تعالى **فصل** قال القرطبي الحشر الجمع وهو على اربعة
اضرب حشران في الدنيا وحشران في الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله
تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر
قال الزهري كانوا سبط لم يصبهم جلاء وكان الله عز وجل قد كتب
عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان اول حشر حشروا
في الدنيا الى الشام • قال ابن عباس وعكرمة من شك ان المحشر
بالشام فليقرأ هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا
قالوا الى اين قال الى ارض المحشر • قال قتادة هذا اول الحشر قال
ابن عباس هم اول من حشر من اهل الكتاب واخرج من داره وقيل
انهم خرجوا الى خيبر وان معنى لاول الحشر اخراجهم من حصونهم الى خيبر
واخره اخراج عمر اياهم من خيبر الى نجد واذرعات وقيل تيماء واريحا
وذلك بكفرهم ونقض عهدهم • واما الحشر الثاني فحشرهم قرب
القيامة • قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب
تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من تخلف
منهم وهذا ثابت في الصحيح وذكروا ان تلك النار ترى بالليل ولا
ترى بالنهار • قال ابن العربي للحشر اول واخر ووسط فالاول
اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء خيبر والاخر حشر يوم القيامة • وعن
الحسن هم بنو قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما
حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي **فصل** قال الكيا الطبري
ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لا يجوز الان وانما
كان ذلك في اول الاسلام ثم نسخ والان فلا بد من قتالهم او سبيهم
او ضرب الجزية عليهم **قوله** ما ظننتم ان يخرجوا لعظم امر اليهود
لعنهم الله ومنعتهم وقوتهم في صدور المسلمين واجتماع كلمتهم • وقوله
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم • قال ابن عباس رضي الله عنه ان المسلمين
ظنوا انهم لعزهم وقوتهم لا يحتاجون الى ان يخرجوا من ديارهم
قيل المراد بالحصون الوطيح والنطاة والسلالم والكتيبة **قوله**
مانعتهم حصونهم فيه وجهان • احدهما ان يكون حصونهم مبتدا
ومانعتهم خبر مقدم والجملة خبر انهم لا يقال لم لا يقال مانعتهم مبتدا
لانه معرفة وحصونهم خبره ولا حاجة الى تقديم ولا تاخير لان القصد الاخبار
عن الحصون ولان الاضافة غير محضة فهي نكرة • الثاني ان يكون
مانعتهم خبر انهم وحصونهم فاعل به نحو ان زيدا قايم ابوه وان عمرا
قايمة جاريته وجعله ابو حيان اولى لان في نحو قايم زيد على ان يكون
خبرا مقدما ومبتدا موخرا خلافا والكوفيون يمنعونه فحمل الوفاق
اولى • فان قلت فاي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم
او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت بتقديم الخبر على المبتدا
دليل على فرط وثوقهم ومنعها اياهم وفي تغيير ضميرهم اسما لان
واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة
لا يبالى معها باحد متعرض لهم وليس ذلك في قولك حصونهم تمنعهم
انتهى وهذا الذي ذكره انما ياتي على الاعراب الاول وقد تقدم
انه مرجوح • وتسلط الظن هنا على ان المشددة والقاعدة انه لا يعمل
ولان المخففة منها الا فعل علم وتعين اجراؤه مجرى اليقين لشدته



وقوته انه بمنزلة العلم • وقوله من الله اي من امره **قوله** فاتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا • قال الزمخشري وقرئ فاتاهم الهلاك اي اتاهم امره
وعذابه من حيث لم يحتسبوا اي لم يظنوا وقيل من حيث لم يعلموا وقال
ابن جريج والسدي وابو صالح من حيث لم يحتسبوا بقتل كعب بن الاشرف
وكانوا اهل حلقة وسلاح وقصور منيعة فلم يمنعهم شيء منها وقيل
الضمير في فاتاهم الله يعود الى المؤمنين اي فاتاهم نصر الله وتقويته
قوله وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف
وكان الذي قتله محمد بن مسلمة وابو نايلة سلكان بن سلامة بن وقش
وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة وخبره مشهور في السيرة • قال
اهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته
فيه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف اللحم قذفا لاكتنازه
وتداخل اجزايه وهذه الاية تدل على ان الامور كلها من الله تعالى لان
الاية دلت على وقوع ذلك الرعب صار سببا في اقدامهم على بعض
الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متوكدة
في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله تعالى فكانت الافعال
باسرها مستندة الى الله تعالى بهذا الطريق **قوله** يخربون
بيوتهم يجوز ان يكون مستانفا للاخبار وان يكون حالا من ضمير قلوبهم
وليس بذاك • وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد والباقون بالتخفيف
وهما بمعنى لان خرب عداه ابو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة وعن
ابي عمرو انه فرق بمعنى اخر فقال خرب بالتشديد هدم وافسد واخرب
بالهمزة ترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو قول الفرا قال المبرد
ولا اعلم لهذا وجها ويخربون من خرب المنزل واخربه صاحبه كقوله
علم واعلم وقام واقام واذا قلت يخربون بيوتهم من التخريب فانما
هو لتكثير لان ذكر بيوتا يصلح للتقليل والتكثير • وزعم سيبويه انهما
متعاقبان في بعض الكلام فيجري كل واحد مجرى الاخر نحو فرحته وافرحته
قال الاعشى واخربت من ارض قومي ديارا • واختار الهذلي قراءة ابي عمرو
لاجل التكثير • ويجوز ان يكون يخربون تفسيرا للرعب فلا محل له ايضا
قال ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاحزاب ترك الشيء خرابا
بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم
يويده قوله تعالى بايديهم وايدي المؤمنين • قال
قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود
من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم • وقال مقاتل ان المنافقين ارسلوا
اليهم ان لا تخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون ساير الجوانب
وقيل ان المسلمين اذا ظهروا على درب من دروبهم خربوه وكان اليهود
يتاخرون الى ما وراء بيوتهم وينقبونها من ادبارها • وقيل ان المسلمين
كانوا يخربون ظواهر البلد واليهود لما ايقنوا بالجلاء فكانوا ينظرون
الى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه والباب فيهدمون بيوتهم
وينزعونها ويحملونها على الابل • فان قيل ما معنى تخريبهم لها بايدي
المؤمنين فالجواب لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم
امروهم به وكلفوهم اياه • وقال الزهري يخربون بيوتهم بنقض
المواعدة وايدي المؤمنين في اجلائهم عنها **قوله** فاعتبروا يا اولي الابصار والاعتبار
ماخوذ من العبور والمجاوزة من شيء الى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة
لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي علم التعبير لان صاحبه ينتقل من

التخيل الى المعقول • وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني عن
لسان القايل الى عقل المستمع • ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه
ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ولهذا قال المفسرون
الاعتبار هو النظر في حقايق الاشيا وجهات دلالاتها ليعرف بالنظر
فيها شي اخر من جنسها • وقوله عز وجل يا اولي الابصار قال ابن عباس
يريد اهل اللب والعقل والبصاير • وقال الفرا يا من عاين تلك
الوقايع والابصار جمع البصر ومن جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا
بالحصون من الله فانزلهم الله تعالى منها وسلط عليهم من كان ينصرهم
وانهم هدموا اموالهم بايديهم ولم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه واستدل
الاصوليون بهذه الاية على وجوب العمل بالقياس ولولا ان كتب الله
عليهم الجلا العامة على مده وهو الاخراج يقال اجليت القوم اجلا
هو جلا • وقال الماوردي الجلا اخص من الخروج لانه لا يقال الا للجماعة
والاخراج يكون للجماعة والواحد • وقال غيره الفرق بينهما ان الجلا ما كان
مع الاهل والولد بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك • وقرا الحسن وعلي
ابنا صالح الجلا بالف فقط وطلحة مهموزا من غير الف كالنبا والمعنى انه
لولا قضى انه سيجليهم عن ديارهم وانهم يبقون مدة فيومن بعضهم ويولد
لهم من يومن لعذبهم في الدنيا اي بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة
والجلا مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه جلا واجلا غيره اجلا • واما قوله
ولهم في الاخرة عذاب النار فهو كلام مبتدا غير معطوف على ما قبله اذ
لو كان معطوفا على ما قبله لزم ان لا يوجد لان لولا تقتضي انتفا الجزا
لحصول الشرط **قوله** ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اي عادوه
وخالفوا امره ومن يشاق الله • قرا طلحة بن مصرف ومحمد بن السميفع
بالفك كالمتفق عليه في الانفال وادغم الباقون والمقصود من الاية
الزجر **قوله** ما قطعتم من لينة ما شرطية في موضع نصب بقطعتم
ومن لينة بيان له وفباذن الله جزا الشرط فلا بد من حذف اي فقطعها
باذن الله فيكون باذن الله الخبر لذلك المبتدا • واللينة فيها اقوال
كثير قيل هي النخلة مطلقا • وانشد

كان قتودي فوقها عش طاير • على لينة سوقا يهفو جنوبها

وقال ذو الرمة •

طراق الخوافي واقع فوق لينة • بدى ليله في ريشه يترقرق

وقيل هي النخلة ما لم تكن عجوة قاله الزهري ومالك وسعيد بن جبير
وعكرمة والخليل وقيل ما لم تكن عجوة ولا برنية وهو قول ابي عبيدة
وقال جعفر بن محمد هي العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا
مع نوح في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث
كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي • وقيل هي النخلة
الكريمة اي القريبة من الارض وانشد الاخفش

قد شجاني الحمام حين تغنى • بفراق الاحباب من فوق لينة

وقال سفيان هو ضرب من النخل يقال لثمرة اللون تمرة اجود التمر
وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس
منها احب اليهم من وصيف وقيل هي الفسيلة لانها الين من النخلة
وانشد • غرسوا لينة بمجرى معين • ثم حفوا النخيل بالاكمام
وقيل اللينة هي الاشجار كلها للينها بالحياة وانشد بيت ذي الرمة
المتقدم • وقال الاصمعي انها الدقل قال واهل المدينة لا تنتفخ

حتى توجد الالوان يعنون الدقل • قال ابن العربي والصحيح ما قاله
الزهري ومالك • وفي عين لينة قولان • احدهما انها واو لانها من اللون
وانما قلبت يا لسكونها وانكسار ما قبلها كديمة وقيمة • الثاني
انها يا لانها من اللين وجمع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمرة
وتمر وقد كسر على ليان وهو شاذ لان تكسير ما يفرق بتا التانيث
شاذ كرطبة ورطب وارطاب وانشد

وسالفة كسحوق الليان • اضرم فيه الغوي السعر

والضمير في تركتموها عايد على معنى ما **قوله** قايمة قرا عبد الله
والاعمش وزيد بن علي قوما على وزن ضرب جمع قايم مراعاة لمعنى
فانه جمع • وقرا عبد الله ما قطعتم من لينة ولا تركتم قوما على
اصولها لم تقطعوها • وقرى قايما مفردا مذكرا • وقوله اصولها
وقري اصلها بغير واو وفيه وجهان • احدهما انه جمع اصل نحو
رهن ورهن • والثاني ان يكون حذف الواو استثقالا لها واكتفى
بالضمة عن الواو **فصل** روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما نزل من النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم
واحراقها فجزع اعدا الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك
تريد الصلاح افمن الصلاح قطع الشجر وعقر النخل وهل وجدت فيما
زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم
وخشوا ان يكون ذلك فسادا • واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا
تقطعوا فانها مما افا الله علينا • وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها
فانزل الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه
من الاثم • وروى ابن عمر رضي الله عنه قال حرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزل ما قطعتم من لينة
او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله اخبر في هذه الاية ان ما
قطعوه وما تركوه فباذن الله اي بامره وليخزي الفاسقين • واللام
في ليخزي متعلقة بمحذوف اي وليخزي اذن في قطعها ليسر المومنين
ويعزهم وليخزي **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان حصون الكفرة
وديارهم يجوز هدمها وتحريقها وتغريقها وتخريبها وان ترمى بالمجانيق
وكذلك اشجارهم • وعن ابن مسعود رضي الله عنه انهم قطعوا منها ما كان
موضعا للقتال • روي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والاخر
اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه تركتها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال هذه قطعتها غيظا للكفار واستدلوا به على
جواز الاجتهاد بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم قال الماوردي في هذه الاية
دليل ان كل مجتهد مصيب • وقال الكيا الطبري وان كان الاجتهاد يبعد
في مسلة مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا شك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من
تقريره فقط • قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضور النبي صلى الله عليه وسلم وانما
يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم
الادلة الكفار ودخولا في الاذن للكل فيما يقضي عليهم بالبوار وذلك
قوله عز وجل وليخزي الفاسقين **قوله** ما افا الله على رسوله قال
المبرد يقال فا يفي اذا رجع وافاه الله اذا رده • وقال الازهري الفي
ما رده الله على اهل دينه بلا قتال اما بان يجلوا عن اوطانهم ويخلوها

للمسلمين ويصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم او مال غير الجزية
يحقنون به من سفك دمائهم كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ان لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاؤوا سوى
السلاح وتركوا الباقي فهذا المال هو الفيء وهو ما افاء الله على المسلمين
اي رده من الكفار على المسلمين • وقوله منهم اي يهود بني النضير **قوله**
فما اوجفتم الفا جواب الشرط او زائدة على انها موصولة متضمنة
معنى الشرط وما نافية والايجاف حمل البعير على السير السريع يقال
وجف البعير والفرس اذا اسرع يجف وجفا ووجيفا ووجفانا
واوجفته انا الجأته اي حركته واتعبته • قال العجاج
• ناج طواه الاين مما وجفا • وقال نصيب
• الا رب ركب قد قطعت وجيفهم اليك ولولا انت لم يوجف الركب •
قوله من خيل زائدة اي خيلا • والركاب الابل واحدها
راحلة ولا واحد لها من لفظها • قال ابن الخطيب والعرب
لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس
فارسا • والمعنى لم يتعطوا اليها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة
وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفرا فمشوا اليها مشيا ولم
يركبوا خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل
حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا • قال ابن الخطيب ان الصحابة
طلبوا من الرسول عليه الصلوة والسلام ان يقسم الفيء بينهم كما
قسم الغنيمة بينهم فذكر الله الفرق بين الامرين وان الغنيمة
هي التي اتعبتم انفسكم في تحصيلها • واما الفيء فلم توجفوا عليه
بخيل ولا ركاب فكان الامر فيه مفوضا الى النبي صلى الله عليه وسلم
يضعه حيث يشا وههنا سوال وهو ان اموال بني النضير
اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وصالحوا على
على الجلا فوجب ان تكون تلك الاموال من جملة الغنايم لا من جملة الفيء
فلهذا السوال ذكر المفسرون ههنا وجهين • الاول ان هذه الاية
ما نزلت في قرى بني النضير لانهم اوجفوا عليه بالخيل والركاب
وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بل هي في فدك
لان اهل فدك انجلوا عنه فصارت تلك القرى والاموال التي في يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حرب فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ياخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي
في السلاح والكراع فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعت فاطمة
رضي الله عنها انه كان نحلها فدك فقال لها ابو بكر رضي الله عنه انت
اعز الناس علي فقرا واحبهم الي غنى لكني لا اعرف صحة قولك ولا
يجوز لي ان احكم بذلك فشهدت لها ام ايمن ومولى الرسول صلى الله عليه
وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذي تجوز شهادته في الشرع فلم يكن
فاجرى ابو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق
منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما يبقى في السلاح والكراع
وكذلك عمر رضي الله عنه في يد علي رضي الله عنه يجريه على هذا المجرى
ورد ذلك في آخر عهد عمر رضي الله عنه وقال ان بي غنى وللمسلمين
اليه حاجة وكان عثمان رضي الله عنه يجريه كذلك ثم عاد الى علي رضي الله
عنه فكان يجريه على هذا المجرى والائمة الاربعة رضي الله عنهم اتفقوا
على ذلك • والقول الثاني ان هذه الاية نزلت في بني النضير وقراهم
وليس

وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة
كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشاة ولم يركب
الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كانت المقاتلة قليلة والخيل
والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة
اصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال فروي
انه صلى الله عليه وسلم قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار
منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ابو دجانة • وسهل بن حنيف •
والحرث بن الصمة • قال بعض العلما لما ترك ابو النضير ديارهم
واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم فيها حظ كالغنايم فبين
الله تعالى انها فيء وكان قد جرى بعض القتال لانهم حوصروا
اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلا ولم يكن قتال على التحقيق
بل جرى مبادي القتال وجرى الحصار وخص الله تعالى تلك الاموال
برسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه
اعلمهم الله تعالى وذكرهم انه انما نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله يسلط رسله على من يشا اي
من اعدايه وفي هذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم دون اصحابه رضي الله عنهم **قوله**
ما افاء الله قال الزمخشري لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها
بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها • قال ابن عباس رضي الله عنه
هي قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة اميال من
المدينة وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله تعالى لرسوله صلى
الله عليه وسلم وبين ان في ذلك المال الذي خصه الله تعالى بالرسول
صلى الله عليه وسلم سهمانا لغير الرسول صلى الله عليه وسلم نظرا
منه لعباده **فصل** قال ابن الخطيب اجمعوا على ان المراد
بذي القربى بنوا هاشم وبنوا المطلب • وقال القرطبي وقد تكلم
العلما في هذه الاية والتي قبلها على معناهما واحد او مختلف والاية
التي في الانفال فقال بعضهم انه قوله تعالى ما افاء الله على رسوله
من اهل القرى منسوخ باية الانفال من كون الخمس من سمي له والاخماس
الاربعة لمن قاتل وكان في اول الاسلام يقسم الغنيمة على هذه
الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شيء وهذا قول يزيد بن رومان
وقتادة وغيرهما ونحوه عن مالك رضي الله عنه • وقال قوم ما غنم
بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب فيكون لمن سمى الله فيه فيئا • الاول
للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة اذا اخذ منه حاجته كان الباقي
في مصالح المسلمين • وقال معمر الاول للنبي صلى الله عليه وسلم والثانية
هي الجزية والخراج للاصناف المذكورة فيه • والثالث الغنيمة في
سورة الانفال للغانمين • وقال الشافعي رضي الله عنه وبعض العلما
ان معنى الايتين واحد اي ما حصل من اموال الكفار بغير قتال
قسم على خمسة اسهم اربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ايضا وسهم لذوي القربى وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب لانهم
منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين
وسهم لابن السبيل • واما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالذي كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعي
رضي الله عنه في قول الى المجاهدين والمرصدين للقتال في الثغور لانهم

القايمون مقام الرسول صلى الله عليه وسلم • وفي قول اخر
يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبنا القناطر
يقدم الاهم فالاهم وهذا في اربعة اخماس الفي • فاما السهم الذي
كان له من خمس الفي والغنيمة فهي لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله
عليه وسلم بلا خلاف كما قال صلى الله عليه وسلم ليس لي من غنايمكم
الا الخمس والخمس مردود فيكم وكذلك ما خلفه من المال غير موروث
بل هو صدقة عنه يصرف في مصالح المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم
انا لا نورث ما تركناه صدقة • وقيل كان مال الفي لنبيه صلى الله
عليه وسلم لقوله تعالى ما افا الله على رسوله فاضافه اليه غير انه
كان لا يتاثل مالا انما كان ياخذ بقدر حاجة عياله ويصرف الباقي
في مصالح المسلمين • قال ابن العربي لا اشكال انها ثلاثة معان في ثلاث
ايات • فالاية الاولى وهي قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم لاول الحشر • ثم قال تعالى وما افا الله على رسوله
يعني من اهل الكتاب معطوفا عليهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب
يريد كما بينا فلا حق لكم فيه ولذلك قال عمر كانت خالصة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني بني النضير وما كان مثلها فهذه اية واحدة
ومعنى متحد الاية الثانية قوله تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى
فلله وللرسول • وهذا كلام مبتدا غير الاول لمستحق غير الاول
وسمى الاية الثالثة اية الغنيمة ولا شك انه معنى اخر باستحقاق اخر
لمستحق ثاني بيان الاية الاولى والثانية اشتركا في ان كل واحدة منهما
تضمنت شيا افاه الله على رسوله واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير
قتال واقتضت اية الانفال انه حاصل بقتال وعريت الثالثة وهي
قوله تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال او بغير
قتال فنشا من ههنا الخلاف فقالت طايفة هي ملحقة بالاولى وهو مال الصلح
كله ونحوه وقالت طايفة هي ملحقة باية الانفال وهولا اختلفوا هل هي
منسوخة كما تقدم او محكمة • قال القرطبي والحاقها بالتي قبلها اولى لان
فيه تجديد فايدة ومعنى • وقد قيل ان سورة الحشر نزلت بعد
الانفال ومن المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر **فصل** الاموال
التي للايمة والولاة فيها مدخل ثلاثة اضرب • الاول ما اخذ من المسلمين
على طريق التطهير لهم كالصدقات والزكوات • والثاني الغنايم وهو
ما يحصل في ايدي المسلمين من اموال الكفار بالحرب والقهر والغلبة
والثالث الفي وهو ما رجع للمسلمين من اموال الكفار عفوا من
غير قتال ولا ايجاف كالصلح والجزية والخراج والعشور والماخوذ من
تجار الكفار ومثل ان يهرب المشركون ويتركون اموالهم او يموت منهم
احد في دار الاسلام لا وارث له • فاما الصدقة فمصرفها الفقرا والمساكين
والعاملين عليها حسب ما ذكره في سورة براة • واما الغنايم فكانت
في صدر الاسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما شا كما قال في
الانفال قل الانفال لله والرسول • ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما
غنمتم من شي الاية وقد مضى • واما الفي وقسمته وقسمة الخمس
قال القرطبي والامر فيهما عند مالك الى الامام فان راى حبسها لنوازل
المسلمين وان راى قسمها كلها او قسم احدهما بين الناس ويسوي فيه
عربيهم ومولاهم ويبدا بالفقرا من رجال ونسا ويعطي ذوي القربى من
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفي سهمهم على ما يراه الامام وليس
لهم

لهم حد معلوم • وهل يعطى لغني منهم فاكثر الناس على اعطايه لانه حق لهم
وقال مالك رضي الله عنه لا يعطى منهم غير فقرايهم لانه جعل لهم عوضا
من الصدقة • وقال الشافعي رضي الله عنه ان ما حصل من اموال الكفار
بغير قتال كان يقسم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين
سهما عشرون سهما للنبي صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما شا والخمس
يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة • قال ابو جعفر احمد بن نصر
الداودي وهذا القول ما سبقه به احد علمناه بل كان ذلك
خالصا له كما ثبت في الصحيح عن عمر مبينا للاية ولو كان هذا
لكان قوله خالصة يوم القيامة يجوز ان يشركهم فيها غيرهم **فصل**
وتقسم هذه الاموال المتقدم ذكرها في البلد الذي جبي فيه ولا ينقل
عن ذلك البلد الذي جبي فيه فاقه شديده فينتقل الى اهل
الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر رضي الله عنه في اعوام الرمادة وكانت
خمسة اعوام او ستة • وقيل عامين • وقيل عام فيه اشتد الطاعون
مع الجوع وان لم يكن ما وصفنا وراى الامام ايقاف الفي اوقفه
لنوايب المسلمين ويبدا بمن هو ابوه فقير والفي حلال للاغنيا
ويساوي بين الناس فيه الا انه يوثر اهل الحاجة والفاقة والتفضيل
فيه انما يكون على قدر الحاجة ويعطي فيه الغرما ما يودون به ديونهم
ويعطي منه الجايزة والصلة ان كان ذلك اهلا وترزق القضاة
والحكام ومن فيه منفعة للمسلمين واولاهم بتوفير الحظ منهم اعظمهم
للمسلمين نفعا ومن اخذ من الفي شيا في الديوان كان عليه ان يغزو اذا
وقع الغزو **قوله** كي لا يكون دولة • قرا هشام تكون بالتا والياء
دولة بالرفع فقط • والباقون بالياء من تحت ونصب دولة • فاما
الرفع فعلى ان كان التامة واما التذكير والتانيث فواضحان
لان تانيث مجازي واما النصب فعلى انها الناقصة واسمها
ضمير عايد على الفي والتذكير واجب لتذكر المرفوع ودولة خبرها
وقيل دولة عايد عليها اعتبارا بلفظها • وقرا العامة دولة بضم
الدال وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه والسلمي بفتحها فقيل هما
بمعنى وهو قول عيسى بن عمر ويونس والاصمعي وهو ما يدول للانسان
اي ما يدور من الجد والغنا والغلبة • وقال الحذاق من البصريين
والكسايي الدولة بالفتح من الملك بفتح الميم وبالضم من الملك بكسرها
او بالضم في المال وبالفتح في النصرة وهذا يرده القراة المروية
عن علي والسلمي فان النصرة غير مرادة قطعا وكي لا علة لقوله
تعالى فلله وللرسول اي استقراره لكذا لهذه العلة • قال المبرد
الدولة اسم للشي الذي يتداوله القوم بينهم والدولة بالفتح انتقال
حال سارة من قوم الى قوم • فالدولة بالضم اسم لما يتداول وبالفتح
مصدر من هذا ويستعمل في الحالة السارة التي تحدث للانسان
فيقال هذه دولة فلان اي قد اقبل والمعنى لا يكون الفي الذي
حقه ان يعطى للفقير ليكون لهم بلغة يعيشون بها واقعا في يد الاغنيا
ودولة لهم • والمعنى فعلنا ذلك في هذا الفي كي لا يقسمه الروسا
والاغنيا والاقويا بينهم دون الفقرا والضعفا منها ايضا بعد
المرباع ما شا وفيها قال شاعرهم
لك المرباع فيها والصفايا • يقول ليلا يعمل فيه كما كان يعمل
في الجاهلية • قال الكلبي انها نزلت في روسا المسلمين قالوا فيما

ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اموال المشركين
يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل
في الجاهلية وانشده
لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول
فانزل الله تعالى هذه الاية قوله وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه من الاخذ والغلول فانتهوا قاله الحسن وغيره وقال
السدي ما اعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه
وقال ابن جريج ما اتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي
فاجتنبوه فصل هذه الاية تدل على ان كل ما امر به
النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى لان الاية وان كانت
في الغنائم فجميع اوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال
عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال
انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرا علي بهذا اية من كتاب الله تعالى
قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله
ابن محمد بن هارون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني
عما شئتم اخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال
بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن
ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق
ابن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما انه امر بقتل الزنبور وهذا
الجواب في غاية الحسن افتى بجواز قتل الزنبور في الاحرام وبين انه
يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتدا به وان الله
تعالى امر بقبول ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فجواز قتله مستنبط
من الكتاب والسنة وسيل عكرمة عن امهات الاولاد فقال هن احرار
فقال في سورة النسا في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله فبلغ ذلك امراة
من بني اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت انه بلغني انك لعنت
كيت وكيت فقال وما لي لا العن من لعنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرات ما بين الدفتين
فما وجدت فيه ما تقول فقال لقد وجدتيه اما قرات وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فقالت بلى قال فانه قد
نهى الله عنه الحديث فصل قوله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه وان جا بلفظ الايتا وهو المناولة فان معناه الامر بدليل ما تقدم
مع قوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
واذا نهيتكم عن شي قوله واتقوا الله اي عذاب الله
انه شديد لمن عصاه وقيل اتقوا الله في اوامره ونواهيه فلا
تضيعوها ان الله شديد العقاب قوله للفقرا الاية ثلاثة
اوجه انه بدل من لذي القربى قاله ابو البقا والزمخشري قال ابو
البقا

البقا قيل هو بدل من لذي القربى وما بعده وقال الزمخشري بدل من
لذي القربى وما عطف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول
والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل اخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقرا في قوله وينصرون
الله ورسوله وان الله تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته
بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله
عز وجل يعني انه لو قيل بانه بدل من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم
وهو فصيح لفظا وان كان المعنى على خلاف الظاهر كما قال ان معناه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وانه ذكر الله عز وجل تفخيما والا فالله تعالى
غني عن الفيء وغيره وانما جعله بدلا من لذي القربى لانه حنفي والحنفية يشترطون
الفقر في اعطاء ذي القربى من الفيء الثاني انه بيان لقوله تعالى والمساكين
وابن السبيل وكررت لام الجر لما كانت الاولى مجرورة باللام ليبين ان البدل
انما هو منها قاله ابن عطية وهي عبارة قلقة جدا الثالث ان للفقرا
خبر لمبتدا محذوف اي ولكن الفيء للفقرا وقيل تقديره اعجبوا للفقرا
قوله يبتغون يجوز ان يكون حالا وفي صاحبها وجهان احدهما
للفقرا والثاني واو اخرجوا قالهما مكي فصل ومعنى الاية
ان الفيء والغنائم للفقرا والمهاجرين وقيل كي لا يكون دولة بين
الاغنيا ولكن يكون للفقرا وهو مبني على الاعراب المتقدم وعلى
القول بانه بيان لذوي القربى واليتامى والمساكين اي لهؤلا لانهم
فقرا ومهاجرين وقد اخرجوا من ديارهم فهم احق الناس وقيل ولكن
الله يسلط رسله على من يشا من المهاجرين كي لا يكون المال دولة
بين الاغنيا من بني الدنيا وقيل والله شديد العقاب للفقرا
المهاجرين اي شديد العقاب للكافر بسبب الفقرا المهاجرين
ومن اجلهم ودخل في هولا الفقرا المتقدم ذكرهم في قوله تعالى ولذي القربى
واليتامى قاله القرطبي وقيل هو عطف على ما مضى ولم يات بواو العطف
كقولك هذا المال لزيد لبكر لفلان لفلان والمهاجرين من هاجر الى
النبي صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له وقال قتادة هولا المهاجرون
الذين تركوا الديار والاموال والاهلين والاوطان حبا لله عز وجل
ولرسوله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم كان يعصب الحجر على
بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتا
ما له دثار غيرها قوله الذين اخرجوا من ديارهم اي اخرجهم
كفار مكة اي احوجوهم الى الخروج وكانوا ماية رجل يبتغون يطلبون
فضلا من الله اي غنيمة في الدنيا ورضوانا في الاخرة اي مرضات
ربهم وينصرون الله ورسوله في الجهاد اولئك هم الصادقون في فعلهم
ذلك وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية فقال من اراد ان
يسال عن القران فليات معاذ بن جبل ومن اراد ان يسال عن المال
فلياتني فان الله جعلني خازنا وقاسما الا واني بادي بازواج النبي صلى
الله عليه وسلم فمعطيهم ثم بالمهاجرين الاولين انا واصحابي اخرجنا
من مكة من ديارنا واموالنا قوله اولئك هم الصادقون يعني
في دينهم لما هاجروا لذات الدنيا وتحملوا شدائدها لاجل الدين ظهر صدقهم
قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يجوز
في قوله والذين تبوؤا الدار وجهان احدهما انه عطف على الفقرا فيكون
مجرورا ويكون من عطف المفردات ويكون يحبون حالا والثاني ان يكون

مبتدا خبره يحبون ويكون حينئذ من عطف الجمل وفي قوله والايمان
ستة اوجه • احدها انه ضمن تبوؤا معنى لزموا فيصح لعطف الايمان
عليه اذ الايمان لا يتبوا • الثاني انه منصوب بمقدر اي واعتقدوا
او وانتحلوا او واخلصوا كقوله •
علفتها تبنا وماء باردا • ومتقلدا سيفا ورمحا • الثالث
انه يتجوز في الايمان فيجعل اختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان
المحيط بهم فكانهم نزلوه وعلى هذا فيكون جمع بين الحقيقة والمجاز
في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور • الرابع ان يكون الاصل دار
الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف
اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه
الخامس ان يكون سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان
قال هذين الوجهين الزمخشري وليس فيه الا قيام ال مقام المضاف
اليه وهو محل نظر وانما يعرف الخلاف هل يقوم ال مقام الضمير المضاف
اليه فالكوفيون يجيزونه كقوله تعالى فان الجنة هي الماوى اي ماواه والبصريون
يمنعونه ويقولون الضمير محذوف اي الماوى له وقد تقدم تحرير هذا
واما كونها عوضا من المضاف اليه فلا يعرف فيه خلاف • السادس
انه منصوب على المفعول معه اي مع الايمان معا قاله ابن عطية
وقال وبهذا الاقتران يصح معنى قوله من قبلهم فتامله • قال شهاب
الدين وقد شرطوا في المفعول معه ان يجوز عطفه على ما قبله حتى جعلوا
قوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم من باب اضمار الفعل لانه لا يقال
اجمعت شركائي انما يقال جمعت وقد تقدم الكلام على ذلك
فصل التبوء التمكن والاستقرار وليس يريد ان الانصار
امنوا قبل المهاجرين بل اراد امنوا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
اليهم ولا خلاف ان الذين تبوؤا الدار هم الانصار الذين استوطنوا المدينة
قبل المهاجرين اليها • والمراد بالدار المدينة • والتقدير والذين تبوؤا
الدار والايمان من قبلهم فصل قيل هذه الاية معطوفة على قوله
للفقراء المهاجرين وان الايات في الحشر كلها معطوفة بعضها على بعض
قال القرطبي ولو تاملوا ذلك وانصفوا لوجدوه على خلاف ما ذهبوا
اليه لان الله تعالى يقول هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من
ديارهم الى قوله العقاب فاخبر عن بني النضير وبني قينقاع ثم قال
تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن
الله يسلط رسله على من يشاء فاخبر ان ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم
لانه لم يوجف عليه حين خلوه وقد تقدم فيهم من القتال وقطع نخلهم
فقد كانوا رجعوا عنه وانقطع ذلك الامر ثم قال الله تعالى ما افاء الله
على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل وهذا كلام غير معطوف على الاول وكذا والذين تبوؤا
الدار والايمان ابتدا كلام في مدح الانصار والثنا عليهم فانهم سلموا
ذلك الفي للمهاجرين فكانه قال الفي للمهاجرين وكانه قال الفي للفقراء
المهاجرين والانصار يحبون لهم لم يحسدوهم على ما صفا لهم من الفي لهم
والذين جاءوا من بعدهم ابتدا كلام والخبر يقولون ربنا اغفر لنا • وقال
اسماعيل بن اسحاق ان قوله تعالى تبوؤا الدار والايمان والذين جاءوا
معطوف على ما قبله وانهم شركاء في هذا الفي اي هذا المال للمهاجرين
والذين تبوؤا الدار • وقال مالك بن اوس قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
هذه

١٤٤
هذه الاية انما الصدقات للفقراء ثم قال هذه لهولاء • ثم قرا
واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه فقال هذه لهولاء • ثم
قرا ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوؤا
الدار والايمان جاءوا من بعدهم • ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي
وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق جبينه • وقيل انه دعا المهاجرين
والانصار واستشارهم بما فتح الله عليه من ذلك وقال لهم تثبتوا
الامر وتدبروه ثم اغدوا علي ففكر في ليله فتبين له ان هذه الايات
في ذلك انزلت فلما غدوا عليه قال مررت البارحة بالايات
التي في سورة الحشر وتلا ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى
قوله تعالى للفقراء المهاجرين فلما بلغ قوله اولئك هم الصادقون
قال ما هي لهولاء فقط وتلا قوله والذين جاءوا من بعدهم الى قوله
رءوف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك
فصل روى مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر رضي الله عنه
قال لولا من ياتي من اخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر • وصح عن عمر انه ابقى سواد العراق
ومصر وما ظهر عليه من الغنائم ليكون في اعطيات المقاتلة وارزاق
الحبوة والذراري وان الزبير وبلالا وغير واحد من الصحابة ارادوه
على قسم ما فتح الله عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما فعل من ذلك
فقيل انه استطاب انفس الجيش فمن رضي له بترك حظه بغير ثمن ليبقيه
للمسلمين فله ومن ابى اعطاه ثمن حظه فمن قال انما ابقى الارض بعد
استطابة انفس القوم وجعل فعله كفعل النبي صلى الله عليه وسلم لانه
قسم خيبر لانه اشتراه اياها ونزل من نزل عن طيب نفسه بمنزلة
قسمها • وقيل انه ابقاها بغير شي اعطاه اهل الجيوش • وقيل الحول
في ذلك قول الله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله ربنا انك رءوف رحيم
على ما تقدم فصل اختلفوا في قسمة العقار فقال مالك رضي الله
عنه للامام ان يوقفها لمصالح المسلمين • وقال ابو حنيفة رضي الله عنه
الامام مخير بين قسمتها او وقفها لمصالح المسلمين • وقال الشافعي
رضي الله عنه ليس للامام حبسها عنهم بغير رضاهم بل يقسمها عليهم
كساير الاموال فمن طاب نفسا عن حقه فللامام ان يجعلها وقفا عليهم
فله ومن لم تطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب
نفوس الغانمين واشتراها منهم وعلى هذا يكون قوله تعالى والذين جاءوا
من بعدهم معطوفا على ما قبله وانهم ندبوا بالدعا للاولين والثنا عليهم
فصل قال القرطبي روى ابن وهب قال سمعت مالكا يذكر
فضل المدينة على غيرها من الافاق فقال ان المدينة تبوئت بالايمان
والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا والذين
تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الاية قوله
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا • احدهما ان الحاجة هنا على
بابها من الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج اليه • والمعنى لا يجدون
طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفي وغيره والمحتاج اليه يسمى
حاجة يقول خذ منه حاجتك واعطاه ما له حاجة • قاله الزمخشري
فعلى هذا يكون الضمير الاول للجائين بعد المهاجرين وفي اوتوا للمهاجرين
والثاني ان الحاجة هنا من الحسد • قال الحسن حسدا وحزازة وغيظا مما
اوتوا المهاجرين دونهم واطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة

لان هذه الاشيا لا تنفك عن الحاجه فاطلق اسم اللازم على الملزوم
على سبيل الكناية والضمير الى ما تقدم قبل • وقال ابو البقا مس
الحاجة اي ان حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران الذين تبوؤا
الدار والايمان • وقال القرطبي المعنى لا يحسدون المهاجرين على ما
خصوا به من مال الفي وغيره كذلك قال الناس وفيه تقدير حذف
مضافين والمعنى مس حاجة من فقد ما اوتوا وكلما يجده الانسان
في صدره مما يحتاج الى ازالته فهو حاجة **فصل** قال القرطبي
كان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع
المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في الاموال ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احببتم قسمت ما افا
الله علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم
عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم
وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعيد بن معاذ
رضي الله عنهما بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا
كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابنا الانصار •
واعطى رسول الله للمهاجرين ولم يعط الانصار الا الثلاثة
الذين ذكرناهم • ويحتمل ان يريد به ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا اذا كانوا قليلا يقنعون به ويرضون عنه وكذا كانوا
على هذه الحالة حياة النبي صلى الله عليه وسلم دينا ثم كانوا عليه
بعد موته صلى الله عليه وسلم بحكم الدنيا وقد انذرهم النبي صلى
الله عليه وسلم وقال ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني
على الحوض **قوله** ويؤثرون على انفسهم • قال ابن عباس رضي الله
عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بني النضير ان شئتم
قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه
الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم من الغنيمة
شيا فقالت الانصار بل نقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ونؤثرهم
بالغنيمة فنزل ويؤثرون على انفسهم الاية • قال ابن الخطيب
وذكر المفسرون انواعا من ايثار الانصار للضيف بالطعام وتعللهم
عنه حتى يشبع ثم ذكروا ان هذه الاية نزلت في ذلك الايثار الا ان
والصحيح انها نزلت بسبب ايثارهم المهاجرين بالفي ثم لا يمتنع
ان يدخل فيها ساير الايثارات فذكر القرطبي ان الترمذي روى عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده
الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته نومي الصبية واطفي
السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الاية وخرج مسلم
ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جا رجل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسايه فقالت
والذي بعثك بالحق نبيا ما عندي الا ما فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل
من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال
لامراته هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشي
فاذا دخل ضيفنا فاطفي السراج وذكر نحو الحديث الاول • وفي رواية

فقام

فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به الى رحله • وذكر
المهدوي انها نزلت في ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له
ابو المتوكل ولم يكن عند المتوكل الا قوته • وذكر القشيري قال
اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة
فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعث اليه ولم يزل
يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى رجعت
الى اوليك فنزلت ويؤثرون على انفسهم الاية • وذكر الثعلبي عن
انس قال اهدي لرجل من الصحابة راس شاة وكان مجهودا فوجه
به الى جار له فتداولته سبعة انفس في سبعة ابيات ثم عاد الى
الاول فنزلت الاية **فصل** الايثار هو تقديم الغير
على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الاخروية
وذلك ينشا عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة
يقال اثرته بكذا اي خصصته به وفضلته ومفعول الايثار
محذوف اي يؤثرونهم على انفسهم باموالهم ومنازلهم لا عن غنى
بل مع احتياجهم اليها • فان قيل قد صح في الخبر النهي عن التصدق
بجميع ما يملكه المرء • فالجواب انما كره ذلك في حق من لا يوثر منه
بالصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسيلة اذا فقد ما ينفقه
فاما الانصار الذين اثنى الله عليهم بالايثار على انفسهم فكانوا
كما قال الله تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فكان
الايثار فيهم افضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض
للمسيلة اولى من الايثار كما روي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه
وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها
وقال ياتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف
الناس **فصل** الايثار بالنفس اقوى من الايثار من المال
وان عاد الى النفس ومن الامثال بالنفس الجود بالمال جود وتكرمة •
والجود بالنفس اقصى غاية الجود • وافضل من الجود الجود على حماية
رسول الله صلى الله عليه وسلم • ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم
مطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا
يصيبونك نحري دون نحرك يا رسول الله • ووقى بيده رسول
الله صلى الله عليه وسلم فشلت • وقال حذيفة العدوي انطلقت
يوم اليرموك اطلب ابن عم لي فاذا رجل يقول اه اه فاشار الي ابن
عمي ان انطلق اليه فجيت اليه فاذا هو هشام بن العاص فقال
اسقيك فاشار ان نعم فسمعت اخر يقول اه اه فاشار هشام
ان انطلق اليه فجيت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا
هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات • وقال ابو يزيد
البسطامي رحمه الله ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا
حاجا وقال يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا
واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد عندكم
قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا • وسيل ذو النون ما حد الزاهد
قال ثلاث تفريق المجموع • وترك المطلوب • والايثار عند القوت •
وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثين بقرية
من قرى الري ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان

واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم ياكل
احد منهم شيا ايثارا لصاحبه على نفسه **قوله** ولو كان بهم خصاصة
هذه واو الحال والخصاصة الحاجة واصلها من خصاص البيت وهي
فروجه وحال الفقير بتخللها النقص فاستعير لها ذلك • وقال
القرطبي اصلها من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة
الانفراد بالحاجة اي ولو كانت بهم فاقة وحاجة ومنه قول الشاعر ؞
؞ اما الربيع اذا يكون خصاصة • عاش السقيم به واثرى المقتر ؞
قوله ومن يوق • العامة على سكون الواو وتخفيف القاف
من الوقاية وابن ابي عبلة وابو حيوة بفتح الواو وتشديد
القاف • والعامة بضم الشين من شح وابن ابي عبلة وعمر رضي
الله عنه بكسرها • قال القرطبي الشح والبخل سوا يقال رجل
شحيح بين الشح والشحاحة قال عمرو بن كلثوم ؞
؞ ترى اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله فيها مهينا ؞ وجعل بعض
اهل اللغة الشح اشد من البخل • وفي الصحاح الشح البخل مع حرص
تقول شححت بالكسر تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح وقوم
شحاح واشحة • والمراد بالاية الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة
ذوي الارحام والضيافة وما شاكل ذلك فليس بشحيح ولا بخيل من انفق
في ذلك ومن امسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما
ذكرنا من الزكوات والطاعات فلم يوق شح نفسه • روى الاسود عن ابن
مسعود ان رجلا اتاه فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما
ذاك قال سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وانا رجل شحيح لا اكاد اخرج من يدي شيا فقال ابن مسعود ليس
ذاك الذي ذكر الله تعالى انما الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن
ذلك الظلم وبيس الشي البخل ففرق رضي الله عنه بين الشح والبخل وقال
طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان يشح بما في ايدي الناس
يحب ان يكون ماله زايدا بهم بالحل والحرام فلا يقنع قال ابن [illegible] ليس
الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له • وقال
ابن جريج الشح منع الزكاة وادخار الحرام • وقال ابن عيينة الشح الظلم
وقال الليث ترك الفرايض وانتهاك المحارم • وقال ابن عباس من
اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح • وقال ابن زيد من لم
ياخذ شيا نهاه الله عنه ولم يمنع شيا امره الله باعطايه فقد وقاه
الله شح نفسه • وقال ابن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه
وسلم بري من الشح من ادى الزكاة واقرى الضيف واعطى في النايبة
وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح
نفسي واسرافها ووسواسها • وقال ابن الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف
يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح
نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه • قال القرطبي ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا
الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم • روى
ابو هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع
الشح والايمان في قلب عبد ابدا • وقال كسرى لاصحابه اي شي اضر

يا ابن آدم

يا ابن آدم قالوا الفقر فقال الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد
شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا **قوله** والذين جاوا يحتمل
الوجهين المتقدمين في الذين قبله فان كان معطوفا على المهاجرين
فيقولون حال كيبوءون اي قايلين او مستانف وان كان مبتدا فيقولون لون
خبره **فصل** هذه الايات قد استوعبت جميع المومنين
لانهم اما المهاجرون او الانصار والذين جاوا من بعدهم • قال
بعض المفسرين هذا عطف على المهاجرين وهم الذين هاجروا
من بعد • وقيل التابعون لهم باحسان ومن دخل في الاسلام
الى يوم القيمة • قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين
والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاوا من بعدهم فاجتهد
ان لا تخرج من هذه المنازل • وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت
لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل كاعمالهم فان لم تستطع
احبهم واستغفر لهم كما امرك الله • وقال مصعب بن سعد الناس
على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم
عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت • وعن جعفر بن محمد عن ابيه
عن جده انه جاءه رجل فقال يا ابن بنت رسول الله ما تقول في عثمان
فقال يا ابن اخي انت من قوم قال الله فيهم والذين تبوءوا الدار والايمان
الاية قال لا قال فوالله لئن لم تكن من اهل الاية الثالثة لتخرجن
من الاسلام وهي قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان • وروي ان نفرا من اهل
العراق جاوا الى محمد بن علي بن الحسين فسبوا ابا بكر وعمر وعثمان
رضي الله عنهم فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم
قالوا لا • قال افمن الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا فقال
فقد برايتم من هذين الفريقين انا اشهد انكم لستم من الذين قال
الله والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف
رحيم قوموا فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس **فصل** هذه
الاية دليل على وجوب محبة الصحابة رضي الله عنهم لانه جعل لمن
بعدهم حظا في الفي ما اقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم وان
من ابغضهم او واحدا منهم واعتقد فيه شرا انه لا حق له في الفي قال
مالك من كان يبغض احدا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكان
في قلبه لهم غل فليس له حق في في المسلمين ثم قرا والذين جاوا من
بعدهم **فصل** قال القرطبي دلت هذه الاية على ان الصحيح
من اقوال العلما قسمة المنقول وابقا العقار والارض بين المسلمين
اجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه الا ان يجتهد الوالي فينفذ امرا
فيمضي عمله فيه لاختلاف الناس فيه وان هذه الاية قاضية بذلك
لان الله تعالى اخبر عن الفي وجعله لثلاثة طوايف المهاجرين والانصار
وهم معلومون والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان فهي عامة في جميع التابعين الاتين بعدهم
الى يوم الدين • روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال
السلام عليكم دار قوم مومنين وانا ان شا الله بكم لاحقون وددت
لو رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا اخوانك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل انتم اصحابي واخواننا الذين ما توا بعد

وانا فرطهم على الحوض فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان اخوانهم كل من
ياتي بعدهم لا كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا بعد ذلك
وعن الحسن ايضا ان الذين جاءوا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله
عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة **قوله** يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان • قيل امروا ان يستغفروا
لمن سبق هذه الامة من موسى اهل الكتاب • قالت عايشة رضي الله
عنها نامروا ان يستغفروا لهم فسبوهم • وقيل امروا السابقين
الاولين من المهاجرين والانصار قال ابن عباس رضي الله عنه
امر الله سبحانه بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وهو يعلم انهم سيفتتنون • وقالت عايشة رضي الله عنها امرتم
بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب هذه الامة
حتى يلعن اخرها اولها • وقال ابن عمر رضي الله عنه سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول اذا رايتم الذين يسبوا اصحابي فقولوا
لعن الله اشركم • وقال العوام بن حوشب ادركت هذه الامة
يقولون اذكروا محاسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تأتلف عليهم القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم
وقال الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة
سئلت اليهود من خير ملتكم فقالوا اصحاب موسى صلوات الله وسلامه
وسئلت النصارى من خير ملتكم فقالوا اصحاب عيسى صلوات الله
وسلامه وسئلت الرافضة من شر ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم
مسلول الى يوم القيمة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع
لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمايهم وابادهم
حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة • ولا تجعل في قلوبنا غلا
للذين امنوا اي حسدا وبغضا ربنا انك رؤف رحيم **قوله**
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم للتبليغ فقط بخلاف
قوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا فانها تحتمل ذلك وتحتمل
العلة **فصل** قال القرطبي هذه الاية سيقت للتعجب من اغترار
اليهود لما وعدهم المنافقون من النصر معهم مع علمهم بانهم لا يعتقدون
دينا ولا كتابا قال المنافقون يعني عبد الله بن ابي سلول وعبد الله
ابن نبتل ورفاعة بن زيد وقيل رفاعة بن تابوت واوس بن قيظي
كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا قالوا اليهود قريظة والنضير والاخوان
هم الاخوة وههنا تحتمل وجوها • احدها الاخوة في الكفر لان اليهود
والمنافقين اشتركوا في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم • وثانيها
الاخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة • وثالثها الاخوة بسبب
اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود لئن اخرجتم
من المدينة لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا ولئن قوتلتم لننصرنكم
وقيل هذا من قول بني النضير لقريظة • وقولهم لا نطيع فيكم احدا ابدا
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا الا نطيعه في قتالكم وفيه دليل
على صحة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جهة علم الغيب لانهم اخرجوا
فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم كما قال سبحانه وتعالى والله
يشهد انهم لكاذبون في قولهم وفعلهم فقولهم لا نطيع فيكم احدا ابدا

اي

اي نوقعا لكم او نوجد لانكم **قوله** وان قوتلتم لننصرنكم • اجيب القسم
المتقدم لان قبل ان لام موطية حذفت للعلم بمكانها فان الاكثر الاتيان
بها ومثله قوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن وقد تقدم **قوله**
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار ثم لا ينصرون • اجيب القسم لسبقه ولذلك رفعت
الافعال ولم تجزم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه
ولذلك كان فعل الشرط ماضيا • وقال ابو البقا قوله تعالى لا ينصرونهم
ليس جوابا للشرط بل هو جواب للقسم وجواب الشرط محذوف
كانه تقدم وكانه توهم انه من باب قوله •

وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غايب مالي ولا حرم •

وقد سبق ابو البقا ابن عطية الى ما يوهم شيا من ذلك ولكنه صرح
بانه جواب القسم فقال جاءت الافعال غير مجزومة في يخرجون ولا ينصرون
لانها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط وفي هذا نظر يوهم انه جا على
خلاف ما يقتضيه القياس وليس كذلك بل على ما يقتضيه القياس وفي
هذه الضماير قولان • احدهما انها كلها للمنافقين • والثاني انها مختلفة
بعضها لهولا وبعضها لهولا **فصل** اعلم انه تعالى عالم بجميع المعلومات
التي لا نهاية لها وقد اخبر تعالى ان هولا اليهود لئن اخرجوا فالمنافقون
لا يخرجون معهم وكان الامر كذلك لان بني النضير لما خرجوا لم يخرج
معهم المنافقون وقاتلوا ايضا فما نصروهم وهذا كما يقول المعترض الطاعن
في كلام الغير لا نسلم الامر كما تقول ولئن سلمنا ان الامر كما تقول الا انه
لا يفيد ذلك فايده فكذا ههنا ذكر تعالى انهم لا يخرجون معهم وبتقدير
ان يخرجوا لا ينصرونهم وبتقدير ان ينصروهم الا انهم لا بد ان يتركوا
النصرة وينهزموا ويتركوا اوليك المنصورين في ايدي اعدايهم •
ونظير هذه الاية قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم
لتولوا وهم معرضون • وقيل معنى لا ينصرونهم طايعين ولئن نصروهم
مكرهين ليولن الادبار • وقيل معنى لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم
هذا على ان الضميرين متفقان على اختلاف الضميرين فالمعنى لئن اخرج
اليهود لا يخرج معهم المنافقون ولئن قاتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
اي ولئن نصر اليهود المنافقون ليولن الادبار **قوله** لانتم اشد
رهبة مصدر من رهب المبني للمفعول فالرهبة واقعة من المنافقين
لا من المخاطبين كانه قيل لانتم اشد مرهوبية في صدورهم من الله فالمخاطبون
مرهوبون وهو كقول كعب بن زهير رضي الله عنه في مدح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم •

فهو اخوف عندي اذ اكلمه • وقيل انك محبوس ومقتول •
من ضيغم بضراء الارض مخدره • ببطن عثر غيل دونه غيل •

ورهبة تمييز **فصل** المعنى لانتم يا معشر المسلمين اشد رهبة
اي خوفا وخشية في صدورهم من الله يعني صدور بني النضير وقيل
صدور المنافقين ويحتمل ان يرجع الى الفريقين اي يخافون منكم اكثر مما
يخافون من ربهم ذلك اشارة الى الخوف بانهم قوم لا يفقهون قدر
عظمة الله وقدرته حتى يخشوه حق خشيته **قوله** لا يقاتلونكم جميعا
يعني اليهود والمنافقين لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين الا اذا كانوا
في قرى محصنة بالخنادق والدروب والحيطان التي تمنعهم منكم
او من وراء جدر اي من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم

قوله جميعا حال والا في قرى متعلق بيقاتلونكم وقوله جدار •
قرأ ابن كثير وابو عمرو جدار بالافراد وفيه اوجه • احدها انه
السور والسور الواحد يعم الجميع من المقاتلة ويسترهم • والثاني
انه واحد في معنى الجمع لدلالة السياق عليه • والثالث ان كل فرقة
منهم وراء جدار لا انهم كلهم وراء جدار • والباقون قرؤوا جدر بضمتين
اعتبارا بان كل فرقة وراء جدار فجمع لذلك • وقرأ الحسن وابو رجا
وابن وثاب والاعمش ويروى عن ابن كثير وعاصم بضمة وسكون
وهي تخفيف الاولى • وقرأ ابن كثير ايضا في رواية هارون
عنه وهي قراءة ابن كثير من المكيين جدر بفتحة وسكون
قيل هي لغة في الجدار • وقال ابن عطية معناه اصل بنيان
كالسور ونحوه • قال ويحتمل ان يكون من جدر النخيل اي ومن
وراء نخيلهم يقال اجدر النخل اذا طلعت رؤوسه اول الربيع
والجدر نبت واحده جدره • وقرئ جدر بفتحتين حكاها
الزمخشري وهي لغة في الجدار ايضا • وقرئ جدر بضم الجيم واسكان
الدال جمع الجدار • قال القرطبي ويجوز ان تكون الالف في الواحد
كالف كتاب • وفي الجمع كالف ظراف • ومثله ناقة هجان ونوق
هجان لانك تقول في التثنية هجانان فصار لفظ الواحد والجمع
مشتبهين في اللفظين مختلفين في المعنى قاله ابن جني • **قوله**
باسهم بينهم شديد بينهم متعلق بشديد وجميعا مفعول
ثان اي مجتمعين وقلوبهم شتى جملة حالية او مستانفة للاخبار
بذلك والعامة على شتى بلا تنوين لانها الف تانيث ومن كلامهم
شتى تؤوب الحلبة اي متفرقين • وقال اخر •
الى الله اشكو فتية شقت العصا • هي اليوم شتى وهي امس جميع •
وقرأ مبشر بن عبيد شتى منونة كانه جعلها الف الالحاق
وفي قراءة ابن مسعود وقلوبهم اشت يعني اشد تشتيتا اي اشد
اختلافا **فصل** معنى باسهم بينهم شديد اي عداوة بعضهم
لبعض قاله ابن عباس • وقال مجاهد باسهم بينهم شديد بالكلام
والوعيد لنفعلن كذا • وقال السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى
لا يتفقوا على امر واحد وقيل باسهم بينهم شديد اذا لم يلقوا
عدوا نسبوا انفسهم الى الشدة والباس واذا لقوا العدو انهزموا
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني اليهود والمنافقين قاله مجاهد
وعنه ايضا يعني المنافقين • وقال الثوري هم المشركون واهل
الكتاب • وقال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين على امر ورأي
وقلوبهم شتى اي متفرقة فاهل الباطل مختلفة اراؤهم مجتمعين في
عداوة اهل الحق • وعن مجاهد ايضا اراد ان دين المنافقين
مخالف لدين اليهود وهذا يقوي انفس المؤمنين عليهم ذلك بانهم
قوم لا يعقلون اي ذلك التشتت والتكذيب بانهم قوم لا يعقلون
امر الله وقيل لا يعقلون ما فيه الحظ لهم وقيل لا يعقلون ان
تشتت القلوب مما يوهن قواهم **قوله** كمثل الذين
من قبلهم خبر مبتدا مضمر اي مثلهم مثل هؤلاء وقريبا فيه وجهان
احدهما انه منصوب بالتشبيه المتقدم اي يشبهونهم في زمن قريب
سيقع لا يتاخر تقريره بين ذلك بقوله ذاقوا وبال امرهم والثاني
انه منصوب بذاقوا اي ذاقوا في زمن قريب سيقع ولم يتاخر
وانتصابه

وانتصابه في وجهيه على ظرف الزمان **فصل** يعني مثل هؤلاء
اليهود كمثل الذين من قبلهم • قال ابن عباس يعني به بني قينقاع
امكن الله منهم قبل بني النضير • وقال قتادة يعني بني النضير
امكن الله منهم قبل قريظة وكان بينهما سنتان • وقال مجاهد
يعني كفار قريش يوم بدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير قاله
مجاهد • وكان غزوة بدر قبل غزوة بني النضير بستة اشهر فلذلك
كان قريبا • وقيل هو عام في كل من انتقم منه على كفره قبل بني النضير
من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ووبال امرهم جزاء كفرهم ومن قال هم
بنو قريظة جعل وبال امرهم نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم
بقتل المقاتلة وسبي الذرية وهو قول الضحاك • ومن قال المراد
بني النضير قال وبال امرهم الجلاء والنفي ولهم عذاب اليم في الاخرة
قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وهذا مثل ضربه
الله لليهود والمنافقين في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم وحذف
حرف العطف ولم يقل ومثل الشيطان لان حذف حرف العطف
كثير كقولك انت عاقل انت كريم انت عالم • وقوله كمثل الشيطان
كالبيان كقوله كمثل الذين من قبلهم **فصل** روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان اكفر
راهب نزلت عنده امراة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان
وطئها فحملت ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان قومها على
موضعها فجاؤوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاء الشيطان فوعده
ان سجد له انجاه منهم فسجد له فتبرا منه فاسلمه ذكره القاضي اسماعيل
وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة
ابن عامر عن عبيد بن ابي رفاعة الذي عن النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر خبره مطولا • وذكر ابن عباس في قوله كمثل الشيطان كان راهبا
في الفترة يقال له برصيصا قد تعبد في صومعة سبعين سنة
لم يعص الله فيها طرفة عين حتى اعيا ابليس وذكر خبر برصيصا
بتمامه • قال ابن عباس فضرب الله هذا مثلا للمنافقين مع اليهود
وذلك ان الله تعالى امر نبيه ان يجلي بني النضير من المدينة فدس
اليهم المنافقون ان لا تخرجوا من دياركم فان قاتلوكم كنا معكم
وان اخرجوكم كنا معكم فحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم فخذلهم
المنافقون وتبرؤوا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا العابد
وقيل المعنى مثل المنافقين في غدرهم لبني النضير كمثل ابليس
اذ قال لكفار قريش لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية
وقال مجاهد المراد بالانسان هنا جميع الناس في غرور الشيطان
اياهم ومعنى قوله تعالى قال له اكفر اي اغراه حتى قال اني كافر
وليس قول الشيطان اني اخاف الله رب العالمين حقيقة
انما هو على وجه التبري من الانسان فهو توكيد لقوله تعالى اني
بريء منك وفتح الياء من اني نافع وابن كثير وابو عمرو واسكن
الباقون **قوله** فكان عاقبتهما • العامة على نصب عاقبتهما
خبرا والاسم ان وما في خبرها لان الاسم اعرف من عاقبتهما وقد
تقدم تحرير هذا في ال عمران والانعام • وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد
وابن ارقم برفعها على جعلها اسما وان وما في خبرها خبرا كقراءة
من لم تكن فتنتهم الا ان قالوا **قوله** خالدين فيها • العامة

على نصبه حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا والتثنية
ظاهرة فيمن جعل الاية مخصوصة في الراهب والشيطان ومن جعلها
في الجنس فالمعنى فكان عاقبة الفريقين او الصنفين. قال مقاتل
يعني المنافقين واليهود ونصب عاقبتهما على انه خبر كان
والاسم انهما في النار. وقرا عبد الله وزيد بن علي والاعمش وابن
ابي عبلة برفعه خبرا والظرف ملغى فيتعلق بالخبر وعلى هذا
فيكون تاكيدا لفظيا للحرف واعيد معه ضمير ما دخل عليه كقوله
ففي الجنة خالدين فيها وهذا على مذهب سيبويه فانه يجيز الغا
الظرف وان اكد والكوفيون يمنعونه وهذا حجة عليهم وقد
يجيبوا بانا لا نسلم ان الظرف في هذه القراءة ملغى بل نجعله خبرا لان
وخالدان خبرا لان وهو محتمل لما قالوه الا ان الظاهر خلافه. قال
القرطبي وهذه القراءة خلاف المرسوم. وقوله وذلك جزاء الظالمين
اي المشركين كقوله ان الشرك لظلم عظيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله في اوامره ونواهيه واداء فرائضه واجتناب معاصيه
ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني يوم القيمة. والعرب تكني عن
المستقبل بالغد. وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة
كقوله. وان غدا للناظرين قريب. وقال الحسن وقتادة
قرب الساعة حتى جعلها كغد لان كل ات قريب والموت لا محالة
ات ومعنى ما قدمت اي من خير او من شر وتنكير النفس لاستقلال
الانفس التي تنظر فيما قدمت للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة
في ذلك وتنكير الغد لتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا تعرف
كنهه لعظمته. وقرا العامة بسكون لام الامر في قوله ولتنظر وابو
حيوة ويحيى بن الحرث بكسرها على الاصل والحسن بكسرها ونصب
الفعل جعلها لام كي ويكون المعلل مقدرا اي ولتنظر نفس حذركم
واعمالكم قوله واتقوا الله تاكيد. وقيل كرر لتغاير متعلق
التقويين فمتعلق الاولى اداء الفرائض لاقترانه بالعمل والثانية
ترك المعاصي لاقترانه بالتهديد والوعيد قال معناه الزمخشري
ثم قال ان الله خبير بما تعملون. قال قتادة خبير بما تعملون
اي بما يكون منكم قوله ولا تكونوا العامة على الخطاب وابو حيوة
بالغيبة على الالتفات نسوا الله اي تركوه فانساهم انفسهم ان
يعملوا لها خيرا قاله المقاتلان. وقيل نسوا حق الله فانساهم حق
انفسهم قاله سفيان. وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه
فانساهم انفسهم بالعذاب اي يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى
وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم انفسهم
عند التوبة. وقيل انساهم انفسهم اي اراهم يوم القيمة من الاهوال
ما نسوا فيه انفسهم كقوله تعالى فلا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم
هواء وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
ونسب تعالى الفعل الى نفسه في انسانهم اذا كان ذلك بسبب
امره ونهيه كقولك احمدت الرجل اذا وجدته محمودا. وقيل نسوا
الله في الرخا فانساهم انفسهم في الشدايد اولئك هم الفاسقون
قال ابن جبير العاصون. وقال ابن زيد الكاذبون. واصل الفسق
الخروج اي الذين خرجوا عن طاعة الله قوله لا يستوي اصحاب
النار واصحاب الجنة اي في الفضل والرتبة. لما ارشد المومنين

الى ماهو



الى ماهو مصلحتهم يوم القيمة بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
وهدد الكافرين بقوله الذين نسوا الله فانساهم انفسهم بين
بهذه الاية الفرق بين الفريقين. واعلم ان الفرق بينهما معلوم
بالضرورة وانما ذكر الفرق في هذا الموضع للتنبيه على عظم ذلك
الفرق ثم قال اصحاب الجنة هم الفايزون وهذا كالتفسير
لنفي تساويهما وهم يجوز ان يكون فصلا وان يكون مبتدا فعلى
الاول الاخبار بالمفرد. وعلى الثاني بجملة. ومعنى الفايزون اي المزيدون
المكرمون وقيل الناجون من النار. ونظير هذه الاية قوله لا
يستوي الخبيث والطيب. وقوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا
لا يستوون وقوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار. وقد مضى الكلام في ذلك
فصل احتجت المعتزلة على ان صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة
بهذه الاية قالوا لان الاية دلت على ان اصحاب النار لا يستويان ولو دخل
صاحب الكبيرة الجنة لكان اصحاب الجنة واصحاب النار يستويان
وهو غير جايز وجوابه معلوم فصل دلت هذه الاية
على ان المسلم لا يقتل بالذمي كما هو مذكور في كتب الفقه قوله تعالى
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله. وهذا حث على تامل مواعظ القران وبين انه لا عذر في ترك
التدبر فانه لو خوطب بهذا القران الجبال مع تركيب العقل فيها
لانقادت لمواعظه ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة
متصدعة اي متشققة من خشية الله والخاشع الذليل والمتصدع
المتشقق. وقيل خاشعا لله بما كلفه من طاعته متصدعا من خشية
الله ان يعصيه فيعاقبه. وقيل هو على وجه المثل للكفار كقوله تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس اي انه لو انزل هذا القران على الجبل
لخشع لوعده وتصدع لوعيده وانتم ايها المستهزون باعجازه
لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده. والغرض من هذا
الكلام التنبيه على فساد قلوب هولاء الكفار وغلظ طباعهم
ونظيره قوله ثم قست بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو انزلنا هذا القران
يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه وقد انزلناه عليك
وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه ان ثبته لما لم يثبت عليه
الجبل. وقيل انه خطاب للامة وان الله تعالى لو انذر بهذا القران
الجبال لتصدعت من خشية الله والانسان اقل قوة واكثر ثباتا
فهو يقوم بحقه ان اطاع ويقدر على رده ان عصى لانه موعود بالثواب
ومزجور بالعقاب قوله خاشعا حال لان الروية بصرية
وقرا طلحة مصدعا بادغام التاء في الصاد قوله تعالى
هو الله الذي لا اله الا هو لما وصف القران بالعظم ومعلوم
ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة
الله تعالى فقال هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم قال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية
وقيل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالاخرة والدنيا وقيل
الغيب ما لم يعلمه العباد ولا عاينوه والشهادة ما علموا وشاهدوا
وقوله الرحمن الرحيم تقدم مثله قوله هو الله الذي لا اله الا هو

واصحاب الجنة لا هم

الملك القدوس • قرا ابو ذر وابو السماك القدوس بفتح القاف
قال الحسن هو الذي كثرت بركاته والعامة بضمها وهو المنزه
عن كل نقص والطاهر عن كل عيب والقدوس بالتحريك السطل بلغة
اهل الحجاز لانه يتطهر به • ومنه القادوس لواحد الاواني الذي يستخرج
به الماء من البير بالسانية وكان سيبويه يقول قدوس وسبوح
بفتح اوليهما • وحكى ابو حاتم عن يعقوب انه سمع عند الكسائي اعرابيا
فصيحا يكنى ابا الدينا يقرا القدوس بفتح القاف • قال ثعلب
كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول مثل سفود وكلوب وتنور وسمور
وشبوط الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان
وكذلك الذروح بالضم قوله السلام اي ذو السلامة من النقايص
قال ابن العربي اتفق العلما على ان قولنا السلام النسبة تقديره ذو السلامة
ثم اختلفوا في ترجمة النسبة فقيل معناه الذي سلم من كل عيب وبري
من كل نقص • وقيل المسلم على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب
رحيم • وقيل معناه الذي سلم الخلق من ظلمه وهذا قول الخطابي
قال القرطبي وعلى هذا والذي قبله يكون صفة فعل وعلى الاول
يكون صفة ذات • وقيل معناه المسلم لعباده قوله المومن
اي الذي امن اولياوه عذابه تعالى امنه يومنه فهو مومن
وقيل المصدق لرسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق المومنين
ما وعدهم من الثواب ومصدق الكافرين ما اوعدهم من
العقاب • وقال مجاهد المومن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله
انه لا اله الا هو • وقرا العامة المومن بكسر الميم اسم فاعل من امن
بمعنى امن • وقرا ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين وقيل ابن القعقاع
بفتحها قال الزمخشري بمعنى المومن به على حذف حرف الجر كقوله
واختار موسى قومه المختارون • وقال ابو حاتم لا يجوز ذلك
اي هذه القراة لانه لو كان كذلك لكان المومن به وكان جايزا لكن
المومن المطلق بلا حرف جر يكون من كان خايفا فامن [illegible]
الزمخشري فصل قال ابن عباس اذا كان يوم القيمة اخرج
اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم
يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون
وانا السلام وانتم المومنون وانا المومن فيخرجهم من النار ببركة هذين
الاسمين قوله المهيمن العزيز • قيل معنى المهيمن الشاهد الذي
لا يغيب عنه شي وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي
ومقاتل • قال الخليل وابو عبيدة هيمن يهيمن فهو مهيمن وقد تقدم
الكلام عليه عند قوله ومهيمنا عليه • وقال ابن الانباري المهيمن
القايم على خلقه بقدرته وانشد
• الا ان خير الناس بعد نبيه ؛ مهيمنه التاليه في العرف والنكر ؛
وقيل هو في الاصل مومن فقلبت الهمزة هاء كقوله ارقت وهرقت
المومن نقله البغوي وتقدم الكلام على العزيز قوله الجبار استدل
به من يقول ان امثلة المبالغة تاتي على المزيد من الثلاثة فانه من اجبره
على كذا اي قهره • قال الفرا ولم اسمع فعالا من افعل الا في جبار ودراك
من ادركت انتهى • واستدرك عليه اسار فهو سار • وقيل هو من الجبر
وهو الاصلاح • وقيل هو من قولهم نخلة جبارة اذا لم ينلها الجناه
قال ابن القتيبة ؛

سوامق

• سوامق جبار اثيث فروعه ؛ وعالين قنوانا من البسر احمرا ؛
يعني النخل التي فاتت اليد • قال ابن الخطيب فيه وجوه • احدها
انه تعالى من جبر اذا اغنى الفقير واصلح الكسير • قال الازهري
هو لعمري جابر كل كسير وفقير وهو جابر دينه الذي ارتضاه • قال
العجاج ؛ قد جبر الدين الاله فجبر ؛ الثاني ان يكون من جبره اذا
اكرهه على ما اراده • قال السدي انه هو الذي يقهر الناس ويجبرهم
على ما اراده • قال الازهري هي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولونها
وكان الشافعي رحمه الله يقول جبره السلطان على كذا بغير الف
الثالث قال ابن عباس الجبار هو الملك العظيم • وقيل الجبار الذي
الذي لا تطاق سطوته • قال الواحدي هذا الذي ذكرنا من معاني
الجبار في صفة الله تعالى • واما معاني الجبار في صفة الخلق فلها معان
احدها المتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار • الثاني العظيم الجسم
كقوله تعالى ان فيها قوما جبارين • الثالث المتمرد عن عبادة الله
كقوله ولم يجعلني • الرابع القتال كقوله بطشتم جبارين • وكقوله
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قوله المتكبر قال ابن
عباس الذي تكبر بربوبيته فلا شي مثله • وقيل المتكبر عن كل سوء
المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدوث والذم واصل الكبر والكبريا
الامتناع وقلة الانقياد • قال حميد بن ثور
؛ عفت مثل ما يعفو الفصيل فاصبحت ؛ بها كبريا الصعب وهي ذلول ؛
قال الزجاج وهو الذي تعظم عن ظلم عباده • وقال ابن الانباري
المتكبر ذو الكبريا والكبريا عند العرب الملك قال تعالى وتكون لكما
الكبريا في الارض • واعلم ان المتكبر في صفات الله مدح وفي صفات المخلوقين
ذم • قال عليه الصلوة والسلام فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه
قال الكبريا ردايي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته ولا
ابالي ثم قذفته في النار • وقيل المتكبر معناه العالي • وقيل معناه الكبير
لانه اجل من ان يتكلف كبرا • وقد يقال تظلم بمعنى ظلم وتشتم
بمعنى شتم واستقر بمعنى قر كذلك المتكبر بمعنى الكبير وليس كما يوصف
به المخلوق اذا وصف تفعل اذا نسب الى ما لم يكن منه • ثم نزه نفسه
تعالى سبحان الله عما يشركون كانه قال ان المخلوقين قد يتكبرون
ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف لكنه سبحانه منزه عن التكبر
الذي هو حاصل للخلق لانهم ناقصون بحسب ذواتهم فادعاوهم
الكبر يكون ضم نقصان الكذب الى النقصان الذاتي • واما
الله سبحانه وتعالى فله العلو والعز فاذا اظهره كان ذلك ضم كمال
الى كمال فسبحان الله عما يشركون في اثبات صفة المتكبرية للخلق
قوله هو الله الخالق البارئ الخالق هنا المقدر • والبارئ
المنشئ المخترع وقدم ذكر الخالق على البارئ لان الارادة مقدمة
على تاثير القدرة قوله المصور العامة على كسر الواو ورفع الرا
اما صفة واما خبرا • وقرا امير المومنين علي بن ابي طالب والحسن
وابن السميفع وحاطب بن ابي بلتعة بفتح الواو ونصب الرا
وخرجها على ان يكون منصوبا بالبارئ والمصور هو الانسان
اما ادم واما هو وبنوه وعلى هذه القراة يحرم الوقف على المصور
بل يجب الوصل ليظهر النصب في الرا والا فقد يتوهم منه في الوقف
ما لا يجوز • وروي عن امير المومنين ايضا فتح الواو وجر الرا وهي

كالاولى في المعنى الا انه اضاف اسم الفاعل لمعموله مخففا نحو الضارب
الرجل والوقف على المصور في هذه القراءة ايضا حرام وقد نبه عليه
بعضهم • وقال مكي ويجوز نصبه في الكلام ولا بد من فتح الواو فينصب
بالبارئ اي هو الله الخالق المصور يعني ادم عليه الصلوة والسلام
وبنيه انتهى وكانه لم يطلع على هذه القراءة • وقال ايضا ولا يجوز
نصبه مع كسر الواو • ويروى عن علي رضي الله عنه يعني انه اذا كسرت
الواو كان من صفات الله تعالى وحينئذ لا يستقيم نصبه عنده
لان نصبه باسم الفاعل قبله • وقوله ويروى اي كسر الواو ونصب
الراء اذا صح هذا عن امير المؤمنين فيتخرج على انه من القطع كانه
قيل امدح المصور كقولهم الحمد لله اهل الحمد بنصب اهل وقراءة من
قرا الله رب العالمين بنصب رب • قال مكي والمصور مفعل من صور
يصور ولا يحسن ان يكون من صار يصير لانه يلزم منه ان يقال
المصير بالياء ومثل هذا من الواضحات ولا يختلف المعنى ايضا
وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذوات مقدم على ايجاد
الصفات فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما ومعنى
التصوير التخطيط والتشكيل وخلق الله الانسان في بطن امه
ثلاث خلق جعله علقة ثم مضغة ثم جعله صورة وهو التشكيل
الذي يكون به ذا صورة يعرف بها ويتميز عن غيره فتبارك الله
احسن الخالقين **قوله** له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم • تقدم تطهيره روى ابو هريرة رضي الله
عنه قال سالت خليلي ابا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراءتها فاعدت
عليه فاعاد علي • وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله
لمكان هذه الاية • وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
خواتيم سورة الحشر في ليل او نهار فقبضه الله في تلك الليلة او ذلك
اليوم فقد اوجب الله له الجنة

سورة الممتحنة مدنية

وتسمى الممتحنة بكسر الحاء اي المختبرة اضيف الفعل اليها مجازا كما سميت
سورة براءة المثيرة والفاضحة لما كشفت عن عيوب المنافقين ومن
قال بفتح الحاء فانه اضافها الى المراة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم
بنت عقبة بن ابي معيط قال الله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن
وهي ثلاث عشرة اية وثلاث مائة وثمان واربعون كلمة والف وخمس
وعشرة احرف • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية • وجه تعلق اول هذه
السورة باخر ما قبلها هو ان اخر تلك السورة يشتمل على الصفات
الجميلة اللائقة بحضرة الله تعالى من [illegible] وغيرها • واول
هذه السورة يشتمل على حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات
قوله عدوي وعدوكم اولياء هذان مفعولا لا تتخذوا • والعدو
لما كان بزنة المصادر وقع على الواحد فما فوقه واضاف العدو
لنفسه تعالى تغليظا في جرمهم • روى مسلم عن علي رضي الله عنه قال
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال

ايتوا

ايتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها
فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فاذا نحن بالمراة وهي امراة عبد الرحمن
بن عوف ولدت ابراهيم بن عبد الرحمن فقلنا اخرجي الكتاب
فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب
فاخرجته عن عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة
يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله يا حاطب ما هذا فقال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت
امرا ملصقا في قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم اكن من
انفسها وكان من معك من المهاجرين من له قرابات يحمون اهليهم
واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب ان اتخذ عندهم
يدا يحمون قرابتي ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر
يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد
بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل • قيل اسم المراة ساره
من موالي قريش وكان في الكتاب اما بعد فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل
واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله بكم وانجز له وعده
فيكم فان الله وليه وناصره • وقيل ان سارة مولاة لابي عمرو
بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول
الله يتجهز لفتح مكة وقيل كان هذا زمن الحديبية فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم امهاجرة جئت يا سارة فقالت
لا • قال امسلمة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل
والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم
بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني
وتكسوني فقال عليه الصلوة والسلام فاين انت عن شباب
اهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد
وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وبني المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها واعطوها
فخرجت الى مكة فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد
العزى وقال اعطيك عشرة دنانير وبردا على ان تبلغي هذا الكتاب
الى اهل مكة وكتب في الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بذلك فبعث
عليا والزبير وابا مرثد الغنوي • وفي رواية عليا وعمار بن ياسر
وفي رواية عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد وابا
مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه
منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فادركوها
في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت بالله ما معها كتاب
ففتشوا امتعتها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله
ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله

لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوابتها
قد خبته في شعرها وذروا نه من حجزتها فخلوا سبيلها ورجعوا
بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى حاطب
فقال هل تعرف هذا الكتاب قال نعم وذكر الحديث **فصل**
هذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد تقدم نظيره كقوله
لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا • وقوله يا ايها الذين لا تتخذوا
بطانة من دونكم اوليا. يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى • روي ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا غشي عليه
من الفرح بخطاب الايمان **قوله** تلقون فيه اربعة اوجه
احدها انه تفسير لموالاتهم اياهم • الثاني انه استيناف فاخبر
بذلك فلا يكون للجملة على هذين الوجهين محل من الاعراب
الثالث انها حال من فاعل تتخذوا اي لا تتخذوا ملقين المودة
الرابع انها صفة لاوليا • قال الزمخشري فان قلت اذا
جعلته صفة وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو
قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذلك انما اشترطوه في الاسما
دون الافعال ولو قيل اوليا تلقون اليهم بالمودة على الوصف
لما كان بد من الضمير البارز وقد تقدمت هذه المسلة مستوفاه
ومنها كلام مكي وغيره الا ان ابا حيان اعترض على كونها صفة
او حالا بانهم نهوا عن اتخاذهم اوليا مطلقا في قوله لا تتخذوا
اليهود والنصارى اوليا والتقييد بالحال والوصف يوهم جواز
اتخاذهم اوليا اذا انتفى الحال او الوصف • قال شهاب الدين
ولا يلزم ما قال لانه معلوم من القواعد الشرعية فلا مفهوم
لها البتة • وقال الفرا يلقون من صفة اوليا وهذا على اصولهم
من ان النكرة توصل لغيرها من الموصولات **قوله** بالمودة في البا
ثلاثة اوجه • احدها ان البا مزيدة في المفعول به كقوله ولا تلقوا
بايديكم وقوله ومن يرد فيه بالحاد • الثاني انها غير مزيدة
والمفعول محذوف ويكون معنى البا السبب كانه قيل يلقون
اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم واخباره بسبب المودة
التي بينكم وبينهم قاله الزجاج • الثالث انها متعلقة بالمصدر
الدال عليه تلقون اي القاوهم بالمودة نقله الحوفي عن البصريين
وجعل القول بزيادة البا قول الكوفيين الا ان هذا الذي نقله
عن البصريين لا يوافق اصولهم اذ يلزم منه حذف المصدر وابقا
معموله وهو لا يجوز عندهم وايضا فان فيه حذف الجملة براسها
فان القاهم مبتدا وبالمودة متعلق به والخبر ايضا محذوف وهذا
اجحاف **فصل** قال ابن الخطيب في الاية مباحث • الاول اتخاذ
العدو وليا كيف يمكن والعداوة منافية للمحبة • والجواب
لا يبعد ان تكون العداوة بالنسبة الى امر اخر • الا ترى الى قوله تعالى
انما اموالكم واولادكم فتنة • وقال عليه الصلاة والسلام الاولاد
اكبادنا • الثاني لم قال عدوي وعدوكم ولم يقل بالعكس • والجواب
ان العداوة بين المومن والكافر بسبب محبة الله ومحبة رسوله
صلى الله عليه وسلم فتكون محبة العبد من اهل الايمان لحضرة الله
تعالى لعلة ومحبة حضرة الله تعالى للعبد لا لعلة والذي لا لعلة
اقدم على الذي لعلة ولان الشي اذا كانت له نسبة الى الطرفين الاعلى

مقدم

مقدم على الادنى • الثالث قال اوليا ولم يقل ولي العدو والولي
معرفا • فالجواب ان المعرف بحرف التعريف يتناول كل فرد فكذلك
المعرف بالاضافة **فصل** قال القرطبي قوله تلقون اليهم
بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لهم اما صاحبكم فقد صدق وهذا نص
في سلامة فواده وخلوص اعتقاده **فصل** قال القرطبي من كثر
تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم باخبارهم
لم يكن بذلك كافرا اذا كان فعله ذلك لغرض دنيوي واعتقاده على
ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة
عن الدين واذا قيل بانه لا يكون كافرا بذلك فهل يقتل حدا ام لا •
فقال مالك وابن القاسم واشهب يجتهد الامام في ذلك • وقال
عبد الملك اذا كانت عادته تلك قتل لانه جاسوس وقد قال مالك
بقتل الجاسوس لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ولعل
ابن الماجشون انما اتخذ التكرار في هذا لان حاطبا اخذ في اول فعله
فان كان الجاسوس كافرا فقال الاوزاعي يكون نقضا لعهده • وقال
الجاسوس الحربي يقتل • والجاسوس المسلم والذمي يعاقبان الا ان
يتظاهرا على الاسلام فيقتلان • وقد روي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بعين للمشركين اسمه
فرات بن حيان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الانصار اقتل وانا
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامر به النبي صلى الله
عليه وسلم فخلي سبيله ثم قال ان منكم من اكله الى ايمانه منهم فرات
ابن حيان **قوله** وقد كفروا فيه اوجه احدها الاستيناف
الثاني الحال من فاعل تتخذوا • الثالث الحال من فاعل تلقون
اي لا تتولوهم ولا توادوهم وهذه حالهم • وقرا العامة بما
بالبا والجحدري وعاصم في رواية لما باللام اي لاجل ما جاءكم من الحق
فعلى هذا الشي المكفور به غير مذكور وتقديره كفروا بالله ورسوله
قوله يخرجون الرسول يجوز ان يكون مستانفا وان يكون
تفسيرا لكفرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا من فاعل كفروا
قوله واياكم عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفا له وقد
استدل به من يجوز انفصال الضمير مع القدرة على اتصاله اذ
كان يجوز ان يقال يخرجونكم والرسول فيجوز يخرجون اياكم
والرسول في غير القران وهو ضعيف لانه حال تقديم الرسول
دلالة على شرفه لا نسلم انه يقدر على اتصاله وقد تقدم الكلام على
هذه الاية عند قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم في سورة النسا **قوله** ان تومنوا مفعول له
وناصبه يخرجون اي يخرجونكم لايمانكم او كراهة ايمانكم **فصل**
قال القرطبي ان تومنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون والمعنى يخرجون
الرسول ويخرجونكم من مكة لان تومنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله
قال ابن عباس وكان حاطب ممن اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل في الكلام تقديم وتاخير • والتقدير لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا
ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي • وقيل في الكلام حذف • والمعنى
ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي شرط وجوابه مقدم
والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم

اوليا • قال ابو حيان ان كنتم خرجتم جوابه محذوف عند الجمهور
لتقدم لا تتخذوا وتقدم ردهو لا تتخذوا عند الكوفيين ومن تابعهم
وقال الزمخشري وان كنتم خرجتم متعلق بتتخذوا يعني لا تتولوا
اعداي ان كنتم اوليايي • وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه
محذوف لدلالة ما قبله عليه انتهى يريد انه متعلق به من حيث
المعنى واما من حيث الاعراب فكما قال جمهور النحويين **قوله**
جهادا وابتغا يجوز ان ينتصبا على المفعول له اي خرجتم لاجل
هذين او على المصدر بفعل مقدر اي تجاهدون وتبتغون
او على انهما في موضع الحال **قوله** تسرون يجوز ان يكون
مستانفا ولم يذكر الزمخشري غيره ويجوز ان يكون حالا ثانيا
مما انتصب عنه تلقون حالا ويجوز ان يكون بدلا من تلقون
قاله ابن عطيه ويشبه ان يكون بدل اشتمال لان القا المودة
يكون سرا وجهرا فابدل منه هذا للبيان باي نوع وقع الالقا
قال القرطبي تسرون بدل من تلقون ومبين عنه والافعال
تبدل من الافعال كما قال تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف
له العذاب • وانشد سيبويه •
• متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •
ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي انتم تسرون قاله ابن عطيه ولا يخرج
عن معنى الاستيناف • وقال ابو البقا هو توكيد لتلقون بتكرير
معناه • قال شهاب الدين وفيه نظر لان الالقا اعم من ان يكون
سرا وجهرا وتقدم الكلام على البا في قوله بالمودة **قوله** وانا اعلم
هذه الجملة حال من فاعل تسرون اي واي طايل لكم في اسراركم وقد
علمتم ان الاسرار والاعلان سيان في علمي • واعلم يجوز ان يكون
افعل تفضيل وهو الظاهر اي انا اعلم من كل احد بما تخفون وما
تعلنون وان يكون فعلا مضارعا • قال ابن عطيه وعدي بالبا
لانك تقول علمت كذا • فان قيل لم قدم العلم بالاخفا على العلم
بالاعلان مع ان ذلك مستلزم لهذا من غير عكس • فالجواب
هذا بالنسبة الى علمنا لا بالنسبة الى علمه تعالى وهما سيان في علمه
تعالى لان المقصود بيان ما هو الاخفا وهو الكفر فيكون مقدما
فان قيل لم يقل بما اسررتم وما اعلنتم مع انه اليق بما سبق
في قوله تسرون • فالجواب انه فيه من المبالغة ما ليس في ذلك فان
الاخفا ابلغ من الاسرار بدليل قوله يعلم السر واخفى اي اخفى من السر
وعلمت كذا فتكون البا زايده وفيه وانا اعلم من كل احد كما يقال
فلان اعلم وافضل من غيره **فصل** قال القرطبي وهذا كله
معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسوله
وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيبه كما قال
• اذا ذهب العتاب فليس ود • ويبقى الود ما بقي العتاب •
فصل والمراد بالمودة في الاية النصيحة • قال ابن عباس وانا
اعلم بما اخفيتم في صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار والتوحيد
ومن يفعله منكم اي من يسر اليهم ويكاتبهم فقد ضل سوا السبيل اي
اخطا قصد طريق الهدى **قوله** ومن يفعله في الضمير وجهان اظهرهما
انه يعود على الاسرار لانه اقرب مذكور والثاني انه يعود على
الاتخاذ قاله ابن عطيه **قوله** سوا السبيل يجوز ان يكون منصوبا

على الظرف فان قلنا ضل قاصر والا يكون مفعولا به ان قلنا هو متعد
فان قيل ما الفايدة في قوله منكم ومن المعلوم ان من فعل هذا فقد ضل
سوا السبيل • فالجواب اذا كان المراد من قوله منكم هم المومنون فظاهر
لان من يفعل ذلك لا يلزم ان يكون مومنا **قوله** ان يثقفوكم يلقوكم
ويصادفوكم • ومنه المثاقفة اي طلب مصادفة الغرة في المسايفة
وشبهها وقيل يثقفوكم يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعدا
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسو اي بالضرب والشتم **قوله**
وودوا لو تكفرون في ودوا وجهان • احدهما انه معطوف على جواب الشرط
وهو قوله يكونوا ويبسطوا قاله الزمخشري ثم رتب عليه سوالا وجوابا
فقال فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال
وودوا بلفظ الماضي • قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى
المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شي
كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا مضار الدنيا والاخرة
جميعا • والثاني انه معطوف على جملة الشرط والجزا ويكون تعالى قد اخبر
بخبرين بما تضمنته الجملة الشرطيه وبوداد تهم كفر المومنين ورجح
ابو حيان هذا واسقط به سوال الزمخشري وجوابه فقال وكان
الزمخشري فهم من قوله وودوا انه معطوف على جواب الشرط والذي
يظهر انه ليس معطوفا عليه لان ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على
الظفر بهم والتسليط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سوا ظفروا
بهم او لم يظفروا انتهى • قال شهاب الدين والظاهر انه عطف على الجواب
وقوله هم وادون ذلك مطلقا مسلم لكن ودادتهم له عند الظفر
والتسليط اقرب واطمع لهم فيهم • وقوله لو تكفرون يجوز ان يكون
لما سيقع لوقوع وان يكون المصدرية عند من يرى ذلك وتقدم تحريره
في البقرة **فصل** والمعنى ودوا لو تكفرون بمحمد فلا تناصحوهم
فانهم لا يناصحونكم **قوله** لن تنفعكم ارحامكم • لما اعتذر حاطب
بان له ارحاما واولادا فيما بينهم بين الله تعالى ان الاهل والاولاد
لا ينفعون شيا يوم القيمه ان عصي من اجل ذلك يفصل بينكم
فيدخل المومنين الجنة ويدخل الكافرين النار والله بما تعملون
بصير **قوله** يوم القيمه يجوز فيه وجهان • احدهما ان يتعلق
بما قبله اي لن ينفعكم يوم القيمة فيوقف عليه ويبتدا يفصل بينكم
والثاني ان يتعلق بما بعده اي يفصل بينكم يوم القيمة فيوقف على
اولادكم ويبتدا بيوم القيمة • والقرا في يفصل بينكم على اربع مراتب
الاولى لابن عامر بضم اليا وفتح الفا والصاد مثقلة • الثانيه كذلك
الا انه بكسر الصاد للاخوين • الثالثة بفتح اليا وكسر الصاد مخففة
لعاصم • الرابعة بضم اليا وسكون الفا وفتح الصاد مخففة للباقين
وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وهذا في السبعة • وقرا ابن ابي عبلة
وابو حيوة بضم اليا وكسر الصاد مخففة وسكون الفا من افصل • وابو
حيوة ايضا نفصل بضم النون من افصل • والنخعي وطلحة نفصل
بضم النون وفتح الفا وكسر الصاد مشددة • وقرا ايضا وزيد بن علي
نفصل بفتح النون وسكون الفا وكسر الصاد مخففة فهذه اربع
فصارت ثمان قرآت فمن بناه للمفعول فالقايم مقام الفاعل اما
ضمير المصدر اي يفصل او الظرف وهو على الفتح لاضافته الى غير
متمكن كقوله لقد تقطع بينكم في احد الاوجه او الظرف وهو باق على

نصبه كقولك جلس عندك • ثم قال تعالى والله بما تعملون بصير وفيه
سؤال وهو انه لم يقل خبير مع انه ابلغ في العلم بالشي والحق ان
الخبير ابلغ في العلم والبصير اظهر منه فيه فانه يجعله كالمحسوس بحس البصر
قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الاية لما نهى عن
موالات الكفار ذكر قصة ابراهيم وان من سيرته التبري من الكفار
فاقتدوا به الا في الاستغفار لابيه • والاسوة والاسوة ما يتاسى به
مثل القدوة والقدوة ويقال هو اسوتك اي مثلك وانت مثله
وتقدم قراتا اسوة في سورة الاحزاب والكلام على مادتها **قوله**
في ابراهيم فيه اوجه • احدها انه متعلق باسوة تقول لي اسوة في فلان
ومنع ابو البقا ان يتعلق بها لانها قد وصفت وهذا لا يبالى به لانه
يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره • الثاني انه متعلق بحسنة تعلق
الظرف بالعامل • الثالث انه نعت ثان لاسوة • الرابع انه حال من
الضمير المستتر في حسنة • الخامس ان يكون خبر كان ولكم تبيين **قوله**
والذين معه يعني اصحاب ابراهيم من المومنين • وقال ابن زيد هم الانبيا
قوله اذ قالوا فيه وجهان • احدهما انه خبر كان • والثاني انه متعلق
بخبرها قالهما ابو البقا ومن جوز في كان ان تعمل في الظرف علقه بها والمراد
بقومهم الكفار **قوله** انا برآء هذه قراة العامة بضم البا وفتح الرا
والف بين همزتين جمع برى نحو كريم في كرما • وعيسى ايضا وابو جعفر
بضم البا وهمزة بعد الالف وفيه اوجه • احدها انه جمع برى ايضا
والاصل كسر البا وانما ابدل من الكسرة ضمة كرجال ورباب قاله
الزمخشري • الثاني انه جمع برى ايضا واصله برا كالقراة المشهورة الا
انه حذف الهمزة الاولى تخفيفا قاله ابو البقا • الثالث انه اسم جمع
لبري نحو توام وظوار اسمي جمع لتوام وظير وقرا عيسى ايضا بفتح البا
وهمزة بعد الف كالتي في الزخرف وصح ذلك لانه مصدر والمصدر يقع على
الجمع كوقوعه على الواحد • قال الزمخشري والبري والبراة كالظما والظماء
وقال مكي واجاز ابو عمرو وعيسى بن عمر بر اكسر البا جعله ككريم وكرام
قال القرطبي ونحو علي وزنه فعال مثل قصار وقصير وطوال وطويل
وظراف وظريف ويجوز ترك الهمزة حتى يقول برى وبنون • واجاز الفرا
بفتح البا مثل قال وبراي الاصل مصدر كانه لم يطلع على انها قراة منقوله
فصل قال القرطبي الاية نص في الامر بالاقتدا بابراهيم عليه الصلوة
والسلام في فعله وذلك يدل على ان شرع من قبلنا شرع لنا فيما اخبر الله
ورسله **قوله** كفرنا بكم اي بما انتم به من الاوثان وقيل بافعالكم
وكذبناها وانكرنا ان تكونوا على حق • وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضا
ابدا اي هذا دابنا معكم ما دمتم على كفركم حتى تومنوا بالله وحده فحينيذ
تنقلب المعاداة موالاة • فان قيل ما الفايدة في قوله تومنوا بالله وحده
والايمان انما هو بالله وبغيره كقوله كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله
فالجواب ان الايمان بالله وحده مستلزم للايمان بالملايكة والكتب
والرسل **قوله** الا قول ابراهيم فيه اوجه • احدها انه استثنا متصل
من قوله في ابراهيم ولكن لا بد من حذف مضاف ليصح الكلام تقديره
في مقالات ابراهيم الا قوله كيت وكيت • الثاني انه مستثنى من اسوة
حسنة وجاز ذلك لان القول ايضا من جملة الاسوة لان الاسوة
الاقتدا بالشخص في اقواله وافعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة في جميع
احواله من قول وفعل الا قوله كذا وهذا واضح لانه غير محوج الى تقدير

مضاف

١٠٤

مضاف وغير مخرج للاستثنا من الاتصال الذي هو اصله الى
الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره قال فان قلت بم استثنى
قوله الا قول ابراهيم • قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة
الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون
بها • فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول
الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شي وهو
غير حقيق بالاستثنا الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيا
قلت اراد استثنا جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار
له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في
طاقتي الا الاستغفار • الثالث قال ابن عطية ويحتمل ان يكون
الاستثنا من التبري والقطيعة التي ذكرت اي لم يبق صلة الا كذا
والله اعلم • الرابع انه استثنا منقطع اي لكن قول ابراهيم وهذا
بنا منه على ان القول لم يندرج تحت قوله اسوة وهو ممنوع
فصل قال القرطبي معنى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك اي فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفرون للمشركين فانه
كان عن موعدة منه له قاله قتادة ومجاهد وغيرهما • وقيل معنى
الاستثنا ان ابراهيم هجر قومه وباعدهم الا في الاستغفار لابيه
ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا
صلى الله عليه وسلم على ساير الانبيا لانا حين امرنا بالاقتدا
بابراهيم استثنا بعض افعاله وهذا انما جرى لانه ظن انه اسلم فلما
بان انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم
وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالوهم **قوله** وما املك
لك من الله من شي هذا من قول ابراهيم لابيه اي ما ادفع عنك
من عذاب الله شيا ان اشركت به **قوله** ربنا عليك توكلنا يجوز ان
يكون من مقول ابراهيم والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة
وفصل بينهما بالاستثنا ويجوز ان يكون منقطعا مما قبله على اضمار
قول وهو تعليم من الله لعباده كانه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا
اي اعتمدنا واليك انبنا اي رجعنا واليك المصير اي الرجوع في الاخرة
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهر عدونا علينا فيظنوا انهم
ننا علي حق فيفتتنوا بذلك • وقيل لا تسلطهم علينا فيقتلونا ويعذبونا
ايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هولا على الحق لما
اصابهم ذلك وقيل لا تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم
وقيل لا تجعلنا فتنة اي عذابا اي سببا يعذب به الكفرة وعلى هذا
ليست الاية من قول ابراهيم عليه الصلوة والسلام واغفر لنا ربنا
انك انت العزيز الحكيم **قوله** لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن
معه من الانبيا والاوليا اسوة حسنة اي في التبري من الكفار وقيل
كرر للتاكيد وقيل نزل الثاني بعد الاول بمدة • قال القرطبي
وما اكثر المكررات في القران على هذا الوجه **قوله** لمن كان يرجو الله
بدل من الضمير في لكم بدل بعض من كل وقد تقدم مثله في الاحزاب
والضمير في فيهم عايد على ابراهيم ومن معه وكررت الاسوة تاكيدا
وفيه بيان ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة
ومن يتول اي يعرض عن الايمان ويتول الكفار فان الله هو الغني عن
خلقه اي لم يتعبدهم لحاجته اليهم الحميد الى اوليايه واهل طاعته

قوله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم
وقيل الحميد في نفسه وصفاته
وبين الذين عاديتم منهم مودة. قال المفسرون لما نزلت الاية الاولى
عادى المسلمين اقرباءهم من المشركين فعلم الله شدة وجد المسلمين
في ذلك فنزلت عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم
مودة اي من كفار مكة مودة وقد فعل الله ذلك لان عسى من الله
وعد ولا يخلف الله وعده وهذا بان يسلم الكافر وقد اسلم قوم منهم
بعد فتح مكة وخالطهم المسلمون كابي سفيان بن حرب والحارث
ابن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام. وقيل المودة تزويج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت
تحت عبد الله بن جحش وكانت هي وزوجها من مهاجرة الحبشة فاما
زوجها فتنصر وسالها ان تتابعه على دينه فابت وصبرت على دينها
ومات زوجها على النصرانية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي
فخطبها فقال النجاشي لاصحابه من اولاكم بها قالوا خالد بن سعيد بن
العاص قال فزوجها من نبيكم وامهرها النجاشي من عنده اربعمائة
دينار. وقيل خطبها النبي صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن عفان
فلما زوجه اياها بعث الى النجاشي فيها فساق عنه المهر وبعث بها اليه
فقال ابو سفيان وهو مشرك لما بلغه تزويج النبي صلى الله عليه وسلم
ابنته ذلك الفحل لا يقدع انفه. قال ابن الاثير يقال قدعت الفحل
وهو ان يكون غير كريم فاذا اراد ركوب الناقة الكريمة ضرب انفه
بالرمح وغيره حتى يرتدع وينكف ويروى بالرا **قوله تعالى** لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين هذه الاية رخصة من الله تعالى في
صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم. قال ابن زيد كان
هذا في اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ.
قال قتادة نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. وقيل
كان هذا الحكم لعلة وهي الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي
الرسم يتلى. وقيل هي مخصوصة في حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن
بينه وبينه عهد لم ينقضه قاله الحسن. قال الكلبي هم خزاعة
وبنو الحارث بن عبد مناف وهو قول ابي صالح. وقال مجاهد هي
مخصوصة في الذين امنوا ولم يهاجروا. وقيل يعني به النساء والصبيان
لانهم ممن لا يقاتل فاذن الله في برهم. وقال اكثر اهل التاويل
هي محكمة واحتجوا بان اسماء بنت ابي بكر سالت النبي صلى الله عليه وسلم
هل تصل امها حين قدمت عليها مشركة فقال نعم خرجه البخاري ومسلم
وقيل ان الاية نزلت فيها. وروى عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه
ان ابا بكر الصديق طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي ام اسماء بنت
ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش فاهدت الى اسماء بنت ابي
بكر قرطا واشياء فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين ذكر هذا الخبر الماوردي وغيره وخرجه ابو داود
الطيالسي في مسنده **قوله** ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان تبروهم بدل من
من الذين قبلها بدل اشتمال فيكون في موضع جر. والمعنى لا ينهاكم
الله عن ان تبروا هولاء الذين لم يقاتلوكم انما ينهاكم عن تولي هولاء وهم
خزاعة صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا

عليه

عليه احدا فامر ببرهم والوفاء لهم الى اجلهم حكاه الفراء. وقوله وتقسطوا
اي تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل
فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي.
فصل القرطبي عن القاضي ابي بكر في كتاب الاحكام له ان بعض
العلماء استدل بهذه الاية على وجوب نفقة الابن المسلم على ابيه
الكافر قال وهذه وهلة عظيمة اذ الاذن في الشيء او ترك النهي عنه
لا يدل على وجوبه وانما يعطي الاباحة خاصة وقد بينا ان القاضي
اسماعيل بن اسحاق دخل عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك
فتلا هذه الاية عليهم **قوله** انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
اي جاهدوكم على الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة
وظاهروا اي عاونوا على اخراجكم وهم مشركو مكة ان تولوهم ومن
يتولهم اي يتخذهم اولياء وانصارا واحبابا فاولئك هم الظالمون
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات الاية
لما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين
من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان التناكح من اوكد اسباب
الموالاة فبين احكام مهاجرة النساء. قال ابن عباس جرى الصلح مع
مشركي قريش عام الحديبية على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم
فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب
والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان
كافرا وهو صيفي بن الراهب. وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد
اردد علي امراتي فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب لم تجف
بعد فانزل الله تعالى هذه الاية. وقيل جاءت ام كلثوم بنت عقبة
ابن ابي معيط فجاء اهلها يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها اخواها
عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها وحبسها
فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال النبي
صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى
هذه الاية. وعن عروة قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى
الله عليه وسلم في الحديبية ان لا ياتيك منا احد وان كان على دينك
الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المومنون ذلك وابى
سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ
ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده
في تلك المدة وان كان مسلما حتى انزل الله في المومنات ما انزل يومي الى
ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك. وقيل ان التي جاءت اميمة بنت بشر
كانت عند ثابت بن الشمراخ ففرت منه وهو يومئذ كافر فتزوجها
سهل بن حنيف فولدت له عبد الله قاله زيد بن حبيب نقله الماوردي
واكثر اهل العلم انها ام كلثوم بنت عقبة **قوله** المومنات
تسمية للشيء بما يقاربه ويشارفه او في الظاهر. وقرئ مهاجرات
بالرفع وخرجت على البدل **فصل** اختلفوا هل دخل النساء
في عقد المهادنة لفظا او عموما فقالت طائفة كان شرط ردهن
في عقد الهدنة صريحا فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه وبقاه
في الرجال على ما كان وهذا يدل على ان للنبي صلى الله عليه وسلم
ان يجتهد رايه في الاحكام ولكن لا يقره الله على خطا وقالت طائفة

لم يشترط ردهن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم
فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى
خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين• احدهما
انهن ذوات فروج يحرمن عليهم والثاني انهن ارق قلوبا واسرع
تقلبا منهم فاما المقيمة منهن على شركها فمردودة عليهم **قوله**
فامتحنوهن قيل انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها قالت
ساهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر النبي صلى الله
عليه وسلم بامتحانهن واختلفوا فيما كان يمتحنهن به فقال ابن
عباس كان يمتحنهن بان يستحلفهن بالله انها ما خرجت من بغض زوجها
ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل من المسلمين
ولا لحدث احدثته ولا خرجت الا رغبة في الاسلام وحب الله ورسوله
فاذا حلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه
وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها فذلك قوله تعالى
فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن• وروي عن ابن عباس ايضا ان المحنة كانت
ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله• وروى معمر عن
الزهري عن عائشة قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمتحنهن الا بالاية التي قال الله تعالى اذا جاءك المومنات يبايعنك
خرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **فصل** قال اكثر
العلما على ان هذا ناسخ لما كان عليه الصلوة والسلام عاهد عليه قريشا
من انه يرد عليهم من جاءه منهم مسلما فنسخ من ذلك النسا وهذا مذهب
من يرى نسخ السنة بالقران• وقال بعض العلما كله منسوخ بالقران
فصل قال القرطبي ولا يجوز ان يهادن الامام العدو على ان
يرد اليهم من جاءه مسلما لان اقامة المسلم بارض الشرك لا يجوز وهذا
مذهب الكوفيين• واجاز مالك عقد الصلح على ذلك• واحتج الكوفيون
بان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى قوم
من خثعم فاعتصموا بالسجود فقتلهم فوداهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنصف الدية وقال انا بري من كل مسلم اقام مع مشرك
بدار الحرب الا ترايا ناراهما قالوا فهذا ناسخ لرد المسلمين الى المشركين
اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد برى ممن اقام معهم في دار
الحرب• ومذهب مالك والشافعي ان هذا الحكم غير منسوخ• قال
الشافعي وليس لاحد هذا العقد الا الخليفة او رجل بامره فمن عقد
غير الخليفة هذا العقد فهو مردود **قوله** الله اعلم بايمانهن
هذه الجملة فايدتها بيان انه لا سبيل لكم الى ما تطمين به النفس
ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر الله
به قاله الزمخشري اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن لانه
متولي السراير• وسمى الظن الغالب في قوله علمتموهن علما لما بينهما
من القرب كما يقع الظن موقعه وتقدم ذلك في البقرة **قوله** فان
علمتموهن مومنات اي بما يظهر لكم من الايمان وقيل اي علمتموهن
مومنات قبل الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم وقوله
ولا هم يحلون لهن تاكيد للاول لتلازمهما وقيل اراد استمرار الحكم
بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ما داموا مشركين وهن مومنات
فصل معنى الاية لم يحل الله مومنة لكافر وهذا ادل دليل على ان

الذي

الذي اوجب فرقة المسلمة من زوجها الكافر اسلامها لا هجرتها
وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين والصحيح
الاول لان الله تعالى بين العلة وهو عدم الحل بالاسلام لا
باختلاف الدار **قوله** واتوهم ما انفقوا امر الله تعالى اذا
امسكت المراة المسلمة ان نرد على زوجها ما انفق وذلك من الوفا
بالعهد لانه لما منع من اهله بحرمة الاسلام امر برد المال حتى لا يقع
عليهم خسران من الوجهين الزوجة والمال **فصل** ولا غرم
اذا طالب الزوج الكافر فاذا حضر وطالب منعناها وغرمنا فان
كانت قبل حضور الزوج لم يغرم المهر اذ لم يتحقق المنع وان كان المسمى
خمرا او خنزيرا لم تغرم شيا لانه لا قيمة له• وللشافعي في هذه الاية قولان
احدهما ان هذا منسوخ• قال الشافعي واذا جاءتنا المراة الحرة من
اهل الهدنة مسلمة مهاجرة من دار الحرب الى الامام في دار الاسلام
او في دار الحرب فمن طلبها من ولي سوى زوجها منع منها بلا عوض واذا طلبها
زوجها لنفسه او غيره بوكالته ففيه قولان• احدهما انه يعطى العوض
لهذه الاية• والثاني لا يعطى الزوج المشرك الذي جاءت امرأته
مسلمة العوض فان شرط الامام رد النسا كان الشرط باطلا منسوخا
وليس عليه عوض لانه لا عوض للمنسوخ والباطل **فصل** امر الله تعالى
برد ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام ينفذ مما بين يديه
الذي لا يتعين له مصرف• وقال مقاتل يرد المهر الذي يتزوجها
من المسلمين فان لم يتزوجها احد فليس لزوجها الكافر شي• وقال قتادة الحكم في رد
الصداق انما هو في نسا اهل العهد فاما من لا عهد بينه وبين
المسلمين فلا يرد عليهم الصداق قال القرطبي والامر كما قال **قوله**
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن وقوله اذا اتيتموهن
يجوز ان يكون ظرفا محضا وان يكون شرطا جوابه متقدم اي فلا جناح
عليكم **فصل** ومعنى الاية ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا
اتيتموهن اجورهن اي مهورهن فاباح الله نكاحهن للمسلمين
وان كان لهن ازواج في دار الكفر لان الاسلام فرق بينهن وبين
ازواجهن الكفار• قال القرطبي اباح نكاحهن اذا اسلمن وانقضت
عدتهن لما ثبت في نكاح المشركة والمعتدة فان اسلمت قبل الدخول
ثبت النكاح في الحال **قوله** ولا تمسكوا بعصم الكوافر• قرا ابو عمرو
واخرون بضم التا وفتح الميم وشد السين• وباقي السبعة بتخفيفها
من مسك وامسك بمعنى واحد يقال امسكت الحبل امساكا ومسكته
تمسيكا وفي التشديد مبالغة والمخفف صالح لها ايضا• وقرا الحسن وابن
ابي ليلى وابو عمرو وابن عامر في رواية عنهما تمسكوا بالفتح في الجميع وتشديد
السين والاصل تتمسكوا بتاين فحذفت احداهما وعن الحسن ايضا
تمسكوا مضارع مسك ثلاثيا والعصم جمع عصمة والعصمة هنا
النكاح يقول من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت
عصمتها والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة• وحكي عن الكرخي
الفقيه المعتزلي انه قال الكوافر تشمل الرجال والنسا• قال الفارسي
فقلت له النحويون لا يرون هذا الا في النسا جمع كافرة فقال ابو علي
اليس يقال طايفة كافرة وفرقة كافرة قال ابو علي فبهت وقلت
هذا تاييد المعنى قال شهاب الدين وانما اعجب بقوله معتزليا والحق
انه لا يجوز كافرة وصفا للرجال الا ان يكون الموصوف مذكورا نحو هذه

طائفة كافرة او في قوة المذكور واما ان يقال طايفة باعتبار الطايفة
غير المذكوره ولا في قوة المذكوره بل لمجرد الاحتمال وجمع جمع فاعله فعل الاجو
وقول للفارسي لا يرد هذا الا في الشذا صحيح ولكنه الغالب وقد يجمع فاعل
وصف المذكر العاقل على فواعل وهو محفوظ نحو فوارس ونواكس

فصل

قال النخعي المراد بالاية المراة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان
الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك
بهذه الاية فطلق عمر بن الخطاب حينئذ ابنتين له بمكة مشركتين قريبة
بنت امية فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة فلما
ولي عمر قال ابو سفيان لمعاوية طلق قريبة لئلا يرى عمر سلبه في بيتك
فابى معاوية وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحارث
ابن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن
سعيد بن العاص وكانت ممن فرت الى النبي صلى الله عليه وسلم من نسا
الكفار فحبسها وتزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن امية • وقال
الشعبي كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص
ابن الربيع اسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص
بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم • وروى ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث
شيا قال محمد بن عمرو في حديثه بعد ست سنين • وقال الحسن بن علي
بعد سنتين قال ابو عمر وفاذ صح هذا فلا يخلو من وجهين اما انها لم
تحض حتى اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن
احق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا مما لا خلاف فيه انه ان عني
به العده • قال الزهري في قصة زينب هذه كانت قبل ان تنزل الفرايض
وقال قتادة كان هذا قبل ان تنزل سورة براة بقطع العهود بينهم
وبين المشركين

فصل

المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان ومن لا
يجوز ابتدا نكاحها وقيل هي عامة نسخ منها نسا اهل الكتاب • فعلى
الاول اذا اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امراته فرق بينهما وهو قول
بعض اهل العلم منهم مالك والحسن وطاوس ومجاهد وعطا وعكرمة
وقتادة والحكم لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال بعضهم
ينتظر بها تمام العده وهو قول الزهري والشافعي واحمد واحتجوا بان
ابا سفيان بن حرب اسلم قبل هند بنت عتبة امراته وكان اسلامه بمر
الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها فاخذت
بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعده بايام فاستقر
على نكاحها لان عدتها لم تكن انقضت • قالوا ومثله حكيم بن حزام
اسلم قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما • قال الشافعي
ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر لان نسا المومنات محرمات
على الكفار كان المسلمين لا يحل لهم الكوافر والوثنيات والمجوسيات
لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد
الله من قوله هذا انه لا يحل بعضهم لبعض الا ان يسلم الثاني منهما
في العدة • وقال ابو حنيفة واصحابه في الكافرين الذميين اذا اسلمت
المراة عرض على الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا
حربيين فهي امراته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب او
في دار الاسلام • وان كان احدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت
العصمة وقد تقدم ان اعتبار الدار ليس بشي وهذا الاختلاف انما هو في المدخول
بها • واما غير المدخول بها فلا نعلم خلافا في انقطاع العصمة بينهما
ولا عدة عليها وكذا يقول مالك في المراة ترتد وزوجها مسلم تنقطع
العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول
الحسن البصري والحسن بن صالح • وقال الشافعي واحمد تتوقف
الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذلك الوثني تسلم زوجته
ان اسلم في عدتها فهو احق بها كما ان صفوان بن امية وعكرمة
بن ابي جهل اقرا بزوجيتهما لما اسلما في عدتهما لما ذكر مالك في
الموطا • قال ابن شهاب كان بين اسلام صفوان وبين اسلام
امراته نحو شهر • قال ابن شهاب ولم يبلغنا ان امراة هاجرت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار
الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الا ان يقدم زوجها
مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها • وقال بعضهم ينفسخ النكاح بينهما
لما روى يزيد بن علقمة قال اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق
بينهما عمر رضي الله عنه وهو قول طاوس وعطا وعكرمة قالوا
لا سبيل عليها الا بخطبة قوله واسالوا ما انفقتم وليسالوا
ما انفقوا قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات
الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها • ويقال للكفار
اذا جا احد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها
وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين • قال ابن العربي كان هذا
حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة • قال الزهري
ولولا هذه الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك النسا ولم يرد الصداق
وكذلك كان يصنع بمن جا من المسلمات قبل العهد فلما نزلت
هذه الاية اقر المومنون بحكم الله عز وجل وادوا ما امروا به
من نفقات المشركين على نسايهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله
فيما امروا من ادا نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل وان
فاتكم شي ايها المومنون وقوله ذلكم حكم الله اي ما ذكر في هذه الاية
والله عليم حكيم قوله يحكم بينكم فيه وجهان • احدهما انه
مستانف لا محل له • والثاني انه حال من حكم والراجع اما مستتر اي
يحكم هو اي الحكم على المبالغة واما محذوف اي يحكمه وهو الظاهر قوله
من ازواجكم يجوز ان تتعلق بفاتكم اي من جهة ازواجكم ويراد بالشي
المهر الذي غرمه الزوج كما تقدم ويجوز ان تتعلق بمحذوف على انه
صفة لشي ثم يجوز في شي ان يراد به المهر ولكن على هذا فلا بد من
حذف مضاف اي من مهور ازواجكم ليطابق الموصوف وصفته ويجوز
ان يراد بشي النسا اي شي من النسا اي نوع وصنف منهن وهو ظاهر
وصفه بقوله من ازواجكم وقد صرح الزمخشري بذلك فانه قال وان
سبقكم وانفلت منكم شي من ازواجكم احد منهن الى الكفار • وفي قراة
ابن مسعود احد فهذا التصريح بان المراد بشي النسا الفارات • ثم قال
فان قلت هل لايقاع شي في هذا الموضع فايدة قلت نعم الفايدة فيه
ان لا يغادر شي من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا في هذا
الحكم وتشديدا فيه ولولا نصه على ان المراد بشي اخذه كما تقدم لكان قوله الا
انه يغادر شي من هذا الجنس وان قل وحقر ظاهرا في ان المراد بشي المهر لانه
يوصف بالقلة والحقارة وصفا شايعا • وقوله تغليظا وتشديدا فيه

نظر لان المسلمين ليس لهم نسب في نزار النسا الى الكفار حتى يغلظ
عليهم الحكم بذلك وعدى فات بالى لانه ضمن معنى الفرار والذهاب
والسبق ونحو ذلك **قوله** تعالى فعاقبتم عطف على فاتكم • وقرا العامة
عاقبتم وفيه وجهان • احدهما انه من العقوبة • قال الزجاج فعاقبتم
فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم • والثاني انه من العقبة
وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء
مهور النسا اولئك تارة واولئك مهور نسا هؤلاء اخرى بامر
يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت
عقبتكم من اداء المهر انتهى • وقرا مجاهد والاعرج والزهري وابو حيوة
وعكرمة وحميد بشد القاف دون الف فسرها الزمخشري على اصل
بعقبة اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفو صاحبه وكذلك
عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه انتهى والذي قراه بالتخفيف
وفتح القاف النخعي وابن وثاب والزهري والاعرج ايضا وبالتخفيف
وكسر القاف مسروق والزهري والنخعي ايضا • وعن مجاهد عقبتم قال
الزمخشري معناه دخلتم في العقبة • قال البغوي معناه اي صنعتم بهم
كما صنعوا بكم وفسر الزجاج القراات الباقية فكانت العقبى لكم اي
كانت الغلبة لكم حتى غنمتم والظاهر انه كما قال الزمخشري من المعاقبة
بمعنى المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه في كذا اي جا فعل كل واحد
منهما بعقب فعل الاخر ويقال اعقب ايضا وانشد •
وحاردت النكد الجلاد ولم يكن لعقبة قدر المستعيرين معقب
قال البغوي وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب واعقب وتعقب
وتعاقب واعتقب اذا غنم • وقيل التعقيب غزوة بعد غزوة
فصل روي ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله وكتبوا الى
المشركين فامتنعوا فنزل قوله تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار
فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا • روى الزهري
عن عروة عن عايشة رضي الله عنها فقالت حكم الله بينهم فقال
تعالى واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون
قد حكم الله عز وجل بيننا بانه اذا جاتكم امراة منا ان توجهوا الينا
بصداقها وان جاتنا امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما
نحن فلا نعلم لكم عندنا شي فان كان لنا عندكم شي فوجهوا به فانزل الله
تعالى وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار الاية • وقال ابن عباس في قوله تعالى
ذلكم حكم الله اي بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد
بعضهم على بعض • قال الزهري ولولا العهد لامسك النسا ولم يرد اليهم
صداقا • وقال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا من الفي والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا وبينه
عهد وليس بيننا وبينه عهد وقالا ومعنى فعاقبتم فاقتصصتم
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني الصدقات فهي
عامة في جميع الكفار وقيل فعاقبتم المرتدة بالقتل • وقال قتادة
ايضا وان فاتكم شي من ازواجكم الى الكفار الذي ليس بينكم وبينهم
عهد فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا في سورة
براة • وقال الزهري انقطع هذا الفتح • وقال سفيان الثوري
لا يعمل به اليوم • وقال قوم هو ثابت الحكم الان ايضا حكاه القشيري
فصل قال القرطبي الاية نزلت في ام الحكم بنت ابي سفيان

ارتدت

ارتدت وتركت زوجها عياض بن غنم الفهري ولم ترتد امراة من قريش
غيرها ثم عادت الى الاسلام • وقال البغوي روى عن ابن عباس قال
لحق بالمشركين من نسا المومنين المهاجرات ست نسوة ام الحكم بنت
ابي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية
ابن المغيرة اخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر
ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن
عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود
وهند بنت ابي جهل بن هشام بن العاص بن وائل وام كلثوم
بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن عن الاسلام اعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة •
فصل اختلفوا في رد مهر من اسلمت من النسا الى ازواجهن
هل كان واجبا او مندوبا واصله ان الصلح هل كان قد وقع على رد
النسا على قولين • احدهما انه وقع على رد الرجال والنسا جميعا
لما روي من قولهم لا ياتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم في رد
النسا منسوخا بقوله فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان
رد المهر واجبا • والثاني ان الصلح لم يقع على رد النسا لانه روي
انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك
لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المراة من
اصابة المشرك اياها وانه لا يامن عليها الردة اذا خوفت واكرهت
عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار كلمة
الكفر مع التورية واضمار الايمان ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته
وهدايته الى التقية فعلى هذا كان رد المهر مندوبا واختلفوا
في انه هل يجب به العمل اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار
فقال عطا ومجاهد وقتادة لا يجب وزعموا ان الاية منسوخة
وقيل هي غير منسوخة ويرد اليهم ما انفقوا **فصل** معنى
الاية ان لحقت امراة مومنة بكفار اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد
ولها زوج قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة
قبل ان تخمس • وقال الزهري يعطى من مال الفي • وعنه يعطى من
صداق من لحق بنا • وقيل ان امتنعوا من ان يغرموا مهر هذه المراة
التي ذهبت اليهم فانبذوا العهد اليهم حتى اذا ظفرتم فخذوا ذلك
منهم واتقوا الله اي احذروا ان تتعدوا ما امرتم به **قوله**
تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات الاية • لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة جاءه نسا اهل مكة يبايعنه فامر ان ياخذ
عليهن ان لا يشركن قالت عايشة والله ما اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم على النسا قط الا بما امر الله عز وجل وما مست كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ
عليهن قد بايعتكن كلاما • وروي انه عليه الصلوة والسلام بايع
النسا وبين يديه وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن • وقيل
لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل
يشترط على النسا البيعة وعمر يصافحهن • وروي انه كلف امراة وقفت
على الصفا فبايعتهن • قال ابن العربي وذلك ضعيف وانما التعويل
على ما في صحيح مسلم من حديث عايشة المتقدم قالت كانت المومنات
اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله تعالى



يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا
ولا يسرقن ولا يزنين الى اخر الاية قالت عايشة من اقر بهذا
من المومنات فقد اقر بالمحنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم امراة قط غير انه تبايعن بالكلام • وقالت
ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع
نسا الانصار في بيت ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب فقام على
الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليكن الا تشركن بالله شيا الاية فقلن نعم
فمد يده من خارج البيت ومددن ايدينا من داخل البيت ثم
قال اللهم اشهد • وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النسا دعا بقدح من ماء
فغمس يده فيه ثم امرهن فغمسن ايديهن فيه فصل
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم
فتح مكة وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه وهو يبايع
النسا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغهن عنه على ان لا
يشركن بالله شيا وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة
متنكرة مع النسا خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يعرفها لما صنعته بحمزة يوم احد فقالت والله انك لتاخذ علينا
امرا ما رايتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يوميذ على
الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن
فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله
قوتنا فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من
شي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم
فاعف عني ما سلف عفا الله عنك ثم قال ولا يزنين فقالت
هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن اي لا يبدن
الموودات ولا يسقطن الجنين فقالت هند ربيناهم صغارا
وقتلتموهم كبارا يوم بدر وانت وهم اعلم وكان ابنها حنظلة
ابن ابي سفيان وهو بكرها قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى
وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا ياتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن • قال اكثر المفسرين
معناه لا يلحقن بازواجهن ولدا من غيرهن وكانت المراة تلتقط
ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من
البهتان والافترا لان النهي عن الزنا قد تقدم • قال بعض المفسرين
اذا التقطت ولدا فانما التقطت بيدها ومشت برجلها الى اخذه
فاذا اضافته الى زوجها فقد اتت ببهتان تفترينه بين ايديها
ورجليها • وقيل تفترينه على انفسهن حيث يقلن هذا ولدنا
وليس كذلك اذ الولد ولد الزنا • وقيل ما بين يديها ورجليها كناية
عن الولد لان بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي
تلد منه بين رجليها وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج
وان سبق النهي عن الزنا وقيل معنى بين ايديهن السنتهن بالنميمة

ومعنى



ومعنى بين ارجلهن فروجهن • وقيل ما بين ايديهن من قبلة او جسة
وبين ارجلهن الجماع • وروي ان هندا لما سمعت ذلك قالت والله
ان البهتان لامر قبيح ما تامر الا بالرشد ومكارم الاخلاق • ثم
قال ولا يعصينك في معروف اي في كل امر وافق طاعة الله
تعالى قال بكر بن عبد الله المزني في كل امر فيه رشدهن • وقال مجاهد
لا تخلوا المراة بالرجال • وقال سعيد بن المسيب والكلبي
وعبد الرحمن بن زيد هو النهي عن النوح والدعا بالويل وتمزيق
الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المراة الرجال
الا ذا محرم ولا تسافر الا مع ذي محرم وروت ام عطية عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان ذلك في النوح وهو قول ابن عباس • وروى
شهر بن حوشب عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
يعصينك في معروف قال هو النوح • وفي صحيح مسلم عن ام
عطية لما نزل قوله يبايعنك الى قوله ولا يعصينك في معروف
قال كان منه النياحة قالت فقلت يا رسول الله الا ال
بني فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من ان
اسعدهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ال فلان
قوله يبايعنك حال وشيا مصدر اي شيا من الاشراك
وقرا علي والسلمي والحسن يقتلن بالتشديد ويفترينه صفة
لبهتان او حال من فاعل ياتين فصل ذكر الله عز وجل في
هذه الاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة
خصالا ستا صرح فيهن باركان النهي في الدين ولم يذكر اركان
الامر وهي ست ايضا الشهادة • والصلوة • والزكاة • والصيام •
والحج • والاغتسال من الجنابة • وذلك لان النهي دايم في كل زمان
وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدايم اكد • وقيل ان
هذه المناهي كان في النسا كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها
شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو منه قوله عليه الصلوة
والسلام لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدبا والحنتم والنقير
والمزفت فنبههم عن ترك المعصية في شرب الخمر دون ساير
المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المر شهوته
من المعاصي هان عليه ترك سايرها مما لا شهوة له فيها فصل
لما قال النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة ولا يسرقن قالت
هند يا رسول الله ان ابا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج ان اخذت
ما يكفيني وولدي فقال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان
تقتصر على ما يعطيها فتضيع او تاخذ اكثر من ذلك فتكون سارقة
ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك اي لا حرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة
الى اكثر من الحاجة • قال ابن العربي وهذا انما هو فيما لا يخزنه
عنها في حجاب ولا يضبط عليه بقفل فانها اذا هتكته الزوجة
واخذت منه كانت سارقة تعصي بها وتقطع يدها فصل
فان قيل هلا قيل اذا جاءك المومنات فامتحنوهن كما قال في
المهاجرات • فالجواب من وجهين • احدهما ان الامتحان حاصل
بقوله تعالى على ان لا يشركن الى اخره • وثانيهما ان المهاجرات
ياتين من دار الحرب فلا اطلاع للمبايع على ما فيها فلا بد من الامتحان

واما المومنات فهن في دار الاسلام وعلمن الشرايع فلا حاجة
الى الامتحان مع ظاهر حالها فان قيل ما الفايدة في تقديم البعض
في الاية على البعض في ترتيبها • فالجواب قدم الاقبح على ما هو
الادنى منه في القبح ثم كذلك الى اخره وقدموا الاشيا المذكورة
ما هو الاظهر فيما بينهم **فصل** قال عبادة بن الصامت
اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخذ على النسا ان لا
يشركوا بالله شيا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا اولادكم
ولا يعضد بعضكم بعضا ولا تعصوا في معروف امركم به معنى
يعضه يسحر والعضه السحر ولهذا قال ابن بحر وغيره في قوله
تعالى ولا ياتين ببهتان انه السحر • وقال الضحاك هذا نهي عن
البهتان اي لا يعضهن رجلا ولا امراة ببهتان اي بسحر والجمهور
على ان معنى ببهتان ان يولد يفترينه بين ايديهن ما اخذته لقيطا
وارجلهن ما ولدته من زنا كما تقدم **فصل** قال المهدوي
اجمع المسلمون على انه ليس للامام ان يشترط عليهن هذا والامر
بذلك ندب لا الزام • وقال بعض العلما اذا احتيج الى المحنة من
اجل تباعد الدار كان على امام المسلمين اقامة المحنة **قوله**
فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم • قالت عايشة
كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النسا بالكلام بهذه الاية
ان لا يشركن بالله شيا قالت وما مست يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يد امراة الا امراة يملكها • وقالت ميمونة بنت
رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال
فيما استطعتن واطقتن فقلت يا رسول الله هلم نصافحك فقال اني
لا اصافح النسا انما قولي لامراة كقولي لماية امراة **قوله** يا ايها
الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود فقوله
غضب الله عليهم صفة لقوما وكذلك قد يئسوا • وقوله من الاخرة
من لابتدا الغاية اي انهم لا يوقنون بالاخرة البتة ومن اصحاب
القبور فيه وجهان • احدها انها لابتدا الغاية ايضا كالاولى
والمعنى انهم لا يوقنون ببعث الموتى البتة فياسهم من الاخرة
كياسهم من موتاهم لاعتقادهم عدم بعثهم • والثاني انها
لبيان الجنس يعني ان الكفار هم اصحاب القبور • والمعنى ان هولا
يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار الذين هم اصحاب القبور
من خير الاخرة فيكون متعلق يئس الثاني محذوفا • وقرا ابن ابي
الزياد الكافر بالافراد **فصل** قال ابن زيد ان ناسا
من فقرا المومنين كانوا يخبرون اليهود باخبار المومنين ويواصلونهم
فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك قد يئسوا من الاخرة
يعني اليهود قد يئسوا من الاخرة بان يكون لهم فيها ثواب وخير
كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا
الى القبور من ان يكون لهم ثواب وحظ في الاخرة • وقال مجاهد الكفار
دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله وقيل هم المنافقون • وقال
حسن وقتادة هم اليهود والنصارى • قال ابن مسعود معناه ان
تركوا العمل للاخرة واثروا الدنيا • وقال الحسن وقتادة معناه ان
الكفار الذين هم احيا يئسوا من الكفار ومن اصحاب القبور ان يرجعوا
اليهم • وقيل ان الله تعالى ختم السورة بما بداها من ترك موالاة

الكفار

الكفار وهو خطاب لحاطب بن ابي بلتعة وغيره • قال ابن عباس معنى
قوله لا تتولوا اي لا تتولوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله
وفضله على حاطب بن ابي بلتعة يريد ان كفار قريش قد يئسوا
من خير الدنيا كما يئس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم في الارض
روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان المومنون والمومنات
له شفعا يوم القيامة

سورة الصف مدنية

في قول الاكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية وهي اربع
عشرة اية وما يتان واحدى وعشرون كلمة وتسع ماية حرف
• بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سبح لله ما في السموات وما
في الارض وهو العزيز الحكيم • قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه
السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج الى
الجهاد في سبيل الله وابتغا مرضاته بقوله ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي وفي هذه السورة بين ما يحمل
المومن ويحثه على الجهاد فقال ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص • فان قيل ما الحكمة في انه
تعالى قال في بعض السور سبح لله بلفظ الماضي • وفي بعضها يسبح
بلفظ المضارع • وفي بعضها بلفظ الامر • فالجواب ان الحكمة في ذلك
تعليم العبد ان تسبيح الله تعالى دايم لا ينقطع كما ان الماضي يدل عليه
في الماضي من الزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل من الزمان
والامر يدل عليه في الحال • والعزيز هو الغالب على غيره اي شي كان
ذلك الغير ولا يمكن ان يحكم عليه غيره • فان قيل هلا قيل سبح لله
السموات والارض وما فيهما وهو اكثر مبالغة • فالجواب انما يكون
كذلك اذا كان المراد التسبيح بلسان الحال اما اذا كان المراد التسبيح
المخصوص بالبعض بلفظ معين فلا يكون كذلك **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى الدارمي في مسنده قال انبانا
محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن عبد الله
ابن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا
فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله
ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا
لم تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها • قال ابو سلمة فقراها علينا
عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقراها علينا ابو سلمة
فقراها علينا يحيى فقراها علينا الاوزاعي فقراها علينا محمد
فقراها علينا الدارمي • وقال عبد الله بن عباس قال عبد الله بن
رواحة لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه
وقال الكلبي قال المومنون يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله
لسارعنا اليها فنزلت هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
فمكثوا زمانا يقولون لو نعلمها لاشتريناها بالاموال والانفس
والاهلين فدلهم الله عليها بقوله تومنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم الاية فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت
هذه الاية تعييرا لهم بترك الوفا • وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهدا بدر قالت الصحابة اللهم

شهد ان لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم
الله بذلك • وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون
نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا • وقال صهيب كان رجل قد
اذى المسلمين يوم بدر وانكاهم فقتلته فقال رجل يا نبي الله
اني قتلت فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عمر
ابن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف يا صهيب اما اخبرت رسول
الله صلى الله عليه وسلم انك قتلت فلانا فان فلانا انتحل
قتله فاخبره فقال اكذلك يا ابا يحيى قال نعم والله يا رسول الله
فنزلت الاية في المنتحل • وقال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم وقاتلتم
خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا **فصل**
قال القرطبي هذه الاية توجب على كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة
ان يفي بها • وفي صحيح مسلم عن ابي موسى انه بعث الى قراء اهل البصرة
فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرؤوا القران فقال انتم خيار اهل
البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما
قست قلوب من كان قبلكم وانا كنا نقرا سورة نشبهها في الطول والشدة
ببراءة فانسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن ادم واديان
من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب • وكنا
نقرا سورة نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير اني قد حفظت
منها يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في
اعناقكم فتسالون عنها يوم القيامة • قال ابن العربي وهذا كله
ثابت في الدين • اما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون فثابت في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة • واما قوله
شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيامة فمعنى ثابت في الدين
فان من التزم شيئا لزمه شرعا والملتزم على قسمين • احدهما النذر وهو على
قسمين نذر تقرب مبتدا كقوله لله علي صلاة او صوم او صدقة
ونحوه من القرب فهذا يلزم الوفاء به اجماعا • ونذر مباح وهو ما علق
بشرط رغبة كقوله ان قدم غائبي فعلي صدقة • او علق بشرط رهبة
كقوله ان كفاني الله شر كذا فعلي صدقة ففيه خلاف فقال مالك
وابو حنيفة يلزمه الوفاء به • وقال الشافعي في قول لا يلزمه الوفاء به
وعموم الاية حجة لنا لانها بمطلقها تتناول ذم من قال ما لا يفعله
على اي وجه كان من مطلق او مقيد بشرط وقد قال اصحابه ان النذر
انما يكون بما يقصد منه القربة مما هو من جنس القربة وهذا وان كان
من جنس القربة لكنه لم يقصد منه القربة وانما قصد منه منع نفسه
عن فعل او الاقدام على فعل • قلنا القرب الشرعية مشقات وكلف
وان كانت قربات وهذا تكلف التزام هذه القربة بمشقة لجلب
نفع او دفع ضر فلم يخرج عن سنن التكليف ولا زال عن قصد التقرب
قال ابن العربي فان كان المقول منه وعدا فلا يخلو ان يكون منوطا
بسبب كقوله ان تزوجت اعنتك بدينار او ابتعت حاجة كذا
اعطيتك فهذا لازم اجماعا من الفقهاء وان كان وعدا مجردا فقيل
يلزم بتعلقه • واستدلوا بسبب الاية فانه روي انهم كانوا يقولون
لو نعلم اي الاعمال افضل او احب الى الله لعملناه فانزل الله
هذه الاية وهو حديث لا باس به • وروي عن مجاهد ان عبد الله

ابن رواحة

ابن رواحة لما سمعها قال لا ازال حبيسا في سبيل الله حتى اقتل •
والصحيح عندي ان الوعد يجب الوفاء به على كل حال • قال القرطبي
قال مالك فاما العدة مثل ان يسال الرجل الرجل ان يهب له هبة
فيقول له نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فلا ارى ذلك يلزمه
فصل قال القرطبي ثلاث ايات منعتني ان اقص على الناس اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون • واخرج ابو نعيم الحافظ
من حديث مالك بن دينار رضي عن ثمامة عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسري بي على قوم تقرض
شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء يا جبريل
قال هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب
الله ولا يعملون به **فصل** قوله لم تقولون استفهام على
جهة الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان عن نفسه من الخير ما لا
يفعله اما في الماضي فيكون كذبا وفي المستقبل يكون خلفا وكلاهما
مذموم • قال الزمخشري هي لام الاضافة دخلت على ما الاستفهامية
كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وعم ومم وانما
حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد وقد وقع استعمالها
في كلام المستفهم ولو كان كذلك لكان معنى الاستفهام واقعا في قوله
تعالى لم تقولون والاستفهام من الله تعالى محال لانه عالم بجميع
الاشيا • والجواب هذا اذا كان المراد حقيقة الاستفهام اما اذا
كان المراد الزام من اعرض عن الوفا بما وعد او انكر الحق واصر على الباطل
وقال سفيان بن عيينة قوله لم تقولون ما لا تفعلون اي لم
تقولون ما ليس الامر فيه اليكم فلا تدرون هل تفعلون او لا تفعلون
فعلى هذا يكون الكلام محمولا على ظاهره في انكار القول **قوله**
كبر مقتا فيه اوجه • احدها ان يكون من باب نعم وبئس فيكون في كبر
ضمير مبهم مفسرا بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم
فيجيء فيه الخلاف المشهور هل رفعه بالابتدا وخبره الجملة مقدمة
عليه او خبره محذوف او خبر مبتدا محذوف كما تقدم تحريره وهذه
قاعدة مطردة كل فعل يجوز التعجب منه يجوز ان يبنى على فعل بضم
العين ويجري مجرى نعم وبئس في جميع الاحكام • والثاني انه من امثلة
التعجب وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو فقال
صيغة ما افعله وافعل به والفعل نحو لزموا الرجل والبه عاد الزجاجي
فقال هذا من افصح كلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من
غير لفظه كقوله • غلت ناب كليب بواؤها • ثم قال واسند
الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قوله ما لا تفعلون
مقت خالص لا شوب فيه • الثالث ان كبر ليس للتعجب ولا للذم
بل هو مسند الى ان تقولوا ومقتا تمييز محول من الفاعل والاصل
كبر مقت ان تقولوا اي مقت قولكم • ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا
عائدا على المصدر المفهوم من قوله لم تقولون اي كبر هو اي القول مقتا
وان تقولوا على هذا اما بدل من ذلك الضمير او خبر مبتدا محذوف اي هو
ان تقولوا • قال القرطبي ومقتا نصب بالتمييز • المعنى كبر قولهم ما لا
تفعلون مقتا • وقيل هو حال والمقت والمقاتة مصدران يقال
رجل مقيت وممقوت اذا لم يحبه الناس **فصل** قال القرطبي

قد يحتج بهذه الاية في وجوب الوفا في اللجاج والغضب على احد
قولي الشافعي قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا قرا زيد بن علي يقاتلون بفتح التا على ما لم يسم فاعله وقرئ
يقتلون بالتشديد وصفا نصب على الحال اي صافين او مصفوفين
قال القرطبي والمفعول مضمر وان يكون حالا من الضمير في صفا
فيكون حالا متداخلة قاله الزمخشري وان يكون نعتا لصفا قاله
الحوفي وعاد الضمير في صفا جمعا لانه جمع في المعنى كقوله وان
طايفتان من المومنين اقتتلوا فصل وجه تعلق الاية
بما قبلها ان قوله تعالى كبر مقتا عند الله في ذم المخالفين في
القتال ... واعلم ان المحبة على وجهين احدهما الرضى عن الخلق
وثانيهما الثنا عليهم فصل والمرصوص قيل المتلايم
الاجزا المستويها وقيل المعقود بالرصاص قاله الفرا وقيل
هو من التضام من تراص الانسان وقال الراعي
ما لقي البيض من الحرقوص ... يفتح باب المغلق المرصوص
الحرقوص دويبة تولع بالنسا الابكار وقال القرطبي والتراص
التلاصق ومنه وتراصوا في الصف ومعنى الاية ان الله
يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البنا
وقال ابن عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم
يوضع اللبن عليه فيسمونه اهل مكة المرصوص قال ابن الخطيب
ويجوز ان يكون المعنى على ان يستوي ثباتهم في حرب عدوهم حتى
يكونوا في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص
وقال سعيد بن جبير هذا تعليم من الله للمومنين كيف يكونوا
عند قتال عدوهم فصل قال القرطبي استدل بهذه
الاية بعضهم على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لان
الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة قال المهدوي وذلك
غير مستقيم لما جا في فضل الفارس من الاجر والغنيمة ولا يخرج
الفرسان من معنى الاية لان معناه الثبات فصل لا يجوز الخروج
من الصف الا لحاجة تعرض للانسان او في رسالة يرسلها الامام
او منفعة تظهر في المقام كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج
عن الصف للمبارزة خلاف فقيل انه لا باس بذلك ارهابا للعدو
وطلب الشهادة وتحريضا على القتال وقيل لا يبرز احد طلبا
لذلك لان فيه ريا وخروجا الى ما نهى الله عنه من لقا العدو وانما
تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي صلى الله
عليه وسلم يوم بدر وفي غزوة خيبر وعليه درج السلف وقد تقدم
الكلام في ذلك في سورة البقرة عند قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
قوله تعالى واذ قال موسى لقومه الاية لما ذكر الجهاد بين ان موسى
وعيسى امرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وحل العقاب بمن خالفهما
اي واذكر لقومك يا محمد هذه القصة قوله لم توذونني وذلك
حين رموه بالادرة كما تقدم في سورة الاحزاب ومن الاذى ما ذكر
في قصة قارون انه دس الى امراة تدعي على موسى الفجور ومن الاذى
قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقولهم فاذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون وقولهم انت قتلت هارون وقد
تقدم قوله وقد تعلمون جملة حالية قال ابن الخطيب وقد
معناها

معناها التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه
وقوله اني رسول الله اليكم والمعنى ان الرسول يحترم يقينا لا شبهة
لكم فيه قوله فلما زاغوا اي مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم
اي امالها عن الهدى وقيل فلما زاغوا عن الايمان ازاغ الله قلوبهم
عن الثواب وقيل فلما زاغوا عن الطاعة ازاغ الله قلوبهم عن
الهداية وقيل لما تركوا ما امروا به من احترام الرسول عليه الصلوة
والسلام وطاعة الرب خلق الله في قلوبهم الضلالة عقوبة لهم
على فعلهم والله لا يهدي القوم الفاسقين قال الزجاج يعني من
سبق في علمه انه فاسق قال ابن الخطيب وهذه الاية تدل على
عظم ايذا الرسول حتى انه يودي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى
قوله واذ قال عيسى بن مريم اي اذكر لهم هذه القصة ايضا
وقال يا بني اسرايل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم
فيكونوا قومه وقوله اني رسول الله اليكم اي بالانجيل قوله
مصدقا حال وكذلك مبشرا والعامل فيه رسول لانه بمعنى المرسل
قال الزمخشري فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في
الرسول من معنى الارسال ام باليكم قلت بمعنى الارسال لان اليكم
صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها
ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل
فمن اين يعمل انتهى يعني بقوله صلات انها متعلقة برسول صلة له
اي متصل معناها به لا الصلة الصناعية قوله ياتي من بعدي
اسمه احمد جملتان في موضع جر نعتا لرسول او اسمه احمد في موضع
نصب على الحال من فاعل ياتي او تكون الاولى نعتا والثانية حالا
وكونهما حالين ضعيف لاتيانهما من النكرة وان كان سيبويه
يجوزه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو من بعدي بفتح اليا وهي قراة
السلمي وزر بن حبيش وابو بكر عن عاصم واختاره ابو حاتم لانه اسم
مثل الكاف من بعدك والتا من قمت والباقون بالاسكان ومن قرا
من بعدي اسمه احمد حذف اليا من اللفظ واحمد اسم نبينا صلى الله
عليه وسلم وهو اسم علم يحتمل ان يكون منقولا من صفة وهي افعل
التفضيل وهو الظاهر فمعنى احمد اي احمد الحامدين لربه والانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم كلهم حمادون لله ونبينا احمد اكثرهم
حمدا قال البغوي والالف في احمد للمبالغة في الحمد وله وجهان
احدهما انه مبالغة من الفاعل اي الانبيا كلهم حمادون لله عز وجل
وهو اكثرهم حمدا من غيره والثاني انه مبالغة في المفعول اي
الانبيا كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة
واجمع للفضايل والمحاسن التي يحمد بها انتهى وعلى كلا الوجهين فمنعه
من الصرف للعلمية والوزن الغالب الا انه على الاحتمال الاول
يمتنع معرفة وينصرف نكرة وعلى الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا لانه
يخلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه علما جرى فيه خلاف سيبويه
والاخفش وهي مسالة مشهورة بين النحاة وانشد حسان رضي الله
عنه يمدحه عليه الصلوة والسلام ويصرفه
صلى الاله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك احمد
احمد بدلا وبيانا للمبارك واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو
في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فاحمد هو الذي حمد مرة

بعد اخرى قال القرطبي كما ان المكرم من الكرم مرة بعد اخرى
وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه فالله
سبحانه وتعالى سماه قبل ان يسمي به نفسه فهذا علم من اعلام
نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدى اليه
ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد
تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد
احمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي
هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه الصلاة
والسلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من
امة محمد فباحمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لانه حمده لربه كان
قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك
في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس
لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اسمي في التورية احيد لاني احيد امتي عن النار واسمي
في الزبور الماحي محا الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد
وفي القران محمد لاني في اهل السما والارض وفي الصحيح لي خمسة
اسما وانا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد تقدم
قوله فلما جاهم بالبينات قيل عيسى وقيل محمد صلى الله
عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين قرا الكسائي وحمزة ساحر
نعت للرجل وروي ايضا قراءة ابن مسعود والباقون سحر
نعتا لما جاء به الرسول قال ابو حيان هنا وقرا الجمهور سحر
وعبد الله وطلحة والاعمش وابن وثاب ساحر وترك ذكر
الاخوين قوله ومن اظلم ممن افترى اي لا احد اي اظلم
ممن افترى على الله الكذب قوله وهو يدعى جملة حالية
من فاعل افترى وهذه قراءة العامة وقرا طلحة يدعى بفتح اليا
والدال المشددة مبنيا للفاعل وفيها تاويلان احدهما
قاله الزمخشري وهو ان يكون يفتعل بمعنى يفعل نحو لمسه
والتمسه والضميران اعني هو والمستتر في يدعى لله تعالى
وحينئذ تكون القراءتان بمعنى واحد كانه قيل والله يدعو
الى الاسلام وفي القراءة الاولى يكون الضميران عايدين على
من والثاني انه من ادعى كذا دعوى ولكنه لما ضمن يدعى
معنى ينتمي وينتسب عدى باللام والا فهو متعد بنفسه وعلى
هذا الوجه فالضميران لمن ايضا كما هما في القراءة المشهورة وعن
طلحة ايضا يدعى بشد الدال مبنيا للمفعول وخرجها الزمخشري
على ما تقدم من ادعاه ودعاه بمعنى لمسه والتمسه والضميران
عايدان على من عكس ما تقدم عنده في تخريج القراءة الاولى فان
الضميران لله كما تقدم تحريره وهذا التعجب ممن كفر بعيسى ومحمد
بعد المعجزات التي ظهرت لهما ثم قال والله لا يهدي القوم الظالمين
اي من كان في حكمه انه يختم له بالضلالة قوله يريدون ليطفيوا
نور الله بافواههم الاطفا هو الاخماد يستعملان في النار وفي
ما يجري مجراها من الضيا والظهور ويفترق الاطفا والاخماد من
حيث ان الاطفا يستعمل في القليل فيقال اطفات السراج ولا يقال

اخمدت

اخمدت السراج وفي هذه اللام اوجه احدها انها مزيدة في مفعول
الارادة قال الزمخشري اصله يريدون ان يطفيوا كما في سورة التوبة
وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة في قولك جيت لاكرامك كما
زيدت اللام في لا ابا لك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا ابا لك وقال
ابن عطية واللام في ليطفيوا لام موكدة دخلت على المفعول لان التقدير
يريدون ان يطفيوا واكثر ما يلزم هذه اللام اذا تقدم المفعول
تقول لزيد ضربت ولرويتك قصدت انتهى وهذا ليس مذهب سيبويه
وجمهور الناس ثم قول ابي محمد واكثر ما يلزم ليس بظاهر لانه لا قول
بلزومها البتة بل هي جايزة للزيادة وليس الاكثر ايضا زيادتها
جوازا بل الاكثر عدمها الثاني انها لام العلة والمفعول محذوف
اي يريدون ابطال القران او دفع الاسلام او هلاك الرسول
ليطفيوا الثالث انها بمعنى ان الناصبة وانها ناصبة للفعل
بنفسها قال الفراء العرب تجعل لام كي في موضع ان في اراد وامر واليه
ذهب الكسائي ايضا وقد تقدم نحو هذا في قوله يريد الله ليبين لكم
في سورة النسا فصل قال ابن عباس وابن زيد المراد بنور
الله هاهنا القران يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول وقال
السدي الاسلام اي يريدون دفعه بالكلام وقال الضحاك انه
محمد صلى الله عليه وسلم يريدون اهلاكه بالاراجيف وقال
ابن جريج حجج الله ودلايله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم
وقيل انه مثل مضروب اي من اراد اطفا نور الشمس بفيه فوجده
مستحيلا ممتنعا كذلك من اراد ابطال الحق حكاه ابن عيسى فصل
قال الماوردي سبب نزول هذه الاية ما حكاه عطا عن ابن
عباس رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطا عليه الوحي
اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر اليهود ابشروا فقد
اطفا الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية واتصل
الوحي بعدها قوله والله متم نوره قرا الاخوان وحفص وابن
كثير بالاضافة متم نوره والباقون بتنوينه ونصب نوره
فالاضافة تخفيف والتنوين هو الاصل وابو حيان ينازع
في كونه الاصل وقد تقدم وقوله والله متم جملة حالية من فاعل
يريدون ان يطفيوا والمعنى والله متم نوره اي باظهاره في الافاق
فان قيل الاتمام لا يكون الا عند النقصان فما معنى نقصان هذا
النور فالجواب اتمامه بحسب نقصان الاثر وهو الظهور في
ساير البلاد من المشارق الى المغارب اذ الظهور لا يظهر الا بالاظهار
وهو الاتمام يؤيده قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وعن ابي
هريرة ان ذلك عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام قاله مجاهد
قوله ولو كره حال من هذه الحال فهما متداخلان وجواب لو
محذوف اي اتمه واظهره وكذا ولو كره المشركون والمعنى ولو كره
الكافرون من ساير الاصناف فان قيل قال اولا ولو كره الكافرون
وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الفايدة فالجواب انهم انكروا
اذ انكروا الرسول وما اوحي اليه من الكتاب وذلك من نعمة الله تعالى
والكافرون كلهم في كفران النعم فلهذا قال ولو كره الكافرون ولانه
لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود

والنصارى والمشركون فلفظ الكفار التوبة • واما قوله ولو كره المشركون
فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه فالنبي صلى الله عليه وسلم
دعاهم وابتدا الدعوة الى التوحيد بلا اله الا الله فلهذا قال ولو كره
المشركون قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا بالهدى اي بالحق
والرشاد ليظهره على الدين كله بالحجج ومن الظهور الغلبة باليد في القتال وليس
المراد بالظهور ان لا يبقى دين اخر من الاديان بل المراد ان يكون اهل الاسلام
غالبين • ومن الاظهار ان لا يبقى دين اخر سوى الاسلام في اخر الزمان • قال
مجاهد ذلك اذا انزل الله عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام • وقال
ابو هريرة ليظهره على الدين كله بخروج عيسى وحينئذ لا يبقى كافر الا اسلم
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن
الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى اليها وليذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد
وليدعون الى المال فلا يقبله احد • وقيل ليظهره اي ليطلع محمدا صلى الله عليه
وسلم على ساير الاديان حتى يكون عالما بها عارفا بوجوه بطلانها وبما حرفوا
وغيروا منها على الدين اي على الاديان لان الدين مصدر يعبر به عن الجمع قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم الاية قال مقاتل نزلت
في عثمان بن مظعون قال يا رسول الله لو اذنت لي فطلقت خولة وترهبت
واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر بنهار ابدا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح فلا رهبانية
في الاسلام وانما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصا امتي الصوم
ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم
فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان لوددت يا نبي الله اي التجارات
احب الى الله فاتجر فيها فنزلت • وقيل ادلكم اي سادلكم والتجارة الجهاد
قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية
وهذا خطاب لجميع المؤمنين • وقيل لاهل الكتاب • وقيل نزل هذا حين
قالوا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملناه • قال البغوي وجعل
ذلك بمنزلة التجارة لانهم يربحون بها رضى الله عز وجل ونيل جنته
والنجاة من النار • والتجارة من النار • والتجارة عبارة عن معاوضة
الشيء بالشيء كما ان التجارة تنجي التاجر من الفقر فكذا هذه التجارة
وكما ان في التجارة الربح والخسران فكذلك هذه التجارة فمن امن وعمل
صالحا فله الاجر الوافر • ومن اعرض عن الايمان والعمل الصالح فله الخسران
المبين قوله تنجيكم هذه الجملة صفة لتجارة • وقرا ابن عامر
بالتشديد • والباقون بالتخفيف من انجى وهما بمعنى واحد لان النجاة
والعزة متقدمان والمعنى يخلصكم من عذاب اليم اي مولم قوله
تؤمنون لا محل لها لانه تفسير للتجارة • ويجوز ان يكون محلها الرفع
خبر المبتدا مضمر اي تلك التجارة تؤمنون والخبر نفس المبتدا فلا حاجة الى
رابط وان تكون منصوبة المحل باضمار فعل اي اعني تؤمنون وجاز ذلك
على تقدير ان • فيه تعسف • والعامة على تؤمنون خبرا لفظيا ثابت النون
وعبد الله امنوا وجاهدوا امرين • وزيد بن علي تؤمنوا وتجاهدوا
بحذف نون الرفع • فاما قراة العامة فالخبر بمعنى الامر بدليل قراة
السادة وان قراة زيد على حذف لام الامر اي لتؤمنوا وتجاهدوا
كقوله محمد تفد نفسك كل نفس • وقوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا
في وجه اي لتفد وليقيموا ولذلك جزم الفعل في جوابه في قوله يغفر وكذلك

قوله

قوله اتقوا الله امرؤ فعل خيرا اثيب عليه تقديره ليتق الله • وقال
الاخفش ان تؤمنوا عطف بيان لتجارة وهذا لا يتخيل الا بتاويل
ان يكون الاصل ان تؤمنوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كقوله
الا ايها الزاجري احضر الوغى • الاصل احضر وكانه قيل هل ادلكم
على تجارة منجية ايمان وجهاد وهو معنى حسن لولا ما فيه من التاويل
وعلى هذا فيجوز ان يكون بدلا من تجارة • وقال الزجاج هو مجزوم
على جواب الاستفهام وهو قوله هل ادلكم • واختلف الناس
في تصحيح هذا القول فبعضهم غلطه • قال الزجاج ليسوا اذا دلهم
على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا وجاهدوا يعني انه ليس
مرتبا على مجرد الاستفهام ولا على مجرد الدلالة • قال القرطبي وتؤمنون
عند المبرد والزجاج في معنى امنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على انه
جواب الامر • قال ابن الخطيب هل ادلكم في معنى الامر عند الفرا
يقال هل انت ساكت اي اسكت وبيانه ان هل بمعنى الاستفهام
ثم يتدرج الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغرا والاغرا امر •
وقال المهدوي انما يصح حملا على المعنى وهو ان يكون تؤمنوا وتجاهدوا
عطف بيان على قوله هل ادلكم كان التجارة لم يدر ما هي فبينت
بالايمان والجهاد فهي هما في المعنى فكانه قيل هل تؤمنون وتجاهدون
قال فان لم يقدر هذا التقدير لم يصح لانه يصير ان دللتم يغفر
لكم والغفران انما يجب بالقبول والايمان لا بالدلالة • وقال الزمخشري
قريبا منه ايضا • وقال ايضا ان تؤمنوا استئناف كانهم قالوا
كيف نعمل فقال تؤمنون • وقال ابن عطية تؤمنون فعل مرفوع تقديره
ذلك انه تؤمنون وهو في خبر المبتدا المحذوف وهذا محمول على
تفسير المعنى لا تفسير الاعراب فانه لا حاجة اليه • قال ابن الخطيب
فان قيل كيف امرهم بالايمان بعد قوله يا ايها الذين امنوا فالجواب
يمكن ان يكون المراد من هذه الاية المنافقين وهم الذين امنوا في
الظاهر ويمكن ان يكون اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم
امنوا بالكتب المتقدمة فكانه قال يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة
امنوا بالله وبمحمد ويمكن ان يكون اهل الايمان كقوله تعالى فزادتهم
ايمانا او يكون المراد الامر بالثبات على الايمان كقوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول • فان قيل كيف ترجى النجاة اذا امن بالله
ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله وقد علق بالمجموع • فالجواب
ان هذا المجموع هو الايمان بالله ورسوله والجهاد بالنفس والمال
في سبيل الله خير في نفس الامر قوله باموالكم وانفسكم قال
القرطبي ذكر الاموال اولا لانها التي يبدأ بها في الانفاق ذلكم اي
هذا الفعل خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم
قوله يغفر لكم فيه اوجه • احدها انه مجزوم على جواب الخبر
بمعنى الامر كما تقدم • والثاني انه مجزوم على جواب الاستفهام
كما قاله الفرا • الثالث انه مجزوم بشرط مقدر اي ان تؤمنوا يغفر لكم
قال القرطبي وادغم بعضهم فقرا يغفر لكم والاحسن ترك الادغام
لان الراحرف متكرر قوي فلا يحسن الادغام في اللام لان الاقوى
لا يدغم في الاضعف قوله ومساكن طيبة روى الحسن قال
سالت عمران بن حصين وابا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة
فقالا على الخبير سقطت سلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها

قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار
سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير
سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امراة من الحور العين
في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل
بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله المومن القوة في غداة واحدة
ما ياتي على ذلك كله قوله في جنات عدن اي اقامة ذلك الفوز العظيم
اي السعادة الدائمة الكثيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب قوله
واخرى فيه اوجه احدها انها في موضع رفع على الابتداء وخبرها مقدر
اي ولكم او ثم او عنده خصلة اخرى او مثوبة اخرى وتحبونها نعت
لها. الثاني ان الخبر جملة حذف مبتداها تقديرها هي نصر والجملة خبر
لاخرى قاله ابو البقاء. الثالث انها منصوبة بفعل محذوف للدلالة عليه
بالسياق اي ويعطكم او يمنحكم مثوبة اخرى وتحبونها نعت لها ايضا
الرابع انها منصوبة بفعل مضمر يفسره تحبونها فيكون من الاشتغال
وحينئذ لا يكون تحبونها نعتا لانه مفسر للعامل فيه. الخامس انها مجرورة
عطفا على تجارة وضعف هذا بانها ليست مما دل عليه انما هي ثواب من
عند الله قال القرطبي هذا الوجه منقول عن الاخفش والفراء قوله
نصر من الله خبر مبتدا مضمر اي تلك النعمة او الخلة الاخرى نصر من الله
نعت له او متعلق به اي ابتداؤه منه ورفع نصر وفتح قراءة العامة ونصب
ابن ابي عبلة الثلاثة وفيه اوجه ذكرها الزمخشري. احدها انها منصوبة
على الاختصاص. الثاني ان تنتصب على المصدرية اي تنصرون نصرا ويفتح
لكم فتحا قريبا. الثالث ان ينتصب على البدل من اخرى واخرى منصوب بمقدر
كما تقدم اي يغفر لكم ويدخلكم جنات ويوتكم اخرى ثم ابدل منها نصرا وفتحا
قريبا فصل ومعنى الاية ايدكم بنصر من الله وفتح قريب اي غنيمة
في عاجل الدنيا قيل فتح مكة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد فتح فارس
والروم وبشر المومنين برضا الله عنهم. وقال البغوي وبشر المومنين يا محمد
بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم على نصر المومنين وجهاد المخالفين
فقال يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله اي كونوا حواري نبيكم
ليظهركم الله على من خالفكم كما اظهر حواري عيسى على من خالفهم قوله انصار الله
قراه نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا منونا جارا مجرورا. والباقون انصار
غير منون بل مضافا للجلالة الكريمة والرسم يحتمل القراءتين معا واللام
يحتمل ان تكون مزيدة في المفعول للتقوية لكون العامل فرعا اذ الاصل
انصارا لله وان تكون غير مزيدة ويكون الجار والمجرور نعتا لانصارا
والاول اظهر. واما قراءة الاضافة ففرع الاصل المذكور. ويويد قراءة
الاضافة الاجماع عليها في قوله تعالى نحن انصار الله ولم يتصور جريان
الخلاف هنا لانه مرسوم بالالف. قال القرطبي قيل في الكلام اضمار
اي قل لهم يا محمد كونوا انصار الله. وقيل هو ابتداء خطاب من الله تعالى
اي كونوا انصارا كما فعل انصار عيسى فكانوا بحمد الله انصارا وكانوا
حواريين فصل قال القرطبي الحواريون خواص الرسل قال
معمر كان ذلك بحمد الله تعالى اي نصروه وهم سبعون رجلا وهم الذين
بايعوه ليلة العقبة. وقيل هم من قريش وسماهم قتادة. ابو بكر
وعمر وعلي. وطلحة والزبير. وسعد بن ابي وقاص. وابو عبيدة واسمه
عامر. وعثمان بن مظعون. وحمزة بن عبد المطلب. وعثمان بن
عفان. وعبد الرحمن بن عوف. ولم يذكر سعدا فيهم وذكر جعفر بن

ابي طالب

ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين قوله كما قال عيسى بن مريم
للحواريين وهم اصفياؤه اثنا عشر رجلا وقد مضت اسماؤهم
في آل عمران وهم اول من امن به من بني اسرائيل قاله ابن عباس. وقال
مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فات النهر الذي عليه
القصارون فاسالهم النصرة فاتاهم عيسى وقال من انصاري الى
الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه قوله كما فيه
اوجه. احدها ان الكاف في موضع نصب على اضمار القول اي قلنا
لهم ذلك كما قال عيسى. الثاني انها نعت لمصدر محذوف تقديره
كونوا كونا قاله مكي وفيه نظر اذ لا يومروا بان يكونوا كونا. الثالث
انه كلام محمول على معناه دون لفظه واليه نحا الزمخشري قال
فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا
بقول عيسى صلى الله عليه وسلم من انصاري قلت التشبيه محمول
على المعنى وعليه يصح فالمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون
انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله وتقدم في آل عمران
تعدي انصار بالى واختلاف الناس في ذلك. وقال الزمخشري هنا
فان قلت ما معنى قوله من انصاري الى الله قلت يجب ان يكون معناه
مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون
المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري خلاف اضافة
انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ولا
يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لا يطابق الجواب. والدليل
عليه قراءة من قرا من انصار الله انتهى يعني ان بعضهم يدعي ان الى
بمعنى مع. وقوله قراءة من قرا انصار الله اي لو كانت بمعنى مع لما صح
سقوطها في هذه القراءة. قال شهاب الدين وهذا غير لازم لان
كل قراءة لها معنى يخصها الا ان الاولى توافق القراءتين قوله
فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة. قال ابن عباس
رضي الله عنهما يعني في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما
رفع تفرق قومه ثلاث فرق. فرقة قالوا كان الله فارتفع. وفرقة
قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه. وفرقة قالوا كان عبد الله
ورسوله فرفعه اليه وهم المومنون واتبع كل فرقة طائفة من
الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المومنين حتى بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المومنة على الفرقة الكافرة
فذلك قوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين
وقال مجاهد ايدوا في زمانهم على من كفر بعيسى والاول اظهر لان عيسى
لم يقاتل احدا ولم يكن في دين اصحابه بعده قتال. وقال زيد بن علي
وقتادة فاصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما
روي الستم تعلمون ان عيسى كان ينام والله لا ينام وان عيسى كان
ياكل والله تعالى لا ياكل وقيل نزلت هذه الاية في رسل عيسى عليه الصلاة
والسلام قال ابن اسحاق وكان الذي بعثهم عيسى من الحواريين
والاتباع بطرس وبولس الى رومية واندراييس ومتى الى الارض التي
ياكل اهلها الناس ولوقاس الى ارض بابل من ارض المشرق وفيلبس الى قرطاجنة
وهي افريقية ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوبس
الى اوري سلم وهي بيت المقدس وابن تلما الى الاعرابية وهي ارض الحجاز
وسيمن الى ارض البربر ويهودا وبودس الى الاسكندرية وما حولها

فايدهم الله بالحجة فاصبحوا ظاهرين اي غالبين من قولك ظهرت
على الحايط اي علوت عليه قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم
من ايقاع الظاهر موقع المضمر منها تنبيها على عداوة الكافر للمومن
انا الاصل فايدناهم عليهم اي ايدنا المومنين على الكافرين من
الطايفتين المذكورتين • روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن
كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
عيسى عليه الصلوة والسلام كان عيسى مستغفرا له ما دام في الدنيا
ويوم القيمة هو رفيقه ثم •

سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة اية ومايه وثمانون كلمة وسبعمايه وعشرون
حرفا • روى مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم
وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا
في يوم الجمعة • وعنه قال صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون
يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب
من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه
هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد
غد للنصارى بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يسبح لله
ما في السموات وما في الارض تقدم الكلام فيه • وقوله الملك
القدوس العزيز الحكيم • وجه تعلق هذه السورة بما قبلها
هو انه تعالى قال في اول تلك السورة سبح لله بلفظ الماضي
وهذا لا يدل على التسبيح في المستقبل فقال في اول هذه السورة بلفظ
المستقبل ليدل على التسبيح في الزمن الحاضر والمستقبل • واما تعلق
الاول بالاخر فلانه تعالى ذكر في اخر تلك السورة انه كان يويد اهل
الايمان حتى صاروا غالبين على الكفار وذلك على وفق الحكمة للحاجة
اليه اذ هو غني على الاطلاق ومنزه عما يخطر ببال الجهلة • وفي اول
هذه السورة ذكر ما يدل على كونه مقدسا ومنزها عما لا يليق بحضرته
العالية ثم اذا كان خلق السموات والارض باجمعهم في تسبيح حضرة
الله تعالى فله الملك والملك اعظم من هذا • ولما كان الملك كله له
تعالى فهو الملك على الاطلاق ولما كان الكل خلقه فهو المالك قوله
الملك القدوس قرا العامة بجر الملك وما بعده نعتا لله والبدل
ضعيف لاشتقاقها • وقرا ابو وايل وسلمة بن محارب ورؤبة بالرفع
على اضمار مبتدا مقتضي للمدح • قال الزمخشري ولو قرئ بالنصب
على قولهم الحمد لله اهل الحمد لكان وجها • وقرا ابو زيد بن علي القدوس
بفتح القاف وتقدم ذلك ويسبح من جملة ما يجري فيه اللفظان
كشكره وشكر له ونصحه ونصح له وسجده وسبح له • فان قيل الحكيم
يطلق على الغير كما يقال والقران الحكيم • فالجواب ان الحكيم عند
اهل التحقيق هو الذي يضع الاشياء مواضعها والله تعالى حكيم بهذا
المعنى قوله هو الذي بعث في الاميين رسولا تقدم الكلام
في الامي والاميين جمعه ويتلو وما بعده صفات لرسول • قال
ابن عباس رضي الله عنهما الاميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم
يكتب

يكتب لانهم لم يكونوا اهل كتاب • وقيل الاميون الذين لا يكتبون
وكذلك كانت قريش • وروى منصور عن ابراهيم قال الامي الذي
لا يقرا ولا يكتب • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاميون الذين
ليس لهم كتاب ولا نبي بعث فيهم • وقيل الاميون الذين هم على ما
خلقوا عليه • وقرئ الاميين بحذف يا النسب قوله رسولا
منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب الا ولرسول
الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه • وقال ابن
اسحاق الا بني تغلب فان الله طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم
لنصرانيتهم فلم يجعل له عليهم ولادة وكان اميا لم يقرا من كتاب
ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم • قال الماوردي فان قيل فما وجه
الامتنان بان بعث نبيا اميا • فالجواب من ثلاثة اوجه • احدها
لموافقته ما تقدمت من بشارة الانبيا • الثاني لمشاكلة حاله
لاحوالهم فيكون اقرب من موافقتهم • الثالث لينتفي عنه سوء
الظن في تعليمه ما دعا اليه من الكتب التي قراها والحكم التي تلاها
قال القرطبي وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته قوله يتلوا
عليهم اياته يعني القران ويزكيهم اي يجعلهم ازكيا القلوب بالايمان
قاله ابن عباس • وقيل يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله ابن
جريج ومقاتل • وقال السدي ياخذ زكاة اموالهم ويعلمهم الكتاب
يعني القران والحكمة السنة قاله الحسن • وقال ابن عباس الكتاب
الخط بالقلم لان الخط انما نشا في العرب بالشرع لما امروا بالتقييد
وبالخط • وقال مالك بن انس الحكمة الفقه في الدين وقد تقدم في
البقرة وان كانوا من قبل اي من قبله وقبل ان يرسل اليهم لفي ضلال
مبين اي في ذهاب عن الحق فصل قال ابن الخطيب احتج
اهل الكتاب بهذه الاية فقالوا قوله تعالى بعث في الاميين رسولا
منهم يدل على انه عليه الصلوة والسلام كان رسولا الى الاميين
وهم العرب خاصة وهذا ضعيف فانه لا يلزم من تخصيص الشي
بالذكر نفي ما عداه • الا ترى قوله تعالى ولا تخطه بيمينك انه لا يفهم
منه انه يخطه بشماله ولانه لو كان رسولا الى العرب خاصة كان
قوله تعالى كافة للناس بشيرا ونذيرا لا يناسب ذلك وقد اتفقوا
على صدق الرسالة المخصوصة فيكون قوله كافة للناس دليلا على
انه عليه الصلوة والسلام كان رسولا الى الكل قوله واخرين منهم
وجهان • احدهما انه مجرور عطفا على الاميين ولما يلحقوا بهم صفة
لاخرين • والثاني انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب في
يعلمهم اي ويعلم اخرين لم يلحقوا بهم وسيلحقون فكل من تعلم شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم الى اخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم
معلمه بالقوة لانه اصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم قوله
لما يلحقوا بهم اي لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم • قال ابن
عمر وسعيد بن جبير هم العجم • وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت
عليه سورة الجمعة فلما قرا واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هو يا رسول
الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى ساله مرة او مرتين
او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجل من هولاء • وفي

رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس او قال من
ابناء فارس حتى يتناوله لفظ مسلم• وقال عكرمة هم التابعون•
وقال مجاهد هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذي بعث فيهم محمد
صلى الله عليه وسلم• وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان قالا هم من دخل
في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة• قال سهل بن
سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب امتي
رجالا ونسا يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا واخرين منهم لما يلحقوا
بهم والقول الاول اثبت• وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
رايتني اسقي غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر قال
يا نبي الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعني جبريل عليه
السلام رواه ابن ابي ليلى عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه قوله ذلك فضل الله
يوتيه من يشا• قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقيل يعني
الاسلام فضل الله يوتيه من يشا قاله الكلبي وقال مقاتل يعني الوحي
والنبوة وقيل انه المال ينفق في الطاعة لما روى ابو صالح عن ابي
هريرة ان فقرا المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك
فقالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق
ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا
اعلمكم شيا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون
احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله
قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة
قال ابو صالح فرجع المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا سمع اخواننا من اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشا
وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم
ودخولهم في دينه ونصرته قوله مثل الذين حملوا التورية
هذه قراة العامة• وقرا زيد بن علي ويحيى بن يعمر حملوا مخففا مبنيا
للفاعل قوله كمثل الحمار هذه قراة العامة• وقرا عبد الله حمار
منكرا وهو في قوة قراة الباقين لان المراد بالحمار الجنس ولهذا وصف
بالجملة بعده كما سياتي• وقرا المامون بن هارون الرشيد يحمل مشددا
مبنيا للمفعول والجملة من يحمل ويحتمل فيها وجهان• اشهرهما انها في
موضع الحال من الحمار• والثاني انها في موضع الصفة للحمار لجريانه
مجرى النكرة اذ المراد به الجنس• قال الزمخشري او الجر على الوصف
لان الحمار كاللئيم في قوله•• ولقد امر على اللئيم يسبني•• وتقدم تحرير
هذا وان منه عند بعضهم واية لهم الليل نسلخ وان نسلخ نعت لليل
والجمهور يجعلونه حالا للتعريف اللفظي• واما قراة عبد الله فالجملة
وصف فقط ولا يمتنع ان تكون حالا عند سيبويه• والاسفار جمع سفر
وهو الكتاب المجتمع الاوراق فصل هذا مثل ضرب لليهود
لما تركوا العمل بالتورية ولم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا
التورية اي كلفوا العمل بها قاله ابن عباس• وقال الجرجاني هو من
الحمالة بمعنى الكفالة اي ضمنوا احكام التورية وقوله ثم لم يحملوها

لم

لم يعملوا بما فيها ولم يودوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم
واحدها سفر• قال الفراء هي الكتب العظام لانها تسفر عما فيها من المعاني
اذا قريت• ونظيره شبر• واشار يعني كان الحمار يحملها ولا يدري ما فيها
ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرون التورية ولا ينتفعون بها لانهم
خالفوا ما فيها• قال ميمون بن مهران الحمار لا يدري اسفر على ظهره ام زبل
فكذلك اليهود وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب ان يتعلم
معانيه ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هولاء قال الشاعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باوساقه او راح ما في الغرائر
قوله بيس مثل القوم فيها وجه• احدها وهو المشهور ان مثل
القوم فاعل بيس والمخصوص بالذم الموصول بعده وهذا مشكل لانه
لا بد من تصادق فاعل نعم وبيس والمخصوص وهنا المثل ليس القوم المكذبين
والجواب انه على حذف مضاف اي بيس مثل القوم مثل الذين كذبوا
الثاني ان الذين صفة للقوم فيكون مجرور المحل والمخصوص بالذم محذوف
لفهم المعنى تقديره بيس مثل القوم المكذبين مثل هولاء وهو قريب من
الاول• الثالث ان الفاعل محذوف وان مثل القوم هو المخصوص
بالذم تقديره بيس المثل مثل القوم ويكون الموصول نعتا للقوم
ايضا واليه ينحو كلام ابن عطية فانه قال والتقدير بيس المثل مثل القوم
وهذا فاسد لانه لا يحذف الفاعل عند البصريين الا في مواضع ثلاثة
ليس هذا منها اللهم الا ان يقول بقول الكوفيين• الرابع ان يكون
التمييز محذوفا والفاعل المفسر به مستتر تقديره مثلا مثل القوم
واليه ينحو كلام الزمخشري فانه قال بيس مثلا مثل القوم فيكون
الفاعل مستترا مفسرا بمثلا ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول
صفة له وحذف التمييز وهذا لا يجيزه سيبويه واصحابه البتة
نصوا على امتناع حذف التمييز وهو مبين فصل
قال ابن الخطيب فان قيل ما الحكمة في تعيين الحمار من دون ساير
الحيوانات• فالجواب من وجوه• احدها انه تعالى خلق الخيل والبغال
والحمير للركوب والزينة كما قال تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة والزينة في الخيل اظهر واكثر بالنسبة الى الركوب
والحمل عليه وفي البغال دون الخيل وفي الحمير دون البغال فالحمار
كالمتوسط في المعاني الثلاثة وحينئذ يكون الحمار في معنى الحمل
اظهر واغلب بالنسبة الى الخيل والبغال وغيرهما من الحيوانات
وثانيها ان هذا التمثيل لاظهار الجهل والبلادة لاولئك القوم
والحمار يمثل به في الجهل والبلادة• وثالثها ان في الحمار من الحقارة ما
ليس في غيره من الحيوانات والغرض من الكلام هاهنا تحقير القوم
وتعييرهم فيكون تعيين الحمار اليق• ورابعها ان حمل الاسفار
على الحمار اسهل واعم واسرع لسرعة انقياده فانه ينقاد للصبي
الصغير من غير كلفة وهذا من جملة ما يوجب حسن الذكر بالنسبة
الى غيره• وخامسها رعاية الالفاظ والمناسبة من لوازم الكلام
وبين لفظ الاسفار والحمار مناسبة لفظية لا توجد في غيره من
الحيوانات فيكون ذكره اولى فصل قال الزمخشري معنى الكلام
بيس مثل القوم المثل الذي ضربناه فحذف المضاف والله لا يهدي
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بتكذيب الانبيا يعني سبق
في علمه ان يكون كافرا قوله قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم

اولياء الله من دون الناس اي من دون محمد واصحابه • لما ادعت اليهود
الفضيلة وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه قال الله تعالى ان كنتم
اولياء الله من دون الناس فللاولياء عند الله الكرامة فتمنوا الموت
لتصيروا الى ما تصير اليه اولياء الله **قوله** انكم اولياء ساد مسد
المفعولين او المفعول على الخلاف ولله متعلق باولياء او بمحذوف
نعتا لاولياء ومن دون الناس كذلك **قوله** فتمنوا الموت
جواب الشرط والعامة بضم الواو وهو الاصل في واو الضمير
وابن السميفع وابن يعمر وابن اسحاق بكسرها وهو اصل التقاء
الساكنين وابن السميفع ايضا بفتحها وهذا طلب للتخفيف
وتقدم نحوه في اشتروا الضلالة وحكى الكسائي ابدال الواو همزة
قوله ولا يتمنونه وقال في البقرة ولن يتمنوه • قال الزمخشري
لا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما لنفي المستقبل الا ان في لن تاكيدا
وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة
بغير لفظه ولا يتمنونه قال ابو حيان وهذا رجوع منه
عن مذهبه وهو انه لن تقتضي النفي على التابيد الى مذهب
الجماعة وهو انها لا تقتضيه قال شهاب الدين وليس فيه رجوع
غاية ما فيه انه سكت عنه وتنظير بين لا ولن في نفي المستقبل
لا ينفي اختصاص لن بمعنى اخر وتقدم الكلام على هذا مشبعا
في البقرة **فصل** المعنى ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم اي اسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلو تمنوه
لماتوا فكان في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية قال
عليه الصلوة والسلام لما نزلت هذه الاية والذي نفسي بيده
لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي الا مات وفي هذا اخبار عن
الغيب ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على
هذه الاية في البقرة عند قوله فتمنوا الموت **قوله** قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم في هذه الفا وجهان احدهما
انها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف حكم الموصول
في ذلك • قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق • وههنا قال فانه
ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه الثاني
انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور وافسد هو لا القول الاول
بوجهين • احدهما ان ذلك انما يجوز اذا كان المبتدا او اسم ان موصولا
واسم ان هنا ليس بموصول بل موصوفا بالموصول • والثاني ان الفرار
من الموت لا ينجي منه فلم يشبه الشرط يعني انه متحقق فلم يشبه
الشرط الذي هو من شانه الاحتمال • واجيب عن الاول بان الموصوف
مع صفته كالشيء الواحد ولان الذي لا يكون الا صفة فاذا لم يذكر
الموصوف دخلت الفا والموصوف مراد فكذلك اذا صرح به • وعن الثاني
بان خلقا كثيرا يظنون ان الفرار من اسباب الموت ينجيهم الى وقت اخر
وجوز مكي ان يكون الخبر قوله الذي تفرون منه وتكون الفا جواب الجملة
قال كما تقول زيد منطلق فقم اليه وفيه نظر لانه لا تترتب بين قوله
ان الموت الذي تفرون منه وبين قوله فانه ملاقيكم فليس نظير المثال
قال المرتضى ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الذي تفرون ثم يبتدي
فانه ملاقيكم • وقرا زيد بن علي انه بغير فا وفيها اوجه • احدها انه مستانف
وحينئذ يكون الخبر نفس الموصول كانه قيل ان الموت هو الذي

تفرون

تفرون منه كما قاله الزمخشري • الثاني ان الخبر الجملة من قوله انه ملاقيكم
وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت • الثالث ان تكون انه تاكيدا لان
الموت لما طال الكلام اكد الحرف تاكيدا لفظيا وقد عرف انه لا يوكد كذلك
الا باعادة ما دخل عليه او باعادة ضميره فاكد باعادة ضمير ما دخلت
عليه ان وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت وملاقيكم خبره كانه
قيل ان الموت انه ملاقيكم • وقرا ابن مسعود ملاقيكم من غير فا انه
فان قيل الموت ملاقيكم على كل حال فروا او لم يفروا فما معنى الشرط
والجزا • فالجواب ان هذا على جهة الرد عليهم اذ ظنوا ان الفرار ينجيهم
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
وهذا وعيد بليغ وتهديد شديد **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة الاية • قرا العامة الجمعة بضمتين
وقرا عبد الله بن الزبير وزيد بن علي والاعمش وابو حيوة وابو
عمرو في رواية بسكون الميم فقيل هي لغة في الاولى وسكنت تخفيفا
وهي لغة تميم وقيل هو مصدر بمعنى الاجتماع وقيل لما كان بمعنى الفاعل
صار كرجل هزاة انه يهزا به فلما كان في الجمعة معنى التجمع اسكن لانه
مفعول به في المعنى او يشبهه فصار كهزاة الذي يهزا به قال مكي
وكذا قال ابو البقا هو بمعنى المجتمع فيه مثل رجل ضحكة اي يضحك
منه • وقال مكي يجوز اسكان الميم استخفافا • وقيل هي لغة وقد
تقدم انها قراة وانها لغة تميم • وقال ابو حيان ولغة بفتحها لم
يقرا بها • قال شهاب الدين قد نقلها ابو البقا قراة فقال
ويقرا بفتح الميم بمعنى الفاعل اي يوم المكان الجامع مثل رجل ضحكة اي
كثير الضحك وقال مكي وفيه لغة ثالثة بفتح الميم على نسبة الفعل اليها
كانها تجمع الناس كما يقال رجل لحنة اذا كان يلحن الناس وقراة اذا
كان يقري الناس ونقلها قراة ايضا الزمخشري جعل الجمعة بالسكون
وهو الاصل وبالمضموم مخففا منه فقال يوم الجمعة يوم الفوج المجموع
كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع
كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عشرة في عشرة
وقرى بهن جميعا وتقديره يوم الوقت الجامع احسن من تقدير ابي البقا
يوم المكان الجامع لان نسبة الجمع الى الظرفين مجاز فالاولى بقاوه
زمانا على حاله • قال القرطبي وجمعها جمع وجمعات • وقال ابن عباس
نزل القران بالتثقيل والتفخيم فاقروها جمعة يعني بضم الميم وقال
الفرا وابو عبيد والتخفيف احسن واقيس نحو غرفة وغرف وطرفة
وطرف وحجرة وحجر وفتح الميم لغة بني عقيل وقيل انها لغة النبي
صلى الله عليه وسلم **فصل** قال ابن الخطيب قوله للصلوة
اي لوقت الصلوة بدليل قوله من يوم الجمعة ولا يكون الصلوة من اليوم
وانما يكون وقتها من اليوم **فصل** روى سلمان ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال انما سميت جمعة لان الله جمع فيها خلق ادم وقيل
لان الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شي فاجتمع فيها جميع المخلوقات
وقيل لتجمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلوة **قوله**
من يوم من هذه بيان لاذا وتفسير لها قاله الزمخشري وقال ابو البقا
انها بمعنى في اي في يوم كقوله اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض
فصل قال القرطبي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لوي
وكان اول من سمى الجمعة جمعة لاجتماع قريش فيه الى كعب وكان يقال ليوم

الجمعة العروبة وقيل اول من سماها جمعة الانصار • قال ابن سيرين
جمع اهل المدينة من قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وذلك انهم قالوا
ان لليهود يوما يجتمعون فيه في كل سبعة ايام وهو السبت وللنصارى
يوم مثل ذلك فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله فيه ونصلي فيه
ونستذكر فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه
يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين
وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا فذبح لهم اسعد شاة فتعشوا
وتغدوا منها لقلتهم فهذه اول جمعة في الاسلام • وروي انهم كانوا اثني
عشر رجلا • وقال البيهقي ورويناه عن موسى بن عقبة عن الزهري
ان مصعب بن عمير كان اول من جمع الجمعة للمسلمين بالمدينة قبل ان
يقدمها النبي صلى الله عليه وسلم • قال البيهقي يحتمل ان يكون مصعب
جمع بهم بمعونة اسعد بن زرارة فاضافه كعب اليه • وروي عن عبد الرحمن
ابن كعب بن مالك عن ابيه كعب انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم
لاسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن
زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في
نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعين
ذكره البغوي • واما اول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه
فقال اهل السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل
بقبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر
ربيع الاول حين اشتد الضحى من تلك السنة بعد التاريخ فاقام بها
الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته
الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع
مسجدا فجمع بهم وخطب وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها
الحمد لله واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي
من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة
على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان
ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا واوصيكم بتقوى
الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يامره بتقوى
الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على وجل
ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من الآخرة ومن يصلح الذي
بينه وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله
يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم
وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله
نفسه والله رؤوف بالعباد هو الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف
لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا
الله في عاجل امركم واجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه
سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله
توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه
وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا حذركم ولا تفرطوا في جنب الله
فقد علمكم في كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين

فاحسنوا



فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده
هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما
بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين
الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من
الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فصل خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم
وتكريما فقال يا ايها الذين امنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في
عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة ليدل على وجوبه وتاكيد فرضه
وقال بعض العلماء كون الصلوة الجمعة هنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ
وقال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ • وقال ابن العربي
وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهو قوله من يوم الجمعة وذلك
يفيده لان النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلوة واما غيره
فهو عام في ساير الايام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه
بها واضافته اليها معنى ولا فايدة **فصل** كان الاذان على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في ساير الصلوات موذن واحد اذا
جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر كذلك فعل ابو بكر وعمر وعلي
بالكوفة ثم زاد عثمان على المنبر اذانا ثالثا على داره التي تسمى الزوراء
حين كثر الناس بالمدينة فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على
المنبر اذن موذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخطب عثمان
اخرجه ابن ماجة في سننه • وقال الماوردي فاما الاذان الاول فمحدث
فعله عثمان بن عفان ليتاهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة
وكثرة اهلها وقد كان عمر رضي الله عنه امر ان يوذن في السوق قبل
المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمان
رضي الله عنه اذانين في المسجد • قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح ان
الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما
كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه في الحديث ثالثا
لانه اضافه الى الاقامة كقوله عليه الصلوة والسلام بين كل اذانين
صلوة لمن شاء يعني الاذان والاقامة وتوهم بعض الناس انه اذان اصلي
فجعلوا الموذنين ثلاثة فكان وهما ثم جمعوهم في وقت واحد فكان
وهما على وهم **قوله** فاسعوا الى ذكر الله قيل المراد بالسعي هنا
القصد قال الحسن والله ما السعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب
والنية • وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها وهو مومن وقوله ان سعيكم لشتى وقوله وان ليس للانسان
الا ما سعى والمعنى فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا باسبابه
من الغسل والتطهر والتوجه اليه • وقيل المراد به السعي على الاقدام
وذلك فضل وليس بشرط لقوله عليه الصلوة والسلام من اغبرت قدماه
في سبيل الله حرمه الله على النار • قال القرطبي ويحتمل ظاهره وجها رابعا
وهو الجري والاشتداد قال ابن العربي وهو الذي انكره الصحابة الفقهاء
الاقدمون فقرأها عمر فامضوا الى ذكر الله فرارا عن طريق الجري والاشتداد
الذي يدل على الظاهر • وقرأ ابن مسعود كذلك وقال لو قرأت
فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي • وقال ابن شهاب
فامضوا الى ذكر الله سالكا تلك السبيل وهو كله تفسير منهم لا قراءة

قران منزل وجايز قراة القران بالتفسير في موضع التفسير قال ابو بكر
ابن الانبارى وقد احتج من خالف المصحف بقراة عمر وابن مسعود
وان خرشة بن الحر قال راى عمر رضي الله عنه معي قطعة فيها
فاسعوا الى ذكر الله فقال لي عمر من اقراك هذا قلت ابي فقال ان ابيا
اقرانا للمنسوخ ثم قراها عمر فامضوا الى ذكر الله وقال الفرا وابو عبيد
معنى السعي في الاية المضي واحتج الفرا بقولهم هو يسعى في البلاد يطلب
فضل الله واحتج ابو عبيدة بقول الشاعر
اسعى على حي بني مالك ۞ كل امرئ في شانه ساع ۞ ويحتمل السعي
في هذا البيت المضي بالانكماش ومحال ان يخفى هذا المعنى على ابن مسعود
على فصاحته واتقان عربيته قال القرطبي ومما يدل على ان المراد هنا
العدو قوله صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلوة فلا تاتوها وانتم
تسعون ولكن ايتوها وعليكم السكينة قال الحسن اما والله ما هو
بالسعي على الاقدام ولكن نهوا ان ياتوا الصلوة الا وعليهم السكينة والوقار
ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقال قتادة السعي ان تسعى بقلبك
وعملك **فصل** هذه الاية خطاب للمكلفين بالاجماع ويخرج منه
المرضى والزمنى والمسافرون والعبيد والنسا بالدليل والعميان والشيخ الذي
لا يمشي الا بقايد عند ابي حنيفة لما روى الدارقطني عن ابي الزبير عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فعليه الجمعة يوم الجمعة الا مريض او مسافر او امراة او صبي او مملوك فمن استغنى
بلهو او تجارة استغنى الله عز وجل عنه والله غني حميد قال العلما لا يتخلف
احد عن الجمعة ممن عليه اتيانها الا بعذر لا يمكنه معه الاتيان اليها كالمرض
الحابس وخوف الزيادة في المرض او خوف جور السلطان عليه في مال او بدن
دون القضا عليه بحق والمطر الوابل مع الوحل عذر ان وروى المهدي
عن مالك ان تخلفها ليس بعذر ومن له ولي حميم قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده
من يقوم بامره فهو معذور وقد فعل ذلك ابن عمر ومن تخلف عنها لغير عذر
فصلى قبل الامام اعاد ولا يجزيه ان يصلي قبله وهو عاص في تخلفه مع امكانه
فصل وجوب السعي يختص بالقريب الذي يسمع الندا فاما البعيد
الذي لا يسمع الندا فلا يجب عليه السعي واختلفوا الناس في القريب
والبعيد فقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على من كان في
على ستة اميال وقال ربيعة اربعة اميال وقال مالك والليث
ثلاثة اميال وقال الشافعي اعتبار سماع الاذان ان يكون المؤذن
صيتا والاصوات هادية والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سور
البلد وروت عايشة رضي الله عنها ان الناس كانوا ينتابون الجمعة
من منازلهم من العوالي فياتون في الغبار يصيبهم الغبار فيخرج منهم
الريح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو اغتسلتم ليومكم هذا قال العلما
والصوت اذا كان رفيعا والناس في هدو وسكون فاقصى سماع الصوت
ثلاثة اميال والعوالي من المدينة اقربها على ثلاثة اميال وقال
احمد بن حنبل واسحاق تجب الجمعة على من سمع الندا لقوله عليه الصلوة
والسلام انما الجمعة على من سمع الندا وقال ابو حنيفة واصحابه تجب الجمعة
على من في المصر سمع الندا او لم يسمعه ولا تجب على من هو خارج المصر وان
سمع الندا حتى سيل هل تجب على اهل زبارة وهي بينها وبين الكوفة
مجرى نهر فقال لا وروي عن ربيعة ايضا انها تجب على من اذا سمع الندا
وخرج من بيته ماشيا ادرك الصلوة **فصل** دلت هذه الاية

على ان

على ان الجمعة لا تجب الا بالندا والندا لا يكون الا بدخول الوقت لقوله
عليه الصلوة والسلام اذا حضرت الصلوة فليؤذن احدكم وليؤمكم اكبركم
وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين
تميل الشمس وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه واحمد بن حنبل
انها تصلى قبل الزوال واستدل احمد بحديث سلمة بن الاكوع كنا نصلي
مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ننصرف وليس للحيطان ظل وبحديث
ابن عمر ما كنا نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة واخرج مسلم مثله عن سهل
قال القرطبي وحديث سلمة محمول على التبكير لقول سلمة كنا نجمع مع النبي
صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفي
فصل نقل عن بعض الشافعية فرض على الكفاية وجمهور الامة على انها فرض عين
لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا
البيع وقال عليه الصلوة والسلام لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات
او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وروى ابن ماجه
في سننه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاث
مرات طبع الله على قلبه اسناده صحيح وقال ابن العربي ثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم
فصل اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة فذهب قوم الى
ان كل قرية اجتمع فيها اربعون رجلا احرارا عاقلين مقيمين لا يظعنون
عنها شتا ولا صيفا الا ظعن حاجة يجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول
عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي
واحمد واسحاق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا على هذه
الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع الاربعين ان يكون فيهم وال
وعند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط وقال الاوزاعي وابو
يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن وابو ثور
تنعقد باثنين كساير الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر
رجلا **فصل** اذا اجتمع العيد والجمعة سقط فرض الجمعة عند
احمد لتقدم العيد عليها واشتغال الناس به عنها ولما روي ان
عثمان اذن في عيد لاهل العوالي ان يتخلفوا عن الجمعة وقال غيره
لا يسقط فرض الجمعة لان الامر بالسعي متوجه يوم العيد لتوجهه في
ساير الايام وقول الصحابي ليس بحجة اذا خولف فيه ولم يجمع
معه عليه وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة سبح اسم ربك
الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية واذا اجتمع العيد والجمعة
في يوم واحد يقرا بهما ايضا في الصلاتين اخرجه ابو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه **قوله** الى ذكر الله اي الصلوة وقيل الخطبة
والمواعظ قاله سعيد بن جبير قال ابن العربي والصحيح انه واجب
في الجميع لانها تحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته لان المستحب لا يحرم
المباح قال القرطبي واذا قلنا ان المراد بالذكر الصلوة فالخطبة من
الصلوة والعبد يكون ذاكرا لله بفعله كما يكون مسبحا لله بفعله
قال الزمخشري فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك
قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثنا عليه وعلى
خلفايه الراشدين واتقيا المومنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله
فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثنا عليهم والدعا لهم وهم

احقا بعكس ذلك **فصل** ذهب بعضهم الى انه اذا اصبح
يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة • وذهب بعضهم الى
الجواز لما روي ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه
وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم
فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم راه فقال ما منعك ان تغدو
مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك ثم الحقهم لو انفقت ما في
الارض ما ادركت فضل غدوتهم • وسمع عمر بن الخطاب رجلا
عليه اهبة السفر يقول لولا ان اليوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج
فان الجمعة لا تحبس عن سفر **قوله** وذروا البيع يدل على تحريم
البيع في وقت الجمعة على من كان مخاطبا بفرضها والبيع لا يخلو عن
شرا فاكتفى بذكر احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم
باسكم • وخص البيع لانه اكثر ما يشتغل به اصحاب الاسواق ومن
لا يجب عليه حضور الجمعة فلا ينهى عن البيع والشرا • وفي وقت التحريم
قولان احدهما انه من بعد الزوال الى الفراغ منها قاله الضحاك
والحسن وعطا • الثاني انه من وقت اذان الخطبة الى وقت الصلوة
قاله الشافعي • قال القرطبي ومذهب مالك ان البيع يفسخ اذا
نودي للصلوة ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره اذ ليس
من عادة الناس اشتغالهم به كاشتغالهم بالبيع قالوا وكذلك
الشركة والهبة والصدقة نادر لا يفسخ قال ابن العربي والصحيح فسخ
الجميع لان البيع انما منع منه للاشتغال به فكل امر يشغل عن الجمعة
من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ • وحمل بعضهم النهي على الندب
لقوله تعالى ذلكم خير لكم وهو مذهب الشافعي فان البيع عنده ينعقد
ولا يفسخ • وقال الزمخشري ان عامة العلما على ان ذلك النهي لا يؤدي
الى فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول
عن الواجب فهو كالصلوة في الدار المغصوبة والوضوء بما مغصوب
قال القرطبي والصحيح فساده وفسخه لقوله عليه الصلوة والسلام
كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود ثم قال ذلكم اي ذلك الذي
ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم من المبايعة ان كنتم
تعلمون مصالح انفسكم **قوله** فاذا قضيت الصلوة فانتشروا
في الارض هذا امر اباحة كقوله تعالى فاذا حللتم فاصطادوا والمعنى
اذا فرغتم من الصلوة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم
وابتغوا من فضل الله اي من رزقه • وكان عراك بن مالك اذا صلى
الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك
وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت
خير الرازقين • وقال جعفر بن محمد في قوله تعالى وابتغوا من فضل الله
انه العمل في يوم السبت • وقال سعيد بن المسيب طلب العلم
وقيل صلوة التطوع • وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شي من
الدنيا انما هي عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة الاخ في الله تعالى
فصل في فضل يوم الجمعة احاديث كثيرة منها ما روى عن ابي
هريرة قال خرجت الى الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه
فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

خير

خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه هبط
وفيه مات وفيه تاب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة
الا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من
الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو
يصلي يسال الله شيا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة
يوم فقلت بل في كل جمعة قال فقرا كعب التورية فقال صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله
بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة
قال عبد الله بن السلام قد علمت اية ساعة هي هي اخر ساعة
في يوم الجمعة • قال ابو هريرة وكيف تكون اخر ساعة في يوم الجمعة وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو
يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها فقال عبد الله بن سلام الم يقل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلوة فهو
في صلوة حتى يصليها قال ابو هريرة بلى قال فهو ذاك • وقال
عليه الصلوة والسلام من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس طيبا
ان كان عنده ولبس من احسن ثيابه ثم خرج حتى ياتي المسجد ولم
يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شا الله ان يركع وانصت اذا خرج
الامام كانت كفارة ما بينها وبين الجمعة الاخرى التي كانت قبلها
وقال ابو هريرة وزيادة ثلاثة ايام لان الله تعالى يقول من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها • وروى ابو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب
المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الاول فالاول فاذا خرج
الامام طويت الصحف واستمعوا الخطبة • وقال من اغتسل يوم
الجمعة ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة • ومن راح في
الساعة الثانية فكانما قرب بقرة • ومن راح في الساعة الثالثة
فكانما قرب كبشا • ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة
ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام
حضرت الملائكة يستمعون الذكر **قوله** واذكروا الله كثيرا
اي بالطاعة واللسان وبالشكر على ما انعم به عليكم من التوفيق لادا
فرايضه لعلكم تفلحون كي تفلحوا • وقال سعيد بن جبير الذكر طاعة
الله فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير
التسبيح • قال ابن الخطيب فان قيل ما الفرق بين ذكر الله اولا وذكر
الله ثانيا • فالجواب ان الاول من جملة ما لا يجتمع مع التجارة اصلا اذ
المراد منه الخطبة والصلوة • والثاني من جملة ما يجتمع مع التجارة كما في
قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله **قوله** واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها • روى مسلم عن جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما يوم الجمعة فجات عير من
الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنى عشر رجلا وفي رواية
انا فيهم فنزلت هذه الاية واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
وتركوك قايما • وذكر الكلبي ان الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي
من الشام عن مجاعة وغلا سعر وكان معه جميع ما يحتاج الناس اليه
من بر ودقيق وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب بالطبل ليوذن
الناس بقدومه فخرج الناس الا اثنا عشر رجلا • وقيل احد عشر رجلا

وحكى البغوي قال فلما راوه قاموا خشية ان يسبقوا اليه قال الكلبي كانوا في خطبة الجمعة فانفضوا اليه وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال وحكاه الثعلبي عن ابن عباس وذكر الدارقطني من حديث جابر قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ اقبلت عير تحمل الطعام حتى نزلت في البقيع فالتفتوا اليها وانفضوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه الا اربعين رجلا انا فيهم قال وانزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما لم يقل في هذا الاسناد الا اربعين رجلا غير علي بن عاصم عن حصين وخالفه اصحاب حصين فقالوا لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثني عشر رجلا واحتج بهذا الحديث من يرى ان الجمعة تنعقد باثني عشر رجلا وليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة وذكر الزمخشري ان النبي عليه الصلوة والسلام قال والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله الوادي عليهم نارا وروي في حديث مرسل عن اسد بن عمرو والد اسد بن موسى بن اسد وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعيد ابن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود في احدى الروايتين وفي الرواية الاخرى عمار بن ياسر قال القرطبي ولم يذكر جابرا وذكر مسلم انه كان فيهم والدارقطني ايضا فيكونون ثلاثة عشر وان كان عبد الله بن مسعود فيهم فهم اربعة عشر وروى البغوي قال وكان ذلك قبل ان يسلم دحية قال فخرج الناس اليه ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامراة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هولا لقد سومت لهم الحجارة من السما فانزل الله هذه الاية

فصل

وذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمود بن خالد قال حدثنا الوليد قال اخبرنا ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية بن خليفة قدم بتجارته وكان دحية اذا قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شي فانزل الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلوة فكان لا يخرج احد لرعاف او احداث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان في المنافقين من يثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا به حتى يخرج فانزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الاية قال سهل وهذا الخبر وان لم يتصل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم وقال قتادة وقد بلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك موافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية الكلبي بتجارته ونظرهم الى العير لهو لا فائدة فيه الا انه كان مما لا

اثم

اثم فيه او وقع على ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر ونزل فيه من القرآن وتهجينه باسم اللهو ما نزل قوله انفضوا اليها اعاد الضمير على التجارة دون اللهو لانها الاهم في السبب قال ابن وقال اليها ولم يقل اليهما تهمما بالاهم اذ كانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتامل ان قدمت التجارة على اللهو في الرواية لانها اهم وتاخرت مع التفضيل لتقع النفس اولا على الابين انتهى وفي قوله ولم يقل اليهما ثم اجاب بما ذكر نظر لان العطف باو لا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين ولذلك تاول الناس ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما كما تقدم في موضعه وانما الجواب عنه انه وحد الضمير لان العطف باو وانما جي بضمير التجارة دون ضمير اللهو وان كان جائزا للاهتمام كما قاله ابن عطية وغيره وقال الزمخشري قريبا من ذلك فانه قال فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه انتهى وفي قوله قلت تقديره الى اخره يشعر بانه كان حق الكلام ان يثنى الضمير ولكنه حذف وفيه ما تقدم من ان المانع من ذلك امر صناعي وهو العطف باو وقرا ابن ابي عبلة اليه اعاد الضمير الى اللهو وقد نص على جواز ذلك الاخفش سماعا من العرب نحو اذا جاك زيد او هند فاكرمه وان شئت فاكرمها وقرا بعضهم اليهما بالتثنية وتخريجها التخريج ان يكن غنيا او فقيرا كما تقدم تحريره والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالتصفيق والتصفير قوله وتركوك جملة حالية من فاعل انفضوا وقد مقدرة عند بعضهم

فصل

الخطبة فريضة في صلوة الجمعة ويجب ان يخطب قائما فان هذه الاية تدل على ان القيام شرط ويخطب متوكيا على قوس او عصا لما روى ابن ماجة في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وان يخطب على منبر لانه ابلغ في اعلام الحاضرين ويسلم اذا صعد المنبر على الناس لما روى ابن ماجة عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد على المنبر سلم ولم ير ذلك مالك وهل تشترط الطهارة للخطبة فيه قولان مبنيان على ان الجمعة ظهر مقصورة او فريضة مستقلة فان قيل بانها ظهر مقصورة فجعل الخطبتان عوض من الركعتين الاخريين وعلى هذا فيشترط لهما الطهارة وان قيل بانها فريضة مستقلة فالخطبة وعظ وتذكير وذلك لا يشترط لها طهارة واقل ما يجزي في الخطبة ان يحمد الله تعالى ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا اية من القرآن وكذلك في الخطبة الثانية الا ان الواجب بدلا من قراة الاية الدعا في قول اكثر الفقها وقال ابو حنيفة لو اقتصر على التحميد والتسبيح او التكبير اجزاه وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما تناوله اسم خطبة قال ابن عبد البر وهذا اصح ما قيل في ذلك قال القرطبي والسكوت للخطبة واجب على من سمعها ووجوب سنة قوله ما عند الله خير ما موصولة مبتدا وخبرها خير ما والمعنى ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقرا ابو رجا العطاردي قل ما عند الله

خير من اللهو ومن التجارة للذين امنوا والله خير الرازقين اي خير من
رزق واعطى جنته فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده
من خير الدنيا والاخرة • قال ابن الخطيب قوله والله خير الرازقين
من قبيل احكم الحاكمين واحسن الخالقين والمعنى ان امكن وجود
الرازقين فهو خير الرازقين • وقيل لفظ الرازق لا يطلق على غيره
الا بطريق المجاز فان قيل التجارة واللهو من قبيل احكم الحاكمين واحسن
الخالقين ما لا يرى فكيف يصح قوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
ليس المراد الا ما يقرب منه اللهو والتجارة كقوله حتى يسمع كلام الله
اذ الكلام غير مسموع • روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة كتب له عشر حسنات
بعدد من ذهب الى الجمعة من خير من امصار المسلمين ومن لم يذهب

سورة المنافقون مدنية

وهي احدى عشرة اية وماية وثمانون كلمة وسبع ماية وستة وسبعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا جاءك المنافقون
اذا شرط قيل جوابه قالوا وقيل محذوف وقالوا لو جاءك اي اذا
جاءوك قايلين كيت وكيت فلا تقبل منهم • وقيل جواب اتخذوا
ايمانهم جنة وهو بعيد وقالوا ايضا حال **فصل** قال
ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان تلك
السورة مشتملة على ذكر بعثة الرسول وذكر من كان يكذبه
قلبا ولسانا فضرب لهم المثل بقوله مثل الذين حملوا التوراة
وهذه السورة مشتملة على ذكر من كان يكذب قلبا دون اللسان
ويصدقه لسانا دون القلب واما الاول بالاخر فلان في اخر
السورة تنبيه للمومنين على تعظيم الرسول عليه الصلوة والسلام
ورعاية حقه بعد النداء لصلوة الجمعة وتقديم متابعته على غيره
وان ترك التعظيم والمتابعة من شيم المنافقين والمنافقون
هم الكاذبون **فصل** روى البخاري عن زيد بن ارقم
قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي سلول يقول لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لين رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عبد الله واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست
في بيتي فانزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا الى قوله
عز وجل ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك • وروى الترمذي عن زيد
ابن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
معنا ناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء اي نتسابق وكان الاعراب
يسبقونا فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل حوله
حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجي اصحابه قال فاتى رجل من الانصار
اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا فغاض
الماء فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد

الله

الله بن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله
ابن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله
يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد صلى الله عليه وسلم
فاتوا محمدا بالطعام فلياكله هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لين رجعتم
الى المدينة ليخرجن الاعز منكم الاذل • قال زيد وانا ردف عمي فسمعت
عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال
فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجاء عمي الي فقال
ما اردت الى ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك
والمنافقون قال فوقع علي من جراتهم ما لم يقع على احد قال فبينما
انا سير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خفقت براسي من الهم اذ اتاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني
ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلت ما قال لي شيا الا انه عرك اذني وضحك في
وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذي هذا
حديث حسن صحيح **فصل** سيل حذيفة بن اليمان عن المنافق
فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به • وروى ابو هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا اوتمن خان • وروى عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة
منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اوتمن خان واذا حدث
كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر • وروي عن الحسن انه ذكر له الحديث
فقال ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وايتمنوا فخانوا
انما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير
لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقا ان يفضي بهم الى النفاق وليس المعنى
ان من ندرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق
وقال عليه الصلوة والسلام المومن اذا حدث صدق واذا وعد نجز واذا
ايتمن وفا • والمعنى ان المومن الكامل من اذا حدث صدق **قوله** نشهد
يجري مجرى القسم كفعل العلم واليقين ولذلك تلقيت بما يتلقى به القسم
في قولك انك لرسول الله • ونحو قوله •
• ولقد علمت لتاتين منيتي • ان المنايا لا تطيش سهامها •
وقد تقدم الخلاف في الصدق والكذب واستدلالهم بهذه الاية والجواب
عنها في اول البقرة • وقال القرطبي هنا قيل معنى نشهد نحلف فعبر عن الحلف
بالشهادة لان كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر مغيب ومنه
قول قيس بن ذريح •
• واشهد عند الله اني احبها • فهذا لها عندي فما عندها ليا •
ونظيره قول الملاعن اشهد بالله • قال الزمخشري والشهادة تجري مجرى
الحلف في التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله
في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة على ان اشهد يمين
ويحتمل ان يكون ذلك محمولا على ظاهره انهم يشهدون ان محمدا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعترافا بالايمان ونفيا للنفاق عن انفسهم

روايه ايمن

وهو الاشبه **قوله** والله يعلم جملة معترضة بين قوله نشهد
انك لرسوله وبين قوله والله يشهد لفائدة • قال الزمخشري لو
قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون
لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك
لرسوله ليميط هذا الايهام • قال القرطبي والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون بضمائرهم كما قالوا بالسنتهم
كالتكذيب راجع الى الضمائر وهذا يدل على ان الايمان تصديق القلب
وعلى ان الكلام الحقيقي كلام القلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه
فهو كاذب • وقيل اكذبهم الله في ايمانهم وهو قوله يحلفون بالله
انهم لمنكم • قال ابن الخطيب فان قيل لو قالوا نعلم انك لرسول
الله مكان قولهم نشهد انك لرسول الله هل يفيد ما افاد قولهم
نشهد انك لرسول الله • فالجواب لا لان قولهم نشهد انك لرسول
الله صريح في اثبات الشهادة على الرسالة وقولهم نعلم ليس بصريح
في ذلك **قوله** اتخذوا ايمانهم جنة قد تقدم انه يجوز ان يكون
جوابا للشرط ويجوز ان يكون مستانفا جيء به لبيان كذبهم وحلفهم
عليه اي ان الحامل لهم على الايمان اتقاؤهم بها عن انفسهم والعامة
على فتح الهمزة جمع يمين والحسن بكسرها مصدرا وتقدم مثله في
الجنة والجنة الترس ونحوه وكلما يقيك سوءا ومن كلام الفصحاء
جبة البرد جنة البرد • وقال اعشى همدان •
اذا انت لم تجعل لعرضك جنة • من المال سار الذم كل مسير •
فصل قال القرطبي وغيره اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة
وليس يرجع الى قولهم نشهد انك لرسول الله وانما يرجع الى سبب
الاية التي نزلت عليه حسب ما ذكره البخاري والترمذي عن ابن ابي
حلف ما قال وقد قال • وقال الضحاك يعني حلفهم بالله انهم لمنكم
وقيل يعني بايمانهم ما اخبر الرب عنهم في سورة براءة في قوله يحلفون
بالله ما قالوا **فصل** قال القرطبي من قال اقسم بالله او
اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت او شهدت
او عزمت او حلفت وقال في ذلك كله بالله فلا خلاف انها يمين
وكذلك عند مالك واصحابه ان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف
ولم يقل بالله اذا اراد بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين • وقال
ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد بالله لقد كان كذا كان يمينا
ولو قال اشهد لقد كان كذا كان يمينا ولو قال اشهد لقد كان
كذا دون النية كان يمينا لهذه الاية لان الله تعالى ذكر عنهم
الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة • وعند الشافعي لا يكون ذلك
يمينا وان نوى اليمين لان قوله تعالى اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى
قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما في براءة من قوله تعالى يحلفون بالله
ما قالوا **قوله** فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا وهو من الصدود
او صرفوا المومنين عن اقامة حدود الله عليهم من القتل والسبي واخذ
الاموال فهو من الصد او منعوا الناس عن الجهاد بان يتخلفوا ويقتدي
بهم غيرهم • وقيل فصدوا اليهود والمشركين عن الدخول في الاسلام بان
يقولوا ها نحن كافرون بهم ولو كان محمد حقا لعرف هذا منا ولجعلنا نكالا
فبين الله ان حالهم لا يخفى عليه ولكن حكمه ان من اظهر الايمان اجرى
عليه في الظاهر حكم الايمان **قوله** انهم ساء ما كانوا يعملون اي

اعمالهم

اعمالهم الخبيثة من نفاقهم وايمانهم الكاذبة وصدهم عن سبيل الله
وساء يجوز ان يكون الجارية مجرى بئس وان يكون على بابها والاول اظهر
وقد تقدم حكم كل منهما • فان قيل انه تعالى ذكر افعال الكفر من قبل ولم يقل
انهم ساء ما كانوا يعملون • قال ابن الخطيب والجواب ان افعالهم مقرونة
بالايمان الكاذبة التي جعلوها جنة اي سترة لاموالهم ودمائهم عن ان
يستبيحها المسلمون **قوله** ذلك بانهم امنوا ثم كفروا وهذا اعلام من الله
بان المنافقين كفار اي اقروا باللسان ثم كفروا بالقلب • وقيل نزلت الاية
في قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع على قلوبهم اي ختم عليها بالكفر فهم لا يفقهون
الايمان ولا الخير • وقرا العامة فطبع مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل
الجار بعده وزيد بن علي فطبع مبنيا للفاعل • وفي الفاعل وجهان احدهما
انه ضمير عائد على الله تعالى • ويدل عليه قراءة الاعمش وقراءة في رواية
عنه فطبع الله مصرحا بالجلالة وكذلك نقلها القرطبي عن زيد بن علي • فان
قيل اذا كان الطبع بفعل الله تعالى كان ذلك حجة لهم على الله تعالى فيقولوا
اعراضنا عن الحق لغفلتنا وغفلتنا بسبب ان الله تعالى طبع على قلوبنا فاجاب
ابن الخطيب بان هذا الطبع من الله تعالى لسوء افعالهم وقصدهم الاعراض
عن الحق وكانه تعالى تركهم في انفسهم الجاهلة واهوائهم الباطلة والثاني
ان الفاعل ضمير يعود على المصدر المفهوم مما قبله اي فطبع هو اي تلعابهم
بالدين **قوله** واذا رايتهم تعجبك اجسامهم اي هياتهم ومناظرهم
وان يقولوا تسمع لقولهم يعني عبد الله بن ابي • وقال ابن عباس كان عبد
الله بن ابي وسيما جسيما صحيحا صبيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي
صلى الله عليه وسلم مقالته وصفه الله بتمام الصورة وحسن الابانة
وقال الكلبي المراد ابن ابي وجد بن قيس ومعتب ابن قشير كانت لهم
اجسام ومنظر وفصاحة • وفي صحيح مسلم وقوله كانهم خشب مسندة
الى الحايط لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح • واجسام بلا احلام
وقيل شبههم بالخشب التي قد تاكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في
بطنها • قال الزمخشري شبهوا باستنادهم فما هم الا اجرام خالية
عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحايط لان الخشب اذا انتفع
به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا
فارغا غير منتفع به اسند الى الحايط فشبهوا به في عدم الانتفاع •
ويجوز ان يراد بها الاصنام المنحوتة **فصل** قراءة قنبل وابو عمرو
والكسائي خشب باسكان الشين وهي قراءة البراء بن عازب واختيار
ابي عبيد لان واحدتها خشبة كما تقول بدنة وبدن قاله الزمخشري
وقال ابو البقاء وخشب بالاسكان والضم جمع خشب مثل اسد واسد
قال القرطبي وليس في اللغة فعل يجمع على فعل ويلزم من ثقلها ان تقول
البدن فيثقلوا البدن • وذكر اليزيدي انه جمع الخشب كقوله تعالى
وحدائق غلبا واحدتها حديقة غلباء • وقرا الباقون من السبعة بضمتين
وقرا السعيدان بن جبير وابن المسيب بفتحتين ونسبها الزمخشري
لابن عباس ولم يذكر غيره فاما القراءة بضمتين فقيل يجوز ان تكون
جمع خشبة نحو ثمرة وثمر قاله الزمخشري وفيه نظر لان هذه الصيغة
محفوظة في فعلة لا ينقاس نحو ثمرة وثمر • ونقل الفارسي عن الزبيدي
انه جمع خشبا والخشبة غلط عليه لانه قد يكون قال خشب بالكون
جمع خشب نحو حمرا وحمر لان فعلا الصفة لا يجمع على فعل بضمتين بل
بضمة وسكون وقوله الزبيدي بصحيف اما منه واما من الناسخ انما

هو اليزيدي تلميذ ابي عمرو بن العلا نقل ذلك الزمخشري • واما
القراة بضمة وسكون فقيل هي تخفيف الاولى وقيل هي جمع خشبا
كما تقدم وهي الخشبة التي نخرجونها اي فرغ شبهوا بها كنزاع موالجهم
مما ينتفع به واما القراة بفتحتين فهو اسم جنس وانتكث صفته
كقوله نخل خاوية وهو احد الجايزين • وقوله مسنده تقبيه على انها
لا تنتفع كما ينتفع بالخشب في سقف وغيره او شبهوا بالاصنام
لانهم كانوا يسندونها الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم
وقلة جدواهم • وقيل شبهوا بالخشب المسندة الى الحايط لان
الخشبة المسندة الى الحايط احد طرفيها الى جهة والاخر الى جهة
اخرى والمنافق كذلك لان احد طرفيه وهو الباطن الى جهة
اهل الكفر • والطرف الاخر وهو الظاهر الى جهة اهل الاسلام
ونقل القرطبي عن سيبويه انه يقال خشبة واخشاب مثل ثمرة
وثمار وثمر والاسناد الامالة تقول اسندت الشي اي املته
ومسندة للتكثير اي استند والى الايمان لحقن دمايهم قوله
يحسبون كل صيحة عليهم فيه وجهان • اظهرهما ان عليهم هو المفعول
الثاني للحسبان اي واقعة وكاينة عليهم ويكون قوله هم العدو
جملة مستانفة اخبر الله عنهم بذلك • والثاني ان يكون عليهم
متعلقا بصيحة وهم العدو والجملة في موضع المفعول الثاني
للحسبان • قال الزمخشري ويجوز ان يكون هم العدو هو
المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان يقال
هو العدو قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في قوله هذا ربي وان
نقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة انتهى والثاني
بعيد فصل ووصفهم الله بالجبن والخور • قال مقاتل
والسدي اذا نادى مناد في العسكر ان انفلتت دابة او انشدت ضالة
ظنوا انهم هم المرادون لما في قلوبهم من الرعب كما قال الاخطل
ما زلت تحسب كل شي بعدهم • خيلا تكر عليهم ورجالا
وقيل يحسبون كل صيحة عليهم انهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم
لان للريبة خوفا ثم استانف الله خطاب نبيه عليه الصلوة
والسلام فقال هم العدو وهذا معنى قول الضحاك • وقيل يحسبون
كل صيحة يسمعونها في المسجد انها عليهم وان النبي صلى الله عليه وسلم
قد امر فيها بقتلهم فهم ابدا وجلون من ان ينزل الله فيهم امرا يبيح
به دماهم ويهتك به استارهم ثم وصفهم الله بقوله هم العدو فاحذرهم
حكاه عبد الرحمن بن ابي حاتم قوله فاحذرهم فيه وجهان
احدهما فاحذر ان تثق بقولهم او تميل الى كلامهم • الثاني فاحذر
ممايلتهم لاعدائك وتخذيرهم اصحابك قاتلهم الله • قال ابن عباس
اي لعنهم الله قال ابو مالك هي كلمة ذم وتوبيخ • وقد تقول العرب
قاتله الله ما اشعره فيضعونه موضع التعجب • وقيل معنى قاتلهم
اي احلهم محل من قاتله عدو قاهر لان الله تعالى قاهر لكل معاند حكاه
ابن عيسى قوله انى يوفكون انى بمعنى كيف • وقال ابن عطية
ويحتمل ان يكون انى ظرفا لقاتلهم كانه قيل قاتلهم الله كيف انصرفوا
او صرفوا فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى • قال شهاب
الدين وهذا لا يجوز لان انى انما يستعمل بمعنى كيف او بمعنى اين
الشرطية او الاستفهامية وعلى التقادير الثلاثة فلا يتمحض الظرف
فلا يعمل

فلا يعمل فيها قبلها البتة كما لا يعمل في اسما الشرط والاستفهام •
فصل قال ابن عباس انى يوفكون اي يكذبون • وقال
قتادة اي يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون عن الرشد
وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلايل وهو
من الافك قوله انى بمعنى كيف وقد تقدم قوله
واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله هذه المسيلة
عدها النحاة من الاعمال وذلك ان تعالوا يطلب رسول
الله مجرورا بالى اي تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلبه
فاعلا فاعمل الثاني ولذلك رفعه وحذف من الاول اذ
التقدير تعالوا اليه ولو اعمل الاول لقيل تعالوا الى رسول
الله يستغفر فيضمر في يستغفر فاعل ويمكن ان يقال ليست
هذه من الاعمال في شي لان قوله تعالوا امر بالاقبال من حيث هو
بالنظر الى تعمل عليه قوله لووا هذا جواب اذا • وقرا نافع
لووا مخففا والباقون مشددا على التكثير ويصدون حال لان
الروية بصرية وكذا قوله وهم مستكبرون حال ايضا اما من
صاحب الحال الاولى واما من فاعل يصدون فتكون متداخلة
واتى بيصدون مضارعا دلالة على التجدد والاستمرار • وقري
يصدون بالكسر وقد تقدم ما في الزخرف فصل لما نزل
القران بصفتهم مشى اليهم عشايرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق
فتوبوا الى رسول الله من النفاق واطلبوا ان يستغفر لكم فلووا
روسهم اي حركوها استهزا واباء قاله ابن عباس • وعنه انه كان
لعبد الله ابن ابي موقف في كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة
رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك غضبان فاته يستغفر لك فابى وقال لا اذهب اليه • قال
المفسرون وسبب نزول هذه الايات ان النبي صلى الله عليه وسلم
غزى بني المصطلق على ما يقال له المريسيع من ناحية قديد الى
الساحل فازدحم اجير لعمر يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود
له فرسه بحليف لعبد الله بن ابي يقال له سنان بن وبرة الجهني
حليف بني عوف من الخزرج على ما بالمشلل فصرخ جهجا بالمهاجرين
وصرخ سنان بالانصار فلطم جهجاه سنانا واعان جهجاه رجل
من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله ابن ابي
وقد فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك
ياكلك اما والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا
الرجل لا تنفقوا على من عنده حتى ينفضوا فتركوه فقال زيد بن
ارقم وهو من رهط عبد الله انت والله الذليل المنتقص في قومك
ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله
لا احبك بعد كلامك هذا ابدا فقال عبد الله اسكت انما كنت
العب فاخبر زيد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فاقسم بالله ما
فعل ولا قال فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم قال زيد
فوجدت في نفسي ولامني الناس فنزلت سورة المنافقين في تصديق
زيد وتكذيب عبد الله فقيل لعبد الله قد نزلت فيك ايات شديدة
فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فالوى راسه

نزلت الاية خرجه البخاري والترمذي بمعناه • وقيل معنى قوله
يستغفر لكم رسول الله اي يستتبكم من النفاق لان التوبة
استغفار ورايتهم يصدون اي يعرضون عن الرسول وهم مستكبرون
اي متكبرين عن الايمان • قيل قال ابن ابي لما لوى راسه امرتموني
ان اومن فقد امنت وان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي
الا ان اسجد لمحمد **قوله** سوا عليهم استغفرت لهم قرا العامة
استغفرت بهمزة مفتوحة من غير مد وهي همزة التسوية التي
اصلها الاستفهام • وقرا يزيد بن القعقاع آستغفرت بهمزة
ثم الف فاختلف الناس في تاويلها فقال الزمخشري اشباعا
لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل كما في آلسحر
والله يعني انها اشبع همزة التسوية فتولد منها الف وقصده
بذلك اظهار الهمزة وبيانها لا انه قلب الوصل الفا كما قلبها
في قوله آلسحر آلله اذن لكم لان هذه الهمزة للوصل فهي تسقط
في الدرج • وايضا فهي مكسورة فلا ملتبس معها الاستفهام بالخبر
بخلاف آلسحر آلله • وقال اخرون هي عوض عن همزة الوصل
كما في آلذكرين وهذا ليس بشي لان هذه مكسورة فكيف تبدل
الفا • وايضا فانما قلبناها هناك الفا ولم نحذفها وان كان
حذفها مستحقا لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر وهنا لا لبس • وقال
ابن عطيه قرا ابو جعفر يعني يزيد بن القعقاع آستغفرت
بمدة على الهمزة وهي الف التسوية وقرا ايضا بوصل الالف
دون همز على الخبر وفي هذا كله ضعف لانه في الاول اثبت همزة
الوصل وقد اغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف
همزة الاستفهام وهو يريدها وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر
قال شهاب الدين اما قراءة استغفرت بوصل الهمزة
فرويت ايضا عن ابي عمرو الا انه هو بضم ميم عليهم عند
وصله الهمزة لان اصلها الضم وابو عمرو يكسرها على اصل
التقا الساكنين • واما قوله وهذا مما لا يستعمل الا في الشعر
فان اراد بهذا مد هذه الهمزة في هذا المكان فصحيح بل لا
نجده ايضا وان اراد حذف همزة الاستفهام فليس بصحيح
لانه يجوز حذفها اجماعا قبل ام نثرا ونظما • فاما دون ام
ففيه خلاف والاخفش يجوزه ويجعل منه وتلك نعمة
وقوله الاخر •

طربت وما شوقا الى البيض اطرب • ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

وقول الاخر •

افرح ان ارزا الكرام وان • اورث ذودا شصايصا نبلا

واما قبل ام فكثير كقوله •

لعمرك ما ادري وان كنت داريا • بسبع رمين الجمر ام بثمانيا

وقد تقدمت هذه المسئلة مستوفاة **فصل** قال قتادة
هذه الاية نزلت بعد قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وذلك
انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي
فلازيدنهم على السبعين فانزل الله تعالى لن يغفر الله لهم الاية
قال ابن عباس المراد بالفاسقين المنافقون **فصل** معنى
قوله سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم اي كلاهما لك سوا

لا ينفع

لا ينفع استغفارك شيا لان الله لا يغفر لهم نظيره سوا عليهم
انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون سوا علينا اوعظت ام لم
تكن من الواعظين ان الله لا يهدي القوم الفاسقين • قال ابن الخطيب
قال قوم فيه بيان ان الله تعالى يملك هداية وراء هداية البيان
وهي خلق فعل الاهتدا فيمن علم منه ذلك • وقيل معناه لا يهديهم لفسقهم
وقال المعتزلة لا يسميهم المهتدين اذ فسقوا وضلوا • فان قيل ذكر
الفاسقين ولم يقل الكافرين والمنافقين مع ان كلا منهم تقدم ذكره
فالجواب ان كل واحد منهم دخل تحت الفاسقين **قوله** هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله قد تقدم سبب النزول
وان ابن ابي قال لا تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا اي يتفرقوا
عنه فاعلمهم الله سبحانه وتعالى ان خزاين السموات والارض له ينفق
كيف يشا • قال رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال ولله خزاين السموات
والارض • وقال الحسن خزاين السموات الغيوب وخزاين الارض القلوب
فهو علام الغيوب ومقلب القلوب **قوله** ينفضوا قرا العامة ينفضوا
من الانفضاض وهو التفرق • وقرا الفضل بن عيسى الرقاشي ينفضوا من
انفض القوم فني زادهم وقالوا ينفض الرجل وعاه من الزاد فانفض
فيتعدى دون الهمزة ولا يتعدى معها فهو من باب كببته فاكب • قال
الزمخشري وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم • ثم قال تعالى
ولكن المنافقين لا يفقهون انه اذا اراد امرا يسره **قوله** يقولون
لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ورجع الى المدينة لم يلبث
الا اياما يسيرة حتى مات فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسه
قميصه فنزل قوله لن يغفر الله لهم • وروي ان عبد الله بن ابي ابن سلول
قال لابيه والذي لا اله الا هو لا تدخل المدينة حتى تقول ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو الاعز وانا الاذل فقاله توهموا ان العزة
بكثرة الاموال والاتباع فبين الله تعالى ان العزة والمنعة والقوة لله
قوله ليخرجن الاعز قراءة العامة بضم اليا وكسر الرا مسندا الى الاعز
والاذل مفعول به والاعز بعض المنافقين على زعمه • وقرا الحسن وابن
ابي عبلة والمسيبي لنخرجن بنون العظمة ونصب الاعز على المفعول به
ونصب الاذل على الحال وبه استشهد من جوز تعريفها والجمهور جعلوا
ال مزيدة على حد ارسلها العراك وادخلوا الاول فالاول • وجوز ابو البقا
ان يكون منصوبا على المفعول به وناصبه حال محذوفة اي مشبها
الاذل • وقد خرجه الزمخشري على حذف مضاف اي خروج الاذل او اخراج
الاذل يعني بحسب القراتين من خرج واخرج فعلى هذا ينتصب على
المصدر لا على الحال • ونقل الداني عن الحسن ايضا لنخرجن بفتح نون العظمة
وضم الرا ونصب الاعز على الاختصاص • كقولهم نحن العرب اقرى الناس
للضيف والاذل نصب على الحال ايضا قاله ابو حيان وفيه نظر كيف
يخبرون عن انفسهم انهم يخرجون في حال الذل مع قولهم الاعز اي
اخص الاعز ويعنون بالاعز انفسهم • وقد حكى هذه القراة ايضا ابو
حاتم • وحكى الكسائي والفراء ان قوما قروا ليخرجن بفتح اليا وضم الرا
ورفع الاعز فاعلا ونصب الاذل حالا وهي واضحة • وقرى ليخرجن بضم
اليا مبنيا للمفعول والاعز قايم مقام الفاعل الاذل حال ايضا •
فصل قال ابن الخطيب فان قيل ما الحكمة في انه تعالى ختم الاية
الاولى بقوله لا يفقهون وختم الثانية بقوله لا يعلمون • فالجواب

ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم • وبالثانية هما ضيهم وجماعهم ونفيهم هو من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول الفقه بالتكليف • والثاني لا بالتكليف فالاول علاجي والثاني مزاجي **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله حذر المومنين اخلاق المنافقين اي لا تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله • وقوله عن ذكر الله اي عن الحج والزكاة • وقيل عن قراءة القران وقيل عن ادامة الذكر • وقال الضحاك عن الصلوات الخمس • وقال الحسن عن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله • وقيل هذا خطاب للمنافقين اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب ومن يفعل ذلك يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربه فاولئك هم الخاسرون **قوله** وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكاة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت • قال القرطبي هذا يدل على وجوب تعجيل اخراج الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك سائر العبادات اذا دخل وقتها • قال ابن الخطيب وبالجملة فقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت وقوله وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك **قوله** فيقول رب لولا اخرتني اي هلا اخرتني • وقيل لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني اي لو اخرتني الى اجل قريب فيسال الرجعة الى الدنيا ليعمل صالحا روى الترمذي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله انما سال الرجعة الكفار فقال سأتلو عليك بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكاة قال اذا بلغ المال مايتين فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة قال القرطبي ذكره الحليمي في كتاب منهاج الدين مرفوعا فقال وقال ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده مال يبلغه الحج الحديث • قال ابن العربي اخذ ابن عباس بعموم الاية في انفاق الواجب خاصة دون النفل • فاما تفسيره بالزكاة فصحيح كله عموما وتقديرا بالمايتين • واما القول بالحج ففيه اشكال لانا ان قلنا ان الحج على التراخي ففي المعصية بالموت قبل الحج خلاف بين العلماء فلا تخرج الاية عليه • وان قلنا الحج على الفور فالعموم في الاية صحيح لان من وجب عليه الحج فلم يؤده لقي من الله ما يود لو انه رجع ليأتي بما ترك من العبادات واما تقدير الامر بالزاد والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء وليس لكلام ابن عباس فيه مدخل لاجل ان الرجعة والوعيد لا يدخل في المسايل المجتهد فيها ولا المختلف عليها وانما تدخل في المتفق عليه والصحيح تناوله للواجب من الانفاق بالاجماع او بنص القران لان ما عدا ذلك لا يتحقق فيه الوعيد **قوله** فاصدق نصب على جواب التمني في قوله لولا اخرتني • وقرا ابي وعبد الله وابن جبير فاتصدق وهي اصل قراءة العامة ولكن ادغمت التا في الصاد **قوله** واكن قرا ابو عمرو واكون بنصب الفعل عطفا على فاصدق والباقون واكن مجزوما وحذفت الواو لالتقاء الساكنين • واختلفت عبارات الناس في ذلك فقال الزمخشري عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن • وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان التقدير

اذا اخرتني

ان اخرتني اصدق واكن هذا مذهب ابي علي الفارسي • وقال القرطبي عطفا على موضع الفا لان قوله فاصدق لو لم يكن الفا لكان مجزوما اي اصدق ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن جزم فاما ما حكاه سيبويه عن الخليل فهو غير هذا وهو انه جزم على توهم الشرط الذي هو يدل عليه التمني ولا موضع هنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله من يضلل الله فلا هادي له لانه لو وقع موقعه فعل لانجزم انتهى وهذا الذي نقله سيبويه هو المشهور عند النحويين ونظر ذلك سيبويه بقول زهير

بدا لي اني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيا اذا كان جائيا

بخفض ولا سابق عطفا على مدرك الذي هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه لانه قد كثر جر خبرها بالباء المزيدة وهو عكس الاية الكريمة لان في الاية جزم على توهم سقوط الفاء وهنا خفض على توهم وجود الباء ولكن الجامع توهم ما يقتضي جواز ذلك • قال شهاب الدين ولكني لا احب هذا اللفظ مستعملا في القران فلا يقال جزم على التوهم لقبحه لفظا • وقال ابو عبيد رايت في مصحف عثمان واكن بغير واو وقد فرق ابو حيان بين العطف على الموضع والعطف على التوهم فقال الفرق بينهما ان العامل في العطف على الموضع موجود واثره مفقود والعامل في العطف على التوهم مفقود واثره موجود انتهى • قال شهاب الدين مثال الاول هذا ضارب زيد وعمرو فهذا من العطف على الموضع فالعامل وهو ضارب موجود واثره وهو النصب مفقود • ومثال الثاني ما نحن فيه فان العامل للجزم مفقود واثره موجود ولكن اثرها انما ظهر في المعطوف لا في المعطوف عليه وكذلك في الاية الكريمة ومن ذلك ايضا بيت امرئ القيس

فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء او قدير معجل

فانهم جعلوه من العطف على التوهم وذلك انه توهم انه اضاف منضج الى صفيف وهو لو اضافه اليه لجره فعطف قدير على صفيف بالجر توهما لجره بالاضافة • وقرا عبيد بن عمير واكون برفع الفعل على الاستيناف اي وانا اكون وهذا عدة منه بالصلاح **فصل** قال ابن عباس هذه الاية تدل على ان المومن لم يكونوا من اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع الى الدنيا او التاخير فيها احد له عند الله خير في الاخرة قال القرطبي الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقال الضحاك لا ينزل باحد لم يحج ولم يؤد الزكاة الموت الا سال الرجعة • ثم قال تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون من خير ومن شر • قرا ابو بكر عن عاصم والسلمي بالياء من تحت على الخبر عمن مات وقال هذه المقالة • والباقون بالخطاب وهما واضحان • روى الثعلبي في تفسيره عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين بري من النفاق والله اعلم

سورة التغابن مدنية

مدنية في قول الاكثر • وقال الضحاك مكية • وقال الكلبي مدنية ومكية • وعن ابن عباس ان سورة التغابن نزلت بمكة الا ايات من اخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى الرسول

الله صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فانزل الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الى اخرها
وهي ثماني عشرة اية ومايتا واحدى واربعون كلمة والف وسبعون
حرفا • عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مولود يولد الا وفي تشابيك راسه مكتوب خمس ايات
من فاتحة سورة التغابن • بسم الله الرحمن الرحيم قوله
يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم نظيره • قال ابن
الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان تلك السورة
للمنافقين الكاذبين وهذه السورة للمومنين الصادقين
وايضا فان تلك السورة مشتملة على ذكر النفاق سرا وعلانية
وهذه السورة مشتملة على التهديد البالغ لهم عن ذلك وهو
قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون وهو عليم بذات الصدور
واما تعلق هذه السورة باخر التي قبلها فلانه في اخر تلك السورة
التنبيه على الذكر والشكر كما تقدم وفي اول هذه السورة اشار
الى ان في الناس قوما يواظبون على الذكر والشكر دايما وهم
الذين يسبحون كما قال تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض
قوله له الملك مبتدا وخبر وقدم الخبر ليفيد اختصاص
الملك والحمد لله تعالى اذ الملك والحمد له حقيقة وهو على كل شي
قدير قوله هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن • قال
ابن عباس ان الله خلق بني ادم مومنا وكافرا ويعيدهم في القيمة
مومنا وكافرا • وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيا مما يكون فقال
يولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مومنا ويعيش مومنا
ويموت مومنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا
ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مومنا • وقال ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله فرعون في بطن امه كافرا
وخلق يحيى بن زكريا في بطن امه مومنا • وفي الصحيح من حديث
ابن مسعود وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها
وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها • وفي
صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو
من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو
من اهل الجنة • قال القرطبي قال علماونا والمعنى تعلق العلم الازلي
بكل معلوم فيجري ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على عموم
الاحوال وقد يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر • وقيل في
الكلام محذوف تقديره فمنكم مومن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف
لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن • وقال غيره لا حذف فيه
لان المقصود ذكر الطرفين • وقيل انه خلق الخلق ثم كفروا وامنوا
والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن
كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء ثم قال فمنهم من يمشي على بطنه الاية
قالوا فالله خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضل

قال

قال لو خلقهم مومنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله فمنكم كافر
ومنكم مومن • واحتجوا بقوله عليه الصلوة والسلام كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه • قال البغوي وروينا
عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا وقال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا
فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله
ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى شقي ام سعيد فما الرزق
فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه • وقال الضحاك فمنكم كافر في السر
مومن في العلانية كالمنافق ومنكم مومن في السر كافر في العلانية
كعمار وذويه • وقال عطا بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكوكب
ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب يعني في شان الانواء كما جاء في الحديث
قال القرطبي وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه
الايمة ان الله خلق الكافر وكفره فعله وكسبه مع ان الله خالق الكفر
وخلق المومن وايمانه فعله وكسبه مع ان الله خالق الايمان والكافر
يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه
وعلمه منه لان وجود خلاف المقدر عجز ووجود خلاف المعلوم جهل
ولا يليقان بالله تعالى وفي هذا سلامة من الجبر • وروي عن ابي سعيد
الخدري انه قال فمنكم كافر حياته مومن في العاقبة ومنكم مومن حياته
كافر في العاقبة • وقيل فمنكم كافر بان الله خلقه وهو مذهب الدهرية
ومنكم مومن بان الله خلقه • قال ابن الخطيب فان قيل انه تعالى
حكيم وقد سبق في علمه انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاي حكمة
دعته الى خلقهم • فالجواب اذا علمنا ان الله تعالى حكيم علمنا ان افعاله
كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هذه الطايفة على وفق الحكمة
ولا يلزم من عدم علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون
خلقهم على وفق الحكمة قوله هو الذي خلق السموات والارض بالحق
اي خلقها حقا يقينا لا ريب فيه وقيل البا بمعنى اللام اي خلقها للحق
وهو ان يجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى •
قوله وصوركم فاحسن صوركم قرا العامة بضم صاد وصوركم
وهو القياس في فعله • وقرا زيد بن علي والاعمش وابو زيد بكسرها
وليس بقياس وهو عكس لحى بالضم والقياس لحى بالكسر فصل
معنى وصوركم يعني ادم عليه الصلوة والسلام خلقه بيده كرامة له
قاله مقاتل • وقيل جميع الخلايق وقد مضى معنى التصوير وانه التخطيط
والتشكيل • فان قيل كيف احسن صورهم قيل بان جعلهم احسن الحيوان
كله وابهاه صورة بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على
خلاف ما يرى من ساير الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا
غير منكب كما قال عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم كما ياتي
ان شا الله تعالى • قال ابن الخطيب فان قيل قد كان من افراد هذا النوع
من كان مشوه الخلقة سمج الصورة • فالجواب لا سماجة لان الحسن
في المعاني وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن مراتب
ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل في حيز الحسن غير خارج عن حده
قوله واليه المصير اي المرجع فيجازي كلا بعمله • قال ابن الخطيب
فان قيل قوله تعالى واليه المصير يوهم الانتقال من جانب الجانب



وذلك على الله تعالى محال • فالجواب ان ذلك الوهم بالنسبة الينا والى
زماننا لا بالنسبة الى ما يكون في نفسه بمعزل عن حقيقة الانتقال
اذا كان المنتقل منزها عن الجانب والجهة **قوله** يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون تقدم نظيره • قال ابن الخطيب
انه تعالى نبه بعلمه ما في السموات وما في الارض • ثم بعلمه ما بين العباد
وما يعلنونه • ثم بعلمه ما في الصدور من الكليات والجزئيات على انه لا
يخفى عليه شيء البتة • ونظيره قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض
ولا في السما • وقرا العامة بتا الخطاب في الحرفين وروي عن ابي عمرو
وعاصم بيا الغيبة فيحتمل الالتفات ويحتمل الاخبار عن الغايبين
والله عليم بذات الصدور فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه
شي **قوله** الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل الخطاب لقريش اي الم
ياتكم خبر كفار الامم السالفة فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا وهم في
الاخرة عذاب اليم اي مولم **قوله** ذلك بانه الهنا للتنار والحديث
وكانت تاتيهم رسلهم خبرها • ومعنى الاشارة ان هذا العذاب لهم
بكفرهم بالرسل تاتيهم بالبينات اي بالدلايل الواضحة **قوله** ابشر
يهدوننا يجوز ان يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو
الارجح لان الاداة تطلب الفعل وان يكون مبتدا وخبرا وجمع الضمير
في يهدوننا اذ البشر اسم جنس انكروا ان يكون الرسول من البشر وقد
ياتي الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس • وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد
كقوله تعالى ما هذا بشرا **قوله** فكفروا اي بهذا القول اذ قالوه
استصغارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشا الى عباده • فان قيل
قوله فكفروا يفهم منه التولي فما الحاجة الى ذكره • فالجواب قال
ابن الخطيب انهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى الانكار
والاعراض بالكلية وهذا هو التولي فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على
التولي فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان
واعرضوا عن الايمان والموعظة **قوله** واستغنى الله استغنى بمعنى
المجرد • وقال الزمخشري ظهر غناه فالسين ليست للطلب • قال مقاتل
استغنى الله اي بسلطانه عن طاعة عباده • وقيل استغنى الله بما
اظهره لهم من البرهان واوضحه لهم من البيان عن زيادة تدعو
الى الرشد وتقود الى الهداية والله غني حميد غني عن خلقه حميد
في افعاله • فان قيل قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغنا
معا والله تعالى لم يزل غنيا • فاجاب الزمخشري بان معناه انه ظهر
استغنا الله حيث لم يلجيهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته
على ذلك • ثم اخبر عن انكارهم للبعث فقال عز وجل زعم الذين كفروا
ان لن يبعثوا اي ظنوا • والزعم هو القول بالظن • وقال الزمخشري
الزعم ادعا العلم ومنه قوله عليه الصلوة والسلام زعموا مطية الكذب
وقال شريح لكل شي كنية وكنية الكذب زعموا • وقيل نزلت في العاص
ابن وايل السهمي مع خباب كما تقدم في اخر سورة مريم ثم عمت كل كافر
قوله ان لن يبعثوا ان مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله
وان وما في خبرها سادة مسد المفعولين للزعم او المفعول **قوله** اجاب
بلى ايجاب للنفي وتبعثن جواب قسم مقدر اي لتخرجن من قبوركم احيا
ثم لتنبين لتخبرن بما عملتم اي باعمالكم وذلك على الله يسير اذ الاعادة
اسهل من الابتدا • فان قيل كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث وهم قد

انكروا



انكروا الرسالة • قال ابن الخطيب • والجواب انهم انكروا الرسالة لكنهم
يعتقدون انه يعتقد ربه اعتقادا جازما لا يزيد عليه فيعلمون انه
لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر
من الشمس في اعتقاده ثم انه اكد الخبر باللام والنون فكانه قسم بعد
قسم • ثم انه تعالى لما اخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من لوازم
الايمان قال فامنوا بالله ورسوله وهذا يجوز ان يكون صلة لما
تقدم لانه تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وذلك لكفرهم
بالله وتكذيبهم للرسل فقال فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا
ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة • وقال القرطبي قوله فامنوا بالله ورسوله
امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة والنور الذي انزلنا وهو القران
لانه نور يهتدى به من ظلمة الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمات • فان
قيل هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله • فالجواب ان الالف
واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله ونوره ثم قال
والله بما تعملون خبير اي بما تسرون وما تعلنون فراقبوه في السر
والعلانية **قوله** يوم يجمعكم منصوب بقوله لتنبؤن عند النحاس
وبخبير عند الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله يعاقبكم
يوم يجمعكم وباذكر مضمرا عند الزمخشري فيكون مفعولا به او بما دل
عليه الكلام اي يتفاوتون يوم يجمعكم قاله ابو البقا • وقرا العامة
يجمعكم بفتح اليا وضم العين وروي سكونها واشمامها عن ابي عمرو وهذا
منقول عنه في الرا نحو ينصركم وبابه كما تقدم في البقرة • وقرا يعقوب
وسلام وزيد بن علي والشعبي ونصر وابن ابي اسحاق والجحدري نجمعكم بنون العظمة
اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا والمراد بيوم الجمع اي يوم الجمعة يوم يجمع
الله الاولين والاخرين والانس والجن واهل السما واهل الارض • وقيل يوم
يجمع الله بين كل عبد وعمله • وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل
يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل يجمع فيه ثواب اهل الطاعات وعقاب
اهل المعاصي **قوله** ذلك يوم التغابن التغابن تفاعل من الغبن
في البيع والشرا على الاستعارة وهو اخذ الشي بدون قيمته • وقيل
الغبن الاخفا • ومنه غبن البيع لاستخفائه والتفاعل هنا من واحد
لا من اثنين ويقال غبنت الثوب وخبنته اي اخذت ما طال عنه
من مقدارك فهو نقص واخفا وفي التفسير هو ان يكتسب الرجل مالا
من غير وجهه فيرثه غيره فيعمل فيه بطاعة فيدخل الاول النار والثاني
الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين • والمغابن ما انثنى من
البدن نحو الابطين والفخذين • والمغبون من غبن في اهله ومنازله
في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مومن بتقصيره
في الاحسان وتضييعه الايام • قال الزجاج ويغبن من ارتفعت
منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو اعلا منزلة منه • فان قيل فاي معاملة
وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها • فالجواب هو تمثيل للغبن في
الشرا والبيع كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت
تجارتهم فلما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم
بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة بترك
الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا
ومجازا وقد فرق الله الخلق فرقتين فريقا للجنة وفريقا للنار • وقال
الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن على ثلاثة اصناف رجل علم علما

نضيعه ولم يعمل به فشقي به • ورجل علم علما وعمل به فنجا به • ورجل
اكتسب مالا من وجوه يسال عنها وشح عليه وفرط في طاعة ربه
بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لاحساب عليه فعمل ذلك
الوارث فيه بطاعة ربه • ورجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربه
فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي • وروى القرطبي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمراة يوم القيمة
بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا ما انتما بقائلين فيقول الرجل
يارب اوجبت نفقتها علي فنفقتها من حلال ومن حرام وهولاء
الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي فتقول المراة يارب وما عسى
ان اقول اكتسبه حراما واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض
له بذلك فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيومر به
الى النار ويومر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فتقول له
غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن
فذلك يوم التغابن **فصل** استدل بعض العلما بقوله تعالى
ذلك يوم التغابن على انه لا يجوز الغبن في المعاملات الدنيوية لان
الله تعالى خصص التغابن بيوم القيمة فقال ذلك يوم التغابن
وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن
في بيع فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا
عليه بقوله عليه الصلوة والسلام لحبان بن منقذ اذا ابتعت فقل
لا خلابة ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن في الدنيا ممنوع منه بالاجماع
اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن
الاحتراز عنه لمضي في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا لانه
لا يخلو منه فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه فوجب الرد به والفرق
بين القليل والكثير في الشريعة معلوم فقدرناه بالثلث وهذا
الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون بمعنى الاية على هذا
يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي
لا يستدرك ابدا • قال بعض علما الصوفية ان الله تعالى قد كتب الغبن
على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفا
للعمل حتى يحصل له استيفا الثواب قال عليه الصلوة والسلام لا يلقى
الله احد الا نادما ان كان مسيا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم
يزدد **قوله** ومن يومن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سياته
ويدخله قرا نافع وابن عامر بالنون فيهما والباقون بالياء **قوله**
والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني القران • اولئك اصحاب النار خالدين
فيها وبيس المصير • قال ابن الخطيب فان قيل قال تعالى في حق المومنين
ومن يومن بالله بلفظ المستقبل • وفي الكفار قال والذين كفروا
بلفظ الماضي • فالجواب ان تقدير الكلام ومن يومن بالله من الذين
كفروا وكذبوا باياتنا ندخله جنات ومن لم يومن منهم اولئك
اصحاب النار • فان قيل قال تعالى ومن يومن بلفظ الوحدان وخالدين
بلفظ الجمع • فالجواب ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى فان
قيل ما الحكمة في قوله وبيس المصير بعد قوله خالدين فيها وذلك بيس
المصير • فالجواب ان ذلك وان كان في معناه فلا بد من التصريح بما
يوكده **فصل** لما ذكر ما للمومنين ذكر ما للكفار فقال ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله اي بارادته وقضايه • وقال الفرا

الابا

الا بامر الله • وقيل الا بعلم الله • وقيل سبب نزول هذه الاية
ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصايب
في الدنيا فبين الرب تعالى ان ما اصاب من مصيبة في نفس او مال
او قول او فعل يقتضيها او يوجب عقابا اجلا او عاجلا فبعلم الله
وقضايه • فان قيل بم يتصل قوله ما اصاب من مصيبة الا باذن
الله • فالجواب يتعلق بقوله فامنوا بالله ورسوله كان من يومن
بالله يصدق بانه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للصبر
والرضا • وقيل تثبته على الايمان • وقال ابو عثمان الجيزي من صح ايمانه
يهد الله قلبه لاتباع السنة • وقيل ومن يومن بالله يهد قلبه عند
المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير • وقال ابن
عباس هو ان يجعل في قلبه اليقين ليعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه
وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه • وقال الكلبي هو اذا ابتلي صبر واذا
انعم عليه شكر واذا ظلم غفر • وقيل يهد قلبه الى نيل الثواب في الجنة
قوله يهد قلبه • قراه العامة بالياء مجزوما جوابا للشرط لتقدم
ذكر الله • وابن جبير وابن هرمز وطلحة والازرق بالنون على التعظيم
والضحاك وابو حفص • وابو عبد الرحمن وقتادة يهد مبنيا للمفعول
قلبه قايم مقام الفاعل ومالك بن دينار وعمرو بن دينار وعكرمة
يهدأ بهمزة ساكنة قلبه فاعل به بمعنى يطمين ويسكن وعمرو بن فايد
يهدا بالف مبدلة من الهمزة فالتي قبلها ولم يحذفها نظرا الى الاصل وهي
افصح اللغتين وعكرمة ومالك بن دينار ايضا يهد بحذف هذه
الالف اجراها مجرى الالف الاصلية كقول زهير •
∴ جري متى يظلم يعاقب بظلمه • سريعا والا يبد بالظلم يظلم ∴
وقد تقدم اعراب ما قبل هذه الاية وما بعدها والله بكل شي عليم لا يخفى
عليه تسليم من انقاد لامره ولا كراهة من كرهه **قوله** واطيعوا
الله واطيعوا الرسول اي هونوا على انفسكم المصايب واشتغلوا
بطاعة الله واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان
توليتم عن الطاعة فليس على الرسول الا البلاغ المبين **قوله** الله
لا اله الا هو اي لا معبود سواه ولا خالق غيره • قال ابن الخطيب
قوله لا اله الا هو يحتمل ان يكون من جملة ما تقدم من الاوصاف الحميدة
بحضرة الله تعالى من قوله له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير
فانه من كان موصوفا بهذه الاوصاف فهو الذي لا اله الا هو **قوله**
وعلى الله فليتوكل المومنون قال الزمخشري هذا بعث لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه
قوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم • قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة في عوف
ابن مالك الاشجعي شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده
فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري عن عطا بن يسار قال نزلت
سورة التغابن كلها بمكة الا هولا الايات يا ايها الذين امنوا ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم نزلت في عوف بن مالك
الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوه ورققوه
وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الاية الى اخر
السورة بالمدينة روى الترمذي عن ابن عباس وسيل عن هذه الاية
قال هولا رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه

وسلم فابا ازواجهم واولادهم ان يدعوهم فاتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم واذا الناس قد تفقهوا
في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الاية حديث حسن
صحيح **فصل** قال ابن العربي هذا بين وجه العداوة فان العدو
لم يكن عدوا بذاته وانما كان عدوا بفعله فاذا فعل الزوج والولد فعل
العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد والطاعة وفي صحيح
البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان
قعد لابن ادم في طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك اهلك
ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له اتجاهد
فتقتل فتقسم مالك وتنكح نساؤك وييتم ولدك فخالف فجاهد فقتل
فحق على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما
ان يكون بالوسوسة والثاني ان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج
والولد والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين
ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى عليه الصلوة والسلام من اتخذ اهلا
ومالا وولدا كان في الدنيا عبدا وقال عليه الصلوة والسلام تعس عبد
الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة
ولا دناءة اعظم من عبادة الدينار والدرهم ولا همة اخس من همة ترتفع
بثوب جديد واعلم ان قوله ان من ازواجكم يدل على الذكر والانثى
فكما ان الرجل تكون زوجته وولده عدوا له كذلك المراة يكون زوجها
عدوا لها بهذا المعنى **قوله** فاحذروهم اي فاحذروهم اي فاحذروا
ان تؤثروا حبهم على انفسكم والحذر على النفس يكون بوجهين
اما لضرر في البدن او لضرر في الدين وضرر البدن يتعلق بالدنيا
وضرر الدين يتعلق بالاخرة فحذر الله تعالى العبد من ذلك قاله
ابن الخطيب وقيل اعلم الله تعالى ان الاموال والاولاد من جملة
ما يقع به الفتنة وهذا عام يعم جميع الاولاد فان الانسان مفتون
بولده فانه ربما عصى الله تعالى بسببه وباشر الفعل الحرام لاجله
كغصب مال الغير ونحوه **قوله** وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا
فان الله غفور رحيم روى الطبري عن عكرمة في قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال كان الرجل
يريد ان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول له اهله اين تذهب وتدعنا
قال فاذا اسلم وفقه قال لارجعن الى الذين كانوا ينهون عن هذا
الامر فلافعلن ولافعلن فانزل الله عز وجل وان تعفوا وتصفحوا
وتغفروا فان الله غفور رحيم وقال مجاهد في هذه الاية ما عادوهم
في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على ان يتخذوا لهم الحرام فاعطوه
اياهم والاية عامة في كل معصية يرتكبها الانسان بسبب الاهل
والولد وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم **قوله** انما اموالكم
واولادكم فتنة اي بلاء واختبار يحملكم على كسب الحرام ومنع حق
الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله وفي الحديث يؤتى برجل
يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وقال بعض السلف العيال
سوس الطاعات وقال ابن مسعود لا يقولن احدكم اللهم اعصمني
من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال واهل وولد الا وهو مشتمل
على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال
الحسن في قوله تعالى ان من ازواجكم ادخل من للتبعيض لانهم ليسوا

باعدا

باعدا ولم يذكر في قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما
لا يخلوا من الفتنة واشتغال القلب بهما روى الترمذي وغيره
عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان احمران
يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ
في خطبته والله عنده اجر عظيم يعني الجنة فلا اعظم اجرا منها
قوله فاتقوا الله ما استطعتم قال قتادة والربيع بن
انس والسدي وابن زيد هذه الاية ناسخة لقوله اتقوا الله حق
تقاته ذكر الطبري عن ابن زيد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته قال جاء امر شديد قال ومن يعرف هذا
ويبلغه فلما عرف الله انه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء
بهذه الاية الاخرى فقال اتقوا الله ما استطعتم وقال ابن عباس
هي محكمة لا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهد لله حق جهاده ولا
ياخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وابائهم
وابنائهم فان قيل اذا كانت الاية غير منسوخة فكيف الجمع بين
الايتين وما وجه الامر بالتقاية حق تقاته مطلقا من غير تخصيص
ولا مشروط بشرط والامر بالتقاية بشرط الاستطاعة فالجواب
ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم معناه فاتقوا الله ايها
الناس وراقبوه فيما جعله فتنة لكم من اموالكم واولادكم ان
تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر
الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة وانتم مستطيعون وذلك ان الله تعالى
قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى ان الذين توفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فاخبر
انه قد عفا عمن لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا بالاقامة في دار
الشرك فكذلك معنى قوله ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار
الاسلام ان تتركوها بفتنة اموالكم واولادكم ويدل على صحة هذا
ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقيب قوله يا ايها الذين
امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علماء
التاويل ان هذه الايات نزلت بسبب قوم كفار تاخروا عن الهجرة
من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما
تقدم وهذا اختيار الطبري وقال ابن جبير قوله فاتقوا الله ما
استطعتم فيما تطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله تعالى
اتقوا الله حق تقاته اشتدت على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم
وتقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما
استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان يثبت هذا
النقل لان المكره على المعصية غير مواخذ بها لانه لا يستطيع اتقاها
قوله واسمعوا واطيعوا اي اسمعوا ما توعظون به واطيعوا
ما تومرون به وتنهون عنه وقال مقاتل اسمعوا اي اصغوا الى
ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الاصل في السماع واطيعوا الرسول
فيما يامركم وينهاكم وقيل معنى واسمعوا اي اقبلوا ما تسمعون
وعبر عنه بالسماع لانه فايدته **قوله** وانفقوا قال ابن عباس
هي الزكاة وقيل هي النفقة في النفل وقال الضحاك هي النفقة
في الجهاد وقال الحسن هو نفقة الرجل لنفسه قال ابن العربي وانما

اوقع قايل هذا قوله لانفسكم وخفي عليه قوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ... والنفل
في الصدقة على نفسه قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اساتم فلها فكلما يفعله الرجل من خير فانما هو لنفسه والصحيح
انها عامة **قوله** خيرا لانفسكم في نصبه اوجه • احدها قال
سيبويه انه منصول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا تقديره امضوا
في الانفاق خيرا لانفسكم وقدموا خيرا لانفسكم كقوله انتهوا خيرا لكم
الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا فهو خبر كان المضمرة وهو قول ابي
عبيد • الثالث انه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسايي والفرا
اي انفاقا خيرا • الرابع انه حال وهو قول الكوفيين • الخامس انه
مفعول بقوله انفقوا اي انفقوا مالا خيرا **قوله** ومن يوق شح نفسه
فاوليك هم المفلحون تقدم نظيره وكذا ان تقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعفه لكم تقدم في سورة البقرة والحديد ويغفر لكم والله شكور
حليم تقدم معنى الشكر في البقرة والحليم الذي لا يعجل • قال بعضهم في
القرض الحسن هو التصدق من الحلال • وقيل التصدق بطيب النفس
والقرض هو الذي يرجى بدله **قوله** عالم الغيب والشهادة اي
ما غاب وحضر وهو العزيز اي الغالب القاهر فهو من صفات الافعال
ومنه قوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اي من الله
القاهر المحكم خالق الاشيا معرف عن مفعل اي فعيل والله اعلم •
روى الثعلبي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مولود يولد الا في تشابيك راسه مكتوب خمس ايات
من فاتحة سورة التغابن • وعن زيد بن حبيش قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع الله عنه موت
الفجاة والله اعلم

سورة الطلاق مدنية

وهي احدى عشرة اية • وقيل اثنتي عشرة اية ومايتان وتسع واربعون
كلمة والف وستون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها
النبي اذا طلقتم النسا قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة
باخر ما قبلها هو انه تعالى اشار في اخر التي قبلها الى كمال علمه بقوله
عالم الغيب والشهادة وفي اول هذه السورة اشار الى كمال علمه
بمصالح النسا والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي
لهذه الجزييات **فصل** وهذا الخطاب فيه اوجه احدها
انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له
كقوله •

فان شيت حرمت النسا سواكم • وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا

الثاني انه خطاب له ولامته والتقدير يا ايها النبي وامته اذا
فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه كقوله اي واحد فيه رجا
وبردها كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد • الثالث انه خطاب
فقط فبعد ندايه عليه الصلوة والسلام وهو من تلوين الخطاب
امته بعد ان خاطبه • الرابع على انه على اضمار قول اي يا ايها النبي
لامتك اذا طلقتم • قال القرطبي قيل انه خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد امته وغاير بين اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغة
فصيحة كقوله اذا كنتم في الفلك وجرين بهم • والتقدير يا ايها النبي
قل لهم اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وهذا هو قولهم ان الخطاب

له وحده • والمعنى له وللمومنين واذا اراد الله بالخطاب المومنين
لاطفه بقوله يا ايها النبي واذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا
له قال يا ايها الرسول • قال القرطبي ويدل على صحة هذا القول
نزول العدة في اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية روى ابو داود
انها طلقت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالندا وعم بالخطاب
لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم
يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتبارا لتقدمه واظهارا لترويسه
في كلام حسن وهذا هو معنى القول الثالث • قال القرطبي وقيل المراد به ندا النبي صلى الله عليه وسلم
المتقدم ... ثم ابتدا اذا طلقتم
تعظيما له ثم ابتدا اذا طلقتم النسا كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر الاية فذكر المومنين تكريما لهم ثم افتتح فقال
انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الاية وقوله اذا طلقتم اي اذا
اردتم كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرات القران تقدم تحقيقه
فصل روى ابن ماجة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها • وعن انس
قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها فاتت
اهلها فانزل الله تعالى عليه يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن
لعدتهن وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك
في الجنة ذكره الماوردي والقشيري والثعلبي زاد القشيري و...
في خروجها الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن • وقال الكلبي
سبب نزول هذه الاية غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعايشة فطلقها تطليقة
فنزلت الاية • وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امراته
حايضا تطليقة واحدة فامر النبي صلى الله عليه وسلم بان يراجعها
ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان اراد ان يطلقها فليطلقها
حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها
النسا • وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد
الله بن عمرو وابن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان
فنزلت الاية فيهم • قال ابن العربي وهذا كله وان لم يكن صحيحا
فالقول الاول امثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدا **فصل**
روى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق • وعن علي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش
وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا
النسا الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات
وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلف
بالطلاق ولا استحلف به الا منافق اسنده الثعلبي • وروى الدار
قطني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
معاذ ما خلق الله تعالى شيا على وجه الارض احب اليه من العتاق
ولا خلق الله تعالى شيا ابغض اليه من الطلاق فاذا قال الرجل لمملوكه
انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثنا له • واذا قال الرجل لامراته
انت طالق فله استثناوه ولا طلاق عليه • وعن معاذ بن جبل قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيا ابغض اليه من

الطلاق فمن طلق واستثنى فله ثنياه • قال ابن المنذر واختلفوا في
الاستثناء في الطلاق والعتق فقالت طائفة بجوازه وهو مروي عن
طاوس وبه قال حماد الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الراي
وقال مالك والاوزاعي لا يجوز الاستثناء في الطلاق والعتق وقال
قتادة لا يجوز الاستثناء في الطلاق خاصة • قال ابن المنذر وبالقول
الاول اقول **فصل** روى الدارقطني عن ابن عباس انه قال
الطلاق على اربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان • فاما
الحلال فان يطلقها طاهرا من غير جماع وان يطلقها حاملا مستبينا
حملها • واما الحرام فان يطلقها حائضا وان يطلقها حين يجامعها
لا يدري اشتمل الرحم على ولد ام لا • واعلم ان الطلاق في حال الحيض
والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى
الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس وطلاق السنة ان
يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق المراة يلزمها العدة
بالاقراء • واما طلاق غير المدخول بها في حيضها او الصغيرة التي
لم تحض والايسة بعد ما جامعها او في حال روية الدم لا يكون
بدعيا ولا سنيا لقوله عليه الصلوة والسلام ثم ليطلقها طاهرا
او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا
لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته
من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاستفسره
قوله لعدتهن قال الزمخشري مستقبلات لعدتهن كقولك
اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها • وفي قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قبل عدتهن انتهى • وناقشه ابو حيان في تقدير الحال
التي تعلق بها الجار كونا خاصا وقال الجار اذا وقع حالا انما يتعلق بكون
مطلق • وفيما ناقشه نظر لان الزمخشري لم يجعل الجار حالا بل جعله
متعلقا بمحذوف دل عليه معنى الكلام • وقال ابو البقا لعدتهن
اي عند اول ما يعتد لهن به وهن في قبل الطهر وهذا تفسير معنى
لا تفسير اعراب • وقال ابو حيان هو على حذف مضاف اي لاستقبال
عدتهن واللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت من شهر كذا انتهى فعلى
هذا تتعلق اللام بطلقوهن • وقال الجرجاني فطلقوهن لعدتهن صفة
للطلاق كيف يكون وهذه اللام تجي لمعان مختلفة للاضافة وهي اصلها
ولبيان السبب والعلة كقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله • وبمعنى عند
كقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس اي عنده • وبمنزلة في كقوله
تعالى اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر وهي
في هذه الاية بهذا المعنى لان المعنى فطلقوهن في عدتهن اي في الزمان
الذي يصلح لعدتهن **فصل** قال القرطبي قوله لعدتهن يقتضي
انهن اللاتي دخل بهن الازواج لان غير المدخول بهن خرجن بقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها • وحصل الاجماع
على ان الطلاق في الحيض ممنوع منه وفي الطهر ماذون فيه وهذا
يدل على ان القرء هو الطهر فان قيل معنى قوله فطلقوهن لعدتهن اي
في قبول عدتهن او لقبول عدتهن وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال ابن عمر في قبل العدة اخر الطهر حتى يكون القرء الحيض قيل هذا
هو الدليل الواضح لمن قال بان الاقراء هي الاطهار ولو كان كما قال الحنفي

ومن

ومن تابعه لوجب ان يقال ان من طلق في اول الطهر لا يكون
مطلقا لقبل الحيض لان الحيض لم يقبل بعد • وايضا اقبال
الحيض يكون بدخول الحيض وبانقضاء الطهر لا يتحقق اقبال الحيض
ولو كان اقبال الشي اذا تاخر عنه لكان الصايم مفطرا قبل انقضا
النهار ثم اذا طلق في اخر الطهر فبقية الطهر قرء لان بعض القرء يسمى
قرءا كقوله تعالى الحج اشهر معلومات يعني شوال وذو القعدة
وذو الحجة • وكقوله فمن تعجل في يومين وهو ينفر في بعض اليوم
الثاني • وقال البغوي معنى قوله لعدتهن اي لطهرهن الذي
يحصينه من عدتهن وكان ابن عباس وابن عمر يقران فطلقوهن
في قبل عدتهن والاية نزلت في عبد الله بن عمر **فصل** من طلق
في طهر جامع فيه او حائضا نفذ طلاقه واخطا السنة • وقال
سعيد بن المسيب في اخرين لا يقع الطلاق في الحيض لانه خلاف السنة
واليه ذهبت الشيعة **فصل** قال عبد الله بن مسعود طلاق
السنة ان يطلقها في كل طهر تطليقة فاذا كان اخر ذلك فتلك العدة
التي امر الله بها • قال القرطبي قال علماونا طلاق السنة ما جمع شروطا
سبعة وهي ان يطلقها واحدة وهي ممن تحيض طاهرا لم يمسها في ذلك
الطهر ولا تقدمه طلاق في حيض ولا تبعه طلاق في طهر يتلوه وخلا عن العوض
وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر • وقال الشافعي طلاق السنة
ان يطلقها في كل طهر خاصة ولو طلقها ثلاثا في كل طهر لم يكن بدعة • قال
ابن العربي وهذه غفلة عن الحديث الصحيح فانه قال فيه مره فليراجعها
وهذا يدفع الثلاث • وفي الحديث انه قال ارايت لو طلقها ثلاثا
قال حرمت عليك وبانت منك بمعصية • وقال ابو حنيفة ظاهر
الاية يدل على ان الطلاق الثلاث والواحدة سواء وهو مذهب الشافعي
لولا قوله بعد ذلك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهذا
يبطل دخول الثلاث تحت الاية وبذلك قال اكثر العلما • قال
القرطبي واما مالك فلم يخف عليه اطلاق الاية ولكن الحديث فسرها
واما قول الشعبي فمردود بقول ابن عمر • واحتج الشافعي بان عبد
الرحمن بن عوف طلق امراته تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهي ام
ابي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة ولم يبلغنا ان احدا من
الصحابة عاب ذلك وان حفص بن المغيرة طلق امراته فاطمة
بنت قيس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات
في كلمة واحدة فابانها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه
وبحديث عويمر العجلاني لما لاعن قال يا رسول الله هي طالق
ثلاثا فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** روى
ابو داود عن اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية انها طلقت
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة
فانزل الله تعالى حين طلقت اسما بالعدة للطلاق فكانت اول
من انزل فيها العدة للطلاق **قوله** واحصوا العدة يعني في
المدخول بها اي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق قيل امر
باحصا العدة لتفريق الطلاق على الاقرا اذا اراد ان يطلق ثلاثا
وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى
وفي المخاطب بالاحصا اقوال احدها انهم الازواج • والثاني هم الزوجات

والثالث هم المسلمون. قال ابن العربي والصحيح انه في الازواج
لان الضمائر كلها من طلقتم واحصوا ولا تخرجوهن على نظام واحد
فرجع الى الازواج ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق لان الازواج
تحصي ليراجع وينفقوا او يقطع وليسكن او يخرج وليلحق نسبه
او ينقطع وهذه امور كلها مشتركة بينه وبين المراة وتنفرد المراة
دونه بغير ذلك وكذلك الحاكم يفتقر الى احصا العدة للفتوى عليها
وفصل الخصومة عند المنازعة وهذه فوايد الامر باحصا العدة
قوله واتقوا الله ربكم اي لا تعصوه لا تخرجوهن من بيوتهن
اي ليس للزوج ان يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة ولا
يجوز لها الخروج ايضا لحق الزوج الا لضرورة ظاهرة فان خرجت
اثمت ولا تنقطع العدة فان قيل اما الحكمة في قوله تعالى واتقوا الله
ربكم ولم يقتصر على قوله واتقوا الله. والجواب ان في ذلك من
المبالغة ما ليس في ذلك فان لفظ الرب يفهم منه التربية
وينبه على كثرة الانعام بوجوه كثيرة فيبالغون في التقوى حينئذ
خوفا من فوت تلك التربية **فصل** والرجعية والمبتوتة
في هذا سوا وذلك لصيانة ما الرجل وهذا معنى اضافة البيوت
اليهن كقوله تعالى واذكرن ما يتلى عليكن في بيوتكن وقوله تعالى
وقرن في بيوتكن فهو اضافة اسكان لا اضافة تمليك. وقوله
لا تخرجوهن يقتضي ان يكون حقا على الازواج. وقوله ولا يخرجن
يقتضي انه حق على الزوجات فلا يجوز لها ان تخرج ما لم تنقض
عدتها فان خرجت لغير ضرورة او حاجة اثمت. فان وقعت ضرورة
او خافت هدما او غرقا فلها ان تخرج الى منزل اخر وكذلك ان كانت
لها حاجة من بيع غزل او شرا قطن فيجوز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا
فان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساوهم نستوحش في بيوتنا
فاذن لهن النبي صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احديهن فاذا
كان وقت الليل تاوي كل امراة الى بيتها. واذن النبي صلى الله عليه
وسلم لخالة جابر لما طلقها زوجها ان تخرج لجذاذ نخلها واذا لزمتها
العدة في السفر تعتد ذاهبة وجائية والبدوية تنتوي حيث ينتوي
اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم. وقال
ابو حنيفة ذلك في المتوفى عنها زوجها. واما المطلقة فلا تخرج ليلا
ولا نهارا وهذا مردود بحديث فاطمة بنت قيس لما ارسل اليها
زوجها ابو حفص بن عمرو بتطليقة كانت بقيت من طلاقها
وارسل اليها وكيله بشعير فتسخطته فقال لها الحارث بن
هشام وعياش بن ابي ربيعة والله ما لك من نفقة الا ان تكوني
حاملا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولهما فقال لا نفقة
لك. وفي رواية ولا سكنى فاستاذنته في الانتقال فاذن لها ان
تعتد في بيت ابن ام مكتوم فلما انقضت عدتها انكحها النبي صلى الله
عليه وسلم اسامة بن زيد فارسل اليها مروان قبيصة بن ذويب
يسالها عن الحديث فحدثته فقال مروان لم نسمع هذا الحديث
الا من امراة سناخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت
فاطمة حين بلغها قول مروان فبيني وبينكم القران قال الله عز
وجل لا تخرجوهن من بيوتهن قال هذا لمن كانت له رجعة لقوله
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاي امر يحدث بعد الثلاث فكيف

تقولون لا نفقة لها اذا لم تكن حاملا فعلام تحبسونها لفظ مسلم
فبين ان الاية في تحريم الاخراج والخروج انما هو في الرجعية فاستدلت
في ظنه ان الاية انما تضمنت النهي عن خروج المطلقة الرجعية لانها
بصدد ان يحدث لمطلقها راي في ارتجاعها ما دامت في عدتها فكانت
تحت تصرف الزوج في كل وقت. واما البائن فليس له شي من ذلك فيجوز
ان تخرج اذا دعتها الى ذلك حاجة **قوله** الا ان ياتين بفاحشة
قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي ومجاهد هو الزنا فتخرج ويقام
عليها الحد. وعن ابن عباس ايضا انه البذا على احمائها فيحل لهم اخراجها
وعن سعيد بن المسيب انه قال في فاطمة تلك امراة استطالت
على احمائها بلسانها فامرها النبي عليه الصلوة والسلام ان تنتقل وفي
كتاب ابي داود قال سعيد تلك امراة فتنت الناس انها كانت
لسنة فوضعت على يد ابن ام مكتوم الاعمى. قال عكرمة في مصحف
ابي الا ان يفحش عليكم ويقوي هذا ان محمد بن ابراهيم بن الحارث
روى ان عايشة قالت لفاطمة بنت قيس اتقي الله فانك تعلمين
لم اخرجت. وعن ابن عباس ايضا ان الفاحشة كل معصية كالزنا
والسرقة والبذا على الاهل وهو اختيار الطبري. وعن ابن عمر ايضا والسدي
الفاحشة خروجها من بيتها في العدة وتقدير الاية الا ان ياتين
بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق اي لو خرجت كانت
عاصية. وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على
النشوز فتتحول عن بيته. وقال ابن العربي اما من قال انه الخروج
للزنا فلا وجه له لان ذلك الخروج هو خروج القتل والاعدام وليس ذلك
بمستثنى في حلال ولا حرام. واما من قال انه البذا فهو مفسر في حديث
فاطمة بنت قيس. واما من قال انه كل معصية فوهم لان الغيبة ونحوها
من المعاصي لا تبيح الاخراج ولا الخروج. واما من قال انه الخروج بغير حق
فهو صحيح وتقدير الكلام ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعا
الا ان يخرجن تعديا **قوله** مبينة قرئ بكسر اليا ومعناه ان الفاحشة
اذا تفكرت فيها تبين انها فاحشة. وقرئ بفتح اليا المشددة والمعنى
انها مبرهنة بالبراهين ومبينة بالحجج **قوله** وتلك حدود الله
اي هذه الاحكام المبينة احكام الله على العباد وقد منع التجاوز عنها
فمن تجاوزها فقد ظلم نفسه واوردها مورد الهلاك **قوله**
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدث الله ان يقلب
قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة
الطلاق الى الندم عليه فيراجعها. وقال جميع المفسرين اراد بالامر
هنا الرغبة في الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق الواحدة والنهي
عن الثلاث فانه اذا طلق ثلاثا اضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة
في الارتجاع فلا يجد للرجعة سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك اي بعد طلقة
او طلقتين امرا اي المراجعة من غير خلاف **قوله** لعل الله هذه الجملة
مستانفة لا تعلق لها بما قبلها لان النحاة لم يعدوها في المعلقات
وقد جعلها ابو حيان مما ينبغي ان يعد فيهن وقرر ذلك في قوله وان ادري
لعله فتنة لكم فهناك يطلب تحريره **قوله** فاذا بلغن اجلهن قرا
العامة اجلهن لان الاجل من حيث هو واحد وان اختلفت انواعه بالنسبة
الى المعتدات. والضحاك وابن سيرين اجالهن جمع تكسير اعتبارا بان اجل
هذه غير اجل تلك **فصل** فمعنى قوله فاذا بلغن اجلهن اي قاربن

انقضا العدة كقوله تعالى اذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فامسكوهن
اي قربن من انقضا الاجل فامسكوهن بمعروف يعني المراجعة بالمعروف
اي بالرغبة من غير قصد المضارة في الرجعة تطويلا للعدة كما تقدم
في البقرة او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن
فيملكن انفسهن ٭ وفي قوله فاذا بلغن اجلهن ما يوجب ان يكون
القول قول المراة في انقضا عدتها اذا ادعت ذلك على ما تقدم في
البقرة عند قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
الاية **فصل** قال بعض العلما في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف
او فارقوهن بمعروف ٭ وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
ان الزوج له حق في بدن المراة ولها حق في بدنه وذمته فكل من له
دين في ذمة غيره سوا كان مالا او منفعة من ثمن او مثمن او اجرة
او منفعة او صداق او نفقة او بدل متلف او ضمان مغصوب
فعليه ان يودي ذلك الحق الواجب باحسان وعلى صاحب الحق
ان يتبع باحسان كما قال تعالى في اية القصاص فمن عفي له من اخيه
شي فاتباع بمعروف واداء اليه باحسان وكذلك الحق الثابت
في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة على عينه ونحو ذلك فالطالب
يطلب بمعروف والمطلوب يودي باحسان **قوله** واشهدوا
ذوي عدل منكم امر بالاشهاد على الطلاق وقيل على الرجعة قال
القرطبي والظاهر رجوعه الى الرجعة لا الى الطلاق فان راجع من
غير اشهاد ففي صحة الرجعة قولان وقيل المعنى واشهدوا عند
الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة
كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي واجب في الرجعة
مندوب اليه في الفرقة فايدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد
وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت
الزوجية فيرث **فصل** الاشهاد على الرجعة ندب عند
الجمهور واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك الرجعة فليس براجع
وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو
رجعة وكذلك النظر الى الفرج رجعة ٭ وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم
بالرجعة فهي رجعة ٭ وقيل وطيه مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها
وهو مذهب احمد واليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي
وكان مالك يقول اذا وطي ولم ينو الرجعة فهو وطي فاسد ولا
يعود الى وطيها حتى يستبريها من مائه الفاسد وله الرجعة في بقية
العدة الاولى وليست له رجعة في هذا الاستبرا **فصل**
اوجب الاشهاد في الرجعة الامام احمد في احدى الروايتين عنه والشافعي
كذلك لظاهر الامر ٭ وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي في
القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق وخصوصا
حل الظهار بالكفارة **فصل** اذا ادعى بعد انقضا العدة انه
راجع زوجته في العدة فان صدقته جاز وان انكرت حلفت فان اقام بينة
انه ارتجعها في العدة ولم تعلم بذلك لم يضره جهلها وان كانت قد تزوجت
ولم يدخل بها ثم اقام الاول البينة على رجعتها فعن مالك رحمه الله
في ذلك روايتان ٭ احدهما ان الاول احق بها ٭ والاخرى ان الثاني احق بها
فان كان الثاني قد دخل بها فلا سبيل للاول اليها **قوله** ذوي عدل منكم
قال الحسن من المسلمين ٭ وعن قتادة من احراركم وذلك يوجب اختصاص

الشهادة

الشهادة على الرجعة بالذكور دون الاناث لان ذوي للمذكر ٭ قال القرطبي
ولذلك قال علماونا لا مدخل للنسا فيما عدا الاموال وتقدم ذلك في البقرة
قوله واقيموا الشهادة لله اي تقربا الى الله في اقامة الشهادة على
وجهها اذا مست الحاجة اليها من غير تبديل ولا تغيير ذلكم يوعظ به
اي يرضى به من كان يومن بالله واليوم الاخر ٭ فاما غير المومن فلا ينتفع
بهذه المواعظ **قوله** ومن يتق الله يجعل له مخرجا ٭ قال الزمخشري
قوله ومن يتق الله جملة اعتراضية موكدة لما سبق من امر الطلاق على
السنة كما مر ٭ روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عمن طلق
زوجته ثلاثا او الفا هل له مخرج فتلاها ٭ وقال ابن عباس والشعبي
والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله يكن له مخرج
في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد انقضا العدة ٭ وعن ابن عباس
ايضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة
وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح ٭ وقال الكلبي
ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة
وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه ٭ وقال ابو العالية مخرجا من كل
شدة ٭ وقال الربيع بن خثيم مخرجا من كل شي ضاق على الناس ٭ وقال
الحسين بن الفضل ومن يتق الله في ادا الفرايض يجعل له مخرجا من
العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما
اتاه ٭ وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة
يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب
وقال ابو سعيد الخدري ومن تبرا من حوله وقوته بالرجوع الى
الله يجعل له مخرجا مما كلفه بالمعونة له ٭ وتاول ابن مسعود ومسروق
الاية على العموم ٭ وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني
لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم وتلا ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فما زال يكررها ويعيدها
وقال ابن عباس قرا النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات
الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدايد يوم القيمة ٭ وقال اكثر
المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى
سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو اليه الفاقة وقال
ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني فقال عليه الصلوة
والسلام اتق الله واصبر وامرك واياها ان تستكثرا من حول ولا
قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال لامراته ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن
ابنه فساق غنمهم وجا بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاه فنزلت
الاية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له ٭ وروي انه جا
وقد اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا فقال الكلبي انه اصاب خمسين
بعيرا وفي رواية فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه
بسرح لهم فاستاقه ٭ وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا فسال ابوه النبي
صلى الله عليه وسلم ايحل لي ان اكل مما اتى به ابني قال نعم ونزلت ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ٭ وروي الحسن عن

عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن
انقطع الى الدنيا وكله الله اليها • وقال الزجاج اي اذا اتقى وآثر الحلال
وتصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث
لا يحتسب • وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب **قوله** ومن يتوكل على الله فهو حسبه
اي من فوض اليه امره كفاه ما اهمه • وقيل اي من اتقى الله وجانب
المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية
ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل • وقال
عليه الصلاة والسلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا **قوله** ان الله بالغ
امره • قرا حفص بالغ من غير تنوين امره مضافا اليه على التخفيف
والباقون بالتنوين والنصب وهو الاصل خلافا لابي حيان
وقرا ابن ابي عبلة وداود بن ابي هند وابو عمرو في رواية بالغ
امره منونا بالغ ورفع امره وفيه وجهان احدهما ان يكون
بالغ خبرا مقدما وامره مبتدا مؤخرا والجملة خبر ان • والثاني ان
يكون بالغ خبر ان وامره فاعل به • قال الفرا اي امره بالغ • وقيل
امره مرتفع ببالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره ما اراد
وقرا المفضل بالغا بالنصب امره بالرفع وفيه وجهان اظهرهما
وهو تخريج الزمخشري ان يكون بالغا نصبا على الحال وقد جعل
الله هو خبر ان تقديره ان الله قد جعل الله لكل شيء قدرا بالغا امره
والثاني انه يكون على لغة من ينصب الاسم والخبر بها كقوله
ان حراسنا اسدا • ويكون قد جعل مستانفا كما في القراءة الشهيرة
ومن رفع امره فمفعول بالغ محذوف تقديره ما شاء كما تقدم عن
القرطبي **فصل** قال مسروق يعني قاض امره فيمن توكل عليه
وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا
قوله قد جعل الله لكل شيء قدرا قيل ان من قوله تعالى فاذا بلغن
اجلهن الى قوله مخرجا آية • ومنه الى قوله تعالى قدرا آية اخرى وعند
الكوفي والمدني المجموع آية واحدة • وقرا جناح بن حبيش قدرا بفتح الدال
والمعنى لكل شيء من الشدة والرخاء اجلا ينتهي اليه • وقيل تقديرا • وقال
السدي هو قدر الحيض في الاجل والعدة • وقال عبد الله بن رافع لما نزل
قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت
ان الله بالغ امره فيكم وعليكم • وقال الربيع بن خثيم ان الله قضى على
نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن اقرضه جازاه
ومن وثق به نجاه ومن دعاه اجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله
ومن يؤمن بالله يهد الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا
الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط
مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان
قوله واللائي يئسن تقدم الخلاف فيه وابو عمرو يقرا هنا واللائي
يئسن بالاظهار وقاعدته في مثله الادغام الا ان الياء لما كانت عنده
عارضة لكونها بدلا من همزة فكانه لم يجتمع مثلان وايضا فان سكونها

عارض

عارض فكان بالياء متحركة والحرف مادام متحركا لا يدغم في غيره • وقرئ
يئسن فعلا ماضيا • وقرئ ييئسن مضارع • ومن المحيض من نسائكم من
الاولى لابتداء الغاية وهي متعلقة بالفعل قبلها • والثانية للبيان
متعلقة بمحذوف واللائي مبتدا اول فعدتهن مبتدا ثان وثلاثة
اشهر خبره والجملة خبر الاول والشرط معترض وجوابه محذوف
ويجوز ان يكون ان ارتبتم في انها يئست ام لا لامكان ظهور حمل وان
كان انقطع دمها • وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس اهو دم
حيض او استحاضة واذا كان هذا عدة المرتابات فيها فغير المرتابات فيها
اولى واغرب ما قيل ان ارتبتم بمعنى تيقنتم وهو من الاضداد **قوله**
واللائي لم يحضن مبتدا خبره محذوف فقدره جملة كالاولى اي فعدتهن
ثلاثة اشهر ايضا والاولى ان تقدر مفردا اي كذلك او مثلهن • ولو قيل
بانه معطوف على اللائي يئسن عطف المفردات واخبر عن الجميع بقوله
فعدتهن لكان وجها حسنا واكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدا وما
عطف عليه وهذا ظاهر قول ابي حيان واللائي لم يحضن معطوف
على قوله واللائي يئسن فاعرابه مبتدا كاعراب واللائي **قوله** واولات
الاحمال مبتدا واجلهن مبتدا ثان وان يضعن خبر المبتدا الثاني وهو
وخبره خبر الاول والعامة على افراد حملهن والضحاك احمالهن **فصل**
لما بين امر الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات
الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم • قال ابو عثمان
عمير بن سليمان لما نزل عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى
عنها زوجها • قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي
من النساء من لم يذكر فيهن شيء الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت
واللائي يئسن الآية • وقال مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلاثة قروء • قال معاذ بن النعمان يا رسول الله فما عدة التي
لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم يعني قعدن عن الحيض • وقيل ان معاذ بن جبل
سال عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت الآية • وقال مجاهد الآية
واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو او دم علة **فصل**
قال المفسرون واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يرجون ان يحضن
ان ارتبتم اي شككتم وقيل تيقنتم وهو من الاضداد يكون شكا ويقينا
كالظن واختيار الطبري ان يكون المعنى ان شككتم فلم تدروا ما الحكم
فيهن • وقال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت
ممن يحيض مثلها قال القشيري وفي هذا نظر لانا اذا شككنا هل بلغت
سن الاياس لم نقل عدتها ثلاثة اشهر • والمعتبر سن الاياس اقصى
عادة امراة في العالم • وقيل غالب نساء عشيرة المراة • وقال مجاهد قوله
ان ارتبتم للمخاطبين يعني لم تعلموا عدة الآيسة والتي لم تحض فالعدة
هذه • وقيل المعنى ان ارتبتم الدم الذي يظهر منها من اجل كبر او من الحيض
المعهود او من الاستحاضة فالعدة ثلاثة اشهر • وقال عكرمة وقتادة
من الريبة المراة المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض تحيض في اول
الشهر مرارا وفي الاشهر مرة • وقيل انه متصل باول السورة • والمعنى
لا تخرجوهن من بيوتهن ان ارتبتم في انقضاء العدة • قال القرطبي وهو
اصح ما قيل فيه **فصل** المرتابة في عدتها لم تنكح حتى تستبرئ نفسها
من ريبتها ولا تخرج من العدة الا بارتفاع الريبة وقد قيل في المرتابة

التي ارتفع حيضها لا تدري ما رفعه انها تنتظر سنة من يوم طلقها
زوجها منها تسعة اشهر استبرا وثلاثة عدة فان طلقها فحاضت حيضة
او حيضتين ثم ارتفع حيضها بغير ياس منها انتظرت تسعة اشهر
ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضها ثم حلت للازواج وهذا قول الشافعي
بالعراق فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى عنها زوجها المسترابة
بعد التسعة اشهر اربعة اشهر وعشرا والامة شهرين وخمس ليال
بعد التسعة اشهر وروي عن الشافعي ايضا انها [illegible] ما كانت
حتى تبلغ سن الايسات وهو قول النخعي والثوري وغيرهما وحكاه
ابو عبيد عن اهل العراق **فصل** اذا ارتابت المراة الشابة
هل هي حامل ام لا فان استبان حملها فاجلها وضعه وان لم تستبن
فقال مالك عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وبه قال احمد
واسحاق ورووه عن عمر بن الخطاب وغيره واهل العراق يرون
ان عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها
وان مكثت عشرين سنة الى ان تبلغ من الكبر سنا تياس فيه من
الحيض فيكون عدتها بعد الاياس ثلاثة اشهر قال الثعلبي وهذا
الاصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلما وروي ذلك عن ابن
مسعود واصحابه قال الكيا وهو الحق لان الله تعالى جعل عدة الايسة
ثلاثة اشهر والمرتابة ليست ايسة **فصل** فاما من تاخر حيضها
لمرض فقال مالك وبعض اصحابه تعتد تسعة اشهر ثم ثلاثة وقال
اشهب هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض او بالسنة وقد طلق حبان
ابن منقذ امراته وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل الرضاع ثم
مرض حبان فخاف ان ترثه فخاصمها الى عثمان وعنده علي وزيد فقالا
نرى ان ترثه لانها ليست من القواعد ولا من الصغار فمات حبان
فورثته واعتدت عدة الوفاة **فصل** لو تاخر الحيض بغير
مرض ولا رضاع فانها تنتظر سنة لا حيض فيها تسعة اشهر ثم
ثلاثة كما تقدم فتحل ما لم ترتب بحمل فان ارتابت بحمل اقامت اربعة
اعوام او خمسة او سبعة على الاختلاف قال القرطبي واشهر الاقوال
خمسة اعوام فان تجاوزتها حلت وقال اشهب لا تحل ابدا حتى تنقطع
عنها الريبة قال ابن العربي وهو الصحيح لانه اذا جاز ان يبقى الولد
في بطنها خمسة اعوام جاز ان يبقى عشرة واكثر من
ذلك وروي مثله عن مالك **فصل** واما التي جهل حيضها
بالاستحاضة ففيها اقوال قال ابن المسيب تعتد سنة وهو
قول الليث قال الليث عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا كانت
مستحاضة قال القرطبي وهو مشهور قول علمائنا سوا علمت دم
حيضها من دم استحاضتها وميزت ذلك او لم تميزه عدتها في مذهب مالك
سنة منها تسعة اشهر استبرا وثلاثة عدة وقال الشافعي في احد قوليه
عدتها ثلاثة اشهر وهو قول جماعة من التابعين والمتاخرين قال
ابن العربي وهو الصحيح عندي وقال ابو عمر المستحاضة اذا علمت اقبال
حيضتها وادبارها اعتدت بثلاثة قروء وقال القرطبي هذا اصح
في النظر واثبت في القياس والاثر **قوله** واللائي لم يحضن يعني
الصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر فاضمر الخبر وانما كانت عدتها بالاشهر
لعدم الاقرا فيها عادة والاحكام انما اجراها الله على العادات
فتعتد بالاشهر فان رات الدم في زمن احتماله عند النساء انتقلت

الى الدم



الى الدم لوجود الاصل واذا وجد الاصل لم يبق للبدل حكم كما ان المسنة
اذا اعتدت بالدم ثم ارتفع عادت الى الاشهر وهذا اجماع **قوله**
واولات الاحمال اجلهن وضع الحمل وان كان ظاهرا في المطلقة لانه عليها
عطف واليها رجع عقب الكلام فانه في المتوفى عنها زوجها كذلك لعموم
الاية وحديث سبيعة كما مضى في سورة البقرة فاذا وضعت المراة
ما في بطنها من علقة او مضغة حلت عند مالك وقال الشافعي وابو حنيفة
لا تحل الا بوضع ما يتبين فيه شي من خلق الانسان فان كانت حاملا
بتوامين لم تنقض عدتها حتى تضع الثاني منهما **قوله** ومن يتق
الله يجعل له من امره يسرا اي من يتقه في طلاق السنة يجعل له من امره
يسرا في الرجعة وقال مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل
له من امره يسرا في توفيقه للطاعة ذلك امر الله اي الذي ذكر من الاحكام
امر الله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي يعمل بطاعته يكفر عنه
سياته ويعظم له اجرا اي في الاخرة **قوله** ويعظم له اجرا هذه
قراءة العامة مضارع اعظم وابن مقسم يعظم بالتشديد مضارع عظم
مشددا والاعمش نعظم بالنون مضارع اعظم وهو التفات من غيبة
الى تكلم **قوله** اسكنوهن قال ابن الخطيب اسكنوهن وما بعده
بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى
في شان المعتدة فقيل اسكنوهن **قوله** من حيث سكنتم فيه وجهان
احدهما انه من للتبعيض قال الزمخشري مبعضها محذوف ومعناه اسكنوهن
مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم
اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها في بعض
جوانبه قال ابن الخطيب وقال الكسائي من صلة والمعنى اسكنوهن
من حيث سكنتم والثاني انها لابتدا الغاية قاله الحوفي وابو البقا قال
ابو البقا والمعنى تسببوا الى اسكانهن من الوجه الذي تسكنون انفسكم
ودل عليه قوله من وجدكم والوجد الغنى **قوله** من وجدكم فيه وجهان
اظهرهما انه بدل من حيث بتكرار العامل واليه ذهب ابو البقا كانه
قيل اسكنوهن من سعتكم والثاني انه عطف بيان لقوله من حيث
سكنتم واليه ذهب الزمخشري فانه قال بعد ان اعرب من حيث
تبعيضية قال فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم ومفسر له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم
مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وناقشه ابو حيان بانه لم
يعهد في عطف البيان اعادة العامل انما عهد هذا في البدل ولذلك اعربه
ابو البقا بدلا وقرا العامة وجدكم بضم الواو والحسن والاعرج وابو حيوة
بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب بكسرها وهي
لغات بمعنى واحد يقال وجدت في المال اجد وجدا وجدة والوجد
الغنى والمقدرة والوجد بفتح الواو الحزن ايضا والحب والغضب
فصل قال القرطبي روى اشهب عن مالك يخرج عنها اذا طلقها
ويتركها في المنزل لقوله تعالى اسكنوهن فلو كان معها ما قال اسكنوهن
وقال ابن نافع قال مالك وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم يعني
المطلقات اللاتي بن من ازواجهن فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملا
فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة لانها بائن منه ولا يتوارثان ولا رجعة
له عليها وان كانت حاملا فلها الكسوة والنفقة والمسكن حتى تنقضي عدتها
قال البغوي ونعني بالكسوة مونة السكن فان كانت الدار التي طلقها فيها

ملكا للزوج وجب على الزوج ان يخرج ويترك الدار لها مدة عدتها
وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة. وان كانت عارية فرجع المعير
فيها فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها. فاما من لم تبن منه فانهما امرأتان
يتوارثان ولا تخرج الا باذن زوجها ما دامت في العدة ولم يؤمر زوجها
بالسكنى لها لان ذلك لازم للزوج مع النفقة والكسوة حاملا كانت
او غير حامل وانما امر الله بالسكنى للبائن قال تعالى وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل عز وجل للحوامل البائنات
من ازواجهن السكنى والنفقة. قال ابن العربي ان الله تعالى لما ذكر السكنى
اطلقه لكل مطلقة فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان المطلقة البائن
لا نفقة لها. ومذهب ابي حنيفة واصحابه ان لها السكنى والنفقة
ومذهب احمد واسحاق وابو ثور لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة
بنت قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو
زوجي فقلت ان زوجي طلقني وان هذا ابن عمه انه ليس لي سكنى ولا
نفقة قال بل لك السكنى والنفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة على من له عليها
رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسألني عن ذلك
وان اصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة. وعن الشعبي
قال لقيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث
فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع
عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه
لو كان لها سكنى لما امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم
واجيب عن ذلك بما روت عائشة انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش
فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول
لسانها على احمائها. وقال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية
لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى اسكنوهن
راجع الى ما قبله وهي المطلقة الرجعية **فصل** قال البغوي
واما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا
سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا والمعتدة من وفاة زوج لا نفقة لها
حاملا كانت او حائلا عند اكثر العلماء وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت
حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري
واختلفوا في سكناها فللشافعي قولان. احدهما لا سكنى لها بل تعتد حيث شاءت
وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو مذهب ابي حنيفة
والثاني لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر
وبه قال مالك وسفيان الثوري واحمد واسحاق لما روى كعب بن عجرة عن عمته
زينب بنت كعب ان الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد
الخدري اخبرتها انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ان
ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا
كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ارجع الى اهلي فان زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة فقالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة
او في المسجد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بي فدعيت له فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قالت فرددت عليه القصة التي
ذكرت من شان زوجي فقال امكثي حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت

فيه

فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسألني
عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به فمن قال بهذا القول قال اذنه
لفريعة اولا بالرجوع الى اهلها صار منسوخا بقوله امكثي في بيتك
حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث اخرا
استحبابا لا وجوبا **قوله** ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن. قال
مجاهد في المسكن وقال مقاتل في النفقة وهو قول ابي حنيفة. وعن
ابي الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها
قوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن هذا في
وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثا او اقل حتى تضع
حملها. واما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود
وشريح والنخعي والشعبي وابن حماد وابن ابي ليلى وسفيان واصحابه
ينفق عليها من جميع المال حتى تضع. وقال ابن عباس وابن الزبير
وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه لا ينفق
عليها الا من نصيبها وقد مضى في البقرة **قوله** فان ارضعن لكم
يعني المطلقات اولادكم فعلى الاباء ان يعطوهن اجرة رضاعهن.
وللرجل ان يستاجر امرأته للرضاع كما يستاجر اجنبية. ولا يجوز عند
ابي حنيفة واصحابه الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن. ويجوز
عند الشافعي وتقدم القول في الرضاع في البقرة **قوله** وأتمروا
افتعلوا من الامر يقال ايتمر القوم تامروا اي امر بعضهم بعضا
وقال الكسائي ايتمروا تشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملأ يأتمرون
وانشد قول امرئ القيس ويعدو على المرء ما يأتمر **فصل**
الخطاب في قوله وأتمروا للازواج والزوجات اي وليقبل بعضكم من بعض
ما امره به من المعروف الجميل والجميل منه توفير الاجرة عليها للارضاع
وقيل ائتمروا في ارضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتى لا يلحق الولد اضرار
وقيل هو الكسوة والدثار وقيل هو معناه لا تضار والدة بولدها
ولا مولود له بولده **قوله** فسترضع قيل هو خبر في معنى الامر
والضمير في له للاب لقوله فان ارضعن لكم والمفعول محذوف للعلم
به اي فسترضع الولد لوالده امرأة اخرى والظاهر انه خبر على بابه
فصل قوله وان تعاسرتم في اجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي
الام اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها وليستاجر
غير امه وقيل معناه وان تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها
وقال الضحاك ان ابت الام ان ترضع استأجر لولده اخرى فان لم
يقبل اجبرت امه على الرضاع بالاجرة. واختلفوا فيمن يجب عليه رضاع
الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية الا لشرفها
وموضعها فعلى الاب رضاعه يومئذ في ماله. وقال ابو حنيفة لا يجب
على الام بحال وقيل يجب عليها بكل حال **فصل** فان طلقها
فلا يجب عليها رضاعه الا ان لا يقبل ثدي غيرها فيلزمها حينئذ الارضاع
فان اختلفا في الاجرة بان ادعت اجرة المثل وامتنع الاب الا تبرعا
فالام اولى باجر المثل اذا لم يجد الاب متبرعة وان ادعى الاب اجر المثل
وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الاب باجرتها
اجبرت على رضاع ولدها **قوله** لينفق هذه قراءة العامة اعني
كسر اللام وجزم المضارع بها وحكى ابو معاذ القاري لينفق بنصب
الفعل على انها لام كي نصبت الفعل بعدها باضمار ان ويتعلق الحرف

الحرف حينئذ محذوف اي شرعنا ذلك لينفق وقرا العامة قدر مخففا وابن ابي عبلة قدر مشددا **فصل** قال القرطبي هذه الاية اصل في وجوب النفقة للولد على الوالد دون الام خلافا لمحمد ابن المواز اذ يقول انها على الابوين على قدر الميراث قال ابن العربي ولعل محمدا اراد بها على الام عند عدم الاب وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم تقول لك المراة انفق علي والا طلقني ويقول لك العبد انفق علي واستعملني ويقول لك ابنك انفق علي الى من تكلني تعد تعارضا القران والسنة وتواردا في شرعة واحدة **قوله** لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اي من المال والمعنى لا يكلف الله الفقير مثل ما يكلف الغني سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد الضيق غنى وبعد الشدة سعة **فصل** قال ابن تيمية اذا اختلف الزوجان في قبض النفقة والكسوة فقال القاضي ابو يعلى واتباعه ان القول قول الزوجة وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي كما لو اختلف اثنان في قبض ساير الحقوق مثل الصداق وثمن المبيع ونحو ذلك ومذهب مالك بخلاف ذلك وقال الغزالي فيها وجهان وحسنوا قول الزوج قال ابن تيمية وكذا للايجي لاصحاب احمد وجهان كالوكالة الصداق منفعة حصلت لها فقالت حصلت من غيرك وقال بل حصلت مني مثل ان يصدقها تعليم قصيدة او غيرها مما يجوز جعله صداقا فانها اذا تعلمت من غيره كان عليه الاجرة فان قال انا علمتها وقالت بل غيره ففيها وجهان فكذا في النفقة فانها لا بد ان تكون قد ارتزقت في الزمن الماضي وهو يقول انا رزقتها وهي تقول بل غيره والصواب المقطوع به انه لا يقبل قولها في ذلك مطلقا فان هذا فيه فساد عظيم على هذا القول في مذهب الشافعي وقول احد الموافق له ولا يجي ذلك على مذهب مالك ولا على مذهب ابي حنيفة وقول احمد الموافق له فانا اذا قلنا ان نفقة الزوجة تسقط بمضي الزمان لم تقبل دعواها بالنفقة الماضية وانما يجي على قولنا ان نفقة الزوجة لا تسقط بمضي الزمان كما هو المشهور من مذهب احمد وهو قول الشافعي والعمدة في ذلك الاثر المعروف عن ابن عمر الخطاب قال ابن المنذر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى امرا الاجناد في رجال غابوا عن نسايهم ان ينفقوا او يطلقوا فان طلقوا بعثوا بنفقة ما مضى وليس قبول الزوجة في ذلك ماثورا عن احد ولا ملايما لاصوله فانه في تداعي الزوجين وغيرهما يرجح من تشهد له اليد الحكمية العرفية دون اليد الحسية وعلم ان المدعى عليه يترجح تارة باليد في الاعيان وببراءة الذمة في الحقوق فكما ان في اليد لم يلتفت الى مجرد الحس بل يرجع الى اليد الحكمية التي تستدل عليها بالافعال والتصرفات اذ الاصل الشرعي في الدعاوى ترجيح من الظاهر معه والظهور يستدل عليه بالافعال والتصرفات والامور العادية كما يستدل عليها بمجرد اليد الحسية فاذا كانت العادة الغالبة والعرف المعروف يقتضي وجود فعل لم يكن الظاهر عدمه فترجيح قول من يدعي عدمه وهذا ينبني على اصلين احدهما انه قد وجد كسوة ونفقة وانما تنازعا في المنفق فقال هو مني وقالت هو من غيرك فهذا الاصل عدم غيره ثم انها تطالب بتعيين ذلك الغير فان ادعت ممتنعا لم تقبل بحال وان ادعت ممكنا فهو محل التردد فان الانفاق واجب والامر الحادث يضاف الى السبب القوي دون الضعيف

والاصل

والاصل الثاني ان العادة والعرف اذا قضى بوجود امر فمن القول قول نافيه او قول مثبته والاصل الثالث ان ما تتعذر اقامة البينة عليه لا يكلف اقامة البينة عليه كالوطي ومن المعلوم ان المعاشرة بالمعروف التي امر الله بها ورسوله ليس فيها شهادة على المراة بذلك لان ذلك ليس من الامر بالمعروف ولهذا لم يفعله احد على عهد سلف الامة ولا يفعله جماهير بني ادم وفعله اما متعذر او متعسر فانه ان اطعمها مما ياكل فليس عنده من يشهد على اطعامها وان ناولها طعاما كل يوم ففي المتعسر شهود في كل وقت وقد يكونا ساكنين حيث لا شهود وهذا ظاهر بين الاصل الرابع ان المراة مفرطة بترك اخذ نفقتها منه بالمعروف وهي طالبة بها اذا كان لا ينفق بخلاف ما اذا كان غايبا وهي الصورة التي روي عن عمر انه امر فيها بنفقة الماضي بل قد يقال ان ذلك رضى منها بترك النفقة وليس هذا قولا بسقوط النفقة في الماضي بل بان هذا دليل من جهة العرف على انها اما ان يكون قد انفق عليها او تكون راضية بترك النفقة وهنا اصل خامس وهو ان العادة المعروفة تدل على ان المراة اذا سكتت مدة طويلة عن المطالبة بالنفقة مع القدرة على الطلب كانت راضية بسقوطها **فصل** واما [illegible] والكسوة بالمعروف وهي الواجبة بنص القران فهو ما كان في عرف الناس في حالهما نوعا وقدرا وصفة وان كان ذلك يتنوع بتنوع حالهما من اليسار والاعسار والزمان كالشتا والصيف والليل والنهار والمكان فيطعمها في كل بلد مما هو عادة اهل البلد والعرف عندهم وقال بعضهم هي مقدرة بالشرع نوعا وقدرا مدا من حنطة او مدا ونصفا او مدين قياسا على الاطعام الواجب في الكفارة والصواب المقطوع به ما عليه الامة علما وعملا قديما وحديثا لقول الله تعالى رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله عليه الصلوة والسلام لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ولم يقدر لها نوعا ولا قدرا ولو كان ذلك مقدرا بالشرع لبينه لها قدرا ونوعا كما بين فرايض الزكوات والديات وقال عليه الصلوة والسلام في خطبة بعرفات ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ومن المعلوم ان الكفاية بالمعروف تتنوع بحال الزوجة في حاجتها وبتنوع المكان والزمان وبتنوع حال الزوج في يساره واعساره فليست كسوة القصيرة الضئيلة ككسوة الطويلة الجسيمة ولا كسوة الشتا ككسوة الصيف ولا كفاية طعام الشتا مثل طعام الصيف ولا طعام البلاد الحارة كالباردة ولا المعروف في بلاد التمر والشعير كالمعروف في بلاد الفاكهة والخبز وقال عليه الصلوة والسلام للذي ساله ما حق زوجة احدنا عليه قال تطعمها اذا اكلت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت وهكذا قال في نفقة المماليك هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم في امر واحد والواجب عندنا هو الرزق والكفاية المقدرة بالمعروف في النوع والقدر وصفة الانفاق فاما النوع فلا يتعين ان يعطيها حبا كالبر ولا موزونا كالخبز ولا ثمن ذلك كالدراهم بل يرجع في ذلك الى العرف فاذا اعطاها كفايتها بالمعروف مثل ان يكون عادتهم اكل التمر والشعير فيعطيها ذلك او الطبيخ فيعطيها ذلك وان كان عادتهم ان يعطيها حبا فتطحنه في البيت فعل ذلك وان كان

يطحن في الطاحون ويخبز في البيت فعل ذلك وان كان يخبز في غير
البيت فعل ذلك وان كان يشتري مخبوزا من السوق فعل ذلك
وكذلك الطبيخ ونحوه فذلك هو المعروف فلا يتعين عليه دراهم
ولا حبا اصلا فان تعيين ذلك من المنكر ليس من المعروف وهو مضر
بها تارة وبه تارة وبهما اخرى وكذلك القدر لا يتعين مقدارا مطردا
بل تتنوع المقادير بتنوع الاوقات واما الانفاق فقد قيل ان الواجب
تمليكها النفقة والكسوة وقيل لا يجب التمليك وهو الصواب فان
ذلك ليس من المعروف بل عرف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الى
يومنا هذا ان الرجل ياتي بالطعام الى منزله فياكل هو وزوجته ومملوكه
جميعا تارة وتارة افرادا او يفضل منه فضل تارة فيدخرونه ولا يعرف
المسلمون انه يملكها كل يوم دراهم تتصرف فيها تصرف الملاك بل من
عاشر امراته بمثل هذا كان عند المسلمين قد عاشرها بالمعروف وتنازعا في
العشرة وانما يفعل احدهما ذلك بصاحبه عند النزاع لا عند العشرة
بالمعروف وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم اوجب للزوجة مثل ما اوجب
للمملوك كما تقدم وقد اتفق المسلمون على انه لا يجب تمليك المملوك
نفقته فدل على عدم وجوب التمليك في حق الزوجة واذا تنازع الزوجان
فمتى اعترفت الزوجة انه يطعمها اذا اكل ويكسوها اذا اكتسى وكان
ذلك هو المعروف لمثلها في بلدها فلا حق لها سوى ذلك وان انكرت ذلك
امره الحاكم ان ينفق بالمعروف ليس على الحاكم بل ولا له ان يامره بدراهم
مقدرة مطلقا او حب مقدر مطلقا لكن يذكر المعروف الذي يليق بهما
فصل قال القرطبي في قوله تعالى لينفق ذو سعة اي لينفق الزوج
على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا
عليه ومن كان فقيرا فعلى قدر ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق
والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة وقال الشافعي النفقة
مقدرة محدودة ولا اجتهاد للحاكم ولا للمفتي فيها وتقديرها هو بحال الزوج
وحده من يسره وعسره ولا اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب
لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر والمتوسط مد ونصف والمعسر مد
لظاهر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر
والعسر ولان الاعتبار بحالها يؤدي الى الخصومة لان الزوج يدعي انها تطلب
فوق كفايتها وهي تزعم انها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة
لهذه الاية ولقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره واجاب الزهري
بان هذه الاية لا تعطي اكثر من الفرق بين الغني والفقير وانها تختلف بعسر
الزوج ويسره فاما انه لا اعتبار بحال الزوجة فليس فيها وقد قال تعالى
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وذلك يقتضي تعلق المعروف
في حقهما لانه لم يخص في ذلك واحدا منهما وليس من المعروف ان يكون كفاية
الغنية مثل نفقة الفقيرة وقد قال لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف
فاحالها على الكفاية حين علم السعة من حال ابي سفيان قوله وكاين
من قرية عتت لما ذكر الاحكام ذكر وحذر مخالفة الامر وذكر عتو قوم وحلول
العذاب بهم وتقدم الكلام في كاين في آل عمران قوله عتت عن امر ربها
ضمن عتت معنى اعرضت كانه قيل اعرضت بسبب عتوها اي عصت يعني القرية
والمراد اهلها وقوله فحاسبناها الى اخره يعني في الاخرة واتى به بلفظ الماضي
لتحققه وقيل العذاب في الدنيا فيكون على حقيقته اي جازيناها بالعذاب
في الدنيا وعذبناها عذابا نكرا في الاخرة وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي

فعذبناها

فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف
والمسخ وسائر المصائب وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا والنكر
المنكر وقرئ مخففا ومثقلا وتقدم في سورة الكهف قوله
فذاقت وبال امرها اي عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا
اي هلاكا في الدنيا بما ذكرنا وفي الاخرة بجهنم قوله اعد الله لهم
تكرير للوعيد توكيدا وجوز الزمخشري ان يكون عتت وما عطف عليه
صفة للقرية ويكون الخبر لكاين الجملة من قوله اعد الله وعلى الاول يكون الخبر
عتت وما عطف عليه قوله الذين امنوا منصوب باضمار اعني
بيانا للمنادى في قوله يا اولي الالباب اي العقول ويكون عطف بيان للمنادى
او نعتا له ويضعف كونه بدلا لعدم حلوله محل المبدل منه قوله
قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا في نصب رسولا اوجه احدها قال الزجاج
والفارسي انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل لحرف مصدري
وفعل كانه قيل ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله
والمصدر المنون عامل كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
وقول الاخر ونضرب بالسيوف رؤوس قوم ازلنا هامهن عن المقيل
الثاني انه جعل نفس الذكر مبالغة ويكون محمولا على المعنى كانه قال قد اظهر
لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو الثالث انه
بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره انزل ذا ذكر رسولا الرابع
كذلك الا ان رسولا نعتا لذلك المحذوف الخامس انه بدل منه على حذف
مضاف من الثاني اي ذكرا ذكر رسول السادس ان يكون رسولا نعتا لذكر
او على حذف مضاف اي ذكرا ذا رسول فذا رسول نعت لذكر السابع
ان يكون رسولا بمعنى رسالة فيكون رسولا بدلا صريحا من غير تاويل
او بيانا عند من يرى جريانه في النكرات كالفارسي الا ان هذا يبعده قوله
يتلو عليكم لان الرسالة لا تتلو الا بمجاز الثامن ان يكون رسولا منصوب
بفعل مقدر اي ارسل رسولا لدلالة ما تقدم عليه قاله العكبري كانه قيل
انزل اليكم قرانا وارسل رسولا وقيل مع رسول التاسع ان يكون منصوبا
على الاغراء اي اتبعوا والزموا رسولا هذه صفته فصل اختلف
الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم او القران نفسه
او جبريل قال الزمخشري هو جبريل بدل من ذكر لانه وصف بتلاوة
ايات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه قال
ابو حيان ولا يصح لتباين المدلولين بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل
بعض ولا بدل اشتمال انتهى قال شهاب الدين وهذا الذي قاله
الزمخشري سبقه اليه الكلبي واما اعتراضه عليه فغير لازم لانه ذكر
توسع فيه حتى جعل نفس الذكر كما تقدم بيانه وقرئ رسول على اضمار
مبتدا اي هو رسول وقيل الذكر هنا الشرف كقوله تعالى لقد انزلنا اليكم
كتابا فيه ذكركم وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك ثم بين الشرف
فقال رسولا والاكثر على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الكلبي هو جبريل فيكونان جميعا منزلين قوله يتلو عليكم نعت
للرسول وايات الله القران مبينات قرا العامة بفتح الياء اي بينها
الله وبها قرا ابن عباس وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله تعالى
قد بينا لكم الايات وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها
اي تبين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام قوله ليخرج الذين امنوا
الجار متعلق اما بانزل واما بيتلو وفاعل يخرج اما ضمير البارئ تعالى

المنزل او ضمير الرسول او الذكر والمراد بالذين امنوا من سبق له ذلك في علم الله وقوله من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الهدى والايمان قال ابن عباس نزلت في مومني اهل الكتاب واضاف الاخراج الى الرسول لان الايمان انما حصل بطاعته **قوله** ومن يومن هذا احد المواضع التي روعي فيها اللفظ اولا ثم المعنى ثانيا ثم اللفظ اخرا وقد تقدم ذلك في المايدة **قوله** يدخله جنات قرا نافع وابن عامر بالنون والباقون بالياء وقوله خالدين قال بعضهم ليس قوله خالدين فيه ضمير عايد على من انما يعود على مفعول يدخله وخالدين حال منه والعامل فيها يدخله لا فعل الشرط هذه عبارة ابي حيان وفيها نظر لان خالدين حال من مفعول يدخله عند القايلين بالقول الاول وكان اصلاح العبارة ان يقال حال من مفعول يدخله الثاني وهو جنات والخلود في الحقيقة لاصحابها وكان ينبغي على راي البصريين ان يقال خالدين هم فيها لجريان الوصف على غير من هو له **قوله** قد احسن الله حال ثانية او حال من الضمير في خالدين فتكون متداخلة ومعنى قوله قد احسن الله له رزقا اي وسع الله له في الجنان **قوله** الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يدل على كمال قدرته وانه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف في ان السموات سبع بعضها فوق بعض بدليل حديث الاسرا وغيره وقوله ومن الارض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن فقال الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السما والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ومن الارض مثلهن اي سبعا من الارضين ولكنها مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره روى ابو مروان عن ابيه ان كعبا حلف له بالله الذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين انا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها ومن شر من فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من الارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين قال الماوردي وعلى انها سبع ارضين تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا ولا يلزم فيمن غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السما من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضيا منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثاني انهم لا يشاهدون السما وان الله تعالى خلق لهم ضيا يشاهدونه وهذا قول من جعل الارض كرة وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض يفرق بينها البحار وتظل جميعهم السما فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى اختصت دعوة الاسلام باهل هذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان يلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا يلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم بها مامورا وقال بعض اهل العلم

السما

السما في اللغة عبارة عما علاك فلك القمر بالنسبة الى السما الثانية ارض وكذلك السما الثانية بالنسبة الى الثالثة ارض وكذلك البقية بالنسبة الى ما تحته سما وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات وسبع ارضين **قوله** مثلهن قرا العامة بالنصب وفيه وجهان احدهما انه عطف على سبع سموات قاله الزمخشري واعترض عليه ابو حيان بلزوم الفصل بين حرف العطف وهو على حرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وهو مختص بالضرورة عند ابي علي قال شهاب الدين وهذا نظير قوله اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة عند ابن مالك وتقدم تحريره في سورة البقرة والنسا وهود عند قوله واذا حكمتم بين الناس ومن ورا اسحاق يعقوب والثاني انه منصوب بمقدر بعد الواو اي خلق مثلهن من الارض واختلف الناس في المثلية فقيل مثلها في العدد وقيل في بعض الاوصاف فان المثلية تصدق بذلك والاول هو المشهور وقرا عاصم في رواية مثلهن بالرفع على الابتدا والجار قبله خبره **قوله** يتنزل الامر يجوز ان يكون مستانفا وان يكون نعتا لما قبله قاله ابو البقا وقرا عمرو في رواية وعيسى ينزل بالتشديد اي الله الامر مفعول به والضمير في بينهن عايد على السموات والارضين عند الجمهور وعلى السموات والارض عند من يقول انها ارض واحدة وقوله لتعلموا متعلق بخلق او بيتنزل والعامة لتعلموا خطابا وبعضهم بيا الغيبة **فصل** قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سما بين ارض وامر والامر هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعلى هذا يكون بينهن اشارة الى بين هذه الارض العليا التي هي اقصاها وبين السما السابعة التي هي اعلاها وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات وياتي بالليل والنهار والصيف والشتا ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهياتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع اللغة كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها قال قتادة في كل ارض من ارضه وسما من سمايه خلق من خلقه وامر من امره وقضا من قضايه لتعلموا ان الله على كل شي قدير اي من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه اقدر من العفو والانتقام امكن وان استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته وان الله قد احاط بكل شي علما فلا يخرج شي عن علمه وقدرته ونصب علما على المصدر المؤكد لان احاط بمعنى علم وقيل بمعنى وان الله احاط احاطة علما روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها النبي اذا طلقتم النسا مات في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية

وهي ثنتا عشرة اية ومايتان وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك قال ابن الخطيب وجه تعلق هذه السورة بما قبلها وذلك لاشتراكهما في الاحكام المخصوصة بالنسا واشتراك الخطاب في الطلاق في اول تلك السورة لتشترك مع الخطاب بالتحريم في اول هذه السورة لان الطلاق اكثر الصور ليستعمل على تحريم ما احل الله واما تعلق اول

هذه السورة بآخر تلك السورة فلأن المذكور في آخر تلك السورة
يدل على عظم حضرة الله تعالى وعلى كمال قدرته وعلمه. ولما كان خلق السموات
والأرض وما بينهما من العجائب والغرائب مما ينافي القدرة على تحريم
ما أحل الله فلهذا قال لم تحرم ما أحل الله **فصل** ثبت في
صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً قالت
فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم
عليها فلتقل إني أجد منك ريح مغافير فدخل على إحداهما فقالت
له ذلك فقال بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود
له فنزل لم تحرم ما أحل الله لك إلى قوله إن تتوبا لعائشة وحفصة
وعنها أيضاً قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى
والعسل فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس
عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة
من قومها عكة عسل فسقت منه رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة
فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت إذا دخل عليك
فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فإنه سيقول
لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحله العرفط
وسأقول ذلك له وقوليه أنت يا صفية فلما دخل على سودة قالت
سودة والذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أبادئه بالذي قلت وإنه
لعلى الباب فرقاً منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتني
حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط. فلما دخل علي قلت
له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة
قالت يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول
سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية
أن التي شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم العسل حفصة وفي الأول
زينب. وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه شربه عند سودة وقد قيل
إنما هي أم سلمة رواه أسباط عن السدي. وقال عطاء بن أبي مسلم قال
ابن العربي وهذا كله جهل أو تصور بغير علم فقال
بأن نسائه حسداً وغيرة لمن شرب ذلك عندها إنا لنجد منك ريح المغافير
والمغافير بقلة أو صمغة متغيرة الرائحة فيها حلاوة واحدها مغفور
وجرست أكلت والعرفط نبت له ريح كريح الخمر. وكان عليه الصلاة والسلام
يعجبه أن يوجد منه الريح الطيبة ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك
وقال ابن عباس أراد بذلك المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
فلم يقبلها والمرأة أم شريك قاله عكرمة. وقيل إن النبي حرم مارية القبطية
وكان قد أهداها له المقوقس ملك الإسكندرية. قال ابن إسحاق هي من
كورة أنصنا يقال له حفن فواقعها في بيت حفصة. وروى الدارقطني عن ابن
عباس عن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم ولده مارية
في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له تدخلها بيتي ما صنعت
بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليك فقال لها لا تذكري هذا
لعائشة هي علي حرام إن قربتها قالت حفصة فكيف تحرم عليك وهي جاريتك
فحلف لها أن لا يقربها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكريه
لأحد فذكرته لعائشة فآلى لا يدخل على نسائه شهراً فاعتزلهن تسعاً
وعشرين

١٩٢

وعشرين ليلة فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية. قال
القرطبي أصح هذه الأقوال أولها وأضعفها أوسطها قال ابن العربي أما ضعفه
في السند فلعدم عدالة رواته. وأما ضعفه في معناه فلأن رد النبي صلى الله
عليه وسلم الموهوبة ليس تحريماً لها لأن من رد ما وهب له لم يحرم عليه إنما حقيقة
التحريم بعد التحليل. وأما من روى أنه حرم مارية القبطية فهو أمثل في السند
وأقرب إلى المعنى لكنه لم يدون في الصحيح بل روي مرسلاً وإنما الصحيح أنه كان
في العسل وأنه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فحلف أن لا
يشربه وأسر ذلك ونزلت الآية في الجميع **فصل** قوله تعالى لم تحرم
إن كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحلف فليس ذلك بيمين ولا يحرم قول
الرجل هذا علي حرام شيئاً حاشا الزوجة. وقال أبو حنيفة إذا أطلق حمل على المأكول
والمشروب دون الملبوس وكانت يميناً توجب الكفارة. وقال زفر هو يمين في الكل
حتى في الحركة والسكون. واستدل المخالف بأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل
فلزمته الكفارة وقد قال تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم فسماه يميناً ودليلنا
قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا وقوله
تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على
الله تفترون. فذم المحرم للحلال ولم يوجب عليه كفارة. قال الزجاج ليس لأحد
أن يحرم ما أحل الله ولم يجعل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يحرم إلا ما حرم الله
عليه فمن قال لزوجته أو أمته أنت علي حرام فإن لم ينو طلاقاً ولا ظهاراً فإن
هذا اللفظ يوجب عليه كفارة يمين ولو خاطب بهذا اللفظ جمعاً من الزوجات
والإماء فعليه كفارة واحدة ولو حرم على نفسه طعاماً أو شيئاً آخر لم يلزمه
بذلك كفارة عند الشافعي ومالك ويجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري
وأبي حنيفة **فصل** إذا قال الرجل لزوجته أنت علي حرام قال
القرطبي فيه ثمانية عشر قولاً. أحدها لا شيء عليه وبه قال الشعبي ومسروق
وربيعة وأبو سلمة وأصبغ وهو عندهم كتحريم الماء والطعام لقوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما أحل الله
وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فما لم يحرمه
الله فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراماً ولم يثبت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو حرام علي وإنما امتنع من مارية ليمين
تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم. وروى البغوي في تفسيره
أن حفصة لما أخبرت عائشة غضبت عائشة ولم تزل بنبي الله حتى حلف
أن لا يقربها فنزل لم تحرم ما أحل الله لك أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني
أقدم عليه وكفر. وثانيها أنها يمين يكفرها قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب
وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم والأوزاعي وهو مقتضى
الآية. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس إذا حرم الرجل عليه امرأته فإنما هي يمين
يكفرها وقال ابن عباس إذا حرم الرجل عليه امرأته فإنما هي يمين يكفرها. وقال
ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة يعني أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان حرم جاريته فقال تعالى لم تحرم ما أحل الله لك إلى قوله قد فرض الله
لكم تحلة أيمانكم فكفر يمينه وصير الحرام يميناً خرجه الدارقطني. وثالثها أنه
يجب فيها كفارة وليست بيمين قاله ابن مسعود ولأن معنى اليمين عنده
التحريم فوقعت الكفارة على المعنى والآية ترده. ورابعها هي ظهار ففيها كفارة
الظهار قاله عثمان وأحمد بن حنبل وإسحاق ولأنه إنما حرم وطؤها والظهار أقل
درجات التحريم. وخامسها أنه إن نوى الظهار كان ظهاراً وإن نوى تحريم عينها عليه
بغير طلاق تحريماً مطلقاً وجبت كفارة يمين. وإن لم ينو فعليه كفارة يمين

قاله الشافعي• وسادسها انها طلقة رجعية قاله عمر بن الخطاب والزهري
وعبد العزيز بن ابي سلمة والماجشون• وسابعها انها طلقة ثالثة قاله حماد
ابن ابي سليمان وزيد بن ثابت ورواه ابن خواز منداد عن مالك ولان
الطلاق الرجعي لا يحرم المطلقة• وثامنها انها ثلاث تطليقات قاله علي
ابن ابي طالب وزيد بن ثابت ايضا وابو هريرة لانه التحريم المتيقن
وتاسعها في المدخول بها ثلاث وينوي في غير المدخول بها قاله علي بن زيد
والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك لان غير المدخول بها تبينها
الطلقة وتحرمها• وعاشرها هي ثلاث ولا ينوي بحال ولا في محل وان لم
يدخل بها قاله عبد الملك في المبسوطة وبه قال ابن ابي ليلى لانه اخذ
بالحكم الاعظم لها لانه لو صرح بالثلاث لغير المدخول بها لنفذ•
وحادي عشرها هي في التي لم تدخل بها واحدة وفي المدخول بها ثلاث
قاله ابن مصعب ومحمد بن الحكم• وثاني عشرها انه ان نوى الطلاق
والظهار كان ما نوى وان نوى الطلاق فواحدة بائنة الا ان ينوي
ثلاثا فان نوى اثنتين فواحدة وان لم ينو شيئا كانت يمينا وكان
الرجل موليا من امراته قاله ابو حنيفة واصحابه وبمثله قال زفر
الا انه قال اذا نوى اثنتين الزمناه• وثالث عشرها انه لا ينعقد
نية الظهار وانما يكون طلاقا قاله ابن القاسم• ورابع عشرها قال
يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها لم يجز له وطؤها حتى يكفر كفارة
الظهار• وخامس عشرها ان نوى الطلاق فما اراد من اعداده وان نوى
واحدة فهي رجعية وهو قول الشافعي رضي الله عنه وروي مثله عن
ابي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة والتابعين• وسادس عشرها
ان نوى ثلاثا فثلاثا وان نوى واحدة فواحدة وان نوى يمينا
فهو يمين وان لم ينو شيئا فلا شيء عليه وهو قول سفيان وبه
قال الاوزاعي وابو ثور الا انهما قالا ان لم ينو شيئا فهي واحدة
وسابع عشرها له نيته ولا يكون اقل من واحدة قاله ابن شهاب وان لم ينو
شيئا لم يكن شيئا قال ابن العربي ورايت لسعيد بن جبير وهو الثامن
عشر ان عليه عتق رقبة وان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم لها وجها
ولا يبعد في المقالات عندي• قال القرطبي وقد روى الدارقطني
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت
امراتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا يا ايها
النبي لم تحرم ما احل الله لك عليك اغلظ الكفارات عتق رقبة
وقد قال جماعة من المفسرين لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه
بعتق رقبة وعاد الى مارية صلى الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم
وغيره هذا كله في الزوجة واما الامة فلا يلزم فيها شيء من ذلك الا
ان ينوي العتق عند مالك وذهب عامة العلماء الى ان عليه كفارة
يمين قال ابن العربي والصحيح انها طلقة واحدة لانه لو ذكر الطلاق
لكان اقله وهو الواحدة الا ان يعدده فكذلك اذا ذكر التحريم
يكون اقله الا ان يقيده بالاكثر مثل ان يقول انت علي حرام الا بعد
زوج فهذا نص في المراد• فصل قال ابن الخطيب قال صاحب
النظم قوله لم تحرم استفهام بمعنى الانكار وذلك من الله نهي وتحريم
الحلال مكروه لان الحلال لا يحرم الا بتحريم الله تعالى فان قيل قوله لم تحرم
ما احل الله لك يوهم ان هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب
النبي صلى الله عليه وسلم ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم

فالجواب

فالجواب ان هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه
على ان ما صدر منه لم يكن علما بما ينبغي فان قيل تحريم ما احل الله غير
ممكن فكيف قال لم تحرم ما احل الله• فالجواب ان المراد بهذا التحريم
هو الامتناع من الانتفاع بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعد ما احله
الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بها مع اعتقاد كونها
حلالا فان اعتقد ان هذا التحريم هو تحريم ما احل الله تعالى فقد كفر
فكيف يضاف الى الرسول عليه الصلاة والسلام مثل هذا• قوله
تبتغي يجوز ان يكون حالا من فاعل تحرم اي لم تحرم مبتغيا به مرضات
ازواجك ويجوز ان يكون تفسيرا لتحرم ويجوز ان يكون مستانفا
فهو جواب للسؤال ومرضات اسم مصدر وهو الرضا واصله
مرضوة وقد تقدم ذلك والمصدر هنا مضاف اما للمفعول
او للفاعل اي ان ترضي انت ازواجك او ان يرضين والمعنى يفعل
ذلك طلبا لرضاهن والله غفور اي لما اوجب المعاتبة رحيم برفع
المواخذة• قال القرطبي وقد قيل ان ذلك كان ذنبا من الصغائر
والصحيح انه معاتبة على ترك الاولى وانه لم يكن له صغيرة ولا كبيرة
قوله قد فرض الله لكم فرض الله لكم اي بين لكم كقوله تعالى سورة
انزلناها وفرضناها وقيل قد اوجب الله• وقال صاحب النظم
اذا وصل فرض بعلى لم يحتمل غير الايجاب كقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم
واذا وصل باللام احتمل الوجهين قوله تحلة ايمانكم تحليل اليمين
كفارتها اي اذا احنثتم استباحة المحلوف عليه وهو قوله تعالى في
سورة المائدة فكفارته اطعام عشرة مساكين• قال الرازي وتحصل
من هذا ان من حرم شيئا من الماكول او المشروب لم يحرم عليه لان الكفارة
لليمين لا للتحريم• وابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع
المقصود فيما يحرم فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها
او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية• وان نوى الظهار فظهار
وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين او ثلاثا وان
قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين
في القضاء بابطال الايلاء• وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب
اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن في الكفارة
وجهان قوله تحلة مصدر حلل مضعفا نحو تكرمة وهذان ليسا
مقيسين فان قياس المصدر فعل التفعيل اذا كان صحيحا غير مهموز فاما
المعتل اللام نحو زكى ومهموزها نحو نبا فمصدرها تفعلة نحو تزكية
وتنبئة على انه قد جا التفعيل كاملا في المعتل نحو• باتت تنزي دلوها
تنزيا• واصلها تحللة كتكرمة فادغمت وانتصابها على المفعول به
فصل قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه• وقال
الحسن لم يكفر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وكفارة اليمين في هذه السورة انما امر بها الامة والاول
اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الامة تقتدي به في
ذلك وقد تقدم عن زيد بن اسلم انه عليه الصلاة والسلام كفر بعتق
رقبة مومنة وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة
في تحريم مارية والله اعلم• فصل قيل قد فرض الله لكم تحليل ملك
اليمين فبين في قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي فيما
رخصه له في النساء المحللات اي حلل لكم ملك اليمين فلم تحرم مارية على نفسك

مع تحليل الله اياها لك وقيل تحلة اليمين الاستثنا اي قد فرض الله لكم
الاستثنا المنزع عن اليمين ثم عنده فتوهم يجوز الاستثنا من الايمان
متى شا وان تخللت مدة وعند الجمهور لا يجوز الانفصال فكانه قال
استثن بعد هذا فيما تحلف عليه وتحلة اليمين تحليلها بالكفارة
قال القرطبي والاصل تحللة فادغمت وتفعلة من مصادر فعل كالتوصية
والتسمية فالتحلة تحليل اليمين فكان اليمين عقد والكفارة حل
وقيل التحلة الكفارة اي انها تحل للحالف ما حرم على نفسه اي اذا كفر
صار كمن لم يحلف **فصل** قال ابن الخطيب وتحلة القسم على
وجهين احدهما تحليل بالكفارة كما في هذه الاية وثانيهما ان يستعمل بمعنى
الشي القليل وهذا هو الاكثر كما روي من قوله عليه الصلاة والسلام
لن يلج النار الا تحلة القسم اي زمانا يسيرا وقرئ كفارة ايمانكم **قوله**
والله مولاكم اي وليكم وناصركم في ازالة الحظر فيما تحرمونه على انفسكم
وبالترخيص لكم في تحليل ايمانكم بالكفارة وبالثواب على ما تخرجونه
في الكفارة وهو العليم الحكيم **قوله** واذ اسر العامل فيه اذكر فهو
مفعول به لا ظرف والمعنى اذكر اذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة
حديثا يعني تحريم مارية على نفسه واستكتامه اياها ذلك وقال
الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عائشة يكونان خليفتين من بعدي على
امتي وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده الى حفصة فذكرته حفصة
رواه الدارقطني في سنده عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى
واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا قال اطلعت حفصة على النبي صلى الله
عليه وسلم مع ام ابراهيم فقال لا تخبري عائشة قال فانطلقت حفصة
فاخبرت عائشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض عن بعض قال
اعرض عن قولها ان اباك وابا ها يكونان خليفتين من بعدي كره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينتشر في الناس ذلك فلما نبات به اخبرت عائشة
لمصافاة كانت بينهما وكانتا متظاهرتين على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
واظهره الله عليه اي اطلعه الله على انها قد نبات به **قوله** فلما نبات به
اصل نبا وانبا واخبر وخبر وحدث ان يتعدى لاثنين الى الاول بنفسها
والى الثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاول للدلالة
عليه وقد جات الاستعمالات الثلاثة في هذه الاية فقوله فلما نبات به
تعدى لاثنين حذف اولهما والثاني مجرور بالبا اي نبات به غيرها وقوله
فلما نباها به ذكرهما وقوله من انباك هذا ذكرهما وحذف الجار وقرا
طلحة بن مصرف فلما انبات وهما لغتان انبا ونبا **قوله** عرف
بعضه قرا الكسائي بتخفيف الرا قال القرطبي وبها قرا علي وطلحة
ابن مصرف وابو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة والكلبي والاعمش
عن ابي بكر قال عطا كان عبد الرحمن السلمي اذا قرا عليه الرجل عرف
مشددة حصبه بالحجارة وقرا الباقون بتشديد الرا فالتثقيل
يكون المفعول الاول منه محذوفا اي عرفها بعضه اي وقفها عليه
على سبيل العتب واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولو كانت
مخففة لقال في ضده وانكر بعضا واما التخفيف فمعناه جازى على
بعضه واعرض عن بعض قاله الفرا وتاويل قوله عز وجل عرف بالتخفيف
اي غضب فيه وجازى عليه كقولك لمن اسا اليك لاعرفن لك ما
فعلت اي لاجازينك عليه **فصل** قال المفسرون انه اسر الى
حفصة شيا فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة على بعضه ولم يواخذها
بالبا

بالباقي وهو من قبيل قوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي يجازيكم
عليه وقوله اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وانما اضطروا الى هذا
التاويل لان الله تعالى اطلعه على جميع ما انبات به غيرها لقوله تعالى
واظهره الله عليه وقرا عكرمة عراف بالالف بعد الرا وخرجت على الاشباع كقوله
اعوذ بالله من العقراب وقيل هي لغة يمانية يقولون عراف زيد عمرا واذا ضمنت
هذه الافعال الخمسة معنى اعلم تعدت لثلاثة وقال الفارسي تتعدى بالهمزة
او التضعيف وهو غلط اذ يقتضي ذلك انها قبل التضعيف والهمزة كانت
متعدية لاثنين فاكتسبت بالهمزة او التضعيف ثالثا والامر ليس كذلك
اتفاقا **فصل** قال السدي عرف بعضه واعرض عن بعض تكرما
وقال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض
عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت لعائشة وهو
حديث ام ولده ولم يخبرها ببعض ما قالت لعائشة وهو قول حفصة لعائشة
ان ابا بكر وعمر سيملكان بعده قال المفسرون ان النبي صلى الله عليه وسلم
جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر فقال عمر لو كان
في ال الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره
جبريل بمراجعتها وشفع فيها واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا
وقعد في مشربة مارية ام ابراهيم حتى نزلت اية التخيير كما تقدم وقيل هم
بطلاقها حتى قال له جبريل لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك
في الجنة فلم يطلقها **قوله** فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله
عليه قالت من انباك هذا يا رسول الله عني فظنت ان عائشة اخبرته
فقال عليه الصلاة والسلام نباني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شي وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى الكراهية في وجه حفصة حين راته مع مارية
اراد ان يتراضاها فاسر اليها شيين تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة
بعده في ابي بكر وفي ابيها عمر فاخبرت بذلك حفصة عائشة واطلع الله نبيه
عليه فعرف حفصة واخبرها ببعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن
بعض يعني عن ذكر الخلافة كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتشر ذلك
في الناس فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت حفصة من انباك
هذا اي اخبرك باني افشيت السر قال نباني العليم الخبير قال ابن الخطيب
وصفه بكونه خبيرا بعد ما وصفه بكونه عليما لما ان في الخبير من المبالغة
ما ليس في العليم **قوله** ان تتوبا الى الله شرط في جوابه وجهان
احدهما هو قوله فقد صغت والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب
التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وصغت مالت وزاغت عن الحق ويدل له
قراءة ابن مسعود فقد زاغت قال القرطبي وليس قوله فقد صغت قلوبكما
جزاء للشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجواب الشرط محذوف للعلم به
اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما والثاني ان الجواب
محذوف تقديره فذلك واجب عليكما او فتاب الله عليكما قاله ابو البقا ودل
على المحذوف فقد صغت لان اصغا القلب الى ذلك ذنب قال شهاب
الدين وكانه زعم ان ميل القلب ذنب وكيف يحسن ان يكون جوابا وقد
غفل عن المعنى المصحح لكونه جوابا وقوله قلوبكما من افصح الكلام حيث اوقع الجمع
موقع المثنى استثقالا لمجي تثنيتين لو قيل قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيين
من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل وقد تقدم تحرير هذا في اية السرقة في المائدة ومن مجي
التثنية **قوله**
فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التي لم ترقع

والاحسن في هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التثنية • وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا في ضرورة كقوله ✱ حمامة بطن الواديين ترنمي ✱ سقاك من الغر الغوادي مطيرها ✱ وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك في كونه جعله احسن من التثنية • وليس بغلط لكراهة توالي تثنيتين مع امن اللبس وقوله ان تتوبا فيه التفات من الغيبة الى الخطاب **فصل** المراد بهذا الخطاب اما المؤمنين بنتا الشيخين الكريمين عايشة وحفصة رضي الله عنهما حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق وهو انهما احبا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان صلى الله عليه وسلم يحب العسل والنسا قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل فقد مالت قلوبكما الى التوبة **قوله** وان تظاهرا عليه اصله تتظاهرا فادغم وهذه قراءة العامة • وقرا عكرمة تتظاهرا على الاصل • والحسن وابو رجا ونافع وعاصم في رواية عنهما بتشديد الظا والها دون الف وكلها بمعنى المعاونة من الظهر لانه اقوى الاعضا واجلها **فصل** يعني تتظاهرا اي تتعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية والايذا • روى مسلم عن ابن عباس قال مكثت سنة وانا اريد ان اسال عمر بن الخطاب عن اية فما استطيع ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له ثم وقفت حتى فرغ ثم سرت معه باداوة فسكبت على يديه منها فتوضا فلما رجع قلت يا امير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعايشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث **قوله** فان الله هو مولاه يجوز ان يكون هو فصلا ومولاه الخبر وان يكون مبتدا ومولاه خبره والجملة خبر ان والمعنى ان الله وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما **قوله** يجوز ان يكون عطفا على اسم الله تعالى والمعنى الله وليه وجبريل وليه فلا يوقف على مولاه ويوقف على جبريل ويكون صالح المؤمنين مبتدا والملائكة معطوفا عليه والخبر ظهير • ورفع جبريل نظرا الى محل اسم ان وذلك بعد استكمالها خبرها وقد تقدم مذهب الناس في ذلك ويكون جبريل وما بعده داخلين في الولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جبريل ظهيرا له بدخوله في عموم الملائكة ويكون والملائكة مبتدا وظهير خبره • وافرد لانه بزنة فعيل قال القرطبي هو بمعنى الجمع • قال ابو علي قد جا فعيل للكثرة قال تعالى ولا يسال حميم حميما ومعنى ظهير اي اعوان وهو في معنى ظهرا كقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا ويجوز ان يكون الكلام تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدا وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله ويكون جبريل قد ذكر في المعاونة مرتين مرة بالتنصيص عليه ومرة بدخوله في عموم الملائكة وهذا عكس ما في البقرة في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل فانه ذكر الخاص بعد العام تشريفا له وهناك ذكر العام بعد الخاص ولم يذكر الناس الا القسم الاول • وفي جبريل لغات تقدم ذكرها في البقرة **قوله** وصالح المؤمنين قال المسيب بن شريك صالح المؤمنين ابو بكر • وقال سعيد بن جبير هو عمر وقال عكرمة ابو بكر وعمر • وروى شقيق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صالح المؤمنين ابو بكر وعمر • وعن اسما بنت عميس قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المؤمنين علي بن ابي طالب • وقيل خيار المؤمنين وصالح

اسم

اسم جنس كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر قاله الطبري • وقال العلا بن زياد وقتادة وسفيان هم الانبيا • وقال ابن زيد هم الملائكة • وقال السدي هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل صالح المؤمنين ليس لفظ الواحد وانما هو صالحوا المؤمنين فاضاف الصالحين الى المؤمنين وسياتي له مزيد بيانه ان شا الله تعالى **فصل** قيل كان التظاهر منهما في التحكيم على النبي صلى الله عليه وسلم في النفقة ولهذا الا منهن شهرا واعتزلهن • وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساوه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت عليه يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما الحديث **فصل** قوله وصالح المؤمنين الظاهر انه مفرد ولذلك كتب بالحا دون واو الجمع وجوزوا ان يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للاضافة وكتب دون واو اعتبارا بلفظه لان الواو ساقطة لالتقا الساكنين نحو ويمح الله الباطل ويدع الداع وسندع الزبانية الى غير ذلك • ومثل هذا ما جا في الحديث اهل القران اهل الله وخاصته قالوا يجوز ان يكون مفردا وان يكون جمعا كقوله شغلتنا اموالنا واهلونا وحذفت الواو لالتقا الساكنين لفظا فان كتب هذا فالاحسان يكتب بالواو ولهذا الرمز وليس ثم ضرورة لحذفها كما في مرسوم الخط • وجوز ابو البقا في جبريل ان يكون معطوفا على الضمير في مولاه يعني المستتر وحينئذ يكون الفصل بالضمير المجرور كافيا في تجويز العطف عليه • وجوز ايضا ان يكون جبريل مبتدا وصالح عطف عليه والخبر محذوف اي مواليه **فصل** قال ابن عباس اراد بقوله وصالح المؤمنين يعني ابا بكر وعمر مواليين للنبي صلى الله عليه وسلم على من عاداه وناصرين له وهو قول المفسرين • وقال الضحاك خيار المؤمنين • وقيل كل من امن وعمل صالحا • وقيل من بري من النفاق • وقيل الانبيا • وقيل الخلفا • وقيل الصحابة **قوله** عسى ربه ان طلقكن قيل كل عسى في القران واجب الا هذا • وقيل هو واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن • قال النحويون ان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اي ان طلقكن فعسى • وادغم ابو عمرو القاف في الكاف على راي بعضهم قال وهو اولى من يرزقكم ونحوه لثقل التانيث **قوله** ان يبدله قرى مخففا ومشددا كما تقدم من الكهف والتبديل والابدال بمعنى كالتنزيل والانزال • وقوله ازواجا خيرا منكن لانكن لو كنتن خيرا منهن ما طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معناه السدي وقيل هذا وعد من الله تعالى لرسوله لو طلقكن في الدنيا ان يزوجه في الاخرة نسا خيرا منهن • وكان الله عالما بانه لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وهو اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان في الوجود من هو خير من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **فصل** مسلمات الى اخره اما نعت او حال او منصوب على الاختصاص قال سعيد بن جبير يعني مخلصات • وقيل

مسلمات لامر الله تعالى وامر رسوله خاضعات لله بالطاعة مومنات اي مصدقات
بتوحيد الله وقيل مصدقات بما امرن به ونهين عنه قانتات مطيعات
والقنوت الطاعة وقيل داعيات وقيل مصليات تائبات اي من ذنوبهن
قاله السدي وقيل راجعات الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات
لمحاب انفسهن عابدات اي كثيرات العبادة لله تعالى وقال ابن عباس كل
عبادة في القرآن فهو التوحيد سائحات اي صائمات قاله ابن عباس والحسن
وابن جبير وقال زيد بن اسلم وابنه عبادة وبيان مهاجرات قال ابن
زيد وليس في امة محمد سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض قال
الفراء والقتبي وغيرهما سمي الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه وانما ياكل من
حيث وجد الطعام وقيل يسحن معه حيث ما ساح وقيل ذاهبات في طاعة
الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب وقد مضى في سورة براءة وقرا عمرو بن
فائد سيحات **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل كيف يكون المبدلات
خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خيرا من امهات المومنين فالجواب
اذا طلقهن الرسول عليه الصلوة والسلام لعصيانهن له وايذائهن اياه
كان غيرهن من الموصوف بهذه الصفات مع الطاعة للرسول صلى الله
عليه وسلم فان قيل قوله مسلمات مومنات يوهم التكرار لان المسلمات
والمومنات سوا فالجواب الاسلام هو التصديق باللسان والايمان
التصديق بالقلب وقد لا يجتمعان فقوله مسلمات مومنات تحقيقا
لاجتماعهما **قوله** ثيبات وابكارا انما وسطت الواو بين ثيبات
وابكارا لتنافي الوصف دون سائر الصفات وثيبات ونحوه لا ينقاس
لانه اسم جنس مونث فلا يقال نساء خودات ولا رايت عينات والثيب
وزنها فيعل من ثاب يثوب اي يرجع كانها ثابت بعد زوال العذرة
واصله ثيوب كسيد وميت اصلهما سيود وميوت فاعل الاعلال المشهور
والمعنى منهن ثيب ومنهن بكر وقيل انما سميت ثيبا لانها راجعة الى
زوجها ان اقام معها او الى غيره ان فارقها وقيل لانها ثابت الى بيت
ابويها قال القرطبي والاول اصح لان كل ثيب تعود الى زوج واما
البكر فهي العذراء سميت بكرا لانها على اول حالتها التي خلقت بها قال
ابن الخطيب فان قيل ذكر الثيبات في مقام المدح وهي من جملة ما يقلل
رغبة الرجل فيهن فالجواب يمكن ان يكون بعض الثيبات خيرا بالنسبة
الى بعض الابكار عند الرسول عليه الصلوة والسلام لاختصاصهن
بالمال والنسب او المجموع واذا كان كذلك فلا يقدح ذكر الثيب في
المدح لجواز ذلك وقال الكلبي اراد بالثيب مثل آسية امراة فرعون
وبالبكر مثل مريم ابنة عمران قال القرطبي وهذا انما يمشي على قول
من قال ان التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن في الدنيا زوجه
في الآخرة خيرا منهن والله اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا قوا امر من الوقاية فوزنه عوا لان الفا حذفت لوقوعها
في المضارع بين ياء وكسرة وهذا محمول عليه واللام حذفت له على
المجزوم لان اصله اوقيوا كاضربوا فحذفت الواو التي هي فاء لما تقدم
واستثقلت الضمة على الياء فالتقى ساكنان فحذفت الياء وضم ما قبل
الواو ليصح وهذا تعليل البصريين ونقل مكي عن الكوفيين ان الحذف في
عندهم فرقا بين المتعدي واللازم فحذفت الواو التي هي فاء في نحو يعد لتعديه
ولم تحذف من يوجل لقصوره قال ويرد عليهم نحو يوم فانه قاصر ومع ذلك
حذفوا فاءه قال شهاب الدين وفي هذا نظر لان يوجل لم يمتنع فيه الواو
بين

بين ياء وكسرة لا ظاهرة ولا مضمرة وقلت ولا مضمرة تحرزا من نحو يضع ويسع ويهب
وقرا بعضهم واهلوكم وخرجت على العطف على الضمير المرفوع في قوا وجوز ذلك
الفصل بالمفعول قال الزمخشري بعد ذكره القراءة وتخريجها فان قلت
اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن العطف في
التقدير يقارن للواو وانفسكم واقع بعده كانه قيل قوا انتم واهلوكم
انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته فجعلت ضميرهما معا على
لفظ المخاطب **قوله** نارا مفعول ثان وقودها الناس صفة لنار
وكذلك عليها ملائكة ويجوز ان يكون الوصف وحده عليها وملائكة
فاعل به ويجوز ان يكون حالا لتخصصها بالصفة الاولى وكذلك
لا يعصون الله وتقدم الخلاف في واو وقودها ضما وفتحا في البقرة
فصل قال الصحابة المعنى قوا انفسكم واهليكم فليقوا
انفسهم نارا وروي عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوا انفسكم
وامروا اهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم وقال علي رضي
الله عنه وقتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم
بوصيتكم قال ابن العربي وهو الصحيح والفقه الذي يعطيه
العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى
الفعل كقوله علفتها تبنا وماء باردا وكقوله
ورايت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا
فعلى الرجل ان يصلح نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعي للرعية
قال عليه الصلوة والسلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام
الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم والرجل راع على اهل بيته وهو
مسئول عنهم قال الحسن في هذه الآية يامرهم وينهاهم وقال
بعض العلماء لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه
كما دخل في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم وقوله
عليه الصلوة والسلام ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه
فلم يفرده بالذكر افراد سائر القرابات فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه
المعاصي والآثام الى غير ذلك من الاحكام وقال عليه الصلوة والسلام
حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ
وقال عليه الصلوة والسلام ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن وقال
عليه الصلوة والسلام مروا اولادكم بالصلوة لسبع واضربوهم على تركها
لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع قالت بعض العلماء ويخبر اهله بوقت
الصلوة ووجوب الصيام وقال عليه الصلوة والسلام رحم الله
امرا قام من الليل يصلي فايقظ اهله فان لم تقم رش على وجهها الما
ورحم الله امراة قامت في الليل تصلي وايقظت زوجها فان لم يقم
رشت على وجهه الما وذكر القشيري قال لما نزلت هذه الآية
قال رجل يا رسول الله نقي انفسنا فكيف لنا باهلينا فقال تنهونهم
عما نهاكم الله وتامرونهم بما امركم الله وقال مقاتل ذلك حق عليه في
نفسه وولده واهله وعبيده وامائه قال الكيا فعلينا تعليم اولادنا
واهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الادب وهو قوله تعالى وامر
اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وانذر
عشيرتك الاقربين وتقدم الكلام على قوله وقودها الناس والحجارة
في البقرة **فصل** قال ابن الخطيب فان قيل انه تعالى خاطب المشركين
في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس

والحجارة ثم قال أعدت للكافرين فما معنى تخصيصه للمؤمنين بذلك
فالجواب أن الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات
الكفار فإنهم مع الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم
باجتناب الفسوق مجاورة الذين أعدت لهم هذه النار ولا يبعد
أن يأمرهم بالتوقي عن الارتداد قوله عليها ملائكة غلاظ شداد
يعني الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا خلقوا من
الغضب وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام
والشراب شداد أي شداد الأبدان وقيل غلاظ الأقوال شداد
الأفعال وقيل غلاظ في أخذهم أهل النار شداد عليهم يقال
فلان شديد على فلان أي قوي عليه يعذبه بأنواع العذاب
وقيل غلاظ أجسامهم ضخمة شداد أي أقوياء قال ابن عباس ما بين
منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقال عليه الصلوة والسلام في خزنة
جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب قوله لا يعصون
الله ما أمرهم يجوز أن يكون ما بمعنى الذي والعائد محذوف
أي ما أمرهموه والأصل به لا يقال كيف حذف العائد المجرور ولم
يجر الموصول بمثله لأنه يطرد حذف هذا الحرف فلم يحذف إلا منصوبا
وأن يكون مصدرية ويكون محلها بدلا من اسم الله بدل اشتمال
كأنه قيل لا يعصون أمره وقوله ويفعلون قال الزمخشري فإن
قلت أليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فإن الأولى معناها
أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها والثانية معناها أنهم يؤدون
ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقال القرطبي
لا يعصون الله ما أمرهم أي لا يخالفونه في أمر من زيادة أو نقصان
ويفعلون ما يؤمرون في وقته لا يؤخرونه ولا يقدمونه وقيل
أي لذتهم في امتثال أمر الله كما أن سرور أهل الجنة في الكون في الجنة
ذكره بعض المعتزلة وعندهم أنه يستحيل التكليف غدا ولا يخفى
معتقد أهل الحق أن الله يكلف العبد اليوم وغدا ولا ينكر التكليف
غدا في حق الملائكة ولله أن يفعل ما يشاء قوله تعالى يا أيها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم أي فإن عذركم لا ينفع وهذا النهي لتحقيق اليأس
إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين
ظلموا معذرتهم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة
نصوحا قرأ الجمهور بفتح نون نصوحا فهي صيغة مبالغة أسند
النصح إليها مجازا وهو من نصح الثوب أي خاطه فكأن التائب
يرقع ما خرقه بالمعصية وقيل من قولهم عسل ناصح أي خالص
وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر نصح يقال نصح نصحا ونصوحا
نحو كفر كفرا وكفورا وشكر شكرا وشكورا وفي انتصابه أوجه أحدها
أنه مفعول له أي لأجل النصح الحاصل نفعه عليكم الثاني أنه مصدر
مؤكد لفعل محذوف أي ينصحهم نصحا الثالث أنه صفة لها إما على
المبالغة على نفي انتصابه مصدرا وعلى حذف مضاف أي ذات نصوح
وقرأ زيد بن علي توبا دون تاء فصل قال ابن الخطيب
وجه تعلق هذه الآية بقوله يا أيها الذين كفروا أنه تعالى نبههم على
دفع العذاب في ذلك اليوم بالتوبة في الدنيا إذ في ذلك اليوم لا تنفعهم
التوبة فصل أمر بالتوبة وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال
وكل الأزمان واختلفوا في التوبة النصوح فقيل هي التي لا عودة بعدها

كما لا يعود



كما لا يعود اللبن إلى الضرع روي عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ
ابن جبل ورفعه معاذ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة النصوح
الصادقة الناصحة وقيل الخالصة يقال نصح له أي أخلص له القول
وقال الحسن النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره
وقيل هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها وقال الكلبي التوبة النصوح
الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع عن الذنب والعزم على أن لا
يعود وقيل غير ذلك فصل التي يتاب منها قال بعض العلماء الذنب
الذي يكون منه التوبة لا يخلو إما أن يكون حقا لله أو للآدمي فإن كان حقا لله
كترك صلوة أو صوم أو تفريط في زكاة فإن التوبة لا تصح منها حتى ينضم إلى الندم
قضاء ما فات منها وإن كان قتل نفس بغير حق فأن يمكن من القصاص منه إن طلب
به فإن عفا عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالإخلاص وكذلك إن
عفي عنه في القتل بمال فعليه أن كان واجدا له قال تعالى فمن عفي له من أخيه
شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان وإن كان ذلك لله من حدود الله ما
كان فإنه إذا تاب إلى الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه وقد نص الله تعالى
على سقوط الحد عن المحاربين إذا تابوا قبل القدرة عليهم كما تقدم وكذلك الشراب
والسراق والزناة إذا أصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا إلى الإمام
فلا ينبغي له أن يحدهم وإن رفعوا إليه فقالوا تبنا لم يتركهم في هذه الحال
كالمحاربين إذا غلبوا هذا مذهب الشافعي فإن كان الذنب من مظالم العباد
فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه والخروج عنه عينا كان أو غيره إن
كان قادرا عليه فإن لم يكن قادرا فالعزم أن يؤديه إذا قدر في أعجل وقت
وأسرعه وإن كان أضر بواحد من المسلمين وذلك الواحد لا يشعر به ولا يدري
من أين أتي فإنه يزيل ذلك الضرر عنه ثم يسأله أن يعفو عنه ويستغفر له
فإذا عفى عنه فقد سقط الذنب عنه وإن أرسل من يسأل له ذلك فعفى ذلك المظلوم
عن ظالمه عرفه بعينه أو لم يعرفه فذلك صحيح وإن أساء رجل إلى رجل بأن فزعه
بغير حق أو غمه أو لطمه أو صفعه بغير حق أو ضربه بسوط فآلمه ثم
جاءه مستعفيا نادما عما كان منه عازما على أن لا يعود فلم يزل يتذلل له
حتى طابت نفسه فعفى عنه سقط الذنب عنه وهكذا إن شتمه لا بشتم يحد
فيه قوله عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم عسى من الله واجبة وهو معنى
قوله عليه الصلاة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأن في موضع
نصب قوله ويدخلكم معطوف على يكفر قرأ العامة بالنصب وابن
أبي عبلة بسكون الراء فاحتمل أن يكون من إجراء المنفصل مجرى
المتصل فسكنت الكسرة لأنه يتخرج من مجموع يكفر عنكم مثل نطع وقمع
فيقال فيهما نطع وقمع ويحتمل أن يكون عطفا على محل عسى أن يكفر كأنه قيل
توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم قاله الزمخشري يعني أن عسى في محل جزم
جوابا للأمر لأنه لو وقع موقعها مضارع لانجزم كما مثل به الزمخشري وفيه
ولأنا لا نسلم أن عسى جوابا ولا تقع جوابا لأنها للإنشاء قوله يوم
لا يخزي الله النبي يوم منصوب بيدخلكم أو بإضمار اذكر ومعنى يخزي
هنا يعذب أي لا يعذبه ولا يعذب الذين آمنوا معه قالت المعتزلة
قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه يدل على أنه لا يعذب
الذين آمنوا لأن الإخزاء يقع بالعذاب ولو كان أصحاب الكبائر من أهل
الإيمان لم يجب عليهم العذاب قال ابن الخطيب وأجاب أهل السنة
بأنه تعالى وعد أهل الإيمان بأن لا يخزيهم من أهل السنة من يقف
على قوله يوم لا يخزي الله النبي ومعناه لا يخزيه في رد الشفاعة والإخزاء

التضحية اي لا يفضحهم بين يدي الكفار ويجوز ان يعذبهم على
وجه لا تقتضي الكرامة عليه قوله والذين امنوا معه يجوز فيه وجهان
احدهما ان يكون منسوقا على النبي اي ولا يخزي الذين امنوا فعلى هذا
يكون نورهم يسعى مستانفا او حالا والثاني ان يكون مبتدا وخبره
نورهم يسعى ويقولون خبر ثان او حال وتقدم اعراب نظير هذه
الجملة في الحديد واعراب ما بعدها في براءة وقرا ابو حيوة وابو نهيك
السهمي وبايمانهم بكسر الهمزة ومعنى قوله نورهم بين ايديهم اي
وبايمانهم عند الحساب لانهم يوتون الكتاب بايمانهم وفيه
نور وخير وقيل يسعى النور بين ايديهم في موضع وضع اقدامهم وبايمانهم
لان خلفهم الكفرة وقولهم ربنا اتمم لنا نورنا قال
ابن عباس يقولون ذلك عند اطفاء نور المنافقين اشفاقا وقال
الحسن انه تعالى يتمم لهم نورهم يدعون تقربا الى حضرة الله تعالى
كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور وقيل ادناهم منزلة من نوره
بقدر ما يبصر موضع قدمه فيسالون اتمامه وقال الزمخشري السابقون
الى الجنة يمرون كالبرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم
وهم الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قيل انه تعالى لا يخزي
النبي في ذلك اليوم ولا الذين امنوا معه فالجواب لان فيه افادة الاجتماع
بمعنى لا يخزي الله المجموع اي الذين يسعى نورهم وفيه فائدة عظيمة اذ
الاجتماع بين الذين امنوا وبين نبيهم تشريف في حقهم وتعظيم
قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم امره
ان يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعاء الى الله
والمنافقين بالغلظة واقامة الحجة وان يعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم
لا نور لهم يجوزون به على الصراط مع المومنين وقال الحسن امره جاهدهم
باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود وكانت
الحدود تقام عليهم وماواهم جهنم يرجع الى الصنفين وبئس المصير
اي المرجع قال ابن الخطيب وفي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله يا ايها النبي في اول السورة وفي هذه الاية ووصفه بالنبي لا باسمه
كقوله لادم يا ادم ولموسى يا موسى ولعيسى يا عيسى دليل على فضيلته عليهم
فان قيل قوله وماواهم جهنم يدل على ان مصيرهم بئس المصير فما فائدة
فالجواب ان بئس المصير مطلقا والمطلق يدل على الدوام
وغير المطلق لا يدل ثم ضرب الله مثلا للصالحات والصالحين
من النساء فقال ضرب الله مثلا الى اخره تقدم الكلام على ضرب المثل وهل
هو بمعنى صير ام لا وكيف ينتصب ما بعدها في سورة النحل قوله
تعالى ضرب الله هذا المثل تنبيها على انه لا يغني احد عن قريب ولا
نسيب في الاخرة اذا فرق بينهما الدين وكان اسم امراة نوح والهة
وامراة لوط والعة قاله مقاتل وقال الضحاك عن عائشة رضي الله
عنها ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امراة نوح
والغلة واسم امراة لوط والهة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
يعني نوحا ولوطا ويجوز ان يكون امراة نوح بدلا من قوله مثلا على تقدير
حذف المضاف اي ضرب الله مثلا مثل امراة نوح ويجوز ان يكونا مفعولين
قوله كانتا تحت عبدين جملة مستانفة كانها مفسرة لضرب المثل
ولم يات بضميرهما فيقال تحتهما اي تحت نوح ولوط لما قصد من تشريفهما
بهذه الاضافة الشريفة لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي

وليصفهما

وليصفهما باجل الصفات وهو الصلاح قوله فخانتاهما قال عكرمة
والضحاك بالكفر وقال سليمان بن رقية عن ابن عباس كانت امراة نوح
تقول للناس انه مجنون وكانت امراة لوط تخبر باضيافه وعن ابن عباس
ما بغت امراة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما
قاله القشيري وهذا اجماع المفسرين انما كانت خيانتهما في الدين وكانتا
مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما النميمة اذا اوحي اليهما
فتفشياه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة لوط اذا نزل
به ضيف دخنت لتعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من
اتيان الرجال قوله فلم يغنيا العامة بالياء من تحت اي لم يغن
نوح ولوط عن امراتيهما شيئا من الاغناء من عذاب الله وقرا مبشر بن
عبيد تغنيا بالتاء من فوق اي فلم تغن المراتان عن انفسهما وفيها اشكال
اذ يلزم من ذلك تعدي فعل المضمر المتصل الى ضميره المتصل في غير المواضع
المستثناة وجوابه ان عن هنا اسم كهي في قوله دع عنك نهبا صيح في حجراته
وقد تقدم هذا والاعتراض عليه بقوله وهزي اليك بجذع النخلة
واضمم اليك جناحك والجواب هناك فصل معنى الاية لم
يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما لما عصيا شيئا
من عذاب الله تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة
وقيل ان كفار مكة استهزوا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فبين تعالى ان شفاعته
لا تنفع مكة وان كانوا اقرباء كما لا ينفع نوح امراته وشفاعة لوط لامراته
مع قربهما لهما لكفرهما وقيل ادخلا النار مع الداخلين في الاخرة اي كما يقال
لكفار مكة وغيرهم قطع الله بهذه الاية طمع من يرتكب المعصية ان ينفعه
صلاح غيره ثم اخبر ان معصية غيره لا تضره اذا كان مطيعا قوله وضرب
الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون واسمها اسية بنت مزاحم قال
يحيى بن سلام قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا مثل ضربه الله يحذر به
عائشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرا عليه صلى الله عليه وسلم ثم
ضرب الله لهما مثلا بامراة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك
بالطاعة والثبات على الدين وقيل هذا حث للمومنين على الصبر في الشدة
اي لا يكونوا في الصبر عند الشدة اضعف من امراة فرعون حين صبرت على
اذى فرعون قال المفسرون لما غلب موسى السحرة امنت امراة فرعون
وقيل هي عمة موسى امنت به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها
ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس والقى عليها صخرة عظيمة فقالت
رب نجني من فرعون فرقي بروحها الى الجنة فوقعت الصخرة على جسد لا روح
فيه وقال الحسن رفعها الى الجنة تاكل في الجنة وتشرب قال سلمان الفارسي
كانت امراة فرعون تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة
قوله اذ قالت منصوب بضرب وانه تاخر ظهور المضروب ويجوز
ان ينتصب بالمثل قوله عندك يجوز تعلقه بابن وان يتعلق بمحذوف
على انه حال من بيتا لانه نعته فلما قدم نصب حالا وفي الجنة اما متعلق
بابن واما بمحذوف على انه نعت لبيتا فصل قال المفسرون
لما كانت تعذب في الشمس واذا هاجر الشمس قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة فوافق ذلك حضور فرعون فضحكت حين رات بيتها
في الجنة فقال فرعون الا تعجبوا من جنونها انا نعذبها وهي تضحك
فقبض روحها وروي انه وضع على ظهرها رحى فاطلعها الله حتى رات
مكانها في الجنة وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة رات

بينها في الجنة من درة وانتزع روحها فالقيت عليها صخرة بعد خروج
روحها فلم تجد الما. وقال الحسن وابن كيسان رفع الله امراة فرعون
الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب وتتنعم قوله ونجني من فرعون
وعمله تعني بالعمل الكفر. وقيل من عمله اي من عذابه وظلمه. وقال ابن عباس
الجماع ونجني من القوم الظالمين اي الكافرين. قال الكلبي اهل مصر. وقال
مقاتل القبط قوله ومريم ابنة عمران عطف على امراة فرعون ضرب
الله المثل للكافرين بامراتين وللمومنين بامراتين. وقال ابو البقا ومريم
اي واذكر مريم. وقيل ومثل مريم. وقرا العامة ابنة بنصب التا وايوب
السختياني بسكون الها وصلا اجرى الوصل مجرى الوقف والعامة ايضا
فنفخنا فيه اي في الفرج وعبد الله فيها اي في الجملة وتقدم في الانبيا مثله
والعامة ايضا وصدقت بتشديد الدال ويعقوب وقتادة وابو مجلز
وعاصم في رواية بتخفيفها اي صدقت فيما اخبرت به من امر عيسى
والعامة على كلمات جمعا والحسن ومجاهد والجحدري بكلمة بالافراد فقيل
المراد بها عيسى لانه كلمة الله فصل ضرب الله مثلا لمريم ابنة عمران
وصبرها على اليهود. وقوله والتي احصنت فرجها عن الفواحش. وقال
المفسرون اراد بالفرج هنا الجيب لقوله فنفخنا فيه من روحنا وجبريل عليه
السلام انما نفخ في جيبها وهي في قراة ابي فنفخنا في جيبها من روحنا وكل خرق
في الثوب يسمى فرجا. ومنه قوله تعالى وما لها من فروج. ويحتمل ان يكون
احصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها. ومعنى فنفخنا ارسلنا جبريل فنفخ
في جيبها من روحنا اي روحا من ارواحنا وهو روح عيسى. وقوله وصدقت
بكلمات ربها اي قول جبريل لها انما انا رسول ربك الاية. وقال مقاتل
يعني بالكلمات عيسى وانه نبي وعيسى كلمة الله كما تقدم. وقيل بكلمات ربها
يعني الشرايع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة قوله وكتبه
قرا اهل البصرة وحفص كتبه على الجمع وقرا الاخرون وكتابه على التوحيد
والمراد منه الكثرة فالمراد به الجنس فيكون في معنى كل كتاب انزله الله
تعالى وتقدم الكلام في كتابه وكتبه في اخر البقرة. وقرا ابو رجا وكتبه
بسكون التا وهو تخفيف حسن. وروى عنه وكتبه بفتح الكاف قال
ابو الفضل مصدر وضع موضع الاسم يعني ومكتوبه فصل
اراد الكتب التي انزلت على ابراهيم وموسى وداود وعيسى. وقوله
وكانت من القانتين يجوز في من وجهان. احدهما انها لابتدا الغاية
والثاني انها للتبعيض. وقد ذكرهما الزمخشري فقال ومن للتبعيض
ويجوز ان يكون لابتدا الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من
اعقاب هارون اخي موسى صلوات الله على نبينا وعليهما وعلى
ساير الانبيا والهم. قال الزمخشري فان قلت لم قيل من القانتين
على التذكير قلت القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب
ذكوره على اناثه. وقيل اراد من القوم القانتين. ويجوز ان يرجع الى
اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت الطاعة. وقال عطا
من المصلين بين المغرب والعشا. وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لخديجة وهي تجود بنفسها اتكرهين ما نزل
بك وقد جعل الله خيرا فاذا قدمت على ضراتك فاقريهن
مني السلام مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكليمة او قال حليمة
بنت عمران اخت موسى بن عمران فقالت بالرفا والبنين يا رسول
الله. قال ابن الاثير الرفا الالتيام والاتفاق والبركة

والنما

والنما وهو مهموز وذكره الهروي في المعتل قال وهو على معنيين
احدهما الاتفاق وحسن الاجتماع والاخر من الهدو والسكون
واما المهموز في قولهم رفات الثوب رفا وارفوته رفوا. وروى
قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسبك من نسا العالمين
اربع مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
واسية بنت مزاحم امراة فرعون. روى الثعلبي عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اعطاه الله توبة نصوحا

سورة تبارك الملك مكية

وتسمى الواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة لانها تقي وتنجي
من عذاب القبر. وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل
عن صاحبها في القبر وهي ثلاثون اية وثلاث مائة وثلاثون كلمة والف
وثلاث مائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبارك
الذي بيده الملك تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم. وقال الحسن
تقدس وقيل دام فهو الدايم الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه الذي
بيده الملك اي ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة. وقال
ابن عباس بيده الملك يعز من يشا ويذل من يشا ويحيي ويميت ويغني
ويفقر ويعطي ويمنع. قال ابن الخطيب هذه اللفظة تستعمل لتاكيد
كونه تعالى ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد ولا
مدخل للجارحة. قال الزمخشري بيده الملك كل موجود وهو على كل ما لم
يوجد قدير قوله وهو على كل شي قدير يدل على ان المعدوم شي لان
قدرة الله لا تتعلق بالموجود ولا بالمعدوم من اثره والعدم نفي محض فلا
يكون اثرا لها فوجب ان يكون المعدوم شيا فصل احتج اهل
السنة بهذه الاية على انه لا موثر الا قدرة الله وابطلوا القول بكون
العبد موجدا بالطبايع كقول الفلاسفة وابطلوا القول بالمتولدات
كقول المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال نفسه
لقوله وهو على كل شي قدير فصل دلت هذه الاية على الوحدانية
لانا لو قدرنا الها ثانيا فاما ان يقدر على ايجاد الشي او لا فان لم يقدر
على ايجاد شي لم يكن الها وان قدر كان مقدور ذلك الاله الثاني شيا
فيلزم كون ذلك الشي للاله الاول لقوله وهو على كل شي قدير فيلزم
مخلوق من خالقين وهو محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد
ويلزم ان يستغني كل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما
وغنيا عنهما وذلك محال فصل احتج جهم بهذه الاية على انه تعالى
ليس بشي فقال لو كان شيا لكان قادرا على نفسه لقوله تعالى وهو على
كل شي قدير لكن كونه قادرا على نفسه محال فيمتنع كونه شيا والجواب
لما دل قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله على انه تعالى شي وجب تخصيص
هذا العموم فاذن دلت هذه الاية على ان العام المخصوص وارد في كتاب الله
تعالى ودلت على ان تخصيص العام بدليل العقل جايز بل واقع قوله
الذي خلق الموت والحياة قيل الموت في الدنيا والحياة في الاخرة وقدم
الموت على الحياة لان الموت الى القهر اقرب كما قدم البنات على البنين فقال
يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور وقيل قدمه لانه اقدم لان
الاشيا في الابتدا كانت في حكم الموت كالنطفة في التراب ونحوه وقال قتادة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذل بني آدم بالموت
وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن
ابي الدردا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طاطا ابن
آدم راسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة لان
من نصب الموت بين عينيه كان اقوى الدواعي له الى العمل قال ابن
الخطيب قالوا الحياة هي الصفة التي يكون الموصوف بها بحيث يصح ان
يعلم ويقدر واختلفوا في الموت فقيل انه عبارة عن عدم هذه الصفة
وقال اصحابنا انه صفة وجودية مضادة للحياة واحتجوا بقوله
الذي خلق الموت والعدم لا يكون مخلوقا وهذا هو التحقيق وروى
الكلبي عن ابن عباس ان الله خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشي ولا
يجد ريحها شي الا حيي على ما سياتي قال ابن الخطيب وهذا لا بد وان
يكون منقولا على سبيل التمثيل والتصوير والا فالتحقيق ما ذكرنا
فصل حكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ان الموت والحياة جسمان
فالموت في هيئة كبش لا يمر بشي ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة على صورة
فرس انثى بلقا وهي التي كان جبريل والانبيا عليهم الصلوة والسلام
يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشي يجد ريحها
الا حيي ولا تطا على شي الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاها
على العجل فحيي حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي معناه
عن مقاتل والكلبي وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة والعلقة
والمضغة وخلق الحياة يعني خلق انسانا ونفخ فيه الروح فصار انسانا
قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
قوله ليبلوكم متعلق بخلق وقوله ايكم احسن تقدم مثله في اول
هود وقال الزمخشري هنا فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا
بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم
احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة
واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت
اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان يقع بعده ما يسد مسد المفعولين
جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فرق بعد
سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير
مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقت في قولك علمت ازيد
منطلق وعلمت زيدا منطلقا قال شهاب الدين وهذا الذي منع تسميته
تعليقا سماه به غيره ويجعلون تلك الجملة في محل ذلك الاسم الذي يتعدى اليه   الاستفهامية صح
ذلك الفعل فيقولون في عرفت ايهم منطلق ان الجملة في محل نصب لسدها
مسد مفعول عرفت وفي نظرت ايهم منطلق ان الجملة في محل نصب على اسقاط
الخافض لان نظر يتعدى به قال الزجاج في ليبلوكم يتعلق بخلق الحياة لا على
الموت وقال الفرا والزجاج ايضا لم يقع البلوى على اي لان فيما بين البلوى
واي اضمار فعل كما تقول بلوتكم لانظر ايكم اطوع ومثله قوله تعالى سلهم
ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم فايهم رفع بالابتدا واحسن خبره
والمعنى ليبلوكم فيعلم او فينظر ايكم احسن عملا قال ابن الخطيب ايكم
مبتدا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله فصل الابتلا هو
التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع او يعصي وذلك في حق العالم
بجميع المعلومات محال وقد تقدم تحقيق هذه المسئلة في قوله تعالى
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات والحاصل ان الابتلا من الله هو ان يعامل

عبده

عبده معاملة تشبه المختبر فصل قال السدي في قوله تعالى
ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اكثركم للموت ذكرا واحسن استعدادا واشد
خوفا وحذرا وقال ابن عمر تلا النبي صلى الله عليه وسلم تبارك الذي
بيده الملك حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال اورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبلو العبد بموت من يعز
عليه ليبين صبره وبالحياة ليبين شكره وقيل خلق الله الموت
للبعث والجزا وخلق الحياة للابتلا وهو العزيز في انتقامه ممن
عصاه الغفور لمن تاب فصل احتج القايلون بانه تعالى يفعل
الفعل لغرض بقوله ليبلوكم قالوا وهذه اللام للغرض كقوله تعالى الا ليعبدون
والجواب ان الفعل في نفسه ليس الابتلا الا انه لما اشبه الابتلا سمي به
مجازا فكذلك هنا انه يشبه الغرض وان لم يكن في نفسه غرضا تقدم في
العرض قوله الذي خلق سبع سموات طباقا يجوز ان يكون الموصول
تابعا للعزيز الغفور نعتا او بيانا او بدلا وان يكون مقطوعا عنه خبر
مبتدا او مفعولا لفعل مقدر وقوله طباقا صفة لسبع وفيه ثلاثة
اوجه احدها انه جمع طبق نحو جبل وجبال والثاني انه جمع طبقة نحو
رحبة ورحاب والثالث انه مصدر طابق يقال طابق مطابقة
وطباقا ثم اما ان يجعل نفس المصدر مبالغة واما على حذف مضاف
اي ذات طباق واما ان ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي طوبقت
طباقا ومن قولهم طابق النعل اي جعله طبقة فوق اخرى وروى ابن
عباس طباقا اي بعضها فوق بعض والملتصق منها اطرافها قال القرطبي
وقيل مصدر بمعنى المطابقة اي خلق سبع سموات وطبقها تطبيقا
او مطابقة او على طوبقت طباقا لانه مفعول ثان فيكون خلق بمعنى
جعل وصير وقال ابان بن تغلب سمعت بعض الاعراب يذم رجلا
فقال شره طباق وخيره غير باق ويجوز في غير القران سبع سموات
طباق بالخفض على النعت لسموات نظيره سبع سنبلات خضر فصل
قال ابن الخطيب دلت هذه الاية على القدرة من وجوه احدها من حيث
بقاؤها في جو الهوا معلقة بلا عماد ولا سلسلة وثانيها من حيث ان كل
واحد منها اختص بمقدار معين مع جواز ما هو ازيد منه وانقص وثالثها
انه اختص كل واحد منها بحركة خاصة مقدرة بقدر معين من السرعة
والبطو الى جهة معينة ورابعها كونها في ذواتها محدثة وكل ذلك يدل
على اسنادها الى قادر تام القدرة قوله ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت تفاوت هو مفعول ترى ومن مزيدة فيه وقرا الاخوان
تفوت بتشديد الواو دون الف قال القرطبي وهي قراة ابن مسعود
واصحابه والباقون بتخفيفها بعد الف وهما لغتان بمعنى واحد
كالتعهد والتعاهد والتظاهر والتظهر والتضعيف والتضاعف والتحمل
والتحامل والتضعيف والتضاعف والتباعد والتبعيد قاله الفرا وقال
الاخفش تفاوت اجود لانهم يقولون تفاوت الامر ولا يكادون يقولون
تفوت واختار ابو عبيدة تفوت يقال تفاوت يتفوت التفاوت اذا فات
واحتج بما روي في الحديث ان رجلا تفوت على ابيه في ماله وقال عبد الرحمن
ابن ابي بكر امثلي يتفوت عليه في ماله قال النحاس وهذا مردود على ابي
عبيدة لان يتفوت اي يفتات عليه في الحديث تفاوت في الاية اشبه كما يقال
تباين تفاوت الامران اذا تباينا او تباعدا اي فات بعضها بعضا نقله القرطبي
وحكى ابو زيد تفاوت الشي تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها والقياس الضم

كالتقابل والعنى والكرشاذان والتفاوت عدم التناسب لان بعض
الاجزا يفوت الاخر وهذه الجملة المنفية صفة لقوله طباقا واصلها ما ترى
فيهن فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على
سبب سلامتهن وهو انه خلق الرحمن قاله الزمخشري وظاهر هذا انها
صفة لطباقا وقام الظاهر فيها مقام المضمر وهذا انما يعرف في خبر المبتدا
وفي المبتدا على خلاف فيها وتفصيل وقال ابو حيان الظاهر انه مستانف
وليس بظاهر لانفلات الكلام بعضه من بعض وخلق مصدر مضاف
لفاعله والمفعول محذوف اي في خلق الرحمن السموات او كل مخلوق وهو
اولى ليعم وان كان السياق مرشدا للاول فصل والمعنى ما ترى
في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية
دالة على خالقها وان اختلفت صورة وقيل المراد بذلك السموات
خاصة اي ما ترى في خلق السموات من عيب واصله من الفوت وهو
ان يفوت شي شيا فيقع الخلل لعدم استوايها يدل عليه قول ابن عباس
من تفرق وقال السدي من تفاوت اي من اختلاف وعيب يقول
الناظر لو كان كذا كان احسن وقيل من التفاوت الفطور لقوله بعد
ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج
قال القفال رحمه الله ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
في الدلالة على حكمة الصانع وانه لم يخلقها عبثا فصل الخطاب
في قوله ما ترى في خلق الرحمن اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب
وكذا القول في قوله فارجع البصر ثم ارجع البصر ينقلب اليك البصر فصل
دلت هذه الاية على كمال علم الله وذلك ان الحس دل على ان هذه السموات
السبع اجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله
محكما متقنا فلا بد وان يكون عالما فدلت الاية على كونه تعالى عالما بالمعلومات
بقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة
فصل احتج الكعبي بهذه الاية على ان المعاصي ليست من خلق
الله قال لانه تعالى نفى التفاوت عن خلقه وليس المراد نفي التفاوت
في الصغر والكبر والنقص والعيب فوجب حمله على نفي التفاوت بين خلقه
من حيث الحكمة فدل من هذا الوجه على ان افعال العباد ليست من خلقه
لما فيها من التفاوت الذي بعضه جهل وبعضه سفه والجواب انا نحمله
على ان لا تفاوت فيها بالنسبة اليه من حيث ان الكل يصح منه بحسب
القدرة والارادة والداعية وانه لا يقبح منه شي اصلا فصل
روى البغوي عن كعب انه قال السما الدنيا موج مكفوف والثانية
مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة صفر او قال نحاس والخامسة
فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وبين السما
السابعة الى الحجب السبعة صحاري من نور قوله فارجع البصر
متسبب عن قوله ما ترى وكرتين نصب على المصدر كرتين وهو مثنى
لا يراد به حقيقته بل التكثير بدليل قوله ينقلب اليك البصر خاسئا
وهو حسير اي مزدجرا وهو كليل وهذان الوصفان لا يأتيان بنظرتين
ولا ثلاث وانما المعنى كرات وهذا كقولهم لبيك وسعديك وحنانيك
ودواليك وهذاذيك لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد
انما يريدون التكثير اي اجابة لك بعد اخرى والا تناقض الغرض
والتثنية تفيد التكثير لقرينة كما يفيده اصلها وهو العطف لقرينة
كقوله ٭ لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم ٭ اي قبورا كثيرة لينتظم المدح وقال

ابن عطية كرتين معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل
الاولى ليرى حسنها واستواها والثانية ليبصر كواكبها في سيرها
وانتهايها وهذه بظاهرها تنهم التثنية فقط قوله هل ترى
من فطور هذه الجملة يجوز ان تكون معلقة لفعل محذوف يدل
عليه فارجع البصر اي فارجع البصر فانظر هل ترى وان يكون ارجع
البصر مضمنا معنى نظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق وادغم
ابو عمرو لام هل في التا هنا وفي الحاقة واظهرها الباقون وهو المشهور
في اللغة والفطور جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه
فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع قال المفسرون
الفطور الصدوع والشقوق قال

٭ شققت القلب ثم ذررت فيه ٭ هواك فليط فالتام الفطور ٭

قوله ينقلب على جزمه على جواب الامر والكسائي في رواية برفعه
وفيه وجهان احدهما ان يكون حالا مقدرة والثاني انه على حذف
الفا اي فينقلب وخاسئا حال وقوله وهو حسير حال اما من صاحب
الاولى واما من الضمير المستتر في الحال قبلها فتكون متداخلة وقد
تقدم مادة خاسئا وحسير في الانبيا والمومنين فصل لما قال
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت كانه قال بعده ولعلك لا تحكم بمقتضى
ذلك البصر الواحد ولا تعتمد عليه لاحتمال وقوع الغلط في النظرة الواحدة
ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة اخرى حتى تتيقن انه ليس في خلق
الرحمن من تفاوت البتة قال القرطبي امر ان ينظر في خلقه ليعتبروا به
ويتفكروا في قدرته فقال فارجع البصر هل ترى من فطور اي اردد طرفك
الى السما ويقال قلب البصر في السما ويقال اجتهد بالنظر الى السما
والمعنى متقارب وانما قال فارجع بالفا وليس قبله فعل مذكور لانه
قال ما ترى والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل ترى من فطور قاله قتادة
قال مجاهد والضحاك الفطور الشقوق وقال قتادة من خلل وقال
السدي من خروق وقال ابن عباس من وهن وقوله ثم ارجع البصر
كرتين في موضع المصدر لان معناه رجعتين لان الانسان اذا نظر في الشي
مرتين يرى عيبه ما لم يره بنظر مرة فاخبر تعالى انه وان نظر الى السما مرتين
لا يرى فيها عيبا بل يتحير بالنظر اليها وقال ابن الخطيب معناه انك
اذا كررت نظرك لم يرجع اليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل والعيب
بل يرجع اليك خاسئا اي مبعدا صاغرا عن ان يرى شيا من ذلك من قولهم
خسأت الكلب اذا باعدته وطردته وخسي الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى
وانخسا الكلب ايضا وخسا بصره ايضا خسا وخسوا اي سدر قال ابن
عباس الخاسي الذي لم ير ما يهوى وقال المبرد ههنا الخاسي المبعد المصغر
وقوله وهو حسير اي قد بلغ الغاية في الاعيا فهو بمعنى فاعل من الحسور
الذي هو الاعيا ويجوز ان يكون مفعولا من حسره بعد الشي وهو معنى
قول ابن عباس ومنه قول الشاعر

٭ من مد طرفا الى ما فوق غايته ٭ ارتد خسآن منه الطرف محسورا ٭

يقال حسر بصره يحسر حسورا اي كل وانقطع نظره من طول مدى وما اشبه
ذلك فهو حسير ومحسور ايضا قال الشاعر

٭ نظرت اليها بالمحصب من منى ٭ فعاد الي الطرف وهو حسير ٭

وقيل هو النادم قال

٭ ما انا اليوم على شي خلا ٭ يا ابنة القين تولى بحسر ٭

قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح اي السما القربى لانها
اقرب السموات الى الناس والمعنى السما الدنيا من الناس والدنيا مونث
لانها فعلى تانيث افعل التفضيل بمصابيح جمع مصباح وهو السراج
وسمى الكواكب مصابيح لاضاءتها وسماها زينة لان الناس يزينون
مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قال ولقد زينا سقف
الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح الانوار قوله وجعلناها رجوما
للشياطين الضمير في جعلناها يجوز فيه وجهان اظهرهما انه يعود على
مصابيح قيل وكيفية الرجم ان يوجد نار من ضوء الكوكب يرمى بها
الشياطين والكوكب في مكانه لا يرجم به قاله ابو علي جوابا لمن قال
كيف يكون زينة وهي رجوم لا تبقى قال المهدوي وهذا على ان يكون
الاستراق من موضع الكوكب والثاني ان الضمير يعود على السما والمعنى
وجعلنا منها لان ذات السما ليست للرجوم قاله ابو حيان وفيه نظر
لعدم عود الضمير على السما قال القرطبي والمعنى جعلنا شهبها فحذف
المضاف بدليل قوله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب
قال وعلى هذا لا تزول ولا يرجم بها قاله المهدوي وهذا على
ان يكون الاستراق دون موضع الكوكب قال القشيري وامثل من قول
ابي علي ان نقول هي زينة قبل ان ترجم بها الشياطين والرجوم جمع رجم
وهو مصدر في الاصل اطلق على المرجوم به كضرب الامير ويجوز ان يكون
باقيا على مصدريته ويقدر مضاف اي ذات رجوم وجمع المصدر
باعتبار انواعه فعلى الاول يتعلق قوله للشياطين بمحذوف على انه صفة
لرجوما وعلى الثاني لا تعلق له لان اللام مزيدة في المفعول به وفيه
دلالة حينئذ على اعمال المصدر منونا مجموعا ويجوز ان يكون صفة له
ايضا كالاول فيتعلق بمحذوف وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين
شياطين الانس كما قال ٢٠ وما هو عنها بالحديث المرجم فيكون المعنى
جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم الاحكاميون
من المنجمين **فصل** قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث
زينة السما ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر فمن
تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم
وقال محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السما نجم ولكنهم
يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة **فصل** قال ابن
الخطيب ظاهر الاية يدل على ان هذه الكواكب مركوزة في السما الدنيا
لان السموات اذا كانت شفافة فالكواكب سوا كانت في السما الدنيا
او في سموات اخرى فوقها فهي لا بد وان تظهر في السما الدنيا وتلوح
منها فعلى التقدير تكون السما الدنيا متزينة بهذه المصابيح واعلم
ان اصحاب الهيئة اتفقوا على ان هذه الكواكب مركوزة في الفلك
الثامن الذي هو فوق كرة السموات واحتجوا ان بعض الثوابت في الفلك
الثامن فيجب ان يكون كلها هناك وانما قلنا ان بعضها في الفلك الثامن
لان الكواكب القريبة من المنطقة تنكسف بهذه السيارات فوجب ان
يكون الثوابت المنكسفة فوق السيارات الكاسفة وانما قلنا ان هذه
الثوابت لما كانت في الفلك الثامن وجب ان تكون كلها هناك لانها
باسرها متحركة حركة واحدة بطيئة في كل مائة سنة درجة واحدة فلا
بد وان تكون مركوزة في كرة واحدة قال ابن الخطيب وهذه الدلالة
ضعيفة فانه لا يلزم من كون بعض الثوابت فوق السيارة كون كلها
هناك

هناك لانه لا يبعد وجود كرة تحت كرة القمر ويكون في البطء مساوية
لكرة الثوابت وتكون الكواكب المركوزة فيما يقارب المنطقتين مركوزة
في هذه الكرة السفلية اذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر والكبر
مع كونهما متشابهتين في الحركة وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان تكون هذه
المصابيح مركوزة في السما الدنيا فثبت بهذا ضعف مذاهب الفلاسفة
فصل قال ابن الخطيب يروى ان السبب في الرجوم ان الجن كانت
تسمع خبر السما فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السما ورصدت
الشياطين فمن جا منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به
الى الارض فيلقيه الى الناس فيختلط على النبي امره ويرتاب الناس بخبره
ومن الناس من طعن في هذا من وجوه احدها ان انقضاض الكواكب
مذكور في كتب قدما الفلاسفة قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس
ارتفع منها بخار يابس اذا بلغ الى النار التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة
هي الشهاب وثانيها ان الجن اذا شاهدوا جماعة منهم يسترقون فيحترقون
فكيف امتنعوا ان يعودوا الى ذلك وثالثها ان ثخن السما مسيرة خمسمائة سنة
فالجن لا يقدرون على خرقها لانه تعالى نفى ان يكون فيها فطور وثخنها يمنعهم
من السمع لاسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم واذا سمعوه من ذلك
البعد فلم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض ورابعها ان الملائكة
انما اطلعوا على الاحوال المستقبلة اما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ
او لانهم نقلوها من وحي الله اليهم وعلى التقدير فلم لا يسكتوا عن ذكرها
حتى لا يتمكن الجن من معرفتها وخامسها ان الشياطين مخلوقون من النار
والنار لا تحرق النار بل تقويها وسادسها ان كان هذا القذف لاجل النبوة
فلم بقي بعدها وسابعها ان هذه الرجوم انما تحدث بالقرب من الارض لانا
نشاهدها بالعين ومع البعد لا نشاهدها كما لا نشاهد حركات
الكواكب وثامنها ان كانت الشياطين ينقلون اخبار الملائكة عن المغيبات
الى الكهنة فلم لا ينقلون اسرار المومنين الى الكفار حتى يتوسل الكفار بذلك
الى الحاق الضرر بالمومنين وتاسعها لم لم يمنعهم الله ابتدا من الصعود
الى السما والجواب عن الاول انا لا ننكر ان هذه الشهب كانت موجودة
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعن الثاني انه اذا جا القدر
عمي البصر فاذا قضى الله على طائفة منها بالحرق لطغيانها قيض لها من
الدواعي ما تقدم بها على العمل المقتضي لاهلاكها وعن الثالث انما يمنع كون
ثخن الفلك ما ذكروه بل البعد بين السما والارض مسيرة خمسمائة
عام وعن الرابع ما روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب
قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من اصحابه اذ رمي
بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا
قال كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال صلى الله عليه وسلم
فانها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن الله تعالى اذا قضى الامر في السما
سبحت حملة العرش ثم سبح اهل كل سما وسبح كل سما حتى ينتهي التسبيح
الى هذه السما ويستخبر اهل السما حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم
ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سما الى سما الى ان ينتهي الخبر الى هذه السما
فتخطفه الجن فيرمون فما جاوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وعن
الخامس ان نار النجوم قد تكون اقوى من نار الجن وعن السادس انه
عليه الصلاة والسلام اخبر ببطلان الكهانة فلو لم ينقطع لعادت
الكهانة وذلك يقدح في خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وعن السابع

ان البعد عنه مانع من السماع عندنا، وعن الثامن لعله تعالى اقدرهم
على استماع الغيوب عن الملائكة واعجزهم عن ايصال اسرار المؤمنين
الى الكافرين، وعن التاسع ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قوله
واعتدنا لهم عذاب السعير لما ذكر منافع الكواكب وذكر من جملة تلك
المنافع انها رجوم للشياطين قال بعد ذلك واعتدنا لهم عذاب السعير
اي واعتدنا للشياطين بعد الاحراق بالشهب في الدنيا عذاب السعير
في الآخرة وهو اشد الحريق، قال المبرد سعرت النار فهي مسعورة
وسعير مثل مقتولة وقتيل وهذه الآية تدل على ان النار مخلوقة الآن
لان قوله واعتدنا لهم خبر عن الماضي قوله وللذين كفروا خبر
مقدم في قراءة العامة وعذاب جهنم مبتدأ، وفي قراءة الحسن والاعمش
والاعرج بنصب عذاب فيتعلق باعتدنا عطفا عليهم وعذاب
جهنم عطف على عذاب السعير فعطف منصوبا على منصوب ومجرورا
على مجرور واعاد الخافض لان المعطوف عليه ضمير والمخصوص بالذم
محذوف اي وبئس المصير مصيرهم او عذاب جهنم او عذاب السعير
فصل والمعنى لكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب
جهنم ليبين ان الشياطين المرجومين مخصوصون بذلك، ثم انه
تعالى وصف ذلك العذاب بصفات اولها قوله اذا القوا فيها
يعني الكفار اذا القوا طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا
لها شهيقا اي صوتا، قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القاء الكفار
فيها كشهيق البغلة للشعير، وقال عطاء الشهيق من الكفار عند القائهم
في النار، وقال مقاتل سمعوا لجهنم شهيقا، قال ابن الخطيب ولعل
المراد تشبيه صوت لهب النار بالشهيق وهو كصوت الحمار، وقال
المبرد هو والله اعلم تنفس كتنفس المتغيظ، قال الزجاج سمع
الكفار للنار شهيقا وهو افظع الاصوات، وقيل سمعوا من انفسهم
شهيقا كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق قوله لها متعلق
بمحذوف على انه حال من شهيقا لانه في الاصل صفته ويجوز ان يكون
على حذف مضاف اي سمعوا لاهلها وهي تفور جملة حالية فصل
قال القرطبي والشهيق في الصدر والزفير في الحلق وقد مضى في سورة
هود وقوله وهي تفور اي تغلي ومنه قول حسان:
تركتم قدركم لا شيء فيها ... وقدر القوم حامية تفور
قال مجاهد تفور كما يفور الحب القليل في الماء الكثير، وقال ابن عباس
تغلي بهم على المراجل وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب
كما تقول فلان يفور غيظا قوله تكاد تميز من الغيظ قرأ العامة
تميز بتاء واحدة مخففة والاصل تتميز بتاءين وهي قراءة طلحة
والبزي عن ابن كثير بتشديدها ادغم احدى التاءين في الاخرى
وهي قراءة حسنة لعدم التقاء الساكنين بخلاف قراءته اذ تلقونه
ونارا تلظى وبابه وابو عمرو يدغم الدال في التاء على اصله في المتقاربين
وقرأ الضحاك تمايز والاصل تتمايز بتاءين فحذف احدهما وزيد
ابن علي تميز من ماز، وهذا الكلام استعارة من قولهم تميز فلان من الغيظ
اي انفصل بعضه من بعض من الغيظ فمن سببية اي بسبب الغيظ
ومثله في وصف كلب اشتد غدوه يكاد يخرج من اهابه، قال ابن
الخطيب ولعل سبب هذا المجاز ان دم القلب يغلي عند الغضب
فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق حتى تكاد تتمزق، فان قيل النار
ليست

ليست من الاحيا فكيف توصف بالغيظ، قال ابن الخطيب والجواب
ان البنية عندنا ليست شرطا للحياة فلعل الله تعالى يخلق فيها وهي
نار حياة او يكون هذا استعارة لشبه صوت لهبها وسرعة مبادرتها
بالغضبان وحركته ويكون المراد الزبانية فصل قال سعيد
ابن جبير تكاد تميز من الغيظ يعني ينقطع وينفصل بعضها من بعض
وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد تتفرق من الغيظ من شدة
الغيظ على اعداء الله قوله كلما القي فيها فوج لعدم الكلام على
كلما وهذه الجملة يجوز ان تكون حالا من ضمير جهنم، والفوج الجماعة
من الناس والافواج الجماعات في تفرقة، ومنه قوله تعالى [illegible]
والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار سألهم خزنتها وهم مالك
واعوانه سؤال توبيخ وتقريع الم ياتكم نذير اي رسول في الدنيا
ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا، قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة
لهم في العذاب قوله بلى قد جاءنا نذير فيه دليل على جواز الجمع
بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى
ولكنهم اظهروه تحسرا وزيادة في تغميمهم على تفريطهم في قبول قول
النذير وليعطفوا عليه قولهم فكذبنا الى آخره قوله ان انتم الا
في ضلال ظاهره انه من مقول الكفار للنذير اي قلنا ما نزل الله
من شيء على السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا
بتكذيب الرسل ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار لو كنا نسمع
من النذر يعني الرسل ما جاؤوا به او نعقل عنهم، وجوز الزمخشري ان يكون
من كلام الرسل للكفرة وحكاه الكفرة للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله
قال ابن الخطيب يجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار اي لما قالوا
ذلك الكلام قالت الخزنة لهم ان انتم الا في ضلال كبير قوله
وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير، قال ابن الخطيب
احتج بهذه الآية من قال ان الدين لا يتم الا بالتعليم لانه قدم السمع
على العقل يدل على انه لا بد اولا من ارشاد المرشد
تامل السامع فيما يذكره المعلم، واجيب بانه انما قدم السمع لان الرسول
اذا دعا فاول المراتب انه يسمع كلامه ثم يتفكر فيه فلما كان السمع
مقدما على التعقل لاجرم قدم عليه في الذكر فصل واحتج
بهذه الآية من فضل السمع على البصر قالوا لان للسمع مدخلا
في الخلاص من النار والفوز بالجنة والبصر ليس كذلك فوجب ان يكون
السمع افضل من البصر قوله بذنبهم وحده لانه مصدر في الاصل
ولم يقصد التنويع بخلاف بذنوبهم في موضع ولانه في معنى الجمع
ولان اسم الجنس اذا اضيف عم فصل قال ابن الخطيب
يحتمل ان يكون المراد من الضلال الكبير ما كانوا عليه في الدنيا من
ضلالهم، ويحتمل ان يكون المراد بالضلال الهلاك ويحتمل ان يكون
قد سمى عقاب الضلال باسمه فصل احتج المرجئة بقوله
الآية على انه لا يدخل النار الا الكفار قالوا لان الله حكى عن كل من القي في النار
انهم قالوا فكذبنا النذير وهذا يدل على ان من لم يكذب الله ورسوله
لم يلق في النار، وظاهر هذه الآية يقتضي القطع بان الفاسق المصر لا يدخل
النار، واجاب القاضي عنه بان النذير قد يطلق على ما في العقول من
الادلة المخوفة وكل من يدخل النار مخالف للدليل فصل واحتج
بهذه الآية من قال ان معرفة الله وشكره لا يجبان الا بعد ورود

السمع قالوا الا انه تعالى انما عذبهم لانه اتاهم النذير فدل على انه
لو لم ياتهم النذير لم يعذبوا **قوله** فسحقا فيه وجهان احدهما
انه منصوب على المفعول به اي الزمهم الله سحقا والثاني انه
منصوب على المصدر تقديره سحقهم الله سحقا فناب المصدر
عن عامله في الدعاء نحو جدعا له وعقرا فلا يجوز اظهار عامله واختلف
النحاة هل هو مصدر لفعل ثلاثي ام لفعل رباعي فجاء على حذف
الزوائد فذهب الفارسي والزجاج الى انه مصدر اسحقه الله
اي ابعده فقال الفارسي فكان القياس اسحاقا فجاء المصدر على
الحذف كقوله ؞ فان اهلك فذلك كان قدري ؞ اي تقديري
والظاهر انه لا يحتاج الى ذلك لانه سمع سحقه الله ثلاثيا
ومنه قول الشاعر
يجول باطراف البلاد مغربا ؞ وتسحقه ريح الصبا كل مسحق
والذي يظهر ان الزجاج والفارسي انما قالا ذلك فيمن نقول لم يرد
اسحقه الله سحقا وقرا العامة بضم وسكون والكسائي في اخرين
بضمتين وهما لغتان والاخفش ان يكون المثقل اصلا للمخفف
ولاصحاب البيان كهيت لك وسقيا لك وقال مكي والرفع يجوز
في الكلام على الابتداء اي لو قيل فسحق جاز لا على انه تلاوة بل من جهة
الصناعة الا ان ابن عطية قال ما يضعفه فانه قال فسحقا
نصبا على جهة الدعاء عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى
من حيث هذا القول فيهم مستقرا ولا وجوده لم يقع ولا يقع الا في
الاخرة فكانه لذلك في حيز المتوقع الذي يدعى فيه كما تقول سحقا
لزيد وبعدا له والنصب في هذا كله باضمار فعل واما ما وقع وثبت
فالوجه فيه الرفع كما قال تعالى ويل للمطففين وسلام عليكم وغير
هذا من الامثلة انتهى فضعف الرفع كما ترى لانه لم يقع بل هو متوقع
في الاخرة **فصل** قال المفسرون فسحقا لاصحاب السعير
اي فبعدا لهم من رحمة الله وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد
في جهنم يقال له السحق **قوله** الذين يخشون ربهم بالغيب نظيره
من خشي الرحمن بالغيب وقد مضى الكلام فيه اي يخافون الله ويخافون
عذابه الذي هو بالغيب وهو عذاب يوم القيمة ويخشونه في دار
التكليف اي يتقون جميع المعاصي قال ابن الخطيب وفي الاية
دليل على انقطاع وعيد الفساق لان من جا يوم القيمة مع هذه الخشية
يستحق فله الامران وانقطاع الثواب بالعقاب باطل بالاجماع فتعين
العكس لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة **قوله** لهم مغفرة الاحسن
ان يكون الخبر لهم ومغفرة فاعل به لان الخبر المفرد اصل والجار من قبيل المفردات
او اقرب اليها **قوله** واسروا قولكم او اجهروا به اللفظ لفظ الامر والمراد به
الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر محمد صلى الله عليه وسلم او جهرتم به فان
الله عليم بذات الصدور يعني بما في القلوب من الخير والشر قال ابن عباس
نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل
فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فنزلت واسروا قولكم
او اجهروا به يعني اسروا قولكم في امر محمد وقيل انه خطاب عام لجميع الخلق
في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على اي سبيل وجد فالحال واحدة في
علمه تعالى بهما فاحذروا من المعاصي سرا كما تحترزون عنها جهرا فان ذلك لا يتفاوت
بالنسبة الى علم الله تعالى انه عليم بذات الصدور وهذا كما يسمي ولد

المراة وهو جنين في بطنها **قوله** الا يعلم من خلق في من خلق وجهان
احدهما انه فاعل يعلم والمفعول محذوف تقديره الا يعلم الخالق خلقه
وهذا هو الذي عليه جمهور الناس وبه بدا الزمخشري والثاني ان الفاعل
مضمر يعود على الباري تعالى ومن مفعول به اي الا يعلم الله من خلقه قال
ابو حيان والظاهر ان من مفعول والمعنى اينتفي علمه بمن خلقه وهو الذي
لطف علمه ودق ثم قال واجاز بعض النحويين ان يكون من فاعلا والمفعول
محذوف كانه قال الا يعلم الخالق سركم وجهركم وهو استفهام معناه
الانكار قال شهاب الدين وهذا الوجه الذي جعله هو الظاهر يعزيه
الناس لاهل الزيغ والبدع الدافعين لعموم الخلق لله تعالى وقد اطنب
مكي في ذلك وانكر على القائل به ونسبه الى ما ذكرت فقال وقد قال
بعض اهل الزيغ ان من في موضع نصب اسم للمسرين والجاهرين ليخرج الكلام
عن عمومه ويدفع عموم الخلق عن الله تعالى ولو كان كما زعم لقال الا يعلم ما خلق
لانه انما تقدم ذكر ما يكن الصدور فهو في موضع ما ولو اتى بما في موضع من
لكان فيه ايضا بيان العموم ان الله خالق كل شيء من اقوال الخلق اسروها
او اظهروها خيرا كانت او شرا ويقوي ذلك انه عليم بذات الصدور ولم
يقل عليم بالمسرين والجاهرين ويكون ما في موضع نصب والا يخرج الا به
من هذا العموم اذا جعلت من في موضع نصب اسما للاناس المخاطبين
قبل هذه الاية وقوله بذات الصدور يمنع من ذلك انتهى قال شهاب
الدين ولا ادري كيف يلزم ما قاله مكي بالاعراب الذي ذكره والمعنى الذي
ابداه وقد قال بهذا القول اعني الاعراب الثاني جماعة من المحققين ولم
يبالوا بما ذكره لعدم افهام الاية اياه قال الزمخشري بعد كلام ذكره ثم
انكر الا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشيا وحاله انه اللطيف
الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق
منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله ثم قال فان قلت قدرت في الا
يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان
من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون
عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي هي
قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو
اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشي لا
يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن لا يعلم كذا وهو عالم بكل
شيء **فصل** معنى الاية الا يعلم السر من خلق السر يقول انا خلقت
السر في القلب فلا اكون عالما بما في قلوب العباد قال اهل المعاني ان شئت
جعلته من اسما الخالق عز وجل ويكون المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان
شئت جعلته من اسما المخلوق والمعنى الا يعلم الله من خلق وكيف لا يكون
الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل
في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل اترى الله يعلم ما يسقط
من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير وقال ابو اسحاق الاسفرايني من اسما صفات الذات
ما هو للعلم فمنها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها الخبير ويختص
بان يعلم ما يكون قبل ان يكون ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقائق الاوصاف
ومنها الشهيد ويختص بان يعلم الغائب والحاضر ومعناه ان لا يغيب
عنه شيء ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى شيئا ومنها المحصي ويختص بانه
لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق

فيعلم عدد تلك اجزاء الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي
يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير **فصل** لما قال
تعالى انه عليم بذات الصدور ذكر الدليل على انه تعالى لم فقال الا يعلم من
خلق الاية. والمعنى ان من خلق لا بد وان يكون عالما بما يخلقه لان الخلق
هو الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد الى الشيء لا بد وان يكون
عالما بحقيقة ذلك المخلوق كيفية وكمية. قال ابن الخطيب فيقول لو
كان العبد موجدا للافعال بنفسه لكان عالما بتفاصيلها وهو غير عالم
لان التفاوت بين الحركة السريعة والبطيئة انما هو لتخلل السكنات فالفاعل
للحركة البطيئة قد يفعل حركة وسكونا ولم يخطر بباله ذلك فضلا عن
كميته ولان المتحرك لا يعرف عدد اجزاء الحركات الا اذا عرف عدد الاحياز
التي هي بين مبدأ المسافة ومنتهاها وذلك يتوقف على علمه بالجواهر
المفردة التي تنتقل في تلك المسافة وعددها وذلك غير معلوم ولان
النائم يتحرك مع عدم علمه ولان قوله الا يعلم من خلق انما يتصل بما
قبله لو كان خالقا لكل ما يفعلونه سرا وجهرا وبما في الصدور. فان
قيل لم لا يجوز ان يكون المراد الا يعلم من خلق الاجساد. فالجواب
انه لا يجوز ان يكون المراد ان من فعل شيئا يكون عالما بشيء اخر **قوله**
وهو اللطيف الخبير. قيل اللطيف العالم وقيل هو العالم بالاشياء
اللطيفة التي يخفى علمها على اكثر العالمين ولهذا يقال ان لطف الله تعالى
بعباده عجيب والمراد به دقائق تدبيره لهم وهذا الى الاقرب والا كان
ذكر الخبير بعده تكرارا **قوله** هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لما بين
بالدليل كونه عالما بما يسرون وما يعلنون ذكر بعده هذه الاية على سبيل
التهديد كقول السيد لعبده الذي اساء اليه سرا يا فلان انا اعلم
سرك وعلانيتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها منك وكل هذا
الخبز الذي هيأته لك ولا تأمن تأديبي فكانه تعالى يقول يا ايها
الكفار انا عالم بسركم وجهركم وضمائركم فخافون فان الارض التي هي
قراركم انا ذللتها لكم ولو شئت خسفت بكم والذلول المنقاد الذي
يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد اي لم يجعل الارض بحيث
يمتنع المشي فيها بالحزونة والغلظة وقيل ثبتها بالجبال لئلا تزول
باهلها ولو كانت تتكفأ مائلة لما كانت منقادة لنا وقيل اشارة الى
التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والانهار وحفر الابار وبناء
الابنية ولو كانت صلبة لتعذر ذلك. وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد
لكانت تسخن جدا في الصيف وكانت تبرد جدا في الشتاء **قوله**
فامشوا في مناكبها هذه استعارة حسنة جدا. وقال الزمخشري المشي مثل
لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق
شيء من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها
في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك **فصل** هذا امر اباحة
وفيه اظهار الامتنان. وقيل هو خبر بلفظ الامر اي لكي تمشوا في اطرافها
ونواحيها واكامها وجبالها. وقال ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب
في مناكبها في جبالها. وروي ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها
ان اخبرتيني ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت
حرة فاراد ان يتزوجها فسال ابا الدرداء فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وقال مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها وهو قول
والحسن والكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه. واصل الكلمة الجانب
منك

منكب الرجل والريح والنكباء وتنكب فلان عن فلان يقول امشوا
حيث اردتم فقد جعلتها لكم ذلولا لا تمتنع. وحكى قتادة عن ابي الجلد
ان الارض اربعة وعشرون الف فرسخ فللسودان اثنا عشر الف فرسخ
وللروم ثمانية آلاف وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب الف **قوله**
وكلوا من رزقه قال الحسن مما احله لكم. وقيل مما انبته لكم وقيل مما
خلقه الله لكم رزقا في الارض واليه النشور المرجع. وقيل المعنى ان
الذي خلق السموات لا تفاوت فيها والارض ذلولا قادر على ان ينشركم
واليه تبعثون من قبوركم **قوله** أأمنتم من في السماء تقدم اختلاف
القراء في الهمزتين المفتوحتين نحو أأنذرتهم تحقيقا وتخفيفا وادخال
الف بينهما وعدمه في سورة البقرة. وان قنبلا ابدل هنا الهمزة
الاولى واوا في الوصل واليه النشور وامنتم وهو على اصله من تسهيل
الثانية بين بين وعدم الف بينهما واما اذا ابتدأ فيحقق الاولى ويسهل
الثانية بين بين على ما تقدم ولم يبدل الاولى لزوال موجبه وهو
انضمام ما قبلها وهي مفتوحة نحو مؤجل ويؤاخذكم وقد مضى في سورة
الاعراف عند قوله قال فرعون آمنتم وانما اعدناه تذكيرا وبيانا **قوله**
من في السماء مفعول أأمنتم وفي الكلام حذف مضاف اي أأمنتم
خالق من في السموات. وقيل في بمعنى على اي على السماء كقوله ولاصلبنكم
في جذوع النخل اي على جذوع وانما احتاج القائل بهذين الى ذلك لانه
اعتقد ان من واقعة على الباري وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي
انه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك فان من هنا المراد
الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة وقيل هو على
بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا مجسمة مشبهة والذي تقدم احسن
قال ابن الخطيب هذه الاية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين
لان ذلك يقتضي احاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون اصغر من
السماء والعرش اكبر من السماء بكثير فيكون حقيرا بالنسبة الى العرش وهو باطل
بالاتفاق ولانه قال قل لمن ما في السموات والارض قل لله فلو كان فيهما لكان مالكا
لنفسه فالمعنى اما من في السماء عذابه واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب
تعتقده واما من في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى وهو الله
في السموات وفي الارض فان الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين
والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته او المراد الملك
الموكل بالعذاب وهو جبريل يخسفها باذن الله **قوله** ان يخسف
بكم الارض وان يرسل فيه وجهان. احدهما انهما بدلان من من في السماء بدل
اشتمال اي أأمنتم خسفه وارساله كما قاله ابو البقاء والثاني ان يكون
على حذف من اي أأمنتم من الخسف والارسال والاول اظهر
قال القرطبي ويحتمل ان يكون المعنى أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم **فصل**
خسفها تقارون فاذا هي تمور اي تذهب وتجيء والمور الاضطراب
بالذهاب والمجيء قال الشاعر

رمين فاقصدن القلوب ولن ترى ... دما مائرا الا جرى في الحيازم

جمع حيزوم وهو وسط الصدر واذا خسف بانسان دارت به الارض
فتضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها حتى
تلقيهم تمور فتعلو عليهم الى اسفل السافلين. قال القرطبي قال المحققون أأمنتم
من فوق السماء كقوله فسيحوا في الارض اي فوقها لا بالمماسة والتحيز لكن

بالقهر والتدبير وقيل معناه أأمنتم من على السماء كقوله ولأصلبنكم في
جذوع النخل اي عليها ومعناه انه مدبرها ومالكها كما يقال فلان على
العراق اي واليها واميرها والاخبار في هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة
الى العلو لا يدفعها الا مكابر او جاهل او معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه
عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن والجهات
والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعاء الى السماء
لان السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين
من الملائكة واليها ترفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل
الله الكعبة قبلة للصلاة ولانه خلق الملائكة وهو غير محتاج اليها
وكان في ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو
الآن على ما عليه كان قوله ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم
حاصبا قال ابن عباس اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط
واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصبا كانها تقلع الحصبا
لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة قوله فستعلمون
كيف نذير قيل النذير هنا المنذر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو
قول عطاء عن ابن عباس والضحاك والمعنى فستعلمون رسولي وصدقه
لكن حين لا ينفعكم ذلك وقيل انه بمعنى الانذار والمعنى فستعلمون
عاقبة انذاري اياكم بالكتاب والرسول وكيف في قوله كيف نذير ينبي
عما ذكرنا من صدق الرسول وعقوبة الانذار وقد تقدم ان نذير ونكير
مصدران بمعنى الانذار والانكار واثبت ورش يا نذيري وقفا
وصلا وحذفها الباقون في الحالين قوله تعالى ولقد كذب الذين
من قبلهم يعني كفار الامم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فكيف كان
نكير اي انكاري وتغييري قاله الواحدي وقال ابو مسلم النكير عقاب
المنكر ثم قال سقطت الياء من نذير ومن نكير حتى تشابه رؤوس الآي المتقدمة
عليها والمتأخرة عنها قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
لما ذكر ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته على ايصال جميع
انواع العذاب اليهم ومعناه كما ذلل الارض للآدمي ذلل الهواء للطيور صافات
اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها قال شهاب الدين صافات
يجوز ان يكون حالا من الطير وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فتكون
متداخلة وفوقهم ظرف لصافات على الاول او ليروا قوله ويقبضن
عطف الفعل على الاسم لانه معناه اي وقابضات فالفعل هنا مؤول
بالاسم عكس قوله ان المصدقين والمصدقات واقرضوا فان الاسم هنالك
مؤول بالفعل وقد تقدم الاعتراض على ذلك وقوله [illegible] معطوف
على اسم الفاعل حملا على المعنى يصففن ويقبضن اي صافات وقابضات
لا حاجة الى تقديره يصففن ويقبضن لان الموضع للاسم فلا نؤوله بالفعل
وقال ابو حيان وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه ومثله قوله تعالى
فالمغيرات صبحا فاثرن عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتي اغرن
فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند السهيلي فانه قبيح كقوله
قوله : بات يغشيها بعضب باتر : يقصد في اسوقها وجائر
اي قاصد في اسوقها وجائر وكذا قال القرطبي هو معطوف على صافات
عطف المضارع على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على المضارع في قول
الشاعر بات يغشيها البيت قال شهاب الدين هو عكسه فان عطف
على اسم الفاعل لان الاسم فيه مؤول بالفعل عكس هذه الآية ومعنى
يقبضن

يقبضن محذوف اي ويقبضن اجنحتهن قاله ابو البقاء ولم يذكر لصافات
مفعولا كانه زعم انه لا اصطفاف في انفسها اي مصطفة والظاهر
ان المعنى صافات اجنحتها وقابضات فالصف والقبض منها اجنحتها
ولذلك قال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن ثم قال فان قلت
لم قال ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان الطيران هو صف
الاجنحة لان الطيران في الهوا كالسباحة في الماء والاصل في السباحة
مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به
على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات
ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح قوله ما يمسكهن
يجوز ان تكون الجملة مستانفة وان تكون حالا من الضمير في يقبضن
قاله ابو البقاء والاول اظهر وقرأ الزهري بتشديد السين
فصل ويقبّضن اي يضربن بها جنوبهن قال ابو جعفر النحاس يقال للطائر
اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمهما قابض لانه يقبضهما
قال ابو خراش :
يبادر جنح الليل فهو موائل : يحث الجناح بالتبسط والقبض
وقيل ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران وقوله
ما يمسكهن اي ما يمسك الطير في الجو وهي تطير الا الله عز وجل انه بكل شيء
بصير قال ابن الخطيب وفيه وجهان الاول المراد من البصير
كونه عالما بالاشياء الدقيقة كما يقال فلان له بصر في هذا الامر اي حذق
والثاني ان نجري اللفظ على ظاهره فنقول قوله انه بكل شيء بصير يكون
رائيا لنفسه ولجميع الموجودات وهذا الذي يقوله اصحابنا انه تعالى
شيء يصح ان يكون مرئيا وان كل الموجودات كذلك فان قيل البصير
اذا عدي بالباء يكون بمعنى العالم يقال فلان بصير بكذا اذا كان عالما
قلنا لا نسلم فانه يقال ان الله سميع بالمسموعات بصير بالمبصرات
فصل قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن دليل على ان الافعال
الاختيارية للعبد مخلوقة لله تعالى لان استمساك الطير في الهوى
فعل اختياري له وقد نسبه للرحمن قوله امن هذا الذي قرأ العامة
بتشديد الميم على ادغام ميم ام في ميم من وام بمعنى بل لان بعدها
اسم استفهام وهو مبتدا خبره اسم الاشارة وقرأ طلحة بتخفيف
الاولى وتثقيل الثاني قال ابو الفضل معناه اهذا الذي هو
جند لكم ام الذي يرزقكم وينصركم صفة لجند فصل قال
ابن عباس جند لكم اي حزب ومنعة لكم ينصركم من دون الرحمن فيدفع
عنكم ما اراد بكم ان عصيتموه ولفظ الجند يوحد ولهذا قال هذا الذي هو
جند لكم وهو استفهام انكار اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون
الرحمن اي من سوى الرحمن ان الكافرون الا في غرور من الشيطان يغرهم بان لا
عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان
ويعاندون الرسول عليه الصلاة والسلام معتمدين على شيئين احدهما قوتهم
بما لهم وعددهم والثاني اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات
وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله عليهم الاول بقوله امن هذا الذي
هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن الآية ورد عليهم الثاني بقوله امن هذا
الذي يرزقكم الآية قوله ان امسك رزقه شرط جوابه محذوف للدلالة
عليه اي فمن يرزقكم غيره وقدر الزمخشري شرطا بعد قوله امن هذا الذي هو
جند لكم تقديره ان ارسل عليكم عذابه ولا حاجة له صناعة
فصل

المعنى أمّن هذا الذي يرزقكم أي يعطيكم منافع الدنيا وقيل المطر من
الله تعالى إن أمسك يعني الله تعالى رزقه وهذا مما لا ينكره ذو عقل وهو
انه تعالى إن أمسك أسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرهما لما وجد
رازق سواه فعند وضوح هذا الأمر قال تعالى بل لجّوا أي تمادوا و
أصرّوا في عتوّ وطغيان ونفور عن الحق أو تباعد وإعراض عن الحق **قوله**
أفمن يمشي مكبّا على وجهه أهدى مكبّا حال من فاعل يمشي قال الواحدي
أكبّ مطاوع كبّه يقال كببته فأكبّ قال الزمخشري هو من الغرائب الشواذ
ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع ولا شيء من بناء أفعل مطاوع بل
قولك أكبّ من باب أنفض وألأم ومعناه دخل في الكبّ وصار ذا كبّ
وكذلك أقشع قال أبو حيان ومكبّا حال من أكبّ وهو لازم
وكبّ متعدٍّ قال تعالى فكبّت وجوههم في النار والهمزة فيه للدخول
في الشيء أو للصيرورة ومطاوع كبّ انكبّ يقول كببته فانكبّ قال
الزمخشري ولا شيء من بناء أفعل إلى جملة كتاب سيبويه انتهى وهذا
الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه وكم من نصٍّ في كتاب سيبويه
عمي بصره وبصيرته عنه حتى إن الإمام أبا الحجاج يوسف بن معزوز
صنّف كتابا يذكر فيه ما غلط الزمخشري فيه وما جهله من كتاب
سيبويه انتهى قال شهاب الدين انظر إلى هذا الرجل كيف أخذ كلام
الزمخشري الذي أسلفته عنه طرّزه بعبارته حرفا بحرف ثم أخذ يحمل
عليه بإساءة الأدب جزاء ما لقّنه تلك الكلمات الرائقة وجعل
يقول إن مطاوع كبّ انكبّ لا أكبّ وإن الهمزة للصيرورة أو للدخول
في الشيء وبالله لو لم يلقّنه هذه غير ملفّق إياها لما قالها أبدا ثم أخذ يذكر
عن إنسان مع أبي القاسم كالسها مع الشمس أنه غلطه في نصوص من كلام
سيبويه والله أعلم بصحتهما

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم

وعلى تقدير التسليم فالفاضل من عدّت سقطاته قال المهدوي
يقال أكبّ الرجل على وجهه فيما لا يتعدى بالألف فإذا تعدّى قيل
كبّه الله لوجهه بغير ألف. وقوله أفمن يمشي هو المعادل لأمّن يمشي
مكبّا. وقال أبو البقاء وأهدى خبر من يمشي وخبر من الثانية محذوف
يعني أن الأصل أمّن يمشي سويا أهدى ولا حاجة إلى ذلك لأن قولك
أزيد قائم أم عمرو لا يحتاج فيه من حيث الصناعة إلى حذف الخبر
بل تقول هو معطوف على زيد عطف المفردات ووحّد الخبر لأن أم لأحد
الشيئين **فصل** قال المفسرون أفمن يمشي مكبّا منكسا رأسه لا ينظر
أمامه ولا يمينه ولا شماله فهو لا يأمن العثور والانكباب على وجهه كمن
يمشي سويا معتدلا ناظرا ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله. قال
ابن عباس هذا في الدنيا ويجوز أن يريد به الأعمى الذي لا يهتدي إلى
طريق فلا يزال ينكبّ على وجهه وأنه ليس كالرجل السويّ الصحيح البصير
الماشي في الطريق المهتدي له. قال قتادة هو الكافر أكبّ على معاصي الله
في الدنيا يحشره الله يوم القيامة على وجهه. وقال ابن عباس والكلبي
عنى بالذي يمشي على وجهه أبا جهل وبالذي يمشي سويا رسول الله صلى الله
عليه وسلم. وقيل أبو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر. قال عكرمة
وقيل هو عام في الكافر والمؤمن أي أن الكافر لا يدري أعلى حق هو أم على
باطل أي هذا الكافر أهدى أم المسلم الذي يمشي سويا معتدلا يبصر الطريق
وهو على صراط مستقيم وهو الإسلام **قوله** قل هو الذي أنشأكم

أمر نبيه



أمر نبيه أن يعرّفهم قبح شركهم مع اعترافهم أن الله خلقهم وجعل
لهم السمع والأبصار والأفئدة يعني القلوب **قوله** قليلا
نعت مصدر محذوف أو حال من ضمير المصدر كما هو رأي سيبويه
وما مزيدة أي تشكرون قليلا. والجملة من تشكرون إما مستأنفة
وهو الظاهر وإما حال مقدرة لأنهم حال الجعل غير شاكرين. والمراد
بالقلة العدم أو حقيقتها أي لا تشكرون هذه النعم ولا توحدون
الله تعالى تقول قلّما أفعل كذا أي لا أفعله. قال ابن الخطيب وذكر
السمع والبصر والفؤاد هاهنا تنبيها على دقيقة لطيفة كأنه تعالى قال
أعطيتكم هذه الأعضاء الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة فضيّعتموها
ولم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ولا تأملتم في
عاقبة ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم وأفسدتم هذه
المواهب فلهذا قال قليلا ما تشكرون **قوله** قل هو الذي
ذرأكم في الأرض. قال ابن الخطيب اعلم أنه تعالى استدل بأحوال
الحيوان أولا ثم بصفات الإنسان ثانيا وهي السمع والبصر والعقل
ثم بحدوث ذاته ثالثا وهو قوله قل هو الذي ذرأكم واعلم أن الغرض
من هذه الدلائل إنما كان لبيان صحة الحشر ليثبت ما ادّعاه من
الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولهذا ختم الآية بقوله
وإليه تحشرون لأنه القدرة على الخلق ابتداء
القدرة على فلهذا ختمها بقوله وإليه تحشرون
فصل قال ابن عباس خلقكم في الأرض. وقال ابن بحر نشركم فيها وفرّقكم فيها
على ظهرها وإليه تحشرون فيجازي كلا بعمله. ويقولون متى هذا الوعد
إن كنتم صادقين أي متى يوم القيامة ومتى هذا العذاب الذي تعدنا
به. قال أبو مسلم إنه تعالى قال ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم
صادقين بلفظ المستقبل وهذا يحتمل ما يوجد من الكفار من هذا
القول في المستقبل ويحتمل الماضي والتقدير وكانوا يقولون متى هذا
الوعد ولعلهم كانوا يقولون ذلك سخرية واستهزاء وكانوا يقولونه
إيهاما للضعفة ثم إنه تعالى أجاب عن هذا السؤال فقال قل
إنما العلم عند الله أي قل لهم يا محمد علم وقت قيام الساعة عند الله
فلا يعلمه غيره نظيره قل إنما علمها عند ربي الآية وإنما أنا نذير مبين
أخوّفكم وأعلمكم ثم إنه تعالى بيّن حالهم عند ذلك الوعد وهو
قوله فلما رأوه زلفة رأوه أي الموعود أو العذاب زلفة أي قريبا
فهو حال. وقال القرطبي مصدر بمعنى مزدلفا أي قريبا قاله مجاهد
ولا بد من حذف مضاف أي ذا زلفة وجعل نفس الزلفة مبالغة وقيل
زلفة تقديره مكانا ذا زلفة فينتصب انتصاب المصدر **فصل**
قال الحسن عيانا وأكثر المفسرين على أن المراد عذاب الآخرة وقال
مجاهد عذاب يوم بدر وقيل رأوا ما يوعدون من الحشر قريبا منهم
لقوله وإليه تحشرون وقال ابن عباس يعني علمهم الشيء قريبا **قوله**
سيئت الأصل ساء أي أحزنت وجوههم العذاب ورؤيته ثم بني للمفعول
وساءها ليست المرادفة لبئس كما تقدم مرارا وأشمّ كسرة السين
الضم نافع وابن عامر والكسائي كما فعلوا ذلك في سيء بهم في هود كما تقدم
والباقون بإخلاص الكسر وتقدم تحقيق هذا وتصريفه في أول البقرة وأن
فيه لغات عند قوله وإذا قيل لهم **فصل** قال ابن عباس سيئت
أي اسودّت وعليها الكآبة والغبرة يقال ساء الشيء يسوء فهو سيّئ

اذا قبح وساء يسوء اذا قبح وهو فعل لازم ومتعدى فمعنى سيئت وجوههم
اي قبحت بان علاها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا • قال
الزجاج تبين فيها السوء اي ساءهم ذلك العذاب وظهر على وجوههم
سمة تدل على كفرهم كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
قوله وقيل هذا الذي كنتم به تدعون اي قال لهم الخزنة قال
الفرا تفتعلون من الدعا وهو قول اكثر العلما اي تتمنون وتسالون
وقال ابن عباس تكذبون وتاويله هذا الذي كنتم من اجله تدعون
الاباطيل والاحاديث قاله الزجاج • وقرا العامة بتشديد الدال مفتوحة
تفتعلون من الدعوى اي تدعون انه لا جنة ولا نار قاله الحسن • وقيل من
الدعا اي تطلبونه وتستعجلونه • وقرا الحسن وقتادة وابو رجا
والضحاك ويعقوب وابو زيد وابو بكر وابن ابي عبلة ونافع في
رواية الاصمعي بسكون الدال وهي مؤيدة للقول بانها من الدعا
في قراءة العامة • وقال قتادة هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا • وقال
الضحاك هو قولهم ان كان هذا الحق من عندك الاية • وقال النحاس
يدعون ويدعون بمعنى واحد كما يقال قدر واقتدر وعدى واعتدى
الا ان في افتعل معنى شي بعد شي وفعل يقع للقليل والكثير قوله
قل ارايتم ان اهلكني الله اي قل لهم يا محمد يعني مشركي مكة وكانوا
يتمنون موت محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون ارايتم ان متنا او رحمنا فاخرت اجالنا يعني انا ومن
معي من المومنين من يجيركم من عذاب الله فلا حاجة لكم الى التربص بنا
ولا الى استعجال الساعة • واسكن اليا في اهلكني ابن محيصن والمسيبي
وشيبة والاعمش وحمزة وفتحها الباقون وكلهم فتح اليا في ومن
معي الا اهل الكوفة فانهم سكنوها وفتحها حفص كالجماعة قوله
قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا قدم تقدم لم اخر متعلق الايمان
وقدم متعلق التوكل وان التقديم يفيد الاختصاص • قال القرطبي
انما اخرهم لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقب ذكرهم كانه
قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل
على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قاله الزمخشري • وقرا
الكسائي فسيعلمون بيا الغيبة نظرا الى قوله الكافرين والباقون
على الخطاب اما على الوعيد واما على الالتفات من الغيبة المرادة
في قراءة الكسائي وهو تهديد لهم اي فستعلمون عند معاينتكم
العذاب من هو في ضلال نحن ام انتم قوله قل ارايتم يا معشر قريش
ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الدلا
وغورا خبر اصبح • وجوز ابو البقا ان يكون حالا على تمام اصبح لكنه
استبعده وحكى انه قرئ غؤورا بضم الغين وهمزة مضمومة
ثم واو ساكنة على فعول وجعل الهمزة منقلبة عن واو مضمومة
فصل كان ماؤهم من بيرين بير زمزم وبير ميمون فمن
ياتيكم بماء معين اي جار قاله قتادة والضحاك فلا بد لهم ان
يقولوا لا ياتينا به الا الله تعالى فقل لهم فلم تشركون به من لا يقدر
على ان ياتيكم به يقال غار الماء يغور غورا اي نضب والغور الغائر
وصف بالمصدر للمبالغة كما تقول رجل عدل ورضى وقد مضى في
سورة الكهف • قال ابن عباس بماء معين اي ظاهر تراه العيون
فهو مفعول وقيل هو من معن الماء اي كثر فهو على هذا فعيل • وعن

ابن

ابن عباس ايضا ان المعنى فمن ياتيكم بماء عذب • روى ابو هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب الله ما هي
الا ثلاثون اية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيمة من النار وادخلته
الجنة هي سورة تبارك • وعن عبد الله بن مسعود قال اذا وضع الميت
في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان
يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل راسه فيقول لسانه ليس
لكم عليه سبيل كان يقرا في سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب
الله وهي في التوراة سورة الملك من قراها في ليلة فقد اكثر واطنب
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت
ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مومن تم

سورة ن مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر • وقال ابن عباس وقتادة اولها
الى قوله سنسمه على الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون
مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني وما قبلها مكي
قاله الماوردي وهي اثنتان وخمسون اية وثلاثمائة كلمة والف
ومائتان وستة وخمسون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم قوله
ن كقوله صاد والقران وجواب القسم الجملة المنفية بعدها قال
ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل
والسدي والكلبي • وروى ابو ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق
الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيمة ثم خلق النون فبسط
الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان
الجبال لتفخر على الارض ثم قرا ابن عباس ن والقلم وما يسطرون • قال
الواقدي اسم النون ليوثا • وقال كعب الاحبار لوثيا • وعن علي اسمه
بهموت • وقيل انه اقسم بالحوت الذي ابتلع يونس عليه الصلوة والسلام
وقيل الحوت الذي لطخ سهم نمرود بدمه • وقال الكلبي ومقاتل
اسم الحوت الذي على ظهره الارض البهموت • قال الراجز

مالي اراكم كلكم سكوتا ۞ والله ربي خالق البهموتا

وروى عكرمة عن ابن عباس ان نون اخر حروف الرحمن • وقيل انه اسم
للدواة وهو ايضا مروي عن ابن عباس قاله القرطبي وروى ابو هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق
الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله تعالى ن والقلم
ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم ۞ القت النون بالدمع السجام

ويكون على هذا اقسم بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب
الكتابة فان التفاهم يحصل تارة بالنطق وتارة بالكتابة • وقيل
النون لوح من نور يكتب فيه الملائكة ما يومرون به رواه معاوية
بن قرة مرفوعا • وقيل النون هو المداد الذي يكتب الملائكة
وقال عطا وابو العالية هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر
وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى بنصرة المومنين • وقال جعفر الصادق
هو نهر من انهار الجنة يقال له نون • وقيل هو الحرف المعروف من حروف
المعجم قاله القشيري قال لانه نون حرف لم يعرب فلو كان كلمة تامة
لاعرب كما اعرب القلم فهو اذن حرف هجا كما في اوائل السور • وقال الزمخشري

واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي او شرعي ولا يخلو اذا
كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين
وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام
لانك اذا جعلته مقسما به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون
القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه
وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من
النينان او يجعل علما للبهموت الذي زعموا والتفسير باللوح من نور او
ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك • قال شهاب الدين وهذا الذي اورده ابو
القاسم من محاسن علم الاعراب وقل من يتقنه • وقال ابن الخطيب بعد
ذكر القول بانه نون اخر اسم الرحمن وهذا ضعيف لان تجويزه يفتح باب
ترهات الباطنية بل الحق هنا انه اسم للسورة او يكون الغرض منه
التحدي او ساير الوجوه المذكورة في اول سورة البقرة •
فصل قرا العامة ن ساكن النون لفظا بيره وادغم ابن عامر والكساي وابو
بكر عن عاصم بلا خلاف وورش بخلاف عنه النون في الواو واظهرها
الباقون قال الفرا واظهارها اعجب الي لانها هجا والهجا كالموقوف عليه
وان اتصل • ونقل عن مراد ادغم الغنة وعدمها • وقرا ابن عباس والحسن
وابو السمال وابن ابي اسحاق بكسر النون وسعيد بن جبير وعيسى
بخلاف عنه بفتحها فالاول على التقا الساكنين ولا يجوز ان يكون مجرورا
على القسم حذف حرف الجر وبقي عمله كقولهم الله لافعلن لوجهين احدهما
انه مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما عداها • والثاني انه كان ينبغي
ان ينون ولا يحسن ان يقال هو ممنوع الصرف اعتبارا بتانيث السورة
لانه كان ينبغي ان لا يظهر فيه الجر بالكسر البتة • واما الفتح فيحتمل ثلاثة اوجه
احدها ان يكون بنا واوثر على الاصل للخفة كاين وكيف • الثاني ان يكون
مجرورا بحرف القسم المقدر على لغة ضعيفة وقد تقدم ذلك في قراءة فالحق
والحق بجر الحق ومنعت الصرف اعتبارا بالسورة • والثالث ان يكون
منصوبا بفعل محذوف اي اقروا نونا ثم ابتدا قسما بقوله والقلم
او يكون منصوبا بعد حذف حرف القسم كقوله • فذاك امانة الله الثريد •
ومنع الصرف لما تقدم وهذا احسن لعطف القلم على محله قوله
وما يسطرون ما موصولة اسمية او حرفية اي والذي يسطرونه
من الكتب وهم الكتاب والحفظة من الملايكة وسطرهم والضمير عايد
على من يسطر لدلالة السياق عليه ولذكر الالة المكتتب بها • وقال
الزمخشري يجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون
لهم يعني فيصير كقوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه تقديره او كذي ظلمات
فالضمير في يغشاه يعود على ذي المحذوف فصل في القلم المقسم به
قولان • احدهما ان المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السما والارض
قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولانه
ينتفع به كما ينتفع بالنطق كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فالقلم
يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغايب والحاضر • والثاني
انه القلم الذي جا في الخبر عن ابن عباس اول ما خلق الله القلم ثم قال له
اكتب قال وما اكتب قال ما كان وما هو كاين الى يوم القيمة من عمل او اجل
او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كاين الى يوم القيمة قال ثم ختم فم القلم فلم
ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السما والارض
وروى مجاهد قال اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فكتب
كاين

كاين الى يوم القيمة • وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه • قال القاضي
هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم الة مخصوصة للكتابة ولا
يجوز ان يكون حيا عاقلا فيؤمر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا
مكلفا وبين كونه الة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى اجراه بكل
ما يكون وهو قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه
ليس هناك امر ولا تكليف وهو مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير
منازعة ولا مدافعة • وقيل القلم المذكور هنا هو العقل وانه شيء هو
كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه انه روي في الاخبار ان اول
ما خلق الله القلم • وفي خبر اخر اول ما خلق الله العقل فقال الجبار
ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت
ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته • وفي خبر اخر
اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وسخنت
فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد
الارض قالوا فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك
الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شي واحد والا حصل التناقض •
فصل قوله وما يسطرون اي وما يكتبون يريدون الملايكة
يكتبون اعمال بني ادم قاله ابن عباس وقيل وما يكتبون الناس
ويتفاهمون به • وقال ابن عباس معنى وما يسطرون وما يعلمون
قال ابن الخطيب وما يسطرون مع ما بعدها في تقدير المصدر فيحتمل
ان يكون المراد وسطرهم فيكون القسم واقعا بنفس الكتابة ويحتمل
ان يكون المراد به المسطور والمكتوب فان حمل القلم على كل قلم في
مخلوقات الله تعالى فكانه تعالى اقسم بكل قلم وبكل ما يكتب بكل قلم
وقيل المراد بيسطرون الحفظة والكرام ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه
فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم وسطرهم والمسطور
وان حمل على القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون اي
وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ولفظ الجمع في قوله يسطرون ليس
المراد منه الجمع بل التعظيم ويكون المراد تلك الاشيا التي سطرت فيه
من جميع الامور الكاينة الى يوم القيمة • قوله ما انت بنعمة ربك
بمجنون قد تقدم الكلام على نظيره في الطور في قوله فما انت بنعمة ربك
بكاهن الا ان الزمخشري قال هنا فان قلت بم تتعلق الباء بنعمة ربك
وما محله قلت تتعلق بمجنون منفيا كما تتعلق بعاقل مثبتا كقولك
انت بنعمة ربك عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواهما في قولك
ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل منفيا ومثبتا اعمالا
واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت مجنونا منعما عليك
بذلك ولم يمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زايدة لتاكيد النفي
قال ابو حيان وما ذهب اليه الزمخشري من ان البا تتعلق بمجنون
وانه في موضع الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط النفي على المحكوم به
وذلك له معمول ففي ذلك طريقان • احدهما ان النفي يتسلط على ذلك
المعمول فقط • والاخر ان يتسلط النفي على المحكوم به فينتفي معموله لانتفايه
بيان ذلك ان تقول ما زيد قايم مسرعا فالمتبادر الى الذهن
انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير مسرع • والوجه الاخر
انه انتفى قيامه فانتفى اسراعه اي لا قيام فلا اسراع وهذا الذي قررناه

لاينافي معه قول الزمخشري بل يودي الى ما لا يجوز النطق به في حق المعصوم
انتهى• واختار ابو حيان ان يكون بنعمة قسما معترضا به بين المحكوم
عليه والحكم على سبيل التاكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف
الذميم• وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض كما تقول للانسان
انت بحمد الله فاضل قال ولم يبين ما تتعلق به الباء في بنعمة
قال شهاب الدين والذي تتعلق به الباء في هذا النحو معنى مضمون
الجملة نفيا واثباتا كانه قيل انتفى عنك ذلك بحمد الله والباء سببية
وثبت لك الفضل بحمد الله تعالى• واما المثال الذي ذكره فالباء تتعلق
فيه بلفظ فاضل وقد نحا صاحب المنتخب الى هذا فقال المعنى انتفى
عنك الجنون بنعمة ربك وقيل معناه ما انت مجنون والنعمة لربك
كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لله وقول لبيد•
وافردت في الدنيا بفقد عشيرتي• وفارقني جار باربد نافع
اي وهو اربد وهذا ليس بتفسير اعراب بل تفسير معنى **قوله تعالى**
ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم وهو نفي• قال الزجاج
انت هو اسم ما ومجنون الخبر وقوله بنعمة ربك كلام وقع في الوسط
اي انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال انت بحمد الله عاقل• وروي
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حرا وطلبته
فلم تجده فاذا به ووجهه متغير اشتد اغبرارا فقالت ما لك فذكر جبريل
عليه السلام وانه قال له اقرا باسم ربك فهو اول ما نزل من القران
قال ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه
ركعتين وقال هكذا الصلوة يا محمد فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف
دين قومه ودخل في النصرانية فسالته فقال ارسلي الي محمدا فارسلته
فقال هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت
الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول صلى الله
عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة في السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون
فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس ايات من اول هذه السورة
قال ابن عباس اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الاية
هي الثانية نقله ابن الخطيب• وذكر القرطبي ان المشركين كانوا يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذي
نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم
ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اي برحمة ربك والنعمة هنا
الرحمة• وقال عطا وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالايمان
والنبوة قال القرطبي ويحتمل ان النعمة هنا قسم تقديره ما انت
ونعمة ربك بمجنون لان الواو والباء من حروف القسم وقد تقدم
فصل قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى وصفه هنا بصفات
ثلاثة الاول نفي الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون
كالدلالة القاطعة على صحتها لان قوله بنعمة ربك يدل على ان نعم الله
تعالى ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية
والبراة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم
ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فالله تعالى نبه على ان هذه الدلائل
جارية مجرى الدلالة اليقينية على كذبهم في قولهم مجنون الصفة الثانية
قوله وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا على ما تحملت عن ...
ولا

ولا مقطوع منه فيقال منّ الشيء اذا ضعف ويقال مننت الحبل اذا
قطعته وحبل منين اذا كان غير متين• قال لبيد عبسا كواسب ما يمن طعامها
اي لا ينقطع يصف كلابا ضاربة• ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ وقال
مجاهد ومقاتل والكلبي غير ممنون اي غير محسوب عليك• قالت
المعتزلة لانك تستوجبه على عملك وجوابهم ان حملهم على هذا يقتضي
التكرار لان قوله اجرا يفيده• وقال الحسن غير مكدر بالمن• وقال
الضحاك اجرا بغير عمل واختلفوا في هذا الاجر على اي شيء حصل فقيل
معناه ان لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح اجرا عظيما
دايما وقيل ان لك في اظهار النبوة والمعجزات وفي دعاء الخلق الى الله
تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدايم فلا يمنعك نسبتهم
اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه
المنزلة العالية الصفة الثالثة قوله وانك لعلى خلق عظيم قال
ابن عباس ومجاهد على خلق على دين عظيم من الاديان ليس دين احب
الى الله ولا ارضى عنده منه• وروى مسلم عن عايشة ان خلقه كان
القران• وقال علي رضي الله عنه هو ادب القران• وقيل رفقه بامته
واكرامه اياهم• وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهي
عنه مما نهى الله عنه وقيل انك لعلى طبع كريم• وقال الماوردي
حقيقة الخلق في اللغة ما ياخذ به الانسان في نفسه من الادب
يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب فهو
الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي• قال القرطبي
ما ذكره مسلم في صحيحه عن عايشة اصح الاقوال• وسئلت ايضا عن خلقه
عليه الصلوة والسلام فقرات قد افلح المومنون الى عشر ايات قال
ابن الخطيب وهذا اشارة الى ان نفسه القدسية كانت بالطبع
منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق بها وكانت شديدة النفرة
من اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة
وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك
قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان للنبي
الحظ الاوفر• وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه
بدليل قوله عليه الصلوة والسلام ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق•
فصل قال ابن الخطيب قوله وانك لعلى خلق عظيم كالتفسير
لما تقدم من قوله تعالى بنعمة ربك وتعريف لمن رماه بالجنون بان ذلك
كذب وخطا لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة
منه واذا كان موصوفا بتلك الاخلاق والافعال لم يجز اضافة الجنون
اليه لان اخلاق المجانين سيئة• ولما كانت اخلاقه الحميدة صلى الله عليه
وسلم كاملة لا جرم وصفها الله بانها عظيمة ولهذا قال قل ما اسالكم عليه
من اجر وما انا من المتكلفين اي لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقي
لان المتكلف لا يدوم امره طويلا بل يرجع الى الطبع• وقيل انما وصف
خلقه بانه عظيم لانه تعالى قال اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده فهذا الهدى الذي امر الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالاقتدا به
ليس هو معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لايق بالرسول
صلى الله عليه وسلم وليس هو الشرايع لان شريعته كثيرة فتعين
ان يكون المراد منه امره صلى الله عليه وسلم بان يقتدي كل واحد

من الانبيا فيما اختص به من الخلق الكريم وكان كل واحد منهم مختصا
بنوع واحد فلما امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بالكل فكانه
امر بجميع ما كان متفرقا فيهم ولما كان ذلك درجة عالية لم يتيسر
لاحد من الانبيا قبله لاجرم وصف الله خلقه بانه عظيم وكلمة على
للاستعلا فدل اللفظ على انه مستعل على هذه الاخلاق ومستولي
عليها وانه بالنسبة الى هذه الاخلاق الحميدة كالمولى بالنسبة
الى العبد وكالامر بالنسبة الى المامور وقد وردت احاديث كثيرة
صحيحة في مدح الخلق الحسن وذم الخلق السي **قوله** فستبصر
ويبصرون قال ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيمة
وقيل فسترى ويرون يوم القيمة حين يتبين الحق والباطل وقيل
فستبصر ويبصرون في الدنيا كيف يكون عاقبة امرك وامرهم
فانك تصير معظما في القلوب ويصيرون ذليلين ملعونين ويستولى
عليهم بالقتل والنهب قال مقاتل بن حيان هذا وعيد العذاب
ببدر **قوله** بايكم المفتون فيه اربعة اوجه احدها ان
البا مزيدة في المبتدا والتقدير ايكم المفتون فزيدت كزيادتها
في نحو حسبك زيد والى هذا ذهب قتادة وابو عبيدة معمر بن المثنى
الا انه ضعيف من حيث ان البا لا تزاد في المبتدا الا في حسبك فقط
الثاني ان البا بمعنى في فهي ظرفية كقولك زيد بالبصرة اي فيها
والمعنى في اي فرقة وطائفة منكم المفتون اي المجنون افي فرقة الاسلام
ام في فرقة الكفار واليه ذهب مجاهد والفرا ويؤيده قراة ابن ابي عبلة
في ايكم والثالث انه على حذف مضاف اي بايكم فتن المفتون
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب الاخفش
وتكون البا سببية والرابع ان المفتون مصدر جا على مفعول
كالمعقول والميسور والتقدير بايكم الفتون فعلى القول الاول
يكون الكلام تاما عند قوله ويبصرون ويبتدا بقوله بايكم المفتون
وعلى الاوجه بعده تكون البا متعلقة بما قبلها ولا يوقف على يبصرون
وعلى الاوجه الاول الثلاثة يكون المفتون اسم مفعول على اصله وعلى
الوجه الرابع يكون مصدرا وينبغي ان يقال ان الكلام انما يتم على
قوله المفتون سوا قيل بان البا مزيدة ام لا لان قوله فستبصر ويبصرون
متعلق بالاستفهام بعده لانه فعل بمعنى الرؤية والرؤية البصرية
تعلق على الصحيح بدليل قولهم اما ترى اي برق ههنا فكذلك الابصار
لانه هو الرؤية بالعين فعلى القول بزيادة البا تكون الجملة الاستفهامية
في محل نصب لانها واقعة موقع مفعول الابصار **فصل** قال القرطبي
فستبصر ويبصرون بايكم المفتون الذي فتن بالجنون كقوله تعالى تنبت
بالدهن ويشرب بها عباد الله وهو قول قتادة وابي عبيدة كما تقدم
وقيل البا ليست بزائدة والمعنى بايكم المفتون اي الفتنة وهو مصدر
على وزن المفعول ويكون المعنى الفتون كقولهم ما لفلان مجلود ولا
معقول اي عقل ولا جلادة قاله الحسن والضحاك وابن عباس قال الراعي
حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا اي عقلا
والمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب
من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا احميته قال تعالى يوم هم على النار
يفتنون اي يعذبون وقيل المفتون الشيطان لانه مفتون في دينه
وكانوا يقولون ان به شيطانا وعنوا بالمجنون هذا فقال الله تعالى

سيعلمون

سيعلمون غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط
العقل **قوله** ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي ان الله هو
العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين اي الذين هم على الهدى فيجازي
كلا غدا **قوله** فلا تطع المكذبين نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا
يدعونه الى ان يكف عنهم ليكفوا عنه فبين الله تعالى ان ممايلتهم كفر
وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقيل
فلا تطع المكذبين فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث نزلت في مشركي
قريش حين دعوه الى دين ابايه **قوله** ودوا لو تدهن فيدهنون
المشهور في قراة الناس ومصاحفهم بثبوت نون الرفع وفيه وجهان
احدهما انه عطف على تدهن فيكون داخلا في حيز لو والثاني انه خبر
مبتدا مضمر اي فهم يدهنون وقال الزمخشري فان قلت لم رفع فيدهنون
ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق هنون
اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن
بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك
قال سيبويه وزعم هارون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا
انتهى وفي نصبه على ما وجد في بعض المصاحف احدهما انه عطف على التوهم
كانه توهم ان نطق بان فنصب الفعل على هذا التوهم وهذا انما يجي على
القول بمصدرية لو وفيه خلاف تقدم تحقيقه في البقرة والثاني انه
نصب على جواب التمني المفهوم من ودوا والظاهر ان لو هنا حرف
لما كان سيقع لوقوع غيره وان جوابها محذوف تقديره ودوا ادهانك
لدلالة لو وما بعدها عليه ومفعول الودادة ايضا محذوف تقديره
ودوا ادهانك فحذف ادهانك لدلالة لو وما بعدها عليه وتقدير
الجواب لسروا بذلك **فصل** قال ابن عباس وعطية والضحاك
والسدي ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس ايضا ودوا
لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال الفرا والكلبي لو تلين فيلينون لك
والادهان التليين لمن لا ينبغي له التليين قاله الفرا والليث وقال
مجاهد ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمالئونك وقال الربيع بن
انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة ودوا لو تذهب عن
هذا الامر فيذهبون معك وقال الحسن ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك
في دينهم وعنه ايضا ودوا لو ترفض بعض امرك فيرفضوا بعض امرهم
وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤن وقيل
ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر وقال القتبي ودوا لو
تداهن في دينك فيداهنون في اديانهم وعنه طلبوا منه ان يعبد
الهتهم مدة ويعبدوا الهه مدة وهذان القولان الاخيران هما
القولان المتقدمان في معنى لو تكفر ومعنى لو تصانعهم وقال ابن العربي
ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى امثلها
ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون وقال القرطبي كلها
ان شا الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى فان الادهان اللين
والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته وقيل المقاربة في الكلام
والتليين في القول وقال المفضل النفاق وترك المناصحة فهي على هذا
الوجه مذمومة وعلى الوجه الاول غير مذمومة وكل شي منها لم يكن قال
المبرد يقال ادهن في دينه وداهن في امره اي خان فيه واظهر خلاف

ما يضمر وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قاله الجوهري وقوله فيدهنون ساقه على العطف ولو جابه جواب النهي لقال فيدهنوا وانما اراد انهم تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء عليه ولا مكافاة وانما هو تمثيل وتنظير قوله ولا تطع كل حلاف مهين قال السدي والشعبي وابن اسحاق يعني الاخنس ابن شريق وقال مجاهد يعني الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن ابن الاسود وقال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف انه يعطيه ان رجع عن دينه وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين تقدم في الزخرف قال مجاهد هو الضعيف القلب وقال ابن عباس هو الكذاب والكذاب مهين وقال الحسن وقتادة هو المكثار في الشر وقال الكلبي المهين الفاجر وقال عبد الله هو الحقير وقال ابن بحر هو الذليل وقال الرماني هو الوضيع لاكثاره من القبيح وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة وهي هنا القلة في الراي والتمييز او هو فعيل بمعنى مفعل والمعنى مهان قوله هماز الهماز مثال مبالغة من الهمز وهو في اللغة الضرب طعنا باليد والعصا ونحوها واستعير للمغتاب الذي يعيب على الناس كانه يضربهم باذايته قال ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم وقال مقاتل بالعكس وقال مرة هما سواء ونحوه عن ابن عباس وقتادة قال الشاعر

تدلي بود اذا لاقيتني كذبا ✿ وان اغيب فانت الهامز اللمز

والنميم قيل هو مصدر كالنميمة وقيل هو اي اسم جنس كتمر وتمرة وهو نقل الكلام الذي يسوء سامعه ويحرش بين الناس وقال الزمخشري والنميم والنميمة السعاية وانشد لبعض العرب

بشيتي تنشث النميمة ✿ تمشي بها زهرا الى تميمة

والمشاء مثال مبالغة من المشي اي يكثر السعاية بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم نما ونميما ونميمة اي يمشي ويسعى بالفساد وقال عليه الصلوة والسلام لا يدخل الجنة نمام والعتل الذي يعتل الناس اي يحملهم ويجرهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه وقيل العتل الشديد الخصومة وقال ابو عبيدة هو الفاحش اللئيم وانشد

بعتل من الرجال زنيم ✿ غير ذي نجدة وغير كريم

وقيل الغليظ الجافي يقال عتلته وعتنته باللام والنون نقله يعقوب وقيل العتل الجافي الشديد في كفره وقال الكلبي والفرا هو الشديد الخصومة بالباطل قال الجوهري ويقال عتلت الرجل اعتله واعتله اذا جذبته جذبا ورجل معتل بالكسر والعتل ايضا الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر ويقال لا انعتل معك اي لا ابرح مكاني وقال عبيد بن عمير العتل الاكول والشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة يدفع الملك من اولئك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا والزنيم الذي ينتسب الى قوم ليس منهم قال حسان رضي الله عنه

زنيم تداعاه الرجال زيادة ✿ كما زيد في عرض الاديم الاكارع

وقال ايضا

وانت

وانت زنيم نيط في آل هاشم ✿ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

واصله من الزنمة وهي ما بقي من جلد الماعز معلقها في حلقها يترك عند القطع فاستعير للدعي لانه كالمعلق بما ليس منه فصل تقدم القول في الحلاف المهين عن الشعبي والسدي وابن اسحاق انه الاخنس بن شريق وعلى قول غيرهم انه الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن بن الاسود او الوليد بن المغيرة او ابو جهل بن هشام وتقدم تفسيرا لهما ز والمشا بنميم واما قوله مناع للخير اي للمال ان ينفق في وجوهه وقال ابن عباس يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته قيل كان للوليد بن المغيرة عشرة من الولد وكان يقول لهم ولاقاربه من تبع منكم محمدا امنعه رفدي وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا انفعه بشيء ابدا وقوله معتد اي على الناس في الظلم متجاوز للحد صاحب باطل وقوله اثيم اي ذا اثم ومعناه ما يوم فهو فعيل بمعنى مفعول قال البغوي اثيم فاجر واما العتل فتقدم الكلام عليه في اللغة وقال عليه الصلوة والسلام الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية كل جواظ زنيم متكبر الجواظ الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وذكر الماوردي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم وقال صلى الله عليه وسلم الذي جمع ومنع والجعظري الفظ الغليظ المتكبر قال ابن الاثير وقيل هو الذي ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر قال القرطبي وقال عليه الصلوة والسلام الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس وعن زيد بن اسلم في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكي السماء من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وقوله بعد ذلك اي مع ذلك الذي وصفناه به زنيم وتقدم معنى الزنيم وعن ابن عباس انه رجل من قريش كانت له زنمة كزنمة الشاة وروى عنه ابن جبير انه الذي يعرف بالشر لا تعرف الشاة بزنمتها وقال عكرمة هو الذي يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها وقيل هو الذي يعرف بالابنة وهو مروي عن ابن عباس وعنه انه الظلوم وقال مجاهد زنيم كان له ستة اصابع في يده في كل ابهام له اصبع زائد وعنه ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمة هو ولد الزنا الملحق بالنسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه ✿ بغي الام ذو حسب لئيم

قيل بغت امه ولم تعرف حتى نزلت الآية وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صور القردة والخنازير وقالت ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا اوشك ان يعمهم الله بعذاب وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال القرطبي ومعظم المفسرين على ان هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منى حيسا ثلاثة ايام وينادي الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يدخنن احد

بكراع الامر اراد الحسن فلبات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا ولا يكن ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع وقيل نزل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة . وقال محمد بن اسحاق نزلت في الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال في هذه الاية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة والحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة **فصل** قرا الحسن عتل بالرفع اي هو عتل وحقه ان يقرا ما بعده بالرفع ايضا لكنهم قالوا في القطع لانه يبدا بالاتباع ثم بالقطع من غير عكس وقوله بعد ذلك اي بعد ما وصفناه قال ابن عطية فهذا الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه . وقال الزمخشري بعد ذلك اي بعد ما عد له من المثالب والنقائص ثم جعل جفاه ودعوته اشد معايبه لانه اذا غلظ وجفا طبعه وقسا قلبه واجترا على كل معصية ونظيره قوله بعد ذلك زنيم ثم كان من الذين امنوا **قوله** ان كان ذا مال العامة على همزة ان ثم اختلفوا بعد فقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر واضاف القرطبي معهم ابو جعفر وابو حيوة والمغيرة والاعرج بالاستفهام وما في السبعة بالخبر والقارئون في الاستفهام اصولهم من تحقيق وتسهيل وادخال الف بين الهمزتين وعدمه الف بين الهمزتين وعدمه ولا بد من بيان ذلك فنقول قرا حمزة وابو بكر وذكر القرطبي معهم المفضل بتحقيق الهمزتين وعدم ادخال بينهما وهذا هو اصلهما وقرا ابن ذكوان بتسهيل الثانية وعدم الف وهشام بالتسهيل المذكور الا انه ادخل الفا بينهما فقد كل منهما اصله اما ابن ذكوان فانه يحقق الهمزتين فقد سهل الثانية هنا واما ابن هشام فان اصله ان يحرك في الثانية من هذا النحو وجهين التحقيق كرفيقه والتسهيل وقد التزم التسهيل هنا واما ادخال الالف فانه فيه على اصله كما تقدم اول البقرة . وقرا نافع في رواية الزهري عنه ان بكسر الهمزة على الشرط فاما قراءة ان كان بالفتح على الخبر ففيه اربعة اوجه . احدها انها ان المصدرية في موضع المفعول له مجرورة بلام مقدرة واللام متعلقة بفعل النهي اي ولا تطع من هذه صفاته لان كان متمولا وصاحب بنين . الثاني انها متعلقة بعتل وان كان قد وصف قاله الفارسي وهذا لا يجوز عند البصريين وكان الفارسي اعتبره في الجار . الثالث ان يتعلق بزنيم ولا سيما عند من يفسره بقبيح الافعال . الرابع ان يتعلق بمحذوف يدل عليه ما بعده من الجملة الشرطية تقديره لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب باياتنا قاله الزمخشري قال ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقال مكي وتبعه ابو البقاء لا يجوز ان يكون العامل تتلى لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف انتهى . وهذا يوهم ان المانع من ذلك ما ذكره فقط والمانع انما هو معنوي حتى لو تقدم هذا المانع الذي ذكره لامتنع من جهة المعنى وهو انه لا يصلح ان يعلل تلاوة ايات الله عليه بكونه ذا مال وبنين

فتح

واما

واما قراءة ان كان على الاستفهام ففيها وجهان . احدهما ان تتعلق بمقدر يدل عليه ما قبله اي اتطيعه لان كان او ايكون طواعيه لان كان . والثاني ان تتعلق بمقدر يدل عليه ما بعده اي لان كان كذا كذب وجحد واما قراءة ان بالكسر فعلى الشرط وجوابه مقدر تقديره ان كان كذا يكفر ويجحد دل عليه ما بعده . وقال الزمخشري والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط للمخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر او يخشى وجعله ابو حيان من دخول شرط على شرط يعني ان واذا الا انه قال ليسا من الشروط المترتبة الوقوع وجعل نظير قول ابن دريد

فان عثرت بعدها ان وألت ... نفسي من هاتا فقولا لا لعا

قال لان الحامل على تدبر ايات الله كونه ذا مال وبنين وهو مشغول القلب بذلك غافل عن النظر قد استولت عليه الدنيا وابطرته . وقرا الحسن بن [illegible] بالاستفهام وهو استفهام تقريع وتوبيخ على قوله حين تليت عليه ايات الله اساطير الاولين **فصل** قال القرطبي من قرا بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان على معنى الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين وعلى هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل في ان تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما موخرا في حالة واحدة . ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد . قال ابن الانباري ومن قرا بالاستفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان ذا مال كان فان متعلقة بما قبلها . وقال غيره يجوز ان يتعلق بقوله مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان تتعلق بعتل ومعنى اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم

قوله سنسمه اي نجعل له سمة اي علامة يعرف بها قال جرير

لما وضعت على الفرزدق ميسمي ... وعلى البعيث جدعت انف الاخطل

والخرطوم الانف وهو هنا عبارة عن الوجه كله من التعبير عن الكل بالجزء لانه اظهر ما فيه واعلاه . والخرطوم ايضا الخمر وكانه استعارة لها لان الشنفرى قال سمي الخمر خرطوما لانه اول ما يخرج من الدن فجعلت كالانف لما يبدو من الوجه فليست الخرطوم الخمر مطلقا ومن مجيء الخرطوم بمعنى الخمر قول علقمة بن عبدة

قد اشهد الشرب فيهم مزهر رنم ... والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

وانشد النضر بن شميل

تظل يومك في لهو وفي طرب ... وانت بالليل شراب الخراطيم

فصل قال ابن عباس سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات . وقال قتادة

سنسمه يوم القيامة على الانف سمة يعرف بها يقال وسمه وسما وسمة
اذا اثرت فيه سمة وكي قال الضحاك والكسائي سنكوي على وجهه
وقد قال الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة
وقال تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة
وافادت هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم على الانف بالنار وهذا
كقوله يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره وقال ابو العالية
ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه في الاخرة
فيعرف بسواد وجهه قال القرطبي والخرطوم الانف من الانسان ومن
السباع موضع الشفة وخراطيم القوم سادتهم قال الفرا وان كان
الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشي يعبر به
عن الكل وقال الطبري نبين امره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا
يخفى السمة على الخراطيم وقيل المعنى سنلحق به عارا وسبة حتى يكون
كمن وسم على انفه قال القتبي تقول العرب للرجل يسب سبة
سوء قبيحة باقية قد وسم ميسم سوء اي الصق به عار لا يفارقه
كما ان السمة لا يمحى اثرها وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا شك
ان المبالغة العظيمة في ذمه بقيت على وجه الدهر ولا نعلم ان الله تعالى
بلغ من ذكر عيوب احد ما بلغ منه فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة
كالوسم على الخرطوم وقيل ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه واهله
وماله من سوء وذل وصغار قاله ابن بحر وقال النضر بن شميل المعنى
سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم وانشد البيت
المتقدم قال ابن الخطيب وهذا تعسف قوله انا بلوناهم كما
بلونا اصحاب الجنة يريد اهل مكة والابتلا الاختبار والمعنى اعطيناهم
الاموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه
وسلم ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا اصحاب الجنة المعروف
خبرها عندهم وذلك انها كانت بارض اليمن بالقرب منهم على فرا
صنعا ويقال بفرسخين كانت لرجل يودي حق الله منها فلما مات
الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فاهلكها
حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها قال الكلبي كان بينهم وبين
صنعا فرسخان ابتلاهم الله بان احرق جنتهم وقيل جنة بصوران
فراسخ من صنعا وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه
السلام بيسير وقيل كانوا من بني اسرايل وقيل كانوا من
وكانوا بخلا وكانوا يجذون النخل ليلا من اجل المساكين فارادوا
زرعها وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فغدوا عليها فاذا هي
اقتلعت من اصلها فاصبحت كالصريم اي كالليل ويقال ايضا لكل
صريم فان كان اراد الليل فلاسوداد موضعها وكانهم وجدوا موضعها
حمما وان كان اراد بالصريم النهار فلذهاب الشجر والزرع وخلو الارض
منه وكان الطايف الذي طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها
فقيل انه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطايف
اليوم ولذلك سميت الطايف وليس في ارض الحجاز بلدة فيها الماء
والشجر والاعناب غيرها وقال البكري في المعجم سميت الطايف
لان رجلا من العرب يقال له الدمون بنى حايطا وقال قد بنيت
طايفا حول بلدكم فسميت الطايف والله اعلم قوله اذ اقسموا
اي حلفوا فيما بينهم ليصرمنها اي ليجذنها مصبحين اي وقت الصبح

قبل

قبل ان تخرج المساكين ولا يستثنون اي لم يقولوا ان شا الله
قوله مصبحين حال من فاعل ليصرمنها وهو من اصبح التامة
اي داخلين في الصباح كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين
اذا سمعت بسرى القين فاعلم انه مصبح والكاف في كما في موضع
نصب نعتا لمصدر محذوف اي بلوناهم ابتلا كما بلونا وما
مصدرية او بمعنى الذي واذ منصوبة ببلونا وليصرمنها جواب
للقسم وجا على خلاف منطوقهم ولو جا عليه لقيل لنصرمنها بنون
التكلم قوله ولا يستثنون هذه مستانفة ويضعف كونها
حالا من حيث ان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم دخول الواو عليه واضمار
مبتدا قبله كقولهم قمت واصك عينه مستغنى عنه ومعنى لا يستثنون
لا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه ابوهم للمساكين
وقيل حلف يمينا ليس فيها ثنيا ولا مثنوية ولا استثنا كله واحد واصله
من الثني وهو الكف والرد لان الحالف اذا قال والله لافعلن كذا الا ان
يشا الله غيره فقد رد انعقاد تلك اليمين وقيل المعنى لا يثنون عزمهم
عن الحرمان وقيل لا يقولون ان شا الله قال الزمخشري وسمي استثنا
وهو شرط لان معنى لاخرجن ان شا الله ولا اخرج الا ان يشا الله واحد
قوله فطاف عليها طايف اي هلاك اي بلا طايف والطايف غلب
في الشر قال الفرا هو الامر الذي ياتي ليلا ورد عليه بقوله واذا مسهم طايف
من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقرا النخعي طيف وقد تقدم
في الاعراف الكلام على هذين الوصفين قوله من ربك يجوز ان يتعلق
بطايفة وان يتعلق بمحذوف صفة لطايف قوله فاصبحت كالصريم
والصرم جذاذ النخل واصل المادة الدلالة على القطع ومنه الصرم والصرم
بالضم والفتح وهو القطيعة قال امرؤ القيس
افاطم مهلا بعض هذا التدلل ... وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي
والصريمة وهي قطعة منصرمة من الرمل لا تنبت شيا قال
الصريمة منهم منزل خلق عاف ... بغير الا النؤي والوتد
القاطع الماضي وناقة مصرومة انقطع لبنها وانصرم الشهر والسنة
انقضا لها وانصرمت حاله كانه انقطع سعده فقوله كالصريم
الاشجار المنصرم حملها وقال ابن عباس والفرا كالليل لانه يقال الصريم
والصريم ايضا النهار وقيل الصبح لانه انصرم من الليل قاله
فهو من الاضداد وقال شمر الصريم الليل والصريم النهار وقيل
رملة معروفة باليمن لا تنبت شيا وقال الثوري كالزرع المحصود
فصريم بمعنى المصروم اي المقطوع ما فيه وقال الحسن صرم عنها الخير اي
قطع فالصريم مفعول ايضا وقال المورج اي كالرملة انصرمت من معظم الرمل
الصريمة وصرايم فالرملة لا تنبت شيا ينتفع به وقيل سمي الليل صريما
لانه يقطع بظلمته عن التصرف ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل قال القشيري
وفي هذا نظر لان النهار يسمى صريما ولا يقطع عن التصرف وقيل سمي الليل
صريما لانه يصرم نور البصر ويقطعه فصل قال القرطبي في الاية
دليل على ان العزم مما يواخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا
على فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول
قال لانه كان حريصا على قتل صاحبه وقد مضى في ال عمران عند قوله ولم يصروا

على ما فعلوا قوله فتنادوا مصبحين قال مقاتل لما اصبحوا قال
بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعني بالحرث الثمار والزروع والاعناب
ولذلك قال صارمين لانهم ارادوا قطع الثمار من الاشجار قوله ان
اغدوا يجوز ان يكون المصدرية اي تنادوا بهذا الكلام وان يكون
المفسرة لانه تقدمها ما هو بمعنى القول قال الزمخشري فان قلت هلا
قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه
كالغدو عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال
كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح انتهى فجعل غدا متعديا في الاصل بالى فاحتاج
الى تاويل تعديه بعلى وفيه نظر لورود تعديته بعلى في غير موضع كقوله
وقد اغدو على ثبة كرام ٭ نشاوى واجدين لما نشاء ٭ واذا كانوا قد عدوا
مرادفه بعلى فليعدوه بها ومرادفه بكر تقول بكرت عليه وغدوت عليه
بمعنى واحد قال ٭ بكرت عليه غدوة فرايته ٭ قعودا اليه بالصريم عواذله
قوله ان كنتم صارمين جوابه محذوف اي فاغدوا صارمين قاطعين
حادين وقيل ماضين في العزم من قولك سيف صارم قوله فانطلقوا
وهم يتخافتون اي يتسارون فيما بينهم والمعنى يخفون كلامهم ويسرونه
لئلا يعلم بهم احد قاله عطا وقتادة وهو خفت يخفت اذا سكن ولم يبين
قال ابن الخطيب وخفي وخفت كلاهما في معنى الكتم ومنه الخفود والخفا وقيل
يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم وكان ابوهم يخبر الفقرا والمساكين فيحضروا
وقت الحصاد والصرام وقوله وهم يتخافتون جملة حالية من فاعل انطلقوا
قوله ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة ويجوز ان يكون
المصدرية اي يتخافتون بهذا الكلام اي بقوله بعضهم لبعض لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين قال ابن الخطيب والنهي للمسكين عن الدخول نهي لهم عن تمكين
منه اي لا تمكنوه من الدخول وقرا عبد الله وابن ابي عبلة لا يدخلنها باسقاط
ان اما على اضمار القول كمذهب البصريين واما على اجرا يتخافتون مجراه كقول
الكوفيين قوله وغدوا على حرد قادرين يجوز ان يكون قادرين حالا
من فاعل غدوا وعلى حرد متعلق به وان يكون على حرد هو الحال وقادرين
اما حال من ضمير الحال الاول والحرد قيل الغضب والحنق قاله السدي
وسفيان وانشد للاشهب بن رميلة
٭ اسود شرى لاقت اسود خفية ٭ تساقوا على حرد دما الاساود ٭
قيل ومثله ٭ اذا جاد الخيل جاءت تردي ٭ مملوة من غضب وحرد ٭
عطف لما تغاير اللفظان كقوله ٭ والفى قولها كذبا ومينا ٭
قال ابو عبيدة والقتيبي على حرد على منع من حاردت الابل حرادا اي قلت البانها
والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها
ويقال حرد بالكسر يحرد حردا وقد يفتح فيقال حردا فهو حردان وحارد
ولبوث حوارد وقيل الحرد والحرد الانفراد يقال حرد بالفتح يحرد بالضم
حرودا وحردا اي انفرد ومنه كوكب حارد اي منفرد قال الاصمعي هي
لغة هذيل وقال القرطبي يقال حرد يحرد حرودا اذا نزل قومه وتحول
عنهم قال الاصمعي رجل حريد اي فريد وحيد قال والمنفرد والمنحرد
في لغة هذيل وانشد لابي ذويب ٭ كانه كوكب في الجو منحرد ٭
ورواه ابو عمرو بالجيم وفسره بالانفراد قال وهو سهيل وقيل الحرد القصد
يقال حرد يحرد بالكسر حردا قصد يقول حردت حردك اي قصدت قصدك
قال الراجز
٭ اقبل سيل جا من عند الله ٭ يحرد حرد الجنة المغله ٭

وقال

وقال قتادة ومجاهد على حرد اي على جد وجهد وقال القرطبي ومجاهد
وعكرمة اي على امر مجتمع قد اسسوه بينهم قاله البغوي وهذا معنى القصد
وقال الحسن على حاجة وفاقة وقيل الحرد اسم جنتهم بعينها قاله السدي
وقال الازهري اسم قريتهم وفيها بعد وقادرين اما من القدرة وهو
الظاهر واما من التقدير وهو التضييق اي مضيقين على المساكين وقرا
العامة بالاسكان وقرا ابو العالية وابن السميفع بالفتح وهما لغتان
فصل قال الفرا ومعنى قادرين قد قدروا امرهم وبنوا عليه
وقال قتادة قادرين على جنتهم عند انفسهم وقال الشعبي قادرين على
المساكين وقيل معناه من الوجود اي منعوا وهم واجدون ومعنى الاية
وغدوا وكانوا عند انفسهم وفي ظنهم انهم قادرين على منع المساكين قوله
فلما راوها يعني الجنة محترقة لا شي فيها قد صارت كالليل الاسود ينظرون
اليها كالرماد انكروها وشكوا فيها وقال بعضهم لبعض انا لضالون اي
ضللنا الطريق الى جنتنا ثم لما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون
حرمنا خيرها بشوم عزمنا على البخل ومنع الفقرا قاله قتادة وقيل انا لضالون
عن الصواب في غدونا على نية منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون
اي حرمنا جنتنا بما صنعنا روى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اياكم والمعاصي ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا كان
هيئ له ثم تلا فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون الايتين قوله
قال اوسطهم يعني اعدلهم وافضلهم واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون
اي هلا تستثنون وكان استثناؤهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا
يدل على ان هذا الاوسط كان يامرهم بالاستثنا فلم يطيعوه قال ابو صالح
كان استثناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله اي تقولون
سبحان الله وتشكرونه على ما اعطاكم وقال النحاس اصل التسبيح التنزيه
لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شا الله لان المعنى تنزيه الله
ان يكون شي الا بمشيته وقال ابن الخطيب التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل
سوء فلو دخل شي في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى لوجب عود النقص
الى قدرة الله تعالى فقولك ان شا الله تزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا
وقيل المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم فان
القوم لما عزموا على منع الزكاة واغتروا بالمال والقوة قال لهم اوسطهم
توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب فلما راوا العذاب ذكرهم
اوسطهم كلامه الاول وقال الم اقل لكم لولا تسبحون فحينئذ اشتغلوا
بالتوبة وقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقال ابن عباس في قولهم
سبحان ربنا اي نستغفر الله من ذنوبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في
منعنا المساكين وقال الحسن هذا التسبيح هو الصلوة كانهم كانوا
يتكاسلون في الصلوة والا لكانت ناهية لهم ان يواظبوا على ذكر الله
وعلى قول ان شا الله قوله فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
اي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا لهذا انت اشرت علينا بهذا الراي ويقول
ذلك لهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره انت رغبتني في
جمع المال ثم نادوا على انفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
عاصين بمنعنا حق الفقرا وترك الاستثنا وقال ابن كيسان طغينا
نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباونا من قبل عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع اباونا
فدعوا الله وتضرعوا فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها قرئ بالتخفيف

والتشديد وهما لغتان • وقيل التبديل تغيير الشيء او تغيير حاله وعين الشيء قايم والابدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه • ثم قالوا انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه • قال المفسرون ان الله امر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها • وقال ابن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم ابدلهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القايم • وقال الحسن قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في كونهم مومنين وسيل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار قال لقد كلفتني تعبا والاكثرون يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري قوله كذلك العذاب مبتدا وخبره مقدم اي مثل ذلك العذاب عذاب الدنيا واما عذاب الاخرة فاكبر منها لو كانوا يعلمون قال ابن زيد كذلك العذاب اي عذاب الدنيا وهلاك الاموال • وقيل هذا وعظ لاهل مكة بالرجوع الى الله لما ابتلاهم بالجدب لدعا النبي صلى الله عليه وسلم اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون • وقال ابن عباس هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلن محمدا واصحابه وليرجعوا الى اهل مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر وتضرب القينات على روسهم فاخلف الله ظنهم وقتلوا واسروا وانهزموا كاهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرم خابوا • وقال ابن الخطيب قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين • والمعنى لاجل ان اعطاه الله المال والبنين كفر بالله كلا بل الله تعالى انما اعطاه ذلك للابتلا فاذا صرفه الى الكفر دمر الله عليه بدليل ان اصحاب الجنة لما اتوا هذه المعصية اليسيرة دمر الله جنتهم فكيف حال من عاند الرسول صلى الله عليه وسلم واصر على الكفر والمعصية فصل قيل ان الحق الذي منعه اهل الجنة المساكين كان واجبا عليهم ويحتمل انه كان تطوعا والاول اظهر • وقيل السورة مكية فبعد حمل الاية على ما اصاب اهل مكة من القحط وعلى قتال بدر قوله ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم اي جنات ليس فيها الا التنعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الاية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الاخرة فان لم يحصل التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب الله عن هذا الكلام بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين اي ان التسوية بين المطيع والعاصي غير جايز ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزا مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم قوله عند ربهم يجوز ان يكون منصوبا بالاستقرار وان يكون حالا من جنات فصل قال القاضي في الاية دليل واضح على ان وصف الانسان بانه مسلم مجرم كالمتنافي والفاسق لما كان مجرما وجب ان لا يكون مسلما واجيب بانه تعالى انكر جعل المسلم مثلا للمجرم ولا شك انه ليس المراد انكار المماثلة في جميع الامور فانهما متماثلان في الجوهرية والجسمية والحدوث والحيوانية وغيرها من الامور الكثيرة بل المراد انكار استوايهما في الاسلام والجرم او في اثار هذين الامرين فالمراد ان يكون انكار اثر الاسلام مساويا لاثر جرم المجرم عند الله وهذا لا نزاع فيه

ثم

فمن اين يدل على ان الشخص الواحد يمتنع ان يجتمع فيه كونه مسلما ومجرما فصل قال الجبائي دلت الاية على ان المجرم لا يكون البتة في الجنة لانه تعالى انكر حصول التسوية بينهما في الثواب بل لعله يكون ثواب المجرم ازيد من ثواب المسلم اذا كان المجرم اطول عمرا من المسلم وكانت طاعته غير محبطة والجواب هذا ضعيف لانا بينا ان التسوية في درجة الثواب ولعلهما لا يستويان فيه بل يكون ثواب المسلم الذي لم يعص اكثر من ثواب من عصى على انا نقول لم لا يجوز ان يكون المراد من المجرمين هم الكفار الذين حكى الله عنهم هذه الواقعة لان حمل الجمع المحلى بالالف واللام على المعهود السابق مشهور في اللغة والعرف قوله ام لكم كتاب اي الكم كتاب تدرسون فيه المطيع كالعاصي وهذا كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم قوله ان لكم فيه العامة على كسر الهمزة وفيها ثلاثة اوجه احدها انها معمولة لتدرسون اي تدرسون في الكتاب ان لكم ما تختارون فلما دخلت اللام كسرت الهمزة كقولك علمت انك عاقل بالفتح وعلمت انك لعاقل بالكسر والثاني ان يكون على الحكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين قالهما الزمخشري وفي الفرق بين الوجهين عسر قال وتخير الشيء واختاره اخذ خيره كتنخله وانتخله اخذ منخوله الثالث انها على الاستيناف على معنى ان كان لكم كتاب فلكم فيه متخير قال القرطبي تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدا فقال ان لكم فيه لما تخيرون اي ان لكم في هذا الكتاب اذن ما تخيرون اي ليس لكم ذلك والكناية في فيه الاولى والثانية راجعة الى الكتاب وقرا طلحة والضحاك ان لكم بفتح الهمزة وهو منصوب بتدرسون الا ان فيه زيادة لام التاكيد وهي نظير قراءة الا انهم لياكلون بالفتح • وقرا الاعرج وابن هرمز اين لكم في الموضعين يعني اين لكم فيه لما تخيرون اين لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما جميعا ثم انه تعالى زاد في التوبيخ فقال ام لكم ايمان اي عهود ومواثيق علينا بالغة موكدة والمعنى اوكدة بالله تعالى اي ام عهود ومواثيق علينا بالغة موكدة والبالغة الموكدة بالله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة قال ابن الخطيب والمعنى ام ضمنا لكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد قوله بالغة العامة على رفعها نعت لايمان والى يوم متعلق بما يتعلق به لكم من الاستقرار اي ثابتة الى يوم او ببالغة اي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه وقرا زيد بن علي والحسن بنصبها فقيل على الحال من ايمان لانها تخصصت بالعمل او بالوصف • وقال القرطبي على الحال اما من الضمير في لكم لانه خبر عن ايمان ففيه ضمير منه واما من الضمير في علينا ان قدرت علينا وصفا للايمان لا متعلقا بنفس الايمان لا متعلقا بنفس الايمان لان فيه ضميرا منه كما يكون اذا كان خبرا عنه وقيل من الضمير في علينا ان جعلناه صفة لايمان • وقوله ان لكم لما تحكمون جواب القسم في قوله ايمان لانها بمعنى اقسام قوله ان لكم لما تحكمون اي لانفسكم من الخير والكرامة قوله سلهم ايهم بذلك زعيم اي سل يا محمد هولاء المتقولين علي ايهم كفيل بما تقدم ذكره والزعيم الكفيل والضمين قاله ابن عباس وقتادة لقوله تعالى وانا به زعيم وقال ابن كيسان الزعيم هنا القايم بالحجة والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول قوله ايهم متعلق بسلهم وبذلك متعلق بزعيم اي ضمين وكفيل وقد تقدم ان سال تعلق لكونه سببا في العلم واصله ان يتعدى بعن او الباء كقوله فاسال به خبيرا فان تساءلون بالنساء والجملة في موضع نصب بعد اسقاط الخافض كما تقدم تقريره قوله ام لهم شركا هذه قراءة العامة • وقرا عبد الله

ام لهم شرك فليأتوا بشركهم بلفظ المصدر وقال القرطبي ام لهم شركا
اي الهمزة والميم صلة ومعنى شركا اي شهدا فليأتوا بشركائهم يشهدون
على ما زعموا ان كانوا صادقين في دعواهم وقيل فليأتوا بشركائهم
ان امكنهم فهو امر تعجيز وقال ابن الخطيب في تفسيره وجهان الاول
ان المعنى ام لهم اشيا يعتقدون انها شركا لله ويعتقدون ان اولئك
شركا يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب
وانما اضاف الشركا اليهم لانهم جعلوها شركا لله كقوله هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء الثاني ام لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب
وهو التسوية بين المسلمين والمجرمين فليأتوا بهم ان كانوا صادقين
في دعواهم والمراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلي ولا دليل من كتاب
بد رسوله فليس لهم من يوافقهم من العقلا على هذا القول فدل ذلك
على بطلانه ثم انه تعالى لما ابطل قولهم شرح بعده عظمة يوم القيمة
وهو قوله يوم يكشف عن ساق يوم منصوب بقوله فليأتوا
بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركا لهم وحينئذ لا يوقف
على صادقين او باضمار اذكر فيكون مفعولا به او بمحذوف او ظرف اي يوم
يكشف يكون كيت وكيت او خاشعة قاله ابو البقا وعن ساق قايم
مقام الفاعل وقرا ابن مسعود وابن ابي عبلة تكشف بالتاء من فوق
مبنيا للفاعل اي الشدة او الساعة وعنه ايضا كذلك مبنيا للمفعول
وهي مشكلة لان التانيث لا معنى له هاهنا الا ان يقال ان المفعول مستتر
اي يكشف هي اي الشدة ويتعلق قوله عن ساق بمحذوف اي يكشف
عن ساقها ولذلك قال الزمخشري وتكشف بالتا مبنيا للفاعل والمفعول
جميعا والفعل للساعة او للحال اي يشتد الحال او الساعة وقرئ يكشف
بضم اليا او التا وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف واكشف اذا
انقلبت شفته العليا لانكشاف ما تحتها ويقال له ايضا اخلع
الساق كناية عن الشدة قال الراجز

عجبت من نفسي ومن اشفاقها ۞ ومن طرادي الطير عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها ۞ حمرا تبري اللحم عن عراقها

وقال حاتم الطاي

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ۞ وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال اخر

كشفت لهم عن ساقها ۞ وبدا من الشر البوارح

وقال الراجز

قد شمرت عن ساقها فشدوا ۞ وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال اخر

صبرا امام انه شر باق ۞ وقامت الحرب بنا على ساق

قال الزمخشري الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة
الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابدا
خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب البيت وقال ابن قيس الرقيات

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ۞ عن خدام العقيلة العذرا انتهى

فصل قال ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال كرب وشدة
وعن مجاهد شدة الامر وجده وروى مجاهد عن ابن عباس قال هي اشد ساعة
في القيمة وقال ابو عبيدة اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر عن ساقه

فيه



فيه ان من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف
عنها في موضع الشدة وقيل ساق الشي اصله الذي به قوامه كساق الشجرة
وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقايق الامور واصلها
وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يريد وقت
اقتراب الاجل وضعف البدن اي يكشف المريض عن ساقه ليبصر
ضعفه ويدعوه المؤذن الى الصلوة فلا يمكنه ان يقوم ويخرج
فصل قال القرطبي فاما ما روي ان الله تعالى يكشف عن ساقه فانه عز وجل يتعالى عن الاعضا
والابعاض وان يكشف ويتغطى ومعناه ان يكشف عن العظيم من امره وقيل
يكشف عن نوره عز وجل وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في
قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وروى ابو
بردة عن ابي موسى قال حدثني ابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا كان يوم القيمة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا
فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل التوحيد فيقال
لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره
وتعرفونه اذا رايتموه فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه
قالوا انه لا شبه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون
له سجدا ويبقى اقوام ظهورهم كصياصي البقر فينظرون الى الله تعالى
فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف
عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى
عبادي ارفعوا رؤوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود
والنصارى في النار قال ابو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز
فقال الله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف له ثلاثة
ايمان فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو احب الي من هذا
قوله خاشعة حال من مرفوع يدعون وابصارهم فاعل به ونسب
الخشوع للابصار وان كانت الاعضا كلها كذلك لظهور اثره فيها وقوله وهم
سالمون حال من مرفوع يدعون الثانية ومعنى خاشعة ابصارهم اي
ذليلة متواضعة ترهقهم ذلة وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤوسهم
ووجوههم اشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين
حتى ترجع اشد سوادا من القار فصل قال ابن الخطيب بعد
ما حكى اقوال اهل اللغة في الكشف عن الساق واعلم ان هذا اعتراف
من اهل اللغة بان استعماله في الشدة مجاز واجمع العلما على انه لا يجوز
صرف الكلام الى المجاز الا بعد تعذر حمله على الحقيقة فاذا اقمنا الدلايل
القاطعة على انه تعالى يستحيل ان يكون جسما فحينئذ يجب صرف هذا
اللفظ الى المجاز واعلم ان صاحب الكشاف اورد هذا التاويل في معرض
آخر فقال الكشف عن الساق مثل في شدة الامر فمعنى يوم يكشف
عن ساق يوم يشتد ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للشحيح
يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل ثم اخذ يعظم علم
البيان ويقول لولاه ما وقفنا على هذه الاسرار واقول اما ان يدعى
انه يجوز صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل او يقول لا يجوز ذلك الا بعد
قيام الدليل على ان حمله على الحقيقة والاول باطل بالاجماع ولانا ان جوزنا ذلك
انفتح باب تاويلات الفلاسفة في امر المعاد فانهم يقولون في قوله
تجري من تحتها الانهار ليس هناك انهار ولا اشجار وانما هو مثل
للذة والسعادة ويقولون في قوله تعالى اركعوا واسجدوا ليس هناك

ركوع ولا سجود وانما هو مثل للتعظيم ومعلوم ان ذلك يفضي الى رفع
الشرايع وفساد الدين واما من قال لا يصار الى التاويل الا عند قيام
الدليل على انه لا يجوز حمله على ظاهره فهذا قول كل احد من المتكلمين فاين
الدقايق التي استبد هو بفهمها والاطلاع عليها بواسطة علم البيان
ثم قال بعد ان حكى القول بان المراد بالساق جسم او ساق العرش او ساق
ملك عظيم ان اللفظ لا يدل الا على ساق • واما اي شي هو فليس في اللفظ
ما يدل عليه ثم ذكر حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعالى
يتمثل للخلق يوم القيمة حين يمر المسلمون فيقول من تعبدون فيقولون
نعبد الله فيشهدهم مرتين او ثلاثا ثم يقول هل تعرفون ربكم فيقولون اذا
عرفنا نفسه عرفناه فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مومن الا خر ساجدا
لله تعالى ويبقى المنافقون ظهورهم كالطبق الواحد كانما فيها السفافيد
قال واعلم ان هذا القول باطل لوجوه • احدها ان الدلايل دلت على ان كل
جسم متناهي وكل متناهي محدث وان كل جسم ممكن وكل ممكن محدث • وثانيها
انه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق ان نعرف لانها ساق مخصوصة
معهودة عنده وهي ساق الرحمن اما اذا حملت فعلى فايدة التنكير الدلالة على
التعظيم كانه قال يوم يكشف عن شدة واي شدة لا يمكن وصفها
وثالثها ان التعريف لا يحصل بالكشف عن الساق وانما يحصل بكشف الوجه
ثم حكى قول ابي مسلم بانه لا يمكن حمله على يوم القيمة لانه تعالى قال في وصف
يدعون الى السجود ويوم القيمة ليس فيها تعبد ولا تكلف بل المراد
منه اما اخر ايام الرجل في دنياه كقوله تعالى يوم يرون الملايكة لا بشرى
يوميذ للمجرمين • وقوله يوم ياتي بعض ايات ربك الاية لانه الوقت الذي
لا ينفع نفسا ايمانها واما حال المرض والهرم والعجز ثم انه يرى الناس
يدعون الى الصلوة اذا حضرت اوقاتها وهو لا يستطيع الصلوة وقد كانوا
يدعون الى السجود وهم سالمون مما بهم الان من الشدة النازلة بهم من
هول ما عاينوا عند الموت او من العجز والهرم • ونظير هذه الاية فلولا اذا
بلغت الحلقوم • ثم قال واعلم انه لا نزاع في انه يمكن حمل اللفظ على ما قاله
ابو مسلم • ثم قال فاما قوله انه لا يمكن حمله على يوم القيمة بسبب ان الامر
بالسجود حاصل في الدنيا والتكاليف زايلة يوم القيمة فجوابه ان ذلك
لا يكون على سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل فلم قلت
ان ذلك غير جايز قوله وقد كانوا يدعون الى السجود [illegible]
وهم سالمون معافون اصحا • قال ابراهيم التيمي اي يدعون بالاذان
والاقامة فيابون • وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح
فلا يجيبون وهم سالمون اصحا • وقال كعب الاحبار والله ما نزلت
الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات • وقيل اي بالتكليف [illegible]
في التشرع قوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي
بالقران وخل بيني وبينهم • وقال الزجاج لا تشغل قلبك
[illegible] قال السدي والمراد بالحديث القران امره ومن
اما نسقا على ضمير المتكلم او مفعول معه وهو مرجوح لامكان
عن ضعف وتقدم اعراب ما بعده فصل لما خوف
يوم القيمة زاد في التخويف مما عنده وفي قدرته من القهر يقال
[illegible] قال السدي والمراد بالحديث القران
القيمة وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون اي ساخذهم على غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا

وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر • وقال
الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثنا عليه وكم مغرور
بالستر عليه • وقال ابو روق كلما احدثوا خطيية جددنا لهم نعمة
وانسيناهم الاستغفار • وقال ابن عباس سنمكر بهم • وروي
ان رجلا من بني اسرايل قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني
فاوحى الله الى نبي زمانه ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر
ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت
والاستدراج ترك المعالجة واصله النقل من حال الى حال كالتدرج
ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا
اي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه الى كذا واستدرجه
بمعنى ادناه منه على التدريج فتدرج • ومعنى الاية انا لما انعمنا عليهم
اعتقدوا ان ذلك الانعام تفضيلا لهم على المومنين وهو في الحقيقة
سبب لهلاكهم قوله واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة
كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر واملى
الله له اي اطال له والملوان الليل والنهار • وقيل واملي لهم اي لا اعاجلهم
بالموت والمعنى واحد • والملا مقصور الارض الواسعة سميت به لامتدادها
ان كيدي متين اي ان عذابي لقوي شديد فلا يفوتني احد وسمي
احسانه كيدا كما سماه استدراجا في صورة الكيد ووصفه بالمتانة
لقوة اثره في التسبب للهلاك فصل قال ابن الخطيب
تمسك الاصحاب بهذه الاية في مسلة ارادة الكاينات لان
هذا الاستدراج والكيد ان لم يكن لهما اثر في الطغيان فليسا بكيد
ولا استدراج وان كان لهما اثر فيه لزم ان يكون الحق سبحانه مريدا
له لان من فعل شيا لحصول شي واراده وقواه لا بد وان يكون مريدا
لحصول ذلك الشي اجاب الكعبي بان المراد استدراجهم الى
الموت اي يخفي عنهم زمن الموت من حيث لا يعلمون وهو مقتضى الحكمة
الا لكان فيه اغرا بالمعاصي لانهم لو عرفوا الوقت الذي يموتون فيه
لداوموا على المعاصي ثم صاروا ممتثلين • واجاب الجبائي بان معنى
سنستدرجهم اي الى العذاب من حيث لا يعلمون في الاخرة
واملي لهم في الدنيا توكيدا للحجة عليهم وان كيدي متين فامهله وازيح
الاعذار عنهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويدل
عليه قوله قبل ذلك فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ولا شك ان
المراد انما هو بعذاب الاخرة فوجب ان يكون الاستدراج والكيد
المذكور فيه هو عذاب الاخرة • واجاب الاصحاب بان هذا الامهال
اذا كان موديا الى الطغيان كان الراضي بالامهال العالم بتاديته الى
الطغيان لا بد وان يكون راضيا بذلك الطغيان قوله ام تسالهم
اجرا رجوع بالكلام الى ما تقدم من قوله تعالى ام لهم شركا اي ام تلتمس منهم
ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله والمغرم الغرامة فهم
من ذلك مثقلون اي يثقل حمل الغرامات عليهم في بذل المال
فيثبطهم ذلك عن الايمان • والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل
يستولون بالايمان على خزاين الارض ويصلون الى جنات النعيم
قوله ام عندهم الغيب اي علم ما غاب عنهم فهم يكتبون
حتى ينزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون • وعن ابن عباس الغيب
اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ثواب ما هم عليه من الكفر

اعاجلهم

ويخاصمونك به ويكتبون انهم افضل منكم وهم لا يعاقبون وقيل
يكتبون يحكمون لانفسهم ما يريدون وهذا استفهام على سبيل
الانكار **قوله** فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك والحكم هنا القضا
وقيل اصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة. وقال ابن بحر
فاصبر لنصر ربك وقيل منسوخ باية السيف ولا تكن كصاحب الحوت
يعني يونس عليه الصلوة والسلام اي لا تكن مثله في الغضب والضجر
والعجلة. وقال قتادة ان الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم
ويامر بالصبر ولا يعجل كما عجل يونس عليه الصلوة والسلام وقد مضى
الفرق بين ذي وصاحب في سورة يونس **قوله** اذ نادى اذ منصوب
بمضاف محذوف اي ولا يكن حالك كحاله او قصتك كقصته في وقت
ندائه ويدل على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهي انما ينصب
على احوالها وصفاتها وقوله وهو مكظوم جملة حالية من الضمير في
نادى والمكظوم الممتلى حزنا وغيظا ومنه كظم السقا اذا ملاه قال
ذو الرمة وانت من حب مي مضمر حزنا عاني الفواد قريح القلب مكظوم
فصل اذ نادى اي حين دعا من بطن الحوت فقال لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين. قال القرطبي ومعنى وهو مكظوم
اي مملوء غما وقيل كربا فالاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني قول
عطا وابي مالك. قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب
في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم
غيظه اي حبس غضبه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى
النفس قاله المبرد وقد مضى في سورة يوسف وفي سورة ال عمران والمعنى
لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه
قوله لولا ان تداركه قال ابن الخطيب لم لم يقل تداركته
نعمة واجاب بانه انما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه
ولان التانيث غير حقيقي في النعمة. وقرا ابي وعبد الله وابن عباس
تداركته بتا التانيث لاجل اللفظ والحسن وابن هرمز والاعمش
تداركه بتشديد الدال وخرجت على الاصل تتداركه بتائين مضارعا
فادغم وهو شاذ لان الساكن الاول غير حرف لين وهي كقراة البزي
اذ تلقونه ونارا تلظى وهذا على حكاية الحال لان القصد ماضيه فايقاع
المضارع هنا للحكاية كانه قال ان كان يقال فيه تتداركه نعمة
قوله نعمة من ربه. قال الضحاك النعمة هنا النبوة وقال
ابن جبير عبادته التي سلفت. وقال ابن زيد نداوه بقوله لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين. وقال ابن بحر اخراجه
من بطن الحوت. وقيل رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه **قوله**
لنبذ بالعراء هذا جواب لولا اي لنبذ مذموما لكنه نبذ سقيما
غير مذموم قاله ابن عباس. وقيل جواب لا مقدر اي لولا هذه النعمة
لبقي في بطن الحوت ومعنى مذموم قال ابن عباس مليم وقال بكر
ابن عبد الله مذنب وقيل مبعد من كل خير والعرا الارض الواسعة
الفضا التي ليس فيها جبل ولا شجر يستر وقيل لولا فضل الله عليه
لبقي في بطن الحوت الى يوم القيمة ثم نبذ بعرا القيمة مذموما يدل
عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون **فصل** قال ابن الخطيب هل يدل قوله وهو مذموم
على كونه فاعلا للذنب قلت والجواب من ثلاثة اوجه الاول انه

لولا دلت على ان هذه المذمومية لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومية
ترك الافضل فان حسنات الابرار سيات المقربين. الثالث لعل
هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله فاجتباه ربه والفا للتعقيب
قيل ان هذه الاية نزلت باحد حين حل برسول الله ما حل فاراد ان
يدعو على ثقيف **قوله** فاجتباه ربه اي فاصطفاه واختاره
فجعله من الصالحين. قال ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه
في نفسه وفي قومه وقيل تاب عليه وجعله من الصالحين بان ارسله
الى مائة الف او يزيدون **فصل** قال ابن الخطيب قال قوم
لعل صاحب الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم بعد هذه
الواقعة جعله الله رسولا وهو المراد من قوله فاجتباه ربه والذين
انكروا الكرامات والارهاص لا بد وان يختاروا هذا القول لان الاحتباس
في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن هناك ارهاصا ولا كرامة
فلا بد وان يكون معجزة وذلك يقتضي انه كان رسولا في تلك الحال
فصل قال ابن الخطيب احتج الاصحاب على ان فعل العبد
خلق الله تعالى بقوله فجعله من الصالحين هذا يدل على ان الصلاح
انما حصل بجعل الله وخلقه. قال الجبائي يحتمل ان يكون معنى جعله
انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف به حتى صلح اذ الجعل يستعمل
في اللغة في هذه المعاني والجواب ان ذلك مجاز والاصل في الكلام
الحقيقة **قوله** وان يكاد الذين كفروا ان مخففة من الثقيلة
ليزلقونك بابصارهم قراها نافع بفتح اليا والباقون بضمها
فاما قراة الجماعة فمن ازلقه اي اذل رجله فالتعدية بالهمزة من زلق
يزلق واما قراة نافع فالتعدية بالحركة يقال زلق بالكسر وزلقته
بالفتح ونظيره شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح وقد تقدم
لذلك اخوات وقيل زلقه وازلقه بمعنى واحد ازلاقا اذا نحاه وابعده
وزلق راسه يزلقه زلقا اذا حلقه. قال القرطبي ولذلك ازلقه
وزلقه تزليقا ورجل زلق وزملق مثال هزبل وزمالق وزملق
بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع حكاه الجوهري وغيره
والبا في بابصارهم اما للتعدية كالداخلة على الالة اي جعلوا ابصارهم
كالالة المزلقة لك كعملت بالقدوم واما للسببية اي بسبب عيونهم
وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها ثم فيه وجوه احدها
انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك سررا بعيون العداوة والبغضا
يكادون يزلقونك قدمك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يالطني. انشد
ابن عباس لما مر باقوام حددوا النظر فيه
نظروا الي باعين محمرة. نظر التيوس الى شفار الجاذر
فصل اخبر الله تعالى بشدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم
وارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا
ما راينا مثله ولا مثل حججه. وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان
البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول
يا جارية خذي المكيل والدرهم فاتينا بلحم هذه الناقة فما تبرح حتى
تقع الناقة للموت فتنحر. وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث
لا ياكل شيئا يومين او ثلاثة ثم يرجع جانب الخبا فتمر به الابل او الغنم
فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا تذهب قليلا

حتى تسقط منها طائفة هالكة فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب
لهم النبي صلى الله عليه وسلم فانشد:
قد كان قومك يحسبونك سيدا ... واخال انك سيد معيون
فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية وذكر الماوردي
ان العرب كانوا اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعني في ماله ونفسه
تجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول بالله ما رايت
اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر منه ولا احسن فيصيبه بعينه فيهلك
هو وماله فانزل الله تعالى هذه الآية. قال القشيري وفي هذا نظر
لان الاصابة بالعين انما تكون مع الاستحسان والاعجاب لا مع
الكراهية والبغض ولهذا قال ويقولون انه لمجنون اي ينسبونك
الى الجنون اذا راوك تقرأ القرآن قال القرطبي اقوال المفسرين
واللغويين تدل على ما ذكرنا وان مرادهم بالنظر اليه قتله ولا
يمنع كراهة الشيء من ان يصاب بالعين عداوة حتى يهلك
ومعنى الكلمة اذن التنحية والازالة وذلك لا يكون في حق النبي
صلى الله عليه وسلم الا بهلاكه وموته قال الهروي اراد
ليعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذي اقامك الله
فيه عداوة لك وقال ابن عباس ينفذونك بابصارهم يقال
نفذ السهم وزهق اذا نفذ وهو قول مجاهد اي ينفذونك
من شدة نظرهم وقال الكلبي يصرعونك وعنه ايضا
والسدي وسعيد بن جبير يصرفونك عما انت عليه من تبليغ
الرسالة وقال العوفي يرمونك وقال المؤرج يزيلونك
وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك وقال الحسن
وابن كيسان ليقتلونك كما يقال صرعني بطرفه وقتلني بعينه
قوله لما سمعوا الذكر من جعلها ظرفية جعلها منصوبة
بيزلقونك ومن جعلها حرفا جعل جوابها محذوفا للدلالة
اي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك ومن جوز تقديم الجواب
قال هو هنا متقدم والمراد بالذكر القرآن قوله ويقولون
انه لمجنون وهو على ما افتتح به السورة ثم قال وما هو يعني
القرآن الا ذكر للعالمين اي ان الذين يزعمون انه دلالة جنونه
الا ذكر للعالمين تذكيرهم وبيان وتنبيه لهم على ما في عقولهم
من ادلة التوحيد وقال الحسن تداووا اصابة العين ان تقرأ
الانسان هذه الآية وقيل اي وما محمد الا ذكر للعالمين يتذكرون
به وقيل معناه شرف اي القرآن كقوله وانه لذكر لك ولقومك
والنبي صلى الله عليه وسلم شرف للعالمين ايضا شرفوا باتباعه
والايمان به صلى الله عليه وسلم عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه
الله عز وجل ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية

وهي اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة
والف واربعة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الحاقة ما الحاقة الحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان
والحاقة خبره والجملة خبر الاول لان معناها ما هي واللفظ
استفهام ومعناه التفخيم والتعظيم لشانها قال ابن الخطيب

ووضع

وضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها ومثله القارعة ما القارعة
وقد تقدم تحرير هذا في الواقعة والحاقة فيها وجهان احدهما انه
وصف اسم فاعل بمعنى انها تبدي حقائق الاشياء وقيل ان الامر
يحق فيها فهي من باب ليل نائم ونهار صائم قاله الطبري وقيل
سميت حاقة لانها تكون من غير شك لانها حقت فلا كاذبة لها
وقيل سميت القيامة بذلك لانها احقت لاقوام الجنة واحقت
لاقوام النار وقيل من حق الشيء ثبت فهي ثابتة كائنة وقيل
لانها تحق كل محاق في دين الله اي تغلبه من حاققته فحققته
احقه اي غلبته وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل واحد
منهما الحق فاذا غلبه قيل حقه ويقال ما له فيه حق ولا حقاق
اي خصومة والتحاق الاختصام والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات
بمعنى وقال الكسائي والمؤرج الحاقة يوم الحق والثاني انه مصدر
كالعاقبة والعافية قوله ما الحاقة في موضع نصب على اسقاط
الخافض لان ادرى بالهمزة يتعدى لاثنين للاول بنفسه والثاني
بالباء قال تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة
لها كانت في موضع المفعول الثاني ودون الهمزة يتعدى لواحد
بالباء نحو دريت بكذا ويكون بمعنى علم فيتعدى لاثنين فصل
معنى ما ادراك اي اي شيء اعلمك ما ذاك اليوم والنبي صلى الله عليه
وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفتها فقيل ذلك
تفخيما لشانها كانك لست تعلمها ولم تعاينها وقال يحيى بن سلام
بلغني ان كل شيء في القرآن وما ادراك فقد ادراه وعلمه وكل شيء قال وما
يدريك فهو مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه
وما ادراك فانه اخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به
قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة القارعة القيامة سميت
بذلك لانها تقرع القلوب العباد بالمخافة وقيل لانها تقرع الناس
باهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله وشدائده وقوارع
لسانه جمع قارعة وهي الكلمة المؤذية وقوارع القرآن الآيات التي
يقرؤها الانسان اذا فزع من الجن والانس نحو آية الكرسي كانه يقرع
الشيطان وقال المبرد القارعة مأخوذة من التقريع من رفع قوم وحط
آخرين وقوارع القيامة انشقاق السماء وانفطارها والارض والجبال
بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار وانما قال كذبت
ثمود وعاد بالقارعة ولم يقل بها ليدل على ان معنى القرع حاصل في
الحاقة فيكون ذلك زيادة على وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها
اتبع ذلك بذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا
لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم وقيل عنى بالقارعة
العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه
وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز
قال ابن اسحاق هو وادي القرى وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق
وقد تقدم ذلك قوله فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية هذه
قراءة العامة وقرأ زيد بن علي فهلكوا مبنيا للفاعل وقوله بالطاغية
فيه اضمار اي بالفعلة الطاغية وقال قتادة بالصيحة الطاغية
المتجاوزة للحد اي لحد الصيحات من الهول كما قال انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر والطغيان مجاوزة الحد

وعنه لما طغى الماء حملناكم أي جاوز الحد • وقال ابن يزيد بالرجل
الطاغية المتجاوزة للحد أي لحد الصيحات من الهول كما قال إنا
أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر والطغيان
مجاوزة الحد • ومنه لما طغى الماء حملناكم أي جاوز الحد • وقال ابن
يزيد بالرجل الطاغية وهو عاقر الناقة • والهاء فيه للمبالغة هذه
الأوجه صفة والمعنى أهلكوا بما أقدم عليه طاغيهم من عقر الناقة
وكان واحداً وإنما هلك الجميع لأنهم رضوا بفعله ومالؤوه وقيل
له طاغية كما يقال فلان راوية وداهية وعلامة ونسابة ويحتمل
أن يقال لسبب الفرقة الطاغية وهم التسعة رهط الذين كانوا
يفسدون في الأرض ولا يصلحون وأحدهم عاقر الناقة • وقال
الكلبي بالطاغية بالصاعقة • وقال مجاهد بالذنوب • وقال الحسن
بالطغيان فهي مصدر كالكاذبة والعاقبة أي أهلكوا بطغيانهم
وكفرهم • وموضعه كذبت ثمود بطغواها • قال ابن الخطيب وهذا
منقول عن ابن عباس قال وقد طعنوا فيه من وجهين • الأول قال
الزجاج قال ابن الخطيب إنه لما ذكر في الجملة الثانية نوع الشيء
الذي وقع به العذاب وهو قوله تعالى بريح صرصر عاتية وجب أن
يكون الحال في الجملة الأولى كذلك حتى تحصل المناسبة • والثاني قال
القاضي لو كانت المراد ما قالوه لكان من حق الكلام أن يقال أهلكوا
لها أو لأجلها والباء للسببية على الاحتمال كليهما إلا على قول قتادة
فالباء فيه للاستعانة كعملت بالقدوم قوله وأما عاد فأهلكوا
بريح صرصر أي باردة تحرق ببردها كإحراق النار مأخوذ من الصر وهو
البرد قاله الضحاك • وقيل إنها الشديدة الصوت • وقال مجاهد الشديدة
السموم عاتية عتت على خزانها ولم تطعهم ولم يطيقوها من شدة
هبوبها غضبت لغضب الله • وقال عطاء عن ابن عباس عتت على عاد فقهرتهم
فلم يقدروا على ردها بحيلة من استناد إلى جبل بل كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم
وروى سفيان الثوري عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسل الله من نسفة
من ريح إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم قوم نوح فإن الماء يوم قوم نوح طغى على
الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية • وقيل إن هذا
ليس من العتو الذي هو عصيان إنما هو بلوغ الشيء وانتهاؤه ومنه قولهم عتا
النبت أي بلغ منتهاه وجف • قال تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا أي بالغ
منتهاها في القوة والشدة قوله سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام
أي أرسلها وسلطها عليهم والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار • وقال الزجاج
أقامها عليهم والجملة من قوله سخرها عليهم يجوز أن يكون صفة لريح وأن يكون
حالاً منها لتخصصها بالصفة أو من الضمير في عاتية وأن تكون مستأنفة
قال ابن الخطيب وعندي أن فيه لطيفة وذلك أن من الناس من قال إن تلك
الرياح إنما اشتدت لاتصال فلكي نجومي اقتضى ذلك فقوله تعالى سخرها
فيه إشارة إلى نفي ذلك المذهب وأن ذلك إنما حصل بتقدير الله وقدرته
فإنه لولا هذه الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير عن العقاب
وقوله سبع ليال وثمانية أيام الفائدة فيه أنه تعالى لو لم يذكر ذلك
لما كان مقدار زمان ذلك العذاب معلوماً فلما قال سبع ليال وثمانية
أيام حسوماً احتمل أن يكون متفرقاً في هذه المدة فأزال هذا الظن
بقوله حسوماً أي متتابعة متوالية فصل قال وهب هي الأيام

التي

التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة • وقيل سميت
عجوزاً لأنها في عجز الشتاء • وقيل لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرباً
فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب
قوله حسوماً فيه أوجه • أحدها أن تنتصب نعتاً لما قبلها • الثاني
أن تنتصب على الحال أي ذات حسوم • وقرأ السدي حسوماً بالفتح
حالاً من الريح أي سخرها عليهم مستأصلة • الثالث أن تنتصب على
المصدر بفعل من لفظها أي تحسمهم حسوماً • الرابع أن يكون مفعولاً
له ويتضح ذلك بقول الزمخشري الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم
كشاهد وشهود أو مصدراً كالشكور والكفور فإن كانت جمعاً فمعنى
قوله حسوماً أي نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو
متتابعة هبوب الريح ما خففت ساعة تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل
الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وإن كان مصدراً
فإما أن تنتصب بفعل مضمر أي تحسمهم حسوماً بمعنى تستأصل
استئصالاً أو تكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولاً له
أي سخرها عليهم للاستئصال • قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي

ففرق بين بينهم زمان ۞ تتابع فيه أعوام حسوم

انتهى • وقال المبرد الحسوم الفصل حسمت الشيء من الشيء فصلته
منه • ومنه الحسام قال الشاعر

فأرسلت ريحاً دبوراً عقيماً ۞ فدارت عليهم فكانت حسوماً

وقال الليث هي الشؤم يقال هذه ليالي الشؤم أي تحسم الخير عن أهلها
لقوله تعالى في أيام نحسات • وهذان القولان يرجعان إلى المعنى الأول
لأن الفصل قطع وكذلك الشؤم لأنه يقطع الخير • قال ابن زيد
حسمتهم فلم يبق منهم أحداً • وعنه أيضاً أنها حسمت الليالي والأيام
حتى استوفتها لأنها بدأت طلوع الشمس من أول يوم وانقطعت
غروب الشمس من آخر يوم • واختلف في أولها فقال السدي غداة يوم الأحد
وقال الربيع بن أنس غداة يوم الجمعة • وقال يحيى بن سلام غداة
يوم الأربعاء وهو اليوم النحس المستمر • قيل كان آخر أربعاء في السنة
وآخرها يوم الأربعاء وهي في آذار من أشهر السريانيين ولها أسماء
مشهورة قال فيها ابن أحمر

كسع الشتاء بسبعة غبر ۞ أيام شهلتنا من الشهر
فإذا انقضت أيامها ومضت ۞ صن وصنبر مع الوبر
وبآمر وأخيه مؤتمر ۞ ومعلل وبمطفئ الجمر
ذهب الشتاء مولياً عجلاً ۞ وأتتك وافدة من البحر

وقال آخر

كسع الشتاء بسبعة غبر ۞ بالصن والصنبر والوبر
وبآمر وأخيه مؤتمر ۞ ومعلل وبمطفئ الجمر

قوله فترى القوم فيها أي في تلك الليالي والأيام صرعى جمع صريع
وهو حال نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى والضمير في فيها للأيام
والليالي كما تقدم أو للبيوت أو للريح والأول أظهر لقربه ولأنه مذكور
قوله كأنهم أعجاز نخل أي أصول نخل • وأعجاز حال من القوم أو
مستأنفة • وقرأ أبو نهيك أعجز على فعل نحو ضبع وأضبع • وقرئ نخيل
حكاه الأخفش • وقد تقدم أن اسم الجنس يذكر ويؤنث واختير هنا
تأنيثه للفواصل كما اختير تذكيره في سورة القمر • وقال أبو الطفيل

اصول نخل خاوية اي بالية • وقيل خالية الاجواف لا شي فيها • قال
القرطبي وقد قال تعالى في سورة القمر اعجاز نخل منقعر فيحتمل انهم
شبهوا بالنخل التي صرعت من اصلها وهو اخبار عن عظم اجسامهم ويحتمل
ان يكون المراد به الاصول دون الجذوع اي ان الريح قطعتهم حتى صاروا
كاصول النخل خاوية اي ان الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخل
الخاوية الجوف • وقال ابن شجرة كانت الريح تدخل في افواههم فتخرج
ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية • وقال يحيى
ابن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم خوت من ارواحهم مثل النخل
الخاوية **قوله** فهل ترى لهم من باقية • ادغم اللام في التاء ابو عمرو
وحده وتقدم مرارا الملاك ومن باقية مفعول ومن مزيده والباقية
قيل للمبالغة فيكون المراد بالباقية البقا كالطاغية بمعنى الطغيان اي
من بقاء والاحسن ان يكون صفة لفرقة او طائفة او نفس او بنية ونحو
ذلك • وقيل فاعلة بمعنى المصدر كالعافية العاقبة • قال المفسرون
والمعنى هل ترى لهم احدا باقيا • قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية
ايام احيا في عذاب الله من الريح فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم
الريح فالقتهم في البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله
فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم **قوله** وجاء فرعون ومن قبله قرا ابو عمرو
والكسائي بكسر القاف وفتح الباء اي ومن هو في جهته • ويؤيده قراءة ابي
موسى ومن تلقاه • وقرا ابي وعبد الله ومن تبعه والباقون بالفتح والسكون
على انه ظرف اي ومن تقدمه • والقراة الاولى اختارها ابو عبيدة وابو حاتم
اعتبارا بقراة ابي وعبد الله **قوله** والمؤتفكات بالخاطئة المؤتفكات
اهل قرى لوط وقراة العامة بالالف • وقرا الحسن والجحدري والمؤتفكة
على التوحيد • قال قتادة انما سميت قرى لوط مؤتفكات لانها ائتفكت
بهم اي انقلبت • وذكر الطبري عن محمد بن كعب القرظي خمس قريات
صبعه وصعده وعمره ودوما وسدوم وهي القرية العظمى قوله
بالخاطئة اما ان يكون صفة اي بالفعلة او الفعلات الخاطئة وهي المعصية
والكفر • وقال مجاهد الخطايا التي كانوا يفعلونها • وقال الجرجاني بالخطا
العظيم فيكون مصدرا كالعاقبة والكاذبة **قوله** فعصوا رسول
ربهم ان عاد الضمير الى فرعون ومن قبله فرسول ربهم موسى عليه
الصلوة والسلام • قال الواحدي والوجه ان يقال المراد بالرسول
كلاهما للخبر عن الايتين بعد ذكرهما بقوله فعصوا فيكون كقوله انا رسول
رب العالمين • قال القرطبي وقيل رسول بمعنى رسالة وقد يعبر عن
الرسالة بالرسول كقوله •
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ۞ بسر ولا ارسلتهم برسول
قوله فاخذهم اخذة رابية اي عالية زائدة على الاخذات وعلى
عذاب الامم يقال ربا الشي يربو اذا زاد • ومنه الربا اذا اخذ في
الذهب والفضة اكثر مما اعطي • والمعنى انها كانت زائدة في الشدة
على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم كانت زائدة في القبح على
افعال سائر الكفار • وقيل ان عقوبة آل فرعون في الدنيا متعلقة
بعذاب الاخرة لقوله اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الاخرة اشد من
عقوبة الدنيا فتلك العقوبة كانها كانت تنمو وتربو ثم ذكر
قصة قوم نوح وهي **قوله** انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
طغى اي ارتفع وعلا • وقال علي رضي الله عنه طغى على خزانه من الملائكة للامم
غضبا

غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه • قال المفسرون زاد على كل شي
خمسماية ذراعا • وقال ابن عباس رضي الله عنه طغى الماء زمن نوح على
خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الماء قطرة
تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم وقد تقدم مرفوعا
اول السورة والمقصود من ذكر هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب
زجر هذه الامة عن الاقتدا بهم في معصية الرسول ثم من عليهم بان جعلهم
ذرية من نجا من الغرق بقوله حملناكم اي حملنا اباكم وانتم في اصلابهم
في الجارية اي في السفن الجارية والمحمول في الجارية انما هو نوح واولاده
وكل من على وجه الارض من نسل اولئك • والجارية من اسما السفينة
ومنه قوله تعالى وله الجوار المنشئات في البحر كالاعلام • وغلب استعمال
الجارية في السفينة كقوله في بعض الالغاز • رايت جارية في بطن جارية
في بطنها رجل في بطنه جمل • قوله لنجعلها لكم تذكرة اي سفينة نوح
عليه الصلوة والسلام جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الامة حتى ادركها
اوايلهم في قول قتادة • قال ابن جريج كانت الواحها على الجودي والمعنى ابقيت
لكم الخشبات حتى تذكروا ما حل بقوم نوح وانجى الله اباكم وكم من سفينة
هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها شي وهذا قول الفرا • قال ابن الخطيب
وهذا ضعيف بل الصواب ما قاله الزجاج ان الضمير في قوله لنجعلها
يعود الى الواقعة التي هي معلومة وان كانت هنا غير مذكورة والتقدير
لنجعل نجاة المؤمنين واغراق الكافرين عظة وعبرة ويدل على صحة قوله
وتعيها اذن واعية • فالضمير في قوله وتعيها لا يمكن عوده الى السفينة
فكذا الضمير الاول **قوله** وتعيها العامة على كسر العين وتخفيف اليا
وهو مضارع وعى منصوب عطفا على لنجعلها وابن مصرف وابو عمرو في
رواية هارون عنه وقنبل • قال القرطبي وحميد الاعرج باسكانها تشبيها
له برحم وشهد وان لم يكن منه ولكن صار في اللفظ بمنزلة الحلقي العين
قال ابن الخطيب وروى عن ابن كثير اسكان العين جعل حرف المضارعة
مع ما بعده بمنزلة واحدة فخفف واسكن كما اسكن الحرف المتوسط من فخذ
وكبد وكتف وانما فعل ذلك لان حرف المضارعة لا ينفصل من الفعل
فاشبه ما هو من نفس الكلمة وصار كقوله ومن كان وهو وهي ومثل ذلك
ويتقه في قراة من سكن القاف • وروى عن حمزة اخفا الكسرة • وروى
عن عاصم وحمزة تشديد اليا وهو غلط عليهما وانما سمعها الراوي
بيان حركة اليا فظنها شدة • وقيل اجريا الوصل مجرى الوقف فضعفا
الحرف وهذا لا ينبغي ان يلتفت اليه • وروى عن حمزة ايضا وموسى بن
عبد الله العبسي وتعيها بسكون اليا وفيها وجهان الاستيناف والعطف
على المنصوب وانما سكنا اليا استثقالا للحركة على حرف العلة كقراة
تطعمون اهليكم **فصل** قال الزجاج يقال وعيت كذا اي حفظته
في نفسي اعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلته كله بمعنى واوعيت
المتاع في الوعاء • قال الزجاج يقال لكل ما حفظته في غير نفسك اوعيته
بالالف • ولما حفظته في نفسك وعيته بغير الف • قال ابن ... واعلم
ان وجه التذكير في هذا ان نجاة قوم من الغرق في السفينة وتغريق من سواهم
يدل على قدرة مدبر العالم ونفاذ مشيئته ونهاية حكمته ورحمته وشدة
قهره • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الاية سالت
الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت شيا بعد
ذلك • فان قيل لم قال اذن واعية على التوحيد والتنكير • فالجواب

للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم والدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يلتفت اليهم وان امتلا العالم منهم • ونظير هذه الاية قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب قال قتادة الاذن الواعية اذن عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عز وجل **قوله** فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة • لما حكى هذه القصص الثلاث ونبه بها على ثبوت القدرة والحكمة للصانع تحقيقا ثبت بثبوت القدرة امكان القيامة ويثبت بثبوت الحكمة امكان وقوع الحشر ولما ثبت ذلك شرع سبحانه في تفاصيل احوال القيامة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة **قوله** واحدة تاكيد ونفخة مصدر قام مقام الفاعل • وقال ابن عطية لما نعت صح رفعه انتهى ولو لم ينعت لصح رفعه لانه مصدر مختص لدلالته على الوحدة والممنوع عند البصريين انما هو اقامة المبهم نحو ضرب ضرب والعامة على الرفع فيهما وقرا ابو السمال بنصبهما كانه اقام الجار مقام الفاعل فترك المصدر على اصله ولم يونث الفعل وهو نفخ لان التانيث مجازي وحسنه الفصل

فصل قال ابن عباس هي النفخة الاولى لقيام الساعة فلا يبقى احد الا مات • قال ابن الخطيب لان عندها يحصل خراب العالم فان قيل لم قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند النفخة الثانية • قلنا جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك يوم يعرضون كقوله جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته وقيل ان هذه النفخة هي الاخيرة • وقال نفخة واحدة اي لا تثنى قال الاخفش ووقع الفعل على النفخة اذ لم يكن قبلها اسم مرفوع فقيل نفخة **قوله** وحملت الارض قرا بتخفيف الميم اي وحملتها الريح او الملائكة او القدرة اي رفعت من اماكنها فدكتا اي فتتا وكسرتا دكة واحدة اي الارض والجبال لان المراد الشيئان المتقدمان كقوله كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولا يجوز في دكة الا النصب لارتفاع الضمير في دكتا • وقال الفرا لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة لقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وانما بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بملك من الملائكة او بقدرة الله فدكتا اي جملة الارض وجملة الجبال يضرب بعضها في بعض حتى تندق وتصير كثيبا مهيلا وهباء منثورا • والدك ابلغ من الدق • وقيل دكتا اي بسطتا بسطة واحدة ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره • وقرا ابن عامر في رواية والاعمش وابن ابي عبلة وابن مقسم وحملت بتشديد الميم فجاز ان يكون التشديد للتكثير فلم يكسب الفعل مفعولا اخر وجاز ان يكون للتعدية فيكسب مفعولا اخر فيكون الثاني محذوفا والاول هو القائم مقام الفاعل تقديره وحملت الارض والجبال ريحا تفتتها لقوله فقال بنفسها اي نسفنا • وقيل التقدير حملنا ملائكة • ويحتمل ان يكون الاول هو المحذوف والثاني هو القائم مقام الفاعل **قوله** فيومئذ منصوب بوقعت ووقعت الواقعة لا بد فيه من تاويل

وهو

وهو ان يكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيامة او الواقعة العظيمة والا فقام القائم لا يجوز اذ لا فائدة فيه وتقدم هذا في قوله اذا وقعت الواقعة والتنوين في يومئذ للعوض من الجملة تقديره يومئذ نفخ في الصور

فصل المعنى قامت القيامة الكبرى وانشقت السما اي تصدعت وتفطرت • وقيل انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فهي يومئذ واهية اي ضعيفة مسترخية ساقطة كالعهن المنفوش بعد ما كانت محكمة يقال وهى البناء يهي وهيا فهو واه اذا ضعف جدا • ويقال كلام واه اي ضعيف فقيل انها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي ويكون ذلك لنزول الملائكة • وقيل لهول يوم القيامة • وقال ابن شجرة واهية اي متخرقة ماخوذ من قولهم وهى السقا اذا انخرق ومن امثالهم خل سبيل من وهى سقاؤه ومن هريق بالفلاة ماؤه اي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك على ارجائها اي لم يرد به ملكا واحدا بل المراد الجنس والجمع على ارجائها الارجا في اللغة النواحي والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل عصى وعصوان قال •

فلا يرمى بي الرجوان اني • اقل القوم من يغني مكاني • وقال اخر

كان لم يرني قبلي اسيرا مقيدا • ولا رجلا يرمى به الرجوان •

ورجا هذا يكتب بالالف عكس رجا لانه من ذوات الواو • ويقال رجا ورجوان والجمع الارجا ويقال ذلك لحرف البير وحرف القبر وما اشبهه

فصل قال ابن عباس على اطرافها حين تنشق • قال الماوردي ولعله قول مجاهد وقتادة وحكاه الثعلبي عن الضحاك قال على اطرافها مما لم ينشق منها • وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اي ينزلون الى الارض ويحرسون اطرافها • وقال اذا صارت السما قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في انفسها • فان قيل الملائكة يموتون في الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض فكيف يقال انهم يقفون على ارجا السما فالجواب من وجهين • الاول انهم يقفون لحظة على ارجا السما ثم يموتون والثاني المراد الذين استثناهم في قوله الا من شا الله • وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم فيندوا كما تند الابل فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا ملائكة فيرجعون من حيث جاؤا • وقيل على ارجائها ينتظرون ما يومرون به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله راجع الى قول ابن جبير • ويدل عليه قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا **قوله** على ارجائها ضمير المفرد والضمير للسما وقيل للارض على ما تقدم • قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو ساجد اعم من قولك ما من ملائكة انتهى • قال ابو حيان ولا يظهر ان الملك اعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام قصاراه ان يكون مرادا به الجمع المحلى ولذلك صح الاستثنا منه فقصاراه ان يكون كالجمع المحلى بهما واما دعواه انه اعم منه بقوله الا ترى الى اخره فليس دليلا على دعواه لان من ملك نكرة مفردة في سياق النفي قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملائكة فان من دخلت على جمع منكر فعم في كل جمع جمع من الملائكة ولا يلزم من ذلك انتفا كل فرد فرد من الملائكة لو قلت ما في الدار

من رجال جاز ان يكون فيها واحد لان النفي انما انسحب على جمع ولا
يلزم من انتفا الجمع ان ينتفي المفرد والملك في الاية ليس في سياق نفي
دخلت عليه من وانما جي به مفردا لانه اخف ولان قوله على ارجايها
يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن ان يكون على ارجايها في وقت
واحد بل في اوقات والمراد والله اعلم ان الملايكة على ارجايها لا انه ملك
واحد ينتقل على ارجايها في اوقات • قال شهاب الدين ان الزمخشري
منزعه في هذا ما تقدم عنه في اواخر سورة البقرة عند قوله وكتابه
ورسله فليراجع ثمه • واما قول ابي حيان ما من رجال ان النفي منصب
على رتب الجمع ففيه خلاف والتحقيق ما ذكره قوله ويحمل عرش
ربك فوقهم يوميذ ثمانية الضمير في فوقهم يجوز ان يعود على الملايكة
بمعنى الجمع كما تقدم وان يعود على الحاملين الثمانية • وقيل ان حملة
العرش فوق الملايكة الذين في السما على ارجايها وقيل يعود على جميع
العالم اي ان الملايكة تحمل عرش الله فوق العالم كله فصل
قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عددهم الا الله وقال
ابن زيد هم ثمانية املاك • وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية او ثمانية
الاف او ثمانية صفوف • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش
اليوم اربعة اوعال • فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرين
فكانوا ثمانية خرجه الماوردي مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم ورواه العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال هم ثمانية املاك على صورة الاوعال لكل ملك منهم
اربعة اوجه • وجه رجل • ووجه اسد • ووجه ثور ووجه نسر وكل
وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس فان قيل اذا لم يكن
فيهم صورة وعل فكيف سموا اوعالا • فالجواب ان وجه الثور اذا
كانت له قرون الوعل اشبه الوعل • وفي الخبر ان فوق السما السابعة
ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين السما الى السما وفوق
ظهورهن العرش ذكره القشيري وخرجه الترمذي من حديث العباس
ابن عبد المطلب • وفي حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على
صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطاير
المسرع • وروي ان ارجلهم • وروي ان ارجلهم في الارض السابعة
فصل اضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس البيت
للسكنى فكذلك العرش • ومعنى فوقهم اي فوق روسهم • قال ابن الخطيب
قالت المشبهة لو لم يكن الله في العرش لكان حمل العرش عبثا لا فايدة فيه
لا سيما قد اكد ذلك بقوله يوميذ تعرضون • والعرش انما يكون لولا الاله
حاضرا في العرش واجاب بانه لا يمكن ان يكون المراد ان الله تعالى جالس على
العرش لان كل من كان حاملا للعرش فلو كان الاله على العرش لزم ان يكون
الملايكة حاملين لله تعالى وذلك محال لانه يقتضي احتياج الله اليهم وان
يكون اعظم قدرا من الله وكل ذلك كفر فعلمنا انه لا بد فيه من التاويل
فنقول السبب في هذا الكلام هو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فخلق
لنفسه بيتا يزورونه ليس انه يسكنه تعالى الله عن ذلك وجعل في ركن
البيت حجرا هو يمينه في الارض اذ كان من شانهم ان يعظموا روساهم
بتقبيل ايمانهم وجعل على العباد حفظة لا لان النسيان يجوز عليه
سبحانه وكذلك ان الملك اذا اراد محاسبة عماله جلس على سرير ووقف
الاعوان حوله فسمى الله يوم القيمة عرشا وحفت به الملايكة لا لانه
يقعد

يقعد عليه او يحتاج اليه بل كما قلنا في البيت والطواف قوله يوميذ
تعرضون تعرضون هو جواب اذا من قوله فاذا نفخ • قاله ابو حيان
وفيه نظر بل جوابها ما تقدم من قوله وقعت الواقعة وتعرضون على
هذا استيناف قوله لا تخفى قرا الاخوان بالياء من تحت لان التانيث
مجازي كقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه قد حال
بين الفعل والاسم المونث الجار والمجرور والاخوان على اصلهما في امالة الالف
وقرا الباقون لا تخفى بالتاء من فوق للتانيث اللفظي والفتح وهو
الاصل واختاره ابو حاتم فصل قال القرطبي هذا هو العرض على
الله ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن عالما
به بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمسايلة وتقدير الاعمال عليهم
للمجازاة • قال صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال ومعاذير • واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف
في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله • وقوله لا تخفى منكم خافية • قال
ابن شجرة اي هو عالم بكل شي من اعمالكم فخافية على هذا بمعنى خفية
كانوا يخفونها من اعمالهم • ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شي • قال
ابن الخطيب فيكون العرض للمبالغة في التهديد يعني تعرضون على من لا يخفى
عليه شي • وقيل لا يخفى عليه انسان لا يحاسب • وقال عبد الله بن عمرو
ابن العاص لا يخفى المومن من الكافر ولا البر من الفاجر وقيل لا يستتر منكم
عورة لقوله عليه الصلوة والسلام يحشر الناس حفاة عراة قوله
فاما من اوتي كتابه بيمينه وهذا دليل على النجاة • قال ابن عباس اول
من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع
الشمس قيل له فاين ابو بكر فقال هيهات زفته الملايكة الى الجنة
قال القرطبي وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه
ومعناه في كتاب التذكرة قوله هاوم اقرءوا كتابيه يقول
ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من دلايل
الفرح قال الشاعر •

اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين

وقال

ابيني افي يمنى يديك جعلتني • افرح ام صيرتني في شمالك

وقال ابن زيد معنى هاوم تعالوا فيتعدى بالى • وقال مقاتل
هلم • وقيل خذوا ومنه الحديث في الربا الا هاء وهاء اي يقول كل واحد
لصاحبه خذ وهذا هو المشهور • وقيل هي كلمة وضعت لاجابة الداعي
عند الفرح والنشاط • وفي الحديث انه ناداه اعرابي بصوت عالي
فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاوم بصولة صوته • وقيل معناها
اقصدوا وزعم هولا انها مركبة من ها التنبيه وانوا من الام
وهو القصد فصيره التخفيف والاستعمال الى هاوم وقيل الميم ضمير
جماعة الذكور • وزعم القتيبي ان الهمزة بدل من الكاف فان عنى انها تحل
محلها فصحيح وان عنى البدل الصناعي فليس بصحيح • فقوله هاوم يطلب
مفعولا يتعدى اليه بنفسه ان كان بمعنى خذوا واقصدوا وبالى ان كان بمعنى
تعالوا واقرءوا يطلبه ايضا فقد تنازعا في كتابيه واعمل الثاني للحذف من الاول
وقد تقدم تحقيق هذا في سورة الكهف وفي غيرها وفيها لغات وذلك
انها تكون فعلا صريحا وتكون اسم فعل ومعناها في الحالين خذ فان كانت
اسم فعل وهي المذكورة في الاية الكريمة ففيها لغتان المد والقصر
تقول هادرهم يا زيد وهادرها ويكونان كذلك في الاحوال كلها من افراد

وتثنية وجمع وتذكير وتانيث ومتصل بها كاف الخطاب اتصالها باسم
الاشارة فتطابق مخاطبك بحسب الواقع مطابقتها وهي ضميره
نحو هاك هاك هاك الى اخره وتخلف كاف الخطاب همزة ها
مصرفة تصرف كاف الخطاب فتقول هاء يا زيد هاء يا هند هاؤما
هاؤم هاؤن وهي لغة القران واذا كانت فعلا صريحا لاتصال الضمائر
البارزة المرفوعة بها كان فيها ثلاث لغات • احدها ان يكون مثل عاطى
يعاطي فيقال هاء يا زيد هائي يا هند هاءا يا زيدان او يا هندان
هاؤا يا زيدون هائين يا هندات الثانية ان تكون مثل هب فيقال
هاء هائي هاءا هاؤوا هان مثل هب هبي هبا هبوا هبن • الثالثة
ان تكون مثل خف امرا من الخوف فيقال ها هائي • هاءا هاؤوا
هان مثل خف خافي خافا خافوا خفن قوله كتابيه منصوب
بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين
والاصل كتابي فادخل الها لتبين فتحة اليا • والها في كتابيه وحسابيه
وسلطانيه وماليه للسكت وكان حقها ان تحذف وصلا وتثبت
وقفا وانما اجري الوصل مجرى الوقف او وصل بنية الوقف في كتابيه
وحسابيه اتفاقا فاثبت الها وكذلك في ماليه وسلطانيه وماهيه
في القارعة عند القرا كلهم الا حمزة فانه حذف الها من هذه الكلم الثلاث
وصلا واثبتها وقفا لانها في الوقف تحتاج اليها لتحصين حركة الموقوف
عليه وفي الوصل يستغنى عنها • فان قيل فلم لم يفعل ذلك في كتابيه
وحسابيه • فالجواب انه جمع بين اللغتين هذا في القراات السبع وقرا
ابن محيصن بحذفها في الكلم كلها وصلا ووقفا واثباتها وقفا وابن
محيصن بسكون اليا في الكلم المذكورة بغير ها والحق انها قراة صحيحة
اعني ثبوت ها السكت وصلا لثبوتها في خط المصحف الكريم والنقل
المتواتر وقال الزهراوي ان اثباتها في الوصل لحن لا اعلم احدا يجيزه وقد تقدم
الكلام على ها السكت في البقرة والانعام قوله اني ظننت قال
ابن عباس اي ايقنت وعلمت • وقيل ظننت ان يواخذني الله بسيا
تي فقد تفضل علي بعفوه ولم يواخذني بها • قال الضحاك كل ظن
من المومن في القران فهو يقين ومن الكافر فهو شك • وقال مجاهد ظن الاخرة
يقين وظن الدنيا شك • وقال الحسن في هذه الاية ان المومن احسن
الظن بربه فاحسن العمل • وان المنافق اسا الظن بربه فاسا العمل
وقوله اني ملاق حسابيه اي في الاخرة ولم انكر البعث يعني ما كان
الا تخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله يحاسبه فعمل للاخرة
قوله راضية فيها ثلاثة اوجه • احدها انه على المجاز جعلت العيشة
راضية لمحلها دحصولها في مستحقيها وانها لا حال اكمل من حالها والمعنى
في عيش يرضاه لا مكروه فيه • الثاني انه على النسب اي ذات رضى
نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر • والمعنى ذات رضى يرضى بها صاحبها
الثالث قال ابو عبيدة والفرا انه مما جا فيه فاعل بمعنى مفعول
ماء دافق اي مدفوق كما جا مفعول بمعنى فاعل كقوله حجابا مستورا
اي ساترا فصل قال عليه الصلوة والسلام انهم يعيشون
فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون
باسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا قوله في جنة عالية
اي عظيمة في النفوس قطوفها دانية • القطوف جمع قطف وهو فعل
بمعنى مفعول كالرعي والذبح وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار دانية

اي

اي قريبة التناول يتناولها القايم والقاعد والمضطجع • والقطف
بكسر القاف وهو ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح المصدر
والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا
وهذا امر امتنان لا امر تكليف وقوله هنيا قد تقدم في اول
النسا وجوز الزمخشري فيه هنا ان ينتصب نعتا لمصدر
محذوف اي اكلا هنيا وشربا هنيا وان ينتصب على المصدر
بعامل من لفظه مقدر اي هنيتم بذلك هنيا والبا في بما اسلفتم تقدم
من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي في الدنيا • قالت المعتزلة
وهذا يدل على ان العمل يوجب الثواب وان الفعل للعبد وقال كلوا
بعد قوله في عيشة راضية لقوله فاما من اوتي ومن يتضمن معنى الجمع
فصل ذكر الضحاك ان هذه الاية نزلت في ابي سلمة عبد الله
ابن عبد الاسد المخزومي وقال مقاتل والاية التي تليها في اخيه الاسود
ابن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك • قال الثعلبي ويكون هذا
الرجل واخوه سبب نزول هذه الايات ويعم المعنى جميع اهل الشقاوة
والسعادة بدليل قوله تعالى كلوا واشربوا • وقيل ان المراد بذلك كل من
كان متبوعا في الخير والشر يدعو اليه ويامر به قوله واما من اوتي
كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ثم
يتمنى الموت ويقول يا ليتها كانت القاضية • فالضمير في ليتها قيل
يعود الى الموتة الاولى وان لم تكن مذكورة الا انها لظهورها كانت كالمذكورة
والقاضية القاطعة من الحياة قال تعالى فاذا قضيت الصلوة • ويقال
قضى على فلان اذا مات • والمعنى يا ليت الموتة التي كانت القاطعة لامري
ولم ابعث بعدها ولم الق ما وصلت اليه • قال قتادة يتمنى الموت ولم
يكن في الدنيا عنده شي اكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت
قال الشاعر •

وشر من الموت الذي ان لقيته • تمنيت منه الموت والموت اعظم •

وقيل يعود الى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب • والمعنى يا ليت
هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي قوله ما اغنى عني يجوز ان يكون
نفيا • وان يكون استفهاما توبيخ لنفسه اي اي شي اغنى عني ما كان لي من
اليسار هلك عني سلطانيه • قال ابن عباس هلكت عني حجتي والسلطان
الحجة التي كنت احتج بها وهو قول مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك
وقال مقاتل ضلت عني حجتي حين شهدت عليه الجوارح • وقال ابن زيد يعني
ملكي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا فقيرا وكان مطاعا في اصحابه قوله
خذوه فغلوه كقوله كلوا في اضمار القول يقال ذلك لخزنة جهنم والغل
جمع اليدين الى العنق اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي اجعلوه
يصلى الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعاظم في الدنيا وتقديم المفعول
يفيد الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشري ثم لا تصلوه الا الجحيم
قال ابو حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا لحذاق النحاة وقد
تقدمت هذه المسالة متقنة وان كلام النحاة لا ياتي ما قاله قوله ذرعها
سبعون في محل جر صفة لسلسلة وفي سلسلة متعلق باسلكوه والفا لا تمنع
من ذلك والذراع مونثة ولذلك تجمع على افعل وسقطت التا من عدده
قال ادرى علما وهي فرع اجمع • وهي ثلاث اذرع واصبع • وذكر السبعين
دون غيرها من العدد قيل المراد به التكثير كقوله ان تستغفر لهم سبعين
مرة وقيل المراد حقيقة العدد • قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع

الملك • وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع
كما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة • وقال الحسن الله اعلم اي ذراع
وزعم بعضهم ان في قوله في سلسلة فاسلكوه قلبا قال لانه نقل في
التفسيرات السلسلة تدخل من فيه وتخرج من دبره فهي المسلوك فيه
لا هو المسلوك فيها • والظاهر انه لا يحتاج الى ذلك لانه روي انها
لطولها تجعل في عنقه وتلتوي عليه حتى يحيط به من جميع جهاته
فهو المسلوك فيها • والظاهر انه لا يحتاج الى ذلك لانه روي انها لطولها
تجعل في عنقه وتلتوي عليه • وقال الزمخشري والمعنى في تقديم السلسلة
على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه
السلسلة وثم للدلالة على التفاوت لما بين الغل والتصلية بالجحيم
وما قبلها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة ونازعه ابو حيان
في افادة التقديم الاختصاص كما هو عادته وجوابه ما تقدم ونازعه ايضا
في ان ثم للدلالة على تراخي الرتبة • وقال مكي التراخي الزماني بان يصلى
بعد ان يسلك ويسلك بعد ان يوخذ ويغل بمهلة بين هذه الاشياء
انتهى وفيه نظر من حيث ان التوعد بتوالي العذاب اكد واقطع من
التوعد بتفريقه **قوله** انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على
طعام المسكين الحض الحث على الفعل والحرص على وقوعه • ومنه حروف التحضيض
المبوب لها في النحو لانه يطلب بها وقوع الفعل وايجاده فبين تعالى انه
عذب على ترك الاطعام وعلى الامر بالبخل كما عذب بسبب الكفر • قال
ابن الخطيب وفي الاية دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع • كان ابو الدرداء
يحض امراته على الاطعام ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان
افلا نخلع نصفها الثاني بالاطعام • وقيل المراد قول الكفار انطعم من لو
يشاء الله اطعمه واصل طعام ان يكون منصوبا بالمصدر المقدر • والطعام
عبارة عن العين واضيف للمسكين للملابسة التي بينهما ومن اعمل الطعام
كما يعمل الاطعام فموضع المسكين نصب والتقدير على اطعام المطعم
المسكين فحذف الفاعل واضيف المصدر الى المفعول **قوله** فليس له
اليوم ههنا حميم في خبر ليس وجهان • احدهما له • والثاني ههنا وايضا
كان خبرا تعلق به الاخر وكانت حالا من حميم ولا يجوز ان يكون اليوم
خبرا البتة لانه زمان والمخبر عنه جثة • ومنع المهدوي ان يكون ههنا خبرا
ولم يذكر المانع وقد ذكره القرطبي فقال لانه يصير المعنى ليس ههنا طعام
الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره انتهى وفي هذا نظر لانا
لا نسلم ولا ان ثم طعاما غيره فان اورد قوله ليس لهم طعام الا من ضريع
فهذا طعام اخر غير الغسلين فالجواب ان بعضهم ذهب الى ان الغسلين
هو الضريع بعينه فسماه في اية غسلينا وفي اخرى ضريعا ولئن سلمنا
انهما طعامان فالحصر باعتبار الاكلين يعني ان لهذا الاكل الحصر طعام
في الغسلين ولا ينافي ان يكون في النار طعام اخر واذا قلنا ان له الخبر وان
اليوم وههنا متعلقان بما تعلق هو به فلا اشكال وكذلك اذا جعلنا
ههنا هو الخبر وعلقنا به الجار والظرف ولا يضر كون العامل معنويا
للاتساع في الظروف وحروف الجر • وقوله الا من غسلين صفة لطعام
دخل الحصر على الصفة كقولك ليس عندي رجل الا من بني تميم والمراد
بالحميم الصديق • فعلى هذا الصفة مختصة بالطعام اي لا صديق له
ينفعه ولا طعام الا من كذا • وقيل التقدير فليس له حميم الا من غسلين
ولا طعام قاله ابو البقاء فجعل من غسلين صفة للحميم كانه اراد الشيء
الذي

الذي يجري به البدن من صديد النار • وقيل من الطعام والشراب
لان الحميم يطعم بدليل قوله ومن لم يطعمه • فعلى هذا يكون الا من غسلين
من غسلين صفة للحميم والطعام والمراد بالحميم ما يشرب
والظاهر ان خبر ليس هو قوله من غسلين اذا اريد بالحميم الصديق فلا يتاتى
ذلك وعلى هذا الذي ذكرنا فيه سؤال وهو ان يقال باي شيء تتعلق
الجار والظرفان فالجواب انها تتعلق بما يتعلق به الخبر وتجعل له او
ههنا لا من حميم ويتعلق اليوم بما يتعلق به الحال ولا يجوز ان يكون
اليوم حالا من حميم وله ههنا متعلقان بما تعلق به الحال كانه ظرف
زمان وصاحب الحال جثة وهذا موضع حسن مفيد • والغسلين فعلين
من الغسالة فنونه وياؤه زائدتان • قال اهل اللغة هو ما يجري من الجراح
اذا غسلت • قال المفسرون هو صديد اهل النار • وقيل شجر يأكلونه • وعن
ابن عباس لا ادري ما الغسلين • وسمي طعاما لقيامه مقامه فسمي طعاما كقوله
تحية بينهم ضرب وجيع **قوله** لا ياكله الا الخاطئون صفة لغسلين
والعامة يهمزون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطئ يخطأ اذا فعل غير الصواب
متعمدا والمخطئ من يفعله غير متعمد • وقرا الزهري والعتكي وطلحة والحسن
الخاطيون بياء مضمومة بدلا من الهمزة وقد تقدم مثله في يستهزئون والكتاب
وقرا نافع في رواية وشيبة ونسبه بطاء مضمومة دون همزة وفيها وجهان
احدهما انه كقراءة الجماعة الا انه خفف بالحذف • والثاني انه اسم فاعل من خطا
يخطو اذا اتبع خطوات غيره فيكون من قوله لا تتبعوا خطوات الشيطان قاله
الزمخشري وقد تقدم اول الكتاب ان نافعا يقرا الصابون بدون همز
وكلام الناس فيها • وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو • وروى عنه ابو
الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون وما الصابون انما هو الصابئون
ويجوز ان يراد به الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله
قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون • قد تقدم مثله في اخر الواقعة
الا انه قيل ههنا ان لا نافية لفعل القسم وكانه قيل لا احتياج ان اقسم على
هذا لانه حق ظاهر مستغن عن القسم ولو قيل به في الواقعة لكان حسنا
واعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على امكان القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر
احوال السعداء واحوال الاشقياء ختم الكلام بتعظيم القران فقال فلا اقسم
بما تبصرون قيل المراد اقسم ولا صلة • والمعنى اقسم بالاشياء كلها ما ترون
منها وما لا ترون فعم جميع الاشياء على الشمول لانها لا تخرج عن قسمين مبصر
وغير مبصر فقيل الخالق والخلق والدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس
والجن • والنعم الظاهرة والباطنة وان لم تكن لا زائدة فالتقدير لا اقسم على
ان هذا القران قول رسول كريم لانه يستغني عن القسم لوضوحه • وقال
مقاتل سبب نزول هذه الاية ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال
ابو جهل شاعر • وقال عقبة كاهن فقال الله تعالى فلا اقسم اي اقسم وان
قيل لا نافية للقسم جوابه كجواب القسم انه يعني القران لقول رسول كريم
يعني جبريل قاله الحسن والكلبي ومقاتل لقول رسول كريم ذي قوة • وقال
الكلبي ايضا والقتبي الرسول ههنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله وما هو
بقول شاعر وليس القران من قول الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو من قول
الله عز وجل ونسب القول الى الرسول لانه تاليه ومبلغه والعامل به كقولنا
هذا قول مالك • فان قيل كيف يكون كلاما لله تعالى ولجبريل ولمحمد عليهما الصلوة
والسلام • فالجواب ان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فالله سبحانه اظهره
في اللوح المحفوظ وجبريل بلغه لمحمد عليهما الصلوة والسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم



بلغه للامة. قوله: انه لقول هو جواب القسم، وقوله: وما هو بقول
معطوف على الجواب فهو جواب اقسم على شيئين احدهما مثبت والاخر
منفي وهو من البلاغة الرابعة. قوله: قليلا ما تؤمنون قليلا ما تذكرون
انتصب قليلا في الموضعين نعت لمصدر او زمان محذوف اي ايمانا
قليلا او زمانا قليلا، والناصب يؤمنون وتذكرون وما مزيدة للتوكيد.
وقال ابن عطية: ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه يؤمنون، وما يحتمل
ان تكون نافية فينتفي ايمانهم البتة، ويحتمل ان يكون مصدرية وتتصف
بالقلة فهو الايمان اللغوي لانهم قد صدقوا باشيا يسيرة لا تغني عنهم
شيا اذ كانوا يصدقون ان الخير والصلة والعفاف الذي يامر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو حق وصواب. قال ابو حيان: اما قوله
قليلا نصب بفعل الى اخره فلا يصح لان ذلك الفعل الدال عليه يؤمنون
اما ان يكون ما نافية كما ذهب اليه او مصدرية، فان كانت نافية
فذلك الفعل المضمر الدال عليه يؤمنون المنفي بما يكون منفيا فيكون
التقدير ما تؤمنون، والفعل المنفي بما لا يجوز حذفه ولا حذف ما، لا
يجوز زيدا ما اضربه على تقدير ما اضرب زيدا ما اضربه، وان كانت
مصدرية كانت اما في موضع رفع بقليلا على الفاعلية اي قليلا ايمانكم
ويبقى قليلا لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له، واما في
موضع رفع على الابتدا فيكون مبتدا لا خبر له لان ما قبله منصوب.
قال شهاب الدين: لا يريد ابن عطية بدلالة يؤمنون على الفعل المذكور
الدلالة المذكورة في باب الاشتغال حتى يكون العامل الظاهر مفسرا
للعامل المضمر بل يريد مجرد الدلالة اللفظية فليس ما اورده ابو حيان
عليه من تمثيله بقوله زيدا ما اضربه اي ما اضرب زيدا ما اضربه،
واما الرد الثاني فظاهر وقد تقدم لابن عطية هذا القول في اول سورة
الاعراف فليلتفت اليه. وقال الزمخشري: والقلة في معنى العدم
اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة. قال ابو حيان: ولا يراد بقليلا هنا
النفي المحض كما زعم، وذلك لا يكون الا في اقل نحو اقل رجل يقول ذلك الا زيد، وفي
قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد، وقد يستعمل في قليل وقليلة اذا
كانا مرفوعين نحو ما جوزوا في قول الشاعر: قليل بها الاصوات الا بغامها.
اما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت او قليلا ما ضربت على ان تكون
ما مصدرية فان ذلك لا يجوز لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت
ولم تستعمل العرب اذا انتصب بالفعل نفيا بل مقابلا لكثير. واما
في قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فيحتاج الى رفع قليل لان
ما المصدرية في موضع رفع على الابتدا انتهى ما رد به عليه. قال
شهاب الدين: وهو مجرد دعوى. وقرا ابن كثير وابن عامر بخلاف عن
ابن ذكوان يؤمنون ويذكرون بالغيبة حملا على قوله الخاطئون
والباقون بالخطاب حملا على بما تبصرون وما لا تبصرون. [illegible]

فصل: قوله وما هو بقول شاعر لانه مباين لصنوف
الشعر كلها، ولا بقول كاهن لانه ورد بسب الشياطين وشتمهم فلا
ينزلون شيا على من يسبهم. وقوله قليلا ما تؤمنون المراد بالقليل من
ايمانهم هو انهم اذا سيلوا من خلقهم قالوا الله. وقيل انهم قد يؤمنون
في قلوبهم الا انهم يرجعون عنه سريعا ولا يتمون الاستدلال، الا ترى الى قوله
تعالى انه فكر وقدر الى اخر الايات قال ان هذا الا سحر يؤثر. وقال
مقاتل: يعني بالقليل انهم لا يصدقون بان القران من الله تعالى، والمعنى

لا يؤمنون



لا يؤمنون اصلا، والعرب يقولون قلما تاتينا يريدون لا تاتينا.
قوله: تنزيل من رب العالمين، هذه قراءة العامة اعني الرفع على
اضمار مبتدا اي هو تنزيل، وتقدم مثله. وابو السمال تنزيلا بالنصب
على اضمار فعل اي نزل تنزيلا. قال القرطبي: وهو عطف على قوله انه
لقول رسول كريم، اي انه لقول رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين.
قوله: ولو تقول، هذه قراءة العامة تفعل من القول مبنيا للفاعل.
قال الزمخشري: التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل. وقرا
بعضهم تقول مبنيا للمفعول، فان كان هذا القارئ رفع بعض الاقاويل
فذاك، والا فالقائم مقام الفاعل الجار، وهذا عند من يرى قيام غير المفعول
به مع وجوده. وقرا ذكوان وابنه محمد يقول مضارع قال. والاقاويل جمع
اقوال، واقوال جمع قول، فهو نظير اباييب جمع انياب جمع ناب. وقال
الزمخشري: وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك
الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول. والمعنى لو نسب
الينا قولا لم نقله لاخذنا منه باليمين اي لاخذناه بالقوة، والبا يجوز
ان تكون على اصلها غير مزيدة، والمعنى لاخذناه بقوة منا فالبا حالية
والحال من الفاعل وتكون من في حكم الزايدة، واليمين هنا مجاز عن القوة والغلبة
لان قوة كل شي في ميامنه قاله القتبي، وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد،
ومنه قول الشماخ:

اذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

قال ابو جعفر الطبري: هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس
في الاخذ بيد من يعاقب. ويجوز ان تكون البا مزيدة والمعنى لاخذنا
منه يمينه، والمراد باليمين الجارحة كما يفعل بالمقتول صبرا يؤخذ بيمينه
ويضرب بالسيف في جيده مواجهة وهو اشد عليه. قال الحسن: لقطعنا
يده اليمين. وقال نفطويه: المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف. وقال
السدي ومقاتل: والمعنى انتقمنا منه بالحق، واليمين على هذا بمعنى الحق
كقوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق. قوله
لقطعنا منه الوتين، وهو العرق المتصل من القلب بالراس الذي اذا
قطع مات الحيوان. قال ابو زيد: وجمعه الوتن وثلاثة اوتنة، والموتون
الذي قطع وتينه. وقال الكلبي: هو عرق بين العلباء والحلقوم وهما علباوان
وبينهما العرق، والعلباء عصب العنق. وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة
الناحر. قال الشماخ:

اذا بلغتني وحملت رحلي ... عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقال مجاهد: هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع، فاذا انقطع
بطلت القوى ومات صاحبه. وقال محمد بن كعب: انه القلب ومراقه
وما يليه. وقال عكرمة: ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف ولا ان شبع
عرف. قال ابن قتيبة: ولم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب
علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه. ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم
ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري، والابهر عرق
يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان
يقتلني السم وحينيذ صرت كمن انقطع ابهره. قوله: فما منكم
من احد عنه حاجزين، في حاجزين وجهان احدهما انه نعت لاحد على
اللفظ وانما جمع على المعنى لان احدا يعم في سياق النفي كساير النكرات
الواقعة في سياق النفي، قاله الزمخشري والحوفي، وعلى هذا فيكون منكم

خبر المبتدا والمبتدا من احد وزيدت فيه من لوجود شرطيهما وضعفه
ابو حيان بان النفي يتسلط على كينونته منكم والمعنى انما هو على نفي
الحجز عما يراد به • والثاني ان يكون خبر الما الحجازية ومن احد اسمها
وانما جمع الخبر لما تقدم ومنكم على هذا حال لانه في الاصل صفة لاحد
او متعلق بحاجزين ولا يضر ذلك لكون معمول الخبر جارا ولو كان مفعولا
صريحا لامتنع لا يجوز ما طعامك زيدا اكلا او متعلق بمحذوف على سبيل
البيان وعنه يتعلق بحاجزين على القولين والضمير للمقتول او
للقتل المدلول عليه بقوله لاخذنا لقطعنا هنا • قال القرطبي المعنى
فما منكم قوم يحجزون عنه لقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله هذا
جمع لا يقع الا على اثنين فما زاد قال عليه الصلوة والسلام لم تحل الغنايم
لاحد سود الروس قبلكم لفظه واحد ومعناه الجمع ومن زايدة • والحجز
المنع وحاجزين يجوز ان يكون صفة لاحد على المعنى كما تقدم فيكون
في موضع جر والخبر منكم • و يجوز ان يكون منصوبا على انه خبر ومنكم
ملغا ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر
في هذا كما لم يمنع الفصل به في ان فيك زيدا راغب **قوله** وانه
يعني القران لتذكرة للمتقين اي الخايفين الذين يخشون الله ونظيره
فيه هدى للمتقين • وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم اي هو تذكرة
ورحمة ونجاة • وانا لنعلم ان منكم مكذبين • قال الربيع بالقران وانه
لحسرة يعني القران على الكافرين اما يوم القيمة اذا راوا ثواب المصدقين
به او في الدنيا اذا راوا دولة المومنين به او حين لم يقدروا على معارضته
عند تحديهم ان ياتوا السورة مثله والحسرة الندامة وقيل انه لحسرة
يعني التكذيب به لدلالة مكذبين على المصدر ولانه السفينة عليه
في قوله ❁ اذا نهي السفيه جرى اليه ❁ وخالف والسفيه الى خلاف ❁
اي الى السفيه **فصل** قال ابن الخطيب للمعتزلة ان يتمسكوا
بهذه الاية على ان الكفر ليس من الله لانه وصف القران بانه تذكرة للمتقين
ولم يقل انه ضلال للمكذبين بل نسب الضلال اليهم بقوله وانا لنعلم
ان منكم مكذبين • والجواب ما تقدم **قوله** وانه لحق اليقين يعني
القران العظيم تنزيل من الله عز وجل فهو لحق اليقين وقيل حقا يقينا
لا بطلان فيه ويقينا لا ريب فيه • ثم اضيف احد الوصفين الى الاخر
للتاكيد قاله ابن الخطيب • وقال القرطبي قال ابن عباس انما هو كقولك
عين اليقين ومحض اليقين ولو كان اليقين نعتا لم يجز ان يضاف
اليه كما لا تقول هذا رجل الظريف • وقيل اضافه الى نفسه لاختلاف
اللفظين • وقوله فسبح باسم ربك العظيم • قال ابن عباس اي فصل لربك
وقيل نزه الله عن السوء والنقايص اما شكرا على ما جعلك اهلا لايحايه
اليك واما تنزيها له عن الرضى بان ينسب اليه الكذب من الوحي روى
الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الحاقة حاسبه الله عز وجل حسابا يسيرا • وعن فضال
ابن شريك عن ابي الزاهرية قال سمعته يقول من قرا احدى عشرة اية
من سورة الحاقة اجير من فتنة الدجال • ومن قراها كان له نورا
من فوق راسه الى قدميه ❁

❁ سورة المعارج مكية ❁

وهي اربعة واربعون اية • ومايتان وست عشرة كلمة والف
واحدى

واحدى وستون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** سال
سايل بعذاب واقع • قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز فهو من
السوال وهي اللغة الفاحشة ثم لك في سال وجهان • احدهما ان
احدهما ان يكون ضمن معنى دعا فلذلك تعدى بالبا كما تقول دعوت
بكذا • والمعنى دعا داع بعذاب • والثاني ان يكون على اصله والبا بمعنى
عن كقوله ❁ فان تسالوني بالنسا ❁ فاسال به خبيرا ❁
وقد تقدم تحقيقه والاول اولى لان التجوز في الفعل اولى منه في الحرف لقوته
واما القراة بالالف ففيها ثلاثة اوجه • احدها انها بمعنى قراة الهمزة
وانما خففت بقلبها الفا وليس بقياس تخفيف مثلها بل قياس تخفيفها
جعلها بين بين والبا على هذا الوجه كما في الوجه الذي تقدم • الثاني انها
من سال يسال مثل خاف يخاف وعين الكلمة واو • قال الزمخشري وهي لغة
قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلون • قال ابو حيان وينبغي ان يتثبت
في قوله انها لغة قريش لان ما جا في القران من باب السوال هو مهموز او
اصله الهمز كقراة من قرا وسلوا الله مثل كذا فيبعد ان يجي ذلك كله
على لغة غير قريش وهم الذين نزل القران بلغتهم الا يسيرا فيه لغة غيرهم
ثم في كلام الزمخشري وهما يتسايلان بالبا وهو وهم من النساخ انما الصواب
يتساولان بالواو لانه صرح اولا انه من السوال يعني بالواو الصريحة وكذا
حكى ابو زيد عن العرب انهما يتساولان • الثالث انها من السيلان والمعنى
سال واد في جهنم يقال له سايل وهو قول زيد بن ثابت بعذاب والعين
يا • ويويده قراة ابن عباس سال سيل • قال الزمخشري والسيل مصدر في
معنى السايل كالغور بمعنى الغاير • والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب انتهى
والظاهر الوجه الاول لثبوت ذلك لغة مشهورة قال
❁ سالت هذيل رسول الله فاحشة ❁ ضلت هذيل بما سالت ولم تصب ❁
وقرا ابي وعبد الله سال سال مثل مال وتخريجها ان الاصل سايل فحذفت
عين الكلمة وهي الهمزة واللام محل الاعراب وهذا كما قيل هذا شاك في شايك
السلاح وقد تقدم الكلام على مادة السوال في اول البقرة فليلتفت اليه
والبا تتعلق بسال من السيلان تعلقها بسال الما بزيد وجعل بعضهم
البا متعلقة بمصدر دل عليه فعل السوال كانه قيل ما سوالهم فقيل بعذاب
كذا حكاه ابو حيان عن ابن الخطيب ولم يعترضه وهذا عجب فان قوله اولا
انه متعلق بمصدر دل عليه فعل السوال ينافي تقديره بقوله سوالهم بعذاب
لان البا في هذا التركيب المقدر تتعلق بمحذوف لانها خبر المبتدا بالسوال
وقال الزمخشري وعن قتادة سال سايل عن عذاب الله بمن ينزل وعلى
من يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم مهتم بعذاب
واقع **فصل** قال القرطبي البا يجوز ان تكون بمعنى عن والسوال بمعنى
الدعا اي دعا داع بالعذاب عن ابن عباس وغيره يقال دعا على فلان بالويل
ودعا عليه بالعذاب ويقال دعوت زيدا اي التمست احضاره • والمعنى
التمس ملتمس عذابا للكافرين وهو واقع بهم لا محالة يوم القيمة وعلى هذا
فالبا زايدة كقوله تعالى تنبت بالدهن • وقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة
فهي تاكيد اي سال سايل عذابا واقعا للكافرين قيل هو النضر بن الحرث حيث
قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا
بعذاب اليم فنزل سواله • وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط لم يقتل
صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد • وقيل ان السايل هنا هو الحرث بن النعمان
الفهري وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه

من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته فأتى حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال
يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه
منك وأن نصلي خمسا ونزكي أموالنا فقبلناه منك وأن نصوم شهر
رمضان في كل عام فقبلناه منك وأن نحج فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى
فضلت ابن عمك علينا فهذا شيء منك أم من الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي لا إله إلا هو إلا من الله فولى الحارث وهو يقول اللهم إن كان ما يقول محمد
حقا فأمطر علينا حجارة من السما أو ائتنا بعذاب أليم فوالله ما وصل إلى ناقته
حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت سأل سائل
بعذاب واقع • وقال الربيع السائل هنا أبو جهل وهو القائل لذلك • وقيل
إنه قول جماعة كفار قريش وقيل هو نوح عليه الصلوة والسلام سأل
العذاب على الكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم
بالعقاب وطلب أن يوقعه بالكفار وهو واقع بهم لا محالة وامتد الكلام
إلى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا أي لا تستعجل فإنه قريب وهذا يدل على أن
ذلك السائل هو الذي أمره الله بالصبر الجميل • وقال قتادة الباء بمعنى
عن فكأن سائلا سأل عن العذاب بمن وقع أو متى يقع قال تعالى فاسأل
به خبيرا أي سل عنه • وقال علقمة فإن تسألوني بالنساء أي عن النساء فالمعنى
سألوا بمن وقع العذاب ولمن يكون فقال الله تعالى للكافرين • قال أبو علي
وغيره وإذا كان من السؤال فأصله أن يتعدى إلى مفعولين ويجوز الاقتصار
على أحدهما وإذا اقتصر على أحدهما جاز أن يتعدى إليه بحرف جر فيكون التقدير
سأل سائل النبي صلى الله عليه وسلم أو المسلمين بعذاب أو عن عذاب قوله
للكافرين فيه أوجه • أحدها أن تتعلق بسأل مضمنا معنى دعا كما تقدم أي
دعا لهم بعذاب واقع • الثاني أن يتعلق بواقع واللام للعلة أي نازل لأجلهم
الثالث أن يتعلق بمحذوف صفة ثانية لعذاب أي كائن للكافرين • الرابع
أن يكون جوابا للسائل فيكون خبر مبتدأ مضمر أي هو للكافرين • الخامس أن يكون
اللام بمعنى على أي واقع على الكافرين • ويؤيده قراءة أبي على الكافرين
وعلى هذا فهي متعلقة بواقع لا على الوجه الذي تقدم قبله • قال الزمخشري
فإن قلت بم يتصل قوله للكافرين • قلت هو على القول الأول متصل بعذاب
صفة له أي بعذاب واقع للكافرين أو بالفعل أي دعا للكافرين بعذاب واقع
أو بالواقع أي بعذاب نازل لأجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جوابا للسائل
أي هو للكافرين انتهى قال أبو حيان وقال الزمخشري أو بالفعل أي دعا للكافرين
ثم قال وعلى الثاني وهو ثاني ما ذكر في توجيهه للكافرين قال هو كلام مبتدأ
جوابا للسائل أي هو للكافرين وكان قد قدر أن سأل ضمن معنى دعا فعدى
تعديته كأنه قال دعا داع بعذاب من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلب
ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة انتهى • فعلى ما قرره أنه متعلق بدعا
لمعنى بسأل فكيف يكون كلاما مبتدأ جوابا للسائل أي هو للكافرين هذا لا يصح
قال شهاب الدين غلط أبو حيان في فهمه عن أبي القاسم قوله وعلى الثاني إلى
آخره فمن ثم جاء التخليط والذي ذكره الزمخشري إنما عنى بالثاني قوله له وعن
قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل على هذا
الوجه مضمن معنى عني واهتم فهذا هو الوجه الثاني المقابل للوجه الأول
وهو أن سأل مضمن معنى دعا ولا أدري كيف خبط على الشيخ حتى وقع فيما وقع
ونسب الزمخشري إلى الغلط وأنه أخذ قول قتادة والحسن وأفسده والترتيب
الذي رتبه الزمخشري في تعلق اللام من أحسن ما يكون صناعة ومعنى • قال
القرطبي وقال الحسن أنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع فقال لمن هو

تعالى

تعالى للكافرين فاللام في للكافرين متعلقة بواقع • وقال الفراء التقدير
بعذاب للكافرين واقع فالواقع من نعت العذاب فاللام دخلت للعذاب
لا للواقع أي هو العذاب للكافرين في الآخرة لا يدفعه عنهم أحد • وقيل إن اللام
بمعنى على أي واقع على الكافرين كما في قراءة أبي المتقدمة • وقيل بمعنى عن أي
ليس له دافع عن الكافرين قوله ليس له دافع يجوز أن يكون نعتا آخر
لعذاب وأن يكون مستأنفا والأول أظهر وأن يكون حالا من عذاب لتخصيصه
إما بالعمل وإما بالصفة وإما أن يكون حالا من الضمير في للكافرين إن جعلناه
نعتا لعذاب قوله من الله يجوز أن يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع
من جهته إذا جاء وقته وأن يتعلق بواقع وبه بدأ الزمخشري أي واقع من عنده
وقال أبو البقاء ولم يمنع النفي من ذلك لأن ليس فعل كأنه استشعر أن ما قبل
النفي لا يعمل فيما بعده وأجاب بأن النفي لما كان فعلا ساغ ذلك • قال أبو حيان
والأجود أن يكون من الله متعلقا بواقع وليس له دافع جملة اعتراض من العامل
ومعموله انتهى وهذا إنما يأتي على البدل بأن الجملة مستأنفة لا صفة لعذاب
وهو غير الظاهر كما تقدم ولا خلاف الكلام بعضه بعض قوله ذي صفة
لله ومعنى ذي المعارج أي ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم لأنها
تصل إلى الناس على مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقتادة فالمعارج
مراتب إنعامه على الخلق • وقيل ذي العظمة والعلا وقال مجاهد هو معارج
السما وقيل هي السموات • قال ابن عباس أي ذي السموات سماها معارج
الملائكة لأن الملائكة تعرج إلى السما فوصف نفسه بذلك • وقيل المعارج
الغرف أي إنه ذو الغرف أي جعل لأوليائه الجنة غرفا • وقرأ عبد الله
ذي المعاريج بالياء يقال معرج ومعراج ومعارج ومعاريج مثل مفتاح
ومفاتيح والمعارج الدرجات • ومنه ومعارج عليها يظهرون وتقدم
الكلام على المعارج في الزخرف قوله تعرج العامة بالتاء من فوق
وقرأ ابن مسعود وأصحابه والسلمي والكسائي بالياء من تحت وهما
كقراءتي فناداه الملائكة ونادته وتوفاه وتوفته وأدغم أبو عمرو الجيم
في التاء واستضعفها بعضهم من حيث أن مخرج الجيم بعيد من مخرج التاء
وأجيب عن ذلك بأنها قريبة من الشين لأن التفشي الذي في الشين قربها
من مخرج التاء والجيم تدغم في الشين لما بينهما من التقارب في المخرج والصفة
كما تقدم وأخرج شطأه لتحمل الادغام في التاء على الادغام في الشين لما بين
الشين والتاء من التقارب • وأجيب أيضا بأن الادغام يكون لمجرد
الصفات وإن لم يتقاربا في المخرج والجيم تشارك التاء في الاستفال
والانفتاح والشدة والجملة من تعرج مستأنفة قوله والروح من
باب عطف الخاص على العام إذ أريد بالروح جبريل أو ملك آخر من جنسهم
وأخرها وقدمه في قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لأن المقام هنا
يقتضي تقدم الجمع على الواحد من حيث إنه مقام تخويف وتهويل فصل
تعرج الملائكة والروح إليه أي تصعد في المعارج التي جعلها الله لهم قال
ابن عباس والروح جبريل عليه السلام لقوله تعالى نزل به الروح الأمين وقيل
هو ملك آخر عظيم الخلقة • وقال أبو صالح إنه خلق من خلق الله كهيئة
الناس وليس بالناس • وقال قبيصة بن ذؤيب إنه روح الميت حين يقبض
قوله إليه أي إلى المكان الذي هو محلهم وهو في السما لأنه محل بره وكرامته
وقيل هو كقول إبراهيم إني ذاهب إلى ربي أي إلى الموضع الذي أمرني به •
وقيل إليه إلى عرشه • وقال شهاب الدين الضمير في إليه الظاهر عوده
على الله تعالى وقيل يعود على المكان لدلالة الحال والسياق عليه قوله في يوم

فيه وجهان أظهرهما تعلقه بتعرج • والثاني أنه يتعلق بواقع وعلى
هذا فالجملة من قوله تعرج الملائكة معترضة وكان مقداره صفة ليوم
قال ابن الخطيب الأكثرون على أن قوله في يوم صلة قوله تعرج أي
يحصل العروج في مثل هذا اليوم • وقال مقاتل بل هذا من صلة قوله
بعذاب واقع وعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير والتقدير
سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وعلى
التقدير الأول فذلك اليوم إما أن يكون في الآخرة أو في الدنيا وعلى
تقدير أن يكون في الآخرة فذلك الطول إما أن يكون واقعا وإما أن
يكون مقدرا • فإن كان معنى الآية أن ذلك العروج يقع في يوم من أيام
الآخرة طوله خمسون ألف سنة وهو يوم القيمة وهذا قول الحسن
قال وليس يعني أن مقدار طوله هذا فقط إذ لو كان كذلك لحصلت
له غاية ولفنيت الجنة والنار عند تلك الغاية وهذا غير جائز بل المراد
أن موقفهم للحساب حين يفصل بين الناس خمسون ألف سنة
من سنين الدنيا ثم بعد ذلك يستقر أهل النار في النار ونعوذ بالله
منها **فصل** قال القرطبي استدل النحاس على صحة هذا القول
بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من رجل لم يؤد زكاة
ماله إلا جعل شجاعا من نار يكوى به جبهته وظهره وجنباه في يوم القيمة
في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس وهذا
يدل على أنه يوم القيمة • وقال إبراهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على
المؤمن إلا قدر الظهر والعصر • وروي هذا المعنى مرفوعا عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلوتين
ولذلك سمى نفسه سريع الحساب وأسرع الحاسبين وإنما خاطبهم
على قدر فهمهم الخلائق وإلا فلا يشغله شأن عن شأن وكما يرزقهم في
ساعة كذا يحاسبهم في لحظة قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس
واحدة والمعنى لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ
منه في خمسين ألف سنة • قال البغوي هذا معنى قول عطاء عن ابن عباس
ومقاتل • قال عطاء ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا
واعلم أن هذا الطول إنما يكون في حق الكافر • وأما في حق المؤمن فلا
لما روى أبو سعيد الخدري أنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده إنه ليخف على
المؤمن حتى إنه يكون أخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال
بعضهم إن ذلك الموقف وإن طال فيكون سببا لمزيد السرور والراحة
لأهل الجنة • ويكون سببا لمزيد الحزن والغم لأهل النار • وأجيب بأن
بأن الآخرة دار جزاء فلا بد وأن يحصل للمثابين ثوابهم ودار الثواب
هي الجنة لا الموقف فإذن لا بد من تخصيص طول الموقف بالكفار • وقيل
هذه المدة على سبيل التقدير لا على التحقيق أي تعرج الملائكة في ساعة
قليلة لو أراد أهل الدنيا العروج إليها كان مقدار زمن ارتفاعهم خمسين
ألف سنة • وعن مجاهد والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من أول ما
خلقت إلى آخر ما بقي خمسون ألف سنة وهو قول أبي مسلم • فإن قيل
كيف الجمع بين هذه وبين قوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره ألف سنة
وقد قال ابن عباس هي أيام سماها الله تعالى هو أعلم بها وأنا أكره
أن أقول فيها ما لا أعلم • فالجواب يحتمل أن من أسفل العالم إلى أعلى
العرش خمسين ألف سنة ومن أعلى سماء الدنيا إلى الأرض ألف سنة لأن

بين هذه صح

عرض

عرض كل سماء خمسمائة وما بين أسفل السماء إلى قرار الأرض خمسمائة
فتنزل في يوم يريد في يوم من أيام الدنيا وهو مقدار ألف سنة لو صعد
فيه إلى سماء الدنيا ومقدار خمسين ألف سنة لو صعدوا إلى العرش
قوله فاصبر صبرا جميلا قال ابن الخطيب هذا متعلق بسأل سائل
لأن استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله
عليه وسلم والتعنت فأمر بالصبر ومن قرأ سال سايل أو سيل فالمعنى جاء
العذاب لقرب وقوعه فاصبر على أذى قومك • والصبر الجميل هو الذي
لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله • وقيل أن يكون صاحب المصيبة في
القوم لا يدرى من هو • قال ابن زيد والكلبي هذه الآية منسوخة
بالأمر بالقتال **قوله** إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا • الضمير في
إنهم لأهل مكة وفي يرونه ونراه لليوم أي يوم القيمة • وقال
القرطبي أي نعلمه لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود كقول الشافعي يرى
في هذه المسئلة كذا • وقال الأعمش يرون البعث بعيدا لأنهم لا يؤمنون
به كأنهم يستبعدونه على جهة الإحالة كما تقول لمن يناظره هذا
بعيد لا يكون • وقيل الضمير يعود إلى العذاب بالنار أي غير كائن ونراه
قريبا لأن ما هو آت فهو قريب **قوله** يوم تكون فيه أوجه
أنه متعلق بقريبا وهذا إذا كان الضمير في نراه للعذاب ظاهر الثاني
أن يتعلق بمحذوف يدل عليه واقع أي يقع يوم يكون • الثالث أنه
يتعلق بمحذوف مقدر بعده أي يوم يكون كان وكيت وكيت • الرابع
أنه بدل من الضمير في نراه إذا كان عائدا على يوم القيمة • الخامس أنه
بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع قاله الزمخشري وإنما قال فيمن علقه
بواقع لأنه إذا علق بتعرج كما تقدم في أحد الوجهين استحال أن يبدل
عنه هذا لأن عروج الملائكة ليس هو في هذا اليوم الذي تكون السماء فيه
كالمهل والجبال كالعهن ويشتغل كل حميم عن حميمه • قال أبو حيان
ولا يجوز هذا يعني إبداله من في يوم قال لأن في يوم وإن كان في موضع نصب
لا يبدل منه منصوب لأن مثل هذا ليس بزائد ولا محكوم له بحكم الزائد
كرب وإنما يجوز مراعاة الموضع في حرف الجر الزائد كقوله •
• ابني لبيني لستما بيد • إلا يدا ليست لها عضد •
لا يجوز مررت بزيد الخياط على موضع بزيد ولا مررت بزيد الخياط وعمرا
ولا غضبت على زيد وجعفرا ولا مررت بعمرو وأخاك على مراعاة الموضع قال
شهاب الدين قد تقدم أن قراءة فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم من هذا
الباب بنصب الأرجل فليكن هذا مثله • ثم قال أبو حيان فإن
قلت الحركة في يوم تكون حركة بناء لا حركة إعراب فهو مجرور مثل في يوم قلت
لا يجوز بناؤه على مذهب البصريين لأنه أضيف إلى معرب لكنه يجوز على
مذهب الكوفيين فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم إن كان استحضره
وقصده انتهى • قال شهاب الدين قوله إن كان استحضره فيه تحامل
على الرجل وأي كبير أمر في هذا حتى لا يستحضر مثل هذا وتقدم الكلام في المهل
في الدخان **قوله** وتكون الجبال كالعهن قيل العهن هو الصوف مطلقا
وقيل بقيد كونه أحمر وهو أضعف الصوف ومنه قول زهير • كأن فتات
العهن في كل منزل • نزلن به حب الفنا لم يحطم • الفنات القطع
والعهن الصوف الأحمر واحده عهنة • وقيل بقيد كونه مصبوغا ألوانا
وهذا أليق بالتشبيه لأن الجبال متلونة كما قال تعالى جدد بيض وحمر
والمعنى أنها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع • وقيل أول ما تتغير

الجبال تصير رملا ثم عهنا منفوشا ثم هباء منثورا **قوله** ولا يسأل حميم حميما • قرأ العامة يسأل مبنيا للفاعل والمفعول الثاني محذوف فقيل تقديره لا يسأله نصره ولا شفاعته لعلمه ان ذلك مفقود • وقيل لا يسأله شيئا من حمله او زاره • وقيل حميما منصوب على اسقاط الخافض اي عن حميم لشغله عنه قاله قتادة لقوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه • وقرأ ابو جعفر وابو حيوة وشيبة وابن كثير في رواية • قال القرطبي والبزي عن عاصم يسأل مبنيا للمفعول فقيل حميما مفعول ثان لا على اسقاط حرف • والمعنى لا يسأل احضاره • وقيل بل هو على اسقاط عن اي عن حميم ولا ذو قرابة عن قرابته بل كل انسان يسأل عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت رهينة **قوله** يبصرونهم عدي بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل وفي محل هذه الجملة وجهان احدهما انها في موضع الصفة لحميم • والثاني انها مستأنفة • قال الزمخشري فان قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستأنف كانه لما قال لا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقال يبصرونهم ثم قال ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم انتهى • وانما جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين حملا على معنى العموم لانهما نكرتان في سياق النفي • وقرأ قتادة يبصرونهم مبنيا للفاعل من ابصر اي يبصر المومن الكافر في النار **فصل** يبصرونهم اي يرونهم يقال بصرت به ابصر قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به ويقول بصرني زيد بكذا فاذا حذفت الجار قلت بصرني زيد فاذا بنيت الفعل للمفعول وقد حذفت الجار قلت بصرت زيدا فهذا هو معنى يبصرونهم اي يعرف الحميم الحميم حين يعرفه وهو مع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته فلا يسأله ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم • وقال ابن عباس يتعارفون ساعة ثم لا يتعارفون بعد ذلك • وقال ابن عباس ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض فالضمير في يبصرونهم للمومنين والهاء والميم للكفار • وقال ابن زيد المعنى يبصر الله الكفار في النار والذين اضلوهم في الدنيا فالضمير في يبصرونهم للتابعين والهاء والميم للمتبوعين • وقيل انه يبصر المظلوم ظالمه والمقتول قاتله • وقيل ان الضمير في يبصرونهم يرجع الى الملائكة اي يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم وتم الكلام عند قوله يبصرونهم **قوله** يود المجرم اي يتمنى الكافر لو يفتدي من عذاب يومئذ اي من عذاب جهنم • وقيل المراد بالمجرم كل مذنب وتقدم الكلام على قراءتي يومئذ فتحا وجرا في هود والعامة على اضافة عذاب ليومئذ وابو حيوة بتنوين العذاب ونصب يومئذ على الظرف • قال ابن الخطيب وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب • وقال ابو حيان هنا والجمهور بكسرها اي ميم يومئذ • والاعرج وابو حيوة بفتحها انتهى وقد تقدم ذكر ذلك عند قوله شعوبا وقبائل وقال ان الفتح قراءة نافع والكسائي **قوله** وفصيلته التي تؤويه • قال ثعلب الفصيلة الاباء الادنون • وقال ابو عبيدة الفخذ • وقال مجاهد وابن زيد عشيرته الاقربون وقد تقدم ذكره عند قوله شعوبا وقبائل • وقال المبرد الفصيلة القطعة من اعضاء الجسد وهي دون القبيلة وسميت عترة الرجل فصيلته تشبيها بالبعض منه • قال ابن الخطيب فصيلة الرجل اقاربه الاقربون الذين فصل عنهم وينتمي اليهم كان المراد من الفصيلة المفصولة

المفصولة لان الولد يكون مفصولا من الابوين • قال عليه الصلاة والسلام فاطمة قطعة مني فلما كان مفصولا منهما كانا ايضا مفصولين عنه فسميا فصيلة لهذا السبب • وكان يقال للعباس فصيلة النبي صلى الله عليه وسلم لان العم قائم مقام الاب • وقوله التي تؤويه اي تنصره • وقال مالك امه التي تربيه حكاه الماوردي ورواه عنه اشهب • قال شهاب الدين ولم يبدله السوسي عن ابي عمرو قالوا لانه يؤدي الى لفظ هو اثقل منه والابدال للتخفيف وقرأ الزهري تؤويه وتنجيه بضم هاء الكناية وهو الاصل ومن ثم ينجيه عطف على يفتدي فهو داخل في خبر لو وتقدم الكلام فيها هل هي مصدرية ام شرطية في الماضي ومفعول يود محذوف اي يود النجاة الدال عليه يفتدي • وفاعل ينجيه اما ضمير الافتداء الدال عليه يفتدي او ضمير من تقدم ذكرهم وهو قوله ومن في الارض ومن في الارض مجرور عطفا على بنيه وما بعده اي يود الافتداء بمن في الارض ايضا وجميعا اما حال واما تاكيد ووحد باعتبار اللفظ **فصل** اذا وقف على فصيلته او وصي لها فمن ادعى العموم حمله على عشيرته ومن ادعى الخصوص حمله على الاباء الادنين فالادنين والاول اكثر في النطق قاله القرطبي وتؤويه تضمه وتؤمنه من خوف ان كان به ومن في الارض جميعا اي يود لو فدي بهم لافتدى ثم ينجيه اي ويخلصه ذلك الفداء فلا بد من هذا الاضمار كقوله وانه لفسق اي وان اكله لفسق • وقيل يود المجرم يقتضي جوابا بالفاء كقوله ودوا لو تدهن فيدهنون • والجواب في هذه الاية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اي يود المجرم لو يفتدي فينجيه الافتداء **قوله** كلا ردع وزجر • قال القرطبي وانها تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اذ ليس ينجيه من عذاب الله الا الافتداء **قوله** انها لظى في الضمير ثلاثة اوجه احدها انه ضمير النار وان لم يجر لها ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها • والثاني انه ضمير القصة • الثالث انه ضمير مبهم يترجم عنه الخبر قاله الزمخشري وقد تقدم تحقيق ذلك في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا فعلى الاول يجوز في لظى نزاعة اوجه • احدها ان تكون لظى خبر ان او تكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبران • وعلى الثاني تكون لظى نزاعة جملة من مبتدا وخبر في محل الرفع خبرا لان مفسرة لضمير القصة وكذا على الوجه الثالث ويجوز ان يكون نزاعة صفة للظى اذا لم تجعلها علما بل بمعنى اللهب وانما انث النعت فقيل نزاعة لان اللهب بمعنى النار قاله الزمخشري وفيه نظر لان لظى ممنوعة من الصرف اتفاقا • قال ابو حيان بعد حكايته الثالث عن الزمخشري ولا ادري ما هذا المضمر الذي ترجم عنه الخبر وليس هذا من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير ولولا انه ذكر بعد هذا وضمير القصة لحملت كلامه عليه • قال شهاب الدين يعني جعله ضميرا مبهما لزمه ان يكون مفسرا بمفرد وهو اما لظى على ان يكون نزاعة خبر مبتدا مضمر • واما نزاعة على ان يكون لظى بدلا من الضمير وهذا اقرب ولا يجوز ان يكون كلا من لظى نزاعة مبتدا وخبرا والجملة خبر لان على ان يكون الضمير مبهما لئلا يتحد القولان اعني هذا القول وقول انها ضمير القصة ولم يتقدم ضمير مفسر بجملة الا ضمير الشان والقصة • وقرأ العامة نزاعة بالرفع • وقرأ ابو حفص وابو حيوة والزعفراني واليزيدي وابن مقسم

نزاعة بالنصب وفيها وجهان • احدهما ان تنتصب على الحال واعترض
عليه ابو علي الفارسي وقال حمله على الحال بعيد لانه ليس في الكلام ما
يعمل في الحال • قال القرطبي ويجوز ان يكون حالا على انه حال للمكذبين
بخبرها • وفي صاحبها اوجه • احدها انه الضمير المستكن في لظى لانها
وان كانت علما فهي جارية مجرى المشتقات كالحارث والعباس وذلك
لانها بمعنى التلظي واذا عمل العلم الصريح والكنية في الظروف فلان يعمل
العلم الجاري مجرى المشتقات في الاحوال اولى ومن مجي ذلك قوله
انا ابو المنهال بعض الاحيان • ضمنه بمعنى انا المشهور في بعض الاحيان
الثاني انه فاعل تدعو وقدمت حاله عليه اي تدعو حال كونها نزاعة
ويجوز ان تكون هذه الحال موكدة لان لظى هذا شانها وهو معروف من
امرها وان تكون مبينة لانه امر توقيفي • الثالث انه محذوف هو والعامل
تقديره تتلظى نزاعة ودل عليه لظى الثاني من الوجهين الاولين انها
منصوبة على الاختصاص وعبر عنه الزمخشري بالتهويل كما عبر عن وجه
رفعها على خبر ابتدا مضمر • والتقدير اعني نزاعة واخصها وقد منع
المبرد نصب نزاعة قال لان الحال انما يكون فيما يجوز ان يكون وان لا
يكون ولظى لا يكون الا نزاعة كاله عنه مكي ورد عليه بقوله تعالى وهو
الحق مصدقا وهذا صراط ربك مستقيما قال فالحق لا يكون الا مصدقا
وصراط ربك لا يكون الا مستقيما • قال شهاب الدين المبرد بنى الامر
على الحال المبينة وليس ذلك بلازم اذ قد وردت الحال موكدة كما اورده
مكي وان كان خلاف الاصل • واللظى في الاصل اللهب ونقل علما لجهنم ولذلك
منع الصرف • وقيل هو اسم للدركة الثانية من النار والشوى الاطراف
جمع شواة كنوى ونواة قال الشاعر
اذا نظرت عرفت النحر منها • وعينيها ولم تعرف شواها
اي اطرافها • وقيل الشوى الاعضا التي ليست بمقتل ومنه رماه فاشواه
اي لم يصب مقتله وشوى الفرس قوايمه لانه يقال عبل الشوى • وقيل
الشوى جمع شواة وهي جلدة الراس وانشد للاعشى
قالت قتيلة ماله • قد جللت شيبا شواته
فصل
وقيل هو جلد الانسان والشوى ايضا رذال المال والشي اليسير
قال ثابت البناني والحسن نزاعة للشوى اي لمكارم وجهه • وعن الحسن
ايضا انه الهام • وقال ابو العالية لمحاسن وجهه • وقال قتادة لمكارم خلقه
واطرافه • وقال الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا
وقال الكسائي هي المفاصل وقيل هي القوايم والجلود قال امرؤ القيس
سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا • له حجبات مشرفا
على الفال قوله تدعو يجوز ان يكون خبرا ثانيا او خبرا لمبتدا محذوف
فصل
او حالا من لظى او من نزاعة على القراءتين فيها لانها تتحمل ضميرا
المعنى تدعو لظى من ادبر في الدنيا عن الطاعة لله وتولى عن الايمان ودعاؤها
ان تقول يا مشرك الي يا كافر الي • وقال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين
باسمايهم فصيح الي يا كافر الي يا منافق ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب
وقال ثعلب تدعو اي تهلك تقول العرب دعاك الله اي اهلكك • وقال
الخليل انه ليس كالدعا تعالوا ولكن دعوتها اياهم تمكنها منهم ومن
تعذيبهم • وقيل الداعي خزنة جهنم اضيف دعاوهم اليها • وقيل هو ضرب
مثل اي انها تدعوهم بلسان الحال اي ان مصير من ادبر وتولى اليها
فكانها الداعية لهم ومثله قول الشاعر
ولقد هبطنا الواديين فواديا • تدعو الانيس به الغضيض الابكم
الغضيض

الغضيض الابكم الذباب وهو لا يدعو وانما طنينه نبه عليه فدعا
اليه • قال القرطبي والقول الاول هو الحقيقة لتظاهر القران والاخبار
الصحيحة قال القشيري ودعا لظى بخلق الحياة فيها حتى تدعو وخوارق
العادة غدا كثيرة قوله وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعا ومنع
منه حق الله تعالى فكان جموعا منوعا • قال ابن الخطيب جمع اشارة الى
حب الدنيا والحرص عليها واوعى اشارة الى الامل ولا شك ان مجامع افات
الدين ليست الا هذه • وقيل جمع المعاصي فاوعى اي اكثر منها حتى اثقلته
واصر عليها ولم يتب منها قوله ان الانسان خلق هلوعا قال
الضحاك المراد بالانسان هنا الكافر وقيل عام لانه استثنا منه
المصلين فدل على ان المراد به الجنس فهو كقوله ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا وهلوعا حال مقدرة والهلع مفسر بما بعده وهو
قوله اذا واذا • قال ثعلب سالني محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع
فقلت قد فسره الله ولا يكون ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر
اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه انتهى • واصله في اللغة
على ما قال ابو عبيدة اشد الحرص واسوا الجزع وهو قول مجاهد وقتادة
وغيرهما وقد هلع بالكسر يهلع هلعا وهلاعا فهو هلع وهالع وهلوع
على التكثير • وقيل هو الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه
والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع اي سريعة السير ومعناه
انه لا يصبر في خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي • روى السدي عن ابي
صالح عن ابن عباس قال الهلوع الحريص على ما لا يحل له • وقال عكرمة هو
الضجور • وقال الضحاك هو الذي لا يشبع • والمنوع هو الذي اذا اصاب
المال منع منه حق الله تعالى • وقال ابن كيسان خلق الله الانسان
يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ثم تعبده الله بانفاق
ما يحب والصبر على ما يكره • وقال ابو عبيدة الهلوع الذي اذا مسه
الخير لم يشكره واذا مسه الضر لم يصبر • وقال عليه الصلوة والسلام
شر ما اعطي العبد شح هالع وجبن خالع • والعرب تقول ناقة هلواعة
وهلواع اذا كانت سريعة السير خفيفة قال
شكاء ذعلبة اذا استدبرتها • حرج اذا استقبلتها هلواع
الذعلب والذعلبة الناقة السريعة فصل جزوعا ومنوعا
فيهما ثلاثة اوجه • احدها انهما منصوبان على الحال من الضمير في هلوعا
وهو العامل فيهما • والتقدير هلوعا حال كونه جزوعا وقت مس الشر
والظرفان معمولان لهاتين الحالتين • وعبر ابو البقاء عن هذا الوجه
بعبارة اخرى فقال جزوعا حال اخرى • والعامل فيها هلوعا فعلى قوله
اخرى توهم انها حال ثانية وليست متداخلة لولا قوله والعامل فيها
هلوعا • الثاني ان يكونا خبرين لكان او صار مضمرة اي اذا مسه الشر
كان او صار جزوعا واذا مسه الخير كان او صار منوعا قاله مكي وعلى هذا
فاذا شرطية وعلى الاول ظرف محض العامل فيه ما بعده كما تقدم • الثالث
انهما نعت لهلوعا قاله مكي الا انه قال وفيه بعد لانك تنوي به التقديم
بعد اذا انتهى وهذا الاستبعاد ليس بشي فانه غاية ما فيه تقديم الظرف
على عامله وانما المحذور تقديم معمول النعت على المنعوت فصل
قال القاضي قوله ان الانسان خلق هلوعا نظير قوله خلق الانسان
من عجل وليس المراد انه مخلوق على هذه الصفة لان الله تعالى ذمه عليها
والله تعالى لا يذم فعله ولانه تعالى استثنى المومنين الذين جاهدوا انفسهم

انفسهم في ترك الخصلة المذمومة ولو كانت هذه الخصلة ضرورية
حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها • قال ابن الخطيب واعلم
لفظ واقع على امرين احدهما الحالة النفسانية التي لاجلها تقدم الانسان
على اظهار الجزع والفزع • والثاني تلك الافعال الظاهرة من القول
والفعل الدال على تلك الحالة لا يمكنه ازالة تلك الحالة عن نفسه
بل الافعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والاقدام عليها
فهي امور اختيارية واما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة
فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار فصل اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا قيل المراد بالخير والشر الغنى والفقر والصحة
والمرض والمعنى انه اذا صار فقيرا او مريضا اخذ في الجزع والشكاية واذا
صار غنيا او صحيحا اخذ في منع المعروف وشح بماله • فان قيل حاصل
هذا الكلام انه نفر عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق بالعقل
فلم ذمه الله عليه • فالجواب انما ذمه عليه لقصور نظره على الامور
العاجلة والواجب عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال قوله
الا المصلين قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلوة
المكتوبة • وقال ابن مسعود هم الذين يصلونها لوقتها فاما تركها
فكفر • وقيل هم الصحابة • وقيل هم المؤمنون عامة قوله
الذين هم على صلوتهم دائمون اي على مواقيتها • وقال عقبة ابن
عامر الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم الساكن
ومنه نهي عن البول في الماء الدائم اي الساكن • وقال ابن جريج والحسن
هم الذين يكثرون فعل التطوع منها • فان قيل كيف قال على صلوتهم
دائمون وقال في موضع اخر على صلوتهم يحافظون • قال ابن الخطيب
دوامهم عليها ان لا يتركوها في شيء من الاوقات ومحافظتهم عليها
يرجع الى الاهتمام بحالها حتى ياتي بها على اكمل الوجوه من المحافظة على
شرائطها والاتيان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة والاجتهاد
في تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا
ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فاهما للاذكار مطلعا على حكم الصلوة
متعلق القلب بدخول اوقات الصلوات قوله والذين في اموالهم
حق معلوم • قال ابن قتادة وابن سيرين يريد الزكاة المفروضة
وقال مجاهد سوى الزكاة • وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس صلة الرحم
وحمل الكل والاول اصح لانه وصف الحق بانه معلوم والمعلوم هو المقدر
وسوى الزكاة ليس بمعلوم انما هو قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر
ابن عباس من ادى زكاة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق وايضا فانه
تعالى استثناه ممن ذمه فدل على ان الذي لا يعطي هذا الحق يكون مذموما
ولا حق على هذه الصفة الا الزكاة • وقوله للسائل والمحروم تقدم
قوله والذين يصدقون بيوم الدين اي بيوم الجزاء وهو يوم
اي يؤمنون بالبعث والنشور والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
اي خائفون والاشفاق الخوف اما من ترك واجب واما من فعل محظور
ثم اكد ذلك الخوف بقوله ان عذاب ربهم غير مامون • قال ابن عباس لمن
اشرك او كذب انبياءه • وقيل لا يامنه احد بل الواجب على كل احد ان
يخافه ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او
ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم
العادون تقدم تفسيره في سورة المؤمنين والذين لاماناتهم وعهدهم راعون

تقدم

تقدم • وقرئ لامانتهم على التوحيد وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن •
فالامانة اسم جنس فيدخل فيها امانات الدين فان الشرائع امانات
ائتمن الله عليها عباده ويدخل فيها امانات الناس من الودائع وقد
مضى ذلك قوله والذين هم بشهاداتهم قائمون قرا حفص بشهاداتهم
جمعا اعتبارا بتعدد الانواع والباقون بالافراد اذ المراد الجنس
قال الواحدي والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان
اضيف الى الجمع كصوت الحمير ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات
قال اكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب
وبعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها • وقال ابن عباس بشهادتهم
ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قوله
والذين هم على صلوتهم يحافظون • قال قتادة على وضوئها وركوعها
وسجودها وقد تقدم ما لزم من الخلاف في المحافظة قوله وادامتهم عليها
محافظتهم على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل
ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا
اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتران
المآثم فالدوام يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها ذكره
القرطبي • ثم قال اولئك في جنات مكرمون اي اكرمهم الله فيها بانواع
الكرامات قوله فمال الذين كفروا قبلك مهطعين • روي ان
المشركين كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون
كلامه ويستهزئون به ويكذبونه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما
يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم ونزلت هذه الاية
الى قوله ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا • وقال ابو مسلم
ظاهر الاية يدل على انهم هم المنافقون فهم الذين كانوا عنده واسراعهم
المذكور هو الاسراع في الكفر لقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون عمم
في الكفر والاهطاع الاسراع • قال الاخفش مهطعين اي مسرعين •
قال الشاعر :
بمكة اهلها ولقد اراهم • اليه مهطعين الى السماع
والمعنى ما بالهم يسرعون اليك ويجلسون حولك ويعملون بما تامرهم
وقيل ما بالهم يسرعون في التكذيب لك • وقيل ما بال الذين كفروا
يسرعون الى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك • وقال عطية
مهطعين معرضين • وقال الكلبي ناظرين اليك تعجبا • وقال قتادة
مادين اعناقهم مديمي النظر اليك وذلك من نظر العدو وهو منصوب
على الحال • قال القرطبي نزلت في جميع المنافقين المستهزئين كانوا
يحضرونه عليه الصلوة والسلام ولا يؤمنون به وقبلك اي نحوك قوله
عن اليمين وعن الشمال عزين اي عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم
وشماله حلقا حلقا وجماعات قوله عزين حال من الذين كفروا
او حال من الضمير في مهطعين فيكون حالا متداخلة • وعن اليمين
وزاد يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين • قال ابو البقا وان يتعلق
بمهطعين اي مسرعين عن هاتين الجهتين وان يتعلق بمحذوف
على انه حال اي كائنين عن اليمين قاله ابو البقاء • وعزين جمع عزة
والعزة الجماعة • قال مكي وانما جمع بالواو والنون لانه مؤنث لا يعقل
ليكون ذلك عوضا مما حذف منه • وقيل لان اصله عزهة كما ان اصل
سنة سنهة ثم حذفت الهاء انتهى • قال شهاب الدين قوله لا يعقل
يهول لان الاعتبار بالمدلول ومدلوله يعقل بلا شك عقلا • واختلفوا

في العزه على ثلاثة اقوال • احدها انها واو من عزوته اعزوه اذا نسبته وذلك ان المنسوب مضموم الى المنسوب اليه كما ان كل جماعة مضموم بعضها الى بعض • الثاني انها يا اذ يقال عزيته بالياء اعزيه بمعنى عزوته فعلى هذا في لامها لغتان • الثالث ان لامها ها ويجمع تكسيرا على عزى نحو كسره وكسر واستغني بهذا التكسير عن جمعها بالالف والتا فلم يقولوا عزات كما لم يقولوا في شفة وامة شفات ولا امات استغنا بشفاه واما وقد كثر وروده مجموعا بالواو والنون قال الراعي

اخليفة الرحمن ان عشيرتي • امسوا سراتهم عزين فلولا

وقال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا • كتايب جندل شتى عزينا

وقال عنتره

وقرن قد تركت لدى ولي • عليه الطير كالعصب العزين

وقال اخر

ترانا عنده والليل داج • على ابوابه حلقا عزينا

وقال اخر

فلما ان اتين على اضاخ • تركنا حصاه اشتاتا عزينا

والعزه لغة الجماعة في تفرقة قاله ابو عبيدة • ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج الى اصحابه فراهم حلقا فقال مالي اراكم عزين الا تصفون كما تصف الملايكة عند ربها قالوا وكيف تصف الملايكة قال يتمون الصف الاول ويتراصون في الصف • وقال الاصمعي العزون الاصناف يقال في الدار عزون اي اصناف • وفي الصحاح العزه الفرقة من الناس • وقيل العزه الجماعة اليسيره كالثلاثه والاربعة • وقال الراغب وقيل هو من قولهم عزي عزا فهو عزٍ اذا صبر • وتعزى تصبر فكانها اسم للجماعة التي يتاسى بعضهم ببعض • قال القرطبي ويقال عزون وعزون ولم يقولوا عزات كما قالوا ثبات قيل كان المستهزون خمسة ارهط وقال الازهري واصلها من قولهم عزا فلان نفسه الى بني فلان يعزوها عزوا اذا انتمى اليهم والاسم العزوه والعزوه كل جماعة اعتزاوها الى اخر واحد قوله ان يدخل العامة على بنايه للمفعول وزيد بن علي والحسن وابن يعمر وابو رجا وعاصم في رواية • قال القرطبي وطلحة بن مصرف والاعرج على بنايه للفاعل

فصل لما قال المستهزون ان دخل هولا الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم اجابهم الله تعالى بقوله كلا لا يدخلونها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق سائر جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما يستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى • وقيل كانوا يستهزون بفقرا المسلمين ويتكبرون عليهم فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من القذر فلا يليق بهم هذا التكبر • وقال قتادة في هذه الاية انما خلقت يا ابن ادم من قذر فاتق الله • وروي ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب ابن ابي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذره واخرك جيفة قذره وانت تحمل العذره فمضى المهلب وترك مشيته قال ابن الخطيب ذكروا في تعليق هذه الاية بما قبلها وجوها • احدها لما احتج على صحة البعث دل على انهم كانوا منكرين للبعث فهم ابن يطمعون بدخول الجنة • وثانيها المستهزين كانوا يستحقرون المومنين كانه تعالى

فقال

فقال تعالى ان هولا المستهزين مخلوقون مما خلقوا فكيف يليق بهم هذا الاحتقار • وثالثها انهم مخلوقون من هذه الاشيا المستقذره ولم يتصفوا بالايمان والمعرفة فكيف يليق بالحكمة ادخالهم الجنة • وقيل معنى قوله خلقناهم مما يعلمون اي من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب كقول الاعشى

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا • وشطت على ذي هوى ان تزارا

اي من اجل ليلى قوله فلا اقسم قد تقدم • وقرا جماعة فلاقسم دون الف برب المشارق قرا العامة بجمع المشارق والمغارب • والجحدري وابن محيصن وابو حيوة وحميد بافرادهما وهو مشارق الشمس ومغاربها وتقدم الكلام عليها • وقوله انا لقادرون جواب القسم على ان نبدل خيرا منهم اي نقدر على اهلاكهم واذهابهم والاتيان بخير منهم وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتنا شي ولا يعجزنا امر نريده قوله فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم على جهة الوعيد ولا تشتغل انت بما امرت به وتقدم تفسيره في سورة الطور واشتغلوا دنيا وصف الله به نفسه بالقدرة هل خرج الى الفعل ام لا فقيل بدل بهم الانصار والمهاجرين • وقيل بل بدل الكفر بعضهم بالايمان وقيل لم يقع هذا التبديل وانما ذكر الله ذلك تهديدا لهم لكي يومنوا قوله حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون • قرا ابن محيصن ومجاهد وحميد وابو جعفر يلقوا مضارع لقي • والمعنى ان لهم يوما يلقون فيه ما وعدوا وهذه الاية منسوخة باية السيف ثم ذكر ذلك اليوم فقال يوم يخرجون من الاجداث يجوز ان يكون بدلا من يومهم او منصوبا باضمار اعني • ويجوز على راي الكوفيين ان يكون خبرا ابتدا مضمر وبني على الفتح وان اضيف الى معرب اي هو يوم يخرجون كقوله هذا يوم ينفع وتقدم الكلام فيه مشبعا • والعامة على بنا يخرجون للفاعل • وقرا السلمي والمغيرة وروي عن عاصم بناوه للمفعول قوله سراعا حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف وكانهم حال ثانية منه او حال من ضمير الحال فتكون متداخلة والاجداث القبور • ونظيره فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون اي سراعا الى اجابة الداعي قوله الى نصب يوفضون متعلق بالخبر والعامة على نصب بالفتح واسكان الصاد وابن عامر وحفص بضمتين • وابو عمران الجوني ومجاهد بفتحتين والحسن وقتادة وعمرو بن ميمون وابو رجا وغيرهم بضم النون واسكان الصاد فالاول هو اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذي يسرع الشخص نحوه • وقال ابو عمرو هو شبكة الصايد يسرع اليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته • واما الثانية فيحتمل ثلاثة اوجه • احدها انه اسم مفرد بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وانشد للاعشى

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه • لعاقبة والله ربك فاعبدا

يعني اياك وذا النصب • الثاني انه جمع نصاب ككتب في كتاب • الثالث انه جمع نصب نحو رهن ورهن وسقف في سقف وهذا قول ابي الحسن وجمع الجمع انصاب • وقال النحاس وقيل نصب ونصب بمعنى واحد كما قيل عمر وعمر واسد واسد جمع اسد واما الثالثة فقيل بمعنى مفعول اي منصوب كالقبض والنقض والرابعة تخفيف من الثانية والنصب ايضا الشر والبلا ومنه قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب

فصل قال ابن عباس الى نصب

اي الى الغاية وهي التي ينتهي اليها بصره • وقال الكلبي هو شيء منصوب علم او راية • وقال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم على اخرهم ويوفضون يسرعون • وقيل يستبقون وقيل يسعون وقيل ينطلقون وهي متقاربة والايفاض الاسراع قال الشاعر

۞ فوارس ذبيان تحت الحديد ۞ كالجن يوفضن من عبقري ۞

وعبقري موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد ۞

۞ كهول وشبان ۞ كجنة عبقري ۞ وقال الاخر

۞ لانعش نعامة ميفاضا ۞ وقال الليث وفضت الابل تفض وفضا واوفضها صاحبها فالايفاض متعد والذي في الاية لازم يقال وفض واوفض واستوفض بمعنى اسرع **قوله** خاشعة حال اما من فاعل يوفضون وهو اقرب او من فاعل يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد الحال لذي حال واحدة وفيه الخلاف المشهور وابصارهم فاعل والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله **قوله** ترهقهم ذلة قرا العامة بتنوين ذلة والابتداء بذلك اليوم وخبره الذي كانوا وقرا يعقوب والتمار باضافة ذلة الى ذلك وجر اليوم لانه صفة لذلك والذي نعت لليوم وترهقهم يجوز ان يكون استئنافا وان يكون حالا من فاعل يوفضون او يخرجون ولم يذكر مكي غيره ومعنى ترهقهم اي يغشاهم الهوان • قال قتادة هو سواد الوجوه • والرهق الغشيان ومنه غلام مراهق اذا غشي الاحتلام يقال رهقه بالكسر يرهقه رهقا اي غشيه ومنه قوله تعالى لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون اي يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب • واخرج الخبر بلفظ الماضي لان ما وعد الله به فهو حق كائن لا محالة • روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون •

• سورة نوح عليه الصلوة والسلام مكية •

وهي سبع وعشرون اية وما ئتان واربع وعشرون كلمة وتسع مائة وتسعة وعشرون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** انا ارسلنا نوحا الى قومه • روى قتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله اهل الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن برد بن مهلاييل بن انوش بن قينان بن شيث بن ادم عليه الصلوة والسلام • قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل الى قومه وهو ابن خمسين سنة • وقال ابن عباس اربعين سنة • وقال عبد الله ابن شداد بعث وهو ابن ثلاث مائة وخمسين سنة • **قوله** ان انذر يجوز ان تكون المفسرة فلا يكون لها موضع من الاعراب لان الارسال معنى الامر فلا حاجة الى اضمار الباء ويجوز ان تكون المصدرية اي ارسلناه بالانذار • قال الزمخشري والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار انتهى وهذا الذي قدره حسن جدا وهو جواب عن سوال تقدم في هذا الكتاب وهو ان المصدرية يجوز ان توصل بالامر مشكل لانه ينسبك منها ومما بعدها مصدر وحينئذ

فتفوت

فتفوت الدلالة على الامر الا ترى انك اذا قدرت كتبت اليه بان قم كتبت اليه القيام فتفوت الدلالة على الامر الا ترى انك اذا قدرت كتبت اليه بان قم كتبت اليه القيام حالا التصريح بالمصدر فينبغي ان يقدر كما قال الزمخشري اي كتبت اليه بان قلت له قم اي كتبت اليه بالامر بالقيام • وقال القرطبي اي بان انذر قومك فموضع ان نصب باسقاط الخافض • وقرا عبد الله انذر قومك بغير ان بمعنى قلنا له انذر قومك وقد تقدم معنى الانذار في اول البقرة وقوله من قبل ان ياتيهم عذاب اليم • قال ابن عباس يعني عذاب النار في الاخرة وقال الكلبي هو الطوفان • وقيل انذرهم بالعذاب على الجملة ان لم يومنوا فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يجيبونه كما تقدم قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي مخوف مظهر لكم بلسانكم الذي تعرفونه **قوله** ان اعبدوا الله اما ان يكون تفسيرية لنذير او مصدرية والكلام فيها كالكلام في اختها كما تقدم والمعنى وحدوا الله واتقوه اي خافوه واطيعون فيما امركم به فاني رسول الله اليكم يغفر لكم جزم بجواب الامر **قوله** من ذنوبكم في من هذه اوجه • احدها انها تبعيضية الثاني انها لابتداء الغاية الثالث انها لبيان الجنس وهو مردود لعدم تقدم ما تبينه الرابع انها مزيدة • قال ابن عطية وهو مذهب كوفي • قال شهاب الدين ليس مذهبهم ذلك لانهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره والاخفش لا يشترط شيئا فزيادتها هنا ماش على قوله لا على قولهم • قال القرطبي وقيل لا يصح كونها زائدة لان من لا يزاد في الواجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين • وقال زيد بن اسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم • وقال ابن شجرة المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها **قوله** ويوخركم الى اجل قال الزمخشري فان قلت كيف قال يوخركم مع اخباره بامتناع تاخيره قلت قضى الله ان قوم نوح ان امنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسع مائة فقيل لهم ان امنتم اخرتم الى الاجل الاطول ثم اخبرهم انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يوخر انتهى وقد تعلق بهذه الاية من يقول بالاجلين وتقدم جوابه وقال ابن عباس اي ينسئ في اعماركم ومعناه ان الله تعالى كان قضى قبل خلقهم انهم ان امنوا بارك في اعمارهم وان لم يومنوا عوجلوا بالعذاب وقال مقاتل يوخركم الى منتهى اعماركم في عافية فلا يعاقبكم بالقحط وغيره فالمعنى على هذا يوخركم من العقوبات والشدائد الى اجالكم • وقال الزجاج اي يوخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستاصلين بالعذاب وعلى هذا قيل اجل مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا ذكره الفراء وعلى القول الاول اجل مسمى عند الله **قوله** ان اجل الله اذا جاء لا يوخر اي اذا جاء الموت لا يوخر بعذاب كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذي اثبته وقد يضاف الى القوم كقوله تعالى اذا جاء اجلهم لانه مضروب لهم ولو بمعنى ان اي ان كنتم تعلمون وقال الحسن معناه لو كنتم تعلمون لعلمتم ان اجل الله اذا جاء لا يوخر وعلى هذا يكون جواب لو محذوفا تقديره لبادرتم الى ما امركم به او لعلمتم كما قال الحسن **قوله** قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ظرفان لدعوت والمراد الاخبار باتصال الدعاء وانه لا يفتر عن ذلك سرا وجهرا فلم يزدهم دعائي الا فرارا اي تباعدا من الايمان وهذا استثناء مفرغ وهو

مفعول ثان وقراءة العامة بفتح الياء من دعائي وأسكنها الكوفيون
ويعقوب والدوري عن أبي عمرو قوله وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم
أي إلى سبب المغفرة وهي الإيمان بك والطاعة لك جعلوا أصابعهم
في آذانهم لئلا يسمعوا دعائي واستغشوا ثيابهم أي غطوا بها
وجوههم لئلا يروني قال ابن عباس جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا
يسمعوا كلامي فاستغشاء الثياب إذن زيادة في سد الآذان حتى
لا يسمعوا أو لتنكير هم أنفسهم حتى يسكت أو ليعرفوه إعراضهم عنه
وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس فلان لفلان لباس العداوة
وأصروا على الكفر فلم يتوبوا واستكبروا عن قبول الحق وهو قولهم
أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قوله لتغفر يجوز أن تكون للتعليل
والمفعول محذوف أي دعوتهم للإيمان بك لأجل مغفرتك لهم وأن تكون
لام التعدية ويكون قد عبر عن السبب بالمسبب الذي هو حظهم في الأصل
دعوتهم للتوبة التي هي سبب في الغفران وجعلوا هو العامل في كلما
وهو خبر إني قوله جهارا جهارا يجوز أن يكون مصدرا من المعنى
لأن الدعاء يكون جهارا وغيره فهو من باب قعد القرفصاء وأن يكون المراد
بدعوتهم جاهرتهم وأن يكون نعت مصدر محذوف أي دعاء جهارا وأن
يكون مصدرا من المعنى لأن الدعاء يكون جهارا وغيره في موضع الحال أي
مجاهرا وذا جهار أو جعل نفس المصدر مبالغة قال الزمخشري فإن قلت
ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن
فيجب أن يكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل
عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون
والترقي في الأشد فالأشد فافتتح في المناصحة بالسر فلما لم يقبلوا ثنى
بالمجاهرة فلما لم يقبلوا ثلث بالجمع بين السر والإعلان ومعنى ثم
الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين
أغلظ من أحدهما قال أبو حيان وتكون كثيرا في الكلام ثم للاستبعاد
ولا نعلمه لغيره وقوله استكبارا قال القرطبي تفخيم فصل
معنى جهارا أي مظهرا لهم الدعوة وهو منصوب بدعوتهم نصب المصدر
ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا بالدعاء عن بعضهم من بعض وقيل
أسررت لهم أتيتهم في منازلهم وكل هذا من نوح عليه الصلاة والسلام مبالغة
في الدعاء وتلطف في الاستدعاء وفتح الياء من أعلنت الحرميون وأبو عمرو وأسكنها
الباقون قوله فقلت استغفروا ربكم أي سلوه المغفرة من ذنوبكم
بإخلاص الإيمان إنه كان غفارا وهذا منه تعالى ترغيب في التوبة لقوله
عليه الصلاة والسلام الاستغفار ممحاة للذنوب قوله يرسل السماء
عليكم مدرارا أي يرسل ماء السماء ففيه إضمار وقيل السماء المطر أي يرسل
المطر قال الشاعر

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

ومدرارا يجوز أن يكون حالا من السماء ولم يؤنث لأن مفعالا لا يؤنث
ومفعول امرأة مئناث ومذكار ولا يؤنث بالهاء إلا نادرا وحينئذ يستوي
فيه المذكر والمؤنث فتقول رجل محذامة ومطرابة وأن يكون نعتا
لمصدر محذوف أي إرسالا مدرارا وتقدم الكلام عليه في الأنعام
ويرسل جواب الأمر ومدرارا ذا غيث كثير فصل قال مقاتل
لما كذبوا نوحا عليه الصلاة والسلام زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر
وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت مواشيهم وزروعهم فصاروا
إلى نوح

إلى نوح عليه الصلاة والسلام واستغاثوا به فقال استغفروا ربكم إنه
كان غفارا أي لم يزل كذلك لمن أناب إليه ثم رغبهم في الإيمان فقال يرسل السماء عليكم
مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا
قال قتادة علم نبي الله صلى الله عليه وسلم أنهم أهل حرص على
الدنيا فقال هلموا إلى طاعة الله فإن طاعة الله درك الدنيا والآخرة
فصل في هذه الآية والتي في هود دليل على أن الاستغفار يستنزل
به الرزق والأمطار قال الشعبي خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار
حتى رجع فأمطروا فقالوا ما رأيناك استسقيت فقال لقد طلبت
بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ استغفروا ربكم إنه كان
غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا قال ابن الأثير المجاديح واحدها مجدح
والياء زائدة للإشباع والقياس أن يكون واحدها مجداح فأما مجدح
فجمعه مجادح والمجدح نجم من النجوم قيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة
كواكب كالأثافي تشبيها له بالمجدح الذي له ثلاث شعب وهو عند
العرب من الأنواء الدالة على المطر فجعل الاستغفار مشبها بالأنواء مخاطبة
لهم بما يعرفونه لا قولا بالأنواء وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها
التي يزعمون أن من شأنها المطر وشكى رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له استغفر
الله وشكا آخر إليه الفقر فقال له استغفر الله وقال له آخر
ادع الله أن يرزقني ولدا فقال له استغفر الله وشكا إليه آخر جفاف
بساتينه فقال له استغفر الله فقلنا له في ذلك فقال ما قلت
من عندي شيئا إن الله تعالى يقول في سورة نوح استغفروا ربكم إنه
كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل
لكم جنات ويجعل لكم أنهارا فإن قيل إن نوحا عليه الصلاة والسلام أمر
الكفار أولا بالعبادة والطاعة فأي فائدة في أن أمرهم بعد ذلك
بالاستغفار فالجواب لما أمرهم بالعبادة قالوا له إن كان الدين
الذي كنا عليه حقا فلم تأمرنا بتركه وإن كان باطلا فكيف يقبلنا بعد
أن عصيناه فقال نوح عليه الصلاة والسلام إنكم وإن كنتم قد
عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب فإنه سبحانه كان غفارا
فإن قيل لم قال إنه كان ولم يقل إنه غفار فالجواب أنه يقول
لا تظنوا أن غفرانه إنما حدث الآن بل هو أبدا هكذا عادته أنه غفار
في حق من استغفر قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا قيل الرجاء
هنا بمعنى الخوف أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم
بالعقوبة أي أي عذر لكم في ترك الخوف من الله قال الهذلي إذا لسعته
النحل لم يرج لسعها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا ترجون
لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا وقال الوالبي والعوفي عنه
ما لكم لا تعظمون الله عظمة وقيل ما لكم لا تعتقدون وقال ابن عباس
ومجاهد ما لكم لا ترون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون
لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر
يقولون لم أرج أي لم أبال قوله وقارا يجوز أن يكون مفعولا به
على معان منها ما لكم لا تأملون له توقيرا أي تعظيما قال الزمخشري والمعنى
ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب
ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة أي لو تأخر لله عن وقارا لكان
متعلقا به فيكون التوقير منهم لله تعالى وهو عكس المعنى الذي يقصده
ومنها لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا ومنها

لا تخافون لله عظمة وعلى الاول يكون الرجا على بابه وقد تقدم ان
استعماله بمعنى الخوف مجاز ويشترك وان يكون حالا من فاعل ترجون
اي موقرين الله تعالى اي تعظمونه فلله متعلق بمحذوف على انه حال
من وقارا وتكون اللام زايدة في المفعول به وحسنه هنا امران كون
العامل فرعا وكون المعمول متقدما ولا ترجون حال وتقدم نظيره
في المايدة والوقار العظمة والتوقير التعظيم ومنه قوله تعالى
وتوقروه وقال قتادة ما لكم لا ترجون لله عاقبة كان المعنى ما لكم
لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال ابن كيسان ما لكم لا ترجون
في عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد
ما لكم لا تؤدون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا
ولا تشكرون له نعمة وقيل ما لكم لا توحدون الله لان من عظمه
فقد وحده وقيل ان الوقار هو الثبات لله عز وجل ومنه
قوله تعالى وقرن في بيوتكن اي اثبتن والمعنى ما لكم لا تثبتون
وحدانية الله تعالى وانه الهكم لا اله لكم سواه قاله ابن بحر ثم
دلهم على ذلك فقال وقد خلقكم اطوارا صبيانا ثم شبابا ثم
شيوخا وضعفا ثم اقويا وقيل اطوارا اي انواعا صحيحا
وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل الاطوار اختلافهم
في الاخلاق والافعال قوله وقد خلقكم جملة حالية من فاعل ترجون
والاطوار الاحوال المختلفة قال الشاعر

فان افاق فقد طارت عمايته ... والمرء يخلق طورا بعد اطوار

وانتصابه على الحال اي منتقلين من حال الى حال او مختلفين من بين
مسيء ومحسن وصالح وطالح قوله الم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقا لما ذكر لهم دليل التوحيد من انفسهم اتبعه بدليل
الافاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اي الم تعلموا
ان الذي قدر على هذا فهو الذي يجب ان يعبد ومعنى طباقا قاله
ابن عباس والسدي اي بعضها فوق بعض كل سما مطبقة على الاخرى
كالقباب فان قيل هذا يقتضي ان لا يكون بينهما فرج واذا كان
كذلك فكيف تسلكها الملائكة فالجواب ان الملائكة ارواح
وايضا فان المراد معنى كونها طباقا انه ما زيد لا انها متماسة
وقال الحسن خلق الله سبع سموات طباقا على سبع ارضين بين كل
ارض وارض وسما وسما خلق وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار
لا المعاينة كما تقول الم ترني كيف صنعت بفلان كذا وطباقا
نصب على انه مصدر مطابقة طباقا او حال بمعنى ذات طباق
فحذف ذات واقام طباقا مقامه وتقدم الكلام عليه في سورة الملك
وقال مكي واجاز الفرا في غير القران جر طباق على النعت لسموات
يعني انه يجوز ان يكون صفة للعدد تارة وللمعدود اخرى قوله
وجعل القمر فيهن اي في السموات والقمر انما هو في سما واحدة منهن
قيل هو في السما الدنيا وانما جاز ذلك لان بين السموات ملابسة
فصح ذلك وتقول زيد في المدينة وانما هو في زاوية من زواياها
وقال ابن كيسان اذا كان في احدهن فهو فيهن وقال قطرب
فيهن بمعنى معهن وقاله الكلبي اي خلق الشمس والقمر مع خلق السموات
والارض وقال جلة اهل اللغة في قول امرئ القيس

وهل ينعمن من كان اخر عهده ... ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال

في بمعنى



في بمعنى مع وقال الحسن سالت ابا الحسن بن كيسان عن هذه الاية
فقال جواب النحويين انه اذا جعله فيهن كما تقول اعطني الثياب المعلمة
وان كنت انما علمت احدها وجواب اخر انه يروى ان وجه القمر الى ظهر
السما واذا كان داخلها فهو متصل بالسموات ومعنى نورا اي لاهل الارض
قاله السدي وقال عطا نورا لاهل السموات والارض وقال ابن عباس وابن
عمر وجهه يضيء لاهل الارض وظهره يضيء لاهل السما قوله وجعل الشمس
سراجا يحتمل ان يكون التقدير وجعل الشمس فيهن كما تقدم والشمس قيل
في الرابعة وقيل في الخامسة وقيل في الشتا في الرابعة وفي الصيف في السابعة
والله اعلم وقوله سراجا يعني مصباحا لاهل الارض ليتوصلوا الى التصرف
لمعاشهم وفي اضاءتها لاهل السما القولان الاولان حكاه الماوردي وحكى
القشيري عن ابن عباس ان الشمس وجهه في السموات وقفاه في الارض وقيل
على العكس وقيل لعبد الله بن عمر ما بال الشمس تقلينا احيانا وتبرد علينا
احيانا فقال انها في الصيف عند عرش الرحمن ولو كانت في السما الدنيا
لما قام لها شيء ولما كانت الشمس سببا لزوال الليل وهو ظل الارض
اشبهت السراج وايضا فالسراج له ضوء والقمر له نور والضوء اقوى
من النور فجعل الشمس لقوله هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا قوله
والله انبتكم من الارض نباتا يعني ادم عليه الصلوة والسلام خلقه من
اديم الارض كلها قاله ابن جريج وقد تقدم بيانه ونباتا اما مصدر
لانبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر لان مصدر انبت انباتا فجعل
الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر واما نبتم مقدرا اي فنبتم نباتا
فيكون منصوبا بالمضارع المقدر قال الزمخشري او نصب بانبتكم لتضمنه
معنى نبتم قال ابو حيان ولا اعقل معنى هذا الوجه الثاني قال شهاب
الدين هذا الوجه المتقدم وهو انه منصوب بانبتكم على حذف الزوائد
ومعنى قوله لتضمنه معنى نبتم اي انه مشتمل عليه غاية ما فيه انه حذفت
زوائده قال القرطبي قال الخليل والزجاج انه محمول على المعنى لان معنى
انبتكم جعلكم تنبتون نباتا وقيل معناه انبت لكم من الارض النبات
فنباتا على هذا نصب على المفعول الصريح والاول اظهر قال ابن بحر
انبتكم في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها
بعد مماتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا بالنشور والبعث يوم القيامة والانبات
هنا استعارة بليغة قيل المراد انبت اباكم وقيل المراد انبت الكل
لانهم من النطف وهي من الاغذية التي اصلها الارض وهذا كالتفسير
لقوله خلقكم اطوارا ثم قال يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وهذا اشارة
الى الطريقة المعهودة في القران من انه تعالى لما كان قادرا على الابتدا فهو
قادر على الاعادة وقوله ويخرجكم اخراجا اكده بالمصدر اي ان قال يخرجكم
حقا لا محالة قوله والله جعل لكم الارض بساطا اي مبسوطة
لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة والسبل الطرق والفجاج
جمع فج وهو الطريق الواسعة قاله الفرا وقيل الفج المسلك بين الجبلين
وانما قدم الفجاج ليناسب الفواصل وقد تقدم على ذلك قوله
قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
ذكرا لا انهم عصوا ثم ذكر انهم ضموا الى عصيانه طاعة رؤسايهم الذين
يدعونهم الى الكفر انما زادهم اولادهم واموالهم خسارا لانهم لخسار الاخرة
اوثروا الدنيا وجنة الاخرة كالعدم فاذا خسرت الاخرة بسببها كانت كالنعمة
من الحلوى المسمومة ولذلك قال جماعة ليس لله على الكافر نعمة وانما هي

استدراج للعذاب • قال المفسرون لبث فيهم نوح عليه الصلوة والسلام
كما اخبر الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما داعيا لهم وهم على كفرهم
وعصيانهم • قال ابن عباس دعا نوح الابنا بعد الابنا فكان الابا
ياتوا باولادهم الى نوح عليه الصلوة والسلام ويقولون لابنائهم
اياكم ان تطيعوا هذا الشيخ فيما يامركم به حتى بلغوا سبع قرون
ثم دعا عليهم بعد الاياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى
كثر الناس وانتشروا • قال الحسن كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين
حكاه الماوردي **قوله** وولده قرا اهل المدينة والشام وعاصم وولده
بفتح اللام والواو • والباقون وولده بضم الواو وسكون اللام وقد تقدم
انهما لغتان كبخل وبخل • قال ابو حاتم ويمكن ان يكون المضموم جمع المفتوح
كخشب وخشب • وانشد حسان

يا بكر امنة المبارك ولدها ۞ من ولد محصنة بسعد الاسعد

ومكروا عطف على صلة من لان المتبوعين هم الذين مكروا وقالوا للاتباع
لا تذرن وانما جمع الضمير حملا على المعنى بعد حملها على لفظها لم يزده
ماله وولده ويجوز ان يكون مستانفا اخبارا عن الكفار **قوله** كبارا
العامة على ضم الكاف وتشديد البا وهو بنا مبالغة ابلغ من كبار بالضم
والتخفيف قال عيسى وهي لغة يمانية • وانشد

والمرء يلحقه بفتيان الندى ۞ خلق الكريم وليس بالوضا
بيضا تصطاد القلوب وتستبي ۞ بالحسن قلب المسلم القرا

قرا ابو السمال وابن محيصن وحميد ومجاهد بالضم والتخفيف وهو بنا
مبالغة ايضا دون الاول • وقرا زيد بن علي وابن محيصن ايضا
بكسر الكاف وتخفيف البا • قال ابو بكر هو جمع كبير كانه جعل مكرا مكان
ذنوب او افاعيل يعني فلذلك وصفه بالجمع **فصل** قيل مكرهم
هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح وقيل هو تغريرهم الناس بما اوتوا من
الدنيا والولد حتى قالت الضعفة لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم
وقال الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد وهذا بعيد لان هذا
انما قاله النصارى وهم بعد نوح بازمان متطاولة • وقال مقاتل هو
قول كبرائهم لاتباعهم لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا
يغوث ويعوق ونسرا فمنعوا القوم عن التوحيد وامروهم بالشرك
واعلم انه لما كان التوحيد اعظم المراتب لا جرم كان المنع منه اعظم الكبائر
فلهذا وصفه الله بانه كبار • قال ابن الخطيب وانما سماه مكرا لوجهين
الاول لما في اضافة الالهة اليهم من الحيل الموجبة لاستمرارهم على عبادتها
لانها معبود ابائهم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على انفسكم بانكم
جاهلين ضالين وعلى ابائكم بانهم كانوا كذلك ولما كان اعتراف الانسان
على نفسه وعلى اسلافه بالقصور والنقص • الثاني انه تعالى حكى عن المتبوعين
انهم كان لهم مال وولد فلعلهم قالوا الاتباع ان الهتكم خير من اله نوح
لان الهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح لا يعطيه شيئا فحرضوهم بهذا
المكر عن طاعة نوح وهو مثل مكر فرعون اذ قال اليس لي ملك مصر وقوله
انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اساورة
من ذهب **قوله** ولا تذرن ودا ولا سواعا يجوز ان يكون من عطف
الخاص على العام ان قيل ان هذه الاسما الاصنام وان لا يكون ان قيل
انها اسما رجال صالحين على ما ذكر المفسرون • وقرا نافع ودا بضم الواو
والباقون بفتحها وانشد بالوجهين قول الشاعر

حياك

حياك ود فانا لا يحل لنا ۞ لهو النسا وان الدين قد عزما

وقول الاخر

فحياك ود من هداك لفتية ۞ وخوص باعلى ذي فضالة منجد

قال القرطبي قال الليث ودا بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وود بالضم
صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود • وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في
لغة اهل نجد كانهم سكنوا التا وادغموها في الدال والود في قول
امرئ القيس

تظهر الود اذا ما اشجذت ۞ وتواريه اذا ما تشتكر

قال ابن دريد هو اسم جبل وود صنم كان لقوم نوح عليه الصلوة والسلام
ثم صار لكلب وكان بدومة الجندل ومنه سموا بعبد ود **قوله**
ولا يغوث ويعوق قراهما العامة بغير تنوين فان كانا عربيين فالمنع
من الصرف للعلمية والوزن وان كانا اعجميين فالعجمة والعلمية • وقرا
الاعمش ولا يغوثا ويعوقا مصروفين • قال ابن عطية وذلك وهم لان
التعريف لازم ووزن الفعل انتهى • قال شهاب الدين وليس بوهم لامرين
احدهما انه صرفهما للتناسب اذ قبلهما اسمان منصرفان وبعده اسم
منصرف كما صرف سلاسلا • والثاني انه جا على لغة من يصرف غير المنصرف
مطلقا وهي لغة حكاها الكسائي • ونقل ابو الفضل الصرف فيهما عن الاشهب
العقيلي ثم قال جعلهما فعولا فلذلك صرفهما • فاما في العامة فانهما صفتان
من الغوث والعوق • قال شهاب الدين وهذا الكلام مشكل اما قوله فعولا
فليس بصحيح اذ مادة يغث ويعق مفقودة • واما قوله صفتان من الغوث
والعوق فليس في الصفات ولا في الاسما يفعل والصحيح ما تقدم • وقال
الزمخشري وهذه قراة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او اعجميين ففيهما
منع الصرف ولعله وجدها للازدواج • قال ابو حيان كانه لم يطلع على ان صرف ما لا
ينصرف لغة **فصل** قال ابن عباس وغيره هي اصنام وصور كان قوم
نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور • وقيل انها للعرب لم
يعبدها غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر
بعد قوله لا تذرن الهتكم وتكون ولا تذرن ودا ولا سواعا • وقال عروة بن الزبير
اشتكى ادم عليه الصلوة والسلام وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق
ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به • قال محمد بن كعب كان لادم خمس بنين
ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا
عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا
افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوره حتى
ماتوا كلهم وصورهم وتناقصت الاشيا كما تنتقص اليوم الى ان تركوا
عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيا
قالوا وما نعبد قال الهتكم والهة ابائكم الا ترونها في مصلاكم فعبدوها
من دون الله حتى بعث الله نوحا فقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا الاية • وقال محمد بن كعب ايضا ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين
بين ادم ونوح وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس
ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها
فصوروهم فلما ماتوا هم وجا اخرون قالوا ليت شعري ما هذه الصور
التي كان يعبدها اباونا فجاهم الشيطان فقال كان اباوكم يعبدونها
فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدى عبادة الاوثان من ذلك الوقت
وبهذا المعنى فسر ما جا في الصحيحين من حديث عائشة ان ام حبيبة وام سلمة

ذكرنا كنيسة رأينها بأرض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا
فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة • وذكر الثعلبي
عن ابن عباس هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا
أوحى الشيطان إلى قومهم أن ينصبوا في مجالسهم أنصابا ويسموها بأسمائهم
وهذا بعيد لأن نوحا عليه الصلاة والسلام هو الآمر لهم بتركها وذلك
يدل على أنهم كانوا قبل نوح حتى أرسل نوح إليهم • وروي عن ابن عباس
أن نوحا عليه الصلاة والسلام كان يحرس جسد آدم عليه الصلاة والسلام
على جبل الهند فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان
إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم وإنما هو جسد
وأنا أصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الأصنام الخمسة
وحملهم على عبادتها فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل
مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب أصنام
أخر فاللات كانت لثقيف وإساف ونائلة وهبل لأهل مكة • قال
الماوردي فأما ود فهو أول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان
بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل
وفيه يقول شاعرهم •

حياك ود فإنا لا يحل لنا • لهو النساء وإن الدين قد عزما •

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم • وقال ابن الخطيب
وسواع لهمدان • وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا
في قول قتادة • وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان • وقال الثعلبي
واتخذت أعلى وأنعم وهما من طيء وأهل جرش من مذحج يغوث فذهبوا
به إلى مراد فعبدوه زمانا ثم إن بني ناجية أرادوا نزعه من أنعم ففروا
به إلى الحصين أخي بني الحارث بن كعب بن خزاعة • وقال أبو عثمان
المهدوي رأيت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أجرد
ويسيرون معه لا يهيجونه حتى يبرك بنفسه فإذا برك نزلوا وقالوا
قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه بناء وينزلون حوله • وأما يعوق
فكان لهمدان ببلخع في قول عكرمة وقتادة وعطاء ذكره الماوردي
قال الثعلبي وأما يعوق فكان لكهلان من سبأ ثم توارثه بنوه
الأكبر حتى صار في همدان وفيه يقول مالك الهمداني •

يريش الله في الدنيا ويبري • ولا يبري يعوق ولا يريش •

وقيل كان يعوق لمراد • وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في
قول قتادة ومقاتل • وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة
امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة
نسر من الطير والله أعلم • قوله وقد أضلوا أي الرؤساء عطف
على قوله ومكروا مكرا كبارا أو الأصنام وجمعهم جمع العقلاء معاملة لهم
معاملة العقلاء لقوله رب إنهن أضللن كثيرا من الناس • قوله ولا تزد
الظالمين عطف على قوله رب إنهم عصوني وقال لا تزد أي قال هذين
القولين فهما في محل النصب قاله الزمخشري قال كما تقول قال زيد نودي
للصلاة وصل في المسجد يحكي قوليه معطوفا أحدهما على صاحبه وقال
أبو حيان ولا تزد معطوف على قد أضلوا لأنها محكية بقال مضمرة ولا
يشترط التناسب في الجمل المتعاطفة بل يعطف خبر على طلب وبالعكس

خلافا

خلافا لمن اشترط • فصل يعني قوله إلا ضلالا • قال ابن
بحر إلا عذابا لقوله تعالى إن المجرمين في ضلال وسعر وقيل الأخسر إنا
وقيل إلا فتنة بالمال • قوله مما خطاياهم ما مزيدة بين الجار
والمجرور توكيدا ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطاياهم بدلا
وفيه تعسف وتقدم الخلاف في قراءة خطاياهم في الأعراف • وقرأ
أبو رجاء خطياتهم بجمع سلامة إلا أنه أدغم الياء في الياء المنقلبة عن الهمزة
وقال أبو عمرو قوم كفروا ألف سنة فلم يكن لهم إلا خطيات يريد أن
الخطايا أكثر من الخطيات وقال قوم خطايا وخطيات واحد جمعان
مستعملان في القلة والكثرة واستدلوا بقوله تعالى ما نفدت كلمات
الله وقال الشاعر •

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى • وأسيافنا يقطرن من نجدة دما •

وقرأ الجحدري وتروى عن أبي عمرو خطيئتهم بالإفراد والهمز وقرأ عبد الله من
خطيئاتهم ما أغرقوا فجعل ما المزيدة بين الفعل وما يتعلق به ومن
للسببية تتعلق بأغرقوا • وقال ابن عطية لابتداء الغاية وليس
بواضح • وقرأ العامة أغرقوا من أغرق وزيد بن علي غرقوا بالتشديد
وكلاهما للنقل تقول أغرقت زيدا في الماء وغرقته فيه • فصل
قال ابن الخطيب دل قوله أغرقوا فأدخلوا نارا على عذاب القبر
لأنه يدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق ولا يمكن حملها
على عذاب الآخرة وإلا بطل دلالة هذه الفاء • وأيضا فقوله فأدخلوا
يدل على الإخبار عن الماضي وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك • وقال
مقاتل والكلبي معناه أنهم سيدخلون في الآخرة نارا ثم عبر عن المستقبل
بلفظ الماضي لتصدق وقوع وعده كقوله ونادى أصحاب الجنة • قال
ابن الخطيب وهذا ترك للظاهر من غير دليل • فإن قيل إنا تركنا
الظاهر لدليل وهو أنهم غرقوا في الماء فإنا نشاهده هناك فكيف يمكن
أن يقال إنهم في تلك الساعة أدخلوا نارا • فالجواب أن هذا الإشكال
إنما جاء لاعتقاد أن الإنسان هو مجموع هذا الهيكل وهذا خطأ لأن هذا
الإنسان هو الذي كان موجودا من أول عمره مع أنه كان صغير الجثة في أول
عمره ثم إن أجزاءه دائما في التحلل والذوبان ومعلوم أن الباقي غير ما ذهب
فهذا الإنسان عبارة عن ذلك الشيء الذي هو باق من أول عمره إلى الآن
فلم لا يجوز أن يقال تنقل الأجزاء الأصلية الباقية التي في الإنسان عبارة
عنها إلى النار وإلى العذاب • ونقل القرطبي عن القشيري أنه قال هذه
الآية تدل على عذاب القبر ومنكروه يقولون صاروا مستحقين دخول النار
أو عرض عليهم أماكنهم من النار كقوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا • وقيل إشارة إلى ما في الخبر من قوله البحر نار في نار • وروى
أبو روق عن الضحاك في قوله تعالى أغرقوا فأدخلوا نارا قال يعني
عذبوا بالنار في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون في جانب ويحترقون
في الماء من جانب ذكره الثعلبي وأنشد ابن الأنباري •

الخلق مجتمع طورا ومفترق • والحادثات فنون ذات أطوار •
لا تعجبن لأضداد إذا اجتمعت • فالله يجمع بين الماء والنار •

قال المعربون فأدخلوا يجوز أن يكون من التعبير عن المستقبل بالماضي
لتحققه ووقوعه كقوله أتى أمر الله وأن يكون على بابه والمراد عرضهم
على النار في قبورهم كقوله في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
قوله فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا أي من يدفع عنهم العذاب

وهذا يدل على انهم انما عبدوا تلك الاصنام لتدفع عنهم الآفات وتجلب
المنافع اليهم فلما جاءهم العذاب لم ينتفعوا بتلك الاصنام ولم يدفعوا
عنهم العذاب وهو كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا **قوله**
وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا • قال الزمخشري
ديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام • يقال ما بالدار ديار وديور
كقيام وقيوم وهو فيعال من الدار واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل
سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا • انتهى يعني انه كان ينبغي ان تصح واوه
ولا تقلب ياء وهذا نظير ما تقدم من البحث في متحيز وان اصله متحوز متفيعل
لا متفعل اذ كان يلزم ان يكون متحوزا لانه من الحوز ويقال فيه ايضا دوار
نحو قيام وقوام • وقال مكي واصله ديوار ثم ادغموا الواو في الياء مثل ميت
اصله ميوت ثم ادغموا الثاني في الاول • ويجوز ان يكون ابدلوا من الواو
ياء ثم ادغموا الياء الاولى في الثانية • قال شهاب الدين قوله ادغموا
الثاني في الاول هذا لا يجوز اذ القاعدة المستقرة في المتقاربين قلب
الاول للثاني ولا يجوز العكس الا شذوذا او لضرورة صناعية اما الشذوذ
فكقولهم اذكر بالذال المعجمة وهذا من مذكر بالمعجمة ايضا وقد مضى تحقيقه
واما الضرورة الصناعية فنحو امدح هلالا تقلب الحاء هاء لئلا يدغم
الاقوى في الاضعف وهذا يعرفه من عانى التصريف والديار نازل الدار
يقال ما بالديار ديار • وقيل الديار صاحب الدار • وقال القرطبي
الديار احدا ابدا في الارض فيذهب ويجي فعال من الدوران

فصل لما ايس نوح عليه الصلوة والسلام من اتباعهم اياه
دعا عليهم • قال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحى الله اليه انه لن يؤمن من
قومك الا من قد آمن فاجاب الله دعوته واغرق امته وهذا كقول النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب هازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم
وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح
فقال احذر هذا فانه يضلك فقال يا ابت انزلني فانزله فرماه
فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم • وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع
وعطية وابن زيد انما قال هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم
وارحام نسائهم واعقم ارحام امهاتهم وايبس اصلاب رجالهم قبل
العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فاخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون
ولا يلدوا مؤمنا كما قال تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فحينئذ
دعا عليهم نوح فاجاب الله دعاه واهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب
لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب
من الاطفال **فصل** قال ابن العربي دعا نوح على الكافرين اجمعين
ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين والب عليهم وكان
هذا اصلا في الدعاء على الكافرين في الجملة فاما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا
يدعى عليه لان ماله عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة
وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء عتبة وشيبة واصحابهم لعلمه
بمآلهم وما كشف له من الغطاء عن حالهم والله اعلم **قوله** رب اغفر
لي ولوالدي العامة على فتح الدال على انه تثنية والد يريد ابويه واسم ابيه لمك
ابن متوشلخ واسم امه سمحا بنت انوش وكانا مؤمنين • وحكى الماوردي
اسم امه منجل • وقرا الحسين بن علي رضي الله عنهما ويحيى بن يعمر والنخعي ولولدي
تثنية ولد يعني ابنيه ساما وحاما • وقرا ابن جبير والجحدري ولوالدي
الدال يعني اباه فيجوز ان يكون اراد اباه الاقرب الذي ولده وخصه

لانه

لانه اشرف من الام وان يريد جميع من ولده من لدن آدم الى من ولده قال
الكلبي كان بينه وبين آدم عشرة آباء كلهم مؤمن • وذكر القرطبي عن ابن عباس
قال لم يكن لنوح والد فيما بينه وبين آدم عليهما الصلوة والسلام **قوله**
ولمن دخل بيتي مؤمنا • قال ابن عباس اي مسجدي ومصلاي مؤمنا اي مصدقا
فمؤمنا حال وكان انما يدخل بيوت الانبياء من آمن بهم فجعل المسجد سببا
للدعاء بالمغفرة • وقيل المراد بقوله بيتي اي سفينتي • وعن ابن عباس اي دخل
في ديني • فان قيل فعلى هذا يصير قوله مؤمنا مكررا • فالجواب ان من يدخل
في دينه ظاهرا قد يكون مؤمنا وقد لا يكون مؤمنا فالمعنى ولمن دخل دخولا
مع تصديق القلب **قوله** وللمؤمنين والمؤمنات خص نفسه اولا
بالدعاء ثم المتصلين به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات
الى يوم القيمة قاله الضحاك • وقال الكلبي من امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل من قومه والاول اظهر • ثم ختم الكلام مرة اخرى بالدعاء على الكافرين
فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا • والمراد بالظالمين الكافرين
فهي عامة في كل كافر ومشرك • وقيل اراد مشركي قومه وتبارا مفعول ثان
والاستثناء مفرغ وتقدم الكلام في التبار وكل شيء اهلك فقد تبر ومنه
قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه • وقيل التبار الخسران • قال المفسرون فاستجاب
الله دعاءه فاهلكهم • روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة
نوح عليه السلام •

سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة
وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل اوحي
هذه قراءة العامة كونها من اوحى رباعيا وفيها عن ابي عمرو
وابن ابي عبلة وابو اياس وحي ثلاثيا وهما لغتان يقال وحى اليه كذا
واوحاه اليه بمعنى واحد فتقلب الواو همزة • ومنه قوله تعالى واذا الرسل
اقتت وانشد للعجاج • وحى لها القرار فاستقرت • وقرا زيد بن علي
والكسائي في رواية وابن ابي عبلة ايضا احي بهمزة مضمومة لا واو
بعدها • وخرجت على ان الهمزة بدل من الواو المضمومة نحو اعد في وعد
فهذه فرع قراءة وحي ثلاثيا • قال الزمخشري وهو من القلب المطلق جوازه
في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء
اخيه • قال ابو حيان وليس كما ذكر بل في ذلك تفصيل وذلك ان الواو المضمومة
قد تكون اولا وحشوا واخرا ولكل منها احكام وفي بعض ذلك خلاف وتفصيل مذكور
في كتب النحو وتقدم الكلام في ذلك مشبعا في اول هذا الكتاب ثم قال
ابو حيان بعد ما تقدم عن المازني وهذا تكثير وتبجح **قوله** انه استمع
هذا هو القائم مقام الفاعل لانه هو المفعول الصريح وعند الكوفيين والاخفش
يجوز ان يكون القائم مقامه الجار والمجرور فيكون هذا باقيا على نصبه
والتقدير اوحي الي استماع نفر ومن الجن صفة لنفر **فصل** قال
ابن عباس وغيره قل يا محمد لامتك اوحي الي على لسان جبريل انه استمع نفر
من الجن والنفر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة • واختلفوا هل راهم النبي
صلى الله عليه وسلم ام لا فظاهر القرآن يدل على انه لم يرهم لقوله تعالى
انه استمع وقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن • وفي صحيح
مسلم والترمذي عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين

خبر السما وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا
ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب
قالوا ما ذلك الا من شي حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا
ما هذا الذي حال بيننا وبين السما فانطلقوا يضربون الارض ومغاربها
فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو واصحابه بنخلة قاصدين سوق عكاظ
وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له فقالوا
هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا
انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا
فانزل الله على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر
من الجن الاية • قال القرطبي في هذا الحديث دليل على انه صلى الله عليه وسلم
لم ير الجن ولكن حضروه وسمعوا قراته • فان قيل الذين رموا بالشهب
هم الشياطين والذين سمعوا القران هم الجن فما وجه الجمع فالجواب
من وجهين • الاول ان الجن كانوا مع الشياطين فلما رمي الشياطين اخذوا
الجن الذين كانوا معهم في تجسيس الخبر • الثاني ان الذين رموا بالشهب كانوا
من الجن الا انهم قيل لهم شياطين كما قيل شياطين الانس والجن فان الشيطان
كل متمرد بعيد عن طاعة الله تعالى • قال ابن الخطيب واختلف في اولئك
الجن الذين سمعوا القران منهم فروى عاصم بن ذر قال قدم رهط زوبعة
واصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا فذلك قوله تعالى واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران • وقيل كانوا الشيصبان وهم
اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم وقيل كانوا سبعة ثلاثة من ارض
حران واربعة من ارض نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق وروى ايضا
عنهم عاصم عن ذر وقيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين
اتوه بنخلة جن نينوى • وقال عكرمة كانوا اثنا عشر الفا من جزيرة الموصل
ومذهب ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو
القران على الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله فانطلق حتى الحجون عند
شعب ابن ابي دويب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون
فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم رجال الزط • قال ابن الاثير في النهاية الزط
قوم من السودان والهنود يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها
حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فاومى بيده الي ان اجلس ثم تلا القران
صلى الله عليه وسلم فلم تزل صورته ترتفع ولصقوا في الارض حتى صرت
لا اراهم • وفي رواية اخرى قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من انت
قال صلى الله عليه وسلم انا نبي قالوا فمن يشهد لك على ذلك فقال
الحبيب المحيا صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها
لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله
عليه وسلم على ما ذا تشهدين لي قالت اشهد انك رسول الله قال صلى الله
عليه وسلم اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت • قال ابن مسعود
رضي الله عنه فلما عاد الي قال اردت ان تاتيني قلت نعم يا رسول الله
ما كان ذلك لك كان هولا الجن اتوا يستمعون القران ثم ولوا الى قومهم
منذرين فسالوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احدكم
بعظم ولا بعر • وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ وضع راسه صلى
الله عليه وسلم على حجر ابن مسعود رضي الله عنه فرقد ثم استيقظ صلى الله
عليه وسلم فقال هل من وضوء قال لا الا ان معي اداوه ، فقال صلى

الله عليه

الله عليه وسلم هل هو الا تمر وما فتوضا منه • قال ابن الخطيب وطريق
الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود من وجوه • احدها
لعل ما ذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امر
بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود رضي الله عنهما • وثانيها ان
يتعذر ان تكون واقعة الجن مرة واحدة الا انه صلى الله عليه وسلم
ما راهم وما عرف امرهم ماذا قالوا واي شي فعلوا فالله تعالى اوحى اليه
انه كان كذا وكذا وقالوا كذا • وثالثها ان الواقعة كانت مرة واحدة
وهو صلى الله عليه وسلم راهم وسمع كلامهم وهم امنوا به ثم رجعوا
الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرانا عجبا وكان كذا
وكذا فاوحى الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم ما قالوه لاقوامهم
قال ابن الجوزي ابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس
سمعه وليس الخبر كالمعاينة • قال القرطبي وقيل ان الجن اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم دفعتين • احدهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود
والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس • قال البيهقي الذي حكاه
عبد الله انما هو في اول ما سمعت الجن قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما حكاه عبد الله
ابن عباس ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب معه وقرا عليهم
القران كما حكاه عبد الله بن مسعود

فصل قال ابن الخطيب
اعلم ان قوله تعالى قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يظهر
لاصحابه رضي الله عنهم ما اوحي اليه تعالى في واقعة الجن وفيه فوايد
احدها ان يعرفوا بذلك انه صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث
الى الانس • وثانيها ان تعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران
عرفوا اعجازه فامنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم • وثالثها ان يعلم
القوم ان الجن مكلفون كالانس • ورابعها ان تعلم ان الجن يستمعون
كلامنا ويفهمون لغتنا • وخامسها ان يظهر المومن منهم بدعوى غيره
من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس

فصل اختلف العلما في اصل الجن فروى الحسن البصري ان الجن
ولد ابليس والانس ولد ادم صلوات الله وسلامه عليه ومن هولا وهولا
مومنون وكافرون وهم شركا في الثواب والعقاب فمن كان من هولا
وهولا كافرا فهو شيطان ومنهم المومن ومنهم الكافر والشياطين والابليس
لا يموتون الا مع ابليس • وروي ان ذلك النفر كانوا يهود وذكر الحسن
انهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين

فصل اختلفوا في دخول
الجن الجنة على حسب الاختلاف في اصلهم فمن زعم انه من الجان لا من ذرية
ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس
فهم فيه قولان • احدهما وهو قول الحسن يدخلونها • الثاني وهو قول
مجاهد لا يدخلونها

فصل قال القرطبي وقد انكر جماعة من كفرة
الاطبا والفلاسفة الجن وقالوا انهم بسايط ولا يصح طعامهم اجترا
على الله والقران والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات بسايط مركب
مزدوج انما الواحد سبحانه وغيره المحدث مركب ليس بواحد كيف ما
تصرف حاله وليس يمتنع ان يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم
كما يرى الملايكة واكثر ما يتصورون في صور الحيات • ففي الحديث ان رجلا حديث
عهد بعرس استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار ان يرجع

الى اهله الحديث وفيه فاذا حية عظيمة مطوية على الفراش فاهوى اليها
بالرمح فانتظمها وذكر الحديث • وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال
ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيا فحرجوا عليها ثلاثا فان
ذهب والا فاقتلوه فانه كافر • وقال اذهبوا فادفنوا صاحبكم وذهب
قوم ان ذلك مخصوص بالمدينة كقوله فى الصحيح جنا قد اسلموا وهذا
لفظ مخصوص بها فيختص بحكمها • قال القرطبى قلنا هذا يدل على ان غيرها
من البيوت مثلها لانه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مخصوصا
بها وانما علل بالاسلام وذلك عام فى غيرها • الا ترى فى الحديث عن الجن
الذى لقى وكانوا من جن الجزيرة ويعضد هذا قوله ونهى عن عوامر البيوت
وهذا عام وقد مضى فى سورة البقرة قوله انا سمعنا قرانا عجبا
اى قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله تعالى فلما قضى ولوا الى قومهم
منذرين ووصف القران بعجب اما على المبالغة اى خارجا عن حد اشكاله
اما فى فصاحة كلامه واما فى بلاغة مواعظه او عجيبا فى عظم بركته
او عزيزا لا يوجد مثله واما على حذف مضاف اى ذا عجب واما بمعنى
اسم الفاعل اى معجب قوله يهدى صفة اخرى اى هاديا الى الرشد
قرا العامة الرشد بضمة وسكون وابن عامر بفتحهما وعنه ايضا ضمهما
وتقدم هذا فى الاعراف والمعنى يهدى الى الصواب وقيل الى التوحيد
قوله فامنا به اى بالقران اى فاهتدينا به وصدقنا انه من عند
الله ولن نشرك بربنا احدا اى لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود
الى ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل على ان اولئك الجن كانوا
مشركين قوله وانه تعالى قرا الاخوان وابن عامر وحفص بفتح ان
وما عطف عليها بالواو وفى اثنتى عشرة كلمة والباقون بالكسر وقرا ابو
بكر وابن عامر وابو بكر وانه لما قام بالكسر والباقون بالفتح واتفقوا
على الفتح فى قوله وان المساجد لله وتلخيص هذا انه ان المشددة فى هذه
السورة على ثلاثة اقسام الاول ليس معه واو العطف فهذا لا خلاف
بين القراء فى فتحه او كسره على حسب ما جاءت به التلاوة واقتضته العربية
كقوله قل اوحى الى انه استمع نفر لا خلاف فى فتحه لوقوعه موقع المصدر
وكقوله انا سمعنا قرانا لا خلاف فى كسره لانه محكى بالقول • القسم الثانى
ان يقترن بالواو وهو اربع عشرة كلمة احدها لا خلاف فى فتحها وهو قوله وان
المساجد لله وهذا هو القسم الثالث والثانية وانه لما قام كسرها ابن
عامر وابو بكر وفتحها الباقون كما تقدم تحريره لك كله والاثنتا
عشرة وهى قوله وانه تعالى جد وانه كان يقول وانا ظننا وانه كان رجال
وانهم ظنوا وانا لمسنا وانا كنا وانا لا ندرى وانا منا الصالحون
وانا ظننا وانا لما سمعنا وانا منا المسلمون فهذه ضبطها من حيث
القراءات واما توجيه ذلك فاختلف الناس فيه فقال ابو حاتم فى الفتح
هو معطوف على مرفوع اوحى فتكون كلها فى موضع رفع لما لم يسم فاعله
ورد ذلك من حيث ان اكثرها لا يصح دخولها تحت معمول اوحى الا ترى
انه لو قيل اوحى الى انا لمسنا السماء وانا كنا وانا لا ندرى وانا منا المكرمون
لم يستقم معناه • وقال مكى وعطف على امنا به اتم فى المعنى من حيث
العطف على انه استمع لانك لو عطفت وانا ظننا وانا سمعنا وانه كان
رجال من الانس وانا لمسنا وشبه ذلك على انه استمع لم يجز لانه ليس
مما اوحى اليه انما هو امر اخبروا به عن انفسهم والكسر فى هذا ابين
وعليه جماعة من القراء • الثانى ان الفتح فى ذلك عطف على محل به من امنا به

قال

قال الزمخشرى كانه قال صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان
يقول سفيهنا وكذلك البواقى الا ان مكيا ضعف هذا الوجه فقال
والفتح فى ذلك الحمل على معنى امنا به فيه بعد فى المعنى لانهم لم يخبروا انهم
امنوا بانهم لما سمعوا الهدى امنوا به ولم يخبروا انهم امنوا انه كان رجال
انما حكى الله عنهم انهم قالوا ذلك مخبرين به عن انفسهم لاصحابهم فالكسر
اولى بذلك وهذا الذى قاله غير لازم فان المعنى على ذلك صحيح وقد ذهب
الزمخشرى الى هذا التخريج للفراء والزجاج الا ان الفراء استشعر اشكالا وانفصل
عنه فانه قال فتحت ان لوقوع الايمان عليها وانت تجد الايمان يحسن فى
بعض ما فتح دون بعض فلا يمنع من امضائهن على الفتح فانه يحسن فيه ما
يوجب ان نحو صدقنا وشهدنا كما قالت العرب • وزججنا الحواجب والعيونا
فنصب العيون لاتباعها الحواجب وهى لا تزجج انما تكحل فاضمر لها
الكحل انتهى فاشار الى شئ مما ذكره واجاب عنه • وقال الزجاج لكن وجهه
ان يكون محمولا على امنا به صدقناه وعلمناه فيكون المعنى صدقنا
انه تعالى جد ربنا وبانه كان يقول الى اخره وهو مذهب الكوفيين
وهو ان كان قويا من حيث المعنى الا انه ممنوع من حيث الصناعة
لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار وتقدم تحرير هذين
القولين فى سورة البقرة عند قوله وكفر به والمسجد الحرام على ان مكيا قد
قوى هذا المدرك اخر وهو حسن جدا فقال هو يعنى العطف على الضمير
المجرور دون اعادة الجار فى ان اجود منه فى غيرها لكثرة حذف حرف الجر مع ان
ووجه الكسر العطف على ان قوله انا سمعنا فيكون الجميع معمولا للقول
فقالوا انا سمعنا وقالوا انه تعالى جد ربنا الى اخرها • وقال بعضهم الجملتان
من قوله تعالى وانه كان رجال من الانس وانهم ظنوا معترضتان بين قول
الجن وهما من كلام البارى تعالى والظاهر انهما من كلامهم قاله بعضهم لبعض
ووجه الكسر والفتح فى قوله وانه لما قام عبد الله ما تقدم ووجه اجماعهم
على فتح وان المساجد لله وجهان احدهما انه معطوف على انه استمع فيكون
موحى ايضا • والثانى انه على حذف حرف الجر وذلك الجار متعلق بفعل
النهى اى فلا تدعوا مع الله احدا لان المساجد لله ذكرهما ابو البقاء • وقال
الزمخشرى انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحى وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدا
محكى بعد القول ثم تحمل عليهما البواقى فما كان من الوحى فتح وما كان من قول
الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخيرتين وهما وان المساجد وانه
لما قام عبد الله • ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور فى امنا به اى
صدقناه وصدقنا انه والحاوى انه استمع نفر وانه تعالى وما بعد ذلك
ضمير الامر والشان وما بعده خبر ان • قوله جد ربنا قرا العامة جد
ربنا مضافا لربنا والمراد به هنا العظمة وقيل قدرته وامره وقيل
ذكره والجد ايضا الحظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولا ينفع ذا الجد منك
الجد والجد ايضا ابو الاب والجد ايضا بالكسر ضد التوانى فى الامر وقرا
عكرمة بضم باء ربنا وتنوين جد على ان يكون ربنا بدلا من جد والجد
العظيم كانه قيل وانه تعالى عظيم ربنا فابدل المعرفة من النكرة وعنه
ايضا جدا منصوبا منونا ربنا مرفوع ووجه ذلك ان ينتصب جدا
على التمييز وربنا فاعل بتعالى والتقدير تعالى ربنا تعاليا جدا اى حقا لا
باطلا والجد بكسر الجيم ضد الهزل • والثانى انه منصوب على الحال اى تعالى
ربنا حقيقة ومتمكنا قاله ابن عطية • وقرا حميد بن قيس جد ربنا بضم الجيم
مضافا لربنا وهو بمعنى العظيم حكاه سيبويه وهو فى الاصل من اضافة

الصفة لموصوفها اذ الاصل ربنا العظيم نحو جرد قطيفة الاصل قطيفة
جرد وهو مؤول عند البصريين • وقرا ابن السميفع جد ربنا بالف
بعد الدال مضافا لربنا والجدى الجدا والجد وكذا النفع والعطا اى
تعالى عطا ربنا ونفعه **فصل** قال القرطبي الجد في اللغة العظمة
والجلال ومنه قول انس رضي الله عنه كان الرجل اذا حفظ البقرة
وال عمران جد في عيوننا اي عظم وجل فمعنى جد ربنا اي عظمته وجلاله
قاله عكرمة ومجاهد وقتادة وعن مجاهد ايضا ذكره وقال انس بن
مالك والحسن وعكرمة ايضا غناه ومنه قيل الحظ ورجل مجدود اي
محظوظ • وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد • قال ابو عبيد والخليل
اي ذا الغنا منك الغنا انما ينفعه الطاعة • وقال ابن عباس قدرته
وقال الضحاك فعله وقال القرطبي والضحاك الاوه ونعماوه على
خلقه وقال ابو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه وقال السدي امره
وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اي تعالى ربنا وقيل انهم
عنوا بذلك الجد الذي هو ابو الاب ويكون هذا من قول الجن وقال
محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع ليس لله تعالى جد
وانما قالته الجن للجهالة فلم يوخذوا به قال القشيري ويجوز اطلاق
لفظ الجد في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القران غير انه لفظ موهم
فتجنبه اولى • قال القرطبي ومعنى الاية وانه تعالى جد ربنا ان يتخذ
ولدا او صاحبة للاستيناس بهما او الحاجة اليهما والرب تعالى عن ذلك
كما تعالى عن الانداد والنظرا وقوله عز وجل ما اتخذ صاحبة ولا ولدا
مستانف منه تقرير لتعاليه جده **قوله** وانه كان يقول سفيهنا
على الله شططا الهاء في انه للامر والحديث وسفيهنا يجوز ان يكون
اسم كان ويقول الخبر ولو كان مثل هذه الجملة غير واقعة خبرا لكان
لامتنع تقديم الخبر حينئذ يجوز سفيهنا يقول لو قلت يقول سفيهنا
على التقديم والتاخير لم يجز الفرق انه في غير باب كان يلتبس بالفعل
والفاعل وفي باب كان يؤمن ذلك ويجوز ان يكون سفيهنا فاعل يقول
والجملة خبر كان واسمها ضمير الامر مستتر فيها وقد تقدم هذا في قوله
ما كان يصنع فرعون وقومه وقوله تعالى شططا تقدم مثله في الكهف
قال القرطبي ويجوز ان يكون كان زايدة • السفيه هو ابليس في قول
مجاهد وابن جريج وقتادة ورواه ابو بردة عن ابي موسى عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المشركون من الجن قال قتادة عصاه
سفيه الجن كما عصاه سفيه الانس والشطط والاشطاط الغلو في الكفر
وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب لبعده عن الصواب
قال الشاعر
بايه حال حكموا فانشطوا • وما ذاك الاحيث يملك الوخط •
قوله وانا ظننا اي حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
اي مخففة واسمها مضمر والجملة المنفية خبرها والفاصل هنا حرف النفي
وكذبا مفعول به او نعت مصدر محذوف اي قولا كذبا وقرا الحسن والجحدري
وابو عبد الرحمن ويعقوب يتقول بفتح القاف والواو المشددة وهو
مضارع تقول اي كذب والاصل يتقول فحذف احدى التاءين نحو تنزل
وانتصب كذبا في هذه القراءة على المصدر لان التقول كذب نحو قعدت قعودا
وقعدت جلوسا ومعنى الاية وانا حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله
كذبا فلذلك صدقناهم في ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القران وتبينا
به

به الحق فقيل انقطع الاخبار من الجن هاهنا فقال الله تعالى جل ذكره ولا اله
الا هو وانه كان رجال من الانس فمن فتح وجعله من قول الجن ردها
الى قوله انه استمع ومن كسرها جعلها من قول الله تعالى والمراد به
ما كانوا يفعلونه من قول الرجل اذا اوى بواد اعوذ بسيد هذا الوادي
من شر سفهائه فيبيت في جواره حتى يصبح قاله الحسن وابن زيد
وغيرهما وقيل كانوا في الجاهلية اذا قحطوا بعثوا رائدهم فاذا وجد
مكانا فيه كلا وما رجع الى اهله فيسار بهم فاذا انتهوا الى تلك الارض
نادوا نعوذ بك يا رب هذا الوادي ان تصيبنا افة يعنون من الجن
فان لم يفزعهم احد نزلوا وان افزعهم الجن رجعوا • قال مقاتل
اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم
فشا ذلك في العرب فلما جا الاسلام عاذوا بالله وتركوهم • وقال
كردم بن ابي السايب خرجت مع ابي الى المدينة اول ما ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جا الذيب
فحمل حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك الله فنادى
مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم يصبه
كدمة فانزل الله على رسوله السيد الكامل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
اي زاد الانس الجن رهقا اي خطية واثما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة
رضي الله تعالى عنهم الاثم في كلام العرب وغشيان المحارم ورجل رهق اذا
كان كذلك ومنه قوله ترهقهم ذلة • وقال الاعشى
لا شي ينفعني من دونه رويتها • هل يشتفي عاشق ما لم يصب رهقا •
يعني اثما ورجل مرهق اي يغشاه السايلون • قال الواحدي الرهق غشيان
الشي ومنه قوله تعالى ترهقها قترة واضيف الزيادة الى الجن اذ كانوا سببا
لها • وقال مجاهد ايضا زادوهم اي الانس زادوا الجن طغيانا بهذا
التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس والجن وقال قتادة ايضا وابو
العالية والربيع وابن زيد ازداد الانس بهذا فرقا وخوفا من الجن
وقال سعيد بن جبير كفرا ولا خفا ان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة
بالله كفر وشرك وقيل لا يطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وانه كان رجال
من الانس يعوذون من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل من الانس
يقول مثلا اعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي قال القشيري وفي
هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجال على الجن ولو كان من الانس فقد كرجال
كذلك قوله من الجن **قوله** وانهم ظنوا ان لن يبعث الله احدا الكلام في
ان كالكلام في الاول وان وما في خبرها سادة مسد مفعولي الظن والمسألة
باب الاعمال لان ظنوا يطلب مفعولين وظننتم كذلك وهو من اعمال
الثاني للحذف من الاول والضمير في انهم ظنوا للانس وفي ظننتم للجن ويجوز
العكس **فصل** هذا من قول الله تعالى للانس اي وان الجن ظنوا
ان لن يبعث الله الخلق كما ظننتم • قال الكلبي المعنى ظنت الجن كما ظنت
الانس ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا
توكيد للحجة على قريش اي اذا امن هؤلا الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فانتم
احق بذلك **قوله** وانا لمسنا السما هذا من قول الجن اي طلبنا خبرها
كما جرت عادتنا فوجدناها ملئت حرسا شديدا اي حفظة يعني الملائكة
واللمس المس فاستعير للطالب لان الماس متطلب يقال لمسه والتمسه
ونحوه الجس يقال جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السما واستماع

كلام اهلها قوله فوجدناها فيها وجهان اظهرها انها متعدية
لواحد لان معناها اصبنا وصدفنا وعلى هذا فالجملة من قوله ملئت في
موضع نصب على الحال على اضمار قد والثاني انها متعدية لاثنين فيكون
الجملة في موضع المفعول الثاني وحرسا منصوب على التمييز نحو امتلا الاناء
ماء والحرس اسم جمع لحارس نحو خدم لخادم وغيب لغايب ويجمع تكسيرا
على احراس كقول امري القيس
۞ تجاوزت احراسا واهوال معشر ۞ حراص على لو يسرون مقتلي ۞
والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة وشديدا صفة لحرس على اللفظ
كقوله ۞ اخشى رجيلا وركيبا عاديا ۞ ولو جاء على المعنى لقيل شدادا بالجمع
لان المعنى ملئت ملايكة شدادا كقولك السلف الصالح يعني الصالحين
قال القرطبي ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة
شديدة وقوله وشهبا جمع شهاب ككتاب وكتب وقيل المراد النجوم
او الحرس انفسهم وانقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع
وقد تقدم في سورة الحجر والصافات وانما عطف لبعض الصفات على بعض
عند تغاير اللفظ كقوله ۞ وهند اتى من دونها النأي والبعد ۞ وقرأ الاعرج
ملئت بياء صريحة دون همزة قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
المقاعد جمع مقعد اسم مكان والضمير في منها اي من السما والمقاعد مواضع
يقعد في مثلها الاستماع الاخبار من السما وذلك ان مردة الجن كانوا يفعلون
ذلك ليستمعوا من الملايكة اخبار السما من الملايكة فيلقونها الى الكهنة
فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشهب المحرقة فقالت الجن حينئذ
فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا يعني بالشهاب الكوكب المحرق
قوله الان هو ظرف حالي واستعير هنا للاستقبال كقوله
۞ سأسعى الان اذ بلغت اناها ۞ فافرق حرف التنفيس وقد تقدم هذا
في البقرة عند قوله فالان باشروهن ورصدا اما مفعول به واما صفة لشهابا
اي ذا رصد وجعل الزمخشري الرصد اسم جمع كحرس فقال والرصد اسم جمع
للراصد كحرس على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملايكة ويجوز
ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا
فصل
اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل البعث وذلك امر حدث لبعث
النبي صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن تحرس السما في الفترة بين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم خمسماية عام وانما كان من اجل بعثة النبي صلى الله عليه
وسلم فلما بعث صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملايكة
والشهب قاله الكلبي ورواه عطية عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله
ابن عمر لما كان اليوم الذي نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين
ورموا بالشهب وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السما تحرس في الفترة
بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
حرست السما ورميت الشياطين بالشهب ومنعت من الدنو الى السما قال
نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تستمع فلا ترمى فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب ونحوه عن ابي بن كعب قال لم يرم
بنجم منذ رفع عيسى عليه الصلوة والسلام حتى نبي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرمي بها وقيل كان ذلك قبل البعث وانما زادت بمبعث النبي صلى الله
عليه وسلم انذارا بحاله وهو معنى قوله تعالى ملئت اي زيد في حرسها
وقال اوس بن حجر وهو جاهلي
۞ فانقض كالدري يتبعه ۞ نقع يثور تخاله طنبا ۞ قال الحافظ هذا
البيت

البيت مصنوع وان الرمي لم يكن قبل البعث والمعول بالرمي على هذه
الاية لانه يخبر عن الجن انها اخبرت بالزيادة في الحرس وانها امتلات من الحرس
والشهب وقال بشر بن ابي حازم
۞ والعير يرهقها الغبار وجحشها ۞ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب ۞
وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية
فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانها لا ترمى لموت احد ولا لحياته
ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السما سبح حملة العرش ثم سبح اهل
كل سما حتى ينتهي التسبيح الى هذه السما ويستخبر اهل السما حملة العرش
ماذا قال ربكم فيخبرونه ويخبر اهل كل سما حتى ينتهي الخبر الى هذه السما فتخطفه
الجن فيرمون فما جاوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وهذا يدل على ان هذه
الشهب كانت موجودة قبل البعث وهو قول الاكثرين قال الحافظ فلو
قال قايل كيف تتعرض الجن لاحتراق نفسها بسماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما
عندهم فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة كما ينسى ابليس
ذلك وثبت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين
ولولا هذا لما تحقق التكليف قال القرطبي والرصد قيل من الملايكة اي
ورصدا من الملايكة وقيل ان الراصد هو الشهاب اي شهاب قد ارصد له
للرجم به فهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنفض قوله وانا لا ندري اشر
اريد بمن في الارض في اشر اريد وجهان احسنهما الرفع بفعل مضمر على الاشتغال
وانما كان احسن لتقدم طالب الفعل وهو اداة الاستفهام والثاني الرفع على
الابتدا ولقايل ان يقول يتعين هنا الرفع باضمار فعل لمدرك اخر وهو انه
قد عطف بام فعل فاذا اضمرنا الفعل رافعا كانت عاطفة جملة فعلية على مثلها
بخلاف رفعه بالابتدا فانه حينئذ يخرج ام عن كونها عاطفة الى كونها منقطعة
الا بتاويل بعيد وهو ان الاصل اشر اريد بهم ام خير فوضع قوله ام اراد
بهم موضع خير وقوله اشر ساد مسد مفعول ندري بمعنى انه معلق به
وراعى معنى من في قوله بهم ولهم فجمع
فصل
قال ابن زيد معنى
الاية ان ابليس قال لا ندري هل اراد بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض
عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان سمعوا
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال
محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من
الامم ام اراد ان يومنوا فيهتدون فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى
هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعوا قراءته على انهم
منعوا من السما وحراستها بالوحي وقيل لا بل هذا قول قالوه لقومهم بعدما انصرفوا
اليهم منذرين اي لما امنوا اشفقوا الا يومن كثير من اهل الارض فقالوا
انا لا ندري الكفر اهل الارض بما امنا به ام يومنون قوله وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك هذا من قول الجن اي قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وانا كنا قبل استماع القران منا الصالحون
وقولهم ومنا دون ذلك يحتمل وجهين احدهما يحتمل ان دون بمعنى غير اي ومنا
غير الصالحين اي كافرون وهو مبتدا وانما فتح لاضافته الى غير متمكن كقوله
لقد تقطع بينكم فيمن نصب على احد الاقوال دل على هذا كلام الاخفش والثاني
ان دون على بابها من الظرف وانها صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق او فوج

دون ذلك وحذف الموصوف من التبعيضية يكثر كقولهم منا ظعن ومنا
اقام اي منا فريق • ومعنى الآية ومنا الصالحون دون اولئك في الصلاح قوله
كنا طرائق قددا فيه اوجه احدها ان التقدير كنا ذوي طرائق اي ذوي مذاهب
مختلفة • الثاني ان التقدير كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة • الثالث
ان التقدير كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب • الرابع كانت
طرائقنا قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف
مقامه قاله الزمخشري فقد جعل في ثلاثة اوجه مضافا محذوفا وقال انه
قدر في الاول ذوي وفي الثاني مثل وفي الثالث طرائقنا ورد عليه ابو حيان
قوله كنا طرائق كقوله كما عسل الطريق بان هذا لا يجوز الا في ضرورة او
ندور فلا يخرج القرآن عليه يعني تعدي الفعل بنفسه الى ظرف المكان المختص
والقدد جمع قدة والمراد بها الطريقة واصلها السيرة يقال قدة فلان
حسنة اي سيرته وهو من قد السير اي قطعه على استواه فاستعير
للسيرة المعتدلة • قال الشاعر

القابض الباسط الهادي بطاعته ... في فتنة الناس اذ اهواؤهم قددا

وقال آخر

جمعت بالراي منهم كل رافضة ... اذ هم طرائق في اهوائهم قددا

وقال لبيد في اخاه

لم تبلغ العين كل نهمتها ... يوم تمشي الجياد بالقدد

والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ • ويقال ماله قد ولا قحف فالقد
اناء من جلد والقحف اناء من خشب فصل قال سعيد بن المسيب
معنى الآية كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس • وقال السدي في الجن
مثلكم قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنية • وقال
قوم انا بعد استماع القرآن مختلفون منا المؤمنون ومنا الكافرون ود
اي ومنا الصالحون ومنا المؤمنون لم يتناهوا في الصلاح • قال القرطبي
والاول احسن لانه كان في الجن من آمن بموسى وعيسى وقد اخبر الله عنهم
انهم قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتورية وكان هذا مبالغة منهم في دعاء
من دعاهم الى الايمان وايضا لا فائدة في قولهم عن الآن منقسمون الى المؤمن
والكافر والطرائق جمع طريقة هي مذهب الرجل اي كنا فرقا • وقال الفراء
طرائق اي على مذاهب شتى والقدد نحو من الطرائق وهو تاكيد لها واحدها
قدة يقال لكل طريقة قدة • قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض والظن
هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا والمعنى ظنوا اي وعلمنا بالاستدلال والتفكر في آيات
الله تعالى انا في قبضته وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره • وقوله في الارض
حال وكذلك هربا مصدر في موضع الحال تقديره لن نعجزه كائنين في الارض
اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السما قوله وانا لما سمعنا الهدى
يعني القرآن امنا به وبالله وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته
وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس والجن • قال الحسن رضي الله عنه
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله قط رسولا من
الجن ولا من اهل البادية ولا من النسا وذلك قوله تعالى وما ارسلنا قبلك
الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى وفي الحديث بعثت الى الاحمر والاسود اي الانس
والجن وقد تقدم الكلام على هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله يا معشر الجن
والانس الم ياتكم رسل منكم قوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا

قال ابن

قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سيئاته
لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم وقد تقدم في
بيت الاعشى قوله فلا يخاف اي فهو لا يخاف اي فهو غير خائف لان
الكلام في تقدير مبتدا وخبر فلذلك دخلت الفا ولولا ذلك لقيل لا يخف
قاله الزمخشري ثم قال فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله
حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفا وكان ذلك مستغنى عنه بان يقال
لا يخف • قلت الفائدة انه اذا فعل ذلك كان تقديرا فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق
ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره • قال شهاب
الدين وسبب ذلك ان الجملة تكون اسمية حينئذ والاسمية ادل على التحقيق
والثبوت من الفعلية • وقرا ابن وثاب والاعمش بالجزم وفيها وجهان
احدهما ولم يذكر الزمخشري غيره ان لا ناهية والفا حينئذ واجبة • والثاني
ان لا نافية والفا حينئذ زائدة وهذا ضعيف • وقوله بخسا فيه حذف
مضاف اي جزا بخس كذا قدره الزمخشري وهو مستغنى عنه • وقرا ابن وثاب
بخسا بفتح الخا • قال القرطبي وقرا الاعمش ويحيى وابراهيم فلا يخف جزما
على جواب الشرط والفا • قوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
اي وانا بعد استماع القرآن مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر
لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الى الحق قسط اذا جار واقسط
اذا عدل • قال قوم

هم قتلوا ابن هند عنوة ... عمرو وهم قسطوا على النعمان

وقد تقدم في اول النسا ان قسط الثلاثي بمعنى جار واقسط الرباعي بمعنى
عدل • وان الحجاج قال لسعيد بن جبير ما تقول في قال انك قاسط عادل
فقال الحاضرون ما احسن ما قال فقال يا جهلة جعلني جائرا كافرا وتلا
قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
قوله فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه
وطلبوه باجتهاد • ومنه التحري في الشيء • قال الراغب حرى الشيء يحري
اي قصد حراه اي جانبه وتحراه كذلك وحرى الشيء يحري نقص كانه لزم
حراه ولم يمتد • قال الشاعر • والمرء بعد تمامه يحري • ويقال
رماه الله بافعى حاريه اي شديدة انتهى • وكان اصله من قولهم هو حري
بكذا اي حقيق به فمعنى ورشدا مفعول به والعامة قرا وارشدا بفتحتين
والاعرج بضمة وسكون • قوله واما القاسطون اي الجائرون عن
طريق الحق والايمان فكانوا لجهنم حطبا اي وقودا وقوله فكانوا اي في علم
الله تعالى • فان قيل ذكر عقاب القاسطين ولم يذكر ثواب المسلمين فالجواب
بان ذكر ثواب المؤمنين بقوله تحروا رشدا اي تحروا رشدا عظيما لا يعلم كنهه
الا الله تعالى ومثل هذا لا يتحقق الا في الثواب • فان قيل ان الجن مخلوقون
من النار فكيف يكونون حطبا للنار • فالجواب انهم وان خلقوا من النار
لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية فيصيرون لحما ودما هكذا قيل وهذا آخر
كلام الجن • قوله وان لو استقاموا على الطريقة اي هي المخففة من الثقيلة
وتقدم انه يكتفى بالفاصل بين ان المخففة وخبرها اذا كان جملة فعلية
في سورة سبأ • وقال ابو البقا هنا ولو عوض كالسين وسوف • وقيل
لو بمعنى ان وان بمعنى اللام وليست بلازمة كقوله لئن لم ينته • وقال
في موضع آخر وان لم ينتهوا ذكره ابن فضاله في البرهان • قال شهاب
الدين وهذا شاذ لا يلتفت اليه البتة لانه خلاف النحويين • وقرا
العامة بكسر واو لو على الاصل وابن وثاب والاعمش بضمها تشبيها بواو

الضمير وقد تقدم تحقيقه في البقرة **فصل** هذا من كلام الله تعالى
اي لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وهذا
محمول على الوحي اي اوحي الي ان لو استقاموا • قال ابن بحر في هذه السورة كلاما
كان في هذه السورة من ان المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين سمعوا القرآن
فرجعوا الى قومهم منذرين وكلما فيها من ان المفتوحة فهي وحي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال ابن الانباري ومن كسر الحروف
وفتح وان لو استقاموا اضمر يمينا تأولها والله ان لو استقاموا
على الطريقة كما يقال في الكلام والله ان قمت لقمت والله لو قمت
قال الشاعر • اما والله لو كنت حرا • ولا بالحرائب ولا العتيق •
ومن فتح ما قبل المخففة على تقدير اوحي الي انه وان لو استقاموا وعلى
آمنا به ويستغني عن اضمار القاسطون لو استقاموا فعلنا بهم
كذا وكذا وقيل بل المراد الانس لان الترغيب في الانتفاع بالماء الغدق
انما يليق بالانس لا بالجن • وايضا ان هذه الآية انما نزلت بعد ما
حبس الله المطر عن اهل مكة سنين اقصى ما في الباب انه لم يتقدم
ذكر الانس ولكن لما كان ذلك معلوما جرى مجرى قوله انا انزلناه
في ليلة القدر • وقال القاضي الاقرب ان الكل يدخلون فيه
قال ابن الخطيب ويدل على صحة قول القاضي انه تعالى اثبت
حكما معللا بعلة وهي الاستقامة فوجب ان يعم الحكم لعموم العلة
والغدق بفتح الدال وكسرها لغتان في الماء الغزير ومنه الغداق
للماء الكثير وللرجل الكثير العدو والكثير النطق ويقال غدقت
عينه تغدق اي هطل دمعها غدقا • وقرأ العامة غدقا بفتحتين
وعاصم فيما روى عنه الاعمش بفتح الغين وكسر الدال وقد تقدم
انهما لغتان **فصل** وان لو استقاموا قال ابن الخطيب
ان قلنا ان الضمير راجع الى الجن ففيه قولان • احدهما ان المعنى
لو ثبت ابوهم على عبادته وسجد لادم ولم يكفر وتبعه ولده على
الاسلام لانعمنا عليهم كقوله تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا
لفتحنا عليهم ابوابا الآية وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية
وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء الى قوله ويمددكم باموال
وبنين الآية وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع لانه
هو اللائق بالجن الا الماء المشروب • الثاني ان المعنى لو استقاموا الذين
استمعوا القرآن على طريقتهم التي كانوا عليها ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام
لوسعنا عليهم الدنيا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن الآية والقول الاول اختيار الزجاج قال انه تعالى ذكر الطريقة
معرفة بالالف واللام فيرجع الى الطريقة المعروفة وهي طريقة الهدى
ومعنى لنفتنهم اي لنختبرهم هل يقومون بشكرها ام لا وان قلنا ان الضمير
يعود على الانس فالاحتمالان كما هما **قوله** لنفتنهم فيه دليل على انه
تبارك وتعالى يفتن عباده واجاب المعتزلة بان الفتنة هي الاختبار
كما يقال فتنت الذهب بالنار لا خلق الضلال واستدل المعتزلة بقوله
تعالى لنفتنهم فيه على انه تعالى انما يفعل لغرض واجيبوا بان الفتنة
بالاتفاق ليست مقصودة فدلت هذه الآية ليست للغرض في فعل
الله تبارك وتعالى **فصل** روى مسلم عن ابي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف ما يخرج الله
لكم من زهرة الدنيا قال بركات الارض الحديث وقال عليه الصلاة
والسلام فوالله ما الفقر اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا فتتنافسوا
فيها كما تنافس فيها من كان قبلكم فتهلككم كما اهلكتهم **قوله** ومن يعرض
عن ذكر ربه اي عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه • وقال ابن
زيد يعني القرآن وفي اعراضه وجهان الاول عن القبول ان قيل انها
في الكفار • الثاني عن العمل ان قيل انها في اهل الايمان • وقيل ومن يعرض
عن ذكر ربه اي لم يشكره **قوله** نسلكه عذابا صعدا قرأ الكوفيون
يسلكه بياء الغيبة لاعادة الضمير على الله تعالى والباقون من السبعة بنون
على الالتفات وهذا على ما تقدم في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا ثم قال باركنا حوله لنريه من آياتنا • وقرأ مسلم بن جندب بنون
مضمومة من اسلكه وبعضهم بالياء من تحت مضمومة وهما لغتان يقال
سلكه واسلكه وانشد
حتى اذا اسلكوهم في قتائدة • وسلك واسلك يجوز ان يكونا فيهما
ضمنا معنى الادخال فلذلك يتعديان لاثنين • ويجوز ان يقال يتعديان
الى احد المفعولين باسقاط الخافض كقوله تعالى واختار موسى قومه
سبعين • فالمعنى يدخله عذابا او نسلكه في عذاب هذا اذا قلنا ان صعدا
مصدر وقال الزمخشري يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب
لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله
عنه ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني
واما اذا جعلناه اسما لصخرة في جهنم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن ابن
عباس ان المعنى مشقة من العذاب لان الصعد في اللغة هو المشقة تقول
تصعدني الامر اذا شق عليك • ومنه قول عمر المتقدم والمشي في الصعود
يشق وصعود العقبة الكؤود • وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف
صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم • وقال يكلف الوليد بن
المغيرة ان يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب من امامه بسلاسل
ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا
بلغ اعلاها حدر الى اسفلها ثم يكلف صعودها فذلك دأبه ابدا وهو قوله
سأرهقه صعودا **قوله** وان المساجد لله قد تقدم ان السبعة
اجمعت على الفتح واوحي الي ان المساجد لله • وقال الخليل اي ولان المساجد
لله فحذف الجار ويتعلق بقوله فلا تدعوا وجعلوه كقوله تعالى لايلاف قريش فانه
متعلق بقوله فليعبدوا وكقوله ان هذه امتكم اي ولان • وقرأ ابن هرمز
وطلحة وان المساجد بالكسر وهو يحتمل الاستئناف والتعليق فيكون
في المعنى كتقدير الخليل **فصل** والمساجد قيل هي جمع مسجد بالكسر
وهو مواضع السجود وقد تقدم ان قياسه الفتح وقيل هو مسجد
بالفتح مرادا بها الاعضاء الواردة في الحديث الجبهة والانف والركبتان
واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب • والمعنى ان هذه
الاعضاء انعم الله بها عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله • وقال عطاء بن
اجل اعضاءك التي امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال عليه الصلاة
والسلام اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب • وقيل جمع بل جمع مسجد
وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف الانواع • وقال القرطبي
المراد بها البيوت التي تبنيها اهل الملل للعبادة • وقال سعيد بن جبير لنا
ان نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن نائون عنك فنزلت وان
المساجد لله اي بنيت لذكر الله وللطاعة • وقال ابن عباس المساجد هنا

مكة التي هي القبلة. وسميت مكة مساجد لان كل احد يسجد اليها. قال القرطبي
والقول بانها البيوت المبنية للعبادة وهذا اظهر الاقوال وهو مروي عن ابن
عباس قال ابن الخطيب قال الواحدي وواحد المساجد على الاقوال كلها
مسجد بفتح الجيم الا على قول من يقول انها المواضع التي بنيت للصلوة فان
واحدها مسجد بكسر الجيم لان المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين
الا في احرف معدودة وهي المسجد والمطلع والمسكن والمنبت والمفرق والمطلع
والمسقط والمحشر والمنشر والمغرب وقد جا في بعضها الفتح وهو المنسك والمطلع
والمعين وهو جائز في كلها وان لم يسمع قوله لله اضافة تشريف وتكريم ثم خص
بالذكر منها البيت العتيق فقال تعالى وطهر بيتي للطائفين. وقال عليه
الصلوة والسلام لا تشد المطي الا الى ثلاثة مساجد. وقال عليه الصلوة والسلام
صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا في المسجد الحرام. وقد
روي من طريق اخر لا باس بها ان النبي صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا
خير من الف صلوة فيما سواه الا في المسجد الحرام فان صلوة فيه خير من مائة
الف صلوة في مسجدي هذا. قال القرطبي وهذا حديث صحيح. قال قيل المساجد
وان كانت لله ملكا وتشريفا فانها قد تنسب الى غيره تعريفا كما قيل في الحديث
سابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق ويقال مسجد
فلان لانه حبسه ولا خلاف بين الائمة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر
وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك **فصل** معنى ان المساجد لله لا يذكر
فيها الا الله تعالى فانه لا يجوز قسمة الاموال فيها ويجوز وضع الصدقات
فيها على رسم الاشتراك بين المساكين والاكل فيها. ويجوز حبس الغريم فيها
وربط الاسير والنوم فيها وسكنى المريض فيه وفتح الباب للجار اليه وانشاد
الشعر فيه اذا عري عن الباطل **قوله** فلا تدعوا مع الله احدا وهذا توبيخ
للمشركين في دعواهم مع الله غيره في المسجد الحرام. وقال مجاهد كانت اليهود
والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله تعالى فامر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ان يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد
كلها فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد. وقيل المعنى افردوا المساجد لذكر الله
ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا. وفي الحديث من نشد ضالة فقولوا لا ردها الله
عليك فان المساجد لم تبن لهذا. وقال الحسن من السنة اذا دخل الرجل المسجد
ان يقول لا اله الا الله لان قوله لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله
ودعائه. وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى قال وان المساجد لله فلا
تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وانت خير مزور
فاسالك برحمتك ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج قدم رجله اليسرى
وقال اللهم صب علي الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل
معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا **قوله** وانه لما قام عبد الله يدعوه
كادوا يكونون عليه لبدا يجوز الفتح اي اوحي الله اليه انه ويجوز الكسر
على الاستيناف وعبد الله هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي
ببطن نخلة ويقرا القران حسب ما تقدم اول السورة يدعوه اي يعبده.
وقال ابن جرير يدعوه اي قام اليهم داعيا الى الله تعالى فهو في موضع الحال
اي موحدا لله. كادوا يكونون عليه لبدا قال الزبير بن العوام هم الجن
حين استمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم اي كاد يركب بعضهم
بعضا ازدحاما عليه ويسقطون حرصا على سماع القران الكريم. وقيل
كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك وقال ابن عباس رضي الله عنه رغبة

في سماع القران

في سماع القران. يروى عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذه الليلة وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند الفجر. وعن ابن عباس
ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما راوهم من طاعة
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع والسجود. وقيل
كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حرصا على النبي صلى الله عليه وسلم. وقال
الحسن وقتادة وابن زيد لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس
والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويتم نوره واختاره
الطبري ان يكون كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم
ويتظاهرون على اطفا النور الذي جاء به. قال مجاهد اللبد الجماعات
قوله لبدا قرا هشام بضم اللام والباقون بكسرها فالاول جمع لبدة
بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل هو اسم مفرد صفة من الصفات نحو حطم
وعليه قوله تعالى مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب واللبد
الشي المتلبد اي المتراكب بعضه على بعض ومنه قول لبدة الاسد كقول زهير
لدى اسد شاكي السلاح مقذف ٭ له لبد اظفاره لم تقلم
ومنه اللبد لتلبيد بعضه فوق بعض ولبد اسم نسر لقمان بن عاد عاش مائتي
سنة حتى قالوا اطال الله الامد على لبد فالمعنى كادت الجن يكونون عليه
جماعات متراكمة مزدحمين عليه كاللبد. وقرا الحسن والجحدري لبدا بضمتين
ورواها جماعة عن ابي عمرو وهي تحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع لبد نحو رهن
جمع رهن والثاني انه جمع لبود نحو صبور وصبر وهو بنا مبالغة ايضا
وقرا ابن محيصن بضمة وسكون فيجوز ان يكون هذه مخففة من القراة التي
قبلها ويجوز ان يكون وصفا براسه. وقرا الحسن والجحدري ايضا لبدا بضم اللام
وتشديد البا وهي غريبة جدا. وقيل وهو جمع لابد كساجد وسجد وراكع
وركع. وقرا ابو رجا بكسر اللام وكسر البا وهي غريبة ايضا. وقيل اللبد بضم اللام
وفتح البا الشي الدائم واللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر
من امري ذي سماحة لا يزال له ٭ نزلا بعيدا فيها الحكاية اللبد
ويروى اللبد قال ابو عبيد وهو اسمه ويقال اللبدة الخرقة خطيهما
لبيد ولبيد اسم شاعر من بني عامر **قوله** قل انما ادعوا ربي قرا عاصم
وحمزة قل بلفظ الامر التفاتا اي قل يا محمد. والباقون قال اخبارا عن عبد
الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم. قال الجحدري وهي في المصحف كذلك
وقد تقدم لذلك نظاير في قل سبحان ربي اخر الاسرا وكذا في اول الانبيا
واخرها واخر المؤمنون. قال المفسرون سبب نزول هذه الاية ان كفار
قريش قالوا له انك جيت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن
هذا ونحن نجيرك فنزلت **قوله** قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قرا
الاعرج رشدا بضمتين وجعل الضر عبارة عن الغي لان الضر سبب عن
الغي وثمرته فاقام المسبب مقام سببه والاصل لا املك غيا ولا رشدا
فذكر الاهم. وقيل بل في الكلام حذف والاصل لا املك لكم ضرا ولا نفعا
ولا غيا ولا رشدا فحذف من كل واحد ما يدل مقابله عليه **فصل**
المعنى لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم خيرا. وقيل لا املك لكم ضرا اي
كفرا ولا رشدا اي هدى اي انما علي التبليغ. وقيل الضر العذاب والرشد
النعيم وهو الاول بعينه. وقيل الضر الموت والرشد الحياة **قوله**
قل اني لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عني عذابه احد ان استحفظته
وذلك انهم قالوا اترك ما تدعو اليه ونحن نجيرك. وروى ابن الجوزي
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة الجن حتى اتى الحجون فخط علينا خطا ثم تقدم اليهم

فازدحموا عليه فقال سيدهم تعالى له وردان انا ارحلهم عنك فقال
انى لن يجيرنى مما قدره الله على احد ولن اجد من دونه ملتحدا اى ملجأ
الجأ اليه قاله قتادة وعنه نصرا ومولا وقال السدى حرزا وقال
الكلبي مدخلا فى الارض مثل السرب وقيل مذهبا ومسلكا حكاه ابن
شجرة قال الشاعر
يا لهف نفسى ولهفى غير مجزية ❊ عنى وما من قضى الله ملتحدا
قوله الا بلاغا فيه وجوه
احدها انه استثنا منقطع اى لكن ان بلغت عن الله رحمنى لان البلاغ
من الله تبارك وتعالى لا يكون داخلا تحت قوله ولن اجد من دونه ملتحدا
لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله عز وجل وباعانته وتوفيقه
والثانى انه متصل وتاويله ان الاجارة مستعارة للبلاغ اذ هو سببها
او سبب رحمته تعالى والمعنى ان اجد شيئا اميل اليه واعتصم به الا
ان ابلغ واطيع فيجيرنى واذا كان متصلا جاز نصبه من وجهين احدها
ان يكون بدلا من ملتحدا لان الكلام غير الموجب وهذا اختيار
الزجاج والثانى انه منصوب على الاستثنا الثالث انه مستثنى
من قوله لا املك لكم ضرا قال قتادة اى لا املك لكم الا بلاغا اليكم وقرره
الزمخشرى فقال اى لا املك لكم الا بلاغا من الله وقل انى لن يجيرنى جملة
معترضة اعترض بها لتأكيد نفى الاستطاعة وعلى هذا فالاستثنا
منقطع الرابع ان الكلام ليس استثنا بل شرطا والاصل ان لا فان شرطية
وفعلها محذوف لدلالة مصدره والكلام الاول عليه ولا نافية والتقدير
ان لا ابلغ بلاغا من الله فلن يجيرنى منه احد وجعلوا هذا القول الاخير
فطلقتها فلست لها بكفء ❊ والا يعل مفرقك الحسام
اى والا تطلقها يعل فحذف الشرط ونفى الجواب وفى هذا الوجه ضعف
من وجهين احدهما ان حذف الشرط دون اداته قليل جدا والثانى ان
حذف الجزا الا هنا اعنى الشرط والجزا فيكون كقول الشاعر
قالت بنات العم يا سلمى وان ❊ كان فقيرا معدما قالت وان
اى قالت وان كان فقيرا معدما فقد رضيته وقد يقال ان الجواب
اما مذكور عند من يرى جواز تقدمه واما فى قوة المنطوق لدلالة
ما قبله عليه وقال الحسن الا بلاغا من الله ورسالاته فان فيه
النجاة والامانة قوله من الله فيه وجهان احدهما ان من بمعنى
عن لان بلغ يتعدى بها ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الا بلغوا عنى
والثانى انه متعلق بمحذوف على انه صفة ابلاغا قال الزمخشرى من
ليست للتبليغ وانما هى بمنزلة من فى قوله تعالى براءة من الله ورسوله
بمعنى بلاغا كائنا من الله وقوله ورسالاته فيه وجهان احدهما انها
منصوبة نسقا على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات
ولم يقل الزمخشرى غيره والثانى انها مجرورة نسقا على الجلالة اى الا بلاغا
عن الله وعن رسالاته كذا قدره ابو حيان وجعله هو الظاهر وفيه نظر لانه
جعل من بمعنى عن والتجوز فى الحروف واى يكون ومع ذلك فمعنى متعارف
عندهم قوله ومن يعص الله ورسوله فى التوحيد والعبادة
فان له نار جهنم العامة على كسر ان جعلوها جملة مستقلة بعد الجزا
الواقع انها مكسورة الهمزة لان ما بعد فا الجزا موضع ابتدا ولذلك
سيبويه قوله ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فامتعه قليلا وقوله
يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا على ان المبتدا فيهما مضمر تقديره
فجزاؤه

فجزاؤه ان له نار جهنم او فحكمه ان له نار جهنم قال ابن خالويه سمعت
مجاهدا لم ترابه اخذ بعد هو لحن لانه بعد فا الشرط قال سمعت ابن الانبارى
يقول هو صواب ومعناه فجزاؤه ان له نار جهنم قال شهاب الدين
مجاهد وان كان اماما فى القراات الا انه خفى عليه وجهها وهو عجب جدا
كيف غفل عن قراءة فانه غفور رحيم فى الانعام لا جرم ان ابن الانبارى
استصوب القراة لطول باعه فى العربية قوله خالدين حال من
الها فى له والعامل الاستقرار الذى تعلق به هذا الجار وحمل على معنى من
فلذلك جمع لان المعنى لكل من يفعل ذلك فوحد اولا للفظ ثم جمع للمعنى
فصل استدل جمهور المعتزلة بهذه الاية الكريمة على ان فساق
اهل الصلوة مخلدون فى النار لان هذا العموم اقوى فى الدلالة على المطلوب
من ساير العمومات وايضا فقوله ابدا ينفى قول المخالف بان المراد
بالخلود المكث الطويل والجواب ان السياق فى التبليغ من الله والرسالة
ثم قال تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين واذا كان
هنا محتملا سقط الاستدلال ويقول هذه الصورة لا بد وان يندرج
فى العموم وترك التبليغ عن الله اعظم فلا يجوز ان يساويه الذنوب
التى ليست مثله فى الكثرة فلا يتعدى هذا الحكم غيره من الذنوب
او يقول ان الله تعالى لم يتبع ساير عمومات الوعيد فى القران بالتابيد
الا فى هذه الاية الكريمة فلا بد وان يكون لهذا التخصيص فايدة ومعنى
وليس بمعنى الا ان المعنى علمنا ان هذا الوعيد مختص بهذا الذنب فلا
يتعدى الى غيره من الذنوب فدلت هذه الاية على ان حال ساير المذنبين
مخالف لذلك او يقول قوله ومن يعص الله الا فى الكفر والا فى الزنا والا
فى شرب الخمر فان مذهب القايلين بالوعيد ان الاستثنا اخراج ما لولاه
كان داخلا تحت اللفظ واذا كان كذلك وجب ان يكون قوله تعالى ومن يعص الله
متناولا لمن اتى بكل المعاصى فان قيل يستحيل العموم هنا لان من جملة
المعاصى التجسيم والتعطيل والقايل بالتجسيم يمتنع ان يكون مع ذلك قايلا
بالتعطيل قلنا نخص هذا بدليل العقل فيحمل على جميع ما لا يستحيل اجتماعه
فصل دلت هذه الاية على ان الامر مفيد بالوجوب لان تارك
المامورية عاص لقوله افعصيت امرى لا يعصون الله ما امرهم لا اعصى
لك امرا والعاصى مستحق للعقاب لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم قوله حتى اذا راوا ما يوعدون قال الزمخشرى
قال فان قلت بم تعلق وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون
عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره
ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله
عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا قال ويجوز
ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار واستقلالهم
لعدده كانهم لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال
المشركون متى هذا الموعود انكارا له فقال قل انه كاين لا ريب فيه قال
ابو حيان قوله بم تعلق ان عنى تعلق حروف الجر فليس بصحيح لانها حرف
ابتدا فما بعدها ليس فى موضع جر خلافا للزجاج وابن درستويه فانهما
زعما انها اذا كانت حرف ابتدا فالجملة الابتدائية بعدها فى موضع جر وان عنى
بالتعلق اتصال ما بعدها بما قبلها وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح
واما تقديره انها تتعلق بقوله يكونون عليه لبدا فهو بعيد جدا لطول
الفصل بينهما - بالكثرة وقد ربعضهم ذلك المحذوف لغيا فقال

تقدم بره دعهم حتى اذا راوا • وقال التبريزي جاز ان يكون غاية لمحذوف
ولم يبين ما هو • وقال ابو حيان والذي يظهر انها غاية لما تضمنته
الجملة في موضع التي قبلها من الحكم بكينونته النار والحكم بذلك هو وعيد
حتى اذا راوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون **قوله** من اضعف
يجوز في من ان تكون استفهامية فترتفع بالابتدا واضعف خبره مبتدا
مضمر اي هو اضعف والجملة صلة وعايد وحسن الحذف طول الصلة بالتمييز
والموصول مفعول للعلم بمعنى العرفان • قال القرطبي حتى هنا مبتدا اي حتى
اذا راوا ما يوعدون من عذاب الاخرة ومن عذاب الدنيا وهو القتل
يوم بدر فسيعلمون من اضعف ناصرا ومن يظهر انها غاية لما تضمنته
الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كانه قيل ان العاصي لهم الموسر
واقل عددا معطوف **قوله** قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني قيام
الساعة الا الله فهو غيب لا اعلم منه الا ما يعلمنيه الله تعالى جلت قدرته
قوله اقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدا مؤخر ويجوز ان يكون قريب
مبتدا لاعتماده على الاستفهام وما توعدون فاعل به اي اقريب
الذي توعدون بجراكم ام ابراك وما يجوز ان تكون موصولة فالعايد محذوف
وان تكون مصدرية فلا عايد واما الظاهر انها متصلة • وقال الزمخشري
فان ما معنى ام يجعل له ربي امدا بعيدا • قلت كان النبي صلى الله عليه
وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما هو متوقع في كل ساعة ام موجل
ضربت له غاية • وقرا العامة باسكان اليا من ربي وقرا الحرميان وابو
عمرو بالفتح **فصل** قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا راوا
ما توعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا • قال النضر
ابن الحارث متى يكون هذا الذي توعدنا به فقال الله تعالى قل ان ادري
اقريب ما توعدون الى اخره والمعنى ان وقوعه متيقن واما وقت
وقوعه فغير معلوم • وقوله تعالى ام يجعل له ربي امدا اي غاية وبعدا
وهذا كقوله تعالى وان ادري اقريب ما توعدون • فان قيل
اليس انه عليه الصلوة والسلام قال بعثت انا والساعة كهاتين وكان
عالما بقرب وقوع القيمة فكيف قال هنا لا ادري اقريب ام بعيد
فالجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى
فهذا القدر من القرب معلوم فاما معرفة القرب المرتب وعدم ذلك
فغير معلوم **قوله** عالم الغيب العامة على رفعه اما بدلا من ربي
واما بيانا له واما خبر المبتدا مضمر اي هو عالم وقرى بالنصب على المدح
وقرا السدي علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب **قوله** فلا
يظهر العامة على كونه من اظهر واحدا مفعول به وقرا الحسن يظهر بفتح
اليا والها من ظهر ثلاثيا احد فاعل به **فصل** الغيب ما غاب
عن العباد وقد تقدم الكلام عليه اول البقرة **قوله** الا من ارتضى
من رسول يجوز ان يكون منقطعا اي لكن من ارتضاه فانه يظهره
على ما يشا من غيبه بالوحي • ومن في قوله من رسول لبيان المرتضى
وقوله فانه يسلك بيان لذلك وقيل هو متصل ورصدا تقدم الكلام
عليه ويجوز ان يكون شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط وقوله
فانه خبر المبتدا على القولين وهو من الاستثنا المنقطع العطا اي لكن
والمعنى لكن من ارتضاه من الرسل فانه يجعل له ملائكة رصدا يحفظونه
فصل قال الزمخشري في الكشف عن ارتضا من الرسل كانه يجعل
ملائكة رصدا يحفظونه هذه الاية ابطال الكرامات لان الذين تضاف
اليهم

اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله
الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيها ابطال الكرامة
الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شي من الارتضا وادخله في السخط
قال الواحدي وفيها دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون
من حياة او موت او غير ذلك فقد كفر بما في القران • قال ابن الخطيب
واعلم ان الواحدي يجوز الكرامات وان يلهم الله اولياءه وقوع بعض
الوقايع في المستقبل ونسبة الاية الى الصورتين واحدة فان جعل الاية
دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي ان يجعلها دالة على المنع من الكرامات
على ما قاله الزمخشري فان جوز الكرامات لزمه تجويز النجوم فالتفرقة
بينهما تحكم محض • قال ابن الخطيب وعندي لا دلالة على شي مما قالوه اذ
لا صيغة عموم في غيبه لانه لفظ مفرد مضاف فيحمل على غيب واحد وهو
وقت القيمة لانه واقع بعد قوله اقريب ما توعدون الاية فان قيل
فما معنى الاستثنا حينئذ قلنا لعله اذا قربت القيمة يظهره وكيف
لا وقد قال ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فتعلم
الملائكة حينئذ قيام القيمة او هو استثنا منقطع اي من ارتضاه من رسول
يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس
ويدل على انه ليس المراد انه لا يطلع احد على شي من المغيبات انه ثبت بما
يقارب المتواتر ان شقا وسطيحا كانا كاهنين وقد عرفا بحديث النبي
صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب
حتى رجع اليهما كسرى وربيعة بن نصر فثبت ان الله تعالى قد يطلع
غير الرسل على شي من المغيبات • وايضا اطبق اهل الملل على ان معبر الرويا
يخبر عن امور مستقبلة ويكون صادقا فيه • وايضا قد نقل السلطان
سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد الى خراسان وسالها عن امور
مستقبلة فاخبرته بها فوقعت على وفق كلامها • قال ابن الخطيب
واخبرني ناس محققون في علم الكلام والحكمة انها اخبرت عن امور غايبة
بالتفصيل فكانت على وفق خبرها وبالغ ابو البركات في كتاب التعبير
في شرح حالها وقال فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت انها
كانت تخبر عن المغيبات اخبارا مطابقا • وايضا فانا نشاهد ذلك في
اصحاب الالهامات الصادقة وقد يوجد ذلك في السحرة ايضا
وقد نرى الاحكام النجومية مطابقة وان كانت قد تتخلف فلو
قلنا ان القران يدل على خلاف هذه الامور المحسوسة لتطرق الطعن
الى القران فيكون التاويل ما ذكرنا **فصل** قال القرطبي
المعنى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على
ما يشا من غيبه لان الرسل مويدون بالمعجزات • ومنها الاخبار عن
بعض الغايبات كما ورد في التنزيل في قوله وانبيكم بما تاكلون وما
تدخرون في بيوتكم • وقال ابن جبير الا من ارتضى من رسول هو
جبريل عليه السلام وفيه بعد والاولى ان يكون المعنى لا يظهر على
غيبه الا من ارتضى اي اصطفاه للنبوة فانه يطلعه على ما يشا
من غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته **فصل** قال القرطبي
ان العلما قالوا لما تمدح الله تعالى بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه
كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه
من الرسل فاودعهم ما شا من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم
ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ومن يضرب

بالحصار ينظر في الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول
فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه
وكذبه • قال بعض العلماء وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب
فيها الف انسان مختلفين الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقة
والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير مع اختلاف
طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في
ساعة واحدة فان قال انما اغرقهم الطالع الفلاني الذي ركبوا
فيه فيكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع
كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص
به فلا فايدة اذا في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد ولم
يبق الا معاندة القرآن الكريم ولقد احسن القايل •

حكم المنجم ان طالع مولدي • يقضي علي بميتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل • ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لعلي رضي الله عنه لما اراد لقا الخوارج اتلقاهم والقمر في العقرب
فقال فاين قمرهم وكان ذلك في آخر الشهر فانظر الى هذه الكلمة التي
اجاب بها وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم وقال
له مسافر بن عوف يا امير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر بعد
ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال
انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء وضر شديد
وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت
فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لاصحابه
منجم ولا لنا من بعده ثم قال فمن صدقك في هذا القول لم آمن
عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا وضدا اللهم لا طير الا
طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير
في الساعة التي نهيتنا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس
اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم
كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن
بلغني انك تنظر في النجوم او تعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت
وبقيت ولاحرمنك العطا ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة
التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة
في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا بها المنجم
امرنا بها فظفرنا وظهرنا لقال انما كان ذلك بتنجيمي وما كان لمحمد
صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا بعده وقد فتح الله علينا بلاد كسرى
وقيصر وساير البلدان • ثم قال يا ايها الناس توكلوا على الله وثقوا
به فانه يكفي ممن سواه **قوله** فانه يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا يعني ملايكة يحفظونه من ان يقرب منه شيطان
فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والالقا الى الكهنة قال الضحاك
ما بعث الله نبيا الا ومعه ملايكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا
له بصورة الملك فاذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان
فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك • وقال ابن عباس وابن
زيد رصدا اي حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من امامه
وورايه من الجن والشياطين • وقال قتادة وسعيد بن المسيب هم اربعة
من الملايكة حفظة يحفظون الوحي مما جاء من عند الله • وقال الفرا
المراد

المراد جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملايكة يحفظونه من ان
تسمع الجن الوحي فيلقونه الى كهنتهم فيسبقوا به الرسول • وقال
السدي رصدا اي حفظة يحفظون الوحي مما جاء من عند الله وما القاه
الشيطان قالوا انه من الشيطان ورصدا نصب على المفعول
قال الجوهري والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث وربما قالوا ارصاد والراصد للشي الراقب
له يقال رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد
موضع الرصد **قوله** ليعلم متعلق بيسلك والعامة على بنايه
للفاعل وفيه خلاف اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الرسل قبله
قد بلغوا الرسالة قاله مقاتل وقتادة • قال القرطبي وفيه حذف
تتعلق به اللام اي اخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل قبله كانوا
على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق • وقيل ليعلم محمد ان قد ابلغ
جبريل ومن معه اليه رسالة ربه قاله ابن جبير قال ولم ينزل الوحي
الا ومعه اربعة حفظة من الملايكة عليهم السلام • وقيل ليعلم الرسل
ان الرسل سواه بلغوا • وقيل ليعلم الله اي ليظهر علمه للناس ان
الملايكة بلغوا رسالات ربهم • وقيل ليعلم الرسول اي رسول كان
ان الرسل سواه بلغوا • وقيل ليعلم الله اي ليظهر علمه للناس • وقيل
ليعلم ابليس ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه
واستراق اصحابه • وقال ابن قتيبة اي ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا
ما انزل اليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم • وقال
مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم
وقيل ليعلم الملايكة وهذان ضعيفان لافراد الضمير والضمير في
ابلغوا عايد على من في قوله من ارتضى راعى لفظها اولا فافرد في قوله
من بين يديه ومن خلفه ومعناها ثانيا فجمع في قوله ابلغوا الى آخره
وقرا ابن عباس والزهري ليعلم بضم اليا وكسر اللام اي ليعلم الله رسوله
بذلك • وقرا ابو حياة رسالة بالافراد والمراد الجمع • وقرا ابن ابي عبلة
واحيط واحصي مبنيين للمفعول كل رفع واحصى **قوله** عددا
يجوز ان يكون تمييزا منقولا من المفعول به والاصل احصى عدد كل شي
كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي عيون الارض على خلاف سبق ويجوز
ان يكون منصوبا على المصدر من المعنى لان احصى بمعنى عد كانه
قيل وعد كل شي عددا • او يكون التقدير واحصى كل احصاء فرد المصدر
الى الفعل والفعل الى المصدر • ومنع مكي كونه مصدرا للاظهار فقال
عددا نصب على البيان لو كان مصدرا لادغم يعني ان قياسه ان يكون
على فعل بسكون العين لكنه غير لازم لمجيء مصدر رد بفتح العين ولما كان
ليعلم مضمنا معنى قد علم ذلك جاز عطف واحاط على ذلك المقدر • وقال
القرطبي عددا نصب على الحال اي احصى كل شي **فصل** المعنى احاط علمه
بما عند الرسل وما عند الملايكة • وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان
ربهم قد احاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته واحصى كل شي عددا اي علم كل
شي وعرفه فلم يخف عليه منه شي وهذه الآية تدل على انه تعالى عالم
بالجزييات وبجميع الموجودات • روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن اعطي بعدد
كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة اه انتهى
والله اعلم

سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وغيره وقال الثعلبي ان ربك يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانه نزل بالمدينة وهي سبع وعشرون آية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها المزمل اصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي يقال تزمل يتزمل تزملا فاذا اريد الادغام اجتلبت همزة الوصل وبهذا الاصل قرأ ابي بن كعب وقرأ عكرمة المزمل بتخفيف الزاي وتشديد الميم اسم فاعل وعلى هذا فيكون فيه وجهان احدهما ان اصله المتزمل بوزن مفتعل فابدلت التاء ميما وادغمت قاله ابو البقا وهو ضعيف والثاني انه اسم فاعل من زمل مشددا وعلى هذا فيكون المفعول محذوفا اي المزمل جسمه وقرئ كذلك الا انه بفتح الميم اسم مفعول منه اي الملفف والمزمل المتلفف يقال تزمل زيد بكسائه اي التف به قال ذو الرمة

وكاين تخطت ناقتي من مفازة ... ومن نائم عن ليلها متزمل

وقال امرؤ القيس

كان ثبيرا في افانين ودقه ... كبير اناس في بجاد مزمل

وهو كقراءة بعض المتقدمة فصل هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة اقوال الاول قال عكرمة يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر وكان يقرأ يا ايها المزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول وكذلك المدثر والمعنى المزمل نفسه والمدثر نفسه والذي زمله غيره الثاني قال ابن عباس يا ايها المزمل بالقرآن الثالث قال قتادة يا ايها المزمل بثيابه قال النخعي كان متزملا بقطيفة عائشة بمرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا ابريسم ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي قال القرطبي وهذا القول من عائشة يدل على ان السورة مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة والقول بانها مكية لا يصح وقال الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سوء فيه فاشتد عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقيل كان هذا في ابتداء امر ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة فاتى اهله وقال زملوني دثروني روي معناه عن ابن عباس قال اول ما جاءه جبريل خافه وظن ان به مسا من الجن فناداه فرجع من الجبل مرتعدا وقال زملوني زملوني وقال الكلبي انما تزمل النبي بثيابه ليتهيأ للصلوة وهو اختيار الفراء وقيل انه عليه الصلوة والسلام كان نائما بالليل متزملا في قطيفة فنودي بما يهجر تلك الحالة فقيل له يا ايها المزمل قم واشتغل بالعبادة وقيل معناه يا من تحمل امرا عظيما والزمل الحمل قال البغوي قال العلماء كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول فصل قال السهيلي ليس المزمل باسم من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس

وعدوه

وعدوه من اسمائه عليه الصلوة والسلام وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وكذلك كان المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان احدهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم ابا تراب اشعارا له بانه غير عاتب عليه وملاطفة له واشعارا بترك العتب فقول الله تعالى لمحمد عليه الصلوة والسلام يا ايها المزمل قم فيه تانيس له وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية فيه تنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة قوله قم الليل العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وابو السمال بضمها اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للخفة قال ابو الفتح الغرض الهرب من التقاء الساكنين فباي حركة حرك الاول حصل الغرض قال شهاب الدين الا ان الاصل الكسر لدليل ذكره النحويون والليل ظرف للقيام وان استغرقه الحدث الواقع فيه هذا قول البصريين واما الكوفيون فيجعلون هذا النوع مفعولا به قال القرطبي وهو من الافعال القاصرة الغير المتعدية الى المفعول فاما ظرف المكان والزمان فسائغ فيه الا ان ظرف المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة لا تقول قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار وقد قيل هنا ان قم معناه صل عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال فصل الليل حده من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقد تقدم بيانه في البقرة قال القرطبي واختلف هل كان قيامه فرضا او نفلا والدلائل تقوي ان قيامه كان فرضا لان الندب لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت دون وقت واختلف هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبيا او عليه وعلى امته ثلاثة اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس قال كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبيا قبله الثالث قول عائشة وابن عباس ايضا وهو الصحيح انه كان فرضا عليه وعلى امته لما روى مسلم ان هشام بن عامر قال لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرأ يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السما حتى انزل الله عز وجل في اخر السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وروى وكيع ويعلى عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان بين نزول اولها واخرها نحو سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزل بعد عشر سنين ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله عنهم وقيل كان قيام الليل واجبا ثم نسخ بالصلوات الخمس وقيل عسر عليهم تمييز القدر الواجب فقاموا الليل كله فشق ذلك عليهم فنسخ بقوله في اخرها فاقرؤوا ما تيسر من القرآن وكان بين الوجوب ونسخه سنة وقيل نسخ التقدير بمكة وبقي التهجد حتى نسخ بالمدينة وقيل لم يجب التهجد قط لقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولانه لو وجب عليه صلى الله عليه وسلم

لوجب على امته لقوله فاتبعوه والنسخ على خلاف الاصل ولانه فوض تعيين
المقدار الى المكلف وذلك ينافي الوجوب • قوله الا قليلا نصفه
او انقص منه قليلا للناس في هذا كلام كثير واستدلال على جواز استثنا
الاكثر والنصف واعتراضات واجوبه • قال شهاب الدين وها انا
اذكر ذلك بحمد الله بعون الله تعالى اعلم ان في هذه الاية ثمانية اوجه
احدها ان نصفه بدل من الليل بدل بعض من كل والا قليلا استثنا
من النصف كانه قيل قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه عايد
على النصف • والمعنى التخيير بين امرين بين ان تقوم اقل من نصف
الليل على البت وبين ان تختار احد الامرين وهما النقصان من النصف
والزيادة عليه قاله الزمخشري وناقشه ابو حيان بانه يلزم منه تكرار
اللفظ ويصير التقدير قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل او انقص
من نصف الليل قال وهذا تركيب ينزه القران عنه • قال شهاب
الدين والوجه فيه اشكال لكن لا من هذه الحيثية فان الامر فيها سهل بل
لمعنى اخر سأذكره ان شا الله تعالى قريبا وجعل ابو البقا هذا الوجه مرجوحا
فانه قال والثاني هو بدل من قليلا يعني النصف قال وهو اشبه بظاهر
الاية لانه قال او انقص منه او زد عليه والهاء فيهما للنصف فلو كان
الاستثنا من النصف لصار التقدير قم نصف الليل الا قليلا او انقص
منه قليلا والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل • قال
شهاب الدين والجواب عنه ان بعضهم عين هذا القليل فعن الكلبي
ومقاتل هو الثلث فلم يكن القليل غير مقدر ثم ان في قوله تناقضا
لانه قال والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل فاعاد
الضمير على القليل وفي الاول اعاده على النصف • ولقايل ان يقول
قد ينقدح هذا الوجه باشكال قوي وهو انه يلزم منه تكرار المعنى
الواحد وذلك ان قوله قم نصف الا قليلا بمعنى انقص من نصف
الليل لان ذلك القليل هو بمعنى النقصان وانت اذا قلت قم نصف
الليل الا قليلا من النصف وقم نصف الليل او انقص من النصف
وجدتهما بمعنى واحد وفيه دقه فتامله ولم يذكر الحوفي غير هذا الوجه
المتقدم وقد عرف ما فيه • وممن ذهب اليه ايضا الزجاج فانه قال
نصفه بدل من الليل والا قليلا استثنا من النصف والضمير في منه
وعليه عايد للنصف المعنى قم نصف الليل او انقص من النصف قليلا
الى الثلث او زد عليه الى الثلثين فكانه قال قم ثلثي الليل او نصفه
او ثلثه • قال شهاب الدين وان التقديرات التي تقررونها ظاهرة
حسنة الا ان التركيب لا يساعد عليها لما عرفت من الاشكال المذكور انفا
الثاني ان يكون نصفه بدلا من قليلا واليه ذهب الزمخشري وابو البقا
وابن عطيه • قال الزمخشري وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا
وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام
الناقص منه وبين الزايد عليه وانما وصف النصف بالقلة
بالنسبة الى الكل وهذا هو الذي جعله ابو البقا اشبه من جعله بدلا
من الليل كما تقدم الا ان ابا حيان اعترض هذا فقال واذا كان
نصفه بدلا من الا قليلا فالضمير في نصفه اما ان يعود على المبدل
منه او على المستثنى منه وهو الليل لا جايز ان يعود على المبدل منه
لانه يصير استثنا مجهول من مجهول اذ التقدير الا قليلا نصف
القليل وهذا لا يصح له معنى البته وان عاد الضمير على الليل فلا فايدة
في الاستثنا من الليل اذ كان يكون اخصر واوضح وابعد عن الالباس قم

الليل

الليل نصفه وقد ابطلنا قول من قال الا قليلا استثنا من البدل
وهو نصفه وان التقدير قم الليل نصفه الا قليلا منه اي من النصف
وايضا ففي دعوى ان نصفه بدل من الا قليلا والضمير في نصفه عايد
على الليل اطلاق القليل على النصف • ويلزم ايضا ان يصير التقدير
الا نصفه فلا تقمه او انقص من النصف الذي لا تقمه وهذا معنى
لا يصح وليس المراد من الاية قطعا • قال شهاب الدين نقول
بجواز عوده على كل منهما ولا يلزم محذور • اما ما ذكره من انه يكون
استثنا مجهول من مجهول ممنوع بل هو استثنا معلوم من معلوم
لانا بينا ان القليل قدر معين وهو الثلث والليل ليس بمجهول
وايضا فاستثنا المبهم قد ورد قال تعالى ما فعلوه الا قليل منهم
وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم وكان حقه ان يقول لانه
بدل مجهول من مجهول • واما ما ذكره من انه اخصر منه واوضح كيت
وكيت اما الاخصر فسلم واما انه ملبس فممنوع وانما عدل عن
اللفظ الذي ذكره لانه ابلغ • وبهذا الوجه استدل من قال يجوز
استثنا النصف والاكثر ووجه الدلالة على الثاني انه عطف
او زد عليه على انقص منه فيكون قد استثنى الزايد على النصف
لان الضمير في منه وفي عليه عايد على النصف وهو استدلال
ضعيف لان الكثرة انما جات بالعطف وهو نظير ان تقول له
عندي عشرة الا خمسة ودرهما فالزيادة على النصف
بطريق العطف لا بطريق الاستثنا اخرج الاكثر بنفسه • الثالث
ان نصفه بدل من الليل ايضا كما تقدم في الوجه الاول الا ان الضمير
في منه وعليه عايد على الاقل من النصف واليه ذهب الزمخشري فانه
قال وان شئت قلت لما معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت
النصف من الليل تكون المعنى قم اقل من نصف الليل يرجع الضمير
في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل
او قم انقص من ذلك الاقل او زد منه قليلا فيكون التخيير فيما ورا
النصف بينه وبين الثلث • الرابع ان يكون نصفه بدلا من قليلا
كما تقدم الا انك تجعل القليل الثاني ربع الليل وقد اوضح الزمخشري هذا
ايضا فقال ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل
قليلا الثاني بمعنى نصف النصف بمعنى الربع كانه قيل او انقص منه
قليلا نصفه • ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث
فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع انتهى • واختار ابن الخطيب
هذا الوجه مع الوجه الثاني فقال وقد اكثر الناس في هذه الاية
وفيها وجهان ملخصان • احدهما ان القليل في قوله الا قليلا هو الثلث
لان قوله تعالى في اخر السورة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل
ونصفه يقتضي ان اكثر المقادير الواجبة هو الثلثان فيكون نوم
الثلث جايز وهو قوله الا قليلا فكانه قيل قم ثلثي الليل ثم قال نصفه
يعني او قم نصفه من باب قولهم جالس الحسن وابن سيرين على
الاباحة بحذف العاطف فالتقدير قم الثلثين او قم النصف او انقص
من النصف او زد عليه فالثلثان اقصى الزيادة والثلث اقصى النقص
فيكون الواجب هو الثلث والزايد عليه مندوبا • فان قيل فيلزم على
قراة الخفض في نصفه وثلثه ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم ترك الواجب
اذ في لانه تعالى قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه

وثلثه فيكون المعنى انك تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف
واقل من الثلث فاذا كان الثلث واجبا كان صلى الله عليه وسلم تاركا
للواجب قلنا المقدر للشي قد ينقص منه لعدم انضباطه لانه بالاجتهاد
فربما اخطا نحو كقوله علم ان لن تحصوه الثاني ان نصفه تفسيرا
لقليلا لان النصف قليل بالنسبة الى الكل لان المكلف بالنصف
لا يخرج عن العهدة بيقين الا بزيادة شي قليل عليه فيصير في الحقيقة
نصفا وشيا فيكون الباقي بعد ذلك اقل من النصف فالمعنى قم نصف
الليل او انقص منه نصفه وهو الربع او زد عليه نصفه وهو
الربع فيصير المجموع ثلاثة ارباع فيكون خير بين ان يقوم تمام
النصف او ربع الليل او ثلاثة ارباعه وحينئذ يزول الاشكال
بالكلية لان الربع اقل من الثلث وذلك ان قوله تعالى انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه يدل على انه صلى الله عليه وسلم
لم يقم ثلثي الليل ولا نصفه ولا ثلثه لكن الواجب لما كان هو الربع
فقط لم يلزم ترك قيام الثلث • الوجه الخامس ان يكون الا قليلا
استثناء من القيام فيجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي
الا الليالي التي تخل اي بتركك قيامها لعذر البين ونحوه وهذا
النظر حسن مع القول بالندب قاله ابن عطية احتمالا من عنده
وهو خلاف الظاهر وهو تاويل بعيد • السادس قال الاخفش
ان الاصل قم الليل الا قليلا او نصفه قال كقولك اعطه درهما
درهمين ثلاثة وهذا ضعيف جدا لان فيه حذف حرف العطف
وهو ممنوع لم يرد منه الا شي شاذ ممكن تاويله كقولهم اكلت لحما
سمكا تمرا وقول الاخر •

• كيف اصبحت كيف امسيت مما • يزرع الود في فواد الكريم •

اي لحما وسمكا وتمرا وكذا كيف اصبحت وكيف امسيت
وقد خرج الناس هذا على بدل البدا • السابع قال التبريزي الامر
بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من اخر
الليل لان الثلث الاول وقت العتمة والاستثناء وارد على الامر به
فكانه قال قم ثلثي الليل الا قليلا اي ما دون نصفه او زد عليه اي على
الثلثين فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعا على الثلثين
وهو كلام غريب لا يظهر من هذا التركيب • الثامن ان نصفه منصوب
على اضمار فعل اي قم نصفه حكاه مكي عن غيره فانه قال نصفه
بدل من الليل وقيل انتصب على اضمار قم نصفه • قال شهاب الدين
وهذا في التحقيق هو وجه البدل الذي ذكره اولا لان البدل على نية
تكرار العامل **فصل** اختلفوا في الناسخ للامر بقيام الليل
فعن ابن عباس وعايشة ان الناسخ قوله تعالى ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخرها • وقيل قوله تعالى علم ان لن تحصوه
وعن ابن عباس ايضا انه منسوخ بقوله علم ان سيكون منكم مرضى
وعن عايشة ايضا والشافعي وابن كيسان هو منسوخ بالصلوات
الخمس • وقيل الناسخ قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه • قال ابو عبد الرحمن
السلمي لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حولا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم فنزل
قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه • قال بعض العلما وهو فرض نسخ به فرض
كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفضله كما قال تعالى ومن الليل
فتهجد به نافلة لك • قال القرطبي والقول الاول يعم جميع هذه الاقوال

وقد قال

وقد قال تعالى واقيموا الصلوة فدخل فيها قول من قال ان الناسخ الصلوات
الخمس • وذهب الحسن وابن سيرين الى ان صلوة الليل كانت فريضة على كل
مسلم ولو على قدر حلب شاة • وعن الحسن ايضا انه قال في الاية تطوع
بعد الفريضة وهو الصحيح ان شا الله تعالى لما جا في قيامه من الترغيب
والفضل في القران والسنة قالت عايشة كنت اجعل للنبي صلى الله عليه
وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راى جماعتهم كره
ذلك وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا
يتنحنحون ويتفلون فخرج اليهم وقال يا ايها الناس تكلفوا من الاعمال
ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل ادومه
وان قل فنزلت يا ايها المزمل فكتب عليهم وانزل بمنزلة الفريضة حتى ان
كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فنزل قوله
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فردهم الله الى الفريضة
ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به • قال القرطبي معنى حديث
عايشة ثابت في الصحيح الى قوله وان قل وباقيه يدل على ان قوله تعالى
يا ايها المزمل نزل بالمدينة وانهم مكثوا ثمانية اشهر يقومون وقد تقدم
عنها في صحيح مسلم حولا وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة عشر
شهرا لم يذكره غيره عنها • وذكر ابن عباس انه كان بين اول المزمل واخرها
سنة قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه
وقيل عنه قولان احدهما انه فرضا عليه الى ان مات • والثاني انه
نسخ عنه كما نسخ عن امته • وفي مدة فرضه الى ان نسخ قولان احدهما
المدة المفروضة على امته في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس حولا
وقول عايشة ستة عشر شهرا الثاني انها عشر سنين الى ان خفف عنه
بالنسخ **قوله** ورتل القران ترتيلا اي لا تعجل في قراءة القران بل اقراه
على مهل وبينه تبيينا مع تدبر المعاني قال المبرد واصله من قولهم ثغر
رتل ورتل بكسر العين وفتحها اذا كان حسن التنضيد ورتلت الكلام
ترتيلا اذا تمهلت فيه ويقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق
قليل فقوله تعالى ترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه مما
لا بد منه للقارى روى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل
يقرا اية ويبكي فقال الم تسمعوا الى قول الله تعالى ورتل القران
ترتيلا هذا الترتيل • وروى ابو داود وعن عبد الرحمن بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بقارى القران يوم القيمة
فيوقف في درج الجنة ويقال له اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا
فان منزلتك عند اخر اية تقراها **قوله** انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
الجملة من قوله انا سنلقي مستانفة وقال الزمخشري وهذه الاية
اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من
جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القران لان الليل وقت
السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة
لنفسه انتهى يعني بالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث الصناعة وذلك
ان قوله ان ناشئة الليل هي اشد وطا مطابق لقوله قم الليل فكانه
شابه الاعتراض من حيث دخوله بين هذين المتناسبين **فصل**
المعنى سنلقي عليك بافتراض صلوة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل
للمنام فمن امر بقيام اكثره لم يتهيا له ذلك الا بحمل مشقة شديدة على
النفس ومجاهدة الشيطان فهو امر يثقل على العبد • وقيل المعنى سنوحي



اليك القرآن وهو ثقيل يثقل العمل بشرايعه قال قتادة ثقيل والله فرايضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال الحسن العمل به وقال ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين لانه يهتك اسرارهم ويبطل اديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسب الهتهم وقال السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم فلان ثقيل علي اي يكرم علي وقال الفرا ثقيلا اي رزينا وقال الحسين بن الفضل ثقيل لا يحمله الا قلب مويد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيمة وقيل ثقيلا اي ثابت كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوايده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقها بحثوا في احكامه وكذا اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوايد ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاشتغال بحمله فصار كالحبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله وقيل هو الوحي كما جا في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها يعني صدرها على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه وقال القشيري القول الثقيل هنا هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان

قوله ان ناشئة الليل في الناشئة اوجه احدها انها صفة لمحذوف اي النفس الناشئة بالليل التي تنشا من مضجعها للعبادة اي تنهض وترتفع من نشات السحابة اذا ارتفعت ونشا من مكانه ونشز اذا نهض قال

نشانا الى خوص برى نيها السرى ... واشرف منها مشرفات القماحد

الثاني انها مصدر بمعنى قيام الليل على انها مصدر من نشا اذا قام ونهض فيكون كالعافية قاله الزمخشري الثالث انها بلغة الحبشة نشا الرجل اي قام من الليل قال ابو حيان فعلى هذا هي جمع ناشئ اي قايم يعني انها صفة لشي يفهم الجمع اي طايفة او فرقة ناشئة والا ففاعل لا يجمع على فاعلة قال القرطبي قال ابن مسعود الحبشة غالبة عليهم والا فليس في القرآن ما ليس من لغة العرب الرابع ان ناشئة الليل ساعاته واوقاته لانها تنشا شيا بعد شي قال القرطبي لانها تنشا اولا فاولا يقال نشا الشي ينشا اذا ابتدا واقبل شيا بعد شي وانشاه الله فنشا فالمعنى ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الاسم فالتانيث للفظ ساعة لان كل ساعة تحدث وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشا وما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عايشة بان تكون بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة

قوله هي اشد وطا قرا ابو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطا بعدها الف والباقون بفتح الواو وسكون الطا وقرا قتادة وشبل عن اهل مكة وطا بكسر الواو وسكون الطا وظاهر كلام ابي البقا موذن انه قرا بفتح الواو مع المد فانه قال وطا بكسر الواو بمعنى مواطاه وبفتحها اسم للمصدر ووطا على فعل وهو مصدر وطا والوطا مصدره واطا كقتال مصدر قاتل والمعنى انها اشد مواطاه اي يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطئ قلب النايم فيها لسانه ان اردت او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص والوطا بالفتح والكسر على معنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ من صلوة النهار على المصلي من قوله عليه الصلوة والسلام

اشدد

اشدد وطاتك على مضر وعلى كل تقدير فانتصابه على التمييز

قوله واقوم قيلا حكى الزمخشري ان انسا قرا واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيا واحد وان ابا سوار الغنوي كان يقرا فحاسوا خلال الديار بالحا المهملة فقيل له هي بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد قال شهاب الدين وغرضه من هذه الحكاية بيان جواز قراءة القرآن بالمعنى وليس في هذا دليل لانه تفسير معنى وايضا فالذي بين ايدينا قرآن متواتر وهذه الحكاية احاد وقد تقدم ان ابا الدردا كان يقري رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فجعل الرجل يقول اليتيم فلما تبرم منه قال طعام الفاجر يا هذا فاستدل به على ذلك من يرى جوازه وليس فيه دليل لان مقصود ابي الدردا بيان المعنى فجا بلفظ مبين وقال ابن الانباري وقد ذهب بعض الرافضين الى ان من قال ان من قرا بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب اذا لم يخالف ولم يات بغير ما اراد الله واحتجوا بقول انس هذا وهذا قول لا يعرج عليه ولا يلتفت الى قايله لانه لو قرى بالفاظ القرآن اذا قاربت معانيها واشتملت على غايتها لجاز ان يقرا في موضع الحمد لله رب العالمين الشكر للباري ملك المخلوقين ويتسع الامر في هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن ويكون التالي له مفتريا على الله تعالى كاذبا على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا حجة لهم في قول ابن مسعود نزل القرآن على سبعة احرف انما هو كقول احدكم هلم وتعال واقبل لان هذا الحديث يوجب ان القرآن المنقول بالاسانيد الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اختلفت الفاظه واتفقت معانيه كان ذلك فيه بمنزلة الخلاف في هلم وتعال واقبل فاما ما لم يقرا به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم فانه من اورد حرفا منه في القرآن بهت ومان وخرج عن مذهب الصواب وحديثهم الذي حكوه فاعد ثم في هذه الضلالة لا يصححه اهل العلم

فصل بين تعالى في هذه الاية فضل صلوة الليل على صلوة النهار وان الاستكثار من صلوة الليل بالقراءة فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب كان علي ابن الحسين يصلي بين المغرب والعشا ويقول هذه ناشئة الليل وقال عطا وعكرمة هو بدو الليل وفي الصحاح ناشئة الليل اول ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه ينشا بعد النهار وهو اختيار مالك قال ابن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ ويقتضيه اللغة وقالت عايشة وابن عباس ايضا ومجاهد انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن قام قبل النوم فما قام ناشئة وقال يمان وابن كيسان هو القيام من اخر الليل واما قوله اشد وطا اي اثقل على المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام الى صلوة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة وهذا على قراءة كسر الواو وفتح الطا واما على قراءة المد فهو مصدر واطات وطا ومواطاه اي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان مواطي اسمه اسمي اي موافقه فالمعنى اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وابن مليكة وغيرهما قال تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا وقيل اشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر وقيل اشد ثباتا من النهار وقال الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل

والوطء الثبات تقول وطيت الارض بقدمي وقوله اقوم قيلا اقوم فيها
بالنهار اي اشد استقامة واستمرار على الصواب لان الاصوات
هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرأه • وقال قتادة
ومجاهد اصوب للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم • وقيل اشد
استقامة لفراغ البال بالليل وقيل اعجل اجابة للدعا حكاه ابن شجرة
وقال عكرمة عبادة الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة • قوله
ان لك في النهار سبحا طويلا • قرا العامة بالحاء المهملة وهو مصدر سبح
وهو استعارة للتصرف في الحوائج من السباحة في الماء وهي البعد فيه •
وقال القرطبي السبح الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه
بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري قال امرؤ القيس •

اذا ما السابحات على الونى • اثرن غبارا بالكديد المركل •

وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات بالنهار • وعن ابن عباس
وعطا سبحا طويلا يعني فراغا طويلا يعني لنومك وراحتك فاجعل
ناشئة الليل لعبادتك • وقرا يحيى بن يعمر وعكرمة وابن ابي عبلة
سبخا بالخاء المعجمة • واختلفوا في تفسيرها فقال الزمخشري استعارة
من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفريق القلب
بالشواغل • وقيل التسبيخ التخفيف حكى الاصمعي سبخ الله عنك اي
خففها عنك قال الشاعر •

فسبخ عليك الهم واعلم بانه • اذا قدر الرحمن شيا فكائن •

اي خفف • ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة وقد دعت
على سارق ردائها لا تسبخي بدعائك اي لا تخففي • وقيل التسبيخ
المد يقال سبخي قطنك اي مديه والسبيخة قطعة من القطن
والجمع سبائخ قال الاخطل يصف صائدا وكلابا •

فارسلوهن يذرين التراب كما • يذري سبائخ قطن ندف اوتار •

وقال ابو الفضل الرازي قرا ابن يعمر وعكرمة سبخا بالخاء المعجمة
وقال معناه نوما اي ينام بالنهار ليستعين به على قيام الليل
وقد يحتمل هذه القراءة غير هذا المعنى لكنهما فسراها فلا نتجاوز عنه
قال شهاب الدين وفي هذا نظر لانهما غاية ما في الباب انهما نقلا
هذه القراءة وظهر لهما تفسيرها بما ذكرا فلا يلزم من ذلك انه لا يجوز
غير ما ذكر من تفسير اللفظة • وقال ثعلب السبح بالحاء التردد
والاضطراب • والسبخ السكون ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
الحمى من فيح جهنم فسبخوها بالماء فسكنوها • وقال ابو عمرو السبخ
النوم والفراغ فعلى هذا يكون من الاضداد ويكون بمعنى السبح
بالحاء المهملة • قوله واذكر اسم ربك اي ادعه باسمائه
الحسنى ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة • وقيل اقصد بعملك
وجه ربك • وقال سهل اقرا بسم الله الرحمن الرحيم في ابتدا صلواتك
توصلك بركتها الى ربك وتقطعك عما سواه • وقيل اذكر اسم
ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتعدل عن معصيته • وقال
الكلبي صل لربك بالنهار قال القرطبي وهذا حسن لانه لما ذكر الليل
ذكر النهار اذ هو قسيمه وقد قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر • قوله وتبتل اليه تبتيلا هذا مصدر على
غير المصدر وهو واقع موقع التبتل لان مصدر تفعل تفعل نحو تصرف
تصرفا وتكرم تكرما • واما التفعيل فمصدر فعل نحو صرف تصريفا

كقوله

كقول الاخر • وقد تطويت انطواء الحضب • فاوقع الانفعال
موقع التفعل • قال الزمخشري لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على
معناه مراعاة لحق الفواصل والتبتل الانقطاع • ومنه امراة بتول
اي انقطعت من النكاح وبتلت الحبل قطعته • قال الليث البتل
تمييز الشيء من الشيء وقالوا طلقة بتلة وهبة بتلة يعنون انقطاعها
عن صاحبها فالتبتل ترك النكاح والزهد فيه • ومنه سمي الراهب
متبتلا لانقطاعه عن النكاح قال امرؤ القيس •

تضيء الظلام بالعشاء كانها • منارة ممسى راهب متبتل •

ومنه الحديث انه نهى عن التبتل وقال يا معشر الشباب من استطاع
منكم الباءة فليتزوج والمراد به في الاية الكريمة الانقطاع الى عبادة
الله تعالى دون ترك النكاح والتبتل في الاصل الانقطاع عن الناس
والجماعات • وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة • قال
ابن العربي هذا فيما مضى واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وخفت
اماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزبة
افضل من التاهل ولكن معنى الاية وانقطع عن الاوثان والاصنام
وعن عبادة غير الله وكذلك قال مجاهد معناه اخلص له العبادة
ولم يرد التبتل فصار التبتل مامورا به في القران منهيا عنه في السنة
ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان وانما بعث ليبين للناس
ما نزل اليهم والتبتل المامور به الانقطاع الى الله باخلاص العبادة
كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل
المنهي عنه سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في
الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها
شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن • قوله رب المشرق
والمغرب • قرا الاخوان وابو بكر وابن عامر بجر رب على النعت لربك او
البدل منه او البيان له • وقال الزمخشري وعن ابن عباس على القسم
كقولك والله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار
سوى زيد قال ابو حيان لعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس اذ فيه
اضمار الجار ولا يجيزه البصريون الا مع لفظ الجلالة المعظمة خاصة ولان
الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فانما تنفى بما وحدها
فلا تنفى بلا الا الجملة المصدرة بمضارع كثيرا او بماض في معناه قليلا نحو قول
الشاعر •

ردوا فوالله لا ذدناكم ابدا • ما دام في مائنا ورد لوراد •

والزمخشري اورد ذلك على سبيل التجويز والتسليم • والذي ذكره النحويون
هو نفيها بما كقوله •

لعمرك ما سعد بخلة اثم • ولا نأنأ يوم الحفاظ ولا حصر •

قال شهاب الدين قد اطلق ابن مالك ان الجملة المنفية سواء كانت اسمية
او فعلية تنفى بما او لا او ان بمعنى ما وهذا هو الظاهر • وباقي السبعة
برفعه على الابتداء وخبره الجملة من قوله لا اله الا هو او على خبر ابتداء مضمر
او هو رب وهذا احسن لارتباط الكلام بعضه ببعض • وقرا زيد بن علي
رب بالنصب على المدح • وقرا العامة المشرق والمغرب موحدين • وعبد الله
وابن عباس المشارق والمغارب • وجوز ان ينصب رب في قراءة زيد
من وجهين اخرين • احدهما انه بدل من اسم ربك او بيان له او نعت له
قاله ابو البقا وهذا يجي على ان الاسم هو المسمى • والثاني انه منصوب على الاشتغال
بفعل مقدر اي فاتخذ رب المشرق فاتخذه وما بينهما اعتراض • والمعنى انه من

علم انه رب المشارق والمغارب انقطع بعمله اليه واتخذه وكيلا اي
كفيلا بامورك وقيل كفيلا بما وعدك **قوله** واصبر على ما يقولون
اي من الاذى والسب والاستهزا ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعايهم
وفوض امرهم الي فاني اذا كنت وكيلا لك اقوم باصلاح امرك احسن من
قيامك بامور نفسك واهجرهم هجرا جميلا الهجر ترك المخالطة اي لا تتعرض
لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان ذلك ترك للدعا الى الله وكان هذا قبل
الامر بالقتال ثم امر بعد ذلك بقتالهم • قال قتادة وغيره نسختها
اية القتال • وقال ابو الدردا انا لنكشر في وجوه ونضحك وان قلوبنا
لتلعنهم • قاله ابن الخطيب • وقيل وهو الاصح انها محكمة **قوله**
وذرني والمكذبين يجوز نصب المكذبين على المعية وهو الظاهر
ويجوز على النسق وهو اوفق للصناعة والمعنى ارض بي لعقابهم نزلت
في صناديد قريش ورؤسا مكة من المستهزئين • وقال مقاتل نزلت
في المطعمين يوم بدر وهم عشرة تقدم ذكرهم في الانفال • وقال
يحيى بن سلام انهم بنو المغيرة • وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم
اثنا عشر رجلا اولي النعمة اي اولي الغنى والترفه واللذة في الدنيا
ومهلهم قليلا يعني الى مدة اجالهم • قالت عايشة رضي الله عنها لما نزلت
هذه الاية لم يكن الا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر • وقيل ومهلهم قليلا
مدة الدنيا **قوله** اولي النعمة نعت للمكذبين والنعمة بالفتح التنعم
وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعمة ونعمة عين • وقوله قليلا
نعت لمصدر اي تمهيلا قليلا نعت لمصدر اي تمهيلا قليلا ولظرف زمان
محذوف اي زمانا قليلا **قوله** ان لدينا انكالا جمع نكل وفيه
قولان اشهرهما انه القيد • وقيل الغل • وقالت الخنسا دعاك فقطعت
انكاله • وقد كن من قبل لا تقطع • قال الحسن ومجاهد الانكال القيود
واحدها نكل وهو ما منع الانسان من الحركة • وقيل سمي نكالا لانه ينكل
به • قال الشعبي اترون ان الله جعل الانكال في ارجل اهل النار خشية
ان يهربوا لا والله ولكنهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت بهم • وقال
الكلبي الانكال الاغلال • وقال مقاتل الانكال انواع العذاب الشديد
وقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يحب النكل على النكل • قال
الجوهري بالتحريك قيل النكل قال الرجل القوي المجرب على الفرس القوي
المجرب ذكره الماوردي قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته
وكذلك الغل وكل عذاب قوي • قال ابن الاثير النكل بالتحريك من التنكيل
وهو المنع والتنحية عما يريد يقال رجل نكل ونكل كشبه وشبه اي
ينكل به اعداوه • وقد نكل عن الامر ينكل ونكل ينكل اذا امتنع ومنه
النكول في اليمين وهو الامتناع منها وترك الاقدام عليها والجحيم النار
الموججة • وطعاما ذا غصة الغصة الشجى وهو ما ينشب في الحلق
فلا ينساغ • ويقال غصصت بالكسر فانت غاص وغصان • قال

لو بغير الما حلقي شرق • كنت كالغصان بالما اعتصاري

والمعنى طعاما غير سايغ ياخذ بالحلق وهو نازل ولا هو خارج
وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه ايضا
انه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج • وقال الزجاج اي طعامهم
الضريع وهو شوك كالعوسج • وقال مجاهد هو كالزقوم • والغصص
الشجى وهو ما ينشب في الحلق من عظم او غيره • وجمعها غصص
والغصاص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص فانت غاص

بالطعام

بالطعام وغصان وغصصته انا والمنزل غاص بالقوم ممتلي بهم • ومعنى
الاية ان لدينا في الاخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي هذه الامور الاربعة
الانكال والجحيم والطعام الذي يغص والعذاب الاليم والمراد به ساير
انواع العذاب **قوله** يوم ترجف الارض والجبال اي تتحرك وفي
نصب يوم اوجه احدها انه منصوب بذرني وفيه بعد • والثاني
انه منصوب بنزع الخافض اي هذه العقوبة في يوم ترجف • الثالث
انه نصب بالاستقرار المتعلق به لدينا • والرابع انه صفة لعذابا
فيتعلق بمحذوف اي عذابا واقعا يوم ترجف • الخامس انه منصوب
بالاليم والعامة ترجف بفتح التا وضم الجيم مبنيا للفاعل وزيد بن علي
مبنيا للمفعول من ارجفها والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة
قوله وكانت الجبال اي وتكون الجبال كثيبا مهيلا الكثيب الرمل
المجتمع قال حسان

عرفت ديار زينب بالكثيب • كخط الوحي في الورق القشيب

والجمع في القلة اكثبة وفي الكثرة كثبان وكثب كرغيف وارغفة ورغفان
ورغف • قال ذو الرمة

فقلت لها ان اهل خيره • لاكثبة الدهنا جميعا وماليا

قال الزمخشري من كثبت الشي اذا جمعته • ومنه الكثيبة من اللبن
قالت - اخرجالا • واحلب كثبا عجالا • والمهيل اصله
مهيول كمضروب فاستثقلت الضمة على اليا فنقلت الى الساكن
قبلها وهو الها فالتقى ساكنان فاختلف النحاة في العمل في ذلك
فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت اولى بالحذف لانها زايدة
وان كانت القاعدة انما تحذف لالتقا الساكنين الاول ثم كسروا الها
لتصح اليا • ووزنه حينيذ مفعل والكسائي والفرا والاخفش حذفوا اليا
لان القاعدة في التقا الساكنين اذا احتيج الى حذف احدهما حذف الاول
وكان ينبغي على قولهم ان يقال فيه مهول الا انهم كسروا الها لاجل اليا التي
كانت فقلبت الواو يا ووزنه حينيذ مفعول على الاصل ومفيل بعد
القلب • قال مكي وقد اجاز كلهم ان ياتي على اصله في الكلام فيقول
مهيول ومبيوع وما اشبه ذلك من ذوات اليا فان كان من ذوات
الواو لم يجز ان ياتي على اصله عند البصريين واجازه الكوفيون نحو
مقوول ومصووغ واجازوا كلهم مهول ومصوغ على لغة من قال بيع
وقول القول ويكون الاختلاف في المحذوف منه على ما تقدم • قال
شهاب الدين التتميم في مصوغ ومهول وبابه لغة تميم والحذف لغة
ساير العرب ويقال هلت التراب اهيله هيلا فهو مهيل فيه • وقال
القرطبي والمهيل الذي يمر تحت الارجل • قال الضحاك والكلبي المهيل
الذي اذا وطيته بالقدم زل من تحتها فاذا اخذت اسفله انهال • وقال
ابن عباس مهيلا اي رملا سايلا متناثرا • قال القرطبي واصله مهيول
وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب اهيله هالا وهيلا اذا صببته
يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون
قال الشاعر

قد كان قومك يحسبونك سيدا • واخال انك سيد معيون

وقال عليه الصلوة والسلام حين شكوا اليه الجدب اتكيلون ام تهيلون

كالوا تفصيل قال كيلوا طعامكم تبارك لكم فيه • واعلم انه تعالى لما خوف المكذبين اولي النعمة باهوال يوم القيمة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا يريد النبي صلى الله عليه وسلم ارسله الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى عليه الصلوة والسلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل • قال مقاتل وانما ذكر موسى وفرعون دون ساير الرسل لان اهل مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى لانه رباه ونشا فيما بينهم كما قال تعالى الم نربك فينا وليدا • وذكر ابن الخطيب هذا السوال والجواب وهو ليس بالقوي لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام ولد ونشا فيما بين قوم نمرود وكان ازر وزير نمرود على ما ذكره المفسرون وكذلك القول في نوح وهود وصالح ولوط لقوله تعالى في قصة كل واحد منهم لفظ اخاهم لانه من القبيلة التي بعث اليها

قوله فعصى فرعون الرسول انما عرفه لتقدم ذكره وهذه الى العهدية والعرب اذا قدمت اسما ثم حكت عنه ثانيا اتوا به معرفا بال او اتوا بضميره لئلا يلتبس بغيره نحو رجلا فاكرمت الرجل او فاكرمته ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم انه غير الاول وسياتي تحقيق هذا عند قوله تعالى ان مع العسر يسرا • وقوله عليه الصلوة والسلام لن يغلب عسر يسرين • قال المهدوي هنا دخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره ولذلك اختير في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم

قوله فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا • وضرب وبيل وعذاب وبيل اي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش • وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا • ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا قال

اكلت بنيك اكل الضب حتى • وجدت مرارة الكلا الوبيل

واستوبل فلان كذا اي لم يحمد عاقبته وماء وبيل اي وخيم غير مري وكلا مستوبل وطعام وبيل ومستوبل اذا لم يمرى ولم يستمرى قال زهير

فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا • الى كلا مستوبل متوخم

وقالت الخنسا

لقد اكلت بجيلة يوم لاقت • فوارس مالك اكلا وبيلا

والوبيل ايضا العصا الضخمة قال

لو اصبح في يمنى يدي زمامها • وفي كفي الاخرى وبيلا نحاذره

وكذلك الوبل بكسر البا والموبل ايضا الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل قال طرفة عقيلة شيخ كالوبيل المندد

فصل قال ابن الخطيب هذه الاية يمكن الاستدلال بها على اثبات القياس لان الكلام انما ينتظم لو قسنا احدى الصورتين على الاخرى فان قيل هب ان القياس في هذه الصورة حجة فلم قلتم انه في ساير الصور حجة وحينئذ يحتاج الى ساير القياسات بالقياس على هذه الصورة والا لزم المحذور الذي ذكرتم بل وجه التمسك ان يقول لولا انه تمهد عندهم ان الشيين اللذين يشتركان في مناط الحكم ظنا يجب اشتراكهما في الحكم والا لما اورد هذا الكلام في هذه الصورة وذلك لان احتمال الفرق المرجوح قايم ههنا فان القايل ان يقول لعلهم انما استوجبوا الاخذ الوبيل بخصوص حال العصيان في تلك الصورة وتلك الخصوصية غير موجود ههنا ثم انه تعالى مع قيام هذا الاحتمال جزم بالتسوية في الحكم وان الفرق المرجوح من ان الخصوص تلك الواقعة لا عبرة به لم يكن لهذا الكلام كثير فايدة ولا معنى لقولنا القياس

حجة



حجة الا هذا

فصل ومعنى كون قال ابن الخطيب ومعنى كون الرسول شاهدا عليهم من وجهين • الاول انه شاهد عليهم يوم القيمة بكفرهم وتكذيبهم • الثاني ان المراد بكونه شاهدا كونه مبينا للحق في الدنيا ومبينا لبطلان ما هم عليه من الكفر لان الشاهد بشهادته يبين الحق ولذلك وصفت بانها بينة لا يمتنع ان توصف صلى الله عليه وسلم بذلك من حيث انه يبين الحق • قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان الله تعالى قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس اي عدولا اخيارا ويكون الرسول عليكم شهيدا فبين انه شاهد عليهم في المستقبل لان حمله الشهادة في الاخرة حقيقة وحمله على البيان مجاز والحقيقة اولى من المجاز

قوله فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوما منصوب اما بتتقون على سبيل المفعول به تجوزا • وقال الزمخشري يوما مفعول به اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر وناقشه ابو حيان فقال وتتقون مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى في حتى يفسره به واتقى يتعدى الى واحد ووقى يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم ولذلك قدره الزمخشري تتقون انفسكم لكنه ليس تتقون بمعنى تقون فلا تعدى تعديته انتهى • ويجوز ان ينتصب على الظرف اي فكيف لكم بالتقوى يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا قاله الزمخشري • ويجوز ان ينتصب مفعولا بكفرتم اذا جعل كفرتم بمعنى جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة ولا يجوز ان ينتصب ظرفا لانهم يكفرون ذلك اليوم بل يومنون لا محالة • ويجوز ان ينتصب على اسقاط الجار اي ان كفرتم بيوم القيمة

فصل قال القرطبي هذا تقريع وتوبيخ اي كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه تقديم وتاخير اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قراه عبد الله وعطية • قال الحسن باي صلوة تتقون العذاب باي صوم تتقون العذاب وفيه اضمار اي كيف تتقون عذاب يوم القيمة • وقال قتادة والله ما يتقي من كفر بالله ذلك اليوم بشي واليوم مفعول بتتقون على هذه القراة وليس بظرف وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول كفرتم • وقال بعض المفسرين وقف التام على قوله كفرتم والابتدا يوما يذهب الى ان اليوم مفعول يجعل والفعل لله عز وجل كانه قال يجعل الله الولدان شيبا في يوم • قال ابن الانباري هذا لا يصح لان اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله • وقال المهدوي والضمير في يجعل يجوز ان يكون لله عز وجل • ويجوز ان يكون لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك اذا كان الضمير لله عز وجل الا مع تقدير حذف كانه قال يوما يجعل الولدان فيه شيبا • وقال ابن الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق بكفرتم احتاج الى صفة كفرتم بيوم فان احتج محتج بان الصفة قد تحذف وينصب ما بعدها احتججنا عليه بقراة عبد الله فكيف تتقون يوما • قال القرطبي هذه القراة ليست بمتواترة وانما جاءت على وجه التفسير واذا كان الكفر بمعنى الجحود فيوم مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزا • والعامة على تنوين يوما وجعل الجملة بعده نعتا له والعامل محذوف اي يجعل الولدان فيه قاله ابو البقا ولم يتعرض للفاعل في يجعل وهو على هذا ضمير الباري تعالى اي يوما يجعل الله فيه واحسن من هذا ان يجعل العايد مضمرا في يجعل هو فاعله ويكون نسبة الجعل الى اليوم من باب المبالغة اي نفس اليوم يجعل الولدان شيبا • وقرا زيد بن علي يوم يجعل باضافة

الظرف للجملة والفاعل هذا هو ضمير الباري تعالى والجعل هنا بمعنى التصيير فشيبا مفعول ثان. وقرأ ابو السماك فكيف تتقون بكسر النون على الاضافة والولدان الصبيان. وقال السدي هم اولاد الزنا. وقيل اولاد المشركين والعموم اصح اي يوم يشيب فيه الصغير من غير كبر وذلك حين يقال لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار. وقال القشيري هم اهل الجنة يغير الله اجزاءهم واوصافهم على ما يريد. وقيل هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز لان يوم القيمة لا يكون فيه ولدان لكن معناه ان هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب راسه من الهيبة. ويقال هذا وقت الفزع قبل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق والله اعلم. وشيبا جمع اشيب واصل الشين الضم فكسرت لتصح اليا نحو احمر وحمر قال الشاعر

منا الذي هو ما ان طر شاربه … والعانسون ومنا المرد والشيب

لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا …

قال الزمخشري وفي بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون. ويجوز ان يوصف اليوم بالطول فان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب. قال ابن الخطيب ان الله تعالى ذكر من هول ذلك اليوم امرين الاول جعل الولدان شيبا وفيه وجهان الاول انه مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب انعصار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفا الحرارة الغريزية وضعفها يوجب بقاء الاجزاء الغذائية غير تامة النضج وذلك يوجب استيلا البلغم على الاخلاط وذلك يوجب ابيضاض الشعر فلما راوا ان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهموم وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان ايصال الالم والخوف الى الصبيان غير جائز يوم القيمة الثاني ما تقدم من طول اليوم وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب **قوله** السماء منفطر به صفة اخرى اي متشققة بسبب هوله وشدته فتكون الباء سببية وجوز الزمخشري ان تكون للاستعانة فانه قال والباء فيه مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به. وقال القرطبي ومعنى به اي فيه اي في ذلك اليوم لهوله هذا احسن ما قيل فيه ويقال المنفطر فيه انفطارا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله تعالى ثقلت في السموات والارض. وقيل به اي لذلك اليوم يقال فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك والباء واللام وفي متقارب في مثل هذا الموضع قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة اي في يوم القيمة. وقيل به اي بالامر اي السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا. وقيل السماء منفطر بالله اي بامره. وانما لم يؤنث الصفة لوجوه منها قال ابو عمرو بن العلا لانها بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت كما قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا. ومنها انها على النسب اي ذات انفطار نحو امراة مرضع وحائض اي ذات ارضاع وذات حيض. ومنها انها تذكر وتؤنث انشد الفرا

فلو رفع السماء اليه قوما … لحقنا بالسماء وبالسحاب

ومنها اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء فمفرده سماة وقد تقدم ان اسم الجنس يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو علي الفارسي هو كقوله جراد منتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر يعني فجاء على احد الجائزين. وقيل لان تانيثها ليس بحقيقي

وماكان

وما كان كذلك جاز تذكيره وتانيثه قال الشاعر

والعين بالاثمد الحاري مكحول

قوله كان وعده مفعولا يجوز ان يكون الضمير لله تعالى وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا لفاعله. ويجوز ان يكون لليوم فيكون مضافا لمفعوله وهو الله مقدر **فصل** قال المفسرون كان وعده بالقيمة والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك فيه ولا خلف. وقال مقاتل كان وعده بان يظهر دينه على الدين كله **قوله** ان هذه تذكرة اي هذه السورة والايات عظة. وقيل ايات القران اذ هو كالسورة الواحدة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا لان هذه الايات مشتملة على انواع الهداية والارشاد فمن شاء ان يؤمن ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحجج والدلائل قيل نسخت باية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شاء ذكره. قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ **قوله** ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل العامة على ضم اللام من ثلثي وهو الاصل كالربع والسدس. وقرا هشام باسكانها تخفيفا **قوله** ونصفه وثلثه قرا الكوفيون وابن كثير بنصبهما والباقون بجرهما. وفي الجر اشكال يأتي ان شاء الله تعالى فالنصب نسق على ادنى لانه بمعنى وقتا ادنى اي اقرب استعير الدنو لقرب المسافة في الزمان وهذا مطابق لما في اول السورة من التقسيم وذلك انه اذا قام ادنى من ثلثي الليل فقد صدق عليه انه قام الليل الا قليلا لان الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيئا من الثلثين فيصدق عليه قوله الا قليلا. واما قوله ونصفه فهو مطابق لقوله نصفه واما قوله وثلثه فان قوله او انقص منه قليلا قد ينتهي النقص في القليل الى ان يكون الوقت ثلثي الليل. واما قوله او زد عليه فانه اذا زاد على النصف قليلا كان الوقت اقل من الثلثين فيكون قد طابق ادنى من ثلثي الليل ويكون قوله تعالى نصفه او انقص منه قليلا شرحا لمبهم ما دل عليه قوله قم الليل الا قليلا. وعلى قراءة النصب فسر الحسن تحصوه بمعنى تطيقوه. واما قراءة الجر فمعناها انه قيام مختلف مرة ادنى من الثلثين ومرة ادنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر مقدار الزمان مع عذر النوم وقد اوضح هذا كله الزمخشري فقال وقرئ نصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير انتهى يعني بالوجه الاخير ما قدمه اول السورة من التاويلات. وقال ابو عبد الله الفارسي في قراءة النصب اشكال الا ان يقدر نصفه تارة وثلثه تارة واقل من النصف والثلث تارة فيصح المعنى **فصل** قال القرطبي هذه الاية تفسير لقوله تعالى الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه كما تقدم وهو الناسخ لفريضة قيام الليل كما تقدم. ومعنى قوله تعالى تقوم اي تصلي وادنى اي اقل. وقرا ابن السميفع وابو حيوة وهشام عن اهل الشام ثلثه باسكان اللام ونصفه وثلثه بالخفض قراءة العامة كما تقدم وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم عطفا على ثلثي والمعنى وتقوم ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه لقوله تعالى علم ان لن تحصوه. واما قراءة النصب عطفا على ادنى والتقدير وتقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه. قال الفرا وهو اشبه بالصواب لانه قال اقل من الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا اقل من القلة. قال القشيري وعلى هذه القراءة يحتمل انهم كانوا يصيبون الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يزيدون وفي الزيادة اصابة المقصود فاما الثلثان فكان

يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون منه ويحتمل انهم امروا بالقيام نصف الليل ورخص لهم في الزيادة والنقصان وكانوا يشتهون في الزيادة الى قرب الثلثين وفي النصف الى الثلث • ويحتمل انهم قدر لهم النصف وانقص الى الثلث والزيادة الى الثلثين وكان فيهم من يفي بذلك وفيهم من يترك ذلك الى ان نسخ عنهم • وقيل انما فرض عليهم الربع وكانوا ينقصون من الربع قال القرطبي وهذا تحكم **قوله** وطائفة من الذين معك رفع بالعطف على الضمير في تقوم وجوز ذلك الفصل بالظرف وما عطف عليه **قوله** والله يقدر الليل قال الزمخشري تقديم اسم الله عز وجل مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير ونازعه ابو حيان في ذلك وقال لو قيل زيد يحفظ القران لم يدل ذلك على اختصاص وجعل الاختصاص في الاية مفهوما من السياق لا من السباق والمعنى يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها وانتم تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطا **قوله** ان لن تحصوه ان لن وان سيكون كلاهما مخففة من الثقيلة والفاصل النفي وحرف التنفيس والمعنى علم ان لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به اي ان الله هو الذي يعلم مقادير الليل والنهار على حقيقته • وقيل المعنى لن تطيقوا قيام الليل والاول اصح لان قيام الليل ما فرض كله قط • قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطئ وانتفخت اقدامهم وانتقعت الوانهم فخفف الله عليهم وقال علم ان لن تحصوه اي علم انكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكليف ما ليس فرضا وان نقصتم شق معرفة ذلك عليكم **قوله** فتاب عليكم اي فعاد عليكم بالعفو وهذا يدل على انه كان فيهم ما ترك بعض ما امر به • وقيل فتاب عليكم من فرض القيام او عن عجزكم واصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع لكم من التثقيل الى التخفيف ومن عسر الى يسر وانما امروا بحفظ الاوقات بالتحري فخفف عنهم ذلك التحري وقيل معنى قوله والله يقدر الليل والنهار اي يخلقهما مقدرين كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا • قال ابن العربي تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم وانما يربط الله به ما يشاء من وظائف التكليف **قوله** فاقرءوا ما تيسر من القران قيل المراد نفس القراءة اي فاقرءوا فيما تصلون به بالليل ما خف عليكم قال السدي مائة اية • وقال الحسن من قرا مائة اية في ليلة لم يحاجه القران • وقال كعب من قرا في ليلة مائة اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية قال القرطبي قول كعب اصح لقوله عليه الصلوة والسلام من قرا بعشر ايات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة اية كتب من القانتين ومن قرا مائتي اية لم يحاجه القران يوم القيمة • ومن قرا خمسمائة اية كتب له قنطار من الاجر قوله من المقنطرين اي اعطي قنطارا من الاجر • وجاء في الحديث ان القنطار الف ومائتا اوقية والاوقية خير مما بين السما والارض • وقال ابو عبيدة القناطير واحدها قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه ولا واحد للقنطار من لفظه • وقال ثعلب المعمول عليه عند العرب انه اربعة الاف دينار فاذا قالوا قناطير مقنطرة فهي اثنا عشر الف دينار • وقيل ان القنطار ملء جلد ثور ذهبا • وقيل ثمانون الفا • وقيل جملة كثيرة مجهولة من المال نقله ابن الاثير • وقيل المعنى فاقرءوا ما تيسر من القران اي فصلوا ما تيسر عليكم والصلوة تسمى قرانا قال تعالى وقران الفجر ان قران الفجر كان

مشهودا

مشهودا اي صلوة الفجر • قال ابن العربي والاول اصح لانه اخبر عن الصلوة واليها يرجع القول • قال القرطبي الاول اصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الثاني مجاز لانه من تسمية الشيء ببعض ما هو من اعماله **فصل** قال بعض العلما قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القران نسخ قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه ثم يحتمل قول الله عز وجل فاقرءوا ما تيسر منه معنيين احدهما ان يكون فرضا ثابتا لانه ازيل به فرض غيره والاخر ان يكون فرضا منسوخا ازيل بغيره كما ازيل به غيره وذلك لقول الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي فتهجد بغير الذي فرض بما تيسر منه قال الشافعي فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلوة الا الخمس **فصل** قال القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت الفريضة في حق النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل انما نسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من الهدي فالهدي لا بد منه كذلك لا بد من صلوة الليل ولكن فرض تقديره الى اختيار المصلي وعلى هذا فقال قوم فرض قيام الليل بالقليل باق وهو مذهب الحسن • قال الشافعي بل نسخ بالكلية فلا تجب صلوة الليل اصلا ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى الله عليه وسلم هي هذا وهو قيامه ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه معناه اقرءوا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم • وقال قوم ان النسخ بالكلية تقرر في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا فما كانت صلوة الليل واجبة عليه وقوله نافلة لك محمول على حقيقة النفل ومن قال نسخ المقدار وبقي اصل الوجوب قيام الليل ثم نسخ هذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلوة كقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الاية وقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الاية • وما في الخبر من ان الزيادة على الصلوات الخمس تطوع • وقيل وقع النسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة كما ان فرضية الصلوات وان خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا ايها المزمل قم الليل فهي عامة له ولغيره • وقد قيل ان فريضة قيام الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله • واخرون يقاتلون في سبيل الله وانما فرض القتال بالمدينة فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك • وقال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نسخ قول الله عز وجل ان ربك يعلم انك تقوم وجوب صلوة الليل **فصل** قوله علم ان سيكون منكم مرضى بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل فان الخلق منهم المريض ويشق عليه ان تفوته الصلوة ومنهم المسافر والتجارات قد لا يطيق قيام الليل والمجاهد كذلك فخفف الله عن الكل لاجل هؤلاء • وقال ابن الخطيب لما علم الله تعالى اعذار هؤلاء يعني المريض والمسافر والمجاهد فلو لم ينم هؤلاء في الليل لتوالت عليهم اسباب المشقة وهذا السبب كان موجودا في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فلا جرم لم ينسخ وجوب التهجد في حقه عليه الصلوة والسلام • وان في قوله ان سيكون مخففة من الثقيلة اي علم انه سيكون **قوله** واخرون عطف على مرضى اي علم ان سيوجد منكم قوم مرضى وقوم

اخرون مسافرون يضربون نعت لاخرون وكذلك يبتغون •
ويجوز ان يكون يبتغون حالا من فاعل يضربون واخرون عطف على
اخرون ويقاتلون صفته **فصل** سوى الله تعالى في هذه
الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على
نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا على ان كسب المال بمنزلة
الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله • قال عليه الصلوة والسلام
ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت
منزلته عند الله من منزلة الشهدا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون
يقاتلون في سبيل الله • وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيا الى مدينة
من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله
منزلة الشهدا وقرا واخرون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون
يقاتلون في سبيل الله • وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد
الموت في سبيل الله احب الي من الموت بين شعبتي رحل ابتغي من فضل
الله ضاربا في الارض • وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد
في سبيل الله **قوله** فاقرؤا ما تيسر منه اي صلوا ما امكن فاوجب
الله من صلوة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس على
ما تقدم • وقال عبد الله بن عمر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ولو كان فرضا
لما اقره النبي صلى الله عليه وسلم ولا اخبر بمثل هذا الخبر عنه بل كان يذمه
غاية الذم **فصل** اذا ثبت ان قيام الليل ليس بفرض وان قوله
فاقرؤا ما تيسر من القران فاقرؤا ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراة
في الصلوة فاختلف العلما في قدر ما يلزمه ان يقرا به في الصلوة فقال مالك
والشافعي فاتحة الكتاب لا يجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدر
ابو حنيفة باية واحدة من اي القران كانت وعنه ثلاث ايات لانها اقل
سورة وقيل المراد به قراة القران في غير الصلوة • قال الماوردي فعلى هذا
القول يكون مطلق الامر محمولا على الوجوب ليقف بقراته على اعجازه وما
فيه من دلايل التوحيد وبعث الرسل ولا يلزمه اذا قراه وعرف اعجازه
ودلايل التوحيد ان يحفظه لان حفظ القران من القرب المستحبة دون
الواجبة والاكثرون على انه للاستحباب لانه لو وجب علينا قراته لوجب
حفظه • وفي قدر الواجب اقوال • الاول قال الضحاك جميع القران لان
الله تعالى يسره على عباده • الثاني قال جويبر ثلث القران • الثالث قال
السدي مايتا اية • الرابع قال ابن عباس ماية اية • الخامس قال ابو خالد
الكناني ثلاث ايات كاقصر سورة **قوله** واقيموا الصلوة يعني المفروضة
وهي الخمس لوقتها واتوا الزكاة الواجبة في اموالكم قاله عكرمة وقتادة •
وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك
وقيل صدقة التطوع • وقيل كل فعل خير • وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص
قوله واقرضوا الله قرضا حسنا قال بعض الحسن ما اريد به وجه الله
خالصا من المال الطيب وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل
وقيل صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل
الله **قوله** وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله تقدم في سورة
البقرة **قوله** هو خيرا العامة على نصب خيرا مفعولا ثانيا وهو اما تاكيد
للمفعول الاول او فصل • وجوز ابو البقا ان يكون بدلا وهو غلط لانه كان يلزم

ان يطابق ما قبله في الاعراب فيقال اياه • وقرا ابو السمال وابن
السميفع خير على ان يكون هو مبتدا وخير خبره والجملة مفعول ثان
لتجدوه • قال ابو زيد هي لغة تميم يرفعون ما بعد الفصل وانشد
سيبويه :: تحن الى ليلى وانت تركتها :: وكنت عليها بالملا انت اقدر ::
في القوافي مرفوعة • ويروى اقدر بالنصب • قال الزمخشري وهو فصل
وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف
التعريف المعرفة • قال شهاب الدين هذا هو المشهور • وبعضهم يجوزه
من غير افعل من النكرات • وقال القرطبي ونصب خيرا واعظم على المفعول
الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعمادا في قول الكوفيين لا محل له
في الاعراب واجرا تمييز **فصل** المعنى وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله هو خيرا من الذي تؤخره الى الوصية عند الموت قاله ابن
عباس • وقال الزجاج هو خير لكم من متاع الدنيا • وقوله واعظم اجرا قال
ابو هريرة يعني الجنة • ويحتمل ان يكون اعظم اجرا لاعطايه بالحسنة عشرا
واستغفروا الله اي اسيلوه المغفرة لذنوبكم ان الله غفور رحيم لكم لذنوبكم
قاله سعيد بن جبير • وقيل غفور لمن يصر على الذنوب • وقال مقاتل غفور
لجميع الذنوب لان قوله غفور تناول التايب والمصر بدليل انه يصح استثنا
كل واحد منهما وحده والاستثنا حكمه اخراج ما لولاه لدخل • وايضا غفران التايب
واجب عند الخصم فلا يحصل المدح باداء الواجب والغرض من الاية تقرير المدح
فوجب حمله على الكل تحقيقا للمدح • روى الثعلبي عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يا ايها المزمل رفع عنه العسر في الدنيا
والاخرة والله اعلم •

سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية

وهي ست وخمسون اية ومايتان وخمس وخمسون كلمة والف وعشرة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها المدثر يا ايها الذي قد
دثر ثيابه اي تغشى بها ونام • وقرا العامة بتشديد الدال وكسر الثا اسم
فاعل من تدثر واصله المتدثر فادغم كالمزمل في حرفي المزمل على الاصل
المشار اليه • وقرا عكرمة بتخفيف الدال اسم فاعل من دثر بالتشديد بعد
ويكون المفعول محذوفا اي المدثر نفسه كما تقدم في المزمل وعنه ايضا فتح
الثا • ومعنى تدثر لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار والشعار ما يلي
الجسد • وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار • وسيف داثر بعيد العهد
بالصقال • ومنه قيل للمنزل الداثر داثر لذهاب اعلامه وفلان دثر
المال اي حسن القيام به **قوله** قم اما ان يكون من القيام المعهود فيكون
المعنى قم من مضجعك • واما من قام بمعنى الاخذ في القيام كقوله ::
فقام يذود الناس عنها بسيفه :: وقوله على ما قام يشتمني لئيم :: في احد القولين
فيكون المعنى قام عزم وتصميم • والقول الاخر ان قام مزيده وفي جعلها بمعنى
الاخذ في القيام نظر لانه حينيذ يصير من اخوات عسى فلا بد له من خبر
يكون فعلا مضارعا مجردا **قوله** فانذر مفعول محذوف اي انذر قومك
عذاب الله والاحسن ان لا يقدر له اي اوقع الانذار **فصل** المعنى
يا ايها الذي قد دثر ثيابه اي تغشى بها ونام وقيل ليس المراد التدثر بالثوب
فان قلنا التدثر ففيه وجوه • احدها ان هذا من اوايل ما نزل من القران
روى جابر عن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت
على جبل حرا فنوديت يا محمد انك لرسول فنظرت عن يميني ويساري فلم ار
احدا فنظرت فوقي فرايت الملك الذي جاني بحرا جالسا على كرسي بين السما والارض

فخنت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فانزل الله تعالى يا ايها المدثر • وثانيها ان ابا جهل وابا لهب وابا سفيان • والوليد بن المغيرة • والنضر بن الحرث • وامية بن خلف والعاص بن وايل • والمطعم بن عدي اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب مجتمعون في ايام الحج وهم يسالون عن امر محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قايل هو مجنون وقايل كاهن وقيل ساحر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيستدلون باختلاف الاجوبة على انها اجوبة باطلة فسموا محمدا باسم يجتمعون عليه وتسمية العرب به فقام رجل منهم فقال انه شاعر فقال الوليد سمعت كلام عبيدة بن الابرص الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد صلى الله عليه وسلم قط فقال اخر انه مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط ثم قام الوليد فانصرف الى بيته فقال الناس صبا الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل فقال ما لك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيا يعطونكه زعموا انك قد احتجت وصبات فقال الوليد ما لي اليه حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت انه ساحر لان الساحر هو الذي يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المراة وزوجها فشاع ذلك في الناس فصاحوا يقولون محمد ساحر والناس مجتمعون فوقعت الصيحة في الناس فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر • وثالثها انه صلى الله عليه وسلم كان نايما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام فهزه وايقظه عليه الصلوة والسلام وقال يا ايها المدثر قم فانذر كانه قال اترك التدثر واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله تعالى له وان قلنا انه ليس المراد منه التدثر بالثياب ففيه وجوه • الاول قال عكرمة يا ايها المدثر بالنبوة والرسالة واثقالها من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم • قال ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد وان قلنا انها اول القران لم يكن نبيا بعد الا ان قلنا انها ثاني ما نزل • الثاني ان المدثر بالثوب يكون كالمختفي فانه صلى الله عليه وسلم في جبل حرا كالمختفي من الناس فكانه قال يا ايها المدثر بدثار الاختفاء قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق • الثالث انه تعالى جعله رحمة للعالمين فكانه قيل يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عقاب ربك

فصل قوله تعالى يا ايها المدثر ملاطفة بالخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد كما تقدم في المزمل

فصل ومعنى قوله تعالى فانذر اي خوف اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته عليه الصلوة والسلام لانها مقدمة الرسالة وقيل هو دعاوهم الى التوحيد لانه المقصود وقال الفراء قم فصل امر بالصلوة

قوله وربك فكبر قدم المفعول وكذا ما بعده ايذانا بالاختصاص عند من يرى ذلك او للاهتمام به قال الزمخشري واختص ربك بالتكبير ثم قال ودخلت الفا لمعنى الشرط كانه قيل ومهما يكن فلا تدع تكبيره وقد تقدم الكلام في مثل هذه الفا

عند

عند قوله تعالى واياي فارهبون • قال ابو حيان وهو قريب مما قدره النحاة • قال ابو الفتح الموصلي يقال زيدا اضرب وعمرا فاشكر وعنده ان الفا زايدة • وقال الزجاج ودخلت الفا لمعنى الجزاء • والمعنى قم فكبر ربك وكذلك ما بعده

فصل معنى قوله وربك فكبر اي سيدك ومالك ومصلح امرك فعظمه وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد وفي الحديث انهم قالوا بم تفتتح الصلوة فنزل وربك فكبر اي صفه بانه اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان القول يقتضي بعمومه تكبير الصلوة فانه يراد فيه بكثير التقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا يتخذ وليا غيره ولا يعبد سواه • وروي ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا القول يعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلوة ويقول الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارده منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال بالذبايح تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافرادا لما شرع من امره بالسفك والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم في التكبير في الصلوة هو لفظ الله اكبر • وقال المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله عنها وعلمت انه وحي من الله تعالى ذكره القشيري • وقال الكلبي وعظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان قال مقاتل هو ان يقول الله اكبر • وقيل المراد منه التكبير في الصلوة فان قيل هذه السورة نزلت في اول البعث ولم تكن الصلوة واجبة والجواب لا يبعد انه كانت له عليه الصلوة والسلام صلوات تطوع فامر ان يكبر ربه فيها • قال ابن الخطيب وعندي انه لما قيل له قم فانذر

قوله وثيابك فطهر قيل المراد بالثياب الملبوسة فعلى الاول يكون المعنى وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد والسدي • وروى منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك فاصلح واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان الرجل حسن العمل قالوا ان فلانا طاهر الثياب • ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي • ومن قال المراد به القلب فالمعنى وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد ابن جبير رضي الله عنهما ومنه قول امرء القيس

سلي ثيابك من ثيابك تنسل

اي قلبي من قلبك • قال الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان • احدهما المعنى وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي قاله ابن عباس وقتادة • الثاني وقلبك فطهر من الغدر اي لا تغدر فتكون دنس الثياب وهو مروي عن ابن عباس ايضا واستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي

فاني بحمد الله لا ثوب غادر : لبست ولا من غدرة اتقنع

ومن قال المراد به النفس قال معناه ونفسك فطهر اي من الذنوب والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس رضي الله عنه ومنه قول عنترة

فشككت بالرمح الطويل ثيابه : ليس الكريم على القنا بمحرم

وقول امرء القيس المتقدم ومن قال بانه الجسم قال المعنى

وجسمك فطهر من المعاصي الظاهرة • ومنه قول ليلى تصف ابلا
رموها باثواب خفاف فلا ترى • لها شبها الا النعام المنفرا
اي ركبوها فرموها بانفسهم • ومن قال المراد به الاهل قال معناه
واهلك طهرهم من الخطايا بالموعظة والتاديب والعرب تسمي الاهل
ثوبا ولباسا وازارا قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن قال
الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان الاول معناه ونساءك فطهر
باختيار المومنات العفايف • الثاني الاستمتاع بهن في القبل دون
الدبر وفي الطهر لا في الحيض حكاه ابن بحر • قال ابن الخطيب وحمل الاية
على هذا التاويل بعيد لانه على هذا الوجه لا يحسن اتصال الاية بما قبلها
ومن قال المراد به الخلق قال معناه وخلقك فحسن قال الحسن والقرطبي
لان خلق الانسان مشتمل على احواله اشتمال ثيابه على نفسه
قال الشاعر
فلا اب وابنا مثل مروان وابنه • اذا هو بالمجد ارتدا وتازرا
والسبب في حسن هذه الكناية وجهان • الاول ان الثوب كالشي
الملازم للانسان فلهذا جعلوا الاثواب كناية عن الانسان فيقال
المجد في ثوبه والبر في ازاره • الثاني ان من طهر باطنه فالباطن طاهر ظاهره
ومن قال المراد به الدين معناه ودينك فطهر جا في الصحيح انه
عليه الصلوة والسلام قال ورايت الناس وعليهم ثياب منها ما
يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب وعليه
ازار يجره قالوا يا رسول الله فما اولت ذلك قال الدين وروي
عن انس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى وثيابك فطهر قال
معناه لا تلبس ثيابك على غدر قال ابن ابي كبشة
ثياب بني عوف طهارى نقية • واوجههم عند المشاهد غرانا
يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم عن الدناءات ويعني بغرة وجوههم
تنزيههم عن المحرمات او جمالهم في الخلقة او كلاهما قاله ابن العربي • وقال
سفيان بن عيينة لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا اثم
قاله عكرمة • ومن قال ان المراد به الثياب الملبوسة فلهم اربعة
اوجه • الاول وثيابك فانق • الثاني وثيابك فشمر اي قصر فان
تقصير الثياب ابعد من النجاسة فاذا انجرت على الارض لم يومن
ان يصيبها نجاسة قاله الزجاج وطاوس • الثالث وثيابك فطهر
من النجاسة بالما قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء • الرابع
لا تلبس ثيابك الا من كسب الحلال لتكون مطهرة من الحرام • وعن
ابن عباس رضي الله عنه لا تكون ثيابك الا من كسب غير طايل قاله
ابن العربي وليس ممتنعا ان تحمل الاية على عمومها من ان المراد بها الحقيقة
والمجاز واذا حملناها على الثياب الظاهرة المعلومة فهي تتناول
معنيين • احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست ولهذا
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلام من الانصار وقد راى ذيله
مسترخيا ارفع ازارك فانه انقى واتقى وابقى • وقد قال صلى الله عليه
وسلم ازرة المومن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه
وبين الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار فقد جعل النبي صلى
الله عليه وسلم الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد ما تحته
بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون
رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر • وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر

الله

الله تعالى الى من جر ثوبه • وفي رواية من جر ازاره خيلا لم ينظر
الله اليه يوم القيمة • قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ان
احد شقي ازاري يسترخي الا ان اتعاهد ذلك منه فقال له رسول
الله لست ممن يصنعه خيلا • والمعنى الثاني غسلها بالما من النجاسة
وهو الظاهر • قال المهدوي واستدل به بعض العلماء على وجوب
طهارة الثوب وليس ذلك بفرض عند ابن مالك واهل المدينة وكذلك
طهارة البدن للاجماع على جواز الصلوة بالاستجمار من غير غسل
قال ابن الخطيب اذا حملنا لفظ التطهير على حقيقته فنقول المراد
منه انه صلى الله عليه وسلم امر بتطهير ثيابه من الانجاس والاقذار
وعلى هذا التقدير ففي الاية ثلاث احتمالات • الاول قال الشافعي
رضي الله عنه المقصود من الاية الاعلام بان الصلوة لا تجوز الا في
ثياب طاهرة من الانجاس • وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن
اسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم من النجاسات فامره الله تعالى
بان يصون ثيابه عن النجاسات • وثالثها روي انهم القوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلا شاة فشق عليه فرجع الى بيته حزينا
وتدثر في ثيابه فقال يا ايها المدثر قم فانذر ولا يمنعك تلك
السفاهة عن الانذار • وربك فكبر على ان لا تنتقم منهم وثيابك
فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات قوله والرجز قرا
حفص ومجاهد وعكرمة وابن محيصن بضم الرا والباقون
بكسرها فقيل لغتان بمعنى • وعن ابي عبيدة الضم اقيس اللغتين
واكثرهما • وقال مجاهد هو بالضم اسم صنم ويعزى للحسن البصري
ايضا وبالكسر اسم للعذاب وعلى تقدير كونه العذاب فلا
بد من حذف مضاف اي اهجر اسباب العذاب المودية اليه
اقام السبب مقام المسبب وهو مجاز سايغ • وقال السدي الرجز
بنصب الزا الوعيد • وقال مجاهد وعكرمة المراد بالرجز الاوثان
لقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقاله ابن عباس ايضا
والماثم فاهجر اي فاترك وكذلك روى مغيرة عن ابراهيم النخعي قال
الرجز الاثم • وقال قتادة اساف ونايلة واصل الرجز العذاب
قال تعالى لين كشفت عنا الرجز لنومنن لك وقال تعالى فارسلنا
عليهم رجزا من السما قوله ولا تمنن العامة على فك الادغام والحسن
وابو السمال والاشهب العقيلي بالادغام وقد تقدم ان المجزوم
والموقوف من هذا النوع يجوز فيهما الوجهان وتقدم تحقيقه في المايدة
عند قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه والمشهور انه من المن وهو
الاعتداد على المعطى بما اعطاه • وقيل معناه لا من قولهم حبل متين
اي ضعيف قوله تستكثر العامة على رفعه وفيه وجهان
احدهما انه في موضع الحال اي لا تمنن مستكثرا ما اعطيت وقيل
معناه لا تاخذ اكثر مما اعطيت • الثاني على حذف ان يعني اذ الاصل
ولا تمنن ان تستكثر فلما حذفت ان ارتفع الفعل كقوله
الا ايها الزاجري احضر الوغى • في احد الروايتين قاله الزمخشري
ولم يبين ما محل ان وما في حيزها وفيه وجهان • اظهرهما وهو الذي
يريده هو انها اما في محل نصب او جر على الخلاف فيها حذف حرف
الجر وهو هنا لام العلة تقديره ولا تمنن لان تستكثر والثاني
انها في محل نصب فقط مفعولا بها اي لا تضعف ان تستكثر من الخير

قاله مكي وقد تقدم وان تمنن بمعنى تضعف وهو قول مجاهد
الا ان ابا حيان قال بعض كلام الزمخشري وهذا لا يجوز ان
يحمل القرآن عليه وذلك لا يجوز الا في الشعر ولنا مندوحة عنه
مع صحة معنى الكوفيين يجيزون ذلك وايضا فقد قرأ الحسن
والاعمش تستكثر ايضا على اضمار ان كقولهم مره يحفرها وابلغ
من ذلك التصريح بان في قراءة عبد الله ولا تمنن ان تستكثر وقرأ
الحسن ايضا وابن ابي عبلة تستكثر جزما وفيه ثلاثة اوجه
احدها ان يكون بدلا من الفعل قبله كقوله يلق اثاما يضاعف
فيضاعف بدلا من يلق ولقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ❊ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
ويكون من المن الذي في قوله تعالى ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
الثاني ان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا قاله الزمخشري يعني
انه يأخذ من مجموع تستكثر وهو الثاء والراء وبحرف العطف من
قوله ولربك فاصبر وهذا كما قالوا في قول امرئ القيس
فاليوم اشرب غير مستحقب ❊ اثما من الله ولا واغل
بتسكين اشرب انهم اخذوا من المتكلمين ربع كعضد ثم سكن
وقد تقدم في سورة يوسف في قراءة قنبل من يتقي بثبوت الياء
انه من موصولة فاعترض بجزم يصبر فاجيب بانه شبه برف
اخذوا الباء والراء من يصبر والفاء من فانه وهذه نظيرة تيك سوا
الوجه الثالث ان يعتبر حال الوقف ويجري الوصل مجراه قاله
الزمخشري ايضا يعني انه مرفوع وانما سكن تخفيفا واجرى الوصل
مجرى الوقف قال ابو حيان وهذان لا يجوز ان يحمل عليهما مع وجود
ارجح منهما وهو البدل معنى وصناعة **فصل** في اتصال
هذه الآية بما قبلها انه تعالى امره قبل هذه الآية باربعة
اشياء انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز
ثم قال جل ذكره ولا تمنن تستكثر اي لا تمنن على ربك بهذه
الاعمال الشاقة كالمستكثر لما يفعله بل اصبر على ذلك كله لوجه
ربك متقربا بذلك اليه غير ممتن به عليه قال الحسن رحمه الله
حسناتك فتستكثرها وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة
لا تعط عطية تلتمس بها افضل منها وقيل لا تمنن لا تمنن على
الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحي مستكثرا بذلك الانعام
فانما فعلت ذلك بامر الله تعالى فلا منة لك عليهم ولهذا قال
تعالى ولربك فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك اي لتستكثر
اي لتأخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به مالك وقال مجاهد
تضعف ان تستكثر من الخير من قولك حبل متين اذا كان ضعيفا
ودليله قراءة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر من الخير وعن مجاهد
ايضا والربيع لا تعظم عملك في عينك ان تستكثر من الخير فانه
مما انعم الله عليك وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من
نفسك انما عملك منة من الله عليك وجعل الله لك سبيلا الى عبادته
وقال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لربك لا تقل
دعوت فلم يستجب لي وقيل لا تفعل الخير لترائي به الناس فان قيل
هذا النهي مختص بالرسول صلى الله عليه وسلم او يتناول الامة فالجواب
ان ظاهر اللفظ قرينة الحال لا تفيد العموم لانه صلى الله عليه وسلم
انما نهى

انما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة وهذا المعنى غير موجود
في الامة وقيل المعنى في حق الامة هو الربا والله تعالى منع الكل
من ذلك فان قيل على هذا نهي تحريم او تنزيه فالجواب ان ظاهر
النهي التحريم **فصل** قال القفال يحتمل ان يكون المقصود
من الآية ان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطي احدا شيئا
لطلب عوض سواء كان العوض زائدا او ناقصا او مساويا ويكون معنى
قوله تعالى تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينتقص المال بسبب
العطاء فيكون الاستكثار ههنا عبارة عن طلب العوض كيف وانما
حسنت هذه العبادة لان الغالب ان الثواب لا يكون زائدا على
العطاء فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشيء على اغلب احواله كما ان
الاغلب ان المرأة انما تتزوج ولها ولد للحاجة الى من يربي ولدها فسمي
الولد ربيبا ثم اتسع الامر وان كان حين تتزوج امه كبيرا ومن ذهب
الى هذا القول قال السبب فيه ان يصير عطاء النبي صلى الله عليه وسلم
خاليا عن انتظار والتفات النفس اليه فيكون ذلك خالصا مخلصا لوجه الله
تعالى قال القرطبي رحمه الله اظهر الاقوال الى قول ابن عباس لا تعط لتأخذ
اكثر مما اعطيت من المال يقال مننت فلانا كذا اي اعطيته ويقال
للعطية المن فكأنه امر بان تكون عطاياه لله لا لارتقاب ثواب من الخلق
عليها لانه صلى الله عليه وسلم ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال ما لي مما افاء
الله علي الا الخمس مردود عليكم وكان ما يفضل من نفقة عياله مصروفا
الى مصالح المسلمين ولهذا لم يورث **قوله** ولربك فاصبر التقديم
على ما تقدم وحسنه كونه رأس فاصلة من احب المقدمة ولربك
يجوز فيه وجهان احدهما ان تكون لام العلة اي لوجه ربك فاصبر اي على
اذى الكفار وعلى عبادة ربك وعلى كل شيء مما لا يليق فحذف المصبور عليه
والمصبور عنه للعلم بهما والاحسن ان لا يقدر شيء خاص بل شيء عام والثاني
ان يضمن اصبر معنى اذعن اي اذعن لربك وسلم له امرك صابرا كقوله
تعالى فاصبر لحكم ربك **قوله** فاذا نقر في الناقور قال الزمخشري
الفاء في قوله فاذا نقر في الناقور قاله الحوفي ودنيه نظر من حيث
ان الفاء تمنع من ذلك ولو اراد تفسير المعنى لكان سهلا لاكنه في معرض
تفسير الاعراب لا تفسير المعنى الثاني ان ينتصب بما دل عليه قوله تعالى
فذلك يومئذ يوم عسير قال الزمخشري فان قلت بم انتصب اذا
وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل
عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي
جاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك يوم النقر وقوع يوم
عسير لان يوم القيامة يقع ويأتي حين ينقر في الناقور انتهى ولا يجوز ان
يعمل فيه نفس عسير لان الصفة لا تعمل فيما قبل موصوفها عند البصريين
ورد على الزمخشري قوله ان في انفسهم متعلق ببليغا في سورة النساء
في قوله تعالى وقل لهم في انفسهم قولا بليغا والكوفيون يجوزون ذلك
وتقدم تحريره الثالث ان ينتصب بما دل عليه فذلك لانه اشار الى
النقر قاله ابو البقاء ثم قال ويومئذ بدل من اذا وذلك مبتدا والخبر
يوم عسير اي نقر يوم الرابع ان يكون اذا مبتدا وفذلك خبره والفاء
مزيدة فيه وهو رأي الاخفش واما يومئذ ففيه اوجه احدها ان يكون
بدلا من اذا وقد تقدم ذلك في الوجه الثاني ان يكون ظرفا ليوم عسير
كما تقدم في الوجه الثاني الثالث ان يكون ظرفا لذلك لانه مشار به الى النقر

الرابع انه بدل من فذلك ولكنه مبني لاضافته الى غير متمكن الخامس ان يكون مبتدا ويوم عسير خبره والجملة خبر فذلك **قوله** نقر اي صوت يقال نقرت الرجل اذا صوت له بلسانك وذلك بان تلصق لسانك بنقرة حنكك. ونقرة الرجل اذا خصصته بالدعوة كانك نقرت له بلسانك مشيرا اليه وتلك الدعوة يقال لها النقرى وهي ضد الدعوة الجفلى قال الشاعر

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ⁂ لا ترى الآدب فينا ينتقر

وقال امرؤ القيس

انا ابن ماوية اذ جد النقر ⁂ يريد النقر اي الصوت والنقر في كلام العرب الصوت قال امرؤ القيس

اخفضه بالنقر لما علوته ⁂ ويرفع طرفا غير خاف غضيض

والناقور فاعول منه كالجاسوس من التجسس وهو الشيء المصوت فيه قال مجاهد وغيره هو كهيئة البوق وهو الصور الذي ينفخ فيه الملك والنقر قرع الشيء الصلب والمنقار الحديدة التي ينقر بها ونقرت عنه بحثت على اخباره استعارة من ذلك. ونقرته اغتبته ومنه قول امراة لزوجها مر بي على بني نظر. ولا تمر بي على بنات نقر اراد ببني نظر الرجال لانهم ينظرون اليها. وبنات نقر النسا لانهن يغتبنها وينقرن عن احوالها **قوله** على الكافرين فيه خمسة اوجه احدها ان يتعلق بعسير. الثاني ان يتعلق بمحذوف على انه نعت لعسير. الثالث انه في موضع نصب على الحال من الضمير المستكن في عسير. الرابع ان يتعلق بيسير اي غير يسير على الكافرين قاله ابو البقا الا ان فيه تقديم معمول المضاف اليه وهو ممنوع. وقد جوزه بعضهم اذا كان المضاف غير بمعنى النفي كقوله

ان امرا خصني يوما مودته ⁂ على التنائي لعندي غير مكفور

وتقدم تحريرهذا اخر الفاتحة. الخامس ان يتعلق بما دل عليه غير يسير اي لا يسهل على الكافرين. قال الزمخشري فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه. قلت لما قال سبحانه وتعالى على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليوذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المومنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وتبشير المومنين وتسليتهم. ويجوز ان يراد عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا **فصل** لما ذكر ما يتعلق بارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقيا قيل المراد بهذه الاية هو النفخة الثانية وقيل الاولى. قال الحليمي في كتاب المنهاج انه تعالى سمى الصور اسمين وان كان هو الذي ينفخ فيه النفختان معا فان نفخة الاصعاق خلاف نفخة الاحيا وجا في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى قال ابن الخطيب وهذا مردود لان الناقور اسم لما ينقر به لا لما ينفخ فيه. ويحتمل ان يكون الصور محتويا على ثقبين ينقر في احداهما وينفخ في الاخرى فاذا نفخ فيه للاصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة اشد واعظم واذا نفخ فيه للاحيا لم ينقر فيه بل يقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى اجسادها لا تنقرها من اجسادها

لنفخة

النفخة الاولى للتنقير وهو نظير صوت الرعد لانه اذا اشتد فربما مات سامعه والصيحة الشديدة التي يصيحها رجل يهيب فيفزع منه فيموت. قال ابن الخطيب وفيه اشكال وهو ان هذا يقتضي ان يكون النقر انما يحصل عند صيحة الاصعاق وذلك اليوم غير شديد على الكافرين لانهم يموتون في تلك الساعة انما اليوم الشديد على الكافرين صيحة الاحيا ولذلك يقول يا ليتها كانت القاضية اي يا ليتنا بقينا على الموتة الاولى. وقوله فذلك اي فذلك اليوم يوم شديد على الكافرين غير يسير اي غير سهل ولا هين وذلك ان عقودهم لا تنحل الا الى عقد اشد منها فانهم يناقشون الحساب ويعطون كتبهم بشمالهم وتسود وجوههم ويحشرون زرقا وتتكلم جوارحهم ويفضحون على روس الاشهاد بخلاف المومنين الموحدين المذنبين فانها تنحل الى ما هو اخف حتى يدخلون الجنة برحمة الله تعالى فانهم لا يناقشون الحساب ويحشرون بيض الوجوه تثقل الموازين. قال ابن الخطيب ويحتمل ان يكون عسيرا على المومنين والكافرين على ما روي ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم يفزعون يومئذ وان الولدان يشيبون الا انه يكون على الكفار اشد فعلى الاول لا يحسن الوقف على قوله يوم عسير فان المعنى انه على الكافرين عسير وغير يسير وعلى الثاني يحسن الوقف لان في المعنى انه في نفسه عسير على الكل. ثم الكافر فيه مخصوص بزيادة تخصه وهي انه عليه عسير **فصل** قال ابن الخطيب استدل بهذه الاية القايلون بدليل الخطاب قالوا لولا ان دليل الخطاب حجة والا لما فهم ابن عباس من كونه غير يسير على الكافرين كونه يسيرا على المومنين **قوله** ذرني ومن خلقت وحيدا. الواو في قوله ومن خلقت وحيدا كقوله والمكذبين في الوجهين المتقدمين في السورة قبلها. وقوله تعالى وحيدا فيه اوجه. احدها انه حال من اليا في ذرني اي ذرني وحدي معه فانا اكفيك في الانتقام منه. الثاني انه حال من التا في خلقت اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد فانا اهلكه. الثالث انه حال من عايد المحذوف اي خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته قاله مجاهد. الخامس ان ينتصب على الذم لانه يقال ان وحيدا كان لقبا للوليد بن المغيرة ومعنى وحيدا ذليلا قيل كان يزعم انه وحيد في فضله وماله وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقالته لان هذا لقب له شهر به وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقبا تعين نصبه على الذم **فصل** معنى ذرني اي دعني وهي كلمة وعيد وتهديد. ومن خلقت هذه واو المعية اي دعني والذي خلقته وحيدا. قال المفسرون هو الوليد بن المغيرة المخزومي وان كان الناس خلقوا كلهم فانما خصه بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة واذى الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يسمى الوحيد في قومه قال ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظير فقال الله تعالى ذرني ومن خلقت بزعمه وحيدا لان الله تعالى صدقه بانه وحيد. قال ابن الخطيب ورد هذا القول بعضهم بانه تعالى لا يصدقه في دعواه تلك بانه وحيد لا نظير له ذكره الواحدي والزمخشري وهو ضعيف من وجوه لانه قد يكون الوحيد علما فيزول السوال لان اسم العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو قايم مقام الاشارة. الثاني ان يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم. الثالث انه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان لفظ الوحيد انه

وحيد في العلو والشرف • الرابع انه اشارة الى وحدته عن نفسه قال ابو سعيد الضرير الوحيد الذي لا اب له كما تقدم في زنيم **قوله** وجعلت له مالا ممدودا اي خولته واعطيته مالا ممدودا • قال ابن عباس هو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الابل والنعم والخيول والجمال والعبيد والجواري • وقال مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس ايضا الكل في الف دينار • وقال قتادة ستة الاف دينار • وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار • وقال الثوري ايضا الف الف دينار • وقال ابن الخطيب المال الممدود هو الذي يكون له مدد باقي منه الجزء بعد الجزء دائما ولذلك فسره عمر رضي الله عنه غلة شهر بشهر • وقال النعمان الممدود بالزيادة كالزرع والضرع وانواع التجارات • قال مقاتل كان له بستان لا ينقطع شتاء ولا صيفا كما في قوله عز وجل وظل ممدود اي لا ينقطع والذي يظهر انه المال الكثير والتقديرات تحكم **قوله** وبنين شهودا اي حضورا لا يغيبون لا يفارقونه البتة طيب القلوب بحضورهم • وقيل معنى كونهم شهودا اي يشهدون المجامع والمحافل • وقيل شهودا اي صاروا مثله في شهود ما كان يشهده والقيام بما كان يباشره • قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة • وقال السدي والضحاك كانوا اثني عشر رجلا وعن الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطائف • وقال مقاتل كانوا سبعة اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد بن الوليد قال فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله وولده حتى هلك والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام **قوله** ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش بسطا في الجاه العريض والرياسة في قومه والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة ومنه مهد الصبي • وقال ابن عباس ومهدت له تمهيدا اي وسعت له ما بين اليمن الى الشام وهو قول مجاهد • وعن مجاهد ايضا انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش **قوله** ثم يطمع ان ازيد كلا لمعنطه ثم ههنا معناها التعجب كقولك لصاحبك انزلتك داري واطعمتك واسقيتك ثم انت تشتمني ونظيره قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فمعنى ثم ههنا الانكار والتعجب اي ثم الوليد يطمع بعد هذا كله ان ازيده في المال والولد وقد كفر بي قاله الكلبي ومقاتل ثم قال كلا ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم • قال الحسن وغيره اي ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي فقال الله عز وجل ردا عليه وتكذيبا له كلا اي لست ازيده فلم يزل في نقصان بعد قوله كلا حتى افتقر ومات فقيرا • وقيل اي ثم يطمع ان انصره على كفره وكلا قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويبتدئ بقوله انه يعني الوليد كان لاياتنا عنيدا اي معاندا للنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به • قال الزمخشري انه كان لاياتنا استئناف جواب سائل سال لم لا يزداد مالا وما باله ردع عن طمعه فاجيب بقوله لانه كان لاياتنا عنيدا انتهى فيكون قوله صلى الله عليه وسلم في الهرة انها ليست بنجس انها من الطوافين عليكم والعنيد المعاند يقال عاند فهو عنيد وعاند والعاند البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع عند مثل راكع وركع قاله

ابو

ابو عبيدة وانشد قول الحارثي •

اذا ركبت فاجعلاني وسطا • اني كبير لا اطيق العندا •

وقال ابو صالح عنيد معناه مباعد قال الشاعر

ارانا على حال تفرق بيننا • نوى غربة ان الفراق عنيد •

وقال قتادة جاحدا • وقال مقاتل معرضا • وقيل انه المجاهر بعداوته وعن مجاهد انه المجانب للحق • قال الجوهري رجل عنود اذا كان لا يخالط الناس والعنيد من التجبر وعرق عاند اذا لم يرقأ دمه وجمع العنيد مثل رغيف ورغف • والعنود من الابل الذي لا يخالط الابل انما هو في ناحية والعنيد في معنى المعاند كالجليس والاكيل والعشير **فصل** في الاية اشارة الى انه كان يعاند في امور كثيرة منها انه كان يعاند في دلائل التوحيد والعدل والقدرة وصحة النبوة وصحة البعث • ومنها ان كفره كان عنادا لانه كان يعرف هذه الاشياء بقلبه وينكرها بلسانه وكفر المعاند افحش انواع الكفر • ومنها ان قوله كان يدل على ان هذه حرفته من قديم الزمان ومنها ان هذه المعاندة كانت مختصة منه بايات الله تعالى **قوله** سارهقه صعودا • اي سأكلفه • وكان ابن عباس يقول سأجشمه • والارهاق في كلام العرب ان يحمل الانسان الشيء والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه ابدا رواه الترمذي • وفي رواية صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت فاذا رفعوها عادت • وقيل هذا مثل لشدة العذاب الشاق الذي لا يطاق كقوله عقبة صعود وكؤود اي شاقة المصعد ثم انه تعالى حكى كيفية عناده وهو **قوله** تعالى انه فكر يجوز ان يكون استئناف تعليل لقوله تعالى سارهقه • ويجوز ان يكون بدلا من انه كان لاياتنا عنيدا يقال فكر في الامر وتفكر اذا نظر وتدبر ثم لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهياه وهو المراد من قوله وقدر • والعرب تقول قدرت الشيء اذا هياته **فصل** معنى الاية ان الوليد فكر في شان النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن لما نزل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله عز وجل اليه المصير سمع الوليد يقراها فقال والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقال قريش صبا الوليد لتصبون قريش كلها • وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا فقال له ما لي اراك حزينا وما لي لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهما فغضب الوليد لعنه الله وتكبر وقال انا احتاج الى كسر محمد وصاحبه وانتم تعلمون قدر مالي واللات والعزى ما بي حاجة الى ذلك وانما انتم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه قط يخنق قالوا لا قال وتزعمون انه كاهن فهل رايتموه تكهن قط ولقد راينا للكهنة اسجاعا وتخالجا فهل رايتموه كذلك قالوا لا والله قال وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه نطق بشعر قط قالوا لا والله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق والامين

من كثرة صعر قد فقال قريش للوليد ما هو فكر في نفسه ثم
نظر ثم عبس فقال ما هذا الا سحر ما رايتموه يفرق بين الرجل وولده
فذلك قوله تعالى انه فكر اي في امر محمد والقرآن وقدر في نفسه ماذا
يمكنه ان يقول فيهما **قوله** فقتل اي لعن وقيل قهر وغلب
وقال الزهري عذب وهو من باب الدعا قال ابن الخطيب
وهذا انما يذكر عند التعجب والاستعظام ومنه قولهم قتله الله
ما اشجعه واخزاه الله ما افجره ومعناه انه قد بلغ المبلغ
الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك واذا
عرف ذلك فنقول هذا يحتمل وجهين الاول انه تعجب من قوة
خاطره يعني انه لا يمكن القدح في امر محمد صلى الله عليه وسلم لشبهة
اعظم ولا اقوى مما ذكره هذا القايل الثاني في الثناء عليه على
طريقة يعني ان هذا ذكره في غاية الركاكة والسقوط **قوله**
كيف قدر اي كيف فعل هذا كقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال
ثم قتل بضرب اخر من العقوبة كيف قدر على اي حال قدر **قوله** ثم
نظر باي شي يرد الحق ويدفعه قال ابن الخطيب والمعنى انه
اولا نظر وثانيا قدر وثالثا نظر في ذلك المقدر فالنظر السابق
للاستخراج والنظر اللاحق لتمام الاحتياط فهذه المرات الثلاث
متعلقة باحوال ثلاث **قوله** ثم عبس يقال عبس يعبس
عبسا وعبوسا اي قطب وجهه وقال الليث عبس يعبس
فهو عابس اذا قطب ما بين عينيه فان ابدى عن اسنانه في
عبوسه قيل كلح فان اهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر فان غضب
مع ذلك قيل بسر واعلم انه ذكر صفات جسمه بعد صفات قلبه
وهذا يدل على عناده لان من فكر في امر حسن يظهر عليه الفرح
لا العبوس والعبس ايضا ما يبس في اذناب الابل من البعر والبول
قال ابو النجم

كان في اذنابهن الشول ... من عبس الصيف قرون الايل

فصل معنى الاية قطب وجهه في وجوه المومنين وذلك
انه لما قال لقريش بان محمدا ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه
الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس على النبي صلى الله عليه
وسلم حين دعاه والعبس مصدر عبس مخففا كما تقدم **قوله**
وبسر يقال بسر يبسر بسرا وبسورا اذا قبض ما بين عينيه
كراهة للشي واسود وجهه منه يقال وجه باسر اي منقبض
اسود كالح متغير اللون قاله قتادة والسدي ومنه قول بشر
ابن الحرث

صبحنا تميما غداة الجفار ... بشهبا ململمة باسره

واهل اليمن يقولون بسر المركب وابسر اي وقف لا يتقدم ولا يتاخر
وقد ابسرنا اي صرنا الى البسور وقال الراغب البسر استعجال
الشي قبل اوانه نحو بسر الرجل حاجته طلبها في غير اوانها وماء بسر
منها ولم من عديره قبل سكونه ومنه قيل للذي لم يدرك من التمر
بسر وقوله تعالى عبس وبسر اي اظهر العبوس قبل اوانه وقبل
وقته قال فان قيل فقوله تعالى وجوه يوميذ باسرة ليس يفعلون
ذلك قبل الموت وقد قلت ان ذلك يكون قبل وقته قيل
اشير بذلك الى حالهم قبل الانتهاء بهم الى النار فخص لفظ البسر

تنبيها

تنبيها على ان ذلك مع ما ينالهم من بعد يجري مجرى التكلف ومجرى
ما يفعل قبل وقته ويدل على ذلك تظن ان يفعل بها فاقرة وقد
عطفه في هذه الجمل بحروف مختلفة ولكل منها مناسبة اما ما
عطف بثم فلان بين الافعال مهلة وثانيا لان بين النظر والعبس
وبين العبوس والادبار تراخيا قال الزمخشري وثم عطف على فكر
وقدر والدعا اعتراض بينهما يعني بالدعا قوله فقتل ثم قال
فان قلت ما معنى ثم الداخلة على تكرير الدعا قلت للدلالة على ان
الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه

الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي

فان قلت ما معنى المتوسط بين
الافعال التي بعدها قلت للدلالة على انه قد تانى في التامل وتمهل وكان
بين الافعال المتناسقة تراخ وبعد فان قلت فلم قال فقال
بالفا بعد عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد
التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث فان قلت فلم لم يتوسط
حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التاكيد
من المؤكد **قوله** ثم ادبر اي ولى واعرض ذاهبا عن ساير الناس
الى اهله واستكبر حين دعي الى الايمان اي تعظم وقال ان هذا الا
سحر يوثر اي ما هذا الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم الا سحر يوثر
اي تاثره عن غيره والسحر الخديعة وقيل السحر اظهار الباطل في صورة
الحق والاثر مصدر قولك اثرت الحديث اثره اذا ذكرته عن غيرك
ومنه قيل حديث ماثور اي ينقله خلف عن سلف قال الاعشى

ان الذي فيه تماريتما ... بين للسامع والاثر

وقال ابن الخطيب فيه وجهان الاول انه من قولهم اثرت الحديث
اثره اثرا اذا حدثت به عن قوم في اثارهم او بعد ما ماتوا هذا هو
الاصل ثم صار بمعنى الرواية عمن كان والثاني يوثر عن جميع السحر
اي هذا يكون من الايثار وقال ابو سعيد الضرير يوثر اي يورث **قوله**
هذا الا قول البشر اي ما هذا الا كلام المخلوقين يختدع به القلوب
كما يخدع بالسحر قال ابن الخطيب ولو كان الامر كذلك لتمكنوا من
معارضته اذ طريقتهم في اللغة متقاربة قال السدي انه من
يسار عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه الى
انه تعلم وهذا الكلام يدل على ان الوليد كان يقول هذا الكلام عنادا
لما روي في الحديث المتقدم انه لما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم يقول لقد سمعت من محمد كلاما
ليس من كلام الجن ولا من كلام الانس الحديث فلما اقر بذلك في اول الامر
علمنا ان قوله هاهنا ان هذا الا قول البشر انما ذكره عنادا او تمردا لا اعتقادا
قوله ساصليه سقر هو بدل من قوله تعالى سارهقه صعودا قاله
الزمخشري فان كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وان كان المراد
صخرة في جهنم كما جاء في التفسير فيعسر البدل ويكون فيه شبه من بدل
الاشتمال لان جهنم مشتملة على تلك الصخرة **فصل** المعنى سادخله
سقر كي يصلى حرها وانما سميت سقر من سقرته الشمس اذا اذابته ولوحته
واحرقت جلدة وجهه ولا ينصرف للتعريف والتانيث قال ابن عباس
سقر اسم للطبقة السادسة من جهنم وما ادراك ما سقر هذه مبالغة
في وصفها اي وما اعلمك اي شي هي وهي كلمة تعظيم وتهويل ثم فسر حالها
فقال جل ذكره لا تبقي ولا تذر اي لا تترك لهم لحما ولا عظما ولا دما الا احرقته

قوله لا تبقي ولا تذر فيه وجهان احدهما انها في محل نصب على الحال
والعامل فيها معنى التعظيم كما قاله ابو البقا يعني ان الاستفهام في قوله
ما سقر للتعظيم والمعنى استعظموا سقر في هذه الحال ومفعول
تبقي وتذر محذوف اي لا تبقي ما التي فيها ولا تذره بل تهلكه وقيل
تقديره على ما التي فيها لا تبقي ولا تذر غاية العذاب الا وصلته اليه
والثاني انها مستانفة قال ابن الخطيب واختلفوا في قوله لا تبقي
ولا تذر فقيل هما لفظان مترادفان بمعنى واحد كرر للتاكيد في المبالغة
كصد عني واعرض عني بل بينهما فرق وفيه وجوه الاول لا تبقي من
اللحم والعظم والدم شيئا ثم يعاد ولا تذرهم خلقا جديدا فلا تذر ان
تعاود احراقهم باشد مما كانت وهكذا ابدا رواه عطا عن ابن
عباس وقال مجاهد لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم كلما
جددوا وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر عظما وقيل لا تبقي
من المعذبين ولا تذر من قوتها شيئا الا ويستعمل تلك القوة في تعذيبهم
قوله لواحة للبشر قرا العامة بالرفع خبر مبتدا مضمر اي
لواحة وهذه مقوية للاستيناف في لا تبقي وقرا الحسن وابن ابي عبلة
وزيد بن علي وعطية العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر بنصبها على
الحال وفيها ثلاثة اوجه احدها انها حال من سقر والعامل معنى
التعظيم كما تقدم والثاني انها حال من لا تبقي والثالث من لا تذر
وجعل الزمخشري نصبها على الاختصاص للتهويل وجعلها ابو حيان
حالا مؤكدة قال لان النار التي لا تبقي ولا تذر لا تكون الا مغيرة للابشار
ولواحة هنا مبالغة وفيها معنيان احدهما من لاح يلوح اي ظهر اي انها
تظهر للبشر من مسيرة خمسمائة عام وقال الحسن تلوح لهم جهنم حتى
يروها عيانا ونظيره وبرزت الجحيم لمن يرى والثاني واليه ذهب جمهور
الناس انها من لوحه اي غيره وسوده قال الشاعر

تقول ما لاحك يا مسافر ... يا ابنة عمي لاحني الهواجر

وقال رؤبة بن العجاج

لوح منه بعد بدن وسبق ... تلويحك الضامر يطوى للسبق

وقال اخر

وتعجب هند ان راتني شاحبا ... تقول لشيء لوحته السمائم

ويقال لاحه يلوحه اذا غير حليته قال ابو رزين تلفح وجوههم لفحة
تدعها اشد سوادا من الليل قال تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها
كالحون وطعن القائلون بالاول في هذا القول فقالوا لا يجوز ان يصفها
بتسويد الوجوه مع قوله انها لا تبقي ولا تذر وقيل اللوح شدة العطش
يقال لاح العطش ولوحه اي غيره قال الاخفش والمعنى انها معطشة
للبشر اي لاهلها وانشد

سقتني على لوح من الماء شربة ... سقاها به الله الرهام الغواديا

يعني شدة العطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطرة الضعيفة
وارهمت السحابة اتت بالرهام واللوح بالضم الهوى بين السماء والارض
والبشر اما جمع بشرة اي مغيرة للجلود قاله مجاهد وقتادة وجمع البشر
بشار واما المراد به الانس من اهل النار وهو قول الجمهور واللام في
البشر مقوية كهي في للرويا تعبرون وقراءة النصب في لواحة مقوية
لكون لا تبقي في محل الحال قوله عليها تسعة عشر هذه الجملة فيها
الوجهان اعني الحالية والاستيناف وفي هذه الكلمة قراءات شاذة

وتوجيهات



وفي هذه الكلمة قراءات شاذة وتوجيهات تشاكلها فقرا ابو جعفر
وطلحة تسعة عشر بسكون العين من عشر تخفيفا لتوالي خمس حركات
من جنس واحد وهذه كقراءة احد عشر كوكبا وقد تقدمت وقرا انس
وابن عباس تسعة عشر بضم التاء من عشر بالفتح وهذه حركة بناء ولا يجوز ان
يتوهم كونها اعرابا اذ لو كانت للاعراب لجعلت في الاسم الاخير لتنزل
الكلمتين منزلة الكلمة الواحدة وانما عدل الى كراهة توالي خمس حركات
وعن المهدوي من قرا تسعة عشر فكانه من التداخل كانه اراد العطف
فترك التركيب ورفع هاء التانيث ثم راجع البناء واسكن انتهى فجعل الحركة
للاعراب ويعني بقوله اسكن راء عشر فانه في هذه القراءة كذلك وعن
انس رضي الله عنه ايضا تسعة اعشر بضم تسعة وا عشر بهمزة مفتوحة
ثم عين ساكنة ثم شين مضمومة وفيها وجهان قال ابو الفضل يجوز
ان يكون جمع العشرة على اعشر ثم اجراه مجرى تسعة عشر وقال
الزمخشري جمع عشير مثل يمين وايمن وعن انس ايضا تسعة وعشر
بضم التاء وسكون العين وضم الشين وواو مفتوحة بدل الهمزة
وتخريجها كتخريج ما قبلها الا انه قلب الهمزة واوا مبالغة في التخفيف
والضمة كما تقدم للبناء لا للاعراب ونقل المهدوي انه قرا تسعة وعشر
قال فجاء به على الاصل قبل التركيب وعطف عشر على تسعة وحذف
التنوين لكثرة الاستعمال وسكن الراء من عشر على نية الوقف وقرا
سليمان بن قتيبة بضم التاء وهمزة مفتوحة وسكون العين وضم الشين
وجر الراء من اعشر والكلمة على هذا مضمة اعراب لانه اضاف الاسم لما
بعده فاعربهما اعراب المتضايفين كقوله

كلف من عنائه وشقوته ... بنت ثماني عشرة من حجته

قال ابو الفضل ويخبر على هذه القراءة وهي قراءة من قرا اعشر مبنيا
او معربا من حيث هو جمع ان الملائكة الذين هم على سقر تسعون ملكا
تنبيه معنى الاية انه يلي امر تلك النار تسعة عشر من الملائكة
يلقون فيها اهلها قيل هم خزنة النار مالك وثمانية عشر ملكا
وقيل التسعة عشر نقيبا وقال اكثر المفسرين تسعة عشر ملكا باعيانهم
قال ابن القرطبي فذكر ابن المبارك عن رجل من بني تميم قال كنا عند
ابن العوام فقرا هذه الاية فقال ما تسعة عشر تسعة عشر الف ملك
او تسعة عشر ملكا قال قلت لا بل تسعة عشر ملكا قال وانى تعلم ذلك فقلت
لقول الله عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا قال صدقت
قال هم تسعة عشر ملكا قال ابن جرير بلغت النبي صلى الله عليه وسلم
خزنة جهنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينهم كالبرق وانيابهم
كالصياصي واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب من افواههم الحديث
قال ابن الاثير الصياصي قرون البقر وروى الترمذي عن عبد الله قال
قال ناس من اليهود لاناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل
يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا لا ندري حتى نسأله فجاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب اصحابك اليوم فقال وبما
ذا غلبوا قال سالهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فما ذا
قالوا قال قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال
افغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم لكنهم قد سالوا نبيهم فقالوا
ارنا الله جهرة علي باعداء الله اني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك فلما

جاوا قالوا يا ابا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخبرة من الدريك قال ابن الاثير هو الله وقيل الحوار
قال القرطبي الصحيح ان شا الله ان هولا التسعة عشر هم الروسا والنقبا
واما جملتهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت في الصحيح
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف
ملك يجرونها • وقال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل قوله عز وجل
عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي
كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهما اي العدد والشجعان
فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم قال السدي فقال ابو الاسود
ابن كلدة الجمحي لا يهولنكم التسعة عشر انا ادفع بمنكبي الايمن عشرة من
الملايكة وبمنكبي الايسر التسعة ثم تمرون الى الجنة يقولها مستهزيا وفي رواية
ان الحارث بن كلدة قال انا اكفيكم تسعة عشر واكفوني انتم اثنين فلما
قال ابو الاسود ذلك قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملايكة بالحدادين
فجرى مثلا في كل شيين لا تساوي بينهما ومعناه لا تقاس الملايكة بالسجانين
والحدادين والسجانين • ذكر ارباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوها منها
ما قاله ارباب الحكمة ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتيها
النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية
فهي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه
اثنا عشر • واما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة
والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع سبعة فلما كانت
هذه منشا الافات لا جرم كان عدد الزبانية هكذا • ومنها ان ابواب
جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون
النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون
لكل باب من تلك الابواب الستة فالمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق
فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العناد فلا جرم
صار عدد الزبانية تسعة عشر قوله وما جعلنا اصحاب النار الا
ملايكة • روى ان ابا جهل لما نزل قول الله تعالى عليها تسعة عشر قال
ايعجز كل مائة ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار فنزل قوله
عز وجل وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة اي لم نجعلهم رجالا فتغالبوهم
وقيل جعلهم ملايكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم
ما ياخذ المجانس من الرقة والرافة ولا تستروحون اليهم ولانهم اشد الخلق باسا
واقواهم بطشا ولذلك جعل الرسول الى البشر من جنسهم ليكون له رافة
ورحمة بنا وقيل لان قوتهم اعظم من قوة الجن والانس • فان قيل ثبت
في الاخبار ان الملايكة مخلوقون من النور والمخلوق من النور كيف يطيق المكث
في النار • فالجواب ان الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما انه لا استبعد
في ابقا الملايكة هناك من غير الم قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا اي بلية • روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال المعنى
ضلالة للذين كفروا • وقوله تعالى فتنة مفعول ثان على حذف مضاف
اي الا سبب فتنة وللذين صفة لفتنة وليست فتنة مفعولا له
فصل قال ابن الخطيب هذا العدد انما صار سببا لفتنة
الكفار من وجهين • الاول ان الكفار يستهزون ويقولون لم لم يكونوا
عشرين

عشرين وما المقتضي لهذا العدد • والثاني ان الكفار يقولون هذا
العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب اكثر العالم من الجن
والانس من اول ما خلق الله الى قيام القيامة والجواب عن الاول
ان هذا السوال لازم على كل عدد يفرض • وعن الثاني انه لا يبعد ان
الله يرزق ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع جبريل
صلوات الله وسلامه عليه مداين قوم لوط على احد جناحيه ورفعها
الى السما حتى سمع اهل السما صياح ديكتهم ثم قلبها وجعل عاليها سافلها
وايضا فاحوال القيامة لا تقاس باحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال
فصل دلت هذه الاية على ان الله تعالى يريد الفتنة • واجاب
الجبائي بان المراد من الفتنة تشديد العبيد ليستدلوا على انه تعالى
قادر على تقوية هولا التسعة عشر على ما لا يقوى عليه مائة الف ملك اقويا
واجاب الكعبي بان المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المومنون حكمة
التخصيص بالعدد المعين الى علم الله تعالى وهذا من المتشابه الذي امروا
بالايمان به او يكون المراد من الفتنة ما وقعوا فيه من الكفر بسبب تكذيبهم
بعدد الخزنة وحاصله ترك الالطاف والجواب ان يقال هل لا
نزال هذه المتشابهات اثر في تقوية داعية الكفر ام لا فان لم يكن له
اثر في تقوية داعية الكفر لم يكن انزال هذه المتشابهات فتنة للذين
كفروا البتة وان كان له اثر في تقوية داعية الكفر فقد حصل المقصود
لانه اذا ترجحت داعية الفعل صارت داعية الترك مرجوحة والمرجوح
يمتنع تاثيره فيكون الترك ممتنع الوقوع فيصير الفعل واجب الوقوع
والله اعلم قوله تعالى ليستيقن الذين متعلق بجعلنا الا فتنة
وقيل بفعل مضمر اي فعلنا ذلك ليستيقن فصل معنى الكلام
ليوقن الذين اعطوا التورية والانجيل ان هذه خزنة جهنم موافقة
لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم ثم يحتمل ان
يريد الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام • ويحتمل ان يريد الكل ويزداد الذين
امنوا ايمانا بتصديقهم بعدد خزنة النار • قال ابن الخطيب فان قيل
حقيقة الايمان عندكم لا تقبل الزيادة والنقصان فما قولكم في هذه الاية
فالجواب نحمله على ثمرات الايمان وعلى اثاره ولوازمه قوله ولا يرتاب
اي ولا يشك الذين اوتوا اي اعطوا الكتاب والمومنون اي المصدقون من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان خزنة جهنم تسعة عشر • فان
قيل لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمومنين
فما الفايدة في قوله تعالى بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون
فالجواب ان الانسان اذا اجتهد في امر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل
له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود
الشك فاثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك
ففايدة هذه الاعادة نفي ذلك الشك وانه حصل له يقين جازم لا يحصل عقبه
شك البتة قوله وليقول الذين في قلوبهم مرض اي في صدورهم شك ونفاق
يعني منافقي اهل المدينة الذين يحيون في مستقبل الزمان بعد الهجرة وهذا
اخبار عما سيكون فهو معجزة والكافرون اي اليهود والنصارى ماذا اراد الله
بهذا مثلا يعني بعدد خزنة جهنم وهذا قول اكثر المفسرين • وقال الحسين بن الفضل
السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية الخلاف والمراد بالكافرين
مشركوا العرب ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان

اكثرهم مشركين وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله تعالى اخبارا عنهم ماذا
اراد الله بهذا مثلا اي بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا من الحديث
قال الليث رحمه الله المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون
اي حديثها والخبر عنها وقال ابن الخطيب انما سموه مثلا لانه لما كان
هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله منه ما اشعر
به ظاهره بل جعله مثلا لشيء اخر وتنبيها على مقصود اخر لا جرم سموه مثلا
لانهم لما استغربوه ظنوا انه ضرب مثلا لغيره ومثلا تمييز او حال وتسمية
هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته **فصل** اللام في قوله تعالى
وليقول الذين في قلوبهم مرض جار على اصول اهل السنة لان ذلك مراد وعند
المعتزلة هي لام العاقبة ونسبوه الى الله عز وجل سبحانه وتعالى مع انهم
ينكرون ذلك اما على سبيل التهكم واما على ما يقولونه **قوله** كذلك
نعت لمصدر او حال منه على ما عرف وذلك اشارة الى ما تقدم من الاضلال
والهدى اي مثل ذلك الاضلال والهدى يضل الله من يشاء اي كاضلال الله
ابي جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم يضل اي يعمي ويخزي من يشاء
ويهدي من يشاء ويرشد من يشاء كارشاد اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذه الاية تدل على مذهب اهل السنة لانه تعالى قال
في اول الاية وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وقال جل ذكره في اخر
الاية وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا
ثم قال سبحانه وتعالى كذلك يضل الله من يشاء واما المعتزلة فذكروا
تاويلاتهم المشهورة وتقدم اجوبتها **قوله** وما يعلم جنود ربك الا
هو جنود ربك مفعول واجب التقديم لحصر فاعله ولعود الضمير على ما
اتصل بالمفعول **فصل** اي وما يدري عدد ملائكة ربك الذي
خلقهم لتعذيب اهل النار الا هو اي الله عز وجل وهذا جواب لابي جهل
حين قال اما لاء لمحمد صلى الله عليه وسلم من الجنود الا تسعة عشر
الاف لكل واحد منهم من الاعوان والجنود ما لا يعلم عددهم الا هو ويجوز
ان يكون المعنى وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم
الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق وهو جل جلاله يعلمها
او يكون المعنى انه لا حاجة بالله سبحانه في تعذيب الكفار والفساق الى اعوان
الخزنة بل هو الذي يعذبهم في الحقيقة وهو الذي يخلق الالم فيهم ولو انه تعالى
قلب شعرة في عين ابن ادم او سلط الالم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه
ذلك بلاء ومحنة فلا يلزم من تقليل عدد الخزنة قلة العذاب فجنود الله
تعالى غير متناهية لا معدود وانه غير متناهية قال صلى الله عليه وسلم
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها اربع اصابع الا وفيها ملك ساجد **قوله**
جل ذكره وما هي يجوز ان يعود الضمير على سقر اي وما سقر الا تذكرة اعظه
للبشر وان يعود على الايات المذكورة فيها او النار لتقدمها او الجنود لانه
اقرب مذكور ونار الدنيا وان لم يجر لها ذكر لانه تذكرة للنار الاخرة قاله
الزجاج او ما هذه العدة الا ذكرى للبشر ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله
تعالى وانه سبحانه لا يحتاج الى اعوان وانصار والبشر مفعول بذكرى واللام
فيه مزيدة **قوله** كلا والقمر قال الفراء صلة للقسم التقدير اي والقمر وقيل
المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على كلا واجاز الطبري الوقف
عليها وجعلها ردا على الذين زعموا انهم يقاومون خزنة جهنم اي ليس الامر
كما يقول من زعم انه يقاوم خزنة النار ثم اقسم على ذلك بالقمر وبما بعده
وقيل هنا انكار بعد ان جعلها ذكرى اي يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون
ديل

وقيل هو ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا وقيل ردع عن الاستهزاء
بالعدة المخصوصة **قوله** والليل اذ ادبر قرا نافع وحمزة وحفص
اذ ظرفا لما مضى من الزمان ادبر بزنة اكرم والباقون اذا ظرفا لما يستقبل
دبر بزنة ضرب والرسم محتمل لكليهما في الصورة الخطية لا تختلف واختار
ابو عبيدة قراءة اذا قال لان بعده اذا اسفر قال وكذلك هي في حرف عبد الله
يعني انه مكتوب بالفين بعد الدال احداهما الف اذا والاخرى همزة ادبر قال
وليس في القران قسم يعقبه اذ وانما يعقبه اذا واختار ابن عباس رضي الله عنه
اذ ويحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير واختلفوا هل دبر
وادبر بمعنى ام لا فقيل هما بمعنى واحد يقال دبر الليل والنهار وادبر وقيل
واقبل ومنه قولهم امس الدابر فهذا من دبر وامس المدبر قال صخر بن عمرو
الشريد السلمي

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا ... وتركت مرة مثل امس الدابر

ويروى المدبر وهذا قول الفراء والاخفش والزجاج واما ادبر الراكب
واقبل فرباعي لا غير وقال يونس دبر انقضى وادبر تولى ففرق بينهما
وقال الزمخشري ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقيل ومنه صار
والخامس الدابر وقيل هو من دبر الليل والنهار اذا خلفه وذكر الطبري
عن بعض اهل اللغة دبر الليل اذا مضى وادبر اخذ في الادبار وقرا محمد
ابن السميفع والليل اذا ادبر بالفين وكذلك هي في مصحف عبد الله
وابي وقال قطرب من قرا دبر فيعني اقبل من قول العرب دبر فلان
اذا جاء من خلف وهي لغة قريش **قوله** والصبح اذا اسفر اي اضاء
وفي الحديث اسفروا بالفجر ومنه قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة
اي مضيئة وقرا العامة اسفر بالالف وعيسى بن الفضل وابن السميفع
رحمهما الله تعالى سفر ثلاثيا والمعنى طرح الظلمة عن وجهه حسنا اي
اشرق وسفرت المراة اي كشفت عن وجهها فهي سافرة قال القرطبي
ويجوز ان يكون سفر الظلام اي كنسه كما يسفر البيت اي يكنس ومنه
السفير لما يسقط من ورق الشجر ويتحات يقال انما سمي سفيرا لان الريح
تسفره اي تكنسه والمسفرة المكنسة **قوله** انها اي النار
وقيل ان قيام الساعة كذا حكاه ابو حيان وفيه شيئان عود ضمير على
غير مذكور وكون المضاف اكتسب تانيثا وقيل ان النذارة وقيل
هو ضمير القصة وهذا جواب القسم وتعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد
قاله الزمخشري قال شهاب الدين وحينئذ يحتاج الى تقدير جوازه
وفيه تكلف وخروج عن الظاهر **قوله** لاحدى الكبر قرا العامة
لاحدى الكبر بهمزة واصلها واو من الوحدة وقرا نصر بن عاصم وابن
محيصن ويروى عن ابن كثير لحدى بحذف الهمزة وهذا من الشذوذ بحيث
لا يقاس عليه وتوجيهه ان يكون ابدلها الفا ثم حذفها لالتقاء
الساكنين وقياس تخفيف مثل هذا تخفيفها بين بين الالف كالالف لواحدى
الف احدى مقطوع لا يذهب في الوصل والكبر جمع كبرى كالفضل جمع فضلى
قال الزمخشري الكبر جمع الكبرى مثل الف التانيث فكما جمعت فعلة على
فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي جمع السافية وهو التراب الذي تنسفه
الريح والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة قال ابن الخطيب **فصل**
معنى احدى الكبر اي احدى الدواهي قال

يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر ... داهية الدهر وصماء الغير

ومثله هو احد الرجال واحدى النساء لمن يستعظمونه والمراد من الكبر دركات

جهنم وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير والجحيم والهاوية وسقر
اعاذنا الله منها وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسما النار وعن ابن عباس
انها اي تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اي لكبيرة من الكباير
قوله نذيرا فيه اوجه احدها انه تمييز عن احدى لما ضمنت معنى
التعظيم كانه قيل اعظم الكبر انذارا فنذير بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار
كانه قيل انها لاحدى الدواهي انذارا ومثل هي احدى النسا عفافا الثاني
انه مصدر بمعنى الانذار ايضا ولكنه نصب بفعل مقدر قاله الفرا الثالث
انه فعيل بمعنى مفعل وهو حال من الضمير في انها قاله الزجاج وذكر ان
معناه معنى العذاب اذا اراد انها ذات انذار على معنى النسب كقولهم
امراة طالق وطاهر قال الحسن رضي الله عنه والله ما انذر الخلايق بشي
ادهى منها الرابع انه حال من الضمير في احدى لتاويلها بمعنى العظمى
الخامس انه حال من فاعل قم اول السورة والمراد بالنذير محمد صلى الله
عليه وسلم اي قم نذيرا للبشر اي مخوفا لهم قاله ابو علي الفارسي وابن
زيد وروي عن ابن عباس وانكره الفرا قال ابن الانباري قال بعض
المفسرين معناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لطول ما بينهما
السادس انه مصدر منصوب باذكر اول السورة كانه قال انذار
للبشر قال الفرا يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا فهو
كقوله تعالى فكيف كان نذير اي انذاري فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة
السابع هو حال من الكبر الثامن حال من ضمير الكبر التاسع انه منصوب
باضمار اعني العاشر انه حال من لاحدى قاله ابن عطية الحادي عشر
انه منصوب بادع مقدرا اذ المراد به الله تبارك وتعالى روى ابو معاذ
الضرير حدثنا اسماعيل بن سميع عن ابي رزين نذيرا للبشر قال
يقول الله عز وجل انا لكم منها نذير فاتقوها ونذيرا على هذا نصب على
الحال اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة منذرا بذلك البشر الثاني
عشر انه منصوب بناذر او بلغ او المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
الثالث عشر انه منصوب بما دلت عليه الجملة تقديره عظمت نذيرا
الرابع عشر هو حال من الضمير في الكبر الخامس عشر انها حال من هو
في قوله وما يعلم جنود ربك الا هو السادس عشر انه مفعول من اجله
الناصب لها ما في الكبر من معنى الفعل قال ابو البقا انها لاحدى
الكبر لانذار البشر فظاهر هذا انه مفعول من اجله واعلم ان النصب
قراءة العامة وقرا ابي بن كعب وابن ابي عبلة بالرفع فان كان المراد
النار جاز فيه وجهان ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون خبر مبتدا مضمر
اي هي نذير والتذكير لما تقدم من معنى النسب وان كان المراد الباري تعالى
او رسوله صلى الله عليه وسلم كان على خبر مبتدا مضمر اي هو نذير للبشر
اما صفة واما مفعول لنذير واللام مزيدة لتقوية العامل قوله لمن
شا فيه وجهان احدهما انه بدل من البشر باعادة العامل كقوله لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم وللذين استضعفوا لمن امن منهم وان يتقدم مفعول
شا اي نذيرا لمن شا التقدم او التاخر وفيه ذكر مفعول شا وقد تقدم
انه لا يذكر الا اذا كان فيه غرابة الثاني وبه بدا الزمخشري ان يكون لمن
شا خبرا مقدما وان يتقدم مبتدا موخرا قال كقولك لمن توضا ان يصلي
ومعناه مطلق لمن شا التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر انتهى فقوله
التقدم والتاخر هو مفعول شا المقدر قال ابو حيان رحمه الله قوله
ان يتقدم هو المبتدا معنى لا يتبادر الذهن اليه وفيه حذف قال القرطبي

اللام

اللام في لمن شا متعلقة بالنذير اي نذيرا لمن شا منكم ان يتقدم الى
الخير او يتاخر الى الشر والمعصية نظيره ولقد علمنا المستقدمين منكم
اي في الخير ولقد علمنا المستاخرين عنه قال الحسن هذا وعيد وتهديد
وان خرج مخرج الخبر كقوله تعالى فمن شا فليومن ومن شا فليكفر وقيل
المعنى لمن شا الله ان يتقدم او يتاخر فالمشية متصلة بالله عز وجل
والتقديم الايمان والتاخير الكفر وكان ابن عباس يقول هذا تهديد
واعلام ان من تقدم الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
جوزي بثواب لا ينقطع ومن تاخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى
الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع وقال السدي لمن شا منكم ان
يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة

فصل

احتج المعتزلة بهذه الاية على كون العبد متمكنا من الفعل غير مجبور
عليه وجوابه ان هذه الاية دلت على ان فعل العبد معلق على مشيته
لكن مشية العبد على مشية الله تعالى جل ذكره وما تشاون الا ان
يشا الله وحينيذ تصير الاية حجة عليهم قال ابن الخطيب وذكر اصحابنا
جوابين اخرين الاول معنى اضافة المشية الى المخاطبين التهديد
كقوله عز وجل فمن شا فليومن ومن شا فليكفر الثاني ان هذه
المشية لله تبارك وتعالى على معنى لمن شا الله منكم ان يتقدم او
يتاخر قوله كل نفس بما كسبت رهينة فيه اوجه احدها ان
رهينة بمعنى رهن كالشتيمة بمعنى الشتم قاله الزمخشري ليست
بتانيث رهين ومنه بيت الحماسه

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذي تراب وجندل

كانه قال رهن رمس الثاني ان الها للمبالغة الثالث ان التانيث
لاجل اللفظ واختار ابو حيان انها بمعنى مفعول وانها كالنطيحة قال
ويدل على ذلك انه لما كان خبرا عن المذكر كان بغير ها قال تعالى كل امرئ
بما كسب رهين فانث حيث كان خبرا عن المذكر اتى بغير تا وحيث كان
خبرا عن مونث اتى بالتا فاما التي في البيت فانث على معنى النفس

فصل

ومعنى رهينة اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما
تخلصها واما توبقها قوله الا اصحاب اليمين فيه وجهان احدهما
انها استثنا متصل اذ المراد به المسلمون الخالصون الصالحون فانهم
فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه باعطاء
الحق والثاني انه منقطع اذ المراد بهم الاطفال والملايكة قال
ابن عباس المراد بهم الملايكة وقال علي بن ابي طالب وابن عمر رضي الله
عنهم هم اولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا وقال الضحاك هم
الذين سبقت لهم منا الحسنى ونحوه عن ابن جريج قال كل نفس بعملها
محاسبة الا اصحاب اليمين وهم اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا
قال مقاتل والكلبي ايضا هم اصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين ادم
عليه الصلوة والسلام يوم الميثاق حين قال الله لهم هولا في الجنة ولا ابالي
قال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم
ادوا ما كان عليهم وعن ابي ظبيان عن ابن عباس قال هم المسلمون
وقيل اصحاب الحق واهل الايمان وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم
وقال ابو جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين وكل من ابغضنا
اهل البيت فهم المرتهنون قوله في جنات يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر
اي هم في جنات وان يكون حالا من اصحاب اليمين وان يكون حالا من فاعل

يتساءلون ذكرها ابو البقا • ويجوز ان يكون ظرفا يتساءلون وهو
اظهر من الحالية من فاعله ويتساءلون يجوز ان يكون على بابه اي
يسال بعضهم بعضا وان يكون بمعنى يتساءلون اي يسالون غيرهم
نحو دعوته وتداعيته قوله عن المجرمين فيه وجهان • الاول
ان يكون كلمة عن صلة زائدة • والتقدير يسالون المجرمين فيقولون
لهم ما سلككم في سقر فانه يقال سالته كذا وسالته عن كذا • الثاني
ان يكون المعنى ان اصحاب اليمين يسال بعضهم بعضا عن احوال المجرمين
فان قيل فعلى هذا يجب ان يكون يقولوا ما سلككم في سقر • فاجاب
الزمخشري فقال المراد من هذا ان المشركين يلقون ما جرى بينهم وبين
المومنين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر وفيه وجه اخر وهو
ان المراد ان اصحاب اليمين كانوا يتساءلون عن المجرمين اين هم فلما راوهم
قالوا لهم ما سلككم في سقر والاضمارات كثيرة في القران قوله ما سلككم
يجوز ان يكون على اضمار القول وذلك القول في موضع الحال اي يتساءلون
عنهم قائلين لهم ما سلككم وهو سوال المجرمين فقوله يتساءلون عن المجرمين
وهم سوال عنهم وانما كان منطبقا على ذلك لو قيل يتساءلون عن المجرمين ما
سلككم • قلت قوله تعالى ما سلككم ليس ببيان للتساول عنهم وانما
حكاية قول المشركين عنهم لان المشركين يلقون الى السايلين ما جرى بينهم
وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر اي ادخلكم في سقر كما
تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته فيه والمقصود من هذا زيادة
التوبيخ والتخجيل والمعنى ما ادخلكم في هذه الدركة من النار فاجابوا
ان العذاب لامور اربعة ثم ذكروها وهي قولهم لم نك من المصلين
قال الكلبي رحمه الله يسال الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه
فيقول له يا فلان وفي قراءة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلككم في سقر
وهي قراءة على التفسير لا انها قران كما زعم من طعن في القران قاله ابن الانباري
وقيل ان المومنين يسالون الملايكة عن اقربايهم فتسال الملايكة المشركين
فيقال لهم ما سلككم في سقر قال القراني هذا ما يقوى ان اصحاب اليمين
هم الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب قوله لم نك من المصلين
هذا اعتراف الدليل على سلكنا كذا الواقع جوابا لقول المومنين لهم ما سلككم
وقد تقدم في الشرع فصل قال القرطبي معنى قولهم لم نك من المصلين
يعني اهل الصلاة اي المومنين الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين اي لم
نك نتصدق • قال ابن الخطيب وهذا يجب ان يكونا محمولين على الصلاة
الواجبة والزكاة لان ما ليس بواجب لا يجوز ان يعذبوا على تركه وكنا نخوض
مع الخايضين اي في الاباطيل • وقال ابن زيد نخوض مع الخايضين في امر محمد
صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لعنهم الله انه كاهن مجنون شاعر ساحر
كذبوا واتقوا لعنه الله ليس فيه شي من ذلك صلى الله عليه وسلم • وقال قتادة
كلما غوي غاو غوينا معه • وقيل معناه وكنا اتباعا ولم نك متبوعين
وقولهم وكنا نكذب بيوم الدين اي نكذب بيوم القيمة يوم الجزا والحكم
حتى اتانا اليقين اي جانا الموت قال الله تعالى حتى ياتيك اليقين
وهذه الاية تدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة • فان قيل لم
اخر التكذيب وهو اخس تلك الخصال الاربع فالجواب اريد انهم بعد
اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض تعظيم
هذا الذنب لقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا قوله فما تنفعهم شفاعة
الشافعين كقوله • على لاحب لا يهتدى بمناره • في احد وجهيه اي لا شفاعة

لهم

لهم فلا انتفاع بها وليس المراد ان ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الاية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين
من هذه الامة بمفهومها لان تخصيص هولا بانهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين
يدل على ان غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين • وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه يشفع نبيكم رابع اربعة جبريل • ثم ابراهيم • ثم موسى
او عيسى • ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم • ثم الملايكة • ثم النبيون • ثم
الصديقون • ثم الشهدا ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين • قال
عبد الله بن مسعود فهولا الذين في جهنم قوله فما لهم عن التذكرة
معرضين اي فما لاهل مكة قد اعرضوا وولوا • قال مقاتل معرضين عن القران
من وجهين • احدهما الجحود والانكار والثاني ترك العمل بما فيه • وقيل المراد
بالتذكرة العظة بالقران وغيره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير في
الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية وقد تقدم ان مثل هذه الحال تسمى
حالا لازمة وتقدم بحث حسن • وعن التذكرة متعلق به • قال القرطبي
وفي اللام معنى الفعل فانتصاب الحال على معنى الفعل • قال ابن الخطيب هو
كقولك ما لك قايما قوله كانهم حمر هذه الجملة يجوز ان يكون حالا
من الضمير في الجار وتكون بدلا من معرضين قاله ابو البقا يعني انها كالمشتملة
عليها وان يكون حالا من الضمير في معرضين فيكون حالا متداخلة وقرا العامة
حمر بضم الميم والاعمش باسكانها وقرا نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفا
على انه اسم مفعول اي ينفرها القناص والباقون بالكسر بمعنى نافرة
يقال استنفر ونفر بمعنى • مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر
قال الشاعر

امسك حمارك انه مستنفر • في اثر احمرة عمدن لغرب

وقال الزمخشري وكانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه
فابقى السين على بابها من الطلب وهو معنى حسن • قال ابو علي الفارسي
الكسر في مستنفرة اولى لقوله فرت للتناسب لانه يدل على انها استنفرت
ويدل على صحة ذلك ما روى محمد بن سلام قال سالت ابا سوار الغنوي
وكان عربيا فصيحا فقلت كانهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها قسورة
فقلت انما هو فرت من قسورة فقال افرت قلت نعم قال فمستنفرة
اذا فانتهى يعني المقامع قولها طرد تناسب الفتح لانها اسم مفعول
فلما اخبر بان التلاوة فرت من قسورة رجع الى الكسر للتناسب الا ان يمثل
هذه الحكاية لا ترد القراة المتواترة والقسورة قيل الصايد ان يعرف
وهربت من قسورة اي من الصايد وقيل الرماة اي رماه يرمونها فهو
اسم جمع لا واحد له قال بعض اهل اللغة ان القسورة الرامي وجمعه القسورة
ولذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن
كيسان القسورة هم الرماة والصيادون ورواه عطا عن ابن عباس وابو
ظبيان عن ابي موسى الاشعري وانشدوا للبيد بن ربيعة •

اذا ما هتفنا هتفة في ندينا • اتانا الرجال العائدون القساوره

وقيل القسورة الاسد قاله ابو هريرة وابن عباس ايضا رضي الله عنه قال
ابن عرفة من القسر بمعنى القهر اي انه يقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع
ومنه قول الشاعر •

مضمر تحذره الابطال • كانه القسورة الرهال

اي الاسد الا ان ابن عباس انكره • وقال لا اعرف القسورة في لغة احد

من العرب وانما القسورة عصب الرجال وانشد

يا بنت كوني خيرة لخيره ... اخوالها الجن واهل القسوره

وقيل القسورة ظلمة الليل قاله ابن الاعرابي وهو قول عكرمة وعن ابن عباس ركز الناس اي حسهم واصواتهم وعنه ايضا فرت من قسورة اي من حبال الصيادين وعنه ايضا القسورة بلسان الحبشة الاسد وخالفه عكرمة فقال الاسد بلسان الحبشة عنبسه وبلسان الحبشة الرماه وبلسان فارس شير وبلسان النبط اريا وقيل هو اول سواد الليل ولا يقال لاخر سواد الليل قسوره

فصل قال ابن عباس كان هولا الكفار في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم حمر مستنفرة قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية قال الزمخشري وفي تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولا يرى مثل نفار حمر الوحش واطرادها في العدو اذا خافت من شي قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة اي يعطى كتبا مفتوحة وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لا نومن بك حتى تاتي كل واحد منا بكتاب من السما عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونومر فيه باتباعك ونظيره لن نومن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل واحد منا صحيفه فيها براة من النار وقال مطر الوراق ارادوا ان يعطوا بغير عمل وقال الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرايل كان يصبح عند راسه مكتوبا ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك قال ابن الخطيب وهذا من الصحف المنشرة بمعزل وقيل المعنى ان يذكر بذكر جميل فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما بالنا لا نرى ذلك قوله منشرة العامة على التشديد من نشره بالتخفيف وابن جبير منشرة بالتخفيف ونشر وانشر مثل نزل وانزل والعامة ايضا على ضم الحا من صحف وابن جبير على تسكينها قال ابو حيان والمحفوظ في الصحيفة والثوب نشر مخففا ثلاثيا وهذا مردود بالقران المتواتر وقال ابو البقا في قراة ابن جبير من انشرت اما بمعنى امر بنشرها مثل الحمل عرض فلان او بمعنى منشور مثل احمدت الرجل او بمعنى انشر الله الميت اي احياه فكانه احياها فيها بذكره

قوله كلا اي ليس يكون ذلك وقيل حقا والاول اجود لانه رد لقولهم ثم قال بل لا يخافون الاخرة اي لاعظيم ما يتمنون لانهم لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التامل اغترارا بالدنيا فانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة تكون عبثا قوله كلا انه تذكرة اي حقا ان القران عظة وقيل هذا ردع لهم عن اعراضهم عن التذكرة انه تذكرة بليغة فمن شا ذكره اي اتعظ به وجعله نصب عينه والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر والقران وقيل الضمير فانه للقران او الوعيد قوله وما يذكرون قرا نافع بالخطاب وهو التفات من الغيبة الى الخطاب والباقون بالغيبة حملا على ما تقدم من قوله كل امرئ ولم يوثروا الالتفات في قراة الخطاب هي قراة ابي حاتم لانه [illegible] قراة الغيبة فهي اختيار ابي عبيد لقوله تعالى كلا بل لا يخافون الاخرة [illegible] على تخفيفها قوله الا ان يشا الله بمعنى الا وقت مشيته [illegible] عن الزمان بل على حذف مضاف قالت المعتزلة معناه الا ان يقدرهم الله تعالى

على

على الذكر ويلجيهم اليه واجيبوا بانه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى منه حال المشية المطلقة فيلزم انه متى حصلت المشية ان يحصل الذكر مطلقا بحيث لم يحصل الذكر علمنا انه لم يحصل المشية وتخصيص المشية القهرية ترك للظاهر قوله هو اهل التقوى واهل المغفرة اي حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيومنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا امنوا واطاعوا روى الترمذي وابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله تعالى هو اهل التقوى واهل المغفرة قال قال الله تعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له وقال بعض المفسرين اهل المغفرة لمن تاب اليه من الذنوب الكبار واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغار روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يا ايها المدثر اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة والله اعلم

سورة القيمة مكية

وهي تسع وثلاثون اية ومايتان وسبع وتسعون كلمة وستماية واثنان وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة العامة على لا نافية واختلفوا حينيذ فيها على اوجه احدها انها نافية لكلام تقدم كان الكفار ذكروا اشيا فقيل لهم لا ثم ابتدا قسما قال القرطبي رحمه الله ان القران جا بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجا الاقسام بالرد عليهم كقولك والله لا افعل فلا رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيمة لحق كانك اكذبت قوما انكروه والثاني انها مزيدة قال الزمخشري وقالوا انها مزيدة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله عز وجل ما منعك ان لا تسجد وقوله في بير لا حور سرى وما شعر قال ابن الخطيب وهذا القول عندي ضعيف من وجوه اولها ان تجويز هذا يفضي الى الطعن في القران لان على هذا التقدير يجوز جعل النفي اثباتا والاثبات نفيا وذلك يبطل الاعتماد على الكلام نفيا واثباتا وثانيها ان الحرف انما يزاد في وسط الكلام فان امرا القيس زادها في مستهل قصيدته وهو قوله

لا وابيك ابنة العامري ... لا يدعي القوم اني افر

وايضا ذهب ان هذا الحرف في اول الكلام الا ان القران كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض بدليل انه قد يذكر الشي في سورة ثم يجي جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى جل ذكره ما انت بنعمة ربك بمجنون ثم جا جوابه في سورة اخرى يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى اوسط الكلام والجواب عن الاول ان قوله لا وابيك قسم عن النفي وقوله لا اقسم نفي للقسم لانه على وزان قولنا لا افعل لا اضرب لا ابصر وذلك يفيد النفي بدليل انه لو حلف لا يقسم كان البر بترك القسم والحنث بفعل القسم فظهر ان البيت المذكور ليس من هذا الباب وعن الثاني ان القران الكريم كالسورة الواحدة في عدم التناقض فاما ان تقرن كل اية بما قرنت بالاخرى فذلك غير جائز لانه يلزم جواز ان يقرن بكل اثبات حرف النفي الوارد في ساير الايات وذلك يقتضي انقلاب كل اثبات نفيا وانقلاب كل نفي اثباتا وانه

لايجوز • وثانيها ان المراد بقولنا لا صلة انه لغو باطل يجب طرحه
واسقاطه حتى ينتظم الكلام • ووصف كلام الله تعالى بذلك لايجوز •
الوجه الثالث قال الزمخشري ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض
في كلامهم واشعارهم قال امرئ القيس: لا وابيك ابنة العامري •
البيت المتقدم • وقال عروة بن سلمى •
• الا بادت امامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي •
وفايدتها توكيد القسم في الرد ثم قال بعد ان حكى وجه الزيادة
الاعراض والجواب كما تقدم والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك
انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول
ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل
ان لا نفي لكلام ورد قبل ذلك انتهى • قال ابن الخطيب كانهم انكروا
البعث فقيل لا ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة وقال
وهذا فيه اشكال لان اعادة حرف النفي اخرى في قوله ولا اقسم بالنفس
اللوامة مع ان المراد ما ذكروه يقدح في فصاحة الكلام • قال شهاب الدين
رحمه الله فقول الزمخشري والوجه ان يقال الى قوله يعني يستاهل فوق
ذلك تقرير لقوله ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الى اخره
وحاصل الكلام يرجع الى انها نافية وان النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى
الذي شرحه وليس فيه منع لفظا ولا معنى • ثم قال فان قلت قوله تعالى
فلا وربك لا يومنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا
زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطية للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت
المقسم عليه المحذوف هاهنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة
لا يترك سدى • قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا
القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف نفي لا اقسم بهذا البلد بقوله
لقد خلقنا الانسان ولذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله
انه لقرآن كريم وهذا من محاسن كلامه • وقرا قنبل والبزي بخلاف
عنه لاقسم بلام بعدها همزة دون الف وفيها اوجه • احدها انها
جواب لقسم مقدر تقديره والله لاقسم والفعل للحال فلذلك لم
تات نون التوكيد وهذا مذهب الكوفيين • واما البصريون فلا يجيزون
ان يقع فعل الحال جوابا للقسم فان ورد ما ظاهره ذلك جعل الفعل خبرا
لمبتدا مضمر فيعود الجواب جملة اسمية قدر احد جزيها وهذا عند بعض
من ذلك التقدير والله لانا اقسم • الثاني انه فعل مستقبل وانما لم يات
بنون التوكيد لان افعال الله تعالى حق وصدق فهي غنية عن التاكيد كذا
قاله غيره على ان سيبويه حكى حذف النون الا انه قليل والكوفيون
يجيزون ذلك من غير قلة اذ من مذهبهم جواز تعاقب اللام والنون فمن
حذف اللام قوله وقيل برة ابا رات فانه فرع وان اخالهم يثارا ولا تارك
ومن حذف النون وهو نظير الاية الكريمة قول الاخر •
• لين تك قد ضاقت عليكم بيوتكم • ليعلم ربي ان بيتي واسع •
الثالث انها لام الابتدا وليست بلام القسم • وقال ابو البقا كقوله وان
ربك ليحكم والمعروف ان لام الابتدا لا تدخل على المضارع الا في خبر ان وان ربك
ليحكم والمعروف ان لام الابتدا لا تدخل على المضارع وهذه الاية نظير الاية
التي في يونس ولا ادراكم به فانهما قراها بقصر الالف والكلام فيها قد تقدم
ولم يختلف في قوله ولا اقسم انه بالف بعد لا لانه لم يرسم الا كذا بخلاف الاول
فانه

فانه رسم بدون الف بعد لا وكذلك في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد
لم يختلف فيه انه بالف بعد لا وجواب القسم محذوف تقديره
لتبعثن دل عليه قوله ايحسب الانسان • وقيل الجواب ايحسب
وقيل هو بلى قادرين • ويروى عن الحسن البصري • وقيل المعنى على نفي
القسم والمعنى اني لا اقسم على شي ولكن اسالك ايحسب الانسان وهذه
الاقوال شاذة منكرة ولا تصح عن قايلها لخروجها عن لسان العرب
وانما ذكرناها تنبيها على ضعفها **فصل** قال ابن عباس وابن
جبير معنى الكلام اقسم بيوم القيمة وهو قول ابي عبيدة ومثله قوله •
• تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • فكاد ضمير القلب لا يتقطع •
قوله بيوم القيمة اي بيوم يقوم الناس فيه لربهم ولله عز
وجل ان يقسم بما شاء ولا اقسم بالنفس اللوامة لا خلاف في هذا بين
القرا وانه سبحانه جل ذكره انما اقسم بيوم القيمة تعظيما لشانه وعلى
قراة ابن كثير اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وقيل ولا اقسم بالنفس
اللوامة رد اخر ابتدا فقسم بالنفس اللوامة • قال الثعلبي والصحيح انه
اقسم بهما جميعا ومعنى بالنفس اللوامة اي نفس المومن الذي لا تراه يلوم
الا نفسه يقول ما اردت بكذا ولا تراه الا وهو يعاتب نفسه قاله
ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم • قال الحسن هي والله نفس المومن
الا يلوم نفسه ما اردت بحديثي والفاجر لا يحاسب نفسه • وقال
مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على الشر لم فعلته
وعلى الخير لم تستكثر منه • وقيل يلوم نفسها بما يلوم عليه غيرها • وقيل
المراد ادم صلوات الله وسلامه عليه لم يزل لايما لنفسه على معصيته
التي اخرج بها من الجنة • وعن ابن عباس رضي الله عنه انها الملومة فتكون
صفة ذم وهو قول من نفى ان يكون قسما وعلى الاول صفة مدح فيكون
القسم بها سايغا • وقال مقاتل هي نفس الكافر تلوم نفسه وتتحسر في
الاخرة على ما فرط في جنب الله تعالى **قوله** ايحسب الانسان
ان لن هذه ان المخففة وتقدم حكمها في المايدة وغيرها ولن وما في حيزها
في موضع الخبر والفاصل هنا حرف النفي وهي وما في حيزها سادة مسد مفعول
حسب او مفعوليه على الخلاف والعامة على نجمع بنون العظمة وعظامه
نصب مفعولا به • وقتادة يجمع بيا من تحت مضموما على ما لم يسم فاعله عظامه
رفع لقيامه مقام الفاعل **فصل** قال الزجاج اقسم بيوم القيمة
وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث فهذا جواب القسم محذوف
اي لتبعثن والمراد بالانسان الكافر المكذب بالبعث قيل نزلت في عدي
ابن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم حدثني بيوم القيمة متى تكون
وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو
عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم او من به او يجمع الله العظام
ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السو عدي
ابن ربيعة والاخنس بن شريق • وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل حين
انكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها لان العظام قالب
الخلق • وقيل المراد بالانسان كل من انكر البعث مطلقا **قوله** بلى ايجاب
لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو وقف حسن ثم يبتدي قادرين
فقادرين حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرنا من التقدير
وقيل المعنى بل نجمعها نقدر قادرين نصب على الخروج من نجمع اذ نقدر
ونقوى قادرين على اكثر من ذلك • وقال ايضا يصلح نصبه على التكرير

أي بلى نجمعها قادرين. وقيل المضمر كنا قادرين في الابتداء وقد عرف
به المشركون. وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع قادرون رفعا على خبر ابتداء
مضمر أي نحن قادرون على أن نسوي بنانه والبنان عند العرب الأصابع
واحدها بنانة قال عنترة وإن الموت طوع يدي إذا ما وصلت بنانها
نبه بالبنان على بقية الأعضاء وأيضا فإنها أضعف العظام فخصها الله
جل وعز بالذكر لذلك قال الحسن والزجاج وزعموا أن الله لا يبعث الموتى
ولا يقدر على جمع العظام فقال الله تعالى بلى قادرين على أن نعيد السلاميات
على صغرها ونؤلف بينها حتى تستوي ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار
أقدر. وقال ابن عباس وعامة المفسرين على أن نسوي بنانه أي نجعل أصابع
يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار أو كظلف الخنزير ولا
يمكنه أن يعمل به شيئا ولكنا فرقنا أصابعه حتى يعمل بها ما شاء. وقيل
نقدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها
وهو كقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما
لا تعلمون والأول أشبه بمساق الآية فصل قال ابن الخطيب
رحمه الله وفي الآية إشكالات. أحدها ما المناسبة بين القيامة والنفس
اللوامة حتى جمع الله بينهما في القسم. وثانيها على وقوع القيامة. وثالثها
قال جل ذكره أقسم بيوم القيامة ولم يقل والقيامة كما قال عز وجل في سائر
السور والطور والذاريات والضحى. والجواب عن الأول من وجوه
أحدها أن أحوال القيامة عجيبة جدا ثم المقصود من إقامة القيامة
إظهار أحوال النفوس على ما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه
فقد عرف ربه ومن أحوالها العجيبة قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس
إلا ليعبدون. وقوله تعالى إنا عرضنا الأمانة إلى قوله تعالى وحملها
الإنسان. وقيل القسم وقع بها للنفس اللوامة على معنى التعظيم
من حيث إنها أبدا تستحقر فعلها وجدها واجتهادها وطاعة الله تعالى
وقيل إنه تعالى أقسم بالقيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لأن
النفس اللوامة إما أن تكون كافرة بالقيامة مع عظم أمرها وإما أن تكون
فاسقة مقصرة في العمل وعلى التقديرين فإنها تكون مستحقرة. والجواب
عن الثاني أن المحققين قالوا القسم بهذه الأشياء قسم بربها وخالقها
في الحقيقة فكأنه قيل أقسم برب القيامة على وقوع القيامة. والجواب عن الثالث
أنه حيث أقسم قال جل ذكره والذاريات وأما هنا فإنه تعالى نفى كونه
سبحانه مقسما بهذه الأشياء فزال السؤال قوله بل يريد الإنسان
ليفجر أمامه فيه وجهان. أحدهما أن يكون بل لمجرد الإضراب والانتقال
من غير عاطف أضرب عن الكلام الأول وأخذ في آخر الثاني أنها عاطفة
قال الزمخشري بل يريد عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما
وأن يكون إيجابا على أن يضرب من مستفهم عنه إلى آخر. ويضرب عن
مستفهم عنه إلى موجب. قال أبو حيان بعد ما حكى عن الزمخشري ما تقدم
وهذه التقادير الثلاثة متكلفة لا تظهر. قال شهاب الدين وليس
هنا إلا تقديران. ومفعول يريد محذوف يدل عليه التعليل في قوله
تعالى ليفجر أمامه. والتقدير يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها أبدا
دائما وأمامه منصوب على الظرف وأصله مكان فاستعير هنا للزمان
والضمير في أمامه الظاهر عوده على الإنسان وقال ابن عباس يعود على يوم
القيامة بمعنى أنه يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث بين يدي يوم
القيامة فصل قال مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد

ابن

ابن جبير رضي الله عنهم يقول سوف أتوب حتى يأتيه الموت
على أسوأ أحواله. وعن ابن عباس بل يريد الإنسان ليفجر أمامه قال
يعجل المعصية ويسوف بالتوبة. وجاء في الحديث قال يقول سوف
أتوب ولا يتوب فهو قد أخلف فكذب وأخلف. وقال عبد الرحمن بن
زيد بل يريد الإنسان ليفجر أمامه من البعث والحساب. ودليله
يسأل أيان يوم القيامة أي يسأل متى يكون على وجه الإنكار والتكذيب.
وقال الضحاك هو الأمل يقول سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا
يذكر الموت. وقيل يعزم على المعصية أبدا وإن كان لا يعيش إلا مدة قليلة
فالهاء على هذه الأقوال للإنسان وإذا قلنا إن الهاء ليوم القيامة
فالمعنى بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي القيامة والفجور أصله الميل
عن الحق قوله يسأل أيان هذه جملة مستأنفة. وقال أبو البقاء
رحمه الله تفسير ليفجر فيحتمل أن يكون مستأنفا مفسرا وأن يكون
بدلا من الجملة قبلها لأن التفسير يكون بالاستئناف وبالبدل إلا أن
الثاني فيه رفع الفعل ولو كان بدلا لنصب وقد يقال إنه أبدل الجملة
من الجملة لا خصوصية الفعل من الفعل وحده وفيه بحث وتقدم نظيرها
في الذاريات وغيرها. والمعنى يسأل متى تقوم يوم القيامة فصل
قال ابن الخطيب اعلم أن إنكار البعث يتولد تارة من الشبهة وأخرى
من الشهوة. فأما تولده من الشبهة فهو ما حكاه الله عز وجل بقوله
أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه وتقديره أن الإنسان هو
هذا البدن فإذا مات وتفرقت أجزاؤه واختلطت بأجزاء التراب
وتفرقت بالرياح في مشارق الأرض ومغاربها فيكون تمييزها بعد
ذلك محالا وهذه الشبهة ساقطة من وجهين. الأول لا نسلم
لا نسلم أن الإنسان هو هذا البدن بل هو شيء مدبر لهذا البدن
فإذا فسد هذا البدن بقي موجودا كما كان وحينئذ يعيد الله تبارك
وتعالى إليه بدنا إذا أراد فسقط السؤال. وفي الآية إشارة إلى هذه الآية
أقسم سبحانه بالنفس اللوامة ثم قال جل ذكره أيحسب الإنسان
أن لن نجمع عظامه وهو تصريح بالفرق بين النفس والبدن. الثاني
سلمنا أن الإنسان هو هذا البدن لكنه سبحانه عالم بالجزئيات فيكون
عالما بالجزء الذي هو بدن زيد وبالجزء الذي هو بدن عمرو وهو تعالى
قادر على كل الممكنات فيلزم أن يكون قادرا على تركيبها ثانيا فزال
الإشكال. وأما إنكار البعث بناء على الشهوة فهو قوله تعالى بل يريد
الإنسان ليفجر أمامه ومعناه أن الإنسان الذي يميل طبعه للشهوات
واللذات فالفكرة في البعث تنغصها عليه فلا جرم ينكره قوله
فإذا برق البصر قرأ نافع وأبان عن عاصم برق بفتح الراء والباقون
بالكسر فقيل لغتان في التحير والدهشة ومعناه لمع بصره من شدة
شخوصه فتراه لا يطرف. وقيل برق بالكسر تحير فزعا قال الزمخشري
وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. قال غيره كما يقال
أسد وبقر إذا رأى أسدا وبقرا كثيرة فتحير من ذلك قال ذو الرمة

وكنت أرى في وجه مية لمحة ... فأبرق مغشيا علي مكانيا

وأنشد الفراء رحمه الله

فنفسك فانع ولا تنعني ... وداو الكلوم ولا تبرق

أي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك وبرق بالفتح من البريق أي لمع من شدة
شخوصه. وقال مجاهد وغيره وهذا عند الموت. وقال الحسن يوم القيامة

قال وفيه معنى الجواب عما سال عنه الانسان كانه قال يوم القيمة
اذا برق البصر وخسف القمر وقيل عند رؤية جهنم قال الفرا والخليل
برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول للانسان المتحير المبهوت
قد برق فهو برق وقيل برق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحها قاله
ابو عبيدة وانشد قول الكلابي
لما اتاني ابن عمير راغبا ۞ اعطيته عيساء منها فبرق ۞
اي فتح عينيه وقرا ابو السمال بلق باللام قال اهل اللغة الا الفرا معناه
فتح يقال بلقت الباب وابلقته اي فتحته وفرجته فقال الفرا هو بمعنى
اغلقته قال ثعلب اخطا الفرا في ذلك ثم يجوز ان يكون بلق بمعنى مادة
برق ويجوز ان يكون مادة واحدة بدل فيها حرف من اخر وقد جا ابدال
اللام من الرا اي احرف قالوا نثر كنانته ونثلها وقالوا وجل ووجر فيمكن
ان يكون هذا منه ويؤيده ان برق قرئ بمعنى شق عينيه وفتحهما
قاله ابو عبيدة وانشد لما اتاني ابن عمير البيت المتقدم اي فتح عينيه
فهذا مناسب لبلق قوله وخسف القمر العامة على بنائه للفاعل
وابو حيوة وابن ابي عبلة ويزيد بن قطيب قال القرطبي وابن
ابي اسحاق وعيسى والاعرج خسف مبنيا للمفعول وهذا لان خسف
يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله وقد اشتهر
ان الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم يكونان فيهما يقال
خسفت الشمس وكسفت وخسف القمر وكسف وتايد بعضهم
بقوله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله تعالى
لا يخسفان لموت احد فاستعمل الخسوف فيهما وفي هذا نظر لاحتمال
التغليب وهل هما بمعنى واحد اولا فقال ابو عبيد وجماعة هما بمعنى
واحد وقال ابن ابي اويس الخسوف ذهاب كل ضوئهما والكسوف
قال القرطبي الخسوف في الدنيا الى انجلاء بخلاف الاخرة فانه لا يعود
ضوءه ويحتمل ان يكون بمعنى غاب ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره
الارض قوله وجمع الشمس والقمر لم يلحق علامة تانيث لان
التانيث مجازي وقيل لتغليب المذكر وفيه نظر لو قلت قام
هند وزيد لم يجز عند الجمهور من العرب وقال الكسائي جمع على معنى
جمع النيران وقال الفرا لم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما قال
الفرا والزجاج جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء
للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما اي قرن
بينهما في طلوعهما من المغرب اسودين مكورين مظلمين مقرنين كانهما
ثوران عقيران وقال عطاء بن يسار يجمع بينهما يوم القيمة ثم
يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقال علي وابن عباس
يجعلان في الحجب وقد يجمعان في جهنم لانهما قد عبدا من دون الله ولا تكون
النار عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار
وحسرتهم وقيل هذا الجمع انما يجمعان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق
لشدة الحر فيكون المعنى يجمع حرهما عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون
ثم تعاقب ليل ونهار قال ابن الخطيب وقيل جمع بينهما في حكم ذهاب
الضوء كما يقال يجمع بين كذا وكذا في حكم كذا اي كل منهما يذهب ضوءه
فصل قال ابن الخطيب طعنت الملحدة في الاية فقالوا خسوف
القمر لا يحصل حال اجتماع الشمس والقمر والجواب ان الله تعالى قادر
على ان يخسف القمر سواء كانت الارض متوسطة بينه وبين الشمس او لم
تكن

تكن لان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على ازالة الضوء عن
القمر في جميع الاحوال قوله يقول الانسان جواب اذا
من قوله فاذا برق واين المفر منصوب المحل بالقول والمفر مصدر
بمعنى الفرار وهذه هي القراة المشهورة وقرا الحسنان ابنا علي وابن
عباس والحسن ومجاهد وقتادة بفتح الميم وكسر الفا وهو اسم مكان
الفرار اي اين مكان الفرار وجوز الزمخشري ان يكون مصدرا قال
كالمرجع وقرا الحسن عكس هذا اي بكسر الميم وفتح الفا وهو الرجل
الكثير الفرار كقول امرئ القيس يصف جواده
مكر مفر مقبل مدبر معا ۞ كجلمود صخر حطه السيل من عل ۞
والكثير استعمال هذا الوزن في الالات فصل يقول الانسان
يومئذ اين المفر اي يقول ابن ادم وقيل ابو جهل اين المفر اين المهرب
قاله الماوردي ويحتمل وجهين احدهما اين المفر من الله استحياء منه
والثاني اين المفر من جهنم حذارا منها ويحتمل هذا القول من الانسان
وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة القيمة دون المؤمن
لثقة المؤمن ببشرى ربه والثاني ان يكون من قول المؤمن والكافر
عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها قوله كلا لا وزر تقدم
الكلام في كلا وخبر لا محذوف اي لا وزر له اي لا ملجا من النار وقال
ابن مسعود لا منجا وقال الحسن لا جبل وقال ابن جبير لا محيص وهل
هذه الجملة محكية بقول الانسان فتكون منصوبة المحل او هي مستانفة
من الله تعالى بذلك والوزر الملجا من حصن وجبل وسلاح قال
الشاعر لعمرك ما للفتى من وزر ۞ من الموت يدركه والكبر ۞
قال السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لهم
لا وزر يعصمكم يومئذ مني قوله الى ربك يومئذ المستقر اي المنتهى
قاله قتادة نظيره وان الى ربك المنتهى وقال ابن مسعود الى ربك
المصير والمرجع اي المستقر في الاخرة حيث يقره الله والمستقر مبتدا
خبره الجار قبله ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاستقرار وان يكون
مكان الاستقرار ويومئذ منصوب بفعل مقدر ولا ينتصب بمستقر
لانه ان كان مصدرا فلا يتقدم معموله عليه وان كان مكانا فلا عمل له البتة
قوله ينبا الانسان اي يخبر ابن ادم برا كان او فاجرا يوم القيمة
بما قدم واخر اي بما اسلف من عمل خيرا او شرا او ما اخر من سنة او صالحة
يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وقال ابن عباس ايضا
بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وهو قول قتادة وقال ابن زيد
بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلف للورثة وقال الضحاك بما
قدم من فرض واخر من فرض وقال مجاهد والنخعي ينبا باول عمله واخره ٢
قاله القشيري وهذا الانبا يكون في القيمة عند وزن الاعمال ويجوز العشر
ان يكون عند الموت قوله بل الانسان على نفسه
بصيرة يجوز في بصيرة اوجه احدها انها خبر عن الانسان وعلى
نفسه متعلق ببصيرة والمعنى بل الانسان بصيرة على نفسه وعلى
هذا فلاي شيء انث الخبر وقد اختلف النحويون في ذلك فقال بعضهم
الهاء فيه للمبالغة وقال الاخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة وقيل
المراد بالانسان الجوارح فكانه قال بل جوارحه بصيرة اي شاهدة
والثاني انها مبتدا وعلى نفسها خبرها والجملة خبر عن الانسان وعلى
هذا فيها تاويلان احدهما ان تكون بصيرة صفة لمحذوف اي عين

بصيرة كما قال الغزا وانشد

كان على ذي العقل عينا بصيرة … بمقعده او منظر هو ناظره

يحاذر حتى يحسب الناس كلهم … من الخوف لا يخفى عليه سرائره

الثاني ان المعنى جوارح بصيرة. الثالث ان المعنى ملايكة بصيرة وهم الكاتبون والتاء على هذا للتانيث وقال الزمخشري بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله تعالى فلما جاتهم اياتنا مبصرة. قال شهاب الدين هذا اذا لم يجعل الحجة عبارة عن الانسان او يجعل دخول التا للمبالغة اما اذا كانت للمبالغة فنسبة الابصار اليها حقيقة. الوجه الثالث يكون الخبر الجار والمجرور وبصيرة فاعل به وهو الارجح مما قبله لان الاصل في الاخبار الافراد. فصل

قال ابن عباس رضي الله عنه بصيرة اي شاهد وهو شهود جوارحه عليه بيداه بما يبطش بهما ورجلاه بما مشى عليهما وعيناه بما ابصرهما والبصيرة الشاهد كما انشد الغزا ويدل عليه قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون. قال الواحدي هذا يكون من صفات الكفار فانهم ينكرون ما عملوا فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم. قوله ولو القى معاذيره وهذه الجملة حالية وقد تقدم نظيرها والمعاذير جمع معذرة على غير قياس كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر وللنحويين في مثل هذا قولان احدهما انه جمع الملفوظ به وهو لقحة وذكر والثاني انه جمع لغير ملفوظ به بل المقدر اي ملقحة ومذكار وقال الزمخشري فان قلت اليس قياس المعذرة ان يجمع على معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليست جمع معذرة بل اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر قال ابو حيان وليس هذا البنا من ابنية اسما الجموع وانما هو من ابنية جموع التكسير انتهى وقيل معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو ارخى ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن كما قاله الضحاك والسدي وانشد

ولكنها ضنت بمنزل ساعة علينا … واطت يومها بالمعاذر

وقال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار اي وان ارخى ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه وقد حذف اليا من المعاذر ضرورة وقال الزمخشري فان صح ان المعاذير فلانه يمنع رؤية المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة المذنب وهذا القول منه يحتمل ان يكون بيانا للمعنى الجامع بين كون المعاذير الستور والاستغفار وان يكون بيانا للعلاقة المسوغة في التجوز. فصل قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وابو العالية وعطا والفرا والزجاج المعنى ولو اعتذر وقال لم افعل شيا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه فهو وان اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره وقال مقاتل ولو ادلى بعذر وحجة لم ينفعه نظيره قوله تعالى ولا يوذن لهم فيعتذرون. فالمعاذير على هذا ماخوذة من المعذرة وحكى الماوردي عن ابن عباس ولو القى معاذيره اي ولو تجرد عن ثيابه. قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به قال بعض الرافضة عدم مناسبتها لما قبلها يدل على تغيير القران. قال ابن الخطيب وفي مناسبته وجوه. الاول لعل استعجال الرسول انما كان عند نزول هذه الايات. الثاني انه تقدم ان الانسان يستعجل بقوله ليفجر امامه ثم بين ان العجلة مذمومة في امر الدين فقال تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقال تعالى بعدها كلا بل يحبون العاجلة. الثالث انه تقدم بل الانسان على نفسه بصيرة وكان

صلى

صلى الله عليه وسلم انما يستعجل خشية النسيان فقيل له صلى الله عليه وسلم ان الامور لا تحصل الا بتوفيق الله تعالى واعانته فاعتمد على الله واترك التعجيل. الرابع انه قيل غرضك من هذا التعجيل ان تحفظه وتبلغه اليهم ليظهر صدقك وقبح عنادهم لكنهم يعلمون بقلوبهم ذلك فلا فايدة في هذا التعجيل. الخامس ان الكافر لما قال اين المفر كانه يطلب الفرار من الله تعالى فكرا انت بالجد على مضادة الكافر وفر من غير الله الى الله. السادس قال القفال الخطاب مع الانسان المذكور في قوله ينبا الانسان فاذا قيل له اقرا كتابك تلجلج لسانه فيقال له لا تعجل فانه يجب علينا بحكم الوعد او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك ونقراها عليك فاذا قراناه فاتبع قرانه بالاقرار ثم ان علينا بيانه بالجزا وهذا فيه وعيد شديد وتهويل. روى الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه القران يحرك لسانه يريد ان يحفظه فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان يحرك شفتيه فقال لي ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال جمعه في صدرك ثم تقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه فاستمع وانصت ثم علينا ان تقرا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل عليه السلام استمع واذا نطق جبريل عليه السلام قراه النبي صلى الله عليه وسلم كما اقراه خرجه البخاري ايضا ونظير هذه الاية ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقد تقدم. وقال عامر الشعبي انما كان يعجل بذكره صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي من حبه له وحلاوته في لسانه مع الوحي مخافة ان ينساه صلى الله عليه وسلم فنزلت ولا تعجل بالقران الاية. وتزل ستقرئك فلا تنسى ونزل لا تحرك به لسانك قاله ابن عباس وقرانه اي وقراته عليك والقراة والقران في قول الفرا مصدران. وقال قتادة فاتبع قرانه فاتبع شرايعه واحكامه. قوله وقرانه اي قراته فهو مصدر مضاف للمفعول واما الفاعل فمحذوف والاصل وقراتك اياه والقران مصدر بمعنى القران كما قال حسان

ضحوا باشمط عنوان السجود به … يقطع الليل تسبيحا وقرانا

وقال ابن عطية قرا ابو العالية ان علينا جمعه وقرته فاذا قراته فاتبع قرته بفتح القاف والرا والتا من غير همز الالف ولم يذكر توجيهها فلعل توجيهها قوله جمعه وقرانه وقوله فاتبع قرانه نواضح كما تقدم في قراة ابن كثير في المعنى وانه هل هو نقل او من مادة قرن وتحقيق القولين مذكور ثمة فليلتفت اليه. واما قوله بفتح القاف والرا فيعني ان فعله فاذا قرته يشير الى انه قرى شاذا هكذا وتوجيهها ان الاصل قراته فعلا ماضيا مسندا بضمير المخاطب اي فاذا اردت قراته ثم ابدل الهمزة الفا لسكونها بعد فتحة ثم حذفت الالف تخفيفا كقولهم ولو ترما الصبا وما تريده فصار اللفظ قرته. فصل ان علينا جمعه اي بمقتضى الوعد عند اهل السنة وبمقتضى الحكمة عند المعتزلة جمعه في صدرك وقراته اي بعيدة جبريل عليك حتى تحفظه وتقراه بحيث لا تنساه. فعلى الاول القاري جبريل عليك. وعلى الثاني محمد صلى الله عليه وسلم كان المراد ثم ان علينا جمعه كذلك لم يعرضنا فيحمل الجمع على جمعه في الخارج والقران على جمعه في ذهنه وحفظه ليلا يلزم التكرار واسند القراة لله لانها بامره. وقوله فاتبع قرانه قيل حلاله وحرامه ولا تقارنه بل اسكت حتى يسكن جبريل فاقرا انت وهو

اظهر لان الاية تدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يتراجع جبريل وكان
يسابقه في القراءة عن المشكلات فنهي عن الاول بقوله فاتبع قرانه
وعن الثاني بقوله ثم ان علينا بيانه **قوله** ثم ان علينا بيانه
اي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام كذا قاله قتادة وقيل ثم ان
علينا بيانه ما فيه من الوعد والوعيد وقيل ان علينا ان نبينه بلسانك
والضماير تعود على القران وان لم يجر له ذكر وقوله ثم ان علينا بيانه
يدل على ان بيان المجمل واجب على الله تعالى اما عند اهل السنة فبالوعد
والتفضل واما عند المعتزلة فبالحكمة والله اعلم **فصل** احتج
من جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب بهذه الاية واجاب ابو الحسين
فيه بوجهين الاول ان ظاهر الاية يقتضي وجوب تاخير البيان عن
وقت الخطاب وانتم لا تقولون الثاني ان عندنا الواجب ان يقرن
باللفظ اشعار بانه ليس المراد باللفظ ما يقتضيه ظاهره واما البيان
التفصيلي فيجوز تاخيره فتحمل الاية على تاخير البيان التفصيلي وذكر
القفال وجها اخر وهو قوله تعالى ثم ان علينا بيانه ثم انا نخبرك
ان علينا بيانه فتحمل على الترتيب ونظيره قوله تعالى فك رقبة الى قوله
ثم كان من الذين امنوا قال ابن الخطيب والجواب عن الاول ان اللفظ
لا يقتضي وجوب تاخير البيان بل يقتضي تاخير وجوب البيان فيكون
الجواب بالمنع لان وجوب البيان لا يتحقق الا عند الحاجة وعن الثاني
ان كلمة ثم دخلت على مطلق البيان المجمل والمفصل فالتخصيص باحدهما
تحكم بغير دليل وعن القفال بانه ترك للظاهر بغير دليل **فصل**
اورد من جوز الذنوب على الانبياء بان هذا الاستعجال ان كان باذن
فكيف نهي عنه وان كان بغير اذن فهو ذنب قال ابن الخطيب والجواب
لعله كان ماذونا فيه الى وقت النهي **قوله** كلا قال الزمخشري
كلا ردع للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وحث على الاناة
وذكر جماعة من المفسرين كلا معناه حقا اي حقا يحبون العاجلة وهو
اختيار ابن جابر لان الانسان بمعنى الناس والباقون بالخطاب
فيهما اما خطابا لكفار قريش اي بل تحبون يا كفار قريش العاجلة اي الدار
الدنيا والحياة فيها وتذرون الاخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاخبار
عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب واختار الخطاب ابو عبيد
قال لولا الكراهة بخلاف هولاء القراء لقراتها بالياء لذكر الانسان قبل ذلك
قوله وجوه يومئذ ناضرة فيه اوجه احدها ان يكون وجوه مبتدا
وناضرة نعت له ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها
متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه الحسنة يوم القيمة ناظرة الى الله تعالى
وهذا صحيح والناضرة من النضرة وهي التنعم ومنه غصن ناضر الثاني
ان يكون وجوه مبتدا ايضا وناضرة خبر ويومئذ منصوب بالخبر كما تقدم
وسوغ الابتداء هنا بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل كقوله
فثوب لبست وثوب اجر ويكون ناظرة نعتا لوجوه او خبرا
ثانيا او خبرا لمبتدا محذوف والى ربها متعلق بناظرة كما تقدم وقال
ابن عطية وابتدا بالنكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ وقال
وجاز الابتداء هنا بالنكرة لحصول الفائدة وفي كلا قوليهما نظر اما
قول ابن عطية فلان قوله تخصصت بقوله يومئذ هو التخصيص اما
لكونها عاملة فيه وهو محال لانها جامدة واما لانها موصوفة وهو
محال ايضا لان الجثث لا توصف بالزمان كما لا يخبر عنها واما قول

الى البقا



ابي البقا فان اراد بحصول الفائدة ما تقدم من التفصيل فصحيح
وان عنى ما عناه ابن عطية فليس بصحيح لما تقدم الثالث ان يكون
وجوه مبتدا ويومئذ خبره قاله ابو البقا وهذا غلط من حيث
المعنى ومن حيث الصناعة اما المعنى فلا فائدة في الاخبار عنها بذلك
واما الصناعة فلانه لا يخبر بالزمان عن الجثث وان ورد ما ظاهره
ذلك يؤول نحو الليلة الهلال الرابع ان يكون المعنى وجوه مبتدا وناضرة
خبره والى ربها ناظرة جملة مستانفة في موضع خبر ثان قاله ابن عطية
وفيه نظر لانه لا ينعقد منهما كلام اذ الظاهر تعلق الى بناظرة اللهم
الا ان يعني ان ناظرة خبر لمبتدا مضمر اي هي ناظرة الى ربها وهذه الجملة
خبر ثان وفيه تعسف الخامس ان يكون الخبر لوجوه مقدرا اي وجوه
يومئذ ثم وناضرة صفة وكذلك ناظرة قاله ابو البقا وهو بعيد لعدم
الحاجة الى ذلك والوجه الاول لخلوصه من هذه التعسفات وكون الى حرف
جر وربها مجرورا بها هو المتبادر الى الذهن وقد خرجه بعض المعتزلة
على ان يكون الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب ويجمع على الا نحو
فباي الا ربكما وقد تقدم ان فيها لغات اربعا وربها خفض بالاضافة
قال معمول مقدم ناصبه ناظرة بمعنى منتظرة والتقدير وجوه منتظرة
نعمة ربها وهذا فرار من اثبات النظر لله على معتقدهم وتمحل الزمخشري
لمذهب المعتزلة بطريق اخرى من جهة الصناعة فقال بعد ان جعل التقديم
في الى ربها موذنا بالاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى
فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع والرجا ومنه قول القايل

واذا نظرت اليك من ملك ... والبحر دونك زدتني نعما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم
ويأوون الى مقايلهم عيينتي ناظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون
النعمة والكرامة الا من ربهم انتهى قال شهاب الدين وهذا كالجرم على من يقول
انظرت انه نظر العين وليس من الانتظار ولو كان من الانتظار لم يتعد
معدا الى الا ترى انك لا تقول نظرت الى زيد ونظرت الى زيد ذال ولا
يصح نظر العين ولا يصح نظر الانتظار ومن قال ان ناظرة بمعنى
منتظرة فقد اخطا في المعنى وفي الاعراب ووضع الكلام في غير موضعه وقال
القرطبي ان العرب اذا ارادت بالنظر الانتظار قالوا نظرته كما قال تعالى
ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا تاويله ما ينظرون الا صيحة واحدة
واذا ارادت التفكر والتدبر قالوا نظرت فيه فاما اذا كان النظر
مقرونا بذكر الى وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الروية والعيان وقال
الازهري ان قول مجاهد تنتظر ثواب ربها خطا لانه لا يقال نظر الى
كذا بمعنى الانتظار وان قول القايل نظرت الى فلان ليس الا روية
عين كذا تقوله العرب لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا نظر العين
فاذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته قال

فانكما ان تنظراني ساعة ... من الدهر تنفعني لدى ام جندب

لما ارادوا الانتظار قال تنظراني ولما ارادوا نظر العين قالوا نظرت
اليه قال الشاعر

نظرت اليها والنجوم كانها ... مصابيح رهبان تشب لقفال

وقال اخر نظرت اليها بالمحصب من منى ... والنضرة طراوة البشرة
وجمالها وذلك من اثر النعمة يقال نضر وجهه فهو ناضر وقال بعضهم
مسلما انه من نظر العين الا ان ذلك على حذف مضاف اي ثواب ربها

ونحوه • قال مكي لو جاز هذا لجاز نظرت الى زيد اي اعطاني زيد
هذا لا يقتضي لكلام العرب وتخليط في المعاني ونضرة الله ونضره مخففا
ومثقلا اي حسنه ونعمه • قال صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع
مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها يروى بالوجهين ويقال للذهب
نضار من ذلك ويقال له النضر ايضا ويقال اخضر ناضر كاسود حالك
وقدح نضار يروى بالاتباع والاضافة والعامة على ناضرة بالف
وقرا زيد بن علي نضرة بدونها كفرح فهو فرح • فصل روى مسلم
في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة كان ابن عمر يقول اكرم اهل
الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة • وقال عكرمة تنظر الى ربها نظرا • وحكى الماوردي
عن ابن عمر وعكرمة ومجاهد تنظر امر ربها وليس معروفا الا عن مجاهد
وحده وجمهور اهل السنة تمسك بهذه الاية اثبات ان المؤمنين يرون
الله سبحانه وتعالى يوم القيمة • واما المعتزلة فاحتجوا بقوله تعالى لا تدركه
الابصار ويقولون النظر المقرون بالى ليس اسما للرؤية بل لمقدمة
الرؤية وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته ونظر العين بالنسبة
الى الرؤية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة وكالاصغاء بالنسبة الى السمع
ويدل على ذلك قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
فاثبت النظر حال عدم الرؤية • ويقال نظر اليه شزرا ونظر غضبان
ونظر راض ولا يقال ذلك في الرؤية • ويقال وجوه متناظرة اي متقابلة
ويقال انظر اليه حتى تراه فتكون الرؤية غاية للنظر وان النظر يحصل
والرؤية غير حاصلة • وقال وجوه ناظرة يوم بدر الى الرحمن تنتظر الخلاص
ولا رؤية مع النظر المقرون بالى • وقال تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة
ومن قال لا يراهم كفر • قالوا ويمكن ان يكون معنى قوله تعالى ناظرة اي
منتظرة كقولك انا انظر اليك في حاجتي ويكون المعنى الادهى النعم
لا تعدم والمراد الى ثواب ربها لان الادلة العقلية والسمعية لما منعت
الرؤية وجب التاويل او يكون المعنى انها لا تسال ولا ترغب الا الى الله
تعالى كقوله اعبد الله كانك تراه • قال ابن الخطيب والجواب لنا مقامان
احدهما ان نقول النظر هو الرؤية بقول موسى عليه الصلوة والسلام
رب ارني انظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت
الاية اثبات الجهة والمكان ولانه اخر النظر عن الاراه فلا يكون تقليب
المقام الثاني سلمنا ما ذكرتموه من ان النظر تقليب الحدقة للرؤية لكن
يتعذر حمله على الحقيقة فيجب الحمل على الرؤية اطلاقا لاسم السبب
على المسبب وهو اولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة لان تقليب
الحدقة كالسبب للرؤية ولا تعلق بينه وبين الانتظار • قلنا الذي هو
بمعنى الانتظار في القران غير مقرون كقوله تعالى انظرونا نقتبس
هل ينظرون الا تاويله والذي يدعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا
بمعنى الرؤية لان وروده بمعنى الرؤية او بمعنى الذي يستعقب
الرؤية ظاهر فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك • وقوله يعني
ناظرات يوم بدر بيت موضوع • والرواية الصحيحة وجوه ناظرات يوم
بدر • الى الرحمن تنتظر الخلاص • والمراد من هذا الرحمن مسيلمة الكذاب
لانهم كانوا يسمونه رحمن اليمامة واصحابه كانوا ينتظرونه اليه ويتوقعون
منه الخلاص من الاعدا • وقولهم هو موعد الا نعمة ربها • قلنا نصدق على
اي نعمة كانت وان قلت لانه انما يكون لماهية التي يصدق عليها انها نعمة
هذا

هذا يكفي في تحقيق مسمى هذه اللفظة اي خبر فرحين من اجل النعيم وان
كانت في القلة وكيف يمكن ان يكون من حالة الثواب يومئذ في النعم
العظيمة فكيف ينتظرون نعمة قليلة وكيف يمكن ان يكون من حاله
كذلك ان يبشر بانه سيتوقع الشي الذي يطلق عليه اسم النعمة ومثال هذا
ان يبشر سلطان الارض بانه سيصير حاله في العظمة والقوة بعد سنة
بحيث يكون متوقعا لحصول نعمة واحدة فكما ان ذلك فاسد فكذا ههنا
سلمنا ان النظر المتعدي بالى المقرون بالوجوه جاء في اللغة بمعنى الانتظار
مع تعيين الوقوع كانت حاصلة في الدنيا فلا بد وان تحصل في الاخرة زيادة
حتى يحصل الترغيب في الاخرة ولا يجوز ان يكون ذلك قرب • قالت
لتنبري وهذا باطل لانه او الا تكتفي بالالف لا بالكتبا • وقرب
الحصول معلوم بالعقل فبطل التاويل • واما قولهم المراد ثواب
ربها فهو خلاف الظاهر هذا ما ذكره ابن الخطيب • وروى القرطبي
في تفسيره كما خرج مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال صلى
الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون
في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب متفق عليه • وفي كتاب النسائي عن صهيب رضي
الله عنه قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما
اعطاهم شيا احب اليهم من النظر /لا اعينهم
وروى ابو اسحاق الثعلبي عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا سبحانه وتعالى حتى ينظروا الى
وجهه فيخرون له سجدا فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فليس
هذا يوم عبادة • وقال القرطبي وقيل اضاف النظر الى العين
لان العين في الوجه فهو كقوله تعالى تجري من تحتها الانهار والما
يجري في النهر لا النهر ثم قد يكون الوجه بمعنى العين قال تعالى
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اي على عينيه ثم لا يبعد قلب
العادة غدا حتى يخلق النظر في الوجه فقيل يا رسول الله كيف
يمشون في النار على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر
ان يمشيهم على وجوههم • قوله ووجوه يومئذ باسرة اي
وجوه الكفار يوم القيمة كالحة الباسر الشديد العبوس والباسر
اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه • وفي الصحاح
وبسل الفحل الناقة وابتسرها اذا ضربها وبسر الرجل بسورا اي كلح
يقال عبس وبسر • وقال السدي باسرة متغيرة والمعنى انها
عابسة كالحة قد اظلمت الوانها • قوله تظن ان يفعل
بها فاقرة اي توقن وتعلم • قال ابن الخطيب هكذا قال المفسرون
وعندي ان الظن هنا انما ذكر على سبيل التهكم كانه قيل لما شهدوا
تلك الاحوال حصل فيهم ظن ان العقوبة والفاقرة هي الداهية
العظيمة قاله ابو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر
قال النابغة •
اذا لي قبر لا يزال مقابل • وضربة فاس فوق راسي فاقرة •
اي داهية موثرة • يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره • قال
معناه مجاهد وغيره ومنه سمي الفقير لانكسار فقاره من القل وقد

تقدم في البقرة وقال قتادة هي الفاقرة الشر وقال السدي الهلاك وقال
ابن عباس وابن زيد دخول النار واصلها الوسم على انف البعير بحديدة
او نار حتى يخلص الى العظم • قال الاصمعي يقال فقرت انف البعير اذا حززته
ثم جعلت على الحز الجرير وعليه وتر ملوي لتذلله وتروضه قوله
كلا اذا بلغت التراقي كلا ردع وزجر اي بعيد ان يومن الكافر بيوم القيمة
ثم استانف فقال اذا بلغت التراقي اي بلغت النفس والروح التراقي
فاخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب
وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم • وقيل كلا بمعناه حقا ان المساق الى الله
تعالى اذا بلغت التراقي اي اذا ارتفعت الشمس الى التراقي وكان ابن
عباس رضي الله عنه يقول اذا بلغت الحلقوم نفس الكافر والتراقي مفعول
بلغت والفاعل مضمر اي النفس وان لم يجر لها ذكر كقول حاتم
اماوي ما يغني الثراء عن الفتى • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
اي حشرجت النفس وقيل في البيت ان الدال على النفس ذكر جملة ما اشتمل
عليها وهو الفتى فكذلك هنا ذكر الانسان دال على النفس والعامل في اذا
بلغت الحلقوم رفعت الى الله تعالى ويكون قوله وقيل من راق معطوف
على بلغت والتراقي جمع ترقوة اصلها تراقو قلبت الواو ياء لانكسار ما
قبلها والترقوة احد عظام الصدر قاله ابو حيان والمعروف خلاف ذلك
قال الزمخشري ولكل انسان ترقوتان فعلى هذا يكون من باب غليظ
الحواجب وعريض المناكب وقال القرطبي هي العظام المكتنفة لثغرة النحر
وهو مقدم الحلق من اعلا الصدر وهو موضع الحشرجة قال دريد بن الصمة
ورب عظيمة دافعت عنها • وقد بلغت نفوسهم التراقي
وقال الراغب الترقوة عظم وصل ما بين ثغرة النحر والعاتق انتهى
وقال الزمخشري العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ووزنها فعلوة
فالتا اصل والواو زايدة يدل عليه ادخال اهل اللغة اياها في مادة ترق
وقال ابو البقا والتراقي جمع ترقوة وهي فعلوة وليست بفعلة اذ ليس في
الكلام رقو وقرا التراقي بسكون الياء وهي كقراة زيد تطعمون اهاليكم وقد
تقدم توجيهها وقد يكون بلوغ النفس التراقي عن الاشفا على الموت المقصود
تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت فصل قال ابن الخطيب قال
بعض الطاعنين ان النفس انما تصل الى التراقي بعد مفارقتها القلب ومتى
فارقت النفس القلب حصل الموت لا محالة والاية تدل على ان عند بلوغها التراقي
تبقى الحياة حتى يقال فيه من راق وحتى يلتف الساق بالساق والجواب
ان المراد من قوله حتى اذا بلغت التراقي اذا حصلت بالقرب من تلك الحال
قوله من راق مبتدا وخبر وهذه الجملة هي القايمة مقام الفاعل واصول
البصريين يقتضي ان لا يكون لان الفاعل عندهم لا يكون جملة بل القايم
مقامه ضمير المصدر المبتدا وقد تقدم تحقيقه هذا في البقرة وهذا الاستفهام
يجوز ان يكون على بابه وان يكون استبعادا وانكارا • فالاول مروي عن ابن
عباس وعكرمة وغيرهما قالوا هو من الرقيه • وروى سماك عن عكرمة قال
من راق يرقي فيشفي • والثاني رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس ايضا هل من
طبيب يشفيه وهو قول ابي قلابه وقتادة وقال الشاعر
هل للفتى من بنات الدهر من واق • ام هل له من حمام الموت من راق
وكان هذا على وجه الاستبعاد والياس اي من يقدر يرقي من الموت • وعن ابن عباس
ايضا وابي الجوزا انه من رقي يرقى اذا صعد • والمعنى من يرقى بروحه الى السما

املايكة

املايكة الرحمة ام ملايكة • وقيل ان ملك الموت يقول من راق اي من
يرقا بهذه النفس • قال شهاب الدين وراق اسم فاعل اما من رقي من
الرقيه وهو كلام معد للاستشفا يرقى به المريض ليشفى • قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادراك انها رقية يعني الفاتحة
وهو اسم من اسمايها • واما من رقي يرقى من الرقي وهو الصعود اي
ان الملايكة لكراهتها في روحه تقول من يصعد بهذه الروح • فقال
رقي بالفتح من الرقية وبالكسر من الرقي ووقف حفص على نون من
سكتة لطيفة وتقدم تحقيق هذا في اول الكهف ذكره سيبويه بان
النون تدغم في الرا وجوبا بغنة وبغيرها نحو من راشد • قال الواحدي
ان اظهار النون عند حروف الفم لحن فلا يجوز اظهار نون من في قوله
راق • وروى حفص عن عاصم اظهار النون في الواو واللام في قوله من راق
وبل ران • قال ابو علي الفارسي ولا اعرف وجه ذلك • قال الواحدي
والوجه ان يقال قصدوا الوقف على من وبل فاظهروهما ثم ابتدوا
بما بعدهما وهذا غير مرضي من القراة قوله وظن انه الفراق اي ايقن
الانسان انه الفراق اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين
يعاين الملايكة وسمي اليقين هنا بالظن لان الانسان ما دامت روحه
متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة
ولا ينقطع رجاوه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجا
الحياة او لعله سماه بالظن الغالب تهكما • قال ابن الخطيب وهذه
الاية تدل على ان الروح جوهر قايم بنفسه باق بعد موت البدن
لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية
فان الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف قوله
والتفت الساق بالساق الالتفاف هو الاجتماع • قال تعالى جيتنا
بكم لفيفا ومعنى الكلام اتصلت الشدة بالشدة شدة اخر الدنيا قاله
ابن عباس والحسن وغيرهما • وقال الشعبي وغيره التفت ساقا الانسان
عند الموت من شدة الكرب • قال قتادة اما رايت اذا اشرف على الموت
يضرب رجله على الاخرى • وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا هما
ساقا الانسان اذا التفتا في الكفن • وقال زيد بن اسلم التفت ساق
الكفن بساق الميت • قال النحاس القول الاول احسنها القول ابن
عباس هو اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة فتلتقي الشدة بالشدة
الا من رحمه الله والعرب لا تذكر الساق الا في الشدايد والمحن العظام ومنه
قولهم قامت الحرب على ساق • قال اهل المعاني ان الانسان اذا دهمته
شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق • قال الجعدي
اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
قوله الى ربك يومئذ المساق مصدر ساق يسوق اي الى خالقك
يومئذ اي يوم المساق اي المرجع والمساق مفعل من السوق وهو اسم مصدر
وقال القرطبي المساق مصدر ساق يسوق كالمقال من قال يقول
قوله فلا صدق لا هنا دخلت على الماضي وهو مستفيض في كلامهم بمعنى
لم يصدق ولم يصلي • قال
ان تغفر اللهم تغفر جما • واي عبد لك لا الما
وقال اخر
واي جيش لا افانا نهابه • واسيافنا من كبشه تقطر الدما
وقال مكي لا الثانية عطف وليست بعاطفة ومعناه فلم يصدق ولم
يصل • قال شهاب الدين وكيف يتوهم العطف حتى ينفيه • وجعل
الزمخشري فلا صدق ولا صلى عطفا على الجملة من قوله يسال ايان يوم القيمة

قال وهو معطوف على قوله يسأل أيان أي لا يؤمن بالبعث
فلا صدق بالرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم واستبعده
أبو حيان. وقال الكسائي لا بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره تقول العرب
لا عبد الله خارج ولا فلان ولا تقول مررت برجل لا محسن حتى يقال
ولا مجمل. وقوله فلا اقتحم العقبة ليس من هذا القبيل لأن معناه فهلا
اقتحم بحذف حرف الاستفهام. وقال الأخفش فلا صدق أي لم يصدق
كقوله تعالى فلا اقتحم أي لم يقتحم ولم يشترط أن يعقبه بشيء آخر والعرب
تقول لا ذهب أي لم يذهب فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل
ومنه قول زهير: فلا هو أبداها ولم يتقدم. فصل قال
ابن عباس معناه لم يصدق بالرسالة ولا صلى لربه عز وجل
وصلى على رسوله عليه الصلاة والسلام وقال قتادة فلا صدق بكتاب
الله ولا صلى لله تعالى. وقيل لا صدق بمال ذخرا له عند الله ولا صلى الصلوات
التي أمر الله بها. وقيل فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه. قيل المراد أبو
جهل وقيل الإنسان المذكور في قوله أيحسب الإنسان. قوله ولكن
كذب وتولى الاستدراك هنا واضح لأنه لا يلزم من نفي التصديق
والصلاة التكذيب والتولي ولهذا يضعف أن يحمل نفي التصديق
على نفي تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام لئلا يلزم التكرار فتقع لكن
بين متوافقين وهو لا يجوز. قال القرطبي ومعناه كذب بالقرآن وتولى
عن الإيمان. قوله ثم ذهب إلى أهله يتمطى أي يتبختر افتخارا بذلك
قاله مجاهد وغيره ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب ويجوز أن يكون
بمعنى شرع في التمطي كقوله: فقام يذود الناس عنها بسيفه.
ويتمطى فيه قولان أحدهما أنه من المطا وهو الظهر ومعناه يتبختر
أي يمد مطاه ويلويه تبخترا في مشيته. الثاني أن أصله يتمطط أي يتمدد
ومعناه أنه يتمدد في مشيته تبخترا ومن لازم التبختر ذلك فهو يقرب
من معنى الأول ويفارقه في مادته إذ مادة المطا مط ومادة الثاني
مطط وإنما أبدلت الطاء الثانية ياء كراهية اجتماع الأمثال نحو تقضيت
وقصيت أظفاري. وقوله تقضي البازي إذا البازي كسر. والمطيطا التبختر
ومد اليدين في المشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشت أمتي المطيطا وخدمتها
فارس والروم كان بأسهم بينهم والمطيط الماء الخاثر أسفل الحوض لأنه
يتمطط أي يتمدد فيه. وقال القرطبي التمطي هو التمدد من التكسل
والتثاقل فهو متثاقل عن الداعي إلى الحق والتمطي يدل على قلة الاكتراث
قوله أولى لك فأولى تقدم الكلام عليه في سورة القتال وإنما كرر
هنا مبالغة في التهديد والوعيد فهو تهديد بعد تهديد ووعيد
بعد وعيد قالت الخنساء:
هممت بنفسي كل الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها
وقال أبو البقاء هنا وزن أولى فيه قولان أحدهما فعلى والألف فيه
للإلحاق لا للتأنيث والثاني هو أفعل وهو على القولين هنا علم ولذلك
لم ينون ويدل عليه ما حكى أبو زيد في أولاة بالتاء غير مصروف لأنه
صار علما للوعيد فصار كرجل اسمه أحمد فعلى هذا يكون أولى مبتدأ ولك
الخبر. والثاني أن يكون اسم الفعل مبنيا ومعناه وليك شر بعد شر
فصل قال قتادة ومقاتل والكلبي خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المسجد ذات ليلة فاستقبله أبو جهل على باب المسجد
مما يلي باب بني مخزوم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فهزه
مرة

مرة أو مرتين ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى
لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال له أبو جهل أتهددني فوالله إني
لأعز أهل هذا الوادي وأكرمه ولا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا
بي شيئا ثم انسل ذاهبا فأنزل الله تعالى كما قال الرسول عليه
الصلاة والسلام. ومعنى أولى لك يعني ويل لك قال الشاعر:
فأولى ثم أولى ثم أولى ... وهل للدر يحلب من مرد
وقيل هو من المقلوب كأنه قيل أويل ثم أخر الحرف المعتل والمعنى
الويل لك اليوم تدخل النار وهذا التكرير كقوله:
لك الويلات إنك مرجلي ... أي لك الويل ثم الويل وقيل معناه
الذم لك أولى من تركه. وقيل المعنى أنت أولى وأجدر بهذا العذاب
وقال أبو العباس أحمد بن يحيى قال الأصمعي أولى في كلام العرب معناه
مقاربة الهلاك كما تقول قد وليت الهلاك أي دانيت الهلاك
وأصله من الولي وهو القرب قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم أي يقربون
منكم. قال القرطبي وقيل التكرير فيه معنى ألزم لك على عملك السيء الأول
ثم على الثاني والثالث والرابع. قوله أيحسب الإنسان أي
يظن ابن آدم أن يترك سدى أي أن يخلى مهملا فلا يؤمر ولا ينهى قاله
ابن زيد ومجاهد وقيل أن يترك في قبره كذلك لا يبعث وسدى
حال من فاعل يترك ومعناه مهملا يقال إبل سدى أي مهملة وقال
الشاعر: وأقسم بالله جهد اليمين ... ما خلق الله شيئا سدى
أي مهملا. وأسديت حاجتي أي ضيعتها ومعنى أسدى إليه معروفا
أي جعله بمنزلة الضائع عند المسدى إليه لا يذكره ولا يمن به عليه
قوله ألم يك نطفة العامة على الياء من تحت في يك رجوعا
للإنسان والحسن بالتاء من فوق على الالتفات إليه توبيخا له وقوله
من مني تمنى قرأ حفص يمنى بالياء من تحت وفيه وجهان أحدهما
أن الضمير عائد على المني أي يصب فتكون الجملة في محل جر والثاني
أنه يعود للنطفة لأن تأنيثها مجازي ولأنها في معنى الماء قاله أبو
البقاء وهذا إنما يتمشى على قول ابن كيسان وأما النحاة فيجعلونه
ضرورة كقوله: ولا أرض أبقل إبقالها. وقرأ الباقون تمنى بالتاء
من فوق على أن الضمير للنطفة فعلى هذه القراءة وعلى الوجه المذكور
قبلها تكون الجملة في محل نصب لأنها صفة لمنصوب. فصل
والمعنى من قطرة ماء تمنى في الرحم أي تراق فيه ولذلك سميت منى
لإراقة الدماء. والنطفة الماء القليل ويقال نطف الماء إذا قطر
أي ألم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المرأة
صفته يقال هذا على حسب قدره. ثم قال تعالى فخلق فسوى أي فسواه
تسوية وعدله تعديلا بجعل الروح فيه وقيل فخلق فقدر فسوى فعدل
وقيل فخلق أي نفخ فيه فسوى فكمل أعضاءه قاله ابن عباس ومقاتل فجعل
منه أي من الإنسان وقيل من المني الزوجين الذكر والأنثى أي الرجل
والمرأة. قوله تعالى الذكر والأنثى يجوز أن يكونا بدلين من الزوجين
على لغة من يجري المثنى مجرى المقصور وقد تقدم تحقيقه في طه ومن نسب
إليه هذه اللغة والاستشهاد على ذلك. فصل قال القرطبي
وقد احتج بهذه الآية من يرى إسقاط الخنثى وقد مضى في سورة الشورى
أن هذه الآية إنما خرجت مخرج الغالب. فإن قيل ما فائدة قوله
تمنى في قوله تعالى من مني تمنى فالجواب فيه إشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل

انه مخلوق من المني الذي يجري على مجرى النجاسة فلا يليق بمثل هذا ان يتمرد
عن طاعة الله تعالى الا انه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى
في عيسى ومريم عليهما الصلوة والسلام كانا ياكلان الطعام والمراد منه
قضا الحاجة قوله اليس ذلك بقادر اي اليس الذي قدر على خلق هذه
النسمة من قطرة ما وقوله بقادر اسم فاعل مجرور بالبا الزايد
في خبر ليس وهذه قراة العامة وقرا زيد بن علي يقدر فعلا مضارعا
والعامة على نصب يحيي بان لان الفتحة حقيقية على حرف العلة وقرا
طلحة بن سليمان والفياض بن غزوان بسكونها فاما ان يكون خفف
حرف العلة بحذف حركة الاعراب واما ان يكون اجرى الوصل مجرى
الوقف وجمهور الناس على وجوب فك الادغام فيلتقي ساكنان لفظا
اذ تقديرا يعني ان اسكنا ساكنة فلو ادغمنا لسكنا اليا الاولى ايضا
للادغام فيلتقي ساكنان لفظا وهو متعذر النطق فتعذر ان سكنا لفظا
واما قوله تقديرا قال بعض الناس جوز الادغام في ذلك وقرا به ابن
محيصن وذلك انه لما اراد الادغام نقل حركة اليا الاولى الى الحا وادغمها
كما التقا ساكنان الحا لانها ساكنة اليها واليا لان حركتها نقلت
من عليها الى الحا واستشهد الفرا لهذه القراة بقول الشاعر
تمشي بسدة بيتها فتعي واما اهل البصرة فلا يدغمونه البتة قالوا
لان حركة اليا عارضة اذ هي للاعراب وقال مكي وقد اجمعوا على عدم الادغام
في حال الرفع واما في حال النصب فقد اجازه الفرا لاجل حركة اليا الثانية
وهو لا يجوز عند البصريين لان الحركة عارضة قال شهاب الدين
ادعاوه الاجماع مردود بالبيت الذي تقدم انشاده عن الفرا وهو
قوله فتعي فهذا مرفوع وقد ادغم ولا يبعد ذلك لانه لما ادغم ظهرت
تلك الحركة لسكون ما قبل اليا بالادغام **فصل** المعنى الذي
قدر على خلق هذه النسمة من قطرة ما قادر على ان يحيي الموتى اذا كان
يعيد هذه الاجسام كهيئتها للبعث بعد البلا روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال سبحانك اللهم وبلى وقال
ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان
ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة الى اخرها فليقل سبحانك اللهم بلى
اماما كان او غيره روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القيمة شهدت انا وجبريل
له يوم القيمة انه كان مومنا بيوم القيمة وجا ووجهه مسفر عن وجوه
الخلايق يوم القيمة والله اعلم واحكم

سورة الانسان مكية

وهي احدى وثلاثون اية ومايتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون
حرفا قال ابن عباس ومقاتل والكلبي هي مكية وقال الجمهور مدنية
وقيل فيها مكي من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى اخر
السورة وما تقدمه مدني وذكر ابن وهب قال وحدثنا ابن زيد
قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرا هل اتى على الانسان حين
من الدهر وقد انزلت عليه وعنده عمر بن الخطاب لا
يثقل على النبي صلى الله عليه وسلم قال دعه يا ابن الخطاب قال فنزلت
هذه السورة وهو عنده فلما قراها عليه صفة الجنان زفر زفرة
خرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم
او اخيكم الشوق الى الجنة وقال القشيري ان هذه السورة نزلت في علي
ابن

ابن ابي طالب كرم الله وجهه والمقصود من السورة عام وهكذا القول
فيما يقال انه نزل بسبب كذا وكذا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** هل
اتى على الانسان في هل هذه وجهان احدهما انها على بابها من الاستفهام
والاحسن ان يكون على بابها للاستفهام الذي معناه التقرير المحض
اي هو ممن يسال عنه لغرابته اتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا فانه
يكون الجواب اتى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة كذا قاله ابو حيان
وقال مكي في تقرير كونها على بابها من الاستفهام والاحسن ان يكون
على بابها للاستفهام الذي معناه التقرير وانما هو تقرير من انكر
البعث فلا بد ان يقول نعم قد مضى دهر طويل لا انسان فيه
فيقال له من احدثه بعد ان لم يكن وكونه بعد عدمه كيف يمتنع
عليه بعثه واحياوه بعد موته وهو معنى قوله ولقد علمتم النشاة
الاولى فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشا شيا
بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته وعدمه انتهى فقد جعلها
للاستفهام التقريري لا للاستفهام المحض وهذا هو الذي يجب
ان يكون لان الاستفهام لا يرد من البارئ تعالى الا على هذا النحو
وما اشبهه والثاني قال الكسائي والفرا وابو عبيدة وحكي ايضا
عن سيبويه انها بمعنى قد قال الفرا هل تكون جحدا وتكون خبرا
فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك تقرره بانك اعطيته
والجحد ان تقول هل يقدر احد على مثل هذا وقال الزمخشري هل
بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله
سائل فوارس يربوع بشدتنا ... اهل راونا بوادي القف ذي الاكم
فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان
قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيا مذكورا اي شيا
منسيا غير مذكور انتهى فقوله على التقرير يعني المفهوم من الاستفهام
وهو الذي فهمه مكي من نفس هل وقوله والتقريب يعني المفهوم
من قد التي وقع موقعها هل ومعنى قوله في الاستفهام خاصة ان هل
لا تكون بمعنى قد الا ومعها استفهام لفظا كالبيت المتقدم او تقديرا
كالاية الكريمة فلو قلت جا زيد يعني قد قام من غير استفهام لم يجز
وغيره قد جعلها بمعنى قد من غير هذا القيد وبعضهم لا يجيز ذلك البتة
ويتاول البيت على انه مما جمع فيه بين حرفي معنى للتاكيد وحسن ذلك
اختلاف لفظهما كقوله فاصبحن لا يسالنني عن بما به
قال المعنى عن وهي موكدة لها واذا كانوا قد اكدوا مع اتفاق اللفظ كقوله
فلا والله لا يلفى لما بي ... ولا للما بهم ابدا دواء
فلان يوكد مع اختلافه احرى ولم يذكر الزمخشري غير كونها بمعنى قد ونعى على الزمخشري
قيدا اخر وهو انه يقول في الجمل الفعلية لانه متى دخلت هل على جملة اسمية
استحال كونها بمعنى قد لان قد مختصة بالافعال قال شهاب الدين
وعندي ان هذا لا يرد لانه تقرر ان قد لا تباشر الاسما **فصل**
قال قتادة والثوري وعكرمة والشعبي ان المراد بالانسان هنا ادم
عليه الصلوة والسلام وهو مروي عن ابن عباس وقيل المراد بالانسان
بنو ادم لقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة فالانسان في الموضعين
واحد وعلى هذا فيكون نظم الاية احسن وقوله تعالى حين من الدهر قال
ابن عباس في رواية ابي صالح مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه
الروح وهو ملقى بين مكة والطايف وعن ابن عباس في رواية الضحاك

انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين
سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه مائة وعشرون سنة
ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحين
المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وقال
الحسن خلق الله كل الاشيا ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر فهو
قوله تعالى لم يكن شيا مذكورا فان قيل ان الطين والصلصال والحما
المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضي انه مضى
على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين
ما كان شيا مذكورا فالجواب ان الطين والصلصال اذا كان مصورا
بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير
انسانا صح تسميته بانه انسان ومن قال ان الانسان هو النفس
الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فالاشكال عنهم زايل
واعلم ان الغرض من هذا التنبيه على ان الانسان محدث واذا كان كذلك
فلا بد من محدث قادر **قوله** لم يكن في هذه الجملة وجهان احدهما
انها في موضع نصب على الحال من الانسان اي هل اتى عليه حين في هذه
الحال والثاني انها في موضع رفع نعتا لحين بعد نعت وعلى هذا فالعايد
محذوف تقديره حين لم يكن فيه شيا مذكورا والاول اظهر لفظا ومعنى
فصل روى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لم يكن شيا
مذكورا لا في السما ولا في الارض وقيل كان جسدا مصورا ترابا وطينا
لا يعرف ولا يذكر ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه
الروح فصار مذكورا قاله الفرا وقطرب وثعلب وقال يحيى بن
سلام لم يكن شيا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق
حيوانا بعده وقيل ان المراد من الانسان الجنس من ذرية ادم
عليه الصلوة والسلام فالمراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل في بطن امه
لم يكن شيا مذكورا اذ كان مضغة وعلقة لانه في هذه الحال جماد لا خطر
له وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرا هذه الاية ليتها تمت فلا
نبتلى اي ليت المدة التي اتت على ادم لم يكن شيا مذكورا اذ كان مضغة
وعلقة لانه في هذه الحال جماد لا خطر له تمت على ذلك فلا يلد ولا تبتلى
اولاده وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرا هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فقال ليتها تمت **قوله** انا خلقنا
الانسان يعني ادم من نطفة اي من ما يقطر وهو المني
وكل ما قليل في وعاء فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه
ما لي اراك تكرهين الجنة هل انت الا نطفة في شنه
وجمعها نطف ونطاف **قوله** امشاج نعت للنطفة ووقع الجمع نعتا
للمفرد لانه في معنى الجمع كقوله تعالى رفرف خضر وجعل كل جزء من النطفة
نطفة فاعتبر ذلك فوصفت بالجمع وقال الزمخشري نطفة امشاج
كبرمة اعشار وبرد اكياش وثوب اخلاق وارض سباسب وهي الفاظ
مفردة غير جموع وكذلك تقع صفات للافراد ويقال نطفة مشج قال
الشماخ طوت احشا مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصفه بهما
فقد منع ان يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال ابو حيان وقوله مخالف
لنص سيبويه والنحويين على ان افعالا لا يكون مفردا قال سيبويه
وليس في الكلام افعال الا ان يكسر عليه اسما للجميع وما ورد من وصف
المفرد

المفرد بافعال تاولوه انتهى قال شهاب الدين هو لم يجعل افعالا مفردا
انما قال يوصف به المفرد يعني بالتاويل ذكر ثم انهم جعلوا كل قطعة من
البرمة برمة وكل قطعة من البرد بردا فوصفوهما بالجمع وقال ابو حيان
الامشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين ومشج كعدل واعدال او
مشج كشريف واشراف قاله ابن الاعرابي وقال رؤبة
يطرحن كل معجل نشاج لم يكس جلدا من دم امشاج
وقال الهذلي يصف السهم بانه قد نفذ في الرمية فالتطخ ريشه وفوقاه
بدم يسير
كان الريش والفوقين منها خلاف النصل سيط به مشيج
ويقال مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج كخليط وممشوج كمخلوط انتهى
فجوز ان يكون جمعا لمشج كعدل وقد تقدم ان الزمخشري منع مفردا لذلك وقال
الزمخشري ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى نطفة امتزج بالماءان وقال
القرطبي ويقال مشجت هذا بهذا اي خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط
وخليط وهو ههنا اختلاط النطفة بالدم وهو دم الحيضة وذلك ان المراة
اذا تلقت ما الرجل وحبلت امسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم
وقال الفرا امشاج اختلاط ما المراة وما الرجل والدم والعلقة وروي
عن ابن عباس رضي الله عنه قال الامشاج الحمرة والبياض في الحمرة وعنه
ايضا قال يختلط ما الرجل وهو ابيض غليظ بما المراة وهو اصفر رقيق
فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ما الرجل وما
كان من دم ولحم وشعر فهو من ما المراة قال القرطبي وقد روي
هذا مرفوعا ذكره البزار وعن ابن مسعود امشاجها عروقها المضغة
وقال مجاهد نطفة الرجل بيضا وحمرا ونطفة المراة خضرا وصفرا
وقال ابن عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ما الفرج
والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم ونحوه قال
قتادة هي اطوار الخلق طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا
عظاما ثم نكسو العظام لحما قال ابن الخطيب وقيل ان الله تعالى جعل
في النطفة اخلاطا من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف
وتم الكلام **قوله** نبتليه يجوز في هذه الجملة وجهان احدهما انها
حال من فاعل خلقنا اي خلقناه حال كوننا مبتلين له والثاني انها
حال من الانسان وصح ذلك لان في الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذي
الحال ثم هذه الحال يجوز ان يكون مقارنة ان كان المعنى نبتليه
نختبره بتصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس وان تكون
مقدرة ان كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه
غير مكلف وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ناقلين له من حال الى حال
فسمي ذلك ابتلا على سبيل الاستعارة قال شهاب الدين وهذا معنى قول
ابن عباس المتقدم وقال بعضهم في الكلام تقديم وتاخير والاصل انا
جعلناه سميعا بصيرا نبتليه اي جعلنا له ذلك للابتلا وهذا لا حاجة
اليه **فصل** قوله نبتليه معناه لنبتليه كقولك جيتك
اقضي حقك واتيتك استمنحك كذا ونظيره قوله تعالى ولا تمنن تستكثر
اي لتستكثر ومعنى نبتليه نختبره وقيل نقدر فيه الابتلا وهو
الاختبار وفيما نختبره به وجهان احدهما قال الكلبي نختبره بالخير والشر
والثاني قال الحسن نختبر شكره في السرا وصبره في الضرا وقيل نبتليه

تكلفه بالعمل بعد الخلق قاله مقاتل رحمه الله وقيل تكلفه ليكون
مأمورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي وقوله فجعلناه سميعا بصيرا
والمعنى انا خلقناه في هذه الامشاج لا للعب بل للابتلاء والامتحان
ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان
عن الفهم والتمييز لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة والمعنى جعلنا
له سمعا يسمع به الهدى وبصرا يبصر به الهدى كما قال تعالى حاكيا
عن ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وقد
يعبر بالسمع عن المطيع كقوله سمعا وطاعة وبالبصير عن العالم يقال فلان
بصير في هذا الامر وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان
والله تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها **قوله**
انا هديناه السبيل اي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال
والخير والشر ببعث الرسل فآمن او كفر وقال مجاهد السبيل هنا خروجه
من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال عقله
فصل قال ابن الخطيب اخبر الله تعالى انه بعد ان ركبه واعطاه
الحواس الظاهرة والباطنة بين له سبيل الهدى والضلال قال والاية
تدل على ان العقل متاخر عن الحواس وهو كذلك لانه ينشأ عنها علوما بد
صادقة اولية كعلمنا بان النفي والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان
وان الكل اعظم من الجزء وهذه العلوم الاولية هي العقل والهدى
هذا يتعدى بنفسه وباللام **قوله** اما شاكرا نصب على الحال وفيه
وجهان احدهما انه حال من مفعول هديناه اي هديناه مبينا له كلتا
حالتيه قال ابو البقاء وقيل هي حال مقدرة قال شهاب الدين لانه حمل
الهداية على اول البيان له وفي ذلك الوقت غير متصف باحدى الصفتين
والثاني انه حال من السبيل على المجاز قال الزمخشري ويجوز ان يكونا
حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا
كقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا
والعامة على كسر همزة اما وهي المرادفة لاو وتقدم خلاف النحويين
فيها ونقل مكي عن الكوفيين ان ههنا ان الشرطية زيدت بعدها ما ثم
قال لا تجيزه البصريون لان ان الشرطية لا تدخل على الاسماء الا ان يضمر
فعل نحو وان احد ولا يصح اضمار الفعل هنا لانه كان يلزم رفع شاكرا
وايضا لا دليل على الفعل انتهى قال شهاب الدين لا نسلم انه يلزم رفع
شاكرا مع اضمار الفعل ويمكن ان يضمر فعل ينصب شاكرا تقديره ان
خلقناه شاكرا فشكورا وان خلقناه كافرا فكفور وقرأ ابو السمال
وابو العجاج بفتحها وفيها وجهان احدهما انها العاطفة وانها لغة
بعضهم فتح الهمزة وانشدوا على ذلك

تلقحها اما شمال عريه ... واما صبا جنح العشي هبوب

بفتح الهمزة ويجوز مع فتح الهمزة ابدال ميمها الاولى يا قالوا ايما الى جنة
ايما الى نار وحذف الواو بينهما والثاني انها اما التفصيلية وجوابها
مقدر قاله الزمخشري وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا
واما كفورا فبسوء اختياره انتهى ولم يذكر غيره **فصل** قال ابن الخطيب
بعد حكايته ان شاكرا وكفورا حالان ان المعنى كلما يتعلق بهداية
الله وارشاده فقد تم حالتي الكفر والايمان قال وقيل انتصب شاكرا
وكفورا باضمار كان والتقدير سواء كان شاكرا او كان كفورا وقيل معناه
انا هديناه السبيل ليكون اما شاكرا واما كفورا اي ليتميز شكره من كفره
وطاعته

وطاعته كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال الفراء ومجاز
هذه الكلمة على هذا التأويل كقولك قد نصحت لك ان شئت فاقبل
وان شئت فاترك فتحذف الفاء وقد يحتمل ان يكون ذلك على جهة الوعيد
اي انا هديناه السبيل فان شاء فليشكر وان شاء فليكفر وقيل حالان
من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا
وصف السبيل بالشكر والكفر مجازا قال ابن الخطيب وهذه الاقوال
لائقة بمذهب المعتزلة وقيل قول خامس لمذهب اهل السنة واختاره
الفراء وهو ان يكون اما في هذه الاية كاما في قوله تعالى اما يعذبهم واما
يتوب عليهم والتقدير انا هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا
ويؤيده قراءة ابن السمال المتقدمة قالت المعتزلة هذا التاويل
باطل لتهديده الكفار بعد هذه الاية بقوله تعالى انا اعتدنا للكافرين
سلاسل واغلالا وسعيرا ولو كان كفر الكافر من الله ويخلقه لما جاز
منه ان يتهدده عليه ولما بطل هذا التاويل ثبت ان الحق هو التاويل
الاول وهو انه تعالى هدى جميع المكلفين سواء امن او كفر وبهذا بطل
قول المجبرة واجيب بانه تعالى لما علم من الكافر انه لا يؤمن ثم كلفه
بان يؤمن فقد كلفه الجمع بين العلم بعدم الايمان ووجود الايمان وهذا
تكليف بالجمع بين المتنافيين فان لم يصر هذا عذرا في سقوط التهديد
والوعيد فاذا ثبت هذا ظهر ان التاويل هو الحق وبطل تاويل المعتزلة
فصل قال القرطبي جمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور
والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة نفيا للمبالغة في الشكر واثباتا
لها في الكفر لان شكر الله تعالى لا يؤدى فانتفت عنه المبالغة ولم تنتف
عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره وان قل مع الاحسان
اليه حكاه الماوردي **قوله** انا اعتدنا للكافرين سلاسل قرأ نافع
والكسائي وهشام وابو بكر بتنوين سلاسل والباقون بغير تنوين
ووقف هؤلاء وحمزة وقنبل عليه بالالف بلا خلاف وابن ذكوان والبزي
وحفص بالالف وبدونها يعني بلا والباقون وقفوا بلا الف
بلا خلاف فقد تحصل من هذا ان القراء على اربع مراتب منهم من ينون وصلا
ويقف بالالف وقفا بلا خلاف وهما حمزة وقنبل ومنهم من لم ينون ويقف
بالالف بلا خلاف وهو ابو عمرو وحده ومنهم من لم ينون ويقف بالالف
تارة وبدونها اخرى وهم ابن ذكوان وحفص والبزي فهذا ضبط ذلك
فاما التنوين في سلاسل فذكروا له اوجها منها انه قصد بذلك التناسب
لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائي وغيره من
اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف
الا افعل منك قال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف
لان الاصل في الاسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها وان هذا الجمع
قد جمع وان كان قليلا قالوا صواحب صواحبات وفي الحديث
انكن لصواحبات يوسف وقال قد جرت الطير ايامنين فجمع ايامن
جمع تصحيح المذكر وانشدوا

واذا الرجال راوا يزيد رأيتهم ... خضع الرقاب نواكس الابصار

بكسر السين من نواكس وبعدها ليا نظهر خطا الا لالتقاء الساكنين
وهذا على رواية كسر السين والاشهر فيها نصب السين فلما جمع شابه
المفردات فانصرف ومنها انه مرسوم في امام الحجاز والكوفة بالالف
رواه ابو عبيد ورواه قالون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصاحف

البصرة ايضا • وقال الزمخشري وفيه وجهان • احدهما ان يكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب هذه القراة ممن ضرب برواية الشعر ومرن لسانه على صرف ما لا ينصرف • قال شهاب الدين وفي هذه العبارة فظاظة وغلظة لاسيما على مشيخة الاسلام وايمة العلما الاعلام • ووقف هولا بالالف ظاهر • واما من لم ينونه فظاهر لانه على صيغة منتهى الجموع وتوهم قد جمع نحو صواحبات وانا سبين لا يقدح لان المحذور جمع التكسير وهذا جمع تصحيح وعدم وقفهم بالالف واضح ايضا واما من لم ينون ووقف بالالف فاتباعا للرسم الكريم كما تقدم وايضا فان الروم في المفتوح لا يجوزه القرا والقاري قد يبين الحركة في وقفه فاتوا بالالف ليتبين منها الفتحة • وروي عن بعضهم انه يقول رايت عمر ابا الالف يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه والسلاسل جمع سلسلة وهي القيود في جهنم وقد تقدم الكلام في سورة الحاقة

فصل اعلم انه بين هنا حال الفريقين وانه قصد العقلا وكلفهم ومكنهم مما امرهم به فمن كفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب • والاعتاد هو اعتداد الشي حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه كقوله تعالى هذا ما لدي عتيد والاغلال جمع غل يغل بها ايديهم الى اعناقهم وتقدم الكلام في السعير

قوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس الاية لما ذكر ما اعد للكافرين ذكر ما اعد للشاكرين والابرار اهل الصدق واحدهم بر وهو من امتثل امر الله تعالى • وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد وشهاد • وقيل هو جمع بر مثل نهر وانهار • وفي الصحاح وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه والام برة بولدها • وروى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الابا والابنا كما ان لوالدك حقا كذلك عليك حقا • وقال الحسن البر الذي لا يوذي الذر • وقال قتادة الابرار الذين يودون حق الله ويوفون بالنذر • وفي الحديث الابرار الذين لا يوذون احدا يشربون من كاس اي من انا فيه الشراب • قال ابن عباس يريد الخمر والكاس في اللغة الانا فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا قوله كان مزاجها كافورا المزاج ما يمزج به اي يخلط يقال مزجه يمزجه مزجا اي خلطه يخلطه خلطا قال حسان • كان سبية من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء فالمزاج كالقوام اسم لما يقام به الشي ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفرا والسودا والحرارة والبرودة • والكافور طيب معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشيا برايحته والكافور ايضا كمام الشجر الذي يغطي ثمرتها قال بعضهم • والكافور نافع من الكفر كالناقور من النقر والفاعول من الغمس يقول غمسته في الماء اي غمسته والكفر القرية والجبل العظيم قال سلع رباه من الكفرات والكافور البحر والكافر الليل والكافر الساتر لنعم الله والكافر الزارع لتوريته الحب في الارض قال الشاعر

وكافر مات على كفره • وجنة الفردوس للكافر

والكفارة تغطية الاثم في اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة والكافور ما جوف شجر مكنون فيغرزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهوا فيجمد وينعقد كالصمغ الجامد على الاشجار ونقال

كفر الرجل

كفر الرجل يكفر اذا وضع يده على صدره

فصل قال ابن الخطيب مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب في ذكره • والجواب من وجوه احدها قال ابن عباس هو اسم عين ما في الجنة يقال له عين الكافور اي يمازجه ما هذه العين التي تسمى كافورا في بياض الكافور ورايحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته • وثانيها ان رايحة الكافور عرض والعرض لا يكون الا في جسم فخلق الله تلك الرايحة في جرم ذلك الشراب فسمي ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا فيكون ريحها لا طعمها • وثالثها ان الله تعالى يخلق الكافور في الجنة مع طعم لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب عن جميع الماكولات والمشروبات ما معها من المضرات في الدنيا • قال سعد عن قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل اراد بالكافور في بياضه وطيب رايحته وبرده لان الكافور لا يشرب كقوله تعالى حتى اذا جعله نارا اي كنار • وقيل كان في علم الله تعالى وكان زايده اي من كاس مزاجها • قال القرطبي كافور وقافور وهي قراة عبد الله بالقاف بدل الكاف وهذا من التعاقب بين الحرفين كقولهم عربي قح وكح ومفعول يشربون اما محذوف اي يشربون ما او خمرا من كاس واما مذكور وهو عينا واما من كاس ومن مزيده فيه وهذا يتمشى عند الكوفيين والاخفش وقال الزمخشري فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتدا اولا وبحرف الالصاق ثانيا قلت لان الكاس مبتدا شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما يقول شربت الما بالعسل

قوله عينا في نصبها اوجه احدها بدل من كافورا لان ماها في بياض الكافور وفي رايحته وفي برده الثاني انها بدل من محل من كاس قاله مكي ولم يقدر حذف مضاف وقدر الزمخشري على هذا الوجه حذف مضاف قال كانه قيل يشربون خمرا خمر عين • واما ابو البقا فجعل المضاف مقدرا على وجه البدل من كافورا والثاني بدل من كافورا اي من ما عين او خمر عين وهو معنى حسن والثالث انها مفعول يشربون يفسره ما بعده اي يشربون عينا من كاس الرابع ان تنتصب على الاختصاص • الخامس باضمار يشربون يفسره ما بعده قال ابو البقا وفيه نظر لان الظاهر انه صفة لعين فلا يصح ان يفسر السادس باضمار يعطون • السابع على الحال من الضمير في مزاجها قاله مكي • وقال القرطبي نصب باضمار اعني

قوله يشرب بها في البا اوجه احدها انها مزيده اي يشربها ويدل له قراة ابن ابي عبلة يشربها تعدى الى الضمير بنفسه الثاني انها بمعنى من • الثالث اي ممزوجة بها • الرابع انها متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكاس اي يشربون العين بذلك الكاس والبا للالصاق كما تقدم في قول الزمخشري • الخامس انه على تضمين يشربون معنى يلتذون بها شاربين • السادس على تضمينه معنى يروى اي يروى بها عباد الله وهذه الاية الكريمة في بعض الاوجه كقول الهذلي

شربن بما البحر ثم ترفعت • متى لجج خضر لهن نئيج

فعلى هذه تحتمل الزيادة وتحتمل ان تكون بمعنى من • وقال الفرا يشرب بها ويشربها سوا في المعنى وكان يشرب بها يروى بها وينقع بها وانشد قول الهذلي قال ومثله يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا والجملة من قوله يشرب بها في محل نصب صفة لعينا ان جعلنا الضمير في بها عايدا على عينا ولم يجعله معمولا للناصب كما قاله ابو البقا ويفجرونها في موضع الحال

فصل قال ابن الخطيب قوله يشرب بها عباد الله يفيد ان كل عباد الله يشربون منها والكفار بالاتفاق لا يشربون منها فدل على ان لفظ عباد الله مختص باهل

الايمان واذا ثبت هذا فقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر لا يتناول
الكفار بل يختص بالمومنين فيصير تقدير الآية لا يرضى لعباده المومنين
الكفر ولا تدل الآية على انه تعالى لا يريد الكفر للكافر قوله يفجرونها
تفجيرا اي يشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر ههنا وههنا الى حيث
شاؤوا ويتبعهم حيث ما لوا مالت معهم • روى القرطبي عن الحسن
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عيون
في الجنة يجريان من تحت العرش • احدها التي ذكر الله تعالى يفجرونها
تفجيرا وعينان تجريان من فوق العرش نضاختان احدهما التي ذكر
الله تعالى سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الحكيم الترمذي في نوادر
الاصول • وقال فالتسنيم للمقربين خاصة شربا لهم والكافور
للابرار شربا لهم يمزج للابرار من التسنيم شرابهم • واما
الزنجبيل والسلسبيل فللابرار منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل
وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب فما كان للابرار مزاج هكذا ذكره
في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب فما كان للابرار مزاج
فهو للمقربين صرف وما كان للابرار صرف فهو لسائر اهل الجنة مزاج
والابرار الصادقون والمقربون الصديقون قوله يوفون
بالنذر يجوز ان يكون مستانفا لا محل له البتة • ويجوز ان يكون
خبرا لكان مضمرة قال الفراء التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا
وكانوا يخافون انتهى وهذا لا حاجة اليه انتهى لكانه جواب لمن قال
ما لهم مرزوقون ذلك • قال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول
ما لهم يرزقون ذلك قال ابو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز
واتى بالمضارع بعد عسى غير مقرون بان وهو قليل او في الشعر فصل
معناه لا يخلفون اذا نذروا وقال معمر عن قتادة يأتون بما فرض الله
عليهم من الصلوة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات وقال
مجاهد وعكرمة يوفون اذا نذروا في حق الله تعالى • وقال الفراء والجرجاني
وفي الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا والعرب قد تزيد من
الآن • وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتممون العهود لقوله تعالى واوفوا
بعهد الله واوفوا بالعقود امر بالوفا بها لانهم عقدوها على انفسهم باعتقادهم
الايمان قال القرطبي والنذر حقيقة ما اوجبه المكلف على نفسه من الطاعات
ما لو لم يوجبه لم يلزمه • وقال ابن الخطيب الايفا بالشيء هو الاتيان
به وافيا • وقال ابو مسلم النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد فهو
نذر وان كان من الله فهو وعد • واختص هذا اللفظ في عرف الشرع بان
يقول لله علي كذا وكذا من الصدقة او يسلم بامر يلتمسه من الله تعالى
مثل ان يقول ان شفى الله مريضي او رد غائبي فعلي كذا وكذا من الصدقة
او يسلم بامر يلتمسه من الله تعالى مثل ان يقول • واختلفوا فيما اذا علق
ذلك بما ليس من وجوه البر كقوله ان اتى فلان الدار فعلي • فمنهم من جعله
كاليمين • ومنهم من جعله من باب النذور فصل قال القشيري
روى اشهب عن مالك رضي الله عنه انه قال يوفون بالنذر هو
نذر العتق والصيام والصلوة وروى عنه ابو بكر بن عبد العزيز
قال قال مالك يوفون بالنذر قال النذر هو اليمين • قال ابن الخطيب
هذه الآية تدل على وجوب الوفا بالنذر لانه تعالى قال عقيبه ويخافون
يوما وهذا يقتضي انهم انما وفوا بالنذر خوفا من شر ذلك اليوم لا يتحقق
الا اذا كان الوفا به واجبا ويؤكده قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان

بعد

بعد توكيدها وقوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم
وهذا يحتمل ليوفوا اعمال نسكهم التي الزموها انفسهم فصل
قال الفراء وجماعة من اهل المعاني كان في قوله تعالى كان مزاجها كافورا
زائدة واما ههنا فكان يحتمل وفيه • والتقدير كانوا يوفون بالنذر •
قال ابن الخطيب ولقائل ان يقول انا بينا ان كان في قوله تعالى
كان مزاجها ليست بزائدة واما في هذه الآية فلا حاجة الى اضمار
لانه تعالى ذكر في الدنيا ان الابرار يشربون اي سيشربون فان لفظ
المضارع مشترك بين الحال والاستقبال ثم قال السبب في ذلك
الثواب الذي سيجدونه انهم الآن يوفون بالنذر قوله ويخافون
يوما كان شره مستطيرا اي يخافون يوم القيمة وكان شره في موضع
نصب لصفة ليوم والمستطير المنتشر يقال استطار يستطير استطارا
فهو مستطير وهو استفعل من الطيران • قال الاعشى
فبانت وقد اسارت في الفؤاد صدعا على نايها مستطيرا
والعرب تقول استطار الصدع في القارورة والزجاجة او استطال
اذا امتد ويقال استطار الحريق اذا انتشر • وقال الفراء المستطير
المستطيل كانه يريد انه مثله في المعنى لا انه ابدل من اللام را • والفجر فجران
مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق
لانتشاره في الافق قال قتادة استطار والله شره ذلك اليوم حتى
ملأ السموات والارض • وقال مقاتل كان شره فاشيا في السموات
فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة في الارض نسفت
الجبال وغارت المياه • فان قيل احوال القيمة واهوالها كلها فعل
الله تعالى وكلما كان فعلا لله فهو حكمة وصواب وما كان كذلك لا
يكون شرا فكيف وصفها الله بانها شر • والجواب انما سميت شرا
لكونها مضرة لمن نزل عليه وصعبة كما سميت الامراض وسائر
الامور المكروهة شرورا • قال ابن الخطيب وقيل المستطير هو الذي
يكون سريع الوصول الى اهله وكان هذا القائل ذهب الى الطيران
الاسرع • فان قيل لم قال كان شره ولم يقل يكون شره مستطيرا
فالجواب ان اللفظ وان كان للماضي الا ان معناه كان شره في علم الله
وحكمه قوله ويطعمون الطعام على حبه هذا الجار والمجرور حال
اما من الطعام اي كائنين على حبهم الطعام كقوله تعالى وآتى المال على حبه
قال ابن عباس ومجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له • واما من
الفاعل والضمير في حبه لله تعالى اي على حب الله وعلى التقديرين
فهو مصدر مضاف للمفعول • قال الفضيل بن عياض على حب اطعام
الطعام قوله مسكينا اي ذا مسكنة ويتيما اي من يتامى المسلمين
واسيرا اي الذي يوسر فيحبس فذكر الله المسكين العاجز عن الاكتساب
بنفسه واليتيم هو الذي مات من يكسب له ويبقى عاجزا عن الكسب
لصغره والاسير هو الماخوذ من قومه المملوك رقبته الذي لا يملك لنفسه
نصرا ولا حيلة • قال ابن عباس والحسن وقتادة الاسير من اهل الشرك
يكون في ايديهم • فان قيل لما وجب قتله فكيف يجب اطعامه • فالجواب
ان القتل في حال لا يمنع من الاطعام في حال اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه
ان يعاقب بوجه اخر • وكذلك لا يحسن فيمن عليه قصاص ان يفعل به ما هو
دون القتل ويجب على الامام ان يطعمه فان لم يفعله الامام وجب على المسلمين
وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاسير المحبوس • وقال السدي الاسير المملوك

وقيل الاسير الغريم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله
في النساء فانهن عوان عندكم اسيرك غريمك وقال عطا الاسير الاسير
من اهل القبلة وغيرهم قال القرطبي هذا يعم جميع الاقوال ويكون اطعام
الاسير المشرك قربة غير انه من صدقة التطوع فاما المفروضة فلا
وقيل الاسير الزوجة قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا
فانهن عوان عندكم وقال القفال واللفظ يحتمل كل ذلك لان اصل
الاسر هو الشد بالقيد وكان الاسير يفعل به ذلك حاله **فصل**
قال القرطبي قيل نسخ اية المسكين اطعام الصدقات واطعام الاسير
بحفظ نفسه الى ان يتخير فيه الامام قال الماوردي ويحتمل ان يريد
بالاسير الناقص العقل لانه في اسر خبله وجنونه واسر المشرك انتقام
يتوقف على راي الامام وهذا بر واحسان **قوله** انما نطعمكم لوجه
الله على اضمار القول اي يقولون بالسنتهم لليتيم والمسكين والاسير
انما نطعمكم في الله جل ثناوه فزعا من عذابه وطمعا في ثوابه لا نريد
منكم جزا ولا شكورا اي ولا ثنا علينا بذلك قال ابن عباس كذلك
كانت نياتهم في الدنيا حين اطعموا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به
ولكن علمه الله منهم فاثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب قيل هذه
الايات نزلت في مطعم بن ورقا الانصاري نذر نذرا فوفى به وقيل
نزلت فيمن تكفل باسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين ابو بكر وعمر
وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وابو عبيدة رضي الله
عنهم ذكره الماوردي وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم في
يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا وقيل نزلت في علي وفاطمه رضي الله
عنهما وجارية لهما اسمها فضة قال القرطبي نزلت في جميع الابرار ومن
فعل فعلا حسنا فهي عامة وما ذكر عن علي وفاطمة لا يصح وروى
جابر الجعفي في قوله تعالى يوفون بالنذر عن قنبر مولى علي رضي الله
عنه قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما اصحاب رسول الله فقال
ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن لو نذرت عن ولديك نذرا فقال علي رضي
الله عنه ان برا ولداي صمت لله ثلاثة ايام شكرا فقالت جارية لهم
ان برا سيدي صمت لله ثلاثة ايام شكرا وقالت فاطمة رضي الله
عنها كذلك وقال الحسن والحسين مثل ذلك وذكر الحديث قال اهل
الحديث جابر الجعفي كذاب **فصل** قال ابن الخطيب اعلم ان
الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله وتارة يكون لغير الله اما طلبا
لمكافاة او طلبا لحمد وثنا وتارة يكون لهما وهذا هو الشرك والاول
هو المقبول عند الله واما القسمان الباقيان فمردودان قال الله تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله ريا الناس وما اتيتم
من زكاة تريدون وجه الله وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا
يربو عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاوليك هم
المضعفون ولا شك ان التماس الشكر من جنس المن والاذى اذا عرفت
ذلك فنقول القوم لما قالوا انما نطعمكم لوجه الله بقي فيه احتمال انه اطعمه
لوجه الله ولساير الاغراض على سبيل التشريك فلا جرم نفى هذا الاحتمال
بقوله تعالى لا نريد منكم جزا ولا شكورا **فصل** والشكور والكفور مصدران
كالشكر والكفر وهو على وزن الدخول والخروج وهذا قول جمهور اهل اللغة
وقال الاخفش ان شيت جعلت الشكور جماعة الشكر وجعلت الكفور
كقوله تعالى فابى الظالمون الا كفورا مثل برد وبرود وان شيت جعلته مصدرا
واحدا

واحدا في معنى جمع مثل قعد قعودا وخرج خروجا **قوله** انا نخاف من ربنا
يحتمل وجهين احدهما ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك لا لارادة مكافاتكم
والثاني لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على ترك المكافاة بخوف عقاب الله
على طلب المكافاة بالصدقة فان قيل انه تعالى لما حكى عنهم الايفا بالنذر علل ذلك
بخوف القيامة فقط ولما حكى عنهم الاطعام علل ذلك بامرين بطلب رضى الله تعالى
وبالخوف فما الحكمة في ذلك فالجواب ان النذر هو الذي اوجبه على نفسه لاجل الله
فلما كان كذلك لا جرم علله بخوف القيامة فقط واما الاطعام فان الله تعالى هو
الذي شرعه فلا جرم ضم اليه خوف القيامة **قوله** يوما عبوسا قمطريرا
القمطر الشديد واصله كما قال الزجاج مشتق من اقمطرت الناقة اذا رفعت
ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها قال الزمخشري اشتقه من القطر
وجعلت الميم زايدة قال اسد بن ناعصة

واصطلت بالحروب في كل يوم ... باسل الشر قمطرير الصباح

قال ابو حيان واختلف النحاة في هذا الوزن والاكثر على انه بنية افعل
في اوزان الافعال ويقال اقمطر يقمطر فهو مقمطر قال الشاعر

ملوت العقرب ترنو يكسوستها الحمار يقمطر

ويوم قمطرير وقماطر بمعنى شديد قال الشاعر

ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها ... ولج بها اليوم الشديد القماطر

وقال الزجاج القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه انتهى
فعلى هذا يكون الرابن فيه مزيدتين وقال القرطبي القمطرير الطويل
قال الشاعر شديدا عبوسا قمطريرا تقول العرب يوم
قمطرير وقماطر وعصيب بمعنى وانشد الفرا

بني عمنا هل تذكرون بلانا ... عليكم اذا ما كان يوم قماطر

بضم القاف واقمطر اذا اشتد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون
من الايام واطوله في البلا وانشد ففروا اذا ما الحرب البيت المتقدم
وقال الكسايي يقال اقمطر اليوم وازمهر قمطرارا وازمهرارا وهو الزمهرير بر
والقمطرير ويوم مقمطر اذا كان صعبا شديدا قال الهذلي

بنو الحرب ارضعنا لهم مقمطرة ... ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب

والعبوس مضاعفة لليوم يوما يعبس فيه الوجوه من هوله وشدته
والمعنى نخاف يوما ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر يوميذ
حتى يسيل عرق كالقطران الصبر وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين
والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلهما من صفات الوجه المتغير من شدايد
ذلك اليوم **قوله** فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي دفع عنهم باس
ذلك اليوم وشدته وعذابه وقرا ابو جعفر فوقاهم الله بتشديد
القاف على المبالغة واعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم اتوا بالطاعات لغرضين
لاجل رضى الله تعالى والخوف من القيامة بين هاهنا انه اعطاهم هذين
الغرضين وهو انه حفظهم من اهوال القيامة وهو قوله تعالى فوقاهم
الله شر ذلك اليوم واما طلبهم رضى الله تعالى فاعطاهم الله بسببه نضرة
في الوجه اي حسنا حين راوه وسرورا في القلب قال الضحاك البياض والنقا
وقال ابن جبير الحسن والبها وقال ابن زيد اثر النعمة **قوله** وجزاهم هم
بما صبروا ما مصدرية وجنة مفعول ثان اي جزاهم جنة بصبرهم
وقدر مكي مضافا فقال تقديره دخول جنة ولبس حرير والمعنى
وجزاهم بصبرهم على الفقر وقال القرطبي على الصوم وقال عطا على الجوع ثلاثة
ايام نذروا وقيل بصبرهم على الله وصبرهم عن معصية الله ومحارمه

ومأثمه وهذا يدل على ان الآيات نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا وروى ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولى والصبر على اداء الفرائض والصبر على اجتناب محارم الله والصبر على المصائب **قوله** جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير **قوله** متكئين حال من مفعول جزاهم والعامل فيها جزا ولا يعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا والاتكاء في الآخرة وقرا علي رضي الله عنه وجازاهم وجوز ابو البقا ان يكون صفة لجنة وهذا لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم بروز الضمير فيقال متكئين فيها لجريان الصفة على غير من هي له وقد منع مكي ان يكون متكئين صفة لجنة لما ذكرنا من عدم بروز الضمير وممن ذهب الى كون متكئين صفة لجنة الزمخشري فانه قال ويجوز ان يكون متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة وهو مردود بما تقدم ولا يجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل صبروا لان الصبر كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الآخرة قال معناه مكي ولقائل ان يقول ان لم يكن المانع الا هذا فاجعلها حالا مقدرة لان مآلهم بسبب صبرهم الى هذه الحالة وله نظائر قاله ابن الخطيب وقال الاخفش وقد ينتصب على المدح والضمير في فيها اي في الجنة وقال الفرا جعلت متكئين تابعا كانه قال جزاهم جنة متكئين فيها والارائك السرر في الحجال وحكاه عن العرب اسما محتوى على صفات احدها الاريكة لا تكون الا في الحجلة على سرير ومنها السجل هو الدلو الممتلئ ماء فاذا صغرت لم يسم سجلا وكذلك الذنوب لا يسمى ذنوبا حتى يملا قاله القرطبي وهذا فيه نظر لانه قد ورد في شعر العرب نصف البارك قال

يعثر المهيج كالذنوب المرسل

يعني الدلو اذا الغرب في البير وهو لا يلقى في البير الا وكان فارغا قال والكاس لا يسمى كاسا حتى تترع من الخمر قال وكذلك الطبق الذي يهدى فيه الهدية اذا كانت فيه مهدى فان كان فارغا يسمى طبقا وخوانا قال ابن الاعرابي مهدى بكسر الميم ولا يسمى الطبق مهدى الا وفيه ما يهدى والمهدى بالمد الذي من عادته ان يهدى وقيل الارائك الفرش على السرر وقال ذو الرمة

خدودا جفت في السير حتى كانما ... يباشرن بالمعزاء مس الارائك

اي الفرش على السرر **قوله** لا يرون فيها شمسا فيها اوجه احدها انها حال ثانية من مفعول جزاهم الثاني انها حال من الضمير المرفوع المستكن في متكئين فيكون حالا متداخلة الثالث ان يكون صفة لجنة كمتكئين عند من يرى ذلك كما تقدم عن الزمخشري والزمهرير اشد البرد وهذا هو المعروف وقيل هو القمر بلغة طي وانشد

وليلة ظلامها قد اعتكر ... قطعتها والزمهرير ما زهر

ويروى ما ظهر اي لم يطلع القمر والمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا اي انهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار لان ضوء النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر والمعنى ان الجنة لا يحتاج فيها الى الشمس ولا الى القمر ووزنه فعليل وقيل المعنى لا يرون في الجنة شدة حر كحر الشمس ولا زمهريرا اي ولا بردا مفرطا قال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها سبحانه قالت يا رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتاء ونفسا في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون من الحر في الصيف من سمومها قال مرة الهمداني الزمهرير البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان هو شي مثل رؤوس الابر ينزل من السماء

في غاية البرد



في غاية البرد وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو لون من العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيه سألوا الله ان يعذبهم في النار الف سنة اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا **قوله** ودانية عليهم العامة على نصبها وفيها اوجه احدها انها عطف على محل لا يرون الثاني انها معطوفة على متكئين فيكون فيها ما فيها قال الزمخشري فان قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطف قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم الثالث انها صفة لمحذوف اي وجنة دانية قاله ابو البقا كانه قيل وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا اي اخرى دانية عليهم ظلالها لانهم قد وعدوا جنتان لانهم خافوا مقام ربهم بقولهم انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا الرابع انها صفة لجنة الملفوظ بها قاله الزجاج وقال الفرا نصب على المدح ايضا دانية لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرا ابو حيوة ودانية بالرفع وفيها وجهان اظهرهما ان يكون ظلالها مبتدا ودانية خبر مقدم والجملة في موضع الحال قال الزمخشري والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم والثاني ان ترتفع دانية بالابتدا وظلالها فاعل به وبها استدل الاخفش على جواز اعمال اسم الفاعل وان لم يعتمد نحو قائم الزيدون فان دانية لم يعتمد على شي مما ذكره النحويون ومع ذلك فقد رفعت ظلالها وهذا لا حجة فيه لجواز ان يكون مبتدا وخبرا مقدما كما تقدم وقال ابو البقا وحكي بالجر اي في جنة دانية وهو ضعيف لانه عطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار يعني انه قرئ شاذا ودانية بالجر على انها صفة لمحذوف ويكون ح نسقا على الضمير المجرور من قوله تعالى لا يرون فيها اي ولا جنة دانية وهو راي الكوفيين حيث يجوزون العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار ولذلك ضعفه وتقدم الكلام على ذلك في البقرة واما رفع ظلالها فيجوز ان يكون مبتدا وعليهم خبر مقدم ولا يرتفع بدانية لان دنا يتعدى بالى لا بعلى ويجوز ان يرفع بدانية على ان تضمن معنى مشرفة لان دنا واشرف متقاربان قال معناه ابو البقا وهذان الوجهان جاريان في قراءة من نصب دانية وقرا الاعمش ودانيا بالتذكير للفصل بين الوصف وبين مرفوعه بعليهم او لان الجمع مذكر وقرا ابي ودان عليهم بالتذكير مرفوعا وهي شاذة ومذهب الاخفش حيث يرتفع باسم الفاعل وان لم يعتمد ولا جائز ان يعربا مبتدا وخبرا لعدم المطابقة وقال مكي وقرئ ودانيا ثم قال ويجوز ودانية بالرفع ويجوز ودان بالرفع والتذكير فلم يصرح بانهما قريا وقد تقدم انهما مقروء بهما فكانه لم يطلع على ذلك

فصل قال المفسرون معناه ان ظل الاشجار في الجنة قريب من الابرار فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم قال ابن الخطيب فان قيل الظل انما يوجد حيث توجد الشمس وهناك لا شمس في الجنة فكيف يحصل الظل والجواب ان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت الاشجار مظللة منها وان كان لا شمس ولا قمر كان

امشاطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ ولا شعث • ثم قوله وذلك
يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال عطفا على دانية فمن نصبها اي
ومذللة ويجوز ان يكون حالا كما تقدم فصل المعنى وسخرت
لهم قطوفها اي ثمارها تذليلا اي تسخيرا فيتناولها القايم والقاعد
والمضطجع لا ترد ايديهم عنها قال ابن قتيبة ذللت ادنيت منهم
من قولهم حايط ذليل اذا كان قصير السمك • وقيل ذللت اي جعلت منقادة
لا تمتنع على قطافها كيف شاوا • قال البرا بن عازب رضي الله عنه
ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاوا فمن اكل قايما لم يوذه ومن
اكل جالسا لم يوذه ومن اكل مضطجعا لم يوذه • وقال ابن عباس
اذا هموا ان يتناولوا من ثمارها تدلت اليهم حتى يتناولوا منها ما يريدون
وتذليل القطوف تسهيل التناول والقطوف الثمار الواحد قطف
بكسر القاف سمي به لانه يقطف كما سمي الجنى لانه يجنى قوله تذليلا
تاكيد لما وصف به من الذل لقوله تعالى ونزلناه تنزيلا وكلم الله موسى
تكليما قال الماوردي ويحتمل ان يكون تذليل قطوفها ان تبرز لهم من
اكمامها وتخلص لهم من نواها • وقال النحاس ويقال المذلل الذي يعنيه
ادنى ريح لنعمه ويقال المستوى لان اهل الحجاز يقولون ذلل نخلك
اي استوى قوله ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب
لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم وصف
الاواني التي يشرب بها ومعنى يطاف اي يدور على هولاء الابرار الخدم
اذا ارادوا الشراب بانية من فضة • قال ابن عباس ليس في الدنيا شي
مما في الجنة الا الاسما الذي في الجنة اشرف واعلا ثم لم ينف الاكواب
الذهبية بل المعنى يسقون في اواني الفضة وقد يسقون في اواني
الذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فنبه بذكر احدهما
على الاخر قوله بانية هذا هو القايم مقام الفاعل لانه هو المفعول
به في المعنى ويجوز ان يكون عليهم وانية جمع اناء والاصل اانية بهمزتين
الاولى مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية الفا وجوبا
وهذا نظير كسا واكسية وغطا واغطية ونظيره في الصحيح اللام حمار واحمرة
وقيل من فضة نعت لانية قوله واكواب والاكواب هي الكيزان
العظام التي لا اذان لها ولا عرى واحدها كوب قال عدي متكي
تصفق ابوابه يسعى عليه العبد بالكوب وقد مضى في الزخرف قوله
كانت قوارير اختلف القراء في هذين الحرفين بالنسبة الى التنوين
وعدمه والوقف بالالف وعدمها كما تقدم خلافهم في سلاسل لفظا
ان القراءة على خمس مراتب احداها تنوينهما معا والوقوف عليهما
بالالف لنافع والكسائي وابو بكر • الثانية مقابلة وهي عدم تنوينهما
وعدم الالف عليهما بالالف وعلى الثاني بدونها لهشام وحده والرابعة
تنوين الاول دون الثاني والوقف على الاول وعلى الثاني بدونها
لابن كثير وحده • الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول
بالالف وعلى الثاني بدونها لابي عمرو وابن ذكوان وحفص فاما
من نونهما فلما مر في تنوين سلاسل لانهما صيغة منتهى الجموع وذاك
على مفاعل وذا على مفاعيل والوقف بالالف التي هي بدل من التنوين
وفيه موافقة للمصاحف المذكورة فانهما مرسومان فيها بالالف
ما نقل ابو عبيد • واما عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف فظاهر
جدا • واما من نون الاول دون الثاني فانه ناسب بين الاول وبين
روس

روس الاي ولم يناسب بين الثاني وبين الاول • والوجه في وقفه
على الاول بالالف وعلى الثاني بغير الف ظاهر • وقد روى ابو عبيد انه
كذلك في مصاحف اهل البصرة • واما من لم ينونهما ووقف على الاول
بالالف وعلى الثاني بدونها فلان الاول راس اية فناسب بينه
وبين روس الاي في الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثاني لانه
ليس براس اية • واما من لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فلانه
ناسب بين الاول وبين روس الاي وناسب بين الثاني وبين
الاول • وحصل مما تقدم وفي سلاسلا وفي هذين الحرفين ان القرا
منهم من وافق مصحفه ومنهم من خالفه لاتباع الاثر وتقدم الكلام
على قواريرا في سورة النمل وهل اتى • وقال الزمخشري وهذا التنوين
بدل من حرف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول يعني
المقسم ياتون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق الذي للترنم كقوله
يا صاح ما هاج الدموع الذرفن • وفي انتصاب قوارير وجهان اظهرهما
انه خبر كانت • والثاني انها حال وكانت تامة اي كونت فكانت • قال
ابو البقا وحسن التكرير لما اتصل به من بيان اصلها ولولا التكرير
لم يحسن ان يكون الاول راس اية لشدة اتصال الصفة بالموصوف
وقرا الاعمش قوارير بالرفع على اضمار مبتدا اي هي قوارير ومن فضة
صفة لقوارير • والمعنى في صفاء القوارير وبياض الفضة فصفاوها صفا
الزجاج وهي من فضة فصل روي ان ارض الجنة من فضة والاواني
تتخذ من تربة الارض التي هي منها ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وقال
ليس في الجنة شي الا وقد اعطيتم في الدنيا شبهه الا قوارير من فضة • قال
ابن الخطيب ومعنى كانت هو من تكون من قوله فيكون اي فتكونت قوارير
بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العظيمة العجيبة الشان الجامعة بين
صفة الجوهرين المتباينين • ثم قال فان قيل كيف تكون هذه الاكواب من
فضة ومن قوارير • والجواب من وجوه احدها ان اصل القوارير في الدنيا
الرمل • واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما ان الله تعالى قادر على ان
يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على ان يقلب فضة
الجنة قارورة لطيفة فالغرض من ذكر هذه الاية التنبيه على ان نسبة
قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لا نسبة
بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين • وثانيها ما تقدم من قول
ابن عباس رضي الله عنهما انه ليس في الدنيا شي مما في الجنة الا الاسما او انها
جامعة بين صفا الزجاج وشفافه وبين نقا الفضة ونقا بياضها فيها
وثالثها انه ليس المراد بالقوارير الزجاج بل العرب تسمي ما استدار من
الاواني التي يجعل فيها الاشربة مما رق وصفا قارورة فالمعنى واكواب
من فضة مستديرة صافية قوله قدروها تقديرا صفة لقوارير والواو
في قدروها فيها وجهان احدهما انها للطايفين عليهم ومعنى تقديرهم اياها
انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير وانها على حسب شهواتهم
فجاءت كما قدروا • والثاني ان الواو للطايفين للدلالة عليهم من قوله تعالى
ويطاف والمعنى انهم قدروا شرابها على قدر ري الشارب وهو الذ الشراب
لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز • قاله الزمخشري • وجوز ابو
البقا ان تكون الجملة مستانفة • قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما اتوا بها
قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان • قال الكلبي وذلك الذ واشهى
والمعنى قدرتها الملايكة التي تطوف عليهم • وعن ابن عباس رضي الله عنه

قدروها على ملا الكف لا يزيد ولا ينقص حتى لا يوذيهم بثقل او بافراط
صغر . وقرا علي وابن عباس والسلمي والشعبي وزيد بن علي وعبيد بن عمير
وابو عمرو في رواية الاصمعي قدروها بضم القاف وكسر الدال مبنيا للمفعول
اي جعلت لهم على قدر ارادتهم وجعله الفارسي من باب المقلوب قال
كان اللفظ قدروا عليها وفي المعنى قلب لان حقيقة المعنى ان يقال قدرت
عليهم فهي مثل قوله تعالى ومثل قول العرب
اذا طلعت الجوزا القى العود على الثريا . قال الزمخشري ووجه ان
يكون من قدر منقولا من قولك قدرت وقدرته فلان اذا جعلته قادرا
له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاوا واطلق لهم ان يقدروا على حسب
ما اشتهوا . وقال ابو حاتم قدرت الاواني على قدر ريهم ما لم يسم فاعله
محذوف الري فصارت الواو مكان الهاء والميم لما حذف المضاف مما
قبله وصارت الواو مفعول ما لم يسم فاعله واتصل ضمير المفعول الثاني
في تقدير النصب بالفعل بعد الواو التي تحولت من الهاء والميم حتى اقيمت
مقام الفاعل وفي هذا التخريج تكلف مع عجرفة الفاظه . وقال ابو حيان
والاقرب في تخريج هذه القراة الشاذة قدر منها تقديرا فحذف المضاف وهو
الري واقيم الضمير بنفسه فصار قدروها فلم يكن فيه الا حذف مضاف
واتساع في الفعل قال شهاب الدين وهذا منتزع من تفسير كلام ابي حاتم
وقال القرطبي قال المهدوي ومن قراها قدروها فهو راجع الى معنى القراة
الاخرى كان الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى قدرت عليهم
وانشد سيبويه البيت
حب العراق الدهر اكله . والحب ياكله في القرية السوس
وذهب الى ان المعنى حب العراق . وقيل هذا التقدير هو ان الاقداح
تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب وذلك قوله تعالى قدروها تقديرا
اي لا يفضل عن الري ولا ينقص منه فقد الهمت الاقداح معرفة مقدار
ري المشتهي حين تغترف مقدارة ذلك ذكر ذلك الحكيم الترمذي في
نوادر الاصول . قوله ويسقون فيها كاسا وهي الخمر في الانا
كان مزاجها زنجبيلا وكان صلة مزاجها زنجبيل او كان في حكم الله
زنجبيلا . وكانت العرب يستلذون امر الشراب ما يمزج من الزنجبيل
لطيب رايحته لانه يحذو اللسان ويهضم الماكول ويحدث في المشروب
شربا من اللذع فرغبوا في نعيم الاخرة مما اعتقدوه نهاية النعيم والطيب
والزنجبيل نبت معروف وسميت الكاس بذلك لوجود طعم الزنجبيل
فيها وانشد الزمخشري للاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا
وانشد للمسيب بن علس يصف ثغر المراة . وكان طعم الزنجبيل به
اذ ذقته وسلافة الخمر . ويروى وسلافة الكرم . وقال مجاهد الزنجبيل
اسم للعين التي منها مزاج شراب الابرار . وكذا قال قتادة . وقيل عين
في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل والمعنى كان ويكون قد عطفت رايت
الثاني على الاول ويكون فعل الجواب محذوفا ويكون فعل الجواب
المحذوف هو الناصب لقوله تعالى نعيما والتقدير اذا صدر منك روية
ثم صدر منك روية اخرى رايت نعيما وملكا فرايت هذا هو الجواب
فصل هذا الخطاب قيل للنبي صلى الله عليه وسلم . وقيل عام
والنعيم ما يتنعم به والملك الكبير . قال سفيان الثوري بلغنا ان الملك
الكبير تسليم الملائكة عليهم . وقيل كون التيجان على روسهم كما يكون
على روس الملوك . وقال السدي ومقاتل هو استيذان الملائكة عليهم وقال
الحكيم

الحكيم الترمذي هو ملك التكوين اذا اراد شيا قال له كن . وفي الخبر
ان الملك الكبير هو ان ادناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة الفي عام يرى
اقصاه كما يرى ادناه وان افضلهم منزلة من ينظر في وجه ربه تعالى
كل يوم مرتين . قوله عاليهم قرا نافع وحمزة بسكون اليا وكسر الهاء
والباقون بفتح اليا وضم الهاء لما سكنت اليا كسر الهاء ولما تحركت
ضمت على ما تقرر في اول الكتاب . فاما قراة نافع وحمزة ففيها اوجه
اظهرها ان يكون خبرا مقدما وثياب مبتدا موخر . والثاني ان عاليهم
مبتدا وثياب مرفوع على جهة الفاعلية وان لم يعتمد الوصف وهذا
قول الاخفش . والثالث ان عاليهم منصوب وانما سكن تخفيفا
قاله ابو البقا واذا كان منصوبا فسياتي فيه اوجه وهي واردة
هنا الا ان تقدير الفتحة من المنقوص لا يجوز الا في ضرورة او شذوذ
وهذه القراة متواترة فلا ينبغي ان يقال به فيها . واما قراة
من نصب ففيها اوجه احدها انه ظرف خبرا مقدما وثياب مبتدا
موخر كانه قيل فوقهم ثياب . قال ابو البقا لان عاليهم بمعنى فوقهم
وقال ابن عطية ويجوز في النصب ان يكون على الظرف لانه بمعنى
فوقهم . قال ابو حيان وعالي اسم فاعل فيحتاج في كونهما ظرفين
الى ان يكون منقولا من كلام العرب عاليك او عاليتك ثوب . قال
شهاب الدين قد وردت الفاظ من صيغة اسما الفاعلين ظروفا
نحو خارج الدار وداخلها وباطنها وظاهرها . تقول جلست خارج
الدار وكذلك البواقي وكذلك هذا . الثاني انه حال من الضمير
في عليهم . الثالث انه حال من مفعول حسبتهم . الرابع انه حال من مضاف
مقدر اي رايت اهل نعيم وملك كبير عاليهم . فعاليهم حال من اهل
المقدر ذكر هذه الاوجه الثلاثة الزمخشري فانه قال وعاليهم
بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم ولدان عاليا المطوف
عليهم ثياب او حسبتهم لولوا عاليا لهم ثياب . ويجوز ان يراد اهل
نعيم . قال ابو حيان اما ان يكون حالا من الضمير في حسبتهم فانه
لا يعني الا ضمير المفعول وهو لا يعود الا على ولدان وهذا لا يصح
لان الضماير الاتية بعد ذلك تدل على انها للمطوف عليهم من
قوله تعالى وحلوا وسقاهم وان هذا كان لكم جزا وفك الضماير
وجعل هذا لذا وهذا لذا مع عدم الاحتياج الى ذلك لا يجوز . واما
جعله حالا من محذوف وتقديره اهل نعيم فلا حاجة الى ادعا الحذف
مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف . قال شهاب الدين
جعل احد الضماير لشي والاخر لشي اخر لا يمنع صحة ذلك مع ما يميز عود
كل واحد الى ما يليق به وكذلك تقدير المحذوف غير ممنوع ايضا وان
كان الاحسن ان تتفق الضماير وان لا يقدر محذوف والزمخشري
انما ذكر ذلك على سبيل التجويز لا على سبيل انه اولى او مساو فيرد عليه
ما ذكره . الخامس انه حال من مفعول لقاهم . السادس انه حال من مفعول
جزاهم ذكرهما مكي وعلى هذه الاوجه انتصب عاليهم على الحال ترتفع به
ثياب على الفاعلية ولا يضر اضافته الى معرفة في وقوعه حالا لان الاضافة
لفظية كقوله تعالى عارض ممطرنا فانث عارضا ولم يونث عاليا لان مرفوعه
غير حقيقي التانيث . السابع ان ينتصب عاليهم على الظرف ويرتفع ثياب
به على جهة الفاعلية وهذا ماش على قول الاخفش والكوفيين حيث يعملون
الظرف وعديله وان لم يعتمد كما تقدم ذلك في الوصف . واذا رفع عاليهم بالابتدا

وثياب على انه فاعل به كان مفردا على بابه لوقوعه موقع الفعل
واذا جعل خبرا مقدما كان مفردا ومرادا به الجمع فيكون كقوله فقال لعطع
دابر القوم اي ادبار قاله مكي • وقرا ابن مسعود وزيد بن علي عاليهم
مونثا بالتا مرفوعا والاعمش وابان عن عاصم كذلك الا انه منصوبا
وقد عرف الرفع والنصب مما تقدم • وقرأت عايشة رضي الله عنها
عليتهم فعلا ماضيا متصلا بتا التانيث الساكنة وثياب فاعل به
وهي مقوية للاوجه المذكورة في رفع ثياب بالصفة في قراءة الباقين
كما تقدم تفصيله • وقرا ابن سيرين ومجاهد وابو حيان وابن ابي
عبلة وخلايق جارا ومجرورا واعربه كاعراب عاليهم ظرفا في جواز
كونه خبرا مقدما او حالا مما تقدم وارتفاع ثياب به على التفصيل
المذكور **فصل** قال ابن الخطيب والضمير في عاليهم اما للولدان
او للابرار فكانهم يلبسون عدة من الثياب فيكون الذي يعلوها افضلها
ولهذا قال تعالى عاليهم اي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس
والمعنى حجالهم من الحرير والديباج **قوله** ثياب سندس
والعامة باضافة الثياب لما بعدها وابو حيان وابن ابي عبلة
ثياب منونا سندس خضر واستبرق برفع الجميع فسندس نعت
لثياب لان السندس نوع وخضر نعت لسندس يكون اخضر وغير
اخضر كما ان الثياب تكون سندسا وغيره واستبرق نسق على ما قبله
اي وثياب استبرق • واعلم ان القرا السبعة في خضر واستبرق
على اربع مراتب الاولى رفعهما لنافع وحفص فقط • الثانية خفضهما
للاخوين فقط • الثالثة رفع الاول وخفض الثاني لابن عمرو وابن
عامر فقط • الرابعة عكسه لابن كثير وابي بكر فقط • فاما القراة الاولى
فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق نسق على الثياب ولكن
على حذف مضاف اي وثياب استبرق ومثله على زيد ثوب خز وكتان
اي وثوب كتان • واما القراة الثانية فيكون جر على خضر على النعت
لسندس ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع فقال مكي هو اسم جمع
وقيل هو جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف اسم الجنس بالجمع يصح
قال تعالى وينشئ السحاب الثقال • واعجاز نخل منقعر ومن الشجر
الاخضر واذا كانوا قد وصفوا المحل لكونه مرادا به الجنس بالجمع في
قولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض • وفي التشكيل
او الطفل الذين فلان توجد لمكان اسما الجموع او اسما الاجناس الفارق
بينهما وبين واحدها تا التانيث بطريق الاولى وجر استبرق نسقا
على سندس لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق واما القراة
الثالثة فرفع خضر نعتا للثياب وجر استبرق نسقا على سندس اي ثياب
خضر من سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق ايضا اخضر واما
القراة الرابعة فجر خضر على انه نعت لسندس ورفع استبرق على النسق
على ثياب بحذف مضاف اي وثياب استبرق وتقدم الكلام على مادة
سندس والاستبرق في سورة الكهف • وقرا ابن محيصن واستبرق
بفتح القاف ثم اضطرب النقل عنه في الهمزة فبعضهم ينقل عنه انه
قطعها وبعضهم ينقل انه وصلها فقال الزمخشري وقرئ واستبرق نصبا
في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف
التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه جعله علما لهذا
الضرب من الثياب وقرا واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه سمي استفعل

من البرق

من البرق وهو ليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه واصله استبره
وقال ابو حيان ودل قوله الا ان يزعم ابن محيصن • وقوله بعد وقرئ
واستبرق بوصل الالف والفتح ان قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع
فتح القاف والمنقول عنه في كتب القراات انه قرا بوصل الالف وفتح القاف
قال شهاب الدين قد سبق الزمخشري الى هذا مكي فانه قال وقد قرا
ابن محيصن بغير صرف وهو وهم ان جعله اسما لانه نكرة منصرف وقيل
بل جعله فعلا ماضيا من برق فهو جائز في اللفظ بعيد في المعنى وقيل انه في الاصل
فعل ماض على استفعل من برق فهو عربي من البريق فلما سمي به قطعت
الفه لانه ليس من اصل الاسما ان يدخلها الف الوصل وانما دخلت في اسما
معتلة مغيرة عن اصلها معدودة لا قياس عليها انتهى • فدل قوله قطعت
الفه الى اخره انه قرا بقطع الهمزة وفتح القاف • ودل قوله اولا بل جعله
فعلا ماضيا من برق انه قرا بوصل الالف لانه لا يتصور ان يحكم عليه
بالفعلية غير منقول الى الاسما فيترك الفه الف قطع البتة وهذا الحاصل
با اللغة فيكون قد روي عنه قراتان قطع الالف ووصلها فظهر ان الزمخشري
لم ينفرد بالنقل عن ابن محيصن بقطع الهمزة • وقال ابو حاتم في قراءة ابن
محيصن لا يجوز • والصواب انه اسم جنس لا ينبغي ان يحمل ضميرا ويريد
ذلك دخول المعرفة عليه والصواب قطع الالف واجراوه على قراءة الجماعة
قال ابو حيان نقول ان ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية
وقد اخذ عن اكابر العلما فيتطلب لقراته وجها وذلك انه يجعل استفعل
من البريق تقول برق واستبرق كعجب واستعجب ولما كان قوله خضر يدل
على الخضرة وهي لون ذلك السندس وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها
دهمة وغبش اخبر ان في ذلك بريقا وحسنا يزيل غبشته فاستبرق
فعل ماض والضمير فيه عايد على السندس او على الاخضر الدال عليه خضر وهذا
التخريج اولى من يعرف العربية وتوهيم ضابط ثقة وهذا هو
الذي ذكره مكي وهذه القراة تقدمت في سورة الكهف **قوله** وحلوا
اساور من فضة عطف على ويطوف عطف ماضيا لفظا مستقبلا معنا
وابرزه بلفظ الماضي لتحققه • وقال الزمخشري بعد سوال وجواب
من خبث المعنى وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب
وسوار من فضة فناقشه ابو حيان في قوله بالمعصم فقال قوله بالمعصم
اما ان يكون مفعولا احسن وان يكون بدلا منه واما ان يكون مفعولا
احسن وان يكون بدلا منه • واما ان يكون مفعول احسن وقد فصل بينهما
بالجار والمجرور فان كان الاول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء في مفعول
افعل التعجب لا تقول ما احسن بزيد تريد ما احسن زيدا • وان كان الثاني
ففي هذا الفصل خلاف والمنقول عن بعضهم لا يجوز والمولد ينبغي اذا
تكلم ان يتحرز وكلامه فيما فيه خلاف • قال شهاب الدين واي غرض
له في تتبع كلام هذا الرجل حتى في الشي اليسير على ان الصحيح جوازه وهو
المسموع من العرب نثرا • قال عمرو بن معد يكرب •
لله در بني فلان ما اشد في الهيجا لقاها • وانت في المكرمات بقاها •
واحسن في الكريهات عطاها • والتشاغل بغير هذا اولى **فصل**
قال هنا اساور من فضة • وفي سورة فاطر يحلون فيها من اساور من
ذهب • وفي سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا • فقيل
حلي الرجل الفضة • وقيل يجمع في احدهم سواران من ذهب وسواران
من فضة وسواران من لولو ليجمع لهما محاسن الجنة قاله سعيد بن

المسيب رضى الله عنه وقيل يعطى كل احد ما يرغب فيه وتميل نفسه
اليه وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان واسورة الذهب للناس
وقيل هذا للنساء والصبيان وقيل هذا بحسب الاوقات قوله
وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال على رضى الله عنه فى قوله تعالى وسقاهم
ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج
من تحت ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجرى عليهم بنضرة النعيم
فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى
فيخرج ما فى بطونهم من الاذى ثم يستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعى وابو قلابة هو اذا
شربوا بعد الاكل طهرهم وصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت
بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة ينبع من ساق
شجرة من شرب منها نزع الله ما كان فى قلبه من غش وغل وحسد
وما كان فى جوفه من اذى وعلى هذا فيكون فعولا للمبالغة ولا يكون
فيه حجة للحنفى انه بمعنى الطاهر قاله القرطبى قال ابن الخطيب
فى قوله تعالى طهورا فيه قولان الاول المبالغة فى كونه طاهرا ثم على
هذا التفسير احتمالات احدها ان لا يكون نجسا كخمر الدنيا والثانى
المبالغة فى البعد عن الامور المستقذرة يعنى ما مسته الايدى الوضرة
والارجل الدنسة وثالثها انه لا يؤول الى النجاسة لانها ترشح عرقا
من ابدانهم له ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون الطهور
مطهرا لانه يطهر باطنهم عن الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية فان قيل
قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا فى نوع مما ذكره قبل ذلك
من انهم يشربون من عين الكافور والزنجبيل والسلسبيل او هذا
نوع اخر قلنا بل هذا نوع اخر لوجوه احدها التكرار والثانى انه
تعالى اضاف هذا الشراب الى نفسه تبارك وتعالى بقوله تعالى وسقاهم
ربهم وذلك يدل على فضل هذا على غيره والثالث ما روى من انه
تقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها اتوا بالشراب الطهور
فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك
وهذا يدل على ان الشراب مغاير لتلك الاشربة ولان هذا الشراب يهضم
ساير الاشربة ثم له مع هذا الهضم تاثير عجيب وهو انه يجعل ساير الاطعمة
والاشربة عرقا يفوح منه ريح المسك وكل ذلك يدل على المغايرة قوله
ان هذا كان لكم جزاء اى يقال لهم ان هذا جزاؤكم من ثواب اعمالكم فيزداد
بذلك القول فرحهم وسرورهم كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل
له هذا جزاء عملك الردى وكان سعيكم اى عملكم مشكورا اى من قبل الله
وشكره للعبد قبول طاعته وثناؤه عليه واثابته وقال قتادة
غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن وقيل هذا اخبار من الله تعالى لعباده
فى الدنيا كانه تعالى شرح لهم ثواب اهل الجنة اى ان هذا كان فى علمى وحكمى
جزاء لكم يا معشر عبادى لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها فصل قال
ابن الخطيب فى الاية سؤالان الاول اذا كان فعل العبد خلقا لله
تعالى فكيف يعقل ان يكون فعل الله جزاء على فعل الله والجواب ان الجزاء
هو وذلك لا ينافى كونه فعل الله المشكور الثانى كون سعى
العبد مشكورا يقتضى كون الله شاكرا له والجواب كون الله تعالى شاكرا
للعبد محال الا على وجه المجاز وهو من ثلاثة اوجه الاول قال القاضى
ان الثواب مقابل للعمل كما ان الشكر مقابل للنعم الثانى قال القفال انه

مشهور

مشهور فى كلام الناس ان يقول للراضى بالقليل والمثنى به
انه شكور فيحتمل ان يكون شكر الله لعباده وهو رضاه عنهم
بالقليل من الطاعات واعطاؤه اياهم عليها ثوابا كثيرا الثالث
ان منتهى درجة العبد ان يكون راضيا من ربه مرضيا لربه
كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية
فقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اشارة الى الامر الذى صيره
النفس راضية من ربه وقوله وكان سعيكم مشكورا اشارة الى
كونها مرضية لربه ولما كانت هذه الحالة اعلا المقامات واخر
الدرجات لا جرم وقع الختم عليها فى ذكر مراتب احوال الابرار و
الصديقين قوله انا نحن نزلنا يجوز ان يكون توكيدا لاسم ان
وان تكون فصلا ونزلنا على هذين الوجهين هو خبر ان ويجوز
ان يكون نحن مبتدا ونزلناه خبره والجملة خبر ان وقال مكى نحن فى
موضع نصب على الصفة لاسم ان لان المضمر يوصف بالمضمر اذ هو بمعنى
التاكيد لا لتاكيد الخبر عنه قال شهاب الدين وهذه عبارة غريبة
جدا كيف يجعل المضمر موصوفا بمثله ولا نعلم خلافا فى عدم جواز وصف
المضمر الا ما نقل عن الكسائى انه يجوز وصف ضمير الغايب بضمير
اخر فلا خلاف فى عدم جوازه ثم كلامه يؤول الى التاكيد فلا حاجة الى
ابعاده عنه فصل وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه
تعالى لما ذكر اصناف الوعد والوعيد بين ان هذا الكتاب يتضمن
ما بالناس من حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر وانه حق
قال ابن عباس رضى الله عنه انزل القران متفرقا اية بعد اية
ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلنا قال ابن الخطيب المقصود
من هذه الاية تثبيت الرسول وشرح صدره فيما نسبوه اليه من
كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحى من الله تعالى ولا جرم بالغ فى
تكرير الضمير بعد ايقاعه تاكيدا على تاكيد فكانه تعالى يقول ان كان
هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك الحق اقول
على سبيل التاكيد ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من عندى وفى
ذلك فائدتان احدهما ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن
الكفار لان الله تعالى عظمه وصدقه والثانية تقويته على تحمل
مشاق التكليف فكانه تعالى يقول انى ما نزلت عليك متفرقا
الا لحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شى بوقت معين وقد اقتضت
الحكمة تاخير الاذن فى القتال فاصبر لحكم ربك اى لقضاء ربك قال
ابن عباس رضى الله عنه اصبر على اذى المشركين ثم نسخ باية
القتال وقيل اصبر لحكم ربك فيما حكم به عليك من الطاعات او انتظر حكم الله
اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كائن لا محالة ولا تطع منهم
اثما اى ذا اثم او كفورا اى لا تطع الكفار روى معمر عن قتادة قال
قال ابو جهل ان رايت محمدا لاطان على عنقه فانزل الله تعالى ولا
تطع منهم اثما او كفورا وقيل نزلت فى عتبة بن ابى ربيعة والوليد
ابن المغيرة وكانا اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه
الاموال والتزويج على ان يترك ذكر النبوة ففيهما نزلت وعرض
عليه عتبة ابنته وكانت من اجمل النساء وعرض عليه الوليد ان
يعطيه من الاموال حتى يرضاه ويترك ما هو عليه فقرا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات من اول حم السجدة الى قوله

فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه
وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علي قوله او كفورا في او هذه
اوجه احدها انها علي بابها وهو قول سيبويه قال ابو البقا
في النهي عن الجمع لانك اذا قلت في الاباحة جالس الحسن او ابن سيرين كان
التقدير جالس احدهما فاذا نهى قال لا تكلم زيدا او عمرا فالتقدير لا تكلم احدهما
كانهما كلمة كان احدهما فيكون ممنوعا منه فكذلك في الاية ويؤول المعنى الي
تقدير ولا تطع منهما اثما او كفورا فان كلمة معنى او ولا تطع احدهما واذا قيل
لا تطع احدهما علم الناهي عن طاعة احدهما هو عن طاعتهما هو عن
طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما
على طريق الاولى الثاني انها بمعنى لا اي لا تطع منهم اثما ولا من كفر قال مكي
وهو قول الفرا وهو بمعنى الاباحة التي ذكرنا الثالث انها بمعنى الواو وقد
تقدم ان ذلك قول الكوفيين والكفور وان كان يستلزم الاثم الا انه عطف
لاحد امرين اما ان يكونا شخصين بعينهما كما تقدم فالاثم عتبة والكفور
الوليد واما ما قاله الزمخشري فان قلت كان الكلم كلهم كفرة فما معنى القسمة
في قوله اثما او كفورا قلت معناه لا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه
او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل
هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين دون
الثالث فصل قال ابن الخطيب قوله فاصبر لحكم ربك يدخل
فيه ان لا تطع فيه اثما او كفورا فلان ذكره بعده تكرارا والجواب ان الاول
امر بالماموراث والثاني نهي عن المنهيات ودلالة احدهما على الاخر بالتزام
لا بالتصريح فيكون التصريح منه معتبرا فان قيل انه صلى الله عليه وسلم ما
كان يطيع احدا منهم فما فايدة هذا النهي فالجواب ان المقصود بيان
ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد لاجل ما تركب فيهم
من الشهوة الداعية الى الفساد وان احدا لو استغنى عن توفيق الله تعالى
وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم عليه الصلوة والسلام
ومتى ظهر ذلك عرف كل مسلم انه لا بد من الرغبة الى الله تعالى والتضرع
اليه ان يصونه عن الشبهات والشهوات فان قيل ما الفرق بين الاثم
والكفور فالجواب ان الاثم هو الاتي بالمعاصي اي معصية كانت
والكفور هو الجاحد للنعمة فكل كفور اثم وليس كل اثم كفورا لان الاثم
عام في المعاصي كلها قال الله تعالى ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما
فسمى الشرك اثما وقال تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال
تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فدلت هذه الايات
على ان الاثم جميع المعاصي قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
اي صل لربك اول النهار واخره ففي اوله صلوة الصبح وصلوة الظهر والعصر
وهو الاصيل ومن الليل فاسجد له يعني صلوة المغرب والعشا الاخرة وسبحه
ليلا طويلا يعني التطوع فيه قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان
كل تسبيح في القران فهو صلاة وقيل هو الذكر المطلق سوا كان في الصلوة
او في غيرها وقال ابن زيد وغيره ان قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا منسوخ
بالصلوات الخمس وقيل هو ندب وقيل هو مخصوص بالنبي عليه الصلوة
والسلام وجمع الاصيل الاصايل والاصل كقولك سفاين وسفن والاصايل
جمع الجمع ودخلت من على الظرف للتبعيض كما دخلت على المفعول
في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قوله وسبحه فيه دليل على عدم قول
بعض اهل المعاني والبيان ان الجمع بين الحاء والهاء مثلا يخرج الكلام عن

فصاحتها

فصاحتها وجعلوا من ذلك قوله
كريم متى امدحه امدحه والورى ❊ معي واذا ما لمته لمته وحدي
البيت لابي تمام ويمكن ان يفرق بين ما ذكروه وبين الاية الكريمة بان
التكرار في البيت هو المخرج عن الفصاحة بخلاف الاية فانه لا يكرر فيها
قوله ان هولا يحبون العاجلة توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة
الدنيا واعلم انه تعالى لما خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم
والامر والنهي عدل الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى ان هولا
يحبون العاجلة ومعناه ان الذي حمل هولا الكفار على الكفر والاعراض
عما ينفعهم في الاخرة وهو محبتهم اللذات العاجلة والراحات الدنيوية
البدنية قوله ويذرون وراهم اي بين ايديهم وقال وراهم
ولم يقل امامهم لوجوه احدها انهم لما اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه
فكانهم جعلوه وراء ظهورهم وثانيها ان وراء يستعمل بمعنى قدام كقوله
تعالى من ورايه جهنم وكان وراهم ملك وقال مكي سمي وراء التورية
عنك فظاهر هذا الحقيقة والصحيح انها استعمل لقدام
يوما مفعول بيذرون لا ظرف ووصفه بالثقل على المجاز لانه من صفة
الاعيان لا المعاني وقيل معناه يتركون الايمان بيوم القيمة وقيل
نزلت في اليهود وفيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة
نبوته وحبهم العاجلة اخذهم الرشا على ما كتموه وقيل اراد المنافقين
لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا والاية تعم وسمي يوم القيامة ثقيلا لشدائده واهواله
له وقيل للقضا فيه بين العباد قوله نحن خلقناهم اي من طين
وشددنا اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل
وغيرهم والاسر الخلق قال ابو عبيد يقال فرس شديد الاسر اي
الخلق ويقال اسره الله اذا شدد خلقه قال لبيد
ساهم الوجه شديد اسره ❊ مشرف الحارك محبوك الكتد
وقال الاخطل
من كل مجتنب شديد اسره ❊ سلس القياد تخاله مختالا
وقال ابو هريرة والحسن والربيع رضي الله عنهم شددنا مفاصلهم
قال اهل اللغة الاسر الربط ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وفرس
ماسور بالعقب والاسار هو القد الذي يشد به الاقتاب تقول
اسرت القتب اسرا اي شددته وربطته فصل قال ابن زيد
الاسر القوة والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين
قابلوها بالمعصية اي سويت خلقك ثم انت تكفر بي قال
ابن الخطيب وهذا الكلام يوجب عليهم طاعة الله تعالى من حيث
الترغيب والترهيب اما الترغيب فلانه هو الذي خلقهم واعطاهم
الاعضا السليمة التي بها يمكن الانتفاع باللذات العاجلة وخلق لهم
جميع ما يمكن الانتفاع به فاذا احبوا اللذات العاجلة وتلك اللذات
لا تحصل الا بالمنتفع والمنتفع به وهما لا يحصلان الا بتكوين الله
وايجاده وهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد واما
الترهيب فانه قادر على ان يميتهم وان يسلب النعم عنهم وان يلقيهم
في كل محنة وبلية فلاجل الخوف من فوت هذه اللذات العاجلة يجب
عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد فكانه قيل هب ان حبكم لهذه
اللذات العاجلة طريقة حسنة الا ان ذلك يوجب عليكم الايمان بالله
تعالى والانقياد له فلو توسلتم به الى الكفر بالله تعالى والاعراض عن حكمه

قوله وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا • قال ابن عباس رضي
الله عنه لو نشاء لأهلكناهم وجئنا بأطوع لله منهم • وقال ابن الخطيب
معناه إذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم كقوله
تعالى على أن نبدل أمثالكم والغرض بيان الاستغناء التام عنهم كأنه
قيل لا حاجة بنا إلى أحد من المخلوقين ألبتة وبتقدير ثبوت الحاجة
فلا حاجة بنا إلى هؤلاء الأقوام فإنا قادرون على إبدالهم وإيجاد أمثالهم
ونظيره قوله تعالى إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد إن يشأ يذهبكم
ويأت بآخرين وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه معناه لغيرنا
محاسنهم إلى أقبح الصور وأقبحها وجعل أمثالهم في الكفر فصل
قال الزمخشري في قوله تعالى وإذا شئنا وحقه أن يجيء بإن لا بإذا
لقوله تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم إن يشأ يذهبكم يعني
أن إذا قد يجيء موقع إن كالعكس • قال ابن الخطيب وكأنه طعن في
لفظ القرآن وهو ضعيف لأن كل واحد من إن وإذا حرف شرط
إلا أن حرف إن لا يستعمل فيما هو معلوم الوقوع فلا يقال إن طلعت
الشمس أكرمتك أما حرف إذا فإنه يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع
فلا يقال إن طلعت الشمس أكرمتك أما حرف إذا فإنه يستعمل فيما
يكون معلوم الوقوع تقول ابتداء إذا طلعت الشمس أكرمتك أما
حرف إذا فإنه يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع تقول ابتداء إذا
طلعت الشمس فههنا لما كان الله تعالى عالما أنه سيجيء وقت
يبدل الله تعالى فيه أولئك الكفرة بأمثالهم من الخلقة وأضدادهم
في الطاعة لا جرم حسن استعمال حرف إذا قوله إنه هذه تذكرة
أي هذه السورة موعظة قوله فمن شاء اتخذ إلى ربه
سبيلا أي طريقا موصلا إلى طاعته • وقيل سبيلا أي وسيلة
وقيل وجهة وطريقة إلى الخير والمعنى أن هذه السورة لما فيها
من الترتيب العجيب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب تذكرة
للمتأملين وتبصرة للمستبصرين فصل قال ابن الخطيب متى
ضمت هذه الآية إلى الآية التي بعدها خرج منهما صريح مذهب
الجبر لأن قوله تعالى فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا يقتضي أن مشيئة العبد
متى كانت خالصة فإنها تكون مستلزمة للفعل • وقوله تعالى بعد ذلك
وما تشاؤون إلا أن يشاء الله يقتضي كون مشيئة الله تعالى مستلزمة
لمشيئة العبد ومستلزم المستلزم مستلزم فإذن مشيئة الله تعالى
مستلزمة لفعل العبد وذلك هو الجبر وكذا الاستدلال على الجبر
بقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لأن هذه الآية أيضا تقتضي
كون المشيئة مستلزمة للفعل ثم التقدير ما تقدم قال القاضي المذكور
هنا اتخاذ السبيل إلى الله تعالى وهو أمر قد شاءه لأنه أمر به فلا بد وأن
يكون قد شاءه وهذا لا يقتضي أن يقال العبد لا يشاء إلا ما قد شاء الله على
الإطلاق إذ المراد بذلك الأمر المخصوص الذي قد ثبت أن الله تعالى
أراده وشاءه وهذا الكلام لا تعلق له بالاستدلال الذي ذكرناه فحاصل
ما ذكره القاضي تخصيص العام بالصور المتقدمة وذلك ضعيف لأن
خصوص ما قبل الآية لا يقتضي تخصيص هذا العام لاحتمال أن يكون الحكم
في هذه الآية واردا بحيث يعم تلك الصورة وغيرها قوله إلا أن يشاء
الله فيه وجهان • أحدهما أنه حال أي إلا في حال مشيئة الله تعالى قاله
أبو البقاء وفيه نظر لأن هذا مقدر بالمصدر إلا أن يريد تفسير المعنى

والثاني

والثاني أنه ظرف • قال الزمخشري فإن قلت ما محل أن يشاء الله قلت
النصب على الظرف وأصله إلا وقت مشيئة الله تعالى وكذلك قرأ
ابن مسعود إلا ما يشاء الله لأن ما مع الفعل كأن • ورده أبو حيان
بأنه لا يقوم مقام الظرف إلا المصدر الصريح لو قلت أجيئك أن يصيح
الديك أو ما يصيح لم يجز • قال شهاب الدين وقد تقدم الكلام
معه في ذلك مرارا • وقرأ نافع والكوفيون يشاؤون خطابا لسائر الخلق
أو على الالتفات من الغيبة في قوله تعالى نحن خلقناهم والباقون
بالغيبة جريا على قوله خلقناهم وما بعده قوله وما تشاؤون
أي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل إلى الله إلا أن يشاء الله
فأخبر أن الأمر إليه سبحانه ليس إليهم وأنه لا ينفذ مشيئة أحد ولا
يتقدم إلا أن يتقدم مشيئة الله تعالى وقيل إن الآية الأولى منسوخة
بالثانية • قال القرطبي الأشبه ليس بنسخ بل هو تبيين أن ذلك لا
يكون إلا بمشيئته • قال الفراء وما تشاؤون إلا أن يشاء الله جواب
لقوله تعالى فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ثم أخبرهم أن الأمر ليس إليهم
تعالى وما تشاؤون ذلك السبيل إلا أن يشاء الله لكم إن الله كان
عليما بأعمالكم حكيما في أمره ونهيه لكم قوله يدخل من يشاء في رحمته
أي يدخله الجنة راحما له • قال ابن الخطيب إن فسرنا الرحمة بالإيمان
فالآية صريحة في أن الإيمان من الله تعالى • وإن فسرناها بالجنة كان دخول
الجنة بسبب مشيئة الله تعالى وفضله وإحسانه لا بسبب الاستحقاق
لأنه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضي إلى الجهل أو الحاجة وهما
محالان على الله تعالى والمفضي إلى المحال محال فتركه محال فوجوده واجب
عقلا وما كان كذلك كان معلقا على المشيئة البتة قوله
والظالمين أي ويعذب الظالمين وهو منصوب على الاشتغال
بفعل يفسره أعد لهم من حيث المعنى لا من حيث اللفظ تقديره
ويعذب الظالمين ونحوه زيدا مررت به أي جاوزت ولابست
وكان النصب هنا مختارا لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية
قبلها وهو قوله يدخل • قال الزجاج نصب الظالمين لأن قبله منصوبا
أي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين أي المشركين ويكون أعد
لهم تفسيرا لهذا المضمر كقول الشاعر •

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا

أي أخشى الذئب أخشاه • قال الزجاج والاختيار النصب وإن جاز
الرفع وقوله تعالى في حم عسق يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ارتفع
لأنه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصب في المعنى فلم يجز العطف
على المنصوب قبله فارتفع بالابتداء وههنا قوله أعد لهم عذابا أليما يدل
على ويعذب فجاز النصب • وقرأ الزبير وأبان بن عثمان وابن أبي
عبلة والظالمون رفعا على الابتداء وما بعده الخبر وهو مرجوح لعدم
المناسبة • وقرأ ابن مسعود وللظالمين بلام الجر وفيه وجهان أظهرهما
أن يكون للظالمين متعلقا بأعد بعده ويكون لهم تأكيدا والثاني وهو
ضعيف أن يكون من باب الاشتغال على أن يقدر فعلا مثل الظاهر ويجر
الاسم بحرف جر فيقول بزيد مررت به أي مررت بزيد مررت به وهو
لغة العرب مذهب الجمهور وهو إضمار فعل ناصب موافق للفعل
الظاهر في المعنى فإن ورد نحو بزيد مررت به عد من التوكيد لا من الاشتغال

والا لبير المولم. روى الثعلبي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم
من كان سورة هل اتى كان جزاوه على الله تعالى جنة وحريرا

سورة والمرسلات مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة
رضي الله عنهم الا اية منها وهي قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا
لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود رضي الله عنه نزلت
والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه
نسير حتى اوينا الى الغار بمنى فنزلت فبينا نحن نتلقاها منه وان
فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم وعن
كريب مولى ابن عباس قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني
ام الفضل امراة العباس فبكت وقالت يا بني لقد اذكرتني بقراءتك
هذه السورة انها لاخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا بها في صلوة المغرب وهي خمسون اية مكية ومائة واحدى
وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والمرسلات عرفا في عرفا ثلاثة اوجه احدها انه مفعول
من اجله اي لاجل العرف وهو ضد النكر فان الملائكة ان كانوا بعثوا
للرحمة فالمعنى فيهم ظاهر وان كانوا بعثوا للعذاب فذلك العذاب وان لم
يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبيا والمومنين والمراد بالمرسلات اما
الملائكة واما الانبيا واما الرياح اي والملائكة المرسلات او والانبيا
المرسلات او والرياح المرسلات والعرف المعروف والاحسان قال
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه • لا يذهب العرف بين الله والناس
وقد يقال كيف جمع صفة المذكر العاقل بالالف والتا وحقه ان يجمع
بالواو والنون تقول الانبيا والمرسلون ولا تقول المرسلات والجواب
ان المرسلات جمع مرسلة ومرسلة صفة لجماعة من الانبيا والمرسلات
جمع مرسلة الواقعة صفة لجماعة لا جمع مرسل المفرد والثاني ان ينتصب
على الحال بمعنى متتابعة من قولهم جاوا كعرف الفرس وهم على فلان كعرف
الضبع اذا تعاونوا عليه قال ابن الخطيب يكون مصدرا كانه قيل
والمرسلات ارسالا اي متتابعة الثالث انه منتصب على اسقاط
الخافض اي المرسلات بالعرف وفيه ضعف وقد تقدم الكلام على العرف
في الاعراف والعامة على تسكين رايه وعيسى بضمها وهو على تثقيل
المخفف نحو بكر في بكر ويحتمل ان يكون هو الاصل والمشهور مخففة منه
ويحتمل ان يكونا وزنين مستقلين فصل جمهور المفسرين على ان
المرسلات هي الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هي الملائكة
ارسلت بالعرف من امر الله تعالى ونهيه والخبر والوحي هو قول ابي
هريرة ومقاتل وابي صالح والكلبي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم
الانبيا بلا اله الا الله وقال ابو صالح الرسل ترسل بما يعرفون به
من المعجزات وعن ابن عباس وابن مسعود انها الرياح كما قال تعالى
وارسلنا الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح ومعنى عرفا اي يتبع بعضها
بعضا كعرف الفرس وقيل يحتمل ان يكون المراد بالمرسلات السحاب لما
فيها من نعمة ونقمة عارفة بما ارسلت اليه ومن ارسلت اليه وقيل

انها

انها الزواجر والمواعظ وعرفا على هذا التاويل متتابعات كعرف الفرس قاله
ابن عباس وقيل جاريات قاله الحسن يعني في القلوب وقيل معروفات في العقول
قوله والعاصفات عصفا هذا المصدر موكد لاسم الفاعل والمراد بالعاصفات
الرياح قاله المهدوي وقال ابن عباس هي الرياح العواصف تاتي بالعصف
وهو ورق الزرع وحطامه وقيل العاصفات الملائكة شبهت بسرعة جريها
في امر الله تعالى بالرياح وكذلك نشرا وفرقا انتصابهما على المصدر وقيل
الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشي اذا اباده واهلكه وناقة
عصوف اي تعصف براكبها فتمضي كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب بالقوم
اي ذهبت بهم وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل والخسوف قوله
والناشرات نشرا هي الملائكة المسخرون الموكلون بالسحاب ينشرونها
وقال ابن مسعود ومجاهد هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي
رحمته بنشر السحاب للغيث وهو مروي عن ابي صالح وعنه ايضا هي
الامطار لانها تنشر النبات فالنشر بمعنى الاحيا يقال انشر الله الميت
وانشره اي احياه قال تعالى ثم اذا شا انشره ينشركم من بعد موتكم وروى
عن السدي انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى وروى الضحاك انها
الصحف تنشر على الله تعالى باعمال العباد وقال الربيع انه البعث
للقيامة ينشر فيها الارواح وقال تعالى والناشرات بالواو ولانه استئناف
قسم اخر قوله فالفارقات فرقا هي الملائكة تنزل بالفرق بين الحق
والباطل قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابو صالح وروى الضحاك
عن ابن عباس قال ما تفرق الملائكة من الاقوات والارزاق والاجال
وروى ابن عن مجاهد قال الفارقات تفرق بين السحاب
وتبدده وروى سعيد عن قتادة قال فالفارقات فرقا الفرقان
فرق الله فيه بين الحق والباطل والحرام والحلال وهو قول الحسن وابن
كيسان وقيل هم الرسل فرقوا بين ما امر الله تعالى به ونهى عنه ان
يجتنبوا ذلك وقيل السحاب الماطرة تشبيها بالناقة الفارقة وهي
الحامل التي تخرج وتند في الارض وتضع ونوق فوارق وفرق قوله
فالملقيات ذكرا هي الملائكة التي تلقي كتب الله الى الانبيا عليهم الصلوة
والسلام قاله المهدوي وقيل هو جبريل عليه الصلوة والسلام وسمي
باسم الجمع تعظيما لانه كان ينزل بها ارسلت الملك الى الرسل بالوحي الذي فيه عنوان
كل سعادة وخير ولكن لا نطمع ان ينتشر ذلك الامر في الحال ولكن لا بد من الصبر
وتحمل المشقة ثم اذا جاء وقت النصرة اجعل دينك ظاهرا منتشرا في شرق
العالم وغربه وعند ذلك الانتشار يظهر العرف فتصير الاديان باطلة
ضعيفة ساقطة ودينك الحق ظاهرا عاليا وهنا الذي يظهر ذكر الله على
الالسنة وفي المحاريب وعلى المنابر ومن عرف هذا الوجه امكنه ذكر
مناسبة ساير الوجوه قوله انما توعدون لواقع هذا جواب القسم
بقوله والمرسلات وما بعده معطوف عليه وليس قسما مستقلا لما تقدم
في اول الكتاب ولوقوع الفا هنا عاطفة لانها لا تكون للقسم وما موصولة
بمعنى الذي وهو اسم ان وتوعدون صلتها والعايد محذوف اي الذي توعدونه
ولواقع خبرها وكان من حق ان منفصلة من ما الموصوله ولكنهم كتبوها
متصلة بها فصل المعنى انما توعدون من امر القيامة لواقع بكم
نازل عليكم ثم لذكره علامات القيامة بعده وقال الكلبي المراد ان كل
ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم وقت وقوعه قال تعالى فاذا
النجوم طمست اي ذهب ضوءها ومحي نورها كطمس الكتاب يقال طمس الشي

اذا درس وطمس فهو مطموس والريح تطمس الاثار فتكون الريح طامسة
والاثر طامس بمعنى طموس قاله ابن الخطيب ويحتمل ان تكون محقت ذواتها
وهو موافق لقوله تعالى انتثرت والنجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره
ما بعده عند البصريين غير الاخفش وبالابتدا عند الكوفيين والاخفش
وفي جواب اذا قولان احدهما محذوف تقديره فاذا طمست النجوم وقع
ما توعدون لدلالة قوله انما توعدون لواقع بان الامر والثاني انه
لاي يوم اجلت على اضمار القول اي يقال لاي يوم اجلت فالفعل في الحقيقة
هو الجواب وقيل هو ويل يومئذ نقله مكي وهو غلط لانه لو كان جوابا لزمته الفا
لكونه جملة اسمية قوله واذا السما فرجت اي فتحت وشقت ومنه
قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا والفرج الشق ونظيره
اذا السما انشقت ويوم تشقق السما بالغمام وروى الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنه قال فرجت للطي قوله واذا
الجبال نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة من انتسفت الشي اذا
اختطفته وقيل تنسف كالحب المغلق اذا نسف بالمنسف ومنه
قوله تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ونظيره وبست
الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا فقل ينسفها ربي نسفا
وقرا طمست وفرجت ونسفت مشددة وكان ابن عباس والكلبي
يقول سويت بالارض والعرب تقول فرس نسوف اذا كان يوخر
الحزام بمرفقيه قال بشر نسوف للحزام بمرفقيها ونسفت
الناقة الكلا اذا رعته قوله واذا الرسل اقتت قرا ابو عمرو
وقتت والباقون بهمزة بدل الواو فالواو هي الاصل لانه من الوقت
والهمزة بدل منها لانها مضمومة ضمة لازمة وكل واو انضمت وكان
ضمها لازمة فانها تبدل على الاطراد همزة اولا وثانيه تقول
صلى القوم احدانا تريد وحدانا وهذه اوجه حسان لان ضمة الواو
ثقيلة وبعدها واو فالجمع بينهما يجري مجرى المثلين فيكون ثقيلا ولم
يجز البدل في قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمة غير لازمة
قاله الفرا وقد تقدم ذكر ذلك اول الكتاب **فصل** قال
مجاهد والزجاج المراد بهذا التاقيت تبيين الوقت الذي فيه يحضرون
للشهادة على اممهم اي جمعت لوقتها ليوم القيمة والوقت الاجل
الذي يكون عنده الشي المؤخر اليه فالمعنى جعل لها وقت اجل للفصل
والقضا بينهم وبين الامم كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل
المراد بهذا التاقيت تحصيل الوقت ولكونه وليس في اللفظ بيان
انه يحصل لوقت اي شي ولم يبينه ليذهب الوهم الى كل جانب فيكون
التهويل فيه اشد فيحتمل ان يكون المراد تكوين وقت جمعهم للفوز
بالثواب وان يكون وقت سوال الرسل عما اجيبوا به وسوال الامم
عما اجابوهم لقوله تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن
المرسلين وان يكون وقت مشاهدة الجنة والنار وسائر احوال القيمة
وقيل اقتت اي ارسلت لاوقات معلومة على ما علمه الله واراده
فصل قرا ابو جعفر وشيبة بالواو وتخفيف القاف وهو
فعلت من الوقت ومنه كتابا موقوتا وعن الحسن ايضا ووقتت بواوين
وهو فوعلت من الوقت ايضا مثل عوهدت قال القرطبي ولو قلبت
الواو في هاتين القرائتين الفا لجاز وقرا عيسى وايوب وخالد
ابن الياس وسلام اقتت بالهمز والتخفيف لانها مكتوبة في المصحف
بالالف

بالالف **قوله** لاي يوم اجلت الجار متعلق باجلت وهذه الجملة
معمولة لقول مضمر اي يقال وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا
لاذا كما تقدم وان تكون حالا من مرفوع اقتت اي مقولا فيها لاي يوم اجلت
اي اخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم اي
ليوم الفصل اجلت كانه تعالى قال تعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم فيقال
لاي يوم اجلت الامور المتعلقة بهذه الرسل وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم
من امن بهم وظهور ما كانوا يدعون الخلق الى الايمان به من الاهوال والعرض
والحساب ونشر الدواوين ووضع الموازين **قوله** ليوم الفصل
بدل من لاي يوم باعادة العامل وقيل بل يتعلق بفعل مقدر اي
اجلت ليوم الفصل وقيل اللام بمعنى الى ذكرها مكي **فصل**
اعلم انه تعالى بين ذلك اليوم فقال ليوم الفصل قال ابن عباس يوم
يفصل الرحمن بين الخلايق لقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين
قوله وما ادراك ما يوم الفصل اتبع التعظيم تعظيما اي وما
علمك بيوم الفصل وشدته ومهابته ثم اتبعه بتهويل ثالث
وهو قوله ويل مبتدا سوغ الابتدا به كونه دعا قال الزمخشري
فان قلت كيف وقعت النكرة مبتدا في قوله تعالى ويل قلت هو في اصله
مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على
اثبات معنى الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز
ويلا له بالنصب ولكن لم يقرا به قال شهاب الدين هذا الذي
ذكره ليس من المسوغات التي عدها النحويون وانما المسوغ كونه دعا
وفايدة العدول الى الرفع ما ذكره ويومئذ ظرف للويل وجوز ابو
البقا ان تكون صفة لويل وللمكذبين خبره **فصل** قال
القرطبي ويل يومئذ للمكذبين اي عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى
وبرسله وعلى تقدير تكذيبهم فان لكل مكذب بشي عذابا سوى تكذيبه
بشي اخر ورب شي كذب به وهو اعظم جرما من تكذيبه بغيره لانه
اقبح في تكذيبه واعظم في الرد على الله فانما يقسم له من الويل على قدر ذلك
وهو قوله جزا وفاقا وقيل كرره بمعنى تكرار التخويف والوعيد وروى
عن النعمان بن بشير قال الويل واد في جهنم فيه الوان العذاب قاله ابن
عباس وغيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت علي جهنم
فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي ايضا عن النبي انه مجمع ما يسيل
من قيح اهل النار وصديدهم وانما يسيل الشي فيما سفل من الارض وقد
علم العباد في الدنيا ان شر المواضع في الدنيا ما استنقع فيها مياه الادناس
والاقذار والغسالات والجيف وماء الحمامات فذكر ان الوادي مستنقع
صديد اهل الكفر والشرك ليعلم العاقل انه لا شي اقذر منه قذارة ولا
انتن منه نتنا **قوله** الم نهلك الاولين العامة على ضم حرف المضارعة
من اهلك وبا فتحها وقتادة بفتحه قال الزمخشري من هلكه بمعنى اهلكه
قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا فمن معمول الهالك وهو من
هلك الان بعض الناس جعل هذا دليلا على اعمال الصفة المشبهة في
الموصول وجعلها من اللازم لان شرط الصفة ان تكون من فعل لازم
على هذا لا دليل فيه **قوله** ثم نتبعهم الاخرين العامة على رفع العين
استينافا اي ثم نحن نتبعهم كذا قدره ابو البقا وقال ليس بمعطوف
لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الاخرين
في الهلاك وليس كذلك لان هلاك الاخرين لم يقع بعد قال شهاب الدين

ولا حاجة في وجه الاستيناف الى تقدير مبتدا قبل الفعل بل يجعل الفعل
معطوفا على مجموع الجملة من قوله الم نهلك ويدل على هذا الاستيناف
قراءة عبد الله ثم سنتبعهم الاخرين بسين التنفيس • وقرا الاعرج
والعباس عن ابي عمرو بتسكينها وفيها وجهان احدهما انه تسكين للمرفوع
فهو مستانف كالمرفوع لفظا • والثاني انه معطوف على مجزوم والمعنى
بالاخرين حينئذ قوم شعيب ولوط وموسى وبالاولين قوم نوح وعاد
وثمود • قال ابن الخطيب وهذا القول ضعيف لان قوله تعالى نتبعهم
مضارع وهو للحال والاستقبال ولا يتناول الماضي وانما المراد بالاولين
جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ثم نتبعهم
الاخرين على الاستيناف اي سنفعل ذلك ونتبع الاول للاخر ويدل على
الاستيناف قراءة عبد الله • فان قيل قراءة في نتبعهم بدل
على الاشتراك وحينئذ يكون المراد به الماضي لا المستقبل قلنا لو كان
المراد هو الماضي لوقع التنافي بين القراءتين وهو غير جائز فعلنا ان
تسكين العين ليس للجزم بل للتخفيف قوله كذلك نفعل اي مثل ذلك
الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم فصل المقصود من هذه الاية
تخويف الكفار وتحذيرهم من الكفر اخبر عن اهلاك الكفار من الامم الماضين
من لدن ادم عليه الصلوة والسلام الى محمد عليه الصلوة والسلام ثم
نتبعهم الاخرين اي يلحق الاخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل
ما فعلنا بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك • ثم
قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين كانه تعالى يقول • اما الدنيا فحاصلهم
الهلاك • واما الاخرة فالعذاب الشديد واليه الاشارة بقوله تعالى
خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين • فان قيل المراد من قوله
الم نهلك الاولين هو مطلق الاماتة او الاماتة بالعذاب
فان كان المراد مطلق الاماتة لم يكن ذلك تخويفا للكفار لان ذلك معلوم
حاصل للمومن والكافر فلا يكون تخويفا للكفار وان كانت الاماتة بالعذاب
فقوله تعالى ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين يقتضي ان
يكون فعل بكفار قريش مثل ذلك ومعلوم ان ذلك لم يوجد • وايضا
فقد قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فالجواب
قال ابن الخطيب لم لا يجوز ان يكون المراد من الاهلاك معنى ثالث
وهو الاماتة المستعقبة للذم واللعن فكانه قيل اولئك المتقدمين
لحرصهم على الدنيا والعقوبة عادوا الانبياء وخاصموهم ثم ماتوا ففاتهم
الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة في الاخرة دائما سرمدا فكذا
يكون حال الكفار الموجودين وهذا من اعظم وجوه الزجر قوله
الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وهذا نوع
اخر من تخويف الكفار وهو من وجهين • الاول انه تعالى ذكرهم عظيم
انعامه عليهم وكلما كانت نعمه عليهم اكثر كانت جنايتهم في حقه
اقبح وافحش فيكون العقاب اعظم فلهذا قال جل ذكره عقيب هذه
الانعام ويل يومئذ للمكذبين وهذه الاية نظير قوله تعالى ثم
جعل نسله من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين اي مكان حريز وهو
الرحم الى قدر معلوم • قال مجاهد الى ان يصور وقيل الى وقت الولادة
كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله ويعلم ما في الارحام
قوله فقدرنا فنعم القادرون قرا نافع والكسائي بالتشديد من
التقدير والباقون بالتخفيف وهو موافق لقوله من نطفة خلقه فقدره
من

من المقدرة ويدل عليه فنعم القادرون • ويجوز ان يكون المعنى على
القراءة الاولى فنعم القادرون على تقديره وان جعلت القادرون
بمعنى المقدرون كان جمعا بين اللفظين ومعناهما واحد • ومنه
قوله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا وقول الاعشى
وانكرتني وما كان الذي نكرت ⁂ من الحوادث الا الشيب والصلعا
وقال الكسائي والفراء هما لغتان بمعنى • قال القتبي قدرنا بمعنى قدرنا
مشددة كما تقول قدرت كذا وقدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اذا غم عليكم فاقدروا له اي قدروا له المسير والمنازل • وقال محمد
ابن الجهم عن الفراء انه ذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه وتخفيفها
قال ولا يبعد ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا لان
العرب تقول قدر عليه الموت وقدر قال تعالى نحن قدرنا بينكم
الموت قرئ بالتخفيف والتشديد وقدر عليه رزقه وقدر
واحتج الذين خففوا فقالوا لو كان كذلك لكانت فنعم المقدرون
قال الفراء والعرب تجمع بين اللغتين واستدل بقوله فمهل
الكافرين الاية وذكر بيت الاعشى المتقدم • وقيل المعنى قدرنا
قصيرا وطويلا ونحوه • وعن ابن عباس قدرنا ملكنا • قال
المهدوي وهذا التفسير اشبه بقراءة التخفيف قوله
الم نجعل الارض كفاتا هذا هو النوع الرابع من تخويف الكفار
لانه تعالى ذكرهم في الاية المتقدمة بالنعم التي له عليهم في الانفس
ثم قال في اخرها ويل يومئذ للمكذبين لان النعم كلما كانت اكثر
كانت الجناية اقبح وكان استحقاق الذم اشد وذكر في هذه الاية
النعم التي في الافاق لانها كالاصل للنعم التي في الانفس فانه لولا الحياة
والسمع والبصر والاعضاء السليمة لما كان الانتفاع بشيء من المخلوقات
ممكنا والله اعلم وانما قدم الارض لانها اقرب الاشياء الينا من
الامور الخارجة والكفات اسم للوعاء الذي يكفت فيه اي يجمع قاله
ابو عبيد يقال كفته يكفته اي جمعه وضمه • وفي الحديث
اكفتوا صبيانكم • وقال الصمصامة بن الطرماح
فانت اليوم فوق الارض حيا ⁂ وانت غدا تضمك في الكفات
وقيل الكفات اسم لما يكفت كالضمام والجماع تقول هذا الباب
جماع الابواب والمعنى نجعل الارض ضامة تضم الاحياء على ظهرها والاموات
في بطنها • والكفت الضم والجمع وانشد سيبويه
كرام حين تنكفت الافاعي ⁂ الى احجارهن من الصقيع
وروى عن ربيعة في النباش قال تقطع يده فقيل له لم قال
ان الله تعالى يقول الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فالارض
حرز وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانه مقبرة تضم الموتى
فتضم الاحياء الى منازلهم والاموات في قبورهم • وايضا استقرار الناس
على وجه الارض ثم اضطجاعهم عليها انضمامهم اليها • وقال الاخفش
وابو عبيد ومجاهد في احد قوليه الاحياء والاموات ترجع الى
الارض اي الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو
الذي لا ينبت والميت وهو الذي ينبت والميت وهو الذي لا
ينبت وفي انتصاب كفاتا احياء وامواتا وجهان احدهما انه مفعول
ثان لنجعل لانها للتبعيض والثاني انه منصوب على الحال من الارض
والمفعول الثاني احياء وامواتا بمعنى الم نصيرها احياء بالنبات وامواتا

بعيرنيات اي بعضها كذا وبعضها كذا وقيل كفاتا جمع كافت
كصيام وقيام جمع صايم وقايم وقيل بل هو مصدر كالكتاب
والحساب وقال الخليل تقليب الشي ظهر البطن وبطنا لظهر
ويقال انكفت القوم الى منازلهم اي انقلبوا فمعنى الكفات
انهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون اليها فيدفنون فيها **قوله**
احيا فيه اوجه احدها انه منصوب بكفات قاله مكي والزمخشري
وتوابعه بعد ان جعل كفاتا اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع
وهذا يمنع ان يكون كفاتا ناصبا لاحيا لانه ليس من الاسما العاملة
وكذلك اذا جعلناه بمعنى الوعا على قول ابي عبيده فانه لا يعمل ايضا
وقد نص النحاة على ان اسما الامكنة والازمنة والالات والا كانت
مشتقة جارية على الافعال لا تعمل نحو مرمى ومحل وفي اسم المصدر خلاف
مشهور ولكن انما يتمشى نصبهما بكفات على قول ابي البقا فانه
لم يجوز فيه الا ان تكون جمعا لاسم فاعل او مصدرا وكلاهما من الاسما
العامله. الوجه الثاني انه ينتصب بفعل مقدر يدل عليه كفاتا
اي يكفتهم احيا على ظهرها واموتا في بطنها وبه ثنى الزمخشري الثالث
انه ينتصب على الحال من محذوف اي يكفتكم احيا واموتا لانه
قد علم كفات للانس قاله الزمخشري. والرابع لحاكي الا انه قدره
عاما ان جمعهم الارض في هاتين الحالتين لكانسو ان ينتصب
مفعولا ثانيا لنجعل وكفاتا حال كما تقدم تقريره وتنكير احيا وكفاتا
اما للتفخيم اي بجمع احيا لا يعدون واموتا لا يحصون واما للتبعيض
لان احيا الانس واموتهم ليسوا بجميع الاحيا ولا الاموات وكذلك
التنكير فيما فرانا يحتمل المعنيين ايضا اما التفخيم نحو اضح لعظم
المنة عليهم. واما التبعيض فكقوله تعالى وننزل من السما من جبال
فيها من برد فجعلها لهم للتبعيض والقران يفسر بعضه بعضا
قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات اي جعلنا في الارض رواسي
وهي الثوابت شامخات وهي الجبال الطوال جمع شامخ وهو المرتفع
جدا ومنه شمخ بانفه اذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثنى العطف
وصعر الخد وان لم يحصل شي من ذلك **قوله** واسقيناكم ما فراتا
اي جعلنا لكم سقيا والفرات الما العذب يشرب ويسقى به الزرع
اي خلقنا الجبال وانزلنا من الما الفرات وهذه الامور اعجب من
البعث. وروى ابو هريرة رضي الله عنه في الارض من الجنة الفرات
والنيل وبحر الاردن وفي مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات
كل من انهار الجنة **قوله** انطلقوا اي يقال لهم ذلك والعامة على
انطلقوا الثاني كالاول بصيغة الامر على التاكيد وروي عن يعقوب
انطلقوا بفتح اللام فعلا ماضيا على الخبر اي لما امروا امتثلوا ذلك وقيل
هو اموضع الفا وكان ينبغي ان يكون التركيب فانطلقوا نحو قولك
قلت اذهب فذهب وعدم الفا هنا ليس بواضح **فصل** هذا هو
النوع الخامس من تخويف الكفار وهو بيان كيفية عذابهم في الاخرة
والمعنى يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به من العذاب يعني النار فقد
شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب الى دخان ذي
ثلاث شعب يعني الدخان الذي يرتفع ثم يتشعب الى ثلاث شعب
وكذلك بيان دخان جهنم العظيم اذا ارتفع تشعب قال ابو مسلم ويحتمل
في ثلاث شعب ما ذكره بعد ذلك وهو انه غير ظليل وانه لا يغني من اللهب وبانه

ترمي من الشرار



ترمي بشرار من العذاب او بشرار من الخلق. واما قراءة عيسى بنحو جمع
شراره بالالف وهي لغة تميم والشريه والشراره ما تطاير من النار
فهو كما قاله القرطبي شرر واحده شرره والشرار واحده شراره والزار
واحده شراره وهو ما تطاير من النار في كل جهة واصله من شررت
الثوب اي بسطته الشمس ليجف والقصر البنا العالي **قوله** كالقصر
العامة على فتح القاف وسكون الصاد وهو من القصر المعروف شبهت
في كبره وعظمه وابن عباس وتلميذه ابن جبير والحسن بفتح القاف والصاد
وهي جمع قصره بالفتح والقصرة اعناق الابل والنخل واصول الشجر وقرا
ابن جبير والحسن ايضا بكسر القاف وفتح الصاد جمع قصره بفتح القاف
قال الزمخشري كحاجة وحوج. وقال ابو حيان كحلقة من الحديد وحلق
وقرى كالقصر بفتح القاف كسر شهاب الدين ولم ار لها توجيها او يظهر
ان يكون ذلك من باب الاتباع والاصل كالقصر بسكون الصاد ثم اتبع
الصاد حركة الرا فكسرها واذا كانوا قد فعلوا ذلك في المشغول بحركة نحو
كتف وكبد فلان يفعلوه في الخالي منها اولى. ويجوز ان يكون ذلك للنقل
يعني انه وقف على الكلمة فنقل كسرة الرا الى الساكن قبلها ثم اجرى الوصل
مجرى الوقف وهو باب شايع عند القرا والنحاة وقرا عبد الله
وفيها وجهان. احدهما انه جمع قصر كرهن ورهن قاله الزمخشري والثاني
انه مقصور من قصور كقوله فيها عنابيل اسود ونمر يريد بنمور فقصر
وكقوله النجم يريد النجوم وتخريج الزمخشري اولى لان محل الثاني اما الضرورة
واما الندور **قوله** جمالات قرا الاخوان وحفص جمالة والباقون جمالات
فالجماله فيه وجهان. احدهما انه جمع جمل كحجر وحجارة. والثاني انه جمع كالذكاوه والحجاره
قاله ابو البقا والاول قول النحاة. واما جمالات فيجوز ان يكون جمع جماله
هذه وان يكون جمعا لجمال فيكون جمع الجمع ويجوز ان يكون جمعا لجمل المفرد
كقولهم رجالات قريش كذا قالوه وفيه نظر لانهم نصوا على ان الاسما
الجامده غير العاقله لا تجمع بالالف والتا الا اذا لم يكسر فان كسرت لم تجمع
بالواو ولذلك لحن المتنبي في قوله
اذا كان بعض الناس سيفا لدولة ❊ ففي الناس بوقات لهم وطبول
فجمع بوقا على بوقات مع قولهم ابواق فكذلك جمالات مع قولهم جمل وجمال
على ان بعضهم لا يجيز ذلك ويجعل نحو حمامات وسجلات شاذا وان لم يكسر
وقرا ابن عباس والحسن وابن جبير وقتاده وابو رجا جمالات كذلك الا
انهم ضموا الجيم وهي حبال السفن. وقيل قلوس الجسور الواحده جملة
لاشتمالها على طاقات الحبال وفيها وجهان. احدهما ان يكون جمالا بجمع
جمال وجمال جمله كذا قال ابو حيان ويحتاج في اثبات ان جمالات الضم
جمع جمله بالضم الى نقل والثاني ان جمالات جمع جماله قاله الزمخشري وهو
اظهر. وقرا ابن عباس والسلمي وابو حيان جماله بضم الجيم وهذا لما قال
الزمخشري آنفا. وروي عن علي رضي الله عنه انها قطع النحاس **قوله**
صفر صفة لجمالات او لجماله لانه اما جمع او اسم جمع. والعامة على سكون الفا
جمع والحسن بضمها لانه اتباع ووقع التشبيه بها في غاية الفصاحه قاله
الزمخشري وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان
الخارجي ❊ دعتهم باعلا صوتها ورمتهم ❊ بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى ❊
وقال ابو العلا
❊ حمراساطعة الذوايب في الدجى ❊ ترمي بكل شرارة كطراف ❊
فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه على

تشبيه القرآن وليتحمه بما يتوله له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته
بقوله حمراء نوطة لها ومناداة عليها تنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي
جمع الله له عمى الدارين عن قوله تعالى كأنه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت
أحمر وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من وجهين من جهة العظم
ومن جهة الطول في الهوى والعظم والصفرة انتهى وكأنه قد قال قبل ذلك
تعليل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا ترى انهم يشبهون
الابل بالافدان والافدان القصور كأنه يشير الى قول عنترة

فوقفت فيها ناقتي وكأنها ... فدن لاقضي حاجة المتلوم

فصل قال القرطبي القصر البناء العالي وقيل القصر جمع قصرة ساكنة
الصاد مثل جمر وجمرة وتمر وتمرة والقصر الواحد من جزل الحطب الغليظ
وقال سعيد بن جبير والضحاك هي أصول الشجر والنخل العظام اذا وقع
وقطع وقيل أعناقه وشبه الشرر بالجمال الصفر وهي الابل السود والعرب
تسمي السود من الابل صفرا قال الشاعر

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر أولادها كالزبيب

أي هن سود وانما سميت السود من الابل صفرا لانه يشوب سوادها
شيء من صفرة قاله الترمذي وهذا القول ضعيف ومحال في اللغة ان يكون
من يشوبه شيء قليل فينسب كله الى ذلك الشيء فالعجب ممن قد قال
هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلا يعلم شيء من هذا في اللغة والجمالات
الجمال وقال الفراء يجوز ان تكون الجمالات بالضم من الشيء المجمل يقال أجملت
الحساب وجاء القوم جملة أي مجتمعين والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كأنه شيء
مجموع غليظ أصفر قيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لمتابعة بعضها
بعضا **قوله** هذا يوم لا ينطقون ويجوز ان يكون قوله انطلقوا من كلام
الملائكة ثم يقول الله لأوليائه هذا يوم لا ينطق الكافر ومعنى اليوم الساعة
والوقت وزيد بن علي والأعرج والأعمش وأبو حيان وعاصم في بعض طرقه
بالفتح وفيه وجهان أحدهما ان الفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدم
والثاني أنه منصوب على الظرف وانما خبر لهذا على ان يشار به الى ما تقدم
من الوعيد كأنه قيل هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون وقد تقدم
آخر المائدة ما يشبه هذا في قوله تعالى هذا يوم ينفع الا ان النصب متواتر
قوله ولا يؤذن العامة على تسمية الفاعل وحكى الاهوازي عن زيد بن
علي ولا يؤذن بسمى الفاعل وهو الله تعالى وقوله فيعتذرون في رفعه وجهان
أحدهما انه مستأنف أي فهم يعتذرون قاله أبو البقاء ويكون المعنى انهم لا
ينطقون نطقا ينفعهم أو ينطقون نطقا في بعض المواقف ولا ينطقون في
بعضها والثاني انه معطوف على يؤذن فيكون منفيا ولو نصب لكان
متسببا عنه وقال ابن عطية ولم ينصب في جواب النفي لمناسبة
الآي والوجهان جائزان انما بمعنى واحد وليس كذلك بل المرفوع له معنى
غير معنى المنصوب والى مثل هذا ذهب الاعلم فيرى نفع الفعل ويكون معناه
النصب ورد عليه ابن عصفور قال الفراء في قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
الفاء عطف على يؤذن واجيز ذلك لان أواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا
لم يوافق الآيات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا وكله صواب ومثله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له بالرفع والنصب
فصل هذا نوع آخر من أنواع تخويف الكفار لان الله تعالى بين انه ليس لهم عذر
ولا حجة فيما أتوا به من القبائح ولا لهم قدرة على دفع العذاب من الله
واعلم ان يوم القيامة له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون

فيها ولا يعتذرون روى عكرمة ان ابن عباس رضي الله عنه سأله
ابن الأزرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يسمع الا همسا
فقد قال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال له ان الله تعالى
يقول وان يوما عند ربك كألف سنة فان لكل مقدار من هذه الأيام
لونا من هذه الألوان وقال الحسن فيه اضمار اي هذا يوم لا ينطقون
فيه بحجة نافعة ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نطق كما يقال
لمن ذكر كلاما غير مفيد ما قلت شيئا وقيل ان هذا وقت جوابهم اخسئوا
فيها ولا تكلمون قال الفراء أراد بقوله لا ينطقون تلك الساعة
وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه كما تقول آتيك يوم
يقدم فلان والمعنى ساعة يقدم وليس اليوم كله لان القدوم انما يكون
في وقت يسير ولا يمتد في كل يوم وأجاب ابن الخطيب بان قوله تعالى
لا ينطقون لفظ مطلق والمطلق لا يفيد العموم لا في الأنواع ولا في الأوقات
بدليل انك تقول فلان لا ينطق بالشر ولكنه ينطق بالخير وتارة
يقول فلان لا ينطق بشيء البتة فهذا يدل على ان مفهوم لا ينطق
مشترك بين الدائم والموقت واذا كان كذلك فمفهوم لا ينطق يكفي
في صدقه عدم النطق ببعض الأشياء وفي بعض الأشياء في بعض الأوقات
وذلك لا ينافي حصول النطق بشيء آخر في وقت آخر فيكفي في صدق
قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون بعذر وعلة في وقت واحد وهو
وقت السؤال فان قيل لو حلف لا ينطق في هذا اليوم حنث في نطقه
بجزء منه قلنا ذلك لعرف الايمان وبحثنا في عرف اللفظ من حيث هو
قال ابن الخطيب فان قيل لم لا يؤذن لهم فيعتذرون يوهم ان لهم
عذرا وقد منعوا من ذكره وهذا لا يليق بالحكمة فالجواب انه ليس لهم عذر
في الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيه عذرا فهم لا يؤذن لهم
في ذكر ذلك الفاسد **قوله** هذا يوم الفصل جمعناكم هذا
نوع آخر من أنواع تهديد الكفار وتخويفهم ان يقال لهم هذا اليوم الذي
يفصل فيه بين الخلائق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم والأولين قال
ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين
من قبله فان كان لكم كيد فكيدون أي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون
فاحتالوا لانفسهم وقاووا ولن تجدوا ذلك وقيل فان كان لكم كيد أي قدرتم
على حرب فكيدون أي حاربون رواه الضحاك عن ابن عباس أيضا قال
يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمدا وتحاربوني فاليوم حاربوني وقيل
انكم كنتم في الدنيا تعملون المعاصي وقد عجزتم الآن عنها وعن الدفع عن
انفسكم وقيل انه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه
الصلاة والسلام فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون **قوله** ان المتقين في
ظلال وعيون قال مقاتل والكلبي المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك
بالله تعالى لان السورة من أولها الى آخرها في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم
قال ابن الخطيب فيجب ان تكون هذه الآية مذكورة لهذا الغرض والا
لتفككت السورة في نظمها وترتيبها وانما يتم النظم بأن يكون الوعد
للمؤمنين بسبب ايمانهم فأما من جعله بسبب الطاعة فلا يليق بالنظم
وأيضا فان المتقي للشرك يصدق عليه انه متق لان غاية هذا انه عام مخصوص
بسبب حجة فيما عدا محل التخصيص وأيضا فان حمل اللفظ على المعنى الكامل
أولى واكمل أنواع التقوى تقوى الشرك فالحمل عليه أولى وقال بعضهم هذه
الآية أيضا من جملة التهديد فان الكفار في الدنيا يكون الموت عليهم أسهل من ان

يكون للمومنين دولة فاذا راوا عاقبة الزينتين في الاخرة تضاعف حسراتهم
وندمهم ولما اوعد الكفار بظل ذي ثلاث شعب وعد المومنين بظلال
وعيون وفواكه قوله في ظلال هذه قراءة العامة والاعمش والزهري
وطلحة والاعرج ظلل جمع ظلة يعني في الجنة وتقدم في يونس مثله الا انهما
متواترات قوله كلوا مقولا لقول ذلك المنصوب على الحال من الضمير
المستكن في الظرف اي كائنين في ظلال مقولا لهم وكذلك كلوا وتمتعوا قليلا
فان كان ذلك مقولا لهم في الدنيا فواضح وان كان مقولا في الاخرة فيكون
تذكيرا بحالهم اي احقاء بان يقال لهم في الدنيا هم كذا ومثله قوله
✽ اخوتي لا تبعدوا ابدا ✽ وبلى والله قد بعدوا ✽ اي هم اهل لان يقال
لهم ذلك قوله انا كذلك نجزي المحسنين اي نثيب الذين احسنوا في تصديقهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم واعمالهم في الدنيا فصل اختلفوا في قوله
كلوا واشربوا هل هو امر او اذن فقال ابو هاشم هو امر واراد الله تعالى منهم
الاكل والشرب لان سرورهم يعظم بذلك اذا علموا ان الله تعالى اراده منهم جزا
على عملهم فكما يريد اجلالهم واعظامهم بذلك فكذلك يريد نفس الاكل
والشرب منهم وقال ابو علي ليس بامر وانما يقوله على وجه الاكرام والامر والنهي
انما يحصلان في زمان التكليف لا في الاخرة فصل تمسك من قال
العمل يوجب الثواب بالباء في قوله بما كنتم تعملون قال ابن الخطيب
وهذا ضعيف لان الباء للالصاق ولما جعل هذا العمل علامة لهذا الثواب
كان الاتيان بذلك كالالة والوصلة الى تحصيل ذلك الثواب قوله
تعالى انا كذلك نجزي المحسنين المقصود منه تذكير الكفار بما فاتهم من
النعيم العظيم ليعلم انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل الخيرات
فلما لم يفعلوا وقعوا فيما وقعوا فيه قوله كلوا وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون هذا مردود الى ما تقدم قبل المتقين وهو وعيد وتهديد وهو
حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا
قليلا انكم مجرمون اي كافرون وقيل مكتسبون فعلا يضركم في الاخرة من
الشرك فكانه تعالى يقول للكافر كونه في الدنيا انك انما عرضت نفسك
لهذه الافات التي وصفناها لمحبتك الدنيا ورغبتك في طيباتها
طيباتها قليلة بالنسبة الى تلك الافات العظيمة فالمشتغل بتعظيمها
يجري مجرى لقمة واحدة من الحلوى وفيها السم المهلك فانه يقال لاكلها
تذكيرا له ونصحا كل هذا وويل لك منه بعد فانك من الهالكين بسببه
بسببه وان كان في اللفظ امرا الا انه في المعنى بليغ وزجر عظيم قوله واذا
قيل لهم اركعوا لا يركعون وهذا نوع اخر من انواع تخويف الكفار اي اذا
قيل لهولاء المشركين اركعوا اي صلوا لا يركعون لا يصلون قال مجاهد وقال
مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة فنزلت فيهم قال مقاتل قال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسلموا وامرهم بالصلاة فقالوا لا ننحني
فانها مسبة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في دين
ليس فيه ركوع ولا سجود وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا في الاخرة
حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقال قتادة هذا في الدنيا
فصل قال ابن العربي هذه الاية تدل على وجوب الركوع وكونه
ركنا في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه وقال قوم هذا انما يكون في الاخرة
وليست بدار تكليف يتوجه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب وانما يدعون
الى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا فمن يسجد لله يمكن من السجود ومن
كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا وقيل اي اذا قيل لهم اخضعوا

الحق

الحق لا يخضعون فهو عام في الصلاة وغيرها وانما ذكر الصلاة لانها اصل
الشرائع بعد التوحيد والامر بالصلاة امر بالايمان لانها لا تصح من غير ايمان
فصل حكى ابن الخطيب عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى
واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون هو الصلوات قال وهذا ظاهر لان الركوع
من اركانها فبين ان هولاء الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون
وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وانهم حال كفرهم يستحقون
الذم والعقاب بترك الصلاة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم على ترك الصلاة
فصل استدلوا بهذه الاية على ان الامر للوجوب لان الله تعالى ذمهم
بمجرد ترك المامور به وهذا يدل على ان مجرد الامر للوجوب فان قيل انما ذمهم
لكفرهم قال الجواب انه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا انه تعالى انما ذمهم
في هذه الاية لترك المامور به فدل على ان ترك المامور غير جائز قوله
فباي حديث متعلق بقوله يومنون والعامة على الغيبة وقرا ابن عامر
ويعقوب بالخطاب على الالتفات او على الانفصال فصل قال
ابن الخطيب اعلم انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول هذه السورة الى
اخرها في الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال
والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم
يومنوا بهذه الدلايل العقلية مع تجليها ووضوحها فباي حديث بعده
يومنون قال القاضي هذه الاية تدل على ان القران محدث لان الله تعالى
وصفه بانه حديث والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان فاذا كان
حديثا وجب ان لا يكون قديما واجيب بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع
في انها محدثة روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية

وهي اربعون او احدى واربعون اية ومائة وثلاثون اية وسبعون
كلمة وسبعمائة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عم
يتساءلون قد تقدم ان المركب يدخلها هاء السكت عوضا من الفها الاستفها مية
في الوقف ونقل عن ابن كثير انه يقرا عمه بالهاء وصلا اجرى الوصل مجرى الوقف
وقرا عبد الله وابي وعكرمة وعيسى عما باثبات الالف وقد تقدم انه
يجوز ضرورة في قليل من الكلام ومنه قوله
✽ على ما قام يشتمني لئيم ✽ كخنزير تمرغ في رماد ✽ وتقدم ان الزمخشري
نقل منه باغرب زي في يس وغيره قولان احدهما انه متعلق بيتساءلون
قال ابو اسحاق الكلام تام في قوله عم يتساءلون ثم قال مقتضى القول ان يجيب
مجيب فيقول يتساءلون عن النبأ العظيم فاقتضى ايجاز القران وبلاغته
ان يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه الحال والمحاورة اقتضاء بالحجة واسراعا
الى موضع قطعهم والثاني انه متعلق بفعل مقدر ويتعلق عن النبأ العظيم
بهذا الفعل الظاهر قال الزمخشري وعن ابن كثير انه قرا عمه بهاء السكت
ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون
عن النبأ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء مبهم ثم يفسره
فصل قال ابن الخطيب عم اصله عن ما لانه حرف جر دخل على ما الاستفهامية
قال حسان بن ثابت على ما قام يشتمني لئيم والاستعمال الكثير على الحذف
والاصل قليل وذكروا في سبب الحذف وجوها احدها قال الزجاج لان الميم تشرك
الغنة في الالف فصارا كالحرفين المتماثلين وثانيها قال الجرجاني انهم اذا وضعوا

ذا استفهام حذفوا الفها تفرقة بينها وبين ان يكون اسما كقولهم فيم وبم
ولم وحتام وثالثها قالوا حذفت الالف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت
كالجزء منه لينبي عن شدة الاتصال ورابعها حذف للتخفيف في الكلام
فانه لفظ كثير التردد على اللسان **فصل** قال ابن الخطيب قوله
عم يتساءلون سوال وقوله عن النبا العظيم جواب والسائل والمجيب
هو الله تعالى وذلك يدل على علمه بالغيب بل بجميع المعلومات وفايدة
ذكره في معرض السوال والجواب لانه اقرب الى التفهيم والايضاح ونظيره
قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **فصل** ما لفظة وضعت
لطلب ماهيات الاشيا وحقايقها يقول ما الملك وما الروح وما الجن
والمراد طلب ماهياتها وشرح حقايقها وذلك يقتضي كون ذلك
المطلوب مجهولا ثم ان الشي العظيم الذي يكون لعظمه مزية يعجز العقل
ان يحيط بكنهه كانه مجهول فحصل بين الشي المطلوب وبين الشي العظيم مشابهة
من هذا الوجه فلذلك سيل عنه بما استعارة وكانه مجهول ومنه الحاقة
ما الحاقة وما ادراك ما سجين وما العقبة وشبهه **فصل** قال
المراد السوال هو ان يسال بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل ايضا
في ان يتحدثوا به وان لم يكن بينهم سوال كما قال تعالى واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون كان قايل منهم ان كان لي قرين الاية وهذا يدل على التحدث
فصل والضمير في يتساءلون لقريش روى ابو صالح عن ابن عباس رضي
الله عنه قال كانت قريش تجلس لما نزل القران فتتحدث فيما بينهم فمنهم
المصدق ومنهم المكذب به فنزلت عم يتساءلون وقيل عم فيه تشديد المراد
ان يختصمون بدليل قوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وهذا تهديد والتهديد
لا يليق الا بالكفار فان قيل فما تصنع بقوله تعالى هم فيه مختلفون مع ان الكفار
كانوا متفقين في انكار الحشر فالجواب لا نسلم اتفاقهم في انكار الحشر لان منهم
من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى واما المعاد الجسماني فمنهم
من كان شاكا فيه لقوله وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى ومنهم من ينكره ويقول ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
ومنهم من يقربه وينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل اختلافهم وايضا
فهب انهم كانوا منكرين له لكن لعل اختلافهم في كيفية انكاره فمنهم من انكره لانكاره
الصانع المختار ومنهم من ينكره لاعتقادات اعادة المعدوم ممتنعة لذاتها
والقادر المختار انما يكون قادرا على الممكن في نفسه وقيل الضمير في يتساءلون
هم الكفار والمومنون كانوا جميعا يتساءلون عنه فاما المسلم فيزداد يقينا
وبصيرة في دينه واما الكافر فاستهزا وسخرية وعلى سبيل ايراد الشكوك
والشبهات قال ابن الخطيب ويحتمل انهم يسالون الرسول صلى الله عليه
وسلم ما هذا الذي تعدنا به من امر الاخرة **قوله** عن النبا يجوز فيه ما جاز
في قوله تعالى لاي يوم اجلت في البدلية او التعلق بفعل مقدر ويزيد عليه
هنا انه يتعلق بالفعل الظاهر ويتعلق ما قبله بمضمر كما تقدم عن الزمخشري
وقال ابن عطية قال اكثر النحاة عن النبا العظيم متعلق بيتساءلون الظاهر
كانه قيل لم يتساءلون عن النبا وقوله عم هو استفهام توبيخ وتعظيم وقال
المهدوي عن ليس متعلق بيتساءلون الذي في التلاوة لانه كان يلزم دخول
حرف الاستفهام فيكون اعن النبا العظيم كقولك كم مالك اثلاثون ام
اربعون فوجب لما ذكرناه امتناع تعلقه بيتساءلون الذي في التلاوة وانما
يتعلق بيتساءلون اخر مضمر وحسن ذلك تقدم يتساءلون الذي في التلاوة كانه
قال القرطبي وذكر بعضهم ان الاستفهام في قوله عم مكرر الا انه مضمر

قيل

قيل عم يتساءلون عن النبا العظيم فعلى هذا يكون متصلا بالاية الاولى
والنبا العظيم اي الخبر الكبير الذي هم فيه مختلفون اي يخالف بعضهم
بعضا فيصدق واحد ويكذب الاخر **قوله** مختلفون خبر هم والجار
متعلق به والموصول يحتمل الحركات الثلاث اتباعا وقطعا رفعا
ونصبا **فصل** قال ابن عباس رضي الله عنه النبا هو القران
قال تعالى قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون فالقران نبا وخبر
وقصص وهو نبا عظيم وكانوا يختلفون فيه فجعله بعضهم سحرا وبعضهم
شعرا وبعضهم قال اساطير الاولين وقال قتادة هو البعث بعد
الموت اختلفوا فيه فمصدق ومكذب ويدل عليه قوله تعالى ان يوم
الفصل كان ميقاتا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه امر النبي
صلى الله عليه وسلم لانه لما بعث ساله اليهود عن اشيا كثيرة فاخبره
الله باختلافهم وايضا فجعل الكفار يتساءلون فيما بينهم ما هذا
الذي حدث فانزل الله تعالى عم يتساءلون وذلك انهم عجبوا من ارسال
محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال
الكافرون هذا شي عجيب وعجبوا ان جاءهم بالتوحيد كما قال تعالى اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب فحكى الله تعالى عن مسالة بعضهم
بعضا على سبيل التعجب بقوله عم يتساءلون **قوله** كلا سيعلمون
ثم كلا سيعلمون التكرار للتوكيد وزعم ابن مالك انه من باب
التوكيد اللفظي ولا يضر توسط حرف العطف والنحويون يابون
هذا ولا يسمونه الا عطفا وان افاد التاكيد والعامة على الغيبة في
الفعلين والحسن وابن دينار وابن عامر بخلاف عنه بتاء الخطاب
فيهما والضحاك قرا الاول كالحسن والثاني كالعامة والغيبة والخطاب
فصل قال القفال كلا لفظة وضعت للرد والمعنى ليس الامر
كما يقوله هولاء في النبا العظيم انه باطل وانه لا يكون وقيل معناه حقا
ثم انه تعالى كرر ذلك الردع والتهديد فقال سبحانه ثم كلا سيعلمون
وهو وعيد بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه
حق لا دافع له واما تكرير الردع فقيل للتاكيد ومعنى ثم الاشعار بان
الوعيد الثاني ابلغ من الوعيد الاول واشد وقيل ليس بتكرير قال
الضحاك الاول للكفار والثانية للمومنين اي سيعلم الكفار عاقبة
تكذيبهم وسيعلم المومنون عاقبة تصديقهم وقال القاضي يحتمل ان
يريد بالاول سيعلمون معنى العذاب اذا شاهدوه وبالثاني
وقيل كلا سيعلمون ما الله فاعل بهم يوم القيمة ثم كلا سيعلمون ان
الامر ليس كما كانوا يتوهمون من ان الله تعالى غير باعث لهم **قوله** الم نجعل
الارض مهادا لما حكى الله عنهم انكار البعث والحشر واراد اقامة الدلايل
على صحة الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات
عالما بجميع المعلومات لانه اذا ثبت هذان الاصلان ثبت القول بصحة
البعث فاثبت هذين الاصلين بان عدد انواعا من مخلوقاته المتقنة
المحكمة فان هذه الاشيا من جهة حدوثها تدل على القدرة ومن جهة احكامها
واتقانها تدل على العلم واذا ثبت هذان الاصلان وثبت ان الاجسام
متساوية في قبول الصفات والاعراض ثبت لا محالة كونه تعالى قادرا على
تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وارضها وعلى ايجاد عالم الاخرة فهذا
وجه النظم **قوله** مهادا مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز
ان يكون بمعنى الخلق فيكون مهادا حالا مقدرة وقرا العامة مهادا ومجاهد

وعيسى وبعض الكوفيين مهدا وقد تقدم هاتان القراءتان في سورة
طه وان الكوفيين قرؤوا مهدا في طه والزخرف فقط وتقدم الفرق
بينهما ثمة **قوله** والجبال اوتادا والكلام عليها كالكلام في مهادا
من المفعولية والحالية ولا بد من تاويلها بمشتق ايضا اي مسانة
والمهاد الوطاء وهو الفراش لقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا ومعنى
مهدا كمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه الاوتاد اي لتسكن
ولا تميد باهلها **قوله** وخلقناكم ازواجا اي اصنافا ذكرانا واناثا
وقيل الوانا وقيل يدخل كل زوج نحو قبيح وحسن وطويل وقصير
لتختلف الاحوال فيقع الاعتبار **قوله** وجعلنا نومكم سباتا
الظاهر انه مفعول ثان ومعناه في السبات راحة لابدانكم ومنه
السبت اي يوم الراحة اي قيل لبني اسرائيل استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا
فيه شيئا وانكر ابن الانباري هذا وقال لا يقال للراحة سبات وقيل
اصله التمدد يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته وارسلته فالسبات
كالمدود ورجل مسبوت الخلق اي ممدود واذا اراد الرجل ان يستريح
تمدد فسميت الراحة سبتا وقيل اصله القطع يقال سبت شعره سبتا
اي حلقه وكانه اذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال فالسبات يشبه
الموت الا انه لم يفارقه الروح ويقال سير سبت اي سهل لين **قوله**
وجعلنا الليل لباسا فيه استعارة حسنة وعليه قول المتنبي

∴ وكم لظلام الليل عندك من يد ∴ تخبر ان المانوية تكذب ∴

والمعنى يلبسكم ظلمته وتغشاكم قاله الطبري قال القفال اصل اللباس
هو الشيء الذي يلبسه الانسان ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا له فلما كان
الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعل لباسا لهم فلهذا اسمي الليل
لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة في ذلك هو ان ظلمة الليل تستر الانسان
عن العيون اذا اراد هربا من عدو او اخفاء ما لا يحب اطلاع غيره عليه وقال
ابن جبير والسدي اي اسكناكم **قوله** وجعلنا النهار معاشا فيه اضمار
اي وقت معاش فيكون مفعولا وظرفا للتبعيض اي منصرفا لطلب المعاش
وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك فمعاشا على هذا اسم زمان
ليكون الثاني هو الاول ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف
المضاف يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة ومعنى كون النهار
معيشة ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوائجهم ومعاشهم في النهار **قوله**
وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات محكمات اي محكمة الخلق وثيقة
البنيان وشدادا جمع شديدة اي قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان لا فطور
فيها ولا فروج ونظيره قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا **قوله** وجعلنا
سراجا وهاجا اي وقادا وهو الشمس وجعل هنا بمعنى خلق لانها تعدت
لمفعول واحد والوهاج المضيء المتلالئ من قولهم وهج الجوهر اي تلالا وقيل
الوهاج الذي له وهج يوهج كوجل يوجل ووهج يهج كوعد يعد وهما قال
ابن عباس وهاجا منيرا متلالئا **قوله** وانزلنا من المعصرات يجوز ان
يكون على بابها من ابتداء الغاية وان يكون للسببية ويدل عليه قراءة عبد الله
ابن زيد وعكرمة وقتادة بالمعصرات بالباء بدل من وهذا على الخلاف في المعصرات
ما المراد بها فعن ابن عباس انها السحاب وهو قول سفيان والربيع وابي
العالية والضحاك اي السحاب التي تنعصر بالماء ولم تمطر بعد كالمراة المعصر
التي تدنو حيضها ولم تحض يقال اعصرت السحاب اي شارفت ان تعصرها
الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز وانشد ابن قتيبة لابي النجم

تمشى

∴ تمشي الهوينا بلا خمارها ∴ قد اعصرت وقد دنا اعصارها ∴

ولولا انها دنت اعصرت بذلك لكان ينبغي ان يكون المعصرات بفتح الصاد
اسم مفعول لان الرياح تعصرها وقال الزمخشري وقرا عكرمة بالمعصرات
وفيه وجهان احدهما ان يراد بالرياح التي حان لها ان تعصر السحاب
وان يراد السحاب لانه اذا كان كذلك لا يزال منها ممنوحا كما تقول اعطى من
يده درهما واعطى بيده وعن ابن عباس ومجاهد المعصرات الرياح
ذوات الاعاصير كانها تعصر السحاب وعن الحسن وقتادة هي السموات
وتاويلها ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن
اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرا من المعصرات
وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت
الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان تجعل مبدا الانزال
وقد جاء ان الله يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء فان صح ذلك فالانزال
منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات
والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يراد
اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث يعني ان عصر بمعنى الاغاثة
ثلاثي فكيف قال هنا معصرات بهذا المعنى وهو من الرباعي فاجاب عنه
بما تقدم يعني ان المعصر بمعنى الدخول في الشيء قال القرطبي ويجوز ان يكون
الاقوال واحدة ويكون المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات ماء
ثجاجا واصح الاقوال ان المعصرات السحاب كذا المعروف ان الغيث
منها ولو كان بالمعصرات لكان الريح اولى وفي الصحاح والمعصرات السحاب
تعصر بالمطر واعصر القوم اي مطروا ومنه قراءة بعضهم وفيه يعصرون
والمعصر الجارية التي قربت من البلوغ والمعصر السحابة التي حان لها ان
تمطر فقد اعصرت ومنه العصر بالتحريك للملجا الذي يلجا اليه والعصر
بالضم ايضا الملجا وانشد ابو زبيد

∴ صاديا يستغيث غير مغاث ∴ ولقد كان عصرة المنجود ∴

قوله ماء ثجاجا الثج الانصباب بكثرة وشدة وفي الحديث احب
العمل الى الله العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دماء
الهدي يقال ثج الماء بنفسه اي انصب وثججته انا اي صببته ثجا وثجوجا
فيكون لازما ومتعديا وقال الشاعر

∴ اذا رجفت فيها رحى مرجحنة ∴ تبعج ثجاجا غزير الحوافل ∴

وقرا الاعرج ثجاحا بالحاء المهملة اخيرا قال الزمخشري ومثاجح الماء
مصابه والماء ينثجح في الوادي وكان ابن عباس مثجا يعني يثج الكلام ثجا
في خطبته **قوله** لنخرج به اي بذلك الماء حبا كالحنطة والشعير وغير
ذلك ونباتا من الانبات وهو ما تاكله الدواب من
الحشيش وجنات اي بساتين الفافا اي ملتفا بعضها ببعض لتشعب
اغصانها وفي الالفاف وجوه احدها انه لا واحد له قال الزمخشري
الفافا ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخياف والثاني انه جمع لف
بكسر اللام فيكون نحو سر واسرار وانشد ابو علي الطوسي

∴ جنة لف وعيش مغدق ∴ وندامى كلهم بيض زهر ∴

وهذا قول اكثر اهل اللغة ذكره الكسائي الثالث انه جمع لفيف قاله
الكسائي وابو عبيدة كشريف واشراف وشهيد واشهاد قال الشاعر

∴ احابيش الفاف تباين فرعهم ∴ وجذمهم عن نسبة المتعرف ∴

الرابع انه جمع الجمع وذلك ان الاصل لف في المذكر ولفا في المؤنث كاحمر وحمرا

ثم جمع لف على القاف اذ صار لفا زنة فعل جمع جمعه قاله ابن قتيبة الا ان
الزمخشري قال وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار
وان كانا جمعين لاحمر وحمر واخضر وخضر وهذا غير لازم لان جمع الجمع
لا ينقاس ويكفي ان يكون له نظير في المفردات كما رايت من ان لفا صار بمنزلة
فعلا ولهذا امتنعوا من تكسير مفاعل ومفاعيل لعدم نظيره في المفردات
لحمله عليه • الخامس قال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف
الزوايد لكان قولا وجيها وهذا تكلف لا حاجة اليه • وايضا فعبارات
النحاة في حذف الزوايد انما هو في التصغير يقولون تصغير الترخيم بحذف الزوايد
وفي المصادر يقولون هذا المصدر على حذف الزوايد • قال القرطبي ويقال
شجرة لفا وشجر لف وامراة لفا اي غليظة الساق مجتمعة اللحم • وقيل التقدير
ونخرج جنات الفافا ثم حذف لدلالة الكلام عليه قوله ان يوم الفصل
كان ميقاتا اي وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والاخرين لما وعد الله من الجزا
والثواب وسمي يوم الفصل لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه قوله
يوم ينفخ يجوز ان يكون بدلا من يوم الفصل او عطف بيان له او منصوبا
باضمار اعني • وافواجا حال من فاعل تاتون • وقرا ابو عياض بالصور بفتح الواو
وتقدم مثله فصل هذا النفخ هو النفخة الاخرة التي يكون عندها الحشر
وهذا هو النفخ للارواح • وقيل هو قرن ينفخ فيه للبعث فتاتون اي الى موضع
العرض افواجا اي امما كل امة مع امامهم • روى معاذ بن جبل رضي الله عنه قلت
يا رسول الله ارايت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ لقد سالت عن امر عظيم ثم ارسل
عينيه باكيا ثم قال عليه الصلوة والسلام يحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا
قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير • وبعضهم منكسين ارجلهم اعلاهم ووجوههم
يسحبون وبعضهم عميا وبعضهم صما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة
على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم الجمع • وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم مصلبين على جذوع من نار • وبعضهم اشد نتنا من الجيف
وبعضهم ملبسين جلابيب من القطران لاصقة بجلودهم • واما الذين
على صور القردة فالقتات من الناس يعني النمام • واما الذين على صور
الخنازير فاهل السحت والحرام والمكس • واما المنكسون على روسهم
ووجوههم فاكلة الربا • واما العمي فالذين يجورون في الحكم • واما الصم
البكم فالمعجبون باعمالهم • واما الذين يمضغون السنتهم فالعلما الذين
يخالف فعلهم قولهم • واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فالذين
يوذون الجيران • واما المصلبون في جذوع النار فالسعاة بالناس
الى السلطان • واما الذين اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون
الشهوات واللذات ويمنعون حق الله في اموالهم • واما الذين يلبسون
الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلا قوله وفتحت السما فكانت
ابوابا قرا ابو عامر وحمزة والكسائي فتحت خفيفة • والباقون
بالتثقيل والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملايكة كقوله تعالى
ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا • وقيل تقطعت
فكانت قطعا كالابواب فانتصاب الابواب على هذا بحذف الكاف • وقيل ابوابها
وقيل التقدير كانت ذات ابواب لانها تصير كلها ابوابا • فاذا قامت القيمة
طرقها وقيل ان لكل عبد بابا في السما لعمله وبابا لرزقه
انفتحت الابواب • وقال القاضي هذا الفتح والتشقق متقارب • قال
ابن الخطيب

ابن الخطيب وهذا ليس بقوي لان المفهوم من فتح الباب غير المفهوم
من التشقق والتفطر فربما يفتح تلك الابواب مع انه لا يحصل في جرم
السما تشقق ولا تفطر بل الدلايل الصحيحة دلت على حصول فتح هذه
الابواب يحصل التشقق والتفطر والفنا بالكلية • فان قيل قوله تعالى
وفتحت السما فكانت ابوابا يفيد ان السما بكليتها تصير ابوابا فكيف يعقل
ذلك • فالجواب من وجوه • احدها ان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت
كانها ليست الا ابوابا كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي صارت
كلها عيونا تتفجر • وثانيها قال الواحدي هذا من باب حذف المضاف
اي فكانت ذات ابواب • وثالثها ان الضمير في قوله تعالى فكانت
ابوابا يعود الى الضمير والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة
ابوابا لنزول الملايكة قوله وسيرت الجبال فكانت سرابا اي لا شي
كما ان السراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بما • وقيل نسفت من اصولها
وقيل ازيلت عن مواضعها • قال ابن الخطيب ان الله تعالى ذكر
احوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بوجوه بان يقول
اول احوالها الاندكاك وهو قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا
دكة واحدة • والحالة الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وهو قوله
تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش • والحالة الثالثة ان تصير كالهبا
وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا • والحالة الرابعة
ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة تارة في مواضعها في الارض فترسل
الرياح فتنسفها عن وجه الارض فتطيرها في الهوا كانها غبار فمن نظر اليها
يحسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي في الحقيقة مارة الا ان مرورها
بسبب مرور الرياح مندكة منسفة • والحالة السادسة ان تصير
سرابا اي لا شي كما روي كالسراب من بعد قوله ان جهنم كانت مرصادا
مفعالا من الرصد والرصد كل شي كان امامك قرا ابن يعمر وابن عمر المنقري
ان جهنم بفتح ان • قال الزمخشري على تعليل قيام الساعة ان جهنم كانت
مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزا يعني انه علة لقوله
تعالى يوم ينفخ في الصور الى اخره • قال القفال في المرصاد قولان احدهما
ان المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه اي جهنم معدة لهم فالمرصاد بمعنى
المحل وعلى هذا فيه احتمالان الاول ان خزنة جهنم يرصدون الكفار
والثاني ان مجاز المومنين وممرهم على جهنم لقوله تعالى وان منكم الا واردها
فخزنة الجنة يستقبلون المومنين عند جهنم ويرصدونهم عندها القول
الثاني ان المرصاد مفعال من الرصد وهو الترقب بمعنى ان ذلك يكثر منه
والمفعال من ابنية المبالغة كالمعطا والمعمار والمطعان • قيل انها
ترصد اعدا الله وتشد عليهم تكاد تميز من الغيظ • وقيل ترصد كل
منافق وكافر فصل دلت الاية على ان جهنم كانت مرصادا وان
كان كذلك كانت الجنة لعدم الفارق قوله للطاغين يجوز ان
يكون صفة لمرصادا وان يكون حالا من مابا كان صفة فلما تقدم
نصب على الحال وعلى هذين الوجهين يتعلق بمحذوف • ويجوز ان يكون
متعلقا بنفس مرصادا او بنفس مابا لانه بمعنى مرجع • قال ابن
الخطيب ان قيل مرصادا للكافرين فقط كان قوله للطاغين من تمام
ما قبله والتقدير كانت مرصادا للطاغين ثم قوله مابا بدل قوله
مرصادا وان قيل ان مرصادا مطلقا للكفار والمومنين كان قوله
تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما وقوله تعالى للطاغين مابا

كثيرا مستقيما كأنه قيل ان جهنم كانت مرصادا للكل وما با للطاغين
خاصة فمن ذهب الى القول الاول لم يقف على قوله مرصادا ومن ذهب
الى القول الثاني وقف عليه • قال القرطبي للطاغين مآبا بدل من قوله مرصادا
والمآب المرجع اي مرجعا يرجعون اليه يقال آب يؤوب اوبة اذا رجع
وقال قتادة مأوى ومنزلا والمراد بالطاغين من طغى من دينه بالكفر
ودنيا بالظلم **قوله** لابثين منصوب على الحال من الضمير المستتر
في الطاغين وهي حال مقدرة • وقرأ حمزة لبثين دون الف والباقون
لابثين وضعف مكي قراة حمزة لبثين دون الف • وانما يكون لابثين من شبهه
بما هو جبلة في الانسان وليس اللبث بخلقة ورجح الزمخشري قراة حمزة
قال قال اللبث اقوى لان اللابث يقال لمن وجد منه اللبث
ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك
منه وما قاله الزمخشري اصوب واما قول مكي ان اللبث ليس بخلقة فيسلم
لكنه بولغ في ذلك فجعل بمنزلة الاشيا المخلقة ولابثين اسم فاعل من لبث
ويقويه ان المصدر منه اللبث بالاسكان كالشرب **قوله** احقابا
منصوب على الظرف وناصبه لابثين هذا هو المشهور وقيل منصوب
بقوله لا يذوقون وهذا عند من يرى تقدم معمول ما بعد لا عليها وهو
احد • وقد تقدم هذا مستوفى في اواخر الفاتحة وجوز الزمخشري
ان تنتصب على الحال وفيه اوجه اخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا
قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه
احقاب فينتصب حالا عنهم بمعنى لابثين فيها حقبين مجدبين وقد تقدم
الكلام على الحقب في سورة الكهف • قال القرطبي والحقبة بالكسر السنة
والجمع حقب قال متمم بن نويرة

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك واقل والجمع
احقاب • قال الفرا اصل الحقبة من الترادف والتتابع يقال احقب
اذا اردف • ومنه الحقيبة ومنه كل من حمل وزرا فقد احتقب فعلى هذا
معناه لابثين فيها احقابا اي دهورا مترادفة يتبع بعضهم بعضا
فصل المعنى ماكثين في النار ما دامت الاحقاب وهي لا تنقطع
فكلما مضى حقب جا حقب والحقب بضمتين الدهر والاحقاب الدهور
والمعنى لابثين فيها احقاب الاخرة التي لا نهاية لها فحذف الاخرة
لدلالة الكلام عليها اذ في الكلام ذكر الاخرة كما يقال ايام الاخرة اي ايام
بعد ايام الى غير نهاية اي لابثين فيها ازمانا ودهورا كلما مضى زمن
يعقبه زمن ودهر يعقبه دهر هكذا ابدا من غير انقطاع فكانه قال
ابدا وانما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة احقابا او عشرة ونحوه
وذكر الاحقاب لان الحقب كان ابعد شي عندهم فذكر ما يفهمونه وهو
كناية عن التابيد اي يمكثون فيها ابدا وقيل ذكر الاحقاب دون
الايام لان الاحقاب اهول في القلوب وادل على الخلود وهذا الخلود في
حق المشركين ويمكن حمله على العصاة الذين يخرجون من النار بعد احقاب
وقيل الاحقاب وقت شربهم الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم
نوع اخر من العذاب ولهذا قال تعالى لابثين فيها احقابا لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا • وقيل المعنى لابثين فيها احقابا
اي في الارض لتقدم ذكرها ويكون الضمير في لا يذوقون فيها برد لجهنم
قوله لا يذوقون فيه اوجه احدها انه مستانف اخبر عنهم بذلك

الثاني انه حال من الضمير في لابثين غير ذا يقين في حال متداخلة
الثالث انه صفة لاحقاب • قال مكي واحتمل الضمير لانه فعل يجب
اظهاره وان كان قد جرى صفة على غير من هو له وانما جاز ان يكون
نعتا لاحقاب لاجل الضمير العايد على الاحقاب في فيها فلو كان
في موضع يذوقون اسم فاعل لكان لا بد من اظهار الضمير اذا جعلته
وصفا لاحقاب • الرابع انه تفسير لقوله تعالى احقابا اذا جعلته
منصوبا على الحال بالتاويل المتقدم عن الزمخشري فانه قال
وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له • الخامس
انه حال اخرى من الطاغين كلابثين **فصل** قال ابو عبيدة
وغيره البرد النوم قال الشاعر

فلو شيت حرمت النسا سواكم ... وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وهو قول مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد وابو معاذ
النحوي والعرب تقول منع البرد البرد يعني اذهب النوم • وقال
ابن عباس رضي الله عنه البرد برد الشراب وعنه ايضا البرد
النوم والشراب الما • قال الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح
ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شي له راحة • وقال
الحسن وعطا وابن زيد بردا اي روحا وراحة **قوله** الا حميما
يجوز ان يكون استثنا متصلا من قوله شرابا • ويجوز ان يكون
منقطعا • قال الزمخشري معنى لا يذوقون فيها بردا ولا روحا
ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون
فيها حميما وغساقا • قال شهاب الدين ومكي لما جعله منقطعا
جعل البرد عبارة عن النوم قال فان جعلته النوم كان حميما
استثنا ليس من الاول وانما الذي حمل الزمخشري على الانقطاع
مع صدق الشراب على الحميم والغساق وصفه له بقوله ولا شرابا
يسكن من عطشهم فبهذا القيد صار الحميم ليس من جنس هذا الشراب
واطلاق البرد على النوم لغة هذيل وانشد البيت المتقدم وتقول
العرب منع البرد البرد قيل وسمي بذلك لانه يقطع سورة العطش
والذوق على هذين القولين اعني كونه روحا ينفس عنهم الحر وكون
النوم مجاز • واما على قول من جعله اسما للشراب البارد المستلذ
كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه وانشد قول حسان رضي الله عنه

يسقون من ورد البريض عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال ابن الاثير البريض الما القليل والبرض الشي القليل وقال الاخر

اماني من سعدى حسان كانما ... سقتك بها سعدى على ظما بردا

فالذوق حقيقة الا انه يصير فيه تكرارا بقوله بعد ذلك ولا شرابا
الثالث انه بدل من قوله ولا شرابا وهو الاحسن لان الكلام غير
موجب • قال ابو عبيدة الحميم الما الحار وقال ابن زيد دموع
اعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه • وقال النحاس اصل الحميم
الما الحار وقال اي وقد ومنه اشتق الحمام • ومنه الحمى ومنه
ظل من يحموم انما يراد به النهاية في الحر • والغساق صديد اهل النار
وقيحهم • وقيل الزمهرير وتقدم خلاف القرا في غساقا والكلام
عليه وعلى حميم قال ابو معاذ كنت اسمع مشايخنا يقولون
الغساق فارسية معربة يقولون للشي الذي يتقذرونه خاساك
قوله جزا منصوب على المصدر وعامله اما قوله لا يذوقون الى

اخره لانه في قوة جوزوا بذلك • واما محذوف وردنا فانعت له على
المبالغة وعلى حذف مضاف اي ذا موافقة • قال ابن عباس ومجاهد
وغيرهما معناه موافقا لاعمالهم كالموفاق بمعنى الموافقة كالقتال
من المقاتلة • قال الفرا والاخفش جازيناهم جزا وافق اعمالهم وقال
الفرا ايضا هو جمع الوفق والوفق والموافق واحد • وقال مقاتل
وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم
من النار • وقال الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله
بما يسوؤهم • وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة بتشديد الفا من وفقه
كذا قوله انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا يخافون حسابا اي
محاسبة على اعمالهم • وقيل لا يرجون ثواب حساب • وقال الزجاج
انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم فهو اشارة الى انهم
لم يكونوا مؤمنين قوله وكذبوا باياتنا كذابا • قرا العامة كذابا
بتشديد الذال وكان من حق مصدره فعل ان ياتي على التفعيل
نحو حرف تحريفا • قال الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش
في كلام فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال
لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله قال غيره وهي لغة بعض العرب
يمانية وانشد •

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي • وعن حاجة قضاؤها من شفائيا

يريد بقضيها والاصل على التفعيل وانما هو مثل زكى تزكية • وسمع
بعضهم يستفتي في حجة فقال الحلق احب اليك ام القصار يريد
التقصير • وقال الفرا هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت كذابا
وخرقت القميص خراقا وكل فعل في وزن فعل فمصدره فعال مشدد
في لغتهم • وقرا علي والاعمش وابو رجاء وعيسى البصري بالتخفيف وهو
مصدر ايضا اما لهذا الفعل الظاهر على حذف الزوائد • واما لفعل
مقدر كما نبتكم من الارض نباتا • قال الزمخشري هو مثل قوله تعالى انبتكم
من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه
بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان مكذب بالحق كاذب وان جعلته
بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة وكذبوا بها
مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون
عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو
افرط في الكذب فعل من يغالب فيبلغ اقصى جهده • وقال ابو الفضل
وذلك لغة اليمن وذلك بان يجعل مصدر كذب مخففا كذابا
بالتخفيف مثل كتب كتابا فصار المصدر هنا من معنى الفعل دون
لفظه مثل اعطيته عطا قال شهاب الدين اما كذب كذابا
بالتخفيف فمنه مشهور ومنه قول الاعشى •

فصدقتها وكذبتها • والمرء تنفعه كذابه

وقرا عمر بن عبد العزيز والماجشون كذابا بضم الكاف وتشديد
الذال وفيه وجهان • احدهما انه جمع كاذب نحو ضراب في ضارب
وعلى هذا فانتصابه على الحال المؤكدة اي وكذبوا في حال كونهم كاذبين
والثاني ان الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب
قاله ابو ... يقال رجل كذاب كقولك حسان فيجعل وصفا لمصدر كذبوا اي
تكذيبا كذابا مفرطا كذبه قالهما الزمخشري • قال القرطبي وفي
الصحاح وقوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا وهو احد مصادر
المشدد

المشدد لان مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل
كذاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم كل ممزق
قوله وكل شيء • قرا العامة على النصب على الاشتغال وهو الراجح لتقدم
جملة فعلية • وقرا ابو السمال برفع كل على الابتدا وما بعده الخبر
وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب لان الاصل وكذبوا
باياتنا كذابا فذوقوا سبب تكذيبهم قوله احصيناه فيه
اوجه احدها انه مصدر من معنى احصيناه اي احصاء فالتجوز في نفس
المصدر لانه في معنى كتبنا فالتجوز في نفس الفعل • قال الزمخشري
لالتقاء الاحصا والكتب في معنى الضبط والتحصيل قال ابن الخطيب
وانما عدل عن تلك اللفظة الى هذه اللفظة لان الكتابة هي النهاية
في قوة العلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتابة
فكانه تعالى قال وكل شيء احصيناه وكتابا احصاء في القوة والثبات
والتاكيد كالمكتوب فالمراد من قوله كتابا تاكيد ذلك الاحصا والعلم
وهذا التاكيد انما ورد على حسب ما يليق بافهام اهل الظاهر فان
المكتوب يقبل الزوال وعلم الله تعالى بالاشيا لا يقبل الزوال لانه
واجب لذاته الثالث ان يكون منصوبا على الحال بمعنى مكتوبا
في اللوح المحفوظ لقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين • وقيل
اراد ما كتبته الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة
لقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فصل معنى
وكل شيء احصيناه اي علمنا كل شيء علما كما هو لا يزول ولا يتبدل ونظيره
قوله تعالى احصاه الله ونسوه • قال ابن الخطيب وهذه الاية لا تقبل
التاويل لان الله تعالى ذكر هذا تقريرا لما ادعاه من قوله تعالى جزاء
وفاقا كانه تعالى قال انا عالم بجميع ما فعلوه وعالم بجهات تلك
الافعال واحوالها واعتباراتها التي لاجلها يحصل استحقاق الثواب
والعذاب فلا جرم لا اوصل اليهم من العذاب الا قدر ما يكون
وفاقا لاعمالهم وهذا القدر انما يتم بثبوت كونه عالما بالجزئيات
واذا ثبت ظهر ان كل من انكره كافر قطعا قوله فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا • قال ابن الخطيب هذه الفا للجزا فنبه على ان
الامر بالذوق معلل بما تقدم شرحه من قبائح افعالهم فهذه
الفا افادت عين فائدة قوله جزاء وفاقا • فان قيل اليس انه تعالى
قال في صفة الكفار ولا يكلمهم الله فههنا لما قال الله تعالى فذوقوا
فقد كلمهم • فالجواب قال اكثر المفسرين يقال لهم فذوقوا فالقائل
ان يقول قوله فلن نزيدكم لا يليق الا بالله • والاقرب في الجواب
ان قوله تعالى ولا يكلمهم بالكلام الطيب النافع فان تخصيص العموم
بتتابع عند تخصيص القرينة فان قوله ولا يكلمهم انما ذكره
لبيان انه تعالى لا يجيبهم [illegible] وذلك لا يحصل الا من الكلام الطيب
فان قيل ان كانت هذه الزيادة غير مستحقة كانت ظلما وان كانت
مستحقة كان تركها في اول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع
في احسانه • والجواب انها مستحقة ودوامها زيادة لتضاعف
العذاب • وايضا فترك المستحق في بعض الاوقات لا يوجب الابرا
والاسقاط فصل قال ابن الخطيب قوله تعالى فذوقوا
يفيد معنى التعليل وهو الالتفات من الغيبة للخطاب فهو دال
على الغضب • وفيه مبالغات منها ان لن للتاكيد ومنها الالتفات

ومنها اعادة قوله فذوقوا بعد ذكر العذاب • قال ابو بردة رضي
الله عنه سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد اية في القران
قال عليه الصلوة والسلام قوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا
اي وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
وكلما خبت زدناهم سعيرا **قوله** ان للمتقين مفازا تقدم
تفسير المتقين والمفاز يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى فوزا وظفرا
بالنعمة ويحتمل ان يكون المراد فوزا بالنجاة من العذاب ولذلك
قيل للفلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها وان يكون
المراد مجموع الامرين وقال الضحاك سيرها **قوله** حدائق يجوز ان
يكون بدلا من مفازا بدل اشتمال او بدل كل من كل مبالغة في ان
جعل نفس هذه الاشيا مفازا ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني
واذا كان مفازا بمعنى الفوز فيقدر مضاف اي فوز حدائق وهي جمع
حديقة وهي البستان المحوط عليه • وقيل احدق به اي احاط •
والاعناب جمع عنب اي كروم اعناب فحذف والتنكير في قوله
تعالى واعنابا يدل على تعظيم تلك الاعناب **قوله** وكواعب
اترابا الكواعب جمع كاعب وهي من كعب ثديها وتفلك اذ يكون
الثدي في النتو كالكعب والفلكة اي استعار وهو الناهد يقال
كعبت الجارية تكعب كعوبا وكعبت تكعب تكعيبا ونهدت
تنهد نهودا قال •

وكان مجني دون من كنت اتقي • ثلاث شخوص كاعبان ومعصر •

وقال قيس بن عاصم المنقري •

وكم من حصان قد حوينا كريمة • ومن كاعب لم تدر ما البوس معصر •

وقال الضحاك الكواعب العذارى والاتراب الاقران في السن وقد
تقدم ذكرهن في الواقعة **قوله** وكاسا دهاقا الدهاق الملأى
المترعة • قيل هو ماخوذ من دهقه اي ضغطه وشده بيده كانه ملأ
اليد فانضغط قال •

لانت الى الفواد احب قربا • من الصادي الى الكاس الدهاق •

وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة وابي عبيدة والزجاج والكسائي
وقال عكرمة وربما سمعت ابن عباس يقول اسقنا وادهق لنا
ودعا ابن عباس غلاما فقال له اسقنا دهاقا فجا الغلام بها ملأى
فقال ابن عباس هذا الدهاق • وقيل الدهاق المتتابعة • قال
ابا عامر يبغي قرانا فاترعنا له كاسا دهاقا وهذا قول ابي هريرة
وسعيد بن جبير ومجاهد قال الواحدي واصل هذا القول من قول
العرب ادهقت الحجارة ادهاقا وهو شدة تراد فيها ودخول بعضها
في بعض ذكره الليث والتتابع كالمتداخل • وعن عكرمة وزيد بن اسلم
الصافية وهو جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس
الخمر • قال الضحاك كل كاس في القران فهو خمر • والتقدير ذات دهاق
اي عصرت وصفيت بالدهاق قاله القشيري • وفي الصحاح وادهقت
الما اي افرغته افراغا شديدا • قال ابو عمرو والدهق بالتحريك ضرب
من العذاب وهو بالفارسية اشكنجه • قال المبرد والمدهوق المعذب
بجميع العذاب الذي لا فرجة فيه • وقال ابن الاعرابي دهقت الشي
اي كسرته وقطعته وكذلك دعدقته ودهمقته بزيادة الميم الثلثية
وقال الاصمعي الدهمقة لين الطعام وطيبه ورقته وكذلك كل شي لين

لعله بين الطباع

ومنه

حديث عمر رضي الله عنه لو شئت ان تدهمق لي لفعلت ولكن الله عاب
قوما فقال تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
قوله لا يسمعون فيها اي في الجنة • وقيل في الكاس لغوا ولا كذابا • اللغو
الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح • ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك
انصت فقد لغوت وذلك ان الجنة اذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم
يتكلموا بلغو بخلاف الدنيا ولا كذابا اي لا يتكاذبون في الجنة • وقيل
هما مصدران للتكذيب وانما خففها لانها ليست بمقيدة بفعل
يصير مصدرا له وشدد قوله وكذبوا باياتنا كذابا لان كذبوا يقيد المصدر
بالكذاب • قال شهاب الدين وانما وافق الكسائي الجماعة في الاول
للتصريح بفعله بخلاف الاول • وقال مكي من شدد جعله مصدرا
لكذب زيدت فيه الالف كما زيدت في اكراما وقولهم تكذيبا
جعلوا التا عوضا من تشديد العين والياء بدلا من الالف غيروا اوله
كما غيروا اخره واصل مصدر الرباعي ان يأتي على عدد حروف الماضي
بزيادة الف مع تغيير الحركات وقالوا تكلما فاتى المصدر على عدد
حروف الماضي بغير زيادة الف وذلك لكثرة حروفه وضمت
اللام ولم تكسر لانه ليس باسم على تفعل ولم تفتح لئلا يشتبه بالماضي
وقرا الكسائي بالتخفيف جعله مصدر كذب كذابا • وقيل هو مصدر
كذب كقولك كتبت كتابا **قوله** جزا مصدر موكد منصوب
بمعنى ان للمتقين مفازا كانه قيل جازى المتقين بمفاز **قوله**
عطا بدل من جزا وهو اسم مصدر • قال • وبعد عطائك المائة
الرتاعا • قال وجعله الزمخشري منصوبا بجزا نصب المفعول به
ورده ابو حيان بانه جعل جزا مصدرا موكدا لمضمون الجملة التي
هي ان للمتقين قال والمصدر الموكد لا يعمل لانه لا ينحل لحرف مصدري
والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا **قوله** حسابا صفة لعطا والمعنى
كافيا فهو مصدر اقيم مقام الوصف او مولع فيه او على حذف
مضاف من قولهم احسبني الشي اي كفاني • وقال قتادة عطا
حسابا اي كثيرا • يقال احسبت فلانا رفد وعد قوما جزا لا نهاية
له ولا مقدار كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وقرا ابو وشريح بن يزيد الحمصي بتشديد السين مع بقا الحا
على كسرها وتخريجها انه مصدر مثل كذاب اقيم مقام الوصف اي عطا
محسبا اي كافيا وابن قطيب كذلك الا انه فتح الحا قال ابو الفتح بنا
فعالا من افعل كدراك من ادرك يعني انه صفة مبالغة من حسب
بمعنى كافي كذا وابن عباس حسنا بالنون من الحسن وسراج حسبا بفتح
الحا وسكون السين والبا الموحدة اي عطا كافيا من قولك حسبك كذا
اي كافيك **قوله** رب السموات قرا نافع وابن كثير وابو عمرو برفع
رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول
ورفع الثاني فاما رفعهما فيجوز من اوجه • احدها ان يكون رب
خبر مبتدا محذوف مضمر اي هو رب والرحمن كذلك او مبتدا خبره
لا يملكون • الثاني ان يجعل رب مبتدا والرحمن خبره ولا يملكون خبر
ثان او مستانف • الثالث ان يكون رب مبتدا والرحمن نعته ولا
يملكون خبر رب • الرابع ان يكون رب مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا
يملكون خبره والجملة خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه وهو

راي الاخفش• ويجوز ان يكون لا يملكون حالا وتكون لازمة• واما
جرهما فعلى البدل نعتا للبدل او البيان او النعت كلاهما الا ان تكرير
البدل فيه نظر بعدم التلبسة عليه آخر الفاتحة ويجعل رب السموات
تابعا للاول والرحمن تابعا للثاني على ما تقدم وانما خبرا لاول نظر
التبعية للاول ورفع الثاني فعلى الابتدا والخبر للجملة الفعلية او على
انه خبر مبتدا مضمر ولا يملكون على ما تقدم من الاستيناف او الجر الثاني
او الحال اللازمة **قوله** لا يملكون نقل عطا عن ابن عباس رضي الله
عنه ان الضمير في يملكون راجع الى المشركين اي لا يخاطبهم الله واما
المومنون فيشفعون ويقبل الله تعالى منهم بعد اذنه لهم• وقال
القاضي انه راجع للمومنين والمعنى ان المومنين لا يملكون ان يخاطبوا
الله تعالى في امر من الامور **فصل** لما ثبت انه تعالى عدل لا يجور
وثبت ان العقاب الذي اوصله الى الكفار عدل وثبت ان الثواب
الذي اوصله الى المومنين عدل وانه ما بخس حقهم فباي سبب خاطبوه
وقيل الضمير يعود لاهل السموات والارض وان احدا من المخلوقين
لا يملك مخاطبة الله تعالى ومكالمته قال ابن الخطيب وهذا هو الصواب
قوله يوم يقوم منصوب على الظرف اما بلا يتكلمون بعده واما
بلا يملكون وصفا حالا اي مصطفين ولا يتكلمون اما حال او مستانف
فصل اختلفوا في الروح فقال ابن عباس هو ملك ما خلق
الله بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام وحده صفا
وقام الملايكة كلهم صفا ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
الروح ملك اعظم من السموات السبع والارضين السبع والجبال• وقيل
جبريل عليه السلام قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير• وروى
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح في هذه
الاية جند من جنود الله ليسوا ملايكة لهم رووس وايدي وارجل
ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملايكة صفا وهذا قول
ابي صالح ومجاهد وعلي رضي الله عنهم وعلى هذا هو خلق على صورة
بني ادم كالناس وليسوا بناس وما ينزل من السما ملك الا ومعه واحد
منهم نقله البغوي• وعن ابن عباس رضي الله عنه هم ارواح الناس
وقال مقاتل وابن حيان هم اشراف الملايكة وقال ابن ابي نجيح هم
حفظة على الملايكة• وقال الحسن وقتادة هم بنوا ادم والمعنى
ذوو الروح• وقال العوفي والقرطبي هذا مما كان يكتمه ابن عباس• وقيل ارواح
بني ادم تقوم صفا والملايكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد
الى الاجساد• وقاله عطية• وقال زيد بن اسلم هو القران وقرا
اوحينا اليك روحا من امرنا• وصفا مصدر اي يقومون صفوفا
يغني عن الواحد والجمع كالعدل والصوم ويقال اليوم العيد يوم الصف
وقال في موضع اخر سبحانه وجل وجا ربك والملك صفا صفا وهذا يدل
على الصفوف وهذا حين العرض والحساب قيل هما صفان وقيل يقوم
الكل صفا واحدا لا يتكلمون اي لا يشفعون **قوله** الا من اذن يجوز
ان يكون بدلا من واو يتكلمون وهو الارجح لكونه غير موجب وان يكون
منصوبا على اصل الاستثنا والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن
في الشفاعة وقيل لا يتكلمون الا في حق من اذن له الرحمن وقال صوابا
والمعنى لا يشفعون الا في حق شخص اذن الرحمن في شفاعته وذلك الشخص
كان ممن قال صوابا يعني حقا قاله الضحاك ومجاهد• وروى الضحاك

عن ابن عباس

عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا يشفعون الا لمن قال لا اله الا
الله محمد رسول الله• واصل الصواب السداد من القول والفعل وهو
من اصاب يصيب اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني
الملايكة والروح الذين قاموا صفا لا يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن
له الرب تعالى في الشفاعة وهم الذين قالوا صوابا وانهم يوحدون
الله تعالى ويسبحونه **قوله** ذلك اليوم الحق اشارة الى ما تقدم ذكره
فمن شا اتخذ الى ربه مابا اي مرجعا بالعمل الصالح وقال قتادة مابا
سبيلا ثم انه تعالى زاد في تخويف الكفار فقال سبحانه وتعالى انا انذر ناكم
عذابا قريبا كقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او
ضحاها• وقال قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين• وقال
مقاتل هو قتل قريش ببدر وهذا خطاب الكفار قريش ولمشركي العرب
لانهم قالوا لا نبعث وانما سماه انذارا لانه تعالى قد خوف بهذا
الوصف نهاية التخويف وهو معنى الانذار **قوله** يوم ينظر المرء
يجوز ان يكون بدلا من يوم قبله وان يكون منصوبا بعذابا اي
العذاب واقع في ذلك اليوم• وجوز ابو البقا ان يكون نعتا لقريبا
ولو جعله نعتا لعذابا كان اولى والعامة بفتح ميم المرء وهي الغالبة
وابن ابي اسحاق بضمها وهي لغة يتبعون الميم اللام وخطا ابو
حاتم هذه القراة وليس بصواب لثبوتها لغة **فصل** اراد بالمرء
المومن في قول الحسن اي يجد لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد لنفسه
عملا فيتمنى ان يكون ترابا• قال ويقول الكافر فعلم انه اراد بالمرء
المومن• وقيل المراد ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط• ويقول الكافر
ابو جهل• وقيل هو عام في كل احد يرى في ذلك اليوم جزا ما كسب
قوله ما قدمت يداه يجوز فيما ان تكون استفهامية معلقة
لينظر على انه من النظر فتكون الجملة في موضع نصب على اسقاط
الخافض وان تكون موصولة مفعولا بها والنظر بمعنى الانتظار
اي ينتظر الذي قدمت يداه **قوله** ويقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا• العامة لا يدغمون تا كنت في تا ترابا قالوا لان الفاعل
لا يحذف والادغام يشبه الحذف• وفي قوله تعالى ويقول الكافر
وضع الظاهر موضع مضمر شهادة عليه بذلك **فصل** قال
مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة
بن عبد الاسد المخزومي ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
اخيه الاسود بن عبد الاسد• وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم
بن حبيب يقول الكافر هنا ابليس لعنة الله عليه وذلك بانه
عاب ادم عليه الصلوة والسلام بانه خلق من تراب وافتخر بانه
خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه ادم وبنوه من الثواب
والراحة وراى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه كان بمكان
ادم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورايته في بعض التفاسير
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يحشر الخلق كلهم من دابة
وطاير وانسان ثم يقال للبهايم والطاير كونوا ترابا فعند ذلك
يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اي لم ابعث• وقال ابو الزناد
اذا قضي بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار
قيل لساير الامم ولمومني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك
يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا• وقال ليث بن ابي سليم

مومني الجن يعودون ترابا • وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي
ومجاهد مومنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا
اصح فانهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني ادم • روى الثعلبي
عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب
يوم القيمة

سورة الساهرة مكية

وهي ست واربعون اية ومائة وسبعون كلمة وسبع مائة وثلاثون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والنازعات غرقا يجوز
ان يكون مصدرا على حذف الزوائد بمعنى اغراقا وانتصابه بما قبله
لملاقاته في المعنى واما على الحال اي ذوات اغراق يقال اغرق في الشيء
يغرق فيه اذا اوغل وبلغ اقصى غايته • ومنه اغرق النازع في القوس
اي بلغ غاية المد والاستغراق والاستيعاب فصل اقسم الله
تعالى بهذه الاسما الخمسة على ان القيمة حق • والنازعات قيل هي الملايكة
التي تنزع ارواح الكفار قاله علي وابن مسعود وابن عباس ومسروق
ومجاهد • قال ابن مسعود يريد انفس الكفار ينزعها ملك الموت من
اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا
كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها الى اجسادهم
ثم ينزعها فهذا عمله في الكفار • وقال سعيد بن جبير نزعت ارواحهم
ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها في النار • وقيل يرى الكافر نفسه في
وقت النزع كانها تغرق • وقال السدي والنازعات هي النفوس
حين تغرق في الصدور • وقال مجاهد هي الموت تنزع النفوس • وقال الحسن
وقتادة هي النجوم تنزع من افق الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليها
اي ذهب او من قولهم نزعت الخيل اي جرت غرقا اي انها تغرق وتغيب
وتطلع من افق اخر • وهو قول ابي عبيدة وابن كيسان والاخفش • وقال
عطا وعكرمة والنازعات القسي تنزع بالسهام غرقا بمعنى اغراقا
النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل • ويقال لقشرة
البيضة الداخلة غرقى • وقيل هم الغزاة الرماة وهو الذي قبله لانه
اذا اقسم بالقسي فالمراد النازعات بها تعظيما لها كقوله تعالى والعاديات
ضبحا • وقال يحيى بن سلام هي الوحش تنزع من الكلاب وتنفر وعنه
غرقا اي ابعادا في النزع قوله والناشطات نشطا اعلم ان نشطا
وسبحا وسبقا كلها مصادر والنشط الربط والانشاط الحل يقال نشط
البعير ربطه وانشطه حله • ومنه كانما انشط من عقال فالهمزة للسلب
ونشط ذهب بسرعة • ومنه قيل لبقر الوحش • وقال هميان بن قحافة
• اري همومي تنشط المناشطا • الشام بي طورا وطورا واسطا •
ونشط الحبل انشطه انشوطه عقدته وانشطته حللته و
قال الاصمعي بير انشاط اي قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة
وبير نشوط قال وهي التي لا يخرج الدلو حتى ينشط كثيرا فصل
ابن عباس رضي الله عنه يعني الملايكة تنشط نفس الكافر فتقبضها كما
العقال من يد البعير اذا حل عنه • وقيل يعني انفس الكفار والمنافقين ينشط
كما ينشط العقب الذي يعقب به السرج والنشط الجذب بسرعة ومنه
الانشوطة عقدة يسهل انحلالها اذا جذبت مثل عقدة التكة • قال
الليث انشطه بانشوطة وانشوطته اي اوثقته وانشطت العقال

اي



اي عددت انشوطته فانحلت ويقال نشط بمعنى انشط لغتان بمعنى
وعن ابن عباس ايضا ان الناشطات الملايكة لنشاطها تذهب وتجي بامر
ربها حيث ما كان • وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان • وقال
السدي هي النفوس حين تنشط من القدمين • وقال قتادة والحسن
والاخفش هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب • قال الجوهري
يعني النجوم تنبسط من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد
وقيل النازعات للكافرين والناشطات للمومنين فالملايكة يجذبون
روح المومنين برفق والنزع جذب بشدة • وقيل هما جميعا للكفار
والاثنان بعدها للمومنين قوله والسابحات سبحا قال علي رضي
الله عنه هي الملايكة تسبح ارواح المومنين قال الكلبي كالذي يسبح
في الما فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة
ثم يدعونها حتى تستريح • وقال مجاهد وابو صالح هي الملايكة ينزلون من
السما مسرعين لامر الله تعالى كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع في جريه
وعن مجاهد السابحات الموت يسبح في نفوس بني ادم • وقيل هي خيل الغزاة
قال عنترة والخيل يعلم حين تسبح في حياض الموت سبحا • وقال قتادة
والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل في فلك
يسبحون • وقال عطا هي السفن تسبح في الما • وقال ابن عباس ارواح
المومنين تسبح شوقا الى لقا الله تعالى ورحمته حين تخرج قوله
فالسابقات سبقا • قال علي رضي الله عنه هي الملايكة تسبق الشياطين
بالوحي الى الانبيا عليهم الصلوة والسلام وهو قول مسروق ومجاهد
وعن مجاهد ايضا وابي روق هي الملايكة سبقت بني ادم الى العمل
الصالح فتكتبه • وعن مجاهد ايضا الموت يسبق الانسان • وقال مقاتل
هي الملايكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة • وقال ابن مسعود هي انفس
المومنين تسبق الى الملايكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا
الى لقا الله تعالى • وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم تسبق بعضها
وقال عطا هي الخيل التي تسبق الى الجهاد • وقيل يحتمل ان يكون السابقات ما سبق
من الارواح قبل الاجساد الى جنة او نار حكاه الماوردي قال الجرجاني ذكر
السابقات بالفا لانها مسببة من التي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن
تقول قام فذهب فهذا يوجب ان يكون القيام سببا للذهاب • قال
الواحدي وهذا غير مطرد في قوله تعالى فالمدبرات امرا لانه يبعد ان يجعل
السبق للتدبير قال ابن الخطيب ويمكن الجواب عن اعتراض الواحدي بانها
لما امرت سبحت فسبقت فدبرت ما امرت بتدبيره فتكون هذه افعالا
لا يتصل بعضها ببعض كقولهم قام زيد فذهب او لما سبقوا في الطاعات سارعوا
الى ما ظهرت امانتهم فوض اليهم التدبير قوله فالمدبرات امرا قيل
مفعول بالمدبرات • وقيل حال تدبره مامورات وهو بعيد • قال القشيري
اجمعوا ان المراد الملايكة • وقال الماوردي فيه قولان احدهما الملايكة
قول الجمهور • والقول الثاني هي الكواكب السبع حكاه خالد بن معدان
عن معاذ بن جبل • وفي تدبيرها الامور وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها
والثاني في تدبير ما قضى الله تعالى فيها من تقلب الاحوال • وحكى هذا القول
ايضا في تفسيره وان الله تعالى علق كثيرا من تدبير العالم بحركات النجوم
فاضيف التدبير اليها وان كان من الله تعالى كما يسمى الشي باسم ما يجاوره
وقال شهاب الدين والمراد بهولا اما طوايف الملايكة واما طوايف خيل
الغزاة • واما النجوم • واما المنايا • واما بقر الوحش وما جرى مجراها

فصل لسرعتها • واما ارواح المومنين يعني المذكورين في جميع القسم
تدبير الملايكة نزولها بالحلال والحرام وتفصيله • قال ابن عباس
وقتادة وغيرها هو الى الله عز وجل ولكن لما نزلت الملايكة سميت
بذلك كما قال تعالى ولكن لما نزلت الملايكة سميت بذلك كما قال
تعالى نزل به الروح الامين على قلبك • وقوله تعالى قل نزله روح القدس
على قلبك يعني جبريل نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم والله
تعالى هو الذي انزله • وروى عطا عن ابن عباس المدبرات امرا هي الملايكة
وكلت بتدبير احوال اهل الارض في الرياح والامطار وغير ذلك قال
عبد الرحمن بن سابط تدبير امر الدنيا الى اربعة جبريل وميكايل
وملك الموت واسمه عزرايل واسرافيل فاما جبريل فموكل بالرياح
والجنود واما ميكايل فموكل بالقطر والنبات • واما ملك الموت فموكل
بقبض الارواح في البر والبحر • واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس
في الملايكة اقرب من اسرافيل وبينه وبين العرش خمسماية عام • وقيل
وكلوا باموز عرفهم الله تعالى • فان قيل لم قال امرا ولم يقل امورا فانهم
يدبرون امورا كثيرة • فالجواب المراد به الجنس فهو قايم مقام الجمع • واعلم
ان هذه الكلمات اقسم الله بها ولله تعالى ان يقسم بما شا من خلقه وليس
لنا ذلك قوله يوم ترجف الراجفة منصوب بفعل مقدر وهو
جواب القسم تقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه • قال الفراوي يدل
عليه قوله تعالى ايذا كنا عظاما نخرة الست ترى انه كالجواب لقولهم
ايذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفا بقوله ايذا كنا عظاما نخرة • وقال
الاخفش والزجاج ينفخ في الصور نفختين بدليل ذكر الراجفة والرادفة
وهما النفختين • قال الزمخشري فان قلت كيف جعلت يوم ترجف
ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى • قلت
المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون
في الوقت الواسع وهو النفخة الاولى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة
جعل حالا من الراجفة • وقيل العامل مقدر من جواب اذكر يوم ترجف
الراجفة • وفي الجواب على هذا التقدير وجوه • احدها انه قوله ان في
ذلك لعبرة واستقبحه ابو بكر بن الانباري لطول الفصل الثاني انه
قوله هل اتاك حديث موسى لان هل بمعنى قد وهذا غلط لانه لا تقدم
في هل انها لا تكون بمعنى قد الا في الاستفهام على ما قال الزمخشري
الثالث انه الجواب يتبعها وانما حذفت اللام والاصل ليوم ترجف
الراجفة تتبعها لحذفت اللام ولم تدخل نون التوكيد على تتبعها
للفصل بين اللام المقدرة وبين الفعل المقسم عليه بالظرف ومثله
لالى الله تحشرون وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة والنازعات • وقال ابو حاتم هو على التقديم والتاخير
كانه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات • قال ابن الانباري وهذا
خطا لان الفا لا يفتح بها الكلام • وقيل يوم منصوب بما دل عليه راجفة
اي يوم ترجف رجفت • وقيل بما دل عليه خاشعة اي يوم ترجف
وقوله تتبعها الرادفة يجوز ان تكون حالا من الراجفة وان تكون
مستانفة فصل قال عبد الرحمن بن يزيد الراجفة اي المضطر
به ومعناه ان الارض تضطرب والرادفة الساعة • وقال مجاهد
الزلزلة تتبعها الرادفة اي الصيحة • وعنه ايضا وابن عباس والحسن
وقتادة هما الصيحتان اي النفختان • اما الاولى فتميت كل شي باذن الله
تعالى

تعالى واما الثانية فتحيي كل شي باذن الله • قال صلى الله عليه وسلم بين
النفختين اربعون سنة • وقال مجاهد الراجفة حين تنشق السما وتحمل
الارض والجبال فتدك دكة واحدة وذلك بعد الزلزلة • وقيل الراجفة
تحرك الارض والرادفة زلزلة اخرى يعني الارضين • واصل الرجفة
الحركة قال تعالى يوم ترجف الارض وليست الرجفة هناك من
الحركة فقط بل من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اي ظهرت
الصوت والحركة • ومنه سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها
وافاضت الناس فيها • وقيل الرجفة هذه منكرة في السحاب
ومنه قوله تعالى فاخذتهم الرجفة • واما الرادفة فكل شي جا بعد
شي اخر يقال ردفه اي جا بعده قوله قلوب مبتدا ويوميذ
منصوب بواجفة وواجفة صفة القلوب وهو المسوغ للابتدا
بالنكرة وابصارها مبتدا بان خاشعة خبره وهو وخبره خبر الاول
وفي الكلام حذف مضاف تقديره ابصار اصحاب القلوب قال
ابن عطية وجاز ذلك اي الابتدا بقلوب لانها تخصصت بقوله
يوميذ ورد عليه ابو حيان بان ظرف الزمان لا تخصص الجثث يعني
لا يوصف به الجثث والواجفة الخايفة الوجلة قال ابن عباس يقال
وجف يجف وجيفا واصله اضطراب القلب وعلته • قال قيس بن
الخطيم ⁂ ان هي تحنا وانزيهم ⁂ اكبادنا من ورايهم تجف ⁂
وقال السدي زايلة عن اماكنها ونظيره اذ القلوب لدى الحناجر وقال
المورخ بجلق مستديرة من تكضة غير ساكنة • وقال المبرد مضطربة
والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار يقال وجف القلب يجف وجيفا
اذا اخفق كما يقال وجب يجب وجيبا بالبا الموحدة بدل الفا ومنه
وجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف حمل الدابة على السير السريع
قوله ابصارها خاشعة اي منكسرة ذليلة من هول ما ترى ونظيره
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة قوله يقولون اي يقول هولا المكذبون
المنكرون للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون قالوا منكرين متعجبين
انرد بعد موتنا الى اول الامر فنعود احيا كما كنا قبل الموت وهو كقولهم اينا
لمبعوثون خلقا جديدا قوله في الحافرة الحافرة الطريقة التي يرجع
الانسان فيها من حيث جا يقال رجع في حافرته وعلى حافرته • ثم
يعبر بها عن الرجوع في الاحوال من اخر الامر الى اوله قال ⁂
احافرة على صلع وشيب ⁂ معاذ الله من سفه وعار ⁂
يقول ارجع الى ما كنت عليه من شبابي مع الغزل والصبى بعد ان شبت
وصلعت واصله ان الانسان اذا رجع في طريقه اثرت قدماه فيها حفرا
وقال الراغب وقوله تعالى في الحافرة مثل لمن يرد من حيث جا اي انحيي بعد
ان نموت وقيل الحافرة الارض التي تقبورهم فيها ومعناه انا لمردودون
ونحن في الحافرة اي في القبور • وقوله في الحافرة على هذا في موضع الحال • ويقال
رجع الشيخ الى حافرته اي هرم لقوله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر • وقولهم النقد
عند الحافرة لما يباع نقدا واصله في الفرس اذا بيع فيقال لا يزول حافره او ينقد
ثمنه والحفر تاكل الاسنان وقد حفر حفرا وقد احفر المهر بالاثناء والارباع
والحافرة وقيل فاعلة بمعنى مفعولة وهي الارض التي تحفر قبورهم فيها فهي بمعنى
المحفورة كقوله تعالى ماء دافق وعيشة راضية • والمعنى انا لمردودون في قبورنا
وقيل على النسب اي ذات حفر • وقيل سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر

كما سميت الارض القدم ارضا لانها على الارض لقولهم الحافرة جمع حافر
بمعنى القدم اي نمشي احيا على اقدامنا ونطا بها الارض وقيل هي اول
الامر وتقول التجار النقد في الحافرة اي اول السوم وقال الشاعر
آليت لا ننساكم فاعلموا ✽ حتى نرد الناس في الحافرة
فقال ابن زيد الحافرة النار ومن تلك اذا كرة خاسرة وقال
مقاتل وزيد بن اسلم هي اسم من اسما النار وقال ابن عباس الحافرة
في كلامه الارض التي تغيرت وانتنت بموتاها واجسادهم من قولهم
حفرت اسنانه اي تاكلت ودكها الوسخ من باطنها وظاهرها ويجوز تعلقه
بمردودون او بمحذوف على انه حال **فصل** قال ابن الخطيب
هذه الاحوال المتقدمة هي احوال القيمة عند جمهور المفسرين وقال
ابو مسلم هذه الاحوال من احوال الغيبة لانه فسر النازعات بنزع القوس
والناشطات بخروج السهم والسابحات بعدو الفرس والسابقات
بسبقها والمدبرات بالامور التي تحصل ادبار ذلك الرمي والعدو ثم
من على ذلك بقال الراجفة هي خيل المشركين وكذلك الرادفة وهما طائفتان
من المشركين غزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقت احداهما
الاخرى والقلوب الواجفة هي القلقة والابصار الخاشعة هي ابصار
المنافقين لقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت كانه قيل
لما جاءت خيل العدو ترجف لانها اضطربت قلوب المنافقين خوفا وخشعت
ابصارهم جبنا وضعفا ثم قالوا اينا لمردودون في الحافرة اي نراجع الى
الدنيا حتى نتحمل هذا الخوف لاجلها وقالوا ايضا تلك اذا كرة خاسرة
فاول هذا الكلام حكاية لحال من غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المشركين واوسطه حكاية لحال المنافقين في انكار الحشر ثم انه تعالى اجاب
عن كلامهم بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة قال
ابن الخطيب وكلام ابي مسلم محتمل وان كان على خلاف قول الجمهور **قوله**
ابذا كنا عظاما نخرة قرا الاخوان وابو بكر ناخرة بالالف والباقون نخرة
بدونها وهما كحاذر وحذر فاعل لمن صدر عنه الفعل وفعل لمن كان فيه غريزة
او كالغريزة وقيل ناخرة ونخرة بمعنى بالية بقال نخر العظم بالكسر اي بلي
وتفتت وقيل ناخرة اي صارت الريح الريح تنخر فيها اي تصوت ونخرة اي
تنخر فيها دايما وقيل ناخرة بالية ونخرة متاكلة وعن ابي عمرو الناخرة
التي لم تنخر بعد والنخرة البالية وقيل الناخرة المصوت فيها الريح والنخرة
البالية التي تفتت قال الزمخشري نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع وطامع
وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي يمر فيه الريح فيسمع
له نخير ومنه قول الشاعر
واختلها من مخها فكانها ✽ قوارير في اجوافها الريح تنخر
وقال الراجز لفرسه
اقدم محاج انها الاساوره ✽ ولا يهولنك رجل نادره
فانما قصرك ترب الساهره ✽ ثم تعود بعدها في الحافره
من بعد ما كانت عظاما ناخره
ونخرة الريح بضم النون شدة هبوبها والنخرة ايضا مقدم راس الفرس والحمار
والخنزير بقال هشم نخرته اي مقدم انفه واذا منصوب بمضمر اي اذا كنا
كذا نرد ونبعث **قوله** قالوا تلك اذا كرة خاسرة تلك مبتدا اشار بها
الى الرجعه والرده في الحافرة وكرة خبرها وخاسرة صفة اي ذات خسران او
اسند

اسند اليها الخسار مجازا والمراد اصحابها والمعنى ان كان رجوعنا الى
القيمة حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة وهذا افادته اذن فانها حرف
جواب وجزا عند الجمهور وقيل قد لا يكون جوابا وعن الحسن ان خاسرة بمعنى
كاذبة اي ليست كاينة وقال الربيع بن انس خاسرة على من كذب بها
وقيل كرة خسران والمعنى اهلها خاسرون كقولك تجارة رابحة اي يربح بها
صاحبها وقال قتادة ومحمد بن كعب اي لين رجعنا احيا بعد الموت
لنخسرن بالنار وانما قالوا هذا لانهم اوعدوا بالنار والكر الرجوع يقال
كر وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى والكرة المرة والجمع كرات **قوله**
فانما هي ضمير الكرة اي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى وقال
الزمخشري فان قلت بم تعلق قوله فانما هي قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها
فانما هي زجرة واحدة يعني بالتعلق من حيث المعنى وهو العطف وقوله
فاذا هم المفاجاة والسبب هنا واضحان والزجرة قال ابن عباس رضي
الله عنه هي النفخة الواحدة فاذا هم اي الخلائق اجمعون بالساهرة اي
على وجه الارض من الفلاة وصفت بما يقع فيها وهو السهر لاجل الخوف وقيل
لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة قال الزمخشري الارض البيضا
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة اي
اي جارية الما وفي ضدها نايمة قال الاشعث بن قيس
وساهرة تضحي السراب مجللا ✽ لاقطارها قد جبتها متلثما
اولان سالكها لا ينام خوف الهلكة انتهى وقال امية وفيها لحم ساهرة وبحر
وما فاهوا لهم فيها مقيم ✽ وقال ابو كبير الهذلي
يردن ساهرة كان جميمها ✽ وعميمها اسداف ليل مظلم ✽ وقال الراغب
هي وجه الارض وقيل ارض القيمة وحقيقتها التي يكثر الوطي بها كانها
سهرت من ذلك والاسهران عرقان في الانف والساهور غلاف القمر الذي
يدخل فيه عند كسوفه قال ✽ او شقة اخرجت من بطن ساهور
اي هذه المراة بمنزلة قطعة القمر ✽ وقال امية بن ابي الصلت
وفيها لحم ساهرة وبحر ✽ وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه
قال الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط منذ خلقها وقيل ارض
يجددها الله تعالى يوم القيمة وقيل الساهرة اسم الارض السابعة ياتي بها
الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الارض وقال
الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس
وقال عثمان بن ابي العاتكة انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو
الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل حسان يمده الله كيف يشا وقال قتادة
هي جهنم فاذا هم كانوا في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون عليها حينئذ **قوله**
هل اتاك حديث موسى اي قد جاءك وبلغك وهذا تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم اي ان فرعون كان اقوى من كفار عصرك ثم اخذناه وكذلك هولا
وقيل هل بمعنى ما اي ما اتاك ولكني اخبرتك به فان فيه عبرة لمن يخشى وقال ابن
الخطيب قوله هل اتاك يحتمل ان يكون معناه اليس قد اتاك حديث موسى
هذا الكلام اما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان يقال هل اتاك اي انا اخبرك
لا باتاك لاختلاف وقد تقدم الكلام على موسى وفرعون **قوله** اذ ناداه ربه منصوب بحديثه
بالواد المقدس المبارك المطهر وتقدم الخلاف بين القرا في طوى في سورة طه
قال وهو معدول من طاو كما عدل عمر من عامر قال الفرا من صرفه قال هو ذكر
ومن لم يصرفه جعله معدولا كعمر وزفر قال والصرف احب الي اذ لم يوجد في المعدول

نظيرًا اي لا يجد له اسما من الواو والياء عدل من فاعل عن فاعل الى فعل غير
طوى. وقيل طوى معناه يا رجل بالعبرانية فكأنه قيل يا رجل اذهب الى
فرعون لانك تقول جئتك بعد طوى اي بعد ساعة من الليل. وقيل
معناه بالواد المقدس طوى اي بورك فيه مرتين **قوله** اذهب يجوز
ان يكون تفسير المنادى اي ناداه اذهب. ويجوز ان يكون على اضمار القول
وقيل هو على حذف اي ان اذهب ويدل له قراءة عبد الله ان اذهب
وان هذه الظاهرة او المقدرة يحتمل ان تكون تفسيرية وان تكون
مصدرية اي فناداه بكذا اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز القدر
في العصيان. قال ابن الخطيب ولم يبين انه طغى في اي شيء فقيل تكبر
على الله تعالى وكفر به. وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم. روي عن الحسن
قال كان فرعون علجا من همدان. وقال مجاهد من اهل اصطخر وعن
الحسن ايضا كان من اهل اصبهان يقال له ذو الظفر طوله اربعة اشبار
قوله هل لك خبر مبتدأ مضمر والى ان متعلق بذلك المبتدأ وهو
حذف سائغ. والتقدير هل لك سبيل الى التزكية ومثله هل لك في الخير
يريدون هل لك رغبة في الخير فهل لكم فيها الى فانني. بصير بما اعيا
النطاسي حذيما. وقال ابو البقاء لما كان المعنى ادعوك جاء بالى وقال
غيره يقال هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل
ترغب اليه. قال الواحدي المبتدأ محذوف في اللفظ مراد في المعنى والتقدير
هل لك الى ان تزكى حاجة. وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاي من تزكى
والاصل تتزكى وكذلك تصدى في السورة تحتها فالحرميان ادغما والباقون
حذفوا نحو تنزل وتقدم الخلاف في ايهما المحذوف **فصل** ومعنى
هل لك الى ان تزكى اي تسلم فتطهر من الذنوب. وعن ابن عباس رضي
الله عنه هل لك الى ان تشهد ان لا اله الا الله واهديك فاخشى
اي تخاف وتتقيه. قال ابن الخطيب سائر الآيات تدل على انه تعالى
لما نادى موسى عليه الصلوة والسلام ذكر له اشياء كثيرة كقوله تعالى نودي
يا موسى اني انا ربك الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون
انه طغى فدل قوله تعالى ههنا اذهب الى فرعون انه طغى من جملة ما ناداه
به. وايضا فليس الغرض انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى فرعون
فقط بل الى كل من كان في الطور الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية
مجرى كل القوم **فصل** تمسك المعتزلة بهذه الآية في ابطال القول
بان الله تعالى يخلق فعل العبد فانه هذا استفهام على سبيل التقرير اي لك
سبيل الى ان تزكى ولو كان ذلك بفعل الله تعالى لانقلب الكلام حجة على موسى
والجواب ما تقدم في نظايره. حكى القرطبي عن صخر بن جويرية قال لما
بعث الله تعالى موسى عليه الصلوة والسلام الى فرعون قال له اذهب الى فرعون
الى قوله واهديك الى ربك فتخشى ولن يفعل فقال يا رب وكيف اذهب اليه
وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله تعالى اليه ان امض الى ما امرت به فان في
السماء اثني عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلم يبلغوه ولم يدركوه **قوله**
فاراه الآية الكبرى الفا فاراه معطوف على محذوف يعني فذهب فاراه
معطوف على محذوف يعني تذهب فاراه كقوله تعالى فاضرب بعصاك
الحجر فانفجرت اي فضرب فانفجرت واختلفوا في الآية الكبرى اي العلامة العظمى
وهي المعجزة فقيل هي العصا. وقيل اليد البيضا تبرق كالشمس وقاله مقاتل
والكلبي والاول قول عطا وابن عباس لانه ليس في اليد الا انقلاب لونها وهنا
كان حاصلا في العصا لانها لما انقلبت حية فلا بد وان يتغير اللون الاول فاذن

كلما في اليد فهو حاصل في العصا وامور اخر وهي الحياة في الجرم الجمادي
وتزايد اجزائه وحصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة وابتلاعها
اشياء كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وبقاء تلك الاجزاء التي عظمت
وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حية وكل
واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا ان الآية الكبرى
هي العصا. وقال مجاهد هي مجموع العصا واليد. وقيل فلق البحر وقيل
جميع آياته ومعجزاته فكذب اي كذب نبي الله موسى وعصى ربه
تبارك وتعالى. فان قيل كل من كذب الله فقد عصى فما فائدة
قوله فكذب وعصى. فالجواب كذب بالقول وعصى بالتمرد والتجبر
ثم ادبر يسعى اي يعمل بالفساد في الارض وقيل يعمل في نكاية موسى
وقيل ادبر يسعى هاربا من الحية. قال ابن الخطيب معنى ادبر يسعى
اي اقبل يسعى كما يقال اقبل يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع ادبر
موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال **قوله** فحشر فنادى
لم يذكر مفعولا لهما اذ المراد فعل ذلك او يكون التقدير فحشر قومه
فناداهم. وقوله فقال تفسير للنداء. وقيل في الكلام تقديم
وتأخير اي فنادى فحشر لان النداء قبل الحشر. ومعنى حشر اي جمع السحرة
واجمع اصحابه ليمنعوه من الحية. وقيل جمع جنوده للقتال والمحاربة
والسحرة للمعارضة. وقيل حشر الناس للحضور فنادى اي قال لهم
بصوت عال انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي. وقيل امر مناديا
فنادى في الناس بذلك. وقيل قام فيهم خطيبا فقال ذلك وروي عن
ابن عباس ومجاهد والسدي وسعيد بن جبير ومقاتل كلمته
الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرى انا ربكم الاعلى. قال ابن
عباس كان بين الكلمتين اربعون سنة. والمعنى امهله في الاولى
ثم اخذه في الآخرة فعذبه بالكلمتين. قال ابن الخطيب واعلم انا
بينا في سورة طه انه لا يجوز ان يعتقد الانسان في نفسه كونه خالقا
للسموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بذلك
ضروري ومن شك في ذلك كان مجنونا لما جاز من الله تعالى بعثة الرسل
اليه بل الرجل كان دهريا منكرا الصانع والحشر والنشر وكان يقول
ليس لاحد امر ولا نهي الا لي فانا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن اليكم وليس
للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهي او يبعث اليكم رسولا. قال
القاضي وكان الاليق به ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية
ان لا يقول هذا القول لان عند ظهور الدلالة والمعجزة كيف يليق
ان يقول انا ربكم الاعلى فدلت هذه الآية انه في ذلك الوقت صار
كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول **قوله** فاخذه الله نكال الآخرة
والاولى يجوز ان يكون مصدرا للاخذ والتجوز اما في الفعل اي نكل بالاخذ
نكال الآخرة واما في المصدر اي اخذه اخذ نكال. ويجوز ان يكون
مفعولا له اي لاجل نكاله ويضعف جعله حالا لتعريفه وتاويله
كما قيل جهدك وطاقتك غير معتبر ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا
لمضمون الجملة المتقدمة اي نكل الله به نكال الآخرة قاله الزمخشري
وجعله كوعد الله وصبغة الله. وقال القرطبي وقيل نصب بنزع
حرف الصفة اي اخذه الله بنكال الآخرة فلما نزع الخافض نصب
والنكال اسم لما جعل نكالا للغير اي عقوبة له حتى يعتبر به يقال نكل
فلان بفلان اذا اثخنه عقوبة والكلمة من الامتناع ومنه النكول

عن اليمين والنكال القيد وقد مضى في سورة المزمل والنكال بمنزلة التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والاخرة والاولى اما الداران واما الكلمتان والاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى ما علمت لكم من اله غيري كما تقدم فحذف الموصول للعلم به **فصل** قيل الاخرة والاولى هما الكلمتان كما تقدم وقال الحسن وقتادة نكال الاخرة والاولى هو ان اغرقه في الدنيا واعذبه في الاخرة وروى عن قتادة ايضا الاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه بموسى عليه الصلوة والسلام قال القفال وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى قال فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فظهر ان المراد انه عاقبه على هذين الامرين ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى اى ان فيما قصصنا عليك اعتبارا وعظة لمن يخاف **قوله** اانتم اشد خلقا يريد اهل مكة اى اخلقكم بعد الموت اشد في تقديركم ام السما فمن قدر على خلق السما على عظمها وعظم احوالها قدر على الاعادة وهذا كقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والمقصود من الاية الاستدلال على منكري البعث ونظيره قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ومعنى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف تعالى السماء فقال ام السما بناها عطف على انتم وقوله بناها بيان لكيفية خلقه اياها فالوقف على السما والابتدا بما بعدها ونظيره قوله تعالى في الزخرف الهتنا خير ام هو وقوله رفع سمكها مفسر لكيفية البنا والسمك الارتفاع قال الزمخشري جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا وسمكت الشيء رفعته في الهواء وسمك هو اي ارتفع سموكا فهو قاصر ومتعد وبنا مسموك وسنام سامك تامك اي عال مرتفع وسماك البيت ما سمكته به والمسموكات السموات وفلان اسمك في الكرم اي اصعد في الدرجة والسماك نجم معروف وهما اثنان رامح واعزل قال الشاعر

ان الذي سمك السما بنى لنا ... بيتا دعايمه اعز واطول

وقال البغوي رفع سمكها اى سقفها **فصل** قال الكسائي والفرا والزجاج هذا الكلام تم عند قوله تعالى اانتم اشد خلقا ام السما بناها قال لانه من صلة السما والتقدير ام السما التي بناها فحذف التي ومثل هذا الحذف جائز قال القفال يقال الرجل جاك عاقل اي الرجل الذي جاك عاقل واذا ثبت جواز ذلك في اللغة فنقول الدليل على ان قوله تعالى بناها صلة قبله انه لو لم يكن صلة لكان صفة فقوله بناها صفة ثم قوله رفع سمكها صفة فقد توالت صفتان لا تعلق لاحداهما بالاخرى فكان يجب ادخال العاطف بينهما كما في قوله واغطش ليلها ولما لم يكن كذلك علمنا ان قوله بناها صلة للسما وكان التقدير ام السما التي بناها وهذا يقتضي وجود سما ما بناها وذلك باطل وقوله فسواها اي خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه ولا فطور ولا شقوق **فصل** قال ابن الخطيب واستدلوا بهذه الاية على كون السما كرة قالوا لانه لو لم تكن كرة لكان بعض جوانبها سطحا والبعض زاوية والبعض خطا ولكان بعض اجزائه اقرب الينا والبعض الاخر ابعد فلا تحصل التسوية الحقيقية ثم قالوا لما ثبت انها

محدثه

محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فاى ضرر في الدين ينافي كونها كرة **قوله** واغطش ليلها اي اظلم بلغة انمار واسد يقال غطش الليل واغطش انا واغطشه قال

عقرت لهم ناقتي موهنا ... فليلهم مدلهم غطش

وليل اغطش وليلة غطشا قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذي في عينيه عمش ومنه فلان غطشا لا يهتدي فيها والتغاطش التعامي انتهى ويقال اغطش الليل قاصرا كاظلم فافعل فيه متعد ولازم فالغطش والغبش الظلمة ورجل اغطش اي اعمى او شبيه به وقد غطش والمراة غطشا وفلان غطش لا يهتدي لها قال الاعشى

ويهما بالليل غطش الفلا ... يؤنسني صوت فيادها

ومعنى قوله واغطش ليلها اي جعله مظلما واضاف الليل الى السما لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس تضاف الى السما ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل **قوله** واخرج ضحاها فيه حذف اي ضحى شمسها واضاف الليل والضحى لها للملابسة التي بينهما وبينها وانما عبر عن النهار والضحى لان الضحى اكمل اجزا النهار بالنور والضوء **قوله** والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها وبعد على بابها من التاخير ولا معارضة بينهما وبين اية فصلت لانه تعالى خلق الارض غير مدحوة ثم خلق السما ثم دحى الارض وقول ابي عبيدة انها بمعنى قبل منكر عند العلما والعرب تقول دحوت الشيء ادحوه دحوا اذا بسطه ودحى يدحى دحيا اي بسط فهو من ذوات الواو واليا فتكتب بالالف واليا ومنه قيل لعش النعامة ادحو وادحي لانبساطه في الارض وقال امية بن ابي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحاها ... فهم قطانها حتى التناد

وقيل دحى بمعنى سوى قال زيد بن ابي نفيل

واسلمت وجهي لمن اسلمت ... له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها ... بايد وارسى عليها الجبالا

والعامة على نصب الارض والجبال على اضمار فعل مفسر بما بعده وهو المختار لتقدم جملة فعلية ورفعهما الحسن وابن ابي عبلة وابو حيوة وابو السماك وعمرو بن عبيد على الابتدا وعيسى رفع الارض فقط **فصل** روى ابن عباس رضي الله عنه قال خلق الله الكعبة ووضعها على الما على اربعة اركان وكان قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وحكى القرطبي عن بعض اهل العلم ان بعد هنا في موضع مع كانه قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيء الخلق وقال الشاعر

فقلت لها عني اليك فانني ... حرام واني بعد ذلك لبيب

اي مع ذلك وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي قبل الفرقان قال ابو كبير

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا ... خراش وبعض الشر اهون من بعض

وزعموا ان خراشا نجى قبل عروة وقيل دحاها حرثها وشقها قاله ابن زيد وقيل دحاها مهدها للاقوات والمعنى متقارب **قوله** اخرج فيه وجهان احدهما ان يكون تفسيرا والثاني ان يكون حالا قال الزمخشري فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان

احدها ان يكون دحاها بمعنى بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر
التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر الماكل
والمشرب وامكان القرار عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار
قد كقوله تعالى او جاوكم حصرت صدورهم واعلم ان اضمار قد
هو قول الجمهور وخالف الكوفيون والاخفش **قوله** منها
ماءها اي من الارض عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها اي النبات
الذي يرعى والمراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام ونظيره قوله
تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا الى قوله متاعا
لكم ولانعامكم واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله
نرتع ونلعب وقد قرئ يرتع ويلعب بالرعي والرعي في الاصل مكان
او زمان او مصدر وهو هنا مصدر بمعنى المفعول وهو في حق
الادميين استعارة قال ابن قتيبة قال تعالى وجعلنا من الماء
كل شيء حي فانظر كيف دل بقوله ماءها ومرعاها على جميع ما اخرجه
من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والثمر
والحب والقضب واللباس والدواء حتى النار والملح اما النار
فلانها من العيدان قال جل وعلا افرايتم النار التي تورون
اانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون واما الملح فلانه من الماء
قوله والجبال ارساها قراءة العامة بنصب الجبال وارسى
ثبت فيها الجبال اوتادا لها وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وعمرو
ابن ميمون ونصر بن عاصم بالرفع على الابتداء **قوله** متاعا لكم
العامة على النصب مفعولا له او مصدر العامل مقدر اي متعكم
او مصدر من غير اللفظ لان المعنى اخرج منها ماءها ومرعاها امتع
بذلك وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به
متاعا والمعنى منفعة لكم ولانعامكم **قوله** فاذا جاءت الطامة
الكبرى في جواب اذا احدها قوله فاما من طغى نحو اذا جاءك بنو تميم
فاما العاصي فاهنه واما الطايع فاكرمه وقيل محذوف فقدره
الزمخشري فان الامر كذلك اي فان الجحيم ماواه وقدره غيره انقسم
الراوون قسمين وقيل عاينوا او علموا وقيل جوابها ادخل اهل النار
النار واهل الجنة الجنة وقال ابو البقاء العامل فيها جوابها وهو
معنى قوله تعالى يوم يتذكر الانسان والطامة الكبرى الداهية
العظمى التي تطم على غيرها من الدواهي لعظمها والطم الدفن ومنه
طم السيل الركية وفي المثل جرى الوادي فطم على القرى وقيل
ماخوذ من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري والمراد
بها في القران النفخة الثانية لان بها يحصل ذلك قال ابن عباس
النفخة الثانية التي يكون معها البعث وعن ابن عباس رضي الله
عنه ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل
شيء تغمره وقال القاسم بن الوليد الهمداني الطامة الكبرى حين
يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار **قوله** يوم يتذكر
بدل من اذا او منصوبا باضمار فعل اي اعني يوم او يوم يتذكر
وكسبت **قوله** ما سعى اي ما عمل من خير او شر يراه مكتوبا في كتابه
فيتذكره وكان قد نسيه لقوله تعالى احصاه الله ونسوه **قوله**
وبرزت الجحيم العامة مشددا ولمن يرى مبنيا للمفعول وقرا زيد بن علي
وعائشة وعكرمة مبنيا للفاعل مخففا وترى بتاء من فوق [illegible]

ان تكون

ان تكون للتانيث وفي ترى ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا راتهم من مكان
بعيد وان يكون للخطاب اي ترى انت يا محمد والمراد يرى الناس وقرا
عبد الله لمن راى فعلا ماضيا قال ابن عباس رضي الله عنه برزت
كشفت عنها تتلظى فيراه كل ذي بصر فالمومنون يمرون عليها وان منكم
الا واردها واما الكفار فهم فيها واهلها وقيل الرؤية هنا استعارة
كقولهم قد تبين الصبح لذي عينين وقيل المراد الكافر لانه الذي يرى
النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المومن ليعرف قدر النعمة
قوله فاما من طغى اي تجاوز الحد في العصيان قيل نزلت في
النضر وابنه الحرث وهي عامة في كل كافر اثر الحياة الدنيا على الاخرة
فان الجحيم هي الماوى اي الماوى له او هي ماواه فقامت مقام الضمير
وهو راي الكوفيين وقد تقدم تحقيق هذا والرد على قايله بقوله
ه وحب فطاب الحب منها وتبعه ه بحسن الغذا في احبه المتجرد ه
اذ لو كانت ال عوضا من الضمير لما جمع بينهما في هذا البيت ولا بد من
احد هذين التاويلين في الاية الكريمة لاجل العايد من الجملة الواقعة خبرا
الى المبتدا والذي حسن عدم ذكر العايد كون الجملة وقعت راس فاصلة
وقال الزمخشري فان الجحيم ماواه كما للرجل غض الطرف وليس الالف
واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي صاحب الماوى وانه
لا يغض الرجل طرف غيره ترك الاضافة ودخول الالف واللام في الماوى
والطرف للتعريف لانهما معروفان قال ابو حيان وهو كلام لا يتحصل
منه الرابط العايد على المبتدا اذ قرر في مذهب الكوفيين ولم يقدر
ضميرا كما قدره البصريون في تمام حصول الرابط قال شهاب الدين
ولكن لما علم الى اخره هو عين قول البصريين ولا ادري كيف خفي عليه
هذا **قوله** واما من خاف مقام ربه اي حذر مقامه بين يدي
ربه وقال الربيع مقامه يوم الحساب وقال مجاهد خوفه
في الدنيا من الله عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره ولمن خاف
مقام ربه جنتان ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي
والمحارم قال ابن الخطيب هذان الوصفان مضادان للوصفين
المتقدمين فقوله تعالى من خاف مقام ربه ضد قوله فاما من طغى
ونهى النفس ضد قوله واثر الحياة الدنيا فكما دخل في ذينك الوصفين
جميع القبايح دخل في هذين الوصفين جميع الطاعات قال عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه انتم في زمان يقود الحق الهوى وسياتي زمان
يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمن فان الجنة هي الماوى اي
المنزل نزلت الايتان في مصعب بن عمير واخيه عامر بن عمير وروى
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه اما من طغى فهو اخو مصعب بن
عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار فقالوا له من انت قال انا اخو
مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما
اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي باخ شدوا
اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه
في فدايه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت
المشاقص في جوفه وهي السهام فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم
متشحطا في دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله احتسبك وقال
صلى الله عليه وسلم لقد رايته وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان

شراك نعليه من ذهب وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت
هذه الاية في رجلين ابو جهل بن هشام ومصعب بن عمير وقال
السدي نزل قوله تعالى واما من خاف مقام ربه في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وقال الكلبي هما عامتان قوله يسالونك عن
الساعة ايان مرساها لما سمع المشركون اخبار القيامة ووصفها
بالاوصاف الهائلة مثل الطامة الكبرى والصاخة والقارعة
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء متى تكون الساعة
وقيل يحتمل ان يكون ذلك ايهاما لاتباعهم ان لا اصل لذلك ويحتمل
انهم كانوا يسئلونه عن وقت القيامة استعجالا لقوله الذين
لا يومنون بها وقوله ايان مرساها اي اقامتها والمعنى اي شيء
يقيمها ويوجدها ويكون المعنى بان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى
السفينة مستقرها الذي تنتهي اليه فاعلم الله تعالى بقوله فيم انت
من ذكراها قوله فيم خبر مقدم وانت مبتدا موخر ومن ذكراها
متعلق بما تعلق به الخبر والمعنى انت في اي شيء من ذكراها اي ما انت
من ذكراها لهم وتبيين من وقتها في شيء وقال الزمخشري وعن
عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال
عنها ويذكرها حتى نزلت قال فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره
لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكراها والسوال عنها
وقيل الوقف على قوله فيم وهو خبر مبتدا مضمر اي فيم هذا السوال
ثم يبتدي بقوله انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبيا
واخر الرسل والمبعوث في نسمة الساعة ذكر من ذكراها وعلامة
من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها والاستعداد
لها ولا معنى لسوالهم عنها قاله الزمخشري وهو كلام حسن لولا انه
يخالف الظاهر وتفكيك لنظم الكلام وقوله الى ربك منتهاها يعني علمها
كقوله تعالى قل انما علمها عند الله وقوله تعالى ان الله عنده علم
الساعة قال القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في سوالهم
اي فيم انت من ذلك حتى يسالونك بيانه ولست ممن يعلمه
روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنه قوله انما انت منذر
من يخشاها العامة على اضافة الصفة لمعمولها تخفيفا وقراه
عمر بن عبد العزيز وابو جعفر وطلحة وابن محيصن بالتنوين ويكون في
موضع نصب والمعنى انما ينتفع بانذارك من يخشى الساعة
قاله الزمخشري وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح
للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك
هو منذر زيد امس قال ابو حيان قوله هو الاصل يعني التنوين
هو قول قاله غيره ثم اختار ابو حيان ان الاصل الاضافة قال لان
العمل انما هو بالشبه والاضافة اصل في الاسما ثم قال وقوله
ليس الا الاضافة فيه تفصيل وخلاف مذكور في كتب النحو قال
شهاب الدين لا يلزمه ان يذكر الا محل الوفاق بل هذان اللذان
ذكرهما مذهب جماهير الناس فصل المعنى انما انت مخوف
وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا لكل مكلف
كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب قوله
كانهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم
الا عشية او ضحاها او قدر الضحى الذي يلي تلك العشية والمراد
تعليل

تعليل هذه الدنيا كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار واضاف
الضحى الى العشية اضافة الظرف الى ضمير الظرف الاخر تجوزا واتساعا
وذكرها لانها طرفا النهار وحسن هذه الاضافة وقوع الكلمة
فاصلة فان قيل قوله تعالى او ضحاها معناه ضحى العشية وهذا
غير معقول لانه ليس للعشية ضحى فالجواب قال ابن عباس الهاء
والالف صلة للكلام يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقال
الفرا والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية اضافتها الى
يوم العشية على عادة العرب يقولون اتيتك الغداة او عشيتها
او اتيتك العشية او غداتها فيكون العشية في معنى اخر النهار والغداة
في معنى اول النهار وانشد بعض بني عقيل

نحن صبحنا عامرا في دارها ... جردا تعادى طرفي نهارها

عشية الهلال او سرارها

سورة عبس مكية

وهي اثنتان واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عبس وتولى اي كلح وجهه
يقال عبس وبسر وتولى اي اعرض بوجهه قوله ان جاءه فيه وجهان
احدهما انه مفعول من اجله وناصبه اما تولى وهو قول البصريين
واما عبس وهو قول الكوفيين والمختار مذهب البصريين لعدم الاضمار
في الثاني وتقدم تحقيق هذا في مسائل التنازع والتقدير لان جاءه
الاعمى فعل ذلك قال القرطبي من قرا بالمد على الاستفهام فان متعلقة
بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى والتقدير ان جاءه الاعمى
اعرض عنه وتولى فيوقف على هذه القراءة على وتولى ولا يوقف على
قراءة العامة فصل قال المفسرون اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وكان
عند النبي صلى الله عليه وسلم صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد
ابن المغيرة يدعوهم الى الاسلام ورجا ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال
للنبي صلى الله عليه وسلم علمني مما علمك الله وكرر ذلك عليه فكره قطعه
لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت هذه الاية قال ابن العربي اما قول
المفسرين انه الوليد بن المغيرة وامية بن خلف والعباس فهذا باطل
وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة ما حضر
معهما ولا حضر احد وماتا كافرين احدهما قبل الهجرة والاخر في بدر ولم
يقصد امية المدينة قط ولا حضر معه مفردا ولا مع احد وانما اقبل ابن
ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش
يدعوهم الى الاسلام وقد طمع في اسلامهم وكان في اسلامهم اسلام من وراءهم
من قومهم فجاء ابن ام مكتوم وهو اعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك
الله وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره حتى ظهرت
الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه
يقول هولاء انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس واعرض فنزلت
الاية قال الثوري فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا راى ابن
ام مكتوم يبسط له رداءه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل
من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال انس
رضي الله عنه فرايته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء

فصل قال ابن الخطيب ما فعله ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب
والزجر فكيف عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم على تاديبه ابن ام
مكتوم وانما قلنا انه كان يستحق التاديب لانه وان كان اعمى لا يرى
القوم لكنه سمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاوليك الكفار
وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشانهم فكان
اقدامه على قطع كلام النبي صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام غرض
النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة • وايضا فان الاهم يقدم على
المهم وكان قد اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر دينه واما اوليك
الكفار فلم يكونوا اسلموا بعد وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم
فكان كلام ابن ام مكتوم كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل
وذلك محرم • وايضا فان الله تعالى ذم الذين ينادونه من ورا الحجرات
بمجرد ندايهم فهذا النداء الذي هو الصارف للكفار عن الايمان اولى ان يكون
ذنبا فثبت ان الذي فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية • وايضا
فمع هذا الاعتنا بابن ام مكتوم فكيف لقبه بالاعمى • وايضا فالنبي
صلى الله عليه وسلم يودب اصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس من ذلك
القبيل ومع الاذن فيه كيف يعاتب فيه • والجواب عن الاول انما
فعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي صلى الله
عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكن الله عاتبه حتى
لا تنكسر قلوب اهل الصفة او ليعلم ان المومن الفقير خير من الغني وكان النظر
الى المومن اولى وان كان فقيرا اصلح واولى من الاقبال على الاغنيا طمعا في ايمانهم
وان كان ذلك ايضا نوع في المصلحة وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما كان لنبي
ان تكون له اسرى الاية • وقيل انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف
الرجل ثقة بما كان في قلب ابن ام مكتوم من الايمان كما قال
صلى الله عليه وسلم اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه
الله على وجهه • وقال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن
ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي كان يقوده ان يكفه فدفعه
ابن ام مكتوم وابى الا ان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه فكان
في هذا نوع جفا منه ومع هذا انزل الله في حقه عبس وتولى بلفظ الاخبار
عن الغايب تعظيما له ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه بمواجهة
الخطاب تانيسا له فقال وما يدريك اي يعلمك يعني ابن ام مكتوم
يزكى بما استدعا منك تعليمه اياه من القران والدين واما ذكره بلفظ
الاعمى فليس للتحقير بل كانه قيل انه بسبب عماه يستحق مزيد الرفق
والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة • واما كونه
ماذونا له في تاديب اصحابه لكن هنا لما اوهم تقديمه تقديم الاغنيا
على الفقرا وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين فلهذا السبب
عوتب فصل قال ابن الخطيب تمسك القايلون بصدور
الذنب عن الانبيا عليهم الصلوة والسلام بهذه الاية وقالوا لما عوتب
النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك الفعل دل على انه كان معصية
قال ابن الخطيب وهذا بعيد لما ذكرنا في الجواب عن الاول • وايضا
فان هذا من باب الاحتياط وترك الافضل قوله وما يدريك
لعله يزكى الظاهر انه اجرى الترجي مجرى الاستفهام لما بينهما من معنى
الطلب في التعليق لان المعنى منصب على تسليط الدراية على الترجي
اذ التقدير لا يدري ما هو مترجى منه التزكية او التذكر وقيل الوقف
على يدريك والابتدا بما بعده على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة حاله

ثم

ثم ابتدا فقال لعله يزكى فصل قيل الضمير في لعله للكافر يعني لعلك
اذا طمعت ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتنفعه الذكرى اي فنوك الحق
وما يدريك ان ما طمعت فيه كاين • ونظيره هذه الاية قوله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي • وقوله ولا تعد عيناك عنهم تريد
زينة الحياة الدنيا قوله او يذكر فتنفعه الذكرى قرا عاصم فتنفعه
بالنصب • والباقون بالرفع فمن رفع فهو نسق على قوله او يذكر • ومن نصب
فعلى جواب الترجي كقوله في المومن فاطلع وهو مذهب كوفي وتقدم الكلام
عليه • وقال ابن عطية في جواب التمني لان قوله تعالى او يذكر في حكم قوله
لعله يزكى • قال ابو حيان وهذا ليس تمنيا انما هو ترج • قال شهاب
الدين انما يريد التمني المفهوم من الكلام ويدل له ما قال ابو البقا وبالنصب
على جواب التمني في المعنى والا فالفرق بين التمني والترجي لا يجهله ابن عطية
وقال مكي من نصبه جعله جواب لعل بالفا لانه غير موجب فاشبه التمني والاستفهام
وهو غير معروف عند البصريين • وقرا عاصم في رواية والاعرج او يذكر بسكون الذال
وتخفيف الكاف مضمومة مضارع ذكر • والمعنى او يتعظ بما يقوله فتنفعه
الذكرى اي العظة قوله اما من استغنى

بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند الاطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم
وروى الضحاك عن ابن عباس في كرام قال مكرمون ان يكونوا مع ابن آدم اذا
خلا بزوجته او يبرز لغائطه وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم
وقوله تعالى بررة جمع بار مثل كافر وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة
يقال بر وبار اذا كان اصل للصدق ومنه بر فلان في يمينه اي صدق
وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه فمعنى بررة مطيعين لله صادقين
لله في اعمالهم **فصل** قال ابن الخطيب قوله تعالى بايدي سفرة

يقتضي

يقتضي ان طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هولاء السفرة
فقال القفال في تقريره لما كان لا يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف
التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بقوله تعالى
في سورة الواقعة لا يمسه الا المطهرون انهم الكرام البررة في هذه السورة
قوله قتل الانسان ما اكفره اي لعن وقيل عذب والانسان
الكافر روى الاعمش عن مجاهد قال ما كان في القران من قتل الانسان
فانما عني به الكافر قال النحويون وهذا اما تعجب او استفهام
تعجب قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى لما ذكر ترفع صناديد قريش
على فقراء المسلمين عجب عباده المومنين من ذلك فكانه قيل واي سبب
في هذا الترفع مع ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وهو
فيما بين الوقتين حامل عذرة فلاجرم ذكر تعالى ما يصلح ان يكون
علاجا لعجبهم وعلاجا لكفرهم فان خلقة الانسان يصلح ان يستدل
بها على القول بالبعث والحشر قيل نزلت في عتبة بن ابي لهب والظاهر
العموم وقوله تعالى قتل الانسان دعا عليه باشد الاشياء لان القتل
غاية شدائد الدنيا وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله فان
قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف يليق
ذلك به والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل بسبب الشيء فالعالم به
كيف يليق ذلك به فالجواب ان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب
لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب حيث اتوا باعظم القبائح كقولهم
اذا تعجبوا من شيء قاتله الله ما اخبثه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى
اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل ما اكفره بالله
ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه والاستفهام بقوله من اي شيء
خلقه قيل استفهام توبيخ اي اي شيء دعاه الى الكبر وقيل استفهام
تحقير له فذكر اول مراتبه وهو قوله تعالى من نطفة خلقه ولا شك ان
النطفة شيء حقير مهين ومن كان اصله ذلك كيف يتكبر وقوله
فقدره اي اطوارا وقيل سواه لقوله تعالى ثم سواك رجلا وقدر
كل عضو في الكيفية والكمية بالقدر اللائق لمصلحته لقوله تعالى وخلق
كل شيء فقدره تقديرا ثم لما ذكر المرتبة الوسطى قال تعالى ثم السبيل
يسره قيل المراد تيسير خروجه من بطن امه ولا شك ان خروجه
حيا من اضيق المسالك من اعجب العجائب قيل انه كان راسه في بطن
امه من فوق ورجليه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن الذي
اعطاه ذلك الالهام المراد منه قوله تعالى وهديناه النجدين اي
التمييز بين الخير والشر وقيل مخصوص بالدين **قوله** ثم السبيل
يسره يجوز ان يكون الضمير للانسان والسبيل ظرف اي يسر للانسان
الطريق اي طريق الخير والشر كقوله تعالى وهديناه النجدين وقال
ابو البقاء ويجوز ان ينتصب بانه مفعول ثان ليسره والهاء للانسان
اي يسره للسبيل اي هداه له قال شهاب الدين فلابد من تضمينه
معنى اعطى حتى ينصب اثنين او بحذف حرف الجر اي يسره للسبيل ولذلك
قدره بقوله تعالى هداه له ويجوز ان يكون السبيل منصوبا على الاشتغال
بفعل مقدر والضمير له تقديره ثم يسر السبيل اي سهله للناس كقوله
تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتقدم مثله في قوله تعالى انا هديناه السبيل
فصل روى عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد قال سبيل
الشقاء والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابو بكر بن

ظاهر يسر على كل احد ما خلقه وقدر عليه لقوله عليه الصلوة والسلام
اعملوا فكل ميسر لما خلق له **قوله** ثم اماته فاقبره هذه المرتبة
الثالثة اي جعل له قبرا يواري فيه يقال قبره اذا دفنه واقبره
اي جعله حيث يقبر وجعل له قبرا اكراما له ولم يجعله من يلقى على
وجه الارض ياكله الطير قاله الفرا وقال ابو عبيدة اقبره جعله
قبرا وامران يقبر والقابر هو الدافن بيده قال الاعشى
لو اسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر
يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اي صيره بحيث يقبر
وجعل له قبرا وتقول العرب بترت ذنب البعير وابتره الله
وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله
اطرده اي صيره طريدا **قوله** ثم اذا شا انشره اي احياه
بعد موته ومفعول شا محذوف اي شا انشاره وانشره جواب
اذا وقرا العامة انشره بالالف وروى ابو حيان عن نافع وشعيب
ابن ابي حمزة نشره ثلاثيا بغير الف ونقلها ابو الفضل ايضا وقال
هما لغتان بمعنى الاحيا قال ابن الخطيب وانما قال اذا شا انشره
اشعارا بان وقته غير معلوم فتقديمه وتاخيره الى مشيئة الله تعالى
قوله كلا لما يقض ما امره كلا ردع للانسان عن تكبره وترفعه
وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وعلى انكار البعث والحشر
والنشر وقوله تعالى لما يقض ما امره قال مجاهد وقتادة لا يقضي ما امر
به وهو اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن تقصير البتة قال ابن الخطيب
وعندي في هذا التفسير نظر لان الضمير فيه عائدا الى المذكور السابق
وهو الانسان في قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان
هنا جميع الانسان بل الانسان الكافر فقوله تعالى لما يقض ما امره كيف
يمكن حمله على جميع الانسان وقال ابن فورك كلا لما يقض الله ما امره
لم يقال بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب آدم عليه الصلوة والسلام
وقيل المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امره به من التامل
في دلائل الله والتدبر في عجائب خلقه **قوله** ما امره ما موصولة
قال ابو البقا بمعنى الذي والعائد محذوف اي ما امره به قال
شهاب الدين وفيه نظر من حيث انه قدر العائد مجرورا بحرف
لم يجر الموصول ولا امره به فان قلت امر يتعدى اليه بحذف الحرف
فاقدره غير مجرور قلت اذا قدر به غير مجرور فاما ان تقدره متصلا
او منفصلا وكلاهما مشكل لما تقدم في اول البقرة عند قوله تعالى ومما
رزقناهم ينفقون وقال الحسن كلا معناه حقا لم يقض اي لم يعمل
بما امره به قال القرطبي وما في قوله لما عماد للكلام كقوله تعالى فبما
رحمة من الله وقوله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين وقال ابن الانباري
الوقف على كلا قبيح والوقف على امره وانشره جيد فكلا على هذا بمعنى حقا
قوله فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن الخطيب اعلم ان عادة
الله جارية في القرآن كلما ذكره لا يل الانفس تذكر عقبها دلائل الآفاق
فبدا هاهنا بما يحتاج الانسان اليه واعلم ان النبت انما يحصل عن القطر
النازل من السماء في الارض كالذكر والارض كالانثى فبين نزول الماء من
السماء الى الارض بقوله انا صببنا وقال القرطبي لما ذكر تعالى ابتدا خلق
الانسان ذكر ما يسر من رزقه اي فلينظر كيف خلق الله طعامه الذي هو
قوام حياته وكيف هيا له اسبابا للمعاش ليستعد بها للمعاد وهذا النظر

نظر القلب بالفكر والتدبر قال الحسن ومجاهد فلينظر الانسان الى
طعامه اي الى مدخله ومخرجه روى الضحاك بن شعبان الكلابي رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك فما طعامك
قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد
علمته قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وقال
ابو الوليد سالت ابن عمر رضي الله عنه عن الرجل يدخل الخلا فينظر ما
يخرج منه قال ياتيه الملك فيقول انظر ما بخلت به الى ما صار واعلم
ان الطعام الذي بينا وله الانسان له حالتان احديهما متقدمة
وهي التي لا بد من وجودها حتى يدخل ذلك الطعام في الوجود والحالة
الثانية متاخرة وهي الامور التي لا بد منها في بدن الانسان حتى يحصل
الانتفاع بذلك الطعام فلما كانت الحالة الاولى اظهر للحس لاجرم اكتفى
الله بذكرها **قوله** انا صببنا الما صبا قرا الكوفيون انا بفتح
الهمزة غير ممالة الالف والباقون بالكسر والحسن بن علي بالفتح والامالة
فاما القراءة الاولى ففيها ثلاثة اوجه احدها انها بدل من طعامه
لتكون في محل جر واستشكل بعضهم هذا الوجه ورده بانه ليس بواضح
والثاني بانه بدل اشتمال بمعنى ان صب الما سبب في اخراج
الطعام فهو مشتمل عليه بهذا التقدير وقد نحى مكي الى هذا فقال لان
هذه الاشيا مشتملة على الطعام ومنها يتكون لان معنى الى طعامه
الى حدوث طعامه كيف يتاتى فالاشتمال على هذا انما هو من الثاني
على لان الاعتبار انما هو في الاشيا التي يتكون منها الطعام لا في الطعام
نفسه والوجه الثاني انها على تقدير لام العلة اي فلينظر لانا وحذف
الخافض تجري الخلاف المشهور في محلها قال القرطبي فان في موضع خفض
كانه قال فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا فلا يحسن الوقف
على طعامه من هذه القراءة والوجه الثالث انها في محل رفع خبر المبتدا
محذوف اي هو انا صببنا وفيه ذلك النظر المتقدم لان الضمير ان عاد
على الطعام فالطعام ليس هو نفس الصب وان عاد على غيره فهو غير معلوم
وجوابه ما تقدم واما القراءة الثانية انى التي بمعنى كيف وفيها
معنى التعجب فهي على هذه القراءة كلمة واحدة وعلى غيرها كلمتان قال
القرطبي فمن اخذ بهذه القراءة قال الوقف على طعامه تام ويقال ان معنى
انى اين الا ان فيها كناية عن الوجوه وتاويلها من اي وجه صببنا قال
الكميت
انى ومن اين آبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب
فصل قوله صببنا الما صبا يعني الغيث والامطار ثم شققنا
الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها حبا اي قمحا وشعيرا وسلتا
وسائر ما يحصد ويدخر وانما قدم ذلك لانها كالاصل في الاغذية وعنبا
وانما ذكره بعد الحب لانه غذا من وجه وفاكهة من وجه **قوله**
وقضبا القضب هنا قال ابن عباس هو الرطب لانه يقتضب من النخل
اي يقطع ورجحه بعضهم بذكره بعد العنب وكثيرا ما يقترنان وقيل
العنب قال القتيبي كذا تسميه اهل مكة وقيل كلما يقتضب من البقول
لبني آدم وقيل هو الرطبة والمقاضب الارض التي تنبتها قال الراغب
والقضب كالقضيب لكن القضيب من فروع الشجر والقضب في البقل
والقضب ايضا بالسيف اي قطع القضيب والقضب وعنه صلى الله عليه
وسلم انه كان اذا راى في ثوب تصليبا قضبه وسيف قاضب وقضيب
اي قاطع فقضيب هنا بمعنى فاعل وفي الاول بمعنى مفعول وناقة قضيب

لا توجد بين الابل ولم ترض وكلما لم يهدب فهو مقتضب ومنه اقتضاب
الحديث لما لم يتروفيه وقال الخليل القضب اغصان الشجر ليتخذ منها
قسي وسهام • وقال ابن عباس القضب الفصفصة وهو القت الرطب • وقال
الخليل القضب الفصفصة الرطبة • وقيل بالسين فاذا يبست
فهو قت قوله وزيتونا وهي شجرة الزيتون ونخلا يعني النخل
قوله وحدائق غلبا جمع اغلب وغلبا كحمر وحمرا فالحديقة
غلبا اي غليظة الشجر ملتفة واغلولب العشب اذا غلظ واصله في وصف
الرقاب يقال رجل اغلب وامراة غلبا غليظا الرقبة قال عمرو
ابن معدي كرب
يسعى بها غلب الرقاب كانهم • بزل كسين من الكحيل جلالا
ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا جميعا قال
العجاج • ما زلت يوم البين الوي صلبي • والراس حتى صرت مثل الاغلب
والغلبة القهر انه يقال وتنصب غلبه وفيه هذا اصله وحديقة غلبا
ملتفة وحدائق غلب • قال ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلبا وهي
الغلاظ • وعنه ايضا الطوال • وقال قتادة وابن زيد الغلب النخل
الكرام • وعن ابن زيد ايضا وعكرمة العظام الاوساط والجذوع
وقال مجاهد ملتفة وتقدم الكلام على الحدائق في سورة النمل قوله
وفاكهة وابا الفاكهة ما ياكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ
وغيرها • قال ابن الخطيب وقد استدل بعضهم بان الله تعالى لما
ذكر الفاكهة بعد ذكر العنب والزيتون والنخل وجب ان لا يدخل
هذه الاشيا في الفاكهة وهذا قريب من حيث الظاهر لان المعطوف
مغاير للمعطوف عليه • واما الاب فقيل الاب للبهايم بمنزلة
الفاكهة للناس وقيل هو مطلق المرعى قال الشاعر يمدح النبي صلى
الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم
له دعوة ميمونة ريحها الصبا • بها ينبت الله الحصيدة والابا
وسمي المرعى ابا لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام بمعنى قال
الشاعر • جذمنا قيس ونجد دارنا • ولنا الاب بها والمكرع
وأب لكذا اي تهيأ يؤب ابا واباية • وأب الى وطنه اذا نزع نزوعا
تهيأ لقصده وكذا اب اي تهيأ لسبيله • وقولهم ابان ذلك هو فعلان
منه وهو الشي المتهيء لفعله ومجيئه • وقيل الاب يابس الفاكهة
لانها تؤب للشتا اي تعد • وقيل الاب هو ما ياكله البهايم من العشب
قال ابن عباس والحسن الاب كلما انبتت الارض مما لا ياكل الناس وما
ياكله الادميون هو الحصيد • وعن ابن عباس وابي طلحة الاب
الثمار الرطبة • وقال الضحاك هو التبن خاصة وهو محكي عن ابن
عباس ايضا • وقيل الاب الفاكهة رطب الثمار ويابسها • وقال
ابراهيم التيمي سيل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة
والاب فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله
ما لا اعلم • وقال انس سمعت عمر بن الخطاب قرا هذه الاية ثم قال
كل هذا عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده ثم قال هذا
لعمر الله التكليف وما عليك يا ابن ام عمر الا تدري ما الاب ثم قال
اتبعوا ما بين لكم في هذا الكتاب وما لا فدعوه • وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله
على سبع وانما اراد بقوله عليه الصلوة والسلام خلقتم من سبع يعني من
نطفة



نطفة ثم من علقة ثم من مضغة الاية • والرزق من سبع هو قوله تعالى
فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا الى قوله وفاكهة ثم قال
وابا وهو يدل على انه ليس برزق لابن ادم وانما يختص به البهايم
والله اعلم قوله متاعا لكم نصب على المصدر المؤكد لان انبات
هذه الاشيا امتاع لجميع الحيوانات واعلم انه تعالى لما ذكر ما يغتذى به
الناس والحيوان قال متاعا لكم ولانعامكم • قال الفرا جعلناه
منفعة لكم ومتعة لكم ولانعامكم وهذا مثل ضربه الله لبعث الموتى من قبورهم
كنبات الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه في غير موضع قوله فاذا جاءت
الصاخة وهي الصيحة التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل
هي ماخوذة من صخه بالحجر اي صكه به • وقال الزمخشري صخ لحديثه مثل
اصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها • وقال ابن
العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة
كقول الشاعر
اصمني سرهم ايام فرقتهم • فهل سمعتم بسر يورث الصمما
وقال اخر
اصم بك الداعي وان كان اسمعا • وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله لكل
امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي التقدير فاذا جاءت الصاخة اشتغل
كل احد بنفسه فصل لما ذكر امر المعاد ليتزود له بالاعمال الصالحة
والانفاق مما امتن به عليهم • وقال ابن الخطيب لما ذكر تعالى هذه
الاشيا وكان المقصود منها امور ثلاثة • اولها الدلايل على التوحيد
وثانيها الدلايل الدالة على القدرة والمعاد • وثالثها ان هذا الاله
الذي احسن الى عبيده بهذه الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق
بالعاقل ان يتمرد عن طاعته وان يتكبر على عبيده اتبع ذلك بما يكون
كالمؤكد لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيمة فان الانسان اذا سمعها
خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل في الدلايل والايمان بها والاعراض
عن الكفر ويدعوه ايضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار التواضع
فقال تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيمة وهي النفخة الاخرة
تصخ الاسماع اي تصمها فلا تسمع الا ما يدعى به الاحيا • قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة
الا الجن والانس قوله يوم يفر بدل من اذا ولا يجوز ان يكون يغنيه
عاملا في اذا ولا في يوم لانه صفة لشان ولا يتقدم معمول الصفة على
موصوفها والعامة على يغنيه من الاغنا في الامر يقصد فصل
يفر اي يهرب في يوم مجي الصاخة من اخيه اي من موالاة اخيه ومكالمته
لانه يشتغل بنفسه لقوله بعده لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
اي يشغله عن غيره • وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه بالتبعات
يقول الاخ ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة
يقول اطعمتني الحرام والبنون يقولون ما علمتنا • وقيل لعلمه انهم
لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيا لقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيا
وقال عبد الله يفر منهم لما يتبين له عجزهم وقلة حيلتهم • وذكر الضحاك
عن ابن عباس قال يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي من امه ويفر
ابراهيم من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امراته وادم من سوء بنيه
قال ابن الخطيب المراد ان الذين كان المرء يفر اليهم في دار الدنيا يفر
منهم فانه يفر منهم في دار الاخرة وذكروا في فايدة الترتيب كانه قيل يوم

يفر المرء من اخيه بل من ابويه فانهما اقرب من الاخوان بل من
الصاحبة والولد لان تعلق القلب بهما اشد من تعلقه بالابوين
ثم لما ذكر الفرار اتبعه بذكر سببه فقال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه قال ابن قتيبة يغنيه اي يصرفه عن قرابته ومنه
يقال اغن عني وجهك اي اصرفه وقال اهل المعاني ان ذلك الهم الذي
حصل له قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع لهم اخر فصار شبيها بالغني
في انه ملك شيا كثيرا قوله وجوه يومئذ مسفرة لما ذكر تعالى حال يوم
القيمة في الهول بين ان المكلفين فيه على قسمين سعدا واشقيا فوصف
سبحانه السعيد بقوله وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة مشرقة قد علمت
ما لها من الفوز والنعيم من اسفر الصبح اذا اضا وهي وجوه المومنين
ضاحكة اي مسرورة فرحة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة
اي بما اتاها الله تعالى من الكرامة وقال عطا الخراساني مسفرة من طول
ما اغبرت في سبيل الله وقال الضحاك من اثار الوضوء وقال ابن عباس
رضي الله عنه من قيام الليل لقوله عليه الصلوة والسلام من كثرت صلاته
بالليل حسن وجهه بالنهار قوله ووجوه يومئذ عليها غبرة قال المبرد
الغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان وقال ابو عبيدة القتر في كلام
العرب الغبار جمع القترة قال الفرزدق

متوج برد الملك يتبعه ... موج ترى فوقه الرايات والقترا

وفي عطفه على الغبرة ما يرد هذا الا ان يقال اختلف اللفظ حسن العطف
كقوله كذبا ومينا والناي والبعد وهو خلاف الاصل وفي الحديث
ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيمة حول ذلك التراب في وجوه
الكفار وقال زيد بن اسلم القترة ما ارتفعت الى السما والغبرة
ما انحطت الى الارض والغبار والغبرة واحد قال ابن عباس ترهقها
اي تغشاها قترة اي كسوف وسواد وعنه ايضا ذلة وشدة وقيل
ترهقها اي تدركها عن قرب كقولك رهقت الخيل اذا ادركته مسرعة
والرهق عجلة الهلاك والقترة سواد كالدخان ولا يرى اوحش من
اجتماع الغبار والسواد في الوجه كما ترى وجوه الزنوج اذا اغبرت فجمع
الله في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور والله
اعلم والعامة على فتح القاف في قترة واسكنها ابن ابي عبلة قوله
اولئك هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر وهو الكاذب المفتري على الله
تعالى وقيل الفاسق يقال فجر فجورا اي فسق وفجر اي كذب واصله الميل
والفاجر المائل روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس وتولى جا يوم
القيمة ووجهه ضاحك مستبشر والله اعلم

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون اية وماية واربع كلمات واربعماية وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا الشمس كورت
في ارتفاع الشمس وجهان اصحهما انها مرفوعة بفعل مقدر مبني
للمفعول حذف وفسره ما بعده على الاشتغال والرفع على هذا الوجه
اعني اضمار الفعل واجب عند البصريين لانهم لا يجيزون ان يليها
غيره ويتاولون ما اوهم خلاف ذلك والثاني انها مرفوعة بالابتداء
وهو قول الكوفيين والاخفش لظواهر جاءت في الشعر وانتصر له ابن مالك
وقال الزمخشري ارتفاع الشمس على الابتدا او الفاعلية قلت بل على

الفاعلية

الفاعلية لتقدم ذكر نحو ما تقدم ويعني بالفاعلية ارتفاعها بفعل
الجملة وقد مر انه يسمى مفعول ما لم يسم فاعله فاعلا وارتفاع النجوم
وما بعدها كما تقدم في الشمس فصل قد تقدم تفسير التكوير في اول
تنزيل قيل التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير العامة وفي الحديث
نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت بعد الالفة وقيل
من فساد امورنا بعد صلاحها والحور بالحاء المهملة والمراد الطي اللف
والكور والتكوير واحد وسميت كارة القصار كارة لانه يجمع ثيابه
في ثوب واحد ثم ان الشي الذي يلف يصير مختفيا عن الاعين فعبر
عن ازالة النور عن جرم الشمس وغيبوبتها عن الاعين بالتكوير
فلهذا قال ابن عباس رضي الله عنه تكويرها ادخالها في العرش وقال
الحسن ذهاب ضوءها وهو قول مجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس
ايضا وسعيد بن جبير غورت وقال الربيع بن خثيم كورت رمي بها
ومنه كورته فتكور اي سقط قال الاصمعي يقال طعنه فكوره اذا
صرعه فمعنى كورت اي القيت ورميت عن الفلك وعن ابي صالح
كورت نكست وقال ابن الخطيب وروي عن عمر رضي الله عنه
ان لفظة كورت ماخوذة من الفارسية فانه يقال للاعمى كور قوله
واذا النجوم انكدرت اي تناثرت وتساقطت قال تعالى واذا الكواكب
انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب قال الخليل انكدر عليهم
القوم اذا جاءوا ارسالا وانصبوا عليهم قال ابو عبيدة انصبت كما
ينصب العقاب اذا انكسرت قال العجاج يصف صقرا

ابصر خربان فضاء فانكدر ... تقضي البازي اذا البازي كسر

روى ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يبقى في السما يومئذ نجم الا سقط في الارض وروي عن ابن عباس رضي
الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين السما والارض بسلاسل من
نور بايدي الملائكة فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت
تلك الكواكب من ايدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها قال
القرطبي ويحتمل ان يكون انكدارها طمس اثارها وسميت النجوم نجوما لظهورها
في السما بضوئها وعن ابن عباس ايضا انكدرت تغيرت فلم يبق لها
ضوء لزوالها عن اماكنها قوله واذا الجبال سيرت يعني قلعت
عن وجه الارض وسيرت في الهوا لقوله تعالى ويوم نسير الجبال
وترى الارض بارزة وقوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا في الهوا
لقوله تعالى وهي تمر مر السحاب وقيل سيرها ان تحول عن منزلة الحجارة
فتكون كثيبا مهيلا اي رملا سائلا وتكون كالعهن وتكون هباء
منبثا وتكون مثل السراب الذي ليس بشي وعادت الارض قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا قوله واذا العشار
عطلت العشار جمع عشرا وهي الناقة التي مر لحملها عشرة اشهر ثم
هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وكذلك نفاس جمع نفسا
قال القرطبي وهو اسمها بعدما تضع ايضا ومن عادة العرب ان
يسموا الشي باسمه المتقدم وان كان قد جاوز ذلك يقول الرجل
لفرسه وقد قرح قربها مهري وشهرته بمتقدم اسمه وخص العشار
بالذكر لانها اعز ما يكون عند العرب وهذا على وجه المثل
لان في القيامة لا يكون ناقة عشرا والمعنى ان يوم القيامة بحال لو كان
للرجل ناقة عشرا لعطلها واشتغل بنفسه يقال ناقة عشرا وناقتان

عشراوان وتوق عشار وعشراوات يبدلون من همزة التانيث
واوا وقد عشرت الناقة تعشيرا اي صارت عشرا وقيل العشار
السحاب وعطلت اي لا تمطر والعرب تشبه السحاب بالحامل قال
تعالى فالحاملات وقرا وقيل الارض تعطل زرعها والتعطيل الاهمال
ومنه قيل للمراة عاطل اذا لم يكن عليها حلي وتقدم في وبئر معطلة وقال
امرئ القيس

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش ... اذا هي نصته ولا بمعطل

وقرا ابن كثير في رواية عطلت بتخفيف الطا قال الرازي هو غلط
انما هو بتخفيف بمعنى تعطلت لان التشديد فيه للمتعدي يقال
عطلت الشي واعطلته فعطل **قوله** واذا الوحوش حشرت
الوحوش ما لم يتانس به من حيوان البر والوحش ايضا المكان
الذي لا انس فيه ومنه لقيته بوحش اصمت اي ببلد قفر والوحش
الذي يبيت جوفه خاليا من طعام وجمعه اوحاش وسمي به المنسوب
الى المكان الوحش وحشي وعبر بالوحشي عن الجانب الذي يضاد
الانسي والانسي ما يقبل من الانسان وعلى هذا وحشي القوس والسهم
وقوله تعالى حشرت اي جمعت والحشر الجمع قاله الحسن وقتادة وغيرهما
وقال ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها رواه عكرمة
وحشر كل شي الموت غير الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيامة وعن
ابن عباس رضي الله عنه قال يحشر كل شي حتى الذباب وعن ابن
عباس ايضا يحشر الوحوش غدا اي يجمع حتى يقتص لبعضها من بعض
فيقتص للجماء من القرنا ثم يقال لها موتي فتموت وقرا الحسن وابن
ميمون حشرت بتشديد الشين ومعنى الاية ان الوحوش اذا كانت هذه
حالها فكيف بني ادم وقيل اي انها مع نفرتها اليوم من الناس وتبددها
في الصحاري ينضم غدا الى الناس من اهوال ذلك اليوم قال معناه ابي
ابن كعب **قوله** واذا البحار سجرت قال ابن كثير وابو عمرو سجرت
بتخفيف الجيم والباقون بتشديدها على المبالغة والتكثير والمعنى
مليت من الما والعرب تقول سجرت الحوض اسجره سجرا اذا ملاته
وهو مسجور والمسجور والساجر في اللغة الملان وروى الربيع بن
خثيم سجرت فاضت وملئت قال تعالى واذا البحار فجرت وقال
الحسن اختلطت وصارت شيا واحدا وقيل ارسل عذبها على مالحها
ومالحها على عذبها حتى امتلات وقال القشيري يرفع الله الحاجز
الذي ذكره تعالى بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك البرزخ
تفجرت البحار فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وعن الحسن
وقتادة وابن حيان تيبس ولا يبقى من مائها قطرة قال القشيري
وهو من سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وما تسلط عليه
الايقاد نشف ما فيه من الرطوبة وتقدم اشتقاق هذه المادة
قال القفال وهذا التاويل يحتمل وجوها الاول ان تكون
جهنم في قعر البحار فهي الان غير مسجرة بقوام الدنيا فاذا انتهت
مدة الدنيا اوصل الله تعالى تاثير تلك النيران الى البحار فصارت
مسجورة بالكلية وهذا قول ابن زيد وعطية وسفيان ووهب
وابي وعلي بن ابي طالب **الثاني** قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر
والنجوم في البحار فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك ثم يبعث الله
تعالى لها ريحا دبورا فتنفخه حتى يصير نارا كذا جا في الحديث الثالث

ان يخلق

ان يخلق الله تعالى تحت البحار نيرانا عظيمة حتى يسخن تلك المياه
قال ابن الخطيب وهذه وجوه متكلفة ولا حاجة الى شيء منها لان
القادر على تخريب الدنيا يقدر على ان يفعل في البحار ما شا من تسجير
مياهها ومن قلب مياهها نارا من غير حاجة الى ان يلقى فيها الشمس
والقمر او يكون تحتها نار جهنم قال القرطبي وروي عن ابن عمر رضي
الله عنه لا يتوضا بما البحر لانه طبق جهنم قال ابي بن كعب رضي
الله عنه ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب
ضوء الشمس فتحيروا ويذهبوا فبينما هم كذلك ينظرون اذ
تناثرت النجوم وتساقطت فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال
على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء
منبثا ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلط
الدواب والوحش والهوام والطير وماج بعضها في بعض فذلك
قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم قال الجن للانس نحن ناتيكم
بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك اذ
تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى
السما السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم
وقال ابن الخطيب وهذه العلامات يمكن ان تكون عند خراب
الدنيا وان تكون بعد القيامة وقيل معنى سجرت تحمر ماؤها
حتى يصير كالدم من قولهم عين سجرا اي حمرا **قوله** واذا النفوس
زوجت العامة على تشديد الواو من زوجت من التزويج وروي
عن عاصم زوجت على وزن فوعلت قال ابو حيان والمفاعلة
تكون من اثنين قال شهاب الدين وهي قراءة مشكلة لانه لا ينبغي
ان يلفظ بواو ساكنة ثم اخرى مكسورة وقد تقدم انه متى اجتمع
مثلان وسكن اولهما وجب الادغام حتى في كلمتين ففي كلمة واحدة اولى
فصل قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم واذا
النفوس زوجت قال يقرن كل رجل من كل قوم كانوا يعملون كعمله
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرن الفاجر مع الفاجر ويقرن
الصالح مع الصالح وقال ابن عباس رضي الله عنه ذلك حين
يكون الناس ازواجا ثلاثة السابقون زوج صنفا واصحاب اليمين
صنفا واصحاب الشمال صنفا زوج وعنه ايضا قال زوجت
نفوس المومنين بالحور العين وقرنت الكفار والمنافقون بالشياطين
وقال الزجاج قرنت النفوس باعمالها وقيل قرنت الارواح
بالاجساد اي رقت ردت اليها قاله عكرمة وقيل غير ذلك **قوله**
واذا الموودة سئلت باي ذنب قتلت الموودة هي البنت تدفن
حية وهو انعل لانها تثقل بالتراب والجندل يقال واد يئده كوعده
يعده وقال الزمخشري وابو البقا مقلوب من الاد يوود اذا اثقل
قال الله تعالى ولا يوده حفظهما لانه اثقال بالتراب قال ابو حيان
ولا يدعى ذلك لان كلا منهما كامل التصرف في الماضي والامر والمضارع والمصدر
واسم الفاعل واسم المفعول وليس فيه شي من مسوغات ادعا القلب
والذي يعلم به الاصالة من القلب ان يكون احد النظمين فيه حكم يشهد
له بالاصالة والاخر ليس كذلك او اكثر استعمالا من الاخر وهذا على ما قرر
واحكم في علم التصريف فالاول كيئس وييس والثاني كالطامن واطمان
والثالث كشوايع وشواعي والرابع كلعمري ورعملي وقرا العامة الموودة

بهمزتين وواوين ساكنين كالموعودة وقرا البزي في رواية
الهمزة مضمومة بين واو ساكنة وفيها وجهان احدهما ان تكون
كقراءة الجماعة ثم نقل حركة الهمزة الى الواو قبلها وحذفت الهمزة
فصار اللفظ الموودة واو مضمومة ثم اخرى ساكنة فقلبت الواو
المضمومة همزة نحو اجوه في وجوه فصار اللفظ كما ترى ووزنها الان
المفولة لان المحذوف عين والثاني ان تكون الجملة اسم مفعول من اده
يووده مثل قاده يقوده والاصل ماوودة مثل مقوودة ثم حذف
احدى الواوين على الخلاف المشهور في الحذف من نحو مقول ومصون
فوزنها الان اما مفعلة ان قلنا ان المحذوف الواو الزائدة واما مفولة
ان قلنا ان المحذوف عين الكلمة وهذا اظهر فصل علم التصريف وقرئ
الموودة بضم الواو الاولى على انه نقل حركة الهمزة بعد حذفها ولم يقلب
الواو همزة وقرا الاعمش المودة بزنة الموده وتوجيهه انه حذف
الهمزة احتياطا فالتقى ساكنان فحذف ثانيهما ووزنها المفلة لان
الهمزة عين الكلمة وقد حذفت وقال مكي بل هو تخفيف قياسي وذلك
انه لما نقل حركة الهمزة الى الواو لم يهمزها لما استثقل الضمة عليها
فسكنها فالتقى ساكنان فحذف الثاني وهذا كله خروج عن الظاهر
وانما نظر في ذلك ما نقله الفراء في وقف حمزة انه يقف عليها كالموده
قال والاصل الحمل لانها رسمت كذلك والرسم سنة متبعة والعامة على
سئلت مبنيا للمفعول مضموم السين والحسن بكسرها من سال يسال
كما تقدم وقرا ابو جعفر قتلت بتشديد التاء على التكثير وقرا علي وابن
مسعود وابن عباس رضي الله عنهم سألت مبنيا للفاعل قتلت بضم
التاء الاخيرة التي للمتكلم حكاية لكلامها وعن ابي وابن مسعود ايضا
وابن يعمر سالت مبنيا للفاعل قتلت بتاء التانيث الساكنة كقراءة
العامة **فصل** كانوا يدفنون بناتهم احيا لخصلتين احدهما
كانوا يقولون الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به تبارك وتعالى
عن ذلك والثانية مخافة الحاجة والاملاق واما خوفا من السبي والاسترقاق
قال ابن عباس كانت المراة في الجاهلية اذا حملت حفرت حفرة وتمخضت
على راسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها
وان ولدت غلاما حبسته ومنه قول الراجز

سميتها اذ ولدت تموت ... والقبر صهر ضامن زميت

وقيل كان الرجل اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة
من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية واذا اراد قتلها
حتى اذا بلغت قامتها ستة اشبار فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى
اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بيرا في الصحرا فيذهب بها الى البير
فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب
حتى تستوي البير بالارض وكان صعصعة بن ناجية ممن يمنع الواد
فافتخر الفرزدق به في قوله

ومنا الذي منع الوائدات ... واحيا الوئيد فلم يوئد

فصل روي ان قيس بن عاصم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني وادت ثماني بنات كن لي في الجاهلية قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني
صاحب ابل قال عليه الصلوة والسلام فاهد عن كل واحدة منهن بدنة
ان شئت واعلم ان سؤال الموودة سؤال توبيخ لقاتلها كما يقال للطفل

اذا ضرب

اذا ضرب لم ضربت وما ذنبك قال الحسن اراد الله توبيخ قاتلها
لانها قتلت بغير ذنب وقال ابن اسلم باي ذنب ضربت وكانوا يضربونها
وقيل في قوله تعالى سئلت معناه طلبت كان زيدا يطلب بدم القتيل
وهو كقوله تعالى وكان عهد الله مسئولا اي مطلوبا فكانما طلبت منهم
فقيل اين اولادكم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة
التي تقتل ولدها تاتي يوم القيمة متعلقا ولدها بيدها ملطخا
بدمائه فيقول يا رب هذه امي وهذه قتلتني والاول قول الجمهور
لقوله تعالى لعيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
على جهة التوبيخ والتبكيت لهم فكذلك سؤال الموودة توبيخ لوالديها
وهو ابلغ من سؤالها عن قتلها لان هذا مما لا يصح الا بذنب اي فباي
ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب لها كان اعظم في البلية وظهور
الحجة على قاتلها وفي الاية دليل على ان اطفال المشركين لا يعذبون
وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بذنب **قوله** واذا الصحف
نشرت قرا الاخوان وابن كثير وابو عمرو بالتثقيل على تكرار النشر
للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرار ذلك من
الانسان والباقون بالتخفيف ونافع وحفص وابن ذكوان
سعرت بالتثقيل والباقون بالتخفيف **قوله** نشرت اي فتحت
بعد ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها
اعمال العباد من خير وشر تطوى بالموت وتنشر في القيمة فيقف
كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها **قوله** واذا السما كشطت
اي قشرت من قولهم كشطت جلد الشاة اي سلختها وقرا عبد الله
قشطت بالقاف وقد تقدم انهما لغتان كثيرا وانه قرئ كافورا
وقافورا في هل اتى على الانسان قال القرطبي يقال كشطت البعير كشطا
نزعت جلده ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته
وجلدته والمعنى ازيلت عما فوقها وقال الفراء طويت **قوله**
واذا الجحيم سعرت اي اوقدت فاضطرمت للكفار وزيد في احمائها
يقال سعرت النار واسعرتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوقد على النار الف سنة حتى اسودت فهي مظلمة واحتج بهذه الاية
من قال النار مخلوقة الان لانه يدل على ان سعيرها معلق بيوم القيمة
قوله واذا الجنة ازلفت اي ادنيت وقربت من المتقين قال
الحسن انهم يقربون منها لا انها تزول عن موضعها وقال عبد الله بن يزيد
دنيت والزلفى في كلام العرب القربة **قوله** علمت نفس ما احضرت
هذا جواب اذا اول السورة وما عطف عليها والمعنى ما عملت من خير
وشر وروي عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما انهما قرا فلما بلغا علمت
نفس قالا لهذا اجريت القصة قال ابن الخطيب ومعلوم ان العمل
لا يمكن احضاره فالمراد اذا ما احضرته في صحائفها او ما احضرته عند
المحاسبة وعند الميزان من اثار تلك الاعمال او المراد ما احضرت من استحقاق
الجنة والنار فان قيل كل نفس تعلم ما احضرت لقوله تعالى يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا او التنكير في قوله نفس من عكس كلامهم الذي يقصدون
به المبالغة وان كان اللفظ موضوعا للتقليل كقوله تعالى ربما يود الذين
كفروا او يكون المراد ان الكفار كانوا يتعبون انفسهم فيما يظنونه طاعة
ثم يظهر لهم في القيمة خلاف ذلك **قوله** فلا اقسم بالخنس اي اقسم ولا

زايده لا تقدم والخنس خانس والخنوس الانقباض يقال خنس بين
القوم وانخنس وفي الحديث فانخنست اي استخفيت يقال خنس عنه
يخنس بالضم خنوسا والخنس تاخر الانف عن الشفة مع ارتفاع الارنبة
قليلا ويقال رجل اخنس وامراة خنسا ومنه الخنسا الشاعرة والخنس
في القران قيل الكواكب السبعة السيارة القمر وزحل والمشتري
والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في المغيب او لانها تخفى نهارا وعن
علي رضي الله عنه هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وفي
تخصيصها بالذكر من بين سائر الكواكب وجهان • احدهما لانها
تستقبل الشمس قاله بكر بن عبد الله المزني • الثاني لانها تقطع
قاله ابن عباس • وقيل خنوسها رجوعها وكنوسها اختفاوها تحت
ضوء الشمس • قال ابن الخطيب الاظهر ان ذلك اشارة الى رجوعها واستقا
وقال الحسن وقتادة هي النجوم كلها لانها تخنس بالنهار اذا غربت
وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها اي تتاخر عن البصر لخفائها
وتكنس اي تستتر كما تكنس الظبا في المغار وهي الكناس • والكنس الداخلة
في الكناس وهي بيت الوحش والجواري جمع جارية • وعن ابن مسعود
هي بقر الوحش لان هذه صفتها • وروي عن عكرمة قال الخنس البقر
والكنس هي الظبا فهي خنس اذا رات الانسان خنست وانقبضت
وتاخرت ودخلت كناسها • قال القرطبي والخنس على هذا من الخنس في
الانف وهو تاخير الارنبة وقصر القصبة وانوف البقر والظبا خنس
والقول الاول اظهر لذكر الليل والصبح بعده • وحكى الماوردي انها الملائكة
والكنس الغيب ماخوذ من الكناس وهو كناس الوحش الذي يختفي فيه
والكنس جمع كانس وكانسة قوله والليل اذا عسعس يقال عسعس
وسعسع اي اقبل قال العجاج
حتى اذا الصبح لها تنفسا • وانجاب عنها ليلها وعسعسا •
اي ادبر قال الفرا اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر حكاه الجوهري
وقيل دنا من اوله واظلم وكذلك السحاب اذا دنا من الارض وقيل ادبر
بلغة قريش خاصة وقيل اقبل ظلامه ورجحه مقابلته بقوله تعالى
والصبح اذا تنفس وهذا قريب من ادباره • وقيل هو لهما على طريق
الاشتراك قال الخليل وغيره عسعس الليل اذا اقبل او ادبر قال
المبرد هو من الاضداد والمعنيان يرجعان الى شي واحد وهو ابتدا
الظلام في اوله وادباره في اخره • قال الماوردي واصل العس الامتلا
ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه فاطلق على اقبال الليل
لابتدا امتلائه واطلق على ادباره لانتها امتلائه فعلى هذا يكون
القسم باقبال الليل وادباره وهو قوله تعالى والصبح اذا تنفس لا
يكون فيه تكرار وعسعس اسم موضع بالبادية • وايضا هو اسم
رجل ويقال للذئب العسعس والعسعاس لانه يعس في الليل ويطلب
ويقال للقنافذ العساعس لكثرة ترددها بالليل والعسعسة
ايضا طلب الصيد قوله والصبح اذا تنفس اي امتد حتى يصير
نهارا واضحا يقال للنهار اذا زاد تنفس ومعنى التنفس خروج
النسيم من الجوف وفي كيف المجاز قولان • الاول انه اذا اقبل الصبح
اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز فقيل تنفس
الصبح • الثاني انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس
بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فههنا لما طلع الصبح فكانه

تخلص

تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس • وقيل تنفس اي انشق
وانفلق • ومنه تنفست القوس اي تصدعت وهذا اخر القسم قوله
انه لقول رسول كريم • قال الحسن وقتادة والضحاك الرسول الكريم
جبريل والمعنى انه لقول رسول كريم من الله كريم على الله واضاف
الكلام الى جبريل ثم عزاه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين ليعلم
اهل التحقيق في التصديق ان الكلام لله تعالى • وقيل هو محمد صلى الله
عليه وسلم فمن جعله جبريل فقوته ظاهرة • لما روى الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنه من قوته قلعت مداين قوم لوط بقوادم جناحه
وقوله تعالى عند ذي العرش اي عند الله تعالى ذي منزلة ومكانة وروى
ابو صالح قال فدخل سبعين سرادقا بغير اذن • وقيل المراد القوة في
ادا طاعة الله وترك الاخلال بها من اول الخلق الى اخر زمان التكليف
وقوله تعالى عند ذي العرش هذه العندية ليست عندية الجهة بل عندية
الاكرام والتشريف والتعظيم لقوله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم
وقوله سبحانه مكين قال الكسائي يقال مكن فلان عند فلان بضم
الكاف تمكينا ومكانة فعلى هذا هو الجاه الذي يعطى ما سال قوله
مطاع ثم اي في السموات • قال ابن عباس رضي الله عنه من طاعة الملائكة
جبريل عليه السلام انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جبريل لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها فراى
ما فيها • وقال لمالك خازن النار افتح له ففتح فنظرها وراى • وقوله
تعالى امين اي موتمن على الوحي الذي يجي به • ومن قال ان المراد محمد
صلى الله عليه وسلم فالمعنى ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي يطيعه
من اطاعه الله تعالى قوله وما صاحبكم بمجنون حتى يتهم في قوله
وهو من جواب القسم والضمير في قوله انه يعود الى القران الذي نزل
به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعود الى الذي اخبركم به
محمد صلى الله عليه وسلم من امر الساعة في هذه السورة ليس بكاهن
ولا ظن ولا افتعال انما هو قول جبريل اتاه به وحيا من الله تعالى
فصل قال ابن الخطيب احتج بهذه الاية من فضل جبريل
عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم فقال اذا وازنت بين قوله
تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
امين وبين قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ظهر التفاوت العظيم
قوله عند ذي يجوز ان يكون نعتا لرسول • وان يكون حالا من مكين
واصله الوصف فلما قدم نصب حالا • وقوله ثم امين العامة
على فتح الثا لانه ظرف مكان للبعد والعامل فيه مطاع • وابو البرهسم
وابو جعفر وابو حيوة بضمها جعلوها عاطفة والتراخي في الرتبة
لان الثانية اعظم من الاولى قوله ولقد راه بالافق المبين
اي راى جبريل في صورته في ستمائة جناح بالافق المبين اي حيث
تطلع الشمس من قبل المشرق وقيل الافق المبين اقطار السما
ونواحيها • قال الماوردي فعلى هذا فيه ثلاثة اقوال • الاول
انه لما راه بالافق الشرقي قاله سفيان • الثاني في افق السما الغربي
حكاه ابن شجرة • الثالث انه راه نحو اجياد وهو مشرق مكة
قاله مجاهد • وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل
بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد تقدم ذلك في سورة والنجم
وفي المبين قولان • احدهما انه صفة للافق قاله الربيع • الثاني انه

صفة لمن راه قال مجاهد **قوله** وما هو على الغيب بظنين
قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالظا بمعنى متهم من ظن بمعنى
اتهم فتستعدى لواحد وقيل معناه بضعيف القوة عن التبليغ
من قولهم بير ظنون اي قليلة الماء والظنة التهمة واختاره ابو
عبيد وفي مصحف عبد الله كذلك والباقون بالضاد بمعنى ببخيل
بما ياتيه من قبل ربه من ضننت بالشي ضنا بمعنى لا يكتمه كما يكتم
الكاهن ذلك ويمتنع من اعلامه حتى ياخذ عليه حلوانا الا ان الطبري
قال الضاد خطوط المصاحف كلها وليس كذلك لما وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا بهما وهذا دليل على تمييز بين الحرفين خلافا
لمن يقول انه لو وقع احدهما موقع الاخر لجاز لغير معرفته وقد شنع
الزمخشري على من يقول ذلك وذكر بعض المخارج وبعض الصفات
بما يطول ذكره وعلى الغيب متعلق بظنين او بضنين والغيب القران
وخبر السما هذا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صفة جبريل عليه
السلام **قوله** وما هو بقول شيطان رجيم اي مرجوم والضمير
في هو للقران قالت قريش ان هذا القران يجي به شيطان فيلقيه
على لسانه فنفى الله ذلك يريدون بالشيطان الابيض الذي كان
ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد ان يفتنه
فصل قال ابن الخطيب فان قيل انه حلف على ان القران
قول جبريل عليه السلام فوجب علينا ان نصدقه فان لم نقطع بوجوب
حمل اللفظ على الظاهر فلا اقل من الاحتمال واذا كان كذلك ثبت
ان هذا القران يحتمل ان يكون كلام جبريل لا كلام الله تعالى وبتقدير
ان يكون كلام جبريل لا يكون معجزا ولا يمكن ان يقال بان جبريل
معصوم لان عصمته متفرعة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
وصدق النبي صلى الله عليه وسلم متفرع على كون القران معجزا وكون
القران معجزا متفرع على عصمة جبريل فيلزم الدور والجواب ان الاعجاز
ليس في الفصاحة بل في سلب تلك الدواعي عن القلوب وذلك مما
لا يقدر عليه احد الا الله تعالى لان سلب القدرة عما هو مقدور
لا يقدر عليه الا الله تعالى ثم قال في قوله تعالى وما هو بقول شيطان
رجيم فان قيل القول بصحة النبوة موقوف على هذا فنفي هذا
الاحتمال بالدليل السمعي **قوله** فاين تذهبون اين منصوب
بتذهبون لانه ظرف مبهم وقال ابو البقا اي الى اين فحذف حرف
الجر كقوله ذهبت الشام ويجوز ان يحمل على المعنى كانه قال اين
تؤمنون بمعنى انه على الحذف او على التضمين واليه نحا مكي ايضا ولا
حاجة الى ذلك البتة لانه ظرف مكان مبهم لا مختص **فصل**
قال قتادة قال ابن فعلون عن هذا القول وعن طاعتي وقال
الزجاج فاي طريق تسلكوا ابين من هذه الطريقة التي بينت
لكم ويقال اين تذهب والى اين تذهب وحكى الفراء عن العرب
ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها
وانشد لبعض بني عقيل
تصيح بنا حنيفة اذ رأتنا ... واي الارض تذهب بالصياح
يريد الى اي ارض تذهب فحذف الى **قوله** ان هو الا ذكر يعني
القران ذكر للعالمين اي موعظة وزجر وان بمعنى ما وقيل ما محمد
الا ذكر **قوله** لمن شا منكم بدل من العالمين باعادة العامل
هذا

هذا فقوله ان يستقيم مفعول شا اي لمن شا الاستقامة ويجوز
ان يكون لمن شا خبرا مقدما ومفعول شا محذوف وان يستقيم مبتدا
وتقدم نظيره والمعنى لمن شا منكم ان يستقيم قال ابو جهل الامر
الينا ان شينا استقمنا وان شينا لم نستقم وهذا هو القدر
وهو راس القدرية فنزلت وما تشاون الا ان يشا الله رب
العالمين فبين بهذا انه لا يعمل العبد خيرا الا بتوفيقه ولا شرا الا بخذلانه
قوله الا ان يشا الله اي الا وقت مشيئة الله تعالى وقال مكي
وان في موضع خفض باضمار الباء او في موضع نصب بحذف الخافض يعني
ان الاصل الا بان وحينئذ يكون للمصاحبة **فصل** قال الحسن
والله ما شاءت العرب الاسلام حتى شا الله تعالى لها وقال وهب
ابن منبه رضي الله عنه قرات في سبع وثمانين كتابا مما انزل الله على
الانبيا من جعل لنفسه شيا فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان
يشا الله وقال تعالى وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله وقال
تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا والاي في هذا
كثير وكذلك الاخبار وان الله تعالى هدى بالاسلام واضل بالكفر قال
ابن الخطيب وهذا عين مذهبنا لان الافعال موقوفة على مشيئتنا
ومشيئتنا موقوفة على مشيئة الله تعالى وحمل المعتزلة ذلك على انها مخصوصة
والموقوف على الشي موقوف على ذلك الشي فافعال العباد ثبوتا ونفيا
موقوفة على مشيئة الله تعالى وحمل المعتزلة ذلك على انها مخصوصة
بمشيئة الايجاد والقهر وذلك ضعيف لان المشيئة الاختيارية
حادثة فلا بد من محدث فيعود الكلام والله اعلم روى الثعلبي
عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم وبجل ومجد وعظم من قرا اذا الشمس كورت اعاذه الله ان
يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة اية وكلماتها ثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** اذا السما انفطرت معناه
اذا وقعت هذه الاشيا التي هي اشتراط الساعة يحصل الحشر والنشر
ومعنى انفطرت انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السما
بالغمام فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان وفتحت السما
فكانت ابوابا السما منفطر به قال الخليل ولم يات هذا على الفعل بل
هو كقوله مرضع وحايض ولو كان على الفعل لكان منفطرة وقال القرطبي
انفطرت لهيبة الله والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه
فطر ناب البعير اي طلع فهو فاطر وانفطر الشي تشقق وسيف فطار
اي فيه شقوق وقد تقدم **قوله** واذا الكواكب انتثرت تساقطت
لان عند انتقاض تركيب السما تنتثر النجوم على الارض يقال نثرت
الشي انثره نثرا فانتثر والنثار بالضم ما تناثر من الشي **قوله**
واذا البحار فجرت العامة على بنايه للمفعول مثقلا وقرا مجاهد مبنيا
للفاعل مخففا من الفجور نظرا الى قوله تعالى بينهما برزخ لا يبغيان فلما
زال البرزخ بغيا وقرا مجاهد ايضا والربيع بن خثيم والزعفراني
والثوري مبنيا مخففا ومعنى فجرت اي دخل بعضها في بعض واختلط
العذب بالملح فصار واحدا بارتفاع الحاجز الذي جعله الله تعالى برزخا

بينهما وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا انفجرت تفرقت
وذهب ماؤها وقال الحسن فجرت يبست قوله وإذا القبور
بعثرت اي قلبت يقال بعثره وبحثره بالعين والحا قال الزمخشري
وهما مركبان من البعث والبحث مضموم اليهما را يعني انهما مما اتفق معناهما
لان الرا مزيدة فيهما اذ ليست من حروف الزيادة وهذا كدمث ودمثر
وسبط وسبطر فصل والمعنى قلب اعلاها اسفلها وقلب
باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتى احياء وقيل المبعثر اخراج
ما في بطنها من الذهب والفضة ثم يخرج الموتى بعد ذلك وقوله تعالى
علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا والمعنى ما قدمت من عمل صالح
او شيء او اخرت من التركات ثم ما تقدم في قوله تعالى ينبأ الانسان
يومئذ بما قدم واخر والمقصود الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة
فان قيل اي وقت من القيمة يحصل هذا العلم قال ابن الخطيب اما العلم
الاجمالي فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة في اول
الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة
قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي المتجاوز العاصية
على غرك ثلاثيا وما استفهامية في محل رفع على الابتداء وقرا ابن جبير
والاعمش ما اغرك فاحتمل ان يكون استفهاميا وان يكون متعجبة ومعنى
اغره ادخله في الغرة او جعله غارا فصل لما اخبر في الاية الاولى
عن وقوع الحشر والنشر ذكر ههنا ما يدل عقلا على امكانه او على وقوعه
وذلك من وجهين الاول ان الاله الكريم لا يجوز من كرمه ان يقطع مواد
نعمه عن المذنبين كيف يجوز في كرمه ان لا ينتقم من الظالم الثاني ان
القادر على خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال
انه تعالى خلقها لا لحكمة وذلك عبث وهو على الله محال لانه تعالى منزه عن
العبث او خلقها لحكمة فتلك الحكمة اما ان يكون عائدة الى الله تعالى وذلك باطل
لانه منزه عن الاستكمال والانتفاع فتعين ان يكون الحكمة عائدة الى العبد
وتلك الحكمة اما ان تظهر في الدنيا فذلك باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار
انتفاع وجزا فثبت ان تلك الحكمة انما تظهر في دار الجزا فثبت ان الاعتراف
بوجود الاله الكريم الذي يقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على
العاقل ان يقطع بانه تعالى يبعث الاموات ويحشرهم فصل هذا
جواب لمنكر البعث روى عطا عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت
في الوليد بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في الاخنس بن شريق
وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه الله تعالى فانزل
الله تعالى هذه الاية وقيل يتناول جميع العصاة لان الاعتبار بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ومعنى ما غرك الله ما خدعك وسول لك الباطل
حتى تركت الواجبات واتيت المحرمات والمعنى ما الذي امنك من عقابه
هذا اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه على الكافر فالمعنى
ما الذي دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر فان قيل كونه كريما يقتضي ان
يغتر الانسان بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوي عنده طاعة
المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاغترار وروي عن علي رضي الله
عنه انه دعا غلاما مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لا
تجيبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه
وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه واذا ثبت ان كرمه يقتضي
الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار فالجواب من وجوه

الاول

الاول ان المعنى لما كنت ترى حلم الله تعالى عن خلقه ظننت ان لا حساب
ولا دار الا هذه الدار فما الذي دعاك الى الاغترار وجراك على انكار الحشر
والنشر فان ربك كريم فهو من كرمه تعالى لا يعاجل بالعقوبة بسطا في مدة
التوبة وتاخير الجزا وذلك لا يقتضي الاغترار الثاني ان كرمه تعالى
لما بلغ الى حيث لا يمنع العاصي من ان يطعمه فبان ينتقم للمظلوم من الظالم
كان اولى فاذا كونه كريما يقتضي الخوف الشديد من هذا الاغترار وترك
الجزا والاغترار الثالث ان كثرة الكرم توجب الجد والاجتهاد في
الخدمة والاستحيا من الاغترار الرابع قال بعضهم انما قال ربك
الكريم ليكون ذلك جوابا عن ذلك السؤال حتى يقول غرني كرمك
فلولا كرمك لما فعلت لاني رايت فسترت وقدرت فامهلت
وهذا الجواب انما يصح اذا كان المراد بقوله تعالى يا ايها الانسان
هو الكافر فصل قال قتادة رضي الله عنه سبب غرور
ابن ادم تسويل الشيطان وقال مقاتل غره عفو الله حين لم
يعاقبه اول مرة وقال السدي غره رفق الله وقال ابن مسعود
ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيمة فيقول ما غرك يا ابن ادم
ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين قوله
الذي خلقك فسواك يحتمل الاتباع على البدل والبيان والنعت
والقطع الى الرفع والنصب واعلم انه تعالى لما وصف نفسه بالكرم
ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقيق ذلك الكرم فقوله تعالى
الذي خلقك لا شك انه كرم لانه وجود والوجود خير من العدم
والحياة خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم وقوله تعالى فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضا قال
ذو النون اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك مسخرا لشي منها ثم انطق
لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة وسرك بالايمان
وشرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا قوله
فعدلك قرا الكوفيون عدلك مخففا والباقون مثقلا فالتثقيل
بمعنى جعلك متناسب الاطراف فلم يجعل احدى يديك او رجليك
اطول ولا احدى عينيك اوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى
بلى قادرين على ان نسوي بنانه قال علما التشريح انه تعالى ركب جانبي
هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام
ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها
والخارجة منها وقال عطا عن ابن عباس رضي الله عنه جعلك قائما
معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال ابو علي الفارسي عدل
خلقك فاخرجك في احسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات
وواصلا في الكمال الى ما لم يصل اليه شي من اجسام هذا العالم واما
قراة التخفيف فيحتمل هذا اي عدل بعض اعضايك ببعض ويحتمل ان
يكون من العدول اي صرفك الى ما شاء من الهيات والاشكال والاشباه
وهذا قول الفرا ثم قال والتشديد احسن الوجهين لانك تقول عدلتك
الى كذا اي صرفتك الى كذا ولا يحسن عدلتك فيه ولا صرفتك فيه وفي
القراة الاولى جعل في من قوله في اي صورة للتركيب وهو حسن وفي
القراة الثانية جعل في صلة لقوله فعدلك وهو ضعيف ونقل القفال
عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد قوله في اي صورة يجوز فيه اوجه
احدها ان يتعلق بركبك وما مزيدة على هذا وشاءك صفة لصورة ولم

يعطف ركبك على ما قبله بالفا كما عطف ما قبله بها لانه بيان
لقوله فعدلك والتقدير فعدلك ركبك في اي صورة من الصور
العجيبة الحسنة التي نشاها سبحانه وتعالى والمعنى وضعك
في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة
وانوثة الثاني ان يتعلق بمحذوف على انه حال اي ركبك
حاصلا في بعض الصور الثالث انه يتعلق بعدلك نقله ابو حيان
عن بعض المتاولين ولم يعترض عليه وهو معترض بان في اي معنى
الاستفهام فلها صدر الكلام فكيف يعمل فيها ما تقدمها وكان
الزمخشري استشعر هذا فقال ويكون في اي معنى التعجب اي
فعدلك في صورة عجيبة وهذا لا يحسن ان يكون مجوزا التقدم العامل
على اسم الاستفهام وان دخله معنى التعجب الا ترى كيف واي وان
دخلهما معنى التعجب لا يتقدم عاملهما عليهما وقد اختلف النحويون
في اسم الاستفهام اذا قصد به الاستئناف هل يجوز تقديم عامله
ام لا والصحيح انه لا يجوز ولذلك لا يجوز ان يتقدم عامل كم الخبرية
عليها لشبهها في اللفظ بالاستفهامية فهذا اولى على تعلقها بعدلك
تكون ما منصوبة على المصدر وقال ابو البقا يجوز ان تكون ما
زايدة وان تكون شرطية وعلى الامرين الجملة نعت لصورة والعايد
محذوف اي ركبك عليها وفي تتعلق بركبك وقيل لا موضع للجملة
لان في تتعلق باحد الفعلين يعني شا وركبك فيحصل في ما ثلاثة
اوجه الزيادة وكونها شرطية وحينئذ جوابها محذوف والنصب
على المصدرية اي واقعة موقع مصدر **قوله** كلا بل تكذبون
بالدين العامة على تكذبون خطابا والحسن وابو جعفر وشيبة بتا
الغيبة قال ابن الخطيب لما بين بالدلايل العقلية صحة القول
بالبعث والنشور على الجملة فرع عليها شرح تفاصيل الاحوال
المتعلقة بذلك وهي انواع الاول انه تعالى زجرهم عن ذلك الاغترار
بقوله كلا وبل حرف وضع في اللغة لنفي شي قد تقدم وتحقيق غيره
فلاجرم ذكروا في تفسير كلا وجوها الاول قال القاضي معناه انكم
لا تستقيمون على توجيه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون بيوم
الدين الثاني كلا ارتدع اي لا ترتدعوا عن اغتراركم بالله تعالى كانه
قال وانهم لا يرتدعون عن ذلك بل يكذبون بالدين الثالث قال
القفال كلا ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور لان ذلك
يوجب ان الله تعالى خلق الخلق عبثا وحاشاه من ذلك ثم كانه قال
انهم لا ينتفعون بهذا البيان بل يكذبون بالدين وقال ابن الخطيب
كما عرفت به والمراد بالدين الجزا على الدين والاسلام وقيل المراد من الدين
الحساب اي تكذبون بيوم الحساب النوع الثاني **قوله** وان
عليكم لحافظين يجوز ان تكون الجملة حالا من فاعل تكذبون والحالة
هذه ويجوز ان تكون مستانفة اخبرهم بذلك لينزجروا والمراد
بالحافظين الرقباء من الملايكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما على الله
كاتبين وان تكون مستانفة قال ابن الخطيب والمعنى التعجب من حالهم
كانه تعالى قال انكم تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزا وملايكة
الله تعالى موكلون بكم يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيمة ونظيره
قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
فصل

فصل قال ابن الخطيب من الناس من طعن في حضور الكرام
الكاتبين من وجوه الاول لو كان الحفظة وصحفهم واقلامهم معنا
ونحن لا نراهم لجاز ان يكون بحضرتنا جبال واشخاص لا نراها وذلك
دخول في الجهالات والثاني هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفايدة
فهو عبث وهو غير جايز على الله تعالى وان كان لفايدة فلا بد وان
يكون للعبد لان الله تعالى متعال عن النفع والضر وعن تطرق
النسيان اليه وغاية ذلك انه حجة على الناس وتشديد على الناس
عليهم لاقامة الحجة لكن هذا ضعيف لان من علم ان الله تعالى لا يجور
ولا يظلم لا يحتاج في حقه الى اثبات هذه الحجة لاحتمال انه تعالى
امرهم بذلك لطفا الثالث ان افعال القلوب غير مرئية فهي
من باب المغيبات والله تعالى مختص بعلم الغيب فلا يكتبونها
والا لم تقتض كتبتها والجواب عن الاول ان البنية عندنا ليست
شرطا في قبول الحياة ولان عند سلامة الاعضا وحصول جميع
الشرايط لا يجب الادراك فيجوز على الاول ان يكونوا اجراما
لطيفة بمرئية ويبقى حياتها ذلك وعلى الثاني يجوز ان يكونوا
اجراما كثيفة ونحن لا نراهم وعن الثاني ان الله تعالى اجرى اموره
على عباده على ما يتعارفونه في الدنيا فيما بينهم لان ذلك ابلغ في
تقرير المعنى عندهم في اخراج كتاب وشهود في الزام الحجة كما تشهد
العدول عند الحاكم على العصاة وعن الثالث ان ذلك مخصوص
بافعال الجوارح فهو عام مخصوص وفي مدح الحفظة ووصفهم بهذه
الصفات تعظيم امر الجزا وانه من جلايل الامور **فصل** هذا
الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على
عموم هذا الحكم في حق المكلفين وقوله لحافظين جمع يحتمل ان يكونوا
حافظين بجميع بني ادم من غير ان يختص واحد من الملايكة بواحد
من بني ادم ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملايكة
كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة
فصل اختلفوا في الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان امرهم
ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل
بل عليهم حفظة لقوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين
واما من اوتي كتابه بشماله واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر
ان لهم كتابا وعليهم حفظة فان قيل اي شي يكتب الذي عن يمينه
ولا حسنة له فالجواب ان الذي عن شماله يكتب باذن صاحبه
ويكون صاحبه شاهدا على ذلك وان لم يكتب **فصل** سئل
سفيان كيف تعرف الملايكة ان العبد قد هم بمعصية او بحسنة
قال اذا هم العبد بحسنة وجد منه ريح المسك وان هم بسيئة
وجد منه ريح منتن **فصل** دلت هذه الاية على ان الشاهد
لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملايكة بكونهم حافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون فدل على انهم يكونوا عالمين بها حتى انهم يكتبونها
فاذا كتبوها يكونوا عالمين عند ادا الشهادة قال الجبلي لا يخفى عليهم
شي من اعمالكم وقيل يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم به انفسكم
قوله ان الابرار لفي نعيم الابرار الذين بروا وصدقوا في ايمانهم
باداء فرايض الله تعالى واجتناب معاصيه **فصل** لما وصف تعالى
الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين فقال

تعالى ان الابرار لفي نعيم وهو نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم وهو
النار وهذا تهديد عظيم للعصاة وهذا التقسيم لقوله تعالى
فريق في الجنة وفريق في السعير **قوله** يصلونها يجوز فيه
ان يكون حالا من الضمير في الجار لوقوعه خبرا وان يكون مستانفا
وقرأ العامة يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وتقدم مثله ومعنى
يصلونها يوم الدين يدخلونها يوم القيمة وما هم عنها بغائبين
اي ليسوا غائبين عن استحقاق الكون في الجحيم ثم عظم ذلك اليوم
فقال وما ادراك ما يوم الدين ثم كرره تعجيبا لشانه فقال
ثم ما ادراك ما يوم الدين قال ابن عباس كل ما في القرآن من قوله
وما ادراك فقد ادراه وكل شي من قوله وما يدريك فقد طوي
عنه **قوله** يوم لا تملك قرأ ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على
انه خبر مبتدا مضمر اي هو يوم وجوز الزمخشري ان تكون بدلا
مما قبله يعني قوله يوم الدين وقرأ عمرو في رواية يوم مرفوعا
منونا على قطعه عن الاضافة وجعل الجملة نعتا له والعايد محذوف
اي لا يملك فيه وقرأ الباقون بالفتح فقيل هو فتحة اعراب ونصبه
باضمار اعني او يتجاوزون او باضمار اذكر فيكون مفعولا به وعلى
راي الكوفيين يكون خبر المبتدا مضمر وانما بني لاضافته للفعل
وان كان معربا كقوله تعالى هذا يوم ينفع قال الزجاج يجوز ان يكون
في موضع رفع الا انه يبنى على الفتح لاضافته الى قوله تعالى لا تملك
وما اضيف الى غير المتمكن فقد يبنى على الفتح وان كان في موضع
رفع او جر كما قال لم يمنع الشرب منهم غير ان نطقت حمامة
قال الواحدي والذي ذكره الزجاج من البنا على الفتح انما يجوز عند
الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضي نحو قوله
على حين عاتبت البيت اما مع الفعل المستقبل فلا يجوز البنا
عندهم ويجوز البنا في قول الكوفيين قال ابن الخطيب وذكر ابو علي
انه منصوب على الظرفية لان اليوم لما جرى في اكثر الامر ظرفا ترك
على حالة الاكثرية والدليل عليه اجماع القرا في قوله تعالى منهم
الصالحون ومنهم دون ذلك ولا يدفع ذلك احد ومما يقوي
النصب قوله تعالى وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس
وقوله تعالى يسالون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون
والنصب في يوم لا يملك مثل هذا **فصل** تمسكوا بهذه
الاية في نفي الشفاعة للعصاة وهو قوله تعالى يوم لا تجزي نفس
عن نفس وقد تقدم الجواب عنه في سورة البقرة قال مقاتل يعني
لنفس كافرة شيا من المنفعة والامر يومئذ لله اي لم يملك
الله تعالى في ذلك اليوم احدا شيا كما ملكهم في الدنيا روى الثعلبي
عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم من قرا اذا السما انفطرت اعطاه
الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ما حسنة
واصلح الله تعالى له شانه

سورة المطففين مدنية

في قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهي اول سورة
نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان
ايات وهي قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخرها مكي وقال الكلبي

وجابر

وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وقال ابن مسعود والضحاك
مكية وهي ست وثلاثون اية ومائة وتسعة وستون كلمة وسبع
مائة وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ويل للمطففين
ويل ابتدا وسوغ الابتدا به كونه دعا ولو نصب لجاز وقال مكي والمختار
في ويل وشبهه اذا كان غير مضاف الرفع ويجوز النصب فان كان
مضافا او معرفا كان الاختيار فيه النصب نحو ويلكم لا تفتروا وللمطففين
خبره والمطفف المنقص وحقيقته الاخذ في كيل او وزن شيا طفيفا
اي نزرا حقيرا ومنه قولهم دون الطفيف اي الشي التافه لقلته وقال
الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان الا الشي اليسير الطفيف
فصل قال ابن الخطيب اتصال اول هذه السورة المتقدمة انه
تعالى بين في اخر تلك السورة ان من صفة يوم القيمة انه لا يملك نفس لنفس
شيا والامر يومئذ لله وذلك يقتضي تهديدا عظيما للعصاة فلهذا
اتبعه بقوله تعالى ويل للمطففين والمراد منه الزجر عن التطفيف
البخس في المكيال والميزان على سبيل الحقية واعلم ان الويل كلمة تذكر
عند وقوع البلا يقال ويل لك وويل عليك وفي اشتقاق لفظ التطفيف
قولان الاول قول الزجاج المتقدم والثاني ان طف الشي هو جانبه
وحرفه يقال طف الوادي والانا اذا بلغ الشي الذي فيه حرفه ولم يمتلي
فهو طفافه وطففه يقال هذا طف المكيال وطفافه اذا قارب ملاه
لكنه بعد لم يمتلي ولهذا قيل للذي ينقص الكيل ولا يفيه مطفف لانه انما
يبلغ الطفاف روى ابن عباس رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين
فاحسنوا الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال
خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما
انزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهر فيهم الفاحشة الا ظهر فيهم الموت
ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة
الا حبس عنهم المطر وقال السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان كيل يكيل باحد
ويكيل بالاخر فانزل الله تعالى هذه الاية روي عن ابن عمر رضي الله عنه سما
قال المطفف الرجل يستاجر المكيال وهو يعلم انه يحيف في كيله فوزره
عليه **قوله** على الناس فيه اوجه احدها انه متعلق باكتالوا وعلى
ومن يتعاقبان هنا قال الفرا يقال اكتلت على الناس استوفيت منهم
واكتلت منهم اخذت ما عليهم وقيل على بمعنى اكتلت ومن بمعنى والاول
اصح وقيل على يتعلق بيستوفون قال الزمخشري لما كان اكتيالهم
لا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك
ويجوز ان يتعلق بيستوفون وقدم المفعول على الفعل لافادة
الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون
لها وهو حسن **قوله** واذا كالوهم او وزنوهم رسمتا في
المصحف بغير الف بعد الواو في الفعلين فمن ثم اختلف الناس
فيهم على وجهين احدهما هو ضمير نصب فيكون مفعولا به ويعود
على الناس وواو اكالوا الناس وعلى هذا فالاصل في هذين الفعلين
التعدي لاثنين لاحدهما بنفسه بلا خلاف وللاخر بحرف الجر ويجوز حذفه
وهل كل منها اصل بنفسه او احدهما اصل للاخر فيه خلاف والتقدير
واذا كالوا لهم طعاما او وزنوا لهم فحذف الحرف والمفعول للسرح

وانشد * ولقد جنيتك اكماء وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر
اي جنيت لك * والثاني انه ضمير رفع موكد للواو والضمير عايد على
المطففين ويكون على هذا قد حذف المكيل والمكيل له والموزون له
الا ان الزمخشري رد هذا فقال ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا
للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا
اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم خسروا * فان جعلت الضمير
للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس واذا تولوا الوزن
هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل
لا في المباشر * قال ابو حيان ولا تنافر بوجه ولا فرق بين ان يوكد الضمير
او لا يوكد والحديث واقع في الفعل غاية ما في هذا ان متعلق الاستيفا
وهو على الناس مذكور وهو في كالوهم او وزنوهم محذوف للعلم
به لانه من المعلوم انهم لا يخسرون ذلك لانفسهم قال شهاب الدين
الزمخشري يريد ان يحافظ على ان المعنى مرتبط بشيئين اذا اخذوا من
غيرهم واذا اعطوا غيرهم وهذا انما يتم على تقدير ان يكون الضمير
منصوبا عايدا على الناس لا على كونه ضمير رفع عايد على المطففين
ولا شك ان هذا المعنى الذي ذكره الزمخشري واراده اتم واحسن
من المعنى الثاني ورجح الاول سقوط الالف بعد الواو لانه دال
على اتصال الضمير الا ان الزمخشري استدرك فقال والتعلق في ابطاله
بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة على ان فيه
دليل لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط
على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الايمة المتقنين هذه الالف
مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها
معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها
في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف
في التفرقة بينهما * وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما يرتكبان ذلك
اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواو وقيفة يبينان
بها ما ارادوا ولم يذكر فعل الوزن اي لم يقل اقتصر على الكيل فقال
اذا اكتالوا ولم يقل او اتزنوا كما قال كالوهم او وزنوهم * قال ابن الخطيب
لان الكيل والوزن بهما البيع والشرا فاحدهما يدل على الاخر وقال
الزمخشري كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا
بالمكيال دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفا والسرقة
لانهم يدعدعون ويحتالون في الملا واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم
من البخس في النوعين جميعا * قوله يخسرون جواب اذا وهو يتعدى
بالهمزة يقال خسر الرجل واخسرته انا فمفعوله محذوف اي يخسرون
الناس متاعهم * قال المورج يخسرون اي ينقصون بلغة فارس
فصل قال الزجاج المعنى اذا اكتالوا من الناس يستوفوا
عليهم الكيل اي اذا استوفوا لانفسهم استوفوا في الكيل والوزن
واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم اي للناس
ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا فيه اضرارهم وتحامل عليهم
اقيم على مقام من للدلالة على ذلك * وقال الكسائي والفراء حذف
الجار واوصل الفعل وهذا من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم يقال
وزنتك حقك وكلتك طعامك اي وزنت لك وكلت لك كما يقال
نصحتك ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك * وقال الفرا كالوا

من الناس

من الناس وعلى ومن يتعاقبان لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك
فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فهو كقولك
استوفيت منك * وقيل على حذف مضاف اي اذا كالوا مكيلهم او
وزنوا لهم موزونهم * قوله الا يظن الظاهر انها الا التحضيضية
حضهم على ذلك ويكون الظن بمعنى اليقين * وقيل لا النافية دخلت
عليها همزة الاستفهام ومعنى الاية الا يستيقن اوليك الذين
يفعلون ذلك بانهم مبعوثون ليوم عظيم وهو يوم القيمة وفي
الظن هنا قولان احدهما ان المراد به العلم على هذا التقدير يحتمل
ان يكون المخاطبون بهذا الخطاب من جملة المصدقين بالبعث
ويحتمل الا يكونوا كذلك لتمكنهم من الاستدلال عليه بالعقل الثاني
ان المراد بالظن هنا هو الظن نفسه لا العلم ويكون المعنى هولا
المطففين هب انهم لا يجزمون بالبعث ولكن لا اقل من الظن لوضوح
ادلته فان الاليق بحكمة الله تعالى ورحمته ورعاية مصالح خلقه
ان لا يهمل امرهم بعد الموت وان يكون لهم حشر ونشر وان هذا الظن
كاف في الزجر عن الحيف * قوله يوم يقوم الناس منصوب بمبعوثون * قال
الزمخشري او بيبعثون مقدرا او على البدل من محل ليوم او باضمار
اعني او هو مرفوع المحل خبر لمبتدا مضمر او مجرور بدلا من ليوم
عظيم وانما بني في هذين الوجهين على الفتح لاضافته للفعل وان
كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويدل على صحة هذين الوجهين
قراءة زيد بن علي يوم يقوم بالرفع وما حكاه ابو معاذ القاري يوم
بالجر على ما تقدم * فصل قيام الناس لرب العالمين اما للحساب
واما قيامهم من القبور وقال ابو مسلم قيامهم له عبارة عن طاعتهم
له وانقيادهم كقوله تعالى والامر يوميذ لله * وفي الحديث
ان الناس يقومون مقدار ثلثماية سنة لا يومر فيهم بامر * وعن
ابن عباس وهو في حق المومنين كقدر انصرافهم من الصلوة وفي هذه
الايات مبالغات منها ان الويل انما يذكر عند شدة البلا ومنها
الانكار بقوله تعالى الا يظن اوليك * ومنها استعظامه تعالى اليوم
ومنها تاكيده بما بعده وما يوهم ذلك ويقتضيه من خضوعهم
وذلتهم وفي هذا نكتة وهي كانه قال لا يتولد هذا التشديد العظيم
والوعيد البليغ كيف يكون على التطفيف مع يسارته وزهادته
وكرم المولى واحسانه فاشار بقوله رب العالمين الى انه مربيهم
ومتولي امورهم فلا يليق به ان يهمل من امورهم شيا * فصل
قال القشيري لفظ المطفف يشتمل على التطفيف في الوزن والكيل
وفي اظهار العيب واخفايه وفي طلب الانصاف والانتصاف * وقال
من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف والمباشرة
والصحبة من هذه المادة والذي يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه
من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما
يطلبه * قوله كلا ان كتاب الفجار كلا حرف ردع اي ليس الامر
على ما هم عليه فليرتدعوا وهنا تم الكلام * وقال الحسن كلا ابتدا
يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار الذي كتب فيه اعمالهم
لفي سجين اختلفوا في نون سجين فقيل هي اصلية واشتقاقه من السجن
وهو الحبس وهو بنا مبالغة فعيل من السجن والتضييق كسكير من السكر
وفسيق من الفسق وهو قول ابي عبيدة والمبرد والزجاج * قال الواحدي

وهذا ضعيف لان العرب ما كانت تعرف سجينا • وقيل النون بدل
من اللام والاصل سجيل مشتقا من السجل وهو الكتاب واختلفوا
فيه ايضا هل هو اسم موضع او اسم كتاب مخصوص • وقيل هو صفة
او علم منقول من وصف كخاتم وهو مصروف اذ ليس فيه الا سبب واحد
وهو العلمية واذا كان اسم مكان فقوله تعالى كتاب مرقوم اما بدل
منه او خبر لمبتدا محذوف وهو ضمير يعود عليه وعلى التقديرين فهو
مشكل لان الكتاب ليس هو المكان فقيل التقدير هو محل كتاب ثم حذف
المضاف وقيل التقدير وما ادراك ما كتاب سجين والحذف اما من الاول
واما من الثاني • واما اذا قلنا انه اسم لكتاب فلا اشكال • وقال ابن
عطية من قال ان سجينا موضع فكتاب مرفوع على انه خبر ان والظرف
الذي هو لفي سجين ملغى • ومن جعله عبارة عن الخسار فكتاب خبر مبتدا
محذوف التقدير هو كتاب ويكون هذا الكلام مفسرا لسجين ما هو
انتهى وهذا لا يصح لبيته اذ دخول اللام يعين كونه خبرا فلا يكون
ملغى لا يقال اللام تدخل على معمول الخبر فهذا منه فيكون ملغا لانه لو
فرض الخبر وكان وهو كتاب عاملا او صفة عاملة وهو مرقوم لا
يمنع ذلك اذا ما امتنع على كتاب فلانه موصوف والمصدر الموصوف
لا يعمل • واما امتناع عمل مرقوم فلانه صفة ومعمول الصفة لا تتقدم
على موصوفها • وايضا فاللام انما تدخل على معمول الخبر بشرطه وهذا
ليس معمولا للخبر فيتعين ان يكون الجار هو الخبر وليس ملغى • واما
قوله ثانيا ويكون هذا الكلام تفسيرا لسجين ما هو فهو مشكل لان
الكتاب ليس هو الخسار الذي جعل الضمير عائدا عليه مخبرا عنه
بكتاب • وقال الزمخشري فان قلت قد اخبر الله تعالى عن كتاب
الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان
كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه • قلت سجين كتاب جامع هو
ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مسطور من الكتابة او
معلم يعلم من راه انه لا خير فيه • والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار
مثبت في ذلك الديوان ويسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس
والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم انتهى • فصل
قال عبد الله بن عمرو وقتادة ومجاهد والضحاك سجين هي الارض
السابعة السفلى فيها ارواح الكفار • وروى البراء قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين • وعليين
في السما السابعة تحت العرش • وقال الكلبي في صخرة تحت الارض
السابعة • وقال عكرمة لفي سجين لفي خسار وضلال • قال القشيري بل
سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هولا فلا يظهر بل
يكون في ذلك الموضع كالمسجون • قوله وما ادراك ما سجين
اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك • قال القرطبي وليس
في قوله تعالى وما ادراك ما سجين ما يدل على ان لفظ سجين ليس
عربيا كما لا يدل قوله وما ادراك ما القارعة بل هو تعظيم لامر
سجين وقد تقدم • قوله كتاب مرقوم قال المفسرون ليس
هذا تفسيرا لسجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله ان كتاب
الفجار اي هو كتاب مرقوم اي مكتوب فيه اعمالهم مثبتة
كالرقم لا يبلى ولا يمحى حتى يجازى به والرقم الخط • قال

سائر الناس



سأرهقهم في الماء العذاب الاليم • على بعدكم ان كان للماء راقم •
وقيل الرقم الختم بلغة حمير وتقدمت هذه المادة في سورة الكهف •
وقال قتادة ومقاتل رقم بشر كانه اعلم بعلامة انه كافر • قوله ويل
يومئذ للمكذبين قيل انه متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
لمن كذب باخبار الله تعالى • وقيل ان قوله مرقوم معناه مرقم برقم يدل
على الشقاوة يوم القيامة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين في ذلك اليوم من ذلك
الكتاب ثم انه تعالى اخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين فقال تعالى
وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
قوله تعالى الذين يكذبون يجوز فيه الاتباع نعتا وبدلا وبيانا والقطع
رفعا ونصبا • واعلم انه تعالى وصف المكذب بيوم الدين بثلاث
صفات اولها كونه معتديا والاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق وثانيها
الاثيم وهو المبالغة في ارتكاب الاثم والمعاصي • وثالثها اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين والمراد الذين ينكرون النبوة والمراد
بالاساطير قيل اكاذيب الاولين وقيل اخبار الاولين • قوله اذا
تتلى عليه العامة على الخبر والحسن ابدا على الاستفهام الانكاري والعامة
تتلى بتاءين من فوق وابو حيان وابن مقسم بالياء من تحت لان التانيث
مجازي • فصل قال الكلبي المراد بالمكذب هنا هو الوليد بن المغيرة
وقيل هو النضر بن الحرث وقيل عام في كل موصوف بهذه الصفة • قوله
كلا ردع وزجر اي ليس هو اساطير الاولين • وقال الحسن معناها حقا ران
على قلوبهم وقال مقاتل معناه لا يومنون ثم استانف بل ران على
قلوبهم قد تقدم وقف حفص على لام بل في سورة الكهف والران الغشاوة
على القلب كالصدى على الشي الصقيل من سيف ومراة ونحوهما قال الشاعر
وكم ران من ذنب على قلب فاجر • فتاب من الذنب الذي ران وانجلا •
واصل الرين الغلبة • ومنه رانت الخمر على عقل شاربها • وقال الزمخشري
يقال ران عليه الذنب وغان رينا وغينا والغين الغيم والغين ايضا
شجر ملتف الواحدة غيناء اي خضراء كثيرة الورق ملتفة الاغصان ويقال
ران رينا ورينا مجيء مصدره مفتوح العين وساكنها • وقرا حمزة والكسائي
والاعمش وابو بكر والمفضل ران بالامالة لان فا الفعل را وعينه الف
منقلبة عن يا فحسنت الامالة • ومن فتح فعلى الاصل مثل كان وباع •
فصل قال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب
والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع
وهو ان يقفل على القلب قال تعالى ام على قلوب اقفالها • قال الزجاج ران
على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم • قال الحسن ومجاهد هو الذنب على الذنب
حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشى فيموت القلب • قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياكم والمحقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب
يوقد على صاحبه جحيما ضخمة • وروي عنه صلى الله عليه وسلم ان المومن اذا اذنب
كانت نكتة سودا في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فاذا
زادت حتى تغلق قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون • قوله ما كانوا هو الفاعل وما يحتمل
ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي والعائد محذوف وامليت
الف ران وفخمت فامالها الاخوين وابو بكر وفخمها الباقون وادغم لام بل
في الرا واظهرت • قوله كلا انهم • قال الزمخشري كلا ردع عن الكسب الراين
عن قلوبهم • وقال القفال ان الله تعالى حكى في ساير السور عن هذا المعتدي الاثيم

انه كان يقول ان كانت الاخرة حقا فان الله تعالى يعطيه مالا وولدا ثم كذبه
الله تعالى بقوله اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا • وقال ايضا وما اظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلما تكرر ذكره في القران
ترك الله ذكره هنا • وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي ليس الامر
كما تقولون من ان لهم في الاخرة الحسنى بل هم يومئذ لمحجوبون وقيل قوله تعالى كلا
تكرير وتكون كلا هذه هي المذكورة في قوله كلا بل ران على قلوبهم قوله عن ربهم
متعلق بالخبر وكذلك يومئذ والتنوين عوض عن جملة تقديرها يوم اذ يقوم
الناس لا تعلق لها بسبب الا تقديرها فصل قال اكثر المفسرين
محجوبون عن رؤيته وهذا يدل على ان المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى ولولا
ذلك لم يكن للتخصيص فائدة • وايضا فانه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض
الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله
للمؤمنين • واجاب المعتزلة عن هذا بوجوه • احدها قال الجبائي المراد انهم
محجوبون عن رحمة ربهم ممنوعون كما تحجب الام بالاخوة من الثلث الى السدس
ومن ذلك يقال لمن منع من الدخول حاجب • وثانيها قال ابو مسلم محجوبون عن
... والحجاب الرد وهو ضد القبول فالمعنى انهم غير مقبولين عند الرؤية
انه تعالى يحجب عن الامر والا كان قدره عن بعد بل يجب ان يحمل على المنع من
رحمته • وثالثها قال الزمخشري كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم
لانه لا يؤذن على الملوك الا المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا المهانون عندهم والجواب
ان الحجب في استعماله مشترك في المنع فيكون حقيقة فيه ومنع العبد بالنسبة
الى الله تعالى اما عن العلم واما عن الرؤية والاول باطل لان الكفار يعلمون الله
تعالى فوجب حمله على الرؤية • واما الوجوه المذكورة فهو عدول عن الظاهر من غير
دليل • ويؤيد ما قلنا اقوال السلف من المفسرين • قال مقاتل بل لا يرون ربهم بعد
الحساب والمؤمنون يرون ربهم • وقال الكلبي محجوبون عن رؤية ربهم والمؤمن
لا يحجب • وسئل مالك بن انس رضي الله عنه عن هذه الاية فقال لما حجب الله تعالى
اعداءه فلم يروه ولا بد ان يتجلى لاوليائه حتى يروه وعنه رحمه الله كما حجب قوما
بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى قوله ثم انهم لصالوا الجحيم اي ان الكفار
مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار ثم يقال لهم الخزنة هذا اي
هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون وقوله يقال يجوز ان يكون القائم مقام الفاعل
ما دلت عليه جملة قوله هذا الذي كنتم ويجوز ان يكون الجملة نفسها ويجوز ان
تكون المصدرية وقد تقدم تحريره اول البقرة قوله كلا ان كتاب الابرار
لما ذكر تعالى حال الكفار والمطففين اتبعه بذكر الابرار الذين لا يطففون تعالى
كلا اي ليس الامر كما توهمه اولئك الفجار من انكار البعث ومن ان كتاب الله اساطير
الاولين بل كتابهم في سجين وكتاب الابرار لفي عليين وقيل معناه حقا والوقف
وقال مقاتل كلا اي لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه قوله لفي عليين هو جمع
وقال ابن عطية هنا كما قال هناك ويرد عليه ما تقدم وعليون جمع علي وهو
اسم مكان في اعلا الجنة وجرى مجرى العقلاء فرفع بالواو ونصب وجر بالياء مع فوات
شرط العقل • وقال ابو البقاء واحدهم علي وهو الملك • وقيل هو صفة الجمع مثل
عشرين ثم ذكر نحوا مما ذكره في سجين من الحذف المتقدم • وقال الزمخشري عليون
علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع
علي فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع واما لانه
مرفوع في السماء السابعة • وتلك الاقوال الماضية في سجين كلها عائدة هنا • وروي
عن ابن عباس رضي الله عنه انها السماء السابعة • وقال مقاتل وقتادة هي [illegible] سدرة
المنتهى • وقال الفراء يعني ارتفاعا بعد ارتفاع لا غاية له • وقال الزجاج اعلا الامكنة

وقال آخرون

وقال آخرون هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقال آخرون
عند كتاب اعمال الملائكة لقوله تعالى وما ادراك ما عليون وذلك
تنبيه على انه معلوم وانه سيعرفه ثم قال تعالى مرقوم يشهده
المقربون فبين ان كتابهم في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده
المقربون من الملائكة فكانه تعالى كما وكلهم باللوح المحفوظ فكذلك
وكلهم بحفظ كتب الابرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو ام الكتاب
على وجه الاعظام له ولا يمتنع ان الحفظة اذا صعدت بكتب الابرار
بانهم يسلمونها الى هؤلاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون كتب
انفسهم او ينقلون ما في تلك الصحائف الى ذلك الكتاب الذي وكلوا
بحفظه ويصير علمهم شهادة لهؤلاء الابرار فلذلك يحاسبون
حسابا يسيرا • وقيل المعنى ارتفاع بعد ارتفاع • وقال ابو مسلم هذا
كناية عن العلو والرفعة والاول كناية عن الذل والاهانة • وقال
ابن عباس رضي الله عنه عليون لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت
العرش اعمالهم مكتوبة فيه • وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش
اليمنى • وقال ابن عباس هو الجنة • وقال الضحاك سدرة المنتهى
وقوله تعالى كتاب مرقوم ليس فيه تفسير عليين اي مكتوب اعمالهم
كما تقدم في كتاب الفجار وقيل كتب هناك ما اعد الله لهم من الكرامة
قوله يشهده جملة يجوز ان يكون صفة ثانية وان يكون مستانفة
والمعنى ان الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك
المكتوب وذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين قوله ان
الابرار لفي نعيم لما عظم كتابهم عظم منزلتهم بانهم في النعيم ثم
بين ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله تعالى على الارائك ينظرون
قال القفال الارائك الاسرة في الحجال ولا تسمى اريكة فيما زعموا
الا اذا كان كذلك • وعن الحسن رضي الله عنه كنا لا ندري ما الاريكة
حتى لقينا رجل من اهل اليمن اخبرنا ان عندهم ذلك وقوله ينظرون
قيل الى انواع نعيمهم من الحور والولدان والاطعمة والاشربة والملابس
والمراكب وغيرها • وقال مقاتل ينظرون الى عدوهم حين يعذبون
وقيل اذا اشتهوا شيئا نظروا اليه فيحضرهم ذلك الشيء في الحال والاولى
يحمل على الكل • قال ابن الخطيب انهم ينظرون الى ربهم بدليل قوله
تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم قوله تعرف العامة على
اسناد الفعل الى المخاطب اي تعرف انت يا محمد او كل من فتح المعرفة
وقرا ابو جعفر وابن ابي اسحق وشيبة وطلحة ويعقوب والزعفراني
تعرف مبنيا للمفعول نضرة بالرفع على قيامها مقام الفاعل • وعلي
ابن زيد كذلك الا انه بالياء لان التانيث مجازي • والمعنى اذا
رايتهم عرفت انهم من اهل النعيم لما ترى في وجوههم من النور والحسن
والبياض • وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب قوله
يسقون من رحيق • قال الليث الرحيق الخمر وقيل الخمر الصافية
الطيبة • وقال مقاتل الخمر البيضاء • وقال ابن الخطيب لعله الخمر
الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول قوله مختوم اي ختم ومنع
من ان يمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار • وقال القفال يحتمل ان
يكون ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم
ما يكرم ويصان وهناك خمر اخرى تجري انهارا لقوله وانهار من خمر
لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري • وقال ابو عبيدة
والمبرد والزجاج المختوم الذي اي عاقبته • وروى عبد الله

عن ربهم صح

ابن مسعود المختوم اشرف من الجاري الممزوج ختامه اي اخر طعمه وعاقبته
مسك وختم كل شيء الفراغ منه • ومنه يقال ختمت القرآن والاعمال بخواتيمها
ويؤيده قراءة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه واختاره الكسائي فانه قرأ
خاتمه مسك اي اخره كما يقال خاتم النبيين ومعناه واحد • قال الفراء
وهما يتقاربان في المعنى الا ان الخاتم اسم والختام مصدر كقولهم هو كريم
الطباع والطابع والختام والخاتم • وقال قتادة يمزج لهم بالكافور
ويختم لهم بالمسك • وقال مجاهد المختوم مطين قوله ختامه اي
طينه مسك • قال ابن زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين
وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء بعد الالف والباقون بتقديمها
على الالف فوجه قراءة الكسائي انه جعله اسما لما يختم به الكاس بدليل
قوله مختوم ثم بين الخاتم ما هو وروي عن الكسائي ايضا كسر التاء
فيكون كقوله تعالى وخاتم النبيين والمعنى خاتم رائحته مسك • ووجه
قراءة الجماعة ان الختام هو الطين الذي يختم به الشيء فجعله بدله المسك
قال الشاعر •

كان مشعشعا من خمر بصرى • نمته البخت مسدود الختام •

وقيل خلطه وما زجه • وقيل خاتمته اي مقطع شربه يجد الانسان فيه
ريح المسك قيل سمي المسك مسكا لان الغزال تمسكه في سرته والماسكة
التحمل وحبس المال يقال رجل مسيك لبخله ومسيك ماله والمسك الجلد
لامساكه ما فيه • والماسكة التي اخطات حافظتها فاصابت من مسكها
غير موضع الختان • والمسكة سوار من قرن او عاج لتماسكه • والمسكة
بضم الميم الشيء القليل ما له مسكة عقل قوله وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون التنافس المغالبة في الشيء النفيس يقال نفست به
نفاسة اي بخلت به والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين
يريد ان يستاثر به • قال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي تحرص
عليه نفوس الناس ويريده كل واحد لنفسه وينفس به على غيره
والمعنى وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقال
مجاهد فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون ونحوه
وقال عطا فليستبق المستبقون • وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع
المتنازعون قوله ومزاجه من تسنيم التسنيم علم لعين في الجنة
قال الزمخشري التسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو
مصدر سنمه اذا رفعه قال شهاب الدين وفيه نظر لانه كان من حقه
ان يمنع الصرف للعلمية والتانيث وان كان مجازيا ولا يقدح في ذلك كونه مذكر
الاصل لان العبرة بحال العلمية الا ترى انهم نصوا على انه لو سمي بزيد امراة
وجب المنع وان كان في هند وجهان الا ان يقال ذهب بها مذهب
النهر ونحوه فيكون كواسط ودابق • فصل التسنيم شراب ينصب
عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم • وقيل يجري في الهوى مسنما فينصب في اوانيهم
فيملاها • قال قتادة واصل الكلمة من العلو يقال للشيء المرتفع سنام ومنه
سنام البعير وتسنمت الحائط اذا علوته • وقال الضحاك هو شراب اسمه
تسنيم وهو اشرف • قال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين
يشربونها ويمزج لسائر اهل الجنة وهو قوله تعالى ومزاجه من تسنيم عينا
يشرب بها المقربون • وعن ابن عباس انه سئل عن قوله تعالى من تسنيم قال
هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قوله عينا
نصبه اوجه احدها انه حال قاله الزجاج يعني من تسنيم لانه علم لشيء بعينه

الاية

الا انه يشكل بكونه جامدا الثاني انه منصوب على المدح قاله الزمخشري
الثالث انها منصوبة بيسقون مقدرا قاله الاخفش • وقوله
يشرب بها اي منها والباء زائدة او ضمن يشرب بمعنى يروى وتقدم
هذا مشبعا في هل اتى • قال البغوي لتقدير يشرب بها المقربون
صرفا قوله ان الذين اجرموا اي اشركوا يعني كفار قريش ابا جهل
والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل من مترفي مكة كانوا من الذين
امنوا عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المومنين
يضحكون استهزاء بهم وقوله من الذين امنوا متعلق بيضحكون اي
من اجلهم وقدم لاجل الفواصل قوله واذا مروا بهم يعني المومنين
بالكفار يتغامزون والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون
اليهم بالاعين استهزاء وقيل الغمز بمعنى العيب يقال غمزه اي عابه
وما في فلان غميزة اي ما يعاب به قوله واذا انقلبوا يعني الكفار
الى اهلهم انقلبوا فاكهين معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم بالسوء
وقرا حفص فكهين دون الف والباقون بها فقيل هما بمعنى وقيل فكهين
فرحين فاكهين ناعمين وقيل فاكهين اصحاب فاكهة ومزاح قوله
واذا راوهم يجوز ان يكون المرفوع للكفار والمنصوب للمومنين اي ان
الكفار واذا راوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان هولاء لضالون
اي ياتون محمدا المختار يرون انهم على شيء اي هم في ضلال بتركهم التنعم
الحاضر بسبب ثواب لا يدري هل له وجود ام لا ويجوز العكس وكذلك
الضمائر في ارسلوا عليهم والمعنى وما ارسلوا يعني المشركين عليهم يعني
المومنين حافظين عليهم يحفظون اعمالهم لم يوكلوا بحفظ
اعمالهم قوله فاليوم الذين امنوا فاليوم منصوب بيضحكون
ولا يضر تقديمه على المبتدا لانه لو تقدم العامل هنا لجاز اذ لا لبس بخلاف
زيد قام في الدار لا يجوز في الدار زيد قام ومعنى فاليوم يعني الاخرة يضحك
المومنون من الكافرين • وفي سبب هذا الضحك وجوه منها ان الكفار
كانوا يضحكون على المومنين في الدنيا بسبب ما هم من الضر والبؤس
وفي الاخرة يضحك المومنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من انواع
العذاب والبلاء • ومنها انهم علموا انهم كانوا في الدنيا على غير شيء وانهم
باعوا الباقي بالفاني • ومنها انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم
المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد • ومنها انهم دخلوا الجنة
فاجلسوا على الارائك ينظرون الى الكفار كيف يعذبون في النار ويرفعون
اصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا • ومنها قال ابو صالح يقال
لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم ابوابها فاذا راوها وقد فتحت
ابوابها اقبلوا اليها يريدون الخروج والمومنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا
الى ابوابها غلقت دونهم فذلك سبب الضحك قوله على الارائك ينظرون
الجار متعلق بينظرون وينظرون حال من يضحكون اي يضحكون ناظرين
اليهم والى ما هم فيه من الهوان قوله هل ثوب يجوز ان تكون الجملة
الاستفهامية معلقة للنظر فتكون في محل نصب بعد اسقاط الخافض
بينظرون وقيل استئناف لا موضع له ويجوز ان يكون على اضمار القول اي
يقولون هل ثوب ومعنى ثوب اي جوزي يقال ثوبه واثابه قال

سأجزيك او يجزيك عني مثوب • وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي •

ويدغم ابو عمرو والكسائي وحمزة لام هل في الثاء • وقوله ما كانوا فيه حذف
اي ثواب ما كانوا وما موصول اسمي او حرفي • قال المبرد ثوب فعل من الثواب

وهو ما ثوب يرجع على فاعله جزاء ما عمله من خير او شر والثواب
يستعمل في المكافاة بالشر وانشد ابو عبيدة ·
· الا ابلغ ابا حسن رسولا · فمالك لا تجي الى الثواب ·
و ثوب واثاب بمعنى واحد والاولى ان يحمل على سبيل التهكم كقوله
ذق انك انت العزيز الكريم كانه تعالى يقول للمؤمنين هل جازينا
هولا الكفار على استهزائهم بطريقتكم كما جازيناكم على اعمالكم الصالحة
فيكون هذا القول زايدا في سرورهم والله اعلم · روى الثعلبي
عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم من قرا سورة المطففين سقاه الله
من الرحيق المختوم يوم القيمة ·

سورة الانشقاق مكية

وهي ثلاث وعشرون اية ومائة وسبع كلمات واربع مائة وثلاثون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السما انشقت
كقوله تعالى اذا الشمس كورت في اضمار الفعل وقد مر وفي اذا هذه
احتمالات · احدها ان تكون شرطية · والثاني ان تكون غير شرطية
فعلى الاول في جوابها خمسة اوجه · احدها انها اذنت والواو
مزيدة · قال ابن الانباري وهذا غلط لان العرب لا تقحم
الواو الا مع حتى اذا كقوله تعالى حتى اذا ما جاوها وفتحت ابوابها
او مع لما كقوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اي ناديناه
والواو لا تقحم مع غير هذين · الثاني انه ملاقيه اي فانت ملاقيه
واليه ذهب الاخفش · والثالث انه يا ايها الانسان على حذف
الفا · الرابع انه يا ايها الانسان ايضا ولكن على اضمار القول
اي يقال يا ايها الانسان · الخامس انه مقدر تقديره يبعثهم وقيل
تقديره لاقى كل انسان كدحه وهو قول فملاقيه ويكون قوله يا ايها
الانسان معترض كقولك اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى
عند ذلك ما عملت من خير او شر · ونقل القرطبي عن المبرد انه قال
فيه تقديم وتاخير اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
اذا السما انشقت · وقيل هو ما صرح في سورة التكوير والانفطار
وهو قوله تعالى علمت نفس قاله الزمخشري وهو حسن · ونقل ابن الخطيب
عن الكسائي انه قال ان الجواب في قوله واما من اوتي كتابه
واعترض في الكلام على قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
والمعنى اذا انشقت السما كان كذا وكذا اخذ او في كتابه بيمينه
فهو كذا ومن اوتي كتابه وراظهره فهو كذا · ونظيره قوله تعالى فاما
ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف · قال النحاس وهذا
ما قيل فيه واحسنه · وعلى الاحتمال الثاني فيها وجهان احدهما انها
منصوبة مفعولا بها باضمار واذكروا · والثاني انها مبتدا وخبرها اذا
الثانية والواو مزيدة تقديره وقت انشقاق السما وقت مد الارض
اي يقع الامران في وقت قاله الاخفش ايضا والعامل فيها اذا كانت ظرفا
عند الجمهور جوابها اما الملفوظ به واما المقدر · وقال مكي وقيل العامل
انشقت · وقال ابن عطية كال بعض النحاة العامل انشقت وابا ذلك
كثير من ائمتهم لان اذا مضافة الى انشقت ومن يجيز ذلك تضعف عنده
الاضافة ويقوى معنى الجزا · وقرا العامة انشقت بتا التانيث ساكنة
وكذا ما بعده · وقرا ابو عمرو في رواية عبيد بن عقيل باشمام الكسر في الوقف

خاصة وفي الوصل بالسكون المحض · قال ابو الفضل وهذا من التغيرات
التي تلحق الروي في القوافي وفي هذا الاشمام بيان ان هذه التا من علامة
تانيث الفعل للاناث وليست مما ينقلب في الاسما فصار ذلك فارقا
بين الاسم والفعل فيمن وقف على ما في الاسما بالتا وذلك لغة طي وقد
حمل في المصاحف بعض التا ات على ذلك · وقال ابن عطية وقرا ابو عمرو
انشقت يقف على التا كانه يشمها شيا من الجر وكذلك في اخواتها
قال ابو حاتم سمعت اعرابيا فصيحا في بلاد قيس يكسر هذه التا ات
وقال ابن خالويه انشقت يكسر التا عبيد عن ابي عمرو · وقال
شهاب الدين كانه يريد اتمام الكسر وانه في الوقف دون الوصل لانه
مطلق وغيره مقيد والمقيد يقضي على المطلق · وقال ابو حيان وذلك
ان الفواصل تجري مجرى القوافي فكما ان هذه التا تكسر في القوافي تكسر
في الفواصل · ومثال كسرها في القوافي قول كثير عزه ·
· وما انا بالداعي لعزة بالردي · ولا شامت ان نعل عزه زلت ·
وكذلك في القصيدة واجرى الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيع
معروف كقوله تعالى الظنونا والرسولا في سورة الاحزاب وحمل الوصل
على الوقف موجود ايضا فصل انشقاق السما من علامات
القيمة وقد تقدم شرحه · وعن علي رضي الله عنه انها تنشق من المجرة
وقال المجرة باب السما قوله واذنت عطف على انشقت وقد
تقدم انه جواب على زيادة الواو ومعنى واذنت اي استمعت امره
يقال اذنت لك اي استمعت لك · وفي الحديث ما اذن الله لشي كاذنه
لنبي يتغنى بالقران · وانشد ابو عبيدة والمبرد والزجاج قول قعنب ·
· صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به · وان ذكرت بسو عندهم اذنوا ·
وقال اخر ·
· ان ياذنوا ريبة طاروا بها فرحا · وما هم اذنوا من صالح دفنوا ·
وقال الجحاف بن حكيم · اذنت لكم لما سمعت هديركم · ومعنى
الاستماع ههنا انه لم يوجد في جرم السما ما يمنع من تاثير قدرة الله
تعالى في حقها وتفريق اجزائها فكانها في قبول ذلك التاثير كالعبد
الطايع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت واذعن
ولم يمتنع كقوله تعالى قالتا اتينا طايعين وذلك يدل على نفوذ
القدرة في الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا قاله ابن الخطيب
قوله وحقت الفاعل في الاصل هو الله تعالى اي حق الله تعالى عليها
وذلك ان يسمعه وطاعته يقال هو حقيق بكذا وتحقق والمعنى
وحق لها ان تفعل · قال الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع
وقال ابن الخطيب هو من قولك محقوق بكذا وحقيق به وهي حقيقة
بان تنقاد ولا تمتنع قوله واذا الارض مدت مد الاديم العكاظي
وقيل مدت بمعنى امدت وزيد في سعتها · وقال مقاتل رضي الله عنه
سويت كمد الاديم فلا يبقى فيها بناء ولا جبل كقوله تعالى ويسلونك
عن الجبال الاية قوله والقت ما فيها اي اخرجت ما فيها من الموتى
والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت اي خلت منه
ولم يبق في بطنها شي وذلك يوذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في
بطنها عند الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا والا فالتحقيق
ان الله هو المخرج لتلك الاشيا من بطن الارض قوله واذنت
لربها وحقت تقدم تفسيره وهذا ليس بتكرار لان الاول في السما

وَهذا في الارض **قوله** يا ايها الانسان انك كادح قيل المراد جنس
الانسان كقوله يا ايها الرجل فكانه خطاب خص به كل واحد من الناس
قال القفال وهو ابلغ من العموم لانه قايم مقام التخصيص على
مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام • وقيل المراد
رجل منهم بعينه فقيل هو محمد عليه الصلوة والسلام والمعنى انك
تكدح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد عباده وتحمل الضرر
من الكفار فابشر فانك تلقى الله بهذا العمل • وقال ابن عباس هو
ابي بن خلف وكدحه هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذا
الرسول عليه الصلوة والسلام والاصرار على الكفر **فصل**
الكدح قال الزمخشري جهد النفس والكد فيه حتى يوثر فيها
• ومنه كدح جلده اذا اخدشه • ومعنى كادح اي جاهد الى
لقاء ربك وهو الموت • وقال ابن مقبل
• وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح •
وقال اخر •
• وقد مضت بشاشة كل عيش صالح • وبقيت اكدح للحياة وانصب •
وقال الراغب وقد يستعمل الكدح استعمال الكدم بالاسنان
وقال الخليل الكدح دون الكدم **فصل** معنى كادح الى ربك
اي ساع اليه في عملك والكدح عمل الانسان وجهده في الخير والشر
قال قتادة والكلبي والضحاك عامل لربك عملا • وقوله تعالى الى ربك
اي الى لقاء ربك وهو الموت اي هذا الكدح يستمر الى هذا الزمن • وقال
القفال تقديره انك كادح في دنياك كدحا تصير به الى ربك **قوله**
فملاقيه يجوز ان يكون عطفا على كادح والتسبب فيه ظاهر
ويجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي فانت ملاقيه وقد تقدم انه يجوز
وان يكون جوابا للشرط • وقال ابن عطية فالفا على هذا عاطفة جملة
الكلام على التي قبلها والتقدير فانت ملاقيه يعني بمنزلة على هذا
اي على عود الضمير على كدحك • قال ابو حيان ولا يتعين ما قاله بل يجوز
ان يكون من عطف المفردات • والضمير في فملاقيه اما للرب اي ملاقي
حكمه لا مفر لك منه كاله الزجاج • واما الكدح الا ان الكدح عمل وهو
عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فالمراد جزا كدحك • وقال ابن الخطيب
المراد ملاقات الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال ويتاكد هذا
بعده فاما من اوتي كتابه بيمينه **قوله** فاما من اوتي
بيمينه اي ديوان اعماله بيمينه فسوف يحاسب حسابا
سوف من الله واجب كقول القايل اتبعني فسوف تجد خير
لا يريد الشك وانما يريد تحقيق الكلام والحساب اليسير هو
اعماله فيثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية ولا يقال لم فعلت
هذا ولا يطالب بالحجة عليه قال صلى الله عليه وسلم من حوسب عذب
قالت عايشة رضي الله عنها اوليس يقول تعالى فسوف يحاسب
حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب
قوله وينقلب الى اهله في الجنة من الحور العين والادميات
والذريات اذا كانوا مومنين قال ابن الخطيب فان قيل المحاسبة
انما تكون بين اثنين وليس في القيمة لاحد مطالبة قبل ربه فيحاسب
فالجواب ان العبد يقول الهي فعلت الطاعة الفلانية والرب سبحانه
وتعالى يقول فعلت المعصية الفلانية فكان ذلك من الرب سبحانه

وتعالى

وتعالى ومن العبد محاسبة والدليل عليه انه تعالى خص الكفار بانه
لا يكلمهم فدل ذلك على انه يكلم المطيعين فتلك المكالمة محاسبة
فصل مسرورا من فاعل ينقلب وقرا زيد بن علي ويُقلَب
مبنيا للمفعول من قلبه ثلاثيا **قوله** واما من اوتي كتابه
وراء ظهره قيل نزلت في الاسود بن عبد الاسود وقاله ابن عباس
وقيل عامة • قال الكلبي لان يمينه مغلولة الى عنقه وتجعل يده
ممدودة وراء ظهره • وقيل تحول وجهه الى قفاه فيقرا كتابه كذلك
وقيل يوتى كتابه بشماله من ورايه لانه اذا حاول اخذه بيمينه
كالمومنين منع من ذلك واوتي كتابه بشماله فكيف قال هنا
واما من اوتي كتابه وراء ظهره • فالجواب انه يوتى كتابه بشماله
وقال هنا من وراء ظهره
بنادي بالويل والثبور الهلاك اذا قرا كتابه يقول يا ويلاه
يا ثبوراه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا **قوله** قوله فسوف يدعو ثبورا **قوله** ويصلى سعيرا
قرا ابو عمرو وحمزة وعاصم بفتح اليا وسكون الصاد وتخفيف
اللام والباقون بضم اليا وفتح اللام والتثقيل وقد تقدم
تخريج القراتين في سورة النسا عند قوله تعالى وسيصلون
سعيرا وقرا ابو الاشهب ونافع وعاصم وابو عمرو في رواية عنهم
يصلى بضم اليا وسكون الصاد من اصلا **قوله** انه كان في اهله
مسرورا • قال القفال منعما مستريحا من التعب باداء العبادات
واحتمال مشقة الفرايض من الصلوة والجهاد معتمدا على المعاصي
امنا من الحساب والعذاب والعقاب لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه
فابدله الله بذلك السرور غما باقيا لا ينقطع • وقيل ان قوله
انه كان في اهله مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا
فاكهين اي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر بانه
والتكذيب بالبعث يضحك ممن امن بالله وصدق بالحساب
كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر **قوله**
انه ظن ان لن يحور معنى يحور اي يرجع يقال حار يحور حورا قال لبيد
• وما المرء الا كالشهاب وضوئه • يحور رمادا بعد اذ هو ساطع •
ويستعمل بمعنى صار فيرفع الاسم وينصب الخبر عند بعضهم مستدلا
بهذا البيت وموضع نصب رمادا على الحال • وقال الراغب الحور
تردد في الامر ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التردد
بعد المضي فيه ومحاورة الكلام مراجعته والمحور العود الذي
تثنى المبكرة لتردده عليه • والمحار المرجع والمصير • وعن ابن
عباس رضي الله عنه ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابيا
يقول لابنته حوري اي ارجعي • وقال عكرمة وداود بن ابي هند
يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع • قال القرطبي ويجوز ان يتفق
الكلمتان بانها كلمة اشتقاق • ومنه الخبز الحوراي لانه يرجع الى
البياض والحور ايضا الهلاك قال الراجز •
• في بير لا حور سرى وما شعر • وقوله تعالى ان لن هذه ان المخففة
كالتي في اول سورة القيمة وهي سادة مسد المفعولين او احدهما
على الخلاف • وقوله بلى جواب للنفي في لن واوجب ما بعدها والمعنى
انه ظن ان لن يرجع الينا ولن يبعث ثم قال بلى اي ليس كما ظن
بل يحور الينا اي يبعث ان ربه كان به بصيرا بما سبق عليه في ام

الكتاب من الشقاوة **قوله** فلا اقسم اي فاقسم ولا صلة بالشفق
اي بالحمرة التي تكون عند غروب الشمس حتى ياتي صلوة العشا الاخرة
قال الراغب الشفق هو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند
غروب الشمس والاشفاق عناية مختلطة بخوف لان المشفق يحب
المشفق عليه ويخاف ما يلحقه فاذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه
اظهر واذا عدي بعلى فمعنى العناية فيه اظهر وقال الازهري الشفق
الحمرة التي ترى في الغرب بعد سقوط الشمس وسقوطه بخروج وقت
المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلما الا ما روي عن ابي حنيفة
في احدى الروايتين انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه
سمي شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه انتهى
والشفق شفقان الشفق الاحمر والاخر الابيض والشفقة والشفق
اسمان للاشفاق وقال الشاعر

تهوى حياتي واهوى موتها شفقا ... والموت اكرم نزال على الحرم

تقدم اختلاف العلما في القسم بهذه الاشيا هل هو قسم بها او بخالقها
وان المتكلمين ذهبوا الى ان القسم واقع برب الشفق وان كان
محذوفا لان ذلك معلوم من حيث ورود الحظر بان يقسم بغير الله
تعالى واعلم ان الصحيح في الشفق انه الحمرة لان اكثر الصحابة
والتابعين والفقها عليه وشواهد كلام العرب والاشتقاق
والسنة تشهد له قال الفرا سمعت بعض العرب يقول الثوب
مصبوغ احمر كانه الشفق قال الشاعر احمر اللون كمحمر الشفق
وقال اخر

قم يا غلام اعني غير مرتبك ... على الزمان بكاس حشوها شفق

ويقال للمغرة الشفق وفي الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها
في اول الليل الى قريب من العتمة وقال الخليل الشفق الحمرة من غروب
الشمس الى وقت العشا الاخرة اذا ذهب قيل غاب الشفق واصل
الكلمة من رقة الشي يقال شي شفق اي لا تماسك له لرقته واشفق
عليه اي رق عليه والشفقة الاسم من الاشفاق وهو رقة القلب
وكذلك الشفق فكانت تلك الرقة من ضوء الشمس وزعم الحكما
ان البياض لا يغيب اصلا وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية
فرمقت البياض فرايته يتردد من افق الى افق ولم اره يغيب
وقال ابن ابي اويس رايته يتمادى الى طلوع الفجر وكلما يتحدد
وقته سقط اعتباره وروى النعمان بن بشير قال انا اعلمكم
بوقت صلوة العشا الاخرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها
لسقوط القمر لثالثة وهذا تحديد وقال مجاهد الشفق النهار
كله لانه عطف عليه الليل وما وسق فوجب ان يكون الاول هو
النهار وعلى هذا يكون القسم واقعا بالليل والنهار اللذين احدهما
معاش والثاني سكن والشفق ايضا الردي من الاشيا يقال
عطا مشفق اي مقلل قال الكميت

ملك اعز من الملوك تحلبت ... للسايلين يداه غير مشفق

قوله والليل وما وسق اي جمع وضم ولف ومنه الوسق وهو
الطعام المجتمع الذي يكال ويوزن وهو ستون صاعا ثم صار اسما اي
واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت والراعي وسقها اي
جمعها قال الشاعر

اذ لنا

ان لنا قلايصا حقايقا ... مستوسقات لو يجدن سايقا

والوسق بالكسر الاسم وبالفتح المصدر وطعام موسق اي مجموع ويقال
وسقه فاتسق واستوسق ونظيره في وقوع افتعل واستفعل
مطاوعين اتسع واستوسع ومنه قولهم ... وقيل وسق
اي عمل فيه قال

ويوما ترانا صالحين وتارة ... يقوم بنا كالواسق المتلبس

قال عكرمة رضي الله عنه وما وسق اي وما ساق من شي الى حيث ياوي
فالوسق بمعنى الطرد ومنه قيل للطريدة من الابل والغنم والحمر
وسيقة وعن ابن عباس رضي الله عنه وما وسق اي وما جن واستتر
وعنه ايضا وما حمل ووسقت الناقة تسق وسقا اي حملت
واغلقت رحمها على الما فهي ناقة واسق ونوق وساق مثل نايم
ونيام وصاحب وصحاب ومواسيق ايضا واوسقت البعير
حملته حمله واوسقت كثر حملها وقال يمان والضحاك ومقاتل
ابن سليمان حمله من الظلمة وقال مقاتل حمل من الكواكب وقال
ابن جبير وما وسق اي وما حمل فيه من التهجد والاستغفار
بالاسحار **قوله** والقمر اذا اتسق اي امتلا قال الفرا وهو
امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعل من الوسق وهو
الضم والجمع كما تقدم وامر فلان متسق اي مجتمع على ما يسر من
الصلاح منتظم ويقال اتسق الشي اذا تتابع وقال ابن عباس
رضي الله عنه اذا اتسق اي استوى واجتمع وتكامل وتم واستدار
قوله لتركبن طبقا عن طبق هذا جواب القسم وقرا الاخوان
وابن كثير وابو عمرو وابن مسعود وابن عباس وابو العالية ومسروق
وابو وايل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن جبير بفتح البا على خطاب
الواحد والباقون بضمها على خطاب الجمع فالقراة الاولى روعي
فيها اما خطاب الانسان المتقدم ذكره في قوله تعالى يا ايها الانسان
واما خطاب غيره فقيل خطاب للرسول عليه الصلوة والسلام
اي لتركبن يا محمد مع الكفار وجهادهم او لتبدلن انصارا مسلمين
من قولهم الناس طبقات ولتركبن سما بعد سما ودرجة بعد درجة
ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل الى التانيث
والفعل مسند الى ضمير السما قال ابن مسعود لتركبن السما حالا بعد
حال يكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتنشق والقراة الثانية
روعي فيها معنى الانسان اذ المراد به الجنس اي لتركبن ايها الانسان
حالا بعد حال من كونه نطفة ثم مضغة ثم حيا ثم ميتا وغنيا
وفقيرا واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان المعني بالناس
اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكره قبل هذه الاية فيمن
يوتى كتابه بيمينه ومن يوتى كتابه وراء ظهره وقوله بعد ذلك
فما لهم لا يومنون اي لتركبن حالا بعد حال من شدايد يوم القيمة
او لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف للانبيا
وقال مقاتل يعني الموت ثم الحياة وعن ابن عباس يعني الشدايد
والاهوال ثم البعث ثم العرض وقال عكرمة رضيع ثم فطيم
ثم غلام ثم شاب ثم شيخ قال ابن الخطيب ويصلح ان يكون
هذا خطابا للمسلمين بتعريف نقل احوالهم بنصرهم ومصيرهم
الى الظفر بعدوهم بعد شدة يلقونها منهم كما قال تعالى لتبلون



في اموالكم وانفسكم وقرأ عمر ليركبن بيا الغيبة وفتح البا اي ليركبن
الانسان وقيل ليركبن القمر احوالا من اسرار واستهلال وابدار
وقرأ عبد الله وابن عباس ليركبن بكسر حرف المضارعة وقد
تقدم في الفاتحة وقرأ بعضهم بفتح حرف المضارعة وكسر البا
على اسناد الفعل للنفس اي لتركبن انت يا نفس قوله طبقا
مفعول به او حال والطبق قال الزمخشري ما طابق غيره يقال
ما هذا بطبق كذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطا الطبق واطباق
الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه
قوله تعالى طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة
لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة
من قولهم على طبقات ومنه طبقات الظهر لفقاره الواحدة طبقة
على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع
من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة انتهى وقيل
المعنى لتركبن هذه الاحوال امة بعد امة ومنه قول العباس
فيه صلى الله عليه وسلم تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا
طبق يريد عالما اخر فعلى هذا التفسير يكون طبقا حالا لا مفعولا به
كانه قيل امة بعد امة واما قول الاقرع
اني امرؤ قد حلبت الدهر اشطره وساقني طبقا منه الى طبق
فيحتمل الامرين اي ساقني من حالة الى اخرى او ساقني من امة ناس
الى امة ناس اخرين ويكون نصب طبقا على المعنيين على التشبيه
بالظرف او الحال اي منتقلا والطبق ايضا ما طابق الشي اي
ساواه ومنه دلالة المطابقة وقال امرؤ القيس ديمة هطلا
والطبق من الجراد اي جماعة قوله عن طبق في عن وجهان
احدهما انها في محل نصب نعتا لطبقا والثاني
انها صفة لطبقا قال الزمخشري فان قلت ما محل عن طبق
قلت النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق
او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق
او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراة وقال ابو البقا وعن بمعنى بعد قال
ما زلت اقطع منهلا عن منهل حتى انخت بباب عبد الواحد
لان الانسان اذا صار من شي الى شي يكون الثاني بعد الاول
فصلحت بعد وعن للمجاورة والصحيح انها على بابها وهي صفة
اي طبقا حاصلا عن طبق اي حالا عن حال وقيل جيلا عن جيل
انتهى يعني الخلاف المتقدم في الطبق ما المراد به هل هو الحال او
الجيل او الامة كما تقدم نقله وحينئذ فلا يعرب طبقا مفعولا به
بل حالا كما تقدم لكنه لم يذكر في طبق غير المفعول به وفيه نظر لما
تقدم من استحالته معنى اذ يصير التقدير لتركبن طبقة امة من
امة فتكون الامة مركوبة لهم وان كان يصح على تاويل بعيد جدا
وهو حذف مضاف اي لتركبن سنن او طريقة طبق بعد طبق
فصل هذا ادل دليل على حدوث العالم واثبات الصانع
قالت الحكما من كان اليوم على حالة فليعلم ان تدبيره الى سواه
وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل على ان لهذا العالم صانعا فقال
تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المنية ونسخ العزيمة
قوله فما لهم لا يؤمنون يعني اي شي يمنعهم من الايمان بعد ما وضحت
لهم الايات والدلالات وهذا استفهام انكار وقيل تعجب اي اعجبوا

منهم

منهم في ترك الايمان مع هذه الايات وقوله تعالى لا يؤمنون حال
قال ابن الخطيب فما لهم لا يؤمنون بالبعث والقيمة وهو استفهام
انكار وانما يحسن عند ظهور الحجة وذلك انه تعالى اقسم بتغييرات
واقعة في الافلاك والعناصر فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو
ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق
فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغيير الحيوانات من اليقظة
الى النوم وكذا قوله تعالى والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول
كمال القمر بعد نقصانه ثم انه تعالى اقسم بهذه الاحوال المتغيرة
على تغيير احوال الخلق وهذا يدل قطعا على صحة القول بالبعث
لان القادر على تغيير الاحوال العلوية والسفلية من حال الى حال
بحسب المصالح لا بد وان يكون قادرا ومن كان كذلك لا محالة قادر
على البعث والقيمة فلما كانت هذه الاية كالدلالة العقلية القاطعة
بصحة البعث لا جرم قال تعالى على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون
فصل قال القرطبي لا يجوز ان يقول الحكيم لمن كان عاجزا عن
الايمان فما لهم لا يؤمنون وهذا يدل على كونهم قادرين وهذا يقتضي
ان تكون الاستطاعة قبل الفعل وان يكونوا موجدين لافعالهم
وان لا يكون تعالى خالقا للكفر فيهم فهذه الاية من المحكمات التي لا احتمال
فيها البتة وجوابه تقدم قوله واذا قرئ شرط جوابه لا يسجدون
اي لا يصلون قاله ابن عباس والحسن وعطا والكلبي ومقاتل وقال
ابو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقيل المراد نفس السجود
لما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سجد فيها وقال ابن مالك انها ليست من عزايم السجود لان المعنى
لا يذعنون ولا يطيعون قوله بل الذين كفروا يكذبون
العامة على ضم اليا من يكذبون وفتح الكاف وتشديد الذال والضحاك
وابن ابي عبلة بالفتح والاسكان والتخفيف وتقدمت هاتان
القراتان اول البقرة والمعنى يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم
وما جا به قال مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم
اثنان منهم وقيل هو في جميع الكفار قوله والله اعلم بما
يوعون هذه هي العامة من اوعى يوعي اي بما يضمرون في انفسهم من
التكذيب رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد يكتمون
من افعالهم وقال ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة ماخوذ
من الوعا الذي يجمع فيه يقال اوعيت الزاد اذا جعلته في وعا
وقال الشاعر الخير ابقى وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد
وقرا ابو رجا بما يعون من وعى يعي يقال وعاه اذا حفظه يقال
وعيت الحديث اعيه وعيا واذن واعية وقد تقدم قوله
فبشرهم بعذاب اليم اي مولم في جهنم على تكذيبهم وكفرهم اي اجعل
ذلك بمنزلة البشارة قوله الا الذين امنوا يجوز ان يكون متصلا
وان يكون منقطعا هذا اذا كانت الجملة من قوله لهم اجر مستانفة او
حالية اما اذا كان الموصول مبتدا والجملة خبره فالاستثنا من قبيل
استثنا المفردات ويكون من قسم المنقطع اي لكن الذين امنوا لهم حكمت
وكيت وتقدم معنى الممنون في حم السجدة وان معناه غير منقوص
ولا مقطوع يقال مننت الحبل اذا قطعته وسال نافع بن الازرق
ابن عباس رضي الله عنه عن قوله لهم اجر غير ممنون فقال غير مقطوع

فقلت هل تعرف ذلك العرب فقال نعم قد عرفه اخو يشكر حيث
يقول فترى خلفهن من سرعة الرجع منينا كانه اهباء • قال المبرد
المنين الغبار لانه يتقطع وراها وكل ضعيف منين وممنون
وقيل غير ممنون لا من عليهم به • وقال بعضهم ليس هنا استثنا
وانما هو بمعنى الواو وكانه قال والذين امنوا وقد مضى القول
فيه في سورة البقرة والله اعلم • روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا السماء
انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره والله اعلم

سورة البروج مكية

وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وثمانية
وخمسون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء ذات البروج
هذا قسم اقسم الله تعالى به وفي البروج اقوال قيل والسماء ذات النجوم
قاله الحسن ومجاهد وقتادة • وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد
هي قصور في السماء • وقال مجاهد ايضا هي البروج الاثنا عشر وهو قول
ابي عبيدة ويحيى بن سلام وقيل هي منازل القمر قوله واليوم الموعود
وهو يوم القيامة وهذا قسم اخر قال ابن عباس رضي الله عنه وعد
اهل السماء والارض ان يجتمعوا فيه • قال القفال يحتمل ان يكون
المراد باليوم الموعود لانشقاق السماء وبنائها وبطلان بروجها
وقوله تعالى الموعود اي الموعود به • وقال مكي الموعود نعت
لليوم وثم ضمير محذوف الموعود به ولولا ذلك لما صحت الصفة
اذ لا ضمير على الموصوف من صفته انتهى وكانه يعني ان اليوم موعود
به غيره من الناس فلا بد من ضمير يرجع اليه لانه موعود به لا موعود
وهذا موعود وهذا لا يحتاج اليه اذ يجوز ان يكون قد يجوز ان
اليوم قد وعد بكذا فيصح ذلك ويكون فيه ضمير اعايدا عليه
قوله وشاهد ومشهود قال علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة
رضي الله عنهم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو قول
الحسن ورواه ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم
اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد
يوم الجمعة خرجه الترمذي في جامعه • قال القشيري فيوم الجمعة يشهد
على عامله بما يعمل فيه • قال القرطبي وكذلك سائر الايام والليالي
لما روى ابو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على العبد الا ينادى
فيه يا ابن ادم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل
في خيرا اشهد لك فيه غدا فاني لو قد مضيت لم ترني ابدا ويقول
الليل مثل ذلك حديث غريب • وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير
ان الشاهد يوم الاضحى • وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية
والمشهود يوم عرفة • وروي عن علي رضي الله عنه الشاهد يوم عرفة
والمشهود يوم النحر • وعن ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهم
المشهود يوم القيامة كقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم
مشهود • وعلى هذا فقيل الشاهد هو الله تعالى وهو مروي عن ابن
عباس والحسن وسعيد بن جبير لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا وقوله
تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد • وعن ابن عباس رضي
الله عنه

الله عنه الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انا ارسلناك
شاهدا • وقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا • وقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا • وقيل الانبيا
عليهم الصلوة والسلام يشهدون على اممهم لقوله تعالى فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد • وقيل ادم عليه الصلوة والسلام
وقيل عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام لقوله تعالى وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود امته وعن ابن عباس ومحمد
ابن كعب الشاهد الانسان لقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون • وقال الحسين بن الفضل الشاهد
هذه الامة لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا
على الناس • وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو ادم • وقيل
غير ذلك قوله قتل هذا جواب القسم على المختار وانما
حذفت اللام والاصل لقتل كقوله •

حلفت بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال

وانما حسن حذفها للطول كما سياتي ان شا الله تعالى في قوله تعالى
قد افلح من زكاها • وقيل تقديره لقد قتل فحذف اللام وقد
وعلى هذا فقوله خبر لا دعا • وقيل هو دعا فلا يكون جوابا وفي الجواب
حينئذ اوجه • احدها انه قوله تعالى ان الذين فتنوا • الثاني
قوله ان بطش ربك لشديد قاله المبرد • الثالث انه مقدر
قاله الزمخشري ولم يذكر غيره هو محذوف ولم يدل عليه
قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشيا ان كفار
قريش ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود وكانه قيل اقسم لهذه
الاشيا ثم قال قتل دعا عليهم كقوله تعالى قتل الانسان وقيل
التقدير لتبعثن • وقيل فيه تقديم وتاخير اي قتل اصحاب الاخدود
والسماء ذات البروج قاله ابو حاتم قال ابن الانباري وهذا
غلط لانه لا يجوز لقائل ان يقول والله قام زيد على معنى قام زيد
والله • وقرا الحسن وابن مقسم قتل بالتشديد للتكثير مبالغة او
تكثيرا قوله اصحاب الاخدود اي لعن اصحاب الاخدود قال
ابن عباس كل شيء في القران قتل فهو لعن والاخدود الشق العظيم
المستطيل الغامض في الارض • قال الزمخشري والاخدود الخد في الارض
وهو الشق ونحوهما بنا ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت
قوائمه في اخاقيق جرذان انتهى فالخد في الاصل مصدر وقد يقع على
المفعول وهو الشق نفسه واما الاخدود فاسم له فقط وقال
الراغب الخد والاخدود شق في الارض مستطيل غامض واصل ذلك
من خدي الانسان وهما ما اكتنفا الانف عن اليمين والشمال فالخد
يستعار للارض ونحوها كاستعارة الوجه وتخدد اللحم زواله
عن وجه الجسم ثم يعبر بالخد عن المهزول والخداد ميسم في الخد
وقال غيره سمي الخد خدا لان الدموع تخد فيه اخاديد اي مجاري
وجمع الاخدود اخاديد والمخدة لان الخد موضع عليها ويقال
تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح

فصل

هذه السورة نزلت في تثبيت المومنين وتصبيرهم على اذى
المشركين وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على
الايمان حتى يقتدوا بهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة
الامم السالفة وكان من حديث اصحاب الاخدود انه كان لبعض

الملوك ساحرا فلما كبر ضم اليه غلاما يعلمه السحر وكان في طريق
الغلام راهب فمال قلب الغلام الى ذلك الراهب ثم راى في طريقه
ذات يوم حية قد حبست الناس فقال اللهم ان كان هذا
الراهب احب اليك من الساحر فقوني على قتل هذه الحية
واخذ حجرا فرماها به فقتلها فاعرض الغلام عن تعليم السحر
واشتغل بطريقة الراهب ثم صار الى حيث يبرئ الاكمه
والابرص ويشفي من الاذى فاتفق ان عمي جليس للملك واتاه
بهدايا كثيرة وقال له اذا انت شفيتني فهي لك اجمع فقال
الغلام اني لا اشفي احدا انما يشفي الله تعالى فان امنت بالله
دعوت الله تعالى شفاك فامن بالله فشفاه الله تعالى واتاه
فلما راه الملك قال من رد عليك بصرك قال ربي فغضب الملك
فقال او لك رب غيري فعذبه فدل على الغلام فجيء بالغلام فقال
له الملك يا بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل
وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله تعالى فاخذه فلم يزل
يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك
فابى فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتى وقع شقاه • ثم جيء
بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه
فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فان رجع عن دينه والا فاطرحوه
من ذروته فذهبوا به فصعدوا الجبل فقال الغلام اللهم اكفنيهم
بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له
الملك ما فعل باصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه
وقال اذهبوا به في سفينة وتوغلوا به اللجة فان رجع عن دينه والا
فغرقوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفات
بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما
فعل باصحابك فقال كفانيهم الله تعالى وقال للملك لست بقاتلي
حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخلة ثم تاخذ
سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب
الغلام ثم ارم به واضرب فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع
الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته
فوضعه في القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ورماه به فوقع
السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس
امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر
باخاديد في افواه السكك واوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم
طرحه فيها حتى جاءت امراة ومعها صبي فتقاعست ان تقع فيها
فقال لها الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فصبرت [illegible]
وفي رواية ان الدابة التي حبست الناس كانت اسدا وان الغلام
دفن فقيل انه اخرج في زمن عمر رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما
وضعها حين قتل • وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النار ارتفعت
من الاخدود فصارت فوق الملك واصحابه اربعين ذراعا فاحرقتهم
وقال الضحاك هم قوم من النصارى باليمن قبل مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم باربعين سنة اخذهم يوسف بن شراحيل
ابن تبع الحميري وكانوا نيفا وثمانين رجلا وحفر لهم اخدودا واحرقهم
حكاه الماوردي • وروي غير ذلك • قال مقاتل اصحاب الاخدود
ثلاثة واحد بنجران والاخر بفارس وواحد بالشام اما الذي بالشام

فانطيابوس

فانطيابوس الرومي والذي بفارس قرانا وانزل قرانا في الذي كان
بنجران • وقال الكلبي هم نصارى نجران اخذوا بها قوما مومنين فخدوا
لهم سبعة اخاديد كل اخدود اربعين ذراعا وعرضه اثني عشر
ذراعا ثم طرحوا فيه النفط والحطب ثم عرضوهم عليها فمن ابى قذفوه
في النار فصل قال ابن الخطيب يمكن ان يكون المراد باصحاب
الاخدود القاتلين ولكن الاولى ان يكون المراد بهم المقتولين والمشهور
ان المقتولين هم المومنون • وروي ان المقتولين هم الجبابرة •
روي انهم لما القوا المومنين في النار عادت النار على الكفار فقتلتهم
ونجى الله تعالى المومنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع
ابن انس والواحدي وتاولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم اي في الاخرة
ولهم عذاب الحريق في الدنيا • فان فسرنا اصحاب الاخدود بالقاتلين
فيكون قوله قتل اصحاب الاخدود دعا عليهم اي لعن اصحاب
الاخدود كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره قتل الخراصون • او
يكون المعنى قتلوا في النار ولما ارادوا قتل المومنين بالنار عادت
النار عليهم فقتلتهم • وان فسرنا اصحاب الاخدود بالمقتولين
كان المعنى ان المومنين قتلوا بالاحراق بالنار فيكون ذلك خبرا
لا دعا فصل المقصود من هذه الاية تثبيت قلوب المومنين
باخبارهم بما كان يلقاه من كان قبلهم من الشدائد وذكر لهم
النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون
من اذى الكفار ليتاسوا بهذا الغلام في صبره على الاذى والصلب
وبذله نفسه في اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه
وكذلك صبر الراهب على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك
اكثر الناس لما امنوا بالله تعالى قوله النار العامة على جرها
وفيها اوجه • احدها انه بدل من الاخدود بدل اشتمال لان الاخدود
مشتملة عليها وحينئذ فلا بد من الضمير فقال البصريون مقدر
تقديره النار • وقال الكوفيون قائمة مقام الضمير تقديره
ناره ثم حذف الضمير وعوض عنه ال وتقدم البحث معهم في ذلك
الثاني انه بدل كل من كل ولا بد حينئذ من حذف مضاف تقديره
اخدود النار • الثالث ان التقدير ذي النار لان الاخدود هو
الشق في الارض حكاه ابو البقاء وهذا ايهم ان النار خفض بالاضافة
لتلك الصفة المحذوفة فلما حذف المضاف قام المضاف اليه
مقامه في الاعراب والنعت المحذوف كان مجرورا • وقوله لان
الاخدود هو الشق تعليل لصحة كونه صاحب نار • الرابع ان
النار خفض على الجوار نقله مكي عن الكوفيين وهذا يقتضي ان النار
كانت مستحقة لغير الجر فعدل عنه الى الجر للجوار والذي يقتضي
الحال انه عدل عن الرفع ويدل على ذلك انه قد قرئ في الشاذ
النار رفعا والرفع على خبر ابتدا مضمر تقديره قتلتهم النار
وقيل بل هي مرفوعة على الفاعلية اي احرقتهم والمراد حينئذ
باصحاب الاخدود المومنون • وقرا العامة الوقود بفتح الواو
والحسن وابو رجا وابو حيوة وعيسى بضمها وتقدمت القراءتان
في اول البقرة قوله اذ هم عليها قعود العامل في اذ قتل
اصحاب الاخدود اي قتلوا وقيل اذكر مقدرا فيكون مفعولا
به • ومعنى قعودهم عليها على ما يقرب منها كما قيل ومنه قول

الاعشى: تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق
وقال القرطبي ومعنى عليها اي عندها وعلى بمعنى عند والضمير في هم يجوز ان يكون للمؤمنين وان يكون للكافرين قوله وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي حضور يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين فمن ابى القوه في النار وقيل على بمعنى مع اي وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود قال ابن الخطيب وعلى بمعنى عند كقوله تعالى ولهم علي ذنب اي عندي وقوله شهود اما حضور قاسية قلوبهم لا يرقون على المؤمنين او وهم يجدون في ذلك لا يخطر ببالهم الا انه حق ويكون المراد وصف المؤمنين بالتصلب في دينهم والثبات عليه وانه لم يؤثر فيهم حضور هؤلاء ولا استحيوا من مخالفتهم واما ان يكون المراد بشهودهم شهادة الدعوى اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بما فعلوا بالمؤمنين واما انهم مشتغلون في فعلهم مستبصرون فيه كما يفعل الشهود ثم لا يرحمونهم مع ذلك قوله وما نقموا العامة على فتح القاف وزيد بن علي وابو حيوة وابن ابي عبلة بكسرها والفصيح الفتح وقد تقدم ذلك في سورة المائدة وبراءة والمعنى ما انكر الملك واصحابه من الذين حرقهم الا ان يؤمنوا اي الا ان صدقوا بالله كقوله

ولا عيب فيها غير شكلة عينها ... كذاك عتاق الطير شكلا عيونها

وكقول ابن الرقيات

ما نقموا من بني امية الا ... انهم يحلمون ان غضبوا

يعني انهم جعلوا احسن الاشيا قبيحا وتقدم الكلام على مثل هذا ايضا في سورة المائدة وقوله تعالى ان يؤمنوا الخ بالفعل المستقبل تنبيها على ان التعذيب انما كان لاجل ايمانهم في المستقبل ولم يعذبوا على ما مضى من الايمان فكانه قيل الا ان يدوموا على ايمانهم والعزيز هو الغالب المنيع الحميد المحمود في كل حال الذي له ملك السموات والارض لا شريك له فيهما والله على كل شيء شهيد اي عالم باعمال خلقه لا يخفى عليه خافية وهذا وعد عظيم للمطيعين ووعيد للمجرمين قوله ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات لما ذكر قصة اصحاب الاخدود اتبعها بما يتفرع من احكام الثواب والعقاب فقال تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي حرقوهم بالنار والعرب يقولون فتن فلان الدرهم اذا ادخله الكور لينظر جودته ودينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان وكذلك الشيطان وورق فتين اي فضة محرقة ويقال للحرة فتين وهي الارض التي تركبها حجارة سود كانما احرقت حجارتها بالنار لسوادها وقال ابن الخطيب يحتمل ان يكون المراد بالذين فتنوا كل من فعل ذلك لان اللفظ عام والحكم عام وقوله تعالى ثم لم يتوبوا اي من قبيح صنيعهم وهذا يدل على انهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بانه تعالى يقبل التوبة فدل على ان توبة القاتل عمدا مقبولة قوله فلهم عذاب جهنم هو خبر ان الذين ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدا من معنى الشرط ولا يضر نسخه بان خلافا للاخفش وارتفاع عذاب يجوز على الفاعلية بالجار قبله لوقوعه خبرا وهو الاحسن وان يرتفع بالابتدا

والمعنى

والمعنى لهم عذاب جهنم لكفرهم وقيل ولهم عذاب الحريق اي ولهم في الآخرة عذاب الحريق والحريق اسم من اسماء جهنم كالسعير والنار دركات وانواع ولها اسما وكانوا يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق والاول عذاب بردها والثاني عذاب حرها قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي هؤلاء الذين امنوا بالله اي صدقوا به وبرسله وعملوا الصالحات لهم جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار لما ذكر تعالى وعيد المجرمين ذكر وعد المؤمنين ذلك الفوز الكبير اي العظيم الذي لا فوز يشبهه وقال ذلك الفوز ولم يقل تلك لان ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول الجنات وتلك اشارة الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لا دخول الجنة قوله ان بطش ربك لشديد اي اخذه الجبابرة والظلمة كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم وقد تقدم ذلك والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف قوله انه هو يبدئ ويعيد يعني الخلق عند اكثر العلما يخلقهم ابتدا ثم يعيدهم عند البعث وروى عكرمة قال عجب الكفار من احياء الله تعالى الاموات وقال ابن عباس رضي الله عنه يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة وهذا اختيار الطبري قوله وهو الغفور الودود الغفور اي الستور لعباده المؤمنين والودود مبالغة في الوداد قال ابن عباس هو المتودد لعباده بالمغفرة وعن المبرد هو الذي لا ولد له وانشد

وراكب في الروع عريانة ... ذلول الجماع لقاحا ودودا

اي لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول كالركوب والحلوب اي يوده عباده الصالحون قوله ذو العرش المجيد قرا الكوفيون الا عاصما المجيد بالجر فيحتمل نعت للعرش وقيل لربك في قوله ان بطش ربك قال مكي وقيل لا يجوز ان يكون نعتا للعرش لانه من صفات الله تعالى وقرا الباقون بالرفع على انه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذو واستدل بعضهم على تعدد الخبر بهذه الاية ومن منع قال لانها في معنى خبر واحد اي جامع بين هذه الاوصاف الشريفة او كل منها خبر لمبتدا مضمر والمجيد هو النهاية في الكرم والفضل والله تبارك وتعالى هو المنعوت بذلك وان كان قد وصف عرشه بالكريم في اخر المؤمنين ومعنى ذو العرش اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه اي ذهب سلطانه قوله فعال لما يريد اي لا يمتنع عليه شيء يريده قال الزمخشري فعال خبر مبتدا محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال الفرا هو رفع على التكرير والاستيناف لانه نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وعن ابي السفر قال دخل ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا الا نأتيك بطبيب قال رضي الله عنه قد راني قالوا فما قال لك قال قال اني فعال لما يريد

فصل

دلت هذه الاية على خلق الافعال لانه تعالى يريد الايمان فوجب ان يكون فاعلا للايمان واذا كان فاعلا للايمان

وجب أن يكون فعالا للكفر ضرورة لأنه لا قائل بالفرق فصل
قال القفال فعال لما يريد أي يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض
عليه ولا يغلبه غالب فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل
أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء
إلى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء فهو يفعل ما
يريد قوله هل أتاك حديث الجنود أي قد أتاك يا محمد
خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم يسليه بذلك ثم بينهم
فقال تعالى فرعون وثمود يجوز أن يكون بدلا من الجنود وحينئذ
فكان ينبغي أن يأتي البدل مطابقا للمبدل منه في الجمعية فقيل
هو على حذف مضاف أي جنود فرعون وقيل المراد فرعون
وقومه واستغنى بذكره عن ذكرهم لأنهم أتباعه ويجوز أن يكون
منصوبا بإضمار أعني لأنه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه
والمعنى أنك قد عرفت ما فعل بهم حين كذبوا أنبياءهم
ورسلهم قوله بل الذين في تكذيب أي من هؤلاء الذين لا
يؤمنون بك في تكذيب لك كدأب الذين من قبلهم وإنما خص
فرعون وثمود لأن ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة
وإن كانوا من المتقدمين وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل
الكتاب وغيرهم وكان من المتأخرين في الهلاك فدل بهما
على أمثالهما والله أعلم قوله والله من ورائهم محيط أي
يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون والمحاط به كالمحصور
وقيل والله عالم بهم فيجازيهم قوله بل هو قرآن مجيد
العامة على تبعية مجيد لقرآن وقرأ ابن السميفع بإضافة قرآن
لمجيد فقيل على حذف مضاف أي قرآن رب مجيد كقوله ولكن الغير
رب غفور أي غفور رب غفور وقيل بل هو من إضافة الموصوف
لصفته فتتحد القراءتان ولكن البصريين لا يجيزون هذا
لئلا يلزم إضافة الشيء إلى نفسه وتبارك ما ورد ومعنى مجيد
أي متناه في الشرف والكرم والبركة وقيل مجيد أي غير مخلوق
قوله في لوح محفوظ قرأ نافع برفع محفوظ نعتا للقرآن والباقون
بالجر نعتا للوح والعامة على فتح اللام وقرأ ابن السميفع وابن
يعمر بضمها قال الزمخشري يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي
فيه اللوح المحفوظ من وصول الشياطين إليه وقال أبو الفضل
اللوح الهواء وتفسير الزمخشري بالمعنى وهو الذي أراده ابن خالويه
قال القرطبي في لوح محفوظ أي مكتوب في لوح وهو محفوظ عند الله
تعالى من وصول الشياطين إليه وقال أبو الفضل اللوح الهوا
وتفسير الزمخشري بالمعنى وهو الذي وقيل هو أم الكتاب
ومنه انتسخ القرآن والكتب وقال بعض المتكلمين اللوح شيء يلوح
للملائكة فيقرءونه وفي الصحاح لاح الشيء يلوح لوحا أي لمح وكل
عظم عريض واللوح الذي يكتب فيه واللوح بالضم الهواء بين السماء
والأرض وأنشد ابن دريد عقاب لوح الجو أعلى سمتها قال
ابن الخطيب قال هاهنا في لوح محفوظ وقال تعالى في إنه لقرآن
لقرآن كريم في كتاب مكنون فيحتمل أن يكون الكتاب المكنون هو
اللوح المحفوظ ثم كونه محفوظا يحتمل أن يكون المراد محفوظا عن أن
يمسه إلا المطهرون ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يتغير ولا يتبدل

العلم

العلم روى الثعلبي عن أبي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم من قرأ سورة والسماء
ذات البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة تكون
في دار الدنيا عشر حسنات والله أعلم

سورة الطارق مكية

وهي سبع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومئتان وإحدى وسبعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء والطارق السماء
قسم والطارق قسم والطارق هو النجم الثاقب كما بينه الله تعالى
بقوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب والطارق في الأصل اسم
فاعل من طرق يطرق طروقا أي جاء ليلا قال امرؤ القيس
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول
وأصله من الضرب والطارق بالحصا الضارب به قال
لعمرك ما تدري الطوارق بالحصا ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع
ثم اتسع فيه فقيل لكل من أتى ليلا طارق سواء كان كوكبا أو غيره ولا يكون
الطارق نهارا وروي أنه صلى الله عليه وسلم نهى أن يأتي الرجل أهله
طروقا وقوله النجم الثاقب قال محمد بن الحسين هو زحل وقال ابن
زيد هو الثريا وعنه أيضا أنه زحل وعن ابن عباس هو الجدي
وعنه أيضا وعن علي بن أبي طالب والفراء النجم الثاقب نجم في
السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فإذا أخذت النجوم
أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة
وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يهبط وفي الصحاح الطارق
النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول هند
نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق وقيل هو اسم جنس فيدخل
فيه سائر الكواكب وسمي ثاقبا لأنه يثقب الظلام بضوئه أي
ينفذ فيه أي يرمى الشيطان به ويحرقه قال الماوردي وأصل الطروق
الدق ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في
الوصول إلى الدق وروي أن أبا طالب أتى النبي صلى الله عليه وسلم
بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلأت الأرض نورا
ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا نجم رمي به وإنه من آيات الله فعجب أبو طالب ونزلت السورة
وقال مجاهد الثاقب المتوهج وقوله تعالى وما أدراك تفخيما لشأن
هذا المقسم به قوله إن كل نفس لما عليها حافظ قد تقدم في
سورة هود التخفيف والتشديد في لما فمن خففها هنا كانت إن
هنا مخففة من الثقيلة وكل مبتدأ واللام فارقة وعليها خبر مقدم وحافظ
مبتدأ مؤخر والجملة خبر كل وما مزيدة بعد اللام ويجوز أن يكون
عليها هو الخبر وحده وحافظ فاعل به وهو أحسن ويجوز أن يكون
كل مبتدأ وحافظ خبره وعليها متعلق به وما مزيدة أيضا هذا كله
تفريع على قول البصريين وقال الكوفيون إن هنا نافية واللام
بمعنى إلا إيجابا بعد النفي وما مزيدة وتقدم الكلام في هذا مستوفى
قال الفارسي ويستعمل بمعنى إلا في موضعين أحدهما هذا والآخر
في باب القسم تقول سألتك لما فعلت وروي عن الأخفش والكسائي
وأبي عبيدة أنهم قالوا لم نجد لما بمعنى إلا في كلام العرب وأما قراءة
التشديد فإن نافية ولما بمعنى إلا وتقدمت شواهد ذلك في سورة

هو. وحكى هارون انه قرئ ان بالتشديد كل بالنصب على انه اسمها
واللام هي الداخلة في الخبر وما مزيدة وحافظ خبرها وعلى كلا هذين
فان وما في خبرها جواب القسم سوا جعلتها مخففة او نافية. وقيل
الجواب انه على رجعه وما بينهما اعتراض وفيه بعد فصل
قال قتادة حافظ اي حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك واجلك
قال تعالى ويرسل عليكم حفظة. وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين. وقال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله. وقيل الحافظ هو الله تعالى. وقيل الحافظ هو العقل يرشد
الانسان الى مصالحه ويكفه عن مضاره. قال القرطبي العقل وغيره وسائط
والحافظ في الحقيقة هو الله تعالى. قال الله تعالى فالله خير حافظا. وقال
تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن. قال ابن الخطيب المعنى لما
كانت كل نفس عليها حافظ وجب ان يجتهد كل احد ويشتغل بالمهم
واهم الاشياء معرفة المبدا والمعاد والمبدا تقدم قوله فلينظر
الانسان اي ابن ادم مم خلق. ووجه الاتصال بما قبله وصية الانسان
بالنظر في اول امره حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه
فليعمل ليوم الاعادة والحشر والجزاء ولا يملي على الحافظ الا ما يسره في
عاقبة امره. وقوله تعالى مم خلق استفهام اي من اي شي خلق وهو
جواب الاستفهام قوله من ماء دافق فاعل بمعنى مفعول
كعكسه في قولهم سر كاتم. وقوله تعالى حجابا مستورا على وجه. وقيل
دافق على النسب اي ذي دفق او اندفاق. وقال ابن عطية يصح ان
يكون الماء دافقا لان بعضه يدفق بعضا اي يدفعه فمنه دافق
ومنه مدفوق انتهى. والدفق الصب فعله متعد. وقرا زيد بن
علي مدفوق وكانه فسر المعنى. قال القرطبي الصب دفق الماء دفقت
الماء ادفقه دفقا اي صببته فهو ماء دافق اي مدفوق كما قال
سر كاتم اي مكتوم لانه من قولك دفق الماء على ما لم يسم فاعله
ولا تقال دفق الماء. ويقال دفق الله روحه اذا دعي عليه بالموت
قال الفراء والاخفش ماء دافق اي مصبوب في الرحم. قال الزجاج
من ماء ذي اندفاق يقال دارع وفارس ونابل بمعنى ذو فرس وذو درع
ونبل وهذا مذهب سيبويه والدافق هو المندفق بشدة قوته
واراد ما بين ماء الرجل وماء المراة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما
ماء واحدا لامتزاجهما. وعن ابن عباس دافق لزج قوله يخرج
من بين الصلب اي هذا الماء من بين الصلب اي الظهر. وقرا العامة يخرج
مبنيا للفاعل وابن ابي عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول. وقرا العامة
واهل مكة الصلب بضم الصاد واللام. وقرا اليماني بفتحهما وتروى
العجاج في صلب مثل العنان المودم. وتقدمت لغاته في سورة النساء
عند قوله تعالى الذين من اصلابكم واعرفها صالب كقول العباس رضي
الله عنه تنقل من صالب الى رحم. والترائب جمع تريبة وهي موضع
القلادة من عظام الصدر لان الولد مخلوق من ماءيهما فماء الرجل في
صلبه وماء المراة في ترائبها وهو معنى قوله تعالى من نطفة امشاج. وقال
امرؤ القيس

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ... ترائبها مصقولة كالسجنجل

وقال اخر

والزعفران على ترائبها ... شرقا به اللبات والنحر

وقال ابو عبيدة

جمع

جمع التريبة ترائب. قال المثقب العبدي

ومن ذهب يسن على تريب ... كلون العاج ليس بذي غضون

وقال الشاعر

اشرقت ثدياها على الترائب

وعن ابن عباس وعكرمة الترائب
ما بين ثدييها. وقيل الترائب التراقي. وقيل اضلاع الرجل التي اسفل
الصلب. وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر
واربعة اضلاع من يسرة الصدر. وعن ابن عباس اطراف المرء يداه
ورجلاه وعيناه وهو قول الضحاك. وقيل عصارة القلب وهو
قول معمر بن ابي حنيفة. قال ابن عطية وفي هذه الاقوال تحكم على
اللغة. وقال سعيد بن جبير هو الجيد. وقال مجاهد هو ما بين المنكبين
والصدر. وعنه الصدر. وقال القرطبي والمشهور من كلام العرب
انها عظام الصدر والنحر. كما في الحديث ان الولد يخلق من ماء الرجل
يخرج من صلبه العظم والعصب. وماء المراة الذي يخرج من ترائبها اللحم
والدم. وحكى القرطبي ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع في الانثيين
وهذا لا يعارض قوله من بين الصلب والترائب لانه ان نزل من الدماغ
فانما يمر بين الصلب والترائب. وقال قتادة المعنى يخرج من صلب
الرجل وترائب المراة. وحكى الفراء ان مثل هذا يأتي عن العرب فيكون معنى
من بين الصلب من الصلب. والمعنى من صلب الرجل وترائب المراة
ثم انا نعلم ان النطفة من جميع اجزاء البدن ولذلك يشبه الرجل
والديه كثيرا وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني وايضا
فالمكثر من الجماع يجد وجعا في صلبه وظهره وليس ذلك الا لخلو صلبه
عما كان محتبسا من الماء. قال المهدوي من جعل المني يخرج من بين صلب
الرجل وترائبه فالضمير في يخرج للماء ومن جعله من صلب الرجل وترائب
المراة فالضمير للانسان قوله انه الضمير للخالق المدلول عليه
بقوله تعالى خلق لانه معلوم ان لا خالق سواه سبحانه قوله
على رجعه في الهاء وجهان احدهما انه ضمير الانسان اي على بعثه
بعد موته وهو قول مجاهد وقتادة والحسن وعكرمة وهو اختيار
الطبري لقوله تعالى يوم تبلى السرائر. والثاني انه ضمير الماء اي يرجع
المني في الاحليل او الصلب قاله الضحاك ومجاهد والاول قول الضحاك
ايضا وعكرمة. وعن الضحاك ايضا ان المعنى انه على رد الانسان
من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر حكاه المهدوي. وفي الماوردي
والثعلبي الى الصبا ومن الصبا الى النطفة. وقال ابن زيد انه على
حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر. وقال الماوردي ويحتمل انه على ان
يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الاخرة لان الكفار يسألون فيها الرجعة
والرجع مصدر رجعت الشيء اي رددته قوله يوم تبلى السرائر
فيه اوجه وقد رتبها ابو البقاء على الخلاف في الضمير فقال على القول بان
يكون الضمير للانسان فيه اوجه احدها انه معمول لقادر الا ان
ابن عطية قال بعد ان حكى اوجها عن النحاة قال وكل هذه الفرق فرت
من ان يكون العامل لقادر لئلا يظهر من ذلك تخصيص القدرة في ذلك
اليوم وحده. ثم قال واذا تؤمل المعنى وما تقتضيه فصاحة كلام
العرب جاز ان يكون العامل لقادر لانه اذا قدر على ذلك في هذا الوقت
كان في غيره اقدر بطريق الاولى. الثاني انه العامل مضمر على التبيين
اي يرجعه يوم تبلى. الثالث تقديره اذكر فيكون مفعولا

منصوبا به وهو عوده على الماء يكون العامل فيه اذكر انتهى ملخصا
وجوز بعضهم ان يكون العامل فيه ناصر وهو فاسد لان ما بعد ما
النافية وما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلهما وقيل العامل رجعه وهو
فاسد لانه قد فصل بين المصدر ومعموله باجنبي وهو خبر ان
وبعضهم يتقصر في الظرف قوله تبلى تختبر وتعرف قال الراجز
قد كنت قبل اليوم تزدريني ۞ فاليوم ابلوك وتبتليني
اي اعرفك وتعرفني وقيل تبلى السرائر تخرج من مخباتها وتظهر وهو
كلما استتره الانسان من خير او شر واضمره من ايمان او كفر قال
ابن الخطيب والسرائر ما اسر في القلوب والمراد هنا عرض الاعمال
ونشر الصحف والمعنى اختبارها وتمييز الحسن منها من القبيح لترتب
الثواب والعقاب والغسل وهو السرائر التي تختبر الله يوم القيمة
ذكره المهدوي وروى الماوردي عن زيد بن اسلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الامانة ثلاث الصوم والصلوة
والجنابة استامن الله ابن ادم على الصلوة فان شا قال صليت
ولم يصل واستامن الله تعالى ابن ادم على الصوم فان شا قال
صمت ولم يصم واستامن الله تعالى ابن ادم على الجنابة فان شا
قال اغتسلت ولم يغتسل اقرؤا ان شئتم يوم تبلى السرائر
وقال مالك رضي الله عنه الوضو من السرائر ومن السرائر ما في
القلوب يجزي الله تعالى به العباد وقال ابن العربي قال ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه يغفر للشهيد الا الامانة والوضوء من
الامانة والصلوة والزكاة من الامانة والوديعة من الامانة
واشد ذلك الوديعة يمثل له على هيئتها يوم اخذها فيرى بها
في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه واذا
اراد ان يخرج بها زلت فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين وقال
ابي بن كعب من الامانة ان ائتمنت فرجها وقال سفيان الحيضة
والحمل من الامانة ان قالت لم احض وانا حامل صدقت ما لم تات
بما يعرف فيه انها كاذبة قوله فما له من قوة ولا ناصر اي فما للانسان
من قوة اي منعة تمنعه ولا ناصر ينصره مما نزل به قال ابن
الخطيب ولكن ان يتمسك بهذه الاية على نفي الشفاعة لقوله تعالى واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا الاية والجواب ما تقدم قوله
والسماء ذات الرجع قيل الرجع مصدر بمعنى رجوع الشمس والقمر اليها
والنجوم تطلع من ناحية وتغيب في اخرى وقيل الرجع المطر قال المتنخل
يصف سيفا شبهه بالماء
ابيض كالرجع رسوب اذا ۞ ما ماح في محتفل يختلي [illegible]
وباتا هلا يا ذى نقلتها ۞ الا السحاب والا الاوب والسبل
قال الخليل الرجع المطر بنفسه وهذا قول الزجاج قال ابن الخطيب
واعلم ان كلام الزجاج وما رايته في اللغة صريحة في ان الرجع ليس اسما
موضوعا للمطر بل سمي رجعا مجازا وحسن هذا المجاز وجوه احدها قال
القفال كانه من ترجيع الصوت وهو اعادته ووصل الحروف به وكذا
المطر لكونه يعود مرة بعد اخرى سمي رجعا وثانيها ان العرب كانوا
يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض والرجع
ايضا نبات بالربيع وقيل ذات الرجع اي ذات النفع وقيل ذات
الملايكة لرجوعهم فيها باعمال العباد وهذا قسم والارض ذات الصدع
قسم

قسم اخر اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار نظيره
ثم شققنا الارض شقا الاية والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الارض
فتنصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات صادع
للارض وقال مجاهد الارض ذات الطرق التي تصدعها المشاة
وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها
عنهم للنشور وقيل هما الجبلان بينهما شق وطريق نافذ لقوله تعالى
وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال ابن الخطيب واعلم انه تعالى لما جعل
كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا
القسم كيفية خلقة النبات فقال تعالى والسما ذات الرجع اي كالاب
والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا
موقوفة على ما ينزل من السما متكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك
ثم اردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقول فصل
وهذا جواب القسم والضمير في انه للقران اي ان القران يفصل
بين الحق والباطل وقال القفال يعود الى الكلام المتقدم والمعنى
ان ما اخبرتكم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى سرائركم قول
فصل وحق والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق من الباطل
ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم ويقال هذا قول
فصل قاطع للمشتبه والنزاع وقيل معناه جد لقوله تعالى وما هو
بالهزل اي باللعب والباطل بل الجد والسهر في الامر قال الكميت
تجد بنا كل يوم وتهزل ۞ ويقال هزل يهزل
قوله انهم يكيدون كيدا اي ان اعدا الله يكيدون كيدا
اي يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا وقيل الكيد القا
الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم
اجعل الالهة الها واحدا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقيل الطعن فيه بكونه ساحرا
او شاعرا او مجنونا حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم وقيل
قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية واما قوله
تعالى واكيد كيدا اي اجازيهم جزا كيدهم وقيل هو ما اوقع الله تعالى
بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل استدراجهم من حيث لا يعلمون
وقيل كيد الله تعالى بنصره واعلا درجته صلى الله عليه وسلم
تسمية لاحد المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزا سيئة سيئة
مثلها وقال الشاعر
الا لا يجهلن احد علينا ۞ فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم قوله
فمهل الكافرين اي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل وارض بما تريده
في امورهم ثم نسخت بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
امهلهم هذه قراة العامة لما كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين
وعن ابن عباس رضي الله عنه مهلهم كالاول ومهل وامهل بمعنى
مثل نزل وانزل والامهال والتمهيل والاسم المهلة والاستمهال
الاستنظار والمهل الرفق والتؤدة وتمهل في امره اي اتاد وامتهل
امتهالا اعتدل وانتصب والامتهال سكون وفتور ويقال مهلا
يا فلان اي رفقا وسكونا قوله رويدا مصدر مؤكد لمعنى العامل
وهو تصغير ارواد على الترخيم وقيل بل هو تصغير رود كذا قال

ابو عبيد وانشد • كانك نمل يمشي على رود • اي على مهل واعلم ان رويدا يستعمل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله تعالى فضرب الرقاب ولا يضاف اخرى نحو رويدا زيدا ويقع حالا نحو ساروا رويدا اي متمهلين ونعت المصدر نحو ساروا رويدا اي سيرا رويدا وتفسير رويدا مهلا وتفسير رويدك امهل لان الكاف انما تدخله اذا كان بمعنى افعل دون غيره وانما حركت الدال لالتقا الساكنين ونصب نصب المصادر وهو مصغر مامور به لانه تصغير الترخيم من ارواده وهو مصدر ارود يرود وله اربعة اوجه اسم للفعل وصفة وحال ومصدر وقد تقدم ذكرها انفا • قال ابن عباس رضي الله عنهما رويدا اي قريبا وقال قتادة قليلا وقيل امهلهم رويدا الى يوم القيمة وانما صغر ذلك من حيث ان كل ات قريب وقيل امهلهم رويدا الى يوم القيمة واخذ صغره لذلك يرد • روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والسما والطارق اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد كل نجم في السما عشر حسنات •

• سورة الاعلى مكية •

في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وهي تسع عشرة اية واثنتان وسبعون كلمة ومايتان واربعة وثمانون حرفا •

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى يجب للقاري اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى اي عظم ربك الاعلى ان يقول عقبه سبحان ربي الاعلى كذا جا في الحديث • وقال جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم • قال ابن عباس والسدي معنى سبح اسم ربك الاعلى اي عظم ربك الاعلى والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى كقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما • وقيل نزه ربك الاعلى عن ان تسمي به احدا سواه • وقيل معناه نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان تذكره الا وانت خاشع معظم لذكره وجعلوا الاسم بمعنى التسمية قال ابن الخطيب معنى سبح اسم ربك الاعلى اي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وفي اسمائه وفي احكامه اما في ذاته فان يعتقد انها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة واما في افعاله فان يعتقد انه سبحانه مالك مطلق لا اعتراض لاحد عليه في امر من الامور • وقالت المعتزلة هو ان يعتقد ان كل ما فعله صواب حسن وانه سبحانه لا يفعل القبيح ولا يرضى به • واما في اسمائه فانه لا يذكره سبحانه وتعالى الا بالاسماء التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سوا ورد الاذن فيها ام لم يرد واما في احكامه سبحانه فهو ان يعلم انه ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية على قولنا او لرعاية مصالح العباد على قول المعتزلة

فصل قال ابن الخطيب تمسك بعضهم بهذه الاية في ان الاسم نفس المسمى واقول الخوض في هذه المسئلة لا يمكن الا بعد الكشف عن محل النزاع فنقول ان كان الاسم عبارة عن اللفظ والمسمى عبارة عن الذات فليس الاسم المسمى بالضرورة فكيف يمكن الاستدلال على ما علم بالضرورة نعم هنا نكتة وهي ان الاسم هو اللفظ الدال على معنى في نفسه من غير زمن والاسم كذلك فيكون اسما لنفسه فالاسم لفظا نفس المسمى فعلى

هذا



٣٤٠

هذا مراد من اطلق ذلك لان الحكم بالتعميم خطا والمراد الذي يدل على ان الاسم نفس المسمى هو ان احدا لا يقول سبحان الله وسبحان اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك والرب ايضا فلو كان غير المسمى لم يجز ان يقع التسبيح عليه وهذا الاستدلال ضعيف لانه يمكن ان يكون وارده بتسبيح الاسم ويمكن ان يكون المراد سبح المسمى وذكر الاسم صلة فيه ويكون المراد سبح باسم ربك كما قال تعالى فسبح باسم ربك العظيم ويكون المعنى سبح بذكر اسمايه

فصل روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه صل بامر ربك الاعلى قال وهو ان يقول سبحان ربي الاعلى • وروي عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابي موسى وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم كانوا اذا افتتحوا قراة هذه السورة قالوا سبحان ربي الاعلى امتثالا لامره في ابتدايها فيختار الاقتدا بهم في قراتهم لا ان سبحان ربي الاعلى من القران كما قاله بعض اهل الزيغ • وقيل في قراة سبحان ربي الاعلى • وروى ابن الانباري باسناده الى عيسى بن عمر عن ابيه قال قرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه في الصلوة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربي الاعلى فلما انقضت الصلوة قيل له يا امير المومنين اتزيد هذا في القران قال لا انما امرنا بشي فقلته • وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم • قال القرطبي هذا كله يدل على ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربك • وقيل معناه ارفع صوتك بذكر ربك قال جرير •

قبح الاله وجوه تغلب كلها • سبح الحجيج وكبروا تكبيرا •

قوله الاعلى يجوز جره صفة لربك ونصبه صفة للاسم الا ان هذا يمنع ان يكون الذي صفة لربك بل يتعين جعله نعتا للاسم او مقطوعا لئلا يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره اذ يصير التركيب مثل قولك جاني غلام هند العاقل الحسنة فيفصل بالعاقل بين هند وصفتها وتقدم الكلام في اضافة الاسم الى المسمى

قوله الذي خلق فسوى قال ابن الخطيب يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شي خلقه الله تعالى فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها احدها اعتدال قامته وحسن خلقته على ما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تبارك وتعالى فتبارك الله احسن الخالقين • وثانيها ان كل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط • واما الانسان فانه خلقه بحيث يمكنه ان ياتي بجميع الاعمال بواسطة الالات • وثالثها انه تعالى هياه للتكليف والقيام باداء العبادات كان بعضهم خلقه في اصلاب الابا وسوى في ارحام الامهات ومن حمله على جميع المخلوقات كان المراد من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات يخلق ما اراد على وفق ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبرا عن النقص والاضطراب

قوله والذي قدر فهدى • قرا الكسائي وعلي رضي الله عنه والسلمي قدر بتخفيف الدال والباقون بالتشديد والمعنى قدر كل شي بمقدار معلوم ومن خفف قال القفال

معناه ملك فهدى وثانيها انه تعالى خلق كل شيء فسوى وملك
ما خلق اي تصرف فيه كيف شا واراد هذا هو الملك فهداه لمنافعه
ومصالحه • ومنهم من قال هما لغتان بمعنى واحد وعليه قوله تعالى
فقدرنا فنعم القادرون بالتشديد والتخفيف وقد تقدم
فصل قال مجاهد قدر الشقاوة والسعادة وهدى
للرشد والضلالة • وعنه هدى الانسان للسعادة والشقاوة
وهدى الانعام لمراعيها • وقيل قدر اقواتهم وارزاقهم وهداهم
لمعاشهم ان كانوا اناسا ولمراعيهم ان كانوا وحوشا • وعن ابن عباس
والسدي ومقاتل والكلبي في قوله تعالى فهدى قال عرف خلقه
كيف ياتي الذكر الانثى كما قال تعالى في سورة طه اعطى كل شيء خلقه
ثم هدى اي الذكر للانثى • وقال عطا جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها
له • وقيل قدر فهدى اي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه
وعرفه وجه الانتفاع به فقال ان الافعى اذا اتت عليها الف
سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العينين بورق الرازيانج
الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف
مسيرة ايام فتطوى تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم في بعض
البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك بها عينيها فترجع
باصرة باذن الله تعالى وهداية الانسان الى مصالحه من اغذيته
وادويته وامور دنياه ودينه والهامات البهايم والطيور وهوام
الارض باب واسع فسبحان ربي الاعلى • وقال السدي قدر مدة
الجنين في الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم • وقال الفرا
قدر فهدى اي واضل فاكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم
الحر • ويحتمل ان يكون بمعنى دعا الى الايمان • وقيل فهدى اي دلهم
بافعاله على توحيده وكونه عالما قادرا • واعلم ان الاستدلال
بالخلق وبالهداية هو معتمد الانبيا • قال ابراهيم عليه الصلوة
والسلام الذي خلقني فهو يهدين • وقال موسى عليه الصلوة والسلام
لفرعون ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى • وقال هنا ذلك
وانما خصت هذه الطريقة لوضوحها وكثرة عجايبها قوله
والذي اخرج المرعى اي النبات لما ذكر سبحانه وتعالى ما يختص بالناس
اتبعه بما يختص بساير الحيوان من النعم اي هو القادر على انبات
العشب لا كالاصنام التي عبدتها الكفرة • والمرعى ما تخرجه الارض
من النبات من الثمار والزروع والحشيش • قال ابن عباس رضي الله
عنه المرعى الكلا الاخضر قوله فجعله غثاء احوى غثاء اما مفعول
ثان واما حال والغثا بتشديد الثا وتخفيفها وهو الصحيح ما
يقذف به السيل على جوانب الوادي من النبات ونحوه قال
امرؤ القيس •

كان ذرى راس المجيمر غدوة ۞ من السيل والغثا فلكة مغزل ۞

ورواه الفرا والاغثا على الجمع وفيه غرابة من حيث جمع فعال على
افعال • وقوله تعالى احوى فيه وجهان اظهرهما انه نعت لغثا والثاني
انه حال من المرعى قال ابو البقا مقدم بعض الصلة يعني ان الاصل
اخرج المرعى احوى فجعله غثا • قال شهاب الدين ولا يسمى هذا
تقديما لبعض الصلة والاحوى افعل من الحوة وهو سواد يضرب
الى الخضرة قال ذو الرمة •

لميا

لميا في شفتيها حوة لعس ۞ وفي اللثات وفي انيابها شنب ۞

وقد تقدم ان بعض النحاة استدل على وجود بدل الغلط بهذا
البيت • وقيل خضرة عليها سواد والاحوى الظبي لان في ظهره خطين
قال •

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن ۞ مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد ۞

ويقال رجل احوى وامراة حوى وجمعهما حو نحو احمر وحمرا وحمر
قال القرطبي وفي الصحاح الحوة حمرة الشفة وقد حويت وبعير
احوى اذا خالط خضرته سواد وصفرة وتصغير احوى احيو في لغة
من قال اسيود • قال عبد الرحمن بن زيد هذا مثل ضربه الله تعالى
للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها • والمعنى انه صار كذلك بعد خضرته
قال ابو عبيدة فجعله اسود من احتراقه وقدمه والرطب اذا يبس اسود
قوله سنقرئك فلا تنسى • قال الواحدي سنقريك سنجعلك
قاريا اي نوهلك للقراة فلا تنسى ما تقراه اي نجعلك قاريا للقران
تحفظه فهو لا تنسى اخبر الله تعالى ان نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينسى
وقيل بفرع الالف للاشباع وقد تقدم نحو من هذا في سورة يوسف
وطه • ومنع مكي ان يكون نهيا لانه لا ينهى عما ليس باختياره وهذا
غير لازم اذ المعنى النهي عن تعاطي اسباب النسيان وهو شايع • وقيل
هذا بشرى من الله تعالى بشره الله تعالى بان جبريل عليه الصلوة والسلام
لا يفرغ من اخر الوحي حتى يتكلم هو باوله مخافة النسيان فنزلت هذه
الاية فلا ينسى بعد ذلك شيا قوله الا ما شا الله فيه اوجه
احدها انه مفرغ اي الا ما شا الله ان ينسيكه فانك تنساه والمراد
رفع تلاوته • وفي الحديث انه كان يصبح فينسى الايات لقوله تعالى
ما ننسخ من اية او ننسها • وقيل ان المعنى بذلك الندرة والقلة
قال ابن الخطيب يشترط ان لا يكون ذلك القليل من الواجبات
بل الاداب والسنن فانه لو نسي من الواجبات ولم يتذكره ادى ذلك
الى الخلل في الشرع وهو غير جايز لما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط
اية من صلوته فحسب ابي انها نسخت فساله فقال صلى الله عليه
وسلم نسيتها • وقال الزمخشري الغرض نفي النسيان راسا كما يقول
الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شا الله ولم يقصد استثنا
شي وهو استعمال القلة في معنى النفي انتهى وهذا القول سبقه اليه
الفرا ومكي • قال الفرا وجماعة معه هذا الاستثنا صلة في الكلام على
سنة الله تعالى في الاستثنا وليس شي ابيح استثناوه • قال ابو حيان
هذا لا ينبغي ان يكون في كلام الله تعالى ولا في كلام فصيح وكذلك القول بان
لا للنفي والالف فاصلة انتهى وهذا الذي قاله ابو حيان لم يقصده
القايل بكونه اي زايدا محضا بل بالمعنى الذي ذكره وهو المبالغة في
النقصان او التهي عنه • وقال مكي وقيل معنى ذلك الا ما شا الله
وليس يشا الله ان ينسى شيا فهو بمنزلة قوله تعالى في سورة هود في
الموضعين خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك
ولا يشا تعالى ترك شي من الخلود لتقدم مشيته بخلودهم كما روي عن ابن
عباس رضي الله عنه فلم ينس بعد نزول هذه الاية حتى مات صلى الله
عليه وسلم • وقيل هو استثنا من قوله تعالى فجعله غثا احوى نقله مكي
والمعنى ما شا الله ان يناله بنو ادم والبهايم فانه لا يصير كذلك • قال
شهاب الدين وهذا ينبغي ان لا يجوز البتة • قال القرطبي قيل الا ما شا الله

ان يعني لم يتذكر بعد ذلك فاذا قد نسي ولكنه يتذكر ولا ينسى نسيانا كليا • وقيل هذا في النسيان بمعنى النسخ اي الا ما شاء الله ان ينسخ والاستثناء نوع من النسخ • وقيل النسيان بمعنى الترك اي يعصمك بان تترك العمل الا ما شاء الله ان تتركه لنسخه اياه فهذا في نسخ العمل والاول في نسخ القراءة ولا للنفي لا للنهي وقيل للنهي وانما ثبتت الياء لرؤس الاي • والمعنى لا تغفل قراءته وتكراره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار ولان الاستثناء من النهي لا يكاد يكون الا موقتا معلوما • وايضا فان الياء مثبتة في جميع المصاحف وعليها القراءات • وقيل معناه الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله

فصل ذكر في كيفية هذا التعليم والاقراء وجوها الاول ان جبريل عليه الصلوة والسلام سيقرأ عليك القرآن مرات حتى تحفظه حفظا لا تنساه • وثانيها انا نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه • وثالثها انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم في اول السورة بالتسبيح فكانه تعالى قال واظب على ذلك ودم عليه فانا سنقرئك القرآن الجامع لعلوم الاولين والاخرين ويكون فيه ذكرك وذكر قومك ونجمعه في قلبك ونيسرك لليسرى وهو العمل به

فصل هذه الاية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا فحفظه هذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار ولا كتابة خارق للعادة الثاني انه اخبار عن الوقوع في المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون معجزا

فصل قال بعضهم المراد بقوله تعالى الا ما شاء الله امورا ولعل التبرك بهذه الكلمة لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله امورا ولعل التبرك بهذه الكلمة فكانه تعالى يقول لست اي عالم بجميع المعلومات ثم بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك لا اخبر عن وقوع شيء في المستقبل الا مع هذه الكلمة فانت وامتك اولى بها وهذا بناء على ان الاستثناء غير حاصل في الحقيقة وانه صلى الله عليه وسلم لم ينس بعد ذلك شيئا قاله ابن عباس والكلبي وغيرهما • وثانيها قال الفراء انه تعالى ما شاء ان ينسى محمد صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يصير ناسيا لذلك لقدر عليه قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع انه تعالى ما شاء ذلك ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك البتة ففائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله واحسانه لا من قوته • وثالثها ان الله تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوز رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما ينزل عليه من الوحي ان يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم كان يبالغ في التثبت والتحفظ في جميع المواضع وكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بقاءه صلى الله عليه وسلم على التيقظ في جميع الاحوال

قوله انه يعلم الجهر وما يخفى • الجهر الاعلان من القول والعمل وما يخفى من السر عن ابن عباس رضي الله عنه ما في قلبك ونفسك • وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاءها • وقيل الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك وما يخفى هو ما نسخ من صدرك

فصل ما اسمية ولا يجوز ان تكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل من فاعل

ولولا

ولولا ذلك لكان المصدرية احسن لتعطف مصدر مؤول على مثله صريح •

قوله ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك فلا تنسى فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض واليسرى هي الطريقة اليسرى وهو اعمال الخير • والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي اسهل وايسر يعني في حفظ القرآن • وقال ابن مسعود اليسرى الجنة اي نيسرك للعمل المؤدي الى الجنة • وقيل نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به • وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة السمحة قاله الضحاك • فان قيل المعهود في الكلام ان يقال يسر الامر لفلان ولا يقال يسر فلان للامر فالجواب ان هذه العبارة كانها اختيار القرآن هنا وفي سورة والليل فكذا هي اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفيه لطيفة وهي ان الفاعل لا يترجح عنده الفعل على الترك ولا عكسه الا لمرجح وعند ذلك المرجح يجب الفعل فالفاعل اذن ميسر للفعل لا ان الفعل ميسر للفاعل فذلك الرجحان المسمى بالتيسير

قوله فذكر ان نفعت الذكرى • اي عظ قومك يا محمد بالقرآن ان نفعت الذكرى اي الموعظة وان شرطية وفيه بعد وفيه استبعاد لتذكرهم • ومنه قوله لقد اسمعت لو ناديت حيا • ولكن لا حياة لمن تنادي • وقيل ان بمعنى اذ كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين • وقيل هي بمعنى قد ذكره ابن خالويه وهو بعيد • وقيل بعده شيء محذوف تقديره ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي • وقيل انه مخصوص بقوم باعيانهم • وقيل ان بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فتكون ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال قاله ابن شجرة

فصل قال ابن الخطيب انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الكل فيجب عليه تذكيرهم ان نفعتهم الذكرى او لم تنفعهم فما فائدة هذا الشرط وهو قوله ان نفعت الذكرى والجواب من وجوه اما ان يكون المراد منه التنبيه على اشرف الحالين وهو وجود النفع الذي لاجله شرعت الذكرى قال والمعلق بان على الشيء لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشيء • ويدل عليه ايات منها هذه الاية ومنها قوله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون • ومنها قوله تعالى لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلوة ان خفتم فان القصر جائز عند الخوف وعدمه • ومنها قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله والمراجعة جائزة بدون هذا الظن اذا كان كذلك فهذا الشرط فيه فوائد منها ما تقدم • ومنها البعث على الانتفاع بالذكرى كما يقول الرجل لمن يرشده قد اوضحت لك ان كنت تعقل وهو تنبيه للنبي صلى الله عليه وسلم على انهم لا تنفعهم الذكرى او يكون هذا في تكرير الدعوة • فاما الدعاء الاول فعام • فان قيل انه تعالى عالم بعواقب الامور بمن يؤمن ومن لا يؤمن والتعليق بالشرط انما يحسن في حق من ليس بعالم • فالجواب ان امر البعثة والدعوة شيء وعلمه تعالى بالمغيبات وعواقب الامور شيء ولا يمكن بناء احدهما على الاخر كقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وهو تعالى عالم بانه لا يتذكر ولا يخشى • فان قيل التذكير المامور به هل هو مضبوط

بعد داولي وكيف يكون الخروج عن عهدة التذكير والجواب
ان المعتبر في التذكير والتكرير هو العرف قوله سيذكر من يخشى
اي يتقي الله ويخافه قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في ابن
ام مكتوم • وقيل في عثمان بن عفان رضي الله عنه • قال الماوردي
وقد يتذكر من يرجوه الا ان تذكرة الخاشي ابلغ من تذكرة الراجي •
ولذلك علقها بالخشية دون الرجا وان تعلقت بالخشية والرجا
وان قيل المعنى لعانت التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع
من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعا حكاه القشيري • فان قيل التذكير
انما يكون لشي قد علم وهولاء لم يزالوا كفارا معاندين • فالجواب
ان ذلك لظهوره وقوة دليله وقوة دليله كانه معلوم لكنه يزول
بسبب التقليد والعناد فلذلك سمي بالتذكير والسين في قوله
سيذكر يحتمل انه يكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب
كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى • ويحتمل ان يكون المعنى ان من
خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التذكر والنظر
قوله ويتجنبها اي الذكرى يبعد عنها الاشقى اي الشقي في
علم الله تعالى • كما يتجنب من ينتفع بالذكرى من بعده من لا ينتفع
بها وهو الكافر الاشقى • قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة
ابن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي العظمى وهي السفلى من
طبقات النار قاله الفرا • وعن الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى
نار الدنيا • وقيل في الآخرة نيرات ودركات متفاضلة كما في
الدنيا ذنوبا ومعاصي متفاضلة كما في الدنيا ذنوبا ومعاصي
متفاضلة فكما ان الكافر اشقى العصاة فكذلك يصلى اعظم
النيران • فان قيل لفظ الاشقى لا يستدعي وجود الشقي اذ قد
يرد هذا اللفظ من غير مشاركة كقوله اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا واحسن مقيلا ويتجنبها الاشقى كقوله وهو اهون
عليه • وقال ابن الخطيب الفرق ثلاث العارف والمتوقف
والمعاند • فالسعيد هو العارف • والمتوقف له بعض الشقا
والاشقى هو المعاند قوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى لا
يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه كقوله تعالى لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها فان قيل هذه الآية تقتضي
ان ثم حالة غير الحياة والموت وذلك غير معقول • فالجواب
قال بعضهم هذا كقول العرب للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو
حي ولا هو ميت وقيل ان نفس احدهم في النار تمر في حلقه فلا
تخرج للموت ولا ترجع الى موضعها من الجسم فتحيى • وقيل حياتهم كحياة
المذبوح وحركته قبل مفارقة الروح فلا هو حي لان الروح لم
تفارقه بعد ولا هو ميت لان الميت هو الذي تفارق روحه
جسده • وقيل ثم للتراخي بين الرتب في الشدة قوله قد
افلح من تزكى اي صادف البقا في الجنة اي من تطهر من الشرك
بالايمان قاله ابن عباس وعطا وعكرمة • وقال الحسن والربيع
من كان عمله زاكيا ناميا وهو قول الزجاج • وقال قتادة تزكى
اي عمل صالحا • وعن عطا وابي العالية نزلت في صدقة الفطر
وقال ابن سيرين قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال
خرج فصلى بعدما ادى • والاول اظهر لان اللفظ انعقاد انه يقال
في المال

في المال زكى ولا يقال متزكي قال تعالى ومن تزكى فانما يتزكى
لنفسه • وقال الاحوص وعطا المراد بالاية زكاة المال كلها قال
بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل لان هذه السورة مكية
ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قال البغوي يجوز ان يكون النزول
سابقا على الحكم كقوله تعالى وانت حل بهذا البلد والسورة مكية
وظهر اثر الحل يوم الفتح • قال صلى الله عليه وسلم احلت لي ساعة
من نهار • وقيل هذا في زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي زكى
اعماله من الريا والتقصير • وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه
رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح من تزكى
اي شهد ان لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد اني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله
عنه ايضا وروى عطا عن ابن عباس قال نزلت في عثمان بن
عفان رضي الله عنه قال كان بالمدينة منافق له نخلة بالمدينة
مايلة في دار رجل من الانصار اذا هبت الرياح اسقطت البسر
والرطب في دار الانصاري فيأكل هو وعياله فخاصمه المنافق
فشكاه الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل
الى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه فقال ان اخاك الانصاري
ذكر ان بسرك ورطبك يقع الى منزله فيأكل هو وعياله فهل
لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها قال ابيع عاجلا باجل لا افعل
فذكروا ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اعطاه حايطا من نخل بدل
نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكى • ونزلت في المنافق ويتجنبها
الاشقى • وقال الضحاك نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
قوله وذكر اسم ربه فصلى قال ابن عباس والضحاك وذكر
اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد • قال القرطبي والسورة
مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد • قال القشيري ولا يبعد ان
يكون اثنى على من يمتثل امره في صدقة الفطر وصلاة العيد
فيما يامر به في المستقبل وذكر اسم ربه اي ذكر ربه • وعن ابن عباس
رضي الله عنه معناه ذكر معاده وموقفه بين يدي الله تعالى
فعبده وصلى له • وقيل ذكر اسم ربه التكبير في اول الصلوة لانها
لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبه يحتج على وجوب
تكبيرة الاحرام وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة
معطوفة عليها وفيه حجة لمن قال الافتتاح جايز بكل اسم من
اسما الله تعالى • قال ابن عباس رضي الله عنه من اقام الصلوة
ولم يوت الزكاة فلا صلوة له قوله بل تؤثرون الحياة الدنيا
بالغيبة والباقون بالخطاب • ويؤيده قراءة ابي بل انتم تؤثرون
وعلى الاول معناه بل تؤثرون ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا
على الاستكثار من الثواب • وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا
هذه الاية فقال اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة
قال لان الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها
ولذاتها وبهجتها والآخرة غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا
الآجل قوله والآخرة خير وابقى اي والدار الآخرة خير اي
افضل وابقى اي ادوم قوله ان هذا لفي الصحف الاولى • قرا
ابو عمرو وفي رواية الاعمش وهارون بسكون الحا في الحرفين واختلفوا

ذلك المشار اليه بهذا فتقبل جميع السورة وهو رواية عكرمة عن
ابن عباس • وقال الضحاك ان هذا القرآن لفي الصحف الاولى
اي الكتب الاولى صحف ابراهيم وموسى يعني الكتب المنزلة
عليهما ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها في تلك الصحف وانما معناه
ان معنى هذا الكلام في تلك الصحف • وقال قتادة وابن زيد
المشار اليه هو قوله تعالى والآخرة خير وابقى وتتابعت كتب
الله كما تسمعون ان الآخرة خير وابقى من الدنيا • وقال الحسن
ان هذا لفي الصحف الاولى يعني من قوله تعالى قد افلح من تزكى الى
آخر السورة لما روى ابو ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول
الله هل في الدنيا شيء مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال نعم
اقرأ يا ابا ذر قد افلح من تزكى الى آخر السورة • وروى ابو ذر انه سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة واربع كتب على آدم عشرة
صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة
وعلى ابراهيم عشرة صحائف والتوراة والانجيل والزبور
والفرقان قوله ابراهيم قرأ العامة بالالف بعد الرا
وبالياء بعد الهاء وابو رجاء بحذفهما مفتوحة او مكسورة
فعنه قراءتان وابو موسى وابن الزبير بالعين وكذا في كل القرآن
ومالك بن دينار بالف بعد الرا فقط والهاء مفتوحة وعبد
الرحمن بن بكرة وابراهِم بحذف الالف وكسر الهاء • وقال ابن
خالويه وقد جاء ابراهم يعني بالف وضم الهاء وقد تقدم الكلام
على هذا الاسم ولغاته مستوفى في سورة البقرة ولله الحمد على كل
حال • وروى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله من الاجر عشر
حسنات عدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد
صلوات الله عليهم اجمعين •

• سورة الغاشية مكية •

وهي ست وعشرون آية وثنتان وعشرون كلمة وثلثمائة
واحدى وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
هل اتاك حديث الغاشية هل بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى
على الانسان قاله قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية
وهي القيامة لانها تغشى الخلائق باهوالها وقيل هو استفهام
على بابه وتسميه اهل البيان التشويق • والمعنى ان لم يكن
اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبي
وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه
الكفار رواه ابو صالح عن ابن عباس لقوله تعالى وتغشى وجوههم
النار وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلائق
وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها وقيل
معنى هل اتاك اي هذا لم يكن في علمك ولا من علم قومك قال
ابن عباس لم يكن اتاه فنبه ذلك على التفصيل المذكور قوله
وجوه يومئذ قد تقدم نظيره في سورة القيامة وفي النازعات
والتنوين في يومئذ عوض من جملة مدلول عليها باسم الفاعل
من الغاشية تقديره يوم اذ غشيت الناس لا تتقدم جملة

مصرح

مصرح بها ودالة وما بعدها صفة فصل قال ابن عباس رضي
الله عنه لم يكن اتاه حديثهم فاخبره عنهم فقال تعالى وجوه يومئذ
اي يوم القيامة خاشعة قال سفيان اي ذليلة بالعذاب وكل
متضائل ساكن خاشع • يقال خشع في صلاته اذا تذلل ونكس رأسه
وخشع الصوت اذا خفي قال تعالى وخشعت الاصوات للرحمن •
والمراد بالوجوه اصحاب الوجوه • قال قتادة وابن زيد خاشعة
اي في النار والمراد بالوجوه الكفار كلهم قاله يحيى بن سلام • وقال
ابن عباس اراد وجوه اليهود والنصارى قوله عاملة ناصبة
في الدنيا لان الآخرة ليست دار عمل فالمعنى وجوه عاملة ناصبة في
الدنيا خاشعة في الآخرة قال اهل اللغة يقال للرجل اذا داب
في سيره قد عمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملا
وقوله ناصبة اي تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصبا اذا
تعب ونصبا ايضا وانصبه غيره قال ابن عباس هم الذين انصبوا
انفسهم في الدنيا على معصية الله تعالى وعلى الكفر مثل عبدة الاوثان
والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم الا ما كان خالصا له • وعن علي
انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون
صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث • وروى سعيد عن قتادة
عاملة ناصبة تكبرت في الدنيا عن طاعة الله فاعملها الله وانصبها
في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال • والوقوف حفاة عراة
في العرصات في يوم كان مقداره خمسين الف سنة • قال الحسن وجبير
لم يعمل لله في الدنيا ولم ينصب له فاعملها وانصبها في جهنم
وقرأ ابن كثير في رواية وابن محيصن وعيسى وحميد ناصبة
بالنصب على الحال • وقيل على الذم والباقون بالرفع على الصفة
او على اضمار مبتدا فيوقف على خاشعة ومن جعل المعنى في الآخرة
جاز ان يكون خبرا بعد خبر عن وجوه فلا يوقف على خاشعة وقيل
عاملة ناصبة اي عاملة في الدنيا ناصبة في الآخرة وعلى هذا يحتمل
وجوه يومئذ عاملة في الدنيا ناصبة في الآخرة خاشعة • وروي
انه لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام اتاه راهب شيخ
كبير عليه سواد فلما رآه عمر رضي الله عنه بكى فقيل يا امير المؤمنين
ما يبكيك قال هذا المسكين طلب امرا فلم يصبه ورجا رجاء فاخطا
وقرأ قوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة قوله
تصلى هذا هو الخبر قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب رضي الله عنهم
بضم التاء على ما لم يسم فاعله • والباقون بالفتح على تسمية الفاعل
والضمير على كلتا القراءتين للوجوه وقرأ ابو رجاء بضم التاء وفتح
الصاد وتشديد اللام وقد تقدم معنى ذلك كله في سورة الانشقاق
والنساء فصل والمعنى يصيبها صلاؤها وحرها حامية شديدة
الحر اي قد اوقدت واحميت مدة طويلة ومنه حمي النهار بالكسر
وحمي التنور حميا اي اشتد حره • وحكى الكسائي اشتد حمي الشمس وحموها
بمعنى • قال صلى الله عليه وسلم اوقد عليها الف سنة حتى احمرت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة
حتى اسودت فهي سوداء مظلمة • قال الماوردي فان قيل فما معنى وصفها
بالحمى وهي لا تكون الا حامية وهو اقل احوالها فما وجه المبالغة بهذه

الناصبة قيل قد اختلف في المراد بالحامية هاهنا فقيل المراد انها
دايمة الحمي وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفايها وقيل
المراد بالحامية انها حمى من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم
لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه
ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقيل انها تحمي بنفسها عن
ان يطاق ملامستها او ترام مماستها كما يحمي الاسد عرينه كقول
الشاعر تعدو الذياب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستاسد الحامي
وقيل المراد انها حامية حمي غيظ وغضب مبالغة في شدة الانتقام كقوله
تعالى تكاد تميز من الغيظ قوله تسقى من عين انية اي حارة
التي انتهى حرها كقوله تعالى بينها وبين حميم ان وانية صفة لعين
واما انها هشام لان الالف غير منقلبة من غيرها بل هو اصل بنفسها
وهذا بخلاف انيه في سورة الاحزاب فان الالف هناك بدل من همزة
وهو جمع انا بوزن فاعله وهناك افعلة فاتحد اللفظ واختلف التصريف
وهذا من محاسن علم التصريف قال القرطبي والاني الذي انتهى حره من
الايناء بمعنى التاخير يقال اناه يونيه ايناء اي اخره وحبسه نظيره
قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان روي انه لو وقعت منها
على جبال الدنيا لذابت قوله ليس لهم طعام الا من ضريع
لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم والضريع شجر في النار ذو شوك لاصق
بالارض تسميه قريش الشبرق اذا كان رطبا واذا يبس فهو الضريع
لا يقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل قاله عكرمة ومجاهد
واكثر المفسرين وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال شي
يرمي به البحر يسمى الضريع من اقوات الانعام لا الناس واذا وقعت
فيه الابل لم تشبع وهلكت هزالا والصحيح الاول قال ابو ذويب
وعن الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحايض
وقال الهذلي يذكر ابلا وسوء مرعاها
وحبسن في هزم الضريع وكلها حدباء دامية اليدين حرود
وقال الخليل الضريع نبات اخضر منتن الريح يرمي به البحر وقال
ايضا ويقال للجلدة التي على العظم تحت اللحم هي الضريع فكانه تعالى
وصفه بالقلة فلا جرم لا يسمن ولا يغني من جوع وعن ابن عباس رضي
الله عنه شجر من نار ولو كانت في الدنيا لاحرقت الارض وما عليها
وقيل هي الزقوم وقيل يابس العرفج اذا تحطم وقيل نبت يشبه
العوسج وقال سعيد بن جبير وعكرمة هي حجارة من نار وقال
القرطبي والاظهر انه شجر ذو شوك حسب ما هو في الدنيا وعن ابن عباس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريع شي يكون في
النار يشبه الشوك اشد مرارة من الصبر وانتن من الجيفة واحر
من النار سماه الله ضريعا قال القتيبي ويجوز ان يكون الضريع
وشجرة الزقوم نبتان من النار او من جوهر لا تاكله النار وكذلك سلاسل
النار واغلالها وعقاربها وحياتها ولو كانت على ما نعلم لما بقيت
على النار وانما دلنا الله على الغايب عنا بالحاضر عندنا فالاسماء متفقة
الدلالة والمعاني مختلفة وكذلك ما في الجنة من شجرها وفرشها وزعم
بعضهم ان الضريع ليس هو نبت في النار ولا انهم ياكلونه لان الضريع
من اقوات الانعام لا من اقوات الناس واذا وقعت الابل فيه لم تشبع
وهلكوا هزالا فاراد ان هولا يقتاتون ما لا يشبعهم وضرب الضريع

لهم مثلا

لهم مثلا والمعنى انهم يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع وقال
الحكيم الترمذي وهذا نظر سقيم من اهله يدل على انهم تحيروا في قدرة
الله تعالى وان الذي انبت في هذا التراب الضريع قادر على ان ينبته
في حريق النار كما جعل سبحانه وتعالى لنا في الدنيا من الشجر الاخضر نارا
فاذا انتم منه توقدون وكما قال تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا قالوا يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال عليه الصلوة
والسلام الذي امشاهم على ارجلهم قادر فلا يتحير في هذا الا ضعيف العقل
اوليس قد اخبرنا انه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وقال
تعالى سرابيلهم من قطران وعن الحسن لا ادري ما الضريع ولم اسمع فيه
من الصحابة شيا قال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون
ويتضرعون منه الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك لان اكله
يضرع في ان يعفى عنه لكراهته والضرعة الذلة والاستكانة ومعنى
الضريع المضرع كالبديع اي يحملهم على ان يضرعوا ويذلوا عند تناوله
قال ابو جعفر النحاس قد يكون مشتقا من الضارع وهو الذليل اي ذو
ضراعة اي من شربه ذليل تلحقه ضراعة فان قيل قد قال تعالى في موضع
اخر فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال تعالى
هاهنا الا من ضريع وهو غير الغسلين فما وجه الجمع قلنا الجواب ان
النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم
من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد
قال الكلبي الضريع في دركة ليس فيها غيره والزقوم في دركة اخرى
قوله لا يسمن قال الزمخشري مرفوع المحل او مجروره على وصف
طعام او ضريع قال ابو حيان اما وصفه بضريع فيصح لانه مبني نفي عنه
السمن والاغناء من الجوع واما رفعه على وصف الطعام فلا يصح لان الطعام
منفي ولا يصح تركيبه لانه يصير التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني
من جوع الا من ضريع فيصير المعنى ان لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير
الضريع كما تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به الا من مال عمرو فمعناه
ان له مالا ينتفع به من غير مال عمرو قال شهاب الدين وهذا لا يرد
لانه على تقدير تسليم القول بالمفهوم وقد منع منه مانع كالسياق
في الاية الكريمة ثم قال ابو حيان ولو قيل الجملة في موضع رفع صفة
للمحذوف المقدر في الا من ضريع كان صحيحا لانه في موضع رفع على انه بدل
من اسم ليس اي ليس لهم طعام الا كاين من ضريع او لا طعام من ضريع
غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح وقال
الزمخشري ايضا او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام
للبهايم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما
بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد
قال ابو حيان فعلى هذا يكون استثناء منقطعا اذ لم يندرج الكاين
من الضريع تحت لفظ طعام اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه وفي
قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين قال شهاب الدين وعلى قول الزمخشري
المتقدم لا يكون منقطعا اذ المراد نفي الشي بدليله اي ان كان لهم طعام
فليس الا هذا الذي لا يعده احد طعاما ومثله ليس له ظل الا الشمس وقد
مضى تحقيق هذا عند قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
وقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ومثله كثير فصل المعنى
ان طعامهم ليس من جنس مطاعم الانس لانه نوع من انواع الشوك والشوك

مما ترعاه الابل وهذا النوع مما تنفر عنه الابل فاذا منفعة الغذا
منتفيان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن
او يكون المعنى ليس لهم طعام اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهايم
فضلا عن الانسان لان الطعام ما اشبع او اسمن• قال المفسرون
لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع
فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع ولذا فان الابل انما ترعاه رطبا
فاذا يبس لم تاكله وقيل اشتبه عليهم امره فظنوا انه كغيره من
النبت النافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه لا يسمن ولا يغني من
جوع فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو
من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع **قوله** وجوه يومئذ ناعمة
اي ذات نعمة وهي وجوه المومنين نعمت بما عاينت من عاقبة امرها
لما ذكر تعالى وعيد الكفار اتبعه بشرح احوال المومنين• وقيل ذات
بهجة وحسن لقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي متنعمة
لسعيها اي لعملها الذي عملته في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت
الجنة بعملها وفيها واو مضمرة والتقدير ووجوه يومئذ ليفصل
بينها وبين الوجوه المتقدمة والوجوه عبارة عن الانفس في جنة
عالية اي مرتفعة لانها فوق السموات وقيل عالية القدر لان
فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين **قوله** لا يسمع فيها
لاغية قرا ابن كثير وابو عمرو بالياء من تحت مضمومة على ما لم يسم
فاعله لاغية رفعا لقيامه مقام الفاعل• وقرا نافع كذلك الا انه
بالتاء من فوق والتذكير والتانيث واضحان لان التانيث مجازي
وقرا الباقون بفتح التاء من فوق ونصب لاغية فيجوز ان يكون
التاء للخطاب اي لا تسمع انت وان تكون للتانيث اي لا تسمع
الوجوه• وقرا المفضل والجحدري لا يسمع بالياء الغيبة مفتوحة
لاغية نصبا اي لا يسمع فيها احد ولاغية يجوز ان تكون صفة
لكلمة على معنى النسب اي ذات لغو او على اسناد اللغو اليها
مجازا وان يكون صفة لجماعة اي جماعة لاغية وان يكون مصدرا
كالعاقبة والعافية كقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما واللغو
اللغا واللاغية بمعنى واحد قال الشاعر• عن اللغا ورفث التكلم•
قال الفرا والاخفش اي لا يسمع فيها كلمة لغو• والمراد باللغو قيل
الكذب والبهتان والكفر بالله قاله ابن عباس وقال قتادة
لا باطل ولا اثم• وقال الحسن ومجاهد الشتم• وقال الفرا الحلف
الكاذب• وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف بيمين برة ولا
فاجرة• وقيل لا يسمع في كلامهم كلمة تلغو لان اهل الجنة لا يتكلمون
الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدايم قال الفرا
وهو احسن الاقوال قاله القفال والزجاج **قوله** فيها عين
جارية اي بما تندفق وانواع الاشربة اللذيذة على وجه الارض
من غير اخدود• قال الزمخشري يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله
تعالى علمت نفس **قوله** فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهوا
واكواب موضوعة والاكواب الكيزان التي لا عرى لها والابريق
هو ما له عروة وخرطوم والكوب ما ليس له عروة وخرطوم وقوله
موضوعة اي معدة لاهلها• وقيل موضوعة على حافات العين
الجارية• وقيل موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم اياها لكونها

من

من ذهب وفضة وجوهر وتلذذهم بالشرب منها• وقيل موضوعة
من حد الكبر اي هي اوساط بين الصغر والكبر لقوله تعالى قدروها
تقديرا **قوله** ونمارق مصفوفة اي واحدة الى جنب اخرى
قال الشاعر•

•كهولا وشبانا حسانا وجوههم• لها سرر مصفوفة ونمارق•

والنمرق والنمرقة وسادة صغيرة او النمروق بضم النون والراء وكسرهما
لغتان اشهرها الاولى **قوله** وزرابي جمع زربية بفتح الزاي
وكسرها لغتان مشهورتان وهي البسط العراض• وقيل ما لها
خمل• قال ابو عبيدة الزرابي الطنافس التي لها خمل رقيق واحدها
زربية وهو قول الكلبي والفرا• المبثوثة المبسوطة قاله قتادة
وقال عكرمة بعضها فوق بعض وقال الفرا كثيرة وقال القتيبي
متفرقة في المجالس• قال القرطبي وهذا اصح فهي كثيرة متفرقة ومنه
قوله تعالى وبث فيها من كل دابة• وقال ابو بكر الانباري وحدثنا
احمد بن الحسين قال حدثنا حسين بن عرفة قال حدثنا عمار بن محمد
قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا هل اتاك حديث الغاشية
وقرا فيها وزرابي مبثوثة متكئين فيها ناعمين **قوله تعالى** افلا
ينظرون الى الابل كيف خلقت لما ذكر الله تعالى امر الدارين تعجب
الكفار من ذلك فكذبوا وانكروا فذكرهم الله تعالى صنعته وقدرته
وانه تعالى قادر على كل شي كما خلق الحيوانات والسما والارض وذكر الابل
اولا لانها كثيرة في بلاد العرب ولم يروا الفيلة فنبههم تعالى
على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير من خلقه يقوده وينيخه وينهضه
ويحمل عليه الثقيل من الاحمال وهو بارك فينهض بثقيل حمله
وليس ذلك في شي من الحيوان غيره فاراهم عظيما من خلقه ليدلهم
بذلك على توحيده وعظيم قدرته تعالى• وعن بعض الحكما انه
حدث عن البعير وبديع خلقته ولم يكن نشا في بلاد الابل ففكر
ثم قال يوشك ان يكون طوال الاعناق• قال ابن الخطيب الابل
لها خواص• منها انه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى انواعا فتارة
يقتنى ليوكل لحمه وتارة ليشرب لبنه وتارة ليحمل الناس على الاسفار
وتارة لينقل المتاع من بلد الى بلد وتارة للزينة والجمال وهذه
المنافع باسرها حاصلة في الابل ثم انها فاقت في كل خصلة من هذه
الخصال غيرها من الحيوان المختص ببعضها مع صبرها على العطش
وقطع المفاوز بالاحمال الثقيلة وقناعتها بالعلف بنبات البر
ولقد ضللنا الطريق في مفازة فتقدموا جملا واتبعوه فهداهم الى
الطريق بعد زمان طويل مع كثرة المعاطف والتلول فانظر كيف
ثبت واهتدى على ما عجزت عنه العقول• ومنها انها في غاية القوة
والصبر على الحمل ومنها انها مع كونها كذلك منقادة للضعيف الصغير
ومنها انها تحمل وهي باركة ثم تقوم بحملها وهذه الصفات توجب
على العاقل ان ينظر في خلقها وتركيبها ويستدل بذلك على وجود
الصانع الحكيم جلت قدرته **فصل** قال قتادة ومقاتل وغيرهما
لما ذكر الله تعالى السرر المرفوعة قالوا كيف نصعدها فانزل الله
تعالى هذه الاية وبين ان الابل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذلك
تلك السرر تتطامن ثم ترتفع• وقال المبرد الابل هنا القطع العظيمة
من السحاب• قال الثعلبي ولم اجد لذلك اصلا في كتب الايمة• قال

القرطبي ذكر الاصمعي وابو سعيد عبد الملك بن قريب قال ابو عمرو من قرا
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت عنى به البعير لانه من ذوات الاربع
يبرك فيحمل عليه الحمولة وغيره من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم
ومن قراها بالتثقيل قال الابل عنى بها السحاب التي يحمل عليها الما للمطر
وقال الماوردي في الابل وجهان • اظهرهما انه الابل • والثاني انها
السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما فيها من الايات والدلالات
الدالة على قدرته تعالى والمنافع العامة لخلقه وان المراد بها الابل من
النعم فلان الابل اجمع للمنافع من ساير الحيوانات لان ضروبه اربعة
حلوبة • وركوبة • واكولة • وحمولة • والابل تجمع هذه الخلال الاربع
فكانت النعمة بها اعم وظهور القدرة فيها اتم • وقيل للحسن الفيل
اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم لا يوكل لحمه
ولا يركب ظهره ولا يحلب دره **فصل** الابل اسم جمع واحده بعير
وناقة وجمل ولا واحد لها من لفظها وهو مونث ولذلك يدخل عليه
تا التانيث حال تصغيره فيقال ابيلة • قال القرطبي لا واحد لها من
لفظها اذا كانت لغير الادميين فالتانيث لها لازم وربما قالوا للابل
ابل بسكون البا للتخفيف والجمع ابال واشتقوا من لفظه قالوا تابل
زيد اي كثرت ابله وتعجبوا من هذا فقالوا ما ابله اي ما اكثر ابله وتقدم
في سورة الانعام **قوله** كيف منصوب بخلقت على حد نصبها في قوله
تعالى كيف تكفرون والجملة بدل من الابل بدل اشتمال فيكون في محل جر
وهي في الحقيقة معلقة بالنظر وقد دخلت الى على كيف في قولهم انظر
الى كيف يصنع • وقد تبدل الجملة المشتملة على استفهام من اسم ليس
فيه استفهام كقولهم عرفت زيدا ابو من هو على خلاف بين النحويين
وقرا العامة خلقت ورفعت ونصبت وسطحت مبنيا للمفعول
والتا ساكنة للتانيث • وقرا امير المومنين وابن ابي عبلة وابو حياة
قال القرطبي وابن السميفع وابو العالية خلقت وما بعده بتا
المتكلم مبنيا للفاعل والعامة على سطحت مخففا • وقرا الحسن وابو
حيان وابو رجا سطحت بتشديد الطا واسكان التا • قال القرطبي
وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيرها لجاز • قال القشيري وليس هذا
مما يطلب فيه نوع حكمة **قوله** والى السما كيف رفعت اي رفعت
عن الارض بغير عمد بعيدة المدا وقيل رفعت فلا ينالها شي • والى
الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا راسخا لا يميل ولا يزول وذلك
ان الارض لما دحيت مادت فارساها بالجبال كما قال تعالى وجعلنا
في الارض رواسي ان تميد بكم والى الارض كيف سطحت مهدت
اي سطحت ومدت واستدل بعضهم بهذا على ان الارض ليست
بكرة قال ابن الخطيب وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية
العظم يكون كل قطعة منها كالسطح • فان قيل ما المناسبة بين هذه
الاشيا • فالجواب قال الزمخشري من فسر الابل بالسحاب فالمناسبة
ظاهرة ودون تشبيه ومجاز ومن حملها على الابل فالمناسبة بينها
وبين السما والارض والجبال من وجهين الاول القران نزل على العرب
وكانوا يسافرون كثيرا وكانوا يسيرون عليها في المهامه والقفار
مستوحشين منفردين عن الناس والانسان اذا انفرد اقبل على التفكر في
الاشيا لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك من يشتغل به
سمعه وبصره فلا بد من ان يجعل دابه الفكر فاذا فكر في تلك الحال

فاول



فاول ما يقع بصره على الجمل الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا • وان نظر
الى فوق لم ير غير السما واذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال • واذا نظر الى
ما تحت لم ير غير الارض فكانه تعالى امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد
حتى لا يحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر • الثاني ان جميع المخلوقات
دالة على الصانع جلت قدرته الا انها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ
كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب والفضة ونحوها
فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر فيها
قوله فذكر اي فعظهم يا محمد وخوفهم انما انت مذكر واعظ لست
عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم ثم نسختها اية السيف • وقرا العامة
بمصيطر بالصاد • وقنبل في بعض طرقه وهشام بالسين وخلف باشمام
الصاد زايا بلا خلاف وعن خلاد وجهان • وقرا هارون الاعور بمصيطر
بفتح الطا اسم مفعول لان صيطر عندهم متعد يدل على ذلك فعل
مطاوعه وهو تصيطر ولم يجي اسم واد ومدين فيل ويمكن ان يكون
اصلهما مجمر ومدبر فصغرا • قال شهاب الدين وقد تقدم ان بعضهم
جعل ... مصغرا وتقدم انه خطا عظيم وذلك في سورة المائدة
قال القرطبي وفي الصحاح المسيطر والمصيطر المسلط على الشي ليشرف عليه ويتعهد
احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان من معنى السطر ان لا يتجاوز
فالكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر • يقال سيطرت
علينا قال تعالى لست عليهم بمسيطر ومصيطره اي مرعه **قوله**
الا من تولى وكفر استثنا منقطع اي لكن من تولى عن الوعظ والتذكر
فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو جهنم الدايم عذابها وانما
قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والاسر والقتل ويويد
هذا التاويل قراة ابن مسعود الا من تولى وكفر فانه يعذبه الله
وقيل هو استثنا متصل والمعنى لست بمسلط الا على من تولى وكفر
فانت مسلط عليه بالجهاد والله تعالى يعذبه ذلك العذاب الاكبر
فلا نسخ في الاية على هذا التقدير • وقرا ابن عباس وزيد بن علي وزيد
ابن اسلم وقتادة الا حرف استفتاح وتنبيه كقول امري القيس
الا رب يوم لك فيه صالح • ومن على هذا شرط فالجملة مقدره شرطية
والجواب فيعذبه الله والمبتدا بعد الفا مضمر والتقدير فهو يعذبه
الله لانه لو اريد الجواب بالفعل الذي بعد الفا لكان الا من تولى وكفر
يعذبه الله • قال شهاب الدين او موصولة مضمر معناه **قوله** ان
الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت والعامة على تخفيف اليا مصدر اب
يووب ايابا اي رجع كقام يقوم قياما قال عبيد
وكل ذي غيبة يووب • وغايب الموت لا يووب
وقرا ابو جعفر وشيبة بتشديدها • قال ابو حاتم لا يجوز التشديد
ولو جاز مثله في الصيام والقيام • وقيل لغتان بمعنى • قال شهاب الدين
وقد اضطربت فيها اقوال المصريين فقيل هو مصدر لايب على
وزن فيعل كبيطر يقال منه ايب يويب ايابا والاصل ايوب يويوب
ايوابا كبيطر بيطرة اجتمعت اليا والواو في جميع ذلك وسبقت
احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا المزيدة فيها فاياب
على هذا فيعال • وقيل بل هو مصدر لاوب بزنة فوعل كحوقل والاصل
اوواب بواوين الاولى زايدة والثانية عين الكلمة فسكنت الاولى
بعد كسره فقلبت يا فصار ايوابا فاجتمعت يا وواو وسبقت احداهما

بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت في اليا بعدها فوزنه فيعال
كبعال والاصل حوقال وقيل بل هو مصدر لاوب على وزن فعول
كجهور والاصل اواب على وزن فعوال كجهوال والاولى عين الكلمة
والثانيه زايده وفعل به ما فعل بما قبله من القلب والادغام
للعلل المتقدمة وهي مفهومة مما مر فان قيل الادغام مانع من
قلب الواو يا قيل انما يمنع اذا كانت الواو واليا عينا وقد عرفت
ان اليا في فيعل والواو في فوعل وفعول زايدتان وقيل بل هو
مصدر لاوب يزنه فعل نحو كذب كذابا والاصل اواب ثم قلبت
الواو الاولى يا لانكسار ما قبلها فقيل ايواب قال الزمخشري
كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل بسيد يعني اصله سيود فقلبت
ادغمت والى هذا نحا ابو الفضل ايضا الا ان ابا حيان رد ما قاله
بانهم نصوا على ان الواو الموضوعة على الادغام لا تقلب الاولى
يا وان انكسر ما قبلها قال ومثلوا بنفس اواب مصدر اوب
مشددا وبا خرواط مصدر اخروط قال واما تشبيه الزمخشري
بديوان فليس بجيد لانهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة
ولم يقولوا اذ واهو لولا الجمع على دواوين لم يعلم ان اصل هذه
اليا واو وقد نصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره
قال شهاب الدين اما كونهم لم ينطقوا بدوان فلم يلزم منه
رد ما قاله الزمخشري ونص النحاة على ان اصل ديوان دوان وقراط
قراط بدليل الجمع على دواوين وقراريط وكونه شاذا لا يقدح لانه
لم يذكر مقيسا عليه بل منظرا به وذهب مكي الى نحو من هذا فقال
فاصل اليا واو ولكن انقلبت بالانكسار ما قبلها وكان يلزم من
شدد ان يقول اوابهم لانه من الواو ويقول ايابهم فيبدل من
اول المشدد يا كما قالوا ديوان والاصل دوان انتهى وقيل هو
هو مصدر لاوب يزنه اكرم من الاوب والاصل ااواب كاكرام
فابدلت الهمزة الثانية بالسكونها بعد همزة مكسورة فصار
اللفظ ايوابا فاجتمعت اليا والواو وعلى ما تقدم تقلب وادغم
ووزنه افعال وهذا واضح وقال ابن عطيه في هذا الوجه سهلت
الهمزة وكان الاغام يردها اوابا لكن استحسنت فيه اليا على غير
قياس انتهى وهذا ليس بجيد لما عرف من انه لما قلبت الهمزة يا فالقياس
ان يفعل ما تقدم من قلب الواو الى اليا من دون عكس قال
شهاب الدين وانما ذكرت هذه الاوجه مشروحه لصعوبتها وعدم
من بعض المنظر في مثل هذه المواضع المقلقه وقدم الخبر في قوله
الينا وعلينا مبالغة في التشديد في الوعيد والله اعلم روى
الثعلبي في تفسيره عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم من قرا سورة
الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية

وهي ثلاثون اية ومايه وتسع وثلاثون كلمة وخمس مايه وسبعة
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والفجر قيل
جواب القسم مذكور وهو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد قاله ابن
الانباري وقيل محذوف لدلالة المعنى عليه اي لنجازين كل واحد
بما عمل بدليل تقديد ما فعل بالقرون الخالية وقدر الزمخشري

ليعذبن

٣٤٨

ليعذبن قال يدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب وقدره
ابو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة قبله اي لايابهم الينا وحسابهم
علينا وقال مقا تل هل هنا في موضع ان تقديره ان في ذلك قسما
لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم انتهى وهذا قول باطل
لانه لا يصلح ان يكون مقسما عليه على تقدير تسليم ان التركيب هكذا
وانما ذكرناه للتنبيه على سقوطه وقيل ثم مضاف محذوف اي
صلوة الفجر اي ورب الفجر والعامة على عدم التنوين في الفجر والوتر
وليشدد ابو الدينار الاعرابي بتنوين الثلاثة قال ابن خالويه
هذا ما روي عن بعض العرب انه يقف على اخر القوافي وان كان فعلا
وان كان فيه الالف واللام قال الشاعر

اقلي اللوم عاذل والعتابن ¤ وقولي ان اصبت لقد اصابن

يعني بهذا تنوين الترنم وهو ان العربي اذا اراد ترك الترنم وهو
مد الصوت نون الكلمة وانما يكون في الروي المطلق وقد عاب بعضهم
النحويين بنون الترنم وقال بل ينبغي ان يسموه تنوين تركه
ولهذا التنوين قسيم اخر يسمى التنوين الغالي وهو ما يلحق الروي
المقيد كقوله ¤ حاوي المخترقن ¤ على ان بعض العروضيين انكروا وجوده
ولهذين التنوينين احكام مخالفة لحكم التنوين مذكورة في علم النحو
والحاصل ان هذا القاري اجرى الفواصل مجرى القوافي وله نظاير
منها الرسولا والسبيلا والظنونا في الاحزاب والمتعال في سورة الرعد
ويسر هنا قال الزمخشري هنا فما لها منكره من بين ما اقسم به قلت
لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة
بفضيلة ليست في غيرها فان قلت هلا عرفت بلام العهد لانها ليال
معلومة قلت لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير
ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من
الالغاز والتعميه يعني بتجانس اللامات ان تكون كلها اما للجنس
واما للعهد والغرض ان الظاهر ان اللامات في الفجر وما معه للجنس
فلو جي بالليالي معرفة بلام العهد لفات التجانس اقسم سبحانه
بالفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر اقسام خمسة
واختلف في الفجر فقال علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم
الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قال ابن الخطيب اقسم
تعالى بما يحصل فيه من حصول النور وانتشار الناس وساير الحيوان
في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة لمن تامل
كقوله تعالى والصبح اذا تنفس وتمدح بكونه خالقا فقال سبحانه
فالق الاصباح وعن ابن عباس رضي الله عنه انه النهار كله وعبر
عنه بالفجر لانه اوله وروى ابو محيصن عن عطية عن ابن عباس يعني
فجر المحرم قال قتادة هو فجر اول يوم من المحرم منه تنفجر السنة
وعنه ايضا صلوة الصبح وروى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس
قال يريد صبيحة يوم النحر لان الله تعالى جعل لكل ليلة يوما قبله
الا ليلة النحر بعده فمن ادرك الموقف الليلة التي بعد عرفة فقد ادرك
الحج الى طلوع يوم النحر وهذا قول مجاهد وقال عكرمة والفجر قال
انشقاق الفجر من يوم جمع وعن محمد بن كعب القرظي والفجر قال
اخر ايام العشر اذا دفعت من جمع وقال الضحاك فجر ذي الحجة لان
الله تعالى قرن به الايام فقال تعالى وليال عشر اي ليال عشر من

ذي الحجة. وقيل هي العيون التي تنفجر منها المياه قوله وليال
عشر العامة على ليال بالتنوين عشر صفة لها. وقرا ابن عباس وليال
عشر بالاضافة فبعضهم قال ليال في هذه القراة دون يا وبعضهم
قال وليالي عشر بالياء وهو القياس. وقيل المراد بليال ايام عشر وكان
من حقه على هذا ان يقال عشرة لان المعدود مذكر ويجاب عنه بانه
اذا حذف المعدود جاز الوجهان. ومنه واتبعه بست من شوال
وسمع الكسائي صمنا من الشهر خمسا فصل قال ابن عباس
ومجاهد والسدي والكلبي هو عشر ذي الحجة. وقال مسروق هي العشر
المذكوره في قوله تعالى في قصة موسى عليه الصلوة والسلام واتممناها
بعشر وهي افضل ايام السنة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من ايام العمل الصالح فيهن احب الى الله تعالى من عشر ذي الحجة
ولان ليلة يوم النحر داخلة فيه رخصه الله تعالى لمن لم يدرك
الموقف يوم عرفة. وعن ابن عباس ايضا هي العشر الاواخر من رمضان
وقال الضحاك اقسم الله تعالى بها لشرفها بليلة القدر. وكان
صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان شد
المئزر وايقظ اهله للتهجد. وعن ابن عباس رضي الله عنه
والطبري هو العشر الاول من المحرم لان اخرها يوم عاشورا
ولصومه فضل عظيم قوله والشفع والوتر قرا الاخوان
بكسر الواو من الوتر. والباقون بفتحها وهما لغتان كالحبر
والحبر والفتح لغة قريش ومن والاها. والكسر لغة تميم
وهاتان اللغتان في الوتر مقابل الشفع. فاما في الوتر بمعنى
الترة اي الذحل فبالكسر وحده. قال الزمخشري ونقل الاصمعي
فيه اللغتين ايضا. وقرا ابو عمرو في رواية يونس عنه بفتح
الواو وكسر التا فيحتمل ان تكون لغة ثالثة وان تكون نقل كسرة
الرا الى التا اجرا للوصل مجرى الوقف فصل قال ابن
الخطيب الشفع والوتر هو الذي تسميه العرب الخسا والزكا
وتسميه العامة الزوج والفرد. قال يونس اهل العالية
يقولون الوتر بالفتح في العدد والوتر بالكسر في الذحل. وتميم
يقولون بكسر الواو فيهما ويقول اوترت اوترا ايتارا اي جعلته
وترا. ومنه قوله صلى الله عليه الصلوة والسلام من استجمر فليوتر
واختلف في الشفع والوتر فروي عمران بن حصين رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشفع والوتر الصلوة منها
شفع ومنها وتر. وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم
والفجر وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة
والشفع يوم النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس
وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلى
الله عليه وسلم وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين
فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها
وعن ابي ايوب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله
تعالى والشفع والوتر قال الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر
ليلة يوم النحر. وقال مجاهد وابن عباس وابن السميقع الشفع
خلقه قال تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله تعالى فقيل
لمجاهد اترويه عن احد قال نعم عن ابي سعيد الخدري عن رسول
الله

الله صلى الله عليه وسلم ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق
وابو صالح وقتادة قال الشفع الخلق قال تعالى ومن كل شيء خلقنا
زوجين الكفر والايمان. والشقاوة والسعادة. والهدى والضلال.
والنور والظلمة. والليل والنهار. والحر والبرد. والشمس والقمر.
والصيف والشتا. والسما والارض. والجن والانس. والوتر هو الله
تعالى قال تعالى قل هو الله احد الله الصمد. وقال صلى الله
عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما والله وتر يحب الوتر.
وعن ابن عباس رضي الله عنه الشفع صلوة الصبح والوتر صلوة
المغرب. وقال الربيع بن انس وابو العالية هي صلوة المغرب
فالشفع منها الركعتان الاوليان والوتر الثالثة. وقال ابن الزبير
الحادي عشر والثاني عشر من ايام منى والوتر اليوم الثالث. قال
تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه
وقال عطا والضحاك الشفع عشر ذي الحجة. والوتر ايام منى
الثلاثة. وقيل الشفع والوتر ادم عليه الصلوة والسلام كان
وترا فشفع بزوجته حوى رواه ابن ابي نجيح وحكاه القشيري عن
ابن عباس رضي الله عنه. وفي رواية الشفع ادم وحوى والوتر
هو الله تعالى. وقيل الشفع درجات الجنة والوتر دركات النار
وهي سبعة كانه اقسم بالجنة والنار قاله الحسين بن الفضل
وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة. وقال مقاتل بن
حيان الشفع الايام والليالي والوتر الذي لا ليلة بعده وهو
يوم القيامة. وقيل غير ذلك. قال ابن الخطيب وكل هذه الوجوه
محتملة والظاهر لا اشعار له بشي من هذه الاشيا على التعيين
فان ثبت في شي منها خبر عن الرسول عليه الصلوة والسلام او
اجماع من اهل التاويل حكم بانه المراد وان لم يثبت وجب
ان يكون الكلام على طريقة الجواز لا على القطع. ولقائل ان يقول
لنا حمل الكلام على الكل لان الالف واللام في الشفع والوتر يفيد
العموم قوله والليل اذا يسر هذا قسم خامس بعدما اقسم
بالليالي العشر على الخصوص اقسم بالليالي على العموم ومعنى يسر
اي يسرى فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم قال
لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم
ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا وهذا قول اكثر
اهل المعاني وهو قول القتيبي والاخفش. وقال اكثر المفسرين
معنى يسر سار فذهب. وقال قتادة وابو العالية جا واقبل
وقيل المراد بنقص كقوله اذ ادبر اذا عسعس ويسر منصوب
بمحذوف هو فعل القسم اي اقسم به وقت سراه وحذف
يا يسري وقفا واثبتها وصلا نافع وابو عمرو واثبتها في الحالين
ابن كثير وحذفها في الحالين الباقون لسقوطها في خط المصحف
الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام فعل مضارع محذوف
مرفوع وحذفها لموافقة المصحف وموافقة رءوس الاي وجريا
للفواصل مجرى القوافي ومن فرق بين حالتي الوقف والوصل
فلان الوقف محل استراحة. قال الزمخشري ويا يسري تحذف
في الدرج اكتفا عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة
وهذه الاسما كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف وهو ليعذبن

به ليل قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم
ربك سوط عذاب وقد تقدم الكلام على ذلك **قوله** هل
في ذلك قسم لذي حجر قيل هل على بابها من الاستفهام الذي معناه
التقرير كقولك الم انعم عليك اذا كنت قد انعمت • وقيل المراد
بذلك التوكيد لما اقسم به واقسم عليه • والمعنى بل في ذلك
مقنع لذي حجر • ومعنى لذي حجر لب وعقل • قال الشاعر •
وكيف يرجوان يتوب وانما • يرجى من الفتيان من كان ذا حجر •
وقال ابو مالك لذي حجر اي لذي ستر من الناس • وقال الحسن
لذي حلم • قال الفرا الكل يرجع الى معنى واحد لذي حجر ولذي
عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل • واصل الحجر المنع
يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر • ومنه سمي الحجر المنع
لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه عن التصرف
ولذلك سميت الحجرة حجرة لامتناع ما فيها بها • قال الفرا العرب
تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من
حجرت على الرجل **فصل** والمعنى ان كل ذلك دال على التوحيد
والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه • قال
القاضي وهذه الاية تدل على ان هذه مبالغة في القسم والمبالغة
لا تحصل الا في القسم بالله تعالى ولان النهي قد ورد بان يحلف العاقل
بغير الله تعالى **قوله** الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم • قرا
العامة بعاد مصروفا • ارم بكسر الهمزة وفتح الرا والميم فعاد اسم
لرجل في الاصل ثم اطلق على القبيلة او الحي وقد تقدم الكلام
عليه • واما ارم فقيل هو اسم قبيلة وقيل اسم مدينة واختلفوا
في تعيينها فقيل اسكندرية • وقيل دمشق وهذان القولان ضعيفان
لان منازل ... كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال
والاحقاف • واما الاسكندرية ودمشق فليستا من بلاد الرمال
فان كانت اسم قبيلة كانت بدلا او عطف بيان او منصوبة
باضمار اعني • وان كانت اسم مدينة فتعلق الاعراب من عاد
وتخريجه على حذف مضاف كانه قيل بعاد اهل ارم قاله الزمخشري
وهو حسن • ويبعد ان يكون بدلا من عاد بدل اشتمال اذ لا ضمير
وتقديره قلق • وقد يقال انه لما كان المراد بعاد مدينتهم لان
ارم قابلة مقام ذلك صح البدل • وارم اسم جد عاد وهو عاد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلوة والسلام •
قال زهير •
وآخرين ترى الماذي عدتهم • من نسج داود وما اورثت ارم •
وقال قيس بن الرقيات •
مجدا تليدا بناه اولوه • ادرك عادا وقبل ارم •
وقرا الحسن عاد غير مصروف • قال ابو حيان مضافا الى ارم فجاز
ان يكون ارم ابا او جدا او مدينة • قال شهاب الدين يتعين
في قراة الحسن غير مضاف بل يكون كما كان منونا ويكون ارم بدلا
او بيانا او منصوبا باضمار اعني ولو كان مضافا لوجب صرفه
وانما منع عاد اعتبارا بمعنى القبيلة او جاء على احد الجائزين
في هند وبابه • وقرا الضحاك في رواية بعاد ارم ممنوع الصرف
وفتح الهمزة من ارم كما قال مجاهد من قرا بفتح الهمزة شبههم
بالارام

بالارام التي هي الاعلام • وعنه ايضا بفتح الهمزة وسكون الراء
وهو تخفيف ارم بكسر الرا وهي لغة في اسم المدينة كما قرئ
بورقكم وهي قراة ابن الزبير وعنه في عاد مع هذه القراة الصرف
وتركه • وعنه ايضا وعن ابن عباس ارم بفتح الهمزة والرا والميم
مشددة جعلاه فعلا ماضيا يقال ارم العظم اي بلي وارمه غيره
فافعل يكون لازما ومتعديا في هذا وذات على هذه
القراة مجروره صفة لعاد ويكون قد راعى لفظها تارة في قوله
ارم فلم تلحق علامة التانيث ويكون ارم معترضا بين الصفة
والموصوف اي ارمت هي بمعنى رمت وبليت وهو دعا عليهم
ويجوز ان يكون فاعل ارم ضميرا للبارئ تعالى والمفعول محذوف
اي ارمها الله تعالى والجملة الدعائية معترضة ايضا وراعى معناها
اخرى في ذات فانث • وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ذات
بالنصب على انها مفعول بارم وفاعل على ارم ضمير يعود على
الله تعالى اي ارمها الله ويكون ارم بدلا من فعل ربك وتبيين
له • وقرا ابن الزبير بعاد ارم باضافة عاد الى ارم مفتوح الهمزة
مكسور الرا وقد تقدم انه اسم المدينة • وقرا ارم ذات باضافة
ارم الى ذات • وروي عن مجاهد ارم يعني بفتحتين مصدر ارم
يارم اي هلك فعلى هذا يكون منصوبا بفعل ربك نصب المصدر
التشبيهي والتقدير كيف اهلك ربك عادا اهلاك ذات العماد
وهذا اغرب الاقوال • وذات العماد ان كان صفة للقبيلة فمعناه
انهم اصحاب خيام لها اعمدة يظعنون بها او هو كناية عن طول
ابدانهم كقولهم رفيع العماد طويل النجاد كما قاله ابن عباس رضي
الله عنه وان كان صفة للمدينة فمعناه انها ذات عمد من الحجارة
قوله التي لم يخلق يجوز ان يكون تابعا وان يكون مقطوعا رفعا
ونصبا والعامة على يخلق مبنيا للمفعول مثلها مرفوع على ما لم
يسم فاعله • وعن ابن الزبير يخلق مبنيا للفاعل مثلها منصوب
به • وعنه ايضا نخلق بنون العظمة **فصل** قال القرطبي
من لم يضف جعل ارم اسم عاد ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم
ابيهم او اسم بلدة تقديره بعاد اهل ارم كقوله تعالى واسئل
القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث
والارم العلم اي بعاد اهل ذات العلم وهذه الرؤية رؤية
القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد عام وان كان
امر عاد وثمود عندهم مشهورا اذ كانوا في بلاد العرب وحجر ثمود
موجود اليوم وامر فرعون يسمعونه من جيرانهم من اهل الكتاب
واستفاضت به الاخبار وبلاد فرعون متصلة بارض العرب
وقوله بعاد اي بقوم هود • قال ابو هريرة كان الرجل من قوم عاد
يتخذ المصراع من حجارة لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم
يستطيعوا ان يقلوه • وارم قال ابن اسحاق هو سام بن نوح عليه
الصلوة والسلام • قال ابن اسحاق كان سام بن نوح له اولاد منهم
ارم بن سام وارفخشذ بن سام فمن ولد ارم بن سام العمالقة
والفراعنة والجبابرة والملوك الطغاة والعصاة • وقال مجاهد ارم
امة من الامم • وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة • وعنه ايضا القوية
وقال قتادة هي قبيلة من عاد • وقيل هما عادان فالاول هي ارم

قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى فقيل يعقب عاد بن عوص بن
ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين
منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم
عاد الاخرى قال ابن الرقيات

مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبله ارما

وقال معمر ارم اليه يجمع عاد وثمود وكانت القبائل تنتسب الى
ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال ابن عباس في رواية
عطا كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع والقصير منهم طوله
ثلثمائة ذراع بذراع نفسه وعن ابن عباس ايضا ان طول الرجل
منهم كان سبعون ذراعا قال ابن العربي وهو باطل لان في الصحيح
ان الله تعالى خلق ادم عليه الصلوة والسلام طوله ستون ذراعا
في الهوى ولم تزل الخلق تنقص الى الان وزعم قتادة ان طول
الرجل منهم اثنى عشر ذراعا قال ابو عبيدة ذات العماد ذات
الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ونحوه عن ابن عباس
ومجاهد وعن قتادة كانوا عمادا لقومهم يقال فلان عميد
القوم وعمودهم وعنه ايضا كانوا اهل خيام واعمدة ينتجعون
العيون ويطلبون الكلا ثم يرجعون الى منازلهم وقيل
المعنى ذات الابنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون
الاعمدة فيبنون عليها القصور وقال ابن زيد ذات العماد
يعني احكام البنيان بالعمد وكانوا ينصبون الاعمدة قال
الجوهري العماد الابنية الرفيعة تذكر وتؤنث والواحدة
عمادة وقال الضحاك ذات العماد اي ذات الشدة والقوة
ماخوذ من قوة الاعمدة بدليل قوله تعالى وقالوا من اشد
منا قوة **فصل** والضمير في مثلها يرجع الى القبيلة اي
لم يخلق مثل القبيلة في البلاد قوة وشدة وعظم اجساد
وعن الحسن وغيره وفي حرف عبد الله التي لم يخلق مثلهم في البلاد
وقيل يرجع الى المدينة وقيل يرجع الى العماد وعلى هذا فالعماد جمع عمد
وهي الاساطين والاول اظهر وعليه الاكثر **فصل** قال القرطبي
روي عن مالك رضي الله عنه ان كتابا وجد بالاسكندرية فلم يدر ما فيه
فاذا فيه انا شداد بن عاد الذي رفع العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت
قال مالك ان كان لتمر بهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة وروي انه كان
لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر
لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع ذكر الجنة فقال ابني مثلها
فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسع
مائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة
واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار
والانهار فلما تم بناها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة
يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السما فهلكوا وعن عبد الله
ابن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما
هنالك وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب
فساله فقال ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في
زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب
ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل

فصل

فصل ذكر الله تعالى ههنا قصة ثلاث فرق من الكفار المتقدمين
وهم عاد وثمود وقوم فرعون على سبيل الاجمال حيث قال تعالى
فصب عليهم ربك سوط عذاب ولم يبين كيفية ذلك العذاب
وبين في سورة الحاقة ما اصابهم في هذه السورة فقال تعالى فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية
الى قوله وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة **قوله**
وثمود قرأ العامة بمنع الصرف وابن وثاب بصرفه كما تقدم والذي
يجوز فيه ما تقدم في التي لم يخلق وجابوا اي قطعوا ومنه فلان يجوب
البلاد اي يقطعها سيرا قال

ولا رأيت قلوصا قبلها حملت ستين وسقا ولا جابت به بلدا

وجاب الشيء يجوبه اي قطعه ومنه سمي جيب القميص لانه جيب
اي قطع وخرقه جوبا **قوله** بالواد متعلق اما بجابوا اي فيه واما
بمحذوف على انه حال من الصخر او من الفاعلين واثبت في الحالين ابن
كثير وورش بخلاف عن قنبل فروي عنه اثباتها في الحالين وروي عنه
اثباتها في الوصل خاصة وحذفها الباقون في الحالين موافقة لخط
المصحف ومراعاة للفواصل كما تقدم في يسر **فصل** قال
ابن عباس كانوا يجوبون البلاد ويجعلون من الجبال بيوتا لقوله تعالى
وتنحتون من الجبال بيوتا فقيل اول من نحت من الجبال والصخور
والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة
وقوله تعالى بالواد قال بعضهم نزل بواد القرى وهو على فرس اشقر
فقال اسرعوا السير فانكم في واد ملعون وقيل الوادي بين جبال
وكل منفرج بين جبال وتلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد
قوله وفرعون ذي الاوتاد اي الجنود والعساكر والجموع قاله
ابن عباس وسمي ذا الاوتاد لكثرة مضاربهم التي كانوا يضربونها
اذا نزلوا وقيل ذي الاوتاد اي ذي الملك الثابت كقوله

في ظل ملك راسخ الاوتاد

وقيل كان يشد الناس بالاوتاد الى ان
يموتوا تجبرا منه وعتوا كما فعل بامرأته اسية وماشطتها قال
عبد الرحمن بن زيد كانت له صخرة ترفع بالبكرات ثم يوخذ الانسان
فيوتد له اوتاد الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه وروى قتادة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان تلك الاوتاد كانت ملاعب
يلعبون تحتها **قوله** الذين طغوا يجوز فيه ما جاز في الذين
قبله من الاتباع والقطع على الذم قال ابن الخطيب يحتمل ان يرجع
الضمير الى فرعون خاصة لانه يليه ويحتمل ان يرجع الى جميع ما تقدم
ذكرهم وهو الاقرب واحسن الوجوه في اعرابه ان يكون في محل نصب
على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا يعني عادا وفرعون
وثمود طغوا اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان
ثم فسر تعالى طغيانهم بقوله فاكثروا فيها الفساد قال الكلبي بالقتل
والمعصية لله تعالى قال القفال والجملة ان الفساد ضد الصلاح فكما
ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فالفساد يتناول جميع اقسام
الاثم فمن عمل بغير امر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد **قوله**
فصب عليهم ربك سوط عذاب صب اي افرغ عليهم والقى يقال
صب على فلان خلعة اي القاها عليه قال النابغة

فصب عليه الله احسن صبغة وكان له بين البرية ناصر



وقوله تعالى سوط عذاب اي نصيب عذاب • وقيل شدته لان السوط
عندهم نهاية ما تعذبت به قال
المرتزان الله اظهر دينه • وصب على الكفار سوط عذاب
والسوط هو الآلة المعروفة • قيل سمي سوطا لانه يساط به اللحم عند
الضرب اي يختلط قال كعب بن زهير •
لكنها خلة قد سيط من دمها • فجع وولع واخلاف وتبديل
وقال اخر •
احارثنا تاكو نساط دماونا • نترابلن حتى لايمس دم دما
وقيل هو في الاصل مصدر ساطه يسوطه سوطا ثم سميت به الآلة
وقال ابو زيد اموالهم بينهم سويطة اي مختلطة فهو ساقط فالسوط
خلط الشيء بعضه ببعض • ومنه سمي المسواط وسوطه اي خلطه ويقال
سوط فلان امره قال •
فسطها ذميم الراي غير موفق • فلست على تسويطها بمعان
وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل
ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب
اذا كان فيه غاية العذاب • وقال الزجاج اي جعل سوطهم الذي ضربهم
به العذاب • يقال ساط دابته يسوطها اي ضربها بسوطه وعن
عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الآية قال ان الله عنده اسواطا
كثيرة فاخذهم بسوط منها • وقال قتادة كل شيء عذب الله تعالى به
فهو سوط عذاب واستعمال الصب في السوط استعارة بليغة
سائغة في كلامهم • قال القاضي وشبهه بصب السوط الذي يتواتر
على المضروب فيهلكه **قوله** ان ربك لبالمرصاد اي يرصد عمل
كل انسان حتى يجازيه به • قال الحسن وعكرمة والمرصاد كالمرصد
وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد جمع راصد كحرس • فالمرصاد
مفعال من رصده كميقات من وقته قاله الزمخشري • وجوز ابن
عطية في المرصاد ان تكون اسم فاعل قال كانه قيل لبالمرصاد فعبر
ببنية المبالغة ورده ابو حيان بانه لو كان كذلك ولم تدخل عليه
الباء ليس هو في موضع دخولها لا زائدة ولا غير زائدة • قال
شهاب الدين قد وردت زيادتها في خبر ان كهذه الآية وفي قول
امرئ القيس • فانك مما احدثت بالمجرب • الا ان هذه ضرورة
لا يقاس عليه الكلام فضلا عن الفصيحه **فصل** تقدم الكلام
في المرصاد عند قوله تعالى كانت مرصادا وهذا مثل لارصاده العصاة
بالعقاب بانهم لا يفوتونه كما قيل لبعض العرب اين ربك قال
بالمرصاد • وقال الفراء معناه اليه المصير • وقال الزجاج يرصد
من كفر به وعاند طاعته بالعذاب • وقال الفضال يرصد اهل
الظلم والمعصية **قوله** فاما الانسان اما مبتدا وفي خبره
وجهان • اصحهما انه الجملة من قوله فيقول كقوله تعالى فاما الذين
امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم كما تقدم والظرف حينئذ منصوب
بالخبر لانه في نية التاخير ولا يمنع الفاء من ذلك قاله الزمخشري
وغيره • والثاني ان اذا شرطية وجوابها فيقول • وقوله فاكرمه
معطوف على ابتلاه والجملة الشرطية خبر الانسان قاله ابو البقاء
وفيه نظر لانه اما يلزم الفاء في الجملة الواقعة خبرا عما بعدها
ولا تحذف الا مع قول مضمر كقوله واما الذين اسودت كما تقدم
الا

الا في ضرورة • قال الزمخشري فان قلت بم تتصل قوله تعالى
فاما الانسان • قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله
لا يريد من الانسان الا الطاعة فاما الانسان فلا يريد ذلك
ولا يهمه الا العاجلة انتهى يعني بالتعليق من حيث المعنى وكيف
عطفت هذه الجملة التفصيلية على ما قبلها مترتبة عليه • وقوله
لا يريد الا الطاعة على مذهبه ومذهب اهل السنة ان الله
يريد الطاعة وغيرها ولولا ذلك لم يقع لان من لا يدخل في ملكه
ما لا يريد واصلاح العبارة ان يقول ان الله يريد من العبد
والانسان من غير حصر ثم قال • فان قلت فكيف توازن قوله
تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه • وقوله تعالى واما اذا ما
ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول
اما الانسان فكفور • واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد
فهو محسن اليك • واما اذا اسات اليه فهو مسيء اليك • قلت
هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه وذلك
ان قوله فيقول ربي اكرمني خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول
الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر
في نية التاخير كانه قال فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت
الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدا واجب تقديره
فصل قال ابن عباس المراد بالانسان عتبة بن ربيعة
وابا حذيفة بن المغيرة • وقيل امية بن خلف • وقيل ابي بن خلف
اذا ما ابتلاه ربه امتحنه واختبره بالنعمة • وما زائدة صلة فاكرمه
بالمال ونعمه بما اوسع عليه فيقول ربي اكرمن فيفرح بذلك
ولا يحمده • واما اذا ما ابتلاه اي امتحنه بالفقر واختبره فقدر
عليه رزقه على مقدار البلغة فيقول ربي اهانن اي اذلني هوانا
وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث وانما الكرامة عنده
والهوان بكثرة المال والحظ في الدنيا فاما المؤمن فالكرامة
عنده ان يكرمه الله تعالى بطاعته وتوفيقه المؤدي لحظ الاخرة
وان وسع عليه في الدنيا حمده وشكره قال القرطبي الاية نصفه
على كل كافر وكثير من المسلمين يظن انما اعطاه الله لكرامته وفضيلته
عند الله وربما يقول بجهله لو لم استحق هذا لم يعطني الله وكذا
ان قتر عليه يظن ان ذلك لهوانه على الله **قوله** فقدر عليه
قرا ابن عامر بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما لغتان
بمعنى واحد ومعناهما التضييق • وقال القرطبي والاختيار
التخفيف لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه • وقوله تعالى الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال ابو عمرو وقدر بالتخفيف
اي قتر وقدر مشددا هو ان يعطيه ما يكفيه ولو فعل به ذلك ما قال
ربي اهانن **فصل** قوله اكرمن واهانن • قرا نافع باثبات
يائهما وصلا وحذفها وقفا من غير خلاف عنه والبزي عن ابن كثير
وابن محيصن ويعقوب اثباتهما في الحالين لانهما اسم فلا تحذف
واختلف عن ابي عمرو في الوصل فروي عنه الاثبات والحذف والباقون
بحذفهما في الحالين وعلى الحذف قوله •
ومن كاشح ظاهر غمره • اذا ما انتسبت له انكرن
يريد انكرني ولانهما وقعت في الموضعين من غير ياء والسنة لا تخالف

خط المصحف لانه اجماع الصحابة رضي الله عنهم • وقال الزمخشري
فان قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه
ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا
من غير سابقة • واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال
بالتفضل لا يكون اهانة كما اذا اهدى لك زيد هدية تقول اكرمني
فاذا لم يهد لك شيئا لا يكون مهينا لك • واجاب ابن الخطيب
عن هذا السوال بانه في قوله اكرمن صادق وفي قوله اهانن غير
صادق • فان قيل لما قال فاكرمه فقد صح انه اكرمه ثم انه لما
حكى عنه انه قال ربي اكرمن ذمه عليه فكيف الجمع بينهما فالجواب
ان كلمة الانكار كلا فلم لا يجوز ان يقال انها مختصة بقوله تعالى
ربي اهانن سلمنا ان الانكار عائد اليهما معا لكن يمكن ان
يكون الذم لانه اعتقد ان ذلك الاكرام بالاستحقاق او انه
لم يعرف الا عند سعة الدنيا مع سبق النعم عليه من الصحة والعقل
ودل على ان غرضه من ذلك الشكر ليس نفس الشكر بل محبة الدنيا
والتكثير بالاموال والاولاد ولان كلامه يقتضي الاعراض عن الاخرة
وانكار البعث كما حكى الله تعالى بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا الى قوله اكفرت بالذي خلقك من
تراب ثم من نطفة قوله كلا ردع للانسان عن تلك المقالة
قال ابن عباس رضي الله عنه المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته
علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر والمشية
والحكم المنزه عن التعليل وهذا مذهب اهل السنة واما على مذهب
المعتزلة فلمصالح خفية لا يطلع عليها الا هو سبحانه فقد يوسع
على الكافر لا لكرامته ويقتر على المومن لا لهوانه • وقال الفراء في هذا الموضع
يعني لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا ولكن يحمد الله تعالى على الغنى
والفقر قوله بل لا يكرمون اليتيم قرا ابو عمرو يكرمون وما
بعده بياء الغيبة حملا على معنى الانسان المتقدم اذ المراد به
الجنس والجنس في معنى الجمع والباقون بالتاء في الجميع خطابا
للانسان المراد به الجنس على طريقة الالتفات فصل
لما حكى اقوالهم فكانه قال لهم بل لهم فعل اشر من هذا القول وهو
ان الله تعالى اكرمهم بكثرة المال فلا يودون ما يلزمهم فيه
من اكرام اليتيم فنزعهم بذلك ووبخهم واما ترك اكرام اليتيم
بدفعه عن حقه واكل ماله • وقال مقاتل نزلت في قدامة بن
مظعون وكان يتيما في حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه
قوله ولا يحضون على طعام المسكين قرا الكوفيون تحاضون
والاصل تتحاضون فحذف احدى التاءين اي لا يحض بعضكم بعضا
وروي عن الكسائي تحاضون بضم التاء وهي قراءة زيد بن علي وعلقمة
اي تحاضون انفسكم • والباقون يحضون من حضه على كذا اي
اغراه به ومفعوله محذوف اي لا تحضون انفسكم ولا غيرها ويجوز
ان لا تقدر اي لا توقعون الحض قوله على طعام متعلق بتحضون
وطعام يجوز ان يكون على اصله من كونه اسما للمطعوم ويكون على
حذف مضاف اي على بذل او اعطاء طعام وان يكون اسم مصدر
بمعنى الاطعام كالعطاء بمعنى الاعطاء فلا حذف حينئذ فصل
اعلم ان ترك اكرام اليتيم على وجوه • احدها ترك بره واليه الاشارة
بقوله

بقوله تعالى ولا تحضون على طعام المسكين • والثاني دفعه عن حقه
واكل ماله واليه الاشارة بقوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما
ويحبون المال حبا جما قوله وتاكلون التراث اكلا لما التاء في
التراث بدل من الواو لانه من الوراثة ومثله تخمة وتوراه وتجمه
وتقدم كما قالوا تجاه وتخمه وتكاه وتالله ونحو ذلك • والتراث
ميراث اليتامى • وقوله تعالى اكلا لما اللم الجمع الشديد يقال لممت
الشيء لما اي جمعته جمعا • قال الحطيئة
اذا كان لما يتبع الذم ربه • فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا •
ولممت شعثه من ذلك • قال النابغة
ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث اي الرجال المهذب •
والجم الكثير ومنه جمة الماء قال زهير
فلما وردنا الماء زرقا جمامه • ومنه الجمة للشعر وقولهم جاوا الجما
الغفير ذلك • ولمته ملمومة وحجر ململوم وقولهم ان دارك لمومة
اي يلم الناس ويجمعهم والاكل يلم الثريد فيجمعه لقما ثم ياكله • قال
الحسن ياكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم فيجمعون نصيب غيرهم
الى نصيبهم • وقيل ان المال الذي يخلفه الميت بعضه حلال
وبعضه شبهة وبعضه حرام فالوارث يلم الكل اي يجمع البعض
الى البعض وياخذ الكل وياكله • قال الزمخشري يجوز ان يكون الذم
متوجها الى الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرف
جهته ويسرف في انفاقه وياكله اكلا لما جامعا بين الوان المشتهيات
وقال ابن زيد كان اهل الشرك لا يورثون النساء ولا الصبيان
بل ياكلون ميراثهم مع تراثهم قوله ويحبون المال
حبا جما اي كثيرا حرامه وحلاله والجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموما
فهو جم وجام ومنه جم الماء والحوض اذا اجتمع وكثر والجمة المكان
الذي يجتمع فيه ماوه والجموم البير الكثيرة الماء والجموم بالضم المصدر
يقال جم الماء يجم جموما اذا كثر في البير واجتمع والمعنى يحبون المال
كثيرا شديدا قوله كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم اي ما
هكذا ينبغي ان يكون الامر فهو ردع لانكبابهم على الدنيا وجمعهم لها
قوله اذا دكت الارض دكا دكا في دكا وجهان احدهما انه مصدر
موكد ودكا الثاني تاكيد للاول تاكيدا لفظيا كذا قال ابن عصفور
وليس المعنى على ذلك والثاني انه نصب على الحال والمعنى مكررا
عليها الدك كعلمته الحساب بابا بابا وعلمته حرفا حرفا وهذا ظاهر
قول الزمخشري وكذلك صفا صفا حال ايضا اي مصطفين ذوي
صفوف كثيرة • قال الخليل الدك كسر الحائط والجبل والدكداك رمل
متلبد ورجل مدك شديد الوطء على الارض • وقال المبرد الدك حط
المرتفع بالبسط واندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة دكا كذلك
ومنه الدكان لاستوائه في الانفراش • فمعنى الدك على قول الخليل كسر شيء
على وجه الارض من جبل او حجر حين زلزلت فلم يبق على ظهرها شيء وعلى قول
المبرد معناه انها استوت في الانفراش فذهب دورها وقصورها
من عماراتها كالصخرة الملساء وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي
الله عنهم تمد الارض يوم القيامة مد الاديم • قال ابن الخطيب وهذا
التدكدك لا بد وان يكون متاخرا عن الزلزلة فاذا زلزلت زلزلة بعد زلزلة فتنكسر

الجبال وتتهد وتمتلي الاغوار وتصير ملسا وذلك عند انتقاص
الدنيا **قوله** وجاء ربك والملك صفا صفا اي جا امره وقضاوه
قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف• وقيل جاءهم الرب بالايات
كقوله تعالى الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام اي بظلل• وقيل
جعل مجي الايات مجيا له تفخيما لشان تلك الايات كقوله في الحديث
يا ابن ادم مرضت فلم تعدني واستسقيت فلم تسقني واستطعمت
فلم تطعمني• وقيل زالت الشبهة وارتفعت الشكوك وصارت
المعارف ضرورية كما يزول الشبه والسكون عند مجي الشي الذي
كان يشك فيه• وقيل جاءتهم رسله كما تقول جاءنا بنوا امية اي
قهرهم كال اهل الاشارة ظهرت قدرته واستوت والله تعالى
لا يوصف بالتحول من مكان الى مكان وان له التحول والانتقال ولا
مكان له ولا اوان ولا يجري عليه وقت ولا زمان لان في جريان الوقت
على الشي فوت الاوقات ومن فاته الشي فهو عاجز واما قوله تعالى
والملك صفا صفا اي والملايكة صفا بعد صف محدقين بالجن والانس
قوله وجي يوميذ بجهنم يوميذ منصوب بجي والقايم مقام الفاعل
بجهنم• وجوز مكي ان يكون بجهنم يوميذ قايم مقام الفاعل• واما يوميذ
الثاني فقيل بدل من اذا دكت والعامل فيها يتذكر قاله الزمخشري
وهذا مذهب سيبويه وهو ان العامل في اذا دكت يتذكر والعامل
في يوميذ يتذكر قاله ابو البقا **فصل** قال ابن مسعود
ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون
الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير
رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود مرفوعا• وقال ابو سعيد
الخدري لما نزلت وجي يوميذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه ثم قال اقراني
جبريل عليه السلام كلا اذا دكت الارض دكا دكا الاية وجي يوميذ
بجهنم قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجا بها
قال يوتى بها تقاد بسبعين الف زمام يقود بكل زمام سبعون
الف ملك فتشرد شردة لو تركت لاحرقت الجمع ثم تعرض لي جهنم
فتقول ما لي ولك يا محمد ان الله تعالى قد حرم لحمك علي فلا يبقى احد
الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول رب
امتي امتي قال ابن الخطيب قال الاصوليون معلوم ان جهنم لا تنتقل
من مكانها ومعنى مجيها انها برزت واظهرت حتى راها الخلق وعلم الكافر
ان مصيره اليها **قوله** يوميذ يتذكر الانسان تقدم الكلام في
اعراب يوميذ ومعنى يتعظ الكافر ويتوب وهو من همته الدنيا وقيل
يتذكر الانسان ان ذلك حلال وان له الذكرى اي ومن اين له الاتعاظ
والتوبة وقد فرط فيها في الدنيا• وقيل ومن اين له منفعة الذكرى
فلا بد من تقدير حذف مضاف والا يوميذ يتذكر وبين وانى له الذكرى
تناف قاله الزمخشري **قوله** وانى خبر مقدم والذكرى مبتدا
موخر وله متعلق بما تعلق به الظرف **قوله** يقول يا ليتني قدمت
لحياتي اي لحياتي فاللام بمعنى في• وقيل اي قدمت عملا صالحا لحياتي
اي لحياة لا موت فيها• وقيل حياة اهل النار ليست هنية فكانهم لا حياة
لهم فالمعنى يا ليتني قدمت من الخير لحياتي في النار فاكون ممن له حياة
هنية **فصل** استدلت المعتزلة بهذه الاية على ان الاختيار كان

في ايديهم

في ايديهم وقصدهم وارادتهم وانهم ما كانوا محجوبين عن الطاعات
مجبرين على المعاصي• والجواب ان فعلهم كان معلقا بقصد الله تعالى
فبطل قولهم **قوله** فيوميذ لا يعذب عذابه احد• قرا الكسائي
لا يعذب ولا يوثق مبنيين للمفعول ورواه ابو قلابة عن النبي
صلى الله عليه وسلم بفتح الذال والثا• والباقون قروهما مبنيين
للفاعل فاما قراة الكسائي فاسند الفعل فيها الى احد وحذف الفاعل
للعلم به وهو الله تعالى والزبانية المتولون العذاب بامر الله• واما
عذابه ووثاقه فيجوز ان يكون المصدر ان مضافين للفاعل والضمير
لله تعالى او مضافين للمفعول والضمير للانسان ويكون عذابا واقع
موقع تعذيب• والمعنى لا يعذب احد مثل تعذيب الله تعالى هذا
الكافر ولا يوثق احد توثيقا مثل ايثاق الله اياه بالسلاسل والاغلال
والوثاق بمعنى الايثاق كالعطا بمعنى الاعطا الا ان في اعمال اسم المصدر
عمل مسماه خلافا مضطربا فنقل عن البصريين المنع وعن الكوفيين الجواز
ونقل العكس عن الفريقين ومن الاعمال قوله
: اكفرا بعد رد الموت عني : وبعد عطايك المائة الرتاعا :
ومن منع نصب المائة بفعل مضمر• واصرح من هذا قوله• فان كلامها
شفا لما بيا• وقيل المعنى ولا يحمل عذابه احد كقوله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى قاله الزمخشري• واما قراة الباقين فانه اسند
الفعل للفاعل• والضمير في عذابه ووثاقه يحتمل عوده على الباري
تعالى بمعنى انه لا يعذب في الدنيا مثل عذاب الله تعالى يوميذ احد اي ان
عذاب من يعذب في الدنيا ليس كعذاب الله يوم القيمة كذا قاله
ابو عبد الله وفيه نظر من حيث انه يلزم ان يكون يوميذ معمولا للمصدر
التشبيهي وهو ممتنع لتقدمه عليه الا ان يقال يتوسع فيه• وقيل
المعنى لا يكل عذابه ولا وثاقه لاحد لان الامر لله تعالى وحده في ذلك
وقيل المعنى انه في الشدة والفظاعة في حيز لم يعذب احد قط في الدنيا
مثله ورد هذا بان لا اذا دخلت على المضارع صيرته مستقبلا واذا
كان مستقبلا لم يطابق هذا المعنى ولا يطلق على الماضي الا بمجاز بعيد
وبان يوميذ المراد به يوم القيمة لا دار الدنيا• وقيل المعنى انه لا يعذب
احد في الدنيا مثل عذاب الله الكافر فيها الا ان هذا مردود بما رد ما قبله
ويحتمل عوده على الانسان بمعنى لا يعذب احد من زبانية العذاب مثل
ما يعذبون هذا الكافر ويكون المعنى لا يحمل احد عذاب الانسان لقوله
تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وهذه الاوجه صعبة المرام على طالبها
من غير هذا الكتاب• وقرا نافع في رواية وابو جعفر وشيبة بخلاف
عنهما وثاقه بكسر الواو والمراد بهذا الكافر المعذب قيل ابليس لعنه
الله لانه اشد الناس عذابا• وقال الفرا هو امية بن خلف **قوله**
يا ايتها النفس المطمينة• قرا العامة يا ايتها النفس بتا التانيث• وقرا
زيد بن علي يا ايها كنداء المذكر ولم يجوز ذلك احد الاصحاب لبدعه وهذه
شاهدة له وله وجه وهو انها لما لم يطابق صفتها تشبه وجاجاز
ان لا يطابقها تانيثا تقول يا ايها الرجلان يا ايها الرجال **فصل**
لما وصف حال من اطمان الى الدنيا وصف حال من اطمان الى معرفته
وعبوديته وسلم امره الى الله تعالى• وقيل هذا كلام الباري تعالى
اكراما له كما كلم موسى عليه الصلوة والسلام• وقيل هو من قول الملايكة

لاولياء الله تعالى • قال مجاهد وغيره المطمئنة الساكنة الموقنة
ايقنت ان الله تعالى ربها فاجابت لذلك • وقال ابن عباس المطمئنة
بثواب الله • وعن الحسن رضي الله عنه المؤمنة الموقنة • وعن مجاهد
ايضا الراضية بقضاء الله تعالى • وقال مقاتل الآمنة من عذاب
الله تعالى • وفي حرف ابي يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة • وقيل التي
عملت على يقين بما وعد الله تعالى في كتابه • وقال ابن كيسان المطمئنة
هنا المخلصة • وقيل المطمئنة بذكر الله تعالى لقوله تعالى الذين آمنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله • وقيل المطمئنة بالايمان المصدقة بالبعث
والثواب • وقال ابن زيد المطمئنة التي بشرت بالجنة عند الموت
او عند البعث ويوم الجمع **قوله** ارجعي الى ربك راضية مرضية
اي ارجعي الى صاحبك وجسدك قاله ابن عباس وعكرمة وعطا واختار
الطبري يدل عليه قراءة ابن عباس فادخلي في عبدك على التوحيد •
وقال الحسن ارجعي الى ثواب ربك • وقال ابو صالح ارجعي الى الله
وهذا عند الموت وقوله تعالى راضية مرضية حالان اي جامعة
بين الوصفين لانه لا يلزم من احدهما الآخر • والمعنى راضية بالثواب
مرضية عملك في الاعمال التي عملتها في الدنيا **فصل** قال
القفال هذا وان كان امرا في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير ان
النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله تعالى وقال الله تعالى
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي • قال وجيء الامر بمعنى الخبر كثير في كلامهم
كقولهم اذا لم تستح فاصنع ما شئت **فصل** قال سعيد بن
زيد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم يا ايتها النفس فقال ابو بكر رضي الله
عنه ما احسن هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر • وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس
بالطائف فجاء طائر لم ير على خلقته طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا
منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية • وروى الضحاك
انها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف بئر رومة •
وقيل نزلت في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه
الى المدينة فحول الله وجهه للقبلة **قوله** فادخلي في عبادي
يجوز ان يكون في جسد عبادي ويجوز ان يكون المعنى في زمرة عبادي
وقرأ ابن عباس وعكرمة وجماعة في عبدي والمراد الجنس وتعدى الفعل
الاول بفي لان الظرف ليس بحقيقي نحو دخلت في غمار الناس وتعدى الثاني
بنفسه لان الظرفية متحققة كذا قيل وهذا انما يأتي على احد الوجهين
وهو ان المراد بالنفس بعض المؤمنين وانه امر بالدخول في زمرة عباده
واما اذا كان المراد بالنفس الروح وانها مامورة بدخولها في الاجساد
فالظرفية متحققة فيه ايضا **فصل** قال ابن عباس هذا يوم
القيامة وهو قول الضحاك والجمهور وعلى ان المراد بالجنة دار الخلود التي
هي سكن الابرار ودار الصالحين • قال ابن الخطيب ولما كانت الجنة الروحانية
غير متراخية عن الموت في حق السعداء لا جرم قال تعالى فادخلي في عبادي
بفاء التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الكون فيها الا بعد
قيام القيامة الكبرى لا جرم قال تعالى وادخلي جنتي بالواو والله تعالى اعلم
روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والفجر وليال عشر غفر له
وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم

ومن

ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة •

سورة البلد مكية

وهي عشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلاث مائة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لا اقسم بهذا البلد يجوز
ان يكون لا زائدة كما تقدم في لا اقسم بيوم القيامة قاله الاخفش اي
اقسم لانه قال بهذا البلد وقد اقسم به في قوله تعالى وهذا البلد
الامين فكيف يجحد القسم وقد اقسم به سبحانه وتعالى قال
الشاعر •

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • وكاد صميم القلب لا يتقطع

اي يتقطع ودخل حرف لا صلة كقوله ما منعك الا تسجد • وقد قال
تعالى في سورة ص ما منعك ان تسجد • وقرأ الاعمش والحسن وابن كثير
لاقسم من غير الف بعد اللام اثباتا واجاز الاخفش ايضا ان تكون
بمعنى الا • وقيل ليست بنفي القسم وانما هو كقول العرب لا والله
لا فعلت كذا ولا والله ما كان كذا ولا والله لافعلن كذا • وقيل هي
نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه
حكاه مكي ورواه ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا رد عليهم وهذا اختيار
ابن العربي لانه قال واما من قال انها رد فهو قول ليس له رد لا يصح
به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد فهو رد لكلام من انكر البعث • ثم
ابتدا القسم • وقال القشيري قوله لا رد لما توهم الانسان المذكور
في هذه السورة المغرور في الدنيا اي ليس الامر كما يحسبه من انه لن
يقدر عليه احد ثم ابتدا القسم واجمعوا على ان المراد بالبلد مكة
المشرفة اي اقسم بالبلد الحرام الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي لك
قوله وانت حل بهذا البلد فيه وجهان احدهما ان الجملة
اعتراضية على احد معنيين اما على معنى انه تعالى اقسم بهذا البلد
وما بعده على ان الانسان في كبد واعترض بينهما بهذه الجملة يعني ومن
المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد كما يستحل
الصيد في غير الحرم • واما على معنى انه اقسم ببلده على ان الانسان لا
يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما
للتسلية فقال تعالى وانت حل به فيما يستقبل تصنع فيه ما تريد
من القتل والاسر فحل بمعنى حلال قال معناه الزمخشري ثم قال
فان قلت اين نظير قوله تعالى وانت حل في معنى الاستقبال • قلت
قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول
لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله تعالى اوسع
لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا
على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال لان السورة بالاتفاق
مكية وان الهجرة وقت نزولها فما بال الفتح الثاني من الوجهين
الاولين ان الجملة حالية اي لا اقسم بهذا البلد وانت حال بها لعظم
قدرك اي لا اقسم بشيء وانت احق بالاقسام بك منه • وقيل المعنى
لا اقسم به وانت مستحل فيه اي مستحل اذاك **فصل** اجمع
المفسرون على ان ذلك البلد مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعله
حرما امنا • وقال تعالى ومن دخله كان امنا وجعل مسجده قبلة لاهل
المشرق والمغرب • وقال تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

وامر الناس بحج البيت فقال ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا • وقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا • وقال
تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وقال تعالى ياتوك رجالا
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق • وشرف مقام ابراهيم عليه
الصلوة والسلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
وحرم صيده وجعل البيت بازايه ودحيت الارض من تحته
فهذه الفضايل واكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم اقسم الله تعالى
بها • **فصل** روى منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت
فيه من شي فانت حل وكذا قال ابن عباس احل له يوم دخل مكة
ان يقتل بها احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال
السدي انت في حل ممن قاتلك ان تقتله • وروى ابو صالح عن ابن
عباس قال احلت له ساعة من النهار ثم حرمت الى يوم القيمة
وذلك فتح مكة • قال ابن زيد لم يكن بها احد حلالا غير النبي صلى
الله عليه وسلم • وقيل معناه وانت مقيم فيه وهو محلك اي من
اهل مكة نشات بينهم ويعرفون فضلك وطهارتك لقوله تعالى
لقد جاكم رسول من انفسكم • وقيل انت فيه محسن وانا عنك
فيه راض وذكر اهل اللغة يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل
حرم وحرام ومحرم • وقال قتادة وانت حل به اي لست باثم
وقيل معناه انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه
معرفة منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون
الكفر بالله فيه • وقال شرحبيل بن سعيد وانت حل بهذا البلد
اي حلال اي يحرمون بمكة ان تقتلوا بها صيدا وتعضدوا بها
شجرا ثم مع هذا يستحلون اخراجك وقتلك فيه تعجب من جراتهم
وشدة عداوتهم **قوله** ووالد وما ولد • قيل ما بمعنى من
او بمعنى الذي وقيل مصدرية اقسم بالشخص وفعله • وقال الزمخشري
فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله تعالى والله اعلم
بما وضعت اي باي شي وضعت اي موضوعا عجيب الشان • وقيل ما
نافية فتحتاج الى اضمار موصول به يصح الكلام بتقديره والذي
ما ولد اذ المراد بالوالد من يولد له وبالذي لم يلد العاقر قاله معناه
ابن عباس وتلميذه ابن جبير وعكرمة **فصل** هذا معطوف
على قوله لا اقسم بهذا البلد وقوله تعالى وانت حل بهذا البلد
معترض بين المعطوف والمعطوف عليه • وقال ابن عباس ومجاهد
وقتادة والضحاك والحسن وابو صالح والطبري المراد بالوالد ادم
عليه الصلوة والسلام وما ولد اي وما تناسل من ولده اقسم بهم
لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق
والتدبير واخراج العلوم وفيهم الانبيا والدعاة الى الله تعالى والانصار
لدينه وامر الملايكة بالسجود لادم عليه الصلوة والسلام وعلمه الاسما
كلها ولقد قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم وقيل هو اقسام بادم
والصالحين من ذريته واما الصالحون فكانهم بهايم كما قال تعالى
ان هم الا كالانعام بل هم اضل • صم بكم عمي فهم لا يرجعون • وقيل
الوالد ابراهيم عليه الصلوة والسلام وما ولد ذريته وقيل الوالد
ابراهيم واسماعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم لانه اقسم بمكة
وابراهيم • قال الفرا وصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم • وقوله وما

وما خلق

خلق الذكر والانثى وهو الخالق الذكر والانثى • قال الماوردي ويحتمل
ان الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله
عليه الصلوة والسلام انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاقسم به وبامته
بعد ان اقسم ببلده ومبالغة في تشريفه عليه الصلوة والسلام **قوله**
لقد خلقنا الانسان في كبد هذا هو المقسم عليه والكبد المشقة • قال
الزمخشري واصله من كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده فاتسع
فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل
كبته يعني اهلكه واصله كبده اي اصاب كبده قال لبيد
يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد
اي في شدة امر وصعوبة الخطب • وقال ابو الاصبع
لي ابن عم لو ان الناس في كبد لظل محتجزا بالنبل يرميني
قال القرطبي ومنه تكبد اللبن غلظ وخثر واشتد • ومنه الكبد لانه
تغلظ واشتد ويقال كابدت هذا الامر قاسيت شدته **فصل**
الانسان هنا ابن ادم قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في كبد اي
شدة ونصب • وعن ابن عباس ايضا في شدة من حمله وولادته
ورضاعه وفطامه ونبت اسنانه وساير احواله • وروى عكرمة عنه
قال منتصبا في بطن امه والكبد الاستوا والاستقامة فهذا امتنان
عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها الا منكبة على
وجهها الا ابن ادم فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد
وغيرهما • قال ابن كيسان منتصبا في بطن امه فاذا اراد ان يخرجه
من بطن امه قلب راسه الى رجل امه • وقال الحسن كابد مصايب
الدنيا وشدايد الاخرة • وقال يمان لم يخلق الله خلقا يكابد ما
يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق • قال بعض العلما اول
ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق
والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت اسنانه
ثم يكابد الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع
ثم المعلم وصولته والمودب وسياسته وهيبته ثم يكابد شغل
التزويج والاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم وضعف
الركب والقدم في مصايب يكثر تعدادها من صداع الراس ووجع
الاضراس ورمد العين وهم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد
محنا في المال والنفس من الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي
فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده مسالة الملك
وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر
به القرار اما في الجنة واما في النار قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان
في كبد فلو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدايد ودل هذا على ان له
خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره • قال ابن زيد المراد
بالانسان هنا ادم عليه السلام وقوله تعالى في كبد اي في وسط السما • وقال
الكلبي نزل هذا في رجل من بني جمح يقال له ابو الاشد واسمه اسيد بن كلدة
ابن جمح وكان شديدا قويا ياخذ الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول
من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق الاديم ولا يزول قدماه
وكان من اعدا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب ان لن يقدر
عليه احد يعني لقوته • وقال الترمذي في كبد اي مضيعا ما يعنيه مشتغلا
بما لا يعنيه **قوله** ايحسب ان لن يقدر عليه احد اي ايظن ابن ادم ان لن



يعاقبه الله تعالى • قال ابن الخطيب ان فسرنا الكبد بالشدة والقوة فالمعنى
ايحسب الانسان الشديد ان شدته لا يقدر عليه احد وان فسرناه بالمحنة والبلا
كان المعنى ان الانسان كان في النعمة والقدرة ايظن انه في تلك الحالة لا يقدر
عليه فهو استفهام على سبيل الانكار **قوله** يقول اهلكت مالا لبدا
يجوز ان يكون مستانفة وان يكون حالا • وقرا العامة لبدا بضم اللام وفتح
البا وشددها ابو جعفر جمع لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وشاهد وشهد
وعنه ايضا سكونها • ومجاهد وابن ابي الزناد بضمتين وتقدم الكلام على
هذه اللفظة في سورة الجن • قال ابو عبيد لبدا فعل من التلبيد وهو المال
الكثير بعضه على بعض • قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان
كثير الحطم • قال الفرا واحدته لبدة ولبد جمع وجعل بعضهم واحدا كحطم
وهو في الوجهين للكثرة والمعنى انفقت مالا كثيرا مجتمعا لان اهل الجاهلية
يدعون مكارمهم ومفاخرهم **قوله** ايحسب ان لم يره احد اي ايظن ان لم
يعاينه احد بل علم الله ذلك منه وكان كاذبا في قوله اهلكت • وقال ايظن
ان لم يره ولا يساله عن ماله من اين كسبه ومن اين انفقه • وقال ابن عباس
كان ابو الاسود بن يقول انفقت في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مالا كثيرا
وهو في ذلك كاذب • وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل اذنب
واستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي
في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذا
القول منه يحتمل ان يكون استطالة بما انفق فيكون طغيانا منه او اسفا
عليه فيكون ندما منه • قال القرطبي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقرا ايحسب بضم السين في الموضعين • وقال الحسن يقول اتلفت
مالا كثيرا فمن يحاسبني به ام يعلم بان الله تعالى قادر على محاسبته وان
الله تعالى يرى صنعه ثم عدد عليه نعمه فقال تعالى الم يعلم بان الله يرى
الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا ينطق به وشفتين يستر بهما ثغره
والمعنى نحن فعلنا ذلك ونحن نقدر على ان نبعثه ونحصي عليه عمله •
قوله شفتين الشفة محذوفة اللام والاصل شفهة بدليل تصغيرها
على شفيهة وجمعها على شفاه • ونظيره سنة في احدى وشافهته اي كلمته
من غير واسطة ولا يجمع بالالف والتا استغنا بتكسيرها عن تصحيحها • قال
القرطبي ويقال شفهات وشفوات والها اقيس والواو اعم تشبيها
بالسنوات • قال الازهري يقال هذه شفة في الوصل وشفه بالها وبالتا
قوله وهديناه النجدين يعني الطريقين طريق الخير وطريق الشر
روى قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا ايها الناس
انما هو النجدان نجد الخير ونجد الشر فلم يجعل نجد الشر احب اليك من نجد
الخير فكانه لما وضحت الدلايل جعلت كالطريق المرتفعة العالية لكونها
واضحة للعقول كوضوح الطريق العالي للابصار • ونظيره قوله تعالى انا
هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا بعد قوله فجعلناه سميعا بصيرا
وروى عكرمة قال النجدين الثديان وهو قول سعيد بن المسيب
والضحاك • وروي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما لانهما كالطريقين
لحياة الولد • فقوله النجدين اما ظرف واما على حذف الجار ان اريد بهما
الثديان والنجد في الاصل العنق لارتفاعه • وقيل الطريق العالي
قال امرو القيس
فريقان منهم قاطع بطن نخلة ... واخر منهم جازع نجد كبكب
ومنه سميت نجد لعلوها عن انخفاض تهامة **قوله** فلا اقتحم العقبة
قال الفرا والزجاج ذكر لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل
الماضي



الماضي حتى تعيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وانما افردها
لدلالة اخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله تعالى ثم كان من
الذين امنوا قايما مقام التكرير فكانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن
وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك
رقبة ولا اطعم مسكينا • الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك • قال ابو
حيان ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا ماضيا • وقال الزجاج والمبرد
وابو علي وذكره البخاري عن مجاهد ان قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
يدل على ان لا بمعنى لم ولا يلزم التكرير مع لم فان كررت لا كقوله فلا
صدق ولا صلى وهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا **فصل**
المعنى فهلا انفق ماله الذي يزعم انه انفقه في عداوة محمد صلى الله
عليه وسلم هلا انفقه في اقتحام العقبة فيامن والاقتحام الرمي
بالنفس في شي من غير روية • يقال منه تقحم في الامر تقحما اي رمى بنفسه
من غير روية • وقحم الفرس فارسه تقحيما على وجهه اذا رماه وتقحيم
النفس في الشي ادخالها فيه من غير روية • والقحمة بالضم المهلكة والسنة
الشديدة • يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابهم قحط ودخلوا الريف
والقحم صعاب الطريق • قال عطا يريد عقبة جهنم • وقال مجاهد
والضحاك هي الصراط • قال الواحدي وهذا فيه نظر لان من المعلوم
ان هذا الانسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها • قال
ابن العربي قال مجاهد واقتحام العقبة في الدنيا لانه فسره بعد ذلك
بقوله فك رقبة او اطعم في يوم يتيما او مسكينا وهذه الاعمال انما تكون
في الدنيا • وقال الحسن ومقاتل هذا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس
والشيطان في اعمال البر • قال القفال قوله تعالى فلا اقتحم العقبة معناه
هلا انفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة • وقيل معنى قوله تعالى فلا اقتحم
دعا اي فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا وكذا • وقيل شبه عظم
الذنوب وثقلها بعقبة فاذا اعتق رقبة او عمل صالحا كان مثله مثل
من اقتحم العقبة وهي الذنوب تضره وتوذيه وتثقله • ثم قال تعالى
وما ادراك ما العقبة • قال سفيان بن عيينة كل شي قال فيه وما
ادراك فانه اخبر به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به
والمعنى وما ادراك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم لامر الدين والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اقتحام العقبة ثم انه تعالى فسر العقبة **قوله**
فك رقبة • قرا ابو عمرو وابن كثير والكسائي فك فعلا ماضيا ورقبة نصبا
او اطعم فعلا ماضيا • والباقون فك برفع الكاف اسما رقبة خفض بالاضافة
او اطعام اسم مرفوع ايضا • فالقراءة الاولى الفعل فيها بدل من قوله اقتحم
فهو بيان له فكانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم • والثانية مرتفع فيها
فك على اضمار مبتدا اي هو فك رقبة او اطعام على معنى الاباحة • وفي الكلام
حذف مضاف دل عليه فلا اقتحم تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة
فالتقدير اقتحام العقبة فك رقبة او اطعام وانما احتيج الى تقدير هذا
المضاف ليطابق المفسر والمفسر الا ترى ان المفسر بكسر السين مصدر والمفسر
بفتح السين وهو العقبة • وقرا امير المومنين وابو رجا فك او اطعم فعلين كما تقدم
الا انها نصبا ذا بالالف • وقرا الحسن اطعام ذا بالالف ايضا
وهو على هاتين القراءتين مفعول اطعم واطعام ويتيما حينيذ بدل
منه او نعت له وهو في قراءة العامة ذي باليا نعت ليوم على سبيل المجاز
وصفه اليوم بالجوع مبالغة كقولهم ليلك قايم ونهارك صايم والفاعل

لاطعام محذوف وهذا احد المواضع التي يطرد فيها حذف الفاعل
وحده عند البصريين **فصل** بين وجوها من الترك المالية وقال
ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام الاستفهام على معنى الانكار
تقديره هلا اقتحم العقبة بقوله هلا انفق ماله في فك الرقاب
واطعام السغبان فيكون خيرا له من انفاقه في عداوة محمد صلى الله عليه
وسلم **فصل** الفك التخليص ومنه فك العقد والفك الرقبة
فرق بينهما وبين صفة الرق بايجاد الحرية وابطال العبودية
ومنه فك الرهن وهو ازالته عن المرتهن قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايما امرء مسلم اعتق امرا مسلما كان فكاكه من النار
يجزى بكل عضو منه عضوا منه الحديث وسمي المرقوق رقبة
لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وسمي عتقها فكا كفك الاسير من
الاسر قال

كم من اسير فككنا بلا ثمن ... وجز ناصية كنا مواليها

قال الماوردي ويحتمل انه اراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب
المعاصي وفعل الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا التاويل وهو اشبه
بالصواب **فصل** قال ابو حنيفة رضي الله عنه العتق افضل
من الصدقة لانه قدم العتق في الاية على الصدقة وقال صاحباه
الصدقة افضل **قوله** او اطعم في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والسغب
الجوع والساغب الجائع قال شهاب الدين المسغبة الجوع مع التعب
وربما قيل في العطش مع التعب وربما قيل في العطش مع التعب قال
الراغب يقال منه سغب الرجل سغبا وسغوبا فهو ساغب وسغبان
والمسغبة مفعلة منه انشد ابو عبيد

فلو كنت جارا لابن قيس بن عاصم ... لما بت شبعانا وجارك ساغبا

فصل اطعام الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل
وقال النخعي في قوله تعالى يوم ذي مسغبة قال في يوم عزيز فيه الطعام
قوله يتيما ذا مقربة اي قرابة قال الزمخشري المسغبة والمقربة
والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو
قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر وهذه الاية تدل على ان الصدقة على الاقارب
افضل منها على الاجانب واليتيم قال بعض العلماء في الناس من قبل الاب
وفي البهائم من قبل الامهات وقال بعضهم اليتيم الذي يموت ابواه
قال قيس بن الملوح

الى الله اشكو فقد ليلى كما شكى ... الى الله فقد الوالدين يتيم

ويقال يتم الرجل يتما اذا ضعف **قوله** او مسكينا ذا متربة اي لا
شيء له حتى كانه قد لصق جلده بالتراب فاما اترب بالالف يعني استغنى
كالتراب وكالتري قال المفسرون هو الذي ياوي الى التراب وقال ابن
عباس هو المطروح على الطريق الذي لا بيت له وقال مجاهد الذي لا يقيه
من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال وقال عكرمة
وابن عباس ذو المتربة هو البعيد عن وطنه **فصل** احتج بهذه
الاية على ان المسكين قد يملك شيئا لان المسكين هو الذي لا يملك شيئا
لكان يفسده بقوله ذا متربة تكرير **قوله** ثم كان من الذين امنوا
لتراخي الايمان وتباعده في المرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة
لا في الوقت لان الايمان هو السابق ولا يثبت عمل الا به قال الزمخشري
المعنى ثم كان في عاقبة امره من الذين امنوا وافوا الموت على الايمان لان الموافاة
عليه

عليه شرط في الانتفاع بالطاعات وقيل التراخي في الذكر قال المفسرون
معناه انه لا تقتحم العقبة من فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة حتى يكون
من الذين امنوا يعني فان شرط قبول الطاعات الايمان بالله تعالى
فالايمان بعدها لا ينفع فلا ينفع قال تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وقيل ثم كان من الذين امنوا اي فعل
هذه الاشيا وهو مومن ثم بقي على ايمانه حتى الموافاة فيكون المعنى ثم كان
تلك الطاعات من الذين امنوا ونظيره قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن
وعمل صالحا ثم اهتدى وقيل المعنى ثم كان من الذين يومنون بان هذا
نافع لهم عند الله تعالى وقيل ان هذه القرب لوجه الله تعالى ثم امن
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان ثم بمعنى الواو اي كان هذا المعتق
للرقبة او المطعم في المسغبة من الذين امنوا **قوله** وتواصوا بالصبر
اي وصى بعضهم بعضا على طاعة الله تعالى وعن معاصيه وعلى ما اصابهم
من البلا والمصايب وتواصوا بالمرحمة اي بالرحمة على الخلق فانهم
اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين ثم انه تعالى بينهم فقال تعالى
اولئك اصحاب الميمنة اي الذين يوتون كتبهم بايمانهم قال محمد بن
كعب وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم وقال ابن زيد
لانهم اخذوا من شق ادم الايمن وقال ميمون بن مهران لان منزلتهم عن
اليمين **قوله** والذين كفروا باياتنا اي القران هم اصحاب المشامة
اي ياخذون كتبهم بشمالهم قاله محمد بن كعب وقال يحيى بن سلام
مشايم على انفسهم وقال ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايسر
وقال ميمون لان منزلتهم على اليسار قال القرطبي ويجمع هذه الاقوال
اصحاب الميمنة هم اصحاب الجنة واصحاب المشامة هم اصحاب
النار **قوله** عليهم نار موصدة قرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة
والباقون بالواو وكذا في الهمزة فالقراءة الاولى من اصدت الباب
اي اغلقته اوصد فهو موصد فقيل ويحتمل ان يكون من اوصدت
ولكنه همز الواو الساكنة لضمة ما قبلها كما همز بالسوق والاعناق
كما تقدم والقراءة الثانية ايضا تحتمل المادتين وتكون قد خففت
الهمزة لسكونها بعد ضمة وقد نقل الفراء عن السوسي الذي قاعدته
ابدال مثل هذه الهمزة انه لا يبدل هذه وعللوا ذلك بالالباس
وانه اذا قرا موصدة بالواو ومن قاعدته تخفيف الهمزة والظاهر
ان القرائتين من مادتين الاولى من اصد يوصد كاكرم يكرم والثانية
من اوصد يوصد مثل اوصل يوصل وقال

تحن الى اجبال مكة ناقتي ... ومن دونها ابواب صنعا موصده

اي مغلقة وقال اخر

قوم يعالج مملا ابناهم ... وسلاسلا حلقا وبابا موصدا

وكان ابو بكر راوي عاصم يكره الهمز في هذا الحرف وقال لنا امام
يهمز موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته قال شهاب الدين
وكانه لم يحفظ عن شيخه الا ترك الهمزة مع حفظ حفص اياه عنه وهو
اضبط لحرفه من ابي بكر على ما نقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن
واوثق عند اهل الحديث وقال القرطبي واهل اللغة يقولون اوصدت
الباب واصدته اي اغلقته فمن قال اوصدت فالاسم الوصاد
ومن قال اصدته فالاسم الاصاد قال الفرا ويقال من هذا الاصيد
وهو الباب المطبق ومعنى موصدة اي مغلقة وقيل مبهمة لا يدرى

ما داخلها • وقوله تعالى عليهم نار يجوز ان تكون جملة مستانفة وان تكون
خبرا ثانيا وان يكون الخبر وحده عليهم ونار فاعل به وهو الاحسن
وقيل معنى عليهم نار اي احاطت النار بهم كقوله تعالى احاط بهم سرادقها
والله اعلم روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم من قرا لا اقسم بهذا البلد اعطاه الامن
من غضبه يوم القيمة •

سورة والشمس مكية

وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومايتان وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والشمس وضحاها وقد تقدم ان جماعة
من اهل الاصول قالوا التقدير ورب الشمس ورب سائر ما ذكر الى
تمام القسم • واحتج قوم على بطلان هذا القول بان في جملة هذا القسم والسما
وما بناها وذلك هو الله تعالى لا يجوز ان يكون المراد منه تعالى ان تقدم
قسمه بنفسه فلا بد من تاويل وهو ان ما مع ما بعده في حكم المصدر
فيكون التقدير والسما وما بناها واعترض الزمخشري عليه فقال لو كان
الامر على هذا الوجه لزم من عطف قوله فالهمها عليه فساد النظم
قوله وضحاها تقدم الكلام على هذه المادة في سورة طه • قال
المبرد ان الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو النور فابدلت الالف
والواو من الحا تقول ضحوة وضحوات وضحى فالواو من ضحوة مقلوبة
عن الحا الثانية والالف في ضحى مقلوبة عن الواو • وقال ابو الهيثم
الضح نقيض الظل وهو نور الشمس على ظهر وجه الارض واصله الضحى فاستثقلوا
اليا مع سكون الواو فقلبوها الفا والضحى مونثة يقال ارتفعت الضحى
فوق الصحور وقد يذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوه ومن ذكر
ذهب الى انه اسم على فعل صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول
لقيته ضحى وضحى اذا اردت به ضحى يومك لم ينونه • وقال الفرا الضحى
هو النهار كقول قتادة والمعروف عند العرب ان الضحى اذا طلعت
الشمس وبعيد ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحا بالمد ومن قال الضحى النهار
كله فذلك لدوام نور الشمس ومن قال انه نور الشمس او حر الشمس
الشمس لا يكون مع حر الشمس واستدل من قال ان الضحى حر الشمس بقوله
تعالى ولا تضحى اي لا يوذيك الحر فصل قال مجاهد وضحاها
اي ضوها واشراقها واضاف الضحى الى الشمس لانه انما يكون بارتفاع
الشمس • وقال قتادة نهارها • وقال السدي حرها • وقال الزجاج
انبساطها • وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم بها وبكل مخلوق
في الارض حكاه الماوردي • قال ابن الخطيب انما اقسم بالشمس وضحاها
لكثرة ما يتعلق به من المصالح • فان قيل العالم كانوا كالاموات في الليل
فلما ظهر الصبح في المشرق صار ذلك الضو كالروح الذي ينفخ فيه الحياة
فصارت الاموات احيا ولا يزال تلك الحياة في القوة والزيادة
الى غاية كمالها وقت الضحوة وذلك يشبه استقرار اهل الجنة قوله
والقمر اذا تلاها اي يتبعها وذلك اذا سقطت رويا الهلال • قال
الليث تلوت فلانا اذا تبعته • وقال ابن زيد اذا غربت الشمس
في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي اخر الشهر يتلوها
بالغروب • قال الفرا تلاها اخذ منها يعني ان القمر ياخذ من ضوء الشمس
وقال الزجاج اذا تلاها اي حين استوى ودار وكان مثلها في الضيا
والنور • وقال قتادة والكلبي معناه ان الشمس اذا غربت فالقمر
يتبعها

يتبعها ليلة الهلال في الغروب • وقيل يتلوها في كبر الجرم بحسب
الحس وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته قوله والنهار اذا جلاها
الفاعل ضمير النهار • وقيل عايد على الله تعالى والضمير المنصوب
اما الشمس واما الظلمة واما الارض ومعنى جلاها اي كشفها فمن قال
هي الشمس فالمعنى انه يبين بضوئه جرمها • ومن قال هو الظلمة فهي
وان لم يجر لها ذكر كقولك اصبحت باردة اصبحت غداتنا باردة وهو
قول الفرا والكلبي وغيرهما ومن قال هي الدنيا والارض وان لم يجر لها ذكر
كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب قوله اذا تلاها وما بعده فيه اشكال
لانه ان جعل شرطا اقتضى جوابا ولا جواب لفظا وتقديره غير صالح وان
جعل محضا استدعى عاملا وليس هنا عامل الا فعل القسم وانما له مشكل لان فعل
القسم حال لانه انشا واذا ظرف مستقبل والحال لا يعمل في المستقبل وسياتي
جوابه قريبا ان شا الله تعالى ويخص اذا جلاها وما بعدها اشكال اخر
ذكره الزمخشري • قال فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما
ان تجعل الواو عاطفة فتنصب بها وتجر فيمتنع العطف في العطف على
عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلها
للقسم فيقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه • قلت الجواب
فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف
شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت قايمة مقام الفعل والبا
سادة مسدهما والواوات العواطف نوايب هذه الواو فحقهن ان يكن
عوامل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع
بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما انتهى • قال
ابو حيان اما قوله في واوات العطف فتنصب وتجر فليس هذا بالمختار
على ان يكون حرف العطف عاملا لقيامه مقام العامل بل المختار ان العمل انما هو للعامل
في المعطوف عليه ثم انا لا نشاحه في ذلك • وقوله فيمتنع في العطف على عاملين
ليس ما في الاية من العطف على عاملين وانما هو من باب عطف اسمين مجرور
ومنصوب على اسمين مجرور ومنصوب بحرف العطف لم يثبت منابه عاملين
وذلك نحو قولك امرر بزيد قايما وعمرو جالسا وانشد سيبويه في كتابه •
• وليس بمعروف لنا ان نردها • صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا •
فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع • والعطف على عاملين فيه
اربعة مذاهب ونسب الجواز الى سيبويه • وقوله في قولك مررت امس بزيد
واليوم عمرو وهذا المثال مخالف لما في الاية بل وزان ما في الاية مررت
بزيد امس وعمرو اليوم ونحن نجيز هذا • واما قوله على استكراه فليس كما ذكر بل
كلام الخليل يدل على المنع • قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا
تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخيرتان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما
الواوان اللتان يضمان الاسما الى الاسما في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى
بمنزلة البا والتا • واما قوله ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا
كليا فليس هذا الحكم مجمعا عليه بل اجاز ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو
فتقول اقسم واحلف والله لزيد قايم • واما قوله والواوات العواطف نوايب
عن هذا الى اخره فمبني على ان حرف العطف عامل لنيابته مناب العامل وليس هذا
بالمختار • قال والذي نقول ان المعضل هو تقدير العامل في اذا بعد الاقسام
كقوله تعالى والنجم اذا هوى والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر والقمر اذا تلاها
والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشى وما اشبهها فاذا ظرف مستقبل لا جايز ان
يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف لانه فعل انشاي فهو في الحال ينافي ان يعمل

في المستقبل لاختلاف زمان العامل وزمان المعمول ولا جايز ان يكون ثم مضاف
محذوف اقسم المقسم به مقامه اي وطلوع النجم ومجي الليل لانه معمول لذلك
الفعل فالطلوع حال ولا يعمل في المستقبل ضرورة ان زمان العامل زمان
المعمول ولا جايز ان يعمل فيه نفس المقسم به لانه ليس من قبيل ما يعمل
لا سيما ان كان جرما ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم به
مقامه وطلوع النجم ومجي الليل لانه معمول لذلك الفعل ولا جايز ان يقدر
محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل في موضع الحال
وتقديره والنجم كاينا اذ هوى والليل كاينا اذا يغشى لانه يلزم كاينا ان يكون
منصوبا بعامل ولا يصح ان يكون معمولا لشي مما فرضناه ان يكون عاملا وايضا
فقد يكون المقسم به جثة وظروف الزمان لا يكون احوالا عن الجثث كما لا
يكون اخبارا انتهى ما رد به ابو حيان وما استشكله من امر العامل في اذا
قال شهاب الدين ان المختار ان حرف العطف لا يعمل لقيامه مقام العامل
فلا يلزم ما بالقسم لانه يختار القول الاخر • وقوله ليس في الاية من العطف
على عاملين ولكنه فيه غموض وبيان انه من العطف على عاملين ان قوله
والنهار واذا اجلاها هنا معمولان احدهما مجرور وهو النهار والاخر منصوب
وهو الظرف عطفا على معمول عاملين والعاملان هما فعل القسم به
الناصب لاذا الاولى والواو القسم الجار فقد تحقق معك عاملان لهما
معمولان فاذا عطفت مجرورا على مجرور وظرفا على ظرف على معمولين
لعاملين لزم ما قاله ابو القسم وكيف يجهل هذا مع العامل والتحقيق
واما قوله وانشد سيبويه الخ فهو اعتراف منه بانه من العطف على عاملين
غاية ما في الباب انه استند الى حكة سيبويه • واما قوله اجاز ن كيسان
فلا يلزمه مذهبه • واما قوله فالمثال ليس كالاية بل وزانها الى اخره ففي
لا فيه من تقدير الظرف الثاني على المجرور والمعطوف والاية الظرف فيه
متاخر وانما مراد الزمخشري وجود معمولي عاملين وهو موجود في المثال
المذكور الا ان فيه اشكالا اخر وهو انه كالتكرير للمسئلة واما قوله
بل كلام الخليل يدل على المنع الى اخره فليس فيه رد عليه بالنسبة الى ما قصد
بل فيه تقوية لما قال غاية ما في الباب لانه عبر بالاستكراه عن المنع ولا يلزم
المنع • وقوله ولا جايز ان يكون ثم مضاف محذوف الخ • فاقول بل يجوز
تقديره وهو العامل ولا يلزم ما قال من اختلاف الزمانين لانه يجوز ان
يقسم بالشي الذي سيوجد • وقوله ولا جايز ان يقدر محذوف قبل الظرف
فيكون قد عمل فيه الخ ليس بممنوع بل يجوز ذلك ويكون حالا مقدرة وقوله
ويلزم ان لا يكون له عامل ليس كذلك بل له عامل وهو فعل القسم ولا يضر كونه
انشائيا لان الحال مقدرة كما تقدم • وقوله وقد يكون المقسم به جثة جوابه
بعد ذلك حدث يكون الظرف الزماني حالا عنه • وسيل ابن الحاجب عن هذه
المسئلة فاجاب بنحو ما ذكرناه والله اعلم ولا يخلو الكلام فيها من بحث
قوله والليل اذا يغشاها المفعول الشمس اي يغشى الشمس فتذهب
بضوءها عند سقوطها كاله مجاهد • وقيل للارض اي يغشى الدنيا بالظلم
فتظلم الافاق فالكنا ترجع الى غير مذكور • وجي بمعناها مضارعا دون
ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو اتي به ماضيا لكان التركيب
اذ غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع **قوله**
والسماء وما بناها في ما هذه وجهان • احدها ان ما موصولة بمعنى الذي
وبه استشهد من يجوز وقوعها على العقلاء ولان المراد به الباري تعالى
واليه ذهب الحسن ومجاهد وابو عبيدة واختاره ابن جرير • والثاني

مصدر

مصدرًا اي وبنائها واليه ذهب الزجاج والمبرد وهذا انما يتأتى على انها
مختصة بغير العقلاء • واعترض هذا القول بانه يلزم ان يكون القسم بنفس
المصادر وبناء السماء وطحو الارض وتسوية النفس وليس المقصود الا
القسم بفاعل هذه الاشياء وهو الرب تعالى • واجيب عنه بوجهين
احدهما ان يكون على حذف مضاف اي ورب اي بناء السماء ونحوه والثاني
انه لا يجوز في الاقسام بهذه الاشياء كما اقسم سبحانه وتعالى بالصبح ونحوه
وقال الزمخشري جعلت مصدرية وليس بالوجه لقوله تعالى فالهمها
وما يودي اليه من فساد النظم • والوجه ان تكون موصولة وانما
اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم
الذي بناها ونفس الحكيم الباهر الحكمة الذي سواها • وفي كلامهم سبحان
من سخركن لنا انتهى يعني ان الفاعل في فالهمها عايد على الله تعالى فليكن
في بناها كذلك وح يلزم عوده على شي وليس هنا ما يمكن عوده عليه
غير ما فتعين ان يكون موصوله • قال ابو حيان اما قوله وليس بالوجه
لقوله تعالى فالهمها يعني من عود الضمير فالهمها على الله تعالى فيكون قد
عاد على مذكور وهو المراد به الذي قال لا يلزم ذلك لانا اذا جعلناها
مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ففي بناها ضمير
عايد على الله تعالى اي وبنائها هو اي الله تعالى كما اذا رايت زيدا
قد ضرب عمروا فتقول عجبت مما ضرب تقديره من ضرب عمرو هو
كان حسنا فصيحا جايزا وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام
كثير • وقوله وما يودي اليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يودي جعلها
مصدرية الى ما ذكر • وقوله وانما اوثرت الخ لا يراد بما ولا من الموصولتين
معنى الوصفية لانهما لا يوصف بهما ما دون من • وقوله في كلامهم الخ تاوله
اصحابنا على ان سبحان علم وما مصدرية ظرفية انتهى • قال شهاب
الدين اما ما رد به عليه من كونه يعود على ما يفهم من السياق فليس
يصلح ردا لانه اذا دار الامر بين عوده على ملفوظ به وبين غير ملفوظ
به فعوده على الملفوظ به اولى لانه الاصل • واما قوله فلا ينفرد به ما دون
من فليس مراد الزمخشري انها توصف بها وصفا صريحا بل مراده انها تقع
على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثل النحويون بقوله تعالى فانكحوا
ما طاب لكم وقالوا تقديره فانكحوا الطيب من النساء ولا شك ان هذا
الحكم ينفرد به ما دون من **قوله** والارض وما طحاها اي وطحوها • وقيل
ومن طحاها اي بسطها كذا قاله عامة المفسرين اي دحاها • قال مجاهد
والحسن وغيرهما طحاها ودحاها واحد اي من كل جانب • والطحو البسط
طحا يطحو طحوا • وطحى يطحي طحيا وطحيت اصطحيت • عن ابي عمرو • وعن ابن
عباس طحاها اي قسمها • وقيل خلقها • قال الشاعر

وما يدري خذية من طحاها • ولا من ساكن العرش الرفيع

قال الماوردي ويحتمل انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لانه
حياة لما خلق عليها • ويقال في بعض ايمان العرب لا والقمر الطاحي اي المشرف
المرتفع • قال ابو عمر طحا الرجل اذا ذهب في الارض يقال ما ادري اين طحا ويقال
طحا به قلبه اذا ذهب به في كل شي • قال علقمة

طحا بك قلب في الحسان طروب • قال ابن الخطيب وانما اخر
هذا عن قوله تعالى والسماء وما بناها لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
قوله وما سواها قيل المعنى وتسويتها فما مصدرية • وقيل المعنى ومن
سواها وهو الله تعالى • قيل المراد بالنفس ادم عليه الصلوة والسلام • وقيل

كل نفس منفوسة في التنكير الا لتعظيمها اي نفس عظيمة وهي نفس آدم عليه
الصلوة والسلام • واما للتكثير كقوله تعالى علمت نفس وسوى بمعنى هيا
وقال مجاهد سوى خلقها وعدلها وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم
اقسم الله تعالى بخلقه لما فيه من عجايب الصنعة الدالة عليه سبحانه وتعالى
قوله فالهمها فجورها اي عرفها طريق الفجور والتقوى قاله ابن عباس
ومجاهد • وعن مجاهد ايضا عرفها الطاعة والمعصية • وعن محمد بن كعب
رضي الله عنه اذا اراد الله تعالى بعبده خيرا الهمه الخير فعمل به واذا
اراد به الشر الهمه الشر فعمل به • وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
الهم المومن المتقي بتقواه والهم الكافر فجوره • وعن قتادة بين لها
فجورها وتقواها والفجور والتقوى مصدران في موضع المفعول قال
الواحدي الالهام هو ان يوقع الله في قلب العبد شيا واذا اوقع في قلبه
شيا فقد الزمه اياه من قولهم الهمه الشي والهمه اذا ابلعه والهمته
ذلك الشي اي ابلعته هذا هو الاصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله
تعالى في قلب العبد لانه كالابلاغ **قوله** قد افلح فيه وجهان • احدهما
انه جواب القسم والاصل لقد وانما حذفت لطول الكلام • والثاني انه
ليس بجواب وانما جي به تابعا لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها
على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شي فالجواب محذوف
تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلوة والسلام
قال معناه الزمخشري وقدره غيره ليبعثن وقيل هو على التقديم والتاخير
بغير حذف • والمعنى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والشمس
وضحاها وفاعل زكاها ودساها والظاهر انه ضمير من وقيل ضمير
الباري تعالى اي افلح فاز من زكاها بالطاعة وقد خاب من دساها
اي خسرت نفس دسها الله تعالى بالمعصية واتى الزمخشري على صاحب
هذا القول لمناصرة مذهبه • قال شهاب الدين والحق انه خلاف
الظاهر لا لما قال الزمخشري بل لمنافرة نظمه للاحتياج الى عود الضمير على
النفس مقيدة باضافتها الى ضمير من • وقال ابن عباس خابت نفس اضلها
الله واغواها • وقيل افلح من زكى نفسه بطاعة الله وخاب خسر من دست
نفسه في المعاصي قاله قتادة • واصل الزكاة النمو والزيادة • ومنه زكى الزرع
اذا كثر ريعه • ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل • وقيل دساها
اغواها قال •

وانت الذي دسست عمرا فاصبحت • حلايله منه اراملا ضيعا

واصله دسسها من التدسيس فكثرت الامثال فابدل من ثالثها حرف علة
كما قالوا قصيت اظفاري واصله قصصت اظفاري وتقضي البازي
والتدسيس الاخفا يعني اخفاها بالفجور وقد نطق بالاصل الشاعر المتقدم
وقال اخر • ودسست عمرا في التراب فاصبحت • وقال ابن
الاعرابي قد خاب من دساها اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم
قال الواحدي فكانه تعالى اقسم على فلاح من طهره وخسارة من خذله لئلا
يظن ان المتولي لذلك من غير قضا سابق فقوله تعالى قد افلح هو جواب
القسم **قوله** كذبت ثمود بطغواها في هذه البا ثلاثة اوجه • احدها
انها للاستعانة مجازا كقولك كتبت بالقلم وبه بدا الزمخشري يعني فعلت
التكذيب بطغيانها كقولك ظلمني بجراته على الله تعالى • والثاني انها للتعدية
اي كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغيان كقوله فاهلكوا بالطاغية
قال

قاله ابن عباس رضي الله عنه وكان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى
لانه طغى عليهم • قال ابن الخطيب وهذا لا يبعد لان الطغيان مجاوزة
الحد فسمي عذابهم طغوى لانه كان صيحة مجاوزة للقدر المعتاد • الثالث
انها للسببية اي بسبب طغيانها وهو خروجها عن الحد في العصيان
قاله مجاهد وقتادة وغيرهما • وقال محمد بن كعب باجمعها وفعلى
مصدر وخرج على هذا المخرج لانه اشكل برؤس الاي • وقيل الاصل
طغياها الا ان فعلى اذا كانت من ذوات اليا ابدلت في الاسم واوا
ليفصل بين الاسم والوصف • وقرا العامة بطغواها بفتح الطا وهو
مصدر بمعنى الطغيان وانما قلبت اليا واوا لما تقدم من الفرق بين الاسم
والصفة يعني انهم يفرقون بافعلى بالفتح صفة نحو خزيا وصديا ويقلبونها
في الاسم نحو تقوى وشروى وكان الاقرار في الوصف لانه اثقل من الاسم
واليا اخف من الواو فلذلك جعلت في الاثقل • وقرا الحسن ومحمد وابن
كعب والجحدري وحماد بضم الطا وهو ايضا مصدر كالرجعى والحسنى
الا ان هذا شاذ اذ كان من حقه بقا اليا على حالها كالسقيا وبابها
وهذا كله عند من يقول طغيت طغيانا باليا فاما من يقول طغوت
بالواو فالواو اصل عنده • قاله ابو البقا وقد تقدم الكلام على اللغتين
في البقرة **قوله** اذ انبعث اشقاها يجوز فيه وجهان • احدهما
ان تكون ظرفا لكذبت • والثاني ان تكون ظرفا للطغوى وانبعث مطاوع
بعثت فلانا على الامر فانبعث له واشقاها فاعل انبعث اي نهض والانبعاث
الاسراع وفيه وجهان • احدهما ان يراد به شخص معين ذكر ان اسمه
قدار بن سالف • والثاني انه يراد به جماعة • قال الزمخشري ويجوز ان يكون
جماعة للتسوية في افعل التفضيل اذا اضيف بين الواحد والجمع والمذكر
والمونث وكان يجوز ان يقول اشقوها وكان ينبغي ان يقيد فيقول
اذا اضيف الى معرفة لان المضاف الى النكرة حكمه الافراد والتذكير مطلقا
كالمقترن بمن **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل
ابي زمعة • روي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له اتدري من اشقى الاولين قلت الله ورسوله اعلم قال عليه
الصلوة والسلام عاقر الناقة • ثم قال اتدري من اشقى الاخرين قلت
الله ورسوله اعلم قال قاتلك فقال لهم ان كان المراد باشقاها
جماعة فعود الضمير من لهم عليهم واضح وان كان المراد به على التعيين
فالضمير من لهم يعود على ثمود • والمراد برسول الله يعني صالحا • وقوله
تعالى ناقة الله منصوب على التحذير اي احذروا ناقة الله فلا تقربوها
واضمار الناصب هنا واجب لمكان العطف فان اضمار الناصب
يجب في ثلاثة مواضع ان يكون المحذر نفس اياك وبابه • الثاني انه
يوجد فيه عطف • الثالث انه يوجد فيه تكرار نحو الاسد الاسد
والصبي الصبي والحذر الحذر • وقيل ذروا ناقة الله كقوله تعالى
فذروها تاكل في ارض الله • وقرا زيد بن علي ناقة الله رفعا على
خبر ابتدا مضمر اي هذه ناقة الله فلا تتعرضوا لها **قوله** وسقياها
اي ذروها وشربها فانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة
جعل لهم شرب يوم من بيرهم ولها شرب يوم مكان ذلك فشق عليهم
فكذبوه يعني صالحا عليه الصلوة والسلام في وعيدهم بالعذاب
اي عقروها فعقروها اي عقرها الاشقى واضيف الى الكل لانهم رضوا

بفعله • قال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم
وانثاهم • وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس
وهذان خير الناس وهذه المراة اشقى القوم وهذا الرجل اشقاها قوله
فدمدم الدمدمة قيل الاطباق يقال دمدمت عليه القبر اي اطبقته عليه
اي اهلكهم واطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقر
وقال المورخ الدمدمة الاهلاك باستيصال • وروى الضحاك عن ابن عباس
دمدم عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم • وقال الفراء دمدم اي ارجف وحقيقة
الدمدمة تضعيف العذاب وترديده يقال دمدمت على الشي اذا اطبقت
عليه فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت • وفي الصحاح دمدمت الشي اذا الزقته
بالارض وطحطحته • قال القشيري وقيل دمدمت على الميت التراب اي سويته
عليه والمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب فسواها اي فسوى عليهم الارض
وعلى الاول فسواها اي فسوى الدمدمة • وقيل الدمدمة حكاية صوت الهدة
وذلك ان الصيحة اهلكتهم فاتت على صغيرهم وكبيرهم • وقال ابن الانباري
دمدم اي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل ودمدمت الثوب
طليته بالصبغ والفا في فدمدم للسببية • وقرا ابن الزبير فدهدم بهاء بين
الدالين بدل الميم وهي بمعنى القراءة المشهورة • قال القرطبي وهما لغتان كقولهم
امتقع لونه وانتقع قوله فسواها الضمير المنصوب يجوز عوده على
ثمود باعتبار القبيلة كما اعاده في قوله تعالى بطغواها ويجوز عوده على الدمدمة
والعقوبة اي سواها بينهم فلم يفلت منهم احد قوله ولا يخاف عقباها
قرا نافع وابن عامر فلا بالفاء والباقون بالواو • ورسمت في مصاحف المدينة
والشام بالفاء وفي غيرها بالواو فقد قرا كل بما يوافق رسم مصحفه • وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا ولم يخف وهو مويد لقراءة الواو
ذكره الزمخشري فالفا تقتضي التعقيب وهو ظاهر والواو يجوز ان تكون
للحال وان تكون لاستيناف الاخبار • قال القرطبي روى ابن وهب وابن القسم
قالا اخرج الينا مالك رضي الله عنه مصحف الجدة وزعم انه كتبه في ايام عثمان بن
عفان رضي الله عنه حين كتب المصاحف وفيه ولا يخاف بالواو وكذا هي في
مصاحف اهل مكة والعراق بالواو واختاره ابو عبيدة وابو حاتم والضمير
الفاعل في يخاف الاظهر عوده على الرب تبارك وتعالى لانه اقرب مذكور وهو
قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد • والها في عقباها ترجع الى الفعلة
وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة
فعله • وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل وان الله تعالى اجل ان يوصف بذلك
وقيل المعنى انه بالغ في الاعذار اليهم مبالغة من لا يخاف عاقبة عذابهم
وقيل يرجع الى رسول الله اي لا يخاف صالح عليه الصلاة والسلام عقبى هذه
العقوبة لانذاره اياهم ونجاه الله تعالى حين اهلكهم • وقال السدي والضحاك
والكلبي ان الضمير يرجع الى اشقاها اي انبعث لعقرها والحال انه غير خائف
عاقبة هذه الفعلة الشنعا وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه ايضا
وفي الكلام تقديم وتاخير اي اذ انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها وعقبى الشي
خاتمته • روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم من قرا سورة والشمس وضحاها فكانما
تصدق بكل شي طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية

وقيل مدنية وهي احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة
وثلثماية

وثلثماية وعشرة احرف • بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والليل اذا
يغشى اي يغطي ولم يذكر مفعولا للعلم به وقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل
الخلايق • وقيل يغشى كل شي بظلمته • قال قتادة اول ما خلق الله النور والظلمة
ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما • والنور نهارا مضيا مبصرا
قال ابن الخطيب اقسم بالليل الذي ياوي فيه كل حيوان الى ماواه ويسكن
الخلق عن الاضطراب ويجيهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة لابدانهم
ثم اقسم تعالى بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا جا انكشف بضوئه ما كان
في الدنيا من الظلمة وجا الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم والطير
والهوام من مكامنها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله
نهارا لبطلت الراحة لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة • وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار فقوله والنهار
اذا تجلى اي انكشف وظهر وبان بضوئه عن ظلمة الليل • وقرا العامة تجلى
فعلا ماضيا وفاعله ضمير عايد على النهار • وعبد الله بن عمير تتجلى بتاءين
وقرئ تجلى بضم التا وسكون الجيم اي الشمس ايضا ولا بد من عايد على النهار
محذوف اي تتجلى او تجلى فيه قوله وما خلق يجوز فيها ان تكون بمعنى
من على ما تقدم في سورة والشمس • قال الحسن معناه والذي خلق فيكون
بمعنى من على ما تقدم في سورة الشمس • قال الحسن معناه والذي خلق فيكون
قد اقسم بنفسه تعالى • وقيل مصدرية • قال الزمخشري والقادر العظيم
القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ما واحد وقد تقدم هذا القول
والاعتراض عليه والجواب عنه في السورة قبلها • وقرا ابو الدردا والذكر
والانثى • وقرا عبد الله والذي خلق • وقرا الكسايي ونقلها ثعلب عن بعض
السلف وما خلق الذكر بجر الذكر قال الزمخشري على انه بدل من محل
ما خلق بمعنى وما خلقه اي ومخلوق الله الذكر وجاز اضمار الله تعالى
لانه معلوم بانفراده بالخلق • وقيل المعنى وما خلق من الذكر والانثى فيكون
من مضمره ويكون القسم منه باهل طاعته من اوليايه وانبيايه ويكون
قسمه بهم تكرمة لهم وتشريفا • وقال ابو حيان وقد يخرج على توهم المصدر
اي وخلق الذكر كقوله

تطوف العفاة بابوابه • كما طاف بالبيعة الراهب

بجر الراهب على توهم النطق بالمصدر اي كطواف الراهب انتهى والذي
يظهر في تخريج البيت ان اصله الراهبي منسوبا الى الراهب لنسبة الى الصحيفة
ثم خفف وهو قليل كقولهم احمري ودواري وهذا التخريج بعينه
في قول امرئ القيس • فعل مقيل بجنبه مهفهف • لما استشهد
به الكوفيون على تقديم الفاعل • وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه
انه كان يقرا والنهار اذا تجلى والذكر والانثى ويسقط وما خلق • وفي صحيح
عن علقمة قال دخلنا الشام فاتانا ابو الدردا فقال فيكم احد يقرا
على قراءة عبد الله فقرا هذه الاية والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
والذكر والانثى قال وانا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقروها ولكن لا يريدون ان اقرا وما خلق فلا اتابعهم • وقال
ابن الانباري حدثنا محمد بن يحيى المروزي بسنده الى عبد الله قال
اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق ذو القوة المتين
قال ابن الانباري كل من هذين الحديثين مردود بخلاف الاجماع له وان حمزة
وعاصما يرويان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة من المسلمين وموافقة
الاجماع اولى من الاخذ بقول واحد يخالفه الاجماع فصل قيل المراد

بالذكر والانثى آدم وحوى عليهما الصلوة والسلام قاله ابن عباس والحسن
والكلبي وقيل جميع الذكور والاناث من جميع الحيوانات وقيل كل ذكر وانثى
من الآدميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته قوله
ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لمختلف ويجوز ان
يكون محذوفا كما قيل في نظايره المتقدمة وشتى واحده شتيت مثل مريض
ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه اي ان
عملكم المتباعد بعضه من بعض لشتى لان بعضه ضلالة وبعضه هدى
اي فمنكم مومن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى اي لمختلف
الجزا فمنكم مثاب بالجنة ومنكم معاقب بالنار وقيل لمختلف الاخلاق
فمنكم راحم وقاسي وحليم وطايش وجواد وبخيل قال المفسرون نزلت
هذه الاية في ابي بكر رضي الله عنه وابي سفيان قوله فاما من اعطى
قال ابن مسعود رضي الله عنه يعني ابا بكر رضي الله عنه وعن ابن عباس
رضي الله عنه في قوله تعالى فاما من اعطى اي بذل واتقى محارم الله التي
نهى عنها وصدق بالحسنى اي بالخلف من الله تعالى فاما من اعطى على عطائه
فسنيسره لليسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم
غربت شمسه الا وبعث بجنبيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله
تعالى كلهم الا الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا واعط كل ممسك تلفا وانزل
الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الايات فصل حذف
مفعول اعطى ومفعول اتقى ومفعول صدق والمجرور بعلى لان الغرض
ذكر هذه الاحداث دون متعلقاتها وكذلك متعلق البخل والاستغنا
وقوله فسنيسره للعسرى اما من باب المقابلة لقوله تعالى فسنيسره
لليسرى واما تيسره بمعنى تهيئته يكون في العسر واليسر فصل
قال المفسرون فاما من اعطى المعسرين وقال قتادة اعطى حق الله
الواجب وقال الحسن اعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى اي
بلا اله الا الله وهو قول ابن عباس والضحاك والسلمي رضي الله عنهم
وقال مجاهد الجنة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وقال يزيد
ابن اسلم الصلوة والزكاة والصوم وقوله تعالى فسنيسره لليسرى
اي نرشده لاسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال
زيد بن اسلم لليسرى للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من نفس منفوسة الا كتب الله تعالى مدخلها فقال القوم يا رسول الله
افلا نتكل على كتابنا فقال عليه الصلوة والسلام بل اعملوا فكل ميسر اما من
كان من اهل السعادة فانه ميسر لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل
الشقاوة فانه ميسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى قوله واما من بخل واستغنى
اي ضن بما عنده فلم يبذل خيرا وروى عن ابن عباس رضي الله عنه
فسوف نيسره للعسرى قال سوف احول بينه وبين الايمان بالله
وبرسوله وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في امية بن خلف
وعن ابن عباس واما من بخل واستغنى اي بخل بماله واستغنى عن ربه
وكذب بالحسنى اي بالخلف الذي وعده الله تعالى في قوله تعالى وما
انفقتم من شيء فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب بالحسنى اي بالجنة
وعنه بلا اله الا الله فسنيسره للعسرى وقوله تعالى فسنيسره
للعسرى يدل على ان التوفيق والخذلان من الله تعالى لان التيسير يدل
على الرجحان لزم الوجوب لانه لا واسطة بين الفعل والترك ومع الاستواء
لا ترجح

لا ترجح فحال الرجحان اولى بالامتناع ومتى امتنع احد الطرفين وجب
الاخر اذ لا خروج عن النقيضين اجاب القفال انه من باب تسمية
احد الضدين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة فسمى الله
تعالى الالطاف الداعية الى الطاعة تيسيرا لليسرى وسمى ترك هذه
الالطاف تيسير العسرى او هو من باب اضافة الفعل الى السبب
دون الفاعل كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا ويكون على سبيل
الحكم والاحسان عنه واجيب بان هذا كله عدول عن الظاهر
والظاهر من جهتنا وهو المقصود من الحديث المتقدم ما من نفس
منفوسة قال القفال معنى الحديث ان الناس خلقوا للعبادة
قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهذا ضعيف
لان هذا جواب عن قولهم الا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما وافق
معلوم الله تعالى فصل التانيث في اليسرى والعسرى ان اريد
جماعة الاعمال فظاهر وان اريد عمل من الاعمال باعتبار الخصلة
او الفعلة او الطريقة ومن فسر اليسرى بالجنة فتيسيرها دخولها
باكرام وسهولة ومن فسرها بالخير فتيسيره خفته عليه ونشاطه
بخلاف المنافق والمرائي ودخلت السين في فسنيسره بمعنى الترجي
وهذا يفيد القطع من الله تعالى ولان الاعمال بالخواتيم فقد يعصي
المطيع وبالعكس او لان اكثر الثواب يكون في الاخرة وهي متاخرة
قوله وما يغني يجوز ان تكون ما نافية اي لا يغني عنه ماله شيا
وان تكون استفهاما انكاريا اي اي شيء يغني عنه ماله اذا هلك
ووقع في جهنم وتردى اما من الهلاك يقال تردى الرجل تردي اذا
هلك قال ٭ صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ٭
وقال ابو صالح وزيد بن اسلم اي تردى اي سقط في جهنم ومنه
المتردية يقال ردى من في البير وتردى اذا سقط في بير او نهر
او من جبل ويقال ما ادري اين ردى اي اين ذهب ويحتمل
ان يكون من تردى باكفانه وهو كناية عن الموت كقوله ٭
٭ وخطا باطراف الاسنة مضجعي ٭ وردي على عيني فضل ردائيا ٭
وقول الاخر ٭
٭ نصيبك مما تجمع الدهر كله ٭ رداان تلوى فيهما وحنوط ٭
قوله ان علينا للهدى اي علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة
فالهدى بمعنى بيان الاحكام قاله الزجاج اي على الله بيان حلاله وحرامه
وطاعته ومعصيته وهو قول قتادة وقال الفراء من سلك الهدى
فعلى الله سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل وقيل معناه ان
علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال كقوله تعالى بيدك الخير وبيده
كل شيء وبقوله تعالى تقيكم الحر ومن تقى البرد قاله الفراء ايضا وهو مروي
عن ابن عباس رضي الله عنه فصل لما عرفهم سبحانه ان سعيهم
شتى وبين للمحسنين من اليسرى وللمسيئين من العسرى اخبرهم انه قد مضى
ما عليه من البيان والدلالة والترغيب والترهيب اي ان الذي يجب
علينا في الحكمة اذا خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم وجوه التعبد ونبين
المتعبد به قالت المعتزلة ازاحة الاعذار تقتضي انه تعالى يخلقهم بما
في وسعهم وطاقتهم وايضا فكلمة على للوجوب وايضا فلو لم يستقل
العبد بالايجاد لم يكن في نصب الادلة زايدة وجوابهم كما تقدم
وزاد الواحدي ان الفراء قال معناه ان علينا للهدى والاضلال

فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن
عباس يريد أرشد أوليائي للعمل بطاعتي وأحول بين أعدائي أن يعملوا
بطاعتي وهو معنى الإضلال وردّ المعتزلة هذا التأويل بقوله
تعالى قصد السبيل وتقدم جوابهم. **قوله** وإن لنا للآخرة
والأولى أي لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء
بهدانا ولا يزيد في ملكنا اهتداؤكم بل نفع ذلك وضرره عائدان
عليكم ولو شئنا لمنعناكم من المعاصي بكرهٍ ذلك لا يخل التكليف بل منعكم
بالبيان والترغيب والوعد والوعيد ونكون نحن نملك الدارين
فليطلب منا سعادة الدارين فالأول أوفق لقول المعتزلة
والثاني أوفق لقولنا. وروى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله
عنه قال ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد
ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير
مالكهما فقد أخطأ الطريق. **قوله** فأنذرتكم نارا تلظى قد تقدم
في البقرة أن البزي يشدد مثل هذه التاء والتشديد فيها عسر
لالتقاء الساكنين فيها على غير حدهما وهو نظير قوله تعالى إذ تلقونه
وقد تقدم وقال أبو البقاء يقرأ بكسر التنوين وتشديد التاء وقد ذكر وجهه
في ولا تيمموا الخبيث انتهى وهذه غريبة ولكنها موافقة للقياس من
أنه لم يلتق فيها ساكنان وقوله وقد ذكر وجهه أي الذي قاله
في البقرة ولا يفيد هنا شيئا البتة فإنه قال هناك ويقرأ بتشديد
التاء وقبلها ألف وهو جمع بين ساكنين وإنما سوغ ذلك المد الذي
في الألف. وقرأ ابن الزبير وسفيان وزيد بن علي وطلحة تتلظى
بتاءين وهو الأصل قال القرطبي وهي قراءة عبيد بن عمير ويحيى
ابن يعمر. **فصل** المعنى حذرتكم وخوفتكم نارا تلظى أي تتلهب
وتتوقد وتتوهج يقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم
لظى. **قوله** لا يصلاها أي لا يجد صلاها وهو حرها إلا الأشقى
قيل الأشقى والأتقى بمعنى الشقي والتقي ولا تفضيل فيهما لأن النار
مختصة بالأكثر شقاء وتجنبها ليس مختصا بالأكثر تقوى وقيل بل هما
على بابهما وإليه ذهب الزمخشري فقال فإن قلت قال لا يصلاها
إلا الأشقى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها
لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء وإن زعمت
أنه نكّر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله
وسيجنبها الأتقى فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار
المخصوصة لا الأتقى منها خاصة قلت الآية واردة في الموازنة
بين حالتي عظيم من المؤمنين وعظيم من المشركين فأريد أن يبالغ
في صفتيهما المتناقضتين فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار
لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق
إلا له. وقيل أبو جهل. وقيل أمية بن خلف وأبو بكر رضي الله عنه
انتهى. **فصل** قال جوابه أن المراد بهما شخصان معينان
المراد بالأشقى الشقي الذي كذب نبي الله صلى الله عليه وسلم
وتولى أي أعرض عن الإيمان وقال الفراء معناه إلا من كان شقيا في علم
الله تعالى. قال بعضهم الأشقى بمعنى الشقي كقوله لست فيها بأوحد
أي بواحد ووحيد وموضع أفعل بمعنى موضع فعيل نحو قولهم الله
أكبر بمعنى كبير وهو أهون عليه بمعنى هين. قالت المرجئة

الآية تدل على أن الوعيد مختص بالكافر والجواب المعارضة بآيات
الوعيد. وأيضا فهذا إغراء بالمعاصي وأيضا فقوله تعالى بعده وسيجنبها
الأتقى يدل على ترك هذا الظاهر لأن الفاسق ليس بأتقى فالمراد بقوله
تعالى نارا تلظى أنها مخصوصة من نيران لأن النار دركات ولا
يلزم من هذا أن الفاسق لا يدخل النار أصلا والمراد لا يصلاها بعد
الاستحقاق. وأجاب الواحدي بأن معنى لا يصلاها لا يلزمها
وهذه الملازمة لا تثبت إلا للكافر. **قوله** وسيجنبها الأتقى أي يبعد
عنها الأتقى أي التقي الخائف. قال ابن عباس هو أبو بكر الصديق
رضي الله عنه. ثم وصف الأتقى فقال سبحانه الذي يؤتي ماله يتزكى
أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا ولا يطلب بذلك رياء ولا سمعة
بل يتصدق به مبتغيا به وجه الله تعالى. **قوله** يتزكى قرأ
العامة يتزكى مضارع تزكى والحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب رضي الله عنهم يزكى بإدغام التاء في الزاي وفي هذه الجملة وجهان
أحدهما أنها في موضع الحال من فاعل يؤتي أي يؤتيه متزكيا به والثاني
أنها لا موضع لها من الإعراب على أنها بدل من صلة الذي ذكرهما الزمخشري
قوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى أي ليس ممن يتصدق ليجازي
على نعمة وإنما يبتغي وجه ربه الأعلى أي المتعالي وتجزى صفة لنعمة
أي يجزي الإنسان وإنما جيء به مضارعا مبنيا للمفعول لأجل الفواصل
إذ الأصل يجزيها إياه أو يجزيه إياها. **قوله** إلا ابتغاء وجه ربه
لا لمكافأة نعمة وهذا أخذه من قول الفراء فإنه قال ونصب على
التأويل ما أعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله تعالى والثاني
أنه منصوب على الاستثناء المنقطع إذ لم يندرج تحت جنس من نعمة
وهذه قراءة العامة أعني النصب والمد. وقرأ يحيى برفعه ممدودا على
البدل من محل نعمة لأن محلها الرفع إما على الفاعلية وإما على الابتداء ومن
مزيدة في الوجهين والبدل لغة تميم لأنهم يجرون المنقطع في الإعراب
مجرى المتصل وأنشد الزمخشري بالوجهين النصب والبدل قول بشر
ابن أبي خازم

أضحت قفارا خلاء لا أنيس بها ... إلا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل في الرفع

وبلدة ليس بها أنيس ... إلا اليعافير وإلا العيس

وفي التنزيل ما فعلوه إلا قليل منهم. وقال مكي وأجاز الفراء الرفع في
ابتغاء على البدل من موضع نعمة وهو بعيد. قال شهاب الدين كأنه
لم يطلع عليها قراءة واستبعاده هو البعيد فإنها لغة فاشية
وقرأ ابن أبي عبلة ابتغا بالقصر. **فصل** روى عطاء والضحاك
عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد
فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد يعني الله تعالى ينجيك
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه
يا أبا بكر إن بلالا يعذب في الله تعالى فعرف أبو بكر الذي يريد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب
ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه
فأعتقه أبو بكر رضي الله عنه لا ليد كانت له عنده فنزلت وما لأحد
عنده أي عند أبي بكر من نعمة أي مزية ومنة تجزى بل ابتغى بما فعل

وجه ربه الاعلى • قال بعضهم المراد ابتغا ثوابه وكرامته لان
ابتغا ذاته محال • وقال بعضهم لا حاجة الى هذا الاضمار لان حقيقة
هذه المسئلة ترجع الى ان العبد هل يمكن ان يحب ذات الله او المراد
من هذه المحبة ثوابه وكرامته ذكره ابن الخطيب والاعلى من نعت
الرب الذي استحق صفات العلو ويجوز ان يكون ابتغى وجه ربه
لا مكافاة نعمه **قوله** ولسوف يرضى هذا جواب قسم مضمر
العامة على يرضى مبنيا للفاعل • وقرى بضمايه للمفعول من ارضاه
الله تعالى وهو قريب من قوله تعالى في اخر سورة طه لعلك ترضى
وترضى • ومعنى الاية سوف يعطيه في الجنة ما يرضى بان يعطيه
اضعاف ما انفق • قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه اخر وهو
المراد انه انما طلب رضوان الله تعالى وليس يرضى الله عنه قال
وهذا اعظم من الاول لان رضى الله اكمل للعبيد من رضاه عن ربه
والله اعلم • روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله
تعالى حتى يرضى وعافاه الله من العسر ويسر له اليسر • قال الثعلبي
واذا ثبت نزولها بمكة ضعف تاويلها بقصة ابن الدحداح
ونرى تاويلها بنزولها في حق ابي بكر رضي الله عنه لانه كان بمكة
وانفاقه بمكة وقصة ابن الدحداح كانت بالمدينة • وروى
عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله ابا بكر زوجني بنته وحملني على دار الهجرة واعتق بلالا
من ماله •

سورة الضحى مكية

وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والضحى والليل اذا سجى
تقدم الكلام في الضحى والمراد به هنا النهار لمقابلته بقوله والليل
اذا سجى ولقوله تعالى او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم
نايمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون
اي نهارا • وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق اقسم بالضحى الذي
كلم الله فيه موسى عليه الصلوة والسلام • وليلة المعراج وقيل
الضحى هي الساعة التي خروا فيها سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس
ضحى • وقال القرطبي يعني عباده الذي يعبدونه في وقت الضحى
وعباده الذي يعبدونه بالليل اذا اظلم • وقيل الضحى نور الجنة والليل
ظلمة النار • وقيل الضحى نور قلوب العارفين كهيئة النهار والليل سواد
قلوب الكافرين كهيئة الليل اقسم تعالى بهذه الاشيا • وقال اهل المعاني
فيه وفي امثاله اضمار مجازه ورب الضحى وسجى معناه سكن قاله
قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة • يقال ليلة ساجية اي ساكنة
ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية • ويقال سجى الشي يسجو سكن
وسجى البحر سجوا اي سكنت امواجه وطرف ساج اي فاتر • ومنه استعير
تسجية الميت اي تغطيته بالثوب قاله الراغب • وقال الاعشى
• وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم • وبحرك ساج لا يواري الدعامصا •
• وقال الفرا اظلم • وقال ابن الاعرابي اشتد ظلامه • وقال الشاعر
• يا حبذا القمر والليل الداج • وطرق مثل ملا النساج •
• وقال الضحاك سجا غطا كل شي • قال الاصمعي سجو الليل تغطية النهار

ومثل

ومثل ما يسجى الرجل الثوب • وعن ابن عباس سجى اذا ادبر وعنه اظلم •
وقال سعيد بن جبير اقبل وعن مجاهد سجى استوى والقول الاول
اشهر في اللغة اي سكن الناس فيه كما يقال نهار صايم وليل قايم • وقيل
سكونه استقرار ظلامه واستوايه وهو من ذوات الواو وانما اميل
لموافقة روس الاي كالضحى فانه من ذوات الواو ايضا **فصل**
قال ابن الخطيب وقدم هنا الضحى وفي السورة التي قبلها قدم الليل
اما لان كلا منهما اثر عظيم في صلاح العالم والليل فضيلة السبق لقوله
تعالى وجعل الظلمات والنور • وللنهار فضيلة النور فقدم سبحانه
هذا تارة وهذا تارة كالركوع والسجود في قوله تعالى اركعوا واسجدوا
وقوله تعالى واسجدي واركعي مع الراكعين • وقيل قدم الليل في
سورة ابي بكر رضي الله عنه لان ابا بكر سبقه كفر وقدم الضحى في
سورة محمد عليه الصلوة والسلام لانه نور محض ولم يتقدمه ذنب •
وقيل لما كانت سورة الليل سورة ابا بكر رضي الله عنه وسورة
الضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم لم يجعل بينهما واسطة ليعلم
انه لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه
فصل قال ابن الخطيب وذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل
بجملته اشارة الى ان ساعة من النهار توازي جميع الليل كما ان محمدا
صلى الله عليه وسلم يوازن جميع الانبيا عليهم الصلوة والسلام
وايضا فالضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة
الى ان سرور الدنيا اقل من شرورها وان هموم الدنيا ادوم من سرورها
فان الضحى ساعة والليل ساعات • يروى ان الله تعالى لما خلق العرش
اظلت غمامة سودا ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري الهموم
والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك
وهكذا الى ثلاث مائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة
بيضا ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري السرور ساعة فلهذا
ترى الهموم والاحزان دايمة والسرور قليلا ونادرا وقد ذكر الضحى لانه
يشبه الحياة واخر الليل لانه يشبه الموت **قوله** ما ودعك ربك
هذا جواب القسم والعامة على تشديد الدال من التوديع • وقرا
عروة بن الزبير وابنه هاشم وابن ابي عبلة وابو حيوة بتخفيفها
من قولهم ودعه اي تركه • والمشهور في اللغة الاستغنا عن ودع
وورد قال الشاعر •

سل اميري ما الذي غيره • عن وصال اليوم حتى ودعه •

وقال الاخر •

• وثم ودعنا ال عمرو وعامر • فرايس اطراف المثقفة السمر •

قيل والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك
قال القرطبي فاستعماله قليل يقال هو يدع كذا اي يتركه • قال
المبرد لا يكادون يقولون ودع ولا وذر لضعف الواو اذا قدمت
واستغنوا عنها بترك **قوله** وما قلى اي ما ابغضك يقال
قلاه يقليه بكسر العين في المضارع فلا يقلاه بالفتح قال •

• يا من لست انساه • ولا والله اقلاه • لك الله على ذلك لك الله •

وحذف • فلا مراعاة للفواصل مع العلم به وكذا بعد فاوى
وما بعده وقوله القلى البغض اي ما ابغضك ربك منذ احبك
فان فتحت القاف مددت فقلت قلاه يقليه قلا وقلا كما تقول

قربت الضيف اقريه قرا وقرا ثم يتلاه لغة طي وانشد ثعلب
يارب ام العمر لا تقلاها اي لا تبغضها ويعلي اي يبغض وقال
اسيئي بنا او احسني لاملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت
وقال امرء القيس ولست بمقلي الخلال ولا قالي ومعنى الاية
ما ودعك ربك وما قلاك فترك الكاف لانه روس اية كقوله تعالى
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الله **فصل** قال المفسرون
احتبس الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر يوما وقال مقاتل
اربعين يوما فقال المشركون ان محمدا صلى الله عليه وسلم قلاه ربه
وودعه ولو كان امره من الله تعالى لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان
قبله من الانبيا فنزلت هذه الاية وروى البخاري عن جندب
ابن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم
ليلتين او ثلاثا فجاءت ام جميل امراة ابي لهب لعنة الله عليها فقالت
يا محمد اني لارجوا ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين
او ثلاث فانزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما
قلى وروى ابو عمران الجوني قال ابطا جبريل عليه السلام على النبي عليه
الصلوة والسلام حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة
يدعو فنكت بين كتفيه وانزل عليه ما ودعك ربك وما قلى وروي
ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل
البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم
اياما لا ينزل عليه الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل لا ياتيني قالت خولة لو هيات
البيت وكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت
فاخذته والقيته خلف الجدار فجا نبي الله صلى الله عليه وسلم يرعد
لحياه وكان اذا انزل عليه الوحي استقلته الرعدة فقال يا خولة دثريني
فانزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام ساله النبي
صلى الله عليه وسلم عن التاخر فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه
كلب ولا صورة ولما سالته اليهود عن الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف قال صلى الله عليه وسلم ساخبركم غدا ولم يقل ان شا الله
فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن
لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله فاخبره بما سيل عنه وفي هذه
القصة نزلت ما ودعك ربك وما قلى **قوله** وللاخرة الظاهر
في هذه اللام انها جواب القسم وكذلك في ولسوف اقسم الله على اربعة
اشيا اثنان منفيان وهما توديعه وقلاه واثنان مثبتان موكدان
وهما كون الاخرة خير له من الدنيا وانه سوف يعطيه ما يرضيه وقال
الزمخشري فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام
الابتدا الموكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف
يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو
ان تكون لام قسم او ابتدا فلام القسم لا تدخل على المضارع الامع نون
التوكيد فبقي ان تكون لام ابتدا الا تدخل الا على الجملة من المبتدا
والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبره واصله ولانت سوف ونقل ابو
حيان عنه انه قال وخلع من اللام دلالتها على الحال انتهى وهذا الذي
رده الزمخشري مختار عنه انها لام القسم قوله لا تدخل مع المضارع
الا مع نون التوكيد هذا استثنا النحاة منه صورتين احداهما ان لا
يفصل بينها وبين الفعل حرف تنفيس كهذه الاية وكقولك والله

لسا يعطيك

لسا عطيك والثاني ان لا يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله لالى الله
تحشرون ويدل لما قلته ما قال الفارسي ليست هذه اللام هي التي
في قولك ان زيدا لقايم بل هي التي في قولك لا قومن ونابت سوف عن
احدى نوني التوكيد فكانه قال وليعطينك وقوله خلع منها دلالتها
على الحال يعني ان لام الابتدا الداخلة على المضارع تخلصه للحال وهنا لا
يمكن ذلك لاجل حرف التنفيس فلذلك خلعت الحالية منها وقال ابو
حيان واللام في وللاخرة لام ابتدا وكدت مضمون الجملة ثم حكى بعض
ما تقدم عن الزمخشري وابن عطية ثم قال ويجوز عندي ان تكون اللام
في وللاخرة خير وفي ولسوف يعطيك اللام التي تلقى بها القسم عطفها
على جواب القسم وهي قوله ما ودعك ربك فيكون هذا قسم على
هذه الثلاثة انتهى فظاهره ان اللام في وللاخرة لام ابتدا متلقى بها
القسم بدليل قوله ثانيا ويجوز عندي ولا يظهر انقطاع هذه الجملة
عن جواب القسم البتة وكذلك في ولسوف وتقدير الزمخشري مبتدا
بعدها لا ينافي كونها جوابا للقسم انما منع ان يكون جوابا لكونها
داخلة على المضارع لفظا وتقديرا وقال ابن الخطيب فان قيل ما
معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير قلنا معناه ان العطا كاين
لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة **فصل** قال ابن اسحاق
معنى قوله وللاخرة خير لك من الاولى اي ما عندي في مرجعك الي يا محمد
خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا وروى علقمة عن عبد الله
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل بيت
اختار الله لنا الاخرة على الدنيا **وقوله تعالى** ولسوف يعطيك ربك
فترضى روى عطا عن ابن عباس رضي الله عنه ان الشفاعة في امته
حتى يرضى وهو قول علي والحسن وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي
ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في ابراهيم عليه الصلوة
والسلام فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وهو
قول عيسى عليه الصلوة والسلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم الاية فرفع يده وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى
الله اكبر الله اكبر يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقل انا
سنرضيك في امتك ولا نسوك وقال حرب بن شريح سمعت ابا
جعفر محمد بن علي يقول انكم يا معشر اهل العراق تقولون ارجا اية في
القران الكريم يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله وانا اهل بيت نقول ارجا اية في كتاب الله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وقيل الحوض والشفاعة **فصل** وجه النظم كانه
قيل انقطاع الوحي لا يكون عزلا عن النبوة بل غايته امارة الموت
للاستغنا عن الرسالة فان فهمت منه قرب الموت فالموت خير لك من
الاولى وفهم صلى الله عليه وسلم من الخطاب بقوله ما ودعك ربك
وما قلى تشريفا عظيما فعسر له وللاخرة خير لك من الاولى اي ان احوالك
الاتية خير لك من الماضية فهو وعد بانه سيزيده عزا الى عزه وبين
ان الاخرة خير كانه صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما يريد ولا نقصا
اشترط عاشر نبي ملكه ومكنه خير مما لا يكون ملكهم اولان الكفار يعودونك
وامتك في الدنيا واما في الاخرة فهم شهدا على الناس اولان خيرات
الدنيا قليلة منقطعة ولم تقل خير لكم لان فيهم من الاخرة ستركه ولو
ميزهم لا فتضحوا ثم اخبر الله تعالى عن حاله الذي كان عليها قبل الوحي وذكره

نعمه فقال **قوله تعالى** ألم يجدك يتيما فآوى • العامة على آوى
بألف بعد الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وأبو الأشهب فأوى ثلاثيا
قال الزمخشري وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع بعض
الرواة يقول أين آوي هذه وإما من أوى له إذا رحمه انتهى وعلى
الثاني قوله •

أراني ولا كفران لله أية • لنفسي قد طالبت غير منيل

أي رحمة لنفسي ووجه الدلالة من قوله أية وهذه لأنه لو كان من الرباعي
المضمومة بين حرفي المضارعة والثانية هي فاء الكلمة • وأما همزة أفعل
فمحذوفة على القاعدة ولم يبدل هذه الهمزة كما أبدلت في أولئك لئلا
يثقل بالإدغام ولذلك نص الفراء على أن ... من قوله تعالى وفصيلته
التي تؤويه لا يجوز إبدالها للثقل **فصل** قال ابن الخطيب
يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا الوجود
والوجود من الله العلم • والمعنى ألم يعلمك الله يتيما فآوى •
قال القرطبي يتيما لا أب لك قد مات أبوك فآوى أي جعل لك
مأوى تأوي إليه عند عمك أبي طالب فكفلك • وقيل لجعفر بن محمد
الصادق لم أوتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه فقال لئلا يكون
لمخلوق عليه حق • وقال مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة
إذا لم يكن لها نظير فالمعنى ألم يجدك يتيما واحدا في شرفك لا نظير
لك فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك **فصل**
أورد ابن الخطيب هنا سؤالا وهو أنه كيف يحسن من الجواد أن
يمن بنعمه فيقول ألم يجدك يتيما فآوى ويؤكد هذا السؤال
أن الله تعالى حكى عن فرعون قوله لموسى عليه الصلوة والسلام ألم
نربك فينا وليدا في معرض الذم لفرعون فما كان مذموما من فرعون
كيف يحسن من الله تعالى • قال والجواب أن ذلك يحسن إذا قصد
بذلك تقوية قلبه ووعده بدوام النعمة ولهذا ظهر الفرق بين
هذا الامتنان وبين امتنان فرعون لأن امتنان فرعون معناه
فما بالك لا تخدمني وامتنان الله تعالى زيادة نعمه كأنه يقول
ما لك تقطع عني رجاءك ألست شرعت في تربيتك أتظنني تاركا
لما صنعته بل لا بد وأن أتم النعمة كما قال تعالى ولأتم نعمتي عليكم
فإن قيل إن الله تعالى من عليه بثلاثة أشياء ثم أمره أن يذكر نعمة
ربه فما وجه المناسبة • فالجواب وجه المناسبة أن يقول قضى
الدين واجب والدين نوعان مالي وإنعامي والإنعامي أقوى
وجوبا لأن المالي قد يسقط بالإبراء والإنعامي يتأكد بالإبراء والمالي
يقضى مرة فيخرج منه الإنسان والإنعامي يجب عليه قضاؤه طول عمره
فإذا تعذر قضاء النعمة القليلة من منعم هو مملوك فكيف حال النعمة
العظيمة من المنعم المالك فكأن العبد يقول إلهي أخرجتني من العدم
إلى الوجود بشرا مستويا طاهر الظاهر نجس الباطن بشارة منك
تستر علي ذنوبي بستر عفوك كما سترت نجاستي بالجلد الظاهر فكيف
يمكنني قضاء نعمتك التي لا أحصر لها فيقول تبارك وتعالى الطريق
إلى ذلك أن يفعل في حق الأيتام ما فعلته في حقك ثم إذا فعلت كل ذلك فاعلم
أنما فعلته بتوفيقي ولطفي وإرشادي فكن أبدا ذاكرا لهذه النعم
قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أي غافلا عما يراد بك من أمر
النبوة فهداك أي أرشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة لقوله
تعالى

تعالى لا يضل ربي ولا ينسى أي لا يغفل وقال في حق نبيه صلى الله
عليه وسلم وإن كنت من قبله لمن الغافلين • وقيل معنى قوله ضالا لم
تكن تدري القرآن والشرائع فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام
قاله الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما • قال تعالى ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الإيمان على ما تقدم في سورة الشورى • وقال السدي
والكلبي والفراء وجدك ضالا أي في قوم ضلال فهداهم الله بك أو فهداك
إلى إرشادهم • وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها • وقيل
ضالا أي ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف
وذي القرنين والروح فأذكرك لقوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر
إحداهما الأخرى • وقيل ووجدك طالبا للقبلة فهداك إليها لقوله تعالى
قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية ويكون الضلال بمعنى الطلب لأن
الضال طالب • وقيل ووجدك ضائعا في قومك فهداك إليه ويكون
الضلال بمعنى المحبة قال تعالى تالله إنك لفي ضلالك القديم أي في محبتك
قال الشاعر •

هذا الضلال أشاب مني المفرقا • والعارضين ولم أكن متحققا
عجبا لعزة في اختيار قطيعتي • بعد الضلال فحبلها قد أخلقا

وقيل ضالا في شعاب مكة فهداك وردك إلى جدك عبد المطلب • وقال كعب
رضي الله عنه إن حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله
عليه وسلم لترده إلى عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئا لك
يا بطحاء مكة اليوم يرد إليك النور والدين والبهاء والجمال قالت فوضعته
لأصلح ثيابي فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره فقلت معشر الناس
أين الصبي فقالوا لم نر شيئا فصحت وامحمداه فإذا شيخ فان يتوكأ على
عصى فقال اذهبي إلى الصنم الأعظم فإن شاء أن يرده إليك فعل ثم طاف
الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه
السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فرده إن شئت فانكب هبل على وجهه
وتساقطت الأصنام وقالت إليك عنا أيها الشيخ فهلاكنا على يد محمد
فألقى الشيخ عصاه وارتعد وقال إن لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه
على مهل فانحشرت قريش إلى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه
فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع إلى الله تعالى أن يرده وقال
يا رب محمدا رد ولدي محمدا • اردده ربي واصطنع عندي يدا فسمعوا مناديا
ينادي من السماء معاشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه
وإن محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر صلى الله عليه وسلم فسار عبد
المطلب هو وورقة بن نوفل فإذا النبي صلى الله عليه وسلم تحت شجرة
يلعب بالأغصان وبالورق • وفي رواية فما زال عبد المطلب يردد
البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه
وهو يقول لا تدري ماذا جرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال
إني أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته
أمامي قامت الناقة • قال ابن عباس رضي الله عنه رده الله إلى جده
بيد عدوه كما فعل بموسى عليه الصلوة والسلام حين حفظه عند
فرعون • وقال سعيد بن جبير خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع
عمه أبي طالب في سفر فأخذ إبليس بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل
بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها
إلى أرض الهند ورده إلى القافلة صلى الله عليه وسلم • وقيل ووجدك

ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش • وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجرة معها سموها ضالة فيهتدى بها الى الطريق فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا اي لا احد على دينك بل انت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق • وقال بعضهم ووجدك مغمورا في اهل الشرك فميزك عنهم • يقال ضل الماء في اللبن • ومنه اذا ضللنا في الارض اي لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كانا لا نتميز من جملته • وقيل ضالا عن معرفة الله حين كنت طفلا صغيرا لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فخلق فيك العقل والهداية والمعرفة فالمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد • وقيل قد يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد قومه فقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي وجد قومك ضلالا فهداهم بك • وقيل انه كان على ما كان القوم عليه لا يظهر لهم في الظاهر الحال فاما الشرك فلا يظن به بل على مراسم القوم في الظاهر اربعين سنة • وقال الكلبي والسدي اي وجدك كافرا والقوم كفارا فهداك وقد مضى الرد على هذا القول في سورة الشورى قوله ووجدك عائلا فاغنى العائل الفقير وهذه قراءة العامة يقال عال زيد اي افتقر قال جرير

الله انزل في الكتاب فريضة • لابن السبيل وللفقير العائل

وعال كثرت عياله قال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه • وما يدري الغني متى يعيل

وقرا اليماني عيلا بكسر الياء المشددة كسيد • قال ابن الخطيب العائل ذو العيلة ثم اطلق على الفقير ولم يكن له عيال والمشهور ان المراد به الفقير • ويؤيده ما روي في مصحف عبد الله ووجدك عديما وقوله تعالى فاغنى اي اغناك بخديجة وتربية ابي طالب • ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر رضي الله عنه • ولما اختل ذلك امره بالهجرة واغناه باعانة الانصار رضي الله عنهم • ثم امره بالجهاد واغناه بالغنائم • وكان سفيان اغناه بما اعطاك من الرزق • وقال عطا وجدك فقير النفس فاغنى قلبك • وقيل من الحجج والبراهين فاغناك بها قوله فاما اليتيم فلا تقهر اليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل الا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو قدمت على لا امتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه وتقدم ذلك في سورة هود عليه السلام عند قوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وقرا العامة تقهر بالقاف من الغلبة وابن مسعود والشعبي وابراهيم النخعي والاشهب العقيلي بالكاف يقال كهر في وجهه اي عبس وفلان ذو كهرة اي عابس الوجه ومنه الحديث • فبابي وامي هو ما كهرني وقال ابو حيان وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور انتهى • والكهر في الاصل ارتفاع النهار مع شدة الحر • وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر والمعنى لا تسلط عليه بالظلم بل ادفع اليه حقه واذكر يتمك قاله الاخفش • وقال مجاهد لا تحتقر وخص اليتيم لانه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ في تاثير العقوبة على ظالمه والمعنى عامله مثل ما عاملناك به ونظيره واحسن كما احسن الله اليك قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فيمن ليس له الا الله

فصل دلت الاية على اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه قال قتادة كان لليتيم كالاب الرحيم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما وكان في نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة • وقال النبي صلى الله عليه وسلم من مسح براس يتيم كان له بكل شعرة حسنة

فصل قال ابن الخطيب والحكمة في ان الله تعالى اختار لنبيه اليتيم لانه يعرف حرارة اليتيم فيرفق باليتيم وايضا ليشاركه في الاسم فيكرمه لاجل ذلك لقوله عليه الصلوة والسلام اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس • وايضا ليعتمد من اول عمره على الله تعالى فيشبه ابراهيم عليه الصلوة والسلام في قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي • وايضا فالغالب ان اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجدوا فيه عيبا لم يجدوا فيه مطعنا • وايضا جعله يتيما ليعلم كل احد فضيلته ابتدا من الله تعالى لا من التعليم لان من له اب فان اباه يعلمه ويؤدبه • وايضا فاليتم والفقر نقص في العادة فكونه صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فكان معجزة ظاهرة قوله واما السائل فلا تنهر اي فلا تزجره • يقال نهره وانتهره اذا زجره واغلظ له القول ولكن يرده ردا جميلا • قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة • وقال ابراهيم النخعي السائل بريد الاخرة يجي الى باب احدكم فيقولون هل تبعثون الى اهليكم بشي • وقيل المراد هنا بالسائل الذي يسال عن الدين • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسالة وددت اني لم اسالها قلت يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال يسبحن واعطيت فلانا كذا فقال الله تعالى الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم اشرح لك صدرك الم اوتك ما لم اوت احدا قبلك خواتيم سورة البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذت ابراهيم خليلا قلت بلى يا رب قوله واما بنعمة ربك فحدث • الجار متعلق بحدث والفا غير مانعة من ذلك • قال مجاهد تلك النعمة هي القران والحديث فيه ان يقرا ويقرئ غيره • وعن مجاهد ايضا تلك النعمة هي النبوة اي بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل تلك النعمة هي ان وفقك الله تعالى فراعيت حق اليتيم والسائل فحدث بها ليقتدي بك غيرك • وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال اذا عملت خيرا فحدث اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا لا يحسن الا اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدي به • وروى مالك بن نضلة الجشمي قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراني رث الثياب فقال صلى الله عليه وسلم الك مال قلت نعم يا رسول الله قال اذا اتاك الله مالا فليرى اثره عليك • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده • فان قيل ما الحكمة في ان الله اخر حق نفسه على حق اليتيم والسائل فالجواب انه سبحانه وتعالى يقول انا غني وهما محتاجان وحق المحتاج اولى بالتقديم • واختار قوله فحدث على قوله فخبر ليكون ذلك حديثا عنه لا ينساه ويعيده مرة اخرى

فصل روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه • وروى البزي عن كثير يكبر القاري عقيب الضحى • وروى ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى

صلى الله عليه وسلم انه كان اذا بلغ اخر الضحى كبر بين كل سورتين تكبيرة الى ان يختم القران ويفصل بينهما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه ونزلت هذه السورة فقال الله اكبر قال مجاهد قرات على ابن عباس رضي الله عنه فامرني به واخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر في قراءة الباقين لانها ذريعة الى الزيادة في القران. قال القرطبي القران ثبت نقله بالتواتر سوره واياته وحروفه بغير زيادة ولا نقصان وعلى هذا فالتكبير ليس بقران. روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم من قرا سورة والضحى كان فيمن يرضاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وكتب الله له من الحسنات بعدد كل يتيم وسائل والله اعلم واحكم.

سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم. قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الاستفهام اذا دخل على النفي قرره فصار المعنى قد شرحنا ولذلك عطف عليه الماضي ومثله الم نربك فينا وليدا ولبثت والعامة على جزم الحاء بلم. وقرا ابو جعفر المنصور بفتحها. قال الزمخشري وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها. وقال ابن عطية ان الاصل الم نشرحن بالنون الخفيفة ثم ابدلها الفا ثم حذفها تخفيفا كما انشد ابو زيد

من اي يومي من الموت افر ... ايوم لم يقدر ام يوم قدر

بفتح لم يقدر وكقوله

اضرب عنك الهموم طارقها ... ضربك بالسيف قونس الفرس

بفتح با اضرب انتهى وهذا مبني على جواز توكيد المجزوم بلم وهو قليل جدا كقوله

يحسبه الجاهل ما لم يعلما ... شيخا على كرسيه معمما

فتركب هذه القراءة من ثلاثة اصول كلها ضعيفة لان توكيد المجزوم بلم ضعيف وابدالها الفا انما هو في الوقف فاجراء الوصل مجرى الوقف خلاف الاصل وخرجه ابو حيان على لغة خرجها اللحياني في نوادره عن بعض العرب وهو الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس وجعله احسن مما تقدم وانشد قول عايشة بنت الاعجم تمدح المختار صلى الله عليه وسلم بطلب ثار الحسين بن علي رضي الله عنهما وعن بقية الصحابة اجمعين

قد كان سمك الهدى ينهد قائمه ... حتى اتيح له المختار فانعمدا

في كل ما هم امضى رايه قدما ... ولم يشاور في اقدامه احدا

بنصب رايشا ويشاور وجعله محتملا للتخريجين. شرح الصدر فتحه اي الم نفتح صدرك للاسلام. وقال ابن عباس الم نلين قلبك. وعن الحسن في قوله الم نشرح لك صدرك قال ملي حكما وعلما. وروي ان جبريل عليه السلام اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه من المعاصي ثم ملاه علما وايمانا ووضعه في صدره. وطعن القاضي في هذه الرواية من وجوه احدها ان هذه الواقعة انما وقعت حال صغره صلى الله عليه وسلم وذلك من المعجزات فلا يجوز ان يتقدم نبوته. وثانيها ان تاثير الغسل في ازالة الاجسام والمعاصي ليست باجرام فلم يوثر الغسل فيها. وثالثها

انه

انه لا يصح ان يملا القلب علما بل الله تعالى يخلق فيه العلوم. واجيب عن الاول بان تقدم المعجزات على زمان البعثة جائز وهو المسمى بالارهاص ومثله في حق الرسول صلى الله عليه وسلم كثير. وعن الثاني والثالث لا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذي غسلوه من قلب الرسول عليه الصلوة والسلام ميل القلب الى المعاصي واحجامه عن الطاعات فاذا ازالوه عنه كان ذلك علامة لمواظبته على الطاعات واحترازه عن الشبهات فكان ذلك كالعلامة للملائكة على عصمة صاحبه. وايضا فان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. روى ابن عباس رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم قالوا وما علامته قال صلى الله عليه وسلم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاعتداد للموت قبل نزوله. قال القرطبي معنى الم نشرح قد شرحنا ولم بجحد. وفي الاستفهام طرف من الجحد واذا وقع جحد على جحد رجع الى التحقيق كقوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين. ومعناه الله احكم الحاكمين. وكقوله تعالى اليس الله بكاف عبده. وكقول جرير يمدح عبد الله بن مروان

الستم خير من ركب المطايا ... واندى العالمين بطون راح

المعنى انتم كذا. فان قيل لم قال عز وجل الم نشرح لك صدرك فذكر الصدر ولم يذكر القلب. فالجواب لان محل الوسوسة هو الصدر على ما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فابدال تلك الوسوسة بدواعي الخير هو الشرح فلذلك خص الشرح بالصدر دون القلب. وقيل الصدر حصن القلب فيقصده الشيطان فان وجد مسلكا اغار فيه وبث جنده فيه وبث فيه الغموم والهموم والحرص فيضيق القلب ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا طرد في الابتداء حصل الامن وانشرح الصدر. فان قيل لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل الم نشرح صدرك فالجواب انه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل الطاعات وانا ايضا جميع ما افعله لاجلك

فصل

روي عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان والضحى والم نشرح سورة واحدة وكانا يقرانهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لانهما رايا ان اولها يشبه قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى وليس كذلك لان ذلك حالة اغتمامه صلى الله عليه وسلم بايذاء الكفار فهي حالة محنة وضيق وهذه حالة انشراح الصدر وطيب القلب فكيف يجتمعان.

قوله ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك ذنبك. وقرا انس رضي الله عنه وحللنا وحططنا. وقرا ابن مسعود وحللنا عنك وقرك. وهذه الاية مثل قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل الجميع كانوا قبل النبوة والوزر الذنب اي وضعنا عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وسلم في كثير من مذاهب قومه وان لم يكن عبد صنما ولا وثنا.

قوله الذي انقض ظهرك المحمله على النقض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل صلى الله عليه وسلم. قال اهل اللغة انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمعت له صريرا من شدة الحمل وسمعت نقيض الرجل اي صريره. قال العباس بن مرداس

وانقض ظهري ما تطويت منهم ... وكنت عليهم مشفقا متحننا

وقال جميل

ونجي تداعت بالنقيض حباله ۞ وهمت تزالى رونتاك بحطها ۞
والمعنى اثقل ظهرك حتى سمع نقيضه اي صوته والوزر الحمل الثقيل • وقال
المحاسبي يعني ثقل الوزر ولو لم يغفر الله عنه قال وانما وضعت ذنوب
الانبيا عليهم الصلوة والسلام فهذا الثقل مع كونها مغفورة لشدة
اهتمامهم بها وقدمهم فيها وتحسرهم عليها • وقال الحسين بن الفضل
يعني الخطا والسهو • وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتغال قلبه
بها • وقال عبد العزيز بن يحيى وابو عبيدة خففنا عنك اعبا النبوة
والقيام بها حتى لا تثقل عليك • وقيل كان في الابتدا يثقل عليه الوحي
حتى كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل الى ان جاه جبريل عليه السلام وازال
عنه ما كان يخاف من تغير العقل • وقيل عصمناك من احتمال الوزر
وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادناس حين نزل عليك الوحي
وانت مطهر **قوله** ورفعنا لك ذكرك • قال مجاهد يعني بالتاذين
وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه يقول الله تعالى لا ذكرت
الا ذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر
ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وايام التشريق وعند الجمار وعلى
الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الارض ومغاربها ولو ان
رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شي ولم يشهد ان محمدا
رسول الله لم ينتفع بشي وكان كافرا • وقيل اعلينا ذكرك فذكرناك
في الكتب المنزلة على الانبيا قبلك وامرناهم بالبشارة بك ولا دين
الا ودينك يظهر عليه • وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السما وفي
الارض عند المومنين ونرفع في الاخرة ذكرك بما نعطيك في المقام المحمود
وكرايم الدرجات • وقيل عام في كل ما ذكروا **قوله** فان مع العسر
يسرا العامة على سكون السين في الكلم الاربع وابن وثاب وابو جعفر
وعيسى بضمها وفيه خلاف وهل هو اصل او متقل من المسكن في الالف
واللام في العسر الاول لتعريف الجنس • وفي الثاني للعهد وكذا للاول
عن ابن عباس رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين • وروى ايضا مرفوعا
انه صلى الله عليه وسلم خرج يضحك يقول لن يغلب عسر يسرين
والسبب فيه ان العرب اذا اتت باسم ثم اعادت مع الالف واللام
كان هو الاول نحو جا رجل فاكرمت الرجل • وقوله تعالى كما ارسلنا
الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ولو اعادته بغير الف ولام كان
غير الاول فقوله تعالى ان مع العسر يسرا لما اعاد العسر الثاني اعاده
بال ولما كان اليسر الثاني غير الاول لم يعده بال • وقال الزمخشري
فان قلت ما معنى قول ابن عباس وذكر ما تقدم قلت هذا حمل على الظاهر
وبنا على قوة الرجا وان موعد الله تعالى لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ
وابلغه من القول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاول
كما كرر قوله تعالى ويل يوميذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس
وتمكنها في القلوب وكما تكرر المفرد في قولك جا زيد زيد وان الاولى عدة
مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف
وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون لتعريفه للعهد وهو العسر
الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه في حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا
ان مع زيد مالا • واما ان يكون يعلمه كل احد فهو هو • واما اليسر فمنكر
متناول لبعض الجنس واذا كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد
تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال • وقال ابو البقا العسر

في الموضعين



في الموضعين واحد لان الالف واللام توجب تكرير الاول • واما
يسرا في الموضعين فاثنان لان النكرة اذا اريد تكريرها جي بضميرها
او بالالف واللام • ومن هنا قيل لن يغلب عسر يسرين • وقال
الزمخشري ايضا فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر
والعسر قلت اراد ان الله تعالى يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه
بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كانه المقارن للعسر
زيادة في التسلية وتقوية للقلوب • وقال ايضا فان قلت ما معنى
هذا التنكير قلت التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر
وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة • فان قلت فاذا ثبت في
قراته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه
اليسر حتى يدخل عليه لن يغلب عسر يسرين • قلت كانه قصد باليسرين
ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران
في الحقيقة **فصل** تعلق هذه الاية بما قبلها هو ان الله تعالى
بعث نبيه صلى الله عليه وسلم فعيره المشركون بفقره حتى قالوا
له نجمع لك مالا فاغتم لذلك فظن انهم انما رغبوا عن الاسلام لكونه
فقيرا حقيرا عندهم فعدد الله تعالى عليه مننه بقوله تعالى الم نشرح
لك صدرك ووضعنا عنك وزرك اي ما كنت فيه من امر الجاهلية
ثم وعده بالغنا في الدنيا ليزيل عنه قلبه ما حصل فيه من التاذي
بكونهم عيروه بالفقر فقال تعالى فان مع العسر يسرا دعطفه بالفا
اي لا يحزنك ما عيروك به في الفقر فان مع ذلك يسرا عاجلا اي في الدنيا
فانجز له ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن ووسع عليه ذات
يده حتى كان يعطي الرجل المايتين من الابل ويهب الهبات الكسنية
ويعد لاهله قوت سنة وهذا وان كان خاصا بالنبي عليه الصلوة والسلام
فقد يدخل فيه بعض امته صلى الله عليه وسلم ان شا الله تعالى • ثم ابتدا
فضلا اخر من امر الاخرة فقال ان مع العسر يسرا فهذا شي اخر والدليل
على ابتدايه تعديه من فا او واو وغيرهما من حروف النسق التي تدخل على
العطف فهذا وعد عام لجميع المومنين ان مع العسر يسرا للمومنين يسرا في
الاخرة لا محالة وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الاخرة **قوله** فاذا فرغت
العامة على فتح الرا من فرغت وهي الشهيرة وقراها ابو السمال مكسورة وهي لغة
فيه • قال الزمخشري وليست بالفصيحة • وقال الزمخشري فان قلت كيف تعلق
قوله تعالى فاذا فرغت فانصب بما قبله • قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده
بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة عن ابن عباس رضي الله عنه فاذا فرغت
من صلاتك فانصب في الدعا والعامة على فتح الصاد وسكون البا امرا من
النصب • وقرى بتشديد البا مفتوحة امرا من الانصاب • وكذا قرى بكسر
الصاد ساكنة البا امرا من النصب بسكون الصاد • قال شهاب الدين
ولا اظن الاولى الا تصحيفا ولا الثانية الا تحريفا فانها تروى عن الامامية
وتفسيرها فاذا فرغت من النبوة فانصب الخليفة • قال ابن عطية وهي
قراة ضعيفة شاذة لم تثبت عن عالم • قال الزمخشري ومن البدع ما روي
عن بعض الرافضة انه قرا فانصب بكسر الصاد اي انصب عليا للامامة
ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرا هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي
هو بغض علي وعداوته • قال ابن مسعود اذا فرغت من الفرايض فانصب
في قيام الليل • وقال الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب اي استغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات • وقال الحسن وقتادة فاذا فرغت من جهاد

عدوك فانصب لعبادة ربك **قوله** والى ربك فارغب من الرغبة وقرأ زيد بن علي وابن ابي عبلة بتشديد الغين امرا من رغّبه بالتشديد اي فرغّب الناس الى طلب ما عنده • عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم • يقول من قرأ الم نشرح لك صدرك فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني والله اعلم •

سورة والتين مكية

وقال ابن عباس وقتادة مدنية وهي ثمان آيات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والتين قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطا ابن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين • ومن خواص التين انه غذا وفاكهة وهو سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وروى ابو ذر رضي الله عنه انه اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس • وعن علي بن موسى الرضى التين يزيد نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج • واما الزيتون فشجرته هي الشجرة المباركة وعن معاذ رضي الله عنه انه استاك بقضيب من زيتون وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة الطيبة يطيب الفم ويذهب الحفر وهي سواكي وسواك الانبياء من قبلي • وعن ابن عباس رضي الله عنه التين مسجد نوح عليه الصلوة والسلام الذي بني على الجودي • والزيتون بيت المقدس • وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى • وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس • وقال محمد ابن كعب رضي الله عنه التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهذا اختيار الطبري • وقيل هما جبلان بالشام يقال لهما طور تينا وطور زيتا بالسريانية سميا بذلك لانهما منبتا التين والزيتون • قال القرطبي والصحيح الاول لانه الحقيقة فلا يعدل عنه الى المجاز الا بدليل **قوله** وطور سينين الطور جبل وسينين اسم مكان فاضيف الجبل للمكان الذي هو به قال الزمخشري ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب • وقال ابو البقاء هو لغة في سيناء انتهى • وقرأ العامة بكسر السين وابن اسحاق وعمرو بن ميمون وابو رجاء بفتحها وهي لغة بكر وتميم • وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله والحسن وطلحة سيناء بالكسر والمد • وعمر ايضا وزيد بن علي بفتحها والمد • قال عمرو بن ميمون صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه العتمة بمكة فقرأ والتين والزيتون وطور سيناء وهذا البلد قال وهكذا في قراءة عبد الله ورفع صوته تعظيما للبيت • وقرأ الثانية بالم تر كيف فعل ربك ولايلاف قريش جمع بينهما ذكره ابن الانباري وقد تقدم في المؤمنين وهذه لغات اختلفت في هذا الاسم السرياني على عادة العرب في تلاعبها بالاسماء الاعجمية

وقال

وقال الاخفش سينين شجر الواحدة سينينة وهو غريب جدا غير معروف عند اهل التفسير • وعن مجاهد وطور سينين اي المبارك بالسريانية وهو قول قتادة والحسن • وعن ابن عباس سينين اي الحسن بلغة الحبشة وعن عكرمة قال هو الجبل الذي نادى الله تعالى موسى منه عليه الصلوة والسلام • وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط • وقال ابو علي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه كما كررت في زحليل للمكان الزلق وكرديد للقطعة من التمر وخنذيذ للطويل ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف سيناء لانه جعل اسما للبقعة او الارض ولو جعل اسما للمكان او المنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام والارض المقدسة وقد بارك الله تعالى فيها الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ولا يجوز ان يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه **قوله** وهذا البلد الامين يعني مكة • والامين هذا فعيل للمبالغة اي آمن من فيه ومن دخله من انس وطير وحيوان • ويجوز من امن الرجل (ان يكون صح) بضم الميم امانة فهو امين وامنه حفظه من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه • ويجوز ان يكون بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا يعني ذا امن • قال القرطبي اقسم الله تعالى بجبل دمشق لانه مأوى عيسى عليه الصلوة والسلام وبجبل بيت المقدس لانه مقام الانبياء وبمكة لانها اثر ابراهيم ودار محمد عليه الصلوة والسلام **قوله** لقد خلقنا الانسان هذا جواب القسم واراد بالانسان آدم عليه الصلوة والسلام وذريته **قوله** في احسن تقويم صفة لمحذوف اي في تقويم احسن تقويم • وقال ابو البقاء في تقويم في موضع الحال من الانسان واراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذاك وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز ان يكون التقدير في احسن قوام التقويم فحذف المضاف ويجوز ان يكون في زائدة اي قومناه احسن تقويم انتهى **فصل** قال المفسرون احسن تقويم هو اعتداله واستواء شبابه لانه خلق كل شي منكبا على وجهه وخلقه هو مستويا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها • قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الله تعالى جلت قدرته • وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان بقوله ان الله تعالى خلق آدم على صورته يعني صفاته المتقدم ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن اين يكون للرحمن صورة متشخصة فلم يبق الا ان يكون معاني • روي ان عيسى بن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما اصبح اتى دار المنصور فاخبره فاستحضر العلماء والفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال له الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المؤمنين فالانسان احسن الاشياء ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل المنصور

الى زوجته ان المعي زوجك فما طلقتك وهذا يدل على ان الانسان
احسن خلق الله تعالى ولذلك قالت الفلاسفة انه العالم الاصغر
اذ كل ما في المخلوقات اجمع فيه قوله ثم رددناه اسفل سافلين
يجوز في اسفل سافلين وجهان احدهما انه حال من المفعول والثاني
انه صفة لمكان محذوف اي مكانا اسفل سافلين وقرا عبد الله
السافلين ترفا فصل قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ارذل
العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة قال ابن قتيبة
السافلون الضعفا الزمنى ومن لم يستطع حيلة يقال سفل يسفل
فهو سافل وهم سافلون كما يقال علا يعلو فهو عال وهم عالون
وعن مجاهد وابي العالية اسفل سافلين الى النار يعني الكافر قال
علي رضي الله عنه ابواب جهنم بعضها اسفل من بعض فيبدا بالاسفل
فيملا وهو اسفل السافلين وعلى هذا التفسير ثم رددناه الى اسفل
وفي اسفل السافلين قوله الا الذين امنوا فيه وجهان احدهما
متصل على ان المعنى رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني
اقبح من اقبح خلقه واشوهه صورة وهم اهل النار فالاتصال
على هذا واضح والثاني انه منقطع على ان المعنى ثم رددناه بعد
ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل
حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره وضعف بصره وسمعه والمعنى
ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دايم على طاعتهم
وصبرهم على الابتلا بالشيخوخة ومشاق العبادة قاله الزمخشري
ملخصا وقال اسفل سافلين جاز لان لفظ الانسان واحد ويقول
هذا افضل قايم ولا يقول افضل قايمين لانك تضمر لواحد فان كان
الواحد غير مضمور له رجع اسمه بالتوحيد والجمع كقوله تعالى والذي
جا بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وقوله تعالى واذا
اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم قوله فلهم
اجر غير ممنون قال الضحاك اجر بغير عمل وقيل غير مقطوع اي
لا يمن به عليهم قوله فما يكذبك بعد بالدين ما استفهامية
في محل رفع بالابتدا والخبر الفعل بعدها والمخاطب الانسان
على طريقة الالتفات توبيخا والزاما للحجة والمعنى فما يجعلك
كاذبا بسبب الدين وانكاره وقد خلقتك في احسن تقويم وانه
يردك الى ارذل العمر وينقلك من حال الى حال فما الذي يجعلك بعد
هذا الدليل يعني انك اذا كذبت بالجزا لان كل مكذب بالحق فهو
كاذب فاي شي يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب الجزا والباسببية
في قوله تعالى على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقيل
المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى
فما الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزا والبعث وهو الدين بعد
هذه العبر التي توجب النظر فيها صحة ما قلت قاله الفرا والاخفش
قوله اليس الله باحكم الحاكمين صنعا في كل ما خلق واثبت
القدرة والحكمة بهذه الدلالة صح القول بامكان الحشر ووقوعه
اما الامكان فبالنظر الى القدرة واما الوقوع فبالنظر الى الحكمة
لان عدم ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السما والارض
وما بينهما باطلا وقيل احكم الحاكمين قضا بالحق وعدلا بين الخلق
والف الاستفهام اذا دخلت على النفي في الكلام صار ايجابا كقوله

السلم

السلم خير من ركب المطايا قيل هذه الاية منسوخة باية السيف
وقيل هي ثابتة لانه لا تنافي بينهما وكان ابن عباس وعلي بن ابي طالب
رضي الله عنهما اذا قرا اليس الله باحكم الحاكمين قالا بلى وانا على ذلك
من الشاهدين وعن ابي هريرة رضي الله عنه من قرا سورة والتين والزيتون
فقرا اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين
قال القاضي هذه الاية من اقوى الدلايل على انه تعالى لا يفعل القبيح
ولا خلق افعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم لانه تعالى احكم الحاكمين
فلا يفعل فعل السفها واجيب بالمعارضة بالعلم والداعي ثم يقول
السفيه من قامت السفاهة به لا من خلق السفاهة كان المتحرك من
قامت الحركة به لا من خلقها والله اعلم

سورة العلق مكية

وهي اول ما نزل من القران في قول ابي موسى وعايشة رضي الله
عنهما وقيل اول ما نزل الفاتحة ثم سورة العلق وهي عشرون اية
والثان وتسعون كلمة ومايتان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى اقرا العامة على سكون الهمزة امر من القراة وقرا
عاصم في رواية الاعشى بواو مفتوحة وكانه قلب الهمزة الفا كقولهم
قرا يقرا كسعى يسعى فلما امر منه حذف الالف على حذفها من اسع
وهذا كقول زهير والا يبد بالظلم يظلم وقد تقدم تحريره قوله
باسم ربك يجوز فيه اوجه احدها ان تكون البا للحال اي اقرا مفتتحا
باسم ربك قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا قاله الزمخشري الثاني
ان البا مزيدة والتقدير اقرا اسم ربك كقوله سود المحاجر لا يقران بالسور
وقيل الاسم صلة اي اذكر ربك قالهما ابو عبيدة الثالث ان البا
للاستعانة والمفعول محذوف وتقديره اقرا ما يوحى اليك مستعينا
باسم ربك الرابع انها بمعنى على اي اقرا على اسم ربك كما في قوله تعالى
وقال اركبوا فيها بسم الله قاله الاخفش وقد تقدم في اول الكتاب
كيف قدم هذا الفعل على الجار فقدمنا جوابه في بسم الله الرحمن الرحيم
وتخريج الناس له فاغنى عن اعادته فصل قال اكثر المفسرين
هذه السورة اول ما نزل من القران نزل بها جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم وهو قايم على حرا فعلمه خمس ايات من هذه السورة
وقال جابر بن عبد الله اول ما نزل يا ايها المدثر وقال ابو ميسرة
الهمداني اول ما نزل فاتحة الكتاب وقال علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه اول ما نزل من القران قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم قال
القرطبي الصحيح الاول قالت عايشة رضي الله عنها اول ما بدي به صلى الله
عليه وسلم الرويا الصادقة فجاه الملك فقال له اقرا باسم ربك الذي خلق
خرجه البخاري وروت عايشة رضي الله عنها انها اول سورة نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها نون والقلم ثم بعدها
يا ايها المدثر ثم بعدها والضحى ذكره الماوردي ومعنى قوله اقرا اي اقرا
ما انزل عليك من القران مفتتحا باسم ربك وهو ان تذكر التسمية اوله
في ابتدا كل سورة او اقرا على اسم ربك على ما تقدم من الاعراب قوله
الذي خلق خلق الانسان يجوز ان يكون خلق الثاني تفسيرا لخلق الاول
يعني ابهمه اولا ثم فسره ثانيا بخلق الانسان تفخيما لخلق الانسان
ويجوز ان يكون حذف المفعول من الاول تقديره خلق كل شي لانه مطلق فيتناول

كل مخلوق وقوله تعالى خلق الانسان تخصيص له بالذكر من بين
ما بيننا ولد الخلق لان التنزيل اليه• ويجوز ان يكون تاكيدا لفظيا فيكون
قد اكد الصفة وحدها• وكقولك الذي قام قام زيد والمراد بالانسان
الجنس ولذلك قال تعالى من علق جمع علقة لان كل واحد مخلوق
من علقة كما في الاية الاخرى• والعلقة الدم واذا جرى فهو المسفوح
وذكر العلق بلفظ الجمع لانه اراد بالانسان الجمع وكلهم خلقوا
من علق بعد النطفة• والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك
لانها تعلق بما مرت عليه لرطوبتها فاذا جفت لم تكن علقة• وخص
الانسان بالذكر تشريفا له• وقيل اراد ان يبين قدر نعمته عليه
بان خلقه من علقة مهينة حتى صار بشرا سويا عاقلا مميزا• وقوله
تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قريب من قوله خلق
خلق الانسان [illegible] عادته **فصل** قال ابن الخطيب
فان قيل ما وجه شرعيته في المباح كالاكل• فالجواب انه يقتضي
ذلك الى الله تعالى ليندفع ببركة اسمه الاذى والضرر او ليندفع
شوكة الشيطان ولانه ربما استعان بذلك المباح على الطاعة
فتصير طاعة• وقال هنا باسم ربك وفي التسمية المعروفة
بسم الله الرحمن الرحيم لان الرب من صفات الفعل وهي تستوجب
العبادة بخلاف صفة الذات فافاد الرب هنا معنيين احدهما
اني ربيتك فلزمك الشكر فلا تتكاسل• والثاني ان الشروع
ملزوم للاتمام وقد ربيتك منذ كنت علقة الى الان فلم اضيعك
حين كنت علقة فكيف وقد صرت خلقا نفيسا موحدا كيف اضيعك
وقال هنا ربك• وقال في موضع اخر سبحان الذي اسرى بعبده كانه
يقول سبحانه هو لي وانا له كقوله صلى الله عليه وسلم علي مني وانا منه
لان النعم واصلة مني اليك ولم تصل الي منك خدمة فاقول انا لك
ثم لما اتى بالعبادات وشكر الطاعات قال سبحان الذي اسرى
بعبده فقوله تعالى الذي خلق كالدليل على الربوبية كانه تعالى يقول
الدليل على اني ربك انك لما كنت معدوما بذاتك وصفاتك
خلقتك وربيتك• ويحتمل ان يكون المعنى الذي حصل منه الخلق
قوله وربك الاكرم فقوله تعالى اقرا تاكيدا وتم الكلام
ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم اي الكريم• وقال الكلبي
يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم• وقيل اقرا اولا لنفسك
والثاني للتبليغ او الاول للتعليم من جبريل عليه السلام والثاني
للتعليم او اقرا في صلاتك• وقيل اقرا وربك اي اقرا يا محمد وربك يعينك
ويفهمك وان كنت غير قارئ **قوله** الذي علم بالقلم يعني الخط
والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم قال قتادة العلم نعمة
من الله عظيمة ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال
كرمه تعالى بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور
العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي
لا يحصيها الا هو وما دونت العلوم وما قيدت الحكم ولا ضبطت
اخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة• وسمي قلما لانه
يقلم ومنه تقليم الظفر• وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قلت
يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب
فان الله علم بالقلم• ويروى ان سليمان عليه الصلوة والسلام سئل

عن ربنا

عن ربنا عن الكلام قال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة• وروى
مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال خلق الله تعالى اربعة اشيا بيده
ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان القلم والعرش وجنة عدن
وادم عليه السلام وفيمن علمه بالقلم ثلاثة اقوال• احدها قال كعب
اول من كتب بالقلم ادم عليه السلام• وثانيها قال الضحاك اول
من كتب ادريس عليه الصلوة والسلام• الثالث انه جميع من كتب بالقلم
لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى• قال الزهري الاقلام ثلاثة• فالاصل
القلم الاول الذي خلقه الله تعالى بيده وامره ان يكتب• والقلم
الثاني قلم الملائكة الذي يكتبون به المقادير والكوائن والاعمال
والقلم الثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها
الى مآربهم• وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن
الكتابة• قال بعض العلماء وانما حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم
لان في اسكانهن الغرف تطلعا على الرجال وليس في ذلك تحصين لهن
ولا تستر وذلك انهن لا يملكن انفسهن حين يشرفن على الرجال
فتحدث الفتنة فحذرهم ان يجعلوا لهن غرفا ذريعة الى الفتنة لقوله
عليه الصلوة والسلام ليس للنساء خير لهن من ان لا يراهن الرجال
ولا يرون الرجال وذلك انها خلقت من اصل الرجل فهمتها في الرجل
والرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت سكنا له فكل واحد منهما عين على
صاحبه وكذلك في تعليمهن الكتابة ربما كانت سببا للفتنة لانها
اذا علمت الكتابة كتبت الى من تهوى والكتابة عين من العيون بها
يبصر الشاهد والغائب والخط اثار يده وفيها تعبير عن الضمير
بما لا ينطق به اللسان فهي ابلغ من اللسان فاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقطع عنهن اسباب الفتنة تحصينا لهن
وطهارة لقلوبهن• **قوله** علم الانسان ما لم يعلم قيل الانسان
هنا ادم عليه الصلوة والسلام علمه اسما كل شيء كما قال تعالى وعلم ادم
الاسماء كلها• وقيل الانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا فالمراد بعلم المستقبل لان السورة من
من اول ما نزل• وقيل عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا ولانه تعالى بين انه خلقه من نطفة وانعم عليه بالنعم
المذكورة ثم ذكر انه اذا زاد عليه في النعمة فانه يطغى ويتجاوز الحد
في المعاصي واتباع هوى النفس وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة
قوله كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة قيل انه نزل في
ابي جهل نهى النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يصلي في المسجد ويقرا باسم ربك تبارك وتعالى وعلى هذا فليست
السورة من اول ما نزل ويجوز ان يكون خمس ايات من اولها اول
ما نزل ثم نزلت البقية في شان ابي جهل وامر النبي صلى الله عليه وسلم
بضم ذلك الى اول السورة لان تاليف السورة انما كان بامر الله تعالى
الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله اخر ما نزل
ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل• وكلا بمعنى حقا• قال الجرجاني
لانه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا ردا له كما قالوا في كلا والقمر فانهم
قالوا معناه اي والقمر• وقيل انه ردع وزجر لمن كفر بنعمة الله بطغيانه
وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه• وقال مقاتل كلا لا يعلم الانسان ان الله

تعالى هو الذي خلقه من العلقة وعلمه بعد الجهل لانه عند صيرورته
غنيا يطغى ويتكبر ويصير مستغرق القلب في حب الدنيا فلا يتفكر في
هذه الاحوال ولا يتامل فيها **قوله** ان راه استغنى مفعول له
اي رؤيته نفسه مستغنيا وتعدى الفعل هنا الى ضميريه المتصلين
لان هذا من خواص هذا الكتاب قال الزمخشري ومعنى الرؤية
العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين
واستغنى هو المفعول الثاني قال شهاب الدين والمسئلة فيها
خلاف ذهب جماعة الى ان راى البصرية يعطى حكم العلمية وجعل من ذلك
قول عايشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما لنا طعام الا الاسودان وانشد

ولقد اراني للرماح دريئة ۞ من عن يمين تارة وامامي

وتقدم تحقيقه وقرا قنبل بخلاف عنه رأه دون الف بعد الهمزة وهو
مقصود من راه في قراءة العامة ولا شك ان الحذف في مثله جا قليلا
كقولهم اصاب الناس جهد ولو ترا اهل مكة تحذف لام ترى كقول الآخر
وصاح لم اعجاج فيها وصى بريديها وصاني ولما روي عن مجاهد هذه
القراءة عن قنبل وقال قرات بها عليه نسبه فيها الى الغلط ولا
ينبغي ذلك لانه اذا ثبت قراءة ولها وجه وان كان غيره اشهر منه
فلا ينبغي ان يقدم على تغليطه **فصل** قال ابن عباس
في رواية ابي صالح لما نزلت هذه الاية سمع بها المشركون اتاه
ابو جهل فقال يا محمد تزعم انه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال
مكة ذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك
قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان
شاؤوا فعلنا بهم ما ارادوه فان لم يفعلوا فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب
المائدة فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لا يقبلون ذلك
فكف عنهم اسفا عليهم وقيل ان راه استغنى بالعشيرة والانصار
والاعوان وحذف اللام من قوله ان راه كما يقال انكم لتطغون ان
رايتم غناكم **قوله** ان الى ربك الرجعى هذا الكلام واقع
على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة
الطغيان والمعنى ان مرجع من وصفه الى الله تعالى فيجازيه والرجعى
والرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا ورجعى على وزن
فعلى **قوله** ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقدم الكلام على
ارايت الذي ينهى وقال الزمخشري هنا فان قلت ما متعلق
ارايت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين
فان قلت فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره اذا كان
على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة
ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت كيف صح ان يكون الم يعلم
جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن
اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت فما ارايت الثانية وتوسطها
بين مفعولي ارايت قلت هي زيادة مكررة للتوكيد قال شهاب
الدين اعلم ان ارايت لا يكون مفعولها الثاني الا جملة استفهامية
كقوله تعالى قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله الى اخرها ومثله كثير
وهنا ارايت ثلاث مرات وقد صرح بعد الثالثة منها بجملة استفهامية
فيكون في موضع المفعول الثاني لها ومفعولها الاول محذوف

وهو ضمير

وهو ضمير يعود على الذي ينهى عبدا الواقع مفعولا اول لارايت
الاولى ومفعول ارايت الاولى الذي هو الثاني محذوف وهو جملة
استفهامية كالجملة الواقعة بعد ارايت الثالثة واما ارايت
الثانية فلم يذكر لها مفعول لا اول ولا ثان حذف الاول لدلالة
المفعول من ارايت الاولى عليه وحذف الثاني لدلالة مفعول
ارايت الثالثة عليه فقد حذف الثاني من الاولى والاول من
الثالثة والاثنان من الثانية وليس طلب كل من ارايت للجملة
الاسمية على سبيل التنازع لانه يستدعي اضمارا والجملة لا تضمر انما
تضمر المفردات وانما ذلك من باب الحذف للدلالة واما الكلام على
الشرط من ارايت هذه فقد تقدم في الانعام وتجويز الزمخشري
وقوع جواب الشرط استفهاما بنفسه لا يجوز بل نصوا على وجوب
ذكر الفا في مثله وان ورد شيء فهو ضرورة قال القرطبي وقيل كل
واحد من ارايت بدل من الاول ولم يعلم بان الله هو الخبر **فصل**
قال المفسرون الذي ينهى ابو جهل وقوله تعالى عبدا يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم فان ابا جهل قال لئن رايت محمدا لاطان على
عنقه ثم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوة فنكص
على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا
من نار وهولا شديدا قال ابو هريرة رضي الله عنه فانزل الله
تعالى هذه الايات تعجبا منه وعن الحسن ان امية بن خلف كان
ينهى سلمان عن الصلوة وقيل في الكلام حذف والمعنى امن الناهي
عن الصلوة من العقوبة **قوله** ارايت ان كان على الهدى او امر
بالتقوى اي ارايت يا ابا جهل ان كان محمد صلى الله عليه وسلم على
هذه الصفة اليس ناهيه عن الصلوة والتقوى هالكا **قوله**
ارايت ان كذب وتولى يعني ابا جهل كذب بكتاب الله واعرض عن
الايمان وقال الفراء ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى
او امر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر فما اعجب هذا
ثم يقول ويله الم يعلم ابو جهل بان الله يرى اي يراه ويعلم فعله
فهو تقريع وتوبيخ وقال ابن الخطيب هذا خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم على سبيل التعجب وفي وجه هذا التعجب وجوه احدها
انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعز الاسلام بابي جهل او بعمر
فقيل له اهذا يعز الاسلام وهو ينهى عبدا اذا صلى الثاني انه
كان يلقب بابي الحكم فقيل كيف يليق به هذا وهو ينهى عن الصلوة الثالث
انه كان يامر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه ينهى عن طاعة الرب
تعالى وهذا عين الحماقة والتكبر فعبدا يدل على التعظيم كانه قيل
ينهى اشد الخلق عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل ولهذا لم يقل
ينهاك وايضا فان هذا يدل على ان هذه عادته ودابه فهو ابلغ
في الذم وايضا فهذا عام في كل من ينهى عن الصلوة روي عن علي رضي
الله عنه انه راى اقواما يصلون قبل صلوة العيد فقال ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال
اخشى ان ادخل في قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ولم يصرح
بالنهي عن الصلوة وايضا فيه اجلال لمنصب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بان ينهاه رجل لا سيما مثل هذا **قوله** كلا ردع لابي
جهل عن نهيه عن عبادة الله تعالى وكلا لن يصل ابو جهل الى ان يقيل

محمدا صلى الله عليه وسلم ويطأ عنقه • وقال منها نزل كلا لا يعلم ان
الله يرى وان كان يعلم لكن اذا كان لا يمتنع بما يقتضيه يوم القيمة
ولنسحبنه بها الى النار كقوله تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام
فالآية ان كانت في ابي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمنع غيره عن
الطاعة **قوله** لنسفعا الوقف على هذه النون بالالف
تشبيها لها بالتنوين ولذلك تحذف بعد الضمة والكسرة
وقفا وتكتب هنا الفا اتباعا للوقف • وروي عن ابي عمرو لنسفعن
بالنون الثقيلة والسفع الاخذ والقبض على الشيء بشدة وجذبه
يقال سفع بناصيته فرسه • قال عمرو بن معدي كرب
قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم ✿ ما بين ملجم مهره او سافع
وقيل هو الاخذ بلغة قريش • وقال الراغب السفع الاخذ بسفعة
الفرس اي بسواد ناصيته وباعتبار السواد قيل الاثافي سفع وبه
سفعة غضب اعتبارا بما يعلو من اللون الدخاني وجه من اشتد به
الغضب • وقيل للصقر اسفع لما فيه من لمع السواد وامراة سفعا
اللون انتهى • وفي الحديث فقامت امراة سفعا الخدين • وقيل هو
ماخوذ من سفعت النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد
قال ✿ اثافي سفعا في معرس مرجل ✿ ونوي كجذم الحوض اثلم خاشع ✿
قال القرطبي وقيل السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وكله متقارب
المعنى يجمع عليه الضرب عند الاخذ ثم يجر الى جهنم • وقرا ابن مسعود
لاسفعن اي يقول الله تعالى يا محمد انا الذي اتولى اهانته لقوله
تعالى هو الذي ايدك بنصره هو الذي انزل السكينة • والناصية
شعر مقدم الراس وقد يعبر بها عن جملة الانسان • وخص الناصية
بالذكر على عادة العرب فيمن ارادوا اذلاله واهانته اخذوا
بناصيته **قوله** ناصية بدل من الناصية بدل نكرة من معرفة
قال الزمخشري وجاز بدلها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت
فاستقلت بفائدة • قال شهاب الدين وهذا مذهب الكوفيين
لا يجيزون ابدال نكرة من غيرها الا بشرط وصفها وكونها بلفظ الاول
ومذهب البصريين لا يشترط شيء وانشدوا
فلا وابيك خير منك اني ✿ ليؤذيني التحمحم والصهيل ✿
وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة وزيد بن علي بنصب ناصية كاذبة
خاطئة على الشتم • وقرا الكسائي في رواية بالرفع على اضمار هي
ناصية ونسب الكذب والخطا اليها مجازا • والالف واللام في
الناصية قيل عوض من الاضافة اي بناصيته • وقيل الضمير
محذوف اي الناصية منه **فصل** والمعنى لناخذن بناصية
ابي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها والخاطي معاقب ماخوذ
والمخطي غير ماخوذ • ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطية كوصف
الوجوه بالنظر في قوله تعالى الى ربها ناظرة • وقيل ان صاحبها
كاذب خاطئ كما يقال نهار صائم وليل قائم اي صائم في النهار وقائم
في الليل وانما وصف الناصية بالكاذبة لانه كان كاذبا على الله
في انه لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وكاذبا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في انه ساحر او كاذب او ليس بنبي ووصف
الناصية بانها خاطئة بان صاحبها يتمرد على الله تعالى كما قال
تعالى لا ياكله الا الخاطئون **قوله** فليدع ناديه اما ان كان على
حذف

حذف مضاف اي اهل ناديه او على التجوز في نداء المنادي لاشتماله
على الناس كقوله تعالى واسئل القرية • والنادي والندي المجلس المتخذ
للحديث قال زهير
✿ وفيهم مقامات حسان وجوههم ✿ وانديه ينتابها القول والفعل ✿
وقالت اعرابية هو سيد ناديه وثمال عافيه • وقال تعالى وتاتون
في ناديكم المنكر • قال ابو عبيدة وناديه اهل مجلسه ولا يسمى المكان
ناديا حتى يكون فيه اهله والمعنى فليدع عشيرته فليستنصر
بهم **قوله** سندع الزبانية قال الزمخشري الزبانية في
كلام العرب الشرط الواحد زبنية لعفرية من الزبن وهو الدفع
وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير النسب كقولهم امسي
واصله زباني فقيل زبانية على التعويض • وقال عيسى بن عمر
والاخفش واحدهم زابن • وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه
كعباديد وشماطيط وابابيل • والحاصل ان المادة تدل على الدفع
قال ✿ مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى ✿ زبانية غلب عظام حلومها ✿
وقال اخر
✿ ومستعجب مما يرى من اناتنا ✿ ولو زبنته الحرب لم يترمرم ✿
وقال عنترة
✿ وقد زبنتنا الحرب وزبناها ✿ ومنه الزبون لانه يدفع من بايع الى اخر
وقال ابو الليث السمرقندي رحمه الله ومنه المزابنة لانهم يعملون
بارجلهم لا يعملون بايديهم • وقرا العامة سندع بنون العظمة
ولم ترسم بالواو وقد تقدم نظيره نحو يدع الداع • وقرا ابن ابي
عبلة سيدعى الزبانية مبنيا للمفعول ورفع الزبانية لقيامها
مقام الفاعل **فصل** قال ابن عباس الملائكة الغلاظ
الشداد • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة
بلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية • قال ابو جهل انا ادعو قومي
حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية
فلما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل اخشيت منه قال لا ولكن رايت
عنده فارسا فهددني بالزبانية فلا ادري ما الزبانية ومال الي الفارس
فخشيت منه ان ياكلني • قال ابن عباس رضي الله عنه والله لو دعا
ناديه لاخذته ملائكة العذاب من ساعته خرجه الترمذي بمعناه
قوله كلا اي ليس الامر على ما يظنه ابو جهل لا تطعه فيما دعاك
اليه من ترك الصلوة • وقيل المعنى اذا سجدت اقترب من الله
بالدعاء • قال صلى الله عليه وسلم اما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى
واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب لكم • وقال صلى
الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فالسجود
في قوله تعالى واسجد واقترب يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلوة
ويحتمل ان يكون سجود التلاوة في هذه السورة • وقال ابن العربي
والظاهر ان سجود الصلوة لقوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا
صلى الى قوله كلا لا تطعه واسجد واقترب لولا ما ثبت في صحيح مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي خلق سجدتين
وهذا نص ان المراد سجود التلاوة • وروى الثعلبي عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اقرا باسم ربك

فكانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مدنية

في قول اكثر المفسرين وحكى الماوردي عكسه وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس ايات وثلاثون كلمة بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا انزلناه اي القرآن اضمر للعلم به • وفي ليلة القدر يجوز ان تكون ظرفا للانزال والقرآن كله كالسورة الواحدة وقال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن • وقال تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة يريد ليلة القدر • وقال الشعبي ان ابتدا انزاله في ليلة القدر • وقال ابن عباس رضي الله عنه نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الى بيت العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم منجما وكان بين اوله واخره ثلاث وعشرون سنة • وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزل القرآن في شهر رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين سنة • ونجمه عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة • قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل عليه السلام وبين الله واسطة ولا بين جبريل عليه السلام ومحمد عليه الصلوة والسلام واسطة • وقيل المعنى انزل في شانها وفضلها كقول عمر رضي الله عنه خشيت ان يقول في قرانا • وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي ان ينزل في قرآن • وسميت ليلة القدر اما التقدير لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من امره الى السنة القابلة من امر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام • وعن ابن عباس ايضا ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر واما لضيقها بالملائكة كما قال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه • وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها من قولهم لفلان قدر اي شرف ومنزلة قاله الزهري وغيره • وقيل سميت بذلك لان للطاعة فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا • وقيل لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على امة ذات قدر والقدر مصدر والمراد ما يمضيه الله تعالى من الامور وقال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وهو بمعنى القدر الا انه بالتسكين مصدر وبالفتح اسم • وقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر وتقدم الكلام في نظيره كقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر بين فضلها وعظمها وفضيلة الزمان انما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في الف شهر جميع الدهر لان العرب تذكر الالف لا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة لقوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة يعني جميع الدهر وقيل ان العابد فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله الف شهر فجعل الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة خير من الف شهر

كانوا

كانوا يعبدونها • وقال ابو بكر الوراق كان ملك سليمان عليه الصلوة والسلام خمسمائة شهر • وملك ذو القرنين خمسمائة شهر فصار ملكهما الف فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما • وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزلت هذه الاية يعني خير من الف شهر التي لبس السلاح فيها في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنه • وقال مالك ابن انس رضي الله عنه اري رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار الناس فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم • وقال عكرمة وعروة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من بني اسرائيل فقال عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوا الله تعالى طرفة عين • ايوب • وزكريا • وحزقيل بن العجوز • ويوشع بن نون فعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد عجبت امتك من عبادة هولاء النفر لم يعصوا الله تعالى طرفة عين فقد انزل الله عليك خيرا من ذلك ثم قرا انا انزلناه في ليلة القدر الايات فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تنزل الملائكة اي تهبط من كل سماء الى الارض ويؤمنون على دعاء الناس الى وقت طلوع الفجر • وقوله تعالى والروح فيها يجوز ان يرتفع الروح بالابتداء والجار بعده الخبر وان يرتفع بالفاعلية عطفا على الملائكة وفيها متعلق بتنزل • والمراد جبريل عليه السلام • وحكى القشيري ان الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم وان الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة • وقال مقاتل هم اشرف الملائكة واقربهم من الله تعالى • وقيل هم جند من جند الله تعالى غير الملائكة رواه ابن عباس مرفوعا حكاه الماوردي • وقيل الروح خلق عظيم يقوم صفا والملائكة صفا • وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام مع الملائكة في هذه الليلة على اهلها بدليل قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده اي بالرحمة فيها اي في ليلة القدر • وقوله باذن ربهم يجوز ان يتعلق بتنزل وبتعلق بمحذوف على انه حال من المرفوع بتنزل اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره • وقوله تعالى من كل امر يجوز في من وجهان احدهما انها بمعنى اللام وتتعلق بتنزل اي تنزل من اجل كل امر قضي الى العام القابل الثاني انها بمعنى الباء اي تنزل بكل امر فهي للتعدية قاله ابو حاتم • وقرا العامة امر واحد الامور • وقرا ابن عباس وعكرمة والكلبي امرئ مذكر امرأة اي من اجل كل انسان • قال القرطبي وتاولها الكلبي على ان جبريل عليه السلام ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل امرئ مسلم فمن بمعنى على • وقيل من اجل كل ملك وهو بعيد • وقيل من كل امر ليس متعلقا بتنزل انما هو متعلق بما بعده اي هي سلام من كل امر مخوف وهذا لا يتم على ظاهره لان سلام مصدر لا يتقدم عليه معموله وانما المراد انه متعلق بمحذوف يدل عليه هذا المصدر قوله سلام هي فيه وجهان • احدهما ان هي ضمير الملائكة وسلام بمعنى التسليم اي الملائكة ذات تسليم على المؤمنين من مغيب الشمس حتى يطلع الفجر • وقيل الملائكة يسلم بعضهم على بعض فيها الثاني

انها ضمير لليلة القدر وسلام بمعنى سلامة اي ليلة القدر ذات
سلامة من شيء مخوف اي ليلة القدر سلامة وخوف كلها الا شيء فيها
حتى يطلع الفجر قال الضحاك لا يقدر الله تعالى في تلك الليلة
الا السلامة وقيل هي ذات سلامة من ان يؤثر فيها شيطان في مؤمن
ومؤمنة قاله مجاهد وعلى التقدير يجوز ان يرتفع سلام على انه
خبر مقدم وهي مبتدأ مؤخر وهذا هو المشهور ويجوز ان يرتفع
بالابتداء وهي فاعلة عند الاخفش لانه لا يشترط الاعتماد على
الوصف وقد تقدم ان بعضهم يجعل الكلام تاما على قوله باذن ربهم
ويتعلق من كل امر بما بعده وتقدم تأويله وقال ابو الفضل قيل
المعنى هي سلام من كل امر وامرئ اي سلامة سلمة منه ولا يجوز
ان يكون سلام هذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملا فيما
قبله لامتناع تقدم معمول المصدر على المصدر كما ان الصلة التي هي
المصدر لا يجوز تقديمها على الموصول انتهى وقد تقدم ان معنى
ذلك عند هذا القائل ان تتعلق بمحذوف مدلول عليه بسلام
فهو تفسير معنى لا تفسير اعراب وما يروى عن ابن عباس رضي الله
عنه ان الكلام تم عند قوله تعالى سلام ويبتدئ هي على انها خبر
مبتدأ والاشارة بذلك الى انها ليلة السابع والعشرين لان لفظة
هي سابعة وعشرون من كلم هذه السورة فلا ينبغي ان يعتقد صحته
لانه الغاز وتغيير لنظم افصح الكلام قوله حتى مطلع الفجر
متعلق بتنزل او سلام وفيه اشكال للفصل بين المصدر ومعموله
بالابتداء الا ان يتوسع في الجار وقرأ الكسائي وابن محيصن مطلع
بكسر اللام والباقون بالفتح والفتح هو القياس والكسر سماع وله
اخوات يحفظ فيها الكسر مما ضم مضارعه او فتح نحو المشرق والمجزر
والمغرب والمنبت والمسكن والمسجد والمحشر والمسقط قال
القرطبي حكي في ذلك الفتح والكسر وهل هما مصدران والمفتوح
مصدر والمكسور مكان خلاف وعلى كل تقدير فالقياس في الفعل
مطلقا مما ضمت عين مضارعه او فتحت فتح العين وانما يقع
الفرق في المكسور العين الصحيح نحو يضرب **فصل**
اختلفوا في تعيين ليلة القدر فالاكثرون على انها ليلة سبع
وعشرين لحديث ابي بن كعب انها في العشر الاواخر وانها ليلة
سبع وعشرين وقال صلى الله عليه وسلم من كان متحريا ليلة
القدر فليتحرها ليلة سبع وعشرين وقال ابو بكر الوراق
كرر ذكرها ثلاث مرات وهي تسعة احرف فيكون سبعة وعشرين
وقال عبيد بن عمير كنت ليلة السابع وعشرين في البحر فاخذت
من مائه فوجدته عذبا سلسا وقال ابو هريرة وغيره هي في ليالي
السنة كلها واليه ذهب ابو حنيفة وعنه انها رفعت وانها
انما كانت مرة واحدة قال الخليل من قال ان فضلها لنزول
القرآن يقول انقطعت والجمهور على انها في كل عام من رمضان
ثم اختلفوا فقيل هي ليلة احدى وعشرين واليه مال الشافعي
رضي الله عنه لحديث الماء والطين وقيل ليلة الثالث والعشرين
لما روى ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله اني رأيت
ليلة القدر في سابعة تبقى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اري
رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن اراد ان يقوم من الشهر
شيا



شيا فليقم ليلة ثلاث وعشرين وقيل ليلة خمس وعشرين لما روى مسلم
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها
في العشر الاواخر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال
مالك رضي الله عنه يريد بالتاسعة ليلة احدى وعشرين وبالسابعة
ليلة ثلاث وعشرين وبالخامسة ليلة خمس وعشرين وقيل سبع وعشرين
وقد تقدم وقيل ليلة تسع وعشرين لقول النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة القدر التاسعة والعشرون والسابعة والعشرون وقال الحسن
رضي الله عنه ارتقبت الشمس ليلة اربع وعشرين عشرين سنة فرايتها
تطلع بيضاء لا شعاع لها يعني من كثرة الانوار تلك الليلة وروي عن ابي
بكر رضي الله عنه انها في ليالي الافراد من النصف الاخير من شهر رمضان
منتقلة في ليالي الجمع ونظمها محمد الاسرى فقال

ثلاث شروط هن في ليلة القدر ... كذا قال شيخ العرب فيها ابو بكر
فاولها وتر وليلة جمعة ... وثانيها النصف الاخير من الشهر

وقيل هي تنتقل في جميع السنة قالوا والحكمة في اخفائها ليجتهد الناس
في احياء جميع الليالي كما اخفى رمضان في الطاعات حتى يرغبوا في الكل واخفى
ساعة الاجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الساعات واخفى الاسم الاعظم
ليعظموا كل الاسماء واخفى الصلوة الوسطى ليحافظوا على الكل واخفى
قبول التوبة ليواظبوا على جميع اقسام التوبة واخفى الموت ليخاف
المكلف وكذا اخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان
فصل نقل القرطبي عن بعض العلماء ان من علق طلاق امرأته
او عتق عبده بليلة القدر لم يقع الطلاق والعتق الا بمضي سنة من يوم
حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم يثبت اختصاصها بوقت
فلا ينبغي ايقاع الطلاق الا بمضي حول وفي هذا نظر لانه تقدم عن ابي
حنيفة في احد قوليه انها رفعت فعلى هذا لا ينبغي ان يقع شيء اصلا لوجود
الخلاف في بقائها وروى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر كان كمن صام رمضان
واحيا ليلة القدر والله اعلم

سورة لم يكن مكية

في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول الجمهور وهي ثمان آيات واربع
وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
فهذه قراءة العامة وخط المصحف وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وهذه قراءة على التفسير
قال ابن العربي وهي جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة ونحو
ما كان في خط المصحف وقرئ والمشركون بالواو نسقا على الذين كفروا
قوله منفكين خبر يكن ومنفكين اسم فاعل من انفك وهو هنا
التامة فلذلك لم يحتج الى خبر وزعم بعضهم انها هنا ناقصة وان الخبر
مقدر تقديره منفكين عارفين محمدا صلى الله عليه وسلم قال ابو حيان
وحذف خبر كان لا يجوز اختصارا وجعلوا قوله يبغي جوارك حين ليس مجير
اي في الدنيا ضرورة ووجه من منع من ذلك انه قد صار الخبر مطلوبا من
جهتين من جهة كونه مخبرا به فهو احد جزئي الاسناد ومن حيث كونه منصوبا
بالفعل وهذا منتقض بمفعولي ظن فان كلا فيه المعنيان المذكوران ومع
ذلك يحذفان او احدهما اختصارا واما الاقتصار ففيه خلاف وتفصيل

تقدم ذكره **قوله** حتى تاتيهم متعلقة بلم يكن او بمنفكين
فصل قال الواحدي هذه الاية من اصعب ما في القرآن
نظما وتفسيرا ولم يبين كيفية الاشكال. قال ابن الخطيب ووجه
الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا الى ان تاتيهم البينة التي
هي الرسول ثم انه تعالى لم يذكر الشيء المنفك عنه والظاهر ان المراد
لم ينفكوا عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول فانفكوا عن
لان حتى لانتهاء الغاية فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن
كفرهم عند اتيان الرسول لكن قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة تقتضي زيادة كفرهم عند مجيء الرسول
عليه الصلوة والسلام فحينئذ يحصل التناقض في الجواب من وجوه
احدها وهو احسنها ما لخصه الزمخشري ان الاول حكاية ما كانوا يقولونه
من انه صلى الله عليه وسلم الموعود به لا ينفك عما نحن عليه من ديننا
والثاني اخبار عن الواقع يعني انهم كانوا يعدون الاتفاق على الحق اذا
جاءهم الرسول عليه الصلوة والسلام والمعنى ان الذي وقع كان خلاف
ما ادعوا. وثانيها المعنى لم يكونوا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة
ذكره القاضي الا انه جعل حتى بمعنى ان بعيد في اللغة. وثالثها المعنى
لم يكونوا منفكين عن ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بالمناقب والفضائل
حتى اتتهم البينة والمضارع هنا بمعنى الماضي كقوله تعالى واتبعوا ما تتلو
الشياطين اي تلت اي ما كانوا منفكين عن ذكر مناقبه ثم لما جاءهم محمد
تفرقوا. ونظيره فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به. ورابعها ان كانوا منفكين
على الكفر قبل البينة فلما جاءت البينة تفرقوا ويكفي هذه المغايرة
وخامسها هي كقوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين
الاية ان كان كل منهم جازما بمذهب ودينه فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم شكوا في اديانهم لان قوله تعالى منفكين مشعر بهذا لان
الانفكاك من الشيء هو الانفصال عنه فمعناه ان قلوبهم ما خلت
عن تلك العقائد وما انفصلت عن الجزم بصحتها ثم بعد المبعث
لم يبق الامر على تلك الحالة **فصل** قال ابن عباس اهل الكتاب
الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون
الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة وهم مشركوا قريش. وقوله تعالى
اي منتهين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وقيل الانتهاء بلوغ الغاية اي لم يكونوا ليبلغوا نهاية اعمارهم
فيموتوا حتى تاتيهم البينة. وقيل منفكين زائلين اي لم يكن ...
لتزول حتى ياتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب تقول
ما انفككت افعل كذا اي ما زلت وما انفك فلان قائما اي ما زال قائما
واصل الفك الفتح ومنه فك الكتاب وفك الخلخال. وقيل منفكين
بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا اي يفارقوا الدنيا حتى تاتيهم البينة
وقال ابن كيسان اي لم يكونوا اهل الكتاب تاركين صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين في كتابهم حتى بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم حسدوه وجحدوه كقوله تعالى فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به ولهذا قال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة فعلى هذا قوله تعالى والمشركين اي ما كانوا
يتقولون في محمد صلى الله عليه وسلم ويسمونه الامين حتى اتاهم
محمد كما ... وبعث اليهم صلى الله عليه وسلم فحينئذ عادوه و...

بعض

بعض اللغويين منفكين اي هالكين من قولك انفك عند الولادة وهو
ان ينفصل ما يليه فتهلك. والمعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا
بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب **فصل**
قال قوم المراد بالمشركين من اهل الكتاب فمن اليهود من قال عزير
ابن الله ومن النصارى من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه
ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة كذبوا فيما قالوا عن الله تعالى وان الله
سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا ولد له ولا مثل له ولا ضد ولا ند له ولا
شبيه له ولا صاحبة له ولا زوجة له ولا مدبر له ولا حاجب له ولا بواب
له وهو سبحانه وتعالى كما قال في كتابه المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد لانهم
لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد. فالنصارى مثلثة وعامة اليهود
مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاءني العقلاء والظرفاء وانت تريد اقواما
بعينهم تصفهم بالامرين قال تعالى الراكعون الساجدون الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وهذا وصف
للطائفة الواحدة فالمعنى على هذا من اهل الكتاب المشركين. وقيل اهل الكتاب
كانوا مومنين ثم كفروا بعد انبيائهم والمشركون ولدوا على الفطرة
ثم كفروا حين بلغوا قاله والمشركون. وقيل الكفر هنا هو الكفر بالنبي صلى الله
عليه وسلم اي لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان
من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين. قال القشيري
وفيه بعد لان الظاهر من قوله تعالى حتى تاتيهم البينة رسول من الله
ان هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فيبعد ان يقال لم يكن الذين
كفروا الان بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى ياتيهم محمد رسول الله
الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقد كانوا من قبل معظمين له منتهين عن هذا الكفر الى ان بعث الله
محمدا وبين لهم الايات فحينئذ يؤمن قوم. وقرا الاعمش وابراهيم والمشركون
رفعا عطفا على الذين كفروا. قال القرطبي والقراءة الاولى ابين لان الرفع
يصير فيه الصنفان كلهم من غير اهل الكتاب. وفي حرف ابي فما كان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين. قال ابن الخطيب فان قيل
لم قال الذين كفروا بلفظ الفعل وذكر المشركين باسم الفاعل فالجواب
ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا مصدقين
بالتوراة والانجيل وبمبعث محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم
ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل على الثبات على الكفر **قوله**
حتى تاتيهم البينة قيل المراد بالبينة محمد صلى الله عليه وسلم لانه في نفسه
بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا ولقوله تعالى رسول
من الله وهو رفع على البدل من البينة ولان اللام في البينة للتعريف
اي هو الذي سبق ذكره في التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى وقد
يكون التعريف للتفخيم اذ هو البينة التي لا مزيد عليها والبينة كل البينة
وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى هنا في حق الرسول اي هو رسول
واي رسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين اثنى على نفسه
تعالى سبحانه وتعالى ذو العرش المجيد ثم قال تعالى فعال لما يريد فنكر
بعد التعريف. وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسل فقوله تعالى
حتى تاتيهم البينة اي تاتيهم رسل من ملائكة الله تعالى يتلوا عليهم صحفا

مطهرة منكرة. بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة. وقال
قتادة وابن زيد البينة هي القران لقوله تعالى اولم تاتهم بينة
ما في الصحف الاولى قوله رسول العامة على رفعه بدلا من البينة
بدل اشتمال او بدل كل من كل على سبيل المبالغة جعل الرسول صلى
الله عليه وسلم نفس البينة او على حذف مضاف اي بينة رسول
وقال الفراء رفع خبرا بتدا مضمر اي رسول او هو رسول من الله لان
البينة قد تذكر فيقال بينتي فلان. وقرا عبد الله وابي رسولا على
الحال من البينة. وقال القرطبي النصب على القطع وقوله من الله
يجوز تعلقه بنفس رسول او بمحذوف على انه صفة لرسول. وجوز
ابو البقا ثالثا وهو ان يكون حالا من صحفا والتقدير يتلو صحفا
مطهرة منزلة من الله تعالى يعني كانت صفة في الاصل للنكرة فلما
تقدمت عليها نصبت حالا قوله يتلو يجوز ان يكون صفة
لرسول او يكون حالا من الضمير في الجار قبله اذا جعله صفة لرسول
ويتلو يقرا يقال تلا يتلو تلاوة وصحفا جمع صحيفة وهو ظرف
المكتوب المطهرة. قال ابن عباس من الزور والشك والنفاق والضلالة
وقال قتادة من الباطل. وقيل من الكذب والشبهات والمعنى واحد
اي يقرا ما يتضمن الصحف من المكتوب بدليل انه كان يتلوه عن
ظهر قلبه لا عن كتاب لانه كان اميا لا يكتب ولا يقرا ومطهرة من نعت
الصحف كقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة فالمطهرة نعت
للصحف في الظاهر وهو نعت لما في الصحف من القران. وقيل مطهرة
اي لا يمسها الا المطهرون كما تقدم في سورة الواقعة. وقيل الصحف
المطهرة التي عند الله في ام الكتاب الذي منه نسخ ما انزل على الانبيا
عليهم الصلوة والسلام من الكتب لقوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح
محفوظ قوله فيها كتب يجوز ان يكون جملة صفة لصحفا او حالا
من ضمير مطهرة وان يكون الوصف او الحال الجار والمجرور فقط وكتب
فاعل به وهو الاحسن والمراد بالكتب الايات المكتوبة في الصحف
والقيمة المستقيمة المحكمة من قول العرب قام يقوم اذا استوى
وصح. وقال صاحب النظم الكتب بمعنى الحكم لقوله تعالى لاغلبن
انا ورسلي ومنه حديث العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى
بالرجم وليس ذلك الرجم مسطورا في الكتاب. وقيل الكتب القيمة
هي القران سمي كتبا لانه يشتمل على انواع من البيان قوله وما
تفرق الذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى خص اهل الكتاب
بالتفريق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم يظن
بهم علم فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل في هذا الوصف
وقوله تعالى الا من بعد ما جاتهم البينة اي اتتهم البينة الواضحة
والمعني به محمد صلى الله عليه وسلم اي بالقران موافقا لما في ايديهم
من الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين على نبوته
فلما بعث صلى الله عليه وسلم جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا
وحسدا ومنهم من امن كقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم. وقيل البينة البيان الذي في كتبهم انه نبي مرسل قال العلماء من
اول السورة الى قوله تعالى فيها كتب قيمة حكمها فيمن امن من اهل الكتاب والمشركين
وقوله تعالى وما تفرق حكم من لم يؤمن من اهل الكتاب بعد قيام الحجج
قوله وما امروا يعني هولا الكفار في التورية والانجيل الا ليعبدوا
الله

الله اي يوحدوه واللام في ليعبدوا بمعنى ان كقوله تعالى يريد الله
ليبين لكم اي ان يبين لكم ويريدون ليطفئوا نور الله قوله
مخلصين له الدين العامة على كسر اللام اسم فاعل وانتصب به الدين
والحسن بفتحها على انهم يخلصون هم انفسهم في شانهم وانتصب الدين
على احد وجهين اما اسقاط الخافض في الدين واما على المصدر من معنى
ليعبدوا وكانه قيل ليدينوا الدين او ليعبدوا العبادة والتجوز
اما في الفعل واما في المصدر وانتصاب مخلصين على الحال من فاعل
يعبدوا قوله حنفا حال ثانية او حال من الحال قبلها اي من
الضمير المستكن فيها وقوله وما امروا بما امروا به الا لكذا وما امروا
الا ان يعبدوا اي بان يعبدوا وتقدم تحرير مثله في قوله وامرنا
لنسلم لرب العالمين في سورة الانعام تنبيه قال المفسرون
المعنى وما امر هولا الكفار في التورية والانجيل الا ليعبدوا الله
اي يوحدوه واللام بمعنى ان لقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ومنه
قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي العبادة وفي
هذا دليل على وجوب النية في العبادات فان الاخلاص عمل القلب
وهو ان يراد به وجه الله لا غيره. وقوله تعالى حنفا اي مائلين عن الاديان
كلها الى دين الاسلام وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول حنفا على
دين ابراهيم عليه الصلوة والسلام ويقال الحنيف من اختتن وحج
قاله سعيد بن جبير. وقال اهل اللغة اصله انه تحنف الى الاسلام
اي مال اليه قوله ويقيموا الصلوة اي يصلوها في اوقاتها
ويؤتوا الزكاة اي يعطوها عند محلها قوله وذلك دين القيمة
اي الامة او الملة اي المستقيمة والقيمة نعت لموصوف محذوف
وقيل ذلك اشارة الى الدين الذي امروا به اي الدين المستقيم او
يقال دين الامة القيمة بالحق اي القايمة بالحق. وقال محمد بن الاشعث
الطالقاني الكتب القيمة لانها قد تقدمت في الذكر قال تعالى فيها كتب
قيمة فلما اعادها اعادها مع ال العهدية كقوله تعالى فعصى فرعون
الرسول وهو حسن. وقرا عبد الله وذلك الدين القيم والتانيث حينئذ
اما على تاويل الدين بالملة كقوله سائل بني اسد ما هذه الصوت بتاويل
الصيحة واما على المبالغة كعلامة. وقال الخليل القيمة جمع القيم والقيم
والقايم واحد. وقال الفراء اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف
اللفظين وعنه ايضا هو من باب اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح
قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين كما مر في اول السورة
وقوله تعالى في نار جهنم هو الخبر وخالدين حال من الضمير المستكن في الخبر اولئك
هم شر البرية. وقرا نافع وابن ذكوان بالهمز في الحرفين والباقون بياء
مشددة واختلف في ذلك الهمز فقيل هو الاصل من برا الله الخلق ابتدأ واخترع
عه قال تعالى من قبل ان نبراها فهي فعيلة بمعنى مفعولة وانما خففت والهمز
تخفيفها عند عامة العرب وقد تقدم ان العرب التزمت غالبا تخفيف
الفاظ منها [illegible] والخابية والذرية. قال القرطبي البا عوض من الهمز
وقيل البرية دون همز مشتقة من البرا وهو التراب فهي اصل بنفسها
والقراتان مختلفتا الاصل متفقتا المعنى الا ان ابن عطية غض من هذا فقال
وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطا وهو اشتقاق غير مرضي انتهى يعني اذا
قيل انها مشتقة من البرا وهو التراب فمن اين يجي الهمز في القراة الاخرى
قال الشهاب الدين وهذا غير لازم لانهما قراتان مستقلتان لكل منهما اصل

اصل مستقل شبك من برا اي خلق وهذه من البرا لانهم خلقوا منه والمعنى
بالغرانيق شي واحد وهو جميع الخلق ولا يلتفت الى من ضعف الهمزة من النحاة
والغرانيق انه متواتر ● قال القشيري ومن قال البرية من البرا وهو
التراب قال لا تدخل الملايكة تحت هذه اللفظة ● وقيل البرية من بريت
القلم اي قدرته فتدخل فيه الملايكة ولكنه قول ضعيف لا يجب منه تخطية
من همز ● وقوله تعالى شر البرية اي شر الخليقة فقيل يحتمل ان يكون على
التعميم ● وقيل هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
كقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين اي عالمي زمانهم ولا يبعد ان يكون
في كفار الامم قبل من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح وكذا قوله
خير البرية اما على التعميم او خير برية عصرهم وقد استدل بقراءة الهمزة
من فضل بني ادم على الملايكة ● وقال ابو هريرة رضي الله عنه المومن اكرم على
الله تعالى من بعض الملايكة الذين عنده ● وقرا العامة خير البرية مقابلا
لشر ● وعامر بن عبد الواحد خيار البرية وهو جمع خير نحو جياد وطياب
في جمع جيد وطيب قاله الزمخشري قال ابن الخطيب وقدم الوعيد على الوعد
لانه كالدوا والوعد كالغذا والدوا اذا انقى البدن انتفع بالغذا فينتفع به
البدن لان الانسان اذا وقع في شدة رجع الى الله تعالى فاذا نال الدنيا اعرض
قوله جزاوهم عند ربهم اي ثوابهم عند خالقهم ومالكهم جنات عدن
قال ابن الخطيب قال بعض الفقها من قال لا شي لي على فلان انتفى الدين
وله ان يدعي الوديعة وان قال لا شي لي عنده انصرف الى الوديعة دون الدين
وان قال لا شي لي قبله انصرف اليهما معا فقوله تعالى عند ربهم يفيد انها
اعيان مودعة عنده والعين اشرف من الدين والضمان انما يرغب فيه
خوف الهلاك وهو محال في حقه تعالى وتقدم الكلام على نظيره قوله
تجري من تحتها الانهار والجنات البساتين ● والعدن الاقامة يقال عدن
بالمكان يعدن عدونا اي اقام ومعدن الشي مركزه ومستقره ● وقيل جنات
عدن بطنان الجنة اي وسطها قوله خالدين فيها حال عامله محذوف
اي دخلوها او اعطوها ولا يجوز ان يكون حالا من هو في جزاوهم لئلا يلزم
الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي على ان بعضهم اجازه منهم واعتذر
هنا بان المصدر غير مقدر بحرف مصدري قال ابو البقا وهو بعيد
واما عند فيجوز ان يكون حالا من جزاوهم وان يكون ظرفا له او بدا لا ازمان منصوب خالدين اي لا يضعفون ولا يموتون قوله رضي الله
عنهم يجوز ان يكون دعا مستانفا وان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا
باضمار قد عند من يلزم ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهم ورضوا عنه
اي رضوا بثواب الله تعالى قوله ذلك لمن خشي ربه اي ذلك المذكور
من استقرار الجنة مع الخلود ورضي عنه لمن خشي ربه اي خافه
فانتهى عن معصيته ● روى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لابي بن كعب ان الله تعالى امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين
كفروا قال وسماني لك قال عليه الصلوة والسلام نعم فبكى خرجه البخاري
ومسلم ● قال القرطبي فيه من الفقه قراة العالم على المتعلم قال بعضهم
انما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع لئلا يانف
احد من التعلم والقراة على من دونه في المنزلة ● وقيل ان ابيا كان اسرع
اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراته عليه ان يا خذ
الفاظه ويقرا كما سمعه صلى الله عليه وسلم ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة
لابي رضي الله عنه اذ امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقرا عليه رضي الله عنه
وعن

بقية الصحابة اجمعين ●

سورة الزلزلة مكية

في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطا وجابر وهي
ثمان ايات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع واربعون حرفا ●
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها اذا شرط
وجوابه تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور ● وجوز ابو البقا ان يكون
العامل فيها مصدر وغيرهم يجعل العامل فيها ما بعدها ونفيها وان كان
معمولا لها بالاضافة تقديرا واختاره مكي وجعل ذلك نظير من وما يعني
انهما يعملان فيما بعدهما الجزم وما بعدهما يعمل فيهما النصب ولو مثل باي
لكان اوضح ● وقيل العامل فيها مقدر اي يحشرون ● وقيل اذكر وحينئذ يخرج
عن الظرفية والشرط فصل وجه المناسبة بين اول هذه
السورة واخر السورة المتقدمة انه تعالى لما قال وهم من فزع يومئذ
امنون ● وقيل لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المومن
اراد ان يزيد في وعيد الكافر فقال اجازيه حين يقول الكافر السابق
ذكره ما للارض تزلزل نظيره يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فذكر
سبحانه الطايفتين وذكر ما لكل طايفة ثم جمع بينهما في اخر السورة
بذكر الذرة من الخير فان اذا للوقت فكيف وجه البداية بها في السورة
فالجواب انهم كانوا يسالونه عن الساعة فقال تعالى اذا زلزلت
الارض زلزالها فانه تعالى يقول لا سبيل الى تعيينها بحسب وقتها
ولكن اعينه بحسب علاماته اراد انه تعالى ان يخبر المكلف ان الارض
تحدث وتشهد يوم القيمة مع انها في هذه الساعة جماد فكانه لما
قيل متى تكون ذلك فقال تعالى اذا زلزلت الارض فصل
روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقول النفخة الاولى
تزلزلها وهو قول مجاهد لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها
الرادفة ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الاثقال وذكر المصدر
للتاكيد ثم اضيف الى الارض كقولك لاعطينك عطيتك وحسن
ذلك لموافقة رءوس الاي فهو مصدر مضاف لفاعله والمعنى زلزالها
الذي تستحقه وتقتضيه جرمها وعظمها قال الزمخشري ونحوه اكرم
التقي اكرامه واهان الفاسق اهانته او زلزالها كله بكسر الزاي من الزلزال
والجحدري وعيسى بفتحها فقيل هما مصدران بمعنى ● وقيل المكسور مصدر
والمفتوح قال الزمخشري وليس في الابنية فعلال بفتح الفا الا فيما ورد
نادرا ● قال القرطبي والزلزال بالفتح مصدر كالوسواس والقلقال
والجرجار قوله واخرجت الارض اثقالها قال ابو عبيدة والاخفش
اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها
وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها موتاها يخرجهم في النفخة الثانية
ومنه قيل للانس والجن الثقلان ● وقيل اثقالها كنوزها ● ومنه الحديث
تلقي الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة قوله
وقال الانسان اي ابن ادم الكافر ● وقال ابن عباس هو الاسود بن عبد
الاسد وقيل اراد كل انسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة
الاولى من مومن وكافر قوله ما لها ابتدا وخبر وهذا يرد قول من قال
ان الحال في نحو قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لازمة لئلا يصير
الكلام غير مفيد فانه لا حال هنا ومعنى ما لها زلزلت وقيل ما لها اخرجت
اثقالها وهي كلمة تعجب اي لاي شي زلزلت ● ويجوز ان يحيي الله الموتى بعد

وقوع النفخة الاولى ثم تتحرك الارض فتخرج الموتى وقد راوا الزلزلة وانشقاق الارض عن الموتى احيا فيقولون من الهول ما لها كانهم غاطبوا انفسهم تعجبا **قوله** يومئذ اي يوم اذا زلزلت والعامل في يومئذ تحدث ان جعلت اذا منصوبة بما بعدها او بمحذوف وان جعلت العامل فيها تحدث كان يومئذ بدلا منها فالعامل فيه العامل فيها او شي اخر لانه على تكرير العامل وهو خلاف مشهور **فصل** معنى تحدث اي تخبر الارض عما عمل عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول الانسان اي يقول الانسان ما لها تحدث اخبارها متعجبا . روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا قال فهذه اخبارها . قال الماوردي قوله تعالى تحدث اخبارها فيه ثلاثة اقاويل . احدها ان تحدث اخبارها باعمال العباد على ظهرها قاله ابو هريرة رضي الله عنه ورواه مرفوعا وهو قول من زعم انها زلزلة اشراط الساعة الثالث القيمة . الثاني قال يحيى بن سلام تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها وهو قول من زعم انها زلزلة اشراط الساعة . الثالث قال ابن مسعود انها تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان ما لها فتخبر ان امر الدنيا قد انقضى وامر الاخرة قد اتى فيكون ذلك منها جوابا لهم عند سوالهم ووعيد للكافر وانذار للمومن وفي حديثها باخبارها ثلاثة اقوال . الاول ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك . الثاني ان الله يحدث فيها الكلام . الثالث انه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام قال الطبري تبين اخبارها بالرجفة والزلزلة واخراج الموتى **قوله** بان ربك متعلق بتحدث اي تحدث ويجوز ان تتعلق بنفس اخبارها وقيل الباء زايدة وان وما في حيزها بدل من اخبارها . وقيل الباء سببية اي بسبب ايحاء الله اليها . وقال الزمخشري فان قلت اين مفعولا تحدث قلت حذف اولهما والثاني اخبارها اي تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديث الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم . فان قلت بما تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت تتحدث لان معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها ويجوز ان يكون المعنى تحدث ربك تحدث ان ربك اوحى لها لانك تقول اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث اخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين قال ابو حيان وهو كلام فيه عفش تنزه القران عنه . قال شهاب الدين واي عفش فيه نصحته وفصاحته ولكنه لما طال تقديره من جهة افادة هذا المعنى الحسن جعله عفشا وحاشاه ثم قال الزمخشري ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا . قال ابو حيان واذا كان الفعل يتعدى تارة بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزايد فلا يجوز في تابعه الا الموافقة في الاعراب فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم لجواز انك تقول استغفرت من الذنب العظيم بنصب العظيم وكذلك لا يجوز اخترت فلو كان حرف الجر زايدا جاز الاتباع على موضع الاسم بشروط

مذكورة

مذكورة في كتب النحو تقول ما رايت من رجل عاقلا لان من زايدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل على جواز مراعاة دخول من وان ورد شي من ذلك فبابه الشعر انتهى . قال شهاب الدين ولا ادري كيف يلزم الزمخشري ما الزمه به في جميع المسايل التي ذكرها فان الزمخشري يقول ان هذا بدل مما قبله ثم ذكر مسوغ دخول الباء في البدل وهو ان المبدل منه يجوز دخول الباء عليه فلو حل البدل محل المبدل منه ومعه الباء لكان جايزا لان العامل يتعدى به وذكر مسوغا لخلو المبدل منه من الباء فقال لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واما كونه يمتنع ان يقول استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم الى اخره فليس في كلام الزمخشري شي منه البتة نظير ما قاله الزمخشري في باب استغفر ان يقول استغفرت الله ذنبا من شتمي زيدا فتقول من شتمي بدلا من الذنب وهذا جايز لا محالة **قوله** اوحى لها في هذه اللام اوجه . احدها انها بمعنى الى وانما اوثرت على الى لموافقة الفواصل والمعنى اوحى لها انها تحدث اخبارها بوحي الله تعالى لها اي اليها والعرب تضع لام الصفة موضع الى قال العجاج بصف الارض .

اوحى لها القرار فاستقرت • وشدها بالراسيات الثبت •

قاله ابو عبيدة . الثاني على اصلها واوحى يتعدى باللام تارة وبالى اخرى ومنه البيت . الثالث اللام على بابها من العلة والموحى اليه محذوف وهو الملايكة تقديره اوحى للملايكة لاجل الارض اي لاجل ما يفعلون فيها قال الثوري تحدث اخبارها بما كان عليها من الطاعات وما عمل على ظهرها من خير وشر **قوله** يومئذ اما بدل من يومئذ قبله واما منصوب بيصدر واما منصوب باذكر مقدرا وقوله تعالى اشتاتا حال من الناس وهو جمع شت اي متفرقين في الامن والخوف والبياض والسواد والصدر ضد الورود عن موضع الحساب فريق الى جهة اليمين الى الجنة وفريق الى جهة الشمال الى النار لقوله تعالى يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون . وعن ابن عباس رضي الله عنه اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة وقيل هذا الصدر انما هو عند النشور يصدرون اشتاتا من القبور الى موقف الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او ليروا جزا اعمالهم فانهم وردوا القبور فدفنوا فيها صدروا عنها وقوله تعالى اشتاتا اي يبعثون من اقطار الارض فعلى هذا قوله تعالى ليروا متعلق بيصدر وعلى القول الاول فيه تقديم وتاخير اي تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم واعترض قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين عن موقف الحساب وعلى هذا تتعلق باوحى . وقرا العامة بضم يا ليروا للمفعول وهو منقولة البصر فتعدى بالهمزة الى اثنين وهو اعمالهم ليريهم الله اعمالهم . وقرا الحسن والاعرج وقتادة وحماد بن سلمة ونصر بن عاصم وطلحة ويروى عن نافع بفتحها . قال الزمخشري وهي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل والمعنى جزا اعمالهم **قوله** فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس رضي الله عنه من يعمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الاخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الاخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المومنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه

في الآخرة إذا مات ويتجاوز عنه وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ويتضاعف في الآخرة وفي بعض الحديث أن الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى أنه لا يغفل عن عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة وهو كقوله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم أن الذر لا وزن له وذكر بعض أهل اللغة أن الذر أن يضرب الرجل بيده على الأرض فما علق من التراب فهو الذر وكذا قاله ابن عباس رضي الله عنه إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحد مما لزق من التراب ذرة وقيل الذر نملة صغيرة وأصغر ما تكون إذا مضى عليها حول قال امرؤ القيس

شعر: من القاصرات الطرف لو دب محول · من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر ودليله ما روى أنس رضي الله عنه أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وانا لا نرى ما عملنا من خير وشر قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال أبو إدريس إن مصداقه من كتاب الله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال مقاتل نزلت في رجلين وذلك أنه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير يعطوه فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة قوله يره جواب الشرط في الموضعين وقرأ هشام بسكون هاء يره وصلا في المرتين وباقي السبعة بضمها موصولة بواو وصلا وساكنة وقفا كسائر هاءات الكناية ونقل أبو حيان عن هشام وأبي بكر سكونها وعن أبي عمرو ضمها مشبعة وباقي السبعة بإشباع الأولى وسكون الثانية انتهى وكان ذلك لأجل الوقف على آخر السورة غالبا أما لو وصلوا آخرها بأول العاديات كان الحكم الإشباع هذا مقتضى أصولهم وهو المنقول وقرأ العامة يره مبنيا للفاعل فيهما وقرأ ابن عباس والحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب وزيد ابن علي وأبو حيوة وعاصم والكسائي في رواية الجحدري والسلمي وعيسى وابن عمر رضي الله عنهم بالبناء أي يريه الله إياه قال القرطبي والأول الاختيار لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقرأ عكرمة يراه بالألف إما على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدرة وإما على توهم أن من موصولة وتقدم هذا في آخر يوسف ومعنى يراه أنه يرى جزاءه لأن ما عمله قد مضى وعدم وحكى الزمخشري أن أعرابيا قرأ أخيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فأنشد

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه · كلا جانبي هرشى لهن طريق انتهى

يريد أن التقديم والتأخير سواء وهذا لا يجوز البتة فإنه خطأ فلا يعتد به قراءة وفي نصب خيرا وشرا وجهان أظهرهما أنهما تمييز لأنه مقدار والثاني أنهما بدلان من مثقال

فصل

قال ابن مسعود رضي الله عنه هذه أحكم آية في القرآن وأصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية القائلون بالعموم ومن لم يقل به وقال كعب الأحبار رضي الله عنه لقد أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الآية الجامعة الفاذة وذكر مالك في الموطأ أن مسكينا استطعم عائشة رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لإنسان خذ حبة وأعطه إياها فجعل ينظر إليها ويتعجب فقالت ما يتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة وروى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد عدلت له ثلث القرآن وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله والله أعلم

سورة والعاديات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء عن واو لكسر ما قبلها نحو الغازيات من الغزو ويقال عدا يعدو عدوا فهو عاد وهي عادية وقد تقدم هذا في سورة المؤمنين قال عامة المفسرين يريد الأفراس تعدو في سبيل الله تعالى قوله ضبحا فيه أوجه أحدها أنه مصدر مؤكد لاسم الفاعل فإن الضبح نوع من السير والعدو كالضبع يقال ضبح الفرس وضبع إذا عدا بشدة أخذا من الضبع وهو الذراع لأنه يمده عند العدو وكأن الحاء بدل من العين وإلى هذا ذهب أبو عبيدة والمبرد قالا الضبح من إضباعها في السير وقال عنترة

والخيل تكدح في حياض الموت ضبحا

الثاني أنه مصدر في موضع الحال أي ضابحات وذو ضبح والضبح صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حكاه فقال أح أح وقال قتادة تضبح إذا عدت أي تحمحم وقال الفراء الضبح صوت أنفاس الخيل إذا عدون وقيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة ونقل عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لم يضبح من الحيوان غير الخيل والكلب والثعلب وهذا ينبغي أن يصح عنه لأنه روي عنه أنه قال سئلت عنها ففسرتها بالخيل وكان علي رضي الله عنه تحت سقاية زمزم فسأله فذكرها له فدعاني فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بغير علم والله إنها لأول غزوة في الإسلام وهي بدر ولم يكن معنا إلا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف تكون العاديات ضبحا إنما العاديات ضبحا الإبل والله إنما كانت الإبل من عرفة إلى المزدلفة ومن مزدلفة إلى منى يعني إبل الحاج قال ابن عباس رضي الله عنه فرجعت إلى قول علي رضي الله عنه وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي

رضي الله عنهم ومنه قول صفية بنت عبد المطلب
فلا والعاديات غداة جمع • بأيديها اذا سطع الغبار •
الا ان الزمخشري قال بعد ذلك فان صحت الرواية فقد استعير
الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر
ونقل غيره ان الضبح يكون في الابل ومن الاسود من الحيات والبوم
والصدى والارنب والثعلب والفرس • وانشد ابو حنيفة رضي الله عنه
حنانة من نشم او تالب • يضبح في الكف ضباح الثعلب •
فاستعير للخيل وهو من ضبحته النار اذا غيرت لونه ولم تبالغ والضبح
لون يتغير الى السواد قليلا والضبح ايضا الرماد • الثالث من اوجه
النصب ان يكون منصوبا بفعل مقدر اي يضبح ضبحا وهذا الفعل
حال من العاديات • الرابع انه منصوب بالعاديات وان كان المراد
به المصوت • قال الزمخشري كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون
مع العدو • قال ابو حيان واذا كان الضبح مع العدو فلا يكون معنى
والعاديات والضابحات فلا ينبغي ان يفسر به انتهى • قال شهاب
الدين لم يقل الزمخشري انه بمعناه وانما جعله منصوبا به لانه لازم
له لا يفارقه فكانه ملفوظ به وقوله كانه قيل تفسير المعنى اللازم لانه
هو هو فصل قال ابن العربي اقسم الله تعالى بمحمد صلى الله
عليه وسلم فقال يس والقرآن الحكيم واقسم بحياته فقال لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون • واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها
النار من الحجر فقال تعالى والعاديات ضبحا • وقال الشعبي تمارى علي وابن
عباس رضي الله عنهما في المراد بالعاديات فقال علي هي الابل تعدو في
الحج وقال ابن عباس هي الخيل الا تراه يقول فاثرن به نقعا فهل
تثير الا بحوافر وهل تضبح الابل فقال علي رضي الله عنه ليس كما قلت
لقد رايتنا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق للمقداد وفرس لمرثد بن ابي مرثد
وعلى هذا القول فالموريات قدحا اي تكاد يرمي بالحجر من شدة العدو
فتضرب به حجارة اخرى فتوري النار او يكون المعنى الذين يركبون
الابل وهم الحجيج اذا اوقدوا نيرانهم بالمزدلفة • وقوله تعالى فالمغيرات
صبحا والاغارة سرعة السير وهم يدفعون صبيحة يوم النحر من
المزدلفة الى منى • فوسطن به جمعا يعني مزدلفة لانها تسمى جمع لاجتماع الحاج بها
وعلى هذا التقدير توجيه القسم بها لما تقدم ذكره من المنافع الكثيرة
في قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت • وايضا الغرض بذكر
ابل الحج الترغيب في الحج كانه تعالى يقول جعلت الابل مقسما بها فكيف
اضيع عملك وفيه تعريض لمن رغب عن الحج فان الكنود هو الكفور
والذي لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك كما في قوله تعالى ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن
العالمين • وممن قال هي الخيل وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة
والضحاك وعطاء واكثر المحققين ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث
سرية الى اناس من بني كنانة فابطا عليه خبرها وكان استعمل عليها
المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فقال المنافقون انهم
قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها
وبشارة له باغارتها على القوم فالمراد الخيل التي تعدو اعلاها الوسق وعلى
وفي الخبر من لم يعرف حرمة فرس الغازي ففيه شعبة من النفاق
هذا القول فالسورة مدنية لان الاذن في القتال انما كان بالمدينة

فالموريات

فالموريات قدحا قال عكرمة وعطاء والضحاك هي الخيل حين
توري النار بحوافرها وهي سنابكها وقدحا يجوز ان تكون مصدرا
مؤكدا لان الايراء القدح يقال قدح فاورى وقدح فاصلد
ويجوز ان تكون حالا فالمعنى قادحات اي صاكات بحوافرها
ما يوري النار • ويقال قدحت الحجر بالحجر اي صككته به • وقال
الزمخشري انتصب بما انتصب به ضبحا • وكان جوز في نصبه
ثلاثة اوجه النصب باضمار فعل والنصب باضمار الفاعل
قبله لانه ملازمه والنصب على الحال وتسمى تلك النار التي
تخرج من الحوافر نار الحباحب قال •
تقد السلوقي المضاعف نسجه • وتوقد بالصفاح نار الحباحب •
فصل روى ابن عباس رضي الله عنه اورت بحوافرها غبارا
وهذا يخالف ما روي عنه في قدح النار وانما هذا في الابل • وروى
ابن نجيح عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فالموريات قدحا
قال هي في القتال وهو في الحج • قال ابن مسعود هي الابل تطا الحصى
فتخرج منه النار • واصل القدح الاستخراج ومنه قدحت العين
اذا اخرجت منها الماء الفاسد واقتدحت الزند واقتدحت المرق
غرفته وركي قدوح يغرف باليد والقدح ما يبقى في اسفل القدر فيغرف
بجهد • والمقدحة ما يخرج منه النار • والقداحة والقداح الحجر الذي
يوري النار يقال ورى الزند بالفتح يري وريا اذا اخرجت ناره وفيه
لغة اخرى وري الزند بالكسر يري فيهما وقد مضى في سورة الواقعة
وقيل هذه الايات في الخيل ولكن ايراءها ان تهيج الحرب بين اصحابها
وبين عدوهم كما قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس روي معناه عن ابن عباس
رضي الله عنه • وعن قتادة وابن عباس ان الموريات قدحا مكر الرجال
في الحرب وهو قول مجاهد وزيد بن اسلم والعرب تقول اذا اراد
الرجل ان يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك • وعن
ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم
وطعامهم • وعنه ايضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت نارها ارهابا
ليظنهم العدو كثيرا • وقيل هي افكار الرجال توري نار المكر عظيم ما
تتكلم به ويظهر بها من الحجج واقامة الدلائل وايضاح الحق وابطال
الباطل • قال القرطبي وهذه الاقوال مجاز لقولهم فلان يوري زناد
الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار
بحوافرها • قال مقاتل تسمى تلك النار نار ابي حباحب • وابو حباحب
شيخا من مضر في الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نارا لخبز
ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة تقد مرة وتخمد اخرى
فان استيقظ لها احد اطفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت
العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف
على البيضة فاقتدحت نارا فكذلك يسمونها قال •
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •
تقد السلوقي المضاعف نسجه • وتوقد بالصفاح نار الحباحب •
قوله فالمغيرات صبحا صبحا ظرف اي التي تغير وقت الصبح يقال
اغار يغير اغارة اذا باغت عدوه لنهب او قتل او اسر قال •
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا • شنوا الاغارة فرسانا وركبانا •

وغار الغيبة واغار وغار ايضا نزل الغور وهو المنهبط من الارض
قوله فاثرن عطف الفعل على الاسم لان الاسم في تاويل الفعل
لوقوعه صلة لال. قال الزمخشري معطوف على الفعل الذي وضع
اسم الفاعل موضعه يعني في الاصل اذا لاصل واللاتي عدون فاغرن
فاغرن فاثرن قوله به في الها وجه. احدها انها ضمير الصبح
اي فاثرن في وقت الصبح غبارا وهذا حسن لانه مذكور بالتصريح
الثاني انه عايد على المكان وان لم يجر له ذكر لان الاشارة لابد
لها من مكان والسياق والفعل يدل عليه. واذا علم المعنى
جاز ان يكنى عن ما لم يجر له ذكر بالتصريح كقوله تعالى حتى توارت
بالحجاب. وفي عبارة الزمخشري وتخيل الضمير لمكان الغارة
وهذا على تلك المعية والاولى لفصيح ان يقول الاغارة الثالث
انه ضمير العدو والذي دل عليه والعاديات. وقرا العامة بتخفيف
الثا اثار اي اذا نشره وفرقه مع ارتفاع. وقرا ابو حيوة وابن
ابي عبلة بتشديدها وخرجه الزمخشري وجهين الاول بمعنى
فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار. والثاني انه
قلب بوزن اي وثرن وقلب الواو همزة انتهى يعني الاصل
وثرن من وثر يثور بالتشديد يعداه بالتضعيف كما تعدي
بالهمزة في قولك اثاره ثم قلب الكلمة بان جعل العين وهي الواو
موضع الفا وهي الثا فصارت وثرن وزنها حينيذ عفلن ثم
قلب الواو همزة فصار اثرن وهذا بعيد جدا وعلى تقدير التسليم
فقلب الواو المفتوحة همزة لا ينقاس [illegible] احد الفاظ كاحد واناة
والنقع الغبار وانشد.
يخرجن من مستطار النقع دامية * كان اذنابها اطراف اقلام
وقال ابن رواحة.
عدمت بنيتي ان لم تروها * تثير النقع من كنفي كداء
وقال ابو عبيدة النقع رفع الصوت. قال لبيد.
فمتى ينقع صراخ صادق * يحلبوها ذات جرس وزجل
ويروى يحلبوها تقول حتى سمعوا صراخا احلبوا الحرب اي جمعوا
لها. وقوله نقع صراخ يعني رفع الصوت. قال الزمخشري ويجوز
ان يراد بالنقع الصراخ من قوله عمر ان لم يكن نقع ولا لقلقة
وقول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق. اي فهيجن في المغار عليهم
صياحا. قال ابو عبيدة وعلى هذا رايت قول اكثر اهل العلم
انتهى فعلى هذا تكون الباء بمعنى في ويعود الضمير على المكان
الذي فيه الاغارة كما تقدم وقال الكسائي قوله نقع ولا لقلقة
النقع صنعة الطعام يعني في الماتم يقال منه نقعت نقعا قال
ابو عبيدة ذهب بالنقع الى النقيعة وانما النقيعة عند
غيره من العلما صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا في الماتم
وقال بعضهم يريد بالنقع وضع التراب على الراس يذهب
الى ان النقع هو التراب. قال القرطبي ولا احسب عمر ذهب
الى هذا ولا اخافه منهن وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهن القيام
فقال. يسفكن من دموعهن وهو جلوس. وقال بعضهم
النقع شق الجيوب قال وهو الذي لا ادري ما هو من الحديث
ولا اعرفه وليس النقع عندي في هذا الحديث الا الصوت الشديد
واما

واما اللقلقة فشدة الصوت ولم اسمع فيه اختلافا وقال
محمد بن كعب القرظي النقع ما بين مزدلفة الى منى وقيل انه طريق
الوادي ولعله يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع وفي الصحاح
النقع الغبار والجمع نقاع والنقع محبس الما وكذلك ما اجتمع
في البير منه وفي الحديث انه نهى ان يمنع نقع البير والنقع الارض
الحرة الطين يستنقع فيها الما والجمع نقاع وانقع مثل بحار وابحر
قوله فوسطن العامة على تخفيف السين اي فوسطن وفي
الباء في به اوجه. احدها انها للصبح. والثاني انها للمتعدي اي
وسطن النقع الجمع اي جعلنا الغبار وسط الجمع والباء للتعدية
وعلى الاول هي ظرفية. الثالث انها للحالية اي فتوسطن ملتبسات
بالنقع اي بالغبار جمعا من جموع الاعدا. وقيل الباء مزيدة نقله ابو
البقا وجمعا على هذه الاوجه مفعول به. الرابع ان المراد جمع المزدلفة
وهي تسمى جمعا والمراد ان الابل تتوسط جمعا الذي هو المزدلفة
كما مر عن امير المومنين فالمراد بالجمع مكان لا جماعة الناس كقول
صفية والعاديات غداة جمع. وقول بشر بن ابي خازم.
فوسطن جمعهم وافلت حاجب * تحت العجاجة في الغبار الاقتم
وجمعا على هذا منصوب على الظرف وعلى هذا فيكون الضمير في به اما
للوقت اي وقت الصبح واما للنقع وتكون الباء للحال اي ملتبسات
بالنقع الا انه يشكل نصب الظرف المختص اذ كان حقه ان يتعدى
اليه بفي. وقال ابو البقا ان جمعا حال وسبقه اليه مكي وفيه بعد
اذ المعنى على ان الخيل توسط جمع الناس. وقرا علي وزيد بن علي وقتادة
وابن ابي ليلى بتشديد السين وهما لغتان بمعنى واحد. وقال
الزمخشري التشديد للتعدية والباء مزيدة للتاكيد كقوله تعالى واتوا
به متشابها وهي مبالغة في وسطن انتهى. وقوله وهي مبالغة تناقض
اولا للتعدية لان التشديد للمبالغة لا يكسب الفعل مفعولا اخر تقول
ذبحت الغنم مخففا ثم تبالغ فتقول ذبحتها مثقلا وقوله والباء مزيدة جعله
متعديا بنفسه بدليل جعله الباء مزيدة فلا تكون للمبالغة فصل
للمعنى فوسطن مركبنا بهن العدو اي الجمع الذي اغاروا عليهم. وقال
ابن مسعود فوسطن به جمعا يعني مزدلفة وسميت جمعا لاجتماع الناس
فيها. ويقال وسطت القوم اسطهم وسطا وسطة اي صرت وسطهم
وقد اكثر الناس في وصف الخيل وهذا الذي ذكره الله احسن. وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير. وقال
ايضا ظهرها حرز وبطنها كنز. ويروى ان بنت امري القيس اتت النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هل انزل عليك ربك في صفة
الخيل كلاما افصح مما قال جدي فقال عليه الصلوة والسلام وما قال جدك
فقالت. مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
فقال عليه الصلوة والسلام والعاديات ضبحا الايات فاسلمت قوله
ان الانسان لربه لكنود هذا هو المقسم عليه ولربه متعلق بالخير
وقدم للفواصل والكنود الجحود وقيل الكفور النعمة وانشد.
كنود لنعما الرجال ومن يكن * كنودا لنعما الرجال يبعد
وعن ابن عباس رضي الله عنه هو بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان
ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل وانشد ابو زيد.
ان نفسي لم تطب منك نفسا * غير اني امني بدين كنود

وقيل لسان الجاحد للحق وقيل انما سميت كندة لانها جحدت
اباها وقيل الكنود من الكند وهو القطع كانه يقطع ما ينبغي ان يواصله
من الشكر ويقال كند الحبل اذا قطعه قال الاعشى
يعطي عطا بصلب الفؤاد ... وصول حبال وكنادها
فهذا يدل على القطع وقال كند يكند كنودا اي كفر النعمة وجحدها
فهو كنود وامراة كنود ايضا وكند مثله قال الاعشى
احدث لها تحدث لوصلك انها ... كند لوصل الزائر المعتاد
اي كفورا للمواصلة وروى ابو امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنود الذي ياكل وحده ويمنع
رفده ويضرب عبده خرجه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول
وقال الحسن الكنود اللوام لربه يعد المحن والمصيبات وينسى النعم
والراحات وهو كقوله تعالى واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
فيقول ربي اهانني كلا واعلم ان الكنود لا يخرج ان يكون كفرا او
فسقا وكيف ما كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى كافر
معين وان حملناه على الكل فالمعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك
الا اذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه قال ابن عباس رضي الله عنه
الانسان هنا الكافر يقول انه لكنود ومنه الارض الكنود التي لا
تنبت شيئا وقال الضحاك نزلت في الوليد بن المغيرة وقال ابو
بكر الواسطي الكنود الذي ينفق نعم الله في معاصي الله وقال
ذو النون المصري الهلوع والكنود هو الذي اذا مسه الشر جزع واذا
مسه الخير منع وقيل هو الحقود الحسود قال القرطبي كل هذه الاقوال
ترجع الى الكفران والجحود وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في
قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي ولقوله افلا يعلم اذا بعثر
ما في القبور ولا يليق الا بالكافر المنكر لذلك قوله وانه على
ذلك لشهيد اي وان الله تعالى على ذلك من ابن ادم لشهيد قاله
ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة ومحمد
ابن كعب وانه وان الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع كقوله
تعالى بعد ذلك وانه لحب الخير لشديد والاول اولى لانه كالوعيد
والزجر له عن المعاصي قوله وانه لحب الخير لشديد اللام
متعلقة بشديد وفيه وجهان احدهما انها المعدية والمعنى
وانه لقوي مطيق لحب الخير اي المال يقال هو شديد لهذا الامر
اي مطيق له ويقال لشديد اي بخيل ويقال للبخيل شديد
ومتشدد قال طرفة
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد
ويقال اعتامه واعتماه اي اختاره والفاحش البخيل ايضا قال تعالى
ويامركم بالفحشاء اي البخل قال ابن زيد سمى الله تعالى المال خيرا وعسى
ان يكون شرا وحراما ولكن الناس يعدونه خيرا فسماه الله تعالى خيرا
لذلك كما قال تعالى ان ترك خيرا وسمى الجهاد سوءا فقال تعالى فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء على ما سماه الناس الثاني ان
اللام للعلة اي وانه لاجل حب المال لبخيل وقيل اللام بمعنى على وقال
الفراء اصل نظم الاية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما قدم الحب
قال لشديد وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤوس الاي
كقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف للريح لا لليوم كانه قال في يوم

عاصف

عاصف الريح قوله افلا يعلم لما عد عليه قبائح افعاله خوفه فقال
تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وفي اذا اوجه احدها تفسير نقله مكي
عن المبرد وتقدم تحريره في السورة قبلها قال القرطبي العامل في اذا ولا
يعمل فيه خبير وان فصل اللام بينهما لان موضع اللام الابتداء وانما
دخلت في الخبر ان على المبتدا والثاني انه ما دل عليه خبير اي اذا بعثر
جوزوا والثالث انه يعلم واليه ذهب الحوفي وابو البقاء ورده مكي قال
لان الانسان لا يراد منه العلم والاعتبار في ذلك الوقت وانما يعتبر
في الدنيا ويعلم قال ابو حيان وليس بمتضح لان المعنى افلا يعلم الان
وكان قال ثم في ذلك ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في الظرف
اي افلا يعلم ماله اذا بعثر انتهى فجعلها متعدية في ظاهر قوله الى واحد
وعلى هذا فتعين ان يقال انها عاملة في اذا على سبيل ان اذا مفعول به لا ظرف
اذ التقدير افلا يعرف اذا وقت بعثرت القبور يعني انه يقر بالبعث
ووقته واذا قدر تصرفت وخرجت عن الظرفية وكذلك شواهد
تقدم ذكرها الرابع ان العامل فيها محذوف وهو مفعول يعلم كما تقدم
وقرا العامة بعثر بالعين مبنيا للمفعول والموصول قائم مقام الفاعل
وابن مسعود بالحا قال الفرا سمعت بعض اعراب بني اسد يقرا بحثر
بالحا وحكاه الماوردي عن ابن مسعود وقرا الاسود بن زيد ومحمد بن
معدان بحث من البحث ونصر بن عاصم بعثر مبنيا للفاعل وهو الله
او الملك فصل المعنى افلا يعلم ابن ادم اذا بعثر اي اثير وقلب
وبحث فاخرج ما فيها قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله
اعلاه قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون فان قيل لم قال بعثر ما
في القبور ولم يقل من في القبور ثم انه تعالى لما قال ما في القبور فلم قال
ان ربهم بهم يومئذ لخبير فالجواب عن الاول ان ما في الارض غير المكلفين
اكثر فاخرج الكلام على الاغلب او انهم حال ما يبعثرون لا يكونون احياء
عقلاء بل يصيرون كذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير
غير العقلاء والضمير الثاني ضمير العقلاء قوله وحصل ما في الصدور
قرا العامة حصل مبنيا للمفعول وروي عن ابن يعمر وعبيد بن عمير وسعيد
ابن جبير ونصر ايضا خفيف الصاد مبنيا للفاعل بمعنى جمع ما في الصحف
محصلا والتحصيل جمع الشيء والمحصول اجتماعه والاسم الحصيلة قال لبيد
وكل امرئ سوف يعرف سعيه ... اذا حصلت عند الاله الحصائل
التحصيل التمييز ومنه قيل للمنخل محصل وحصل الشيء مخففا ظهر واستبان
وعليه القراءة الاخيرة وقال المفسرون وحصل ما في الصدور اي ميز ما فيها
من خير وشر وقال ابن عباس ابرز قال ابن الخطيب وخص اعمال
القلوب بالذكر دون اعمال الجوارح لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب
لانه لولا البواعث والارادات لما حصلت اعمال الجوارح قوله
ان ربهم اجمع العامة على كسر الهمزة لوجود اللام في خبرها وانها معلقة
ليعلم فهي في محل نصب ولكن لا يعمل في اذا خبرها لما تقدم بل يقدر له عامل
من معناه كما تقدم ويدل على انها معلقة للعلم لا مستانفة قراءة ابي السمال
وغيره ان ربهم بهم يومئذ خبير بالفتح واسقاط اللام فانها في هذه القراءة
سادة مسد مفعوليها ويحكى عن الحجاج الخبيث الروح انه لما فتح همزة ان
استدرك على نفسه فتعمد سقوط اللام وهذا ان صح كفر ولا يقال انها قراءة
ثابتة كما نقل عن ابي السمال فلا يكفر لانه لو قراها كذلك ناقلا لها لم
يمنع منه ولكنه اسقط اللام عمدا اصلاحا للسانه واجتمعت الامة على

أن من زاد حرفاً في القرآن أو نقصه عمداً فهو كافر قال شيخنا ... الدين وإنما
قلت ذلك لأني رأيت أبا حيان قال وقرأ أبو السمال والحجاج ولا يحفظ
عن الحجاج إلا هذا الأثر السوء والناس ينقلونه عنه كذلك وهو أقل من
أن يحفظ عنه وربهم ويومئذ متعلقان بالخبر واللام غير مانعة من
ذلك وقدما لأجل الفاصلة ومعنى خبير أي عالم لا يخفى عليه منهم خافية
وهو عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم في ذلك
اليوم وفي غيره. روى الثعلبي عن أبي رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم من قرأ سورة
والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة
وشهد جمعاً والله أعلم.

سورة القارعة مكية

وهي إحدى عشرة آية وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون
حرفاً بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى القارعة ما القارعة
كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وكقوله وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين
وقد تقدم ما نقله مكي أنه يجوز رفع القارعة بفعل مضمر ناصبه يوم
وقيل تقع القارعة. وقيل القارعة مبتدأ وما بعده الخبر. وقيل
معنى الكلام على التحذير. قال الزجاج والعرب تحذر وتغري بالرفع
كالنصب وأنشد:

لجديرون بالوفاء إذا قال ... أخو النجدة السلاح السلاح

وقد تقدم ذلك في قوله تعالى ناقة الله فيمن رفعه ويدل على ذلك قراءة
عيسى القارعة ما القارعة بالنصب بفعل أي احذروا القارعة وما زائدة
والقارعة تأكيد للأولى تأكيداً لفظياً والقرع الضرب بشدة واعتماد
والمراد بالقارعة القيامة لأنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها
وأهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم القارعة إذا وقع بهم أمر
فظيع قال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
وهو الشديد من شدائد الدهر وقوله تعالى ما القارعة استفهام
على جهة التعظيم والتفخيم لشأنها كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة
واختلفوا في سبب تسمية القيامة بالقارعة فقيل المراد بالقارعة
الصيحة التي يموتون منها الخلائق لأنها تقرع أسماعهم. وقيل إن
الأجرام العلوية والسفلية يصطكان فيموت العالم بسبب تلك
القرعة فلذلك سميت القيامة بالقارعة. وقيل تقرع الناس بالأهوال
كانشقاق السموات وانفطارها وتكوير الشمس والقمر وانتثار الكواكب
ودك الجبال ونسفها وطي الأرض. وقيل لأنها تقرع أعداء الله بالعذاب
قوله وما أدراك ما القارعة أي لا علم لك بكنهها لأنها في الشدة
بحيث لا يبلغها أحد وعلى هذا يكون آخر السورة مطابقاً لأولها
فإن قيل ههنا قال وما أدراك ما القارعة ثم قال تعالى في آخر
السورة فأمه هاوية وما أدراك ما هيه ولم يقل وما أدراك ما
هاوية. فالجواب أن الفرق أن كونها قارعة أمر محسوس وكونها هاوية
ليس كذلك فظهر الفرق. قوله يوم يكون في ناصب يوم أوجه
أحدها مضمر يدل عليه القارعة أي تقرعهم يوم يكون. وقيل تقديره
تأتي القارعة يوم. الثاني أنه اذكر مقدراً فهو مفعول به لا ظرف
الثالث أنه القارعة قاله ابن عطية وأبو البقاء ومكي. قال أبو حيان
فإن كان عنى ابن عطية اللفظ الأول فلا يجوز للفصل بين العامل وهو

في صلة ال



في صلة أل والمعمول بأجنبي وهو الخبر وإن جعل القارعة علماً للقيامة
فلا يعمل أيضاً. وإن عنى الثاني والثالث فلا يلتئم معنى الظرفية معه.
الرابع أنه فعل مقدر رافع للقارعة الأولى كأنه قيل تأتي القارعة
يوم تكون قاله مكي وعلى هذا فيكون ما بينهما اعتراضاً وهو بعيد جداً
مناف لنظم الكلام. وقرأ زيد بن علي يوم بالرفع خبر لمبتدأ محذوف
أي وقتها يوم يكون. قوله كالفراش يجوز أن يكون خبراً للناقصة
وأن يكون حالاً من فاعل التامة أي يوجدون ويحشرون شبه الفراش
وهو طائر معروف. قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط في النار
والفراش الواحدة فراشة. وقال الفراء هو الهمج من البعوض والجراد
وغيرها وبه يضرب المثل في الطيش والهوج يقال أطيش من فراشة
وأنشد:

فراشة الحلم فرعون العذاب وإن ... تطلب نداه فكلب دونه كلب

وقال آخر:

طويش من نفر أطياش ... أطير من طائر الفراش

وقال آخر:

وقد كان أقوام رددت قلوبهم ... عليهم وكانوا كالفراش من الجهل

والفراشة الماء القليل في الإناء وفراشة القفل لشبهها بالفراشة
وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش
يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون
من يدي. وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش
الذي يلحقهم وانتشارهم في الأرض وركوب بعضهم بعضاً والكثرة
والضعف والذلة والمجيء من غير ذهاب والقصد إلى الداعي من كل
جهة والتطاير إلى النار. قال جرير:

إن الفرزدق ما علمت وقومه ... مثل الفراش غشين نار المصطلي

والمبثوث المتفرق. وقال تعالى في موضع آخر كأنهم جراد منتشر
فأول حالهم كالفراش لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكونون كالجراد لأن لها
وجهاً تقصده. والمبثوث المتفرق المنتشر وإنما ذكر على اللفظ كقوله
تعالى أعجاز نخل منقعر. ولو قال المبثوثة فكقوله تعالى أعجاز نخل خاوية.
قال ابن عباس والفراء كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضها
بعضاً يجول بعضهم في بعض إذا بعثوا. فإن قيل كيف شبه الشيء الواحد
بالصغير والكبير معاً لأنه شبههم بالجراد المنتشر والفراش المبثوث
فالجواب أن التشبيه بالفراش في ذهاب كل واحد إلى جهة الآخر
وأما التشبيه بالجراد ففي الكثرة والتتابع ويكون كباراً ثم يكون
صغاراً. قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش أي الصوف الذي
ينفش باليد أي تصير هباء وتزول كقوله تعالى في موضع آخر هباء
منبثاً. وقال أهل اللغة العهن الصوف المصبوغ وقد تقدم. قوله
فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية في الموازين قولان
أحدهما أنه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله
تعالى وهذا قول الفراء ونظيره قولك له عندي درهم بميزان درهمك
ودار بميزان دارك ووزن دارك أي حذاؤها. والثاني قال ابن عباس
جمع ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيها إلا الأعمال وقد
تقدم القول في الميزان في سورة الأعراف والكهف والأنبياء وأنه له كفة

ولسان يوزن بها الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات
ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل عليه الصلوة والسلام يوزن
به اعمال بني ادم فعبر عنه بلفظ الجمع • وقيل موازين لكل حادثة
ميزان • وقيل الموازين الحجج والدلائل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد
بقول الشاعر •

قد كنت قبل لقائهم ذا مرة ∴ عندي لكل مخاصم ميزانه ∴

ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي يرضاه صاحبه • وقيل
عيشة راضية اي فاعلة للرضى وهو اللين والانقياد فالعيشة
كلمة تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفرش المرفوعة
وارتفاعها مقدار مائة عام فاذا دنا منها ولي الله اتضعت حتى
يستوي عليها ولي الله ثم ترتفع وكذلك فروع الشجرة تتدلى من
ارتفاعها للولي فاذا اتنا وله ثم بها ترتفع لقوله تعالى قطوفها
دانية وحيث ما مشى من مكان الى مكان جرى معه نهر حيث شاء
قوله واما من خفت موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته
قال مقاتل بن حيان انما رجحت الحسنات لان الحق ثقيل والباطل
خفيف قوله فامه هاوية اي هالكة وهذا مثل يقولون لمن
هلك هوت امه لانه اذا هلك سقطت امه ثكلا وحزنا
وعليه قوله •

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ∴ وماذا يرد الصبح حين يؤوب •

وكانه قال تعالى ومن خفت موازينه فقد هلك • وقيل الهاوية
من اسماء النار وكانها النار العميقة تهوي اهل النار فيها • والمعنى
فمأواه النار • وقيل للمأوى ام على سبيل التشبيه بالام كما ياوي الى
امه • قاله ابن زيد ومنه قول ابن الصلت •

والارض معقلنا وكانت امنا ∴ فيها مقابرنا وفيها نولد ∴

ويروى ان الهاوية اسم الباب الاسفل من النار • وقال عكرمة لانه
ياوي فيها على ام راسه • وذكر الاخفش والكلبي وقتادة والمهوى
والمهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط
بعضهم في اثر بعض • وقرا ابن طلحة فامه بكسر الهمزة نقل ابن خالويه
عن ابن دريد اهل اللغة والنحويون لا يجيزون ذلك الا ان تقدمها
كسرة او يا • وقد تقدم تحقيق ذلك في سورة النساء قوله
وما ادراك ما هيه الاصل ما هي فدخلت الها للسكت • وقرا حمزة
والكسائي ويعقوب وابن محيصن ماهي بغيرها في الوصل دون الوقف
بها وقد تقدم في سورة الحاقة وما هي مبتدا وخبر سادا مسد
المفعولين لادراك وهو من التعليق وهي ضمير الهاوية ان كانت
الهاوية اسما لدركة من دركات النار والا عادت الى الداهية المفهومة
من الهاوية قوله نار حامية نار خبر مبتدا مضمر اي هي نار
شديدة الحر • روى مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ناركم هذه التي توقد ابن ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم
قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال عليه الصلوة والسلام فانها فضلت
عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها • روى الثعلبي عن ابي بن كعب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم من قرأ
سورة القارعة ثقل الله موازينه يوم القيامة والله اعلم واحكم •

• سورة التكاثر مكية •

وقول الجمع

بسم الله الرحمن الرحيم • وهي ثمان ايات وروى البخاري المقاصد منه وقول الجمع •
قوله تعالى الهاكم التكاثر الهاكم شغلكم قال امرؤ القيس •
فالهيتها عن ذي تمائم محول • اي شغلكم المباهاة بكثرة الاموال والعدد عن
طاعة الله تعالى حتى متم والالهاء الصرف الى اللهو واللهو الانصراف الى ما يدعو
اليه الهوى • وقيل الهاكم اي انساكم التكاثر اي من الاموال والاولاد
قاله ابن عباس والحسن • وقال قتادة التفاخر بالقبائل والعشائر وقال
الضحاك الهاكم التشاغل بالمعايش والتجارة • يقال لهيت عن كذا بالكسر
الهى لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره والهاه اي شغله ولهاه
بلهيه اي علله • والتكاثر والمكاثرة • قال قتادة ومقاتل وغيرهما نزلت
في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبني فلان اكثر من بني فلان
الهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا • وقال ابن زيد نزلت في فخذ من الانصار
وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد
مناف وبني سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال
كل حي منهم نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثر بنو عبد مناف
سهما ثم تكاثروا بالاموات فكثر فنزلت الهاكم التكاثر احياكم فلم ترضوا
حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات • وعن عمرو بن دينار حلف ان هذه
السورة نزلت في التجار • وعن قتادة نزلت في اهل الكتاب والاية
تعم جميع ما ذكروه • وروى ابن شهاب عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان لابن ادم واديا من ذهب
احب ان يكون واديان ولن يملا فاه الا التراب ويتوب الله على من تاب
قال ثابت بن انس قال كنا نرى هذا من القران حتى نزلت الهاكم التكاثر
رواه البخاري • قال ابن العربي وهذا نص صحيح غاب عن اهل التفسير
وقرا ابن عباس الهاكم على استفهام التقرير والانكار ونقل في هذا
الموضع التسهيل ونقل فيه تحقيق الهمزتين من غير مد قوله
حتى زرتم حتى غاية لقوله الهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى اتاكم
الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون فيها كرجوع الزائر الى منزله
من جنة او نار يقال لمن مات قد زار قبره • وقيل الهاكم التكاثر حتى
عددتم الاموات كما تقدم • وقيل هذا وعيد اي اشتغلتم بمفاخر الدنيا
حتى تزوروا المقابر فتروا ما ينزل بكم من عذاب الله والمقابر جمع مقبرة
وجمع مقبرة بفتح الباء وضمها • والقبور جمع القبر وسمي سعيد المقبري
لانه كان يسكن المقابر وقبرت الميت اقبره قبرا اي دفنته واقبرته
اي امرت بان يقبر فصل قال المفسرون معنى الاية الهاكم حرصكم
على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت فانتم على ذلك • قال
ابن الخطيب فان قيل شان الزائر ان ينصرف قريبا والاموات ملازمون
القبور فكيف يقال انه زار القبر • وايضا فقوله حتى زرتم
المقابر اخبار عن الماضي فكيف يحمل المستقبل فالجواب عن الاول ان
سكان القبور لا بد ان ينصرفوا منها • وعن الثاني اما ان المراد من كان
مشرفا على الموت تذكرا وعبرة كما يقال انه على سبيل قبر • واما ان المراد من
تقدمهم كقوله تعالى ويقتلون النبيين • وقال ابو مسلم ان الله تعالى
يتكلم بهذه السورة يوم القيامة تعيير الكفار وهم في ذلك الوقت قد
تقدمت منهم زيارة القبور فصل قال القرطبي لم يات في
التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة وفيه نظر لانه تعالى قال في سورة
اخرى ثم اماته فاقبره • واعلم ان زيارة القبور من اعظم الادوية للقلب

القاسي لانها تذكر الموت والاخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا
وترك الرغبة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة • وروى ابو هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور قال
بعض اهل العلم كان هذا قبل ترخيصه في زيارة القبور للنسا لقلة صبرهن
فلما رخص دخل في الرخصة الرجال والنسا • وقال بعضهم انما كره زيارة القبور
للنسا لقلة صبرهن وكثرة جزعهن • وقال بعضهم زيارة القبور للرجال
متفق عليه • واما للنسا فمختلف فيه واما الشواب فحرام عليهن الخروج واما
القواعد فمباح لهن ذلك وجايز لجميعهن ذلك اذا انفردن بالخروج عن الرجال
بغير خلاف لعدم خشية الافتتان **فصل** ينبغي لمن زار القبور ان
يتادب بادابها ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها الا الطواف
فقط فان هذه حالة تشاركه فيها البهايم بل يقصد بزيارته وجه الله
تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من القران والدعا
ويتجنب المشي على القبور والجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر واذا وصل
الى قبر الميت الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من تلقا وجهه لانه في
زيارته كمخاطبته حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل
والاحباب ويتامل الزاير حال من مضى من اخوانه انه كيف تقطعت
امالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومحى التراب محاسن وجوههم وتفرقت
في القبور اجزاوهم وترمل من بعدهم نساهم وشمل ذل اليتم اولادهم
وانه لا بد صاير الى مصيرهم وان حاله كحالهم وماله كمالهم **قوله**
كلا قال الفرا اي ليس الامر على ما انتم عليه من التفاخر والتكاثر
والتمام على هذا كلا سوف تعلمون اي كلا سوف تعلمون عاقبة هذا
قوله ثم كلا سوف تعلمون جعله ابن مالك من التوكيد مع توسط
حرف العطف وقال الزمخشري والتكرير تاكيد للردع والرد عليهم
وثم دالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح
اقول لك ثم اقول لك لا تفعل انتهى ونقل عن علي رضي الله عنه
كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة فعلى هذا يكون
غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين • وثم على بابها من
المهلة وحذف متعلق العلم في الافعال الثلاثة لان الغرض الفعل لا
متعلقه • وقال الزمخشري والمعنى لو تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا
عاينتم ما انتم عليه انتهى فقدر له مفعولا واحدا كانه جعله بمعنى عرف
فصل قال ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب
في القبور ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار
للحالين وروى زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب
القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى ان قوله تعالى كلا سوف تعلمون
في القبور • وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاتكم رسل ربكم
بنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيمة انكم معذبون وعلى هذا
تضمنت احوال القيمة من بعث وحشر وعرض وسوال الى غير ذلك من
اهوال القيمة • وقال الضحاك كلا سوف تعلمون ايها المومنون وكذلك
كان يقراها الاولى بالياء والثانية بالتاء فالاولى وعيد والثانية وعد
قوله كلا لو تعلمون جواب لو محذوف اي لفعلتم ما لا يوصف
وقيل التقدير لرجعتم عن كبركم • قال ابن الخطيب وجواب لو محذوف
وليس لترون جوابها لان هذا مثبت وجواب لو يكون منفيا ولانه عطف
عليه

عليه قوله ثم لتسالن وهو مستقبل لا بد من وقوعه وحذف جواب
لو كثير • قال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين ما الهاكم • وقيل
لو تعلمون لماذا خلقتم لاشتغلتم وحذف الجواب افخم لانه يذهب الوهم
معه كل مذهب قال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون • وقال
تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم واعاد كلا وهو زجر وتنبيه لانه عقب
كل واحد بشي اخر كانه قال لا تفعلوا لانكم تندمون لا تفعلوا فانكم
تستوجبون العقاب • وعلم اليقين مصدر وقيل واصله العلم اليقين
فاضيف الموصوف الى صفته • وقيل لا حاجة الى ذلك لان العلم يكون
يقينا وغير يقين فاضيف اليه اضافة العام للخاص وهذا يدل على
ان اليقين اخص **فصل** قال المفسرون اضاف العلم الى اليقين
كقوله تعالى لهو حق اليقين • قال قتادة اليقين هنا الموت وعنه
ايضا البعث لانه اذا جا زال الشك اي لو تعلمون علم البعث او علم الموت
نعبر عن الموت باليقين كقولك علم الطب وعلم الحساب والعلم
اشد من البواعث على العمل فاذا كان بحيث يمكن العمل كان تذكرة وموعظة
وان كان بعد فوات العمل كان حسرة وندامة وفيها تهديد عظيم
للعلما الذين لا يعملون بعلمهم **قوله** لترون الجحيم جواب قسم
مقدر اي لترون الجحيم في الخطاب للكفار • وقيل عام كقوله تعالى وان
منكم الا واردها فهو للكفار مقر وللمومنين ممر • وقرا ابن عامر والكسائي
ترون مبنيا للمفعول وهو منقول من راى الثلاثي الى راى رباعي
فاكتسب مفعولا اخر فقام الاول مقام الفاعل وبقي الثاني منصوبا •
والباقون مبنيا للمفعول وهو منقول من راى الثلاثي وجعلوه غير
منقول فتعدى لواحد فقط فان الروية بصرية وامير المومنين
وعاصم وابن كثير في رواية عنهما بالفتح في الاول والضم في الثاني
يعني لترونها ومجاهد وابن ابي عبلة والاشهب بضمها فيهما والعامة
على ان الواوين لا يهمزان لان حركتهما عارضة • وقد نص مكي وابو البقا
على عدم جوازه وعللا بعروض الحركة • وقرا الحسن وابو عمرو بخلاف
عنهما بهمز الواوين استثقالا لضمة الواو • قال الزمخشري وهي
مستكرهة يعني لعروض الحركة عليها الا انهم قد همزوا ما هو اولى بعدم
الهمز من هذه الواو نحو اشتروا الضلالة همزوا واو اشتروا بعضهم
مع انها حركة عارضة وتزول في الوقف وحركة هذه الواو وان كانت
عارضة الا انها غير زايلة في الوقف فهو اولى بهمزها وقوله ثم لترونها
هذا مصدر موكد كانه قيل روية اليقين نفيا لتوهم المجاز في الروية
الاولى • وقال ابو البقا لان راى وعاين بمعنى **فصل** معنى الكلام
لترون الجحيم بابصاركم على البعد • ثم لترونها عين اليقين اي مشاهدة
وقيل هو اخبار عن دوام مقامهم في النار اي هي روية دايمة متصلة
والخطاب للكفار • وقيل لو تعلمون علم اليقين معناه لو تعلمون اليوم
في الدنيا علم اليقين بما امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون
قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فوادك وهو ان تصور لك
نار القيمة • ثم لترونها عين اليقين اي عند المعاينة بعين الراس فتراها
يقينا لا تغيب عن عينك • ثم لتسالن يوميذ عن النعيم في موقف السوال
والعرض • قال الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل النار لان ابا بكر رضي الله
عنه لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله صلى الله عليك ارايت
اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء

بارد عذب انكون ذلك من النعيم الذي يسال عنه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار. ثم قرا عليه الصلوة
والسلام وهل يجازى الا الكفور ولان ظاهر الاية يدل على ذلك
لان الكفار الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة
الله والاشتغال بشكر الله تعالى فيسالهم عنها يوم القيمة حتى
يظهر لهم ان الذي ظنوه لسعادتهم كان من اعظم الاسباب
لشقاوتهم. وقيل السوال عام في حق المومن والكافر لقوله صلى
الله عليه وسلم اول ما يسال العبد يوم القيمة عن النعيم فيقال
له الم نصحح جسمك الم نروك من الما البارد. وقيل الزايد على
ما لا بد منه. وقيل غير ذلك. قال ابن الخطيب والاولى على جميع
التفسير لان الالف واللام تفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ
الى البعض اولى من غيرها الى الباقي فيسال عنها هل شكرها ام كفرها
واذا قيل ان هذا السوال للكفار فقيل السوال في موقف الحساب
وقيل بعد دخول النار يقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم
في الدنيا بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم
الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة والله اعلم.

سورة والعصر مكية

وروى ابن عباس وقتادة انها مدنية وهي ثلاث ايات
واربع عشر كلمة وثمانية وستون حرفا. بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى والعصر قرا العامة بسكون الصاد وسلام والعم
بكسرها والصبر بكسر البا. قال ابن عطية وهذا لا يجوز الا في الوقف
على نقل الحركة وروى عن ابي عمرو بالصبر بسكون البا اسماما وهذا
ايضا لا يجوز الا في الوقف انتهى. ونقل هذه القراة جماعة كالهذلي وابي
الفضل الرازي وابن خالويه. قال الهذلي والعصر والصبر والفجر
والوتر بكسر ما قبل الساكن في هذه كلها هارون وابن موسى عن ابي
عمرو والباقون بالاسكان كالجماعة انتهى فهذا اطلاق منه لهذه القراة
في حالتي الوقف والوصل. وقال ابن خالويه والصبر بنقل حركة الرا
الى البا لئلا يحتاج ان ياتي ببعض الحركة في الوقف ولا الى ان يسكن
فيجمع بين ساكنين وذلك لغة متتابعة وليست بشاذة بل مستفيضة
وفي ذلك دلالة على الاعراب والفصل من التقا الساكنين وتادية
حق الموقوف عليه من السكون انتهى فهذا ابو ذن بما ذكر ابن الخطيب
انه كان ينبغي وانشدوا على ذلك. واصطفقا بالرحل يريد بالرحل

وقال اخر.

انا جرير كنيتي ابو عمرو ... اضرب بالسيف وسعد بالقصر
والنقل جايز في الضمة كقوله. اوحد العفر وله شروط. والعصر الليلة
واليوم قال.

ولن يلبث العصران يوم وليلة ... اذا طلبا ان يدركا ما يتيمما

وقال ابن عباس وغيره. والعصر اي الدهر. ومنه قول الشاعر

سبيل الهوى وعر ... وبحر الهوى غمر
ويوم الهوى شهر ... وشهر الهوى دهر

اقسم الله تعالى بالعصر لما فيه من الاعتبار للناظر بتصرف الاحوال
وتبدلها وما فيها من الادلة على الصانع. والعصر ايضا الغداة والعشي

قال

قال. واحطله العصرين حتى يملني. ويرضى بنصف الدين والانف راغم.
يقول اذا جاني اول النهار وعدته اخره. وقيل انه العشي وهو ما بين الزوال
والغروب قاله الحسن وقتادة ومنه قول الشاعر.

يروح بنا عمرو وقد قصر العصر ... وفي الروحة الاولى الغنيمة والاجر

وعن قتادة هو اخر ساعة من النهار اقسم سبحانه باخذ طرفي النهار
قاله ابو مسلم. وقيل اقسم تعالى بصلوة العصر وهي الوسطى لانها افضل
الصلوات قاله مقاتل. يقال اذن العصر اي لصلوة العصر وصليت العصر
اي صلوة العصر. وقال صلى الله عليه وسلم الوسطى صلوة العصر. وقيل
اقسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم لفضله بتجديد النبوة فيه
وقيل معناه ورب العصر. فصل. قال مالك رضي الله عنه
من حلف ان لا يكلم الرجل عصرا لم يكلمه سنة. قال ابن العربي انما حمل
مالك يمين الحالف ان لا يكلم الرجل عصرا على السنة لانه اكثر ما قيل فيه
وذلك على اصله في تغليظ المعنى في اليمين وقال الشافعي رحمه الله يبر بساعة
الا ان يكون له نية وبه اقول الا ان يكون الحالف عربيا فيقال
ما اردت فاذا فسره بما يحتمله قبل منه الا ان يكون الاقل. قوله
ان الانسان لفي خسر هذا جواب القسم والمراد به العموم بدليل الاستثنا
منه وهو من جملة ادلة العموم. وقال ابن عباس في رواية ابي صالح
المراد به الكافر. وقال في رواية الضحاك يريد جماعة من المشركين
الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد المطلب بن اسد
ابن عبد العزى والاسود بن يغوث. وقوله تعالى لفي خسر اي لفي غبن
وقال الاخفش لفي هلكة. وقال الفرا لفي عقوبة ومنه قوله تعالى وكان
عاقبة امرها خسرا. وقال الفرا لفي شر. وقيل لفي نقص. وقرا العامة
لفي خسر بسكون السين وزيد بن علي وابن هرمز وعاصم في رواية
وزاد القرطبي الاعرج وطلحة وعيسى الثقفي بضمها وهي كالعسر
واليسر وقد تقدم في البقرة والوجه فيها الاتباع وقال خسر وخسر
مثل عسر وعسر. وكان علي رضي الله عنه يقرا والعصر ونوايب
الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى اخر الدهر. وقال ابراهيم
ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع الا
المومنين فانه يكتب لهم اجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم
ونظيره قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل
سافلين قال وقراتنا والعصر ان الانسان لفي خسر فانه في اخر الدهر
والصحيح ما عليه الامة والمصاحف. وقيل المعنى ان الانسان لا ينفك
عن تضييع عمره لان كل ساعة تمر بالانسان فان كانت في معصية فالخسر
ظاهر وكذلك ان مرت في مباح وان مرت في طاعة فكان يمكن ان ياتي
بها على وجه اكمل اي من الخشوع والاخلاص وترك الاعلا والاتيان
بالادنى نوع خسران والخسر والخسران مصدران وتنكير الخسر اما للتعظيم
واما للتحقير بالنسبة الى خسر الشياطين والاول اظهر وافرد الخسر مع
كثرة انواعه لان الخسر الحقيقي هو حرمانه عن خدمة ربه تعالى وما عدا
ذلك فكالعدم وفيه مبالغات دخول ان واللام واحاطة الخسر به
اي هو في طريقه وبسبب خسر. قوله الا الذين امنوا استثنا
من الانسان اذ المراد به الجنس على الصحيح وعملوا الصالحات ادوا
الفرايض المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابي بن كعب رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم

والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبي الله صلى الله عليك وسلم قال
والعصر قسم من الله اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل
الا الذين امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا
بالصبر علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس
على المنبر موقوفا عليه ومعنى تواصوا اي تحابوا واوصى بعضهم بعضا
وحث بعضهم بعضا بالحق اي بالتوحيد كذا روى الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنه وقال قتادة بالحق اي بالقران وقال السدي
الحق هنا الله تعالى وتواصوا بالصبر على طاعة الله تعالى والصبر عن
معاصيه روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم من قرا سورة والعصر
ختم الله له بالصبر وكان مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم القيمة والله اعلم

سورة الهمزة مكية

وهي تسع ايات وثلاث وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ويل لكل همزة لمزة الويل لفظ
الذم والسخط وهي كلمة كل مكروب وقد تقدم الكلام في الويل ومعناه
الخزي والعقاب والهلكة وقيل واد في جهنم لكل همزة اي كثير الهمز
وكذلك اللمزة الكثير اللمز وتقدم معنى الهمز في سورة ن واللمز في سورة
براءة والعامة على فتح ميمهما على ان المراد الشخص الذي كثر منه ذلك
الفعل قال زياد الاعجم

تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا ... وان اغيب فانت الهامز اللمزه

وقرا ابو جعفر والاعرج بالسكون وهو الذي يهمز ويلمز اي ياتي بما يهمز
به ويلمز كالضحكة لمن يكثر ضحكه والضحكة لمن ياتي بما يضحك منه وهو
مطرد يعني ان فعلة بفتح العين لمن يكثر منه الفعل وبسكونها لمن يكون
الفعل بسببه قال ابن عباس رضي الله عنه هم المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال
صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة
الباغون للبرآء العيب وعن ابن عباس رضي الله عنه الهمزة القتات
واللمزة المغتاب القتات هو النمام يقال قت الحديث يقته اذا
زوره وهياه وسواه وقيل النمام الذي يكون مع القوم يتحدثون
فينم عليهم والقتات الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم
والمغتاب الذي يسال عن الاخبار ثم ينمها نقله ابن الاثير وقال
ابو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن ابي رباح الهمزة الذي يغتاب
ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يغتابه من خلفه وهذا اختيار
النحاس قال ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال
مقاتل ضد هذا القول ان الهمزة الذي يغتاب بالغيبة واللمزة
الذي يغتاب في الوجه وقال قتادة ومجاهد الهمزة الطعان في
انسابهم وقال ابن زيد الهامز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم
واللمز الذي يلمزهم بلسانه ويلمز بعينه وقال ابن كيسان الهمزة
الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه ويشير
بعينه وراسه وبحاجبه وقرا عبد الله بن مسعود وابو وائل والنخعي
والاعمش ويل للهمزة اللمزة واصل الهمز الكسر والعض على الشيء بعنف ومنه
همز الحرف وهمزت راسه وهمزة الجوز يعني كسرته وقيل اصل الهمز واللمز
الدفع

الدفع والضرب بقوة يلمزه لمزا اذا ضربه ودفعه وكذلك همزه اي
دفعه وضربه قال الراجز

ومن همزنا عزه تبركعا ... على استه زوبعة او زوبعا

البركعة القيام على اربع وبركعه فتبركع اي صرعه فوقع على استه قاله
في الصحاح **فصل** روى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في الاخنس
ابن شريق كان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين وقال ابن جريج
نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من
ورائه ويقدح في وجهه وقيل نزلت في ابي بن خلف وقيل في جميل بن عامر
الثقفي وقيل انها عامة من غير تخصيص وهو قول الاكثرين قال
مجاهد ليست بخاصة لاحد بل لكل من كانت هذه صفته وقال
الفراء يجوز ان يذكر الشيء العام ويقصد به الخاص قصد الواحد اذا قال لا ازورك
ابدا فيقول من لم يزرني فلست بزائره يعني ذلك القائل
فصل قال ابن الخطيب فان قيل ههنا ويل منكرا وفي موضع
اخر ولكم الويل فالجواب لان ثمة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فقال
ولكم الويل وههنا نكر حق لا يعلم كنهه الا الله تعالى معرفا وقيل
في ويل انها كلمة تقبيح وويس استصغار وويح ترحم فنبه بهذا على قبح
هذا الفعل **قوله** الذي جمع قرا ابن عامر والاخوان بتشديد الميم
على المبالغة والتكثير ولانه يوافق عدده وقرا الباقون مخففا وهي محتملة
للتكثير وعدمه وقوله تعالى وعدده العامة على تثقيل الدال الاولى
وهي ايضا للمبالغة وقرا الحسن والكلبي بتخفيفها وفيه اوجه
احدها ان المعنى جمع مالا وعدد ذلك المال اي وجمع عدده اي احصاه
والثاني ان المعنى وجمع عدد نفسه من عشيرته واقاربه وعدده وعلى
هذين التاويلين اسم معطوف على مالا اي وجمع عدد المال وعدد نفسه
الثالث ان عدده فعل ماض بمعنى عده الا انه شذ في اظهاره كما شذ في
قوله ان اجود لاقوام وان ضننوا اي ضنوا وبخلوا فاظهر التضعيف
والذي بدل من كل او نصب على الذم او رفع وصفه تعالى بهذا الوصف
لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز وهو اعجابه بما جمع من
المال وظنه ان الفضل فيه فلاجل ذلك يستنقص غيره
فصل قال المفسرون جمع مالا وعدده اي اعده لنوائب الدهر مثل كرم
واكرم وقيل احصى عدده قاله السدي وقال الضحاك اي اعد ماله
لمن يرثه من اولاده وقيل فاخر بعدده وكثرته والمقصود الذم على
امساك المال عن سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع للخير وقوله تعالى وجمع
فاوعى **قوله** يحسب يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من فاعل
جمع واخلده بمعنى يخلده واوقع الماضي موقع المضارع وقيل هو على اصله
اي اطال عمره قال السدي اي يظن ان ماله اخلده اي يبقيه حيا لا يموت
وقال عكرمة اي يزيد في عمره وقيل احياه فيما مضى وهو ماض بمعنى
المستقبل يقال هلك والله فلان ودخل النار اي يدخل النار **قوله**
كلا رد لما توهمه الكافر اي لا يخلد ولا يبقى له مال وقيل حقا لينبذن
قوله لينبذن جواب قسم مقدر وقرا علي والحسن رضي الله عنهما
بخلاف عنه ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد وحميد وابن محيصن
وابو عمرو في رواية لينبذان بالف التثنية اي لينبذان اي هو وماله
وعن الحسن ايضا لينبذن بضم الذال وهو مسند لضمير جماعة اي الهمزة
وانصاره والهمزة والمال وجامعه معا وقرا الحسن ايضا لينبذن

على معنى لينبذن ماله • وعنه ايضا بالنون اى لينبذنه على اخبار الله تعالى
عن نفسه انه ينبذ صاحب المال في الحطمة وهي نار الله سميت بذلك
لانها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه • والحطمة الكثير الحطم ويقال
رجل حطمة اي اكول وحطمته كسرته والحطام منه قال

• قد لفها الليل بسواق حطم • وقال اخر •

• انا حطمنا بالقضيب مصعبا • يوم كسرنا انفه ليغضبا •

حكى الماوردي عن الكلبي ان الحطمة هي الطبقة السادسة من طبقات
جهنم • وحكى القشيري عنه الحطمة الدرجة الثانية من درج النار
وقال الضحاك الدرك الرابع • وقال ابن زيد اسم من اسمائها
قوله وما ادراك ما الحطمة تعظيم لشانها وتفخيم لامرها
ثم فسرها ما هي فقال نار الله الموقدة اي هي نار الله التي اوقد عليها
الف عام حتى احمرت والف عام حتى اسودت والف عام حتى ابيضت
قوله التي تطلع يجوز ان يكون تابعة لنار الله وان يكون مقطوعة
قال محمد بن كعب تاكل النار جميع اجسادهم حتى اذا بلغت الفؤاد
خلقوا خلقا جديدا فرجعت تاكلهم • وكذا روى خالد بن ابي عمران عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم
انتهت ثم اذا صدروا تعود فذلك قوله تعالى نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة وخص الافئدة لان الالم اذا صار الى الفؤاد
مات صاحبه اي انهم في حال من يموت ولا يموتون كقوله تعالى لا
يموت فيها ولا يحيى فهم احيا في معنى الاموات • وقيل معنى تطلع على
الافئدة اي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب
يقال اطلع فلان على كذا اى علمه **قوله** انها عليهم موصدة
اي مطبقة عليهم • قال الحسن والضحاك وقد تقدم في سورة البلد
وقيل مغلقة بلغة قريش يقولون اصدت الباب اذا اغلقته قاله
مجاهد ومنه قول عبد الله بن قيس بن الرقيات •

• ان في القصر لو دخلنا غزالا • مصفقا موصدا عليه الحجاب •

قوله في عمد • قرا الاخوان وابو بكر بضمتين جمع عمود نحو رسول
ورسل • وقيل جمع عماد نحو كتاب وكتب • وروى ابن عمرو الضم
والسكون وهو تخفيف لهذه القراءة • والباقون عمد بفتحتين
فقيل اسم جمع لعمود وقيل بل هو جمع له قال الزجاج كاديم وادم
وقال ابو عبيدة هو جمع عماد • وفي عمد يجوز ان يكون حالا من الضمير
في عليهم اي موثقين وان يكون خبرا لمبتدا مضمر اي هم في عمد
وان يكون صفة لموصدة قاله ابو البقا فتكون النار داخل
العمد • وقال القرطبي في بمعنى البا اي موصدة بعمد ممددة
قاله ابن مسعود وهي في قراته بعمد ممددة • قال الجوهري العمد
جمع عمود البيت وجمع القلة اعمدة وجمع الكثرة عمد وقرى بهما
في قوله تعالى في عمد ممددة • وقال ابو عبيدة العمود كل مستطيل
من خشب وحديد • وقيل اصل البنا مثل العماد عمد الشي فانه اي
اقمته بعماد تعتمد عليه واعمدته جعلت تحته عمدا **فصل**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يبعث
عليهم ملائكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم
بتلك الاطباق وتشد عليهم بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا
يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون فيها زفير وشهيق

فذلك

قوله تعالى انها عليهم موصدة في عمد ممددة • وقال قتادة يعذبون
بها واختاره الطبري • وقال ابن عباس ان العمد الممدودة اغلال
في اعناقهم • وقال ابو صالح قيود في ارجلهم • وقال القشيري العمد
اوتاد الاطباق • وقيل المعنى في دهور ممدودة لا انقطاع لها • قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا ويل لكل همزة اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم

سورة الفيل مكية

وهي خمس ايات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل هذه قراءة الجمهور
اعني فتح الراء وحذف الالف للجزم • وقرا السلمي تر بسكون الراء كانه لم
يعتد بحذف الالف كقولهم لم ابله • وقرا ايضا ترا بسكون الراء وهمزة
مفتوحة وهو الاصل • وكيف معلقة للرؤية وهي منصوبة بفعل
بعدها لا بالم تر كيف من معنى الاستفهام **فصل**
الم يخبر • وقيل الم يعلم • وقال ابن عباس الم يسمع واللفظ استفهام والمعنى الخبر
والمعنى تقرير والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه عام اي
الم تروا ما فعلت باصحاب الفيل اي قد رايتم ذلك وعرفتم موضع
منتي عليكم فما لكم لا تؤمنون **فصل** الفيل معروف والجمع افيال
وفيول وفيلة • قال ابن السكيت ولا يقال افيلة وصاحبه فيال
قال سيبويه يجوز ان يكون اصل فيل فعل فكسر من اجل الياء كما قالوا
بيض وبيض • وقال الاخفش هذا لا يكون في الواحد انما يكون في الجمع ورجل
فيل الراي اي ضعيف الراي والجمع افيال • ورجل فال اي ضعيف الراي
مخطي الفراسة • وقد فال الراي يفيل فيولة وفيل رايه تفييلا اي ضعف
فهو فيل الراي **فصل** روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك
اليمن بنى كنيسة بصنعاء لم ير مثلها وسماها القليس واراد ان يصرف
اليها الحاج فخرج رجل من بني كنانة مختفيا وجعل يبول ويتغوط في تلك
الكنيسة ليلا فاغضبه ذلك • وقيل اججت نارا فحملتها الريح فاحرقتها فقال
من صنع هذا فقيل له رجل من اهل البيت الذي يحج العرب اليه فحلف ليهدمن
الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية
اخرى وقيل اثنا عشر وقيل الف وبعث رجلا الى بني كنانة يدعوهم الى
حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل فزاد ذلك ابرهة غضبا
وحنقا فسار ليهدم الكعبة فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب
وعرض عليه بثلث اموال تهامة ليرجع فابى وقدم الفيل فكانوا كلما
يوجهوه الى الحرم برك واذا وجهوه الى اليمن او الى ساير الجهات هرول
ثم ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مايتي بعير فخرج اليهم بسببها فلما راه ابرهة
عظم في عينه وكان رجلا جسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير
مكة فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على بساطه ثم قال لترجمانه
قل له حاجتك فلما ذكر حاجته قال له سقطت من عيني جئت لاهدم البيت
الذي هو دينك ودين ابائك لا تكلمني فيه والهاك عنه ذود لم احبها لك
فقال له عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه ثم رجع
واتى البيت فاخذ بحلقة الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله
تعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب •

• لا هم ان العبد يمنع رحله • فامنع حلالك • لا يغلبن صليبهم ومحالهم

عدوا لمالك ان يدخلوا البيت الحرام فامر لهم ما قد بدالك
غيره يا رب لا ارجو سواكا يا رب فامنع منهم حماكا ان عدا البيت
من عاداك المفوهم ان يخربوا قراكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو
بطير من ناحية اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية
ولا تهامية وكان مع كل طير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من
العدسة واصغر من الحمصة قال الراوي فارسل عبد المطلب حلقة
باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال
ينتظرون ما يفعل ابرهة اذا دخل مكة فارسل عليهم طيرا من البحر امثال
الخطاطيف مع كل طاير منها ثلاثة احجار فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج
من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل وذكر
عن ابن عباس رضي الله عنه انه راى من تلك الاحجار عند ام هاني نحو
قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري قال الراوي وليس كلهم اصابت
وخرجوا هاربين يبتدرون الى الطريق التي منها جاوا وروي ان ابرهة
تساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت
هو وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى قدموا فضيعا وهو مثل فرخ
الطاير وقيل قدموا على النجاشي فقص عليهم القصة فلما تمها وقع عليه
الحجر فخر ميتا بين يديه **فصل** حكى الماوردي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ولدت عام الفيل وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال يوم الفيل وقال في كتاب اعلام النبوة ولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان بعد
الفيل بخمسين يوما ووافق من شهور الروم العشرين من اسباط من
السنة الثانية عشر من ملك هرمز بن انوشروان قال وحكى
ابو جعفر الطبري ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين
من ملك انوشروان وقد قيل انه صلى الله عليه وسلم حملت به
امه يوم عاشورا من شهر المحرم حكاه ابن شاهين ابو حفص في فضايل
يوم عاشورا وولد يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
فكانت مدة حمله صلى الله عليه وسلم ثمانية اشهر كملا ويومين من
التاسع وقال ابن الجوزي قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين
مقعدين يستطعمان الناس **فصل** قال بعض العلما كانت
قصة الفيل مما يعد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله
وقبل التحدي لانها كانت توكيدا لامره وتمهيدا لشانه ولما تلى عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كان بمكة عدد كثير ممن
شهد تلك الواقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد
راى قايد الفيل وسايقه اعميين يتكففان الناس قالت عايشة
رضي الله عنها مع حداثة سنها لقد رايت قايد الفيل وسايقه اعميين
يستطعمان الناس **قوله** الم يجعل كيدهم في تضليل اي في ابطال
وتضييع والكيد هو ارادة مضرة بالغير لاجل ارادوا ان يكيدوا
قريشا بالقتل والسبي والبيت بالتخريب والهدم قالت المعتزلة
اضافة الكيد اليهم دليل على انه تعالى لا يرضى بالقبيح اذ لو رضي لاضافه
الى ذاته **قوله** وارسل عليهم طيرا ابابيل قال النحاه ابابيل نعت
لطير لانه اسم جمع وابابيل قيل لا واحد له كاساطير وعباديد وقيل واحده
ابول كعجول وقيل ابال وقيل ابيل مثل سكين وحكى الرقاشي ابابيل جمع ابالة

بالتشديد

بالتشديد وحكى الفرا ابالة مخففة **فصل** الابابيل الجماعات
شيا بعد شيء قال

طريق وجبار روا اصوله عليه ابابيل من الطير تنعب

وقد يستعار لغير الطير كقوله

كادت تهد من الاصوات راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

قال ابو عبيدة ابابيل جماعات في تفرقة يقال جاءت الخيل ابابيل من
هنا وهنا قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السما لم ير مثلها
وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم انها طير بين السما والارض تعشش
وتفرخ وعن ابن عباس رضي الله عنه كان لها خراطيم كخراطيم الطير
واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر
لها رؤوس كرؤوس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عايشة
رضي الله عنها هي اشبه شي بالخطاطيف وقيل بل كانت اشبه بالوطا وبط
وقيل انها العنقا التي تضرب بها الامثال قال النحاس وهذه
الاقوال متفقة المعنى وحقيقة المعنى انها جماعات عظام يقال
فلان وبل على فلان اي تعظم عليه وتكبر وهو مشتق من الابل
فصل قال ابن الخطيب هذه الاية رد على الملحدين جدا
لانهم ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق والخسف وساير
الاشيا التي عذب الله تعالى بها الامم اعذارا ضعيفة اما هذه
الواقعة فلا يجري فيها تلك الاعذار وليس في شي من الطبايع والحيل
ان يقصد طير امعها حجارة فتقصد قوما دون قوم فتقتلهم ولا
يمكن ان يقال انه كساير الاحاديث الضعيفة لانه لم يكن بين
عام الفيل ومبعث الرسول الا نيف واربعين سنة ويوم تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وقد بقي جمع شاهدوا
تلك الواقعة فلا يجري فيها تلك الاعذار ولو كان النقل ضعيفا
لكذبوه فعلمنا انه لا سبيل للطعن فيه **قوله** ترميهم بحجارة
ترميهم صفة لطير وقرا العامة ترميهم بالتا لتانيث وابو حنيفة
وابن يعمر وعيسى وطلحة بالياء من اسفل اوها وامنهمات لان اسم الجمع
يذكر ويونث ومن التانيث قوله كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد
وقيل الضمير لربك اي يرميهم ربك بحجارة ومن سجيل صفة لحجارة
والسجيل قال الجوهري قالوا حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب
فيها اسما القوم لقوله لنرسل عليهم حجارة من طين وقال عبد الرحمن
ابن ابزى من سجيل اي من السما وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط
وقيل من الجحيم وهي سجين ثم ابدلت النون لاما كما قالوا اصيلان اصيلال
قال ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا
وقال الزجاج من سجيل اي مما كتب عليهم ان يعذبوا به مشتق من السجل
وقد تقدم القول في السجيل في سورة هود قال عكرمة كان اذا اصاب احدهم
الحجر خرج به الجدري ولم ير قبل ذلك اليوم وقال ابن عباس رضي الله عنه
كان الحجر اذا وقع على احدهم نفط جلده فكان ذلك اول الجدري قال
يونس وابو عبيدة السجيل عند العرب الشديد الصلب قال وزعم بعض
المفسرين انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما هو سنج
وجيل فالسنج الحجر والجيل الطين اي من هذين الجنسين الحجر والطين قال ابن
اسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة انه اول ما رايت الحصبة بارض العرب

السورة في الركعة الأولى والتي بعدها في الركعة الثانية ولا يمتنع الوقف على أعجاز الآيات سواء تم الكلام أم لا.

فصل: قريش اسم القبيلة، قيل هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي دون كنانة وهو الصحيح. وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلده فهر فليس بقرشي، فوقع الوفاق على بني فهر قرشيون وعلى أن كنانة ليسوا بقرشيين ووقع الخلاف في النضر ومالك. واختلف في اشتقاقه على أوجه: أحدها أنه من التقرش وهو التجمع، سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم، قال:

أبونا قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

والثاني أنه من القرش وهو الكسب، كانت قريش تجارا يقال قرش يقرش أي اكتسب. الثالث أنه من التفتيش يقال قرش يقرش عني أي فتش، وكانت قريش يفتشون على ذوي الخلات فيسدون خلتهم، قال الشاعر:

أيها الشامت المقرش عنا ... عند عمرو فهل له إبقاء

الرابع أن معاوية سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال سميت بدابة في البحر يقال لها القرش من أقوى دابة تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى، وأنشد قول تبع:

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك ... لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ... يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا

ثم قريش إما أن يكون مصغرا من مزيد على الثلاثي فيكون تصغير ترخيم فقيل الأصل مقرش وقيل قارش، وإما أن يكون مصغرا من ثلاثي نحو القرش، وأجمعوا على صرفه هنا مرادا به الحي، ولو أريد به القبيلة لامتنع من الصرف كقوله:

غلب المساميح الوليد سماحة ... وكفى قريش المعضلات وسادها

قال سيبويه في معد وقريش وثقيف وكينونة هذه للأحياء أكثر وإن جعلتها أسماء للقبائل فهو جائز حسن.

قوله: إيلافهم مؤكد للأول تأكيدا لفظيا وأعربه أبو البقاء بدلا.

قوله: رحلة مفعول به بالمصدر والمصدر مضاف لفاعله أي لأن ألفوا رحلة، والأصل رحلتي الشتاء والصيف ولكنه أفرد لأمن اللبس كقوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا. قاله الزمخشري. وفيه نظر لأن سيبويه يجعل هذا ضرورة كقوله: حمامة بطن الواديين ترنمي. قال الليث: الرحلة اسم لارتحال القوم للمسير، وقيل رحلة اسم جنس وكانت لهم أربع رحل وجعله بعضهم غلطا وليس كذلك. قال القرطبي: ورحلة نصب بالمصدر أي ارتحالهم رحلة، ولو قرئ إيلافهم على أو على الظرف لجعلها في محل الرفع على معنى هما رحلتان الشتاء والصيف جاز. وقرأ العامة بكسر الراء وهي مصدر، وأبو السمال بضمها وهي الجهة التي يرحل إليها. والشتاء واوي لقولهم أشتوة وشتا يشتو شتوا وإلى النسب إليه فقالوا شتوي والقياس شتائي أو شتاوي ككسائي وكساوي.

فصل: قال مجاهد في قوله تعالى: إيلافهم رحلة الشتاء والصيف قال: لا يشق عليهم رحلة الشتاء والصيف منة منه على قريش. وقال الهروي وغيره: كان أصحاب الإيلاف أربعة إخوة: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف، فأما هاشم فإنه كان يؤلف ملك الشام أي أخذ منه عهدا يأمن به في تجارته إلى الشام، وأخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل

الفارس

إلى فارس، ومعنى يؤلف يجير، فكان هؤلاء الإخوة يسمون المجيرين، فكان تجار قريش يختلفون إلى الأمصار بحبل هؤلاء فلا يتعرض لهم. قال الأزهري: الإيلاف شبه الإجارة بالخفارة، يقال آلف يؤلف إذا أجار الحمائل بالخفارة، والحمائل جمع حمولة. والمعنى أن قريشا كانوا سكان الحرم ولم يكن زرع ولا ضرع وكانوا آمنين في الشتاء والصيف والناس يتخطفون من حولهم، فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا نحن حرم الله فلا يتعرض لهم أحد، وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء لأنها بلاد حامية، والرحلة الأخرى في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة. وقال ابن عباس: كانوا يشتون بمكة لدفئها ويصيفون بالطائف لهوائها، وهذا من أجل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف، فذكرهم الله تعالى هذه النعمة.

فصل: قال مالك رضي الله عنه: الشتاء نصف السنة والصيف نصفها. وقال قوم: أخرجت الزمان أربعة أقسام: شتاء وربيع وصيف وخريف. وقيل: شتاء وصيف وقيظ وخريف. قال القرطبي: والذي قال مالك أصح لأن الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا.

قوله: فليعبدوا رب هذا البيت أمرهم تعالى بعبادته وتوحيده لأجل إيلافهم رحلتين، وتقدم الكلام على الفاء. والبيت الكعبة. وفي تعريف نفسه لهم بأنه تعالى رب هذا البيت وجهان: أحدهما لأنه كانت لهم أوثان فميز نفسه تعالى عنها. الثاني لأنهم شرفوا بالبيت على سائر العرب فذكر لهم ذلك تذكرة للنعمة. وقيل المعنى: فليعبدوا رب هذا البيت أي ليألفوا عبادة رب هذا البيت كما كانوا يألفون الرحلتين.

قوله: الذي أطعمهم من جوع أي من أجل جوع وآمنهم من أجل خوف، والتنكير للتعظيم أي من جوع عظيم وخوف عظيم. وقال أبو البقاء: ويجوز أن يكون في موضع الحال من مفعول أطعمهم. وأخفى نون من في الخاء نافع في رواية، وكذلك في العين وهي لغة حكاها سيبويه.

فصل: قال ابن عباس رضي الله عنه: بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال: رب اجعل هذا البلد آمنا وارزقهم من الثمرات. وقال ابن زيد: كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضا فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم. وقيل: شق عليهم السفر في الشتاء والصيف فألقى الله تعالى في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاما في السفن فخافت قريش منهم وظنوا أنهم قدموا لحربهم فخرجوا إليهم متحرزين فإذا هم قد جلبوا إليهم الطعام وأعانوهم بالأقوات، فكان أهل مكة يخرجون إلى جدة بالإبل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين. وقيل: إن قريشا لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال: اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فاشتد القحط فقالوا: يا محمد ادع الله لنا فإنا مؤمنون، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام إلى مكة وأخصب أهلها. وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان: وآمنهم من

خوفا اي من خوف الحبشة مع الفيل • وقال علي رضي الله عنه وامنهم
من ان تكون الخلافة الا فيهم • وقيل كفاهم اهل الايلاف من الملوك
روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم من قرا سورة لايلاف
قريش اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة
واعتكف بها والله اعلم •

• سورة الدين مكية

وتسمى الماعون مكية في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس
رضي الله عنه ومدنية في قول له اخر • وقول قتادة وغيره
وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون
حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ارايت الذي يكذب
بالدين اي بالجزا والحساب • وقرا الكسائي ارايت بسقوط الهمزة
وتقدم تخفيفه في الانعام • وقال الزمخشري وليس بالاختيار •
لان حرفها تختص بالمضارع ولم يصح عن العرب رايت او سمعت
نزاع زيد في الصرع ما يرى في العلاب وفي ارايت هذه وجهان •
احدها انها بصرية فتتعدى لواحد وهو الموصول كانه قال
ابصرت المكذب • والثاني انها بمعنى اخبرني فيتعدى لاثنين فقدره
الحوفي اليس مستحقا للعذاب والزمخشري من هو ويدل عليه قراءة
عبد الله ارايتك بكاف الخطاب والكاف لا تلحق البصرية قال
القرطبي في الكلام حذف • والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب
هو او مخطئ **فصل** نقل ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه
قال نزلت في العاص بن وائل السهمي وهو قول الكلبي ومقاتل
وروى الضحاك عنه قال نزلت في رجل من المنافقين • وقال
السدي نزلت في الوليد بن المغيرة • وقيل في ابي جهل • وعن الضحاك
في عمرو بن عائذ • وقال ابن جريج في ابي سفيان وكان ينحر في كل
اسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيئا فقرعه بعصاه فانزل الله
تعالى هذه السورة • قال ابن الخطيب وقيل انه عام في كل مكذب
بيوم **قوله** فذلك فيه وجهان احدهما ان الفا جواب
شرط مقدر اي تامله وان طلبت علمه فذلك • والثاني انها عاطفة
فذلك على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على
صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه
قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزا وفيمن يؤذي اليتيم ولا
يطعم المسكين انعم ما يصنع • فعلى الاول يكون اسم الاشارة في محل
رفع بالابتدا والخبر الموصول بعده واما على انه خبر لمبتدا مضمر
اي فهو ذلك والموصول نعته وعلى الثاني يكون منصوبا
بالنسق على ما هو منصوب الا ان ابا حيان رد الثاني فقال
فجعل ذلك في موضع نصب عطفا على المفعول وهو تركيب غريب
كقولك اكرمت الذي يزورنا فذلك الذي يحسن الينا فالمتبادر
الى الذهن فذلك مرفوع بالابتدا وعلى تقدير النصب يكون
التقدير اكرمت الذي يزورنا فاكرمت ذلك الذي يحسن الينا
فالمتبادر الى الذهن فذلك مرفوع بالابتدا وعلى تقدير النصب يكون
التقدير اكرمت الذي يزورنا فاكرمت ذلك الذي يحسن الينا فاسم
الاشارة في هذا التقدير غير متمكن تمكن ما هو فصيح اذ لا حاجة الى

الذوات

ان وان الذي يزورنا بل الفصيح اكرم الذي يزورنا فالذي يحسن
الينا • واما قوله فذلك اما عطف ذات على ذات فلا يصح لان فذلك
اشارة الى الذي يكذب فليسا بذاتين لان المشار اليه بذلك واحد
واما تقديره انعم ما يصلح فهمزة الاستفهام لا تعلم دخولها على نعم
ولا بيس لانهما انشا والاستفهام لا يدخل الا على الخبر انتهى والجواب
عن قوله فاسم الاشارة غير متمكن الى ان الفرق بينهما ان في الاية
الكريمة استفهاما وهو ارايت فحسن ان يعتبر في ذلك المستفهم منه
بخلاف المثال الذي مثل به فمن ثم حسن التركيب المذكور • وعن
قوله لان فذلك اشارة الى القائم لا الى زيد وان كان يجوز ان
يكون اشارة اليه • وعن قوله فلا يسمى جوابا ان النحاة يقولون
جواب الاستفهام وهذا قد تقدمه استفهام فحسن ذلك • وعن
قوله والاستفهام لا يدخل الا على الخبر بالمعارضة بقوله فهل
عسيتم فان عسى انشا فما جوابا له فهو جواب لنا **فصل**
قال ابن الخطيب هذا اللفظ وان كان في صورة الاستفهام
لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب كقولك ارايت فلانا ماذا
ارتكب ثم قيل انه خطاب للرسول عليه الصلوة والسلام • وقيل
خطاب لكل عاقل **قوله** يدع اليتيم قرا العامة بضم الدال
وتشديد العين من دعه اي دفعه وامير المؤمنين والحسن وابو
رجا يدع بفتح الدال وتخفيف العين اي يتركه ويهمله **فصل**
قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه فذلك الذي يدع اليتيم
اي دفعه عن حقه قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا • وقال
قتادة يقهره ويظلمه وقد تقدم في سورة النساء انهم كانوا لا يورثون
النسا ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان
ويضرب بالحسام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم
يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة **قوله**
ولا يحض على طعام المسكين اي لا يامر به من اجل بخله وتكذيبه الجزا
والحساب • وقرا زيد بن علي ولا يحاض من المحاضة وقد تقدم في الفجر
قال القرطبي وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ولكنهم كانوا
يبخلون ويعتذرون لانفسهم يقولون انطعم من لو يشا الله اطعمه
فنزلت هذه الاية فيهم فيكون معنى الاية لا يفعلون به ان قدروا
ولا يحضون عليه ان عسروا **قوله** فويل مبتدا ومعناه عذاب
لهم • وقوله للمصلين خبر والفا للسبب اي تسبب عن هذه الصفات
الذميمة الدعا عليهم بالويل • قال الزمخشري بعد قوله كانه قيل اخبرني
بما يقول فيمن يكذب بالدين ٦ نعم ما يصنع ثم قال الله تعالى
فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم
لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة
مرائين غير مزكين اموالهم • فان قلت كيف جعلت المصلين قائما
مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به
الجنس • قال ابو حيان واما وصفه المصلين موضع الضمير وان
المصلين جمع لان ضمير الذي يكذب معناه الجمع فتكلف واضح ولا ينبغي
ان يحمل القران الا على ما عليه الظاهر وعادة هذا الرجل تكلف اشيا
في فهم القران ليست بواضحة • قال شهاب الدين وعادة هذا
الرجل التحامل على الزمخشري حتى يجعل حسنه قبيحا وكيف يرد ما له

وفيه ارتباط الكلام بعضه ببعض وجعله شيا واحدا وما تضمنه
من المبالغة في الوعيد في ابراز وصفهم الشنيع ولا شك ان الظاهر
من الكلام ان السورة كلها في وصف قوم جمعوا بين هذه الاوصاف
كلها من التكذيب بالدين ودفع اليتيم وعدم الحض على طعام
المسكين والسهو في الصلوة والمراآة ومنع الخير **قوله** الذين هم
يجوز ان يكون مرفوع المحل وان يكون منصوبه وان يكون مجروره
تابعا او بدلا او بيانا وكذلك الموصول الثاني الا انه يحتمل ان يكون
تابعا للمصلين وان يكون تابعا للموصول الاول وقوله يراوون
اصله يرايبون ليفاعلون ومعنى المراآة ان المرائي يري الناس
عمله وهم يرون الثنا عليه فالمفاعلة فيها واضحة وقد تقدم
تحقيقه **فصل** في اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه
الاول انه لما كان ايذا اليتيم والمنع من بذل طعام المسكين
دليلا على النفاق لان ما بين الخصلتين معاملة مع الخالق الثاني
انه تعالى لما ذكرها بين الخصلتين مع التكذيب بيوم الدين
قال ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر تعالى ويل لمن هذه
الصلوة كيف لا تنهاه عن هذه الافعال المنكرة الثالث انه يقول
اقدامه على ايذا اليتيم وتركه للحث على طعام المسكين تقصير
في الشفقة على خلق الله تعالى وسهوه في الصلوة تقصيره في التعظيم
لامر الله تعالى فلما وقع التقصير في الامرين كملت شقاوته
فصل قال ابن عباس هو المصلي الذي ان صلى لم يرج لها
ثوابا وان تركها لم يخش عليها عقابا وعنه ايضا قال الذين هم
يوخرونها عن اوقاتها قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فويل للمصلين
الذين هم عن صلوتهم ساهون قال النبي صلى الله عليه وسلم
الذين يوخرون الصلوة عن وقتها تهاونا بها وقيل لا يتمون
ركوعها ولا سجودها وقال ابراهيم هو الذي يلتفت في سجوده
وقال قطرب هو ان لا يقرا ولا يذكر الله وفي قراة عبد الله
الذين هم عن صلوتهم ساهون وعن ابن عباس ايضا هم
المنافقون يتركون الصلوة سرا ويصلونها علانية واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى الاية وهذا يدل على انها في المنافقين
قوله الذين هم يراوون ورواه ابن وهب عن مالك رضي
الله عنه **فصل** قال ابن عباس ولو قال في صلوتهم ساهون
لكانت في المومنين وقال عطا الحمد لله الذي قال عن صلوتهم ساهون
ولم يقل في صلوتهم فدل على ان الاية في المنافقين قال الزمخشري
فان قلت اي فرق بين قوله تعالى عن صلوتهم وبين قوله في صلوتهم
قلت معنى انهم ساهون عنها سهو تركها او قلة الالتفات اليها
وذلك فعل المنافقين والفسقة الشاطين من المسلمين ومعنى
في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة الشيطان او حديث نفس
وذلك لا يكاد يخلو منه انسان وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقع
له السهو في صلاته فضلا عن غيره قال ابن الخطيب قال كثير من
العلما انه صلى الله عليه وسلم ما سهى لكن اذن الله تعالى له في ذلك
ليفعل بيانا للتشريع في فعل الساهي ثم يعتقد بوقوع السهو منه
فالسهو على اقسام احدها سهو الرسول عليه الصلوة والسلام
واصحابه

واصحابه وذلك يجبر بالسنن تارة وبالسنن والنوافل تارة والثاني
ما يكثر في الصلوة من الغفلة وعدم استحضار النية وهذا يقع كثيرا
الثالث ترك الصلوة لا الى قضا والاخراج عن الوقت ومن ذلك صلوة
المنافق لانه يستهزئ بالدين والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق
يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي انما يظهر زيادة الخشوع ليعتقد
من يراه دينه او يقال ان المنافق لا يصلي سرا والمرائي يكون
صلوته عند الناس احسن قال ابن العربي السلامة عن السهو محال **قوله**
الذين هم يراوون اي يري الناس انه طاعة وهو يصلي تقية كالفاسق
يرى انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال انه يصلي وحقيقة الريا طلب
ما في الدنيا بالعبادة واصله المنزلة في قلوب الناس وهو من وجوه
اولها تحسين السمت يريد بذلك الجاه والثنا وثانيها الريا
بالثياب القصار والخشنة ليتشبه بالزهاد وثالثها اظهار
السخط على الدنيا واظهار الوعظ والتاسف على فوات الخير
والطاعة ورابعها اظهار الصلوة والصدقة وتحسين الصلوة
لاجل روية الناس وغير ذلك مما يطول ذكره **فصل**
لا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل المفروض لان حق الفرايض الاعلان
واشتهارها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرايض الله تعالى ولانها
اعلام الاسلام وشرايع الدين ويستحق تاركها الذم والمقت فوجب
اماطة التهمة باظهارها واما التطوع فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام
بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتدا به كان جميلا وان
قصد باظهاره ان الاعين تنظر اليه ويثني عليه بالصلاح
فهو الريا **قوله** ويمنعون الماعون في الماعون اوجه
احدها فاعول من المعن وهو الشي القليل يقال ماله معنه
اي قليل قاله قطرب الثاني انه اسم مفعول من اعانه يعينه
والاصل معوون وكان من حقه على هذا ان يقال معون كمقول
ومعوون اسم مفعول من صان وقال ولكنه قلبت الكلمة
بان قدمت عينها قبل فائها فصار موعون ثم قلبت الواو الاولى
الفا كقولهم ياية وصامه في توبة وصومة فوزنه الان مفعول
وفي هذا الوجه شذوذ من ثلاثة اوجه اولها كون مفعول جاء من
افعل وحقه ان يكون على مفعل كمكرم فيقال معان كمقام وانما
معوون اسم مفعول الثلاثي الثاني القلب وهو خلاف الاصل
الثالث قلب حرف العلة الفا وان لم يتحرك وقياسه على ياية
وصامة بعيد لشذوذ المقيس عليه وقد يجاب عن الثالث بان
الواو متحركة في الاصل قبل القلب فانه بزنة معوون الوجه الثالث
ان اصله معونة والالف عوض عن الها ووزنه مفعل كلوم ووزنه
بعد الزيادة ما فعل **فصل** اختلف قول المفسرين في الماعون
واحسنها انه كل ما يستعان به وينتفع به كالفاس والدلو والمقدحة
قال الاعشى • باجود منه بماعونه اذا ما سماوهم لم تغم •
ولم يذكر المفعول الاول للمنع اما للعلم به اي يمنعون الناس
او الطالبين واما لان الغرض ذكر ما يمنعونه لا من يمنعونه تنبيها
على خساستهم وضنتهم بالاشيا التافهة المستقبح منعها عند كل احد
فاذ قيل هذه الاية تدل على التهديد العظيم بالسهو عن الصلوة والريا
ومنع الماعون وذلك من باب الذنوب ولا يصير المرء به منافقا

فلم حكم الله تعالى بمثل هذا الوعيد على هذا الفعل. فالجواب من وجوه. الاول قال ابن الخطيب المراد بالمصلين هنا المنافقون الذين ياتون لهذه الافعال. وعلى هذا التقدير دلت الاية على ان الكافر له مزيد عقوبة على فعل محظورات الشرع وتركه واجبات الشرع وذلك يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام. الثاني قيل لعكرمة من منع شيا من المتاع كان له الويل فقال لا ولكن من جمع ثلاثهن فله الويل يعني ترك الصلوة وفعل الريا والبخل بالماعون. روى الثعلبي عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت الذي يكذب بالدين غفر الله له ان كان موديا للزكاة.

سورة الكوثر مكية

في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل. ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا. بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** انا اعطيناك الكوثر قرا الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفراني انطيناك بالنون قال الرازي والبربري ابدل من العين نونا فان عنينا البدل الصناعي فليس بمسلم لان كل مادة مستقلة بنفسها بدليل كمال تصريفها وان عنينا بالبدل ان هذه واقعة موقع هذه لغة فقريب ولا شك انها لغة ثابتة. قال البربري هي لغة العرب العاربة من اولي قريش. وفي الحديث منه صلى الله عليه وسلم اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة. وقال الاعشى:

جيادك خير جياد الملوك ✽ تصان الجلال وتنطى الحلولا

قال القرطبي وروتها ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قراه وهي لغة في العطا انطيته اعطيته والكوثر فوعل من الكثرة وصف مبالغة في المفرط الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا قال:

وانت كثير يا ابن مروان طيب ✽ وكان ابوك ابن العقايل كوثرا

قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم آب ابنك فقالت آب بكوثر اي بخير كثير والكوثر من الواحد السيد الكثير الخير والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاشياع والكوثر من الغبار الكثير وقد تكوثر قال الشاعر:

وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا

فصل اختلفوا في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم فقيل نهر في الجنة رواه البخاري وغيره. وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماوه احلى من العسل وابيض من الثلج. وقال عطا هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف وفيه احاديث كثيرة. وقال عكرمة الكوثر النبوة والكتاب. وقال الحسن هو القران. وقال المغيرة الاسلام. وقال الحسين بن الفضل هو تيسير القران وتخفيف الشرايع. وقال ابو بكر بن عياش ويمان ابن رياب هو كثرة الاصحاب والاتباع والامة. وقال ابن كيسان هو الايثار. وحكى الماوردي انه رفعة الذكر. وقيل الشفاعة. وقيل الصلوات الخمس. وقيل لا اله الا الله محمد رسول الله. وقال هلال بن يساف هو لا اله الا الله محمد رسول الله. وقيل



وقيل الفقه في الدين. وقيل غير ذلك. قال القرطبي واصح الاقوال الاول والثاني لانه ثابت عن النبي عليه الصلوة والسلام نص في الكوثر. قال ابن الخطيب هذه السورة كالمقابلة للتي قبلها فانه ذكر في الاول البخل وترك الصلوة والريا ومنع الماعون وذكر هنا في مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر. وفي مقابلة ترك الصلوة قوله فصل اي دم على الصلوة. وفي مقابلة الريا قوله تعالى لربك اي لرضاه خالصا. وفي مقابلة منع الماعون قوله وانحر اي تصدق بلحم الاضاحي ثم ختم السورة سبحانه وتعالى بقوله ان شانئك هو الابتر اي ان المنافق الذي اتى بتلك الافعال القبيحة سيموت ولا يبقى له اثر واما انت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الاخرة الثواب الجزيل **قوله** فصل لربك وانحر. قال ابن عباس رضي الله عنه اقم الصلوة المفروضة عليك. وقال قتادة وعطا وعكرمة فصل لربك صلوة العيد يوم النحر وانحر نسكك. وقال انس رضي الله عنه كان النبي عليه الصلوة والسلام ينحر ثم يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر. وقال سعيد بن جبير صل لربك صلوة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى. وقال سعيد بن جبير ايضا نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عند البيت فامره الله تعالى ان يصلي وينحر البدن وينصرف. قال ابن العربي اما من قال ان المراد بقوله تعالى فصل الصلوات الخمس فلانها ركن العبادات وقاعدة الاسلام واعظم دعايم الدين. واما من قال انها صلوة الصبح بالمزدلفة فلانها مقرونة بالنحر وهو في ذلك اليوم ولا صلوة فيه قبل النحر غيرها فخصها من جملة الصلوة لاقترانها بالنحر. قال القرطبي واما من قال انها صلوة العيد فذلك بغير مكة اذ ليس بمكة صلوة عيد باجماع فيما حكاه ابو بكر رضي الله عنه

فصل الفا في قوله فصل للتعقيب والتسبيب اي تسبب عن هذه المنة العظيمة وعقبها امرك بالتخلي لعبادة المنعم عليك وقصدك اليه بالنحر كما تفعل قريش من صلوتها ونحرها لاصنامها واما قوله تعالى وانحر. قال علي رضي الله عنه ومحمد بن كعب القرظي المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذا النحر في الصلوة. وعن علي رضي الله عنه ايضا ان معناه ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفرا والكلبي وابي الاحوص. قال الفرا سمعت بعض العرب يقول منازلنا تتناحر اي تتقابل نحر هذا بنحر هذا اي قبالته. وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلوة بازا المحراب من قولهم منازلهم تتناحر اي تتقابل وعن عطا انه امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره. وقال محمد بن كعب القرظي يقول ان ناسا يصلون لغير الله تعالى وقد اعطيناك الكوثر فلا تكن صلوتك ولا نحرك الا لله تعالى. والنحر في الابل بمنزلة الذبح في البقر والغنم **قوله** ان شانئك هو الابتر يجوز ان يكون هو مبتدا والابتر خبره والجملة خبر ان وان يكون فصلا. وقال ابو البقا او توكيدا وهو غلط لان المظهر لا يوكد بالمضمر والابتر الذي لا عقب له وهو في الاصل الشي المقطوع من بتره اي قطعه. وحمار ابتر لا ذنب له ورجل ابتر بضم الهمزة قاطع رحمه

قال لبيد دن في انفه خنزوانة على قطع ذي القرني احدابا تر

وبتر هوا بالكسر انقطع ذنبه قال اهل اللغة الابتر من الرجال من لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب لها وكل من انقطع من الخير اثره فهو ابتر والبتر القطع بترت الشيء بترا قطعته قبل الاتمام والانبتار الانقطاع والباتر السيف القاطع وفي الحديث ما هذه البتيرا لمن اوتر بركعة فانكر عليه ابن مسعود رضي الله عنه وخطب زياد خطبة بترا لم يذكر الله تعالى ولا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وكان للنبي صلى الله عليه وسلم درع يقال له البترا سميت بذلك لقصرها وقال ابن السكيت الابتران العير والعبد سميا بذلك لقلة خيرهما والبترية فرقة من الزيدية نسبوا الى المغيرة ابن سعد ولقبه الابتر وقرا العامة شانئك بغير الف فقيل يجوز ان يكون بنا مبالغة كفعال ومفعال وفعل وانشد سيبويه

وانشد

حذرا امورا لا تضر وامن ما ليس منجيه من الاقدار

وقول زيد الخيل

اتاني انهم مزقون عرضي جحاش الكرملين لها فديد

فان كان بمعنى الحال والاستقبال فهنا فقد المفعول من نصب وان كان بمعنى المضي فهو لا من نصب وقيل يجوز ان يكون مقصورا من فاعل كقولهم برو بار وبرد وبارد

فصل

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى ان شانئك هو الابتر فقيل هو العاص بن وائل وكانت العرب تسمي من له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فقيل ان العاص وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة رضي الله عنها فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر اي المنقطع ذكره من خير الدنيا والاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما توفي ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر يعني ابا جهل وقال شهر بن عطيه هو عقبة بن ابي معيط وقال السدي وابن زيد ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه الاية وقيل لما اوحى الله تعالى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا الى الايمان قالوا انبتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم هم المبترون قاله عكرمة وشهر بن حوشب

فصل قال اهل العلم قد احتوت هذه السورة على كونها اقصر سورة في القرآن على معان بليغة واساليب بديعة فمنها دلالة استهلال السورة على انه تعالى اعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل للمتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضي تحقيقا لوقوعه كاتى امر الله ومنها تاكيد الجملة بانا ومنها بنا

النعل

الفعل على الاسم ليفيد بالاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لان في حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس في اثباته ومنها تعريفه بال الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فا التعقيب الدالة على التسبب كما تقدم فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض على من كانت صلوته ونحره لغير الله تعالى ومنها ان الامر بالصلوة اشارة الى الاعمال الدينية التي الصلوة اعظم اساسها ومنها حذف متعلق انحر اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العاري عن التكليف ومنها قوله تعالى في الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على انه المربي والمصلح بنعمه فلا يلتمس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الى الغائب في قوله تعالى لربك ومنها جعل الامر بترك الاحتمال للاستئناف وجعله خاتمة للاعراض عن الثاني ولم يسمه ليشمل كل من اتصف والعياذ بالله بهذه الصفة القبيحة وان كان المراد به شخصا معينا لعينه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على انه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير ان يؤثر في من شنوه شيا البتة لان من شنا شخصا قد يؤثر فيه شنانه شيا ومنها تاكيد الجملة بان المؤدية بتاكيد الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح ههنا ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتاكيد ان جعلنا هو فصلا وان جعلناه مبتدا فكذلك يفيد التاكيد اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال المؤدية بالخصوصية بهذه الصفة كانه قيل الكامل في هذه الصفة ومنها اقباله تعالى على رسوله بالخطاب من اول السورة الى اخرها روى الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انا اعطيناك الكوثر سقاه الله تعالى من انهار الجنة واعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في كل عيد ويقربون من اهل الكتاب والمشركين وعن مكحول رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا انا اعطيناك الكوثر كان له ما بين المشرق والمغرب ابحره على كل بعير كرا زبيب كل كراس مثل الدنيا وما فيها كتب به بدنة الشعر ليس فيها الا صفة قصوره ومنازله في الجنة

سورة الكافرين مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وهي ست ايات وستة وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل يا ايها الكافرون قال ابن الخطيب هذه السورة تسمى سورة البراءة وسورة الاخلاص والمشقشقة روى الترمذي من حديث انس رضي الله عنه انها تعدل ثلث القرآن وروى ابن الانباري عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن وخرج الحافظ عبد الغني بن سعيد عن ابن عمر رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه في صلوة الفجر

في سفر فقرأ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم قال صلى الله عليه
وسلم اقرأهما ثلث القرآن وربعه قال فوالله لقد كنت غير كثير المال
إذا سافرت أكون أبذهم وأقلهم مالا فما زلت أقرأهما حتى صرت من أحسنهم
هيئة وأكثرهم زادا حتى أرجع. قال ابن الخطيب والوجه في أنها تعدل
ربع القرآن هو أن القرآن مشتمل على الأمر بالمأمورات والنهي عن
المحظورات وكل واحد منهما ينقسم إلى ما يتعلق بالقلوب وإلى ما يتعلق
بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة بأفعال
القلوب فيكون ربع القرآن. وخرج ابن الأنباري عن نوفل بن فروة
الأشجعي قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوصني قال
اقرأ عند منامك قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك. وقال
ابن عباس رضي الله عنه ليس في القرآن أشد غيظا لإبليس لعنه الله
من هذه السورة لأنها توحيد وبراءة من الشرك. وقال الأصمعي
كان يقال لقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد المقشقشتان
أي أنهما يبريان من النفاق. وقال أبو عبيدة رضي الله عنه كما
تقشقش الهناء الجرب فيبريه. قال ابن السكيت يقال للقرح
والجدري إذا يبس وتقرف وللجرب في الإبل إذا قفل تقوس جلده
وتقشر جلده وتقشقش. فإن قيل قال ابن عباس رضي الله عنه
سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود
ابن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك
نحن وأنت في أمرنا كله فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا
كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذي بأيدينا
خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه
فأنزل الله تعالى قل يا أيها الكافرون ونزل قوله تعالى قل أفغير
الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون فغدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام صلى الله عليه وسلم
فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك. وروى
أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لو استلمت بعض هذه الآلهة لصدقناك فنزل جبريل
عليه الصلاة والسلام بهذه السورة فيئسوا منه وآذوه وآذوا أصحابه
فإن قيل لم وصفهم في هذه السورة بالكافرين وفي السورة الأخرى
بالجاهلين كما تقدم. فالجواب لأن هذه السورة بتمامها نزلت
فيهم فيكون المبالغة فيها أشد فبولغ فيها بالوصف الأشنع وهو
الكفر لأنه مذموم مطلقا والجهل كالشجرة والكفر كالثمرة فقد
لا يذم عند التقييد كقوله صلى الله عليه وسلم علم الأنساب
علم لا ينفع وجهل لا يضر. فإن قيل قال في سورة التحريم يا أيها
الذين كفروا بغير قل وههنا جل وعز ذكر قل وذكرهم باسم الفاعل
فالجواب أنه في سورة التحريم إنما يقال لهم يوم القيامة وثم
لا يكون رسولا إليهم فزال الواسطة ويكونون في ذلك الوقت
مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره بلفظ الماضي وأما ههنا فكانوا
موصوفين بالكفر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم رسولا إليهم
فقال تعالى قل يا أيها الكافرون. فإن قيل هذا خطاب مع الكل
وكان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى فلا يجوز أن
يقال

أن يقال لا أعبد ما تعبدون ولا يجوز أيضا أن يكون قوله ولا أنتم
عابدون ما أعبد خطابا مع الكل لأن في الكفار من آمن وعبد الله
فالجواب أن هذا الخطاب مشافهة مع أقوام مخصوصين وهم الذين
قالوا نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة. وأيضا لو حملنا الخطاب
على العموم دخله التخصيص وإذا حملناه على خطاب المشافهة
لم يلزم ذلك. فصل قال القرطبي الألف واللام ترجع إلى معنى
المعهود وإن كانت للجنس من حيث كانت لأي لأنها مخاطبة
لما سبق في علم الله تعالى أنه سيموت على كفره فهي من الخصوص الذي
جاء بلفظ العموم ونحوه عن الماوردي نزلت جوابا وعتابا للكافرين
معينين لا لجميع الكافرين لأن منهم من آمن فعبد الله تعالى ومنهم
من مات على كفره وهم المخاطبون بهذا القول وهم المذكورون.
فصل قال ابن الأنباري وقرأ من طعن في القرآن قل للذين
كفروا لا أعبد ما تعبدون وزعم أن ذلك هو الصواب وذلك
افتراء على رب العالمين وتضعيف لمعنى هذه السورة وإبطال
ما قصد الله من أن يذل نبيه المشركين بخطابه إياهم بهذا
الخطاب الزري وإلزامهم ما يأنف منه كل ذي لب وحجى وذلك
أن الذي يدعيه من اللفظ الباطل قراءتنا تشتمل عليه في المعنى
وتزيد تأويلا ليس عندهم في باطلهم وتحريفهم فمعنى قراءتنا
قل للذين كفروا يا أيها الكافرون دليل صحة هذا أن العربي إذا
قال لمخاطبه قل لزيد أقبل إلينا فمعناه قل لزيد يا زيد أقبل
إلينا فقراءتنا أحسن لفظا وأبلغ معنى إذ كان الرسول
صلى الله عليه وسلم يعتمدهم في ناديهم فيقول لهم يا أيها الكافرون
وهو يعلم أنهم يغضبون من أن ينسبوا إلى الكفر ويدخلوا في جملة
أهله إلا وهو محروس ممنوع من أن يبسط عليه صلى الله عليه
وسلم يدا ويقع به من جهتهم أذية فمن لم يقرأ قل يا أيها الكافرون
كما أنزلها الله أسقط آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل
أهل الإسلام أن يسارعوا إلى مثلها ولا يبعدوا أنفسهم بإهمال
الفضائل عند الله كما منحه الله تعالى وشرفه بها. فصل قال ابن
الخطيب روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يا نداء النفس
وأي نداء القلب وها نداء الروح وقيل يا نداء الغائب وأي للحاضر
وها للتنبيه كأنه عز وجل يقول أدعوك ثلاثا ولا تجيبني مرة. قوله
لا أعبد ما تعبدون ما في هذه السورة يجوز فيها وجهان أحدهما بمعنى
الذي فإن كان المراد الأصنام كما في الأولى والثالثة فالأمر واضح لأنهم
غير عقلاء وما أصلها أن تكون لغير العقلاء وإذا أريد بها الباري تعالى
كما في الثانية والرابعة فاستدل به من جوز وقوعها على أولي العلم ومن
منع جعلها مصدرية والتقدير ولا أنتم عابدون عبادتي أي مثل
عبادتي. وقال أبو مسلم ما في الأوليين بمعنى الذي والمقصود المعبود
وما في الأخريين مصدرية أي لا أعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك
النظر ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين فيحصل من
مجموع ذلك ثلاثة أقوال أنها كلها بمعنى الذي أو مصدرية أو الأوليان
بمعنى الذي والثانية بمعنى والرابعة مصدرية لكان حسنا حتى لا يلزم
وقوع ما على أولي العلم وهو مقتضى قول من منع وقوعها على أولي العلم
كما تقدم. فصل اختلفوا في التكرار ههنا هل هو للتأكيد أم لا

واذا لم يكن للتاكيد فقوله ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله لا اعبد
ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لقوله ولا
انتم عابدون ما اعبد ولا مثله فباى الاء ربكما تكذبان فى سورتها
وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وكلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون
وفى الحديث فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة منى وقال الشاعر

هلا سالت جموع كندة • يوم ولوا اين اينا • وقوله
يا علقمة يا علقمة يا علقمة • خير تميم كلها واكرمه • وقوله
يا اقرع بن حابس يا اقرع • انك ان يصرع اخوك تصرع • وقوله
الا يا اسلمى ثم اسلمى ثم اسلمى • ثلاث تحيات وان لم تكلم • وقوله
يا جعفر يا جعفر يا جعفر • ان اك دحداحا فانت اقصر • وقوله
يا ال بكر انشروا لى كليبا • يا ال بكر اين اين الفرار •

قالوا والقرآن جاء على اساليب كلام العرب وفايدة التاكيد هنا قطع
اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بموافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون
ابدا وقيل هذا مطابقة لقولهم نعبد الهتنا وتعبد الهك فنجرى
على هذا ابدا وقال جماعة سنة وسنة فاجيبوا عن كل ما قالوه
بضده اى ان هذا لا يكون ابدا وقال جماعة ليس للتاكيد فقال
الاخفش لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون السنة ما اعبد
فزال التوكيد وقد تعبدت كل جملة بزمان غير الزمان الاخر انتهى
وفيه نظر كيف يعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنوع عبادته
لما يعبدون بزمان هذا مما لا يصح وفى اسباب النزول انهم سالوه
ان يعبد الهتهم سنة فنزلت فكيف يستقيم هذا وجعل ابو مسلم
التغاير بما تقدم عنه وهو كون ما فى الاولين بمعنى الذى وفى الاخرين
مصدرية وفيه نظر ايضا من حيث ان التكرار انما هو من حيث المعنى
وهذا موجود كيف قدرنا وقال ابن عطية لما كان قوله لا اعبد
محتملا ان يراد به الان ويبقى المستقبل منتظرا ما يكون فيه جاء البيان
بقوله ولا انا عابد ما عبدتم ابدا وما حييت ثم جاء قوله ولا انتم
عابدون ما اعبد الثانى حتما عليهم انهم لا يومنون ابدا كالذى كشف
الغيب كما قيل لنوح عليه الصلوة والسلام انه لن يومن من قومك الا
من قد امن فهذا معنى الترديد فى هذه السورة وهو بارع الفصاحة
وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته وقال الزمخشرى لا اعبد اريد
به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع فى معنى الاستقبال
كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا افعل فى المستقبل
ما تطلبونه منى من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلبه منكم
من عبادة الهى ولا انا عابد ما عبدتم اى وما كنت عابدا فيما سلف
ما عبدتم فيه يعنى لم يعهد منى قط عبادة صنم فى الجاهلية فكيف
يرجى منى فى الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت
ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا
يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الا الله تعالى فى ذلك
الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة كانه
قيل لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اى لا
اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى انتهى يعنى بقوله لان الصفة
نفى انه اريد بها الوصف وقد تقدم تحقيق هذا فى سورة والشمس
وضحاها واعتراض ابو حيان عليه والجواب عنه واصله فى سورة النساء

عند قوله

عند قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وناقشه ابو حيان
هنا فقال اما حصره فى قوله لن ولا لا تدخل وفى قوله ان ما تدخل
فليس بصحيح بل ذلك غالب فيهما لا متحتم وقد ذكر النحاة دخول لا
على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع يراد به الاستقبال
وذلك مذكور فى المبسوطات من كتب النحو ولذلك لم يذكر سيبويه
ذلك باداة الحصر انما قال ويكون لا نفيا لقوله يفعل ولم يقع الفعل
قال واما ما فهى نفى لقوله هو يفعل اذا كان فى حال الفعل فذكر الغالب
فيهما واما ما فى قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم وما كنت قط عابدا
فيما سلف ما عبدتم فيه فلا يستقيم لان عابدا اسم فاعل قد عمل
فيما عبدتم فلا يفسر بالماضى انما يفسر بالحال او الاستقبال وليس
مذهبه فى اسم الفاعل مذهب الكسائى وهشام من جواز اعماله
ماضيا واما قوله ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت
ما انا على عبادته فعابدون قد اعمله فيما اعبد فلا يفسر بالماضى
واما قوله وهو لم يكن الى اخره فسوء ادب على منصب النبوة وغير
صحيح لانه صلى الله عليه وسلم لم يزل موحدا لله تعالى منزها له عن كل
ما لا يليق بجلاله سبحانه يقف على مشاعر ابراهيم عليه الصلوة والسلام
ويحج البيت وهذه عبادة واى عبادة اعظم من توحيد الله تعالى ونبذ
اصنامهم ومعرفة الله تعالى اعظم العبادات قال الله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال المفسرون الا ليعرفون
فسمى المعرفة بالله تعالى عبادة انتهى قال شهاب الدين ويجاب
عن الاول انه بنى امره على الغالب فلذلك اتى بالحصر واما ما حكاه
عن سيبويه فظاهره معه حتى يقوم دليل على غيره وعن اعماله
اسم الفاعل مفسرا له بالماضى بانه حكاية الحال كقوله تعالى وكلبهم
باسط ذراعيه وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوه
واما كونه صلى الله عليه وسلم موحدا منزها لله تعالى فمسلم ذلك
وقوله وهذه اعظم العبادات فمسلم ايضا ولكن المراد فى الاية
عبادة مخصوصة وهى الصلوة المخصوصة لانها تقابل لها ما كان
المشركون يفعلونه من سجودهم لاصنامهم وصلاتهم لها فقابل
هذا صلى الله عليه وسلم بصلوته لله تبارك وتعالى ولكن فى كلام
الزمخشرى يفهم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبل البعث
وهو مذهب ساقط الاعتبار لان الاحاديث الصحيحة ترده
وهى كان يتحنث كان يتعبد كان يصوم كان يطوف كان يقف
ولم ينقل بخلافه الا شذوذ من الناس وفى الجملة فالمسئلة خلافية
واذا كان متعبدا فباى شرع كان يتعبد به قيل شريعة نوح عليه
الصلوة والسلام وقيل ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقيل
موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم اجمعين وذلك مذكور فى الاصول
ثم قال ابو حيان والذى اختاره فى هذه الجمل انه نفى عبادته فى المستقبل
لان الغالب فى لا ان تنفى المستقبل ثم عطف عليه ولا انتم عابدون
ما اعبد نفيا للمستقبل لان اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته
على الحال ثم عطف عليه ولا انتم عابدون ما اعبد نفيا للحال على
سبيل المقابلة فانتظم المعنى انه صلى الله عليه وسلم لا يعبد ما تعبدون
حالا ولا مستقبلا وهم كذلك اذ ختم الله تعالى بموافاتهم على الكفر ولما
قال صلى الله عليه وسلم لا اعبد ما تعبدون فاطلق ما على الاصنام

قابل الكلام بان قوله ما اعبد وان كان المراد الله تعالى لان المقابلة
يسوغ فيها ما لا يسوغ في الانفراد وهذا على مذهب من يقول ان ما لا
يقع على آحاد اولي العلم اما من يجوز ذلك وهو مذهب سيبويه
فلا يحتاج الى الاعتذار بالتقابل • قال القرطبي كانوا يعبدون
الاوثان فاذا ملوا وثنا وساموا العبادة له رفضوه ثم اخذوا
وثنا غيره بشهوة نفوسهم فاذا مروا بحجارة تعجبهم القوا هذه
ورفعوا تلك فعظموها ونصبوها آلهة يعبدونها فامر ان يقول
لا اعبد ما تعبدون اليوم من هذه الآلهة التي بين ايديكم • ثم
قال صلى الله عليه وسلم ولا انتم عابدون ما اعبد انا تعبدون
الوثن الذي اتخذتموه وهو عندكم الان ولا انا عابد ما عبدتم
بالامس من الآلهة التي رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم عابدون
ما اعبد فاني اعبد الهي **قوله** لكم دينكم ولي دين لي فيها تبيين
الجملتين الاساسيين بعد جملة منفية لما كان الاهم انتفاؤه صلى
الله عليه وسلم من دينهم ابدا في النفي في الجمل السابقة بالمنسوب
اليه فلما تحقق النفي رجع صلى الله عليه وسلم الى خطابه بقوله لكم
دينكم ولي دين مهادنة لهم ثم نسخ ذلك الامر بالقتال وفتح
الياء من لي نافع وهشام وحفص بخلاف عنه واسكنها الباقون
وحذف بالاضافة من ديني وقفا ووصلا الشعبة وجمهور القراء
واثبتها في الحالين سلام ويعقوب قالوا لانها اسم مثل الكاف
في دينك والتاء في قمت وتقدم ايضاحه **فصل** في الكلام معنى
التهديد كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم
فقد رضينا بديننا ونسخ هذا الامر بالقتال • وقيل السورة
منسوخة • وقيل ما نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى لكم دينكم اي جزاء
دينكم ولي دين اي جزاء ديني وسمى دينهم دينا لانهم اعتقدوه • وقيل
المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء • وقيل الدين العقوبة لقوله
تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله • والمعنى لكم العقوبة من ربي
ولي العقوبة من اصنامكم فانا لا اخشى عقوبة الاصنام لانها جمادات
واما انتم فيحق عليكم حلا ان تخافوا عقوبة جبار السموات والارض
وقيل الدين الدعاء لقوله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين اي لكم
دعاؤكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال • واما اني فيقول سبحانه
وتعالى ادعوني استجب لكم اجيب دعوة الداعي اذا دعان • وقيل
الدين العادة قال الشاعر

تقول لها ادرب رحلي • اهذا دينه ابدا وديني

والمعنى لكم عادتكم الماخوذة من اسلافكم ومن الشيطان ولي عادتي
من ربي **فصل** قال ابن الخطيب جرت العادة بان يتمثلوا
بهذه الاية عند المتاركة وذلك غير جائز لان القرآن انزل ليتدبر
فيه ويعمل بموجبه لا ليتمثل به والله اعلم •

سورة النصر مدنية

بالاجماع وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث آيات وست عشر
كلمة وتسعة وستون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى**
اذا جاء نصر الله والفتح عليك وعلى امتك او المقصود اذا جاءهذان
العقلان من غير نظر الى متعلقهما كقوله تعالى امات واحيا والي

الفتح عوض من الاضافة اي وفتحه عند الكوفيين والعائد
محذوف عند البصريين اي والفتح منه للدلالة على ذلك والعامل
في اذا ما جاء هو قول مكرر واليه ذهب ابو حيان وحصره في مواضع وقد
تقدم ذلك واما فسبح والبه نحا الزمخشري والحوفي • والتقدير فسبح
بحمد ربك اذا جاء ورده ابو حيان بان بعد فاء الجواب لا يعمل فيما
قبلها وفيه بحث تقدم بعضه في سورة والضحى **فصل**
النصر العون ماخوذ من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان
على نباتها قال الشاعر

اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي • بلاد تميم وانصري ارض عامر

يقال نصره على عدوه ينصره نصرا اي اعانه • والاسم النصرة واستنصره
على عدوه اي ساله ان ينصره عليه وتناصروا نصر بعضهم بعضا
ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول عليه الصلوة والسلام على
قريش قاله الطبري • وقيل نصره على من قاتله من الكفار وان عاقبة
النصر كانت له واما الفتح فهو فتح مكة قاله الحسن ومجاهد وغيرهما
وقال ابن عباس وسعيد بن جبير هو فتح المداين والقصور
وقيل فتح سائر البلاد وقيل ما فتحه عليه من العلوم واذا بمعنى قد
جاء نصر الله لان نزولها بعد الفتح ويجوز ان يكون معناه اذا جاءك
فصل قال ابن الخطيب الفرق بين النصر والفتح هو تحصيل
المطلوب الذي كان متعلقا والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر
النصر وعطف الفتح عليه او يقال النصر كمال الدين والفتح اقبال
الدنيا الذي هو تمام النعمة كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي او النصر الظفر في الدنيا والفتح بالجنة **فصل** قال
ابن الخطيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مؤيدا منصورا
بالدلايل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة • والجواب
ان المراد من هذا النصر هو النصر الموافق للطبع • فان قيل النصر لا يكون
الا من الله تعالى قال الله تعالى وما النصر الا من عند الله فما فائدة
التقييد بقوله تعالى نصر الله • فالجواب معناه لا يليق الا بالله كما يقال
هذه صنعة زيد اذا كان مشهورا فالمراد هذا هو الذي سألتموه
فان قيل لم وصف النصر بالمجيء وحقيقته اذا وقع نصر الله فما الفائدة
في ترك الحقيقة وذكر المجاز • فالجواب ان الامور مرتبطة باوقاتها
وانه تعالى قدر ربط حدوث كل محدث اسبابا معينة واوقاتا مقدرة
يستحيل فيها التقدم والتاخر والتبدل والتغير فاذا حضر ذلك الوقت
وجاء ذلك الزمان حضر معه ذلك الاثر واليه الاشارة بقوله تعالى وما
ننزله الا بقدر معلوم • فان قيل الذين اعانوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هم الصحابة رضي الله عنهم ثم انه تعالى سمى نصرتهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فما السبب في اضافة النصر اليه • فالجواب
ان النصر وان كان على يد الصحابة لكن لا بد لهم من داع وباعث وهو
من الله تعالى • فان قيل فعلى هذا التقرير الذي ذكرتم يكون فعل العبد
متفرعا على فعل الله وهو خلاف قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم فجعل
نصر العبد مقدما على نصره لنا • فالجواب انه لا امتناع في ان يكون فعل
العبد سببا لفعل آخر يصدر عن الله تعالى فان اسباب الحوادث
ومسبباتها على ترتيب عجيب يعجز عن ادراكها العقول البشرية
قوله ورايت الناس يدخلون • رايت يحتمل ان يكون معناه ابصرت

وان يكون معناه علمت فان كان معناه ابصرت كان يدخلون على محل
النصب على الحال والتقدير ورايت الناس يدخلون حال دخولهم
في دين الله افواجا وان كان معناه وعلمت كان يدخلون مفعولا
ثانيا لعلمت والتقدير علمت الناس داخلين في دين الله وفي عبارة
الزمخشري ان كان بمعنى ابصرت او عرفت ونا قشه ابو حيان بان رايت
لا يعرف كونها بمعنى عرفت قال فيحتاج في ذلك الى استثبات وقرا
يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير في رواية مبنيا للمفعول وفي
دين ظرف مجازي وهو مجاز فصيح بليغ هنا **قوله** افواجا
حال من فاعل يدخلون قال مكي وقياسه افوج الا ان الضمة
تستثقل في الواو وشبهوا فعلا يعني بالسكون بفعل يعني بالفتح فجمعوه
جمعه انتهى ان فعلا بالسكون قياسه افعل كفلس وافلس الا انه
استثقلت الضمة على الواو فجمعوه جمع فعل بالتحريك نحو جمل واجمال
لا فعلا بالسكون على افعال ليس بقياس اذا كان فعل صحيحا نحو فرخ
وافراخ وزند وازناد وورد منه الفاظ كثيرة ومع ذلك فلم
يقيسوه وكذا قال الحوفي شيا من هذا **فصل** ظاهر لفظ الناس
للعموم فيدخل كل الناس افواجا اي جماعات فوجا بعد فوج وذلك لما
فتحت مكة قالت العرب اما اذا ظفر محمد صلى الله عليه وسلم باهل الحرم
وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا
يسلمون افواجا افواجا امة امة قال الضحاك والامة اربعون
رجلا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد
من اليمن سبع مائة انسان مومنين طايعين بعضهم يؤذنون
وبعضهم يقرون القران وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك وبكى عمر وابن عباس رضي الله عنهم وروى عكرمة عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا اذا جاء
نصر الله والفتح وجا اهل اليمن رقيقة افيدتهم لينة طباعهم
سخية قلوبهم عظيمة خشيتهم فدخلوا في دين الله افواجا وروى
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افيدة والفقه يمان
والحكمة يمانية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن
وفيه تاويلان احدهما انه الفتح تتابع اسلامهم افواجا الثاني
ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن
وهم الانصار وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله
افواجا وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردي قال ابن الخطيب كانت
تدخل فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين
اثنين **فصل** ودين الله هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله
الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه واضاف الدين
الى الاسم الدال على الالهية اشارة الى انه يجب ان يعبد لكونه الها
وللدين اسما اخر قال تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما
وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ومنها الصراط قال تعالى صراط الله
الذي له ما في السموات وما في الارض ومنها كلمة الله ومنها النور يريدون
ليطفيوا نور الله ومنها الهدى قال الله تعالى هدى الله يهدي به من يشاء
ومنها العروة الوثقى ومن يومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
ومنها

ومنها الحبل المتين واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها صبغة الله ومنها
فطرة الله **فصل** قال الجمهور الفقها والمتكلمين ايمان المقلد صحيح
واحتجوا بهذه الاية قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان اوليك الافواج
وجعله من اعظم المنن على نبيه صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن
ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا
يعرفون حدوث الاجسام بالدليل واثبات كونه تعالى منزها عن الجسمية
والمكان والحيز ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية
لها ولا اثبات الصفات والتنزيه بالدليل والعلم بان اولئك
الاعراب ما كانوا عالمين بهذه الدقايق ضروري فعلمنا ان ايمان المقلد
صحيح لا يقال انهم كانوا عالمين باصول دلايل هذه المسايل لان اصول
هذه الدلايل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل لانا نقول ان الدليل
لا يقبل الزيادة والنقصان فان الدليل اذا كان مثلا من عشر مقدمات
فعلم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في التسعة
مقلدا لا محالة **قوله** فسبح بحمد ربك واستغفره بحمد ربك
حال اي ملتبسا بحمده وتقدم تحقيق ذلك في سورة البقرة عند قوله
تعالى ونحن نسبح بحمدك قال ابن الخطيب انه تعالى امره صلى الله
عليه وسلم بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفار والفايدة فيه
ان تاخير النصر سنين مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان على الحق
مما يثقل على القلب ويقع في القلب اني اذا كنت على الحق فلم لا
تنصرني ولم سلط علي هولاء الكفار فلاجل هذا الاعتذار عن هذا
الخاطر امر بالتسبيح اما على قولنا فالمراد من هذا التنزيه ان الله
تعالى منزه عن ان يستحق عليه احد شيا بل كل ما يفعله فانما يفعله
بحكم المشيئة الالهية فله ان يفعل ما يشا كما يشا فالفايدة التسبيح
تنزيه الله تعالى عن ان يستحق عليه احد شيا واما على قول المعتزلة
فالفايدة التنزيه هو ان يعلم العبد ان تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي
بسبب المصلحة لا بسبب ترجيح الباطل على الحق ثم اذا فرغ العبد
من تنزيه الله تعالى فحينيذ يشتغل بحمده على ما اعطاه من الاحسان
والبر ثم حينيذ يشتغل بالاستغفار لذنوب نفسه **فصل**
قال المفسرون فسبح بحمد ربك واستغفره اي اذا صليت فاكثر من
ذلك وقيل معنى سبح صل قاله ابن عباس رضي الله عنه وقوله بحمد ربك
حامدا له على ما اتاك من الظفر والفتح واستغفره اي سل الله الغفران
وقيل فسبح المراد به التنزيه اي نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له وبالاستغفار
مداومة الذكر وروى في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت ما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة بعد ان نزلت عليه سورة اذا جاء
نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وقالت
ام سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم آخر امره لا يقوم ولا
يقعد ولا يجي ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده واستغفر الله
واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها
وقال عكرمة رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط اشد
اجتهادا في امور الاخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت
قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وسعد
ابن ابي وقاص رضي الله عنهم ففرحوا واستبشروا وبكى العباس
فقال له النبي صلى الله عليه ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك

قال الله لكم فعاش بعدها ستين يوما ما رؤي فيها ضاحكا مستبشرا
وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر وعباس
رضي الله عنهما فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا لا بل فيه نعي النبي صلى
الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتما نعيت
وروى البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يؤذن لاهل بدر ويؤذن لي معهم قال فوجد بعضهم في ذلك
فقال يأذن لهذا الفتى معنا ومن ابنائنا من هو مثله فقال
عمر رضي الله عنه انه ممن قد علمتم قال فاذن لهم ذات يوم
واذن لي معهم فسألهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح
فقال امر الله نبيه عليه الصلوة والسلام اذا فتح عليه ان
يستغفره وان يتوب عليه فقال ما تقول يا ابن عباس قلت
ليس كذلك بل اخبر الله تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام اذا
فتح عليه ان يستغفره وان يتوب عليه بحضور اجله فقال
اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا فقال عمر رضي الله عنه يلوموني عليه
وفي رواية فقال عمر رضي الله عنه لا اعلم منها الا ما تقول **فصل**
فان قيل فماذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يؤمر بالاستغفار
فالجواب كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه رب اغفر لي
خطيئتي وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم
اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت انت المقدم
وانت المؤخر انك على كل شيء قدير. وكان صلى الله عليه وسلم يتهم
لنفسه لعظيم ما انعم الله عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك
وقيل حسنات الابرار سيئات المقربين. وقيل يحتمل ان يكون المعنى
كن متعلقا به سائلا راغبا متضرعا على رؤية التقصير في اداء الحقوق
وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفرة بل تعبدا. وقيل
معنى واستغفره اي استغفر لامتك انه كان توابا على المسبحين
والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل واذا كان عليه
الصلوة والسلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فماذا يظن
بغيره **فصل** قد مر تفسير الحمد واما تفسير قوله تعالى فسبح
بحمد ربك ففيه وجوه. الاول قال الزمخشري اي قل سبحان الله
والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه اي اجمع بينهما كقولك
الماء باللبن اي اجمع بينهما خلطا وشربا. الثاني ان التسبيح داخل
في الحمد لانك اذا حمدت الله تعالى فقد سبحته بواسطة لان الثناء
عليه والشكر له يتضمن تنزيهه عن النقائص ولذلك جعل الحمد مفتاح
القرآن فمعنى سبح بحمد ربك اي سبحه بواسطة ان تحمده اي سبحه
بهذا الطريق. الثالث ان تكون حالا اي سبحه مقدرا ان تحمده
للتسبيح كانك تقول لا يتأتى لك الجمع بينهما فاجمعهما فيه كما تنوي الصلوة
بين التحرم معتذرا انك تتحرم بعدها فيحصل لك الثواب في تلك
الحالة كذا ههنا. الرابع ان هذه الباء هي في قولك فعلت هذه
بفضل الله اي بحمد الله اي انه الذي هداك لرشدك لا بحمد غيره
كقوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله على الحمد. الخامس قال السدي
بحمد ربك اي بامر ربك. السادس ان تكون الباء زائدة والتقدير سبح
حمد ربك اي طهر محامد ربك عن الرياء والسمعة واختر له اطهر المحامد
وازكاها

وازكاها واحسنها وايضا اتيت بالتسبيح بدلا عن الحمد الواجب عليك لان
الحمد انما يجب في مقابلة النعم ونعم الله تعالى غير متناهية فحمده لا يكون
في وسع البشر فكانه تعالى يقول انت عاجز عن الحمد فأت بالتسبيح
والتنزيه بدلا عن الحمد. السابع فيه اشارة الى ان التسبيح والحمد لا يتأخر
احدهما عن الآخر ولا يمكن ان يؤتى بهما معا. ونظيره من ثبت له حق
الشفعة وحق الرد بالعيب وجب ان يقول اخترت الشفعة برد
ذلك المبيع كذا ههنا كانه قال فسبح بحمد ربك ليقع معا فيصير مسبحا
في وقت واحد معا. فان قيل التوبة مقدمة على جميع الطاعات ثم
الحمد مقدم على التسبيح لان الحمد على النعم والنعم سابقة فالاستغفار
سابق ثم التسبيح. فالجواب لعله بدأ بالاشرف تنبيها على ان النزول
من الخالق الى الخلق اشرف من الصعود من الخلق الى الخالق او نبه بذلك على التسبيح
والحمد الصادرين من العبد اذا قابلا جلال الحق وعزته استوجبا الاستغفار
او لان التسبيح والحمد اشارة الى تعظيم امر الله والاستغفار اشارة الى
الشفقة على خلق الله تعالى فالاول كالصلوة والثاني كالزكاة فلما ان
الصلوة مقدمة على الزكاة فكذا ههنا. فان قيل قوله تعالى كان توابا
بدل من الماضي وحاجتنا الى قبوله في المستقبل وايضا هلا قال
سبحانه غفارا كما قال تعالى في سورة نوح عليه الصلوة والسلام
وايضا قال تعالى نصر الله وقال في ذكر الله وقال بحمد ربك
ولم يقل بحمد الله. فالجواب عن الاول ان هذا ابلغ كانه يقول اني
تبت على من هو اقبح فعلا منكم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة
كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم واتوا بالقبائح
ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا لتوبة اولئك وهم
دونكم فلأن اقبل توبتكم وانتم خير امة اخرجت للناس اولى او شرعت
في توبة العصاة والشروع ملزم او هو اشارة الى تخفيف حسناتكم
اي لستم اول من جنى والمعصية اذا عمت خفت او كما قيل كما احسن الله
فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي. فالجواب عن الثاني لعله خص هذه الامة
بمزيد الشرف لانه لا يقال في صفات العبد غفارا ويقال توابا اذا
كان آتيا بالتوبة فكانه تعالى يقول كنت لي سميا من اول الامر انت
مؤمن وانا مؤمن وان اختلف المعنى فعصيت فتبت حتى صرت سميا
في آخر الامر فانت تواب وانا تواب ثم التواب في حق الله تعالى انه
يقبل التوبة كثيرا فيجب على العبد ان يكون آتيا بالتوبة كثيرا.
وانه انما قال توابا لان القائل قد يقول استغفر الله وليس بتائب
لقوله المستغفر بلسانه المقيم بقلبه كالمستهزئ. فان قيل فقد يقول
اتوب وليس بتائب. قلنا فاذا يكون كاذبا لان التوبة اسم للرجوع
والندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه فيكون تقدير الكلام
واستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان تكون
بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الاعمال. والجواب عن الثالث انه راعى
العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين. احدهما الرب
والثاني التواب فلما كانت التربية تحصل اولا والتوبة آخرا لاجرم ذكر
اسم الرب اولا واسم التواب آخرا. **فصل** قال ابن عمر رضي الله عنه
نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فعاش بعدها صلى الله
عليه وسلم ثمانين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها

صلى الله عليه وسلم خمسة وثلاثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يوما وقال
مقاتل سبعة ايام وقيل غير ذلك **فصل** قال ابن الخطيب
اتفق الصحابة رضي الله عنهم ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف دلت السورة على هذا المعنى فالجواب
من وجوه احدها قال بعضهم انما عرفوا ذلك لما روي انه صلى الله
عليه وسلم خطب عقب السورة وذكر التخيير وثانيها انه لما ذكر
حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين افواجا دل ذلك على
حصول التمام والكمال وذلك يستعقبه الزوال كما قيل
• اذا تم شيء بدا نقصه ۞ توقع زوالا اذا قيل تم • وثالثها
انه تعالى امره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله صلى
الله عليه وسلم بذلك يمنعه من الاشتغال بامر الامة فكان هذا
كالتنبيه عن امر التبليغ قد تم وكمل وذلك يوجب الموت لانه
لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول عن الرسالة
وانه غير جائز • ورابعها قوله تعالى واستغفره تنبيه على قرب
الاجل كانه يقول قرب الاجل ودنا الرحيل فتاهب للامر ونبه به
على ان سبيل العاقل اذا قرب اجله يستكثر من التوبة • وخامسها انه
قيل كان منتهى مطلوبك في الدنيا هذا الذي وجدته وهو النصر والفتح
والاستيلا والله تعالى وعدك بقوله وللاخرة خير لك من الاولى فلما
وجدت اقصى مرادك في الدنيا فانتقل الى الاخرة لتفوز بتلك السعادة
العالية روى الثعلبي عن ابي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر فكانما شهد مع محمد عليه الصلوة
والسلام فتح مكة •

• سورة تبت مكية •

وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة وسبعون حرفا • بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت وتقدم تفسير هذه
المادة في سورة غافر عند قوله الا في تباب واسند الفعل الى اليدين
مجازا لان اكثر الافعال يزاول بهما وان كان المراد جملة المدعو عليه
وقوله وقوله تبت دعا وتب اخبار اي قد وقع ما دعي به عليه كقوله
الشاعر • جزاني جزاه الله شر جزائه ۞ جزا الكلاب العاديات وقد فعل •
ويؤيده قراة عبد الله وقد تب والظاهر ان كليهما دعا ويكون في هذا
شبه من مجي العام بعد الخاص لان اليدين بعض وان كان حقيقة
اليدين غير مراد • وقيل كلاهما اخبار اراد بالاول هلاك عمله وبالثاني
هلاك نفسه • وانما عبر باليدين لان الاعمال غالبا تزاول بهما • وقيل
المراد باليدين نفسه وقد يعبر باليدين عن النفس كقوله تعالى بما قدمت
يداك اي نفسك وهذا مهيع كلام العرب يعبر ببعض الشيء عن كله
يقولون اصابته يد الدهر ويد المنايا والرزايا اي اصابه كل ذلك قال
الشاعر • لما اكبت يد الرزايا ۞ عليه نادى الا مجير • وقال ابن الخطيب
وتعبيره باليدين اما لانه كان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة • وقيل
المراد دينه ودنياه واولاه وعقباه او المراد باحدهما المنفعة وبالاخرى
دفع المضرة او لان اليمين سلاح والاخرى جنة وقيل يعني ماله وبنيه
وتب هو بنفسه وقيل تب يعني ولده وعقبه وهو الذي دعا عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك لتنه[illegible]

فافترسه

فافترسه الاسد • وقرا العامة لهب بفتح الهاء وابن كثير باسكانها
فقيل لغتان بمعنى نحو النهر والنهر والشعر والشعر والنفر والنفر والضجر
والضجر • وقال الزمخشري وهو من تغيير الاعلام كقوله شمس بن مالك
بالضم يعني ان الاصل بفتح الشين فغيرت الى الضم ويشير بذلك لقول الشاعر
• واني لمهد من ثنائي فقاصد ۞ به لابن عم الصدق شمس بن مالك •
وجوز ابو حيان في شمس ان يكون منقولا من شمس الجمع من قولهم ناقة شموس
فلا يكون من التغيير في شيء وكني بذلك ابو لهب اما لالتهاب وجنتيه
وكان مشرق الوجه احمره واما لما يؤول اليه من لهب جهنم كقولهم ابو الخير
وابو الشر لصاحبهما وابو الخير لصاحبه والالان الكنية اغلب من الاسم او لانها انقص
منه ولذلك ذكر الانبيا عليهم الصلوة والسلام باسمائهم دون كناهم
او لقبح اسمه لان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لان الله تعالى لم
يضف العبودية في كتابه الى صنم • وقيل اسمه ابو لهب كما سمي ابو سفيان
وابو طالب • وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والكنية تكرمة
لم ذكر ثلاثة اجوبة اما لشهرته واما لقبح اسمه كما تقدم واما لتجانس
قوله نارا ذات لهب لان ماله الى لهب جهنم انتهى وهذا يقتضي ان الكنية
اشرف واكمل لا انقص وهو عكس قول تقدم انفا • وقرى يدا ابو لهب
بالواو في مكان الجر • قال الزمخشري كما قيل علي بن ابو طالب ومعاوية
ابن ابو سفيان لئلا يتغير منه شيء فيشكل على السامع
ابن عاصم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والاخر عبد الله بالنصب
ولم يختلف القراء في قوله ذات لهب انها بالفتح والفرق انها فاصلة
فلو سكنت زال التشاكل **فصل** قال قتادة تبت خسرت
وقال ابن عباس خابت وقال عطا ضلت وقال ابن جبير هلكت
وقال يمان بن رباب صفرت من كل خير وحكى الاصمعي عن ابي عمرو بن
العلا انه لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سمع هاتفا يقول
• لقد خلوك وانصرفوا ۞ فما ابوا ولا رجعوا •
• ولم يوفوا بنذرهم ۞ فتبا للذي صنعوا •
فصل روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما لما
نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف
فقالوا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا اليه فقال
عليه الصلوة والسلام ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل
اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا فقال اني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام
فنزلت هذه السورة • وفي رواية لما سمعت امراته ما نزل في زوجها
وفيها من القران اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في
المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليه اخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا ترى الا ابا بكر رضي الله عنه فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني
انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه • والله اني شاعرة
مذمما عصينا • وامره ابينا • ودينه قلينا • ثم انصرفت فقال
ابو بكر يا رسول الله اما تراها رأتك قال صلى الله عليه وسلم ما راتني
لقد اخذ الله تعالى ببصرها عني وكانت قريش انما تسمي رسول الله صلى الله
عليه وسلم مذمما ثم يسبونه • وكان صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون

لما صرف الله عني من اذى كفار قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد رسول
الله • وحكى ابو عبد الرحمن بن زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ماذا اعطى ان امنت بك يا محمد فقال له صلى الله عليه وسلم كما يعطى
المسلمون فقال ما لي عليهم فضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واي
شي تبتغي فقال تبا لهذا من دين اكون انا وهولا سوا فانزل الله تعالى
تبت يدا ابي لهب وتب • وحكى عبد الرحمن بن كيسان كان اذا وفد على
النبي صلى الله عليه وسلم وفد انطلق اليهم ابو لهب فيسالونه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انت اعلم به منا فيقول لهم ابو
لهب انه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتى وفد ففعل مثل
ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب
انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكتاب لذلك فنزلت هذه السورة • وقيل ابي لهب للمنع الذي
رتع به **فصل** قال ابن الخطيب من فسر التب بالهلاك
فلقوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك • ومن فسره بالخسران
فلقوله تعالى فما زادوهم غير تتبيب اي تخسير • ومن فسره بالخيبة
قال ابن عباس رضي الله عنه لانه كان يدفع القوم عنه صلى الله عليه
وسلم بانه ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه لانه كان شيخ القبيلة
اتعسه الله فكان لا يتهم فلما نزلت هذه السورة وسمع بها
غضب واظهر العداوة الشديدة وصار متهما فلم يقبل قوله في رسول
عليه الصلوة والسلام بعد ذلك فكانه قد خاب سعيه ولعله انما ذكر
التب لانه كان يضرب بيده على يد الوافد عليه فيقول انصرف راشدا
فانه مجنون فان المعتاد ان من يصرف انسانا يضع يده على كتفه ويدفعه
عن ذلك الموضع • ومن فسر التب بقوله ضلت فلانه كان يعتقد ان
يده العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ومن فسره بصفرت فلان
يده خلت من كل خير **فصل** ابو لهب اسمه عبد العزى بن عبد
المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامراته العورا ام جميل اخت
ابي سفيان بن حرب وكلاهما كان شديد العداوة للنبي صلى الله
عليه وسلم • قال طارق ابن عبد الله المحاربي اني بسوق ذي المجاز
واذا بانسان يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا
رجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول انه كذاب
فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا محمد زعم انه نبي وهذا عمه
ابو لهب يزعم انه كذاب • وروى عطا عن انس رضي الله عنه قال
قال ابو لهب سحركم محمد ان احدنا لياكل الجذعة ويشرب العس من اللبن
فلا يشبع وان محمدا قد اشبعكم من فخذ شاة وارواكم من عس لبن
قوله ما اغنى يجوز في ما النفي والاستفهام فعلى الاستفهام يكون
منصوب المحل بما بعدها التقدير اي شي اغنى المال وقدم لكونه له
صدر الكلام • وقوله تعالى وما كسب يجوز فيما هذه ان تكون بمعنى
الذي والعايد محذوف وان تكون مصدرية اي وكسبه وان
تكون استفهامية بمعنى واي شي كسب اي لم يكسب شيا قاله
ابو حيان لجعل الاستفهام بمعنى النفي فعلى هذا يجوز ان تكون نافية
ويكون المعنى على ما ذكره وهو غير ظاهر وقرا ابن مسعود والاعمش
وما اكتسب **فصل** المعنى ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال
ولا ما كسب من الجاه وقال مجاهد وما كسب من ولد وولد الرجل من كسبه
وقال

وقال ابو الطفيل جا بنو لهب يختصمون عند ابن عباس رضي الله
عنه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب
ابن عباس وقال اخرجوا عني الكسب الخبيث يعني ولد ابي لهب وقال
صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه • وقال ابن عباس
رضي الله عنه انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار قال
ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي ومالي وولدي
فنزل ما اغنى عنه ماله وما كسب • وقال الضحاك ما ينفعه ماله
وعمله الخبيث يعني كيده وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله سيصلى نارا ذات لهب قرا العامة سيصلى نارا ذات لهب بفتح اليا
واسكان الصاد وتخفيف اللام اي يصلى هو بنفسه وابو حيوة وابن
مقسم وعباس في اختياره • قال القرطبي والاشهب العقيلي وابو
السمال العدوي ومحمد بن السميفع بضم اليا وفتح الصاد والتشديد
والمعنى سيصليه الله تعالى من قوله سيصليه نارا وقرا الحسن وابن
ابي اسحاق وابو رجا والاعمش ورواها محبوب عن اسماعيل عن ابي
رضي الله عنه وعن ابي بكر عن عاصم بضم اليا ومعنى ذات لهب
ذات اشتعال وتلهب وقد تقدم القول فيه في سورة والمرسلات
قوله وامراته حمالة الحطب قرا العامة بالرفع على انها جملة
من مبتدا وخبر سيقت للاخبار بذلك • قيل وامراته عطف على الضمير
في سيصلى سوغه الفصل بالمفعول وحمالة الحطب على هذا فيها اوجه
كونها نعتا لامراته وجاز ذلك لان الاضافة حقيقية اذ المراد المضي
وكونها بيانا او كونها بدلا لانها قريب من الجوامد لتمحض اضافتها
او كونها خبرا لمبتدا مضمر اي هي حمالة وقرا العامة بالرفع وعاصم
بالنصب تخيل على الشتم وقد اتى بجميل من سب ام جميل قاله الزمخشري
وكانت تكنى ام جميل لعنها الله • وقيل نصب على الحال من امراته اذا
جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير ويضعف جعلها حالا عند
الجمهور من الضمير في الجار بعدها اذا جعلناها لامراته لتقدمها على
العامل المعنوي • واستشكل بعضهم الحالية لما تقدم ان المراد به
المضي فيتعرف بالاضافة فكيف يكون حالا عند الجمهور ثم اجاب بان
المراد الاستقبال لانه ورد انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار
كما كانت تحمل الحطب في الدنيا • وفي قوله تعالى حمالة الحطب قولان احدهما
هو حقيقة • قال قتادة كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر
ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل
وقال ابن زيد والضحاك كانت تحمل العضاه والشوك فتطرحه على
طريق النبي صلى الله عليه وسلم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطاه
كما يطا الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل لعنها الله تاتي كل
يوم باباله من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات
ليلة حاملة حزمة حطب عيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك
من خلفها فاهلكها • القول الثاني انه مجاز عن المشي بالنميمة ورمي الفتن
بين الناس قال

ان بني الادرم حمالوا الحطب
هم الوشاة في الرضى والغضب
عليهم اللعنة تترى والحرب

وقال اخر

من البعض لم يصطد على ظهر لامه ✽ ولا تمشي بين الحي بالحطب الرطب
وجعله رطبا تنبيها على تدخينه وهو غريب من ترشيح المجاز يعني لم يمش
بالنمائم ✽ وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم
فلان يحتطب على ظهره قال تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم ✽ وقرا
ابو قلابة حاملة الحطب على وزن فاعلة وهي محتملة لقراءة العامة ✽ وقرا
ابن عباس حمالة للحطب بالتنوين وجر المفعول بلام زائدة تقوية
للعامل كقوله تعالى فعال لما يريد وابو عمرو في رواية واسرائه باختلاس
الهاء دون اشباع **قوله** في جيدها حبل يجوز ان يكون خبر الامراته
وحبل فاعلا به وان يكون حالا من امراته على كونها فاعلة وحبل مرفوع
به ايضا وان يكون خبرا مقدما وحبل مبتدا موخر والجملة حالية
او خبران والجيد العنق ويجمع على اجياد قال امرؤ القيس

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش ✽ اذا هي نصته ولا بمعطل

ومن مسد صفة لحبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقيل
الحبل شجر باليمن قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها ✽ له صريف صريف القعو بالمسد

وقد تكون من جلود الابل واوبارها قال

ومسد امر من ايانق ✽ ليس بانياب ولا حقائق

وجمع المسد امساد ✽ وقال ابو عبيدة هو حبل يكون من صوف
وقال الحسن هي حبال من شجر ينبت باليمن تسمى المسد وكانت
تفتل **فصل** قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير
النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها
من ليف فخنقها الله تعالى به فاهلكها وهو في الاخرة حبل من نار وعن
ابن عباس في حبل من مسد قال سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
وهو قول مجاهد وعروة بن الزبير يدخل فيها ويخرج من اسفلها
ويلوى سائرها على عنقها ✽ وقال قتادة حبل من مسد قال من ودع
وقال الحسن انما كان خرزا في عنقها ✽ وقال سعيد بن المسيب
كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها
في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيمة وقيل ان
ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق
لها من الشقا كالمربوط في جيدها بحبل من مسد والمسد الفتل يقال
مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله قال

يمسد على لحمه ويارمه ✽ يقول انا لنغل هو ظهر هذا الحمار

وقال ابن الخطيب وقيل المسد يكون من الحديد وظن من ظن ان
المسد لا يكون من الحديد خطا لان المسد هو المفتول سوا كان من
الحديد او من غيره ✽ ورجل ممسود اي مجدول الخلق وجارية حسنة
المسد والعصب والجدل والارم وهي ممسودة ومعصوبة
ومجدولة ومارومة والمساد على فعال لغة في المساب وهو نحي
السمن وسقا العسل قال كل ذلك الجوهري ✽ فان قيل ان كان
ذلك حبلها فكيف يبقى في النار **فصل** تضمنت هذه الايات
الاخبار عن الغيب من ثلاثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب
والخسار وقد كان ذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله
وولده وقد كان ذلك وثالثها الاخبار بانه من اهل النار وقد
كان ذلك لانه مات على الكفر هو وامراته ففي ذلك معجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم فامراته خنقها الله تعالى بحبلها لعنها الله تعالى وابو لهب
رماه الله في البالي بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات واقام
ثلاثة ايام ولم يدفن حتى انتن ✽ ثم ان ولده غسله بالما قذفا من بعيد
مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقي الطاعون ثم احتملوه
الى اعلى مكة واسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة **فصل** احتج
اهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف ابا لهب بالايمان
مع تصديق الله تعالى في كل ما اخبر نبيه ومما اخبر عنه انه لا يومن
وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك مذكور في اصول
الفقه ذكر الثعلبي عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين
ابي لهب في دار واحدة والله اعلم ✽

سورة الاخلاص مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعطا وعكرمة وجابر ✽ ومدنية في
احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي رضي الله عنهم وهي
اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى قل هو الله احد في هو وجهان ✽ احدهما انه ضمير عائد
على ما يفهم من السياق فانه يروى في سبب النزول انهم قالوا صف
لنا ربك وانسبه وقيل قالوا له اخاس هو ام حديد فنزلت وحينئذ
يجوز ان يكون الله مبتدا واحد خبره والجملة خبر الاول ✽ ويجوز ان يكون
الله بدلا واحد الخبر ✽ ويجوز ان يكون الله خبرا اول واحد خبرا ثانيا
ويجوز ان يكون احد خبر لمبتدا محذوف اي هو احد ✽ والثاني انه ضمير الشان
لانه موضع تعظيم والجملة بعده خبره مفسرة ✽ وهمزة احد بدل من واو
لانه من الوحدة ✽ وابدال الهمزة من الواو المفتوحة قليل منه امراة
اناة من الونى وهو الفتور وتقدم الفرق بين احد هذا واحد المراد
به العموم فان همزة ذاك اصل بنفسها ✽ ونقل ابو البقا ان همزة احد
هذا غير مقلوبة بل اصل بنفسها فالمراد به العموم والاول هو المعروف
وفرق ثعلب بين واحد واحد بان الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان
واحد لا يدخله ذلك ✽ ويقال الله احد ولا يقال زيد احد لان لله تعالى
هذه الخصوصية وزيد له حالات شتى ✽ ورد عليه ابو حيان بانه يقال
احد وعشرون ونحوه فقد دخله العدد انتهى ✽ وقال مكي ان اصله واحد
فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احداهما
تخفيفا ✽ وقرا عبد الله وابي احد دون قل ✽ وقرا النبي صلى الله عليه وسلم
احد بغير قل هو ✽ وقرا الاعمش قل هو الله الواحد ✽ وقرا العامة بتنوين احد
وهو الاصل ✽ وزيد بن علي وابان بن عثمان وابن ابي اسحاق والحسن وابو
السمال وابو عمرو في رواية في عدد كثير بحذف التنوين للخفة ولالتقاء الساكنين
كقوله

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ✽ ورجال مكة مسنتون عجاف

وقوله

ولا ذاكر الله الا قليلا

فصل والصمد الذي يصمد اليه في
الحاجات والصمد فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض وهو السيد الذي
يصمد اليه اي يقصد في الحوائج ولا يقدر على قضايها الا هو وانشد

الا بكر الناعي بخير بني اسد ✽ بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال اخر

علوته بحسام ثم قلت له ✽ خذها حذيف فانت السيد الصمد

وقيل الصمد الذي لا جوف له ومنه قوله
شهاب حروب لا تزال جياده عوابس يعلكن الشكيم المصمدا
وقال ابي بن كعب رضي الله عنه تفسيره ما بعده من قوله تعالى لم يلد ولم يولد
وهذا يشبه ما قالوه من تفسير الهلوع والاحسن في هذه الجملة ان تكون مستقلة
بفائدة هذا الخبر ويجوز ان يكون الصمد صفة والخبر في الجملة بعده كذا قيل
وهو ضعيف من حيث السياق فان السياق يقتضي الاستقلال باخبار
كل جملة قال القرطبي لا تلتبس كل شيء يولد الا يموت وليس شيء يموت الا يورث
وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقال ابو هريرة رضي
الله المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل احد وقال السدي انه المقصود
في الرغبات والمستعان به في المصائب وقال الحسين بن الفضل انه الذي
يفعل ما يشا ويحكم ما يريد وقال مقاتل انه الكامل الذي لا عيب فيه
قال القرطبي والصحيح من هذه الاقوال ما شهد له الاشتقاق وهو
القول الاول ذكره الخطابي فصل قال ابن الخطيب ونكر
لفظ احد لان الذي يعرفه الخلق من الموجودات محسوس منقسم فاما
ما لا ينقسم فلا يعرف وعرف الصمد لانه الذي يقصد في الحوائج وذلك
معلوم عند الخلق وقدم لم يلد وان كان العرف سبق المولود لانه
الاهم لقولهم ولد الله وقوله تعالى ولم يولد كالحجة على انه لم يلد وها
هنا لم يلد وفي سورة الاسرا لم يتخذ ولدا لان النصارى كانوا يقولون
عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من يقول ان الله اتخذه ولدا تشريفا
فنفى الامرين فصل قال القرطبي وقد اسقط من هذه السورة
من ابعده الله واخزاه وقرا الله الواحد الصمد في الصلوة والناس
يسمعون واسقط قل هو وزعم انه ليس من القران وغير لفظ احد
وادعى ان هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل فابطل معنى
الاية لان اهل التفسير قالوا انزلت جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك امن ذهب ام من نحاس ام من
حديد فقال الله تعالى ردا عليهم قل هو الله احد ففي قوله تعالى هو دلالة
على موضع الرد ومكان الجواب فاذا سقط بطل معنى الاية وصح الافترا
على الله والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي
عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان المشركين قالوا يا رسول الله انسب
لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا يورث وان الله تعالى
لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبه ولا عدل
ليس كمثله شيء وروى ابو العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل عليه الصلوة والسلام
بهذه السورة قل هو الله احد قال الترمذي وهذا اصح قال
القرطبي ففي هذا الحديث اثبات لفظ قل هو الله احد وعن عكرمة نحوه
وقال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وعزير وهو
رد على النصارى وعلى من قال عزير ابن الله ولم يكن له كفوا احد ولم يكن
له مثلا وفيه تقديم وتاخير ولم يكن له كفوا المقدم خبر كان على اسمها
لتناسق اواخر الاي فصل قال ابن الخطيب دل العقل على استحالة
كونه تعالى والدا او ولدا والاحدية والصمدية يوجبان نفي كونه تعالى
والدا او مولودا وذكر بعدها كما ذكر النتيجة بعد الدليل كونه ولم يكن له
كفوا احد في نصب كفوا وجهان احدهما انه خبر يكون واحدا اسمها وله متعلق
بالخبر



بالخبر اي ولم يكن له كما تقدم وقد رد المبرد على سيبويه بهذه
الاية من حيث انه يزعم انه اذا تقدم الظرف كان هو الخبر وهنا
لم يجعله خبرا مع تقدمه وقد رد على المبرد بوجهين احدهما ان سيبويه
لم يحتم ذلك بل جوزه والثاني انا لا نسلم ان الظرف هنا ليس بخبر بل
هو خبر ونصب كفوا على حال على ما سياتي بيانه وقال الزمخشري الكلام
العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا تقدم وقد
نص سيبويه في كتابه على ذلك فما باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت
هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري وهذا المعنى
مصبه ومركزه هو الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم
واحراه والثاني ان ينتصب على الحال من احد لانه كان صفة فلما تقدم
عليه نصب حالا وله هو الخبر قاله مكي وابو البقا وغيرهما ويجوز ان يكون
حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا قال ابو حيان بعد ان حكى
كلام الزمخشري ومكي وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك ان قوله
تعالى لم يكن له كفوا احد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح
ان يكون خبرا لكان بل متعلق بكفوا وتقدم على كفوا للاهتمام به اذ
فيه ضمير الباري تعالى وتوسط الخبر وان كان الاصل التاخير لان تاخير
الاسم هو فاصلة فحسن ذلك وعلى هذا الذي قررناه يبطل اعراب
مكي وغيره ان له الخبر وكفوا حال من احد لانه ظرف ناقص ولا يصح ان يكون
خبرا وان لا يكون قال سيبويه وتقول ما كان فيها احد خير منك اذا
جعلت مستقرا ولم تجعله على قولك فيها زيد قائم اجريت الصفة على الاسم
فان جعلته على فيها قائم نصبت فتقول ما كان فيها احد خيرا منك وما
كان احد خيرا منك فيها الا انك اذا اردت الالغا فكلما اخرت الملغى
فهو احسن واذا اردت ان يكون مستقرا فكلما قدمته كان احسن والتقديم
والتاخير والالغا والاستقرار عربي جيد كثير قال تعالى ولم يكن له كفوا احد
وقال ما دام فيهن فصيل حيا انتهى كلام سيبويه قال ابو حيان فانت
ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي لا يصلح ان يكون خبرا ومعنى قوله مستقرا
اي خبرا للمبتدا او لكان فان قلت قد مثل بالاية قلت هذا الذي اوقع مكيا
والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه وانما اراد سيبويه ان الظرف
التام وهو في قوله ما دام فيهن فصيل حيا اجري فضلة لا خبرا كما ان
له في الاية اجري فضلة فجعل الظرف القابل ان يكون خبرا كالظرف الناقص في
كونه لم يستعمل خبرا ولا يشك من له ذهن صحيح انه لا ينعقد كلام من لم احد
بل لو تاخر كفوا ارتفع على الصفة وقد جعل له خبرا لم ينعقد منه كلام بل انت
ترى ان النفي لم يتسلط قط الا على الخبر الذي هو كفوا والمعنى لم يكن له احد مكافيه
انتهى ما قاله ابو حيان قال شهاب الدين ولا اشك الى اخره تهويل على
الناظر والا فقوله هذا الظرف ناقص ممنوع لان الظرف الناقص عبارة
عما لم يكن في الاخبار به فايدة كالمقطوع عن الاضافة ونحوه في دار رجل
وقد نقل سيبويه الامثلة المتقدمة نحو ما كان فيها احد خير منك وما الفرق
بين هذا وبين الاية الكريمة وكيف يقول هذا وقد قال سيبويه في اخر
كلامه والتقديم والتاخير والالغا والاستقرار عربي جيد كثير فصل
قرا العامة كفوا بضم الكاف والفا وسهل الهمزة الاعرج وسيبويه ونافع
في رواية واسكن الفا حمزة وابدل الهمزة واوا وقفا خاصة وابدلها
حفص واوا مطلقا والباقون بالهمز مطلقا قال القرطبي تقدم في البقرة
ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان

الا قوله تعالى اتتخذنا هزوا وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس
كفا بالكسر والمد اي لا مثل له وانشد النابغة • لا تقذفني بركن لا كفاء له
وقرأ نافع في رواية كفا بالكسر وفتح الفاء من غير مد كأنه نقل حركة الهمزة
وحذفها والكفو النظير تقول هذا كفوك اي نظيرك والاسم الكفاءة
بالفتح قال ابن الخطيب والتحقيق انه تعالى لما اثبت الاحدية والصمدية
ونفي الوالدية والمولودية ختم السورة بان شيئا من الموجودات يمتنع ان
يساويه في شيء من صفات الجلال والعظمة لانفراده سبحانه وتعالى بوجوب
الوجود **فصل** روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني
ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس باول
باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد
الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد **فصل** في فضايل هذه
السورة • روى البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا سمع
رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا للنبي صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
انها لتعدل ثلث القران لان القران انزل اثلاثا ثلثا احكام وثلثا
وعد ووعيد وثلثا اسما وصفات • وقيل ان اسم الصفة لا يوجد في
غيرها من القران • وروى مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ في صلوتهم فيختم بقل هو الله
احد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي
شي يصنع ذلك فسالوه فقال لانها صفة الرحمن عز وجل فانا احب ان
اقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله تعالى يحبه • وروى
الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع رجلا يقول قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبت قلت وما وجبت قال الجنة • وروى الثعلبي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد احد وخمسين مرة
غفرت ذنوبه • وروى سعيد بن المسيب رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد احد عشر مرة بنى الله له
قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها
ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب اذن تكثر
قصورنا فقال عليه الصلوة والسلام الله اوسع من ذلك • وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه
لم يفتتن في قبره وامن من ضغطة القبر وحملته الملايكة يوم القيامة باكفها
حتى تجيز من الصراط الى الجنة **فصل** في اسمايها قال ابن الخطيب
سورة التفريد • وسورة التجريد وسورة التوحيد • وسورة الاخلاص
وسورة النجاة • وسورة الولاية • وسورة النسبة لقولهم انسب لنا
ربك • وسورة المعرفة وسورة الجمال • وسورة البراءة لانها تبرئ من النفاق
وسورة الاساس وسورة المحضر لان الملايكة تحضر لسماعها وسورة
المانعة والمنفرة لانها تنفر الشيطان وسورة النور لانها تنور
القلب والله نور السموات والارض والله اعلم

سورة الفلق مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر • ومدنية في قول ابن عباس وقتادة
وهي

وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربعة وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** قل اعوذ برب الفلق هذه
السورة وسورة الناس والاخلاص نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين سحرته اليهود • وقيل ان المعوذتين كان يقال لهما
المقشقشتان اي يبريان من النفاق وزعم ابن مسعود انهما دعا تعوذ به وليستا
من القران وخالف به الاجماع من الصحابة واهل البيت قال ابن قتيبة
لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين لانه كان يسمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما فقدر انهما
بمنزلة اعوذ بالله بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ومن
كل عين لامة • قال ابن الانباري وهذا مردود على ابن قتيبة لان
المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين • واعيذكما بكلمات
الله التامات من كل عين لامة قول البشر وكلام الخالق الذي هو اية
وحجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على جميع الكافرين لا يلتبس بكلام الادميين
على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف
باجناس الكلام وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله بن مسعود المعوذتين
لانه امن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة
الكتاب من مصحفه وما يشك في حفظه واتقانه لهما فرد هذا القول على
قايله واحتج عليه بانه قد كتب اذا جاء نصر الله والفتح وانا اعطيناك
الكوثر وقل هو الله احد وهن يجرين مجرى المعوذتين في انهن غير
طوال والحفظ لهن اسرع والنسيان مامون وكلهن يخالف فاتحة
الكتاب اذ الصلوة لا تتم الا بقراءتها وسبيل كل ركعة ان تكون المقدمة
فيها قبل قراءة ما بعدها فاسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على الثقة
ببقا حفظها والامن من نسيانها صحيح وليس من السور ما يجري في هذا
المعنى مجراها ولا يسلك به طريقها **فصل** تقدم الكلام في
الاستعاذة والفلق هو الصبح وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض اي مفلوق
وفي حديث الرؤيا مثل فلق الصبح قال الشاعر
يا ليلة لم انمها مرتقبا • ارعى النجوم الى ان نور الفلق
وقال ذو الرمة
اذا ما الجلا من وجهه فلق • هادية في اخريات الليل منتصب
يصف الثور الوحشي يعني بالفلق هنا الصبح بعينه وقيل هو خلق في
وقيل المطمئن من الارض وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا ذلك
بفالق كذا وكذا يريدون المكان المنحدر بين الربوتين • وقيل الفلق
الجبال والصخور تنفلق بالمياه اي تتشقق وقيل هو التفليق بين
الجبال لانها تنشق من خوف الله تعالى قال زهير
مازلت ارمقهم حتى اذا هبطت • ايدي الركاب بهم من راكس فلقا
الراكس بطن الوادي وكذلك هو في قول النابغة • وددت بن ذراكس الضواجع
والراكس ايضا الهادي وهو الثور وسط البيدر يدور عليه الثيران في
الدياسة وقيل الفلق الرحم تنفلق بالحيوان • وقيل انه كلما انفلق
عن جميع ما خلق من الحيوان كله قال
وسوس يدعو مخلصا رب الفلق • سرا وقد اذن بادمن عنزه ذهق
قال القرطبي وهذا قول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق فلقت
الشي فلقا شققته والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكل ما انفلق
عن شي من حيوان وصبح وحب ونوى فهو فلق قال تعالى فالق الاصباح

وقال عز وجل فالق الحب والنوى. والفلق ايضا مقطعة السحاب
فاما الفلق بكسر اللام فالداهية والامر العجيب تقول منه افلق الرجل
وافلق وشاعر مفلق وقد جاء بالفلق قال الشاعر

واعجبا من هذه الفليقة ... هل يذهبن القوبا الريقه

والفلق ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال
لكل منهما فلق وقولهم جا بعلق فلق وهو الداهية لا يجرى يقال منه
افلقت واعلقت اي جئت بعلق فلق ومن يتفلق في عدوه اي يأتي
بالعجب من شدته. **قوله** من شر ما خلق متعلق باعوذ والعامة
على اضافة شر الى ما. وقرأ عمرو بن فايد بتنوينه. وقال ابن عطية
عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة الذين يرون ان الله لم يخلق الشر
من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على
مذهب باطل انتهى ولا يتعين ان يكون ما نافية بل يجوز ان
تكون موصولة بدلا من شر على حذف مضاف اي من شر شر ما خلق
عمم اولا ثم خصص ثانيا. وقال ابو البقا وما على هذا بدل من شر
او زائدة ولا يجوز ان تكون نافية لان النافية لا يتقدم عليها
ما في حيزها فلذلك لم يجز ان يكون التقدير ما خلق من شر ثم هو فاسد
المعنى وهو رد حسن صناعي ولا يقال ان من شر متعلق باعوذ
وحذف مفعول خلق لانه خلاف الاصل وقد انحا مكي هذا القايل
ورده بما تقدم وما مصدرية او بمعنى الذي **فصل** روى عطا
عن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تعالى لم يخلق شرا منه
وان السورة انما نزلت في الاستعاذة من السحر وذلك انما يتم
بابليس وجنوده لعنهم الله. وقيل جهنم وما خلق فيها وقيل
عام اي من شر كل ذي شر خلقه الله. وقيل ما خلق الله من الامراض
والاسقام والقحط وانواع المحن. قال الجبائي والقاضي هذا التفسير
باطل لان فعل الله تعالى لا يجوز ان يوصف بكونه شرا لان الذي
امر بالتعوذ منه هو الذي امر به وذلك متناقض ولان افعاله
تعالى كلها حكمة وصواب فلا يجوز ان يقال شر وايضا فلان
فعل الله تعالى لو كان شرا لوصف فاعله بانه شرير تعالى الله
عن ذلك. والجواب عن الاول انه لا امتناع في قوله اعوذ بك
منك كما ورد وعن الثاني ان الانسان لما تألم وصف بالالم
كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم. وعن الثالث ان
اسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية. ومما يدل على جواز تسمية
الامراض والاسقام بالشرور قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا
قوله من شر غاسق اذا وقب الغاسق منصوب باعوذ اي اعوذ
بالله من هذا او من فتنة كذا وكذا قيل الليل والغسق هو اول ظلمة
الليل يقال منه غسق الليل يغسق اي يظلم قال قيس بن الرقيات

ان هذا الليل قد غسقا ... واشتكيت الهم والارقا

وهذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ووقب
على هذا اظلم وقال قتادة ذهب. وقال يمان بن رئاب
سكن وقيل دخل ووقب العذاب على الكافرين نزل قال

وقب العذاب عليهم فكأنهم ... لحقتهم نار الصدور باحصد

وقال الزجاج قيل الليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد

والغسق

والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من
اماكنها وتنبعث اهل الشر على العبث والفساد فاستعيذ
من الليل قال الشاعر

يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا ... اذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا

اي اظلم واعتكر. وقيل الغاسق الثريا لانها اذا سقطت كثرت
الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن
ابن زيد. وقال ابن شهاب هو الشمس اذا غربت. وقال القتبي
هو القمر اذا وقب اذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف له اذا خسف
وكل شي اسود فهو غسق. وقال قتادة اذا وقب اذا غاب. قال
القرطبي وهو اصح لما روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي
صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي
بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب حديث صحيح
وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وكان الغاسق نابها لان السم
يغسق منه اي يسيل فقال غسقت العين تغسق غسقا اذا
سالت بالما وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض
ووقب نابها اذا دخل في اللديغ. وقيل الغاسق كل هاجم يضر
كائنا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها. قال
ابن الخطيب وعندي فيه وجه لو انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير
بل هو مظلم فهذا هو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق
في اخر الشهر والمنجمون يقولون انه في اخر الشهر منحوس قليل القوة
لانه لا يزال نوره بسبب ذلك ردوا نحوسه ذلك السحرة انما يشتغلون
في السحر المورث للتمريض في هذا الوقت مناسب بسبب نزول
انها نزلت لاجل انهم سحروا النبي صلى الله عليه وسلم للتمريض
قوله ومن شر النفاثات في العقد النفاثات هم نفاخة مثال
مبالغة من نفثت اي نفخ. واختلف فيه فقال ابو الفضل شبه
النفخ من الفم بالرقية ولا شي معه فاذا كان بريق فهو التفل
وانشد عنترة

فان يبرأ فلم انفث عليه ... وان يفقد فحق له الفقود

وقال الزمخشري النفث النفخ بريق معه. وقرأ الحسن النفاثات بضم
النون وهو اسم كالنفاخة. ويعقوب وعبد الرحمن بن سابط
وعيسى بن عمرو وعبد الله بن القاسم النافثات وهي محتملة لقراءة
العامة والحسن النفثات ابو الربيع والنفاثات بدون الف
كحاذر وحذر الا انه قد يتخلف المعنى فيهما في التكثير والتضعيف
وعرف النفاثات اما للعهد كما يروى في التفسير واما للمبالغة
في التكثير **فصل** قال المفسرون يعني الساحرات اللاتي
ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها. وقال ابو عبيدة النفاثات
من بنات لبيد بن الاعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم
شبه النفخ كما يعمل من يرقي قال الشاعر

اعوذ بربي من النافثات ... ومن عضه العاضه المعضه

وقال متمم بن نويره

نفثت في الخيط شبيه الرقى ... من خشية الجنة والحاسد

وروى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن

سحر فقد اشرك ومن تعلق شيا وكل اليه • واختلف في
النفث عند الرقى فمنعه قوم واجازه اخرون قال عكرمة لا
ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد • وقال ابراهيم كانوا
يكرهون النفث من الراقي والصحيح الجواز فان النبي صلى الله
عليه وسلم كان ينفث في الرقية • وروى محمد بن حاطب ان يده
احترقت فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم
بكلام زعم انه لم يحفظه • وروي ان قوما لدغ رجل منهم فاتوا
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هل فيكم من راق قالوا
لا حتى تجعلوا لنا شيا فجعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم
يقرا فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برا فاخذوا فلما رجعوا
ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل فيكم
من راق قالوا لا حتى تجعلوا لنا شيا فجعلوا لهم قطيعا من الغنم
فجعل رجل منهم يقرا فاتحة الكتاب ويرقي ويتفل حتى برا فاخذوا
فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وما
يدريكم انها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم • واما ما روي عن
عكرمة فكانه ذهب فيه الى ان النفث في العقد مما يستعاذ منه
بخلاف النفث بلا عقد قال ابن الخطيب هذه الصناعة
انما تعرف بالنسا لانهن يعقدن في الخيط وينفثن وذلك لان
الاصل الاعظم ربط القلب بذلك الامر واحكام الهمة والوهم
فيه وذلك انما يتاتى من النسا لقلة علمهن وشدة شهوتهن
فلا جرم كان هذا العمل منهن اقوى • قوله ومن شر حاسد اذا
حسد تقدم معنى الحسد وانه تمني زوال النعمة المحسود وان لم
يصر للحاسد مثلها والمنافسة وهي تمني مثلها وان لم تزل عن
المحسود وهي الغبطة • والحسد شر مذموم والمنافسة مباحة قال
صلى الله عليه وسلم المومن يغبط والمنافق يحسد • وقال صلى الله
عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين يريد الغبطة قال ابن عباس
وعايشة رضي الله عنهما لما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا حتى اخذ
مشاطة من اثر النبي صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه
فاعطاها اليهود يسحروه بها صلى الله عليه وسلم وتولى ذلك
ابن الاعصم رجل من اليهود • فصل هذه السورة دالة
على ان الله تعالى خلق كل شر وامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان
يتعوذ من جميع الشرور فقال عز وجل من شر ما خلق وذلك
خاتمة ذلك الحسد تنبيها على عظمته وكثرة ضرره والحاسد
عدو نعمة الله تعالى • وقال بعض الحكما الحاسد بارز ربه من
خمسة اوجه • احدها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره • وثانيها
انه ساخط لقسمة ربه كانه يقول لم قسمت هذه القسمة
وثالثها انه ضاد فعل الله تعالى اي ان فضل الله يوتيه من يشا
وهو يبخل بفضل الله • ورابعها انه خذل اوليا الله تعالى او يريد
خذلانهم وزوال النعمة عنهم • وخامسها انه اعان عدو الله
ابليس • وقيل الحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند
الملايكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة الا جزعا ولا ينال
في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله العظيم الا بعدا ومقتا

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يستجاب دعاوهم اكل الحرام
ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل او حسد للمسلمين • وروى الثعلبي
عن ابي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها •
وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك
بافضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال قل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس

سورة الناس مكية

وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب الناس
قرى قل اعوذ بحذف الهمزة ونقلها الى اللام ونظيره فخذ اربعة
واجمع القرا على ترك الامالة في الناس اذا كان في موضع الخفض
ومعنى رب الناس مالكهم ومصلح امورهم • وانما ذكر لفظ الناس
وان كان ربا لجميع الخلق لامرين • احدهما لان الناس معظمون
فاعلم بذكرهم انه ربهم وان عظموا • والثاني لانه امر
بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذي
يعيذ منهم وانما قال سبحانه ملك الناس اله الناس لان في
الناس ملوكا فذكر تعالى انه ملكهم • وفي الناس من يعبد غيره فذكر
انه الههم ومعبودهم وانه الذي يجب ان يستعاذ به
ويلجا اليه دون الملوك والعظما • قوله ملك الناس اله
الناس يجوز ان يكونا وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين
وان يكونا عطف بيان • قال الزمخشري فان قلت ملك
الناس اله الناس ما هما من رب الناس قلت عطف بيان كقولك
سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا
لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد
لا يكون فلا جرم بينه بقوله تعالى اله الناس لان الاله خاص لا
شركة فيه فجعل غاية البيان • واعترض ابو حيان بان البيان بالجوامد
ويحتاج تخريجه بانه اجري مجرى الجوامد وقد تقدم في الرحمن الرحيم
اول الفاتحة تقريره • وقال الزمخشري فان قلت لم قيل رب
الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الوسواس
في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي
يملك امورهم • ثم قال فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف مرة
واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار
وكرر لفظ الناس لان عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار
ولان التكرار يقتضي مزيد شرف الناس وانهم اشرف مخلوقاته
قال ابن الخطيب وانما بدا بذكر الرب تعالى وهو اسم لمن قام
بتدبيره واصلاحه من اوايل نعمه الى ان رباه واعطاه العقل
فحينئذ عرف بالدليل انه مملوك وهو ملك فثنى بذكر الملك
ثم لما علم ان العبادة لازمة له وعرف انه معبود مستحق لتلك
العبادة عرف انه اله فلهذا ختم به • قال ابن الخطيب ولم يقرا
والمشهور هنا مالك بالالف كما قري به في الفاتحة لان معنى المالك

هو الرب فيلزم التكرار وتقدم نظيره في الفاتحة لاختلاف المضافين
فلا تكرار **قوله** من شر الوسواس قال الزمخشري اسم
بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر
فوسواس كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر
كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله او اريد ذو
الوسواس انتهى وتقدم الكلام معه في ان المكسور مصدر
والمفتوح اسم في الزلزلة فليراجع والوسوسة حديث النفس
يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسوسة بكسر
الواو قاله القرطبي ويقال لهمس الصائد واصوات الكلاب
والحلي وسواس قال ذو الرمة
فبات يشئزه ثاد ويسهره ... تذوب الريح والوسواس والهضب
وقال الاعشى
تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت ... كما استعان بريح عشرق زجل
قوله الخناس اي الرجاع لانه اذا ذكر الله تعالى خنس
وهو مثال مبالغة من الخنوس قال القرطبي ووصف
بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا اقسم
بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها وقيل لانه
يخنس اذا ذكر الله تعالى اي يتاخر وفي الخبر ان الشيطان
جاثم على قلب ابن ادم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله
تعالى خنس اي تاخر يقال خنسه فخنس اي اخرته فتاخر
واخنسته ايضا وتقدم الكلام على هذه المادة في
سورة اذا الشمس كورت **قوله** الذي يوسوس
يجوز جره نعتا وبدلا ونصبا وجريانه مجرى الجوامد
ونصبه ورفعه على القطع **فصل** قال مقاتل
ان الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن ادم مجرى الدم
في عروقه سلطه الله على ذلك فذلك قوله تعالى الذي يوسوس
في صدور الناس وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
يجري من بني ادم مجرى الدم رواه البخاري ومسلم وقال
القرطبي ووسوسته هو الدعاء الى طاعته بكلام خفي يصل
الى القلب من غير سماع صوت **قوله** من الجنة فيه اوجه
احدها انه بدل من شر باعادة العامل اي من شر الجنة
الثاني انه بدل من ذي الوسواس لان الموسوس من الجن
والانس الثالث انه حال من الضمير في يوسوس حال كونه
من هذين الجنسين الرابع انه بدل من الناس وجعل من
تبعيضية واطلق على الجن اسم الناس لانهم يتحركون في
مرادهم قاله ابو البقاء الا ان الزمخشري ابطله
فقال بعد ان حكاه واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن
لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من
الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على
القبيلين وصح وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن
وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله
يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض الناسي ثم بين بالجنة
والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله
تعالى

تعالى يعني اجزا بالكسرة عن اليا والمراد اسم الفاعل وتقدم
تحقيق هذا في البقرة الخامس انه بيان للذي يوسوس على ان
الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن
ابي ذر انه قال لرجل هل استعذت من شياطين الانس السادس
ان يتعلق بيوسوس ومن لابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجن ومن جهة الانس السابع ان والناس عطف على الوسواس
اي من شر الوسواس والناس ولا يجوز عطفه على الجنة لان الناس لا
يوسوسون في صدور الناس انما يوسوس الجن فلما استحال المعنى
حمل على العطف على الوسواس قاله مكي وفيه بعد كثير للبس الحاصل
وقد تقدم ان الناس يوسوسون ايضا بمعنى يليق بهم الثامن
ان من الجنة حال من الناس اي كائنين من القبيلتين قاله ابو البقا
ولم يبين اي الناس المتقدم انه صاحب الحال وعلى كل تقدير فلا يصح
معنى الحالية في شيء منها لا الاول ولا ما بعده ثم قال وقيل هو
معطوف على الجنة وهذا الكلام يستدعي تقدم شيء قبله وان يكون
الناس عطفا على غير الجنة وفي الجملة فهو كلام متسامح فيه **فصل**
قال الحسن هما شيطانان اما شيطان الجن فيوسوس في صدور
الناس واما شيطان الانس فياتي علانية وقال قتادة ان من الجن
شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس
وعن ابي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقال
او من الانس شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الجن والانس فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وذهب
قوم ان المراد بالناس هنا الجن سموا بذلك ناسا كما سموا رجالا في قوله
تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وكما سموا نفرا
في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن وكما سموا قوما ونقل الفراء عن بعض العرب انه قال وهو يحدث فجاء
قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا اناس من الجن فعلى هذا يكون
والناس عطفا على الجنة كما تقدم ويكون التكرير لاختلاف اللفظين
والجنة جمع جني كما يقال انس وانسي والهاء لتانيث الجماعة وقيل
ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون
في صدور الناس عاما في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يوسوس في
صدوره وقيل من معنى من شر الوسواس اي الوسوسة التي تكون من
الجنة والناس وهو حديث النفس قال النبي صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم وبجل ومجد وعظم ان الله عز وجل
تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل
او تتكلم به والله اعلم بالصواب
تم الكتاب بعون الملك الوهاب
على يد الفقير الراجي عفو ربه
المنان عبد الرحمن
غفر الله ذنوبه وستر عيوبه
وكشف كروبه ورحم الله
والديه احمد عبد الكريم
واسلافه وساير
اموات المسلمين
امين



يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دايم يا علي يا حكيم